الجلد الثاني من شرح الشفا للقاضي للشهاب عباس





MİLLET GENEL KÜTÜPHANESİ

KISIM : H. Ali paşa

ESKİ KAYIT : 205

YENİ KAYIT No.

TASNİF No.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم بما تضمنه كرامة

الاسراء اي ما اشتملت عليه قصة الاسراء وقع في ضمنها مما فضله الله به على سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام والمراد ما اكرمه الله به من خارق العادة وليس المراد به ما يقابل المعجزة فانه من اعظم معجزاته وقد اعلم به وبما فيه من فضله وذلك اذ تقول المراد به ظاهره لانه امر لا يطلع عليه غيره وما هو كذلك لا يتحدى به ولذلك عبر المصنف عنه بالكرامة والباء للتقديم والسببية هـ والاسراء مصدر اسرى ويقال سرى واسرى اذا سار ليلا **واختلفوا** فيهما فقيل هما بمعنى وقيل بينهما فرق فقيل اسرى سار بعضه واسرى ليلة اذا سار جميعها ولا يقال اسرى ليلا الا اذا وقع سيره في اثنائه فاذا وقع في اوله قيل ادلج فمعنى اسرى بعبده ليلا انه من وسطه واسرى مسند ومفعوله محذوف هنا اي اسرى البراق وقيل انه لازم لسرى وانهما متغايران اذ معنى كما مر ولفظا لان سرى من السري واسرى من السراة وهي الظهر فمعنى اسرى ذهب به في سراة الارض وهي ظهرها كذا في المفردات ويدل على تغايرهما اتفاقهما على التعبير بالاسراء دون السري واتفاقهم على القراءة بها فصار معناه سيره الى بيت المقدس والاسراء غير المعراج كما سيأتي تبيين ما يتضمنه بقوله **من المناجاة** وهي الكلام سرا الا ان السري يقال له نجوي وتختص المناجاة في العرف بكلام العبد مع ربه كمناجاة موسى صلى الله عليه وسلم **والرؤية** اي رويته صلى الله عليه وسلم لربه بعين بصره او رؤيته ما في الملا الاعلى من العجائب ورأي اذا كانت بصرية مصدرها رؤية واذا كانت حلمية مصدرها رؤيا واذا كانت اعتقادية مصدرها رأي وقال السهيلي الرؤيا تكون بمعنى الرؤيا ايضا وله شواهد في كلام العرب وعليه قول المتنبي ورؤياك احلى من العيون من الغمض فلا يرد عليه شيء كما توهم وما يقوله صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم بمنزلة ما يرويه **وامامة الانبيا** اي صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء اماما لهم فانه يدل على تفضيله عليه الصلاة والسلام ولذا استدل على تقديم ابي بكر رضي الله عنه في الفضل بتقديم النبي صلى الله عليه وسلم له في الصلاة في مرض موته وقالوا لا نرضى لديننا من رضيه النبي صلى الله عليه وسلم لدنيانا **والعروج به الى سدرة المنتهى** العروج بمعنى الصعود في جهة العلو وفعله عرج يعرج كقتل يقتل ويأتي في الحديث اعرج بي بفتحتين وقال اللهم اني بضم العين وكسر الراء ومنه المعراج بكسر الميم وهو السلم ذو الدرج وجمعه معارج ومعاريج وللسما معراج تصعد فيه ارواح الموتى وهو الذي يشخص اليه بصر المحتضر بما يرى من نوره وحسنه فاذا رآه لم يتمالك روحه ان تخرج وبه تشهد الملائكة بالاعمال وبه فسر قوله ذي المعارج فالاسرا سيره صلى الله عليه وسلم لبيت المقدس والمعراج صعوده للسما وهو مصدر ميمي واسم السلم اطلق عليه او فيه مقدر وقد يطلق الاسرا على جميع الامرين ويطلق المعراج على كل ذلك مجازا فقيل انه تغليب وفيه نظر والسدرة شجرة معروفة وهي سجرة النبق وقيل التي في الجنة سدرة المنتهى وهذه الشجرة في السما السابعة وقيل في السادسة واقتصر عليه المحب فيما يأتي وجمع بينهما بان اصلها في السادسة واعلاها في السابعة ويأتي ان ننبقها كقلال هجر وان اوراقها كاذان الفيلة وانه ينشأها نور من الله وفراش من ذهب وانه يسير الراكب في ظلها مائة عام ويخرج من اصلها انهار اربعة منها النيل والفرات وانه انما سميت سدرة المنتهى لانه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها وقيل لانه ينتهي اليها علم الخلائق فلا يعلم ما وراءها ومنتهى الملائكة فلا يجاوزها وقيل لان من وصل اليها انتهى لا في الكرامة الى غير ذلك من الاقوال **وما راى من ايات ربه الكبرى** ما موصولة عايدها مقدر اي راه او مصدرية والكبرى مفعول راى ومن ايات ربه بيان سقدم عليه او هو صفة لايات ه ومن تبعيضية او زايدة وايات الله كل ما دله مما يدل على عظمته او هو صفة جبريل على صورته الاصلية او ما يشمل السدرة من الانوار التي لا يمكن النظر اليها ولا وصفها وقيل هو رفرف الخضر سد السما والرفرف ما يسمى بالفارسية سايبان وقيل انه بساط **وقيل من خصايصه صلى الله عليه وسلم** اي ما خصه الله به من دون الانبيا عليهم الصلاة والسلام مع ما له من المعجزات التي تساوي معجزات سايرالانبيا كما فصل في محله **قصد الاسرا وما انطوت الكه عليه** اي احتوت عليه وتضمنته من درجات الرفعة اي العلو في الرتبة والدرجة المرقاة الحسنة فنبه ما اعطيه من المراتب المعنوية بالمرا في الحسنة واستعار لها اسمها استعارة مصرحة **مما نبه عليه في كتابه العزيز** في سورة الاسرا وسورة النجم **وشرحته** اي كشفته وبينته **صحاح الاخبار** وفي بعض النسخ صحايح الاخبار وكلاهما جمع صحيح قال في القاموس يقال صح يصح فهو صحيح وقوم صحاح بكسر الصاد وصحايح انتهى وصحاح بفتح الصاد بمعنى صحيح او مصدر بمعنى الصحة وهو على اضافة الصفة للموصوف اي الاخبار الصحاح وهي ما رواه الثقات بسند متصل وسلم من الشذوذ والعلة القادحة كما فصل في مصطلح الحديث **قال تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الاية** قدم الكلام على لفظ الاسرا وسبحان منصوب على المصدرية وهو علم جنس لمعنى التعجب وعدوه فانا امنيق فقد تنكيره فانا علم للجنس منكر كعلم الشخص وانكره بعضهم بنا على انه غير معين فلا يتصور تنكيره وعلى العلمية هو ممنوع من الصرف فاذا انكر صرف وانكر بعض النحاة علميته وخطا من قال به كما ذكره ابو علي في التذكرة والكلام فيه طويل الذيل فسبحان مصدر بمعنى التسبيح والتنزيه او اسم مصدر واسرا السورة والقصة به لانه لما ذكر الاسرا والرؤية ربما توهم ان الله في جهة

فنزهه عن ذلك وهي مع التنزيه رد علي المعجب والمكذبوه في الاسراء نزهه الله عن الكذب وعجب عباده في سببه لمثله ومما انعم عليه من النعم التي حصه بها قيل ويحتمل ان يكون بمعني الامر اي سبحوه تسبيحا وقال ليلا اي في مدة قليلة ولو اذاكره وذكره مع ان السري يختص به كما مر وقال بعبده لان صفة العبودية اشرف الصفات واضافه له تشريفا واياما الى انه مجرد لحضور سرادق العز والمسجد الحرام يحتمل المسجد نفسه ويكون المطلق المقيد وكل منهما صحيح هنا واسراؤه به صلي الله عليه وسلم كان من الحجر وهو نائم به وردوي انه كان في بيت ام هاني وجمع بينهما بان جبريل اتاه في بيت ام هاني فايقظه جبريل عليه الصلاة والسلام وذهب به الي الحرم ثم بساطا لجيء فنام في الحجر والمسجد الاقصي بيت المقدس سمي به لبعده عن المسجد الحرام وضمير انه هو لله اي هو السميع لما قيل في حقه والبصير المطلع علي احواله وقيل انه للنبي صلي الله عليه وسلم اي هو السميع الكلام ربه المشاهد لايآته وقال عز وجل والنجم اذا هوي الي قوله لقد راي من ايات ربه الكبري الواو للقسم والنجم عام لكل نجم او المراد به الثريا لغلبته عليها والمراد به نجوم القرآن المنزلة عليه وهوي بمعني غرب او انقض او طلع او نزل عليه وحيه واقسم به لوقوع ذلك ليلا وله تعالي ان يقسم بما شاء او التقدير ورب النجم والكلام عليه مبسوط في التفاسير اذا علمت ما ذكر من النص فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به عليه الصلاة والسلام بحسب النقل الشاهد له العقل والمسلمون مجمعون عليه وانما اختلفوا في كونه يقظة او منامه كما سياتي اذ هو نص القرآن تقليل لعدم وقوع الخلاف فيه بعد نص القرآن الذي لا يجحده مسلم وجاءت بتفصيله بعد ما اجمله النص وشرح عجائبه الواقعة فيه وحواه من نبينا صلي الله عليه وسلم فيه اي ما خصه الله به في الاسراء احاديث صحيحة منتشرة وفي نسخة اخبار كثيرة ومعني ما تشتت انها متفرقة في كتب الحديث باسانيد مختلفة راينا من الراي وهو النظر والتدبر في الامور المهمة بعد ما راينا جمعها يطول ويعسر ان تقدم اكملها اي الحديث الذي هو اكملها اي اجمعها لهذه القصة واصحها والمراد بتقديمه اختياره كما في قوله

فقلت لها هاتي ولا بتئيسي ان المهم المقدم

وهذا رواه مسلم فلذا جعله اصح من غيره بناء علي راي المقاربة ما انه اصح من البخاري ونشير الي زيادة من غيره اي من غير هذا الحديث وقعت رواية لغير مسلم وهي مهمة يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي هو الحافظ ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته والفقيه ابو بحر بالباء الموحدة المفتوحة والحاء المهملة الساكنة ابن القاضي الامام المشهور يسمعي عليهما اي يسمعني من يقرء وعليهما فان حدثنا تكفي بالسماع عن الجمهور وبعضهم يجعلها تشمل السماع وغيره فذكر الم هذا الدفع توهم غيره والقاضي ابو عبد الله التميمي وهو محمد ابو عبد الله بن عيسي التميمي استاذ الم الذي تفقه عليه واليه اشار بقوله وغير واحد من شيوخنا والشيخ معناه في الاصل الكبير ثم صار في العرف اسما لمن يقرا عليه الناس ويستفيد وبانسنه لانه في الاكثر لا يصل لهذه المرتبة الا من كبر سنه وكان في العصر الاول يقال لابي بكر وعمر رضي الله عنهما شيخا الاسلام كما ذكره السخاوي قالوا حدثنا ابو العباس المذري بضم الميم المهملة وسكون الذال المعجمة والراء المهملة نسبة لبني عذرة قوم من العرب مشهورون وفي بعض النسخ بواو بدل الراء وهو تحريف من الناسخ قال حدثنا ابو العباس الرازي تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو احمد الجلودي تقدمت ترجمته وانه يجوز فيه ضم الجيم وفتحها قال حدثنا ابو سفيان تقدمت ترجمته قال حدثنا مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح للامام المشهور قال حدثنا شيبان بالشين المعجمة المفتوحة والمثناة التحتية الساكنة والباء الموحدة

ابن فروخ بفتح الفا وتشديد الرا المهملة المضمومة وواو ساكنة وخا معجمة وقال ابن حجر في التبصير انه
بدون واو والذي نعرفه في لغة العجم انه بالواو فان صح ما قاله فلعله تغيير بعد التعريب ومعناه السعيد
طالعه وهو علم غير منصرف للعلمية والعجمة وقول البرهان انه ضبط في بعض النسخ بالتنوين خطا لا ينبغي
ذكره وكذا قول التلمساني انه يصرف ولا يصرف وصرفه اكثر وقال صاحب العين انه اسم لابراهيم الخليل
عليه الصلاة والسلام وهو ابن العجم كما في المطالع ونقله النووي في شرح مسلم وتبعه صاحب القاموس وهو
ابو محمد الحبطي الايلي روى له اصحاب السنن فهو امام ثقة توفي سنة خمس وثلاثين ومايتين وترجمته
في الميزان قال حدثنا حماد بن سلمة بن دينار احد اعلام المحدثين وهو ثقة صدوق لكنه قد يغلط
توفي سنة سبع وستين ومائة وترجمته في الميزان قال حدثنا ثابت البناني بضم البا الموحدة نسبة لحي
من العرب يقال لهم بنانة ونونه مخففة وهو ابن اسلم راس العلما العابدين في عصره توفي سنة
سبع وعشرين ومائة وعمره ستة وثمانون وهو ثابت كاسمه اخرج له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة في
الميزان عن انس بن مالك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اتيت بالبراق بزنة غلام وهو من دواب الجنة سمي به لشدة بريقه ولمعانه او لسرعته
كالبرق الخاطف كما مر وهو دابة اي على صورتها وهي في عرف اللغة ذوات الاربع واصل معناها
وضعا كل ما يدب اي يتحرك ويمشي من ذوات الارواح وهو يذكر ويونث ابيض طويل فوق الحمار
ودون البغل اي في الجثة وابيض خبر بعد خبر لا صفة دابة وطوله باعتبار ما بين عنقه وذنبه
لانه اعون في مد خطوه وليس المراد طول قوائمه وقيل انه بادي البشرة خده كخد الانسان وعرفه
كالفرس وقوايمه كالابل واظلافه وصدره كالبقر وصدره ياقوت لا يشبه الدواب قال ابن المنير في
المقتفي انما اتي له صلى الله عليه وسلم بالبراق تانيسا له بجريه على العادة والله تعالى قادر ان يرفعه
بغير شي واظهارا لكرامته فان عادة الملوك اذا دعوا من يحبونه بعثوا له بمركوب في وفادته ولم
يكن على شكل الفرس تنبيه على انه حال لا حرب واظهارا للاية في اسراعه العجيب وليس شكله
مما يوصف بالسرعة عادة ولذا ركب صلى الله عليه وسلم البغلة في حنين اظهارا لثباته وشجاعته
وتساوي الحرب والسلم عنده وبغلته بيضا ايضا كالبراق قال ابن المنير اي شهبا والاشهب المايل الى
البياض والشاة البرقا هي البيضا ومنه البراق ويجوز الجمع في التسمية بين البياض واللمعان والسرعة
يضع حافره عند منتهى طرفه الحافر مجاز كالمشفر فان الحافر لا يطلق لغير الخيل ونحوها وهذا له ظلف
كما للبقر لكنه لقربه من البغل سماه حافرا ومنتهى مصدر بمعنى الانتها كما مر والطرف العين والمراد
به النظر ولا يلزمه ان يصل الى السما بخطوة كما توهم قال صلى الله عليه وسلم فركبته حتى اتيت
بيت المقدس بفتح الميم وكسر الدال المخففة وتقدم انه يجوز ضمها وفتح الدال المشددة وانه من
التقديس والتطهير واختلف هل ركب جبريل عليه الصلاة والسلام معه ام لا فقيل ركب معه لانه
ورد في بعض طرق هذا الحديث فما زلت على ظهره وانا وجبريل وسياتي التصريح به عن حذيفة وح
فيحتمل انه كان خلفه ويويده ما تقدم في عدمه ممن اردفهم ويحتمل انه كان قدامه قال ابن المنير
والاظهر اختصاصه بالركوب وقد صرح في الحديث بان صعوده صلى الله عليه وسلم كان على البراق
ولم يذكر ان هبوطه كان عليه فقال الدميري ان الله انزله بدونه اظهارا لقدرته وقيل انه هبط
به ايضا ولكنه لم يتعرض له اكتفا بذكر العروج فربطته اي البراق بالحلقة بفتح الحا المهملة
وسكون اللام وهي معروفة واختلف في فتح لامها فجوزه بعض اهل اللغة وجعله بعضهم
خطا وقال الليثي بالتحريك جمع حالق ككاتب وكتبة التي تربط بها الانبيا وروي به في مسلم

وفي الشفا لذا وبل الحلقة بني ونحوه وقالوا امر التذكير والتانيث سهل وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية
ولم يبين ابا كانت للحلقة فقيل كانت بباب المسجد الاقصى والذي في حديث الترمذي انه صلى الله عليه وسلم
حين انتهى الى بيت المقدس اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام الى الصخرة فخرقها وربط البراق فيها وهذا هو
المعروف ولا اعرف ما قبله عمن نقل ولم يذكر المربوط ظاهر السياق انه البراق بنا على ان الانبيا كانت تركبه
وهو الصحيح فاذا ركبه جميعهم فهو ظاهر والمراد بالانبيا الجنس وابت للجميع فعل البعض وهو
جايز واحتمال ان المعنى تربط دوابهم بعيد وكذا كون البراق قوي يمكنه قلع الحلقة يجذبه فلا فايدة في
الربط لا يضر لانه صح لا يحتال فعل النبي صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى مباشرة الاسباب وانها لا تنافي
التوكل وكفاك شاهدا اعقلوا وتوكلوا ثم دخلت المسجد الاقصى وعطف بثم للتراخي الرتبي وجعل بعد
رتبة المسجد من الارض التي ليست بمسجد بمنزلة البعد الحقيقي فصليت فيه ركعتين تحية المسجد وكان
صلى الله عليه وسلم يصلي قبل فرض الصلاة بالامس وفرض عليه صلاة اختلف فيها فقيل صلاة الليل وقيل
صلاة بالغداة وصلاة بالعشي ونقله ابن الملقن وقال ثم فرضت الصلوات الخمس في الاسرا من غير تعيين
اوقاتها فكانوا يصلونها متى اراد وا مجموعة ومعرفة ثم عينت اوقاتها بوحي من الله ثم خرجت من المسجد
فاذا جبريل بانا من خمر وانا من لبن وخير بي في شرب ايهما اردت فاخترت اللبن باخذه وشربه فقال
جبريل اخترت الفطرة وروي اخذت الفطرة وقد تقدم ان الفطرة الجبلة والطبيعة التي فطر الناس عليها
وتكون بمعنى الاسلام والاستقامة اي ما اخترته هو الموافق للخلقة الانسانية التي خلق الناس عليها
وللطبايع المستقيمة فانا اللبن شراب لذيذ وطعام نافع موافق للانسان سريع النما ولذا كان غذا الاطفا
دون غيره وفي حديث اخر هديت وهديت امتك ولو اخترت الخمر لغوت امتك وفي طريق اخر هدي
ابعد بلدا واصاب بلدك وروي ان الانية كانت ثلاثا وانا فيه ماء وفي رواية اربع هي وانا فيه عسل والاصح
ما رواه المحب وقال ابن المنير التخيير انما يكون بين واجبين لخصال الكفارة او مباحين كالبس الحسن او ابي
حسن انما بين واجب وممنوع او مباح او ممنوع فلا فالتخيير بين الخمر واللبن سوا اريد باحتمالها والاذا
فيهما جميعا او اريد الاذا في احدهما لا بعينه مشكل فما معنى تخييره حتى اختار احدهما وقول جبريل
له اصبت الفطرة باختيار اللبن اي تثبت الخلقة عليه وبه تنبت اللحم وتشز العظم او اخترته لانه الحلال
الدايم في دين الاسلام واما الخمر فحرام فيما سيستقر عليه الامر والذي يرفع الاشكال انما يكون المراد
تفويض الامر في التحريم والتحليل الى اجتهاده الذي وافق فيه الصواب بنا على جواز الاجتهاد
له فيما لم يوح اليه شيء وانه صلى الله عليه وسلم معصوم في اجتهاده بخلاف غيره انتهى واجاب
غيره بان الخمر لم تحرم اذ ذاك او انه كان في السما وليست دار تكليف او هي من جملة حمور الجنة
وليست محرمة ويجوز ان يترتب عليها عفي امته كما ترتب القتايح على بعض المباحات قال ابن المنير واللبن
في الدنيا يعبر بالعلم ففيه اشارة الى انه لما ملي قلبه ايمانا وحكمة ردف ذلك بالعلم وجعل شرب ذلك
اللبن سببا لتزايد العلوم عليه وتسخن قلبه وقالبه بالمزايد والاسرا فلما كان يقظة الا انه ربما وقع
في اليقظة اشارة على حكم القال تقبل كما يقبل المنام ولذا كان صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن
وجا في الحديث انه لما قدم له الاناء قبل العروج وجا في حديث اخر انه بعده ويجمع بينهما بان تقديمها
لصلى الله عليه وسلم وقع مرتين وكرر جبريل بتصويب فعله تاكيدا للتحذير مما سواه ثم عرج بنا
الى السماء بفتح العين والراء عرج جبريل وصعد وصعد بنا له صلى الله عليه وسلم والبراق او
هوله وجبريل وفي نسخة بي وفاعل عرج البراق والبا للتعدية او المصاحبة وتقدم انه يجوز
ضم العين وكسر الراء والسماء هي السما الدنيا هنا ولم ينبه لظهوره فاستفتح اي طلب فتحها من

الملايكة:
وهو ما يتوع بها ويصير
فيزول الظلام الاول
ليحل بعده نور ثاني وهكذا

من الملايكة الموكلين بها فقال الموكل بها هو انا او المستفتح وفيها شارة الى انه ينبغي له
ان يسمي نفسه ولا يقتصر على قوله انا وانه السماء لها ابواب تفتح خلافا للحكما المانعين للخرق والالتيام عليها
قيل ومن معك قال محمد عطف على مقدر اي جبريل ومن معك قيل انما استفتح لانه سمع النبي صلى الله
عليه وسلم ولو كان وحده لم يحتج لاستفتاح وقيل انما استفتح تكريما وتاييدا له وقال ابن المنير استفتاحه
لانه ابوا بها مغلقة ولم تفتح الا لاجله صلى الله عليه وسلم تنويها بقدره ولو صادفها منفتحة لم يعلم ذلك
قيل وقد بعث اليه اراد الاستفهام فحذف الهمزة للعلم بها واصله وقد بعث اليه والتحويل يسوغ له
حذفها ويحمل كلامهم على انه اذا المركين قرينة على الحذف والا فالحديث حجة عليهم كما قاله ابن المنير في
المقتفى ولم يرد بالبعث بعث النبوة والرسالة فانه كان معلوما وانما اراد انه بعث اليه المعراج وقول
ابن حجر انه يجوز ان يكون استفهما من اصل بعثته بالنبوة والباب لم يطلع عليها لاستقباله بشانه لا وجه
له لان المراد بسؤاله بيان سبب موجب لفتح السماء له ومجرد نبوته ليست تصلح للتسببية الا ان يحتمل كونه
تعجبا مما انعم الله به واستشكل ايضا بوجوه وهذا مع ما فيه احسن مما قاله ابن حجر وفيما ذكر دلالة على ان من
اذن له شيء يقتضي رفع الموانع عما اذن له فيه فمن اذن له بالبيع اذن له في قبض الثمن والوكيل اذا اذن له
في شيء اذن له في لوازمه فاذا لم يطلب البواب الاذن له في الفتح ولذا قال جبريل قد بعث اليه ففتح لنا
بالبناء للفاعل والمفعول وفي بعض الطرق ان الخازن قال له مرحبا به ونعم المجيء جاء قال ابن المنير وفيه دليل
على ان حاشية الملك اذا فهموا منه الكرام واقدان يبشروه وانلم يروا لهم فيه وليس هذا من افشاء السر
لانه نفيس الرضا به لانه استدعاه الى هو لاكرامه فعجل له بالبشرى ثم افاد فائدة هنا جليلة منقسمة
الى متعبد به لا يقوم غيره مقامه وانا ادي معناه كالاحرام بلفظ التكبير والتلبية والتشهد والحمد لا
جرى لفظه فيقوم مقامه كما ادي سواه كدعا الجنازة والفتوت وتسبيح الركوع والسجود ونحوه
وهذا انما يعلم من جملة الشريعة اذا علمت هذا فالتحية بالسلام هل هو تعبدي من القبيل الاول او من
الثاني فيقوم مقامه ما يودي معناه كاهلا وسهلا ومرحبا ولذا كان بعض المتورعين لا يرد سلام من لم
يلفظ به ويقول ليس هذا سلاما يستحق الرد واكثر السلف والخلف على التسمح فيه وهذا الحديث دليل
لهم فان الملك حياه بمرحبا ونعم المجيء وكذا من لقيه من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولذا قال صلى الله عليه
وسلم فاذا انا بادم عليه الصلاة والسلام فرحب بي ودعا لي بخير اي قال لي مرحبا بك اي جعل الله
مكانك رحبا وهو كناية عن الكرام نزله وبره واذا هي للمجازية وبادم عليه الصلاة والسلام لانه اسبقهم
وجودا قال ابن المنير في المقتفى اختلف طرق المتكلمين على حديث الاسراء في ذكر الانبياء عليهم الصلاة
والسلام وترتيبهم في السماوات فمنهم من لم ير التكلم في سره اصلا ومنهم من تكلم فيه من
مشايخ الصوفية وفيه كلام طويل افردناه برسالة لا يسع المقام تفصيله ثم اختلف هؤلاء فمنهم من قال انما
اختص من اختص من الانبياء بلقايه صلى الله عليه وسلم على عرف الناس اذا لقوا الغايب يسترين للقاية
قال القاضي الباذي يسبق بعضهم بعضا ومنهم من يصادفه ومنهم من لا يصادفه وهذه طريقة ابن بطال في شرح البخاري
وذهب بعض مشيوخ الاندلس الى ان ذلك تنبيه على الحالات الخاصة بهؤلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام
وتمثيل لما سيتفق له صلى الله عليه وسلم كما اتفق لهم مما قصه الله في كتابه قالوا وهذا يرجع الى فن
التعبير فمن راى في منامه نبيا كان ذلك دليلا على حاله فادم عليه الصلاة والسلام تنبيه على الهجرة
لخروجه من الجنة بعداوة ابليس وحيلته لخروجه صلى الله عليه وسلم من مكة باذية قومه له وللمسلمين
وعيسى ويحيى عليهما الصلاة والسلام دليل على ما سبلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم من اذى اليهود
لانهم قتلوا يحيى وراموا قتل عيسى فرفعه الله اليه وكذلك فعلت اليهود برسول الله صلى الله عليه وسلم

اذ دار ولحوال قتله وسموه في ذراع شاة كانت سببا للشهادة في قصته المشهورة ويوسف دليل على ما فعل به
قومه مما كان سببا لرفعته وظفره عليهم ثم احسانه اليهم وعفوه عنهم كما فعل مع عمه العباس وابن عمه
عقيل اذ فداهما وقال يوم فتح مكة اذ عفى عن قريش واطلق الطلقا اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب
عليكم اليوم الخ ففعل كما فعل يوسف عليه الصلاة والسلام وهارون دليل على عداوة قومه وان تتغلب
بغضتهم مودة كما كان هارون عليه الصلاة والسلام محببا بني اسرايل حتى آثروه على موسى عليه الصلاة
والسلام وادريس دليل على كتبه صلى الله عليه وسلم الى الافاق لانه اول من خط بالقلم مع رفعته وعروجه
وموسى دليل لفتحه عليه الصلاة والسلام لمكة وقهر المستهزئين كما فعل موسى بالجبابرة وابراهيم في اسناد
ظهره للبيت المعمور كحاله في حجه في اخر عمره ولذا لقيه في اخر السموات انتهى وفيه اشارة الى حكمة الترتيب
في منازلهم ولقياهم وهذا مما ينبغي تامله فانه مما تفرد به وللمشايخ في ذلك كلام مر اشار اليه الشيخ
في فتوحاته وقد تقدم ان اليقظة فيها احوال كالمنام من الفال ونحوه يعبر كما تعبر الرؤيا ولعمر رضي الله
عنه في ذلك امور كثيرة كقوله اذ سال رجلا عن اسمه فقال شهاب قال ابن من قال ابن جمرة قال ممن قال من
الحرقة اسم قبيلة فقال اين مسكنك قال بالحرة فقال اين انت منها قال من ذات لظى فقال ادرك قومك
فقد احترقوا فذهب فاذا النار مشتعلة في بيوتهم وفي هذا الحديث انه راى رجلا في سماء الدنيا عن
يمينه اسودة وعن شماله اسودة اذا نظر ليمينه ضحك واذا نظر ليساره بكى يعني آدم وذريته وقد
استشكل بانه يعارض قوله تعالى ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السما والحديث
الصحيح ان ارواح الكفرة في سجين واسفل سافلين واجيب بان المراد بذلك ارواح العصاة
وما في الاية والحديث المراد به ارواح الكفار الجاحدين وهو لا يرحمهم وقد نهى ابراهيم عليه الصلاة
والسلام عن استغفاره لابيه وللموعدة التي وعده جعله في صورة ضبع يذبح حين القائه في النار
حين يحزن عليه واجيب ايضا بانه يجوز ان تمثل ارواح الاشقيا والسعدا ويراهم النبي صلى الله
عليه وسلم اذ مثلوا له وان لم يكونوا هناك كما كان صلى الله عليه وسلم يرى من خلف ظهره وهذا
هو الجواب عن الاشكال الاخر وهو كيف يرى ارواح السعدا والاشقيا وكثير منهم لم يموتوا واما كون
المراد بالاسودة العصاة فغير مستقيم لان المسلمين كلهم من اصحاب اليمين وعلم مما مر ان آدم عليه
الصلاة والسلام انما كان في اول السموات لانه اول الانبيا وجودا وليكون اقرب لاولاده فينظر لاسودتهم
ثم عرج بنا فيه ما مر اولا الى السما الثانية فاستفتح جبريل عليه الصلاة والسلام فقيل من انت
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد عليه الصلاة والسلام قيل قد بعث اليه قيل قد بعث اليه ففتح
لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام فرحبا بي ودعوا لي بخير
بالف التثنية وفي بعض الروايات او قد ارسل اليه وهما بمعنى وقوله ابني الخالة لان مريم ابنت
عمران اختها ايشاع ام يحيى على ما قاله السهيلي وهو الموافق للحديث وارتضى غيره ان مريم بنت حنة
بنت فاقوذا وام يحيى ام ابيه زكريا فاقوذا ايضا فاتحدا في الجدة فيكونا ابنا خالة لان الخالة اخت ام
والجدة يقال لها ام واستدل لهذا بقول زكريا لما اراد كفالة مريم عندي خالتها وارتضى هذا السعد
في شرح الكشاف فعلى هذا في كونهما ابنا خالة تجوز سهل وقال الازهري يقال لهما ابنا عم ولا يقال
ابنا خال ويقال ابنا خالة ولا يقال ابنا عمة لان من كان ابن عم انسان كان الاخر ابن عمه ايضا ومن كان
ابن خالة انسان كان الاخر ابن خالته ايضا بخلاف ابن الخال وابن العمة وانما كان في السما الثانية
لانه رفع الى السما وسينزل منها فجعل في مكان قريب الى الدنيا مع يحيى لانه ولدته وبينهما من
القرابة والمحبة ما لا يوصف ولذا جعلا في سما واحدة ولم يكن في سماء اثنان من الانبيا غيرهما

وقال

وقال ابن المنير لما كان عيسى عليه الصلاة والسلام سينزل كافي معنى ليحيى وحده ثم عرج بنا الى السما
الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف عليه الصلاة والسلام واذا هو قد اعطي شطر
الحسن تقدم معناه وان الشطر النصف فرحب بي ودعا بخير لم يذكر الدعا والقول بانه قوله مرحبا
لا وجه له لانه لا يسمى دعا ولما كان لقاؤه له صلى الله عليه وسلم دليلا على مفارقة اهله ووطنه
على وجه يؤول لعزة ونصره وهو البعثة والدعوة فهو الثالث من اطواره رآه في الثالثة وقد تقدم
بسطه ثم عرج بنا الى السما الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عليه الصلاة والسلام فرحب بي
ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ولما ترادف الوحي صلى الله عليه
وسلم بعد الهجرة واظهر المومنون شعاير الاسلام وهو طور رابع راى ادريس في الرابعة لشهرة
علمه وكتابته وفيه عز الاسلام وكمال رفعته وفي تلاوة الاية ايما لهذا وادريس اسمه اخنوخ بالعبرية
وهو سبط شيث وجد ابي نوح وهو المثلث بالحكمة لانه اول من نظر في النجوم وخط ودرس وقال له
صلى الله عليه وسلم في الرواية المشهورة مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح وفي اخرى شاذة بالابن الصالح
وهو الظاهر وقد استشكل كونه اخا مع انه جد اعلى حتى قال بعضهم ان ادريس الذي لقيه غير ادريس
هذا وهو الياس وروي هذا عن ابن مسعود وعلى هذا لا اشكال وقيل المراد اخوة النبوة والاسلام
واختلف في رفع ادريس الى السما هو بعد موته كما يرفع ساير الانبيا او في حياته كعيسى ففي قصص الانبيا
ان الملايكة عليهم الصلاة والسلام احبته لكثرة عبادته فسال ربه ان يذيقه الموت ملك الموت حتى يهون
عليه فاذاقه ثم حيي ثم ساله ان يورده النار ليزداد رهبة فاورده ثم خرج منها فساله ان يدخله الجنة
ليزداد رغبة فيها فادخلها فلما قيل له اخرج قال يرب اني ذقت الموت ووردت النار ودخلت الجنة
وقد وعدت من دخلها ان لا يخرج منها ابدا فاوحى الله لخازنها دعه فباذني فعل ما فعل فبقي في
الجنة في السما الرابعة نقله ابن المنير ونبه على وجه كونه في الرابعة على الاصح وقيل انه في الثانية وقيل في
السادسة ثم عرج بنا الى السما الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون عليه الصلاة والسلام فرحب بي ودعا
لي بخير جعل في الخامسة لانه كالوزير لموسى عليه الصلاة والسلام لا يفارقه فلذا كان في جواره ثم عرج بنا الى
السما السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى عليه الصلاة والسلام فرحب بي ودعا لي بخير لما كان اجل
الانبيا بعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وكتابه اعظم الكتب قبل القران وجاهد في الله وظفر بما لم يظفر به غيره
وترقى في خطاير القدس تحت منزلة الخليل فكان في السادسة ثم عرج بنا الى السما السابعة فذكر مثله فاذا
انا بابراهيم عليه الصلاة والسلام لما كان ابراهيم افضل الانبيا قبل نبينا صلى الله عليه وسلم وهو خليل الرحمن
كان ارفعهم منزلة وما ذكرناه في وجه التخصيص والترتيب هو بالنظر للظاهر نظرا لمناسبته لحال نبينا صلى الله عليه
وسلم وهو خليل الرحمن كان ارفعهم منزلة وما ذكرناه في وجه التخصيص والترتيب هو بالنظر للظاهر نظرا
لمناسبته لحال نبينا صلى الله عليه وسلم وما استدل به عليه ولعل هناك مناسبة اخرى بين اهل كل سما ومن
فيها من الرسل وهذا مما لا نعرفه مسند ظهره الى البيت المعمور وهو بيت تطوف به الملايكة وتحج للعبادة
وهو محاذ للكعبة ويسمى الضراح بضم الضاد المعجمة وراوها مهملتين وسمي معمورا لكثرة الملايكة
فيه قال التلمساني قيل فيه دلالة على ان الافضل في غير الصلاة اسناد الظهر للقبلة وقيل الافضل استقبالها
فعلى هذا لعله اسند ظهره ليتوجه للنبي صلى الله عليه وسلم ويخاطبه بما مر وانما اسند ظهره للبيت لانه الذي
اول من بنى الكعبة من الناس اولا واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه
لان حجه مرة كفرض الحج علينا او لاشتغال غيرهم وكونه في السابعة حذا العرش هو الاصح وقيل انه في الرابعة
فذهب الى سدرة المنتهى لم يقل عرج لانها في السما السابعة وتقدم معنى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان

الحبلة بكسر الفا وفتح المثناة التحتية قيل وانما شبهه بهما واذ لم يكن بارض الحجاز لانهما كثيرة في بلاد
الحجاز لانها كثيرة في بلاد الحبش وهم كثيرا ما يأتونها للتجارة واليها كانت الهجرة الاولى فهم يعرفونها
والاولى التشبيه بما لا يعرف الفاز غير موضوعة له ونثرها كالفلفل جمع قلة وهي الجمرة وشبهها بها لمد ظلها ولطف
ورقها وطيب نشرها وحسن رائحته واذا كان شجر الجنة انما يحكي امور الدنيا صورة والفرق بعيد
فلما غشيها اي طرأ عليها وغطاها من امر الله الظاهر اذ المراد بامر الله وحيه او تجليه لرسوله صلى الله عليه
وسلم فانها بذلك اشرقت عليها انوار الهية فزهت به وحسنت حسنا لا يبعث وتور لا يمكن ان تقابله
الابجاز بقوله بشره ما غشي اي امر عظيم غشيها فان الابهام في مثله يفيده لقوله لحاقة ما الحاقة وامثاله
تغيرت اي عن حالها التي كانت عليه فما احد من خلق الله يستطيع ويقدر ان ينعتها من اجل حسنها
الذي طرأ عليها لكونها من اشجار الجنة المعتادة لاشراق تلك الانوار عليها ولو كانت من اشجار الدنيا
احترقت كما صار الجبل دكا ويدل على ما قلناه قوله فاوحى الى ما اوحى وفي هذا الابهام تعظيم وتكثير
لطرق الكناية الابهامية حتى كانه مما لا يمكن ان يدرك فينعت وفي هذا الموصول وتقريره اشكال اجبنا
عنه في حواشي التسهيل لان ما موصولة تتعرف بالعهد الذي في الصلة فاذا كانت كذلك كيف تكون الجملة معهودة
معروفة وقيل المراد بها الملائكة التي تغشاها فانه شاهد على كل ورقة منها ملكا وقيل فراش من
ذهب وجواهر نزل عليها او جراد من ذلك وقال مجاهد رفرف اخضر وقيل صور خضر وانما اتى النبي
صلى الله عليه وسلم عن قطع السدر لذلك وفسرها اوحي بقوله ففرض علي امتي خمسين صلاة
تكون في كل يوم وليلة وقيل ما اوحاه اليه مبهم لا يعلمه احد وقيل سورة الم نشرح وقيل ان الجنة حرام على
الانبياء عليهم الصلاة والسلام حتى يدخلها هو وعجل الامر حتى تدخلها امته وقال السيوطي في الخصائص
فرضت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة وغسل الثوب سبعا سبعا والوضوء لكل صلاة ونزلت
الي موسى عليه الصلاة والسلام انما قال نزلت لانه كان في السادسة والوحي في السابعة وتخطى ابراهيم
ونزل له لبيانه ولانه يعلم ما في شريعته من الاحكام والصلوات وما رئس من ذلك اكثر من ابراهيم لانه لم يوض
على امته ما فرض على امة موسى عليه الصلاة والسلام فقال ما فرض ربك على امتك فقالوا ولا فرض على امتي
وقال هنا على امتك لان ما فرض على النبي فرض على امته فقيه لحتباك وهو من انواع البديع وهو
ان يذكر شيئين يحذف من كل منهما ما ذكر في الاخر فحذف من الاول وعلى امتي ومن الثاني علي ووقع
فرض الصلاة في السماء لانها اعظم العبادات ففرضت في اجل المواضع وبما الله فرضها بنفسه من غير
واسطة ملك اعتنابشانها وكذا قيل بكثرة تاركها وذهب الشافعي الى انه يقتل كما سيأتي قلت فرض
خمسين صلاة مذهوب لانه تغيير فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف منها برفع بعضها وانما اشار عليه
بذلك لمحبته له وجعله له ما يليق بنفسه وقيل ذلك لانه سأل الله تعالى ان لا يكون امته لما رأى في التوراة
مما لا ستصلى الله عليه وسلم من الكمال فقال يا رب من هؤلاء امة احمد فقال يا رب اجعلني منهم فحتني
ان يعرض عليهم تكاليف شاقة وهو منهم فيقصر فيها وقال السراج البلقيني انما قصد موسى تكرار رؤية
محمد عقب رؤيته لله بعينه كما قبل لعلي ارأهم او اري من راهم وموسى عليه الصلاة والسلام وان كان يرى
الله في الاخرة لكن رؤيته روحية وهي ليست حبر بلا عينية ولا تتيسر في كل حين قال ابن حجر يحتاج ما
قاله البلقيني الى ثبوت تجدد رؤيته في كل مرة يعني رؤية محمد صلى الله عليه وسلم لربه وقال مصلح
الرب الاري ما قاله البلقيني لا يتوقف على تجدد الرؤية ويكفي حصول اصلها فان امتك لا يطيقونه ذلك
حتى الامة اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم يطيق ذلك لما رزقه الله من قوته على عبادته ولذا كان يواصل
الصوم وقد نهي عنه ومعنى لا يطيقونه انه يشق عليهم فيقصرون فيه لا انه محال حتى يقال انه مبني

على تكليف المحال وهو جائز وفائدته الاخذ في مقدماته حتى يعلم امثاله ويطيقون بضم اوله مضارع
اطاقه فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم عطف تفسير لان الابتلاء بمعنى الاختبار والامتحان يقال خبره
يخبره كقتله يقتله وفيه مقدر اي خبرتهم مع قوة اجسادهم وطول اعمارهم فلم اجد لهم صبرا على
ذلك فكيف حال امتك وفي نسخة قبلك فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي مفعول محذوف للعلم
به اي ما فرضته عليهم من الصلاة ولم يقل وعني لما مر او حبا منه سبوا له لنفسه فحط عني خمسا منها واصل
الحط معناه تنزيل الحمل فشبهه بالحمل تشبيها مكنيا كما قال لا تحملنا ما لا طاقة لنا به فرجعت الى موسى فقلت
له حط عني خمسا منها فقال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف وفي نسخة
فسأله قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى اي بين موضع مناجاتي له تعالى وملاقاتي
لموسى عليه الصلاة والسلام حتى قال الله تعالى لما انتهى التخفيف الى خمس يا محمد انهن خمس صلوات
كل يوم وليلة استدل به الشافعية على عدم وجوب الوتر وجوابه مسطور في كتب الفروع الحنفية لكل
صلاة خمس فتلك خمسون في الثواب والاعتبار لان الحسنة بعشر امثالها كما سيأتي تحقيقه ومن هم
بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة لنية عملها فان عملها كتبت له عشرة ومن هم بسيئة فلم يعملها
لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة الهم القصد من غير تصميم فان صمم فهو عزم ومذهب
الباقلاني انه يأثم بالعزم المصمم وهذا الحديث محمول على الاول وانكار بعضهم المؤاخذة بالعزم مردود
بالنصوص الصريحة كقوله ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب اليم والكاتب الملائكة
فتكتب حتى ما في القلب كما قاله الطحاوي وفي حديث مسلم القدسي كتبها الله عنده عشر حسنات الى سبعمائة
الى اضعاف كثيرة وهو صريح في ان المضاعفة تزيد على العشر ولا تقف على سبعمائة وقول القرطبي
انها لا تتجاوزها مردود بهذا الحديث المجمع على صحته وتحقيقه كما في الاحياء ان اول ما يرد على
القلب الخاطر كما لو خطر له صورة امرأة وراء ظهره بحيث لو التفت لرآها والثاني هيجان الرغبة
الى النظر وحركة الشهوة وميل الطبع المتولد من الاول المسمى حديث النفس والثالث حكم القلب بان
هذا ينبغي ان يفعل بان ينظر اليها وهو يتبع الخواطر والميل والرابع تصميم القلب على الالتفات
وجزم النية ويسمى هذا بالفعل وهذه قد يكون لها مبدأ ضعيف فاذا اصغى الى الخاطر حتى طالت
محاولته للنفس حتى تنخرم النية واذا انخرمت فقد يندم او يترك وقد يفعل فلا يهمل وربما يعوقه
عائق عنه فهي اربعة احوال وهي حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فالخاطر لا يؤاخذ به
لانه غير اختياري وكذا هيجان الشهوة والميل المراد بقوله صلى الله عليه وسلم عفي عن امتي ما
حدثت به نفوسها فحديث النفس خاطر يهجس في النفس لا يتبعه عزم والثالث وهو الاعتقاد وحكم
القلب وهو اما اضطراري لا يؤاخذ به او اختياري يؤاخذ به والرابع وهو الهم بالفعل فان لم يعمل
به وتركه خوفا من الله وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه منه حسنة لمجاهدة نفسه
وان عاقه عنه عائق غير خوف الله كتب سيئة لان همه فعل اختياري له قال رسول الله عليه وسلم
فنزلت حتى انتهيت الى موسى اي انتهى سيري فوصلت له ولم يقل انتهيت قبل هذا وقال هنا اشارة
الى انه تمام المراجعة ولا مراجعة بعده فاخبرته بما قال الله فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف
من الخمس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قصه من حديث الاسراء فقلت لموسى عليه الصلاة
والسلام قد رجعت الى ربي مرارا وراجعته في سؤال التخفيف حتى استحييت منه ان ارجعه
في السؤال بعد ذلك واعلم انهم اختلفوا في جواز النسخ قبل التمكن من الفعل والبلاغ وقبل
دخول الوقت فذهب اهل السنة الى جوازه وهو مبني على جواز التكليف بما لا يطاق واستدلوا

بانه وقع كما في نحن فيه وقصة الذبيح اذ امره بذبح ولده ثم نسخه قبل تحققه بالفدا وسنعا المعتزلة فمنهم
من قال لم يامره لانه منام ورد بان رؤيا هم وحي يجب العمل به ولذا باشره ومنهم من قال انما امر بقدر ما نفذه
من السكين والسل ونحوه ورد بان قوله اني اذبحك يرده والفدا يابا ه وقيل انه فعل ولكن انقلبت السكين
او قلب عنقه حديدا وقيل ذبح والتحم وهو مكابرة وقالوا ان النسخ قبل البلاغ منا قض بانه ورد
وقد بلغه ضعيف لانه عام له صلى الله عليه وسلم ولامته لان الفرض عليه فرض عليهم ولذا قال له موسى عليه
الصلاة والسلام اذا امتاز لا تطيقه وفيه ايضا النسخ قبل البيان لانه لم يبين وقته وعدد ركعاته وهو جايز
واعلم انهم يريدون بالمنسوخ خير التكليف لا نفس الامر لانه قديم ووقع في بعض طرق هذا الحديث
ان موسى عليه الصلاة والسلام قال اسالك التخفيف فاني اعلم بالناس منك قليل يقول هذا وقد قاسي
مع الخضر عليه الصلاة والسلام ما قاسي لما قال انا اعلم الناس منك وكيف يقوله للرسول صلى الله عليه
وسلم والجواب ان مراده علم التجربة والرؤية لما راه ومثله لا يضر وما قيل من انه خبر لا يدخله النسخ
مردود بقوله وقيل ان قوله حسنوا اولا بيان لما في اللوح المحفوظ والمراد انها بحسب الثواب كذلك
فلا نسخ فيه والنبي صلى الله عليه وسلم فهمه على ظاهره وراجع ربه في غاية البعد قال القاضي
هو شيخه القاضي الشهيد المذكور في اول السند السابق ولذا لم يسمه استغنا باعادة المعرفة معرفة
وتقريبه عهدي جوده بفتح الجيم وتشديد الواو وحسن من الجودة ضد الرداءة والحسن ضده القبيح
ثابت البناني الراوي هذا الحديث عن انس رضي الله عنهما شا اي احسن في روايته
واتقنها اتقانا محكما لان ما نكرة وموصوفة اي تجريدا شاه اي بذل جهده وفعل كما دخلت
اراده والمراد ان روايته جيدة خالية عن الاعتراض ولذا اختارها على غيرها من الروايات
وقيل ما شا كناية عن كثرة تجويده اي اتى بها مجودة تجويدا كثيرا وقد خلط فيه غيره خلط
بتشديد اللام وضمير فيه للحديث والخلط ادخال شي في شي والمراد انهما دخلوا في حديث الاسرا
ما ليس منه كشق الصدر كما سيبينه لاسيما اي لامثل روايته وفسرها رضي الله عنه خصوصا وقال
الدماميني رحمه الله لا سبيل له فيه وسيبين ملخصه وما بعده يجوز رفعه ونصبه وجره وقد عرها
النحاة من كلمة الاستثنا وفيه كلام طويل بينا ه في غير هذا الكتاب ونحن في غنية عنه ما روايه
شريك بن ابي نمر بفتح النون وميم مكسورة تليها راء مهملة التابعي الصدوق الثقة القاضي المدني
وقد ضعفه ابن حزم رحمه الله تعالى لما وقع له في حديث الاسرا من الاوهام الاربعة التي اشار
اليها المصنف رحمه الله وقيل انها ثمانية وتوفي سنة اربعين ومايتين وله رحمه الله ترجمة في الميزان
فقد ذكر في اوله اي ذكر شريك رحمه الله في اول حديث انس رضي الله عنه مجيء الملك له اللام
للتقوية لانه جا مسندا بنفسه وشق صدره عليه الصلاة والسلام وغسله بما زمزم وتقدم انه
بالثلج وفي رواية بماء الكوثر وقد اكثروا عليه روايته هذه وقالوا فيه انه وهم من وجوه تزيد
على العشرة منها ما في سنده فانا قتادة رحمه الله رواه عن انس رضي الله عنه عن مالك بن
صعصعة والزهري رحمه الله عن انس رضي الله عنه عن ابي ذر رضي الله عنه وشريك يجعله عن انس
رضي الله عنه عن نبي واسطة وخالفوا سياقتها منهم بالزيادة المنكرة والتقديم والتاخير وقد
نبه عليه مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه وما ذكره المصنف رحمه الله موافق لقدح ابن حزم
فيه اذ الحافظ ابو الفضل بن طاهر رحمه الله انتصر له في جزء مستقل الفه فيه قال تعليل
حديثه بتفرده به ودعوى ابن حزم انه الا فقه من شريك اذ لم يسبق اليه لا تقبل فانه يهم
الصحيح والتعديل ويتقنه ورووا عنه وقالوا لا باس به وحدث عنه مالك رحمه الله وغيره

من الثقات وحديثه اذا رواه عنه ثقة لا ضعيف لا باس به وقد روى عنه سليمان بن هلال رحمه الله
وهو ثقة وتفرده بقوله اتي وذلك قبل ان يوحى اليه لا يقتضي طرح حديثه فوهم الثقة في موضع لا
يقتضي رد جميع ما روى ولو قيل بهذا لزم رد كثير من السلف ولعله اراد ان يقول بعد ان اوحي
اليه لا يقتضي طرح حديثه فوهم الثقة في موضع لا يقتضي رد جميع ما روى ولو قيل بهذا لزم
رد كثير من السلف ولعله اراد ان يقول بعد ان اوحي اليه فقال قبله انتهى وقد انتهى سبق ابن
حزم الى هذا الخطابي رحمه الله وقال النسائي رحمه الله انه قول ليس بالقوي وقال بعضهم لا يحدث
عنه وقال محمد بن سعد رحمه الله وابو داود رحمه الله انه ثقة والحاصل انه اختلف فيه فيعد ما
انفرد به شاذا منكرا وقد خالف غيره في مواضع من هذا الحديث منها امكنة الانبيا عليهم الصلاة
والسلام وكون المعراج قبل البعثة وكونه مناما وكون سدرة المنتهى فوق السابعة والمشهور انها فيها
او في السادسة وفي نهري النيل والفرات وكون اصلهما في سما الدنيا والمشهور انهما من تحت السدرة
وكون شق الصدر عند الاسرا وكون الكوثر في السما الدنيا وهو في الجنة ونسبة الدنو والتدلي الى الله
وهو لجبريل عليه الصلاة والسلام وكون مراجعته صلى الله عليه وسلم في سوال التخفيف عند الخامسة
وفي قوله فعلا به الى الجبار وكونه صلى الله عليه وسلم راجع بعد الخمس فهذه مواضع مخالفته في السند
والمتن الذي قاله المص رحمه الله انه خلط فيها وقد اجيب عن بعضها **وهذا** اي المذكور من الشق والغسل
انما كان وهو صلى الله عليه وسلم **صبي** عند مرضعته حليمة رضي الله عنها **وقبل الوحي** واتى
بانما ردا لقول شريك رحمه الله انه كان ليلة الاسرا واجيب عنه بان الشق وقع مرارا مرة وهو صلى
الله عليه وسلم طفل صغير يلعب مع الصبيان لازالة حظ الشيطان معه كما مر ومرة وهو صلى الله عليه
وسلم ابن عشر سنين لازالة الطفولية عنه ومرة عند البعثة ليثبت قلبه للوحي وليلة الاسرا ليقوى عليه
وزيد خامسة ضعفها ابن حجر رحمه الله في شرح البخاري وصحح هو والبرهان الحلبي رحمه الله الاربعة
الاول وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه اي شق صدره صلى الله عليه وسلم
قبل البعثة **وذكر قصة الاسرا** فقال سمعت انس بن مالك رضي الله عنه يقول ليلة الاسرا يقول جاءه ثلاثة قبل
ان يوحى اليه وهو نايم في المسجد ثم لم يرهم صلى الله عليه وسلم حتى اتوه ليلة اخرى الخ وقد اجيب عنه
بان قبل متعلق بجاءه فيحتمل ان مجيئهم بعد ذلك بسنين لا بليالي فلا خطا فيه **ولا خلاف** اي ليلة الاسرا
كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل قبل هذا هذا اشارة الى الخلاف
في سنة الاسرا وزمنها فقيل كانت ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة وقيل قبل البعثة
بخمس سنين وقيل بعد البعثة بخمسة عشر شهرا وقول شريك رحمه الله انه قبل ان يوحى اليه غلط منه
الا ان يقال هذا الاسرا كان مناما غير هذا الذي روي عن عايشة رضي الله عنها انه كان بالمدينة فانه
منام ايضا قال ابن المنير في المعتقى رجح القاضي عياض رحمه الله انه كان قبل الهجرة بخمس سنين ولا يرد
عليه ان خديجة رضي الله عنها كانت تصلي معه وقد اختلف في مدة وفاتها قبل الهجرة على اقوال
اقلها انها ثلاث سنين والصلاة لم تفرض الا في الاسرا لان هذه الصلاة غير المفروضة التي صلاها
في بيت المقدس وصحح ابن المنير رحمه الله الاول لان قول غيره تقدير وقول تحديد وهو قول
الحربي رحمه الله لانه عين ليلة معينة من شهر معين من سنة معينة واذا تعارض خبران احدهما
احاط بتفصيل القصة كان اولى لانه يدل على ان راويه واحفظ اوعى قلبا لقول الفقها ان الشهادة
المورخة تقدم وكانت تلك الليلة ليلة الاثنين كما قال ابن المنير رحمه الله وكان تقدمه صلى الله
عليه وسلم للمدينة الشريفة يوم الاثنين من ربيع الاول ثاني عشره قبل الضحى وقيل

عند استوا الشمس واذا كان الثاني عشر الاثنين كان اوله الخميس واول شهر الاسرا السبت او الاحد او
الاثنين لان بين كل يومين متقابلين سنتين متواليتين اما ثلاثة ايام او اربعة او سادسه واعدل الاحتمالات
الخامس فالجمعة يعقبها الثلاثا والاثنين يعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك
بحسب تمام الشهور ونقصها فبنا على اقل الاحتمالات اول ربيع الاول من سنة الاسرا الاثنين
واول الاخر منه الاربعا بفرض ربيع الاول تاما فالسابع والعشرون منه يوم الاثنين ليوافق مولده
صلى الله عليه وسلم ومبعثه ووفاته فان يوم الاثنين في حقه صلى الله عليه وسلم كيوم الجمعة لادم
عليه الصلاة والسلام فان فيه خلق ونزل الى الارض فيه وتاب الله عليه فيه ومات فيه وقيل انه كان ليلة
سبع وعشرين من رمضان على الاصح والحاصل انه قيل ان الاسرا قبل الهجرة بسنة وقيل بسنة ونصف وقيل
بسنة وكسر وقيل بعد البعثة بخمس سنين وقيل قبل الهجرة بخمس سنين واختلف في شهره فقيل انه
شهر ربيع الاول وقيل الاخر وقيل رجب وقيل رمضان وقيل شوال وقيل قبل نقض الصحيفة وقيل
بعد ليلة سبع وعشرين او سبع عشر او اثني عشر ليلة الاثنين او الجمعة وفي الهدي النبوي ابن تيمية
رحمه الله سيل عن ليلة الاسرا افضل ام ليلة القدر فاجاب بان القايل ان ليلة الاسرا افضل انه اراد انها
ونظايرها من كل عام افضل فلا وجه له في غيرها وما لم يحصل لغيره فهو صحيح ان سلم ان ما انعم الله به
صلى الله عليه وسلم افضل من انزال القران وهو يحتاج الى علم بحقايق تلك الامور انتهى وقد روى ثابت
عن انس رضي الله عنه من رواية حماد بن سلمة ايضا اي كما روى عنه قصة الاسرا مجي جبريل
بالنصب مفعول روى الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظيره بكسر الظا المشالة
وسكون الهمزة والرا المهملة والها وهي المرضعة التي ليست بام وهي حليمة السعدية وشقه مصدر
منصوب معطوف على مجي قلبه مفعول الشق تلك القصة بدل من مجي بدل اشتماله وفي نسخة
بتلك اي معها منفردة من حديث الاسرا وفي نسخة مفردة وهو منصوب على الحال كما رواه
الناس غير شريك وهم اكثر الحفاظ المحدثين فجود مر ضبطه اي هذا الراوي المميز بين القصتين
كما اشار اليه بقوله في القصتين اي قصة الاسرا وقصة شق القلب وهو طفل رضيع فلم يخلط احدهما
بالاخرى وفي ان الاسرا وقصة شق الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة واحدة لا قصتان
كما في رواية شريك وغيره ممن جعل صعوده صلى الله عليه وسلم الى السماء معراجا اخر وانه وصل
الى بيت المقدس ثم عرج به من هناك اي صعد به الى السما من البيت المقدس لانه ارفع مكان
في الارض فانزاح بزاي معجمة والف وحا مهملة اي ازال واذهب كل اشكال اي مشكل اوهمه
اي اوقعه في ذهن الناس ووهمهم غيره اي غير ثابت كشريك الذي وقع في رواية الوهم
والتخليط السابق بيانه وقد روى يونس بن يزيد الايلي العرسي وفي يونس كيوسف لغات تقدمت
مع ترجمته وهو يروي عن الزهري ونافع وتوفي بمصر سنة تسع وخمسين ومائة عن ابن شهاب
محمد بن مسلم ابن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زيد بن مرة الزهري التابعي رحمه الله
تعالى لقي عشرة من الصحابة توفي ليلة الثلاث السبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة اربع وعشرين
ومائة ودفن بالشام بقرية تعرف بالشعب واوصى بدفنه على قارعة الطريق لتدعو له المارة وكان
احفظ اهل زمانه واحسنهم سياقا لمتون الاحاديث فقيها فاضلا كاملا عن انس ابن مالك
خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قدمنا ترجمته قال كان ابو ذر الصحابي الغفاري يحدث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي بضم الفا وكسر الرا اي شق او رفع جانب منه
حتى صار مكشوفا ينزل منه الملك المرسل الي ولم ياته من الباب وقد قال تعالى واتوا البيوت من ابوابها

قال

قال ابن المنير تنبيها على المبالغة الى المفاجاة وان استدعاه للكرامة كان بدا من غير ميعاد وقيل انه ليتيقن
كونهم ملايكة او هو تمهيد لشق صدره صلى الله عليه وسلم والتامه من غير تالم لسبق الشق كما تقدم
قيل وكان خلفا بني العباس اذا نصبوا خليفة نقبوا جداره واخرجوه منه تنويها بامره وانه لم
يكن يطلب منه والبيت لام هاني واضافه اليه لادنى ملابسة وروي انه كان بالحطيم وروي ببطحا مكة فان كان
مرارا فظاهر والا يحتاج للجمع فنزل جبريل ففرج صدري بفتح الفا والرا وقد تقدم ان شق الصدر
وقع مرات منها هذه فلا اشكال فيه ثم غسله اي صدره من ما زمزم ثم جا بطشت من ذهب تقدم بيانه
وما فيه ممتلي حكمة وايمانا تقدم تفسيره وانه بنا على التجوز اي ملي نورا ينشو عنه ما ذكر او انه تعالى
قادر على تجسيم المعاني والاعراض كما قيل في وزن الاعمال وذكر الطشت وان كانت مؤنثة لتاويلها
بالانا فان كان قوله فافرغها ضمير للطشت رعاية للفظه فتقديره افرغ ما فيها يقال افرغت الانا وفرغته
تفريغا اذا صببت ما فيه ويجوز كون الضمير للحكمة لدخول الايمان فيها او لانه عطف تفسير ثم
اطبقه اي الصدر اي اعاده محله اشارة الى ان شقه والتيامه بغير الة وقيل شق بمنقار الملك وخيط
بمخيط الما ورد كنت ارى اثر المخيط في صدره فايدة قال ابن الجوزي في كتاب الوفا بعد ما ذكر
حديث ولدت مختونا ولم ير احد سوتي فان قيل فلم لم يولد مطهر القلب من حظ الشيطان حتى
شق صدره واخرج قلبه قلت قال ابن عقيل لان الله سبحانه اخفى ادون التطهيرين التي جرت
العادة ان تفعله القابلة والطبيب واظهر اشرفهما وهو القلب فاظهر اثار التجلي والعناية بالعصمة
في طرقات الوحي ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السما فذكر القصة بتمامها واخذه بيده يحتمل انه على
حقيقته وان يكون كناية عن جعله شارعا في العروج وروى قتادة ابن دعامة ابو الخطاب السدوسي
الضرير اعلم الناس بالفقه والقران والحديث توفي سنة سبع عشرة ومائة وعمره ستة وخمسون بواسط
ونسب للتدليس وليس كذلك الحديث معقول روي بمثله اي بمثل الرواية المذكورة عن انس عن
مالك بن صعصعة الخزرجي المازني روى له البخاري واصحاب السنن حديث الاسرا قال وروى له
خمسة احاديث وفيها اي في رواية قتادة المفهومة من قوله روي تقديم وتاخير وزيادة ونقص
عن غيره من الروايات وخلاف في ترتيب الانبيا في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود
اي اكثر اتقانا وجودة من باقي الروايات ولذا اختاره المص خلافا للنووي اذ رجح رواية قتادة
كما عرفت وقد وقعت في حديث الاسرا زيادات من الرواة في بعض طرقه نذكر منها نكتا مفيدة في
غرضنا من تاليف هذا الكتاب واراد حديث الاسرا بضم النون وفتح الكاف والتا المثناة جمع نكتة
وهي ما ينكت من الارض وما يكون في الكون مما يخالفه كالنقطة فاستعير لكل معنى دقيق يحصل بالفكر
اما مخالفته لغيره او لكون الفكر يخبط في الارض وشاع حتى صار حقيقة عرفية في ذلك وقد يجمع
على ثلاث ايضا منها اي من النكت المفيدة في حديث ابن شهاب الزهري الذي تقدم انفا ومنها خبر
مقدم وفي حديث الخ صفة مبتدا المقدر وجاز حذف الموصوف بوصف غير مفرد لانه بعض اسم مجرور
بمن قبله لان المعنى من النكت نكت الخ ومثله جايز قياسا مطردا وفيه اي في حديث ابن شهاب ولو حذف
قوله وفيه كما وقع في بعض النسخ كان احسن والضمير في فيه راجع لحديث الاسرا قول كل نبي له مرحبا
بالابن الصالح والاخ الصالح الا ادم وابراهيم فقالا له والابن الصالح فانه ليس كل نبي من اجداده
وفي عمود نسبه لكنه جار منهم على سبيل الشفقة والمحبة كما جرت العادة ان الاقدم والاسن يقول
لغيره يا ولدي وفي غير هذه الرواية منهم من قال له الابن الصالح ومنهم من قال الاخ الصالح وقد تقدم
انه يشكل قول ادريس له الاخ مع انه جد له صلى الله عليه وسلم وفي وصفه بالصلاح دون غيره

وتكرار وكان الظاهر ان يقال الابن الكريم والنبي العظيم مثلا الا انه وصف بالصلاح لانه امدح الصفات
لانه بمعنى الجدير لكل خير كما قاله السبكي فوصف الابن به بمعنى انه حقيق بمحبة الله ومحبة رسله ووصف
النبي به بمعنى انه المستحق بالذات لان يكون نبيا وان كان في العرف لا يمدح به الكبار لان الصلاحية بشيء
لا تقتضي الاتصاف به بالفعل ولذا قال ابن المنير رحمه الله ان الله اطلق على كثير من الانبيا انه كان نبيا صالحا
ولا يصح ان يقال لاحد منهم انه رجل صالح لانه يوهم التسوية بينهم وبين احاد الامم كما انه لا يجوز
ان يقال لنبينا صلى الله عليه وسلم انه ملك وسلطان لايهامه التعظيم والتحير وان كان في نفس الامر
انتهى ولما لم يفهم هذا بعض المفسرين قال ان المراد به مدح الصفة لا الموصوف كما في شرح الكشاف
ومنه يعلم ان الصفة قد تكون مدحا في مقام ومن قايل وذما في غيره كصالح ومبارك وفيه من طريق
البخاري المسندة عن ابن عباس رضي الله عنهما ثم عرج بي حتى ظهرت اي علوت وصعدت كما في قوله
والشمس في حجرتها لم تظهر او بعدت كقوله وتلك شكاة ظاهر عنك عارها وفي نسخة ثم انطلق
بي حتى ظهرت بمستوى بضم الميم وفتح الواو والياء بمعنى في او على وهو اسم مكان عال او وسط منبسط
اسمع فيه اي المستوى صريف الاقلام الصريف بصاد وراء مهملتين وفاء كالصرير وهو صوت حركة
الاجرام والمراد صوت القلم على الورق اي انتهى صلى الله عليه وسلم الى محل يسمع فيه صرير اقلام
الملايكة اللتبة وهي تكتب ما تنقله من اللوح او ما يومر بكتابته من الوحي وغيره فالاقلام على ظاهرها
قيل ويحتمل ان الجمع للتعظيم وهو صريح من ان اللوح والقلم والكتابة على ظاهرها خلافا لمن تاوله
ونحن نومن بانه على ظاهره وحقيقته ويجب علينا اعتقاده وهو عبارة عن غاية القرب لان مثله
لا يسمع من بعيد وروي لمنتهى بدل بمستوى قال التوربشتي يعني انه بلغ من الرفعة لمقام اطلع فيه
على التكوين وما يراد ويومر به من تدبير الله وهذا منتهى لا يرام ولا تصل اليه الافهام ولا ينطق فيه
غير صرير الاقلام وعن انس فيما رواه عنه الشيخان ثم انطلق بي بالبنا للفاعل والضمير فيه لجبريل
عليه الصلاة والسلام او بالبنا للمجهول حتى اتيت سدرة المنتهى تقدم معناه فغشيها الوان لا ادري
هي لكونها ليست مما تشبه الوان غيرها في الحسن او لان شدة نورها يمنع تحقيقها قال صلى الله عليه وسلم
ثم ادخلت الجنة وهذا يدل على انها موجودة الان وانها في السما وهو الذي نعتقده بلا شبهة
وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته اي فارقته وقد تم لي ما تم وفسر ضمير المفعول بقوله
يعني موسى عليه الصلاة والسلام بكا لحزنه اذ لم ينل هو وامته ما ناله صلى الله عليه وسلم لا منافسة
وحسدا لتنزههم عن مثله فنودي اي ناداه الله او الملك وقال له ما يبكيك قال رب هذا يدل على
الاول بحسب الظاهر هذا غلام اطلاقه هذا عليه وهو اذ ذاك كهل او شيخ لانه في نحو الخمسين اما
لانه اسن منه او لانه في الزمن الاول يعد مثله غلاما وقال ابن قرقول معناه القوي وهو غير قوي
بعثته بعدي يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي لما علم عموم دعوته صلى الله عليه وسلم وتاييد
رسالته علم كثرة امته وقد ورد انه يراهم في عرض المحشر اضعاف الامم وقد جوز كون بكائه غبطة
وهي غير مذمومة كالحسد بل هي ممدوحة لانها من علو الهمة وقيل انه علم من اكثرية امته في الجنة
فضيلة على غيره لانه لازم بين واما كونه على قلة امته فليس بشيء وفي حديث ابي هريرة رضي
الله عنه في الاسرا الذي رواه البيهقي وغيره وقد رايتني بضم التا ضمير المتكلم والرؤية هنا بصرية
بنا على الصحيح من ان الاسرا يقظة الا انهم قالوا لا يتعدى عامل لضميره والفاعل ضمير مثله الا في
افعال القلوب وما حمل عليها كما مر واجيب بانها لمشابهتها لراي العلمية لفظا ومعنى لانها جهة
ادراك اجازوا فيها ذلك وقد سمع كقول عايشة رضي الله عنها لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وما لنا

طعام

طعام الا الاسودان الما والتمر وقول الحماسي

ولقد اراني للحسام دريئة ... من عن شمالي تارة وامامي

في جماعة من الانبيا اي بينهم او معهم فحانت الصلاة بالحا المهملة اي دخل وقتها وجا حينها لا بمعنى
دنت وقربت كما قيل لانه مجاز قامت القرينة على خلافه وهذه الصلاة قيل انها العشا لان الاسرا يكون
في اول الليل كما هو الظاهر لانها كانت مفروضة على بعض الانبيا كما رواه المحدثون واختاره النووي
قالوا وهذا كان بارواحهم ممثلة او باجسادهم لانهم احيا ثم هذا ان كان هذا بعد الاسرا فهي الصلاة
المفروضة لان المعراج تعدد كما سياتي تفصيله والا فهي تنفل وليس المراد بالصلاة الدعا كما قيل لان
قوله فاممتهم اي صليت معهم جماعة وانا امام لهم يا باه ظاهرا فقال قايل قيل هو جبريل عليه
الصلاة والسلام هذا مالك خازن النار اي الموكل بها وباهلها فسلم مالك عليه اي على القايل
او سلم جبريل على مالك وهو الظاهر ويحتمل ان جبريل امره عليه الصلاة والسلام بالسلام على مالك
فالتفت اي مالك فبداني بالسلام علي والالتفات الانصراف عما كان ينظر اليه لغيره ولو بعنقه وانما
بداه بالسلام لانه قادم وليعظمه ويعلمه بامنه منه لتامين الله له لان السلام امان وسلامة ومالك
رييس خزنة النار وملايكة العذاب ولهم صور مهولة جدا وفي الروض الانف انه صلى الله عليه وسلم
لم يلقه احد من الملايكة الا ضاحكا مستبشرا غير مالك فانه لم يضحك ولمن خلقت النار الا في هذه
الصلاة يحتمل ان تكون بعد صعوده صلى الله عليه وسلم للسما ويحتمل ان تكون بعدها والظاهر
الاول وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ثم سار اي جبريل عليه الصلاة والسلام حتى اتى
ببيت المقدس فربط فرسه الى صخرة المراد بالفرس هنا البراق لقرب صورته منها لا لان الفارس
يطلق على مقابل الماشي سوا كان راكبا فرسا او حمارا او بغلا وقد ورد تسمية البراق فراسا في حديث
المعراج في رواية اخرى انه اتي بفرس فحمل عليه واحتمال ان يكون جبريل ركب فرسا معه كما جا
في قصة مقاتلة الملايكة معه بعيد والمراد بالصخرة صخرة بيت المقدس التي كانت قبلة قال البرقي
في غريب الموطا انها من غرايب الدنيا فان جميع المياه تخرج من تحتها وهي صخرة صما في وسط المسجد
الاقصى كجبل بين السما والارض معلقة لا يمسكها الا الله وفي اعلاها موضع قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين ركب البراق ليلة الاسرا فمالت من تلك الجهة من هيبته وفي الجهة الاخرى اثر اصابع
الملايكة التي امسكتها اذ مالت ولذا كان بعضها ابعد من الارض من بعض وتحتها غار عليه باب يفتح لمن يدخله
للصلاة والدعا وعدي ربط بعلى لتضمينه معنى ضم او الى بمعنى البا او عند كقوله انتهى الي من الرحيق
السلسل فصلى اي جبريل عليه الصلاة والسلام قبل النبي صلى الله عليه وسلم مع الملايكة لما وجدهم
يصلون ثمة فلما قضيت الصلاة اي تمت وفرغوا منها وقضي مبني للمجهول نايب فاعل الصلاة
وتاوه ساكنة للتانيث وضبط في الشرح الجديد بالبنا للفاعل وضم تايه على انه التفات وهو خلاف
الظاهر فان استند لرواية فيها ونعمت قالوا يا جبريل من هذا معك خبر بعد خبر او حال قال هذا
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاتم النبيين والرسل لان نفي الاعم يستلزم نفي الاخص
وخاتم بكسر التا وفتحها بمعنى اخرهم وقوله في الحديث لا نبوة بعدي الا ما شا الله المستثنى هو المبشرات
ان صحت هذه الرواية كما مر ولا يرد عيسى عليه الصلاة والسلام لانه ينزل على شريعته صلى الله
عليه وسلم ولم ينبا بعده كما مر قالوا وقد ارسل اليه قال نعم تقدم شرحه قالوا حياه الله من
اخ ومن خليفة فنعم الاخ ونعم الخليفة هي تحية ودعا بالبقا والسلامة فان حيي واحيي
بمعنى ومن زايدة او مبينة للضمير وجعله الملايكة اخا لهم والمراد اخوة الايمان وخليفة لانه

خليفة الله في ارضه استخلفه فيها لعمارة الارض وسياستها وتكميل النفوس البشرية وتنفيذ الاوامر الالهية
لا لاحتياجه تعالى لعضو الخلق من التلقي بغير واسطة ونحوه للمبالغة قال النظام اني لا يقال للسلطان
خليفة الله لانه الله حي لا يغيب او يعجز وانما يقال له خليفة فقط اذا اتبع الشرع والسنة والا
يقال له امير ثم لقوا ارواح الانبيا ببيت المقدس بعد انقضا الصلاة او بعد العروج في مراتبهم في السماء
اي لقي الملايكة ارواح الانبيا وفي هذا دلالة على تشكل الارواح وتمثلها في الملاء الاعلى على ما كانوا
عليه في الدنيا من الرتبة وما تقدم ايضا يحتمل هذا فاثنوا على ربهم اي اثنى الملايكة على ربهم اذ لاقوا
ارواح الانبيا كما يقول اذا رايت احدا من الصالحين الحمد لله الذي من علينا بلقايك الا ان آخر الحديث يدل
على انهم للانبيا عليهم الصلاة والسلام بدليل قوله الآتي لهم اثنى على ربكم اثنى على ربي وقوله
وانا اثنى على ربي وقوله وذكر كلام كل واحد منهم اي من الانبيا وهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم
الصلاة والسلام وداود وسليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وانا محمدا صلى الله
عليه وسلم اثنى على ربي فقال الكلام اثنى على ربي وانا اثنى على ربي فاقود الحمد لله الذي ارسلني رحمة
للعالمين فيه مخالفة لما ذكر في اول الحديث من الانبيا وهو من باب الابدال لا الزيادة الا ان يكون اقتصر
هنا على الزيادة وقوله الحمد لله دليل على انه تحدث بنعم الله لا مدح والعالمين شامل للمسلمين
ورحمتهم ظاهرة لسعادتهم في الدارين في معاشهم ومعادهم والكافرين بامتهم من الخسف
والمسخ وعذاب الاستيصال وكافة للناس بيان لعموم رسالته فهو كما مر اما صفة مصدر اي ارساله
كافة اي عامة لكفتهم عن الخروج منها فهو مفعول مطلق لارسلني او اسم فاعل حال من الياء
ايحال كونه كافا للناس والتا للمبالغة وكونه حالا من الناس مقدما على صاحبها المجرور وقوله
ضعيف بشيرا ونذيرا اي مبشرا بالخير لمن آمن واتقى محذرا من كفر وعصى وهو حال مترادفة او متداخلة
حيث لا تعلى ما انعم به عليه ثم بنى بما له من المنافع والفوايد وانزل علي الفرقانا فيه بيانا
كل شي سمي الفرقان لانه يفرق بين الحق والباطل وهو حسب اللغة ما حصل العرف بالغلبة
وهو مصدر كغفران سمي الفارق او المفرق اياه او انزاله والتبيان بكسر التا كالتلقاء شاذ قياسه
الفتح وهو جايز في القراءة في غير القرآن وكونه بيانا لكل شي كما قاله هنا ما فرطنا في الكتاب
من شي يحتاج اليه من الامور المهمة الشرعية تفصيلا في بعض واجمالا في بعض ولحالة على الرسول
عليه الصلاة والسلام اذ امر باتباعه وعلى الاجماع بقوله ويتبع غير سبيل المومنين واتباع ما يسمى
الدين وهو شامل للقياس والاجتهاد كما في الكشاف وغيره من التفاسير وجعلنا امتي خير امة
كما قال كنتم خير امة اخرجت للناس وفسره بقوله تامرون بالمعروف الاية وجعلنا امتي امة وسطا
اي عدولا اخيارا جامعين بين العلم والعمل وساير الصفات التي بين التفريط والافراط استفيد
من المكانة المستوي الجوانب لما ذكر وجعلنا امتي هم الاولون وهم الاخرون هم مبتدا
ويفيد الحصر وليس بضمير فصل لانه لو كان كذلك قال الاولين ومعنى اوليتهم سبقهم الناس في
الاتيان من القبور وفي دخول الجنة وفصل القضا وتاخرهم في اعتبار الوجود الخارجي وقد فسره
بهذا في حديث البخاري وهو قوله نحن الاولون السابقون يوم القيمة بيد انهم اوتوا الكتاب
قبلنا وليس تفسيرا حسب السعادة في الاول كما قيل بواضح وشرح لي صدري اي وسعه
بالعلم والايمان والحكمة واليقين بحيث لا تحزنه على امر من امور الدنيا او شقه وملاه بانواره
كما مر ووضع عني وزري اي ثقل قلبي من خطا الشيطان وعصيانا فلا اركب ما لا يرضى الله
ولو اقال ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فتوي بين ما تقدم وما تاخر اعم وقويها

خلة

او خفق

او خفف اعبا النبوة والتبليغ بافاضة اياديه علي فالجملتان في غاية التناسب ورفع ذكري
اي جعلني مذكورا في الملا الاعلي وجعل اسمي طراز الجنان ومقرونا مع اسمه علي كل لسان وعلي المنار
في كل اقامة واذان كما قال حسان رضي الله عنه

وضم الاله اسم النبي الي اسمه ۞ اذا قال في الخمس المؤذن اشهد

وجعلني فاتحا للنبوة اذ خلق روحي قبل الارواح ونباها قبل كل شي فقال ابراهيم عليه
الصلاة والسلام بهذا اي بمجموع ما ذكر وبكل واحدة منها لا بالاول فقط كما قيل فضلكم محمد
اي زاد فضله صلي الله عليه وسلم او جبريل فقوله عرج به مبني للفاعل او المفعول من السما الدنيا
ومن سما الي سما نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه الذي رواه ابن عرفة في جزئه وابو
نعيم في الدلايل وانتهي بي اي جبريل عليه الصلاة والسلام اي وصل نهاية عروجه بي او هو مبني
للمفعول الي سدرة المنتهي وهي في السما السادسة وتقدم ان الاكثر علي انها في السابعة والجمع
بينهما بان اصلها في السادسة وفروعها في السابعة الا انه قيل ان خروج النيل والفرات من اصلها
يقتضي انها في الارض وورد في حديث اخر ان الانهار في الارض وورد في حديث اخر ان اربعة هذان
وسيحان وجيحان وورد انها في الجنة قال ابن المنير رحمه الله فان قلت كيف انصبابها للارض قلت
يمكن ان يكون كالمطر فيتفرق ثم يجتمع ويساق كل لمستقره ومجراه ويحتمل ان انصبابها في نواحي من
الارض غايبة عنا شابيب عزيزة متصلة بمبادي هذه الانهار فان منها ما لم تقف علي مباديه الا الان
قلت يشهد له قصة النيل وبهذا يجمع بين كونها في السما والجنة في الارض وقوله اليها ينتهي
ما يعرج به من الارض بالبنا للمفعول اي ما تعرج به الملايكة عليهم الصلاة والسلام من امور الارض
للعرض علي الله من امور عباده فيقبض منها بالبنا للمجهول والقاف والضاد المعجمة قبلها با موحدة
كذا صححوه اي تقبضه الكتبة وتكتبه ومن للابتدا والضمير للسدرة والمراد انه عندها يرفع اليهم
واليها ينتهي ما يهبط من فوقها من العرش بواسطة الملايكة المقربين فيقبض منها اي يوحي اليهم
علمه علمه ولو قيل ضمير منها للملايكة للعلم بهم من السياق كان اظهر قال تعالي اذ يغشي السدرة
ما يغشي اي امر عظيم لا يعلم النهه وظاهر السياق ان المراد بهذا امر الله ووحيه فكان عليه ان يبينه وقال
ابن مسعود رضي الله عنه فراش من ذهب اي ذهب علي صورة فراش وفراش مرفوع عامله مقدر
اي غشيها فراش والفراش معلوم وفي رواية ابي هريرة من طرق الربيع بن انس البكري البصري نزيل
خراسان التابعي الثقة يروي عن انس رضي الله عنه والرواية عنه مشهورة توفي سنة تسع وثلاثين
ومائة فقيل لي هذه سدرة المنتهي التي سمعت بها والظاهر ان القايل جبريل عليه الصلاة والسلام
ووقع في بعض النسخ السدرة المنتهي بتعريفهما دون اضافة كالاتي اي السدرة التي هي المنتهي
فالمنتهي مبدل منها ينتهي ويصل اليها كل احد من امتك خلي بفتح المعجمة واللام المخففة اي مضي
كقوله تلك امة قد خلت وفي نسخة بضم الخا وتشديد اللام المكسورة علي سبيلك اي علي طريقك وسنتك
اي من مات من امتك مومنا بك عرج بروحه مع الملايكة اليها فيقال هذا عبدك فلان بن فلان فيوتي له
بصك الامان وبهذا فسر قوله تعالي ان كتاب الابرار لفي عليين الاية وهي السدرة المنتهي يخرج من اصلها
اي عروقها الداخلة في الارض انهار من ماء غير اسن اي لا يتغير طعمه ولونه ورايحته اصلا وان طال
مكثه وعدم جريانه وليس المراد نفي التغير في الحال لان كثيرا من انهار الدنيا كذلك وهو مع عذوبته
فان المياه العذبة هي القابلة للتغير ولذا كان البحر المحيط بالدنيا مالحا علي ما قرره ارباب الطبايع
في علم الحكمة وانهار من لبن لم يتغير طعمه اي لم يحمض كغيره اذا مكث وانهار من خمر لذة للشاربين اي

سايغة ليس كخمر الدنيا المرة المستكرة شربها حتى على من ابتلي بشربها حتى قالوا اثقل من القدح الاول
وانهار من عسل مصفى من القذا والشمع وان لم تمسه نار لانه ليس من جميع النحل وقيء الذباب
وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان ورقة منها مظلة للخلق بضم الميم وكسر الظاء
المشالة وتشديد اللام اذ لا يصح هنا وهذا عبارة عن سعة ظلها فان قلت قد تقدم انها
كاذان الفيلة قلت اجيب بانه في الشكل ومن قال التشبيه في الكبر فيه ما فيه فغشيها نور من الانوار
الالهية وغشيها الملايكة وهم نور مصور قابل للصور قال فهو قوله تعالى اذ يغشى السدرة
ما يغشى اي في تفسير هذه الاية على قول كما مر فقال الله تبارك وتعالى ولا يخفى مناسبة هذا
التمجيد هنا لان تبارك تفاعل من البركة وكثرة الخير الفايض منه ولذا لا تسند هذه الصيغة
لغيره والتعالي العظمة والرفعة في عظمة الربوبية لا المحسوس فانه منزه عنه اي لمحمد صلى
الله عليه وسلم سل اصله اسال فخفف وحذف المفعول للعموم اي سل ما تريد فقال انك اتخذت
ابراهيم خليلا اي اصطفيته وخصصته بالخلة وسياتي تحقيقها والفرق بينها وبين المحبة
واعطيته ملكا عظيما قال ابن المنير الملك العظيم الذي اوتيه ابراهيم يحتمل انه ما اوتيه ذريته كيوسف
وسليمان وداود وغيره من ملوك بني اسرايل من ذريته كما قال تعالى فقد اتينا ال ابراهيم الكتاب
والحكمة واتيناهم ملكا عظيما وكونه ملك النفس والزهد غير مناسب او المراد قهره صلى الله
عليه وسلم لعظما الملوك في عصره كنمرود اذ الظاهر اعظم من المقهور وجا في التفسير ان الملك
النبوة فان قلت كيف هذا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم للاعرابي خفف عليك
فلست بملك وقال ابو سفيان للعباس رضي الله عنهما اذا وقفه على كتاب الفتح فلم يرضها حتى مرت
الكتيبة الخضرا التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يسمونها الخضر لكثرة الحديد فيها وهو
عند العرب اخضر ولذا قال ابن هاني

وحنيتم ثمر الوقايع يانعا • بالنصر من ورق الحديد الاخضر

وربما سموا السيف بذلك نقلة فقال لقد اصبح لك ابن اخيك عظيما فقال لا تقل ملكا انما هو
النبوة فلم يرض تسميته صلى الله عليه وسلم ملكا قلت المنفي الملك العرفي المذكور في قوله
صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون عاما ثم تعود ملكا واما الملك الحقيقي الديني فليس
بمنفي ومع هذا لا يجوز ان يطلق على نبينا وابراهيم عليهما الصلاة والسلام انهما ملكان لان مقام
النبوة اشرف وعدمه فيه صلى الله عليه وسلم وفي ابائه من دلايل النبوة ولذا سال هرقل هل
كان في ابائه من ملك وخرجت الخلافة عن اهل بيته ليلا يتوهم انه ملك متوارث انتهى وبهذا
يندفع ما يرد على الفقها في تقسيم احكامه الى فتيا وقضا وسلطنة وكلمت موسى تكليما
اي خصصته بكلامك من غير واسطة حقيقة كما يشير اليه التاييد خلافا لمن انكره من المعتزلة
كما بين في الاصول واعطيت داود ملكا عظيما اي ملكا شرعيا لا عرفيا وهو الخلافة
العظمى حتى سخرت الطير والجبال والنت له الحديد بحيث كان في يده كالعجين يتخذ منه الدروع
وسخرت له الجبال فكانت تسبح معه اذا سبح واعطيت سليمان ملكا عظيما اذ ملكته الدنيا باسرها
وسخرت له الجن والانس فكانت الجن تخدمه عليه الصلاة والسلام في بنايه وغيره فبنت له بيت
المقدس بالرخام المزخرف بنا عاليا حتى كان يضي في الليلة المظلمة ولم يزل كذلك حتى خربه
بخت نصر ونقل ما فيه لمملكته بالعراق وكان جميع جنده ورعاياه لا يعصونه في شي والشياطين
وهم مردة الجن فهو من عطف الخاص على العام فكانوا يغوصون البحار ويستخرجون الدر

والجواهر

والجواهر ويعملون له ما يريد والرياح فكانت تجري بأمره كما يشاء وتحمل كرسيه وبساطه مسيرة شهر غدوا ومسيرة شهر رواحا واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده كان سأله من الله وهو ملك الانس والجن والرياح فملك ما فوق الارض وما تحتها وقد عرض هذا على نبينا صلى الله عليه وسلم فلم يقبله واختار كونه عبد الله وعلمت عيسى وهو صغير التوراة والانجيل الذي انزل عليه وحفظ التوراة وعمل بها لان الانجيل ليس فيه احكام وانما هو حكم وحقايق التوحيد وقيل فيه احكام قليلة بالنسبة للتوراة وفي نسخ وعلمت موسى التوراة وعيسى الانجيل وجعلته يبرئ الاكمه الذي ولد اعمى بدعائه صلى الله عليه وسلم بأسمك وقال التلمساني هو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار قاله البخاري عن قتادة ولا يلائم هذا لغة والمعروف مما تقدم فالذاهب البصر بعد الابصار اعمى والاكمه الذي سلب عقله بتنزيل البصيرة منزلة البصر والذي اعتراه ظلمة فشيت بصره انتهى وفي كلامه تناقض فان المعنى الاخير هو غير ما انكره فان كان منقولا عن اللغة صح ما قاله قتادة وهو ثقة ليس متهما بالمجازفة في تفسير القرآن لا سيما وقد تابعه البخاري ومتابعته تعتمد في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فكيف اللغة والابرص وهو علة من مزمنة لا يتيسر علاجها للحكم بها ببياض لون البدن وبصير قبيحا وهو اقبح الامراض بعد الجزام ولذا جوز الشافعي رضي الله عنه فسخ النكاح به واعذته اي حفظته ولجرنه وامه مريم من الشيطان الرجيم الرجم كناية عن اللعن والطرد من رحمة الله ولذا قال اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وفي حديث مسلم ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسه الا ابن مريم وامه وكذا نبينا عليه الصلاة والسلام لان المتكلم لا يدخل في عموم كلامه ولانه علم بالحديث انه صلى الله عليه وسلم ولم ير شيئا الى السماء ناظرا لربه ولم يسلط عليه شيطانا كما جعل بينه وبين مريم وابنها حجابا وهذا غير القرين الذي مع كل احد حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وفي هذا كلام في الكشاف وشروحه سيأتي بيانه مع الكلام على الحديث فلم يكن عليهما سبيل اذ حماهما وعصمهما منه فقال له ربه اي لمحمد صلى الله عليه وسلم لما سمع مقالته واذ المقامات العلية سبق لها السابقون من الرسل عليهم الصلاة والسلام فقد اتخذتك حبيبا هذا في مقابلة الخلة والمحبة اعظم من الخلة كما سيأتي ولم يذكر ما يقابل ما بعده لانه معلوم اذ هو لم يرض الملك وقد خاب دعوة صلى الله عليه وسلم لما هو اعظم من هذا وهو الشفاعة العظمى والقرآن اعظم من التوراة والانجيل وابرأ الاكمه ونحوه قد وقع منه صلى الله عليه وسلم مثله كرد عين قتادة وبرء كثير من الامراض بمس يده الشريفة كما يأتي وتقدم الكلام على اعاذته من الشيطان فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وهذا من كلام الراوي كالشاهد لصحة الزيادة المذكورة وفي السيوطي للهمداني قال ثبت في الحديث ان الله صلى الله عليه وسلم قال همست ليلة المعراج انا اخلع نعلي فسمعت الثناء من قبل الله يا محمد لا تخلع نعليك كشرف السماء بهما فقلت يرب انك قلت لموسى اخلع نعليك انك بالواد المقدس فقال يا ابا القاسم اني لست عندي كموسى قال يا موسى كلمني وانت حبيبي انتهى وقد سئل الامام رضي العز وبني عن وطء النبي صلى الله عليه وسلم العرش بنعاله وقول الرب جلاله لقد شرف العرش بنعلك يا محمد هل ثبت ذلك ام لا فاجاب بانه ذلك ليس بصحيح ولا ثابت بل وطؤه صلى الله عليه وسلم الى ذروة العرش لم يثبت في خبر صحيح ولا ثابت بل وطؤه صلى الله عليه وسلم حسن ثابت اصلا وانما الذي صح في الاخبار انتهاؤه الى سدرة المنتهى فحسب واما الى وراءها فلم يصح وانما ورد ذلك في اخبار ضعيفة او منكرة لا يعرج عليها انتهى وتابعوه على ذلك وقوله وانه سلطانه الى الناس كافة فقد تقدم شرحه وكذا قوله وجعلت امتك امتك الاولون هم الاخرون والسابقون

في دخول الجنة وتاخرهم وجودا والمنة بهذا عليه لما تضمنه من كثرتهم وقلة مكثهم في القبور وعدم
نسخ شريعتهم وجعلت امتك لا يجوز لهم خطبة اي كلام يقال على رؤس الاشهاد للاعلام بامر
مهم وكان عادة اذا اجتمعوا في ناد قام منهم واحد فخطب اذا تفاخروا او تصالحوا او ارادوا
وعظا ولقيت في سوق عكاظ خطب مشهورة في الشرع على نهجهم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا وقع امر قام بينهم خطيبا فالخطبة مشتقة من الخطب وهو الامر العظيم وبقي ذلك مشروعا في
الجمعة والعيدين والنكاح والاستسقا لوعظ الناس ونحوه حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي
اي لا يعتد بخطبهم الا اذا اتوا فيهما بكلمتي الشهادة لما ورد في الحديث كل خطبة ليس فيها تشهد
فهي كاليد الجذما اي هي ناقصة لا بركة فيها وهذا يقتضي ان التشهد فيها ركن او شرط قيل
وهذا لم يقل به احد من الفقها وايمتهم فان قيل المراد انه لا يصح خطبة من لم يصدر منه الشهادة
اي لا تصح الخطبة المسلم المصدق بك والامة امة الدعوة فهو بعيد واجيب بان الشافعي
وغيره اشترط في الخطبة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي تضمن الشهادة بذلك ولا يخفى
ان هذا غير موافق لظاهر الحديث فالظاهر انه كان واجبا فنسخ وجوب الاقتصار على مقدار
تهليله وتسبيحه وقال ابو يوسف ومحمد رحمهما الله لا بد من ذكر طويل يسمى خطبة واقله قد التشهد
الى قوله عبده ورسوله يثني بها على الله ويصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ويدعو للمسلمين لان
الخطبة واجبة وما دون ذلك لا يسمى خطبة عرفا كما قاله الزيلعي والحديث شاهد له واعطيتك سبعا
من المثاني اي الفاتحة لانها سبع ايات وهي تثنى وتكرر في كل ركعة او السبع الطوال البقرة وال عمران والنساء
والمايدة والانعام والاعراف والتوبة وحدها او مع الانفال بناء على انهما سورة واحدة لعدم البسملة بينهما التزام
المواعظ والعبر فيها ولم اعطها نبيا قبلك كما تقدم بيانه واعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي
الكنز المال المدفون فشبه به ما في اللوح المحفوظ مما لم يطلع عليه خلقه كجعل خواتيم سورة البقرة وما فيها من
الثواب المعد لمن قراها بمال عظيم اخرج من ذلك الكنز الذي هو اللوح وفي الحديث من قراها كفتاه اي عن
قيام الليل او من الشيطان يؤيده ما روي وعن ابن عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم
قال انزل الله علي ايتين من كنوز الجنة ختم بهما سورة البقرة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي
عام من قراهما بعد العشا مرتين كفتاه من شر الشيطان ولا يكون له عليه سلطان قال التوربشتي المعنى
انه استجيب له مضمون قوله غفرانك الخ ونصره ولما قراهن صلى الله عليه وسلم قيل له قد فعلت
واوتر الاعطا لمناسبة الكنز لم اعطها نبيا قبلك اي لم يعط مثل ثوابها احد قبله صلى الله عليه وسلم
وجعلتك فاتحا وخاتما اي فاتحا لكل خير وشريعة فهو اعم من قوله جعلتك اول النبيين خلقا
واخرهم بعثا فمن فسر به فقد قصر وفي الرواية الاخرى التي رواها مسلم قال فاعطى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاثا من الفضايل المخصوصة به صلى الله عليه وسلم اعطى الصلوات الخمس اي لم
تجتمع لغيره ولغير امته ولا لنبي قبله فان الانبيا قبله كانت لهم صلاة موافقة لبعض هذه دون
مجموعها وكان صلى الله عليه وسلم يصلي قبل الاسر ولكن لم يشتهر بيان كيفيتها ونقل السيوطي
رحمه الله في اخر الخصايص انه لم يكن فيها ركوع ولذا نزل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا
واسجدوا وقد مر ذلك واعطى خواتيم سورة البقرة كما تقدم وغفر لمن لم يشرك بالله
شيا المعجمات بضم الميم وقاف وحا مهملة مكسورة بزنة اسم الفاعل من الافحام وهو الالقا
والمراد الكباير التي تلقي صاحبها في النار او الهلكات وهذا كقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشا او بتوبة وبدونها خلافا للمعتزلة والكلام فيه مشهور وقال

اي ابن مسعود

اي ابن مسعود رضي الله عنه في الحديث الذي رواه ما كذب الفؤاد ما رأى الخ هذا لفظ القرآن والمعنى عن
راويه من الزيادة انما هو تفسيره بقوله رأى جبريل في صورته الاصلية التي خلق عليها له
ستمائة جناح لا في صورة تمثل بها فان الله اعطى الملائكة قوة الشكل اي صورة ارادوا ونقل الشمني
عن السهيلي في قوله صلى الله عليه وسلم ان الله ابدل جعفرا رضي الله عنه بيديه جناحين يطير
بهما في الجنة حيث شاء ليس هذا كما يسبق الى الوهم جناح بريش كالطير لان الصورة الادمية اشرف
وانما هي عبارة عن قوة روحانية ملكية اعطيها جعفر رضي الله عنه كما اعطى الملائكة فان اجنحتهم
صفات ملكية لا تدرك الا بالمعاينة لان قوله تعالى فيهم اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع يدل على
ذلك اذ لم ير طاير باكثر من جناحين فكيف بستمائة كما في صفة جبريل عليه الصلاة والسلام
فدل على انها صفات لا تضبط كيفيتها بالفكر انتهى واعترض عليه بان هذا انسب بكلام الفلاسفة والحشوية
فاي مانع من ابقائه على ظاهره وكون طيور الجنة ليس غير جناحين غير ضار والاحاديث صريح
في انها اجنحة حقيقية كثيرة من زبرجد وياقوت ملونة كاجنحة الطواويس ولا ينكر هذا الا من ينكر
الملائكة وكون جناحي جعفر رضي الله عنه حقيقيين يؤيده كون ارواح الشهداء في جيوف الطير طيور
خضر في الجنة فاي حاجة للتاويل ومثله لا يليق بمثل الامام السهيلي وفي حديث شريك المتقدم مع
ما فيه انه صلى الله عليه وسلم رأى موسى في السابعة وهو مخالف لما مر من انه في السادسة فان كان
الاسرا متعددا فظاهر انه لا منافاة والا فيجمع بينهما بانه رآه اولا في السادسة ثم صعد الى السابعة
فرآه بعد رجوعه فيها قال اي النبي صلى الله عليه وسلم او الراوي على انه من كلام شريك
فهو مدرج فيه بتفضيل كلام الله اي علو رتبته عليه الصلاة والسلام وصعوده للسابعة لفضله
على غيره بكونه كليم الله فالباء سببية وهو مضاف للفاعل قال شريك في الحديث ثم علا به اي برسول
الله صلى الله عليه وسلم من السابعة فوق ذلك لاشارة للسماء السابعة بما لا يعلمه الا الله اي بمقدار
لا يعلم محله وحقيقته وقيل نهايته وهو بدل من فوق والباء للاستعلاء كما في قوله تعالى تامنه بقنطار
او بمعنى الى كما في قوله تعالى وقد احسن بي فكان مقامه صلى الله عليه وسلم ارفع من مقام موسى عليه
الصلاة والسلام ولذا عقبه بقوله فقال موسى اذا راى رفعته صلى الله عليه وسلم لم اظن ان
يرفع علي احد ومنشا ظنه تفرده بتكليم الله وقد شاركه في ذلك وزاد عليه بما اقتضى رفعته
على ساير الانبيا واعترض على هذا بانه كيف يقول موسى عليه الصلاة والسلام هذا وقد علم بتفضيله
وهو مذكور في التوراة واللايق بالانبيا عليهم الصلاة والسلام التواضع وهذا مما يظن به في رواية
شريك وقد روي عن انس بن مالك رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبيا ببيت المقدس
اماما ولا حاجة الى حمله على انه بعد الاسرا الذي فرضت فيه الصلاة وان كان محتملا ايضا كما مر وعن انس
رضي الله عنه كما رواه البزار والبيهقي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا قاعد ذات
يوم اذ دخل جبريل عليه الصلاة والسلام اصله بين فاشبعت فتحته الفا وهو ظرف مضاف
للجملة مضمن معنى الشرط والعامل في اذ معنى المفاجاة اي وقعودي يوما فاجاني فيه دخول جبريل
او وقت دخوله وذات يوم توكيد دفعا لتوهم التجوز عن مطلق الزمان وذات وذ تزاد كثيرا
كقوله رجل من ذي يمن فوكز اي ضرب ضربا خفيفا كما يفعله من يوقظ غيره بحيث لا يطلع على
ايقاظه وقيل الوكز الضرب بجمع الكف وفي رواية بين كتفي بينا انا نايم وجمع بينهما بانه صلى الله عليه
وسلم يجوز ان ينام وهو قاعد ولذا وكزه ليستيقظ وهذا من جملة الزيادة وفي بعض الشروح انه كان
ببيت المقدس فقمت معه من محل قعودي الى شجرة فيها مثل وكري الطاير مثنى وكر وهو للطير

سنني وكوهو للطير كالبيت للانسان والجر للحشرات والمكناسي للظبي كما بينه اهل اللغة اي يتبين
شبيهين بالعش ومنها وهيئة لمقدار المأوى لا يسع الادمي ولو كان كقوابي الطير كالنسر والعقاب
فقعد اي جبريل عليه الصلاة والسلام في واحة وقعدت في احزي قيل انثه لانه كالعش يذكر
ويونث والغالب على السنة اهل مكة تانيثه اوهو اثاويله بالرواية والطاقة ونحوهما وما قيل
لانه ماوى اناث الطيور غالبا لا وجه له فنثت بالنون والضمير للشجرة اي زادت وارتفعت
حتى سرت الخافقين هما المشرق والمغرب لخفوق الشمس والنجم فيهما اي غيابهما اي حركتهما
واصل معنى الخفوق الاضطراب والحركة ولذا احسن قوله

اما والله لولا خوف شخصل ... لها تا على ما الفي برهملاء

ملكت الخافقين من قرتجبا ... وليس هما سوي قلبي وقرطاء

وروي سمت بالسين من السمو كما لعلو لفظا ومعنى الى هنا ولو شئت لعلوها وقربي منها
لمست السما بكسر السين وفتحها وروي لمسيت بالسين واحدة من اللمس او هو مخففه
ونقل حركته وانا اقلب طرفي تقلب طرفه بمعنى نظره في جوانبها التباتة صلى الله عليه وسلم
وعدم دهشته وتامله في ايات الله في الافاق ونظر جبريل اذ قلبت طرفي فوقع عليه بحذاي
كانه حلس بكسر الحاء المهملة وسكون اللام وسين مهملة وهو كساء رقيق يوضع تحت القتب
والبرذعة ويبسط في البيت لاطي اي لاصق بالارض والمراد انه لما قرب من السما عشيته
مهابة حتى خضع والتصق بالارض من العشي الذي هو فيه والنبي صلى الله عليه وسلم متشبث
لم تسه روعه كما عشي جبريل عليه الصلاة والسلام وقال فلا ناحبس يبتغي لا يخرج سنه قال
ابو بكر رضي الله عنه كما حلس بيتل محتي يا تيك يرخاطبا اومنيه قاضيه ولاطى بلام وطا مهملة
مهموز بمعنى لاصق كما في الصحاح وفي بعض النسخ حلس لاطيا بفتحتين وتصب لاطيا وصحح رواية
ولم يفسر وجملة حال جبريل ففرفت فضل علمه باسعلي اي عرفت بما اعتراني جبريل عليه الصلاة
والسلام من الخشية انه اعرف بالله مني لانه بقدر العلم يكون الخوف من الخشية قيل هذا تواضع منه صلى
الله عليه وسلم لانه افضل منه ورد بانه قد يكون في المفضول ما ليس في الفاضل والملائكة المقربون
قد يعرفون من احوال الملكوت ما لا يعرفه غيرهم وان كان افضل والقول بانه صلى الله عليه
وسلم قال قبل العلم بتفضيله عليه لا يناسب هنا وفتح لي باب السما ورايت النور قيل هو نور
العرش والله تعالى لانه يسمى نورا كما قال الله نور السموات والارض والحكما والمتكلمون
جوزه ما غير تاويل قال الاشعري نور لا كالانوار وقال الغزالي النور هو الظاهر بنفسه
المظهر لغيره فان فهمت فهو نور على نور وبعد هذا الكلام لا يصرح به ولطدوني الحجاب
وفي نسخة واذا دوني الحجاب ولط بضم اللام وتشديد الطا المهملة مبني للمجهول يقال لططت
الباب اذا اغلقته وكذا اذا سترته يعني انه صلى الله عليه وسلم بعد ما شاهد النور ارخي بينه
وبينه حجاب ستر عنه وساتي الحجاب وتاويله عن قريب وفرجه بضم الفا وفتحها الرا والجيم مضافا
الضمير الحجاب جمع فرجة بوزن غرفة وغرجة وهي ما بين الشيئين من خلا او بين اجزا شي مفتوح
اي فرج الحجاب المرخي وطافاته الذي يخرج منها نوره الدر والياقوتة وهما نوعان من
الجواهر معلومان ثم اوحي الله ما شا ان يوحي بالبنا للفاعل والمفعول وحديث اشتهد سقط
من بعض النسخ وذكر البزابزا بفتح الموحدة وتشديد الزاي المعجمة والف وراء مهملة شبه المهد
البز وهو بزر الكتان الذي يستخرج منه السليط وبالذال المعجمة كل بذر يبذر للزراعة وهذا

هو احمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري صاحب المسند الكبير المعلل توفي بالرملة سنة اثنتين وتسعين ومائتين وترجمته مشهورة وهو ثقة حافظ واعلم ان البزار كذا هو في اكثر الشروح البرهان الحلبي وفي نسخة بخط الحافظ مغلطاي البزاز بزاي معجمة وفي صحتها نظر والمعروف انه بالمهملة اخرجه عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لما اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الله صلى الله عليه وسلم اي يعرفه الاذان الذي شرعه له الملاك بحضرة وقت الصلاة جاءه جبريل بدابة يقال له البراق من الكلام عليه وظاهر سياقه ان هذا اسراء اخر غير الذي كان بمكة قبل الهجرة كما مر وهذا ابعده فان الاذان كان بالمدينة وسياقه يقتضي ان هذا المعراج كان المقصود منه تعليم الاذان وسياتي ما فيه فذهب يركبها اي شرع في الركوب وذهب ورد ت هذا المعنى كثيرا وليس من الذهاب بمعنى المضي حتى يقول كذا اي شرع في مقاله وقوله فاستصعبت عليه الدابة صلى الله عليه وسلم فقال لها جبريل اسكني من السكون وهو التراب فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى الى الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا فقال والذي بعثك بالحق نبيا اني لاقرب الخلق مكانا واذ هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه تقدم شروحه فلا نكرره وتاتي البراق لغة اوما ولد بدابة وهذا الحديث رواه بسند سهل بن علي رضي الله عنه وفي سنده زياد بن المنذر وقد قيل فيه انه كذاب والحديث ضعيف وقال السهيلي لصحته وذكر الحجاب وسياتي بيانه فقال اي الملك الذي خرج من خلف الحجاب ولم يعرفه جبريل عليه الصلاة والسلام الله اكبر الله اكبر الي اخر الاذان واجابة المؤذن بما يليق بربه العزة فلذا شرع لنا ذلك بما يناسب حالنا على ما عرف في كتب الفقه والسنة فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا وذكر الذي ذكي قولا وجوابا للمؤذن مثل هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر الراوي جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح لانه لا يتصور في حقه معناه ولا نجوابه لاحد ولا قوة الا بالله العلي العظيم اي لا يقدر نا على الصلاة والسعي لها واداء حقوقها الا من هي له وهذا لا يليق الا بالخلوق بخلاف ما قبله وقال اي الراوي ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه على ملا كانه بحضرته من الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقام اي صار اماما يوم اهل السماء حال كونهم فيهم آدم ونوح عليهما الصلاة والسلام خصهما بالذكر لانهما ابوا الانبياء الجسمانيين كما انه ابو هو الروحاني المتقدم عليهم تقدما حقيقيا ومعنى حي اقبل وهلم وهو اسم فعل قال القاضي منذر بن سعيد والعرب تريد بها مجيء سريعا حثيثا كما يقوله الفقهاء مطيعا وفي حي لغات مذكورة في كتب العربية واللغة واصلها حي هلا ثم قد تفرد حي وقد تفرد هلا والمعنى واحد والفلاح معناه الفوز بالسعادة يقال افلح الرجل اذا اصاب خيرا وفاز وقيل معناه البقاء والمعنى اقبلوا على ما يبقيكم في الجنة قال ابو جعفر محمد بن الحسين بن علي بن ابي طالب وهو ابو جعفر الامام المشهور في آل الرسول واهل البيت راويه اي راوي هذا الحديث الذي رواه عنا بيه عن جده اكمل الله محمد صلى الله عليه وسلم الشرف والعلو على اهل السموات والارض اما على اهل الارض فلانه صلى الله عليه وسلم اشرف الرسل وامته اشرف الامم واما على اهل السما فلانه صلى الله عليه وسلم اشرف من سائر الملايكة بدليل انه امهم وتقدم عليهم كما تدل عليه الاحاديث المذكورة بقي هاهنا انه ما ذكر بيد لعلي ان الاذان شرع ليلة الاسرا قبل الهجرة مع انهم جزموا بانه صلى الله عليه وسلم

كان يصلي بغير اذان منذ فرضت الصلاة الى ان هاجر الى المدينة وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما الصحيح
المذكور في الصحيحين قال كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون يتحينون الصلاة ليس ينادي لها فتكلموا
في ذلك يوما فقال بعضهم اتخذوا ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بوقا مثل بوق اليهود
فقال عمر رضي الله عنه اولا تعينون رجلا ينادي بالصلاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا بلال قم فناد بالصلاة وفي حديث ابي اسحاق زيادة على ما ذكر فبينما هم على ذلك اذ سمع عبد الله
بن زيد بن ثعلبة الخزرجي النداء فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد طاف بي الليلة
طايف مر بي رجل عليه ثوبان اخضران يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله اتبيع هذا الناقوس فقال
وما تصنع به قلت ندعو به الى الصلاة قال اولا ادلك على خير من ذلك قلت وما هو قال تقول الله
اكبر الله اكبر الخ فلما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انها رؤيا حق فقم لبلال فالقها عليه
فليؤذن بها فانه اندى صوتا منك فلما اذن بلال رضي الله عنه سمعه عمر رضي الله عنه وهو ببيته
فخرج يجر رداه وهو يقول يا نبي الله والذي بعثك بالحق لقد رايت مثل الذي راى فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحمد لله وفي وسيط الغزالي انه راى هذه الرؤيا بضعة عشر رجلا وانكره
النووي كابن الصلاح وقالا لم يثبت الا رؤيا زيد وعمر رضي الله عنهما فهذا يدل على ان الاذان
انما روي بالمدينة وما ذكر هنا يدل على انه بمكة في الاسرا وهما متعارضان الا ان الثاني صحيح والاول
ضعيف وقال ابن حجر رحمه الله قول القرطبي انه لا يلزم من رؤيته في الاسرا مشروعيته في حقه فيه انه
يأباه في الحديث المار اراد ان يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذان وقول الطبري يحمل الاذان
في الاسرا على معناه اللغوي يأباه ذكره بالفاظه بعينها وما قيل من انه صلى الله عليه وسلم راه في الاسرا
ولم يؤمر به بمكة للعجز عن اظهاره بين المشركين واخره الرسول صلى الله عليه وسلم ثم لما راوا ذلك
اظهره ليكون مدحه على لسان غيره في غاية الضعف ولو كان كذلك لم يؤخره حتى قدم المدينة
اقول هذا كله كلام مضطرب والذي ظهر في التوفيق بين الحديثين على وجه لا كدر فيه ان
المذكور في رواية البزار اسرا غير المعروف وانه بروحه او في رؤياه لان الاسرا تعدد فيكون
راى في منامه ذلك ورؤيا الانبيا وحي وعقب ذلك قص عليه الصحابة رضي الله عنهم رؤياهم
فاظهر موافقتهم والعمل بها لتكون الشهادة والمدح لغيره وليسروا بموافقتهم رايهم وكون ذلك
ماثورا عنهم والا فهو فرض كفاية مشروع ومباح لا يثبت برؤيا غيره فيحتاج الى انه اجتهاد
بما يوافق الرؤيا وهو خلاف هذا ان شا الله من بركاته ولمعات مشكاته ثم ان المص رحمه الله
استشعر اعتراضا فيما مر من الحديث الذي ذكر فيه الحجاب وهو في حقه تعالى محال لاستلزامه
الجهة والتحيز فاراد دفعه بقوله **قال القاضي** ابو الفضل عياض المولف هذا الكتاب **رضي الله
عنه ما في الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق** الراي **لا الخالق** زاد الفا في خبر الموصول
لتضمنه معنى الشرط وهو جايز وكذا ما ورد في الحديث حجابه النور اذ الحجاب بمنع المنع
والحاجب المانع ومنه حاجب العين وحاجب الامير والحاجب يحيط بالمحجوب فيقتضي
تناهيه وتحيزه تعالى الله عن ذلك ولذا قال ابن عطا الله رحمه الله كيف يتصور ان يحجبه
شي وهو الذي اظهر كل شي كيف يتصور ان يحجبه شي وهو اظهر من كل شي كيف يتصور ان
يحجبه شي وهو الواحد الذي ليس معه **فهم** الخلق المحجوبون والباري جل اسمه
منزه عما يحجبه لما سياتي ولذا علا علي كرم الله وجهه بالدرة من قال لا والذي احتجب
بسبعة اطباق وقال ويحك يا لكع ان الله لا يحتجب ثم علل استحالة ذلك في حقه فقال

اذ الحجب

اذ الحجب بضمتين جمع حجاب او بفتح فسكون مصدر انما تحيط بمقدر محسوس اي بذي مقدار له طول
وعرض وعمق في جهة تحس بتوجه الناظر فيقتضي الجهة وهو منزه عن ذلك ولكن حجبه عن ابصار
خلقه وبصايرهم جمع بصيرة وهي القوة المدركة لغير المحسوس من العقل ونحوه فلا تحيط به ابصارهم
اي لا تدركه ادراك احاطة بذاته لاقتضايه التحديد والتناهي ونحوه مما هو منزه عنه كما فسره به قوله
تعالى لا تدركه الابصار كما ذكره البيضاوي ردا على من انكر الرؤية واستدل بهذه الاية وسياتي الكلام
عليها ولا تدركه بصايرهم والمراد بالادراك العلم اي لا تعلم كنهه وحقيقته عقولهم ادراكا تاما
يقينا وحجبه عن ادراكاتهم اي انواع العلم والادراك مغطاة عن ادراك ذاته فلا رؤية ولا تصور ولا
اكتناه في غير اناه بما شا وكيف شا ومتى شاء متعلق بحجب اي منعهم عن رؤيته وادراك ذاته
ومعرفة حقيقته ليس بحجاب كحجاب البشر بل السبب ارادة وكيفية لا يدركها في اي زمان اراده
وفيه ايما الى ان رؤية الله في الدنيا ممكنة وفي الاخرة واقعة وان معرفة حقيقته ممكنة لنا وهو الاصح
بل واقعة للانبيا عليهم الصلاة والسلام ومن امسك ذيل حقيقتهم كقوله اي كقول الله في الكفار كلا
انهم عن ربهم اي ان الكفار يومئذ اي يوم القيمة وفي الاخرة اذ تنعم المومنون برؤيته ورضوانه
لمحجوبون وقال كقوله بالكاف لان المدعي عام وهو خاص بالكفار ولكن فيه اكبات لمدعاه اذ جعلهم
هم المحجوبون لا الله فان قلت الحجب امر نسبي لا بد من تعلقه بالطرفين فيلزمك ما
فررت منه قلت نعم هو نسبي ولكن بين حاجب ومحجوب والحاجب سبحات الانوار
وستاير العظمة والمحجوب مخلوقاته لا هو لانه محجوب عنه لا محجوب فيجوز ان يوصف بانه محجوب
عنه وحاجب ومحتجب خلافا لمن انكره ومثاله حفرة عميقة فيها نمل على راسها انسان حديد البصر فالنمل
محجوب عن رؤيته بالحفرة لا يرى من فوقه وهو يشاهده ويشاهد حركاته والحجاب للمشهود
لا للمشاهد فعلى هذا يطلق الحجاب ونحوه عليه لوروده بهذا المعنى مطلقا ومقيدا اذ ابهام ما سمع
من الشارع لا يلتفت اليه كاليد والبصر وغيره فاعرفه فانه امر مهم كثير في القران والحديث
فقوله في هذا الحديث الحجاب بالجر على حكاية الحجاب او الرفع وقوله اذ خرج ملك من الحجاب اراد ملك الاذان
الذي سال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل يجب ان يقال في تفسير معناه انه حجب به الله تعالى
من وراه من ملايكته عن الاطلاع بكسر الطا المشددة اي رؤيتهم متعلق بحجب على ما دونه اي ما خلفه
ووراه من جانب الغيب وباطنه فهو الباطن والظاهر من سلطانه الظاهر انه اراد به ما تفيضه قدرته عند
تصرفه مما لا يطلع عليه رسل الملايكة وغيرهم الا باذنه نادرا وعظمته وعجايب ملكوته وما لا يدركه
من ذلك والمراد بالملكوت عالم غيب الغيب اي ما غيب عن الملايكة وجبروته وهو يطلق على القهر
وعلى عظايم الملكوت وغرايبه مما احتجت عن غيره وهو المراد وجبروته بغير همز قال الحلبي وهو مهموز
في بعض النسخ وهو لحن ويدل عليه اي يدل على ان الحجاب لغيره لا لذاته من الحديث قول جبريل له
صلى الله عليه وسلم عن الملك الذي خرج من ورايه ان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل ساعتي هذه
فهو صريح في ان الحجاب انما حجب الخلق فان جبريل قد حجبه الله عما في سرادق جلاله وخلف حيطة
عظمته فدل على ان هذا الحجاب المذكور في الحديث لم يختص بالذات ان لم تختص محجوبيته بذاته تعالى
اذ حجب بعض الملايكة ايضا لملك الاذان وبما فسرناه به علمت انه لا يتوهم ان المص خفه ان يقول
يختص بغير الذات لان نفي الاختصاص يقتضي المشاركة كما لا يخفى ويدل عليه اي على عدم اختصاص
الحجاب بالذات كما مر قول كعب الاحبار في تفسيره سدرة المنتهى اي في بيان تسميتها به قال
اليها ينتهي علم الملايكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم فهذا وجه تسميتها به ومنه يعلم ان

ان الحجاب انما هو بالنسبة لغيره لا له ولان المحجوب عنهم ذاته وامره وملايكته المقربون وقوله يجدون
معناه يقفون عليه ويعملونه واما قوله في الحديث الذي يلي الرحمن لما كان ظاهره انه حايل بينه وبين
غيره اشار الى تاويله بقوله فيحمل اي يفسر بانه على حذف المضاف اي الذي
يلي عرش الرحمن فالمضاف المقدر لفظ عرش او لفظ امر او امر اما زيادة ما للعموم او
للتعظيم اي يلي امر الرحمن من عظيم اياته من بيانية لايضاح ما ابهم اولا وهو اوقع في النفوس
لحصوله بعد التشوف اليه او من مبادي حقايق معارفه اي امرا يكون مبدا لما يتحقق به معرفة الله
ما هو اي الله تعالى اعلم به من رسله وملايكته عليهم الصلاة والسلام كما قال تعالى واسال القرية التي
كنا فيها اي اهلها اشارة الى ان تقدير المضاف لقرينة عقلية كثير بليغ لان القرية لا تسال وانما
يسال اهلها وقوله تعالى في حديث الاذان اجابة للملك لما قال الله اكبر من كل كبير فقيل من وراء
الحجاب صدق عبدي اي الملك القايل انا اكبر فظاهره انه صلى الله عليه وسلم سمع في هذا الموطن
اي المكان الذي كان قارا به كما يقر الانسان في وطنه كلام الله من غير واسطة كما سمعه موسى صلى
الله عليه وسلم ولكن من وراء حجاب حجبه عن رويته الله تعالى وهو يراه من غير حجاب بالنسبة له
وان كان النبي صلى الله عليه وسلم محجوبا عن رويته معاينة ثمة فهو لا يراه ثم استدل على ذلك بقوله
كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
اي وهو اي النبي صلى الله عليه وسلم لا يراه اي لا يرى الله معاينة اذ حجب بصره اي بصر النبي
صلى الله عليه وسلم عن رؤيته اي رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربه في هذه الدنيا ولما كان هذا
يوهم امتناع الرؤية مطلقا قال فافصح الحديث والقول بان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه
عيانا حين اسري به فيحتمل انه في غير هذا الموطن الذي سمع فيه الاذان بعد هذا الموطن والمقام او
قبله رفع الحجاب عن بصره حتى راه عيانا في مقام اخر والله تعالى اعلم

فصل في تحقيق الاسرا

اعلم انهم اختلفوا في المعراج والاسرا هل كانا في ليلة
واحدة او ليلتين وهل كانا جميعا يقظة او مناما او بعضه يقظة وبعضه مناما فقيل ان الاسرا كان مرتين
مرة بروحه مناما ومرة بروحه وبدنه يقظة ومنهم من قال بتعدد الاسرا يقظة ايضا بل قيل انه اربع
مرات وبعضها كان بالمدينة ووفق ابو شامة رحمه الله بين الروايات بالتعدد وانه وقع من مكة لبيت
المقدس ثابت بنص القران والحديث وقد تقدم الفرق بين الاسرا والمعراج وان الاول سيره للبيت
المقدس والثاني صعوده منه للملا الاعلى وان كلا منهما يطلق على الجميع واما حمل البدني على انه
بطريق الانسلاخ الذي ذهب اليه الصوفية فاخراج للحديث عن ظاهره لمعنى لا ينبغي التعويل
عليه وانما ذكرناه لتنبهك عليه لئلا تغتر بكلام بعض جهلة الصوفية والحكما ثم اختلف السلف
والعلما من عطف العام على الخاص والمراد بالسلف الصحابة ومن عاصرهم وبالعلما من بعدهم هل كان
اسرا بروحه او بجسده اسرا بالنصب خبر كان اي هل كان اسرى اسرا الخ على ثلاث مقالات
اي اختلاف واقع على ثلاثة اقوال للسلف والخلف ثم فسره وفصله بقوله فذهبت طايفة اي جماعة
ممن سيصرح به الى انه اي الاسرا اسرا بالروح وانه رؤيا منام عطف تفسيري لا بدل كما توهمه الدلجي
وفي تفسير القاضي اختلف في انه هل كان في المنام او في اليقظة بروحه او بجسده وقوله بروحه او
بجسده لف ونشر اي بروحه في المنام او بجسده مع روحه في اليقظة وليس متعلقا بقوله في
اليقظة فقط كما توهم والصحيح الثاني كما سياتي قال البرهان وبقي قولان احدهما انه
تعدد فمرة بجسده ومرة او مرات بروحه والثاني انا نقول بالاسرا ولا نعين كونه يقظة

او مناما

او مناما كما في الهدي النبوي وهو غريب مع اتفاقهم سلفا وخلفا على ان رؤيا الانبياء حق ووحي
لانهم عليهم الصلاة والسلام تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم ولان الشيطان لم يسلط عليهم فيتمثل
لهم والوحي على انواع منها المنام الا انه على قسمين منه ما يقع بعينه وهو الاكثر ولذا ذهب
الخليل الى ذبح اسماعيل عليهما الصلاة والسلام ومنها ما يعبر ويأول والى هذا ذهب معاوية
بن ابي سفيان بن حرب بن امية كما رواه عنه ابن جبير وابن اسحاق وهو رضي الله عنه صحابي بن صحابي
توفي بالشام حاكما بها سنة ستين وعمره ثمان وسبعون او ست وثمانون وكان عنده ازار رسول الله
صلى الله عليه وسلم وازاره وشيء من شعره وظفره فكفن وردائه بازاره وحشي شعره وظفره
بفيه ومنخره بوصية منه رضي الله عنه وحكي عن الحسن البصري رحمه الله وحكي مبني للمجهول
والمشهور عنه اي عن الحسن خلافه اي له قولان اشهرهما انه كان يقظة واليه اي الى ما ذكر
عن الحسن اولا اشار محمد بن اسحاق بن يسار صاحب المغازي وهو ثقة وان طعن فيه بعضهم
وحجتهم اي دليل القائلين بانه رؤيا منام قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك الا فتنة للناس لانكار كثير منهم له وارتداد بعض ممن اسلم حين
بلغهم ذلك لضعف وعقولهم ايمانهم ولا حجة في ذلك لان لها تفاسير اخر وفي بعض النسخ
هنا وقيل رآها عام الحديبية اسم بئر مشهورة وياؤها مخففة ورويت مشددة ايضا
كما سياتي بيانه لانه صلى الله عليه وسلم راى انه هو واصحابه دخلوا مكة كما قال تعالى لقد صدق
الله رسوله الرؤيا بالحق الخ فلما صدوا عن الدخول فتن بعضهم فقيل لم يقل في هذا العام
وقيل الاية في قصة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك قليلا وقيل المراد بها رؤيا بني
امية تنزو على منبره صلى الله عليه وسلم ومما احتجوا به ما حكي عن عائشة رضي الله عنها
ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة ما فقد بالبناء للمفعول وفي رواية لم تفقد مجهول
ايضا قال التلمساني وهو الاشبه بالصواب فهو اخبار منها عن غيرها لانه لم تكن حينئذ
زوجته بل لم توجد انتهى وستاتي الاشارة اليه في كلام المص مع ان له صلى الله عليه وسلم
زوجات اخر فلا يلزم من عدم فقدها لذلك فقد غيرها قيل ولا حجة فيه ايضا لاحتمال انه
تعالى اراد ان يحجب عنها حقيقة ذلك مع ان النفي مقدم على الاثبات ولا يخفى ما فيه من
التكلف وقوله صلى الله عليه وسلم وفي رواية بينا انا نائم قال ابن المنير في المقتفي جنح هؤلاء
الى قضايا ظنوها تخيل الاسرا يقظة من حيث العقل وذلك غلط بين وانما هو استبعاد عادي
ظنوه محالا عقليا فاحتجوا بما ورد في بعض الروايات من التصريح بانه صلى الله عليه وسلم
كان نائما فايقظه الملك وقوله بين النائم واليقظان ليس بصريح بان النوم استمر بل كان مجيء الملك
اليه صلى الله عليه وسلم وهو وسن وباقل من ذلك يستيقظ النائم المستغرق لا سيما الوسن
واحتجوا على انه استمر بان المنام مصرح به وبما ورد في بعض الطرق اي الاتية فاستيقظت
وانا بالمسجد الحرام ورد عليهم بان المراد الافاقة البشرية من العمرة الملكية اي كما سياتي بيانه
وبالجملة فان صح النقل في الطرق وتعارضت وتعذر التاويل حمل على التعدد وتنزيله على
اسراءات بعضها يقظة وبعضها منام لا يقال لو كان كذلك كما تكرر فرض الصلاة فانها انما فرضت
دفعة قلنا فرضت في اليقظة وجاء المنام بعد ذلك كالذكرى وهو تحديد العهد او تقدم المنام
كالتقدمة والتعريض بالفرض وبما سيكون ثم فرضت يقظة وكثيرا ما يرى النائم انه فعل
فعلا كان فعله قبل ويقع له انه الفعل المتقدم بعينه فيكون ذلك كمعنى انتهى وقول انس

رضي الله عنه وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة الواردة في حديث الاسراء الذي رواه البخاري
وهو يدل على انه كان نائما فقال فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام اي انتبهت من منامي
فوجدتني به بهذه الحالة فانتفى كونه حجة لذلك وقد علمت ما فيه وذهب معظم السلف والمسلمين
عطف للعام على الخاص وفيه اشارة الى ان خلافه لا ينبغي لمسلم اعتقاده الى انه اسرا بالجسد مع
الروح وفي اليقظة المقابلة للنوم وهي بفتح الياء والقاف وتسكينها لغة الضرورة شعرية كقول الشاعر

فالعيش نوم والمنية يقظة ... والمرء بينهما خيال سار

وبالتسليم علم كاليقظة اذ وهذا هو الحق الذي يقتضيه الانصاف اذ لا حاجة لصرف النصوص
عن ظاهرها كاليقظة بغير داع ولو كان كذلك لم ينكره احد من العقلا وهو قول ابن عباس
وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة رضي الله عنهم وهو عبد الرحمن ابن قحطان على الاصح
من اقوال في اسمه مشهورة كما تقدم ومالك بن صعصعة الصحابي المدني كما تقدم وابو حبة البدري
بفتح الحا المهملة بلا خلاف ثم باء موحدة مشددة على الاصح وقيل انه بنون مشددة وقيل بمثناة
تحتية مشددة ثم هاء واسمه عامر وقيل مالك وقيل عمرو وقيل ثابت بن الهمان كما في الاستيعاب
واختلف في ابي حبة الانصاري وابي حبة البدري هل هو واحد او اثنان على اختلافهم في ضبطهم
المتقدم وقوله البدري اي شهد بدرا اشارة الى انه من كبار الصحابة رضي الله عنهم وقيل اسمه
كنيته وابن مسعود والضحاك وهو ابن مزاحم الهلالي المفسر المكي يكنى ابا القاسم لابي محمد يروي
عن ابن عباس وابي هريرة وهو ثقة وان ضعفه بعضهم توفي سنة خمس ومائة وقيل سنة ست واخرج له
اصحاب السنن الاربعة دون الشيخين وسعيد ابن جبير المسهور وهو الوالبي ابو محمد اخرج له اصحاب
الكتب الستة وقتادة المتقدم ترجمته وابن المسيب بفتح الباء المشددة وكسرها كما تقدم وابي زيد
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم وترجمته في الميزان والحسن بن ابي الحسن البصري كما تقدم وابراهيم
النخعي المتقدم ذكره ومسروق بن الاجدع ابو عائشة الهمداني احد الاعلام الذي لم يخرج من
همدان مثله صاحب المناقب الجمة وكان اعلم بالقضاء من شريح توفي سنة ثلاث او اثنتين وستين
واخرج له اصحاب الكتب الستة ولقب بمسروق لانه سرق وهو صغير ثم وجد ومجاهد ابي
جبر المتقدم ترجمته وعلقمة بن عبد الله الامام المفسر مولى ابن عباس رضي الله عنهما اخرا وعبيد
العلم الثقة وهو ابامي وسيأتي بيان الابامي اخر الكتاب روى له الشيخان وتوفي سنة خمس
او ست او سبع ومائة وترجمته مفصلة في الميزان وابي جريج عبد الملك بن عبد العزيز وقد تقدمت
ترجمته وهو دليل قول عائشة رضي الله عنها قيل يكون الاسرا يقظة
دليل قولها ما فقدت جسده الشريف دالا على انه منام لا يقظة وهذا عجيب اذ ذكره
في المذهبين وجعل ما يخطله دليلا عليه كما سيأتي فهذا سهو منه بلا ريبة اقول
لا شك انه وارد وان كلامه لا يخلو من اشكال الا ان يقال انه سقط منه شيء واصله دليل على
عدم صحة قولها موافقا لما عليه اكثر الصحابة وانها قائلة بانه يقظة كما هو المعهود وكما
سيأتي في كلامه فالمراد ابطال ما نقلوه عنها وهذا وان كان مخالفا للظاهر لكنه اسهل من تغليط
المعصوم والاسف بقوله وهو قول محمد بن جرير الطبري المتقدم ترجمته واحمد بن حنبل وجماعة عظيمة
اي كثيرة والعظمة تطلق بمعنى الكثرة كثيرا وان كان المعروف خلافه او المراد انهم ائمة يقتدى بهم
جليلون من المسلمين وهذا هو قول اكثر المتاخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين
فعلى كثرة نقلته وشهرة الاخبار الصحيحة به لا يناسب مخالفة امام المومنين رضي الله عنها

في ترجمته وابي كريب
ابو بكر محمد ابن مسلم
بن عبيد الله بن شهاب
الزهري كما تقدم رم

فيه

فيه وقالت طايفة هذا هو القول الثالث كان الاسرا بالجسد يقظة من المسجد الحرام الي بيت المقدس
فقط ومنه الي السما بالروح يعني مناما ولا يخفي بعده اذ لم ينقل انه صلي الله عليه وسلم نام ثمة وهذه
وقوله واحتجوا بقوله سبحان الذي اسري بعبده ليلا من المسجد الحرام الي بيت المقدس وفي نسخة
المسجد الاقصي وهو الموافقة للنظم الشريف وهي اصح عندي واعلم انهم فسروا العروج الروحاني بالمنام
وليس بمتعين لانها قد تفارق البدن بدونه وهذا مما اتفق عليه الحكما واهل التصوف وليس هذا
محل تحقيقه فجعل الي المسجد الاقصي غاية الاسرا تفصيل وتفسير للاحتجاج لانه لما جعله غاية اقتضي
انه لم يتجاوزه الي السما ببدنه الشريف ولا حجة فيه لان كونه غاية لمسيره في الارض لا ينافي صعوده لما يحاذيه
في جهة العلو وما قيل من انه انما يتم اذا كان الاسرا مرة واحدة وعلي تقديره ويكون غاية لركوبه
البراق ثم عرج منه الي السما والحكمة في عدم ذكره لها بيانه للسنة دون الكتاب وهو ابلغ في المدح انتهي
ليس بشي ولو قيل انه هو الذي انكروه وانه التفا باقل ما تثبت به معجزته واقتصار علي ما تفهمه
عقولهم القاصرة كان اظهر ونحوه قول ابن المنير في المقتفي ورد الاحتجاج بان الحكمة في تخصيص
المسجد الاقصي ان تسال قريش علي سبيل الامتحان عن الاعلام التي عرفوها والصفات التي شاهدوها
في بيت المقدس وقد علموا ان الرسول صلي الله عليه وسلم لم يسافر اليها قط فيجيبهم بما عاين
ويوافق ما يعلمونه فتقوم الحجة عليهم وكذلك وقع وكذلك وقع ولذا لم يسالوه صلي الله عليه وسلم
عما راي في السما اذ لا علم لهم بذلك انتهي واقصي بمعني ابعد لانه ابعد مسجد في الارض واخر محل عبد الله
فيه بحق وقوله الذي وقع التعجب فيه ضمير فيه للاسرا اي وقع التعجب في شانه لقطع مسافة طويلة
في بعض ليلة والتعجب يفيده قوله سبحان لانه مصدر منصوب علي المصدرية ومعناه تنزيه الله
عما لا يليق بعظمته ثم شاع استعماله في التعجب ووجهه مذكور في الكشاف وشروحه والتعجب من
المعجزات لكونها خارقة للعادة وهو من الله تعجيب لا تعجب منه وقد ورد استعماله في حق الله
وورد في الحديث كقوله صلي الله عليه وسلم عجب ربنا من كذا وهو من البشر لاستحالة ما تعجبوا منه
واستبعاده واشار الي المراد من تعجب الله فقال تعظيم القدرة منصوب لانه مفعول له اي لتعظيم
قدرة الله الباهرة المؤثرة علي وفق الارادة وفي نسخة بعظيم بالبا الجارة والتمدح بتشريف النبي صلي
الله عليه وسلم به اي بالاسرا والجار متعلق بتشريف ويجوز رفعهما بوقع اي وقع فيه تعظيم
القدرة والتمدح وكذا قوله واظهار الكرامة له صلي الله عليه وسلم بالاسرا اليه اي الي المسجد الاقصي وهو
من وضع الظاهر موضع الضمير اعتنا به لانه من اجل كراماته واعظم معجزاته قال هولاء الذاهبون الي ان
الاسرا بجسده صلي الله عليه وسلم الي المسجد الاقصي وهم ارباب المذهب الثالث ولو كان الاسرا بجسده
الي مكان ارفع زايد علي المسجد الاقصي لذكره ابلغ في المدح من عدم ذكره ثم اختلفت هذه الفرقتان
الثانية والثالثة في انه صلي الله عليه وسلم هل صلي ببيت المقدس حين اسري به ام لا فقيل
صلي به وام معادلة لهل وهو من نوادر العربية سمع ذلك في قوله صلي الله عليه وسلم لجابر رضي الله
عنه هل تزوجت بكرا ام ثيبا وان انكره بعض النحاة ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته
صلي الله عليه وسلم بالانبيا فيه اي في بيت المقدس وستاتي رواية اخري انه صلي الله عليه وسلم
بهم في السما وفي رواية انه لم يصل بهم فيه كما اشار اليها بقوله وانكر ذلك اي صلاته بالانبياء
عليهم الصلاة والسلام فيه حذيفة بن اليمان وقال كما رواه احمد بن حنبل رحمه الله والله ما زالا
اي جبريل والنبي صلي الله عليه وسلم وزال هنا تامة اي لم ينفصلا وينزلا عن ظهر البراق حتي رجعا
الي الارض فكان جبريل عليه الصلاة والسلام راكبا معه صلي الله عليه وسلم ويروي انه كان ماشيا

الله في القران حتي قص
قصة الاسرا فيكون ذكره فيه
٢٢

قال القاضي ابو الفضل المولى عياض رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح رواية ان شاء الله
قيده بالمشيئة مع انه امر وقع وانقطع بتركها وتاديبا وللاشارة الى احتمال التعدد فكرر وايا لا تنافي الاخرى
فلا ينافي في قوله ان شاء الله كونه حقا صحيحا كما قدرتموه وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم
لاحقون انه اسرا بالجسد والروح لا بالروح فقط مناما او يقظة في القصة كلها اي في قصة الاسرا الى
المسجد الاقصى والسموات وعليه تدل اي مما يدل عليه نقلا من القرآن وهو الآية الدالة على ذلك صريحا
وصحيح الاخبار المشهورة المستفيضة الدالة على عروجه صلى الله عليه وسلم الى السما والاحاديث
الاحاد الدالة على دخوله صلى الله عليه وسلم الجنة ووصوله الى العرش او طرف العالم كما سيأتي وكل
ذلك يجسده يقظة والاعتبار بالرفع معطوف على ما قبله كما صححه البرهانا والمراد به المتبع لاقوال
السلف ودقيق الفكر والتامل في الاحاديث المروية والقصة يعني انه يدل على ذلك العقل والنقل
ولا يعدل بالبنا للمجهول من العدول اي لا يحيد احد ويرجع ويميل عن الظاهر الذي يقتضيه
العقل والنقل والحقيقة المتبادرة من لفظ الحديث الصحيح وليس عطفا تفسيريا كما قيل
الى التاويل متعلق بيعدل اي لا يصرف من ظاهره وياول النصوص الواردة الا عند الاستحالة
اي الا اذا كان ظاهره ويايول النصوص الواردة فيه مستحيلا عقلا وشرعا حتى يتعذر حمله على حقيقة
وليس ما نحن فيه كذلك ولبس في الاسرا بجسده محال يقتضي استحالته يقتضي العدول عن الظاهر
والتاويل وما قيل من ان ما ذكره غير مسلم لانه يكفي في المصير الى التاويل قيام المعارض للظاهر
من الروايات التي اوردها المخالفون الذاهب الى انه منام لا يقظة مردود بانا هذه الرواية عندنا
اصح واقوى لتعدد من رواها وذهب اليها من اكابر الصحابة وكثرتهم حد اكما قيل به فانا قيل بالعقد
كما تقوم لم تكن معارضة ايضا فتدبر تنبيه الاستحالة المذكورة اي عدم الاستحالة لا صدر
من الكفار قريش ومن بعض ضعفاء المسلمين اذ توهموا انا قطع مثل هذه المسافة ذهابا وايابا
في بعض ليلة محالا لانها بعيدة بحيث تقطع في ايام كثيرة ومن بعض ارباب علم الهيئة الذين
قالوا ان الافلاك لا فرجة فيها ولا تقبل الخرق والالتيام وكلاهما خطا عقلا ونقلا الا ترى ان نقل
عرش بلقيس في مسافة ابعد من هذه في طرفة العين وغير ذلك مما هو مامور مشهور وقد
ثبت النصوص بان السما لها ابواب تفتح وتغلق فلا عبرة باوهام الفلاسفة وقال البيضاوي
تبعا للامام الرازي الاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة ان ما بين طرفي قرص الشمس مثلا ما
بينهما طرفي كرة الارض مائة وثيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل لموضع طرفها الاعلى في اقل
من ثانية والاجسام كلها متساوية في قبول الاعراض والله قادر على كل الممكنات يقدر عليها ان يخلق
مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبي صلى الله عليه وسلم او فيما حمله والتعجب من لوازم المعجزات
النبي وقد اورد عليها عبرات منات بسطناها مع جوابها في حواشينا على شرح العقائد
مبني على ان الحقيقة تقدم مطلقا وعند الشافعي يقدم المجاز الغالب عليها ثم ان التعجب والعجب اذا
اسند الى الله فتنوولوا وكذا صيغة التعجب وفي الحديث عجب ربكم من شاب ليس له صبوة قال ابن
فورك في كتاب الكشف قد ورد مثله في احاديث كثيرة والعجب والتعجب اصله ان يطالع امرا لم يعلمه
ما فاجاه فيستعظمه وهذا لا يليق بالله عز وجل فالمراد لازمه يعني انه خلقه عظيما جميلا يتعجب
من خلقه او المراد الرضى والقبول لانه من احبه رضي رضيه وقبله فلا يتعجب مما يكره غالبا واذا اراد
تعظيم شي اخبر عنه بما يقتضي تعظيمه الى اخر ما فصله وسبحان الله استحالة في ذلك اذ لو كان
منامًا لقال بروحه عنده ولم يقل بعبده تعليل لصحة كونه بقظة ولعدم

الاستحالة

الاستحالة وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما لما كان فيه
اية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد
به ضعفا من اسلم وافتتنوا به اي وقعوا في فتنة اي بلية عظيمة توقعهم في العذاب
لردتهم وتكذيبهم له وانكارهم لما اخبر به صلى الله عليه وسلم مما هو خارق للعادة وهو قد اخبر به
لانه معجزة تحداهم بها اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر تعليل لعدم الاستبعاد والتكذيب فان قلت
هذا يقتضي ان رؤية الله في المنام جايزة بلا خلاف وقد قالوا انه اختلف فيها قلت قال
الامام الغزالي ان الخلاف فيها غير معتد به وان المرئي مثله وفرق بين المثال والمثل وقد افرده برسالة
فان اردت تحقيقه فراجعها بل لم يكن منهم ذلك المذكور من الاستبعاد والتكذيب والارتداد والافتتان
الا وقد علموا ان خبرها انما كان عن اسرائه بجسمه وحال يقظته اخذا مما قاله لهم واما كون
رؤيا الانبيا وحي وحق فهذا انما يعرفه من صدقه وصدق بخبره فما قيل من انه ممنوع لان رؤياهم
حق ولذا قال تعالى لابراهيم عليه الصلاة والسلام قد صدقت الرؤيا واذا كانت رؤياهم
كذلك استقام كونها معجزة له ويتعلق الانكار بان رؤياهم حق كلام في غاية السقوط الى ما ذكر
في الحديث المتقدم وذكر مبني للمجهول ويصح بناؤه للفاعل ايضا والى بمعنى مع كقوله ولا تاكلوا
اموالكم الى اموالهم وللغاية بتقدير من البيت المقدس الى المذكور في الحديث بقرينة المقام وقوله
من ذكر من صلاته ببيت المقدس بيان لما وبيت المقدس هو مسجد ايليا ومعنى ايليا بالسريانية
وهي لغة ادم عليه الصلاة والسلام بيت الله في رواية انس او في السما على ما روى غيره
كما تقدم بيانه وذكر مجيء جبريل له صلى الله عليهما وسلم بالبراق وخبر المعراج بكسر الميم اسم الة
للعروج وهو الصعود في جهة العلو كالسلم وقد تقدم بيانه واستفتاح السما اي طلب له صلى الله عليه
وسلم من جبريل فيقال من انت اي تقول ملايكة السما لجبريل من انت فيقول جبريل فيقال له
ومن معك فيقول محمد ولقائه الضمير لمحمد صلى الانبيا فيها اي السما وخبرهم معه فيما وقع له
معهم من المكالمة وترحيبهم به اي قولهم له صلى الله عليه وسلم مرحبا بالاخ الصالح او الابن الصالح
كما مر وهو تفعيل من الرحب بضم الرا المهملة وفتحها ومعناه السعة اي صادفت مكانا رحبا ذا سعة وهو
كناية عن وجوه فيه ما يسره ويكرمه وشانه في فرض الصلاة خمسين عليه وعلى امته ثم تخفيفها وهو
مجرور معطوف على مجيء والشان الامر العظيم الذي جرى له في ذلك كما مر ومراجعته موسى
اي رجوعه في المشاورة في ذلك وفي بعض هذه الاخبار والحديث الذي رواه الشيخان عن انس رضي الله
عنه فاخذ يعني جبريل بيدي اي امسك يده ليصعد معه فعرج الى السما اي صعد وانا معه
الى قوله ثم عرج بي بالبنا للفاعل او المفعول وعرج كقعد عرجا ومعرجا ارتقى قال في القاموس
اذا كان خلقة فعرج كفرح او يثلث في غير الخلقة وهو اعرج بين العرج انتهى ولبعض الادبا في اعرج
من رسالة

قامت العصا بيده مقام رجله ۞ وقلت لعواد الاغصان من اجله
فعرج الى الارض لا الى السماء ۞ وغرس العود يكنه لكن ما اورق ولا نما
وحمل العصا هو العذاب الاليم ۞ ومن افلح من لازمها بعد موسى الكليم

انتهى حتى ظهرت اي صعدت وعلوت وهو كناية لانه يلزم من العلو على مكان عال ان يظهر
ويشاهد من هو به بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام المستوى بضم الميم اوله مقصور اسم مكان
وقد تقدم الكلام عليه وان الصريف والصرير بمعنى وهو الصوت الذي يسمع من الاجرام الجامدة

اذا حركت وان المراد بالاقلام اقلام الملائكة عليهم الصلاة والسلام الذي تكتب ما قدره الله وهناك وقع
فرض الصلاة او هو قلم واحد لله جمع تعظيما ولكثرة مكتوبه وهو العلم المقارن للوح المحفوظ كما قيل
وانه وصل الى سدرة المنتهى ورأى ما غشيها من الالوان وغيره وانه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره
من جنابنا اللؤلؤ وترابها المسك الى اخر ما ذكره قال ابن عباس رضي الله عنهما فيما صح عنه من رواية
البخاري هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام
ولا يعارضه ما روي عن عائشة وغيرها كما قيل لصحة هذا وكثرة طرقه وشهادة ظاهر النصوص
له كما مر ولا وجه لما قيل ايضا ان صوابه رؤيا نائم كما لا يخفى روى ابن اسحاق وابن جرير
مرسلا عن الحسن البصري فيه بينا انا نائم وفي نسخ جالس في الحجر بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم ونقل
بكسر الحاء المهملة وسكون الجيم ونقل التلمساني عن بعضهم انه يقال بفتح الحاء المهملة وفي القاموس
ان الاول معناه وما حواه الحطيم المدار بالكعبة من جانب الشمال وديار ثمود والانثى من الخيل
والهالحن اقول ما قاله وان سبقه غيره اليه ليس بصواب فانه ورد في الحديث وصححه بعض اهل
اللغة كالقزويني في مثلثاته واليه ذهب شيخنا المقدسي في حواشيه والحجر معروف بجنب الشريف
كنصف دائرة عليه جدار قصير وهو من البيت وقيل الذي منه مقدار ستة اذرع او سبعة كما افاده
البرهان جاءني جبريل فهمزني بعقبه همزه كضربه وما وقع في بعض النسخ نهزني من تحريف
النساخ اي مسني بشدة لينبهني والهمز والضغط بمعنى وفي العين همزته غمزته والهمزة
في الحروف لانها تهمز فتستهمن عن مخرجها انتهى وهو يدل على انها صحيحة لغة فلا وجه لما في
بعض شروح الكشاف من انها لم تسمع وانما اسمها الف وعقبه بفتح العين المهملة وكسر القاف
ثم الموحدة مؤخر الرجل وهذا يدل على انه تمثل له صلى الله عليه وسلم بصورة رجل حين همزه
والضمير لجبريل عليه الصلاة والسلام وليس فيه سوء ادب ممن لم يقصد التنقيص كما قيل
فقمت اي انتبهت من منامي بدليل قوله فجلست والقيام بهذا المعنى كثير فلم ار شيئا
فعدت لمضجعي اي رجعت لما كنت عليه من هيئة النائم فالمضجع مصدر ميمي او اسم مكان ذكر ذلك
ثلاثا وانما ذكره ثلاثا لانه وقع الهمز ثلاث مرات فقال في المرة الثالثة فاخذ بعضدي بالاضافة
الى ياء المتكلم المخففة والعضد ما فوق المرفق فجرني الى باب المسجد اي اخرجه اليه تادبا منه
اذ لم يدخل ما هو على صورة دابة لفناء بيت الله وقيل الله اعلم بصحة هذا النزاهة جبريل عن ان
يفعل به صلى الله عليه وسلم ذلك وفيه نظر فاذا بدابة وذكر خبر البراق المتقدم في شكله
وهيئته وسرعته وهذا رواه ابن اسحاق وابن جرير والطبراني وعن ام هانئ بهمزة في اخره وتبدل
ياء واختلف في اسمها فقيل فاختة وقيل عاتكة وقيل حمامة وقيل فاطمة وقيل رملة
وهي بنت ابي طالب صحابية عظيمة المقدار اخرج لها اصحاب الكتب الستة وكانت اسلمت يوم الفتح
وهرب زوجها هبيرة المخزومي فمات ببجران كافرا وخطبها النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذرت
بانها مصيبة اي ذات اولاد ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي وهو مخالف
لما مر انه كان بالحجر او غيره فان قيل يتعدد الاسراء فلا اشكال تلك الليلة التي اسري به فيها من بينها
صلى العشاء الاخرة والعشاء الاولى المغرب ونام ببيتنا ونام بيتنا اي بين اهل بيتها واولادها
وفي رواية ونام ونام شيئا بشين معجمة اي نام قليلا من الليل فلما كان قبيل الفجر بتصغير
قبل تصغير تقريب وتقليل اهبنا بالهمز اوله وتشديد الموحدة اي ايقظنا يقال هب اذا
استيقظ واهبه ايقظه من منامه ونبهه عنه فلما صلى الصبح اي صلاة الصبح وصلينا

معه

معه قال يا ام هاني لقد صليت معكم العشا الاخرة كما رايت بكسر التا اي كما شاهدت صلاتي لها
بهذا الوادي اي بمكة وهي واد لاحاطة الجبال بها والخفا منها بينها قالوا وهذا مشكل من وجوه
لانها انما اسلمت عام الفتح كما مر فكيف تكون صلت معه العشا ولذا اشار المص لتضعيف هذا في الفصل
الذي يليه وايضا المغرب لا تسمى عشا لغة وشرعا وقولهم العشاآن للمغرب والعشا تغليب وما
قيل من انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الاسرا قبل طلوع الشمس وغروبها وان المراد بقولها
صلينا هيانا له ما يحتاج اليه في صلاته كلام لا يجدي لانه في غاية الخفا نعم كون المغرب لا تسمى
عشا اولى غير متجه لانه ورد في الحديث تسميتها عشاء اولى والمراد بالعشا اول الليل وكون
ما ورد تغليبا غير مسلم فان الاصل هو الحقيقة اقول الذي يظهر لي في التوفيق بين
الروايات والجواب عما ذكر ان لم نقل بتكرر الاسرا مرارا اذ عليه الامر ظاهر انه صلى الله عليه وسلم
كان ببيت ام هاني ثم خرج الى الحرم للصلاة فغشيه نوم ثم استيقظ وعرج به واما قول ام هاني
رضي الله عنها وصلينا فيدفع اشكال المذكور بانها بنت ابي طالب وابو طالب وآله كانوا محبين له
صلى الله عليه وسلم معتقدين صدقه ولم يظهروا ذلك لغيره جاهلية وحكمة خفية ولذا اسلم
علي كرم الله وجهه في صباه وكان معه صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك ابو طالب في شعره المشهور
في السير فلما خرج صلى الله عليه وسلم من بيتها تلك الليلة وصلى بالحرم ومعه علي فلا شك انه
كان يصلي قبل الاسرا بالغداة والعشي صلاة غير الخمس المفروضة فقولها صلينا كقولهم بنو فلان
قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم لان الفعل المرضي لجماعة اذ وقع من احدهم ينسب للجميع وهو
مجاز بليغ مشهور اي صلى معه بعض النا وهو علي رضي الله عنه او يقال انها كانت مسلمة سرا
كما نقل نقله مثله عن العباس رضي الله عنه فاندفاع الايراد الذي ظنوه غير مندفع ظاهر
فلا حاجة لما قيل الصلاة هنا لغوية بمعنى الدعا ثم جيت ببيت المقدس فصليت فيه ثم صليت
الغداة معكم الآن كما ترون وتشاهدون والغداة والغدو بمعنى وهو اول النهار وهو بتقدير
مضاف اي صلاة الغداة وهي صلاة الصبح وهذا المذكور برهان ودليل بين بتشديد الياء
المكسورة اي ظاهر واضح في انه اي الاسرا بجسمه وروحه لا بروحه فقط كما قيل وقيل
ان البين فيه قوله ثم نام وفيه نظر وعن شداد بن اوس بن ثابت بن المنذر بن حرام ابو يعلى
الانصاري الصحابي نزيل بيت المقدس وليس بدريا كما توهم وقد اخرج له الايمة الستة
واحمد في مسنده وهذا الحديث ليس فيها وانما رواه البيهقي وابن مردويه توفي سنة ثمان وخمسين
ودفن بفلسطين وهو ابن اخي حسان بن ثابت كما مر في ترجمته عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
افضل الصحابة وفي اكثر النسخ عن ابي بكر من رواية شداد ابن اوس عنه انه قال للنبي صلى الله عليه
وسلم ليلة اسري به في هذا ما لا يخفى اذ لا يصح مع قوله طلبتك البارحة وهي الليلة الماضية قبل ليلتك
ومنه المثل ما اشبه الليلة بالبارحة فهو بتقدير بعد ليلة اسري به ومعنى طلبتك في تفقدت جسدك
في مضجعك فلم اجدك فيه او فيه تقديم والتفات اي طلبتك البارحة ليلة اسري بك وهذا كله
خلاف الظاهر ولم ينبهوا عليه فاجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ان جبريل عليه الصلاة
حملني وفي نسخة حمله الى المسجد الاقصى واذ بكسر الهمزة او مفتوحة والتقدير بان الخ قيل هذا
يحتمل انه كان ببيت عايشة رضي الله عنها بدليل السياق لكنه معارض بقول عايشة المتقدم وقوله
حملني جبريل مخالف لكنه على البراق الا ان يقال لكونه سببا له اسند اليه مجازا وفيه نظر وهذا دليل على
انه كان يقظة بجسده ايضا وعن عمر رضي الله عنه كما رواه ابن مردويه من طرق قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي في مقدم المسجد الاقصى ثم دخلت الصخرة
اي دخلت المسجد الذي تحت الصخرة المعروف الآن بمسجد داود عليه الصلاة والسلام ففيه مضاف
مقدر اي تحت فاذا بملك قائم لم يسموه معه انية ثلاث وذكر الحديث اي ساقه الخ واذا هنا فجائية
اي فاجاني بغتة لقاؤه والانية بالمد جمع آنا كوعا وزنا ومعنى واواني جمع الجمع وليس مفردا
كما يتوهم العامة كما مر ولذا وصفه بانه ثلاث فهو صفة او بدل منه وقيل خبر هي مقدرة وكان
الظاهر ان يقال ثلاثة لان مفرده مذكر فكانه اوله بكاس ونحوه يعني آنا من خمر وآنا من لبن وآنا
ماء وانه خير فيه فاختار اللبن وقيل له اخترت الفطرة ولو اخترت الخمر غوت امتك وهذا تمام
الحديث وقد تقدم واعترض عليه بانه محتمل لكونه مناما ولا مانع في هذه الرواية اصلا فقوله وهذه
التصريحات ظاهرة في انه كان يقظة غير مستحيلة شرعا وعقلا حتى تقتضي استحالتها التاويل
فتحمل على ظاهرها ولا يعدل الى التاويل مع عدم الحاجة اليه يؤيد ذلك وعن ابي ذر الصحابي الغفاري
رضي الله عنه في حديث رواه الشيخان عنه صلى الله عليه وسلم انه قال فرج مبني للمجهول مخفف
الراء ونائب فاعله سقف بيتي وفي نسخة عن سقف بيتي والمعنى كشف من السقف جانب حتى
انفتحت منه فرجة ولم يبق حائل بينه وبين السماء وانا مقيم مقيم قبل الهجرة وهذا مع قوله
سابقا بينا انا بالحجر او الحطيم وقول ام هاني السابق ما اسري به صلى الله عليه وسلم الا وهو
ببيتي بينهما من المعارضة ما لا يخفى فان قيل بالتعدد فلا منافاة بين الروايات ولا يكفي هنا كون
اضافة البيت له لانه ساكن فيه ولام هاني لكونه ملكها وقد تقدم قول ابن المنير ان فرج السقف
وعدم اتيان بيته من بابه انه مبالغة في الفجاءة وتنبيه على ان دعوته صلى الله عليه وسلم وكرامته
كانت على غير ميعاد وكان هذا عادة الخلفاء العباسيين قلت وليدل على ان هذا امر
الهي وكرامة تسر ولا تضر ولو اتى من الباب لتوهم انه احد من اعدائه الذهوبين اظهرهم
فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام فشرح صدري وفي رواية ففرج صدري اي شقه وهي
انسب بفرج البيت ثم غسله بماء زمزم الى اخر القصة لانه افضل المياه حتى الكوثر في قول ولانه
صلى الله عليه وسلم الفه صغرا وكبرا وشرح الصدر لا ينافي شق القلب لانه مقدم عليه ولا حاجة الى القول
بانه تجوز عن القلب بالصدر لعلاقة المجاورة وقد تقدم انه شق قلبه وصدره صلى الله عليه وسلم
وهو صغير عند ظئره حليمة رضي الله عنها فهذه مرة ثانية فالاولى ليطهره من الكدورات البشرية
ويرشحه للرسالة والنبوة وهذه ليقوى على العروج ومشاهدة عجائب الملكوت فهو وقع مكررا
ففي مرة غسل بماء زمزم وفي اخرى بماء ثلج ليثلج صدره ويصيره فلا تعارض بين الروايات قال ابن المنير
ولما لم يقع هذا للكليم عليه الصلاة والسلام لم يطق في الدنيا الرؤيا ولم يذكر هنا انه كان معه
ملكان بطشت وماء كما مر وانه وضع عليه النبوة وسيذكره ثم اخذ بيدي فعرج بي بالبناء للفاعل او
المفعول كما مر وشرح صدره كان بعد نزول جبريل عليه الصلاة والسلام اليه والتعقيب بالفاء
عرفي سببي فلا ينافي قوله وعن انس اتيت بالبناء للمجهول لا للفاعل كما توهم فانطلق بي
مجهول ايضا وفي نسخة فانطلقوا بي بصيغة الجمع لان مع جبريل ملكان اخران معهما طشت الذهب
كما مر ولا منافاة بين الروايات كما يتوهمه من لا بصيرة له الى زمزم فشرح لي صدري اي شق
صدره وقلبه ووضع فيه نور النور ليقوى على العروج ومشاهدة الملكوت وعجائبه وروى
مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عبد الرحمن بن صخر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لقد رايتني
جواب قسم مقدر للتاكيد بالمثناة الفوقية المضمومة وراء علمية او بصرية في الحجر تقدم ضبطه

وما يتعلق

وما يتعلق به **وقريش سألتني عن مسراي** جملة حالية والمسرى مصدر ميمي او اسم مكان اي سألته كفار
قريش عما علامات بعد ما كذبوه تحقيقا لما زعموه **فسألتني** قريش وتأنيثه باعتبار القبيلة **عن**
اشياء من بيت المقدس وامارات **لم اثبتها** اي لم اكن اثبت صورتها في ذهني وفكري لاشتغاله بما
هو اهم منها من معاينة ما وقع له من صلاته مع الانبياء وتقيؤه للمعروج فسقط ما قيل من ان هذا يدل
على انه كان نائما لان النائم اقل ضبطا لما يراه في منامه من المستيقظ ورؤياه صلى الله عليه وسلم
حق وان نامت عيناه لا ينام قلبه **وكربت كربا ما كربت مثله قط** بضم الكاف في الماضي المجهول والكرب
الغم والحزن الشديد مع القلق والاضطراب قال الراغب اصله من كرب الارض وهو قلبها بالحفر
والحرث فالغم مثير النفس كاثارة ذلك وفي المثل الكرب على القرب وليس ذلك من قولهم
الكلاب على البقر فمشى **فرفعه الله لي انظر اليه** اي رفع الله له صلى الله عليه وسلم بيت المقدس
حتى ينظر اليه ويثبت ما فيه ويخبرهم به على حقيقته فجملة انظر اليه حالية او مستأنفة **وكنوه عن جابر**
رضي الله عنه وقد روي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في حديث الاسراء عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم ثم رجعت من مسراي **الى خديجة** ام المومنين رضي الله عنها
وما حولنا اي والحال انا حوله رضي الله عنها ما حولت وحركت **عن جانبها** التي كانت عليه
حين فارقها النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يقتضي انه كان في بيت خديجة وقد تقدم انه كان في بيت
ام هاني رضي الله عنها وان في رواية انه كان بالحجر وفي اخرى بالحطيم وهو الحجر الذي بين الميزاب
الذي هو قبلة اهل المغرب وقيل الحطيم ما بين المقام الى الباب وروي عن مالك وعن ابن جريج هو
ما بين الركن والمقام عند زمزم قيل والصحيح انه ما بين الركن الاسود الى الباب **فصل**
في ابطال حجج من قال انها نوم لا يقظة وان الاسراء لم ينكر بمكة
اربعة كما انتقاه ابن اسحاق وشامة رحمهما الله وتابعهما فيه انها لا ان الرؤيا مرئية سماعي لا بانها
انها رؤيا منام كما قيل **احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة**
للناس اها رؤيا وهذا مبني على ان هذا راي مشترك فيكون اما بصرية يقظة ومصدرها رؤية ومنامية
ومصدرها رؤيا ورأي بمعنى علم وحكم ومصدر الاخير الرأي في هذا هو المشهور وقد رده
السهيلي في الروض الانف وقال الرؤيا مشتركة ايضا بين المنامية والحكمية واورد له شواهد
من كلام العرب وقد مر جميع ذلك وقيل الرؤيا اذا كانت بصرية تختص بالعين ليلا قلنا
جوابا عما احتجوا به **قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده** رده لانه لا يقال في النوم اسرى
اذ الاسراء كما مر هو المسير ليلا وهذا انما يكون يقظة لا سيما وقد ذكر في الحديث ما يستلزم ذلك وما
بيناه من صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء عليهم الصلاة والسلام واستصعاب البراق عليه وغير
ذلك مما تقدم واحتمال ان يكون معناه انه راى في منامه انه اسري به بعيد جدا واذا جعله ابطالا لما قالوه
لانه لي قوة للفظ فما قيل انا الاولى ان نقول لخبثه ما ذكر ليس بشيء يعول عليه **وقوله فتنة للناس**
اي بلية ومحنة حيرانهم على تكذيبه صلى الله عليه وسلم وردة بعضهم بعد ايمانهم **ورؤيا عين** باصرة
يقظة **واسرا بشخصه** اي سيرا بجسده محفوفة يقظة لا خيالا ونوما كما قيل ان لبسه في الحالين بضمتين
او ضم فسكون وهو ما يراه النائم واصل معناه العقل يقال احلم في نومه اي رأى حلما وحلما وقيل
حلم بضم ثم فتح كرفع قاله الراغب **فتنة** ولا يكذب به احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه
مما الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة اقطار جمع قطر وهو الجانب والمتباين البعيد
ومن بيانا لذلك او لمثل اي يرى في مدة قليلة انه وصل لامكنة بعيدة ولا ينكر عليه احد من العقلاء

ثم اشار الى رد دليلهم بوجه اخر فقال على ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الاية التي استدلوا بها
وعلى سبيل مع هذا والملاقة منهم امر اخر كقوله على ان قرب الدار خير من البعد والمراد بالاية
فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية القضية بالضاد المعجمة واحدة القضا على الاصح
لما سيأتي وروي قصة بالصاد المهملة والحديبية مصغرة مخففا وقد تشدد ياؤه ايضا وعليه اكثر المحدثين وبعض اهل اللغة
هي صحيحة رواية ودراية فلا وجه لمنعه وسميت بها الشجرة حدبا وقع تحتها ببيعة الرضوان ثم صار
اسما للبئر بها وقريبا على مرحلة من مكة عند مسجد الشجرة وهل هي من الحل او من الحرم او بعضها من
الحل وبعضها من الحرم اقوال ذهب الى كل منها بعض العلما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقام
بالمدينة مستهل ذي القعدة من عزوة بني المصطلق في شوال وخرج في ذي القعدة معتمرا ومعه من الانصار
والمهاجرين نحو الف وخمسمائة وساق الهدي معه وهو محرم ليعلم انه لم يخرج لحرب فلما بلغ
قريبا ذلك خرج منهم جمع صادين له صلى الله عليه وسلم عما دحول مكة وانه اذا قاتلهم قاتلوه
وخرج مع الكفار خالد بن الوليد رضي الله عنه الى كراع الغميم فلما وصل رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الحديبية بركت ناقته فقال حبسها حابس الفيل والله لا تدعوني قريش اليوم خطة فيها
صلة رحم الا اعطيتهم اياها ولم يكن ثمة ماء فنزع سهما له في بير فغارت وهاجت حتى كفى الجيش
ثم جاءت المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم والكفار وتنازعوا حتى جاءه سهيل بن عمرو
العامري وقاضاه على ان ينصرف وياتي في العام القابل وان يكون بينهم صلح عشرة اعوام يامن
بعضهم بعضا على ان من اتاه منهم مسلما رده اليهم ومن اراه لا يردوه فغظم ذلك على المسلمين
ووقع ما وقع ولذا سمي عام القضية قال ابن سيد الناس في قواعده فان قيل لم التزم صلى الله
عليه وسلم الصلح وما شرطوه مع ما فيه من ادخال الضيم على المسلمين والدنية في الدين قلنا
وقع ذلك دفعا لمفاسد عظيمة وهي قتل المومنين والمومنات الذين كانوا حاملين بمكة لا يعرفهم
اهل الحديبية وفي قتلهم معرة عظيمة على المومنين فاقتضت المصلحة ايقاع الصلح على ما اراد وهو
وهو هوين من قتال وليرجع مع انه علم انه في تاخير القتال مصلحة عظيمة وهي اسلام جماعة
من الكفار قال تعالى ليدخل الله في رحمته من يشاء اي في ملة الاسلام وقال لو تزيلوا لاية والى هذا
اشار بقوله وما وقع في نفوس الناس من ذلك اي من صلح الحديبية حتى راجعه صلى الله
عليه وسلم في ذلك عمر رضي الله عنه مرارا وقال ما قالوا واشار تخوا طرهم وقال ابن المنير
لم يكن ذلك شكا وريبة ولكن من فرط الغيرة وقوة الحمية على الحق والغضب لله ولرسوله
وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من علمه بالعاقبة الحميدة ما ليس عندهم فلما تبين لهم ذلك
عادوا للرضا والوفاق وقيل في تفسير الاية وسبب نزولها غير هذا الذي تقدم من ان هذه
الرؤية لم تكن عام الحديبية وانما كانت قبيل بدر وهي التي في قوله تعالى اذ يريكهم الله في منامك
قليلا الاية واما قولهم انه قد سماها في الحديث مناما وفي حديث اخر بين النائم واليقظان
كالمتعاذ جالس فقوله ايضا وهو نايم وقوله ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام فلا حجة فيه للقول
بالتهاد ويامنام هما مر اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك اليه وهو نايم بقوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث فهمز بي بعقبه السابقة مع ما يضاهيه او اول حمله على البراق والاسراء به وهو
نايم ولا يخفى بعده مع كونه صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه وقيل ايضا انه مخالف
للظاهر فهو مشترك الالزام ولعل الحديث انه كان نائما في المسجد فلا يدل عليه قوله ثم

استيقظت

ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام فانه يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يستيقظ قبل وصوله اليه
وعوده وكون استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظت من نوم اخر تكلف لا حاجة اليه وتاييده بانه لم
يستغرق الليل باسرائه فيكون لسرعة مسيره ومشقته نام بعده للاستراحة ابعد منه فلذا عبر عنه
بقوله فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت اي خلت في وقت الصباح لان صيغة الترجي تقتضي
ضعفه على عادة المصنفين في التعبير بها او استيقظت من نوم اخر غير ما كان قبله في الحجر او في
بيت ام هاني او غيره بعد وصوله بيته اي البيت الذي كان فيه فالاضافة لادنى ملابسة فلا
ينافي ما قلناه ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان في بعضه بدليل قوله تعالى ليلا في
الاية كما ذكره المفسرون وقد يكون قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام وعبر بقد اشارة لضعفه
ايضا لما بكسر اللام وتخفيف الميم احترازا من ما المصدرية كان غمره اي لاجل الذي اي عرض له
بما يدهشه ويستغرق لبه وفكره من عجايب ما طالع اي شاهد ورأى من ملكوت السموات
والارض الذي لم يطلع عليه غيره من البشر فاستعار لتلك المشاهدة الغمرة وهي ما يغمر من الماء
ويقطر منه ففيه استعارة تصريحية تبعية او مكنية وتخييلية او هو تشبيه بليغ كقوله الخيط الابيض
من الخيط الاسود من الفجر على ان من تجريدية بيانية ولما كانت المطالعة بمعنى المشاهدة بالحواس
الظاهرة قدمها قدمها واتبعها بقوله وخاطر باطنه بالخا المعجمة والف وميم ورا مهملة بمعنى مازجه
وخالطه لا بمعنى ستره ومنه الخمر لسريانها في بدن شاربها وان قيل انها سميت بها لسترها
العقل والمراد بباطنه قلبه وحواسه الباطنية من مشاهدة الملا الاعلى وتعبيره بالمشاهدة يقتضي
ما فسرنا به المخامرة وان اشتهرت بمعنى الستر كما في قول سلمان الفارسي لابي الدردا رضي الله عنهما
حين دعاه الى الارض المقدسة يا اخي ان بعدت الدار من الدار فان الروح من الروح قريب وطير السماء
على ارفه خمر الارض يقع على اي حصب يستر وجهه وجه الارض يعني ان وطنه ارفه وارفق به
فلا يفارقه والمراد بالملا الاعلى السموات وما فيها او الملايكة لان الملا الجماعة الاشراف وما
راى من ايات ربه الكبرى العظيمة التي تدهش عظمتها من
راها وما قيل من انه خلاف الظاهر لانه صلى الله عليه وسلم اثبت الرسل قلبا فلا تعروه لذلك
دهشة ليس بشي لانه لم يرد بها دهشة بمرتبة الذهول وان كان قوله فلم يستفق يقال افاق
واستفاق بمعنى تنبه واستيقظ من نومه ويرجع الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام يوهمه
اذ المراد به حالة اعترته الستة عالم الدنيا وكسته حلة ملكية على انه لو سلم كان مويدا للمص غير وارد
عليه وليس المراد انه عرض له صلى الله عليه وسلم النوم في رجوعه كما توهم فانه ينافي قوله ووجه
ثالث وهو ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على مقتضى ظاهر لفظه وضاد مقتضى يجوز فيها
الفتح والكسر والمراد بلفظه قوله ثم استيقظت وانا بالمسجد الحرام ولكنه سرى بجسده وعيناه نايمتان
وقلبه حاضر وان غض بصره كالنايم منا فهو مسلم وللتيقظان ورويا الانبياء عليهم الصلاة والسلام
حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد قيل عليه ان كون عينه صلى الله عليه وسلم نايمة مع الاسرا
بجسده مع انه خلاف المعتاد لا فايدة فيه وما ذكره المص من الحكمة الاتية من انه لئلا يشغله شي من
المحسوسات عن الله لا يدفع ما ذكر لان الحكم حينيذ للروح فلا معنى لرفع الجسد وهو حاصل
بدونه وقوله تعالى لنريه من اياتنا الكبرى يا باه وقد استدل عليه المص بقوله الاتي ولا يصح ان يكون
هذا في وقت صلاته الخ والجواب بانه ليشاهده الملايكة وتفيض عليهم بركاته لا يجدي نفعا
وقد مال بعض اصحاب الاشارات يعني بهم مشايخ الصوفية والمراد بالاشارة ما ياخذونه من

الحقايق من النصوص القرانية وغيرها وهم لا يقصدون بتفسيرهم انه صريح النص كما ذكره
العز بن عبد السلام ومن لا يعرف ذلك يعترض عليهم بما لا وجه له الى نحو من هذا اي الى قريب
مما قاله صاحب هذا الوجه حيث قال تغميض عينيه لئلا يشغله شي من المحسوسات عن الله
قال الزمخشري في شرح الفصيح قولهم جسم حساس لحن كالحنوا في في قولهم محسوسات لان فعال
لا يبنى من افعل والحق ثبوته وثبوت حس بمعنى احس كما قاله الدماميني في شرح التسهيل والنووي
في شرح مسلم فعلى هذا لا لحن في هذه العبارة ولا يصح ان يكون هذا المذكور من ان الاسرا بجسده
صلى الله عليه وسلم وهو نايم ليوفق بين الروايتين ان لم نقل بالتعدد في وقت صلاته بالانبياء
عليهم الصلاة والسلام لان النايم لا يصلي ولا تصح صلاته وظاهره انه فيما عداه من امور الاسرا صحيح
بلا تردد وانما يأباه لفظ الحديث ولا يخفى ان مناجاة ربه ومراجعة موسى عليه الصلاة والسلام
كذلك فكان ينبغي ان يقول والامور الواقعة في حديث الاسرا لا يصح في بعضها ان يكون مناما
فان قيل يجوز ان يكون راي ذلك في المنام قلنا وكذا يجوز ان يكون راي في منامه
انه صلى الله عليه وسلم صلى بهم ايضا الا ان يفرق بينهما ولعله كان له صلى الله عليه وسلم في هذا
الاسرا حالات فكان في بعضها نايما غاضا لبصره تادبا او لئلا يرى سوى ربه وفي بعضها مستيقظا
وفي بعضها بين النايم واليقظان وبهذا يجمع بين الروايات وقيل ان الحديث الذي وقع فيه هذا
ملفق من احاديث وهذا الوجه قيل انه حدس وتخمين ولو تركه المص كان احسن لما ووجه رابع
لتاييد كونه تيقظة وتاويل ما يخالفه وهو ان يعبر بالنوم هاهنا في هذه الرواية عن هيئة النايم
من الاضطجاع بيان للهيئة والاضطجاع الصاق بدنه ممتدا بالارض غير جالس ولا قايم فهو استعارة
او مجاز مرسل للزومه للنوم غالبا فكان على هذه الهيئة عند وصول الملك اليه وفي بعض النسخ
اذ كثيرا ما يعبر بالنوم عن الاضطجاع ونحوه لما بينهما من الملابسة وفي بعض الشروح هنا
تكرار لا حاجة اليه ولذا قال انه يتعين كونه مجازا مرسلا وليس بلازم ويقويه اي يقوي هذا
التاويل هذا في رواية عبد بن حميد الامام الحافظ المتقدم ترجمته وعبد غير مضاف هنا وهو ابو
نصر عبد الرحمن بن الكشي ويقال اللجي بشين او جيم عن همام بفتح الها وتشديد الميم الاولى ابن يحيى
العوذي بفتح العين المهملة وسكون الواو وذال معجمة ويا نسبة منسوب للعوذ بطن من الازد
امام ثقة اخرج له الستة وتوفي سنة ثلاث وستين ومائة بينا انا نايم وربما قال اي النبي صلى
الله عليه وسلم مضطجع فتعبيره بهذا تارة وبهذا اخرى يشهد لانهما بمعنى وفي رواية هدبة
بضم الها وسكون الدال المهملة والموحدة وتا تانيث ابن خالد القيسي البصري الحافظ الثقة روى
له الشيخان وغيرهما وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائتين وفي بعض النسخ بدل هدبة معاوية
عنه اي عن همام بينا ان في الحطيم وربما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحجر تقدم الكلام
فيه والتوفيق او القايل هدبة فيكون شكا من الراوي وبه جزم بعضهم وقوله في الرواية الاخرى
بين النايم واليقظان يؤيد كون المراد بالنايم المضطجع فيكون سمي هيئته اي هيئة النبي صلى
الله عليه وسلم او هيئة النوم بالنوم لما كانت تلك الهيئة هيئة النايم حقيقة غالبا اي في الغالب
وبما ذكرنا سابقا من ان هذا في اصول اول وصول الملك له سقط ما قيل من ان هذا ينبو عنه
السمع لان ركوبه صلى الله عليه وسلم البراق وربطه بالحلقة وصلاته بالانبيا عليهم الصلاة والسلام
يأباه واما قوله فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام فاول ايضا بما مر فلا ينافي هذا فتامله وذهب
بعضهم الى ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب اي قربه صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم الواقعة في رواية هذا الحديث اي حديث الاسرا انما هي من رواية شريك
عن انس رضي الله عنه وهي منكرة من روايته لا مطلقا والانكار
المراد به معناه اللغوي او مصطلح المحدثين وهو رواية المتغير بسوء حفظه المخالف للثقات وشريك
طعن فيه ابن حبان وغيره وقالوا ليس يثبت اذ شق البطن اي بطنه وصدره صلى الله عليه وسلم
في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه الصلاة والسلام وهو عند مرضعته حليمة كما
مر وقبل النبوة اي قبل ظهورها للناس هذا بيان لوجه انكار هذه الرواية وقد تقدم عن الامام
السهيلي وغيره ان الشق وقع مرتين مرة لتثبيته للنبوة ومرة اخرى بعد مبعثه ليقوى
على المعراج ومشاهدة عجائب الملكوت فلا يرد ما ذكر على هذه الرواية بمقتضى انها منكرة وقيل
انه وقع اربع مرات عند حليمة وبحرا وليلة الاسرا ومرة اخرى في النوم الا ان ابن حجر قال ان
هذه لم تثبت كما تقدم ولانه اي شريك قال في هذا الحديث الذي رواه عن انس رضي الله عنه
قبل ان يبعث والاسرا بالاجماع من المحدثين كان بعد البعث مصدر ميمي بمعنى البعث وقد تقدم
الكلام فيه فهذا كله يوهن بتشديد الها اي يضعف او تخفيفها لانه يقال وهنه واوهنه فوهن
اي ضعف ما في رواية انس هذه التي رواها شريك عنه مع ان انسا قد بين من غير طريق
اي من طرق متعددة لا من طريق واحدة انه انما رواه عن غيره من الصحابة كمالك بن صعصعة وابي ذر
عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو من مرسل الصحابي وفيه ان مرسل الصحابي اذا روي من طرق
مقبول فهذا لا يضعفه وانه لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم بيان لانه سمعه لانه سمعه
من غيره فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة على الشك
من مسلم فلعل مستعارة من الترجي بجامع عدم الوقوع فيهما وقال الحاكم مدار حديث المعراج على انس
رضي الله عنه وقد سمع بعضه من مالك بن صعصعة وبعضه من ابي ذر وبعضه من ابي هريرة وقال
انس مرة كان ابو ذر يحدث اي ينقل حديث الاسرا السابق عنه صلى الله عليه وسلم واما قول
عائشة رضي الله عنها ما فقد جسده صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه عنها ابنا اسحاق
وجرير وتقدم ان فيه رواية ما فقدت بالاسناد لضميرها والاسناد للفاعل وهو في هذه الرواية
مبني للمجهول فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة له صلى الله عليه وسلم لانه كان بمكة قبل تزوجها
او قبل ولادتها كما اشار اليه بقوله لانها لم تكن حينئذ اي في وقت الاسرا وزمانه زوجة
له صلى الله عليه وسلم ولا في سن من يضبط بالتحتية والفوقية اي لم يكن سنها وعمرها حينئذ
سن ضبط واتقان لعدم تمييزها لصغرها فهو مستعار من الضبط وهو الامساك والحفظ
للعلم والتمييز فالرواية عنها ليست مسلمة او هي حدثت به عن غيرها فعلى رواية ما فقد الامر ظاهر
وعلى رواية ما فقدت فيه تقدير اي قال فلان او فلانة ما فقدت الخ وهو في غاية البعد كما قيل
ولعلها لم تكن ولدت بالبنا للمجهول بعد مبني على الضم اي بعد هذه القصة ووقوعها وهي
ضد قبل ويستعملان في التقدم والتاخر المتصل والمنفصل والمراد والمراد هنا الاول او المراد
زمان وقوعه للمجاورة والتضاد وهو استعمال شايع وحينئذ لا ينبغي ان يسبب لها هذا
القول اذ لم يثبت كما سياتي وكونها حدثت به عن غيرها يابا سياقه على الخلاف في زمن الاسرا متى
كان فان الاسرا كان في اول الاسلام بمكة قبل الهجرة قول محمد بن مسلم بن شهاب الزهري
ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة في وقت الهجرة بنت ثمانية اعوام فعلى
هذا لم تكن ولدت في زمان الاسرا وقد قيل كان الاسرا لخمس قبل الهجرة هذه اللام توقيتية

اي وقت هو سنة خمس كما فصله النحاة في باب العدد وفصل التاريخ وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه
اي العقد الاصح الاولي والاحسن انه خمس لان مثله يكون كثير الشبه بخلاف النادر الغريب الذي
لا نظير له والحجة لذلك تطول وليست من غرضنا اي ليس مقصودنا في هذا الكتاب بسط الادلة
والحجج الا لتقابل ما صح من اوصافه صلى الله عليه وسلم او المراد ان مقصوده الاختصار وعدم
التطويل وتفصيله كما في المقتفى لابن المنير قال الا قوال فيه كثيرة اصحها عندي قول ابراهيم الحربي
انه كان ليلة الاثنين سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة وقيل بعد المبعث بخمس سنين وقيل
بعده بخمسة عشر شهرا وقال ابن اسحاق اسري به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام وفي مسلم
عن انس بدا ان قيل ان يوحي اليه ولا يصح هذا بوجه الا علي القول بانه منام كما وقع لعايشة انه كان
بالمدينة ورجح القاضي فيما من القول بانه قبل الهجرة بخمس سنين وقول ابن اسحاق انه قبل الهجرة
بسنة وضعفه هذا بان خديجة صلت معه صلى الله عليه وسلم وهي مانت قبل الهجرة بمدة اقلها
قيل فيها ثلاث سنين والصلاة لم تفرض الا في الاسرا وهو غير وارد لانه صلى الله عليه وسلم كان
قبل الاسرا صلاة غير الخمس علي خلاف فيها والحجة لنا في ترجيحه انا كل قول سواه خرج مخرج
التقريب لا التحديد لانه لم يعين فيه الشهر فضلا عن اليوم وقول الحربي عين فيه ليلة بعينها
من شهر بعينه وسنة بعينها فقال ليلة سبع وعشرين من ربيع الاخر قبل الهجرة بسنة واذا تعارض
خبران احدهما احاط راويه بتفصيل في القصة زايد فالمفصل احمد ذهنا واوعي قلبا ممن
اجمل وعليه الفقها في كتاب الشهادة اذا ارخت احدي البينتين واليوم الذي اسفرت عنه
ليلة الاسرا يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول واذا كان الثاني عشر من الشهر يوم الاثنين كان
اوله الخميس قطعا فاول ربيع اما السبت او الاحد او الاثنين لان بين كل يومين متقابلين من
سنتين ستو اربعين اما ثلاثة ايام او اربعة او خمسة واذا اكملوا الوقفة من كل سنة خامس يوم
من الوقفة التي قبلها او رابعه او سادسه واعدل الاحتمالات للخامس فالجمعة يعقبها الثلاثا
والاثنين يعقبها الجمعة وقد يكون الرابع وقد يكون السادس وذلك بحسب التمام والنقص
الي اخر ما ذكره وقد قدمنا فاذا لم تشاهد المذكور من ذلك الاسرا عايشة رضي الله عنها
دل عدم مشاهدتها علي انها حدث بذلك عن غيرها من الصحابة فحديثها من مرسلات
الصحابة فهو صحيح ايضا كما عليه المحدثون الا انه ان لم يوفق بينه وبين غيره فلم يرجح خبرها
علي خبر غيرها الظاهر ان يقول فيرجح خبر غيرها علي خبرها لرواياتها عن مجهول
بل لعدم ثبوته عنها كما سياتي وغيرها يقول لخلافه بما وقع ايضا اي صريحا فان النص
له معارضا منها هذا في حديث ام هاني وفي نسخة من حديث ام هاني بيانا لما وغيره لحديث
ابي ذر ومالك بن صعصعة وابي هريرة وقد قيل عليه ان حديث ام هاني المذكور في الفصل
الذي قبل هذا غير صريح فيما ذكر ويدفع بانه ظاهر فيه والعدول عن الظاهر لا وجه له
وانما منصوب علي المصدرية مصدر آمن بهوني رجع فليس حديث عايشة اي قولها ما فقدت
جسده بالنابة عنها عند المحدثين لما في سنده من العلة القادحة وفي سنده محمد بن اسحاق وقد
ضعفه مالك وغيره والاحاديث الاخر الواردة في الاسرا عن غيرها اثبت اكثر ثبوتا واصح
من حديثها لشانفي اي لا اريد انا وغيري من المحدثين بقولنا اثبت حديث ام هاني وقولها
اسري به صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي وما اي وحديث عن غيرها كحديث عمر رضي
الله عنه الذي ذكرت فيه خديجة رضي الله عنها لانها لم يرد في الصحيح بل احاديث اخر

تعارضها

بقارنها غيرها هذا وايضا فقد روي في حديث عائشة ما فقدت باسناد الفعل المعلوم لضميرها
كما روي ما فقد بالمجهول المسند لغيرها كما مر ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم الا
بالمدينة والاسراء كان بمكة وهي صغيرة ليست عنده اولم تولد والجملة حالية وهذا يدل على عدم
صحتها وتاويله بما علمت من هذا او بكونه حكاية لكلام غيرها في غاية البعد وكل هذا اي ذلك المذكور
سابقا ولاحقا مما سبق وما تاخر يوهنه بالتشديد والتخفيف اي يضعفه بل الذي يدل عليه
اي الذي يدل على ما ذكر من عدم صحته عنها صحيح قولها اي ما صح عنها رضي الله عنها من رواية
اخرى ان الله اي الاسراء بجسده الشريف لانكارها رؤياه صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الاسراء
رؤيا عين فان هذا يدل على ان الاسراء بجسده صلى الله عليه وسلم الا انه لم يرد به عيانا ولو كانت
الرؤيا في الاسراء عندها مثلا ما انكره لان رؤيا المنام جائزة وانما الكلام في رؤيا العيان والخلاف
فيها فتراعيها في ذلك الاتي يدل على ما ذكر وهذا يدل على انها قولا آخر مرويا عنها مخالف لما
اشتهر وهذا معنى قوله فيما سبق دليل قولها فتذكره وليس وصف قولها بانه صحيح مناقض
لما مر من الطعن في حديثها لان هذا رواية اخرى لهذا او ما قيل من انه مؤول لكونه مثلا ما عندها
ناشئ من عدم التدبر وانه قيل في رد كونه يقظة قال الله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى فجعل ما
راآه للقلب اي اثبت الرؤية للقلب دون البصر وعلتها به وفيه اشارة الى ان الفؤاد بمعنى القلب
وله معان اخر وما مصدرية والجار والمجرور متعلق بجعل او بمقدر اي مسند للقلب وهذا الجعل
او المذكور يدل على انه رؤيا بنوم او وحي بالجر عطف على نوم لا شاهدة عين وحس بصري
والعطف تفسيري قلت في الجواب عنه بقابله اي بمعارضه فيسقطه عن مرتبة الاحتجاج وتاتي
الاشارة الى انملا بمعارضه ايضا ما زاغ البصر وما طغى الخ بمعنى مال وطغى تجاوز عن الرؤية
المتحققة بلا ابتها وتيقنها فما شاهد الاسراء اي امر الرؤية للبصر وتقابل ايضا ما قد قال اهل
التفسير في تاويله حتى لا يعارضه ولا ينافيه في تفسير قوله ما كذب الفؤاد ما راى اي معناه
لم يوهم القلب المعنى فهو مفعول القول والقلب مرفوع فاعل يوهم والعين مفعوله منصوب
وقوله غير الحقيقة مفعولا ثانيا لانه ينصب مفعولين وغير بفتين بمعنى وشناعة تخييل وراء
مهملة وتقله على بعض الشروح انه يجوز في كل من العين والقلب الرفع والنصب والمرفوع فاعل
تقدم او تاخر وتوقف في فهمه التلمساني وليس بمحل توقف لانا لما رأينا البصر والبصيرة
متفقان لم يخالف احدهما الآخر لوقوعهما على الحقيقة لانا العين قد ترى امرا ثم يتبين
خلافه وانه غير متحقق وقد يتصور القلب شيئا فيتاهر خلافه والحاصل انه ما راه ليس تخيلا
كاذبا بل امرا محققا تواطا عليه العين والقلب وما قيل من الامور القدسية ركنها القلب اولا ثم
مورد ها في البصر ليس بمسلم بل صدق رويتها وقيل في التوفيق بينهما او رفع التنافي ما انكر
قلبه صلى الله عليه وسلم ما رات عينه وهذا قريب مما قبله ولتعارضهما ظاهرا لم يرد وجه
في جمع ابطالكونه مناما ويتطفله عليه واورده سؤالا وجوابا ولما كان محصل الجواب انه يدل
على ثبوت الرويتين سقط ما قيل انه مشترك الالزام والاعتراض بانملا فرق بين الجوابين
لان المراد انه لم يطلع عليه وسوسة نفس ونزغة شيطان تشكك فيما رآه وتوهمه خلاف ما شاهده عيانا

فصل واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل بعينه يقظة

في اسرايه بجسده والرؤية تختص بالبصرية فلذا عبر بها هنا وان اطلقت على غيرها تكون
على خلاف المشهور عكس الرؤيا كما تقدم واختلف السلف فيها فانكرته عائشة رضي الله عنها

ذكر صغير الرويا لان ثابتا المصادر غير معتبر او باعتبار الوقوع وفي بعض النسخ فانكرتها وهي ظاهرة حدثنا
ابو الحسين سراج بكسر السين وفتح الراء المهملة المخففة واخره جيم ابن عبد الملك المراد بالملك
الله في الاعلام لكراهة التسمية بعبد فلان حتى بعبد النبي صلى الله عليه وسلم وهو امام حافظ شيخ
المحدثين وجده وزير المعتضد جليل القدر الحافظ بقراءتي عليه تقدم الكلام فيه قال اخبرني ابي وابو عبد
الله بن عتاب الفقيه تقدمت ترجمته قالا حدثنا القاضي يونس بن مغيث بضم الميم وكسر الغين المعجمة
والمثناة التحتية الساكنة وبالمثلثة يونس مثلث السين كما مر وهو يونس بن عبد الله بن محمد بن مغيث
بن عبد الله الانصاري المعروف بابن الصفار ولد في رجب سنة سبع واربعين واربعمائة وتوفي
بقرطبة سنة اثنين وثلاثين وخمسمائة لثمان من جمادى الاولى قال حدثنا ابو الفضل الصقلي
بفتح الصاد المهملة والقاف وتشديد اللام المكسورة نسبة لصقلية بلد بالاندلس قال حدثنا ثابت
بن قاسم ابن ثابت عن ابيه وجده ثابت بن احزم العوفي السرقسطي وابوه ابو محمد قاسم بن ثابت مولف
كتاب الدلايل في غريب الحديث يروي عن ابيه وجده وعمر جدا حتى قرا عليه وكان ثابت وقاسم
شيوخا في التاليف والشيخ والرحلة وولد ابوه سنة خمس وخمسين ومائتين ومات بسرقسطة سنة
اثنتين وثلاثمائة قال حدثنا عبد الله بن علي قال حدثنا محمود بن آدم هو المروزي توفي سنة
ثمان وخمسين ومائتين قال حدثنا وكيع ابن الجراح بن مليح بن عدي الحافظ الثقة ولد سنة تسع
وعشرين ومائة وتوفي سنة ست او سبع وسبعين ومائة عن ابي خالد هو اسماعيل بن سعيد البجلي
الكوفي توفي سنة خمس وستين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة **عن عامر**
عن مسروق ابن الاجدع **قال قالت لعائشة يا ام المومنين هل راى محمد صلى الله**
عليه وسلم ربه عز وجل ليلة الاسرا بقرينة السوال لانها لا تنكر رويته الاخرة ولا رويته
لاخرة المنام **فقالت** مجيبة له **لقد قف شعري** للعقيق في الشعر معناه قيامه وانتصابه وانما يكون
هذا غالبا عند الفزع والخوف القوي **بما قلت** اي خفت من كلامها اي يهلك الله من قاله ولعله
لانه امر منكر لا يرضاه الله ولم يثبت عندها وقال التلمساني قف بمعنى اقشعر واصله الجلد
يقبض عند البرد والجزع فيقوم الشعر لذلك والمراد انكار ما قاله واستفظامه وما مصدرية
وموصولة في قولها ما قلت **ثلاث من حدثكهن فقد كذب من حدثك ان محمدا صلى الله**
عليه وسلم راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار الاية بيانا لما علي ان
الادراك شامل للروية وانه حكم كلي فان قلنا الادراك بمعنى الاحاطة اي لا يحيط به الابصار ولا
تعرف كنهه ورفع الايجاب الكلي سلب جزيي لم يكن في الاية دليل على ما ذكر وبان بيانه عن قرب
وقد استدل بهذه الاية المعتزلة على نفي الروية مطلقا وردده اهل السنة كما فصل في كتب الاصول وروي
في بعض النسخ من حديث بلا كاف عن العوفي والثلاث الاولى هي هذه والثانية قولها من زعم انه صلى الله
عليه وسلم كتم شيئا من الوحي ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الخ والثالثة من زعم
انه صلى الله عليه وسلم يخبر بما يكون في غد فقد اعظم الفرية ثم قرات ان الله عنده علم الساعة
واعلم ان هذا الحديث في البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وهو في البخاري عن يحيى عن وكيع
بسند المتن فهو من الوسوافقة كما فصله البرهان **وذكر مسروق الحديث** بتمامه كما سمعته انفا من
ذكر الثلاث قال المسروق وكنت متكئا فجلست وقلت يا ام المومنين انظريني ولا تعجليني الم يقل الله
تعالى ولقد راه بالافق المبين ولقد راه نزلة اخرى فقالت انا اول هذه الامة سال ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال انما هو جبريل لم ار على صورته التي خلق عليها غير هاتين

المرتين كما رواه مسلم وقال جماعة من المحدثين والعلما لا المتكلمين لان خلافهم ليس في رؤية الاسرا بقول
عايشة رضي الله عنها وهو المشهور عن ابن مسعود وغيره ومثله اي مثل قول ابن مسعود وعايشة
روي عن ابي هريرة رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى
انه اي ابا هريرة بفتح الهمزة انما راى جبريل لا ربه عز وجل كما قيل فاتى بصيغة ابا للرد على
من فسر الاية بما ذكر واختلف بالبنا للمفعول في النقل عنه اي عن ابي هريرة فروي عنه انه قال
راه بعينه كغيره وفي رواية اخرى انكره وقال بانكار هذا القول المجوز لرويته ووقوعه
وامتناع رويته في الدنيا وجوازه في الاخرة جماعة من المحدثين انكروا صحة نقله عنه صلى الله عليه
وسلم والفقها ذكروه في مباحث الردة والكفر وانه احد لو قال رايت الله بعيني في الدنيا هل يكفر ام
لا والمتكلمين من علما اصول الدين والخلاف بين اهل السنة والمعتزلة في هذه المسيلة وادلتها مشهور
في كتبهم حتى انها فرد بالتاليف وعن ابن عباس انه راه بعينه وروي عطا عنه اي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه راه بقلبه وعطا هو ابن ابي رباح الفقيه المكي وعن ابي العالية وهو رفيع
بن مهران الرياحي وقيل هو زياد فيروز وقيل اسمه فيروز عنه اي عن ابن عباس انه راه
بفواده مرتين وذكر ابن اسحاق صاحب المغازي عن عبد الله بن ابي سلمة ان ابن عمر
رضي الله عنهما ارسل الى ابن عباس يساله هل راى محمد ربه فقال نعم
مراده هل راه يقظة بعينه فقوله والاشهر عنه اي عن ابن عباس انه راى ربه بعينه وفي نسخة
بعينيه مثنى وهما بمعنى تفسير للرواية التي قبله وان كان ظاهره انه غيره لتخالفهما في العبارة
وروي ذلك عنه من طرق اي باسانيد مختلفة لا معنى يقوي بعضها بعضا وهو لا ينافي ما روي
عنه انه راه بفواده فهو كقوله تعالى ما كذب الفواد ما راى وما زاغ البصر وما طغى كما مر وقال
اي ابن عباس فيما رواه عنه الحاكم والنساي والطبراني وهو في معنى ما قبله في ان الروية فيهما
بصرية ان الله اختص موسى بالكلام بغير واسطة لقوله تعالى وكلم الله موسى تكليما وابراهيم بالخلة
بضم الخا المعجمة لقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالروية البصرية
لا القلبية لعدم اختصاصها به صلى الله عليه وسلم قيل عليه ان الخلة والكلام لنبينا صلى الله عليه وسلم
ايضا فتفريق هذه الخصايص غير ظاهر واجيب عنه بان مراده ان موسى الكليم
اشتهر بذلك وان كان نبينا صلى الله عليه وسلم كلمه الله في الاسرا في مقام اعلى والخلة ثبتت
له مع زيادة المحبة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل وحبيب كما اعترف به الخليل عليه الصلاة
والسلام في حديث الشفاعة حيث قال انما كنت خليلا من ورا ورا وهذا الجواب لا يجدي نفعا فالاولى
ان المراد بالكلام مناجاته تعالى بغير واسطة في الارض وبالخلة معاملة مخصوصة له مع الله تعالى في
هذه الدار ايضا وسياتي بيانه وحجته اي دليله على الروية قوله تعالى ما كذب الفواد ما راى اي ما
اعتقد قلبه خلاف ما راه ببصره في مشاهدة ربه فسماه كذبا تجوزا لاشتراكهما في ان كلا منهما خلاف الواقع
اي ما راه صلى الله عليه وسلم ببصره ليلة الاسرا لثبوت ذلك بالاحاديث الصحيحة واما انكار عايشة
رضي الله عنها لذلك فقد تقدم ما فيه واستدلالها بقوله تعالى لا تدركه الابصار اجابوا عنه بوجوه
منها ان الادراك بالبصر ليس رؤية مطلقة بل رؤية على وجه الاحاطة بجوانب المرئي لان حقيقة
الادراك اللحوق والوصول كقول اصحاب موسى انا لمدركون او الزمان كما يقال ادرك فلان النبي صلى
الله عليه وسلم والصفة كما يقال ادرك الغلام اذا بلغ وادركت الثمرة اذا نضجت ثم نقل لابصار الشي
المتناهي المحدود بالجهات لتوهم معنى اللحوق فيه كما ان البصر قطع المسافة التي بينه وبينه

حتى بلغه ووصل اليه فابصار ما ليس في جهته لا يتحقق فيه معنى البلوغ فلا يسمى ادراكا فلا يلزم
من نفيه وهو رؤية مخصوصة نفي المطلقة وهذا تحقيق ما في التفسير وكتب الكلام افتمارونه
على ما يرى اي اتجادلون في رؤيته لما راه من مرئيت الضرع اذا مسحته للحلب فاستعير للمجادلة كان
كلا من المتجادلين يمتري ما عند صاحبه لطلبه له ولقد راه نزلة اخرى اي مرة اخرى قال ابن عباس
رضي الله عنهما كانت له في تلك الليلة مرات من العروج ولكل مرة نزلة السما اخرى لما راجع في حط
الصلوات وهذا مراده هنا قال الماوردي الامام الجليل ابو الحسن علي بن محمد الشافعي صاحب
التاليف الجليلة كالتفسير الكبير والحاوي وغيرهما وتقدمت ترجمته وهذا نقله عن ابن سيد الناس
في سيرته قيل ان الله قسم اي جعل كلامه ورؤيته مقسومان بين موسى ومحمد صلى الله عليه
وسلم فراه محمد صلى الله عليه وسلم مرتين حيث كان قاب قوسين او ادنى وعند سدرة المنتهى وكلمه
موسى عليه الصلاة والسلام مرتين مرة وقت ارساله لفرعون ومرة بعد هلاكه ورجوعه للطور والحق
انه كلمه في الدنيا مرارا عديدة في مناجاته ولذا خص عليه الصلاة والسلام بالكليم لانه لم يكلمه في الدنيا
بغير واسطة غيره ولا يلزم من هذا شرف على نبينا صلى الله عليه وسلم لتكليمه اياه مع قربه في حظاير
قدسه لكن لكون تكليم موسى بما يعرفه الناس خص بكونه كليما فاندفع ما مر وحكى ابو الفتح الرازي
ليس هو الفخر الرازي كما توهم وابو الليث السمرقندي الحنفي وقد قدمنا ترجمته والمحكي ما مر عن
الماوردي كما اشار اليه بقوله الحكاية التي ذكرها الماوردي عن كعب وليست ضعيفة وصيغة قيل
في كلامه ليست للتمريض فانها يقصد بها مجرد النقل فان قلت كيف قال قسم الكلام والرؤية
والقسمة انما تكون لي امر واحد يوزع بين اثنين فاكثر ولذا قيل ان هذه العبارة مما لا ينبغي قلت
هذا وهم من قايله فان المراد قسم تقريبهما وتعظيمهما قسمين وجعل قسما لهذا وقسما لهذا كقوله
قسم الاله الامر بين عباده ۞ فالصب ينشد والخلي يسبح ۞
وروى عبد الله بن الحارث كما ذكره الترمذي وهو عبد الله بن نوفل بن الحارث ابن عبد المطلب
البصري سكن الوالي بها مات بنعمان بعد انقضا فتنة ابن الاشعث لما خرج اليها هاربا من الحجاج وولد
في زمنه صلى الله عليه وسلم ومات سنة اربع وثمانين ومن الرواة ايضا عن عبد الله بن الحارث ابو الوليد
البصري حدث عن ابن عباس وهو زوج اخت محمد بن سيرين وجزم الشمني رحمه الله بانه هو
المذكور هنا وهو الراجح لان عبد الله الاول وان وافقه في الاسم والنسبة لكن الحارث جده وهذا راوي
ابن عباس كما مر قال اجتمع ابن عباس رضي الله عنهما وكعب اي كعب الاحبار فقال ابن عباس انا
نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا راى ربه مرتين خص بني هاشم لانهم اقرب اليه واعرف بحاله لا سيما
قبل الهجرة وكان اجتماعهما بعرفة كما ذكره الترمذي وبنو هاشم مرفوع بدل من نحن كما في النسخ ولو
نصب على الاختصاص جاز وليس المراد ببني هاشم ما سوى العباس وظاهره انه راي واجتهاد
منهم وهذا لا ينافي ما مر عن ابن عباس لان عنه روايتين فلا وجه للاعتراض على المص فكبر كعب
الاحبار لسروره بمقالته الموافقة لما عنده حتى جاوبته الجبال اي رفع صوته بالتكبير حتى سمع
صداه من الجبال وجعله جوابا تجوزا ويجوز ان يكون تكبيره تعجبا مما قاله قاله واستعظاما له لقوله
وقال اي كعب الاحبار ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى وراه محمد
بقلبه فيكون منكرا لرؤيته بعين راسه او نقول هو موافق لان الرؤية القلبية لا تنافي البصرية
وعليه الشراح وانفراد موسى كون نبينا صلى الله عليه وسلم كلمه ايضا بغير واسطة كما مر وروى
شريك تقدم الكلام عليه وعلى روايته عن ابي ذر في تفسير الاية المذكورة ما كذب الفواد ما راى

بنوا

الاية

الاية قال رأى محمد وفي نسخة بدل النبي صلى الله عليه وسلم ربه هذا الكلام مجمل متفق عليه وقيل المراد
انه رآه بقلبه بشهادة اول الاية وفيه نظر وحكى السمرقندي الحنفي المتقدم عن محمد بن كعب القرظي
بضم القاف وفتح الرا وكسر الظا المعجمة نسبة لبني قريظة وهو تابعي واسمه محمد كما تقدم وربيع بن انس
التابعي الذي تقدمت ترجمته فالحديث مرسل كما رواه ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض الصحابة
ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رايت ربك فقال رايته بفوادي
ولم اره بعيني وهذا يحتمل ان يكون في المرة الاولى فانه روي عن ابن عباس وغيره انه رآه
مرتين فلا ينافي ما مر وما قيل من ان المراد نفي مجرد الروية او نفي رؤيته كساير الاشيا المرئية تعسف
لا ينبغي ذكره هنا وروى مالك بن يخامر بضم المثناة التحتية وخا معجمة يليها الف وميم مكسورة
ثم را مهملة علم منقول ممنوع من الصرف وهو سكسكي حمصي يقال ان له صحبة والاصح انه تابعي
روى عن معاذ بن جبل كما ذكره المص وعبد الرحمن بن عوف وغيرهما ومات سنة سبعين او اثنين
وسبعين وروى عنه جماعة عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت ربي في حديث
رواه احمد بن حنبل وغيره وهو حديث صحيح اوله قال معاذ رضي الله عنه صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الغداة ثم اقبل فقال اني ساحدثكم اني قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست وفي رواية فوضعت جنبي
فاذا انا بربي في احسن صورة فقال يا محمد فيم يختصم الملا الاعلى قلت انت اعلم اي ربي فوضع كفه وفي رواية
يده بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات والارض ثم تلى وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض الخ ثم قال فيم يختصم الملا الاعلى يا محمد قلت في الكفارات قال وما هن قلت المشي على
الاقدام الى الجماعات والجلوس في المساجد خلف الصلوات وابلاغ الوضوء اماكنه في المكاره من يفعل ذلك
يعش بخير ويمت بخير ويكون من خطيئته كيوم ولدته امه وروي يخرج من خطيئته ومن الدرجات اطعام
الطعام وبذل السلام وان يقوم بالليل والناس نيام قال قل اللهم اني اسئلك الطيبات وترك المنكرات
وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني وتتوب علي واذا اردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون وهذا الحديث
اخرجه ايضا الترمذي والبغوي في المصابيح وهو تمثيل لتجلي الله له بلطفه وحسن معاملته وما افاضه
عليه من المعارف الكاشفة لغيبه مع ثلج صدره ببرد اليقين وتحقيقه في شرح المصابيح وشرح الاربعين للصدر
القونوي وادراج بعض الشراح له هنا في المتن كعادته غير متجه وذكر كلمة اشارة لما مر وهو
اسم جمع لكلمة مضافا لضمير الله او الحديث لادنى ملابسة فقال الله فيم يختصم الملا الاعلى
اي فيم يختصم اي فيم يسال الملايكة بعضهم بعضا عن المراتب المقربة الى الله المكفرة للخطايا ولذا امره
صلى الله عليه وسلم بالدعا بنيل كمال هذه المراتب الحديث بالنصب اي اقرا او اذكر وحكى عبد الرزاق
همام بن رافع الصنعاني صاحب التصانيف الجليلة اخرج له الايمة الستة وتوفي سنة احدى عشرة
ومايتين وترجمته مشهورة ان الحسن البصري السابق ذكره وترجمته كان يحلف بالله لقد
راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه بعين بصره وحكاه ابو عمر الطلمنكي عمر
بزنة زفر وهو بالطا المهملة واللام والميم المفتوحات وسكون النون وكاف مكسورة يليها ياء
نسبة كما ضبطه الحفاظ وهو الامام الحافظ المقري احمد بن عبد الله بن لب بن يحيى المعافري
الاندلسي عالم قرطبة ولد سنة اربعين وثلاثمائة وتوفي في ذي الحجة سنة تسع وعشرين واربعمائة
وروى عنه ابن حزم وابن عبد البر وغيرهما من الاعلام عن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما
وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب وهو روية الله بعينه عن ابن مسعود رضي الله عنه وحكى ابن اسحاق
محمد ابن اسحاق بن يسار الامام الحافظ صاحب المغازي وقد تقدمت ترجمته ابن مروان بن الحكم بن ابي

المعاصي بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي ولد سنة اثنين ولم يصح له سماع ولا رؤية وانما
له رواية عن عثمان رضي الله عنه وميسرة وغيرهما وكانت دولته تسعة اشهر واياما وتوفي سنة خمس وستين
في رمضان ثم ولي ابنه عبد الملك وترجمته مفصلة في التواريخ سال ابا هريرة رضي الله عنه هل راى محمد صلى
الله عليه وسلم ربه بعينه فقال نعم وحكى النقاش محمد بن الحسن بن زياد وقد تقدم ترجمته عن احمد
بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينه راى ربه بدل من حديث ولم يزل يكرر ما قاله رافعا
بصره راه راه راه حتى انقطع نفسه بفتحتين اي عجز عن التكلم واعيي فترك التكلم يعني نفس احمد
بن حنبل وانما فسره بذلك لئلا يتوهم عوده لابن عباس وقال ابو عمر السابق ذكره قال احمد ابن
حنبل راه بقلبه وجبن عن القول بفتح الجيم وضم البا وحكى الجوهري فتحها وهو ضعف في القلب يقتضي
عدم الاقدام يريد انه لم يتجرا تادبا عن ان يقول برؤيته في الدنيا بالابصار بكسر الهمزة وفتحها جمع بصر
وتعبيره بالجبن يدل على انها جائزة عقلا عنده وهو الحق وقال سعيد بن جبير الصحابي المشهور رضي
الله عنه لا اقول راه ولا لم يره اي توقف في ذلك ولم يمل لاحد القولين وقد اختلف في تاويل الاية
يعني قوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى عند سدرة المنتهى في النقل عن ابن عباس وعكرمة
والحسن وابن مسعود فحكى ابن عباس وعكرمة راه بقلبه رواه مسلم عنه في صحيحه في تفسير هذه الاية فالضمير
في راه لله والرؤية قلبية وعن الحسن وابن مسعود راى جبريل فالضمير فيها لجبريل عليه الصلاة
والسلام كما في مسلم عن ابن مسعود وابي هريرة فراه بالافق الاعلى وله ستمائة جناح ينتثر منها الدر
والياقوت كما قاله المهدوي وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه وهو كابيه امام في السنة والفقه
اخذ عنه الاعلام وتوفي سنة تسعين ومائتين في سن ابيه انه قال راه اي بعينه لانه المتبادر وقد
روي عنه التصريح به ولا ينافي ذلك ما مر من انه جبن عن القول بذلك لانه قد يخفيه في بعض المجالس
لمقتضى لذلك عن ابن عطا تفسير قوله الم نشرح لك صدرك قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى
للكلام اي قوى قلبه واذهب رعبه حتى سريع مشاهدة جلاله وعظمته وسماع كلامه وقال ابو
الحسن علي ابن اسماعيل الاشعري ابن ابي بشير بن اسحاق بن ابي سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن
موسى ابن بلال بن ابي بردة ابن ابي موسى الاشعري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعروف
ان ابا الحسن هذا شافعي المذهب وقال التلمساني انه مالكي المذهب ونسبته الى اشعر وهو ثابت بن
ادد ويشجب بن يعرب بن زيد بن كهلان بن سبا وكان جرا عظيما وهو امام اهل السنة صاحب التصانيف
المشهورة ولد سنة سبعين ومائتين ومات سنة اربع وعشرين وثلاثمائة وقيل اربع وثلاثين في ذي
الحجة وجماعة من اصحابه انه صلى الله عليه وسلم راى الله ببصره وعيني راسه تاييد لكون الرؤيا بصرية
واضافة العينين للراس احتراز عن عين قلبه وظهره فانها وردت في الحديث وان لم يكن عينا
حقيقية وقال الاشعري رحمه الله تعالى كل اية ومعجزة اوتيها نبي اي اعطاها الله لنبي من
الانبيا فقد اوتي مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد فصله ابن المنير في المقتفي والكلام فيه طويل
لا يسعه كتابنا هذا ولا ينافي هذا تخصيص موسى عليه الصلاة والسلام بالكلام كما مر قيل الحقيقة
المحمدية صورة الاسم الاعظم الجامع للاسما فله التصرف في العوالم ومنه تستفيض وتستمد ما فيها
من جهة حقيقته لا من جهة بشريته فهو الخليفة حقيقة واي معجزة كانت لنبي فهي له اولا وبالذات
ثم جات منه لغيره والى هذا اشار في البردة بقوله

وكل اي اتى الرسل الكرام بها ... فانما اتصلت من نوره بهم

اقول الحق ان تقول ان الله خلق روحه صلى الله عليه وسلم قبل الارواح وخلع

عليها

عليها خلعة النبوة ثم خلق ارواح البشر وامر ارواح الانبيا بان يومنوا به واخذ عليهم الميثاق باتباعه
اذا ادركوه كما نطق به الكتاب العزيز فلما اجابوه اشرق عليهم نوره الروحاني الرباني وصارت
في ارواحهم قوى مستعدة لاظهار المعجزات كما لاوليا امته اذا اظهروا الكرامات لما اشرق عليهم نوره
وهذا هو الذي قصده الابوصيري رحمه الله فاعرفه وخص من بينهم اي اختص صلى الله عليه وسلم
عن ساير الانبيا بتفضيل الروية اي بتفضيله برويه ربه عيانا في الدنيا فلم يره غيره فيها ووقف
بعض مشايخنا في هذا اي توقف فيه فلم يعتقد ثبوته ولا نفيه والمشايخ جمع مشيخة او مشيخ على خلاف
القياس وفيه كلام في شرح ادب الكاتب وقال ليس عليه اي على ثبوته دليل واضح اي صحيح ظاهر
ولكنه جايز بحسب العقل ان يكون اي ان يصح ويوجد في الدنيا قال القاضي ابو الفضل عياض المصنف
رضي الله عنه والحق الذي لا امترا فيه اي القول الذي لا شك فيه ولا شبهة لان المرية هي الشبهة
ان رويته تعالى في الدنيا جايزة عقلا لانه موجود حقيقة في كل موجود وكل موجود يجوز
رويته عيانا وليس في العقل ما يحيلها اي ما يقتضي انها مستحيلة ثم ذكر دليلا نقليا يؤيد
العقل فقال والدليل على جوازها في الدنيا سوال موسى عليه الصلاة والسلام لها بقوله رب
ارني انظر اليك وموسى من اولي العزم لا يسال من الله ما لا يجوز فلو لم يعتقد صحة ذلك ما ساله
والا كان جهلا منه باحوال الربوبية وهو مبرا منه وكلامه في تحقيق الروية لا في وقوعها
فقط فما قيل من انه ليس الكلام في جوازها بل في وقوعها والفرق بينهما ظاهر والقايلين
بامتناعها لهم ادلة على مقالهم وان كانت مردودة والقايلون بالجواز العقلي ذاهبون للمنع
الشرعي ولذا قال النسفي روية الله في الدنيا جايزة عقلا ممتنعة شرعا والمص بصدد اثبات الوقوع له صلى
الله عليه وسلم وهو امر نقلي لا مجال للعقل فيه فكلامه خارج عن المطلوب الا ان يقال انه استطرادي
انتهى ليس بشي لانه ان لم يثبت الجواز لا يثبت الوقوع والوقوع امر نقلي قد بينه اولا ثم حقق ما
يتوقف عليه من الجواز عقلا وما نقله عن النسفي مخالف لما ارتضاه المص واذا كان هذا نقليا وثبت
نقله كيف لا يكون عقليا فما ذكره كلام ممره تركه خير منه وما ذكره المص هو دليل اهل السنة على جواز
رويته تعالى والمعتزلة يقولون لم يسال لجوازه عنده بل لتبكيت القايلين له ارنا الله جهرة ومحال
ان يجهل نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه بتنوين نبي للتنكير والتعميم اي اي نبي
كان فكيف بالكليم عليه الصلاة والسلام وقيل انه للتعظيم اي نبي عظيم من اولي العزم كبار الرسل
والاستحالة عادة مقررة وعقلا لانه بعث لتعليم امته الشريعة والعقايد الحقة وهي معرفة ما
يجوز على الله ويمتنع فلو جهل ذلك كان الله امرا له بما لا يعلمه وهو محال لانه اما جهل او عبث
والمعتزلة يقولون انما يلزم هذا لو كان سوالا حقيقيا اما لو كان لالزام غيره او تبكية لمن سالها من
قومه فلا وهذا مورد لان السياق ياباه وتفصيله في علم الكلام بل لم يسال موسى من
الله الا جايزا مستحيل لان سوال المحال من مثله محال وكونه سالها مع علمه باستحالتها ليتاكد
الدليل العقلي بالسمع وليطمين قلبه كما قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى ثم قال ليطمين قلبي فان
العلم يتفاوت قوة وضعفا مردود بان تفاوته غير مسلم والخليل لم يسال لذلك وانما كان علم
ان الله متخذ خليلا يحيي الموتى بدعايه فسال ذلك ليعلم اهو هو ام لا ولو سلم فلا يلزم طلب
ما لا يجوز وينافي الادب عنده بهذه الطريقة اذ له ان يقول رب بين علم ذلك جوازا واستحالة
ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب اي جوازه مقرر ثابت ووقوعه له دون غيره بمشاهدة ربه
امر مغيب عن كل احد كساير المغيبات الجايزة كالخمس وغيرها فالغيب بمعنى المغيب عن البشر

الذي لا يعلمه الا من علمه الله باخباره به واطلاعه على حاله وقوعا وعدمه مطلقا او في بعض الاحوال
فلذا اعلمه الله به فقال له الله لن تراني اي الرؤيا جايزة ولكنك لا تصل اليها في الدنيا اي لن تطيق
اي تقدر ولا تحتمل رؤيتي اي لا تقدر عليها في هذه الحالة وهذا كله مما يدل على الجواز ثم ضرب
له مثالا اي اتى له بمثال من المخلوقات فانه لا يطيق تجلي الله عيانا لينكشف له امرها ويعلم حاله
من حال غيره مما هو وفي بعض النسخ بما متعلقا بضرب اقوى من بنية موسى واثبت اي اشد
قوة واكثر ثباتا وبنية بكسر البا الموحدة وسكون النون الخلقة والتركيب وهو الجبل في قوله ولكن
انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما لم يثبت الاقوى علم عدم ثباته بالطريق الاولى
ولما كان استقرار الجبل ممكنا كان ما علق عليه ممكن ايضا فعلم منه جواز الرؤية والى ذلك اشار
بقوله وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا اي يقتضي استحالته فيها بل فيه ما يقتضي
جوازها على الجملة كما سمعته انفا من ان سواله وتعليقه بالممكن يقتضي امكان وقوله على الجملة
بمعنى انه بطريق الاجمال لا التفصيل فانه من قبيل اشارة النص والمعروف في كلامهم في الجملة
والمعنى واحد لان المراد جوازا اقتضاه على طريق الاجمال وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها
ولا دليل قاطع على امتناعها وان لم تكن مستحيلة فلا دليل على امتناع وقوعها مطلقا او في
الدنيا اذ كل موجود في الخارج جوهرا كان او عرضا لا في العلم والذهن كما قيل لتصور
الممتنعات وهو تعليل للجواز لان اذ تاتي للتعليل كما حققه النحاة واهل المعاني والتعليق
بالمشتق يقتضي غلبة مبدئه فالعلة الوجود لا الحدوث وهو مشترك بين الباري تعالى وساير
الموجودات فكما تجوز رؤيتها تجوز رؤيته الا انه قيل انه يقتضي صحة رؤية نحو الاصوات والروايح
والمطعوم وكيفية الملموس فانها موجودة مع انها غير محسوسة بالبصر الا ان هذا الدليل منقول
عن الاشعري وهو التزم جواز رؤيتها والكلام في الجواز لا الوقوع فرؤيته جايزة غير مستحيلة
تفسير للجواز فانه قد يقابل الحرمة والوجوب ولا حجة مسلمة عند الخصم لمن استدل على منعها
اي الرؤية بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات في هذه الاية اي قوله لا تدركه الخ نفسها
على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة كما يعلم من ذكره اختلاف التاويل وانما استدل
بها لان نفي الشي عند البلغا يقتضي جوازه والا كان عبثا فلا يقال للحايط انه لا علم له والله تعالى قد
ساق نفي ادراك الابصار في مساق المدح وانما يتمدح بامر ثبوتي كمالي لا بالعدم الصرف فكل نفي مدح
به متضمن امرا وجوديا كنفي السنة والنوم المتضمن لكمال القيومية ونفي الموت المتضمن
لحياة السرمدية فلو كان نفي الابصار معناه انه لا يرى اصلا كساير المعدومات لم يكن فيه مدح بل
المراد لا يحيط بعظمته وجلاله الابصار وهذا ما فهمه الصحابة رضي الله عنهم ولذا فسره ابن عباس
رضي الله عنهما بلا تحيط به الابصار كما ذكره المص وكذا ذكره غيره فنفي الاحاطة تفسير للرؤية
بدونها او المراد العموم اي لا تراه جميع الابصار فان منها ما حجبه فهي سالبة في قوة موجبة جزئية
كما مر واليه اشار بقوله وقد قيل لا تدركه ابصار الكفار وقيل معنى لا تدركه الابصار لا تحيط
به وهو قول ابن عباس لانه كما قيل يحتمل ان يكون رفعا للايجاب الكلي بان يلاحظ الايجاب
الكلي اولا ثم يرد عليه النفي وحينئذ لا احتجاج لهم علينا فانا قايلون بان الكفار لا يرونه او المنفي
ادراك بتقليب الحدقة نحو المرئي فانه المتبادر من اطلاق ادراك البصر وهو المعتاد وانما يحتاج لهذا
اذا كانت تعريف الابصار استغراقيا والا تكون القضية سالبة مهملة فهي في قوة السالبة الجزئية
كما تقرر بمعنى لا تدركه بعض الابصار وتخصيص النفي بالبعض يدل بالمفهوم على الاثبات للبعض

فالاية

فالاية حجة لنا وعلي تقدير تسليم عمومها للاشخاص لانسلم عمومها للاوقات لانها سالبة مطلقة
وهي اي سالبة الدايمة وما ذكرمن ان تدركه الابصار موجبة مطلقة فنقيضها سالبة دايمة ممنوع لجواز
كون الامر بالعكس بل الظاهر عكسه **اقول** كونه دالا بالمنع علي الاثبات للبعض **قال**
بعضهم فيه نظر لان القضية المهملة والدالة علي رفع الايجاب الكلي ليس صريح مفهومها السلب
الجزيي والمقرمن للمنفي عن البعض بل السلب الجزيي لازم مفهومها الصريح المحتمل للسلب الكلي والجزيي
مع الايجاب للبعض فبمجرد كون مفهومها مستلزما للسلب الجزيي لايدل مفهومه علي مفهوم السلب
الجزيي فلاحجة لنا فيه وانما يكون حجة ان لو كان صريح مفهوم القضية **وقد قيل** في بعض التاويلات
لاتدركه الابصار نفسها **وانما يدركه المبصرون** يعني ان الادراك نوع من العلم وهو صفة
الناظر حقيقة لانفس النظر فانه واسطة دالة **ولايخفي** ركاكة هذا التاويلات **وان كانت** عهدته
علي قايله **وهذه التاويلات** السالفة لاتقتضي منع الروية **ولاستحالتها** بل لجوازها كما مر فلاحجة فيها
وكذلك لاحجة لهم بقوله تعالي **لن تراني الآية** التي استدل بها بعض المعتزلة وقال لن للنفي المؤبد
والمؤكد فاذا نفي عن موسي عليه الصلاة والسلام فغيره يعلم بالطريق الاولي وقد رد بانها للنفي
في المستقبل فقط وكلام الله وغيره دال عليه كما انبتته النحاة مما هو مشهور في كتبهم ونفي
الروية عنه لايدل علي نفيها عن غيره لانه شي مخصوص فلا دليل لهم فيه **وقوله حكيت اليك** من
سوال الروية المقتضي لانه محال وطلب مالايليق فهو ذنب وسياتي جوابه **لما قدمناه** من ادلة الجواز
الصريحة المقتضية لتاويل هذه الاية **ولانها** اي هذه الاية **ليست علي العموم** بل مخصوصة بموسي
عليه الصلاة والسلام في المستقبل والنفي الخاص لايدل علي عموم ولا استحالة **ولان من قال معناها**
لن تراني في الدنيا انما هو تاويل فلا دليل فيه علي مدعاهم العام ولا علي الاستحالة فان القايل
بين معني الاية ولم يذكر انه تفسير ما مور ولا اقام برهانا علي المنع العقلي والعموم فلاحجة فيه
وايضا ليس فيه نفي **الامتناع** اي مرتبة عموم امتناع الروية لكل احد وانما جات في حق موسي عليه
الصلاة والسلام اي آية لن تراني مخصومة بموسي فكيف يستدل بها علي امتناع الروية مطلقا في
الدنيا وغيرها تفطن ومثل ما كما ذهب اليه المعتزلة ولا يلزم من نفي الوقوع نفي الجواز الذي نحن
بصدد ابطاله **وحيث تطرق التاويلات** اي اذا امكن تاويل ما استدلوا به **وتسلط الاحتمالات**
اي توجد احتمالات في الدليل **فليس للقطع بسبيل** فلا يصح القطع والجزم بما استدلوا كما قالوا اذا
ظهر الاحتمالات سقط الاستدلال وفيما استدلوا به علي امتناع الروية امور كثيرة ذكرها المفسرون
والمتكلمون كما قدمه المص واصل معني التطرق وجود الطريق وسلوكه فشبه الكلام التاويلات
بصاحب مطلب وجد الطريق اليه علي سبيل الاستعارة التبعية او المكنية والتخييلية ولذا في التسلط
لانه من السلاطة وهي القهر والغلبة قال تعالي **ولو شاء الله لسلطهم عليكم** ومنه السلطان كما قال
الراغب وغيره من اهل اللغة وقيل بتطرق من الطرق وهو الخلط او من التطارق وهو التتابع هو
والارتحام وهو عبارة عن كثرتها وهو قريب من التسلط **وقوله تعالي بئت اليك** الذي استدلوا
به علي انه دال علي امتناعه عقلا لعدهم سوال الروية ذنبا لاستحالتها لادلالة له علي مدعاهم
لانه له تفسير آخر اي من سوالي مالم تقدره لي في الدنيا في دار الدنيا لوقت حكمه خفيف لما غطيه
من انوار عظمته حتي صعق كما يقوله من فضل مرجايز اعتراه منه مشقة عظيمة تبت عن
مثلها كما قاله ابو شامة السمدي.

اومي الا ماموله لغير صدودها ... فواعجلتي ابي الي التعذيب

وتقدره بضم المثناة وتشديد الدال وتخفيفها وقد قال ابو بكر الهذلي الامام العلامة تلميذ ابن القوطية
صاحب الافعال كان من الادبا الظرفا وله شعر بديع في تفسير قوله تعالى لن تراني اي ليس لبشر
ان يطيق اي يقدر ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي فيها مات قيل هذا ماخوذ من قوله وخر موسى
صعقا فانه يدل على ان القوى البشرية لا تطيق النظر في الدنيا كسبحات جلاله الا من اقدره الله واذا لم يطق
ذلك مثل موسى عليه الصلاة والسلام فغيره يموت فجاة لخوفه او لاطراق سبحات النور له وفي هذا دليل
على جواز وقوعه في الدنيا لكنه من وقع له فيها لا يعيش كما قيل ان من راى الملك في الدنيا يعمى كما نقل
عن ابن عباس رضي الله عنهما وان قيل انه لم يصح والمراد غير الانبيا هنا وقد رايت لبعض السلف من المتقدمين
ولبعض المتاخرين ما معناه ان رويته تعالى في الدنيا ممتنعة لمانع منها لا لذاتها من حيث هي
لما مر من جوازها عقلا فامتناعها لعارض لضعف تراكيب اهل الدنيا اي لضعف ابدانهم المركبة كما
قال تعالى وخلق الانسان ضعيفا وقواهم جمع قوة وهي امر اودعه الله في البدن بها الادراك او المراد
به المعنى اللغوي وكونها اي التراكيب والقوى او هو راجع للقوى فقط متغيرة بالازدياد في اول امرها
ثم التنزل والنقص بعده وذلك يدل على ضعفها غرضا للافات هو حال او خبر بعد خبر للكون ولم يعطف
لكونه سببا لما قبله وقيل لكمال الاتصال بينهما وفيه ان ذلك مخصوص بالجمل كما حقق في مباحث
الفصل والوصل والغرض بالغين والضاد المعجمتين اصله الهدف الذي ينصب لرمي السهام فشبه
الجسد بهدف وافات الدهر ومصائبه بسهام لا تزال يرمي بها حتى تفنى كما قال ابو العتاهية

ان الفتى لغرض الالام • يرميه نبل الدهر والايام • يصيبه رام ويخطي رام •

ويجوز ان يكون بالعين المهملة اي معرضا لها ولكن الاول اصح رواية ودراية وقال التلمساني روي
معترضة بدل قوله متغيرة اي ذات اعراض وهي الافات والامراض او من العرضة اي متعرضة للافات
وقيد بعضهم عرضا بفتح العين المهملة او منصوبا للافات مقابلا لها كالهدف والافة والعاهة كلما
يعرض لشي فيفسده والفنا بفتح الفين والمد وهو الزوال والعدم فلم يكن لهم قوة على الروية
لضعف ابدانهم وقواهم في الدنيا فاذا كان في الاخرة اي اذا احياهم الله تعالى وادخلهم دار البقاء
وركبوا تركيبا آخر غير تركيبهم الاول ورزقوا قوى ثابتة بمثلثة ونون ومثناة تحتية اي
قوى غير القوى الاولى الدنيوية وفي بعض النسخ ثابتة بموحدة ومثناة فوقية فقوله باقية
تفسير له اي مخلدة لا تفنى لقوة تركيبها وتمام قواها واتم ابصارهم انوار وقلوبهم اي جعلها
تامة كاملة مستعدة للبقا السرمدي قووا بها على الروية جواب اذا والضمير راجع للمذكورات
من التركيب والقوى والانوار التي منحها الله لهم في الاخرة فهذا يدل على وقوع الروية في الاخرة
وجوازها في الدنيا لانه لو رزقهم ذلك في الدنيا صح ذلك منهم ايضا ولذا شق صدر النبي صلى الله
عليه وسلم واودع فيه ما قوي به على ذلك كما تقدم وهذا مما اوحي لايوب عليه الصلاة والسلام
قال عطا اوحى الله الى ايوب انك لتنظر الي غدا فقال يا رب افبهاتين العينين فقال اجعل لك عينين
باقيتين فتنظر الى البقا بالبقاء وروي وفي نسخ وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله تعالى
قال لم ير بضم التحتية ونايب الفاعل عائد على الله لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان
النظر او الناظر في الاخرة ورزقوا ابصارا باقية روي الباقي بالباقي ظاهره ان البقا الابدي
علة لصحة الروية والفنا مانع ولا مدخل للبقا في الروية كما ان الفنا والحدوث لا مدخل له في المنع
لان الروية بخلق الله وليست مشروطة بشي عند اهل السنة فكانه اراد ان البقا يلزمه قوة التركيب
والقوى المعدة لصحة النظر فيكون بمعنى ما قبله ولذا قيل ان مراده ان الرائي والمرئي لا بد ان يكون

بينهما

بينهما مناسبة وابصار هذه الدار فانية فاذا عادت وكساها الله صفة دوام البقا تحملت روية الحي
القيوم للمناسبة في الجملة وان كان بقاه قديما ذاتيا وبقاوها طار عرضي وهو كلام اقناعي وهذا كلام
حسن مليح عنده على ما فيه وليس فيه دليل على الاستحالة والامتناع عقلا بل هو دال على الجواز اذ
لا مانع منه الا من حيث ضعف القدرة البشرية في الدنيا فاذا قوى الله من شا من عباده بان رزقه
قوة تطيق ذلك واقدره على حمل اعبا الروية اي جعل له قدرة وطاقة على رويته
ومشاهدته والاعبا جمع عب بكسر العين المهملة وسكون الموحدة وهمزة وهو الحمل الثقيل وهو في
المحسوسات حقيقة فاستعير للمعاني لم تمتنع الروية في حقه لتمكنه منها بما منحه من القوة وقد تقدم ما
ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ونفوذ ادراكها بذال معجمة اي خروجه وبلوغه
بقوة الهية منجاها بضم اوله مبني للمجهول اي اعطياها لادراك ما ادرك اياه ورويته ما راياه والله اعلم
بحقيقة ذلك وقد ذكر القاضي ابو بكر محمد بن الطيب امام اهل السنة الباقلاني بالنون نسبة الى الباقلا على
خلاف القياس كالصنعاني توفي سنة ثلاث واربعماية وقيل ثلاث وتسعين وثلاثماية قالوا وليس هو الامام
ابو بكر محمد ابن العربي شيخ المص في اثنا اجوبته عن الايتين اي في خلال كلامه في الجواب عما استدل به
المانعون من الايتين لا تدركه الابصار ولن تراني ما معناه ما موصولة او موصوفة مفعول ذكر اشارة
الى انه رواية عنه بالمعنى دون اللفظ والعبارة ان موسى عليه الصلاة والسلام راى الله فلذلك خر صعقا
مغشيا عليه مع صيحته لان وقوع مثل هذا بمجرد روية الجبل دكا بعيد وانما جاز ان يكون التجلية
وظهور انواره لكن هذا مناف لظاهر قوله لن تراني وقوله انظر الى الجبل ولما قبله المص اولا من ان الله قسم
الكلام والروية بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وان الجبل ايضا راى ربه اي خلق فيه
ادراكا وحياة فصار دكا اي انهد حتى صار ترابا من هيبة الله وذلك بادراك خلقه الله له كما نقله
الماتريدي عن الاشعري رحمهما الله تعالى وهذا مما يدل على جواز الروية لان الذي اقدر الجماد على ذلك
كيف لا يقدر كمل البشر واستنبط اي استخراج ذلك واصل الاستنباط استخراج الما من البير فاطلق على
مطلق الاستخراج او استعارة له وذلك اشارة لروية موسى عليه الصلاة والسلام وروية الجبل
فيه اشارة الى انه لم يصرح به من قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما
تجلى ربه للجبل جعله دكا اي مدكوكا والدك والدق متقاربان وفسر دكه بانه صار رملا وترابا
وقيل غار وقيل استوى بالارض وقيل افترق فرقا قال الواحدي هذا الجبل يسمى زبير وليس
هو الطور وخر موسى صعقا اي سقط صايحا مغشيا عليه من هول ما راه من هذا الجبل وتجليه للجبل
ظهوره له حتى راه اي شاهد المتجلي ونوره فذاب كما يذوب الحديد من النار فلو لم يخلق له حياة وادراكا
وروية لم يخف خوفا هده وفتته على هذا القول اي قول ابي بكر الباقلاني السابق بان موسى والجبل
راياه معا وهذا بنا على مذهب اهل السنة في انه يجوز خلق العلم والنظر في اي جزم اراد وليس من شرطه
البنية والمزاج كما قاله المعتزلة فانه وهم باطل كما قاله ابن عرفة قيل هذا غير ظاهر لان التجلي لموسى
لا للجبل وكون موسى خر صعقا انما هو لدكه الجبل وشدة وقوعه لا من تجلي الله ورويته ويناسبه
قوله وقال جعفر الصادق بن محمد المتقدم ترجمته شغله الله تعالى بالجبل واصوات دكه حين
امره بالنظر اليه حتى تجلى اي ظهر ظهورا تاما لموسى عليه الصلاة والسلام فراه ولولا ذلك
اي اشتغاله بالجبل مات صعقا بسكون العين وكسرها وعلى الاول هو تمييز وعلى الثاني حال بلا

افة من صعقته وغشيه وقوله هذا اي قول جعفر يدل على ان موسى عليه الصلاة
والسلام رآه كالجبل لانه معنى التجلي لانه لا يقال له تجلى له الا اذا شاهده فما قيل من انه في غاية
البعد لان التجلي الواقع في الاية انما هو للجبل لا لموسى عليه الصلاة والسلام غير متجه لان التجلي الواقع
في الاية انما هو للجبل لا لموسى عليه الصلاة والسلام غير متجه لان المص انما بنى كلامه على ما قاله هولاء
وفهموه والناقل لا عهدة عليه فان حاصله ان موسى لما سال الرؤية في مناجاته لربه امره بالنظر
للجبل ليلتهي به حتى اذا تجلى له ابتدا لم يهلك وتحرقه الانوار ويموت وهذا بنا على انه حين صعق لم يمت
وذهب كثير من المفسرين الى انه مات ثم احياه الله وما قاله هولا مخالف لكلام المفسرين فانهم ذهبوا
الى انه انما امر موسى عليه الصلاة والسلام بالنظر للجبل ودكه الا ليعلم انه لا طاقة له على رؤيته تعالى فان
ما لا تطيقه الجبال كيف تطيقه بنية الانسان وقد وقع لبعض المفسرين انه قال في الجبل انه رآه بحياة
وادركه خلقه الله فيه فرآه وشاهده وقد نقله الماتريدي عن الاشعري وهو الظاهر من التجلي وان حملوه
على معنى اخر قال في الكشاف في تفسيره فلما ظهر اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اي
مدكوكا والظاهر انه عند استعارة تمثيلية وقيل انه على حذف مضاف وفيه مجاز اخر حيث اسند
التجلي للاقتدار وليس بشيء وبرؤية الجبل لله عز وجل استدل من قال برؤية نبينا صلى الله عليه
وسلم له قيل الجبل ليس له ادراك ونظر الا انه يجوز ان يخلق الله فيه ذلك وليس جعله دكا متوقفا على
الرؤية ومستلزما لها ولو كان كذلك قال فان رأى واستقر فانما دكه ليعلم موسى عدم طاقته نور الانوار
وفي الحقيقة جعله دليلا فيه ما فيه الا ان يقال معنى قوله اذ جعله دليلا على الجواز انه جعل تعليق
الرؤية بامر ممكن في نفسه دليلا على جوازها فاذا كانت امرا جائزا لا حاجة لتاويل الاحاديث الواردة
بانه صلى الله عليه وسلم راى ربه ولا مرية بكسر الميم وضمها معناها الشك والتردد في الجواز
اي جواز الرؤية اذ ليس في الايات التي استدل بها على عدمها كاية لا تدركه الابصار ولن
تراني ونحوهما نص في المنع للرؤية صريح فيه اذ هي ماولة بل مشيرة للجواز كما مر واما وجوبه لنبينا
صلى الله عليه وسلم اي وجوب وقوع رؤيته لربه في الاسرا بعين را واعترض عليه بانه لم يقل احد
بالوجوب وانما قيل بالجواز والوقوع والجواب بانه من خصائصه التي يجب اعتقادها تعسف وليس
المراد وجوبه على الله حتى يقال انه لا يجب عليه شيء وكل ذلك محض تفضل منه وقيل المراد وجوب الجواز
لا بالجائز عقلا اذا وقع في الخارج انقلب واجبا لغيره وان كان في حد ذاته ممكنا والمراد وقوع الرؤية
انتهى ولا يخفى ما فيه من التعسف والتمحل الذي لا تساعده العبارة وكون الجائز اذا وقع انقلب واجبا
لغيره لا معنى له فالظاهر انه هنا بمعناه الاصطلاحي لانه لو ورد مصرحا به في نص قطعي من القران
او الحديث المتواتر او المشهور وجب علينا اعتقاده ولا يسع احد من اهل الملة ان يخالف فيه واليه اشار
في اخر الفصل بقوله وجب المصير اليها اليه الا ترى انه لما صح انه صلى الله عليه وسلم اخبر بالاسراء
وورد في القران انه اسرى به من الحرم للبيت المقدس لا يجوز انكاره سواء كان مناما او يقظة او هو بمعناه
اللغوي وهو الوقوع فانه اصل معناه واطلاق الواجب على اللازم عقلا او شرعا معنى عرفي منقول
منه والمراد بالعرف فيه عرف اللغة وهذا مما صرح به ائمة اللغة والمص منهم قال الامام الراغب يقال
وجبت الشمس اذا وقعت ومنه قوله فاذا وجبت جنوبها وقول الفقها الواجب اذا لم يفعل
استحق عليه العقاب وصف له بما هو عارض له فيجري مجرى قولك الانسان اذا مشى مشى برجلين
انتهى والى هذا اشار فقهاونا في الفرق بين الفرض والواجب فقوله والقول بانه راه بعينه يشير
اليه من طرف خفي فلا اشكال في كلامه يا باه وهذا يقع في مقابلة الجائز بمعنى الممكن بلا وقوع

كما صرح

كما صرح به الراغب ايضا فلا يرد على ما قلنا ان وقوعه في مقابلة الجائز في كلامه يأباه فان هذا كله انما جاء من توهم
انه اريد بهما ما قاله الفقهاء وقوله بعينه متعلق براه او تاكيد للضمير ففيه صنعة من البديع وهي حسنة اذا
جاءت احيانا من غير تكلف لا كما يقصده بعض شعراء مصر فانه قبيح وهذا كقوله

رايت من اهواه لما ان رما ... فقلت هذا قاتلي بعينه

فليس فيه قاطع اي دليل قطعي ايضا اي كما ان المنع لم يقم لمدعيه دليل قطعي ولا نص اي دليل صريح
فيه من الكتاب والسنة اذ المعول فيه اي المعتمد في استدلالهم على وقوعه لنبينا صلى الله عليه وسلم
على ايتي اي على ايتين في سورة النجم ما كذب الفؤاد ما راى ولقد راه مرة اخرى والتنازع فيهما
ماثور اي النزاع في المراد منهما منقول عن سلف المفسرين والمتكلمين كما مر للقول بان الضمير لجبريل
والرؤية له بصورته الاصلية والاحتمال لها ممكن لعدم صراحتهما وقطعيتهما في المدعى ولا اثر اي حديث
قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اي بكونه صلى الله عليه وسلم راه بعين راسه وحديث
ابن عباس رضي الله عنهما الموقوف عليه المتقدم الذي ذكر فيه انه راه بعينه خبر عن اعتقاده اي اخبر به
عما كان يعتقده بحسب ما ادى اليه علمه الجازم ولم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم اي لم ينقله عنه
ويقول انه صرح له بذلك حتى يعتبر فيجب العمل اي القول به والجزم باعتقاد مضمنه بضم الميم الاولى
وفتح الضاد المعجمة والميم المفتوحة المشددة اي ما تضمنه ودل عليه لفظه من رؤيته صلى الله عليه وسلم
لربه بعينه فسماه عملا لانه من الاعمال القلبية وان اشتهر ان العمل فيما يكون بالجوارح الظاهرة يعني ان
الرؤية العينية ليس فيها نص قرآني ولا حديث قطعي حتى يجب اعتقاده ويكفر منكره لمخالفة كثير من
الصحابة والعلماء في وقوعها وان كان الراجح عندهم ثبوتها وبه صرح الغزالي والنووي واليه ذهب
المص وان قيل انه ما خلافه في شرح مسلم وبمثله اي مثل قول ابن عباس في اثبات الرؤية حديث ابي ذر
الغفاري رضي الله عنه الذي رواه مسلم قال سالته صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك فقال رايت
نورا الخ في تفسير الاية يعني اية سورة النجم وحديث معاذ ابن جبل محتمل للتاويل بما مر
وهو مضطرب الاسناد اي الطريق في روايته والمتن هو نفس الحديث وكلام الرسول الذي رواه
لانه المراد منه والمتن اصله الظهر الذي به قوام البدن لا فشبه به ما يقصد من الكلام كلفظ الحديث واللفظ
المنقول ليشرح واضطرابه اختلاله وافتعاله افتعال من الضرب قيل اضطراب سنده لانه رواه تارة
عن ابن عياش الحضرمي مرسلا لانه ليس بصحابي وتارة عن معاذ ابن جبل واضطراب متنه لانه
قال فيه رايت ربي في احسن صورة فقال ففيم يختصم الملا الاعلى الحديث الذي تقدم وفيه لما صلى
الغداة قال صليت الليلة ما قضي لي ثم وضعت جنبي فاتاني ربي وفي اخرى عنه قمت من الليل
فصليت ما قدر لي ثم وضعت جنبي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فاذا انا بربي واختلافه والسند
واحد يوجب الاضطراب وقيل ان الحديث بطوله رواه ابن حنبل والترمذي وقال انه حسن غريب
وقال انه صحيح الاضطراب وقيل ان الحديث بطوله رواه ابن حنبل والترمذي وقال انه حسن غريب
وقال انه صحيح الاسناد وهو احسن ما يتمسك به في الرؤية وكذا قال المنذري في الترغيب فما ذكره
المص من اضطرابه ان اراد معناه اللغوي لاختلاف الفاظه فهو غير قادح لان الحديث الواحد قد تختلف
الفاظه ولا يختلف معناه وان اراد معناه الاصطلاحي وهو ما اختلف فيه راويان فاكثر فرووه
بوجوه مختلفة لم يترجح احدها فليس فيه شيء منه ولو كان كذلك وجب ضعفه وايمة الحديث
صححوه كما سمعته انفا وفيه نظر وحديث ابي ذر الاخر مختلف الفاظه المروية ومثله قد يوجب
الضعف لدلالته على عدم ضبط الراوي محتمل للرؤية العينية وغيرها مشكل من حيث المعنى

لجعله ذاته تعالى نورا فروي بالبنا للمجهول نور منون مرفوع ويروى منصوبا ايضا اني بفتح الهمزة وتشديد
النون والف بعدها مقصور اراه اي منعني وحجبني او ظهر لي نورا ورايت نورا غشيني فكيف ارى ذات الله
وقد حال بيني وبينه سبحات النور المانعة من الروية في جاري العادة وروي نوراني بالنسبة للنور على خلاف
القياس كصنعاني وقيل انه تصحيف والصواب الاول وفي المقتفي للبرهان يحتمل هذه الروية ما سبق
بان يكون معناه الخالق للنور المانع للروية فهو من صفات الافعال وقال المص لم ار هذه الرواية ومن
المستحيل ان يكون ذاته نورا لانه جسم وهو تعالى منزه عنه باجماع المسلمين ومعنى نور السموات منورها
او هادي اهلها او منور قلوبهم او ذو بهجة وجمال وقال العراقي في تخريج احاديث الاحيا ما رايت لهذا
الحديث منكرا وقال ابن خزيمة في القلب من صحة اسناده شي وزاد احمد في حديث ابي ذر رجال اسناده رجال
الصحيح انتهى وقيل هذا الحديث لا يشعر بروية ولا بعدمها والمتفق على روايته هو الاول وكيف للانكار
او التعجب اي كيف يتمكن من رويته ويحتمل انه قال لان عنده من حدث اسلامه مما لا يفهم مراده لانه روي
رايت نورا وما ذكره البرهان تكلف فان النور من اسمايه تعالى **اقول** كل هذا كلام مديح
والذي ارتضاه الغزالي كما ياتي ان النور يطلق على الله تعالى حقيقة فان معناه الظاهر بنفسه
المظهر لغيره وهو وان كان منزعا حكميا صوفيا فقد وقع في كلام الاشعري ما يوافقه فانه
قال الله نور ليس كالانوار كما سياتي وعلى هذا فالروايتان بمعنى فانه نور النور الخفي بفرط الظهور
فان فهمت فهو نور على نور وقوله انه جسم غير مسلم وحكى اي نقل بعض مشايخنا انه اي
هذا الحديث او هذا اللفظ روي نوراني اراه قد عرفت معناه وسمعت ما قاله المص اي في شرح مسلم
من ان هذه الرواية لم تثبت وفي حديث اي حديث ابي ذر الاخر اي المروي من طريق اخر سالته اي
النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له هل رايت ربك فقال رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد
منها على صحة الروية فان كان الصحيح رايت نورا هذا محتمل لان يكون اطلق عليه النور حقيقة
كما مر او اعتبارا لازمه كساير اسمايه التي لا تليق حقيقتها به او ان المراد انه لم يره لان حجابه النور
والى هذا اشار المص بقوله فهو اي النبي صلى الله عليه وسلم قد اخبر انه لم ير الله تعالى وانما راى
نورا منعه وحجبه عن روية الله تعالى بنا على فهمه ولم يرتضه بعض الشراح والى هذا المعنى وان لم
يره يرجع قوله نوراني اراه فانه تعجب او انكار لرويته اي كيف اراه هذا كقوله
تعالى كيف تكفرون بالله مع حجاب النور المغشي للبصر اي الساتر او المانع له عن الروية كالغشاوة
وهذا مثل ما في الحديث الاخر حجابه النور وهذا الحديث رواه مسلم والبخاري والطيالسي عن
ابي موسى الاشعري وهو ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام ولكنه يخفض القسط ويرفعه ويرفع
عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى
اليه بصره من خلقه وهذا حديث صحيح وفي الحديث الاخر لم اره بعيني
لكن رايته بقلبي مرتين وتلا قوله تعالى ثم دنا فتدلى اي نزل ليقرب
من عنده وهذا بنا على ان الضمير فيهما لله تعالى لا لجبريل عليه الصلاة والسلام وتدليله من
المتشابه ينزل ربنا الى سما الدنيا والكلام فيه مشهور ثم بين معنى الروية القلبية فقال والله قادر
على خلق الادراك الذي في البصر في القلب بان يدرك بقلبه ما يدرك ببصره حتى يكون مشاهدا
محسوسا له واقفا على ذاته لان في القلب نورا ومبدا الابصار فيقويه الله على وجه لا
يعلمه الا هو لا الذي غيره فان ورد حديث نص صريح بين في المباب في ثبوت الروية بحيث لا يحتمل
التاويل اعتقد بالبنا للمجهول اي اعتقده كل من وقفه عليه وثبت عنده ووجب الضمير اليه

اي وجب

اي وجب علينا ان نذهب لاعتقاده ولا نعدل عنه اذ لا استحالة فيه اي فيما ذكره من صحة الرؤية ووقوعها
وهذا معنى الوجوب الذي قاله اولا كما وعدناك به ولا مانع قطعي يرده فيمنع من اعتقاده ويوجب
تاويله او التوقف فيه كساير المتشابهات والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب اي الخالق للتوفيق
المنعم به على عباده وفي الختم بهذا الطف لما فيه من الاشارة الى ان تعارض احاديث الرؤية يحتاج
للتوفيق لمن رزق التوفيق ولا شبهة فيما قاله وهو لا ينافي ان الاصح الراجح انه صلى الله عليه
وسلم راى ربه بعين راسه حين اسري به كما ذهب اليه اكثر الصحابة الا انه لما ورد ونقل خلافه
ايضا ذهب الى انه امر غير قطعي فالاعتراض عليه بانه اراد بالقطعي كلام الله او حديث متواتر فسلم
لكنه ليس بلازم فكم من امر علمناه وجزمنا به وهو ليس في القران ولا في حديث المتواتر وان اراد
انه ليس فيه حديث صحيح يعمل به فهو غير مسلم ساقط واه تركه خير منه

فصل

واما ما ورد في هذه القصة اي قصة الاسرا من مناجاته لله او مخاطبته
له ومحادثته لما ارتفع الى المقام الاعلى والمناجاة تكون بمعنى المحادثة وبمعنى المسارة بما يرضاه
واصل معناها ان يخلو بمن خاطبه على نجوة اي مكان مرتفع من الارض وقيل من النجاة لان سره
نجا من ان يطلع عليه غيره ثم شاع في مطلق المخاطبة فلذا عطف عليه قوله وكلامه معه ليبين المراد
به والضمير الاول للرسول كضمير مناجاته او لله كضمير معه اي كلامه معه الثابت بقوله فاوحى الى عبده
المقرب اليه والى سرادقات عظمته وهو الرسول المكرم صلى الله عليه وسلم او جبريل وقد مر ان
مقام العبودية اشرف المقامات فلذا قال الى عبده ولم يقل رسوله ولا نبيه ما اوحى اي ما يوحى امرا
عظيما لا تحيط به العبارة ففي الابهام اشارة الى تفخيمه وتعظيمه وانه محرم لاسرار المعارف لا يطلع
على ما اطلعه الله عليه غيره ففي الابهام ولفظ العبد هنا موقع لا يليق بغيره الى ما تضمنته
الاحاديث الاتية والى بمعنى مع او غاية لابتدا مقدر اي ينتهي من الكلام الى ما تضمنه الاحاديث
فاكثر المفسرين جواب اما قيل الاكثر يقابله الكثير فلا يناسب مقابلته بالشاذ والنادر منهم فحق
العبارة جمهور المفسرين والامر فيه سهل على ان الموحى اسم فاعل اوحى اي الفاعل للايحا في قوله فاوحى
في هذه الاية الله الى جبريل عليه الصلاة والسلام وجبريل الى محمد صلى
الله عليه وسلم الا شذوذا منهم اي الا جماعة من المفسرين قليلة شاذة
خالفوهم فيه فشذوذا اما جمع شاذ كقعود جمع قاعد او مصدر اطلق على الفاعل مبالغة في اتصافهم
به حتى كانهم عينه فذكر مبني للمفعول عن جعفر بن محمد الصادق صفة جعفر وقد تقدمت ترجمته
انه قال اوحى اليه بلا واسطة اي كلم الله محمدا صلى الله عليه وسلم بلا واسطة ملك او غيره والمراد
بالوحي هنا الكلام وان كان اعم منه فعلى هذا ضمير اوحى لله والمراد بالعبد محمد صلى الله عليه وسلم
وهذا بيان للمذهب الشاذ ونحوه اي ومثل ما قاله جعفر نقل عن الواسطي وقد تقدمت ترجمته والى هذا
القول المنقول عن جعفر والواسطي ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه في الاسرا بفتح همزة
ان وهو ما معه بدل من هذا وحكي ببنا المجهول عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن
عباس رضي الله عنهم وانكره اي انكر تكليم الله له صلى الله عليه وسلم بلا واسطة قوم اخرون
وليس المنكر العقل فقط كما توهم لان السياق يأباه وذكر النقاش السابق ذكره في تفسيره
المشهور نقلا عن ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الاسرا عنه عليه الصلاة والسلام
في تفسير قوله ثم دنا فتدلى قال صلى الله عليه وسلم فارقني جبريل اي تخلف عنه في المعراج
لان له مقاما لا يتعداه فانطلقت الاصوات عني بعد ما فارقته وبعدت عنه فسمعت كلام

ربي وهو يقول لي جملة حالية اي قايلا لي ليهدأ روعك يا محمد بلام الامر ويهدأه بفتح
اليا المثناة التحتية وسكون الهاء ودال المهملة خفيفة مفتوحة وهمزة ساكنة لانه مضارع مجزوم
بلام الامر فان ابدل الفا جاز حذفها كالمعتل الاخر والروع بفتح الرا الخوف والهدا معناه السكون
والمعنى ليسكن فزعك اي ليذهب فزعك وخوفك ويجوز ضم الرا المهملة والروع بالضم القلب
لانه محله فالروايتان بمعنى ادن ادن امر من الدنو وهو القرب اي تقدم وادخل الى حظاير
القدس وانما قاله له تشريفا له صلى الله عليه وسلم واعلا لمنزلته وتانيسا لاستيحاشه لما
انقطعت عنه الاصوات ولذا امره باطمينان قلبه اولا وكرر امره تاكيدا او بيانا لزيادة قربه من الله
وان كان اقرب اليه في كل حال لتنزهه عن المكان وانما هذا بالنسبة له فاخباره عنه بقوله دنا اشارة
الى امتثاله الامر وفي حديث انس رضي الله عنه في الاسرا السابق ذكره نحو منه اي ما يفيد مثله
فالحاصل في قوله فاوحى الاية في ان الضمير الاول لجبريل وفي عبده لله والمراد به محمد صلى الله عليه
وسلم وفيه اضمار قبل الذكر لانه معلوم وضمير اوحى الثاني يجوز ان يكون لجبريل وفيه تفخيم
وتعظيم للوحي او لله اي اوحى جبريل لعبد الله محمد ما اوحى الله اليه ويجوز ان يكون الضمير في
اوحى الاول لله وعبده محمد اي اوحى الله الى محمد ويجوز ان يكون المراد بعبده جبريل اي اوحى الله
الى جبريل والضمير في اوحى الثاني لله اي اوحى الله الى عبده محمد ما اوحاه الله اليه ففيه تفخيم
للوحي ايضا ويجوز ان يكون لجبريل اي اوحى الله لعبده محمد ما اوحاه الله اليه ففيه تفخيم
وعلى ان المراد بعبده جبريل وضمير اوحى الثاني لله والمعنى اوحى الله لعبده جبريل ما اوحى جبريل
لمحمد او لكل رسول لانه امين وحيه وما مصدرية او موصولة والذي اوحاه احكامه او امر الصلاة
اي اوحى اليه لا يدخل نبي ولا امة قبلك وقبل امتك او هو سر في سر كما قيل

بين المحبين سر ليس يعرفه ... قول ولا علم للخلق يحكيه

وسياتي تفسير بقية الاية وتحقيقه وقد احتجوا في هذا اي استدلوا على انه كلمه بلا واسطة
بقوله تعالى ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من ورا حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه
ما يشا ووجه الاحتجاج بينه بقوله فقالوا هي اي اقسام الكلام المثبتة في هذه الاية على وجه
يفيد نفي ما عداها لان معنى ما كان لا يصح ولا يقع ثلاثة اقسام منحصرة فيها الاول منها
الكلام من ورا حجاب يحجب من خاطبه وكلمه عن روية ذاته لا يحجبه الله فانه يراه ولا يحجبه
شي كما مر تفصيله فهو يسمع كلامه من غير واسطة وهو لا يراه والحجاب سبحات النور ما لا يعلمه
الا الله كتكليم موسى اي كتكليمه تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام في الدنيا وموسى لا يراه فالتشبيه
فيما ذكر فانه سمع من الشجرة كلام الله تعالى بغير واسطة ملك وهو لا يرى ذاته تعالى والقسم الثاني
من الوحي يكون بارسال الملايكة الى رسل البشر ليبلغوهم كلامه تعالى ووحيه الذي اوحاه اليهم
وهذه الحالة في الوحي كحال جميع الانبيا عليهم الصلاة والسلام واكثر حال نبينا صلى الله عليه وسلم
وموسى ايضا في غير ما ندر من كلامهما بغير واسطة في الدنيا قيل سوا راوا الملك او لم يروه فان الوحي
على اقسام كما كان يسمع كصلصلة الجرس من غير ان يراه وفيه نظر فان هذا داخل في قوله وحيا وفي قوله
بارسال الملايكة اشارة الى غير مختص بجبريل لما روي ان اسرافيل عليه الصلاة والسلام وكل
به صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين في اول الامر وقد قسموا الوحي الى نحو اربعين قسما ولكنها لا تخرج
عن هذه الاقسام الثالث من اقسام الوحي وكلام الله لرسله عليهم الصلاة والسلام فقوله وحيا
اي القا في قلبه بالهام ونحوه قال الراغب في مفرداته اصل الوحي الاشارة السريعة ولتضمنه

السرعة

السرعة قيل امر وحي وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب وبإشارة بعض الجوارح وبالكناية ويقال لما يلقى لانبيائه وحي وهو على امر ب حسبما دل عليه قوله وما كان لبشر الخ فذلك اما برسول يشاهد ري ذاته ويسمع كلامه كتبليغ جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة معينة واما سماع كلام من غير معاينة كسماع موسى كلام الله واما بالقاء في الروع كما ذكر اذ روح القدس نفث في روعي واما بالهام او منام انتهى فالحصر هو المراد بالوحي هنا وسيشير الى ما يلقيه في قلب النبي اي في قلب اي نبي من الانبياء عليهم الصلاة والسلام الهاما ونحوه دون واسطة اي بغير واسطة ملك يبلغه ما اوحاه الله اليه والالهام كما قاله الزركشي ما حرك القلب بعلم يلقيه الله فيه يدعوه الى العمل به من غير نظر واستدلال بحجة والذي عليه الجمهور انه حيث لا يجوز العمل به الا عند فقد الحجة وذهب بعضهم الى انه حجة بمنزلة الوحي لقوله تعالى فالهمها فجورها وتقواها اخبره وقال السهيلي اذا كان اصله لا يجوز انتهى ولا يخفى ان الخلاف في غير الهام الانبياء ومن كان في حكمهم فانه وحي وعلى هذا ينبغي تقييد ما في شم جمع الجوامع وقال الواحدي في تفسيره نقلا عن الواقدي في تفسير قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى الاية ان الرسول الذي ارسل الى الخلق بلغ جبريل عيانا وشافهها والنبي الذي تكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وقال النووي في تهذيبه ما ظاهره ان النبوة المجردة لا تكون برسالة ملك بذلك وليس كذلك وكلام الغزالي الذي يستشهد به يرد عليه انتهى وقد مر ابو بكر البزار بموحدة وزاي معجمة والد ابي بكر احمد بن عمرو الكتاني والتخراج زينبة وهي لغة بغدادية وهو الامام الحافظ الذي تقدمت ترجمته عن علي كرم الله وجهه في حديث الاسرا الذي رواه الحكم بتمامه في اول الباب ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم كلام الله سبحانه وتعالى اياه كون ضمير عبده لجبريل على قول وان خلافه شاذ وكذا كون الوحي في الاية مبهما وتمامه معين ولا ولا ينافيه اختصاص نبينا صلى الله عليه وسلم بالمشافهة من الرؤية واختصاص موسى عليه الصلاة والسلام بالتكليم كما توهم وذكر اي البزار او علي رضي الله عنه فيه فقال الله اكبر الله اكبر فقبل من وراء الحجاب اي قال الله تعالى لملك الاذان صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك الا قوله حي على الصلاة حي على الفلاح كما مر ولكنه معلوم مما ينبه عليه ووجهه ان المشروع

لسامع الاذان انه يقول ما يقول المؤذن بكلمة بكلمة تصديقا له باقراره الا قوله حي على الصلاة الخ فانه يقول
فيه لا حول ولا قوة الا بالله وهذا لا يليق به تقال فاذا لم تجبه **تنبيه** هذا ان الاول اختلف
العلماء في صفة الاذان على اربع كيفيات احدها تثنية التكبير وتربيع الشهادتين وباقيه مثنى وهو مذهب
اهل المدينة ومالك وغيره واختار جماعة من اصحاب مالك الترجيع وهو ان يثني الشهادتين اولا خفيا ثم
بينهما مرة بعد رفع الصوت والصفة الثانية اذان المكيين وبه قال الشافعي وهو تربيع التكبير الاول
والشهادتين وتثنية باقي الاذان والصفة الثالثة اذان الكوفيين وهو تربيع التكبير الاول وتثليث
باقي الاذان وبه قال ابو حنيفة والصفة الرابعة اذان البصريين وهو تربيع التكبير الاول وتثليث
الشهادتين وحي على الصلاة وحي على الفلاح يبدأ باشهد ان لا اله الا الله حتى يصل الى الفلاح
ثم يعيده كذلك مرة ثانية اعني الاربع كلمات ستا ثم يعيده ثالثة وبه قال الحسن البصري وابن سيرين
كذا قال ابن بشكوال في الغاية المقتصد الثاني اذا حديث علي رضي الله عنه يقتضي ان الاذان شرع
ليلة المعراج وحديث الصحيحين المشهور انه شرع بعد الهجرة لما راه بعض الصحابة في منامه كما
مر ولا يخفى ما بين الحديثين من التعارض ولم يتعرض احد للتوفيق بينهما وان اعترض ذلك بانه
كيف يثبت التشريع بمنام لغير النبي **واجيب** بانه ثبت بوحي لكنه صادق ذلك المنام
فاظهر العمل به تطمينا لقلوبهم وجبرا لخواطرهم والظاهر ان يقال انه ثبت بحديث الاسراء الا انه
لم يبين له زمان ولم يكن اعلامه به قبل الهجرة فاخر ذلك حتى يستقر ظهور الدين وبهذا يتم
التوفيق بينهما **وحي** الكلام في بيان مشكل هذين الحديثين **في الفصل بعد هذا مع ما**
يشبهه وفي اول فصل من الباب منه وسنذكر ما فيه ثمة **وكلام الله** عز وجل **لمحمد صلى الله**
عليه وسلم ومن اختصه من اجنابه اختص ورد لازما ومتعديا كما هنا بمعنى خصه **جائز غير**
ممتنع عقلا اي ثبت جوازه وعدم امتناعه عقلا وسمعا كما مر فلا يضر نزاع المعتزلة فيه كما توهم
ولا ورد في الشرع قاطع بمنعه اي دليل قطعي بمنعه كما لم يرد دليل قطعي بثبوته ايضا **فاذا صح ذلك**
اي في الكلام بلا واسطة لغير موسى عليه الصلاة والسلام **خبرا عمت عليه** في الجزم بوقوعه وروي
احتمل وكلاهما مبني للمجهول كما قاله البرهان **وكلا منقا** اي لموسى وروي ومكالمته لموسى
يا بي حق مقطوع بنص ذلك بالبناء للمجهول على الحذف والايصال كمشرك اي
على انا الكلام فيه بمعناه الحقيقي وان اختلف اهل السنة في معناه الحقيقي القديم بل هو الكلام
اللفظي والنفسي كما ذهب اليه الاشعري وتحقيقه في كتب الاصول وهو مبحث طويل الذيل لا يسعه
هذا المقام وهذا رد على المعتزلة القايلين بان الله لم يكلمه وانما خلق الكلام في جسم اخر كالشجرة
فسمعه عليه الصلاة والسلام منها لانهم نفوا الكلام النفسي وقالوا اللفظي حادث لا يقوم بذاته
وهو دعوى قولهم لا يعقل عندهم فمعنى متكلم عندهم خالق الكلام وموجده قائما بغيره فان قالوا
فهذا ناش من عدم الفرق بين الفاعل الحقيقي اللغوي والحقيقي في الحقيقة ونفس الامر فما
حققه الابهري في حواشي المحصل يلزمهم اثبات المشتق بدونا بلوته فاخذه له فانا قالوا
المجوز كما ذكره اهل المعاني وهذا ان قيد الاول كما اشار اليه الملم هكذا قرره الاصوليون ورده
ابن عبد السلام بان التاكيد بالمصدر لمنع المجوز في الظرف ودفع الشك في الحديث لا المحدث منه

والمسند

والاسناد اذ التاكيد انما هو للفعل فالكلام وقع حقيقة ولكن ممن صدر والتاكيد لتحقيق وقوعه
فقط **واجاب** ابن عرفة بان تاكيد المصدر وان كان لازالة الشك في الحديث فلا بد من ملاحظة
ما صدر عنه فهو لازالة الشك عن حديث فلان ولذا قال البيانيون في قول هند زوجة روح بن زنباع
تهجوه • بكى الخز من روح وانكر جلده • وعجب عجيجا من جذام المطارق •
انه ترشيح المجاز **اقول** هذا كلام ساقط جدا فانهم ادعوا ان تاكيد المصدر يرفع التجوز عن
الاسناد فيقتضي ان التكليم مسند لفاعله الحقيقي والمعترض يمنعه ويقول انما يرفع التجوز في الظرف
وهو الكلام لا موكد لفعله كما صرح به واهل المعاني لم يتعرضوا لهذا والبيت وارد عليهم لان العجيج
مجاز وقد اكد فلا يمنع مجازا اصلا وكونه ترشيحا عليه لا له وبهذا عرفت ما يرد على المص **ورفع**
مكانه اي مكان موسى الكليم **على ما ورد في الحديث** الصحيح الذي فيه مقامات الانبيا عليهم
الصلاة والسلام الذي لقيهم النبي صلى الله عليه وسلم في السموات حين اسري به انه **في السماء**
السابعة هذا بنا على بعض الروايات والذي صححه الحاكم وغيره انه عليه الصلاة والسلام في
السما السادسة وجزم به ابن المنير وغيره وما ذكره المص موافق لما ذكره البخاري في التوحيد وعدل
عن المشهور لانه انسب بمراده فالقول بانه غلط وان الذي في السما السابعة ابراهيم عليه الصلاة
والسلام وهم من قايله وقوله **بسبب كلامه** متعلق برفع اي بسبب رفعه عليه الصلاة والسلام
على غيره كونه شرفه بكلامه في الدنيا **ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم** حين اسري به
فوق هذا كله اي فوق هذه المقامات كلها في حياته صلى الله عليه وسلم بهيكله البشري **حين بلغ**
مستوى وسمع صريف الاقلام تقدم شرحه **فكيف يستحيل** ويمتنع عقلا **في حق هذا او يبعد**
بعد جوازه وثبوت ما يدل عليه **سماع الكلام** من كلام الله بغير واسطة **فسبحان** تنزيه الله وتعظيم
له حمدا له على ما انعم به لا تعجب فانه غير مناسب هنا **من اختص من شا** من رسله وخلص عباده
بما يشا من جزيل نعمه وكرمه **وجعل بعضهم** راجع لمن باعتبار معناه **فوق بعض درجات**
كنبينا صلى الله عليه وسلم اذ فضله على جميع الانبيا وخصه بنعم لم يصل اليها سواه وهذا اقتباس
من قوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فالمراد
ببعضهم هنا محمد صلى الله عليه وسلم وابهمه تفخيما لشانه واشارة الى تعينه كما قيل •
• واقول بعض الناس عنك كناية • خوفا او شاة وانت كل الناس •
وان اختلف المفسرون في المراد به في الاية ولا يخفى ما في ختم الفصل بهذه الاية من حسن المناسبة
وبراعة المقطع لما فيها من ذكر الكلام ورفع الدرجات المناسب لهذا المقام

فصل

واما ورد في حديث الاسرا وظاهر الاية من الدنو والقرب
عطف تفسير وهو بيان لما وظاهر بالرفع والجر **من قوله ثم دنى فتدلى** الدنو القرب ولذا عطفه
عليه عطفا تفسيريا وهو حسي ومعنوي والتدلي والامتداد من علو الى سفل كما يلقى الدلو في البير
هذا اصله ثم استعمل في القرب من العلو حسا او معنى فهو اخص مما قبله فلا تقديم ولا تاخير فيه
والاصل فتدلى فدنا وليس بمعنى لان العطف بالفا يأباه والتاسيس خير من التاكيد وقيل دنا بمعنى
قصد القرب منه صلى الله عليه وسلم فتحرك من مكانه نحوه وقيل تدلى من الدلال كتمطى اصله
تمطط والضمير فيهما لجبريل عند الجمهور اي دنا جبريل من النبي صلى الله عليه وسلم بعد
استوايه بالافق الاعلى من الارض فتدلى عليه لانه لما راه بصورته التي كان يراه عليها وقرب
منه وقيل الضمير لله اي دنا من نبيه صلى الله عليه وسلم وهو مجاز عن اجابة دعائه

السابعة

ولعطايه ما تمناه باشراق نور المعرفة ومشاهدة اسرار الغيب لانه منزه عن المكان كما يأتي بيانه فكان
قاب قوسين او ادنى القاب ما بين مقبض القوس وموضع ربط الوتر من طرفيه ولكل قوس قابان
وقيل القاب حيث الوتر من القوس وقيل مسماه قدر والقوس معروفة وقيل هي هنا الذراع لانه
يقاس به والمعنى قدر ذراعين وروي عن ابن عباس وعلي لا ولفيه قلب اي قابي قوس اي بينهما مسافة
مقدار قاب قوسين اي بين النبي وجبريل لا ما جبريل هو الموصوف بما قبله وهذا رواية عائشة عن النبي
صلى الله عليه وسلم ورجح هذا الوجوه على رواية شريك انه الله ولهم فيها الكلام كثير وقال الرازي
هذا على عادتهم اذا التقا قربين ونصا لحاجبهما كل واحد منهما قوسه بطرف قوس صاحبه ومن
دونهما بصنع كقعبكفه واولى تحقيق قدر المسافة لا للمسلك لقوله فارسلناه الى مائة الف او يزيدون
وقيل بالتشاء بالشهلة اي وقيل بمعنى بل او الواو وادنى افعل تفضيل اي اقرب فاكثر المفسرين
جواب اما ان الدنو والتدلي منقسم بين محمد وجبريل عليهما الصلاة والسلام اي كل منهما
ثبت لكل منهما لاسه اي دنا محمد من جبريل ودنا جبريل من محمد وتدلى كل منهما للاخر او المراد ان
الدنو لمحمد والتدلي لجبريل فلا انقسام بمعنى توزيع الوصفين بينهما وهذا ما راه بصورته
الاصلية او مختص باحدهما من الاخر اي مختص بمحمد صلى الله عليه وسلم او بجبريل والمعنى
دنى وتدلى محمد من جبريل او دنا وتدلى جبريل من محمد او من السدرة المنتهى اي يختص الدنو
والتدلي من السدرة لا من الاخر قال الرازي في الوجه المشهور وقال ابن عباس لما رواه ابن ابي
حاتم عنه ما اي الذي دنا وتدلى في الاية محمد دنا فتدلى من ربه ودنوه منه كناية عن قرب
منزلة ومشاهدة شمائله قدسه ما لم يتيسر لغيره وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب
منه ورقي في تقربه من ربه قربا معنويا لا حسيا وقيل هما اي دنا وتدلى بمعنى واحد اي قرب
قربا معنويا بنيله واخره والقول بانه للتاكيد وافادة انه قرب بليغ لا تساعده العبارة وحكي علي
والماوردي عن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية ابن جرير عنه هو اي من اسند اليه الدنو
القرب دنا من محمد صلى الله عليه وسلم ليس المراد الدنو المكاني لتنزه الله عنه ولا العلم
لانه لا يختص به حتى يذكر في مقام مدحه وتفخيمه بل قرب المنزلة باعلاء مقامه واطلاعه على
عجايب ملكوته فتدلى اليه اي نزل الرب لمحمد صلى الله عليه وسلم فهو على حد قوله ينزل ربنا
الى السما الدنيا في الثلث الاخير اي تجلى له ونظر اليه بلطفه وكرمه وتشريفه بخطابه كما سيأتي بيانه
بقوله اي امره وحكمه لم يرد به انه فاعل تدلى كما قيل وانما هو ضمير الله ايضا وهو استعارة
او كناية عما ذكر واليه اشار القاضي رحمه الله بقوله المقصود من الاية تمثيل تحقيق اسماعه
لما يوحى اليه بنفي البعد عنه وحكي القاضي في تفسيره عن الحسن البصري انه قال دنى الله من
عبده محمد صلى الله عليه وسلم دنو مرتبة وقرب معنوي فتدلى اي اي تقرب بحسن بعنايته
واختصاصه والاولى ان زاد قربه اليه كما مر فاراه ما انا اي يريه من الا عظمته وقدرته
فاري بصريته تقرت لمفعوليه او علمتيه مفعوليها الثالث تقديره اي اراه عظمته وقدرته مشاهدة
بعكاينة والاول اظهر واقرب قال اي النقاش والحسن وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر
فاصله فتدلى فدنا اي فتدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهو البساط
مطلقا او البساط الاخضر وقيل ما كان من الديباج وفي الصحاح الرفرف ثياب خضر تتخذ منه
المجالس وكسر الخبا وجوانب الدرع وما تدلى منه ولحدوه رفرف فهو من البسط والعرش وغيرها
بالتي لا والمرافق وقيل المثوب العريض وحوا شي كل ثوب رفرف تحرك ومنه رفرفة الطائر

بحناحيه

بجناحيه ويطلق على الستارة وطرف الخيمة وفي الحديث زرنا النبي صلى الله عليه وسلم فرفع لنا الرفرف
فرأينا وجهه ومنه رفرف الاولياء في الجنة وهو بساط اذا استقروا عليه طار بهم لاي جهة ارادوها بقدرة
الله وورد في المعراج انه صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاءه بالرفرف جبريل عليه الصلاة
والسلام فتناوله فطار به الى العرش يرفعه ويخفضه وجبريل رافعا صوته بالتمجيد فهو مركب له صلى
الله عليه وسلم كالبراق وقد فسر قوله متكئين على رفرف خضر ببعض هذه الوجوه وبانه رياض الجنة
والى هذا اشار بقوله فجلس عليه ثم رفع اي رفعه الله بقدرته وهو مبني للمجهول ودنا الرفرف
او النبي صلى الله عليه وسلم من ربه بالمعنى السابق قال صلى الله عليه وسلم بيانا لما هو عليه بعد
ان علا الرفرف فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات اي اصوات الملائكة عليهم الصلاة والسلام
فسمعت كلام ربي عز وجل من غير واسطة وليس كلاما خلقه الله في بعض الاجرام كما زعمه المعتزلة كما مر
وفيه اثبات الكلام اللفظي لله تعالى كما ذهب اليه السلف وتبعهم الشهرستاني في مقالته المشهورة ومن
ينكره يقول الكلام النفسي يسمعه الله بقدرته والمبحث بطوله مقرر في علم الكلام وعن انس في الصحيح
اي مروي في صحيح البخاري عرج بي جبريل صاعدا الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة
عطف بيان او بدل والجبار هنا بمعنى العلي الاعلى من قولهم نخلة جبارة اي طويلة مرتفعة هذا هو
المناسب للمقام لانه انسب من تفسيره بالقاهر لعباده على ما اراده من امر ونهي وان فسر به ايضا
والعزة من عز يعز بالفتح اشتد وبالكسر صار عزيزا وهذا من حديث شريك السابق وقد استغربه
الذهبي وفيه نظر فتدلى تقدم تفسيره حتى كان رب العزة منه صلى الله عليه وسلم قاب قوسين
او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين صلاة كما مر وذكر حديث الاسراء بتمامه كما تقدم
وعن محمد بن كعب القرظي السابق بيانه هو اي الموصوف بانه دنى كما سياتي بيانه محمد صلى الله
عليه وسلم اي دنا محمد من ربه فكان قاب قوسين اي مقدار قاب قوسين في القرب منه او ادنى
قال اي محمد بن كعب وقال جعفر بن محمد الصادق وهو الاتي بعده ايضا ادناه ربه حتى كان
كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد المذكور الدنو من الله لا حد له اي الدنو من جانب
الله ليس دنوا مكانيا محدودا بحيز كالاجسام بل دنو معنوي ومن العباد بالحدود المكانية
الحاصرة لهم لا الحد المنطقي المميز للماهية وقال جعفر ايضا مقاله السابق انقطعت الكيفية عن
الدنو من جانب الله اي دنوه من عباده ليس له كيفية مخصوصة وحالة معروفة لانه امر معنوي
غير محسوس والكيفيات احوال محسوسة وسميت كيفية لانها يسال عنها بكيف وهذه لفظة مولدة لم
تسمع من العرب ومخالفة للقياس لان كيف لا تنسب اليها ثم وضح ذلك بقوله الا ترى الخطاب عام لكل
من وقف عليه كقوله تعالى ولو ترى اذ وقفوا على النار والروية نظرية ادعائية او علمية
والا بفتح الهمزة وتخفيف اللام وما في بعض النسخ الا بصورة الاستثناء والاسمع منه بعيد كيف حجب
بالبناء للفاعل اي منع جبريل جبريل بالنصب مفعوله ويجوز بناؤه للمجهول ورفعه عن دنوه
الى ربه ودنا محمد صلى الله عليه وسلم الى ما موصولة او موصوفة وفي نسخة ودنو مصدر منصوب
على كيف اي الا ترى كيف الخ وترك دنوه اودع قلبه صلة ما او صفة دنا واودع مبني للمجهول
او قلبه نايب فاعله وفي بعض النسخ بالبناء للفاعل ونصب قلبه مفعوله كما قاله البرهان
من المعرفة الالهية والمواهب الربانية والايمان مما لا طريق له الا السمع بعد البعثة وعليه حمل قوله
تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي الايمان بما يقتضيه العقل كوجود الباري
ووحدانيته ومعنى قوله فتدلى اي نزل عما كان عليه قبل هذا بسكون قلبه الى ما ادناه

الى قلبه لما اطمان قلبه وزال عن قلبه الشك والارتياب في انه هل يصل الى حضرة القرب وينال انافته
بالاكرام والانعام ويترقى الى اعلى مقام فانجح الله امنيته وليس المراد الشك فيما يتعلق بالله ومعرفته
فانه صلى الله عليه وسلم اقوى الناس معرفة وايمانا واثبتهم جاها وايمانا واشدهم طمانينة وسكونا
وبهذا سقط ما قيل انه لم يكن عنده شك لامتلا قلبه بالمعرفة والايمان وتطهيره من دنس الشك ووسوسة
الشيطان وقيل انه لما فارق جبريل حين اختطفه الرفرف خفي ان يكون ذلك الاخذ مؤديا الى الهلاك
وخاف من مكر الله به وشك فيما يؤول اليه امره فلما خاطبه الله وقال له ليهدا روعك علم ان الله انما اراد
تقريبه والانعام التام عليه فزال شكه وانشرح صدره وثلج قلبه ببرد اليقين وحصول مراتب التمكين
والا فظاهره لا يليق بمقامه قال القاضي ابو الفضل عياض المولف رضي الله عنه اعلم انما وقع بفتح الهمزة
وتقدم معنى اعلم من اضافة الدنو والقرب اي من اسناده الى الله ومن الله ووصفه به فالاضافة
بالمعنى اللغوي لا الاصطلاحي وقوله هنا اي في هذه الاية فليس بدنو مكان هو خبر ان المفتوحة
وزيد فيه الفا لان اسمها موصول اي ليس فيه قربا محسوسا بل معنوي ولا قرب مدا بزنة فتى فسر
بالغاية والنهاية والظاهر ان معناه المكان الممتد كما يقال مدا البصر ومده ولا عبرة بما قيل ان الثاني
خطا فانه ورد في الحديث كما ذكره النووي في شرح مسلم بل كما ذكرناه عن جعفر بن محمد الصادق
ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته
الابانة بكسر الهمزة بمعنى الاظهار وهو مرفوع خبر دنو المبتدا وتقدم معنى المنزلة والمرتبة
وانها العلو المعنوي وتشريف رتبته بالجر وتجوز جره واشراق انوار معرفته اي اظهار
اثار معرفة الله عليه عليه ففيه استعارة مكنية او تشبيه ان كان من قبيل لجين الما ومشاهدة
اسرار غيبه وقدرته اي وقوفه على ما في عالم الملكوت مما هو مغيب عن خلقه الا من خصه الله
باطلاعه عليه ومن الله له تعالى اي انما دنو الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ونحوه بعد العلم بتنزيهه
عن الجبر والقرب الحسي معناه مبرة مفعلة بالفتح بمعنى البر وله معان منها القبول والاحسان
وتانيس اي لطف به يذهب استيحاشه لما انقطعت عنه الاصوات وغاب اليفه وهو جبريل عليه
الصلاة والسلام وبسط اصل معناه التوسعة قال تعالى ولو بسط الله الرزق لعباده ومنه البساط
ويطلق على المسرة ايضا وليس بمعنى مولد لانه ورد في الحديث فاطمة بضعة مني يبسطني ما يبسطها
كما مر وذكره ابن قرقول في مطالعه وهو المراد تانيسه بما يسره من مخاطبته بما يسره واكرام
تبجيله وتعظيمه ويتاول فيه اي ياول الدنو الوارد في الحديث ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى
السما الدنيا يعني ان الدنو الواقع في الاية كما ورد منه في بعض الاحاديث ان اولياء الله قريبون من
الله ليس على ظاهره قربا حسيا بل معنويا باللطف والاكرام وقد ياول بعلم الله ببواطنهم وظواهرهم
وقدرته على التصرف فيهم وعليه ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون كما اول النزول المسند الى
الله في حديث ابي هريرة رضي الله عنه المتفق على صحته انه صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا الى السماء
الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الاخير يقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من يستغفرني
فاغفر له بالاقبال عليهم بانعامه واجابة دعائهم ومغفرة ذنوبهم وافاضة مواهبهم هبه عليهم وتاويله
بنزول ملائكته بعيد هنا وان ذهب اليه بعضهم ويتاول فيهما مبني للمجهول على احد الوجوه
في تاويله من ان نزوله تعالى انما هو نزول افضال بتفضيله وانعامه واجمال اي فعل جميل بهم على
عادته وقبول لتوبتهم واستغفارهم واحسان بالجود والكرم عليهم وليس المراد انه بتقدير
مضاف من مجاز النقص اي ينزل احسانه كما قيل فهو تمثيل لسرعة اجابته وانجاح طلبته ولزيادة لطفه

واعتنائه

واعتنائه به بمن قربه كثير له مقام عال حتى انه قد ينزل اليه اذا سمع نداه فهو استعارة تمثيلية او تبعية
تصريحية وقال الواسطي المتقدم ترجمته من توهم انه تعالى وله المثل الاعلى بنفسه دنا دنوا حقيقيا
محسوسا بذاته لا دنو لطف واكرام معنوي مجازي فقد جعل ثم بفتح المثلثة وتشديد الميم ويقال ثمة بتاء
ايضا كما يكون بها مرسومة خطا ثابتة لفظا في الوقف ومعناه هناك واصل وضعها للاشارة الى المكان
بعيد او قريبا على اختلاف فيها وقد يتجوزها عن المعنى ونحوه بتشبيهه بالمكان على انه استعارة فيه
كما هنا فانه اشارة للاية والحديث المذكور فيه الدنو والنزول وقوله مسافة باعتبار مدلوله
فان جعلت الاشارة اليه على تقدير انه على حقيقته فلا والمسافة المفازة من السوف وهو شم
التراب والبول ومنه قيل للمعافرة مضافة لان الدليل يشم ترابها كما حققه الراغب ولا مسافة هـ
لاستحالتها عليه تعالى بل كلما دنا احد من المخلوقات بزعمه بنفسه من الحق اي الله تعالى تدلى نزل
من علو الى سفل بعدا اي لبعده عما قصده فهو مفعول له او تمييز من نسبة تدلى يعني الواسطي
بقوله هنا تدلى بعدا اي كلما حاول القرب نزل لساحة البعد عن درك حقيقته متعلق بمقدر يعني بعد
او بعدا عن ادراك حقيقته وذاته قال البرهان الحلبي في حاشيته درك بفتح الدال والرا المهملتين
وضبطه بعضهم باسكان الرا والاشهر هنا الفتح ومعناه الادراك واما الدرك ضد الدرج فبالفتح
لا غير وحكي فيه الوجهان وفيه نظر اذ لا دنو للخلق ولا بعد بالمعنى المكاني لاستحالتهما عليه
تعالى وما ورد مما يوهمه ماول كما عرفته واما علم حقيقته بكنهها ففيه خلاف ليس هذا محله
ولا وجه للتعرض له هنا وقوله قاب قوسين او ادنى بالمعنى الذي مر بيانه وهذا جواب سوال
ودفع لما يتوهم من انه يقتضي قربا حقيقيا ومسافة كما اشار اليه بقوله فمن جعل الضمير المقدر
في قوله ثم دنا فتدلى عايدا الى الله لا الى جبريل على هذا التاويل السابق انفا كان اي الدنو المذكور
عبارة عن نهاية القرب اي معبرا به عن غاية القرب المعنوي من عباده ولطف المحل اللطف عبارة
عن الامور الخفية وما لا يدرك بالبصر كما في قوله وهو اللطيف الخبير اي هو عبارة عن دنو معنوي
ومنزلة معنوية لا تحس بالابصار واتضاح المعرفة الالهية التي وهبها من العلم اللدني في حظاير قدسه
لمن خصه برفعة المنزلة من خلص عباده الذين جعلهم محرم اسراره واتضاح بالمثناة الفوقية
افتعال من الوضوح وفي بعض النسخ بالمثناة التحتية مصدر اوضحه ايضاحا والاشراف على الحقيقة
اي الاطلاع عليها واصله من اشرف اذا وقف على شرف وهو المكان العالي ثم اريد به لازمه من الوقوف
والاطلاع كناية او مجازا من محمد صلى الله عليه وسلم اي كان الدنو بالمعنى المذكور من نبينا صلى
الله عليه وسلم وكان الدنو المعنوي عبارة عن اجابة الرغبة اي اجابته لمامولة الذي غاية مطلوبه
ومرغوبه وقضا المطالب اي اعطاه مطلبه الذي طلبه منه ووعده به وفي القضا اشارة الى
انه كالدين لان عدة الكريم دين واظهار التحفي بحا مهملة وفا ومثناة تحتية وهو المبالغة
في السير وانافة المنزلة بالنون والفا بمعنى اعلايها ورفعها والمرتبة عطف تفسير من الله
متعلق بما قبله اشارة الى انه كله فضل وموهبة منه تعالى ويتاول فيه بالبنا للمجهول اي يتاول
القرب والدنو تاويل مثل ما يتاول في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه
البخاري على طريق التمثيل والاستعارة في قوله تعالى من تقرب مني شبرا تقربت منه
ذراعا ومن اتاني يمشي اي من اطاعني وسعى في اداء امتثال اوامري والمراد انه يمشي مشيا
غير بطيء بالهوينا لمقابلته بقوله اتيته هرولة وهي المشي والجري مسرعة والمراد اني
اعجل له جزائي واوصل له سريعا وتفسيره بسبقته بجزائي غير صحيح هنا اي والتاويل

الذي اول به من تقرب الخ وما بعده قرب بالاجابة لدعائه وهو مرفوع خبر لمبتدا مقدر والقبول
لتوبته واتيان بالاحسان وتعجيل بالمامول اشارة لمعنى الهرولة وهذا بعض حديث قدسي
صحيح رواه ابو هريرة رضي الله عنه اوله قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري من نازعني
واحدا منهما قذفته في النار ومن اقترب مني شبرا اقتربت منه ذراعا ومن اقترب مني ذراعا اقتربت
منه باعا ومن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه واطيب ومن جاني
يمشي اتيته هرولة ومن جاني مهرولا جئته سعيا قالوا معناه سرعة الاجابة وتفويض اموره وانه
يضاعف ثوابه ويزيده بما هو خارج عن القياس وليس في قوله في ملا خير منه دليل على افضلية الملائكة
كما سياتي ان شا الله تعالى وهذا تاييد لما سبق وتوضيح له فلا يعترض عليه بانه تكرار من غير فايدة

فصل في ذكر ما يدل على تفضيله صلى الله عليه وسلم في القيمة

بخصوص الكرامة اي بما خصه الله يوم القيمة وفضله به على ساير الانبيا والرسل عليه وعليهم
الصلاة والسلام وذكر ما يدل على عقد له بحديث اسنده المص من طريق الترمذي فقال حدثنا القاضي
ابو علي الشهيد المعروف بابن سكرة وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو الفضل ابن خيرون السابق
ترجمته ايضا وابو الحسين بالتصغير وهو المبارك بن عبد الجبار هكذا هو في اكثر النسخ الصحيحة وفي
بعضها ابو الحسن مكبرا والصواب الاول كما ذكره الحافظ البرهان فالحسن ليس بالحسن هنا وهذا
الحديث تقدم اول الكتاب مسندا الى الترمذي بهذا السند قالا حدثنا ابو يعلى بفتح اوله وهو احمد
بن عبد الواحد بن محمد بن جعفر المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم في ترجمته قال حدثنا السنجي
ابو علي الحسن بن محمد بن احمد بن سعيد السابق ذكره وضبطه قال حدثنا الترمذي قال حدثنا
الحسين بن يزيد الكوفي المعروف بابن الطحان اخرج له ابو داود والترمذي وقال ابو حاتم انه
ليس لين توفي سنة اربع واربعين ومايتين وترجمته في الميزان عن ليث ابن ابي سليم بالتصغير
القرشي الكوفي العابد الزاهد وفيه ضعف يسير لسوء حفظه توفي سنة ثمان وثلاثين ومائة عن الربيع
بن انس عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا
بعثوا اي خرجوا من قبورهم الى المحشر لانه صلى الله عليه وسلم راسهم وقايدهم فيبعث قبل موسى
وساير الرسل كما سياتي وهذا الحديث انفرد به الترمذي وقال انه حسن غريب وانا خطيبهم
اذا وفدوا اي قدموا على الله وقاموا بين يديه للحساب واصل الوفد الجماعة مقدم الى من لهم فيه
رجا وعنده قضا امورهم وعطاياهم ولما كان صلى الله عليه وسلم هو الشفيع المشفع في المحشر الماذون
له في التكلم وفصل القضا كان ثمة كالخطيب في المجمع على عادتهم اذا كان لكل وفد خطيب غالبا وهذا
انسب هنا من قولهم امامهم لا لانه لا تكليف ثمة كما توهم وفيه دليل على افضليته صلى الله عليه وسلم
وانه لم يدهش لهول المحشر وانا مبشرهم بالخلاص من المحشر وطول موقفه اذا ايسوا من النجاة من
شدة ذلك اليوم وهوله اذا زفت الازفة وبلغت القلوب الحناجر والاياس بتقديم الهمزة القنوط
من رحمة الله وروي يئسوا بتقديم اليا على الهمزة وهما لغتان وروايتان لوا الحمد بيدي يوم
القيامة ليعرفه صلى الله عليه وسلم ويتبعه كل من في الموقف واللوا معروف وهو لوا حقيقي سمي
لوا الحمد لانه حمد الله بمحامد لم يجده بها غيره او لحمد الناس كلهم له ويجوز ان يكون كناية عن
شهرته وتقدمه كقوله

اذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

فهو اشارة لتقدمه صلى الله عليه وسلم وعصمته وكثرة حمده وامته الحامدون وهو احمد ومحمد

وتقدم

وتقدم الكلام عليه واللواء والعلم والراية والبند متقاربة معنى لكن اللواء اكبرها وروى الطبري ان لواء
الحمد يحمله علي كرم الله وجهه بين يديه صلى الله عليه وسلم ولعل الاختلاف باعتبار مواطن الحمد فلا
يخالفه بينهما انا اكرم ولد آدم على ربي اي اشرفهم ذاتا وصفة واقربهم منزلة والكرم صفة يجمع
كل خير عرفا بالسخا وهذا تحدث بنعم الله واظهار لما يجب اعتقاده وفي نسخة ربه والضمير لاكرم او آدم
والرواية الصحيحة الاولى والولد صفة مشبهة بمعنى المولود يطلق على الوحد وغيره كما مر ولا فخر
جملة حالية موكدة اي انا لا اذكر الفخر بل للتحدث بنعم الله او لا افخر بهذا اذ لي عند الله ما هو اعظم
واشرف من هذا مع اني لم انله بسعي واجتهاد مني وخبر لا محذوف اي فيه او عندي ونحوه والفخر
الافتخار والتبجح بالامر بان يذكر ليظهر علوه على غيره وفي رواية ابن زحر عن
الربيع بن انس في لفظ هذا الحديث وزحر بفتح الزاي المعجمة وسكون
الحاء ثم راء مهملتين وهو عبد الله بن زحر الافريقي العابد واصل معنى الزحر الصوت والانين ومنه
الزحير للمرض المعروف في الامعاء والعامة تغلط فيه وتقول زحيل باللام وروى عنه السنن وله
ترجمة في الميزان واخرج له البخاري في الادب وفي روايته زيادة ومغايرة في اللفظ على الرواية
السابقة وهي ظاهرة وفي الاصل بخطه في رواية ابن زحر والربيع بن انس وفي رواية العرقي عنه
عن الربيع عن انس وعلى كلا الوجهين المروي عنه انس بن مالك رضي الله كما قاله التلمساني انا اول
الناس خروجا اذا بعثوا كما تقدم وانا قائدهم اذا وفدوا القائد في الاصل الذي يقود الدابة بزمام
ونحوه ثم صار حقيقة في الرئيس الذي تتبعه الناس ويرضونه وفي امر الجيوش وجمعه قادة
وتقدم معنى الوفد وان المراد به القادمون للمحشر فالمراد انه صلى الله عليه وسلم مقدم ثمة حسا
ومعنى وانا خطيبهم اذا انصتوا اي انا المتكلم بين يدي ربي في امرهم والشفاعة لهم وقد سكتوا
ولم يطيقوا نطقا لحيرتهم والانصات والسكوت بمعنى وانا شفيعهم اذا حبسوا في الموقف واضطربوا
وفزعوا للانبياء عليهم الصلاة والسلام فقال كل منهم نفسي نفسي فيشفع لهم صلى الله عليه وسلم
الشفاعة العظمى في فصل القضا وانا مبشرهم بالخلاص من هول الموقف والحبس فيه اذا ابلسوا
انقطعت حجتهم وتحيروا وسكتوا لياسهم من النجاة وقيل الابلاس الحيرة والندم ومنه ابليس
لوا الكرم بيدي قريب مما مر لفظا ومعنى وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف
خادم في الجنة من الحور العين كانهم لؤلؤ مكنون رواه الترمذي وصححه ومكنون بمعنى محفوظ مستور
لم تمسسه الايدي فهو كناية عن كونها بكرا ذات بهاء بحيث لم ير مثلها وعن ابي هريرة رضي الله عنه
في حديث رواه الترمذي وصححه واكسى حلة من حلل الجنة اصل معنى الحلة ثوبان من برود اليمن
واحدا فوق واحد ثم اطلق على كل لباس فاخر يعطى رعاية للابسه ففيه دلالة على قربه
صلى الله عليه وسلم وكرامته اذ كسي وجميع الناس عراة وحفاة ثم اقوم عن يمين العرش ليس
احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري ذلك في محل نصب على الظرفية وفي مقامه صلى الله عليه
وسلم في جانب اليمين في مقام لم يقم فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب من التكريم الدال على غاية القرب
وسماع كلامه وقبول رجائه ما يليق بمقامه الشريف والخلائق جمع خليقة وهو اسم جمع بمعنى
جماعات من المخلوقين وعن ابي سعيد الخدري في حديث رواه ابن ماجة والترمذي وحسنه
انا سيد ولد آدم يوم القيمة ظرف متعلق بسيد وتقييده به ليس للتخصيص كما سياتي بل لانها
سيادة مسلمة له صلى الله عليه وسلم وهي اشرف من سيادة الدنيا ومراد الصحيح ان السيد يجوز اطلاقه
على الله وعلى غيره والخلاف فيه مشهور على ثلاثة اقوال مشهورة وبيدي لوا الحمد ولا فخر تقدم معناه

وما من بني آدم فمن سواه بدل من بني اي جميع الانبيا الا تحت لوائي اي تابع لي في القيمة وليس المراد انه تحته
حقيقة وعطف فمن بالفا لانهم بعده من غير فاصلة والمراد الترتيب الرتبي او الحقيقي وانا اول من تنشق
عنه الارض يوم تبعث القبور وتنشق بقدرة الله وفيه اكرام له صلى الله عليه وسلم ولا فخر تقدم معناه
وعن ابي هريرة رضي الله عنه في حديث صحيح رواه مسلم عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم
يوم القيمة اي انا اشرفهم واقربهم عند الله في يوم لا يسود فيه غيري كما مر واول من ينشق عنه
القبر اي قبره الشريف واول شافع يشفع للناس في الموقف واول مشفع بفتح الفا المشددة اي
اول من يؤذن له في الشفاعة وتقبل شفاعته وتفصيله ما في حديث البخاري يحبس المومنون يوم القيمة
فيقولون له صلى الله عليه وسلم استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فاستاذن على ربي فيؤذن
لي فاذا رايته وقعت ساجدا فيدعني ما شا ان يدعني فيقول ارفع راسك محمد وقل يسمع واشفع
تشفع وعن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث رواه الترمذي والدارمي انا حامل لوا الحمد يوم
القيمة ولا فخر كما مر وانا اول شافع في ازالة هول الموقف واول مشفع تسمع شفاعته وتقبل ولا
فخر في فخر تكبر وتبجح فيما خصني الله به وانا اول من يحرك حلق باب الجنة ليفتح لي ولمن يدخلها
بعدي وحلق بفتح الحاء المهملة واللام ويجوز كسر الحا فيكون بزنة ندر جمع حلقة بسكون اللام وقد
تفتح وتكسر وفي القاموس ليس في الكلام حلقة محركة الا جمع حالق او هي لغة ضعيفة والمراد بباب
الجنة باب مخصوص به صلى الله عليه وسلم يسمى باب محمد وباب الرحمة ولها ابواب غيره وقيل
المراد جميع ابوابها وانه الظاهر والظاهر خلافه فيفتح لي بابها فادخلها وفي رواية وادخلها
بالواو ويدخلها معي فقرا المومنين ولا فخر ويفتح بالتحتية والبنا للمجهول والفاتح خزنتها
او الفوقية والضمير للجنة والفا للتعقيب من غير مهلة في الفتح والدخول والمراد بالفقرا الفقراء
الصابرين وهو شامل للمساكين والفرق بينهما مشهور والخلاف معروف وفي هذا دليل على ان الفقير
الصابر افضل من الغني الشاكر وقيل الغني الشاكر افضل والاول اصح ولذا اختار الفقر كثير من الانبياء
والاوليا وانفق ابو بكر رضي الله عنه ماله في سبيل الله ليدخل في سلكهم والمحمود منه ما كان مع غنى القلب
والنفس فان الغنى ليس بكثرة الفرض وانما هو غنى النفس وهو كما قيل

غنى النفس ما يكفيك عن سد حاجة ... فازد شيا عاد ذاك الغنا فقرا

وفقر النفس ولو مع المال مذموم ولذا استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم منه وكونه صلى الله عليه وسلم
اول من يدخل الجنة لا ينافي ما ورد في حديث الترمذي من انه صلى الله عليه وسلم دعا بلالا رضي الله
عنه وقال له يا بلال بم سبقتني الى الجنة فما دخلتها قط الا سمعت خشخشتك وفي رواية سمعت
دق نعليك بين يدي في الجنة فانه كان في رؤياه لا في هذا الدخول وهو كما قال ابن القيم كان دخوله
دخول الخادم والحاجب الذي يتقدم سيده والمطرق في طريق سيده وهو بيان لفضيلة الاذان وانما
ساله صلى الله عليه وسلم وان كان اعلم به تطييبا لنفسه والمراد بقوله معي ليس المساواة بل التبعية فلا
يقال لا حاجة لقوله معي في الجملة وهي حالية تقتضي المقارنة وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر
المراد انه صلى الله عليه وسلم اشرف من جميع الخلق وانا اكثر الناس اي الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وكذا روي ايضا تبعا جمع تابع كخدم جمع خادم يعني ان امته صلى الله عليه وسلم اكثر من ساير الامم
ويقتضي هذا اكثرية اجره عليهم وياتي التصريح به وافضليته على كل واحد منهم وعلى جميعهم ايضا
كما قررناه في محله وعن انس رضي الله عنه كما رواه الشيخان انا سيد الناس واجلهم واعظمهم
يوم القيمة خصه مع انه صلى الله عليه وسلم سيدهم في الدنيا والاخرة لظهوره ثمة واختصاصه به ظاهرا

من غير

من غير منازع ومنكر كما وقع في الدنيا من المشركين وسيأتي تفصيله في كلام المص وتدرون لم ذلك فيه
استفهام مقدر اي اتدرون ما سبب هذه السيادة وحذف الاستفهام لقرينة جائز كما صرحوا به يجمع
الله الاولين والاخرين في المحشر وذكر حديث الشفاعة اي ذكر انس رضي الله عنه هذا الحديث المذكور
فيه الشفاعة بتمامه ولم يذكره هنا لانه سيأتي في الشفاعة وانه اذا كان يوم القيمة ماج الناس بعضهم
في بعض فيأتون آدم عليه الصلاة والسلام ليشفع لهم فيقول لست لها الى ان قال فاقول انا لها الى اخره
وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اطمع
اي ارجوا من الله طمعا ورجا حققه له كقوله تعالى والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وتعبيره
صلى الله عليه وسلم بالطمع هضما لنفسه ان اكون اعظم الانبيا اجرا يوم القيمة لانه امته صلى الله
عليه وسلم اكثر الامم واجر اعمالهم له مثله لان من سن سنة حسنة له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة
واعمالهم مضاعفة وله صلى الله عليه وسلم مثلها ومثل اضعافها وهو اعظمهم مشقة كعموم دعوته
وكثرة من عتا وعاند من الكفرة مع تحمله وصبره حتى قيل له صلى الله عليه وسلم لعلك باخع نفسك
وفي حديث اخر اما ترضون معاشر المسلمين ان يكون ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام
وعيسى عليه الصلاة والسلام كلمة الله فيكم اي محسوبان من جملتكم ومحشوران معكم
يوم القيمة فيعدان من امتي وخصهما بالذكر لان ابراهيم عليه الصلاة والسلام اشرف الانبيا بعده
صلى الله عليه وسلم وهو ابو الانبيا وابو اسماعيل الذي كانت العرب تزعم انهم على ملته ولان عيسى
يبعث اخر الزمان على دينه صلى الله عليه وسلم ويغير احكام النصرانية واما اداة استفتاح كالا
او مركبة من همزة الاستفهام وما النافية والمعنى واحد ثم قال صلى الله عليه وسلم انهما في
امتي يوم القيمة اي يعدون منهم اما ابراهيم فيقول له صلى الله عليه وسلم انت دعوتي وذريتي
اما دعوته فقوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم اياتك الخ فجعل عين الدعوة مبالغة
اي انت ممن جعله الله منهم باجابة دعوتي والذرية النسل والولد يطلق على الواحد وغيره
ولا شبهة في انه صلى الله عليه وسلم من نسل ولده اسماعيل عليه الصلاة والسلام ولم يبعث فيهم
نبي سواه فهو المجاب دعوته واما عيسى اي كونه تابعا له صلى الله عليه وسلم وفي جملة امته يوم القيمة
فالانبيا كلهم اخوة اي كالاخوة في اتحاد امورهم مع الله ومع الخلق والاخوة اما لاب وام
ويقال لهم بنو الاعيان او لاب فقط وهم بنو العلات او لام وهم بنو الاخياف فلذا قال بنو علات
المراد بالعلات الزوجات الضرائر من العلل وهو الشرب مرة بعد مرة والشرب الاول يسمى نهلا
فكان الزوجات موارد للزوج او كان الاولاد مشاربهم مختلفة وهذا اقرب والى هذا اشار بقوله
امهاتهم شتى وامهات جمع ام واصلها امهة ولذا جمع على امهات وصغر على اميهة وقيل انه في
الاصل مضاعف لقولهم امات واميمة وقيل اكثر ما يقال امات في البهائم ونحوها وامهات في الانسان
وهو يطلق على الام القريبة والبعيدة وشتى من الشتات وهو التفرق جمع شتيت كمرض ومريض
اي مختلفة في الذوات والنسب فشبه الدين والعقيدة الحقة التي هي سبب لبقائهم بالاب الواحد
لاتحاد اعتقادهم ومعرفة ربهم على طريقة الاستعارة واثبت لهم الاخوة تخييلا وكونهم بنو ا
علات ترشيح وليست الاستعارة تحقيقية كما توهم وشبه فروع الشرايع والاحكام بالامهات في
حفظهم وتعيشهم فهي استعارة مستقلة تحقيقية او ترشيح بناء على جواز التجوز فيه والحاصل
انهم صلى الله عليهم وسلم بعثوا متفقين في اصول التوحيد مختلفين في فروع الشرايع وقيل اراد
انهم في ازمان متباينة والاول اولى وان عيسى اخي بكسر همزة ان واقيم الظاهر فيه مقام الضمير

او الاخوة بمعنى المشابهة في الرسالة والصفات الحميدة ليس بيني وبينه نبي لانه لم يبعث في الفترة
التي كانت بينهما احد من الانبيا ولما بينهما من المناسبة والقرب زمانا ومعنى كان اولى الناس به
وهو افعل تفضيل من الولا والتوالي وهو عدم الفاصل بين الشيئين ثم صار عبارة عن القرب فيقال
اولى بمعنى احق بمعنى من حيث المكان او الزمان او النسب او الدين كما ذكره الراغب وهو المراد هنا وهذا
من حديث رواه البخاري ومسلم وهو انا اولى الناس بعيسى بن مريم في الاولى والاخوة الانبيا
بنو علات امهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيني وهو حديث صحيح روي من طرق فعلم ان ما ذكره
الراغب والزمخشري وابن عربي في نصوصه من انه كان بينهما نبي اسمه خالد بن سنان كان هو
وقومه بعدن فخرجت نار عظيمة اهلكت الزرع والضرع فالتجا قومه اليه فاخذ خالد يضرب تلك
النار بعصاه حتى رجعت هاربة الى المغارة التي خرجت منها فقال لقومه انا ادخل خلفها المغارة حتى
اطفيها وامرهم ان يدعوه ثلاثة ايام تامة فانهم ان نادوه قبلها يخرج ويموت وان صبروا خرج اليهم
سالما فلم يصبروا ونادوه في اليوم الثاني فخرج وقال لهم اضعتموني واضعتم امري وامرهم
ان يدفنوه اربعين يوما يصبرون فيها فاذا تمت اتاهم قطيع غنم يقدمه حمار مقطوع الذنب فاذا
حاذى قبره نبشوه فيقوم ويخبرهم باحوال البرزخ وما عاينه يقينا فلما تم الميعاد كما قاهم مومنوا
قومه ان ينبشوا قبره فاتى اولاده خوف العار وان يقال لهم اولاد المنبوش فمنعتهم الحمية الجاهلية
على ان ضيعوه فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جاته ابنته فقال لها مرحبا بابنة نبي اضاعه
قومه غير صحيح وما قيل من ان المراد نفي نبي شرع مبلغ للاحكام يا باه لفظ الحديث فان النبي اعم
ولو كان كما ذكر لقال انه رسول واحسن منه ان يقال انه كان مستعدا للنبوة ولم يرزق ذلك وكذا ما نقل
من انه كان بينه وبينه غيره كلقمان وشعيا فان مثله لا يعارض حديث الصحيحين كما ذكره الحافظ
ابن حجر والبرهان وغيرهما وقد علم انه صلى الله عليه وسلم انما خص هذين بالذكر لان ابراهيم عليه
الصلاة والسلام ابو الانبيا عليهم الصلاة والسلام واسماعيل كان على شريعته والعرب يزعمون
انهم على ملته وعيسى عليه الصلاة والسلام قريب العهد وسيصير من امته حقيقة وهذا لا ينافي قوله
تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا كما توهم لان المامور به اتباعه في التوحيد والعقايد
دون غيرها من الاحكام وليس المراد تقليده بل مراده انه موافق له فتامل وقوله صلى الله عليه وسلم
في الاحاديث السابقة انا سيد الناس يوم القيمة جواب عن سوال مقدر وهو لم خص سيادته
صلى الله عليه وسلم بذلك اليوم وهي غير مخصوصة به وهو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة بل سيد
جميع المخلوقات والجملة حالية ولكن اشار عليه الصلاة والسلام بقوله هذا كما تقدم لانفراده
عن غيره فيه بالسودد والشفاعة العظمى الدال على عظم قدرته عند الله دون غيره من الرسل والملا يكة
المقربين والسودد بضم السين المهملة وفتح الدال الاولى وقد تضم وتهمز الواو لضم ما قبلها
وهي لغة طي بمعنى السيادة وسيد وزنه فيعل او فعيل ودالة الثانية للالحاق اذ لجا الناس اليه
اي التجاوا واستندوا للتوسل به صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت او ذلك الامر وهو تعليل لما
قبله فلم يجدوا سواه صلى الله عليه وسلم يشفع لهم ويخلصهم مما هم فيه من الكرب الذي لا يطيق
غيره دفعه والسيد معناه لغة هو الذي يلجا الناس اليه في حوايجهم اي يعتمدون عليه اذا
قصدوه لقضا مصالحهم فلذا وقع هنا موقعه اذ المعنى انا من يقضي حوايج جميع الناس في الموقف
ومن هنا ظهر التخصيص وجه اخر الا ان هذا تفسير له بلازم معناه لان معناه من يتبعه جماعة قومه
وسواده والحوايج جمع حاجة على خلاف القياس او مفرده حايجة مقدرا ونادر وقد ورد في الاحاديث

وكلام

وكلام العرب كثيرا فصيحا فلا وجه لمن انكره كالحريري وقد شنع عليه ابن بري وانشد له شواهد
كثيرة وقد كان صلى الله عليه وسلم يحب قضا الحاجة وهو دابه في الدنيا والاخرة ولله در الصرصري في قوله

الا يرسول الله الذي • هدانا به الله في كل تيه
سمعت حديثا من المسندات • يسر فؤاد النبل النبيه
وانك قد قلت فيه اطلبوا • الحوايج عند حسان الوجوه
ولم ار احسن من وجهك • الكريم فجد لي بما ارتجيه

فكان صلى الله عليه وسلم حينئذ اي في وقت التجائهم اليه سيدا منفردا من سائر البشر
اي منفردا عن جميع الناس حتى الانبيا عليهم الصلاة والسلام بهذه السيادة لم يزاحمه احد في ذلك
اي لم يشاركه احد في كونه ملجا للناس واصل معنى المزاحمة المدافعة ولا ادعاه لانكشاف الامر
يوم القيمة حتى لا يمكن احد ان يدعي ما ليس فيه كما قال تعالى لمن الملك اليوم يعني انه تعالى يقول يوم
القيمة لمن الملك في هذا اليوم او ينادي به مناد على رؤس الاشهاد فلا يجيبه احد فيجيب نفسه بقوله
لله الواحد القهار اي الملك مخصوص به او يقوله اهل الموقف يعني ان قوله صلى الله عليه وسلم انا سيد
ولد ادم اليوم كقوله تعالى لمن الملك اليوم ووجه الشبه انه خص الملك بذلك اليوم كما خص رسول الله صلى
الله عليه وسلم سيادته به والملك له تعالى في الدنيا والاخرة لكن انما خصه بملك هذا لانه في الاخرة
انقطعت دعوى المدعين في الدنيا متعلق بالمدعين يعني ان ملوك الدنيا لما تصرفوا فيها تصرف
الملاك بتقديره تعالى ذلك لهم وتفضله عليهم ظنوا ان لهم ملكا حقيقة فلما قهرهم بالموت وكشف الغطا
ظهر انهم عبيد عاجزون ليس لهم من الامر شي فانقطعت الدعاوي وكذلك اي مثل كونه تعالى منفردا
بالملك وظهوره حين انقطعت الدعاوي وتفرده صلى الله عليه وسلم حتى لجا الى محمد صلى الله عليه
وسلم جميع الناس في الشفاعة العظمى المعهودة فكان سيدهم في الاخرى اي الاخرة لانه يقال لها اخرى
واخرة وفي نسخة في الاخرة دون دعوى من احد من اهل الموقف انه سيد لعدم المنازع والمدافع
وعن انس رضي الله عنه في حديث صحيح رواه مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بمد الهمزة
باب الجنة يوم القيمة فاستفتح اي اطلب الفتح بتحريك الحلقة فيقول الخازن اي بواب الجنة الموكل
بها والمراد به رضوان رئيس خزنتها لانه ورد التصريح بان له خزنة من انت فيقول انا محمد فيقول
بك امرت اي بسبب امرت بالفتح اذا قرع الباب وتقديم الجار والمجرور للحصر بالنسبة لاول الفتح
كما اشار اليه بقوله ان لا افتح لاحد قبلك والجملة مستانفة لبيان ما امر به وقيل انه بدل مما قبله اي امرت
بلا افتح لاحد قبلك وانما فتح له قبل كل احد لسبق روحه صلى الله عليه وسلم للنبوة وسبق ذرته في
الاجابة على ساير الذرات وفيه اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم اكثر الناس عملا واعتقادا وافضلهم
لقوله تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وعن عبد الله بن عمرو ابن العاص في
حديث رواه الشيخان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر اي مسافة كل
جانب منه مقدار شهر والحوض مجمع الماء وهو معروف وهذا الحوض العظيم مخصوص به صلى الله عليه
وسلم كما صرح به القرطبي في شرح مسلم وورد في حديث مرفوع رواه الترمذي ان لكل نبي حوضا
ترده امته وروي انه صلى الله عليه وسلم له حوضان احدهما في ارض الموقف والاخر بعد الصراط
له مزايان من الكوثر وقوله وزواياه سواء يدل على انه مربع وماوه ابيض من الورق
بفتح الواو والرا المهملة وكسرها وسكونها مطلقا او ما ضرب وفي نسخة من اللبن والعسل وابيض
افعل تفضيل من البياض ضد السواد وقد سمع من العرب وورد في الحديث الا ان الصحابة صاحب

القاموس قال انه سائد وعلى الاول فلا وجه لاطلاق بعض الثقاة انه لا يبيض افقر من الالوان ومن العيوب وانما
يقال بياض وابلغ ونحوه وريحها طيب من المسك الريح كالرائحة ما يشم ويطلق على الثوا وهو الاشهر ويجوز
ارادته ايضا لان الثوا اذا تكيف بكيفية طيبة كان طيبا ايضا كيزانه اكثر من كجوم السما كثرة واشراقا
وكونها اكثر من النجوم حقيقة لا مانع لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث والذي نفسي بيده لانيته اكثر
من عدد نجوم السما تاكيده بالقسم وقيل المراد المبالغة والكيزان جمع كوز وهو اناء صغير يتناول به
الما للشرب والاصل انه لا ضيق العنم له عروة فاذا لم يكن له عروة فهو كوب وجمعه اكواب كما تقدم
فاذا كان فيه شراب فهو كاس من شرب منه شربة لم يظما ابدا اي لم يقطش بعده ابدا او روي لن يظما ولا
يظما ولا كلام فيه واما هذه الرواية فاستشكلت بان لم لنفي الماضي والمراد هنا نفي الظما في المستقبل بدليل
قوله ابدا المفيدة لاستغراق المستقبل واجيب بان المراد نفي الماضي كانه لم يذق ظمأ في الماضي لشدة
اللذة التي انشئه ما قبلها واما ابدا فانها تكون للماضي ايضا كما في التسهيل اقول هذا تعسف
فالحق انها لنفي المستقبل بقرينة قوله ابدا وهي ترد كذلك اذا قرنت بالشرط نحو ان لم تحسن الي غدا كان
كذا وهو كثير في كلامهم ومن هنا شرطية او في معناها فهذا اسهو من قايله ويظما مهموز
ساكن الهمز ويجوز ابدالها الفا وقيل ان لذة المشروب انما تكون بالاولى وهو انما يكون لمن
عطش واهل الجنة منعمون في الماكل والمشرب واجيب بان المراد انه لا يشتد عطشه وليس بشي لانه
قد يشرب بدون عطش للتلذذ كما يشاهد في حضور الدنيا وروي من يشرب بالرفع على ان من موصولة
ويجزم ما على انها شرطية كما تقرر وعن ابي ذر رضي الله عنه جندب ابن جنادة نحوه اي روى
عنه ما هو بمعناه او قرب منه وان لم يكن مثله وقال زيادة على ما مر في روايته طوله ما بين عمان
الى ايلة اي لطول الحوض كطول ما بينهما من البلدين وعمان بضم العين وفتح الميم المخففة وبفتح
العين وتشديد الميم وهو المروي في حديث الحوض قرية بالشام وحكي فيه التخفيف ايضا وهو المراد
والتي باليمن بالضم والتخفيف لا غير وقيل انها المرادة هنا لرواية ما بين بصرى وصنعا والمراد
زيادة الطول فلا تنافي الروايات وايلة بفتح الهمزة وسكون المثناة التحتية ولام وهاء بلدة
بالشام بساحل البحر بينها طيبة ودمشق وقيل غير ذلك وهي سميت بعمان بن لوط لانه سكنها وقيل
بعمان بن سنان بن ولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام يشخب فيه ميزابان من الجنة بفتح الياء المثناة
التحتية وسكون الشين وضم الخا المعجمتين وفتحها وموحدة ومعناه انه ينصب بصوت ورؤي
بفتح معجمة مضمومة ومثناة فوقية ومعناه يتوالى صبه ورؤي ابلغ منها ان يثعب بمثلثة من
الصرع عند الحلب والميزاب بكسر الميم وهمزة ساكنة وتبدل ياء مسيل الما وعن ثوبان مثله اي مثل
حديث ابي ذر وقال اي ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم احدهما اي احد الميزابين من ذهب
والاخر منها ورق اي فضة وفي رواية حارثة ابن وهب الخزاعي الصحابي المعروف رضي الله
عنه واخرج له اصحاب الكتب كما بين المدينة وصنعا وقال انس اية وصنعا هي بلاد وعين
مهملتين مدينة باليمن والنسبة اليها صنعاني على خلاف القياس وبينها وبين المدينة مسيرة شهر والمراد
عظمه فالروايات كلها بمعنى وبقرب دمشق قرية تسمى صنعا ايضا وقال ابن عمر رضي الله
عنهما في حديث رواه الشيخان كما بين الكوفة مدينة العراق المشهورة والحجر الاسود والروايات
متحدة كما عرفته فانها تقريبية لا تحد بدليل خاطب صلى الله عليه وسلم كلا بما يعرفه ولا حاجة الى
ان يقال انه وقع الخطاب به عند الحجر الاسود كما قيل واصل يعني اللوثة رجل ستير واوجاره
بين فسمي بها لسترها لهم في بيان ان هذا الحديث روي من طرق كثيرة دالة على صحته وانه على ظاهره

ولو ذهب

ولذا ذهب المص الى انه متواتر فقال وروى حديث الحوض ايضا كالروايات المتقدمة انس بن
مالك الانصاري الصحابي خادم النبي صلى الله عليه وسلم رواه احمد عنه مسلم من غير الطريق المتقدمة
فلا يقال انه تقدمت روايته وايضا يقتضي مغايرة ما تقدم وجابر بن سمرة بفتح فضم ابن جنادة الصحابي
السوائي وما في بعض النسخ هنا وفي اول الشفا جابر وسمرة قال البرهان لصوابه جابر بن سمرة وكذا هو
على الصواب في النسخ مكتوب عليه صح فان صحت الرواية الاخرى فالحديث رواه جابر بن عبد الله وسمرة
الا ان رواية جابر بن عبد الله في مسند احمد واما رواية سمرة فلم اقف عليها فالثابت رواية ابن سمرة
كما في مسلم وغيره وابن عمر وعقبة هو عبد الله بن عمر بن الخطاب الصحابي احد العبادلة وعقبة هو
بن عامر الصحابي المشهور الجهني وحارثة بن وهب الخزاعي الصحابي المنسوب لخزاعة قبيلة
معروفة والمستورد بصيغة اسم الفاعل بن شداد الفهري نزيل مكة ثم مصر الصحابي وابو برزة
الاسلمي فضلة بن عبيد الصحابي الامام الجليل وبرزة بفتح البا الموحدة وسكون الرا المهملة وزاي
معجمة تليها ها توفي سنة ستين او اربع وستين وحديثه في الصحيح والترمذي واسلم قبيلة معروفة
وحذيفة بن اليمان العبسي الاشهلي الصحابي صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحديثه رواه مسلم وابن ماجة وابو امامة بن صدي بن عجلان الباهلي الصحابي وحديثه
اخرجه الطبراني وامامة بضم الهمزة وزيد بن ارقم الخزرجي الصحابي المشهور وحديثه
اخرجه ابن حنبل والحاكم وصححه وابن مسعود الصحابي الذي اري الاذان في منامه وكما مر
حديث اخرجه الشيخان ايضا وسهل ابن سعد الصحابي الساعدي منسوب لساعدة وبنو ساعدة
قوم من الخزرج واليه تنسب السقيفة التي كانت فيها بيعة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وسويد
ابن حنبلة بفتحات وهو سويد بن جبلة الفزاري وقيل لم تصح صحبته فحديثه مرسل وقيل انه
صحابي ولم يرو عنه الا حديث واحد وقيل لعله سويد بن غفلة ولهم سويد ابن عامر وهذا الحديث
عنه في سنن البيهقي والاولى تاخيره للاختلاف في صحبته وابو سعيد الخدري الصحابي المشهور
وقد تقدم وعبد الله الصنابحي بضم الصاد المهملة وفتح النون والف يليها با موحدة مكسورة وحاء
مهملة وياء نسبة صحابي وقيل نسب لجده صنابح اسم بطن من العرب وفي الشرح الجديد لم اقف على من نسب
لهذا البطن من الصحابة سوى عسال الصنابحي واخر اسمه صنابح بن الاحمر فلعله نسب لجده وفي التابعين
عبد الرحمن بن عملة الصنابحي فلعله التبس على القاضي وقيل صوابه الصنابح وابو هريرة وحديثه
في الصحيحين والبرا ابن عازب وحديثه في الصحيحين ايضا وجندب بن عبد الله بن سنان البجلي الصحابي
وهو بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال المهملة وضمها وفي الصحابة من يسمى جندب غيره ولكنه
متى اطلق فالمراد هذا وعايشة ام المومنين رضي الله تعالى عنها واسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله
تعالى عنها والحديث في الصحيحين وفي بعض النسخ وابو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة مصغر
بردة ولبريدة ابنان سليمان وعبد الله قاضي مرو وعالمها وهما تابعيان فلا ينبغي ذكرهما هنا مع
الصحابة وفي مسند احمد رواية حديث الحوض عن عبد الله بن بريدة وقال حدثني به اخي قال البرهان
لعل القاضي اراد بابن بريدة هذا او قال بريدة فزيد عليه ابن ولم ار لبريدة بن الحصيب حديثا في الحوض
في الكتب الستة ومسند احمد وله ذكر في مسند البزار وابو بكرة وهو نفيع ابن الحارث كناه النبي صلى الله عليه
وسلم به لانه تدلى ببكرة من حصن الطايف لما منع من الخروج وخولة بنت قيس بن فهد بن قيس
الانصارية النجارية الصحابية زوجة سيد الشهدا حمزة بن عبد المطلب وحديثها في مسند احمد
والطبراني وغيرهم من الصحابة وترك المص ذكرهم اختصارا فلذا تركناهم اقتدوا به وقد تقدم

ان الهم لكثرة طرق هذا الحديث قال انه متواتر وفيه نوا تره معنوي لقول ابن الصلاح انه لا تكاد
توجد شروط **فصل في تفضيله** صلي الله عليه وسلم علي غيره من الانبيا
و صفتي المحبة والخلة كما سيأتي تحقيقه اي بكونه حبيب الله وخليله جاءت بذلك الاثار الصحيحة
معني و رواية وقد تقدم الكلام علي الاثر والحديث وان الاثر يطلق علي الحديث مرفوعا كان او موقوفا
او غيرهما واما تخصيص الفقها الاثر بالموقوف فاصطلاح لهم وما رواه الخطيب في جامعه مرفوعا ما
جاء عن الله فهو فريضة وما جاء عني فهو حديث وما جاء عن اصحابي فهو سنة وما جاء عن اتباعهم
فهو نافلة وما جاء عن دونهم فهو بدعة فهو موضوع كما نص عليه ابن حجر والسخاوي والمحبة من
العبد لله ومن الله لعبده كما قال تعالي يحبهم ويحبونه وهذا مما لا خلاف فيه الا ان المحبة ميل القلب
لما تلتذ به حواسه الباطنة والظاهرة ولا يتوقف هذا علي الصورة الحسنة كمحبة الصلحا والعلما
وغيرهم من ارباب الكمالات في حقه تعالي وليست بميل قلب ونحوه بل هي ارتضاؤه له لاتصافه
بالكمال وانقياده لطاعته مولاه وحبه له من طريق المنعم لا من طريق الانس والراحة وهو الذي
كمله وحببه ولذا قيل انه عبر عن الخلق بالمحبة ومحبة العبد تعظيمه له بمشاهدة صفات كماله
ومعاملته لاتمامه ولاحسانه فان القلوب مجبولة علي حب من احسن اليها والخلة صفة الخليل وهو
مما يستوي فيه المذكر والمونث يقال خل وخليل بين الخلة والخلولة وخليل الله معناه من اصطفاه
وخصه بكرامته لتخلقه باخلاق الله لانه الخليل من يخالك اي يوافقك في خلالك ويسايرك في طريقك
من الخل وهو الطريق في الرمل او سيد خلتك ومعني كونه الله خليل عبده انه محبه له قايم بامره
بحيث لا يحوجه لغيره اصلا **واختص صلي الله عليه وسلم علي السنة المسلمين بحبيب الله**
اي جري علي الالسنة تخصيصه صلي الله عليه وسلم بذلك دون خليل الله لاطلاقه علي ابراهيم عليه
الصلاة والسلام اذ كان غيره من الانبيا محبوبا لله ايضا ثم استدل علي اتصافه صلي الله عليه وسلم
بالخلة بحديث رواه مسندا عن البخاري فقال **اخبرنا ابو القاسم الخطيب وغيره** هو الامام
المقري خلفا بن ابراهيم المعروف بابن النخاس بالخا المعجمة المشددة ولد سنة سبع وعشرين
واربعمايه ومات بقرطبة سنة احدي وعشرين وخمسمايه يوم الثلاثا سادس عشر صفر
والخطيب ابي القاسم جايزة بعده صلي الله عليه وسلم علي الصحيح كما ياتي **عن كريمة بنت احمد**
بن محمد وفي نسخة بنت محمد وصحيحها رواية بعض الشراح وفي الاكمال انها كريمة بنت احمد
بن محمد بن حاتم المروزية سمعت صحيح البخاري من الكشميهني وروت الحديث وحدث به
كثيرا وجاورت بمكة الي ان ماتت قالت **حدثنا ابو الهيثم** الكشميهني وقد تقدم ضبطه
وترجمته **وحدثنا حسين بن محمد** بن سكرة الحافظ السابق ذكره **سماعا عليه** منه واحد
شيوخه وهذا اسند وطريق اخر للمصنف في رواية هذا الحديث وفي نسخة حينيذ وحدثنا وحينيذ
تكتب عند الانتقال من سند لاخر اشارة الي التحول كما فصلوه في مصطلح الحديث قال **حدثنا القاضي**
ابو الوليد الباجي الذي بيناه سابقا **حدثنا عبد الله بن احمد** عبد بغير اضافة ابو ذر الهروي
السابق ذكره قال **حدثنا ابو الهيثم** الكشميهني السابق في الطريق الاول قال **حدثنا ابو عبد**
الله محمد بن يوسف الفربري الامام الحافظ راوي البخاري المشهور كما تقدم قال **حدثنا ابو**
محمد بن اسماعيل هو الامام البخاري صاحب الصحيح المشهور قال **حدثنا محمد بن عبد الله**
المعروف بالمسندي والبخاري يروي عن اربعة كل منهم اسمه محمد بن عبد الله والمراد هنا هنا
كما ذكره الكلاباذي وهو محمد بن محمد بن عبد الله بن حفص بن السماك توفي يوم الخميس لست بقين

من ذي

من ذي القعدة سنة تسع وعشرين ومايتين حدثنا ابو عامر عبد الملك بن عمرو بن قيس العقدي بفتح
العين والقاف ودال مهملتين وهو محدث بصري مشهور اخرج له الايمة الستة توفي سنة خمس
ومايتين قال حدثنا فليح بضم القاف وفتح اللام ومثناة تحتية وحا مهملة بن سليمان العدوي
المدني اخرج له اصحاب الكتب الستة وهو ثقة وقيل ليس بالقوي توفي سنة ثمان وستين ومايه
وترجمته في الميزان قال حدثنا ابو النضر بالضاد المعجمة الساكنة سالم ابن ابي امية المدني الثقة
راوي انس توفي سنة تسع وعشرين ومايه عن بسر بن سعيد بضم البا الموحدة وسكون السين وراء
مهملتين المدني الزاهد الثقة توفي سنة مايه عن ابي سعيد سعد بن مالك ابن سنان الخدري السابق
ترجمته رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي
لاتخذت ابا بكر هذا حديث صحيح رواه البخاري وغيره من طرق متعددة ومفعوله الثاني محذوف
تقديره خليلا ولو حرف شرط لامتناع ما يليه وهو الشرط فان لم يكن للجزا سبب غيره لزم من امتناعه
امتناعه والا فلا يلزم فامتنع اتخاذه خليلا غير ربه فيلزم امتناع اتخاذ ابي بكر خليلا فالمعنى لا اصل
في محبة احد من الخلق الى مرتبة الخلق فانها مختصة بربي فلو فرض جعلها لاحد كان ابو بكر اليق
بها من جميع الخلق لبذل نفسه وماله ووطنه واهله في طاعته وهذا صريح في تفضيله على غيره وتقدمه
عنده فان كان من الخلة بالضم وهي الصداقة والمحبة التي تتخلل باطن القلب فالمعنى ان محبته مقصورة
على ربه وان كان من الخلة بالفتح والكسر وهي الحاجة فالمعنى اني ابرء من الاعتماد والافتقار الى
غير ربي وفي هذا الحديث دلالة على ما عقد له الفصل وهو تفضيله صلى الله عليه وسلم بالمحبة والخلة
وقد تقدم ما اتفق عليه المسلمون من المحبة وما هنا دال على الخلة وما قيل من انه كان ينبغي للمص ان يذكر
حديثا صريحا في اتخاذ الله خليلا وتقدم ما ذكره في اخر الفصل غني عن الرد وفي حديث اخر وان
صاحبكم خليل الله يعني نفسه صلى الله عليه وسلم على طريق التجريد والاحاديث تفيد ان المخالة
من الجانبين اذا كانت بمعنى المحبة لا من الخلة بمعنى الحاجة فان الله غني عن العالمين ومن طريق عبد
الله بن مسعود رضي الله عنه التي رواها البخاري وغيره وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا
كما اتخذ ابراهيم عليه الصلاة والسلام ولا يصح ان يراد بصاحبكم ابا بكر كما توهم وفي هذا دلالة
على انه من جانب الله فتم دلالته على انه من الجانبين بخلاف ما قبله ولا ينافيه كون ابراهيم عليه
الصلاة والسلام خليلا كما سياتي تحقيقه وعن ابن عباس رضي الله عنهما في رواية الدارمي
والترمذي قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه اي ينتظرون خروجه
من بيته لمجلس اصحابه والجملة حال من ناس لوصفه بالجار والمجرور قال ابن عباس فخرج
النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا دنى قرب منهم سمعهم يتذاكرون اي يذكر بعضهم لبعض
فيتحادثون او يذكر بالتشديد كل منهم من عنده ما نسيه فسمع النبي صلى الله عليه وسلم
حديثهم وفسر هذا الحديث بقوله فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا اي
من دون خلقه او اختاره للخلة من بينهم اي تعجب عجبا من هذا والعجب يكون من امر فيه غرابة ولا
اغرب عند من عرف عظمة الله وغناه عن مخلوقاته وان كل شي من فضله واحسانه استغرب اتخاذه
خليلا من عنده وهو ابراهيم صلى الله عليه وسلم غير ان نبينا كان خليلا انه كان مختصا بذلك فلا وجه
لما قيل انه يرد اختصاص ابراهيم بكونه خليلا على ما مر وقال اخر ماذا اي ليس اتخاذ الله ابراهيم
خليلا باعجب من كلام موسى حين ناجاه في الدنيا وكلمه الله تكليما مع انه تعالى في الدنيا لم يكلم
انبياوه الا بواسطة ملك الوحي وقال اخر فعيسى كلمة الله وروحه هذه الفا فصيحة في جواب

شرط مقدر اذ ذكرتم خليل الله وكليمه وتعجبتم من ذلك فاذكروا عيسى عليه الصلاة والسلام وكونه
كلمة الله وروحه وسمي عيسى كلمة الله لانه خلقه من دون اب بمجرد قوله كن او لاهتدا الناس كما
اهتدوا بكلامه وقال الصدر القونوي في نفحاته لكل شي في عرصة العلم الالهي الازلي مرتبة
الحرفية فاذا صبغه الحق بنون الذاتي وذلك بحركة معقولة معنوية يفيضها شان من الشون
الالهية المعبر عنها بالكتابة تسمى تلك الصورة كلمة فالموجودات كلمات الله تعالى كما قال تعالى اليه يصعد
الكلم الطيب اي الارواح الطاهرة انتهى ومعنى روحه انه روح منه بدون واسطة تولد فالاضافة
للتشريف وقال اخر ممن كان ثمة وادم اصطفاه الله اي اختاره وجعله صفية وهذا كله مما يتعجب
منه من لا خلط عظمة الربوبية وانه غني عن العالمين فخرج النبي صلى الله عليه وسلم عليهم فسلم
لما ذكر قوله فخرج اولا ثم اعاده هنا وهو مكرر ولا يصح كونه تاييدا فقيل كرره لينبط به غير ما
ينبط به اولا ويحتمل ان يكون الخروج الاول من مكان والثاني من اخر قلت هذا التوهم ان العطف
ينافي التاكيد وليس كذلك فان النحاة ذكروا كما في التسهيل ان التاكيد قد يقترن بالعاطف فالاكثر
انه كقوله كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وقد يكون بالفا وصرح المفسرون بانه قد يعاد
اللفظ اذا طال الكلام تذكيرا به وهاهنا بحث نفيس وهو ان ما قاله النحاة ينافي ما اتفق عليه اهل
المعاني من ان التاكيد لا يصح عطفه لما بينهما من شدة الاتصال ولان العطف يقتضي المغايرة والتاكيد
عين المؤكد والعجب منهم انهم لم يتعرضوا لما قاله النحاة والمسالة من مسايل الكتاب فان لم يقفوا
عليه فهو عجيب وان وقفوا عليه واعتقدوا خلافه فهو اعجب كما قيل

فان كنت لا تدري فتلك مصيبة ۞ وان كنت تدري فالمصيبة اعظم

وقال صلى الله عليه وسلم قد سمعت كلامكم وعجبكم اي تعجبكم وقولكم عجبا كما مر في اول
الحديث وقد قيل ان سمعت مضمن معنى ادركت او فيه مقدر عامل في الثاني اي وعرفت عجبكم
على حد قوله فلذته سيفا ورمحا اي واعطيته ولا حاجة لما ذكر لما قدمناه لك ان الله اتخذ ابرهيم
خليلا وقد صحح في النسخ المقروءة بفتح همزة ان فهو بدل وفي الشرح الجديد يجوز ان تكون
جملة مستانفة كان سايلا سال ما كلامهم وما تعجبوا منه فاجابهم بقوله ان الله الخ وان يكون مقول
قول محذوف وهو يقتضي ان ان مكسورة الهمزة وهو كذلك اي اتخذه خليلا وموسى نجي الله اي
كليمه والمناجاة المكالمة واصل معناها ان يخلو بنجوة من الارض ليسار غيره ثم شاع فيما ذكر
وقيل اصلها من النجاة فمعناه ان يكلمه مما فيه خلاصه وهو كذلك اي هو نجي الله وكليمه فما
ذكره واقع وعيسى روح الله وهو كذلك اي روح الله كما قلته وتقدم بيانه ان والاضافة
للتشريف او هو بمعنى رحمة الله وادم اصطفاه الله وهو كذلك كما قلتم فان الله اصطفاه
واختاره للنبوة والخصايص الروحانية وكونه ابا البشر الا وانا حبيب الله الا بفتح الهمزة وتخفيف
اللام حرف استفتاح يؤكد به الكلام المستانف فيحقق ما بعده نحو الا ان اوليا الله لا خوف عليهم
وتدخل على الجملتين ودخولها هنا على العاطف لتحقيق اختصاصه بكونه حبيب الله واشارة
الى ان هذه الصفة اعلى درجة مما قبله اي من عجب مما وصف به الانبيا قبلي فانا موصوف بما هو
اعجب واعلى وهو كوني حبيب الله اي محبوب له فانه فعيل بمعنى مفعول وما قيل من انه من القول
بالموجب البديعي كقوله تعالى ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله فانه سلم
لهم اخراج الاذل بمعنى غير الذي ارادوه فانهم ارادوا بالاعز غير المومنين وبالاذل
المومنين فعكسه عليهم وهو على ضربين كما تقرر في علم المعاني غير صحيح لانهم لم يقصدوا

تفضيلهم

تفضيلهم على نبينا صلى الله عليه وسلم ولم يقصدوا الرد عليهم حتى يقال انه ساهد ذا القبيل
باعتبار ديني لا نلتزمه ولذا قال السلماني انه قريب من العقود بالموجب لانه قرر اولا ما ذكروه من
فضلهم بقوله هو كذلك لو نبه على انه افضل منهم كلهم وقوله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم
القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي
تقدم شرحه في حديث اخر ويروى خليلها بضم المثناة التحتية والضمير الثاني للجنة ويجوز فيه الفصل
خلافا لسيبويه للزوم الضمير عنده كقوله انا الله يكلم ابراهيم ومعنى فقرا المومنين اكرامهم
وفيه اشارة الى ان الفقير الصابر افضل من الغني الشاكر كما سيجيء في الجملة الثانية ولا فخر وانا اكرم
الاولين والاخرين ولا فخر في حديث ابي هريرة الذي رواه البيهقي وصححه ما قوله
تعالى وفي نسخة من قوله الله والاصح رواية بلفظ من لنبيه صلى الله عليه وسلم اني اتخذ بك
خليلا كما تقدم فهو مكتوب في التوراة اسم حبيب الرحمن قال السنهي اله وقع هكذا في
في النسخ المعتمدة من الشفا بهمزة مفتوحة وسين مهملة ساكنة وباء موحدة وهي هكذا وفي نسخة
المهم المبيضة المروية عنه وصحفها بعضهم فكتبت انت وفي لفظة عبرانية بمعنى انت وقال الدلجي
ان بعضهم بعد السين كافا ساكنة فوقية وفسره بانت وعبر السنهي بقوله بعد السين جرة اي سر خطيبة
فلم يعينها لشك فيها قيل حاصله ان بث لنبينا صلى الله عليه وسلم وصحق المحبة من غير
مشاركة فيها والخلة التي شاركه فيها ابراهيم عليه الصلاة والسلام وقد اثبتها صلى الله عليه وسلم
لنفسه في اخر خطبة خطبها قبل وفاته بخمسة ايام فقال بعد حمد الله تعالى والثناء عليه عز اسمه
انه قد كان لي فيكم اخوة واصدقاء واني ابرء الى الله ان اتخذ احدا منكم خليلا ان الله اتخذني خليلا
كما اتخذ ابراهيم خليلا اوبيت المبارحة مفاتيح خزائن الارض والسماء وهو بفضل الله ومنه صلى
الله عليه وسلم باعلى مقامه واكمل حالاته وبين خلته وخلة ابراهيم عليه الصلاة والسلام فرق لانا
خلة حقيقية اصلية وخلة ابراهيم مستفادة من خلة المدانية ولذا قال ابراهيم في حديث
الشفاعة انا كنت خليلا من وراء وراء لخليل غيره وهو محمد صلى الله عليه وسلم انتهى فهو صلى
الله عليه وسلم مختص بالمحبة وبالخلة الحقيقيتين والمعتمد قال تعالى يحبهم ويحبونه ولكل
صفة مراتب فهو صلى الله عليه وسلم مختص باعلاهما وسيأتي تحقيقه قريبا قال القاضي ابو
الفضل رضي الله عنه هو مما فيه المم اختلق بالبناء للمجهول اي اختلف العلماء في تفسير الخلة
وبيان معناهما واصل اشتقاقهما بيانا لمحل الخلاف ومستنده وفي قواعد المطرزي الاشتقاق
اقتطاع لفظ من لفظ يوافقه في حروفه الاصول كضارب من الضرب والاشتقاق اكبر رد تراكيب
المادة الواحدة المختلفة الى معنى واحد مشترك بينهما وقد يكون ظاهرا في بعضها خفيا في البعض
فيحتاج في رده الى ذلك المعنى الى تلطف في معرفة المناسبات انتهى وتفصيل اقسام الاشتقاق
وتحقيقه مذكور في كتب ابن جني كالخصائص وغيرها فقير الخليل المذكور هنا المنقطع
الى الله اي الذي رجاه واعتماده عما عدا الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال
اي خلل ونقص يحتاج لجبر وتكميل لخلوصه فيه وبقينه الذي لا يختل اصلا وتحقيقه ما قاله
الامام الراغب انه يقال لخلل الثوب بالخلال والرمية بالسهم ادخله فيه والخلة بالضم الطريق في
الرمل وبالفتح لاختلال العارض للنفس لشهوتها او لجلبها اليه ولذا فسرت الخلة بالحاجة
والخصلة والمودة لانها تخلل النفس اي تتوسطها او تتوفيها تاثير السهم في الرمية او لعزة
الحاجة وابراهيم عليه الصلاة والسلام خليل الافتقار الى الله وقيل سمي الخلة واستعمالها

كاستعمال المحبة وقال ابو القاسم البلخي هو من الخلة بالفتح لا من الخلة بالضم ومن قاسه بالحبيب
فقد اخطا لانه تعالى لا يجوز ان يحب عبده فان محبته الينا منه ولا يجوز ان يخاله وهذا منه تشبه فان
الخلة من تخلل الرد نفسه ومخالطته ولذا يقال تمازج روحاهما والمحبة بلوغ
الود حبة القلب يقال حببته اذا اصبت حبة قلبه فاذا استعملت في الله اريد مجرد الانسان وكذا
الخلة فيتجوز في احدهما كما يتجوز في الاخر فاما ان يراد بالمحبة بلوغ حبة القلب وبالخلة جبر
العلل فحاشا الله عنه انتهى وفي كلام المص دلالة على ان الخلة تستلزم المحبة ومن تفسيره للخليل يعلم
معنى الخلة التي هي ماخذه فلا يراد ان اول كلامه في الخلة وما ذكره تفسير للخليل فسقط ما قيل
من انه انما يستقيم على ان الخلة بمعنى الخليل يستوي فيه المونث والمذكر لانه مصدر في الاصل وان
الكلام في معناه اللغوي الوضعي في الاصل وان الكلام في معناه اللغوي الوضعي الثبوتي فتفسيره
بالسلبي غير مناسب لانه بيان لحاصل معناه **وقيل الخليل** معناه **المختص** بمن خالله مطلقا فهو
الصديق الذي صار من خلص احبابه واصدقائه وتفسيره بانه اختص بخدمة الله واختيار ما كلفه
من فعل وترك اقتصار فيه قصور **واختار هذا القول غير واحد** من الايمة المحققين
ورجحه الشراح **وقال بعضهم اصل الخلة الاستصفا** اي كون محبته ومودته صافية اي خالصة
من الكدورات وقيل هو من الصفوة بمعنى الاختيار وهو من لوازم الصداقة ثم فرع على الاقوال
قوله **وسمي ابراهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي فيه** الموالاة المحبة وفي معنى اللام
كقوله والذين جاهدوا فينا اي لاجلنا اي لا يحب الا من احبه الله من المومنين اهل الطاعة
ولا يبغض الا اهل المعصية والضلال كقوله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر يوادون
من حاد الله ورسوله ولذا قالوا

اذا ضافي صديقك من تعادي ... فقد عاداك وانفصل الكلام

وخلة الله له اي لابراهيم عليه الصلاة والسلام **وجعله** على عدوه كنمرود وهذا جواب سوال
مقدر اي معنى كون ابراهيم خليل الله فما معنى كون الله الله خليلا له **وجعله اماما لمن بعده**
لقوله تعالى وجاعلك للناس اماما اي مقتدى متبعا لجميع من بعده لان الانبيا بعده كلهم
من ذريته وهذا من تمام نصرته لانه لو لم ينتصر خالفه من بعده ولذا ذكره معه تاييدا
وتاكيد **وقيل الخليل اصله** اي اصل معناه الذي وضع له لغة **الفقير المحتاج** صفة كاشفة
مفسرة **المنقطع** اي المنفرد عن الناس لعدم اعوانه واخوانه **ماخوذ من الخلة** بفتح الخاء
وهي الحاجة لاحتياج صاحبها لغيره لعجزه كما يقوم باموره **فسمي بها** اي لقب بما اشتق
منها وهو الخليل **ابراهيم** فالضمير للحاجة او للفظة الخلة والاظهر انه بتقدير مضاف اي
بمشتقها ونحوه **لانه قصر** بفتح القاف والصاد المخففة والقصر كالحصر بمعنى التخصيص **حاجته**
على ربه اي لم يكن له حاجة الا ربه فلا يومل نفعا من غيره ولا يقبله **وانقطع اليه بهمه** البهم
هنا ما يهتم به المرء ويعتني به ويعزم عليه يعني كما انه قصر حاجته على الله قصر امله وعزمه
على الله وعلى ما يرضيه **ولم يجعله قبل غيره** قبل بكسر القاف وفتح الموحدة واللام بمعنى
القابل الذي يدرك ويرى فالمراد انه ضده وفي حاجته وانه لم يجعل امن ورجاه في غير
الله اي لم يطلب شيا من غيره ولم يومله **اذ جاءه** اي جا ابراهيم عليه الصلاة والسلام **جبريل**
عليه الصلاة والسلام **وهو في المنجنيق ليرمى به** وقد وضع فيه ليرمى به **في النار** التي اوقدت
لاحراقه وكان لبها اشتد حتى حتى لم يكن احد ان يدنو منها حتى يرمي شيا فيها فصنعوا المنجنيق

لالقايه

لالقايه من بعيد وهو بفتح الميم وكسرها الة لرمي العدو وبحجارة كبيرة بان يشد سواري مرتفعة
جدا من الخشب يوضع عليها ما يراد رميه ثم تضرب لسارية توصله لكان بعيد جدا وكانت هذه
الالة قديمة قبل وضع النصارى للبارود والمدافع وهو فارسي معرب وفي وزنه ومعناه
قبل التعريب كلام طويل لهم واصله من جي نيك اي ما اجودني وهو مونثة كما قال

لقد تركتني منجنيق ابن جدل • احيد عن العصفور حين احيد

وميمه زايدة ووزنه منفعيل وقال سيبويه فعليل والاستدلال عليه مشهور فقال له جبريل
عليه الصلاة والسلام الك حاجة عندي من سوال ما ينجيك ونحوه قال اما اليك فلا حاجة
لقصر حاجته على ربه كما مر وهذا رواه ابو نعيم وقال ابو بكر ابن فورك بضم الفا وفتح
الرا المهملة وكاف ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وقال البرهان انه صحيح في النسخ بالتنوين
والصرف لظن انه علم مرتجل وقيل انه عربي معناه الفار ولا يعرف في اللغة وانما المذكور فيها
انه بمعنى نوع من الظبا ومن قال معناه الفار لعله اراد انه من عجمة الاندلس وتحريف عامتهم
قلت رايت في كتب التواريخ انه ملك الهند ارسل للاسكندر رسولا اسمه فورك وسالت عنه
فقيل معناه غلام حقير وهو يقتضي انه اعجمي غير مصروف وعندي انه يجوز فيه الوجهان
وقد مر فيه كلام لنا وما قلناه هنا زبدته الخلة صفا المودة وهي المحبة مع التودد وهي المؤانسة
والمساعدة وصفاوها خلوصها بان يوافق الظاهر الباطن كما قال المعري

والخل كالما يبدي لي ضمايره • مع الصفا ويخفيها مع الكدر

التي توجب الاختصاص اي يلزمها اختصاص الواد بمن يوده بان يلازم صحبته واسعافه
بتخلل الاسرار جمع سر وهو ما يخفيه المرء عن غيره وتخللها دخولها في باطنه لاطلاعه عليها
وعلمه بها فلا يخفى عليه شي من احواله والباء سببية وقيل الاسرار بتجاويف حبات القلوب
وهو مجاز ومعناه رسوخ المودة في القلب واعلم انه تقدم ان الفرق بين المحبة والمودة والخلة
ان المحبة ميل القلب لما هو حسن عنده سوا كان صورة او كمال كمحبة العلما والصلحا او انتفاع
وانعام لان القلوب مجبولة على حب من احسن اليها والمودة مواصلة من تحبه والتودد اليه فاذا
زادت المودة وخلصت كانت خلة فان قلت فحينيذ الخلة اخص من المحبة فيكون افضل
فلم قيل ان المحبة افضل قلت المحبة اعم فقد يكون من غير مخالطة وقرب فلا خلة فيها
الا ان المحبة قد تصل الى مرتبة بحيث يكون الحبيب لا يغيب عن ذكره وذكره طرفة عين حتى يصل
الى الهيام وذهاب العقل وتبذل لها الارواح فضلا عما سواها وهذه تسمى عشقا والعشق
لا يجوز في الشرع اضافته لله فلا يقال عشقت الله كما ذكره ابن تيمية وغيره وان وقع من
بعض الحكما والصوفية فان كان مع هذه المرتبة خلة وتقريب فليس هكذا المحب محب والا
كحبيبه حبيب وهذه المحبة هي التي اختص بها نبينا صلى الله عليه وسلم بعد الاسرا لما راى الله
وشاهد من جماله وجلاله ووصل من قربه لمرتبته لم يصل لها رسول ولا ملك مقرب وتمت له
خلة مقربة لم ينلها غيره فلم يحتج لغيره ولا سال سواه وعرض عليه مفاتيح خزاين السموات
والارض واعانه الله ونصره نصرة عزيزة وغفر له ما تقدم وما تاخر مع انه لم يصدر عنه
زلة واطلعه على اسراره وخطار قدسه واي خلة لهذه فلذا كان صلى الله عليه وسلم مخصوصا
بانه خليل الله ايضا وقال الخليل عليه الصلاة والسلام انا خليل من ورا وكر رويا اشارة
الى زيادة قرب نبينا صلى الله عليه وسلم في الارض والسما فلا منافاة بين اختصاصه

ووصف ابراهيم واذ اشتهر بذلك لانه اجل صفاته واشتهر محمد بالحبيب لانه بهذا المعنى اجل
من الخليل وهذا من جانب العبد واما من الله فمحبته له بمعنى تقريبه وانهامه وتعليمه ما لم يعلمه
غيره وتفضيله على ما سواه وخلته له اسعافه بجليل هذه النعم وتوفيقه لجعله نصب بصره
وبصيرته حتى كانه معه في كل حين فاعرفه وقال بعضهم المحبة يحتمل ان اصل معناها
الوضعي المحبة لانها من تخلله في قلبه وروحه ويحتمل ان المراد ان المحبة اساس الخلة ومنشؤها
لانها تكون بعد تحققها ومعناها اي معنى الخلة الوضعي بناء على الثاني وهو الارجح وقيل
ضميرها راجع للمحبة المرادفة للخلة الاسعاف اي الاعانة والنصرة والامداد لكل ما اراد
والالطاف بفتح الهمزة اي الانعام والاحسان قال الزمخشري في شرح مقاماته الالطاف
الهدايا واحدها لطف بفتحتين قال كمن له عندنا التكريم واللطف انتهى ويحتمل ان جمع لطف
كقفل وهو التوفيق لفعل كل خير وتسهيله وكونه بكسر الهمزة تحريف والترفيع باعلى
مرتبة بالكمالات الظاهرة والباطنة والشفيع باذنه له في الشفاعة وقبولها وله صلى الله
عليه وسلم شفاعات كما مر فيشفع في فضل القضا ولرفع درجات قوم في الجنة ولمن مات بالمدينة
كما رواه الترمذي ولبعض المومنين في التجاوز عن سيئاتهم ولبعض من كان من اهل النار بعدم
دخولها واخراجه منها ولتخفيف عذاب بعض الكفرة كابي طالب لجعله في ضحضاح من نار يغلي
منه دماغه كما رواه البخاري وهو لا ينافي قوله تعالى لا يخفف عنهم العذاب كما قيل وقد بينا
في حواشي القاضي ولقبول شفاعة بعض الانبيا والصلحا وقيل الشفيع بمعنى التاييد والعقوبة
من الشفع وقد بين ذلك تعالى اي كون المحبة والخلة تقتضي الاسعاف وما بعده بطريق المفهوم
واللزوم في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباوه قل فلم يعذبكم
بذنوبكم الاية يعذبكم مضارع بمعنى الماضي اي عذبكم في الدنيا بالمسخ والقتل وغير ذلك وهذا
برهان اي لو كنتم ابناوه واحباوه ما عذبكم لكنه عذبكم فلستم كذلك او هو على اصله اي لم يعذبكم
في الاخرة فعلم منه ان من كان محبوبا لا يعذبه ولا يسوءه لاقتضا المحبة لذلك والعجب ان هذا مع ظهوره
قيل عليه اذ لا دليل في الاية على مدعاه وليس فيها على تقدير التسليم الا عدم مواخذة المحبوب
بذنبه على انه ممنوع في احبا الله لان من احبه الله عصمه من الذنوب ويمتحنه بالمناقشة والابتلاء
ولا دليل فيها على ان اصل الخلة المحبة وهو مما يقضي منه العجب وقولهم ابنا الله اي منا ابناوه
وهو المسيح وعزير او نحن اتباع نبيه وقيل انهم ادعوا ذلك لانهم راوا في التوراة يا ابنا احبائي
فبدلوها بيا ابنا ابكاري فاوجب للمحبوب اي بطريق اشارة النص فيهم ان كل محبوب وخليل
يجب ان لا يواخذ بذنوبه اي لا يعاقب بها ويجازي عليها قال ذلك البعض هذا اسم الاشارة
يتخلص به من كلام الاخر فيكون خبر مبتدا مقدر اي الامر هذا او مبتدا خبره مقدر وقد يذكر كما
في قوله هذا ذكر او مفعول فعل مقدر اي خذ هذا وقد يقال ها اسم فعل بمعنى خذ وذا مفعوله
لكن الرسم يخالفه والخلة اقوى من النبوة بموحدة ونون مصدر بمعنى كونه ابنا متولدا منه ثم بين
ذلك بقوله لان النبوة قد تكون فيها العداوة اي معها او فيمن اتصف بها وهو من ظرفية
الصفة للموصوف كما قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم اي منهم من يظهر العداوة
والعقوق كما هو مشاهد فاحذروهم وخافوا شرهم ولا يصح ان يكون عداوة مع خلة لان
المحبة معناها او داخلة فيه او لازمة له وهي ضد العداوة فلا يجتمعان بخلاف النبوة فانها
وان كانت الفطرة مقتضي للمحبة لكن قد يتخلف لعارض ويكفي هذا فلا وجه للاعتراض بان الاصل

فيها

فيها المحبة والعارض لا يعتد به كما توهم ومن العجب انه ايده بقولهم زيد ابوك عطف او كم له مثلها
تجاوز الله عنه فاذن تفريع على ما قبله تسمية ابراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام بالخلة
اي بما اخذ من الخلة وهو الخليل او المراد بالتسمية الوصف تجوزا وقدم ابراهيم عليه الصلاة والسلام
لتقدمه رتبة وشهرته وهو باضافة تسمية وفي نسخة اضافة بالضمير اما بانقطاعهما الى الله
تعالى هذا ناظر لان الخلة الحاجة اي لاعتمادهما عليه واما لمنع الخلو فقط ووقف حوائجهما
عليه اي جعلها موقوفة على انعامه لاكتفائهم بفضله والانقطاع عمن دونه اي الانقطاع اليه
تعالى وترك غيره والاضراب عن الوسائط والاسباب الاضراب بمعنى الاعراض والترك يقال
اضرب عن كذا اذا امسك عنه وتركه او لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما معطوف على ما بعد اما
اي بان الله تعالى اختصهما زيادة اختصاص به فاغناهما عما سواه كما يغني الخليل خليله وهذا
ناظر الى ان الخلة بالضم او خفي الطافه عندهما خفي بالخاء المعجمة لان لطفه يكون من حيث لا يدري
او بالحاء المهملة اي زيادة مبالغته في اكرامه لهما يقال احفى به وخفي اذا بالغ في اكرامه وهو مجرور
معطوف على زيادة او ما اضيف اليه والطاف بالفتح تقدم تفسيره وقيل انه بكسر الهمزة مصدر
وفيه ما مر او ما خالل اي تخلل ودخل بواطنهما من اسرار الاهيته اشارة الى انه من التخلل كما
تقدم وفي نسخة من اسرار الهيته بمثناة تحتية فموحدة ومكنون غيوبه جمع غيب وهو ما لا يدرك بالحواس
الظاهرة او ما سيكون قبل وقوعه وهو من جملة المعجزات ولا يطلع على غيبه الا من ارتضى من رسول
والمكنون بمعنى المستور ومعرفته اي معرفة افاضها عليهما من علمه اللدني ومعرفة ذاته
وصفاته مما لا يطلع عليه كل احد او لاستصفائه اي لاختياره لهما من دون خلقه وجعلهما صفوة
له حتى يستحقا وصف الخلة لانهما خيرة الله من خلقه والمصدر مضاف لفاعله واستصفا قلوبهما
مضاف لمفعوله واسم العضو المضاف للمعنى يجوز افراده وجمعه وتثنيته اي جعل مرآتهما صافية خالصة
له صالحة لاسرار ومعرفته عمن سواه بحيث لا يكون فيها غير معرفته وحبه حتى لم يخاللهما
اي يدخل في خلالهما حب لغيره هو نتيجة الاستصفا وما له فارتضاهما وصفى قلبيهما من كدر حب
السوى الناشي عن الطبع البشري ولهذا اي لكون معنى الخلة الانقطاع عما سواه والاعراض عن
العوارض البشرية قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه لامتلائه بمحبته ومشاهدة جلاله
بحيث لا يبقى في قلبه سواه وسوى مراقبته كما قيل

تملك بعض حبك كل قلبي ۞ فان ترد الزيادة هات قلبا

وهو اي ما ذكر من معنى الخليل ونعته عندهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم في حديث البخاري
ان من امن الناس علي في صحبته وماله ابا بكر ولو كنت متخذا خليلا من الناس غير ربي ارجع اليه
في امور واعتمد عليه فيما يهمني لاتخذت ابا بكر خليلا لانه اعز اصحابي واقدم اصدقائي فلو تعلق
قلبي باحد لم يكن يتعلق بغيره لما اعرفه من ايثاره لي على نفسه واهله ولكن اخوة الاسلام
وقديم الصحبة الذي هو بمنزلة القرابة النسبية كما قيل

صحبة يوم نسب قريب ۞ وذمة يعرفها اللبيب

وهذا استدراك على مضمون الجملة الشرطية فنفى الخلة واثبت الاخوة المؤدية بالمساواة تفضلا
منه فالخلة اعظم من النبوة والاخوة واخوة يروى بهمزة مضمومة وروي في الاكمال الخوة بدون
الله وهي لغة قليلة واختلف العلما وارباب القلوب اي اصحاب القلوب الكاملة الصافية فجعل
غيرهم كانه لا قلب له والمراد بهم الاوليا وذوي النفوس القدسية وقيل المراد بهم الباحثين

عن احوال القلوب وقيل المراد بهم اكابر الصوفية وسموا بذلك لتنقلهم في العلوم الباطنة دون ظواهر
الالفاظ ايهما اي المحبة والخلة ايهما اي ايتهما افضل في نفس الامر وعند الله درجة الخلة او درجة
المحبة وكني برفع الدرجة عن رفع صاحبها وافضليته والتقدير اهو درجة الخ فجاءها بعضهم
سوا اي الدرجتين او المحبة والخلة متساويتين في الفضيلة لاتفاوت بينهما فلم يكونوا للحبيب الخليلا
ولا الخليل للحبيبا لا يخفى ان هذا انما يتمشى لو لم يتمش تلازمهما لمساواتهما درجة ودرجة ثم اشار الى جواب
سوال مقدر وهو انها اذا استويا وتلازما فلم خص كلا منهما بموصوف فقال لكنه اي الله او الامر
والشان حض مبني للفاعل او المفعول ابراهيم بالخلة ومحمدا بالرفع والنصب حبي بان سمي
الاول خليلا حبيبا وهو امر اتفاقي لمجرد التمييز بينهما ولا يخفى ضعفه وبعضهم قال درجة الخلة
ارفع منزلة واعلى وافضل درجة ويشهد له ان المحبة ما هو ذائع ما معنى الخلة واخص منها لكنه
قيل انه يرد عليه ما تقدم ما قوله في مناجاته حيث قال له الله سل تعط فقال يارب اتخذت ابراهيم
خليلا وكلمت موسى تكليما فقال تعالى له الم اعطك خيرا من هذا واتخذتك حبيبا او ما في معناه
مما يقتضي ان درجة المحبة ارفع الا ان يقوله لو كنت متخذا الحديث يخالفه فالمقام لم يخلوا من الاشكال
والجواب ان القائل انما نقله بمجموع ما ذكر في الحديث واخذ هذا القائل لم يرعاه بقوله صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه البخاري لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه اي غير الله خليلا وقد
اطلق المحبة اي وصفه بمحبة غيره به والجملة حالية لفاطمة الزهراء ابنته صلى الله عليه وسلم وهو يتعلق
باطلق وابنيها الحسن والحسين واسامة ابن زيد بن حارثة فانه ذكر انه كان يحبه ويسمى حب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعثمان كابي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم وقد رد هذا كله مصرحا به
في احاديث صحيحة وقد قدمنا لك ان محبة الله لعبده بمعنى غير محبة العبد لله ولغيره وان محبة
النبي صلى الله عليه وسلم لله بمعنى كونه ليس في قلبه وذكر غيره وانها ما حوذة من حبة القلب كما قيل
قد تملكت حبة القلب مني ولذا سمي الحبيب حبيبا
فلا ينافي كون محب فلانا لانه المطلق الميل وبهذا سقط الاحتجاج بما ذكر وسيأتي ما يؤيده والكرم
اي الكرا لعلما وارباب القلوب جعل المحبة ارفع درجة وافضل من الخلة لان درجة الحبيب
انه صفته وهي المحبة افضل من صفته وهي الخلة وفيه انه لا يقتضي ذلك لان تفضيل الذات على الذات
قد يكون لمعنى اخر غير تلك الصفة لاسيما اذا قلنا ان الخلة هي المحبة او غايتها واصل المحبة
بمعنى انها اخذ واسم الفاعل في اكثر استعمالهم من المزيد فقالوا محب واسم المفعول منه
بنزلة المحب المكرم فزاموا كلا منهما والمراد بها بوافقه ما يرتضيه ويميل اليه فيحب كل ما يحبه ويتقيه
القلب منه اي المحب لا المحبوب والعكس جايز وجزم به بعضهم والانتفاع بالوفق بفتح الواو و
الشين وهذا الاخير حتى فهي درجة المخلوق وهو راجع الى المحبة بمعنى الميل القلبي من يصح
من الاعم امن بمعنى محبته ودامه ومداومته على ما تقدم فالميل بمعنى ترجيح شي وتقديمه

على

علي غيره لفايدة غرض وعلة للفعل لا يجوز علي الله ولذا ذهب المحققون الي ان افعاله تعالي
لا تعلل بالاغراض لانه تقتضي استكماله تعالي بغيره وهو منزه عنه ما يفهمه المعتزلة والعوام
المعربة علي الفعل فلا يغتر وخالفهم بعض المحققين وقال النصوص تدل علي خلافه وللاستكمال
عنده غير مسلم وقد بسطنا الكلام عليه في غير هذا الكتاب وفي نسخة الاعتراض بعين مهملة وسين جمع
عرض بمعني مرض وبزنته كما قيل بمعني الكيفيات النفسانية الحادثة والميل منها وفي نسخة الاعتراض
ولا مناسبة لها هنا الا بتكلف واذا كانت المحبة بهذا المعني لا تليق بجناب العزة **فمحبته** اي الله **لعبده**
تمكينه من سعادته اي اقداره علي ما يفيده سعادة الدارين بتوفيقه لطاعته وعبادته **وعصمته**
من ارتكاب الذنوب ويجوز رفعه وجره عطفا علي تمكين وسعادة والعصمة هنا معناها الحفظ
وتوفيقه في اموره بجعلها علي وفق رضاه ويجوز رفعه وجره ايضا **وتهيئته اسباب القرب**
تهيئته بزنة تكرمته بياء مثناة تحتية بعد الهاء وهمزة وهاء تانيث مصدر هيأ نه اذا جعله حاضرا سهل
التناول اي سهل له كل سبب يقربه الي ربه من صلاة وجهاد ومعرفة ونحوها **وافاضة رحمته**
عليه اي ايصال الخيرات الدنيوية والاخروية اليه اكثيرا ما تستعمل الرحمة بالمواهب الفائضة
بمعني الهبة بكثرة علي طريقة المكنية والتخييلية **وقصواها** بضم القاف وسكون الصاد المهملة
فعلي من اقصاه اذا ابعده والمراد غايتها والضمير للمحبة المفسرة بتمكينه وما بعده وذكر الغاية لان
صفاته تعالي التي لا تليق به تؤخذ باعتبار غاياتها وغاية المحبة **كشف الحجب** بضمتين جمع حجاب اي ازالة
الموانع **عن قلبه** لا الستر عن الدنيوية **حتي يراه بقلبه** اي بعلمه علما يقينيا كالمشاهدة المحسوسة
وينظر اليه ببصيرته وهو قوة للقلب كالبصر يدرك بها ما يتوجه اليه **فيكون كما قال** اي الله تعالي
او الرسول صلي الله عليه وسلم الناقل له **في الحديث** الذي رواه البخاري **فاذا احببته كنت سمعه**
الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله التي
يمشي بها وهو حديث قدسي طويل ومعناه اذا صفي قلبه وشغل نفسه بالله احبه الله ومحبة الله تقتضي
انها عنايته ولطفه به وافاضته نعمه علي ظاهره وباطنه فتكون حواسه وادراكها واعضاؤه وحركاتها
كلها متوجهة الله ولما فيه رضاه من غير تصنع ومشقة فيقوي به علي ذلك حتي يكون كما افاده صادرة
عن الله والي هذا اشار المصنف بقوله **ولا ينبغي ان يفهم** بالبناء للمجهول اي لا يتوهم احد **مما هذا**
الحديث والكلام سوي التجرد الي الله بترك غيره واخراجه عن فكره ونظره **والاعراض عن غير الله**
حتي يصير مرآة له في جميع احواله **وصفا القلب لله** بحيث لا يكون في فكره غيره فيصفو له كدر
الاوهام ودنس الخلق **واخلاص الحركات لله** اي لا يحرك عضوا من اعضائه الا لعبادته او لما يعين
عليها **كما قالت عايشة رضي الله عنها** كما تقدم **كان خلقه القرآن** اي اخلاقه صلي الله عليه وسلم
كلها علي وفق ما امر به في القرآن انه جعلت القرآن غير خلقه مبالغة والي هذا يشير قولها
يرضاه يرضي اي يرضي ويحب ما ذكر في القرآن فكل مرضي لله من واجب ومندوب ومباح يقصد
به ما يصيره قربة **ويسخطه** بفتحتين ومنهم من سكون **يسخط** اي يكره ما ذكر فيعلم ان الله يكره من كل
حرام ومكروه وخلاف الاولي وقدم الجار والمجرور للحصر فكله يرضي الا ما يرضاه ولا يكره الا ما
اباه والحاصل كما علم مما ذكر ان اخلاقه صلي الله عليه وسلم امتثال شق قلبه الشريف فلم يبق
له ارادة لغير ما يريده الله ولا رضي لغير ما يرضاه ولا يخفي ارتباط هذا بما قبله من قوله **كنت**
سمعه وبصره فتأمله **ومن هذا** اشارة الي ما سبق في اول الكلام من معني الخلة قبل ذكر الخلاف
فيها وما خذ اشتقاقها **غير بعضهم عن الخلة بقوله**

قد تغللت مسك الروح مني ۞ وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي ۞ واذا ما سكت كنت الغليلا

وفي رواية الدخيل يعني ان الشاعر عبر عن معنى الخلة بناء على انها من التخلل فانها تخللت باطنه وجرت مجرى الروح المجسمة السارية في البدن سريعا مسرى ما الورد في الورد بناء على احد الاقوال فيها لا على انها مجردة خارجة عنه ومتصلة او بناء على انها لطيفة نورانية في احد طاقتي القلب بها الحياة والاحساس ومسلك منصوب على الظرفية بتخللت المضمن معنى دخلت واسند التخلل اليه مبالغة والمراد تخلل محبته ومودته في مسالك روحه او في قلبه الذي هو مقرها بحيث لا يكون فيه سواه كما مر ثم فرع على انه ليس في روحه وقلبه غيره فالمراد بالغليل بالغين المعجمة ما كان داخل القلب من قولهم تغلغل الماء وتغلغل بين النبات اذا جرى تحته مستترا وكذا المراد بالدخيل ما هو داخل القلب والبدن لا الاجنبي كما في قول السكاكي ليس الدخيل كالناشي هذا ما قصده الشاعر واشار اليه المص وان كان ظاهر الشعر على تفضيل الخلة وليس المراد بالخليل حرارة العطش اي كنت لعدم ذكري مضرما جرايح قلبي عطشا لعدم ذكرك فان ازاحة الغم وازاحة النفس بذكر الاحبة وما زايدة في الشعر والدخيل بدال مهملة وخاء معجمة ومن العجب قوله في الشرح الجديد ان المعنى اذا سكت كتمت حبك في قلبي كما يكتم الحقد والضغاين فالمراد بالغليل الحقد والضغاين ولا يستقيم الا على الاستعارة فانه تعسف لا ينبغي ذكره فاذن تفريع لجواب سوال متفرع على ما سبق مزية الخلة اي فضيلة الخلة وفي شرح العلامة انه لم يبن له فعل وتقدم انه يرده قوله في الاساس تمزيت عليه اذا زدت في الفضل عليه وخصوصية المحبة بفتح الخاء وضمها بمعنى اختصاصها وعبر في الاول بالمزية اشارة الى ان الخلة وان تشارك فيها النبي صلى الله عليه وسلم والخليل عليه الصلاة والسلام فهي مختصة بنبينا باعتبار معنى زايد فيها لاشتمالها على المحبة المختصة معنى ولفظا وان لم يطلق على الخليل حبيب الله كما مر وان كانت محبته شاملة لهما بل لغيرهما كما قال تعالى فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الا ان هذه غير المحبة المختصة كما مر تحقيقه وكما ان المحبة من الجانبين فكذلك الخلة فانه يقال حبيب الله والله حبيبه كما يقال خليله خلافا لمن توهم ان الخليل لا يطلق على الله للحديث المتقدم لو كنت متخذا خليلا غير ربي وبهذا تبين نكتة تعبيره بالمزية والخصوصية حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم وفي نسخة خالصة اي مختصة وكان الظاهر ان يقول حاصلتان لكنه افرد لجعلهما كالشيء الواحد بما دلت عليه الاثار الصحيحة الباء للتعدية متعلقة بحاصلة ويجوز ان تكون سببية والمراد بالاثار الاحاديث التي تقدمت كقوله لو كنت متخذا خليلا غير ربي الخ وقوله الا وانا حبيب الله وقوله المنتشرة اي المتتابعة المشهورة المتلقاة بالقبول من الامة ذكر شهرتها والقبول لها مويدا لاختصاصه صلى الله عليه وسلم وزيادة على غيره من الرسل ثم استشهد لذلك بنص القران فقال وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية الباء زايدة في فاعل كفى او للتعدية وكفى بمعنى اكتف كما هو مشهور ووجه الدلالة في هذه الاية انه لما جعل من اتبعه محبوبا لله علم انه محبوب عند الله محبة ليس فوقها محبة ومقرب تقربا لا يدانيه احد فيه فعلم منه خلته وحبه ولذا قال المص وكفى الخ ومن لم يفهم مراده قال هذا لا يدل على مدعاه لانه علق محبته على اتباعه فيما جاء به من الشرايع وتصديقه وذلك محبوب لله وانما يدل على لو علق محبته على محبتهم للرسول صلى الله عليه وسلم فقال ان كنتم تحبون الله فاحبوا الرسول حكى اهل التفسير ان هذه الاية نزلت قال الكفار انما يريد محمد بقوله لنا اتبعوني يحببكم

الله

الله انا نحذره حنانا بفتحتين مخفف النون معناه الرحمة والاشفاق ماخوذ من الحنين وهو بكاء بصوت
والمراد ان نطلق عليه ونجعله موضع للحنان والرحمة ان نتبرك ونتضرع به وقد تقدم الكلام فيه
كما تحذره النصارى عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام حنانا ومعبودا يتقربون به عبادتهم الى الله
فانزل الله تعالى عيانا بهم معفودة اي انزل الله ليفيظهم ويعلمهم بغضبه عليهم فانا الغيظ
الغضب على الفاجر ودعنا على مقالتهم بتليين الراء المهملة وسكون الغين المعجمة والميم وهو الذل
والاساءة مما يكره واصله كل موذ يصيب الانفس ولذا يقال زعم انفه وعلى زعم انفه وضمنه معنى
التبكيت والتقريع فعداه بعلى والمائل الجانة اذ لهم بنو بهم ودمقالتهم هذه وقوله هذه
الاية مفعول انزل قل اطيعوا الله والرسول ثم بعد ما بين سبب النزول وهو انكارهم جعل اتباعه
سبب محبة الله لهم وتقربهم الى الله ثم ذكر الله وانها ابلغ من الاولى واشمل لان الاولى لا تقتضي لزوم
اتباعه فانه تعالى يتقرب اليه بالنوافل ويحب فاعلها والامر بطاعته يقتضي الوجوب واقترانها
بطاعته يدل على تاكيده مع تفخيمه وتشريفه كما دل عليه قوله فزادته فانا شرفا بامره بطاعته
واياها عليهم ووقرنها بطاعته اي الرسول صلى الله عليه وسلم زيادة في تشريفه والاتباع وان
كان غير الطاعة اولانها قلبسهو امر وايجاب ومن عقل عنه قالهما سواء الا انه هذا افاده التصريح
بالطاعة ثم توعدهم على التولي عنه بالاعراض عن طاعته وهو عدمها بقوله فان تولوا فان
الله لا يحب الكافرين كان الظاهر ان يقال فانه لا يحبهم فوضع الظاهر موضع المضمر وعلقه
بالمشتق الذي هو علة للحكم فكانه قال لا يحبهم لانهم كفروا بالله سواء كان تعريفا للاستغراق او للعهد
فهذه الاية اصرح واد على وجوب طاعته وعلو مرتبته صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء
كعيسى عليهم الصلاة والسلام وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما
في الفرق بين المحبة والخلة يطول هذه الجملة صفة قوله كلاما فاشار الى انه لم ينقله لطوله ثم استانف
فقال اجمله اشار انه ترجع الى تفضيل مقام المحبة على الخلة وخلا ذكره اي من كلام ابن فورك
طرفا بفتحتين اي بعضا قليلا يهدي اي يرد على سامعه اي بادية فالبعدية غير مرادة لانه مجاز عن
ذلك قولهم اي قول المتكلمين الذي نقله ابن فورك عنهم الخليل يقبل الى من خالله بالواسطة
اي بتوسط لخوفه ويسمى خليلا لمبيته قوله يصل به الاتي ثم بين ان هذا المعنى ماخوذ من قوله
عز وجل وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فوصل المعرفة
ربه بواسطة ما راه من ايات مكونة التي اوصلته لمعرفته والحبيب يصل لحبيبه بهجته اي هو دله
على نفسه بنفسه من غير واسطة لغيره وهذا ماخوذ من قوله فكانا قاب قوسين او ادنى فزاده عينا
اليقين كما تقدم وهذا ان كانا المحدثا قلاله فالعهدة فيما نقله على قايله الا ان هذا غير ظاهر
لانه اراد بالوصول الموصول الى الله برويته وسماع كلامه من غير واسطة فلا بد لا مناسبة لها بما ذكر
واذا اراد الوصول الى معرفة الله ومشاهدته فكذلك ثم انه لا يتم الفرق لانه اذا اراد بمفهوم المحبة والخلة
فما ذكر لا يدل عليه بل ليس بصحيح واذا اراد بهما ذاتي من قام بهما فلا يفيد شيئا مما نحن فيه ثم انه مبني
على القول بان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يعرفه قبل هذا الاستدلال بناء اي جواز مثله على الانبياء
مطلقا او قبل البلوغ مع ان المحققين على انه ورد على طريق الجدل مع قومه الذين كانوا يعبدون
الكواكب وبالجملة فهذا الكلام غير مسفح وقيل الخليل الذي تكون له مغفرته اي مغفرة الله له ما قد
يصير معنى ايجابا لمغفوة عنه في حد الطمع اي واقعة في حال يطمع ما جبها في الجاوزها لان
الخليل لا يتخذ خليله بزلاته واصل معنى الحد الحاجز بين الشيئين والمحيط بالمحدود والدار

فاستعير للحال المميزة له والمقتضية لتحققه من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين
اي قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام في قصته مع قومه هضما لنفسه وتعليما لامته والا فهو معصوم
والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين اي متيقنة وهذا ماخوذ من قوله اي قول الله لمحمد حبيب
الله صلى الله عليه وسلم ليغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر اي كل ما صدر عنك وما
لم يصدر مما هو بالنسبة لمقامك حتى يقتضي نقصا وفي الاية اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم لم
يصدر منه اذ سوى المتقدم بالمتاخر في عدم الوقوع ولذا سر صلى الله عليه وسلم بها لما نزلت مرجعه
من الحديبية وقال نزلت علي اية احب الي مما على وجه الارض والكلام على الاية مبسوط في التفسير
وقد تقدم طرف منه ايضا ثم ذكر فرقا اخر قريبا من هذا فقال والخليل قال ولا تخزني يوم يبعثون
اي لا تفضحني ولا تعذبني في يوم القيمة وقد قيل انه ورد في الحديث ان ابراهيم عليه الصلاة
والسلام اذا باي اباه في المحشر يقول يا رب وعدتني ان لا تخزني فيمسخ الله ازر ذيخا بذال معجمة
ومثناة تحتية وخاء معجمة وهو ضبع مبني فيقال له انظر لما تحت قدميك فيراه فينكره ويلقي النار
فحول الله صورته حتى لا يعرفه الناس حين يلقى في النار فيفتضح بين امته قيل ومنه يعلم ان ابوي
النبي صلى الله عليه وسلم ليسا في النار وفيه ما سياتي والحبيب اي نبينا صلى الله عليه وسلم قيل
له يوم لا يخزي الله النبي فابتدي بالبشارة بنفي الخزي عنه برؤية ما يكره قبل السؤال لذلك
كما ساله غيره منهم والخزي ليس هو العذاب كما في قوله ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وانما
هو الفضاحة بكل مولم له او لامته كالعتاب فلا يقال ان الله امنه من غضبه وعذابه فما فايدة البشارة
بعد هذا ثم ذكر فرق اخر فقال والخليل قال في المحنة هي والامتحان بمعنى الابتلاء والمراد بذلك
قصته مع نمرود حين القاه في النار فكانت عليه بردا وسلاما وقال حسبي الله اي هو كاف لي في
جميع اموري والحبيب وهو نبينا صلى الله عليه وسلم قيل له يا ايها النبي حسبك الله يعني
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك طالبا كفاية الله له وهذا قاله الله له فيكون كفايته له
محققة مقررة بخلاف الاول كما ستسمعه قريبا والخليل قال واجعل لي لسان صدق
اي ذكرا جميلا صدقا فعبر باسم الالة عما يصدر منها مجازا من الاخرين اي في الامم الاتين من بعدي
الى يوم القيمة فهو طلب ودها واجابه الله فما من امة الا وهي تثني عليه وتحبه والحبيب قيل
له ورفعنا لك ذكرك اي جعلناه عاليا شريفا لما تضمنه من الثناء مقرونا باسم الله
في الصلاة والخطبة والاذان وغيرها اعطي الحبيب بلا سؤال منه وهذا بيان
لمزية الحبيب كما نبهناك عليه اولا والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام اجنبني
كجنبني بمعنى بعدني بعدا حسيا ومعنويا بان لا يصدر منهم ذلك وقد اجاب الله دعاءه لان
المراد بنو صلبه وفيهم انبياء عصمهم الله وحفظهم والحبيب قيل له اي قال الله له انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس هو مستقذر حسا او طبعا او عقلا او شرعا اي الله كرمكم بان حفظكم
من الذنوب وما يدنس الاعراض وقال يريد الله ليذهب ولم يقل اذهب مع انه اخصر اشارة الى انه
قضى لهم بذلك في الازل وفي عالم الارواح والذر اهل البيت منصوب على المدح او النداء
والمراد اهل بيت النبوة فشمل اولاده صلى الله عليه وسلم وزوجاته واتباعه واقاربه ولا يختص
ذلك بعلي وفاطمة والحسنين كما زعمته الشيعة وهذا ابلغ مما في حق ابراهيم بوجوه لاختصاصه
بنفي عبادة الاصنام وهذا عام في كل ذنب ونقص وذاك خاص ببنيه وهذا شامل لكل من شمله
بيته كما سمعته انفا ومبالغته في تطهيره بقوله ويطهركم تطهيرا ولا يخفى ان كل ما نقله ابن

ابن فورك

ابن فورك انما يدل على شرف النبي صلى الله عليه وسلم وزيادة علو رتبته على غيره ولا علاقة له
بنفس المحبة والخلة لا سيما الآيات لم يذكر فيها بعنوان لفظ الحبيب **وفيما ذكرناه** من تفسير المحبة
والخلة واشتقاقهما والخلاف في ايهما ارفع درجة **تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال** من تفسير
المحبة والخلة واشتقاقهما والخلاف في ايهما المقصد مصدر ميمي بمعنى القصد او هو بمعنى المقصود
لان مفعل يأتي بمعنى مفعول كمركب وان كان نادرا او هو مجاز من المصدر او من اسم المكان باستعارة
منه استعارة مصرحة اصلية **من تفضيل المقامات والاحوال** بيان للمقصد والمقامات بفتح الميم
جمع مقام وهو محل القيام وبضمها ومحل الاقامة وجمعه جمع المؤنث لاطراده فيما لا يعقل كحمامات
وسجلات والمراد بالمقام هنا امر يكون عليه المعارف بالله من الانبياء والاولياء يرتفع به من خصيص
البشرية في درجات العبودية حتى يرقى الى المقام الاعلى وما يطرق عليه هو المراد بالاحوال
وليس بمعنى واحد هنا كما قيل وقيل المقامات الصفات الثابتة والاحوال الصفات الزائلة وهو قريب
مما قلنا والظاهر ان المراد بقوله السابق وما ذكرناه ما لخصه من كلام ابن فورك وهو جواب عما تقدم
من ان هذا لا يدل على بيان الخلة والمحبة الذي هو بصدده فاشار الى انه وان تعلق بذات الحبيب والخليل
فالمقصود بيان تفاوت وصفهما فيرجع ما قاله الى بيانهما فان منهم من يسلك مسلك التصريح ومنهم
من يقصد الايمان والتلويح **وكل يعمل على شاكلته** اي لكل احد طريقة يختارها والشاكلة في الآية التي
اقتبس منها المص وهي قل كل يعمل على شاكلته بمعنى سجيته وجبلته وهي كما قاله الراغب مأخوذة من
الشكال وهو قيد يقيد به الدابة لانها قيدته وذلك لان سلطان السجية قاهر لصاحبه ومنه شكل الكتاب
يقال شكلت الخط كما يقال قيدته واشار بقوله **فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا** اي الله اعلم من
طريقته اقوم واكثر ايصالا الى الحق وارشادا للهداية يشير الى ان الخلاف السابق في تفضيل الخلة والمحبة
مبني على امور نظر اليها كل من الفريقين فكانه لم يجزم باحدهما الا ان الخلاف كاللفظي وقد
قيل ان غاية ما ذكره ابن فورك تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على ابراهيم عليه الصلاة والسلام في حد
ذاته من غير نظر لما جعلوه علة من تفضيل الصفة على الصفة والحق تفضيل الخلة كما ذكره ابن قيم
الجوزية وقد علمت ما فيه وقد قدمنا لك ما يغني عنه **فصل في تفضيله**
صلى الله عليه وسلم برفعة مقامه على غيره **بالشفاعة** ان كان تعريفه للعهد والمراد الشفاعة
العظمى في المحشر التي يخلص الله بها اهله من هوله وكربه فقوله والمقام **المحمود** عطف تفسير والا
فهو من عطف الخاص على العام والمقام المحمود كل مقام يتضمن كرامة تحمد ولكنه خص هنا بفرد معين
من افراده اختلف فيه كما قاله البرهان نقلا عن القرطبي على ستة اقوال فقيل هي الشفاعة العامة
السالفة وقيل اعطاؤه لواء الحمد وهو لا ينافي ما قبله وقيل هو ان يجلس صلى الله عليه وسلم
مع الله على الكرسي وهذا مما نقل فيه حديث طعنوا فيه ويأتي ما فيه منهم من اوله وقيل هو شفاعته
صلى الله عليه وسلم لاخراج بعض اهل النار منها وقيل هو شفاعته رابع اربعة اذ يقوم له روح
القدس جبريل عليه الصلاة والسلام ثم يقوم صلى الله عليه وسلم فيشفع ولا يشفع احد بعده في اكثر
مما يشفع به فسرت الآية وقيل هو مقام يكون اقرب فيه من جبريل عليه السلام والشفاعة ثابتة له صلى
الله عليه وسلم بالاجماع الا انها عند اهل السنة لاصحاب الكبائر لحديث شفاعتي لاهل الكبائر من امتي
وعند المعتزلة لزيادة الثواب لا لدرء العقاب والكلام عليه مفصل في كتب الاصول وكونه محمودا
على ظاهره او اسناده مجازي اي صاحبه محمود **قال الله تبارك وتعالى عسى ان يبعثك ربك**
مقاما محمودا استشهد بالآية على ما قاله وقد علمت ما فسر به المقام المحمود ومقاما منصوب على الظرفية

بمجرور اي يقيمك مقاما او بمنصوب يبعث معناه او هو حال بتقدير اي ذا مقام والوجه الثالث وهو جلوسه
صلى الله عليه وسلم مع اسعافه على العرش والكرسي قال الواحدي رحمه الله انه هو فاسد مبني على التجسيم
وبين فساده بوجوه منها ان البعث هو الاثارة والاقامة والجلوس ضده فكيف يفسره وايضا هو
يقتضي التحديد والتناهي المستلزم للحدوث وايضا انه قال مقاما ولو كان كذلك لقال مقعدا ومثله
لا يدل على البعث ورد هذا بانه رواه احمد من طرق شتى ومثله مما لا تشابه كقوله الرحمن على العرش
استوى وقد صححه الدارقطني وقال رد على منكره ولجاد في ذلك رحمه الله

حديث الشفاعة عن احمد ... الى احمد المصطفى سنده
وجا في الحديث باتحاد ... على العرش انها ولا نجحده
امروا الحديث على وجهه ... ولا تدخلوا فيها يفسره
ولا تنكروا انه قاعدا ... ولا تنكروا انه يقعده

فجلوسه صلى الله عليه وسلم لا مانع منه واما سنية ذلك لله وقوله انه مقعد فليس المراد ظاهره بل
هو فاسد له ماولة وهي كثيرة وعسى للترجي ومعناها وعملها مشهور في كتب النحو فمعناها الترجي في
المحبوب والاشفاق في المكروه والترجي منه صلى الله عليه وسلم ظاهر ومن الله قالوا انه ايجاب اي جزم
بوقوعه اذ الملك يجب عليه شيء كما تقرر في الكلام حدثنا وفي نسخة اخبرنا الشيخ ابو علي الهيثاني
الحباني شيخ المصنف وعنانا اسم ما في الاصل يسمى به قبيلة من اليمن نزلة عليه وحباذا بالجيم المفتوحة
وتشديد الياء المثناة التحتية بوزن شداد بلدة بالاندلس منها ابن مالك وابو حيان رحمهما الله
تعالى فيما كتب الي بخطه اشارة الى ان هذه الاخبار ليس المشافهة اي لجبار الا بيانا في ضمن امور اخر
ولحاديث كتبها له والكتابة نوع من التحمل والاجازة بها حكم الاتصال عند كثير من المحدثين
واهل الاصول كالسمعاني وصاحب المحصول ووقع ذلك في الصحيحين سواء كانت حاضرا او غائبا
بشرط ان يعرف خطه قال حدثنا سرايح بن عبد الله الغافقي السابق ذكره وترجمته قال حدثنا ابو محمد
الدمياطي الذي تقدم الكلام عليه وعلى نسبته قال حدثنا ابو زيد المروزي وقد تقدمت
ترجمته وابو احمد محمد بن محمد بن يوسف بن مكي الجرجاني قال حدثنا محمد بن يوسف الفربري
السابق ترجمته قال حدثنا محمد ابن اسماعيل هو امام السنة صاحب الصحيح البخاري وقد تقدم
قال حدثنا اسماعيل بن ابان ابو اسحاق الوراق الازدي الكوفي وابان بفتح الهمزة وتخفيف الباء
علم منقول تردد في صرفه وعدم صرفه بعضهم واجازه بعضهم فيه الصرف وعدمه وسبب الخلاف فيه
ان منهم من قال وزنه فعال فيتعين صرفه وقيل انه منقول من ماضي ابان يبين وجزم به ابن مالك
وصاحب التوضيح وقال القرافي المحدثون والنحاة على منع صرفه ونقله ابن هشام عن الجمهور
بناء على انه وزنه افعل بمعنى اوضح فاعل على خلاف القياس وابقي على اصله فلا يدفع قول الدماميني
لو كان كذلك وجب تصحيحه لان افعل الموصوف الوصفي لا يعل وهي شرح مسلم انحتم فيه الصرف
وعدمه والصحيح صرفه كما في جامع اللغة وبه جزم ابن السيد اقول عدم صرفه نقس وقد
تتبعت كلام العرب فوجدته مصروفا فيه لقول ابي عطاء السندي

اتعرف مسجد البني تميم ... فويق التل هل بني ابان

وقول معلهل

لهف نفسي كل يوم ... اعرف عدميا اذا مكنني البدان
ظل من ظل في الحرب ويولي ... اعرفا قتيلا ابا وده من ابان

الى عبد ذر

بي

في غير ذلك مما لا يخفى فلا وجه للتردد فيه ولذا قال بعض ائمة اللغة من لم يعرف ابا ذ فهو اكذوهو
امام لغة توفي سنة ست عشرة ومائتين وترجمته في الميزان حدثنا ابو الاحوص بجاء وصاد مهملتين واسمه
سلام بتشديد اللام ابن سليم بالتصغير الحمام الثقة الرواية توفي سنة مائة وتسعة وتسعين واخرج له
اصحاب الكتب الستة وقيل اسمه عوف يا مالك ابن فضالة والصحيح الاول عن ادم بن علي العجلي الثقة التا
بعي روى عن ابن عمر وغيره قال سمعت ابن عمر الصحابي المشهور رضي الله عنهما يقول هكذا او ك
مفعول كما بينه النحاة وقد تقدم بيانه اذا الناس يصيرون يوم القيمة جثى هذا الحديث رواه البخاري
في التفسير موقوفا على ابن عمر ومثله مما لا مجال للرأي فيه له حكم المرفوع ولاحتمال انه سمعه من اهل
الكتاب بعيد لا يعول عليه وكونه سمعه من صحابي آخر لا يضر لان مرسل الصحابي مقبول اقول
هذا مما قال به اهل الاصول وقبله الائمة في مصطلح الحديث وفيه بحث لانه يجوز ان يكون ابن الصحابي سمع
قرأ الكتب القديمة او يكون استنبطه من الكتاب او سنة فينبغي تقييده بما ذكر وجثي بضم الجيم مقصورا ويجوز
ويجوز كسر جيمه ايضا جمع جثوة مثلثة الاول واصله الكوم المجتمع من تراب ونحوه فاستعير لمعنى
اي يجتمعون جماعات كل امة جماعة تابعة لنبيها كما ذكره ورد ي البرهان عن الحافظ العراقي جثاء
بضم الجيم والمد وانه كذا صح في نسخ البخاري وصححه الهروي وابن الاثير وروي جثي بضم الجيم وكسر
المثلثة وتشديد الياء جمع جاث وهو الباري على ركبتيه وقيده بعضهم بما يجلس كذلك للخصومة
وانشد واقوله

اخاصمهم مدة قائما ... واجثوا اذا ما جثوا للركب

ولا شاهد فيه وهذا على خلاف القياس اذا صحت الرواية فلا يرد عليه انه فاعل لا يجمع على فعل كما
قيل كل امة تتبع نبيها يقولون اي تقول لمن كان معه تابعة له بانتمائها اليه
يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا اي تنادي كل امة نبيها باسمه يسألونه ان يشفع لهم عند ربهم
من الخلاص من هول الموقف كما مر فيجيبهم بانه لا يقدر على الشفاعة كما تقدم فيذهبون الى موسى
الكليم فيجيبهم مثله حتى تنتهي الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم اي حتى تنتهي الامم
ويسألهم لواحد بعد واحد ليلوذ بغايته اذ يلتجيوا له صلى الله عليه وسلم فيجيبهم ويشفع لهم
فتقبل شفاعته ففي الحديث ظل الجمل عثمان لكنا نوع علمت من السياق ومن الحديث الآخر فيها
ومعنى تنتهي تبلغ وتصل كما يقال بلغ الامر قصتي وهذه هي الشفاعة العظمى وقد تقدم انه صلى الله
عليه وسلم شفاعات اخر وذلك اي ما ذكر من الشفاعة وما معها يوم يبعثه الله المقام المحمود اي كائنا
في ذلك اليوم بنصب يوم على الظرفية فان رفع بجعل العائد المحذوف به كائنا عينه مبالغة ويجوز
الجار وعن ابي هريرة رضي الله عنه سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عن الاية المذكورة
كما اشار اليه بقوله نبي في قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وضمير نبي راجع لابي هريرة
وهذا الحديث رواه احمد والبيهقي فقال اي رسول الله صلى الله عليه وسلم هي الشفاعة العظمى
الوافقة لفصل القضا وقيل لخراج المذنبين من النار هو الاول وضمير هي تاجع للشفاعة كقوله تعالى
هي الحياة او للمقام وانث رعاية للخبر او للاية والجواب على ان المراد للنبي المقصود منها وقيل
المراد بها هي الشفاعة في اليوم المسمى بالمقام وهو تكلف جدا وروي كعب يا مالك الا بشارة
الصحابي احد الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وتاب الله
عليهم بعد الغزاة وهذا الحديث رواه احمد بن حنبل بسند اعنه عليه الصلاة والسلام انه قال يحشر
الناس يوم القيمة بعد الخروج من القبور اي يجمعون للحساب وانكون انا اول من يشفع على كل نبي بنناة فوقه

مفتوحة ولام مشددة هو رابية من تراب او رمل ونحوه عالية مرتفعة وجمعه تلال واتلال نادر وفي
القاموس التل من التراب والكوم من الرمل وتفسيره بمكان عال كالجبل بيانا للمقصود او تسامح وفيه
اشارة الى اعلا مقامه صلى الله عليه وسلم ومقام امته واللطف بهم في تخليصهم من زحام الموقف ومشقته
ويكوني ربي حلة خضرا وفيه استيناس لما سيلبسه الاشراف الآن من العمامة الخضرا وان كان ذلك انما
حدث في زمن السلطان الاشرف تمييزا لهم عن غيرهم وان لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فعل ذلك
كما فصلناه في محله والحلة بضم فتشديد من برود اليمن ولا تسمى حلة اذا كان ثوبين احدهما فوق
الاخر او ثوب واحد له بطانة وسمي بذلك لان كلا منهما يحل على الاخر او لكونهما جديدين كما حل
طيهما ثم شاع في مطلق الكسوة النفيسة وكسوته صلى الله عليه وسلم بعد كسوة ابراهيم الخليل عليه
الصلاة والسلام في الزمن كما سياتي التصريح به في الحديث وليس فيه تفضيل له عليه الصلاة والسلام
في الزمن كما سياتي التصريح به في الحديث وعليه فيه تفضيل له عليه الصلاة والسلام لان حلة
نبينا صلى الله عليه وسلم اعلى واحسن وانما قدم جزء المبالغة به نمرود حين عراه ليلقيه في النار ورعاية
له بما يسر النبي صلى الله عليه وسلم لانه جده وزمنه اسبق وسنه زايد ثم يوذن لي بالبنا للمجهول
من الاذن اي ياذن الله لي في التكلم بين يديه والشفاعة لاهل المحشر اجمعين فيقال له قل واشفع
تشفع كما مر فاقول ما شا الله ان اقول من حمد الله بمحامد لايقة والشفاعة العظمى فذلك المقام
المحمود وهذا لا ينافي تفسيره بالشفاعة العظمى كما قاله المحب الطبري وذلك اشارة الى جميع
ما تقدم من اول الحديث الخ وعن ابن عمر رضي الله عنهما في حديث ساقه وذكر حديث الشفاعة معطوف
على مقدر وقوله قال فيمشي يعني النبي صلى الله عليه وسلم بدل من قوله ذكر حتى ياخذ بحلقة
باب الجنة وفي رواية قال فامشي حتى اخذ والحلقة معروفة بسكون اللام وجوز فتحها
وانكره بعض اهل اللغة كما تقدم والحديث تقدم بتمامه فيومئذ اي يوم اذ امشي صلى الله عليه وسلم
واخذ بالحلقة واليوم على ظاهره او بمعنى مطلق الوقت يبعثه الله المقام المحمود الذي
وعده به في القران في قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وهو مقام يشفع فيه لسائر
الخلايق الشفاعة العظمى ويحمده فيه الاولون والاخرون فلذا سمي بذلك ووعده مبني
للمجهول ومفعوله الاول عايد على النبي صلى الله عليه وسلم مستتر والبارز عايد على المقام
ويجوز بناؤه للفاعل ايضا وقيل المقام المحمود هنا وقوفه ثمة واخذه بحلقة باب الجنة
وهو مغلق ليفتحه فيدخلها من هو معه والحامدون له على هذا المسلمون واهل الجنة لان
من عداهم القي في النار فهذا تفسير اخر فتامله وعن ابن مسعود رضي الله عنه عنه عليه الصلاة
والسلام انه اي المقام المحمود الموعود به قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره
ظاهره ان المقام هو القيام نفسه على انه مصدر وقوله مقاما منصوب على الظرفية وليس
كذلك فان المراد ان المقام هو المحل الذي قربه الله فيه قربا لم يتيسر لغيره وقيل المراد
اقامته ومكثه في المكان فلا ينافي ما مر من انه صلى الله عليه وسلم يجلس على منبر عن يمين العرش
يغبطه فيه الاولون والاخرون اي جميع الامم والناس والغبطة بالغين المعجمة والموحدة والطا
المهملة هي تمني المرء ان ينال مثل ما راه زوالها فهو الجسد المذموم وقيل الجسد تمني الامر المحمود
مطلقا فهو اعم من الغبطة ومنه ما يذم ويحمد والمشهور الاول ويغبط بزنة يضرب وفي نسخة به
والباء ظرفية او سببية والغبطة لا ضرر فيها وقد تكون حميدة وفي الحديث هل يضر الغبط قال
لا الا كما يضر العضاة الحبط انتهى وفي النهاية الاثيرية ان الغبط لا يضر ضرر الجسد

وانما

وانما يلحق الغابط منه ضرر يسير وانه ينقض ثوابه كما يلحق العضاة بخبط ورقها والذي يظهر لي
انه صلى الله عليه وسلم انما اراد انه لا ضرر فيه على الغابط في امر محمود تمناه من غير تمني زواله
بل ربما يناله منه نفع لجده في تحصيل مثله او لنيله شيا من صاحبه فهو على حد قوله

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ۝ بهن فلول من قراع الكتايب

ونحوه اي مثله معنى يروى عن كعب هو كعب الاحبار والحسن البصري وفي رواية هو اي المقام
المحمود الذي اشفع لامتي فيه فتكون هذه الشفاعة غير الشفاعة العظمى لساير الناس وهو
احد الاقوال في تفسيره كما مر وما في الشرح الجديد من عود الضمير لقيامه على يمين العرش وان
المراد بالشفاعة الشفاعة العظمى في فصل القضا وهي وان لم تكن خاصة بامته فهم المقصودون
بالذات منها تعسف لا حاجة اليه وعن ابن مسعود رضي الله عنه في حديث رواه احمد في مسنده اني
لقايم المقام المحمود بكسر همزة ان لوقوعها في ابتدا كلام مستانف وقيل انه جواب قسم مقدر اي
والله اني لقايم وفيه بيان انه يجوز القسم في الامر العظيم ولذا اكد بان بان والاسمية وفيه نظر والمقام
منصوب على الظرفية او المصدرية قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى عن كرسيه
وفي نسخة على كرسيه الحديث اي اذكر او انظر تمامه وهو كما رواه احمد رحمه الله قيل له ما المقام المحمود
قال ذلك يوم ينزل الله على كرسيه فيبسط كما يبسط الرجل الحديد من تضايقه وهو سبعة ما بين
السما والارض ويجاء بكم حفاة عراة غرلا فيكون اول من يكسى ابراهيم عليه الصلاة والسلام فيقول
الله عز وجل اكسوا خليلي فيوتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة ثم اكسى على اثره ثم اقوم معي
عن يمين الله مقاما يغبطني فيه الاولون والاخرون وقد علمت ان هذا الحديث من المتشابه لانه
تعالى منزه عن صفات الاجسام كالنزول والجهة قيل ولذا تركه المص رحمه الله وهو تمثيل لتجليه
تعالى لعباده بعظمته وجلاله واقباله عليهم لفصل القضا واجراحكم عدله فيهم كما يتجلى الملك
لجنده ورعاياه لينظر في امورهم ويقرب من شا منهم والكرسي غير العرش كما مر والحديث في المصابيح
والكلام عليه مفصل في شروحه وعن ابي موسى عبد الله بن قيس الاشعري الصحابي المشهور
وهذا الحديث رواه ابن ماجة في سننه رواية عنه صلى الله عليه وسلم خيرت اي خيرني الله بين
احد امرين بين ان يدخل بالبنا للفاعل او المفعول نصف امتي الجنة اي امة الاجابة لا الدعوة
وبين الشفاعة لبعض المذنبين منهم الذين استوجبوا دخول النار وليس المراد بها الشفاعة العظمى
في فصل القضا فاخترت الشفاعة على دخول نصف امته الجنة ثم بين وجه اختياره بقوله لانها اي
الشفاعة اعم اي اشمل واكثر من النصف وهذه الشفاعة غير الشفاعة فيمن دخل النار وقيل
انها شاملة لها وهذه الشفاعة ثابتة باحاديث كثيرة بلغ مجموع طرقها التواتر ولا يعتد بمن انكرها
من الخوارج والمعتزلة تمسكا بقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع لان المراد بالظالمين
الكفرة فان الشرك ظلم عظيم اترونها بهمزة الاستفهام وضم المثناة الفوقية وفتح الرا والضمير
للشفاعة اي اتظنون الشفاعة خاصة للمتقين جمع متقي بكسر القاف اسم فاعل من التقوى وفي نسخة
للمومنين قال البرهان والاول هو المحفوظ من مشايخي وردوا على من رواه المتقين بنون مفتوحة
ثم قاف مفتوحة مشددة ثم يا مثناة تحتية ساكنة جمع منقي اسم مفعول وهو النظيف وكذا في اصلنا
لسنن ابن ماجه وهو اصل صحيح وكتب على هامشه ن ق وعليها تصحيح مرتين انتهى ففيه ثلاث
روايات والمنقين من النقا قال المزي وحسن هذه الرواية انه روي ولكنها للمذنبين الخطابين
المتلوثين فمقابلته للمتلوثين تحسنه وهو اسم مفعول من التلوث بمثناة في اوله ومثلثة في اخره

والتلوث التلطخ بالاقذار لان الذنوب كالنجاسة والخطائين جمع خطا وهو الكثير الخطا وروى الترمذي
شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وقيل المنفي بالنون عام لانه يجوز ان يكون مذنبا نفي بالتوبة
والمنفي اخص وفيه نظر وعن ابي هريرة رضي الله عنه في حديث صحيح رواه الحاكم والبيهقي قلت
يا رسول الله ماذا دعليك في الشفاعة بضم الرا المهملة وتشديد الدال المفتوحة مبني لما لم يسم فاعله
كذا رواه البرهان واقتصر عليه وروي ورد من الورود مبني للفاعل كما ذكره التلمساني وتبعه غيره
من الشراح وما اسم استفهام وذا اسم موصول بمعنى الذي ويجوز ان يكون اسم اشارة والرد الجواب
وورد بمعنى جا اي ما اجابك الله به او الملك لما سالته الشفاعة في امتك فقال شفاعتي هو فاعل مرفوع
تقديرا اي جاني او ورد عليه علي ان اشفع لمن شهد ان لا اله الا الله اي لمن اقر بوحدانية الله ولم
يقل واني رسول الله اكتفا باحد جزئي الشهادة للعلم بانه لا بد من الاتيان بهما في صحة الاسلام مخلصا
حال من الموصول اي غير مشوبة شهادته بشك او شرك يصدق لسانه بالنصب على المفعولية وقوله
قلبه مرفوع فاعله ويجوز عكسه اي يطابق اعتقاده لما نطق به وعن ام حبيبة رضي الله عنها
في حديث رواه الحاكم والبيهقي وهي ام المومنين بنت ابي سفيان ابن حرب اخت معاوية رضي الله
عنهما واسمها رملة على الصحيح وقيل هند وهي من السابقات الى الاسلام وترجمتها معروفة توفيت
سنة اربع واربعين قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت بضم الهمزة والبنا للمجهول اي
اعلمني الله واخبرني بواسطة الملك ما تلقى امتي من بعدي اي ارايت ما اطلعت به على ما ينوبها من اي
علمية وقيل انه من باب الكشف عما سيكون بتوفيق من الله له صلى الله عليه وسلم كرامة وليس من
الروية البصرية وسفك بعضهم دما بعض منصوب معطوف على ما تلقى وسفك الدم اراقته وصبه وهو
مصدر مضاف لفاعله قيل اراه ذلك وحيا او مشافهة والهاما لما يقع بينهم من الحروب والفتن التي
يقع فيها القتل واراقة الدما وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم ماض معطوف على تلقى صلة الموصول
اي ارايت واعلمت بما سبق لامتي مما قدره الله عليهم واراده لهم فوقع على وفق ارادته في الازل وعلمه
القديم فسالت الله تعالى ان يوتيني فيهم شفاعة يوم القيمة ففعل اي اعطاه الله ما ساله فشفعه في
المذنبين منهم وقال حذيفة بالتصغير وهو ابن اليمان الصحابي رضي الله عنه صاحب سر رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حديث موقوف عليه رواه البيهقي والنسائي يجمع الله الناس في صعيد
واحد اي في مكان يجمعون فيه غير متفرقين واصل معنى الصعيد التراب فاريد به هنا ارض المحشر
وقيل هو تربة ليس فيها رمل ولا شجر يوم تبدل الارض غير الارض والمراد بالناس الثقلان من
الجن والانس او المراد الانس واقتصر على الاشرف فلا يرد ان الجن والبهائم تحشر معهم ايضا
حيث يسمعهم الداعي صوته ونداه كما قال تعالى ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون
ويسمع بضم التحتية مضارع اسمع وحيث ظرف مكان مبني على الضم وينفذهم البصر بفتح اليا
المثناة التحتية وروي بضمها وكسر الفا وعلى الاول هي مضمومة والمراد بصر الداعي اي يراهم
دفعة وليس المراد بصر الله كما قال ابو عبيد وقيل المراد يبلغهم ويتجاوزهم لانهم في ارض مستوية
لا عوج ولا شجر فيها وهو بالدال المهملة والمحدثون يروونه بالذال المعجمة وهو صحيح ايضا لانه
لاحاطته بهم وتجاوزه كانه يخرقهم فلا وجه للرد مع صحة الروية حفاة عراة منصوبان على الحالية
وحفاة جمع حافي وهو الذي لا نعل له ولا خف وقيل جمع حفي وهو الذي رق جلد قدميه وعراة جمع
عاري وقيل جمع عريان وهو قليل في الاستعمال وهو الذي لا ثوب له ولا لباس فيستره ويعارضه ما
روي في الحديث الصحيح ان ابا سعيد الخدري رضي الله عنه لما احتضر دعا بثياب جدد فلبسهم

ثم قال

مطلب حشر الموتى باكفانهم

ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها وعن معاذ بن جبل
ايضا رضي الله تعالى عنه احسنوا اكفان موتاكم فانهم يحشرون فيها وجمع بينهما بان هذا محمول على الشهداء
وثيابهم الذي قتلوا فيها والحديث وارد فيهم وابو سعيد حمله على العموم وقيل ان بعضهم يحشر
عاريا وبعضهم بثيابه وقيل انهم يحشرون باكفانهم ثم تتناثر من عليهم في المحشر وقيل المراد بثيابهم
اعمالهم كقوله لباس التقوى ذلك خير ولا يخفى ما في هذا من الضعف فليحرر **كما خلقوا** حال اي
كائنين حال خلقهم الاول من غير نقص شيء من اجزائهم كما ورد غرلا فشبه حال اعادتهم بحال اخراجهم
من العدم كما قال كما بدا لم تعودون او ما كافة مصدرية **سكوتا** جمع ساكت حال من الناس او من
ضمير خلقوا **لا تكلم** اصله تتكلم فخفف **نفس الا باذنه** فلا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا
في موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف اخر او الثاني مخصوص
بذوي الاعذار الباطنة فلا تعارض بينهما وبهذا يجاب ايضا عن قوله واقبل بعضهم على بعض يتلاومون
وقوله يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها **فينادي** بالبناء للمجهول **يا محمد** بالتنوين نائب الفاعل
او هو غير منون مبني على الضم والنداء بمعناه الظاهر ان يقال له يا محمد فحذف حرف النداء وعلى
الاول ينادي بمعنى يدعي ويطلب وكلا الوجهين حسن وفي نسخة فينادي يا محمد **فيقول لبيك وسعديك**
منصوبان على المصدرية بفعل لا يظهر في الاستعمال من التلبية وهي اجابة المنادي من الب بالمكان اذا
اقام ولا يستعملان الا بصيغة التثنية والمراد بها مجرد التكرير ولو مرارا عديدة اي اجبتك اجابة
بعد اجابة واساعدك بطاعتي لك وانا مقيم على ذلك لا انصرف عنه **والخير في يديك والشر ليس**
اليك اي مقضيك بالعرض وصادر عنك بالتبع لان بعض ما يتضمن الخير الكثير يستلزم شرا قليلا
فكان ترك الخيرات الكثيرة لاجل ذلك الشر القليل شر لا يصدر عنه وهو المنزه عن الفحشاء ولا يجري
في ملكه الا ما يشاء والى هذا اشار القاضي في تفسيره والمعتزلة قد راوا في مثله والشر ليس منسوبا
اليك واستدلوا به على مذهبهم وغيرهم قدره والشر ليس متقربا به اليك كما يتقرب الى بعض
ظلمة الملوك ببعض القبائح قاله القرافي في قواعده او المعنى لا يضاف اليك تادبا وقيل المعنى لا
يصعد اليك فانه انما يصعد اليه الكلم الطيب واليد اسم للجارحة المعروفة واصله يدي بالسكون
لقولهم في جمعه ايد وقيل يدي بالفتح لقولهم في تثنيته يديان واستعير للنعمة والملك والتصرف
والقدرة والقوة والنصرة واذا اضيف الى الله يراد به المعنى المجازي لتنزهه عن الجارحة وثني هنا
وفي قوله لما خلقت بيدي اشارة الى زيادة تصرفه فيه واختصاصه به وجعل الخير مستقرا فيهما
ترشيحا للاستعارة والاحسن ان يقال انه اشارة لما مر من ان وجهي تصرفه في الموجودات بالخير والشر
خير كله فتدبر **والمهتدي من هديت** اي الموفق للهداية من خلقته مهديا ووفقته لطاعتك
وتعريف الطرفين يفيد الحصر اي لا يهدي الا من هديته **وعبدك بين يديك** اراد به نفسه الشريفة
اي انه صلى الله عليه وسلم حاضر لديه واقف في مقام الذلة والفقر وقيل انه تشبيه لقربه من ربه
ومزيد اختصاصه من بين الجهتين المساويتين لبدي الانسان واستعير لذلك **ولك واليك** اي امره
لك كله فانه عبدك وامره مركون اليك **لا ملجا** بالهمز والقصر للازدواج اي لا يلتجي ولا يستند لاحد
سواك **ولا منجا** بلا همز او به للازدواج اي لا ينجيه ولا يخلصه احد **منك** اي هو عبدك ومصيره اليك
الا اليك وليس باتباع ولا لف ولا نشر كما قيل **تباركت وتعاليت** اي كثر خيرك وزاد عن كل شيء
وعلا قدرك في ذاتك وصفاتك وتنزهت عما لا يليق بك والكلام مفصل عليه في التفسير **سبحانك**
اي تنزهت **رب البيت** بالرفع خبر مبتدا مقدر والنصب على النداء اي يا رب البيت والمراد به الكعبة

اول البيت المعمور في السما ولما كان البيت قد يشعر بالحلول قدم التنزيه عليه احترازا عن توهمه وقال
رب البيت دون رب العالمين باظهار الشرف وشرف الحج اليه المشابه جمع الخلايق فيه بالمحشر
وهم عراة حفاة قال اي النبي صلى الله عليه وسلم لانه معلوم من السياق او حذيفة راويه وهو
في حكم المرفوع فذلك اي المقام الذي جمع فيه ووقع فيه هذه المناجاة هو المقام المحمود الذي
ذكره الله في القران في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقال ابن عباس رضي الله
عنهما اذا دخل اهل النار النار قدمه ترهيبا وترغيبا في تجنب سبب دخولها ولان ذكر النعمة
بعد النقمة اوقع في النفس والجنة الجنة بجر الاول ونصب الثاني اي ودخل اهل الجنة الجنة والمراد
غالب اهل النار وغالب اهل الجنة بدليل قوله تبقى اخر زمرة من الجنة اي من اهل الجنة واخر زمرة
من النار اي من اهل النار والزمرة الجماعة القليلة ومنه شاة زمرة اي قليلة الشعر ورجل زمر
قليل المروة او من الزمر وهو الصوت وهو الصوت لانها لا تخلوا عنه فتقول زمرة النار اي الزمرة
الباقية من اهل النار لزمرة الجنة اي للزمرة الباقية من اهل الجنة الذين لم يوذن لهم في دخولها
ما نفعكم ايمانكم ما استفهامية انكارية او نافية خبرية اي لم ينفعكم ايمانكم ولم يغن عنكم شيئا لانهم
بجهلهم باخوالهم ظنوا انهم لا يدخلون الجنة وانهم منعوا من دخولها فيدعون ربهم الضمير
لزمرة المتخلفة من اهل الجنة ويضجون اي يضجون ويرفعون اصواتهم فزعا مما لحقهم من تعيير اهل
النار لهم واصل الضجيج بضاد معجمة وجيم الصياح من الفزع للحوق والمكروه والضجة ارتفاع
الاصوات المختلفة مطلقا فيسمعهم اهل الجنة اي يسمعون صياحهم واستغاثتهم بربهم ليأذن
لهم في دخول الجنة فيسالون ادم ان يشفع لهم في دخول الجنة وغيره بعده اي يسالون
بعد ادم عليه الصلاة والسلام غيره من الانبيا كنوح وابراهيم وموسى وعيسى في الشفاعة
لهم فكل يعتذر لهم بانه لا يقدر على الشفاعة ولم يوذن له لما مر تفصيله حتى ياتوا محمدا صلى
الله عليه وسلم بعدما يئسوا من شفاعة غيره من الرسل فيشفع لهم فذلك المقام المحمود
الذي يحمده فيه الناس ويظهر فضله على جميع الرسل وهذا الحديث موقوف على ابن عباس
وهو في حكم المرفوع ونحوه اي في معناه حديث يروى عن ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي
ابن الحسين بن علي بن ابي طالب وهو زين العابدين كما تقدم عن النبي صلى الله عليه وسلم
اي مرفوعا وما قبله موقوف وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الصحابي وقد تقدم مترجمه
ليزيد الفقير هو ابن صهيب ولقب بالفقير لانه اصيب في فقار ظهره فكان يشكوها وفقار
الظهر خرزات العظم التي من عجب الذنب الى نقرة القفا وهي اثنان وثلاثون نقرة فهو فعيل
بمعنى مفعول وقول عايشة في حق عثمان رضي الله عنهما ارتكبوا منه الفقر الاربع استعارة
اي انتهكوا له حرمات اربع الصحبة والصهر والخلافة والبلد وهذا الحديث رواه مسلم ويزيد
هذا امام ثقة روى عنه ابو حنيفة واصحاب الكتب الستة سمعت بفتح يا الخطاب واصله اسمعت
فحذف همزة الاستفهام او هل اي اسمعت او هل سمعت مقام محمد صلى الله عليه وسلم
اي هل رويت فيه شيئا يفسره يعني الذي يبعثه الله فيه اي فجابر اراد السوال عن حقيقة
المقام المذكور في قوله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وفي قوله فيه اشارة الى انه
منصوب على الظرفية وانه محل القيام حقيقة قال يزيد نعم اي سمعت ما ورد فيه اجمالا
قال اي جابر بن عبد الله الصحابي المشهور وكان الظاهر ان يقول فقال فانه مقام محمد المحمود
الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار ضمير به للنبي صلى الله عليه وسلم او للمقام

اي يخرج

اي يخرج الله بسبب الشفاعة فيه فالمراد به مقام اخر فيه شفاعة غير الشفاعة العظيمة لاهل المحشر
واليه اشار بقوله وذكر اي جابر رضي الله عنه حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين اي المنسوبين
لجهنم لانهم المومنون الذين دخلوا النار بمعاصيهم وهذا بعض حديث رواه مسلم اقتصر منه
لمم على محل المشاهدة لما هو بصدده ولفظه قال يزيد الفقير رحمه الله كان قد شغفني راي من راي
الخوارج فخرجت في عصابة ذوي عدد نريد ان نحج فمررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله رضي
الله عنهما جالس الى سارية يحدث الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاذا هو قد ذكر
الجهنميين فقلت له يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا الذي تقولون والله يقول انك
من تدخل النار فقد اخزيته وكلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فما هذا الذي تقول
فقال اتقرا القران قلت نعم فقال هل سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فانه
مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال
واخاف ان لا اكون احفظ ذلك وقال غير واحد ان قوما يخرجون من النار بعد ان يكونوا فيها
كانهم عيدان السماسم فيدخلون نهرا من انهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كانهم القراطيس الى
اخر الحديث الذي رواه مسلم والكلام عليه مبسوط في شروحه فالمعنى ان يزيد مال الى راي الخوارج
في خلود عصاة المسلمين في النار فلما سمع من جابر ما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم له علم
بطلان رايهم ورجع عنه وعن انس في حديث رواه احمد في مسنده نحوه اي ما هو في معنى هذا
الحديث وقال انس بعد ما ذكر ما تقدم فهذا المقام المحمود الذي وعده بالبنا للمجهول ونايب
الفاعل ضمير النبي صلى الله عليه وسلم والضمير البارز للمقام وفي رواية انس وابي هريرة وغيرهما
في حديث رواه الشيخان دخل حديث بعضهم في حديث بعضهم وافق رواية كل منهم رواية
غيره لفظا ومعنى قال عليه الصلاة والسلام يجمع الله الاولين والاخرين يوم القيامة
في ارض المحشر للحساب وفصل القضا فيهتمون افتعال من الهم بمعنى الحزن او العزم والتصميم يقال
اهتم اذا اغتم وحزن واهتم بكذا اذا جعله من همه وليس من الهمهمة وهي الصوت الخفي او قال
فيلهمون بالبنا للمجهول من الالهام وهذا شك من الراوي في لفظ الحديث اي يلهمهم
الله فيقولون لو استشفعنا الى ربنا اي لو طلبنا من يشفع لنا عند الله في ان يخلصنا من هول
هذا الموقف وشدته ولو للتمني هنا وقد ذكره النحاة مفصلا في بابه فنزلوا الشفاعة لخوفهم منزلة
الممتنع الذي لا يمكن وفي طريق اخر عنه عليه الصلاة والسلام اي في رواية اخرى ماج الناس
بعضهم في بعض اي دخل بعضهم في بعض واختلطوا لاضطرابهم وعن ابي هريرة في حديث الشفاعة
الذي رواه الشيخان وتدنو الشمس اي تقرب من روس الموقف فيبلغ الناس من الغم اي من الكرب
وشدة الحر من الغم اي ما لا يقدرون على تحملهم له ما لا يطيقون عطف تفسير اي لا يقدرون
ولا يستطيعون فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم اي يقول بعضهم لبعض هذا الكلام
فياتون ادم عليه الصلاة والسلام بدؤا به لانه اول الانبيا وابوهم المشفق عليهم كما قال
زاد بعضهم فيقولون انت ادم ابو البشر فينبغي لك ان تشفع لهم وتريحهم خلقك الله بيده
اي اوجدك من العدم بقدرته من غير واسطة ام واب ونفخ فيك من روحه اضافة الروح
له تعالى للتعظيم والاختصاص ونفخ الروح ايجاده متصلة بجسده كما يقال بيت الله واسكنك
جنته بعد نفخ الروح فيه وايجاده والمراد بالجنة المعروفة على الاصح وقيل المراد بها بستان
في الارض والخلاف فيه مشهور في كتب التفاسير والادلة من الطرفين مفصلة في محلها واسجد لك

ملائكته اي امرهم بالسجود لك سجود تحية وتعظيم واداء لحقه لا سجود عبادة هو كالقبلة له وكان
ذلك سجود تحية وتعظيم واداء لحقه لا سجود عبادة هو كالقبلة وكان ذلك جائزا شرعا ثم نسخ وعلمك
اسماء كل شيء كما ذكره الله في القرآن وهذا كله مما يدل على شرفه صلى الله عليه وسلم وعلو رتبته
عند ربه ومزيد قربه المقتضي لقبول شفاعته صلى الله عليه وسلم كما بينه بقوله اشفع لنا عند
ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا وهو المحشر ويريحنا بمعنى ويحصل لنا راحة الا ترى ما نحن فيه
من الكرب والهول الذي لا يطاق فيقول لهم آدم ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا
يغضب بعده مثله اي اظهر شدة غضبه وسخطه على من عصاه مريدا ايقاع العذاب الذي في الآخرة
بادخالهم النار وهذا لم يكن قبل يوم القيمة ولا بعده فلذا خاف آدم عليه الصلاة والسلام وقال
ونهاني عن الشجرة اي عن الاكل منها والمراد بها العنب الذي في الكرم او الحنطة وسماها شجرة مجازا
لان الشجر ما له ساق فعصيت اي خالفت امره تعالى بالاكل منها وفي كون هذا معصية كلام سيأتي
في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام نفسي نفسي اعتذار عن تركه الشفاعة لهم لخوفه على نفسه
وكررها تاكيدا وبيانا لانه لا يقدر على مصلحة غيره لاشتغاله بنفسه وذكر الانبياء تدريجا الاول
فالاول والاقدم فالاقدم على وجه يظهر به فضل نبينا صلى الله عليه وسلم اذهبوا الى غيري
من الرسل يشفع لكم بين من يذهبون له فقال اذهبوا الى نوح فانه الاب الثاني لكم بعدي
ولم يقل اذهبوا الى محمد صلى الله عليه وسلم ليعلم فضله بانه صاحب الشفاعة وانها منحصرة فيه
فيأتون نوحا فيقولون له انت اول الرسل الى اهل الارض كافة لانحصارهم وانحصار التبليغ
فيه وهذا لا ينافي اختصاص عموم الرسالة بنبينا صلى الله عليه وسلم لان عمومها لا يختص بعصره
وقال ابن حجر رحمه الله لانه لم يكن بعد الطوفان الا من كان مؤمنا معه وقد كان مرسلا اليهم
والعموم لم يكن في اصل بعثته وانما اتفق بعده فالحادث وقع وهو انحصار الخلق الموجودين
بعد هلاك سائر الناس واما نبينا صلى الله عليه وسلم فعموم رسالته من اصل البعثة فثبت اختصاصه
صلى الله عليه وسلم بذلك واما كونه اول رسول كما صح في حديث الشفاعة فالمراد انه اول رسول ارسل
الى جميع اهل الارض في حياته وليس المراد عموم بعثته مطلقا بل اثبات اوليته ارساله ولو سلم فهو
مخصوص بعد آيات على ان بعثة نوح عليه الصلاة والسلام كانت الى قومه ولم يذكر انه ارسل الى غيرهم
واستدل على عموم رسالته بدعائه على جميع من في الارض فاهلكوا غير اهل السفينة ولولاه ما
اهلكوا لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقد ثبت انه اول الرسل واجيب
يجوز ان يرسل غيره في زمنه وعلمه بانهم لم يؤمنوا فدعا عليهم وهو حسن لو نقل مجيء رسول في
زمنه غيره او خصوصية نبينا صلى الله عليه وسلم ببقاء شريعته الى يوم القيمة او دعوته لقومه بتوحيد
بلغ الناس عنه فتمادوا واستحقوا العذاب واليه ذهب ابن عطية في سورة هود وبعد عدم بلوغ
نبوته القريب والبعيد مع طول مدته وقال ابن دقيق العيد يجوز ان يكون الدعوة للتوحيد عامة
في بعض الانبياء وان لم تعم فروع شريعته لان منهم من قاتل غير قومه على الشرك ويحتمل انه لم يكن
في عهده غير قومه فبعثته خاصة وان عمت صورة اقول هذا ما قاله ابن حجر في شرح
البخاري ولم يبين كون نوح اول الرسل مع من تقدمه من الانبياء وتحقيقه ان آدم صلى الله عليه وسلم
كان نبيا رسولا ولكن ارسل لنبيه ولم يظهر للكفر في حياته قوة وآثار فكان كالعظيم الضابط
لاهله وخدمه فلذا لم يكن كغيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام وادريس تنبأ في زمنه وشيث
كان وصيه الى ان يبعث الله نوحا فاظهر الناس الكفر ومخالفة دعوته حتى احتاج الى اهلاكهم

فهو اول

فهو اول رسول بعث لدعوة الناس ومجاد لتهم وما قبله لم يكن كذلك كما لا يخفى **وسماه**
الله عبدا شكورا في الكتب القديمة لانه كان يحمد الله اذا اكل او شرب شكر ربه فاشتهر بذلك في الامم السابقة
والصحف الموحى بها كما نقل في تفسير قوله ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا على الاصح من ان
الضمير راجع له لا لموسى كما قيل فانه قول غير مرضي **الا ترى ما نحن فيه** من سكرة الموقف وهوله **الى نرى**
ما بلقنا بسكون الفين المعجمة وفتحها اي ما وقفنا فيه من الكرب وما وصل الينا منه وقال النووي الاصح
المعروف فتح الفين بدليل انه روي الا ترى ما بلغكم ولو كان بالاسكان قال بلغنم والوجه ما تقدم
الا تشفع لنا الى ربك في الخلاص مما نحن فيه **فيقول مثله** اي ما تقدم بعينه وفي نسخة التصريح به
فيقول انا لربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي ح
وقد تقدم شرحه **قال في رواية انس ويذكر خطيئته التي اصاب** صفة خطيئة والعائد محذوف
اي التي اصابها اي التي عملها والانبياء معصومون كلهم وكلنهم لشدة تعظيمهم لله وخوفهم
منه يعدون ما صدر منهم شيئا وسهوا وعقلة ذنبا عظيما والمراد بخطيئته ما فسره بقوله **سؤاله**
ربه بغير علم وهو منصوب بدلا او عطف بيان لما سبق قوله لخطيئته مفعول يذكر وقوله بغير علم صفة
مصدر محذوف او حالا اي سؤالا ملتبسا بغير علم منه بانه سأله لا ينبغي ان يسأله وهو قوله ربان ابني من
اهلي وقد وعدتني ووعدك الحق ان تنجي اهلي من الغرق وهو منهم فنجه فقيل له انه ليس من
اهلك الذين امنوا وعملوا الصالحات وانه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم وانيه هذا هو
الكمال وليس ربيبه وابن زوجته كما زعمه اهل الكتاب فيرد انما اعاقه هذا عن الشفاعة وزجره به وجعل
جهلا لانه من سبق عليه القول من اهله ودلت الحال على ما يمنعه من السؤال ولكن حب الولد شغله حتى
اشتبه عليه امره وهذا قول قريب من قول من قال انه ظنه مؤمنا بدليل قوله اركب معنا ولا تكن مع
الكافرين فلا وجه لخطيئة قائله **وفي رواية ابي هريرة** في حق نوح عليه الصلاة والسلام **وكانت لي**
دعوة دعوت بها على قومي اشارة الى ما ورد في الحديث ان لكل نبي دعوة والمراد ان الله وعد كل نبي
بانا يجيب له دعوة يدعو بها على جميع امته فيستجاب او يدعو بها لهم فلا ينافي كون دعا الانبياء عليهم
الصلاة والسلام مستجابا وهذا اعتذار منه عليه الصلاة والسلام مستجابا وهذا اعتذار منه عليه
الصلاة والسلام في ترك الشفاعة ولذا عقبه بقوله **اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله** وابو الانبياء
ومقتداهم فانه لحق بالشفاعة واقدر عليها مني **فيأتون ابراهيم فيقولون له انت نبي الله**
وخليله من اهل الارض اي انفردت من بينهم بالخلة كما تقدم وفيه اشارة الى انه اهل للشفاعة
اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول له ابي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله اي مثل ما تقدم
ويذكر ثلاث كلمات كذبها هي قوله اني سقيم لما دعي الى الاصنام وقوله لزوجته لما طلبها الملك منه
انها اختي وقوله في حق الاصنام فعله كبيرهم هذا وهذا كله مخالف للواقع ولاعتقاده الا ان
ابراهيم علي نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام لم يقصد به حقيقته وانما قاله بضرب من التاويل
فقصره فليس بكذب فان في المعاريض مندوحة منه وانما سماه كذبا نظرا لما يظهر منه للمخاطب
وخاف انا يؤاخذ به لعلو مرتبته وعظمة الربوبية عنده وان مقامه يقتضي الا يدار ي مخلوقا
ويخالفه والا فهو صلى الله عليه وسلم كسائر الانبياء معصوم من الكذب وغيره وعد منها في
مسلم قوله في الكواكب هذا ربي والمشهور خلافه لانه ذكره على طريق الالزام والجدل ويلزمه
زيادة على الثلاثة وقد صرح بالحصر فيها في بعض الروايات وقيد في قوله انا سقيم انه كانت
به حمى حقيقة لا تقدستها وفيه نظر وسيأتي تفصيله في محله ان شاء الله وهذا اعتذار منه عليه

الصلاة والسلام في عدم الشفاعة نفسي نفسي اي انا مشغول بنفسي وتخليصها لست لها اي لست
اهلا للشفاعة لغيري ولكن عليكم بموسى استدراك لدفع ما لزم من كلامه الاول من خيبة املهم ويأسهم
من الشفاعة وعليكم اسم فعل والباء زائدة اي الزموه فانه اقدر مني واقرب الى الله وهذا تواضع منه صلى
الله عليه وسلم ثم بين مزيته عليه بقوله فانه كليم الله اي انه كلم الله في الارض شفاها من غير واسطة
فهو اقوى على الشفاعة مني وفي رواية اخرى فانه عبد اتاه الله التوراة التي هي اعظم الكتب
الالهية قبل القرآن وكلمه بيان لكونه كليما او اراد اوحى الله اليه كلامه وقربه نجيا اي جعله قريبا
منه حال كونه نجيا له اي مناجيا ومخاطبا له والقرب ليس مكانيا بل رتبيا قال فيأتون موسى عليه
الصلاة والسلام فيقول لست لها اي لست اهلا للشفاعة لكم ويذكر موسى خطيئته التي اصاب
اي التي وقعت منه وعاتبه الله عليها بقوله ما اعجلك عن قومك يا موسى كما هو مبين في التفسير
وقتله النفس وهو القبطي الذي استغاثه الاسرائيلي عليه فوكزه موسى فمات ولم يكن عامدا
لقتله وانما هو لدفع الصائل ومثله جائز لكنه عليه الصلاة والسلام خشي المؤاخذة به ولذا استغفر
منه وعده من فعل الشيطان فلا ينافي هذا عصمته عليه الصلاة والسلام قال كما قال غيره نفسي نفسي
ولكن عليكم بروح الله وكلمته تقدم بيانه مفصلا فيأتون عيسى عليه الصلاة والسلام فيقول لست
لها ولكن عليكم بمحمد عبد بدل مجرور لا صفة كما قيل لانه نكرة ويجوز رفعه ونصبه وفي
نسخة فانه عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر اي غفر الله له كل ما صدر منه مما يعاقب
عليه وان لم يكن معصية لعصمته من الذنوب ومن كان كذلك فهو جدير بقبول الشفاعة منه فأوتي
فأوتي بالبناء للمجهول اي فيأتيني اهل الموقف لسؤال الشفاعة لهم فأقول لهم انا لها الفاء
فصيحة اي فيسألوني ان اشفع لهم فاقول لهم انا اهل للشفاعة مدخر لها فأستأذن على ربي
اي اطلب منه ان يأذن لي في القرب منه والشفاعة للناس فيؤذن لي بالبناء للمجهول اي يأذن الله لي
في الدخول الى مكان لا يقف فيه داع الا اجيب وهو موقف ليس بينه وبين الله حجاب وانما نقل من
موقف العرض والحساب الى موقف آخر لان الموقف الاول محل سياسة وخوف والثاني موقف كرامة
ولطف ورحمة فهو ادل على قبول الشفاعة واطمينان قلب الشفيع فاذا رأيته وقعت ساجدا
اي اذا رأى صلى الله عليه وسلم ربه عيانا سجد تعظيما لله وشكرا له على تقريبه له وفيه دليل
على وقوع رؤية الله في الآخرة وفي رواية فآتي تحت العرش اي آتي انا مكانا تحت العرش قريبا منه
فأخر ساجدا اي اقع واسقط في ذلك المكان ساجدا لله سجدتين وقال الراغب خر بمعنى سقط
سقوطا يسمع منه صوت كصوت خرير الماء والريح وغير ذلك مما يسقط من علو وقوله تعالى
خروا سجدا تنبيه على اجتماع امرين السقوط وحصول الصوت منهم بالتسبيح وقوله وسبحوا
بحمد ربهم تنبيه على ان ذلك الخرير كان تسبيحا بحمد الله لا بشيء آخر انتهى وقال التلمساني هذا
المكان الذي يأتي له صلى الله عليه وسلم ليس فحصة العرش وهي دار عظيمة وجنة هي اوسع
الجنان واكثرها بساتين تجتمع فيها اهل الجنة لرؤية ربهم في كل يوم جمعة ولم تعد الا لرؤيته
تعالى واكرام من اكرمه الله برضوانه ومشاهدة عظمة ملكوته مع تنزهه عن الحلول والمكان وفي
المشارق بدل قوله فأوتي فيأتون وفي شرحه للكازروني انه سمع بتشديد النون وبه ضبط
قال البرهان ومقدار كل سجدة جمعة من جمع الدنيا كما في مسند احمد وقيل مقدارها سبع سنين
فانظره وفي رواية فأقوم بين يديه اي بين يدي الله تعالى وهو تمثيل لشدة القرب منه
وتصوير له وقيل الضمير للعرش وهو بعيد ركيك فأحمده بمحامد لا اقدر عليها الآن

اي لا احصي

اي لا احسنها ولا اعرف كيفيتها في الدنيا الا ان يلهمنيها الله اي يوقعها الله في قلبي بالهام منه والهام
الانبيا عليهم الصلاة والسلام نوع من الوحي وهو في غيرهم ليس بحجة لانه لا ينبني على دليل
وفي رواية فيفتح الله علي من محامده هو قريب معنى من قوله يلهمني لان الفتح ازالة الاغلاق الحسي
كفتح الباب والقفل ثم شاع في حصول الشي ابتدا من غير عسر وحسن الثنا عليه هو عطف تفسير لما قبله
شيا لم يفتحه على احد قبلي مطلقا او المراد به لم يتيسر لغيره من الرسل قبله ولا بعده ففيه اكتفا وسل
ما شيت من الشفاعة وغيرها تعطه واشفع تشفع والفعلان مجزومان في جواب الامر فارفع راسي
فاقول يا رب امتي يا رب امتي اي ارحم او انج امتي وفي رواية تاتي امتي بدون قوله يا رب وهو في
معنى الرواية الاولى على الصحيح وقيل انه يحتمل النداء اي يا امتي وناداهم ليأتوه ويكونوا معه
لينجوا مما هم فيه وانما خصهم على ان هذه الشفاعة هي الشفاعة العظمى الشاملة لساير الامم اعتنا
مهم واشارة الى انهم المقصودون بالذات من بينهم وحذف الفاعل لضيق المقام وشدة الاهتمام
بتعجيل خلاصهم وكذا كرر فيقول الله له بعد رفع راسه ادخل من امتك اي اذن له في دخول الجنة
من لا حساب عليه اي خواص امتك المتقين الذين لا ذنب لهم يحاسبون بسببه من الباب الايمن
من ابواب الجنة الذي هو اشرف ابوابها وهو الباب الثامن وهو مخصوص باتقيا هذه الامة وهم
اي الذين لا حساب عليهم شركا الناس فيما سوى ذلك وفي نسخة فيما سواه من الابواب وهو
باب الصدقة وباب الصوم ويقال له الريان وباب الجهاد وباب التوبة وباب الكاظمين الغيظ والعافين
وباب الراضين وباب الصلاة كما بينه المص في شرح مسلم ولو لم يذكر في رواية انس هذا الفصل
الذي في رواية ابي هريرة من قوله فيقال يا محمد ارفع راسك الى هنا ثم قال مكانه وفي
نسخة وقال مكانه اي اتى به بدلا منه فاخر وفي نسخة ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع
راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه الضمير لما سال او هو ها سكت للوقف فيقول
يا رب امتي امتي فيقال انطلق امر اي اذهب من مقام الشفاعة المقرب به فمن قال في قلبه مثقال
حبة من بر او شعير المثقال بكسر الميم وسكون المثلثة معناه موازن وموازن لانه يقابله ليعرف مقدار
ثقله فعبر به عن مطلق المقدار ومن بر الخ بيان للحبة وهي واحدة البر المعروف وقوله من ايمان
بيان المثقال اي من كان في قلبه اقل قليل من الايمان والموزون صحف الاعمال او هي نفسها بناء
على جواز تجسيم الاعراض وامور الاخرة لا تقاس بامور الدنيا فاخرجه بقطع الهمزة امر من الاخراج
معطوف على الامر قبله فانطلق فافعل ما امرني به الله من اخراج من في قلبه اقل قليل من الايمان
وهذه الشفاعة ان كانت هي الشفاعة العظمى فالمراد باخراجهم تخليصهم من هول الموقف
وكربه وان كان المراد ما بعدها فالمراد اخراجهم من النار وانطلاقه صلى الله عليه وسلم كان
من المكان المقرب الذي وقع فيه الشفاعة كما تقدم ولذا قال ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد
التي الهمتها كما تقدم وذكر مثل الاول اي مثل الكلام الاول في قوله فاخر ساجدا الخ وقال فيه
اي في الحديث الذي رواه مسلم مثقال حبة من خردل وهو حب معروف في غاية الصغر والمعنى
واحد في كونه كناية عن غاية قلة الايمان قال فافعل ثم ارجع الى ربي وذكر مثل ما تقدم وقال
فيه كما رواه مسلم من كان في قلبه ادنى ادنى ادنى هو افعل تفضيل من الدنو واصل معناه
القرب في المكان او الزمان او المنزلة كقوله تعالى قنوان دانية ثم عبر به عن الاقل ويقابل بالاكثر
وعن الاصغر ويقابل بالاكبر وعن الارذل ويقابل بالخير كما قال تعالى اتستبدلون الذي هو ادنى
بالذي هو خير وافعل هنا مضافة لما بعدها للمبالغة اي اقل من الاقل وفي صحيح مسلم من رواية انس

تكرير لفظ ادني ثلاثا وهو كذلك في بعض نسخ الشفا وفي بعضها كرر مرتين ووقع كذلك في صحيح
البخاري من رواية الكشميهني وقوله من مثقال حبة من خردل بيان لادني وقوله فافعل اي اخرج
من في قلبه اقل قليل من الايمان وذكر في المرة الرابعة من رجوعه الي ربه ومراجعته في الشفاعة فانه
وقع مرارا في رواية البخاري وفيما ذكر دلالة علي ان الايمان يزيد وينقص فان قلنا بدخول اعمال
الطاعة مطلقا او الفرض فهو ظاهر وان قلنا انه مجرد التصديق القلبي فاختلف فيه فقيل لا يقبله
فانه لا يقبله الا باحتمال النقيض وهو كفر وذهب العضد وغيره من المحققين الي انه يقبله ايضا فان اعتقادنا
وتصديقنا ليس كتصديق الانبيا عليهم الصلاة والسلام وتفاوته باعتبار قبوله التشكيك وعدمه وتحقيقه
في الكتب الكلامية فيقال ارفع راسك وقل تسمع اي تجب ويقبل رجاوك واشفع تشفع وسل
تعطه فاقول يا رب ايذن لي في الشفاعة واخراج من قال لا اله الا الله اي من نطق بكلمة التوحيد
والظاهر انه مع اعتقاده لذلك اعتقادا ما من غير مناقشة له وتفتيش عن حاله فما قيل من انه
اعتبر تصديق القلب اللسان فهو كمال الايمان فما وجه الترقي من الادني المؤكد وان لم يعتبر دخل
فيه المنافق وهو مشكل غير متجه فتدبر قال اي الله تعالي ليس ذلك اليك اي ليس ذلك مفوضا
اليك بل الي ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي قسم دال علي تحقق المقسم عليه والعزة الغلبة والقهر
والكبريا بمعني الترفع عن الانقياد والعظمة ظهور ذلك وزيادته وهي متقاربة وجبريائي بالمد
مضاف ليا المتكلم وجيمه مكسورة وجوز فتحها وباؤه ساكنة وقيل انه مقصور ومد لمشاكلة الكبرياء
ورد بانه سمع كذلك من غير ازدواج وهو والجبروت بفتح البا وسكونها بمعني وتاؤه للمبالغة
كالملكوت لاخرجن من النار من قال لا اله الا الله من غير شفاعة احد واستدل بهذا الكرامية علي ان
مجرد النطق بكلمة الشهادة كاف في صحة الايمان ولا حجة لهم فيه وفيه رد علي من قال بخلوص اصحاب
الكبائر من المعتزلة وما خص النبي صلي الله عليه وسلم باخراجه من اثمر ايمانه يزيد يقين او عمل
تاوما اخرجه رب العزة من تجرد ايمانه عن كل شي عداه ويدل له قوله في حديث الشيخين الذي
فيه لم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار يخرج فيها قوما لم يعملوا خيرا قط يعني غير
قولهم لا اله الا الله خالصا من قلبه كما ورد في رواية اخري وقوله من قلبه للتاكيد كنظرت بعيني وسمعته
باذني وعن رواية قتادة عنه اي عن انس رضي الله عنه قال اي انس لا النبي صلي الله عليه وسلم
كما توهم لان الشك في قوله فلا ادري في الثالثة او الرابعة انما هو من الراوي والمراد بالثالثة مرات
مراجعته ربه وانطلاقه لاخراج المشفوع لهم وقيل في هذا الحديث اشكال لان اوله يدل علي ان
هولاء اهل الموقف والمحشر واخره يدل علي انهم دخلوا النار فاخرجوا منها بشفاعته واجيب
بانهم صاروا فرقتين فرقة في المحشر شفع لهم فلم يعذبوا وفرقة دخلوها ثم اخرجوا منها
بشفاعته ففي الكلام اختصار وطي فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القران اي وجب
عليه الخلود اي لم يبق بعد هولا الخارجين الا من حكم الله في القران بخلوده في العذاب ولم يوذن في
الشفاعة لهم وهم المنافقون والكفار لقوله تعالي ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن تجد
لهم نصيرا اي شفيعا وقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ونحوه من الايات كقوله تعالي ان الله جامع
المنافقين والكافرين في جهنم جميعا وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد الخدري الصحابي
المشهور وحذيفة بن اليمان امثل اي مثل الحديث السابق قال اي قال كل واحد منهم او النبي صلي
الله عليه وسلم الا ان قوله صلي الله عليه وسلم فياتون محمدا يا باه ظاهر اذ الظاهر
ان يقول ياتوني اي ياتونه صلي الله عليه وسلم بعد مراجعة الانبيا وذكرهم العذر في عدم

الشفاعة

الشفاعة لهم والآتون هم اشراف اهل المحشر من اتباع الرسل وقال الغزالي في الكشف انهم العلما العاملون
يلهمهم الله طلب ذلك من الانبيا وبين اتيانهم لكل نبي واخر بعده الف عام لكن قال الحافظ ابن حجر
هذا التعيين للزمن لم اقف له على اصل وقد اكثر في كتبه من مثله فلا تغتر به انتهى فيوذن له
اي ياذن الله لنبينا صلى الله عليه وسلم في الشفاعة وتاتي الامانة والرحم فتقومان عن جنبتي
الصراط اي ناحيتيه يمنة . واحد جنبه بفتح النون وسكونها والامانة ضد الخيانة والرحم القرابة
واصلها مقر الحمل يعني انهما يمثلان او يجسمان بقدرة الله تعالى يشهدا على الخاين وقاطع الرحم هـ
وخلافهما وقيل المراد بالامانة العظمى التي في قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال وهي التوحيد والاقرار به في عالم الذر التي فطر الناس عليها والرحم هي المذكورة في قوله
تعالى واتقوا الله الذي تسالون به والارحام وهذا لتعظيم امر الله وشفقته على خلقه وفي هذا
ونحوه مما بلغ حد التواتر المعنوي رد على المعتزلة المنكرين للصراط كما بين في الكتب الكلامية
وراى يحيى بن اليمان رجلا نايما وهو اسود الراس واللحية شاب فاستيقظ وهو ابيض شعر الراس
واللحية فاخبره انه راى في منامه كان الناس قد حشروا واذا بنهر من نار وجسر يمر عليه الناس
فدعي فدخل الجسر فاذا هو كحد السيف يمور به يمينا وشمالا فشاب من ذلك وذكر في رواية ابن مالك
عن حذيفة فياتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم في الخلاص من الموقف وهو له نسال
الله السلامة فيضرب الصراط اي يوضع كما ورد في رواية اخرى وعبر به فيما ياتي من ضرب
الخيمة اذا نصبها وعبر بالضرب لدق اوتاده واطرافه وتوهم بعضهم ان الضرب بمعنى الجلد فقال ان
ضربه يشعر بمرور الصراط نفسه مع من عليه فان كان المراد مرور من عليه فضربه لاستعجالهم وتخويفهم
وهذا مما يقضي منه العجب وهو جسر ممدود على متن جهنم ادق من الشعرة واحد من السيف او الموسى
وعن ابن المبارك وابن ابي الدنيا عن سعيد بن ابي هلال بلغنا ان الصراط ادق من الشعرة على بعض الناس
ولبعض الناس مثل الوادي الواسع وهو مرسل او معضل كما ورد في الحديث وما قيل انه شعرة من
عين بالك لا اصل له وانما هو من اكاذيب الوعاة واصحاب القصص والصراط بالصاد والسين والزاي
المسمة كما بين في اللغة وكتب التفسير وعلم القراات فيمرون اي يمر الناس عليه فمنهم من يقع في النار
ومنهم من ينجو وهم فرق اولهم كالبرق في السرعة من غير مهلة ومشقة ثم الريح والطير في السرعة
مع الزمان الممتد اكثر من الاول وشد الرجال بالجيم جمع رجل ضد المراة كما صحح في النسخ والشروح وصحح
العز في تلميذ المص رواية عنه كما نقله التلمساني ان الرجال بالحا المهملة جمع راحلة وهو رواية
ابن ماهان والمراد به هنا البعير فقد ذكر بعضهم ان الرحل ما يوضع على البعير ويعبر به تارة عن
البعير انتهى فما قيل ان روايته بالحا المهملة خطا خطا وان كان لا يخلوا عن التكلف وفي بعض
الشروح هنا ما يتعجب منه ولا حاجة لنا بايراده والشد سرعة الجري وقال الراغب انه مستعار
من قولهم اشد الريح وقوله صلى الله عليه وسلم ونبيكم صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث يعني
به نفسه على طريق التجريد المعروف في علم البديع على الصراط يحتمل انه على ظاهره ويحتمل ان المراد انه
صلى الله عليه وسلم وقف عنده لكنه لقربه منه كالواقف عليه يقول اللهم سلم سلم جملة حالية تدل على
اعتنائه صلى الله عليه وسلم بهم والدعا لهم بالسلامة من الوقوع في جهنم حتى يجتاز الناس
يجتاز افتعال من الجواز اي هو المرور وهو غاية لقوله لا يزال يقوله حتى يمروا او علة له اي قوله
حتى يسلموا فيمروا والناس اعم من امته وذكر اخرهم جوازا الحديث اي اذكره اي سمي اخر من يمر
على الصراط قيل هو هناد وقيل جهينة وقيل هما واحد واحدهما اسم والاخر لقب والذي

رأيناه ان جهينة اخر من يخرج من النار وعند جهينة الخبر اليقين كما ذكر في كتب الحديث وفي شرح
التلمساني اخر من يخرج من النار هنا دولم يقع اسمه في الصحيح وروي ان الحسن قال يا ليتني كنت هنا
فقيل انما تمنى هذا لانه علم انه قطع له بخاتمة الايمان في الحديث وقيل لان بدخوله الجنة كملت النعمة على
اهلها لانهم كالجسد الواحد انتهى وفي رواية ابي هريرة فاكون اول من يجيز يومئذ هذا مما رواه
الشيخان فهو اول من يجيز امته من الرسل وهو يقتضي ان المراد بالناس السابق امته وانهم اول الامم
جوازا على الصراط فله صلى الله عليه وسلم فضيلة السبق في كل امر فهو اول من نبئ في عالم الارواح
والذر واول من يشفع واول من يفتح باب الجنة واول من يدخلها واول من يجيز امته على الصراط ويجيز
مضارع وليس بمعنى جاز كما قيل وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
يوضع للانبياء عليهم الصلاة والسلام في ارض المحشر منابر من نور جمع منبر اي كرسي مرتفع يجلسون
عليها والناس وقوف على اقدامهم اكراما لهم وتمييزا لهم عمن عداهم برفعة مقامهم ليسر المؤمن
بهم ويخزى من كفر ويبقى منبري خاليا عني لا اجلس عليه حال من المضاف وقوله
قائما حال من فاعل فهي متداخلة لا حال بعد حال بين يدي ربي منتصبا اي قريبا منه
تعالى قربا معنويا لتنزهه عن الزمان والمكان والجارحة فهو تمثيل وقيامه صلى الله عليه
وسلم مع جلوس غيره من الانبياء فيه زيادة تكريم له لما فيه من الاشارة الى انه من المقربين في
حظائر القدس الناظرين في امور غيرهم عند ربهم ولذا فرع عليه قوله فيقول الله تريد ان
اصنع بامتك لما فيه من الدلالة على زيادة محبته واكرام اتباعه بما هو في صورة الاستشارة له
فاقول يا رب عجل حسابهم اي قدم النظر في امورهم على غيرهم حتى يخلصوا من هول الموقف
ويدخل الجنة من هو ادخلها منهم ويعلم من عذب منهم عدم خلوده في النار فلا منافاة بين
هذا وحديث من نوقش الحساب عذب ولذا قالت عائشة رضي الله عنها لا يحاسب احد يوم القيمة
الا دخل الجنة فيدعى بهم اي بامة محمد صلى الله عليه وسلم وهو مبني للمجهول كقوله فيحاسبون
فمنهم من يدخل الجنة برحمته تعالى من غير شفاعة لغلبة حسناته على سيئاته ولطف الله
به ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي له وذلك رحمة ايضا ولا ازال اشفع في العصاة حتى
اعطى صكاكا غاية او علة لاستمرار شفاعته وامتدادها وصكاك بالصاد المهملة وكاف مكررة
جمع صك كصكوك واصك وهي الورقة التي تكتب للمصالح والعرف خصها بحجة القاضي
وهو معرب جك بالجيم المعجمة برجال امر بهم الى النار فهي متعلقة بهم فكانها ترسل خلفهم
بعد ذهاب ملائكة العذاب بهم وامر مبني للمجهول اي امر الله باخذهم ليدخلوها او باخراجهم
بعد ما دخلوها حتى ان خازن النار الموكل الملك بها وهو مالك او المراد خزنتها فيشمل
مالك واتباعه ليقول لما رآه من كثرة نفاذه لمن امر به يا محمد ما تركت لغضب ربك من نقمة
الغضب ارادة الانتقام والنقمة بكسر اوله العذاب اي لم تدع احدا ممن استحق العذاب يعذب
وحتى هنا ابتدائية ومن طريق زياد بن عبد الله البصري النميري بالتصغير نسبة الى نمير قبيلة
سميت باسم ابيها وقد اختلف فيه فقيل انه ثقة وقيل ضعيف لا يحتج به وهذا الحديث
رواه البيهقي وابو نعيم في الحلية عن انس انه صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض
اي تنشق والفلق شق الشيء وابانة بعضه من بعض قال تعالى فالق الاصباح عن جمجمته
بضم الجيم الاولى والثانية وهي الراس او قحف الراس وعظمه الذي فيه الدماغ وخصها لانها
اول ما يظهر منه ولا فخر اي لا اقول هذا اظهارا للافتخار والتبجح بل بيانا لما انعم الله به علي

وتحدثا

وتحدثا بنعمته ولا ينافيه ما ورد في الحديث لا تفضلوني على موسى فاذا الناس يصعقون فاكون
اول من يفيق فاذا موسى اخذ بساق العرش لانه صلى الله عليه وسلم قاله قبل علمه فانه سبق
عليه في البعث وانه لا يلزم منه افضلية موسى عليه فتامل **وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر** المراد
انه صلى الله عليه وسلم سيدهم واشرفهم في الدنيا والاخرة وخص الثاني بالذكر لعدم اعتداده
بغيره او لانه يعلم منه بالطريق الاولى او لانه مسلم لا ينكر كما مر **ومعي لوا الحمد يوم القيمة** اي معي
لوا موضوع غدا وبيده صلى الله عليه وسلم على عادة العرب في اخذ الرئيس اللوا والمراد لوا الرياسة
العظمى الذي يحمده ويغبطه به ساير الخلق لتفرده صلى الله عليه وسلم به وهو على حقيقته او كناية
عن تقدمه على غيره **وانا اول من يفتح له الجنة ولا فخر** اي يفتح له بابها وفي نسخة ابواب الجنة
فاني فآخذ بحلقة باب الجنة بسكون اللام كما مر اي لكها واحركها حتى يسمع خزنتها **فيقال من**
هذا الذي دق الباب **فيقال انا محمد فيفتح لي** لعلمهم بانهم اذن له صلى الله عليه وسلم بذلك
فيستقبلني الجبار تعالى اي فاراه الله عيانا بعد الفتح وعبر بالجبار دون غيره لانه يوم جزاء
وانتقام كما مر ان الله غضب في ذلك اليوم غضبا لم يغضبه قبله ولا بعده **فاخر ساجدا** لما شاهده
صلى الله عليه وسلم من عظمة الله وانعامه عليه وتجليه له برويته ورضوانه قال السنوسي في هذا تمثيل
بجعله كمن قدم على ملك عظيم في سلطانه وكرسي مملكته ودار كرامته فاستقبله لما قدم عليه تشريفا
له واظهارا لعظمة مقامه عنده وتطمينا له ولاتباعه ليزداد سروره مع علوه وجبروته واستغنائه
عن خلقه فلا يتوهم ان المقام يناسب ان يقال استقبلني الرحمن لا الجبار **وذكر نحو ما تقدم** من
حمده بمحامد لم يكن حمده بها قبل **وفي رواية انيس** بالتصغير وفي بعض النسخ انس مكبر
والصحيح الاول وهو صحابي انصاري اشهلي ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب وروى عنه
بن حوشب ولم ينسبه وذكر حديثه هذا الطبراني في الاوسط وقالوا اسناده ليس بقوي
وقول بعضهم يويد ضعفه تعلق الشفاعة بما لا يعقل من الشجر والحجر سهو لان معنى قوله
صلى الله عليه وسلم **لاشفعن لاكثر مما في الارض من حجر وشجر** انه يشفع لناس اكثر عددا
من عدد الشجر والحجر لا ما توهمه والعجب ممن اعتذر له بانه لا يبعد ان تستغيث به صلى الله
عليه وسلم الجمادات فرقا من نار جهنم وزمريها **فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الاثار**
اي اذا سمعت ما تقدم من الاحاديث مرفوعة وغير مرفوعة واختلاف الفاظها في شفاعته صلى
الله عليه وسلم وتفسير المقام المحمود الذي وعده الله به تبين لك من مجموعها **ان شفاعته**
صلى الله عليه وسلم ومقامه المحمود بالنصب عطف على اسم ان وخبرها قوله الاتي من الخ فلا
يتوهم انه لا خبر لها مذكور وانه مقدر وقوله **من اول الشفاعات الى اخرها** بيان لمقامه المحمود
وفيه اشارة الى تعدد شفاعاته صلى الله عليه وسلم وقد قال القرطبي انها اربعة وفي الحديث
زيادة عليها وهي شفاعته العظمى في الخلاص من كرب الموقف لجميع الناس وشفاعته لدخول اهل
الجنة الجنة وللمذنبين في العفو عن ذنوبهم ولمن امر به الى النار ولمن قال لا اله الا الله ولاخراج
من دخل النار منها ولرفع درجات اهل الجنة كما مر جميع ذلك **من حين يجتمع الناس للمحشر**
هذا خبر ان ومن ابتدائية **وتضيق بهم الحناجر** هذا كناية عن شدة الهول والكرب والحشر
جمع الناس في المحشر والنشر الخروج من القبور بعد الاحياء والحناجر جمع حنجرة وهي الحلقوم
او طبقتان منه مما يلي الغلصمة او راسه او المراد انها تضيق عن اخراج النفس لكثرته وشدته
لتراكم الغم والهم حتى يبلغها كما قال تعالى اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين **ويبلغ منهم العرق**

بفتحتين وهو معروف والشمس والوقوف مبلغه اي نهايته التي يمكن بلوغها والوصول اليها
وفي الحديث يكون عرق الناس على قدر اعمالهم فمنهم من يكون عرقه لكعبه ومنهم من يكون
لركبته ومنهم من يزيد حتى يلجمه قالوا وهذا امر خارق للعادة فان الناس اذا كانوا في الماء في مكان
مستو يكون تغطية الماء لهم على السوا ومبلغ الشمس قدر ميل وهذا ايضا خارق للعادة فان الشمس
ليست في سما الدنيا كما انهم عراة ولا يرى احدهم عورة غيره وذلك قبل الحساب الاشارة الى
اجتماعهم للحشر فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف اي حين اذ تضيق الحناجر وتبلغ
ذلك مبلغه ثم يوضع الصراط السابق ذكره ومر انه ليس شعره من جفن مالك كما قيل ويحاسب
الناس كما جا في الحديث الذي تقدم ذكره عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن اي اكثر
اتقانا من غيره فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من اتقيا امته ويشفع معلوم او مجهول لكونه
معلوما الى الجنة متعلق بتعجيل كما تقدم من دخولهم من الباب الايمن ثم يشفع شفاعة ثانية فيمن
وجب عليه العذاب اي تحقق فالوجوب ليس على ظاهره ودخل النار منهم كما تقدم حسب
بسكون ثانيه وفتحه ونصبه على المصدرية او الظرفية اي على وفق ومثل ما تقتضيه الاحاديث
الصحيحة السالفة ثم يشفع فيمن قال لا اله الا الله خالصا مخلصا من قلبه كما تقدم فان
قلت هذا ينافي ما تقدم من قوله فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله فيقول ذلك ليس
اليك قلت اجيب عنه بانه ليس فيه الا ان اخراجهم من النار مفوض الى الله لا اليه صلى
الله عليه وسلم وهو لا ينافي اخراجهم بشفاعته وفيه خفا وقد يقال المذكور شفاعته فقط وقيل
المراد من اثمر توحيده زيادة طمانينة له والسابق المفوض لله تعالى من تجرد توحيده عما عداه
وليس هذا اي الشفاعة فيمن قال لا اله الا الله لسواه من الشفعا وفي الحديث المفسر اي
الشايع ولا يلزم منه صحته فلذا قال الصحيح الذي رواه الشيخان لكل نبي دعوة يدعو بها
تقدم ان المراد بها دعوة لجميع امته لا مخصوصة به او ببعض امته والا فللانبيا عليهم الصلاة والسلام
دعوات كثيرة مستجابة بل لبعض اممهم بدليل قوله صلى الله عليه وسلم واختبات دعوتي
شفاعة لامتي يوم القيامة واشار المص رحمه الله الى جواب بقوله وقال اهل العلم معناه اي
معنى هذا الحديث المقصود منه دعوة اعلم بضم الهمزة وكسر اللام مبني للمجهول اي اعلمه الله
وروي اعلموا بالبنا للمجهول اي الانبيا وعلى الاول النايب للفاعل ضمير مستتر وقوله
انها تستجاب لهم مفعول ثان له اي يتيقنون اجابتها ويبلغ فيها مرغوبهم بالبنا للمجهول
ومرغوبهم اي مطلوبهم الذي رغبوا في حصوله واحبوه نايب الفاعل والا اي وان لم نقل
ان معناه ما ذكر بان يبقى على ظاهره وانه يستجاب له دعوة فقط كان مخالفا للواقع فكم لكل نبي
من دعوة مستجابة اي اجاب الله دعاه بها في الدعا ولنبينا صلى الله عليه وسلم من الدعوات
منها ما لا يعد من الدعوات المشاهد استجابتها ولكن حالهم عند الدعا بها قبل تحقق اجابتها
بين الرجا لاجابتها والخوف من عدم قبولها وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاوه يدعون
بها على يقين من الاجابة اي ضمن الله لهم قبولها يقينا وهذه هي الدعوة المذكورة في
هذا الحديث والجار والمجرور حال اي متيقنا اجابتها ثم اشار الى جواب اخر بقوله وقد
قال محمد بن زياد الجمحي البصري الثقة الذي اخرج له اصحاب الكتب الستة وابو صالح
ذكوان السمان الثقة عن ابي هريرة في تاويل هذا الحديث وتفسيره لكل نبي دعوة يدعى
بها في حق امته وشانهم سوا كانت لهم ام عليهم فاستجيب له وانا اريد ان تؤخر دعوتي شفاعة

بالنصب

بالنصب اي لاجل الشفاعة لامتي يوم القيامة وفي رواية ابي صالح السابق ذكره وهذا مما رواه الشيخان
عنه لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته فيه اقامة الظاهر مقام المضمر لان المقام مقام
بشارة يطلب فيه البسط ونحوه في رواية ابي زرعة بن عمرو بن جرير عن عبد الله البجلي الامام
الثقة اخرج له اصحاب الكتب الستة واختلف في اسمه فقيل جرير وقيل عبد الله وقيل عبد الرحمن
وقيل هرم وقيل هذا وهم وانما هو هارم وقيل عمرو عن ابي هريرة رضي الله عنه وعن انس
مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة اي موافقة لها معنى واشار بكثرة طرقه الى صحته وقوة روايته
ثم بين المراد بهذا الجواب وانه غير الجواب السابق بقوله فتكون هذه الدعوة مخصوصة بالامة
مضمونة الاجابة والا اي ان لم يفسر الحديث بما ذكر لزم الخلف فقد اخبر صلى الله عليه وسلم
انه سال لامته اشيا من امور الدين والدنيا منع بعضها واعطى بعضها فتبين انها ليست الدعوة
الموعود بها وهذا اشارة لما في الصحيح من انه صلى الله عليه وسلم قال سالت الله عز وجل ثلاث
خصال فاعطاني ثنتين ومنعني واحدة منها سالته ان لا يهلكنا بما اهلك به الامم فاعطانيها وسالته
ان لا يظهر علينا عدوا من غيرنا فاعطانيها وسالته ان لا يلبسنا شيعا وفي رواية يذيق بعضنا باس
بعض فمنعها وهو المذكور في سورة الانعام في اية وهو القاهر فوق عباده الخ ومن فسر الدعوة
التي ادخرها بهذا فقد اخطا وغفل عن قوله وادخر لهم هذه الدعوة بالدال المهملة المشددة
اي جعلها ذخيرة موخرة ليوم الفاقة وهي الفقر وشدة الحاجة والمراد به يوم القيمة لاحتياج
الناس فيه الى رحمة الله وشفاعة نبيه حيث لا ينفع غيره وخاتمة المحن جمع محنة بكسر الميم وهي
البلية المحيرة يعني هول الموقف اذ لا بلية بعده الا النار وعظيم السوال والرغبة بالجر معطوف
على يوم الفاقة او على الفاقة او جعل اليوم نفسه محنة والرغبة عطف تفسيري لما قبله او اخص
منه ولما ذكر ما تفضل به النبي صلى الله عليه وسلم على امته الداخل فيهم دخولا اذ لو تاخر الفضل
بدعايه له بقوله جزاه الله تبارك وتعالى ما جزى نبيا عن امته اي بما جزاه او بمثله وفي نسخة
احسن وصلى الله عليه وسلم تسليما كثيرا دايما ابدا الى يوم الدين ولبعض الشراح هنا كلام
طويل لا طايل تحته تركناه خوف السامة مما لا فايدة فيه والله اعلم

فصل

في تفضيله صلى الله عليه وسلم على غيره في الجنة بالوسيلة اصل الوسيلة امر يكون موصلا
لامر ينتفيه كالهدية والتودد ونحوه قال الراغب الوسيلة التوسل الى الشي برغبة وهي اخص من
الفضيلة ولتضمنها معنى الرغبة عديت بالى قال تعالى وابتغوا اليه الوسيلة وحقيقة الوسيلة
الى الله مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي القربة انتهى والمراد
بها منزلة عالية في الجنة كما سياتي فهي مجاز من باب اطلاق السبب على المسبب ومن فسرها
بالقرب من الله فقد تسامح في العبارة قال الزبيدي يقال وسل اذا تقرب لانها المقرب
والدرجة الرفيعة اي المرتفعة العالية والدرجة هنا المنزلة واصلها ما يصعد فيه كدرجات
السلم وهذا تفسير لما قبله وقال السخاوي في المقاصد الحسنة لم ترد هذه اللفظة في الدعا الذي
يدعى به عقب الاذان كما يفعله من لا خبرة له بالسنة فذكرها في الدعا لا اصل له والكوثر تقدم
تفسيره وانه فوعل من الكثرة والمراد به نهر في الجنة والفضيلة فعيلة من الفضل ضد النقص ثم
ذكر المص شواهد لتفضيله في الجنة على غيره منها حديث رواه مسلم وابو داود والترمذي واقتصر
في الرواية على ما في ابي داود دون الترمذي ومسلم لقرب سنده الى الاول دونهما فقال
حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي نسبة لتميم قبيلة وقد تقدمت ترجمته والفقيه

ابو الوليد هشام بن احمد تقدم ايضا بقراتي عليهما لا لسماعي من لفظهما وفي نسخة عليه بالافراد وهذه
اعلى من السماع من شيخه كما علمت قالا حدثنا ابو علي الغساني الجياني السابق ذكره قال حدثنا النمري
بفتح النون والميم وهو الامام ابو عبد البر المتقدم قال حدثنا ابو عبد المومن قال حدثنا ابو بكر
التمار بفتح المثناة الفوقية نسبة الى التمر المعروف وتقدم ان الاول عبد الله بن محمد بن عبد المومن
القرطبي وابو بكر التمار تقدمت ترجمته ايضا قال حدثنا ابو داود الحافظ صاحب السنن
وقد تقدم ايضا قال حدثنا محمد بن سلمة بفتح السين واللام وما في بعض النسخ من انه مسلمة بميم في
اوله سهو من الناسخ وهو ابو الحارث محمد بن سلمة المرادي المصري اخرج له اصحاب الكتب الستة
وتوفي سنة مايتين وثمان واربعين قال حدثنا ابن وهب هو عبد الله بن وهب تقدمت ترجمته عن
ابن ابي لهيعة بفتح اوله وكسر ثانيه وهو عبد الله الحضرمي ثم المصري الامام الحافظ وهو ثقة
خلافا للذهبي اذ ضعفه روى عنه مالك واصحاب السنن وتوفي سنة مائة واربعة وسبعين
وحيوة بفتح الحا المهملة وسكون المثناة التحتية واو وهاء وقياسه حية بالادغام الا انه لم يغير
فرقا بين العلم وغيره وهو ابن شريح الحمصي ثم المصري توفي سنة مايتين واربعة وعشرين
وروى عنه اصحاب السنن وسعيد بن ابي ايوب ابو يحيى بن مقلاص الخزاعي المصري الثقة اخرج
له اصحاب السنن وتوفي سنة احدى وستين ومائة عن كعب بن علقمة بن عمرو بن زيد بن جشم الانصاري
الخزرجي الصحابي البدري توفي سنة اربع وثلاثين وسنه سبعون سنة وفي بعض النسخ عن
كعب عن علقمة والصواب الاول عن عبد الرحمن بن كثير القرشي مولى نافع الثقة توفي سنة سبع
وتسعين واخرج له اصحاب الكتب الستة عن عبد الله بن عمرو بن العاص السابق ذكره انه سمع
النبي صلى الله عليه وسلم يقول حال وعبر بالمضارع للحكاية حتى كانه مشاهد حاضر اذا
سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول من كلمات الاذان غير الحيعلتين فانه يقال عند سماعهما
لا حول ولا قوة الا بالله وهذا على سبيل الندب على الصحيح وفي قول عند الشافعية انه واجب
واذا تكرر سماعه تكفي اجابة الاول وفي فتاوى ابن عبد السلام انه يندب اجابة الكل والاول
اصح وكذا في الاقامة عند الشافعي ويقول عند قوله قد قامت الصلاة اقامها الله وادامها
وعند قوله الصلاة ثم صلوا علي اي قولوا عقب الاجابة اللهم صل وسلم عليه وهذا المندوب
ايضا فان من صلى علي اي بصيغة من صيغ الصلاة مرة واحدة بقرينة قوله صلى الله عليه
بها اي بصلاته وضميرانه للشان عشرا لتضاعف الحسنات ثم سلوا الله لي الوسيلة اي ادعوا
الله لي بان يؤتينيها فقولوا اللهم آت محمدا الوسيلة ثم فسرها بقوله فانها منزلة في الجنة اي مقام عال
فيها اعلا مما عداه لا ينبغي اي لا يليق اعطاؤها الا لعبد عظيم جليل عند الله فالتنوين والتنكير
للتعظيم من عباد الله الاشراف المقربين فالاضافة لاختصاصهم بالشرف والقرب من سيدهم قال
ابن كثير هي اقرب منازل الجنة الى العرش واعلاها واشرفها وتقدم ان الوسيلة من التوسل وهو
التقرب فان قلت ما وجه تخصيص الدعا بها بعد الاذان قلت لما كان المؤذن
يدعو الناس للصلاة وهي مقربة الى الله ومعراج المومنين وهذا مما من الله به علينا بارشاده
وهدايته ناسب ان يجازي ذلك بالدعا بالقرب من الله ورفعة المنزل فان الجزا من جنس العمل
وارجو ان اكون انا هو ضمير الغيبة للعبد وانا مبتدا وهو خبره والجملة خبر اكون وكون انا تاكيدا
للضمير المستتر وهو خبر استعير ضمير الرفع للمنصوب او وضع موضع الظاهر والاصل ان اكون
انا اياه او ذلك خلاف الظاهر وتعبيره صلى الله عليه وسلم بالرجا مع تحقق اختصاصه بارفع المنازل

عند ربه

عند ربه تادبا وتشريفا لامته بالدعا له وفيه دليل على جواز دعا المفضول للفاضل ليقول بالثواب
كما اشار اليه بقوله فمن سال الله تعالى لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة بالحا المهملة
وتشديد اللام بمعنى وجبت من حل يحل كضرب يضرب او غشيته ونزلت عليه من حل يحل كقعد يقعد
وروي وجبت وروي له بدل عليه ولا حاجة لجعل اللام بمعنى على لان وجب يتعدى وليس المراد
بالوجوب معناه المشهور بل التحقق والتيقن ولا يستشكل بان الشفاعة للمذنبين وقايلها ليس
بمذنب بل عابد لله لان الشفاعة انواع كما مر كالشفاعة في دخول الجنة من غير حساب وفي رفع
الدرجات وزيادة العطيات ولا يختص هذا بمن قاله مخلصا مستحضرا لاخلاقه صلى الله عليه وسلم
بل يكفي فيه مجرد قصد الثواب الا انه ينبغي ان لا يكون غافلا لاهيا واستحبابه هذا لغير
المصلي فرضا او نفلا فان قاله فيها لم تبطل صلاته لانه ذكر الا في قوله صدقت فانه من كلام
الناس فتامل وفي حديث اخر رواه الترمذي ايضا عن ابي هريرة الوسيلة اعلى درجة في الجنة
مخصوصة به صلى الله عليه وسلم وهي اقرب الى العرش من ساير المنازل وليس هذا معلوما
من الحديث السابق الا انه المراد منه وعن انس في حديث رواه البخاري قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بينا اسير في الجنة تقدم الكلام على بينا بالالف والظاهر ان سيره هذا كان
مناما ويحتمل انه يقظة في الاسرا اذ عرض لي نهر اي فاجاني عروضه اي ظهوره بمروري
عليه حافتاه اي جانباه وسطاه وهو بتخفيف الفا المفتوحة وهو مبتدا خبره فيهما لولو مثل
القباب وفي نسخة قباب اللولو جمع قبة المعروفة او هي بيت صغير تضربه العرب لتنزل فيه
والجملة صفة نهر بسكون الها وفتحها والمراد انها لولو حقيقي او مثله في الحسن والنضارة قلت
لجبريل ما هذا النهر لانه صلى الله عليه وسلم لم يعرفه قال هذا الكوثر الذي اعطاكه الله
اي وهبه لك في قوله انا اعطيناك الكوثر وهو فوعل صفة مشبهة من الكثرة لكثرة مائه
واوانيه ولذا فسره ابن عباس رضي الله عنهما بالخير الكثير كما ياتي بما فيه وهو اصل معناه
ثم نقل وجعل علما لهذا النهر ودخلت عليه اللام للمح الاصل ووصل الضميرين المنصوبين
على اللغة الفصحى ولو فصل وقال اعطاك اياه جاز وورد في صفته انه ابيض من اللبن
واحلى من العسل كما سياتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضرب جبريل عليه الصلاة
والسلام بيده الى طينه بالتنوين والاضافة الى ضمير النهر وسماه طينا لانه بمنزلة وعلى
صورته وضرب يده مجاز عن ادخالها فيه فاستخرج مسكا اي اخرج من قعره وارضه ليعرفه
بفضله وان طينه مسك فليس كانهار الدنيا وروي عن عايشة وعبد الله بن عمرو ابن العاص
مثله اي مثل حديث انس مذكور قال رسول الله عليه وسلم في هذا الحديث ومجراه
بفتح الميم مصدر ميمي اي جرى هذا النهر اي مجرى مائه على الدر والياقوت الذي فوق
طينه الذي هو مسك كما ان الانهار تجري على طين وحصى فهذا طينه مسك وكذا حصاه
جواهر فلا منافاة بين كون مجراه على الجوهر وكون طينه مسكا كما مر وماوه احلى من العسل
وابيض من الثلج بفتح المثلثة وسكون اللام قبل الجيم وبفتحها مصدر ثلج صدري
بكذا اي برد لتيقنه وابيض افعل تفضيل من البياض وقد سمع من العرب على خلاف
القياس فلا ينافي قول النحاة ان افعل التفضيل لا يصاغ من الالوان كما مر ويجوز ان
يكون صفة كاحمر واسود الا انه خلاف الظاهر وفي الحديث ان الله اعطاني نهرا يقال له
الكوثر لا يكاد احد من امتي يسمع خريره الا سمعه فقيل يا رسول الله كيف ذلك قال ادخل

اصبعيك في اذنيك وشدهما فالذي تسمعه خريره نقله السهيلي وفي رواية ابيض من اللبن
وكونه احلى من العسل لا ينافي ان من انهار الجنة تجري من غير نهر من عسل وفي رواية عنه فاذا
هو اي الكوثر يجري جريا معتدلا ولا يشق شقا جملة حالية من ضمير يجري اي لا يشق الارض بشدة
جريه وكذا سائر انهار الجنة تجري من غير ان تخد اخدودا كما قاله التلمساني ويشق مبنيا للفاعل
وقيل انه روي مبنيا للمجهول وقيل المراد انه يجري معترضا لا مستطيلا من قولهم شق البرق
اذا لمع مستطيلا وهو بعيد لما ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لا تظنون انهار
الجنة اخدودا والله انها لسائحة على وجه الارض وقد يرجع ما ذكر اليه فيكون المعنى واحدا عليه
اي على الكوثر حوض والظاهر انه بجانب قريب منه كما يقال مررت على زيد اي على مكان قريب
منه والحوض معروف وقد قيل المراد بكونه عليه انه يمتد منه لان عليه ميزابين يشخبان فيه
من الكوثر لانه بجانبه اذ هو في الجنة والحوض خارجها للحديث الاتي ليردن علي اقوام اعرفهم
ولا يعرفوني ثم يحال بيني وبينهم فاقول انهم امتي فيقال لا نعلم ما احدثوا بعدك فاقول سحقا
سحقا لمن غير بعدي فتامل ترد عليه امتي اي ياتونه للشرب منه ولعله بعد الحساب والنجاة
من النار وذكر حديث الحوض الاتي وهذا يدل على انه غير الكوثر وقد جا في بعض الاحاديث
ان الكوثر هو الحوض والحق انه غيره على قول من اقوال عدة ولو قيل بتعدد الحوض لم يبعد
ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما اي روي عن ابن عباس ما يوافقه وعن ابن عباس
ايضا اي في رواية اخرى ذكرها البخاري قال في تفسير الكوثر الخير الكثير الذي اعطاه الله اياه
تشريفا له صلى الله عليه وسلم وتكريما وهذا بنا على انه فوعل من الكثرة مطلقا ثم خص بالكثير
من الخير وبالنهر الذي في الجنة فان اراد ابن عباس بهذا بيان ما وضع له لغة او بيان معنى عام
خص في الحديث والاية فلا كلام فيه وان اراد تفسيرها في الاية والاحاديث الصحيحة وردت
بخلافه وفي الاية ستة عشر قولا فقيل انه النهر السابق ذكره وقيل النبوة الكتاب وقيل
القران وقيل الاسلام وقيل تحقيقات الشريعة وقيل كثرة الامة وقيل رفعة الذكر
وقيل نور النبوة المحمدية وقيل كثرة المعجزات وقيل الدعوات المجابة له صلى الله عليه وسلم
وقيل كلمة التوحيد لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل الفقه في الدين وقيل الخمس صلوات
التي خصت بها امته صلى الله عليه وسلم وقيل الحوض والاصح انه نهر في الجنة مخصوص وقال سعيد
بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه اياه يعني انه على عمومه وهذا داخل فيه
او هو المراد منه ويؤيده ما روي عن حذيفة بن اليمان فيما ذكره عليه الصلاة والسلام عن
ربه حيث بينه له في حديث قال فيه واعطاني الكوثر وهو نهر من الجنة سيل في حوضي الذي
في الموقف او بعد الصراط يستقي منه امته وفيه اشارة الى تفسيره بالحوض لان ماءه منه وعن ابن
عباس في حديث صحيح رواه ابن جرير بسنده وابن حبان في تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك
ربك فترضى اي يعطيك الى ان ترضى بما اعطاه لك وتقر عينك قال من جملة ما اعطاه الف قصر
من لؤلؤ ترابهن المسك اي من لؤلؤ وترابها من المسك فالضمير للقصور التي دل عليها قوله الف
قصر وفيها اي في كل قصر فاعاد الضمير عليه مفردا رعاية للفظه لا ما كل مفرد مذكر ما يصلحهن
الضمير عائد اليه ايضا رعاية لمعناه وقيل ضمير فيه عائد عليه نظرا للفظ قصرا ولتاويله
بما ذكر فما قيل انه صوابه فيهن لا وجه له والمراد ما يقوم بمصالح تلك القصور من الخدم والزوجات
والالات كالاواني كما اشار اليه بقوله وفي رواية اخرى وفيه ما ينبغي له اي في كل قصر ما يناسبه

ويليق به

ويليق به من الازدواج والخدم بفتحتين جمع خادم وفعل جمع لفاعل ورد في الفاظ ذكرها النحاة
وقيل انه اسم جمع والازدواج جمع زوج او زوجة وذكر هذا هنا لمناسبة للمنزل والمقام وهذا الحديث
رواه المص موقوفا على ابن عباس ان كان فاعل قال ابن عباس لا النبي صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر
ورواه الاوزاعي مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال حدثنا اسماعيل بن عبد الله عن علي بن
عبد الله بن عباس عن ابيه عنه صلى الله عليه وسلم انه راى ما هو مفتوح على امته فسر بذلك فانزل
الله عز وجل عليه والضحى والليل اذا سجى الى قوله فترضى واعطاه الله الف قصر الخ وقيل
في الاية انه اعطاه ما هو شامل لكل خير اعطاه ولما ادخره له مما لا يعرف كنهه الا الله وتقدم انها لما
نزلت قال صلى الله عليه وسلم اذن والله لا ارضى واحد من امتي في النار وقد تقدم الكلام عليه
فصل في بيان شبهة ترد على ما تقدم من انه صلى الله عليه وسلم افضل الرسل واعظمهم
عنده وجرد من نفسه سائلا خاطبه بقوله فان قلت واتى بالفا الاستئنافية اشارة الى نشاته
مما قبله وترتبه عليه قد تقرر من دليل القران وفي نسخة فاذا تقرر اي تحقق وثبت واضافة
دليل للقران بيانية او تخصيصية لامية وصحيح الاثر اي الحديث وهو معطوف على القران او على
دليل واجماع الامة المحمدية كونه صلى الله عليه وسلم اكرم البشر اي اشرف بني آدم وافضل
الانبيا والرسل خاصة منهم ولم يقل اكرم الخلق لانه قوله اجماع الامة يأباه لما فيه من خلاف المعتزلة
في خواص الملائكة وان كان الصحيح خلافه فلا وجه للاعتراض بذلك فما معنى الاحاديث
الواردة بنهيه صلى الله عليه وسلم عن التفضيل بين الانبيا او الناهية بتفضيله عليهم
كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان ورواه المص من طريق مسلم فيما حدثناه
متعلق بكقوله او حال منه الاسدي نسبة الى اسد قبيلة قال حدثنا السمرقندي تقدمت ترجمته
قال حدثنا الفارسي عبد الغافر الفارسي بق ترجمته قال حدثنا الجلودي تقدم بيانه وبيان
تسميته قال حدثنا ابن سفيان ابراهيم بن محمد بن سفيان السابق ترجمته قال حدثنا مسلم
الامام صاحب الصحيح المتقدم قال حدثنا ابن المثنى محمد ابو موسى البصري توفي سنة اثنتين
وخمسين ومائتين كما تقدم حدثنا محمد بن جعفر ابو عبد الله الهذلي البصري الملقب بغندر بضم
بضم الغين المعجمة وسكون النون وضم الدال وفتحها وراء مهملة وقد تقدم انه توفي في ذي القعدة
سنة ثلاث او اربع وتسعين ومائة قال حدثنا شعبة ابن الحجاج بن بسطام كما تقدم عن قتادة
تقدم بيانه قال سمعت ابا العالية التابعي السابق ترجمته يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى
الله عليه وسلم يعني ابن عباس رضي الله عنهما ابن عبد المطلب المشهور وهو احد العبادلة
وغالب روايته عن الصحابة رضي الله عنهم لصغر سنه في زمنه صلى الله عليه وسلم واختلف فيما رواه
عنه بلا واسطة فقيل اربعة احاديث وقيل تسعة وقيل عشرة وقيل عشرون حديثا
عن النبي صلى الله عليه وسلم ما ينبغي اي ما يصح ولا يجوز لعبد من عباد الله نبيا كان او
غيره ان يقول انا خير من يونس بن متى بفتح الميم وتشديد المثناة الفوقية والف مقصورة
وهو اسم امه وقيل اسم ابيه وصحح كلا من القولين طائفة والاول اشهر كما مر وهو من ولد بنيامين
بن يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان بعد سليمان عليه الصلاة والسلام وقيل كان بينهما
ايوب عليه الصلاة والسلام وكان قبل النبوة من عباد بني اسرائيل فهرب ونزل بشاطئ دجلة
فبعثه الله الى اهل نينوى من ارض الموصل وهو بن اربعين سنة فضاق ذرعا بالرسالة فشكى
ذلك للملك واعلمه انهم ان لم يستجيبوا له حل بهم العذاب واحل لهم اربعين يوما واعلمهم بالاجل

فقالوا ان راينا امارات ذلك امنا بك وانصرفوا فلما مضى من الميقات خمسة وثلاثون يوما غابت السما بغيم
اسود له دخان فايقنوا بالعذاب فخرجوا من القرية باهلهم وفرقوا بين النسا واولادهم وضجوا
الى ربهم فرحمهم الله وقبل توبتهم وساح يونس عليه الصلاة والسلام في الارض ومر براع سقاه لبنا
فقال له اقرا على قومي السلام فقال له يا نبي الله لا استطيع فان من كذب منا قتل فقال له ان كذبوك
فشاتك وعصاك يشهدان لك فاخبرهم فانكروا مقاله فشهد له الشاة والعصاة فصدقوه وملكوه
اربعين سنة وقيل كان ميقاته ثلاثة ايام فانتظر يونس فخاف لانه من كذب ولم يعم بينة قتل في شرعهم
فذهب مغاضبا وركب سفينة فركدت وغيرها من السفن يسير فسالوه عن سبب ذلك فقال ان عبدا
ابق من ربه وانها لا تسير حتى يلقوه في البحر فقالوا اما انت يا نبي الله فلا نلقيك فقال اقترعوا ثلاث
مرات وسهم القرعة يقع عليه صلى الله عليه وسلم فالقوه فاتبعوه حوت وغاص به الى قرار
الارض فسمع يونس تسبيح الحصى فنادى في الظلمات ظلمة الليل والبحر وبطن الحوت لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين فنبذ بالعرا وهو سقيم كطير ممعوط لا ريش له فانبت الله عليه
شجرة يقطين استظل بها واصاب منها فيبست فبكى فاوحى الله اليه اتبكي على شجرة يبست ولا
تبكي على ماية الف او زيادة هلكوا فنادى سبحانك اني كنت من الظالمين واختلف في مكثه في بطن
الحوت فقيل بعض يوم وقيل عشرون وقيل سبعة ايام وقيل اربعون يوما وقيل ثلاثة وانما خص
يونس بالذكر لما يعلم مما ياتي وهو خشية ممن سمع قصته ان يقع في نفسه شي لقلة صبره وعدم ثباته
في الشدايد وياتي ان المنهي عنه تفضيل يودي الى تنقيص احد منهم ولذا قيل ان من قال
انا خير من بعض الانبيا يخشى عليه الكفر ان لم يكن نبيا فان كان فلا ينبغي له ذلك وهذا مخصوص
بما اذا لم يكن لذلك وقال له افتخارا وكذا وقع من نبينا صلى الله عليه وسلم تحدثا بنعمة
الله وفي غير هذه الطريق المذكورة آنفا عن ابي هريرة قال يعني رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث اي اذكره الى اخره كما مر وفي حديث ابي هريرة رضي
الله عنه الذي رواه الشيخان في رجل من الانصار تنازع مع يهودي بالمدينة وبينه المص بقوله
في اليهودي اي في رجل من اليهود لم يذكروا اسمه الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر
اي اختاره وفضله على ساير بني ادم من الانبيا وغيرهم فلطمه رجل من الانصار لم يذكروا
ما هو وفي سيرة ابن اسحاق ان اسم اليهودي فنحاص وقال اي الرجل الانصاري تقول ذلك
اي تفضل موسى على البشر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا جملة حالية
اي مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو افضل من موسى وغيره ولفظ اظهر جمع ظهر
مفخمة اي بيننا فبلغ ذلك الذي قاله اليهودي والرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لا تفضلوا بين الانبيا بالضاد المعجمة اي لا تقدموا على الحكم بافضلية بعضهم على
بعض وليس هذا على ظاهره كما سياتي وجوز بعضهم من بعض وفي رواية لا تخيروني
على موسى وهذه الرواية في الصحيحين وسنن ابي داود والنسائي والنهي عن تفضيل يقع من غيره
مود الى نقص او على سبيل العصبية والتفاخر فلا ينافي قوله انا سيد ولد ادم ولا فخر وسياتي
تفضيله فذكر الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وفي الحديث زيادة
ذكر موسى وهو من عظما الرسل اولي العزم فالتفضيل عليه اقوى فيما نحن بصدده فلا وجه لما
قيل من انه كان ينبغي تقديم هذا الحديث على الذي قبله والحديث المذكور اوله استب رجل من المسلمين
ورجل من اليهود فقال المسلم مقسما والذي اصطفى محمدا على العالمين فقال اليهودي والذي اصطفى

موسى

موسى على العالمين فلطمه المسلم فذهب اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بما جرى بينهما
فقال لا تخيروني على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش
فلا ادري احوسب بصعقة الطور او بعث قبلي ولا اقول ان احدا افضل من يونس بن متى وكانت القصة
في عرض سلعة وقال البرهان لا اعرف اسم اليهودي والمسلم اللاطم له وقال غيره اليهودي اسمه
فنحاص اي كما تقدم واللاطم ابو بكر رضي الله عنه الا ان قوله في الحديث رجل من الانصار يأباه الا ان
يأباه يقال الانصار هنا بمعناه اللغوي وهو خلاف الظاهر وهذه الصعقة هي المذكورة في قوله
ويوم ينفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله وهذا هو الاستثنا المذكور
في الحديث فالصعق الاحيا والاخراج من القبور مجازا لان حقيقته الصراخ مع غشي يخر منه وقيل
المراد بها حقيقتها وانها في عرصات القيامة بعد الحشر يوم الفزع الاكبر وقال ابن قيم الجوزية
في كتاب الروح نقلا عن تذكرة القرطبي ان هذه الرواية دخل فيها حديث في حديث ولذا اشكل عليهم
والذي يزيح الاشكال ان الموت ليس بعدم محض بل ترحال من حال الى حال والانبيا والشهدا احياء
لكنهم غيبوا عنا في مراقدهم فاذا نفخ في الصور فمن مات حيي ومن كان حيا من الانبيا ونحوهم
كالمغشي عليه صعق ثم افاق ولذا ورد في حديث مسلم فاكون اول من يفيق فلذا تردد النبي صلى
الله عليه وسلم سبقه لانه حوسب بصعقة الطور فلم يغش عليه ويصعق وهذه فضيلة لموسى عظيمة
فلذا ذكرها ونهى عن تفضيله عليه وان لم يلزم كونه افضل منه من ساير الوجوه فلذا خصه بالذكر وخص
يونس لما مر وسيل امام الحرمين عن نفي الجهة ودليلها فقال دليلها قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني
على يونس بن متى لانه خاطب الله في قعر البحر والظلمات الثلاث بقوله سبحانك كما خاطبه نبينا صلى
الله عليه وسلم في مقام قربه قاب قوسين على الرفرف فلم يكن ثمة اقرب من يونس وعن ابي هريرة
في حديث رواه البخاري ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب ذكروا فيه احتمالين ان يكون انا
عبارة عن النبي صلى الله عليه وسلم اي من فضلني على يونس عليه الصلاة والسلام فقد كذب وان يكون
انا عبارة عن القايل غيره اي اي احد من الناس قال انا خير من يونس فتوهمه انه فضله بعلمه وعبادته
وغير ذلك من الفضايل لان احدا لا يبلغ درجة الانبيا عليهم الصلاة والسلام وقد قالوا انه كفر وهذا
يويد ان المراد الاول ويأتي بيان الثاني في كلام المص وعن ابن مسعود لا يقولن احدكم انا خير من يونس
بن متى وفي حديثه الاخر اي حديث ابن مسعود الذي رواه مسلم وابو داود والترمذي فجاءه صلى الله
عليه وسلم رجل فقال يا خير البرية اي يا افضل الخلق كلهم والبرية بتشديد اليا من برا يبرا مهموزا
بمعنى خلق بمعنى التراب الا انه التزم فيه ابدال الهمزة يا كما في النهاية فقال ذاك وفي نسخة ذلك مه
والاشارة لخير البرية ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وهو في الحقيقة افضل البرية والرسل
بعد نبينا صلى الله عليه وسلم وقال السيوطي انه متفق عليه فاعلم جواب الشرط في قوله فان قلت
وهو شروع في تحقيق المسيلة والجمع بين الاحاديث المتعارضة في التفضيل وعدمه ان للعلما في هذه
الاحاديث الناهية عن التفضيل وما يخالفها تاويلات تقدم بعض منها وسياتي تحقيقها احدها ان
نهيه صلى الله عليه وسلم عن التفضيل كان قبل ان يعلم انه سيد ولد ادم بالبنا للفاعل او المفعول
اي يعلمه الله وهذا دليل على ان قوله انا السابق عبارة عنه صلى الله عليه وسلم فنهى عن التفضيل
اذ يحتاج الى توقيف اي اعلام به من الله واذن فيه فلا يقدم عليه بالعقل وكون التفضيل في الحديث
خاصا بموسى ويونس عليهما الصلاة والسلام فيه دلالة عليه في الجملة فلا يرد ما قيل انه لا يقتضي
المنع مطلقا فتامله وان من فضل بلا علم فقد كذب لانه لا يطابق ما في نفس الامر عنده اذ لم يعلم وهذا

تشديد في النهي والا فاخباره على غلبة ظنه انه واقع لا يعد كذبا ولذلك قوله لا اقول ان احدا افضل
منه لا يقتضي تفضيله هو لانه نفي لقوله وهو لا يدل على انتفايه في نفس الامر وما كل ما يعلم يقال وضمير
تفضيله هو للنبي صلى الله عليه وسلم اي تفضيله على يونس او ليونس صلى الله عليه وسلم وعلى
نبينا وانما هو في الظاهر كف اي امتناع او منع لغيره عن التفضيل بينهم وقد يكون الامر آخر الوجه
الثاني انه قال صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب بضم فسكون اي عجبه
وخيلائه بنفسه ومدحه لها لذلك في الغالب والتكبر اظهار عظمته والعجب استحسانه لنفسه وسيياته
والتواضع لين الجانب وخفض جناحه لغيره وهذا الجواب لا يسلم من الاعتراض الوارد عليه لانه يعد
الاخبار بخلاف الواقع الذي هو كذب مذموم تواضعا قيل ولان نفي التكبر والعجب يقتضي ثبوتهما
له وانه مع ما علم من حاله كيف يتوهم فيما لا يتوهم في غيره من صلحا امته ولا يخفى انه اعتراض ساقط
فان التواضع صفة محمودة وهو من شانه صلى الله عليه وسلم كما تقدم الوجه الثالث ان مقصوده
صلى الله عليه وسلم ينهيه ان لا يفضل عنهم تفضيلا يودي بضم التحتية وفتح الهمزة وتشديد
الدال المهملة اي يحجز ويوصل الى تنقيص بعضهم تفعل من النقص اي يقتضي وصفهم بما فيه نقص
لهم وذم او ابغض منه بفتح الغين والضاد المعجمتين المشددة المكسورة كالقضاضة وهي النقص
والعيب واصله من غض الطرف والصوت وهو خفضه فاستعير لما ذكر وضمير منه للبغض وفي نسخة
منهم ويفهم من هذا جوازه ان لم يود لما ذكر لا سيما اي خصوصا في جهة يونس عليه الصلاة والسلام
اي في حقه ووصفه لان الجهة تطلق على الصفة ومنه موجهات القضايا ولا سيما عدة النحاة من ادوات
الاستثنا وليس هذا محل الكلام عليه اذا اخبر الله عنه بما اخبر في قوله ولا تكن كصاحب
الحوت الخ لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه اي لا يعلم من يونس وما قص من قصته بذلك
اي بسبب ذلك المذكور وهو متعلق بقوله غضاضة اي بغض وحقارة يتوهمها من لا علم عنده
وعطف عليه عطف تفسير قوله وانحطاط من رتبته الرفيعة استعارة بتنزيل شرفه منزلة امر عال
حسا نزل من علو لسفل اذ قال الله تعالى حاكيا عنه اذ ابق الى الفلك المشحون اي خرج الى سفينة
مملوءة بما فيها والمتاع والاباق هروب العبد من سيده حسن اطلاقه عليه اذ خرج بغير اذن ربه
وقال تعالى اذ ذهب مغاضبا لقومه لما لم يجيبوا دعوته كما تقدم فظن ان لن نقدر عليه اي لن
نضيق عليه بالعقوبة ويؤيده انه قرئ مثقلا او تمثيلا لحاله بحال من ظن انا لا نقدر عليه في مراغمة
قومه لعدم انتظاره لامر ما روي انه معاوية قال لابن عباس ايظن نبي ان لن يقدر الله عليه فقال
هو من القدر لا القدرة قال ابن مري اي من الارادة فظن ان نريد عقوبته فربما يخيل بالبناء
للمجهول ونائب فاعله وقوله لمن لا علم عنده بمعاني القران وما قيل في تاويل هذه الاية متعلق
به خطيطته اي نقصه بذلك ونزوله مقامه عن مقام غيره من الرسل لنظره لظاهر الاية وقد نقل
المفسرون فيه اقوالا فقيل معنى ذهب مغاضبا انه غضب من قومه لا من ربه وهذا خلاف الاولى
اذ كان حقه الصبر كما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم في احد وغيرها فلا يذهب بغير امر ولذا
قال الله له ولا تكن كصاحب الحوت واما قوله فظن ان لن نقدر عليه فقد تقدم تاويله وقيل احسن
ما قيل فيه ان معناه لن نضيق عليه وقول البيضاوي انها خطرة شيطانية سبقت الى وهمه
سميت ظنا للمبالغة مما لا يليق ان يقال لعصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام عن مثله الوجه
الرابع منع التفضيل بين الانبيا والرسل الذي افاده النهي الوارد في الحديث انما هو في حق النبوة
والرسالة نفسهما لا الانبيا والرسل قال السنوسي في شرح عقايده بعد ما ذكر ما قاله المص

ومما يدل

ومما يدل على عدم التفاضل بين الانبيا في نفس النبوة وحقيقتها منع ان يقال ثبت لفلان النصيب
الاقل من النبوة ولفلان النصيب الاوفر منها ونحوه من العبارات التي تقتضي ان النبوة بقوله
بالتشكيك ولا شك ان الامتناع من هذه العبارة معلوم من الدين بالضرورة بين السلف والخلف فدل
ذلك على ان حقيقة النبوة من التواطي المستوي افراده ولا يلتفت لمن خالف مقتضاه لوضوح
فساده انتهى وفي ذكره ذلك في النبوة دون الرسالة ايما لفرق بينهما في ذلك فتامله وقريب
منه قوله فان الانبيا فيها اي في النبوة من حيث هي هي على حد واحد رتبتها وقدرها متحد
فيهم اذ هي شي واحد اي متحد في جميعهم لا متفاضل اي لا يزيد بعضه على بعض وانما التفاضل
التفاوت في زيادة الاحوال اي العوارض الطارية عليها والخصوص اي ما خص به بعضهم
دون بعض والكرامات التي اكرم الله بها بعضهم والرتب الدنيوية والاخروية والالطاف اي العطايا
التي اعطاها الله لبعضهم جمع لطف بفتحتين وهو الهدية كما مر فهو استعارة هنا واما النبوة
في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زايدة عليها طارية ليست من نفس
حقيقتها كما بيناه ولذلك اي لما ذكر من ان التفاضل لامر زايد كان منهم رسل غير اولي عزم
واولي عزم من الرسل منهم والعزم القوة والشدة والتصميم على تنفيذ ما يراه اولى به ويغيره
والرسل جمع رسول وهو صاحب الرسالة من الله بشريعته المامور بالتبليغ فهو اخص من النبي
على المشهور من الرسل بالكسر وهو تتابع الدروس على رسلك اي تمهل وتثبت وقد اختلف
في اولي العزم والحزم منهم فقيل هم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه
وسلم وهم اصحاب الشرايع وقيل اربعة نوح وهود وابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم
وقيل ستة ابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هود
ونوح وصالح وشعيب ولوط وموسى وهم المذكورون على نسق في الاعراف والشعرا وقيل
هم نوح لصبره على اذى قومه وابراهيم لصبره على النار واسحاق لصبره على الذبح في قول ويعقوب
لصبره على فقد ولده ونور بصره ويوسف لصبره على السجن وايوب لصبره على الضر وقيل
هم المامورون بالجهاد وقيل نحا الرسل المذكورون في الانعام واختاره الحسن لقوله اوليك
الذين هدى الله الخ وهذا مبني على تفسير العزم ثم بين بعض ما وقع فيه التفاضل فقال ومنهم من رفع
اي رفعه الله مقاما عليا وهو ادريس سبط شيث وجد نوح واسمه قديما اخنوخ رفع الى السماء
او الجنة كما قاله المفسرون وكذا عيسى ومنهم من اوتي الحكم صبيا وهو يحيى اذ احكم الله عقله
وتنباه واتاه الحكمة وفهم التوراة واكثر الانبيا نبي بعد الاربعين وقد ذكر مثل هذا في عيسى ايضا
واوتي بعضهم الزبور وهو داود وفي نسخة الزبر جمع زبور بمعنى المزبور المكتوب فيشمل
موسى وعيسى وادريس وشيث وداود وقيل انه يكون مصدرا كما في الحجة لابي علي وبعضهم
البينات اي المعجزات الظاهرة الباهرة التي لم يؤتها احد قبله من احيا الموتى وابرا الاكمه
والابرص ونحوه مما فضله الله به وهو عيسى عليه الصلاة والسلام ومنهم من كلم الله من غير
واسطة وهو موسى اذ كلمه بالطور ولما راى نورا ورفع بعضهم درجات عالية فضله بها على
غيره وهذا جمال الفضايل لم تذكر او المراد به محمد صلى الله عليه وسلم اذ فضله على من سواه
بوجوه متعددة ومراتب متباعدة كدعوته العامة للعرب والعجم والجن والانس والملايكة ومعجزاته الباقية
الى يوم القيمة ومن اجلها القران وغيره مما يفوت الحصر قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض الاية وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية هذا كما بيان لما قبله

او ناظر لجميعه كما اشار اليه وقوله تلك امة باعتبار الجماعة قال بعض اهل العلم بالكتاب والسنة والتفضيل
المراد لهم هنا عطف على مقدر او على ما تقدم وهنا اشارة لما ذكر قبله في الدنيا متعلق بالتفضيل
وذلك بثلاثة احوال وفي نسخة اوجه ان تكون اياته والمعجزات ابهر اي اقوى واغلب من بهر ضوء
القمر الكواكب اذا غلبها او اظهر واشهر عطف تفسير له كانشقاق القمر والقران وانفلاق البحر وانقلاب
العصا حية او يكون بالنصب امته ازكى واكثر اي اتقى واكثر من غيرهم كنبينا صلى الله عليه وسلم
لقوله انتم خير امة اخرجت للناس وقد ارسل للناس كافة او يكون بالنصب في ذاته افضل بزيادة
علمه وخصاله المحمودة واظهر بالمعجمة اي اشهر وبالمهملة اتقى وانقى وفضله في ذاته ونفسه
راجع الى ما خصه الله به اي ماله ومعناه من كرامته اي اكرام الله له بمآثر ومناقب عظيمة وهبها له
واختصاصه بالجر معطوف على مدخول الى او من وقوله من كلام بيان لاختصاصه بمعنى ما خصه
به بغير واسطة كموسى ونبينا صلى الله عليه وسلم او خلة تقدمت وانها لابراهيم اوله ولنبينا
صلى الله عليهما وسلم او رؤية عيانا قبل دخول مكة الجنة كما في المعراج او ما شاء الله واراده لهم
غير ما ذكر من الطاف بفتح الهمزة اي عطايا كما تقدم وفي نسخة الطافه بالاضافة وتحف ولايته
اي تحف اولاها لهم واختصاصا مما احبهم به من قرة اعين لا يعلمها الا هو وقد روي بالبناء
للمجهول وهذا رواه ابن ابي حاتم والحاكم في مستدركه عن وهب بن منبه وهذا رجوع الى تنزيه
يونس صلى الله عليه وسلم عما ذكر من الاوهام ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة
اثقالا اي احمالا ثقيلة قال تعالى وتحمل اثقالكم جمع ثقل والثقل كعنب ويسكن مقابل الخفة قال
الراغب واصله في الاجسام ثم يقال في المعاني كما نقله العزم والوزر وهو في الانسان ذم في اكثر
المتعارف وقد يكون مدحا كقوله

تخف الارض اما بنت عنها ... وتبقى ما بقيت بها ثقيلا
حللت بمستقر الارض منها ... فتمنع جانبيها ان تميلا

والمراد هنا المشاق التي تكون في تبليغ الرسالة وان يونس تفسخ منها الضمير للاثقال والاحمال
وتفسخ بالفاء والسين المهملة المشددة والخاء المعجمة تفعل من الفسخ اي تقطعت اعضاؤه وتفككت
لعدم طاقته صلى الله عليه وسلم لحملها يقال تفسخ البعير تحت الحمل الثقيل وفسخ ثيابه اذا ازالها
ومنه فسخ العقود عند الفقهاء تفسخ الربع تفعل مصدر من الفسخ والربع بضم الراء المهملة الذي يولد
في الربيع وبعده الهبع الذي يولد في الصيف وتفسخ منصوب بالمصدرية التفسخ اي تفسخ كتفسخه اي
اي لم يطق مشاقها ولم يصبر عليها وفي تشبيهه بالربع اشارة الى انه كان في مبدء امره وفي قوله
اثقالا استعارة تصريحية وفي تفسخ استعارة تصريحية تبعية ولا تنافي التشبيه ويجوز ان يكون
استعارة تمثيلية وهو احسن ثم بين مراده فقال فحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهيه عن
التفضيل موضع الفتنة اي ما يقع الناس بسببه في فتنة وامر محذور من تنقيص الانبياء عليهم
الصلاة والسلام فجعله كانه موضع لها تقر فيه من الاوهام التي يتوهمها من لا علم له وهو متعلق
بحفظ اي صانه مما يتوهم او هو بيان لموضع من يسبق اليه بسببها اي المواضع او الاوهام وقيل
المراد بسبب اثقالها من سام وضجر وقيل بسبب الفتنة وقيل بسبب قصة يونس عليه الصلاة والسلام
جرح في نبوته بفتح الجيم اي ذكر ما لا يليق بمقام النبوة مما يقتضي عدم العصمة او قدح في
اصطفائه اي ذم وتنقيص لكونه صفوة مختارا عند ربه مفضلا على غيره والقدح ذكر المعايب
والنقائص وحط من رتبته اي تنزيل له من علو مقامه ووهن في عصمته اي بعد عصمته فيها ضعف لما

توهمه

توهمه من ظاهر قصته السالفة فلذا نهاهم صلى الله عليه وسلم عن تفضيله عليه فضلا عن تنقيصه
لتساويهم في حقيقة النبوة وان تفاوتت احوالهم وصفاتهم كما سمعته مفصلا شفقة منه صلى الله
عليه وسلم بالنصب مفعول له او علة الحفظ على امته ان يقع منهم ما لا يليق بمقام النبوة فيكون لهم
وزر يستحقون به سوء العاقبة بسخط الله وعقابه وقد يتوجه اي يحصل توجيه اخر في الجواب عما مر وا
يتاتى ويتبين على هذا الترتيب اي على ما رتبناه على النبوة من الاختصاص بامور اكرمهم الله بها
وجه خامس وهو ان يكون لفظ انا في الاحاديث السابقة راجعا الى القايل نفسه المذكور في قوله
لا ينبغي لاحد ان يقول فليس المراد بضمير المتكلم النبي صلى الله عليه وسلم كما في الوجوه المتقدمة اي
لا يظن احد من الناس غير الانبيا وانا بلغ من الزكا اي انه بلغ من الزكا بالزاي المعجمة اي الصلاح وزيادة
الخير وزيادة الخير قال التلمساني انه بخط المص هكذا ورواه العوفي تلميذ المص بالذال المعجمة وهو
الفطنة والعصمة اي الحفظ من الذنوب وليس المراد بها ما خص به الانبيا وهي المذكورة في قوله
اسالك العصمة في الخطرات والسكنات ولذا جوز بعضهم الدعا بها ومنعه بعضهم كما فصله ابن حجر
في فتاويه والطهارة اي البراة من الاوزار ما بلغ اي مبلغا عظيما فما مصدرية او موصولة انه خير
من يونس بن متى وهذا معمول يظن المنفي لاجل ما حكى الله عنه تعليل لظنه اي ما قصه في قصته من
لومه على تضجره وعدم صبره على قومه لتهاديهم في غيهم وعدم اجابتهم دعوته صلى الله عليه وسلم
للايمان وسوق كلامه موذنا بان القايل من غير الانبيا كما يشهد له قوله فان درجة النبوة ورتبتها
العالية افضل واعلى عند الله من درجة غيرهم من الاتقيا وهذا امر فرضي او مبني على عدم العلم بالنهي
عن مثله فلا يرد عليه انه كيف يكون نقيا وقد صدر منه تنقيص الانبيا الذي قيل انه كفر وايضا كيف وصفه
بالعصمة وهو غير نبي وان تلك الاقدار جمع قدر بفتح القاف والدال المهملة اي ما قدره الله عليهم لحكمة
باهرة وليس بمعجمة وان جاز تاويله بانه بالنسبة لمقامهم ذنب مستقذر فانه غير مناسب لفظا
ومعنى لم يحطه عنها اي لم ينزل موسى عليه الصلاة والسلام عن درجة مقدار حبة خردلة التي هي اصغر
الحب والاحسن حبة خردل بدون هاء ولا ادنى اي اقل واصغر من خردلة اي لم ينقصه اصلا وسنزيد
في القسم الثالث في هذا بيانا بايضاحه وتفصيله ان شا الله ذلك فقد بان لك الغرض المقصود
الذي قصدناه في هذا الكتاب وسقط بما حررناه اي قررناه او لخصناه او كتبناه والتحرير التلخيص
واظهار الزبدة لان اصله جعل الشي حرا اي خالصا ومنه حر الوجه لاكرم موضع منه والحر المقابل للعبد
والتحرير بمعنى الكناية من الخاص الذي صار عاما واصله كناية ملخصة او كناية العتاقة كما في الكشف
شبهة المعترض الذي اعترض على ما تقدم ولو قال من اعترض كان سجعا لكن المص لم يقصده
ولما كان ما تقدم في ذكر فضايله واسماوه صلى الله عليه وسلم دلة على ذلك عقبه بذلك كما اشار اليه
بقوله فصل في اسمايه صلى الله عليه وسلم وما تضمنته من فضيلته اما هو بعض مدلوله
او لازم لمقتضاه حتى كان ضمنه والاسما جمع اسم والكلام على كونه من التسمية او السمو غنا ما شهرته
عن ذكره واما البحث عن كونه عين المسمى او غيره فبحث لا طايل تحته فلا وجه لذكره هنا وقد افردناه
بالتاليف والاسم له معان فيطلق على مقابل الفعل والحرف وعلى مقابل الكنية واللقب وعلى
مقابل الكنية والصفة المشتقة ويكون بمعنى العلم والظاهر ان المراد به هنا ما شاع اطلاقه
عليه صلى الله عليه وسلم سوا كان علما او صفة او غيرهما وسوا اختص به وصفا ام لا فهو العلم
وما يشبهه وكثرة الاسما يدل على شرف المسمى ولو ادعا فلا يرد كثرة اسما الخمر او هو اكثري
وهو الظاهر وفي شرح الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم الف اسم كما ان لله الف اسم ونقل

مغلطاي انها تبلغ ثلاثمائة وقيل انها تسعة وتسعون كاسماء الله ومنها ما هو بلفظ الفعل والمصدر
واكثرها صفة مادحة كما اشار اليه المصنف بقوله تضمنته من فضيلته ولابن دحية تاليف مستقل
في اسمائه صلى الله عليه وسلم ثم اذا المصنف رحمه الله ذكرها حديثا رواه الشيخان عن محمد بن جبير
عن ابيه بسند متصل الا ان المصنف رواه عنه مرسلا للعلو سنده فيه بدر جتين فقال حدثنا ابو عمر
اذ موسى بن ابي تلميذ الفقيه تلميذ بفتح التاء الفوقية واخره ذال معجمة تلمي قديم العهد
لولادته معه فتاؤه مبدلة من واو وهو من الطارف وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو عمر
الحافظ ابن عبد البر وقد تقدم ايضا قال حدثنا سعيد بن نصر تقدمت ترجمته ايضا قال حدثنا قاسم
بن اصبغ بهمزة مفتوحة وصاد مهملة وموحدة ختنية وغين معجمة وهو قاسم بن اصبغ بن محمد بن
يوسف واضح بن عطا الامام الحافظ محدث الاندلس ابو محمد الاموي مولاهم القرطبي كان صدرا
اعلى الاسناد ثقة ولد اقطع الرواية في آخر عمره محفوظا من الغلط ولد سنة سبع واربعين ومائتين
وتوفي بقرطبة في جمادي الاولى سنة اربعين وثلاثمائة قال حدثنا محمد بن وضاح بن بزيع مولى
ملك الاندلس عبد الرحمن ابن معاوية الاموي الحافظ محدث الاندلس ابو عبد الله القرطبي مولده
سنة تسع وسبعين او سنة ثمانين بقرطبة وتوفي في المحرم سنة سبع وثمانين ومائتين قال الذهبي
انه صدوق روى عنه كثير من اهل الاندلس قال حدثنا يحيى بن يحيى الليثي عالم الاندلس
وراوي الموطا وليس له رواية في الكتب الا نادرة وقد تقدم الكلام عليه عن مالك عن ابي شهاب
عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه ومحمد هو ابو علي وقد روى عنه الزهري وهو روى
عن ابيه جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل وهو صحابي اسلم بعد الحديبية وروى عنه ابناه محمد وداود
وروى عنه ابن المسيب وكان سيدا وقورا توفي سنة تسع وخمسين واخرج له الائمة الستة واحمد
في مسنده وهذا الحديث اخرجه مالك في الموطا والترمذي في الشمائل والبخاري وهو حديث صحيح
بسنده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء قدم الجار والمجرور للتقرير
والتاكيد او للتخصيص باعتبار انه لم يسم بها احد قبله اولا شتهارها في الامم الماضية فالتخصيص
المستفاد من التقديم اضافي لا حقيقي لزيادتها على ذلك وقال السيوطي في كتاب الرياض الانيقة
في اسماء خير الخليقة انه قبل ان يطلعه الله على بقية اسمائه وقال المصنف فيما ياتي قيل انها موجودة
في الكتب القديمة وعدا الامم السالفة وردبان فيها الكثير فالحق ان مفهوم العدد غير معتبر
فلا يفيد الحصر وقال ابن عساكر في كتاب المبهمات يحتمل ان لفظ العدد ليس من كلام النبي صلى
الله عليه وسلم او التخصيص لان المراد خمسة اسما فاضلة او معظمة مشهورة انتهى ولا يخفى
ما فيه وانه مخالف للظاهر وقال ابن فارس ان اسماءه صلى الله عليه وسلم الفاظ وعشرون
وقيل المراد خمسة سماني بها ربي وباقيها اوصاف واسماء صلى الله عليه وسلم توقيفية فلا
يجوز ان يسمى بما لم يسم به الله ويسمي هو به نفسه وابوه وجده انا محمد وانا احمد وانا الماحي
الذي يمحو الله بي الكفر او يزيله حقيقة من جزيرة العرب وحكما من جميع الارض وقيل كما ياتي في
الحديث يمحو به سيئات من تبعه كقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
وقوله صلى الله عليه وسلم بي كان الظاهر ان يقول به لكنه راعى فيه المعنى كقوله انا الذي سمتني
امي حيدرة والكلام عليه مفصل في كتب العربية وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي
بكسر الياء مفتوحة وتخفيفها ساكنة اي يحشرون على اثري وبعد نبوتي اذ ليس بعده
صلى الله عليه وسلم نبي كما ياتي في تفسيره وقد روي انا الحاشر الذي يحشر الناس

خلفه

خلفه وعلى سنته دون ملة غيره وانا العاقب الآتي عقب الانبيا عليهم الصلاة والسلام فلا نبي بعده
وعيسى عليه الصلاة والسلام تقدم انه ياتي على شريعته وقال ابن الاعرابي العاقب من يعقب غيره في
الخير ومنه العقب بمعنى الولد وسياتي تفصيل معنى الحديث وقد سماه الله في كتابه وهو القران
محمدا واحمدا في قوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقوله ياتي من بعدي اسمه احمد وكونه محكيا
عن عيسى عليه الصلاة والسلام لا ينافي كون المسمى له الله ولذا قيل ان عيسى انما اطلقه عليه باعلام
الله واذنه له فالمسمى حقيقة هو الله فمن خصايصه تعالى له اي الكاينة له ان قلنا بجواز حذف الموصول
مع بعض الصفة فهو صفة له وهو متعلق به لما فيه من معنى التكريم وقيل انه مفعوله واللام مزيدة
للتقوية والظاهر انه اسم غير موصوف بالتعدي وضده ان ضمن اسماه فاعل ضمن ضمير الله
والضمير المضاف اليه للنبي صلى الله عليه وسلم ثناءه مفعول ضمن وهو مصدر مضاف للفاعل
او للمفعول باعتبار ان الضمير لله او للرسول اي ثنا الله عليه وطوى اثنا ذكره بفتح الهمزة وسكون
المثلثة والمد جمع ثني كقفل وهو ما انعطف من الوادي ويقال هو في اثنايه ومثانيه اي داخله
ونصبه على الظرفية وطوى من قولهم طوى الثوب اذا عطف بعضه على بعض وهو كناية عن
الكتم والاخفا فالمعنى اخفى داخل ذكر النبي اي في اسمايه التي سماه بها عظيم شكره والاخفاء
فالمعنى اخفى اي شكره العظيم والضمير لله او للنبي فان كان ضمير شكره للنبي صلى الله عليه وسلم
فاضافته له من اضافة الفاعل او المفعول اي كونه شاكرا او مشكورا شكرا عظيما لان اكثرها اوصاف
غلبت عليه او اختصت به اختصاص الرحمن بالله مع بقا الوصفية او اعلام منقولة ملموح اصلها فيفيد
المدح والاعلام وصفت لتعيين الذات لكن المنقول من الصفات ليس بمعانيها الاصلية ولذا جاز
دخول ال عليها ومعظم اعلامه كذلك فاما اسمه احمد فوزنه افعل مبالغة في صفة الحمد مبالغة
مرفوع خبر بعد خبر او منصوب مفعول له والجار والمجرور صفته والمبالغة لانه افعل تفضيل
حذف المفضل عليه قصدا للتعميم نحو الله اكبر اي من كل شي ثم نقل ولحظ اصله فلا يرد عليه انه
عام فكيف يفيد ما ذكر وما قيل من انه للتفضيل لا للمبالغة والمبالغة لها صيغ مخصوصة فقد
وهم واطال من غير طايل على عادته وقال السخاوي في سفر السعادة احمد اسم النبي صلى الله عليه
وسلم ليس بمنقول من المضارع ولا من افعل التفضيل فهو كاحمر واصفر وهو ابلغ من محمد
وهو كل من تكاملت مناقبه وبلغ النهاية في الحمد قال الاعشى

اليك ابيت اللعن كان كلالها ... الى الماجد القرم الجواد المحمد

انتهى وفيه نظر لا يخفى وقدمه المص لانه اسمه صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة وقد سماه به موسى
وعيسى عليهما الصلاة والسلام كما نطق به القران وسماه الله به لانه حمده في مقام لم يحمده فيه سواه
بمثل محامده كما تقدم وستاتي تتمته ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو في الاصل اسم مفعول
من التفعيل فينبني على الكثرة ففيه مبالغة ايضا ولهذه الصيغة معان اخر مذكورة في كتب التصريف
وفي شرح الهادي انه امر تجل قال ابن معطي وهو غلط وتوجيهه بانه لم يستعمل في غير العلمية يرده
بيت الاعشى المذكور وروي عن ابن عباس بسند متصل كما رواه البيهقي في دلايل النبوة
انه لما ولد صلى الله عليه وسلم عق عنه عبد المطلب بكبش وسماه محمدا فقيل له يا ابا الحارث ما
حملك على ان سميته ولم تسميه باسم ابايه فقال اردت ان يحمده اهل السما ويحمده الناس في الارض
واخرج عنه ابن اسحاق مسندا ان امه امنة بنت وهب حدثت انها اتيت حين حملت به
صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع الى الارض فقولي اعيذه

بالواحد من شر كل حاسد وكل بر عاهد وكل عبد زايد يزود غير زايد وروي

فانه عند المجيد الماجد حتى اراه قد اتى الشاهد

فاذا وضع فسميه محمدا فانه اسمه في التوراة احمد يحمده اهل السما والارض واسمه في الفرقان محمد فسمته بذلك وقال ابو الربيع بن سالم في سيرته روي ان عبد المطلب انما سماه محمدا لرؤيا راها كان سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف في السما وطرف في المشرق وطرف في المغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها نور واهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فقصها فعبرت بمولود من صلبه يتبعه اهل المشرق والمغرب ويتبعه اهل السما والارض فلذا سماه محمدا مع ما حدثته به امنة فهو صلى الله عليه وسلم اجل من حمد بفتح الحا وكسر الميم بالبناء للفاعل اي اجل الحامدين وافضل من حمد بالبنا للمجهول قيل انه لف ونشر مرتب فالاول راجع الى اسم احمد والثاني لمحمد والتفضيل استفيد من محمد لما فيه من التكثير وكونه الله لم يسم به غيره فكان افضل من حمد والحمد مصدر يحتمل للحامدية والمحمودية وان تعين في محمد الثاني وجوز ابن القيم في احمد ان يكون بمعنى المفعول اي اكثر محمودية والفرق بينه وبين محمد انه لزيادة الكيفية ومحمد لزيادة الكمية وهذا ابلغ في مدحه صلى الله عليه وسلم ولو اريد الفاعل لقيل حماد بدل احمد واعترض عليه انه تخصيص من غير مخصص وبنا اسم التفضيل من المفعول شاذ كاشغل من ذوات التحبير وكون حماد ابلغ من احمد كما اقتضاه كلامه لا وجه له اقول هو لم يعين ما قاله وانما ادعى جوازه وانه اولى لسلامته من التكرار والترادف الذي هو خلاف الاصل وترجيحه حماد على احمد ليس لابلغيته بل لانه اكثر واقيس واما كون التفضيل من المفعول شاذ فمسلم ولكنه سمع من العرب في قولهم العود احمد واثبته العلامة الزمخشري واول من قال العود احمد خداش بن حابس التميمي وقول المص واكثر الناس حمدا اي محمود به بدليل قوله فهو احمد المحمودين والاعتراض عليه بما ورد على ابن القيم ساقط لما سمعته انفا واحمد الحامدون هو وما بعده يتوقف لوجه التسمية بهما ويصح ارجاعه لكل منهما من غير لف ونشر قيل اسمه احمد قبل محمد في النشاتين فانه تعالى لما خلق نوره قبل كل مخلوق حمده بمحامد الهمه اياها لم يحمده بها غيره فكان احمد من دخل تحت كلمة كن في عالم الخلق والامر ولما ظهر للثقلين حمده على السنتهم استحق ان يسمى محمدا فاذا كان يوم القيمة كان احمد الخلق فسمي احمد فلما عمت شفاعته العظمى حمده الخلق فسمي محمدا وفيه من التكلف ما لا يخفى ويأتي فيه كلام للسهيلي ومعه لوا الحمد يوم القيمة تقدم ان اللوا هو علم الجيش وهو اكبر من الراية اي انه تحت امره او في قبضته وهذا يحتمل انه على حقيقته ليعلم انه صلى الله عليه وسلم نال هذه المرتبة بتفوقه على كل مخلوق في كونه حامدا ومحمودا ومعنى لوا الحمد انه لوا يتبعه كل حامد ومحمود ويعلم ذلك بالهام الله او بندا الملايكة معه او باعلان الحمد خلفه ونحوه واصحاب الحمد حينئذ من لهم الشفاعة وكملة الانبيا ويحتمل انه تمثيل لشهرته صلى الله عليه وسلم في اهل الموقف وعدم التاويل اسلم ليتم له كمال الحمد مبني للمفعول او الفاعل واختار البرهان الاول واتمام حمده له باشتهاره وتسليم كل احد له من غير تردد كما كان في الدنيا لبعض اهلها كما اشار اليه بقوله ويشتهر وفي نسخة ويتشهر في تلك العرصات بكون الرا ويجوز فتحها وعرصة الدار ساحتها وهي البقعة الواسعة التي ليس فيها نبات وجمعها عراص وعرصات وفي التهذيب سميت ساحة الدار عرصة لان الصبيان يعرصون فيها اي يلعبون ويمرحون والمراد هنا ارض الموقف والمحشر بصفة الحمد وهو الثنا على الجميل الاختياري على جهة التعظيم

وقيل حقيقة

وقيل حقيقة اظهار الصفات المالكية باللسان او بغيره وفيه كلام في شرح الزوبا للجلال الدواني
ويبعثه ربه هناك اي في العرصات مقاما محمودا كما وعده بقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا ونصب مقاما على المفعولية بتضمين يبعث معنى يعطي او على الظرفية لمشابهته المبهم
او هو حال على ما فصل في الكشاف وشروحه ثم بين محموديته بقوله يحمده فيه الاولون
والاخرون اي جميع الخلق لانهم تحت لوائه صلى الله عليه وسلم وهو مقام الشفاعة العظمى
حين اعترف جميع الرسل بالعجز وقيل له اشفع تشفع بشفاعته صلى الله عليه وسلم
لهم في فصل القضا كما تقدم ويفتح عليه فيه اي في ذلك المقام من المحامد جمع محمدة بمعنى حمد اي
يلهمه الله محامد عظيمة يحمده بها ثمة واصل الفتح ضد الغلق فاستعير للاعطا والالهام
وتيسير الامور كما استعير المغلق للصعب ومن بيان لمقدر اي امر او نحوه او لما بعده ان قلنا
بجوازه كما مر وقوله كما قال عليه الصلاة والسلام اشارة الى وروده في الحديث كما تقدم
ما لم يعط غيره من الانبيا ويعط مبني للمجهول وغيره بالرفع نائب الفاعل وسمى الله تعالى
لعلمه من السياق او هو مجهول وهو الاولى امته في كتب انبيائه كالتوراة والانجيل كما ورد في
الاحاديث بالحمادين اي المبالغين في الحمد وروى الدارمي عن كعب انه قال نجد مكتوبا في التوراة
محمد رسول الله مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام وامته الحمادون الخ فحقيقته ان يسمى
محمدا واحمد اي بان يسمى لانه يتعدى بالبا وقد يتعدى بعلى كما في الحجة لابي علي
وتفريعه على ما قبله لانه اذا حمد بما لم يحمده غيره وحمده الاولون والاخرون وكثر
حمد امته كان جديرا بذلك ثم في هذين الاسمين محمد واحمد اي في تسمية الله له بهما قبل
وجوده من عجائب خصائصه اي من العجائب التي خصه الله بها ولم يسبق احد لمثلها وبديع
اياته اي غريب علامته التي اخترعت وتفسير البديع بالحسن فيه مسامحة فمن آخر اي نوع
اخر غير ما تقدم وهو ان الله جل اسمه اي عظم في ذاته وفيه مناسبة وايماء لعظمة اسم
نبيه صلى الله عليه وسلم اذ قرنه باسمه وخصه به كما اختص باسمائه الحسنى حمى اي منع
وصان عن ان يسمى بهما احد قبل زمانه مع ذكرهما في الكتب القديمة والامم السالفة كما
مر وبشر بنبي اسمه احمد وانما صان اسمه ليعلم اذا سمي بهما انه النبي الموعود به وعد من الخصائص
لانه بعد الاعلام باسمه منع التسمية به مع انها اعلام منقولة فلا يرد ان كثيرا من الاعلام المرتجلة
للانبيا وغيرهم لم يسبق تسمية غيرهم بها كادم وشيث ونوح ويحيى قال تعالى ولم نجعل له من قبل
سميا اما اسمه احمد الذي اتى في الكتب الالهية السالفة وبشرت به الانبيا كعيسى وموسى
كما قال تعالى ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه احمد وقال تبع الاول كما نقل في السير ويملك

ويملك بعدهم رجل عظيم ۞ نبي لا يرخص في الحرام
يسمى احمد فيا ليت اني ۞ اعمر بعد مخرجه مقام

فمنع الله بحكمته اي بغيب حكمته ومنعا ملتبسا بعلمه وحكمته التي استاثر بها او اظهرها
لبعض خلص عباده ان يسمى بها احد غيره ولا يدعى مبني للمجهول بوزن يرمى اي يسمى
به مدعو قبله مسمى قبله قال اكثر العلما ان هذا هو الصواب وما نقل من ان الخضر عليه الصلاة
والسلام اسمه احمد قول مردود كما قاله ابن دحية واما احمد بن عجبان بضم العين المعجمة
وسكون الجيم ومثناة تحتية بزنة سفيان واما احمد بن عجبان او بفتح الجيم وتشديد البا فلا اصل له
وقيل تسمى في الجاهلية قبل الاسلام بزمان طويل احمد بن ثمامة الطائي واحمد بن دومان

البكبكي واحمد بن زيد بن خراش السكسكي ومن القبايل بنو احمد في همدان وبنو احمد في بكيل وبنو
احمد في طي ولم يكن قريبا من عهده من تسمي به صيانة له واما بعده فاول من تسمي به احمد بن
عمرو ابن تميم الفرهودي او الفراهيدي ابو الخليل النحوي الزاهد وببركة هذا الاسم
كان له من العلم والتقوي ما لم يكن لغيره ثم بين حكم صيانته بقوله حتي لا يدخل علي ضعيف
القلب لبس اي التباس واشتباه لعدم تمييز وضعيف القلب من لا عقل له تام وراي صايب
ونظر يفرق بين الحق والباطل فيتردد في صدق مدعي النبوة بمجرد شي سمي له فيجوز
كونه احمد الموعود به في الكتب فضعف القلب كناية عن قلة العقل الذي هو محله وقوته كناية عن
ضده وان اشتهر في الحراة وعدمها او شك معطوف علي لبس ويجوز ان يراد به هنا ما يقابل
الوهم والظن ومطلق التردد وعدم الجزم ومن ظن تعينه هنا وتاييده بما لا يجدي بشي
ولذلك محمد اي مثل احمد في عدم التسمية به قبل بعثته صلي الله عليه وسلم وجعله مشبها
به لانه لم يسم به اصلا علي الاصح ايضا مصدر راض بمعني عاد ورجع ويراد به في العرف
التشبيه فهو تاكيد لقوله كذلك لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الي ان شاع واشتهر
قبيل وجوده صلي الله عليه وسلم قبيل في النسخ مصغر كبعيد لتقليل زمانه وتقريبه وميلاده
عطف تفسير علي وجوده اي ولادته او زمانها وقيل الميلاد وقت الولادة والمولد مكانها
وحملت به صلي الله عليه وسلم امه امنة نهارا وولد ليلا في شعب ابي طالب عند الجمرة الوسطي
ووافق مولده يوم عشرين من نيسان سنة اثنين وثمانين وثمانماية من التاريخ الاسكندري
وقيل كان في الساعة العاشرة لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول فكان كما قيل ربيع في ربيع
وقيل ولد في شعب بني هاشم بعد الفيل بشهر او اربعين او خمسين او تسعة وخمسين يوما
وقيل غير ذلك وسياتي تفصيله ان شا الله تعالي ان نبينا يبعث اي يرسل من بعث بمعني اثار
وقد فصل زمان بعثه وسنه اذ بعث في السير اسمه محمد فسمي قوم قليل من العرب ابناهم
بذلك الاسم رجا ان يكون اي لاجل رجا ان يكون الولد المسمي به احدهم اي احد ابنايهم المسمي
بمحمد هو اي النبي الموعود ببعثته فهو اسم يكون واحدهم منصوب خبر مقدم او مرفوع
اسمها وهو خبرها استعير فيه ضمير الرافع لضمير النصب والاصل اياه والاول اولي والله
اعلم حيث يجعل رسالاته اقتباس لبيان انه لم يفدهم ذلك اذ ليس كل محمد رسول ولا كل
فاطمة بتول والاية رادة لهم كما تبطل قول من زعم من الحكما ان النبوة والرسالة تكتسب
بالمجاهدة وتصفية الباطن فانها موهبة الهية وان اختصت بمن حد في العبادة والتصفية
حتي صار احسن الناس خلقا وخلقا الي غير ذلك مما يستعد به لفعل مقدر اي يعلم لان افعل
لا ينصب المفعول وان صح تعلق الجار والظرف به وليس هو هنا ظرفا لان علمه تعالي لا يوصف
بانه في مكان او زمان لقدمه وتفصيله في كتب العربية ويجوز افراد رسالته كما قري به هنا
وانما سموا ابناءهم به لما بلغهم من الاحبار والكهان وروي في المبشرات وبشروا بغريب
زمانه فكانوا ينتظرونه انتظار المحب لحبيب له سيقدم وهم اي المسمون باسمه قبل ظهوره
صلي الله عليه وسلم لكونه المبشر به محمد ابن احيحة بن الجلاح الاوسي وقال البلاذري
انه محمد بن عقبة بن احيحة وتردد فيه ابن حجر في الاصابة واحيحة بضم الهمزة وحا مهملة
مفتوحة يليها مثناة تحتية ساكنة ثم حا مهملة مفتوحة وها والجلاح بضم الجيم وفتح اللام
المخففة ثم الف وحا مهملة والاوسي نسبة للاوس قبيلة الانصار ومحمد بن مسلمة

الانصاري

الانصاري بن خالد بن عدي بن مجدعة ابن حارثة ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس
الانصاري لانه لم يسلم وانما يقال انصاري لم اسلم منهم ولذا قال الذهبي من عد محمد بن احيحة من
الصحابة فقد وهم لانه لم يدرك الاسلام وانما هذا ابو عبد الرحمن المدني خليف بن عبد الاشهل المولود
قبل البعثة باثنين وعشرين سنة وهو ممن سمي محمدا في الجاهلية كما في الاصابة عن الواقدي من
غير تردد فيه وهو صحابي شهد بدرا وكان عمر رضي الله عنه يعده لكشف المعضلات في خلافته
ومات بالمدينة سنة ثلاث واربعين وقيل غير ذلك وهو من قدما الصحابة وقول بعض الشراح
ان ذكر المص لمحمد بن مسلمة ليس في محله لانه بصدد ذكر من سمي محمدا قبل مولده وهو ولد بعد
مولده بنحو عشرين سنة لا وجه له لما سمعته من خلافه مما هو مصحح في السير نقلا عن الواقدي وما
قاله قول مرجوع وان قاله مغلطاي في سيرته ومحمد ابن برا البكري نسب لبكر قبيلة مشهورة
وبرا بموحدة تحتية مفتوحة ورا مهملة تليها مدة وهو ابن طريف بن عثوارة بن عازب بن لهبة بن
ابي بكر بن عبد مناف ابن كنانة واسم ابيه برا رايته مصححا كذا في حواشي الحلبي وفي غيره بدا بفتح الموحدة
وتشديد الدال المهملة قيل وقد تخفف وقال البرهان الحلبي ان محمدا ابن احيحة ومحمد بن مسلمة
ومحمد بن برا لم يدركوا الاسلام بل هلكوا في الجاهلية فعدهم فيمن اسلم امر عجيب فلا يليق بالمص
وان كانوا ممن سمي بمحمد قبل البعثة وكذا محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي فانه لم يدرك
الاسلام وقد خطي ابو نعيم في عده في الصحابة ومحمد بن حمران الجعفي بضم الجيم نسبة للجعفة
قرية معروفة وحمران بضم الحا المهملة وسكون الميم ورا مهملة ثم الف ونون وفي بعض نسخ السير
عمران بدله وهذا ايضا لم يدرك الاسلام كما قاله البرهان ومحمد بن غزاعي السلمي بضم السين
المهملة وفتح اللام وميم وياء نسبة نسبة لقبيلة وخزاعي بضم الخا وزاي معجمتين والف وعين
مهملة نسبة لخزاعة وهو من بني ذكوان واسم ابيه علقمة وهو لم يدرك الاسلام ايضا كما قاله
البرهان الا ان هذا لا يعترض به على المص لانه انما عد من تسمى محمدا قبل الاسلام اسلم ام لا
وهم ست لا سابع لهم وهذا على ما اختاره المص ومنهم من نقص عددهم كالسهيلي فانه لم يردهم
على ثلاثة ومنهم من زاد حتى بلغ العشرين كما قاله ابن حجر مع تكرار في بعضهم وتردد في بعض
وسياتي لهم سابع ويقال ان اول من تسمى به اي باسم محمد قبله صلى الله عليه وسلم وفي نسخة محمد
محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي السابق ذكره . اي اهله فهو من اطلاق اسم المحل
على الحال فيه تقول وفي نسخة يقولون لم يسم به اولا بل الذي سمي اولا محمد بن اليحمدي من
الازد وفي نسخة الازدي نسبة الى الازد من اليمن ابوهم ازدي الغوث ويقال اسد بالسين ايضا
وفي نسخة الانصار كلهم واسد سنوءة وعمان والسراة واليحمدي وفي نسخة بدذكر ومحمد بن
سرادة واليحمدي قال البرهان انه في النسخ بفتح اليا وسكون الحا وضم الميم وقال ابن ماكولا
انه بضم اليا وسكون الحا المهملة وكسر الميم واصحاب الحديث يضمون الميم وفي شرح مسلم للنووي انه
بضم اليا وسكون الحا وكسر الميم وكذا في تقييد المهمل للغساني وهو علم منقول من المضارع وال مقارنة
لنقله لا داخلة العلمية فانه شاذ قبلها كقوله

ما انت بالحكم الترضى حكومته فكيف به بعدها وقال ان هذا ليس من الستة فيكون سابعا وهو ينافي
قوله هنا لا سابع لهم وفي سيرة مغلطاي زيادة محمد بن عدي بن ربيعة المنقري
ومحمد بن عثمان السعدي قال واظنهما واحدا ومحمد الاسدي ومحمد بن عثوارة الليثي ومحمد
بن جرمان العمري ومحمد بن خولة الثمالي ومحمد بن يزيد ابن ربيعة ومحمد بن ابراوية بن مالك

فزاد تسعة او ثمانية وتوقف المص في واحد منهم وقد قيل في بعض هولا انه ادرك الاسلام وكلام المصنف
لا ينافي هذا الا في قوله الانصاري كما تقدم والامر فيه سهل اذ لا مانع من اطلاقه على من لم يسلم
لقرابته منهم تسمحا ثم حي الله اي صان ومنع بصرف الهمة كل من تسمى به اي بمحمد قبله صلى الله
عليه وسلم ان يدعي النبوة تقديره من ادعى دعا بها بنفسه بان يقول انا نبي او يدعيها احد
له بان يقول هو نبي او يظهر عليه بفتح اليا التحتية وضمها مبني للفاعل ويجوز بناوه للمجهول
والاول اظهر وضمير عليه لمن سبب يشكك احدا في امره اي شي في ذاته يكون سببا موقعا للناس
في شك في انه هو النبي الموعود لنجابته وصفاته الباهرة كما وقع له صلى الله عليه وسلم من الارهاصات
والاخلاق الباهرة او يجري على يديه ما يشككهم من سحر ومخرقة والعطف بالواو بعد حمى الذي هو
في معنى النفي والنهي يفيد العموم كقوله ولا تطع منهم اثما او كفورا ولو عطف بالواو اوهم ان المحمي
عنه المجموع وان وقع بعض منها حتى تحققت اي ظهرت وثبتت في الخارج السمتان اي الصفتان
اللتان هما المحمدية والاحمدية اللتان هما علتان لموافقة اسمه لمسماه وفي بعض النسخ السيمتان
بياء بعد السين وهو خطا كما قال التلمساني وطغيان من القلم له صلى الله عليه وسلم متعلق بالفعل
او بالسمتان وهو تسميته بما هو دال على انه المبشر به في الكتب السالفة والامم الماضية فادعى الرسالة
وشهدت له الكاينات بصدق دعواه ولم ينازع فيهما بفتح الزاي المعجمة والبنا للمجهول اي لم ينازعه
احد في السمتين واما قوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وانا الماحي الذي يمحو الله به الكفر
بيان لمعناه المراد به ولذا اتى بقوله بعده فسر في الحديث بالفا التفسيرية وفسر مبني للمجهول
اي فسره النبي صلى الله عليه وسلم بقرينة قوله في الحديث وهو صفة له وقيل علم منقول منها وان
للمح الوصفية ولما تراءى هنا سوالات احدهما انه تقدم فلا حاجة لاعادته كما قيل وان المحو معناه
الازالة بالكلية والكفر موجود في كثير من الناس والبلدان اشار الى دفعها بقوله ويكون محو
الكفر اما من مكة بعد الفتح اذ اظهره الله عليهم ولم يبق بها منه عين ولا اثر وبلاد العرب الظاهر
انه وجه اخر والمراد بها جزيرة العرب وساحة الاسلام فانه لم يبق منه الا ما تلاشى واضمحل حتى صار
كالعدم وقد كانت مملوءة بالشرك فاستاصله الله على يد خيرته من خلقه وكذلك قوله وما زوي له
من الارض اشارة لما ورد في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض مشارقها
ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها واصل الزوي بالزاي المعجمة الجمع ومنه اتزوى
الجلد بالنار اي انه تعالى جمع له جميع الارض بيد قدرته وطواها في قبضة قدرته حتى نظرها كلها
وبشره بان امته تملكها كلها حقيقة بعد نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وقبله ان
قلنا ان ما ملكوه منها اعظمها واشرفها وهو الذي ارتضاه المص لقربه ووعد اي الله او النبي
صلى الله عليه وسلم لما ورد في الحديث انه يبلغه اي يصل اليه ويجوزه ملك امته بضم الميم ويجوز
كسرها اي يملكها وسلطانها على الوجه السالف وقد روي انه روي له جانبا من الارض واخبره
بانه يبلغه ملك امته ويمحو ما فيه من الكفر لاضمحلاله حتى يصير ما بقي منه كالعدم ولما كان محو الكفر
بامره وشرعه وبركته نسب المحو له صلى الله عليه وسلم فكانه الماحي حقيقة وقد قيل انه كله جواب
واحد وقوله او يكون المحو عاما شاملا لجميع الارض وليس المراد بها ارضا مخصوصة بمعنى الظهور
والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله جواب ثان فيبقى على عمومه ولا يخص بما مر فالمراد
بالمحو علو الدين وغلبته لغيره من الاديان بنسخها وبيان ما غير ويدل منها وعلو اهله على جميع
من عداهم بتسلطهم عليهم وقهرهم وايقاع الرعب في قلوبهم على جميع من عداهم كما هو مشاهد

قال الله

قال الله عز وجل هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ويوضحه ان المحو
لغة اذهاب الاثر وهو قد يكون مع بقاء العين وان ما لا اثر له كالعدم ولذا عبر بالماحي دون المزيل وما
قيل من ان هذا جعله المص وجها واحدا وحمل المحو على ازالة يدهم عن تلك الاراضي وجعل بعض اهل
الارض كالعبيد بضرب الجزية عليهم وجعلهم بازالة تصرفهم كالموتى وجعل محو اثار غيرهم
كمحو ذواتهم ونسخ اديانهم وكتبهم التي هي بمنزلة ارواحهم وابطال شوكتهم وقهرهم كازالة
ذواتهم ونحوها من صحايف الوجود ففيه مجاز باعتبار وجوه مختلفة **وقد ورد تفسيره** اي الماحي
بغير ما مر **في الحديث** والتفسير المذكور **انه الذي محيت به سيئات من اتبعه** بما انعم الله به على
امته من المكفرات وبما قبله من شفاعته لهم في الدنيا والاخرة والعفو كالمغفرة موافق للمحو لغة
ومعنى وهذا مروي عن المص وقد سقط من بعض النسخ فاسناده الى النبي صلى الله عليه وسلم
مجاز اذ هو سببه والمعافي والغافر حقيقة هو الله تعالى وهذا من خصايص امته وقد فسر قوله
تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر يغفر لامتك كما مر وقد روي هذا التفسير الذي
ذكره المص للماحي الحاكم في مستدركه وابو نعيم والبيهقي قال ابن دحية انه حديث مرسل صحيح الاسناد
وقال السيوطي انه متصل ولفظه واما ماحي فان الله محى به سيئات من تبعه وقال ابن حجر في شرح
الشمايل معناه ان من امن به صلى الله عليه وسلم يمحى ذنب كفره واما عمله فيه قال تعالى قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وفي الحديث الاسلام يجب ما قبله او يهدم ما قبله وخص بهذا
نبينا صلى الله عليه وسلم لانه لم يمح احد الكفر كما محاه اذ جاء على فترة وقد عم الكفر فبلغ مسير
النيرين والمراد بكونه من خصايصه ان الله لطف بامته بكثرة المكفرات كثرة لم تكن قبله فهو مطلق
مخصوص لوقوع خلافه في الايات والاثار كقول نوح عليه الصلاة والسلام لامته استغفروا
ربكم انه كان غفارا **وقوله** في هذا الحديث **وانا الحاشر** فسره صلى الله عليه وسلم بقوله بعده **الذي**
يحشر جميعهم مومنهم وكافرهم لدخولهم كلهم في شفاعته العظمى لتخليصهم من هول الموقف
والمحشر وتعجيل الحساب لانه صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين **على قدمي** بالتخفيف والتشديد
كما مر وفي رواية على بمعنى ولما كان ظاهره انه يسوق الناس للمحشر وليس بمراد فسره بقوله
اي على زماني وعهدي وهما بمعنى لانه يقال هذا كان على عهد الخلف في عصرهم ثم قال
اي ليس بعدي نبي كما قال وخاتم النبيين فهو اما بتقدير مضاف اي على اثر قدمي من
غير فاصل او القدم سواء كان مفردا او مثنى ما يتبعه الناس فيه وهو الشريعة وقال الكرماني
معناه على اثري كما جاء على عقبي او على زماني ووقت قيامي على القدم بظهور علامات
الحشر فيه اذ لا نبي بعده ويحتمل ان يريد اول محشور لانه صلى الله عليه وسلم اول من تنشق
عنه الارض كما تقدم والقدم معروفة وهي مونثة لتصغيرها على قديمة ويتجوز بها عن معان
اخر كما في الاساس فيقال جعله تحت قدميه اذا عفا عنه وله قدم في كذا اي تقدم فنسب له ذلك
لتقدمه فيه وكونه السبب فيه ثم انهم يحبسون في المحشر حتى يشفع لهم فهو حاشر في هذا الحشر الثاني
الى مقرهم من جنة او نار فيتبعه صلى الله عليه وسلم جميع الخلايق فهو على هذا حاشر حقيقة وهذا
هو المراد في رواية من روى قدمي بالتشديد مثنى وقول الكرماني ويحتمل الخ سبقه اليه الخطابي
وان كان ظاهره انه من بنات افكاره وارتضاه ابن دحية وما ذكره المص وان سبق اليه فيه خفاء
الا ان يريد ان القدم مجاز عن الاثر كناية او مجازا الا انه يتكرر مع قوله العاقب وقال السيوطي ان
الله وصف نفسه بالحشر في قوله ويوم نحشرهم فيكون هذا من اسمايه التي سماه الله بها فان سلم

ما قاله كان ما قبله كذلك وحشر الناس في وقت نبوته لبقاء ملته لانها لا تنسخ وليس بعدها شرع آخر فلا
يرد عليه ان الساعة تقوم وليس على وجه الارض من يقول الله وتقدم ان كونه خاتم النبيين
اي آخرهم او من ختموا به على قراءة الفتح لا ينافيه نزول عيسى الصلاة والسلام بعده لانه ينزل
تابعا له صلى الله عليه وسلم كاملا بشرعه ولذا يدفن عنده لانه آخر خلفائه وقيل المراد انه صلى الله
عليه وسلم آخر من نبئ وعيسى نبئ قبله وان مات بعده كالخضر والياس على قول وقيل سمي حاشرا
لانه حشر بني النضير من حصونهم وخرب ارضهم وهو ضعيف رواية ودراية وسمي عاقبا لانه
عقب غيره من الانبيا عليهم الصلاة والسلام اي خلفهم في الخير ومنه عقب الرجل لولده وفسر بمن
لا نبي بعده فان العاقب الآخر وقد فسر في حديث مروي عن ابن جبير فهو اصح واحسن وفي الصحيح
وانا العاقب الذي بعده نبي وقيل العاقب عند العرب من يكون خلف سيد القوم فمعناه
خليفة الله لانه احق بخلافته من جميع الرسل ومن الغريب ما قيل انه اسمه عند اهل النار من
امته لان الله ينسيهم اسمه محمدا فاذا ذكروه ارتفع عنهم العذاب وهو ضعيف وقيل معنى على
قدمي انه يحشر الناس بمشاهدتي اي بقربي ومعي بمرأى مني لسبقي للناس في القيام من
القبر كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وهذا
بناء على انه من الشهادة بمعنى المشاهدة والمعاينة والجمهور على انه الشهادة الحقيقية كما ورد في
الصحيحين من ان امته تشهد للرسل بالتبليغ وهو صلى الله عليه وسلم يشهد لامته بالصدق وهو
معنى جعلهم امة وسطا اي عدولا وخيارا كما اشار مر بيانه واخر المص هذا وهو متعلق بما قبله
اي معنى الحاشر بما قبله اي معنى الحاشر بما قبله من معنى الحاشر اشارة الى انهما بمعنى ومعنى
قوله صلى الله عليه وسلم الى جملة اسما جواب عن سؤال مقدر تقديره ان له صلى الله عليه
وسلم اسما كثيرة فجعلها خمسة او عشرة ان قلنا بمفهوم العدد مخالف للواقع والا فهو زيادة
بغير فائدة قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة المنزلة على الانبيا عليهم الصلاة والسلام
كالتوراة والانجيل وعند اولي العلم من السالفة اي السابقة فتخصيصها بالذكر لهذه
الفائدة ومرضه لما سيأتي من انه صلى الله عليه وسلم له اسما آخر في الكتب القديمة ايضا
وكون العدد المفهوم له لا يدفع السؤال كما توهم وكونه صلى الله عليه وسلم لم يقف على
هذه الزيادة حين ذكره بعيد والله اعلم بوجه التخصيص فيما ذكر وقد روي عنه عليه
الصلاة والسلام في حديث رواه ابو نعيم في الدلائل وابن مردويه في تفسيره من طريق
يحيى التميمي وهو مضاع عن سيف بن وهب وهو ضعيف عن ابي الطفيل لي عشرة اسما
وقد تقدم انه لا تعارض بينه وبين غيره من الاحاديث وذكر منها طه ويس كما حكاه مكي
تقدمت ترجمته وقد تقدم هذا وانما اعاده لتبعه تفسيره الذي ذكره وقال ابو بكر بن العربي
في احكام القرآن اختلف الناس في معناه على اربعة اقوال الاول اسم من اسما الله قال الامام
مالك وروي عنه اشهب قال سألته هل ينبغي لاحد ان يسمي يس قال ما اراه ينبغي لقوله
تعالى يس والقرآن الحكيم اي هذا اسمي يس قال ابن عباس يس يا انسان بالحبشية ويا طه
ويا رجل وورد عنه انه اسم الله كما قال مالك الثالث انه كنى به النبي صلى الله عليه وسلم
قيل له يس اي يا سيد كما يأتي الرابع انه من فواتح السور وروي عن ابن عباس انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم سماني الله في القرآن سبعة اسما محمد واحمد وطه ويس والمزمل
والمدثر وعبد الله وهذا حديث لم يصح وروى اشهب عن مالك لا يسمى احد بيس لانه

اسم

اسم الله وهو كلا بديع وذلك ان العبد يجوز له ان يسمى باسم الرب اذا كان فيه معنى منه كعالم
او قادر وانما منع مالك من التسمية بهذا الاسم لانه من الاسما التي لا يدري ما معناها فربما
كان ذلك معنى ينفرد به الرب فلا ينبغي ان يقدم عليه من لا يعرف لما فيه من الخطر فاقتضى
النظر المنع منه فان قيل قد قال الله تعالى سلام على آل ياسين قلنا ذلك مكتوب بهجائه فتجوز
التسمية به وهذا ليس بتهجي وهو الذي تكلم مالك عليه لما فيه من الاشكال انتهى وهو
كلام نفيس الا ان فيه بحثا لان تجويزه للتسمية بيسر من وجه ومنعه من اخر فيه انه عند
التلفظ لا يعرف منه الهجا وعدمه اللهم الا ان يقال مراده المنع في غير ما ورد في القران
فتدبر وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي على انه اسم النبي صلى الله
عليه وسلم كما رواه السيوطي عن ابي الطفيل وتقدم انه قيل انه من اسما الله وما ذكره السيوطي
مروي عن الواسطي واراد به ان كل حرف منه مر يرى بعض اسم فالطا من طاهر من كل
عيب وذنب فالها من هاد الى كل خير فهو اسم مركب من اسمي حرفين كما في الم وفي البخاري
عن سعيد بن جبير معناه يا رجل بلغة عك وقيل معناه اطمئن وقيل معناه طاء الارض
والها ضمير الارض وقيل يا رجل بالسريانية فقرب وقيل هو بالنبطية وهي لغة اهل سواد
العراق وقيل معناه بلغة عك يا حسين وقيل طوبى لمن هدى وقيل في بعض تفاسير يس انه
يا سيد حكاه السلمي بضم السين وفتح اللام وهو ابو عبد الرحمن كما تقدم في ترجمته عن الواسطي
نسبة الى واسط بلدة معروفة وقد تقدمت ترجمته وجعفر بن محمد هو جعفر الصادق الامام
المشهور كما تقدم وهذا مروي في اسمائه عن ابي الطفيل ورواه البيهقي في دلائله مسندا
وقال السهيلي لو كان من اسمائه لقيل يا يسين بالضم وقال ابن دحية هذا غير لازم مع انه
روي عن الكلبي انه قراه بالضم ايضا وقيل معناه يا انسان بلغة واصله يا انيسين
فاقتصر على بعض منه وقد بسطنا الكلام عليه في حواشي البيضاوي وكذا فيما مر اوايل
الكتاب وقيل معناه يا رجل وقيل يا سيد البشر وذكر غيره اي غير الواسطي انه روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عشرة اسما فذكر الخمسة التي في الحديث الاول
الذي سمعته انفا وزاد عليها وقال انا رسول الرحمة لقوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين لانقاذهم من العذاب في الدنيا والاخرة فمن اتبعه نجا في الدنيا من القتل او من ذل
الكفر والجزية وفي الاخرة من العذاب المخلد والخزي المؤبد واراحهم من التعب فيها فلذا
سمي بذلك كما قال ورسول الراحة لانه صلى الله عليه وسلم راحة للمومنين في الدنيا لما
رفع عنهم مما كان في الامم السالفة من الاصر والمشاق بما في شريعته من الرخص والتخفيفات
وفي الاخرة راحتهم العظمى لامنهم وتعبهم ازالة تبعهم ورفع التكليف عنهم وراحة
للكافرين بترك قتلهم وسبي ذراريهم اذا قبلوا الجزية فنزلوا في حرم الايمان امنين وامنت
امته من عموم الخسف والمسخ وسترت عليهم معاصيهم وكان من قبلهم اذا عصى اصبح
وقد كتب على باب داره فلان فعل الليلة كذا وكذا وتسميته صلى الله عليه وسلم بنبي الرحمة رواه
ابن ماجة والحاكم مسندا عن ابي هريرة وصححوه وورد في بعض طرقه نبي الراحة وما سبق
انسب بالاية ورسول الملاحم جمع ملحمة وهي الحرب والقتال سميت بذلك لالتحام الابطال
فيها اي ازدحامهم فيها لانه صلى الله عليه وسلم ارسل بالسيف وامر بالجهاد ولم يقع لنبي
ولا امته من الجهاد والقتال ما وقع له صلى الله عليه وسلم ولامته ولا يزالون كذلك

حتى يقاتلوا الدجال وينزل عيسى بن مريم اذ في قتاله غنيمة المسلمين وهداية بعض
الكافرين الى الاسلام وامن دار الاسلام وغير ذلك مما لا يحصى والجواب بانه صلى الله
عليه وسلم رحمة لاوليائه حرب لاعدائه مع ما فيه لا يناسب العالمين

وانا المقفي قفيت النبيين كلاهما بتشديد الفاء
كما قال تعالى ثم قفينا على اثارهم وهو اما بمعنى التابع الذي جاء على
اثرهم لان معنى قفى تبع ومنه القافية وفيه من الفضل انه صلى الله عليه وسلم وقف على
احوالهم وشرايعهم فاختار له الله من كل شي احسنه وكان في قصصهم له ولامته عبر وفوايد
والمراد انه خاتمهم واخرهم ووقع في بعض النسخ المقتفي بزيادة التاء الفوقية واقتصر
عليه بعض الشراح ونقله عن الطيبي ثم قال ان المقفي ذكره غير الطيبي ولم يرد به نص صريح
وفيه نظر **وانا قيم** بالقاف ومثناة تحتية بزنة سيد وفسره المص بقوله **القيم مع الكامل**
اي الجامع لمكارم الاخلاق النفيسة الكاملة فيها او الجامع لشمل الناس بتاليفه بينهم وجمع
شتاتهم لان القيم يكون بمعنى السيد لقيامه بامر الناس وامر الدين كما قاله ابن الاثير لما ولد
النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه الامدي

بدلت دينا بعد دين قد ندم ... وكنت في الدين كاني في ظلم

يا قيم الدين اقمنا نستقم كما ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال اتاني ملك فقال
انت قيم وخلقك قيم اي مستقيم حسن وفي النهاية القيم القايم بامور الخلق ومدبر العالم في
جميع اموره وهو مرادف للقيوم الذي هو من اسمائه تعالى ولا بعد ان يسمى النبي صلى الله عليه وسلم
بشي من اسما الله تعالى بمعنى يليق كالقيم اذا كان بمعنى القيوم كما يسمى بغير ذلك من اسمائه
والقيم ايضا من اسما الله كما ورد في الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم انت قيم السموات
والارض ومن فيهن وقال ابن دحية هو بمعنى القايم كما نقله السيوطي في الرياض الانيقة
كذا وجدته اي تسميته صلى الله عليه وسلم بالقيم في كتب الحديث **ولم اروه** بطريق من الطرق
المعتبرة عند المحدثين الا اني وجدته فيما رواه غيره وهذا عند المحدثين يسمى الوجادة وله شروط
عندهم وهو مما يستانس به وهذا رواه الديلمي في مسند الفردوس وفي النهاية الاثيرية
ايضا كما مر **وارى ان صوابه** بحسب الرواية **قثم بالثاء** المثلثة المفتوحة المخففة وضم القاف
فراى انه تصحف عليهم وهو معدول عن قاثم ممنوع الصرف كما ذكره ابن فارس وغيره ورواه
ابن اسحاق في حديث غريب هو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني ملك فقال انت قثم وخلقك
قثم ونفسك مطمينة قال ابن دحية في اشتقاقه معنيان احدهما من القثم وهو الاعطاء
يقال قثم له من العطا اذا اعطاه فسمي صلى الله عليه وسلم لجوده وعطايه والثاني من القثم
وهو الجمع يقال للرجل الجامع للخير قثوم وقثم وقد كان صلى الله عليه وسلم جامعا للفضائل
وجميع الخير والمناقب وقد علمت ما فيه **كما ذكرناه بعد** بالبنا على الضم اي فيما سياتي
عن الحربي قال البرهان لهم ابو اسحاق الحربي واسحاق بن الحسين الحربي والثاني ثقة حجة
سمع من هوذة وحسين بن محمد وغيرهما ووثقه الدارقطني وصحح عليه في الميزان وذكر
الذهبي انه مبهم **وهو اشبه بالتفسير** يعني انه اقرب شبها بتفسيره الماثور بالجامع وفيه
نظر لان قثم بالمثلثة بمعنى مجتمع ايضا كما تقدم انفا وياتي وقد كان عبد الله ابو النبي صلى
الله عليه وسلم يكنى بابي محمد وابي قثم وقالوا انه الجامع للخير او لشمل امته وياتي ان هذا

الاسم

الاسم معروف في جماعة من اهل البيت منهم قثم شقيق الحارث عم النبي صلى الله عليه وسلم
وابن عبد الملك وبه سميت محلة بسمرقند دفن فيها وبها مدرسة قثم ايضا وقثم بن عبد الله
بن العباس ثم عاد المص الى ذكر القيم بالتحتية واشار الى ما يصححه فقال ووقع ايضا في كتب
الانبيا المنزلة في السما كصحف ابراهيم وداود قال داود عليه الصلاة الصلاة والسلام اللهم
يا الله والحقوا الميم في اثر هذا الاسم ايذانا بجميع اسمايه وصفاته فالسايل اذا قال اللهم فكانه
قال ادعوه باسمايه وصفاته فاتى بالميم المؤذنة بالجمع في اخره ايذانا بسواله باسمايه
كلها ولذا قال العطاردي اللهم فيها تسعة وتسعون اسما من اسمايه وقال النضر من قال
اللهم فقد دعا الله بجميع اسمايه ووجه هذا بان اللهم بمنزلة واو الجمع من مخرجها فكان
الداعي بها يقول يا الله الذي اجتمعت له الاسما الحسنى والصفات العلى وشددت ليكون
عوضا عن الواو والنون في نحو مسلمون ابعث لنا محمدا يقيم السنة اي الطريقة الشرعية والدين
والفترة اي انقطاع الوحي والرسل وضمير لنا للناس فقد يكون القيم بمعناه اي بمعنى المقيم
للسنة الماخوذ مما ذكر لدلالته بمادته عليه فيكون اذا سلم انه اسم النبي صلى الله عليه وسلم
بهذا المعنى وقد قالوا انه اسمه في الزبور كما يشير اليه كلام المص وفي التوراة كما نقله السيوطي
ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله فالسنة سنة الرسل وهي
الشريعة والتوحيد والفترة ما بين كل رسولين من الزمان وهو المراد وقد يخص بما بين
عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم واصل معناها الضعف وتسمية ترك العبادة فترة منه
فليس معنى اصليا كما توهم فان كان ضمير لنا له ولقومه فجملة ابعث الدعائية لتمني ان يبعث
في زمنه وقيل ضمير بمعناه لقثم بالمثلثة وفي كتاب فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
لابن القيم ان اللهم لا يستعمل الا في الطلب نحو اللهم اغفر لي قلت وهذا ينافي قوله بعد
هذا انه يسوغ استعماله في موضع لا يكون بعده دعا نحو اللهم لك الحمد واليك المشتكى
فتامله وروى النقاش تقدمت ترجمته عنه عليه الصلاة والسلام انه قال لي في القران
سبعة اسماء تقدم المراد بالاسما وانها تشمل الصفات غير الاعلام ثم ذكرها فقال محمد
واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله تقدم الكلام على بعضها وسياتي تتمته ومحالها
من القران معلومة في اوايل السور وغيرها كقوله وانه لما قام عبد الله يدعوه واقتصر على هذه
لشهرتها والا فقد ورد فيه غيره كالرسول والنبي والخاتم والرؤف والرحيم والصاحب
ومفهوم العدد غير معتبر وقيل انه كان قبل وصف الله له بهذه او المراد ما يختص به كما يشعر
به تقديم الخبر والجواب بان روف ورحيم صفتان لا اسمان لتعلق الجار بهما كما في قوله بالمؤمنين
روف رحيم ثم استفيد كونهما اسمين بعد القران غير مسلم كما ورد لما مر وقوله في القران يشير الى
ان له اسما اخر ليست فيه وفي الصحيحين في فترة الوحي بينا انا امشي اذ سمعت صوتا في السماء
فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاني بحرا على كرسي بين السما والارض فرعبت منه ورجفت
فقلت زملوني زملوني وفي رواية دثروني فانزل الله يا ايها المدثر قم فانذر والمدثر
والمزمل المتلفف في الدثار وهو الثياب والمزمل بمعناه واصله المتدثر والمتزمل فقلب وادغم
كما هو معلوم من علم التصريف وقال ابن الورد انما نزل يا ايها المدثر عقب قوله زملوني
لان هذا التزمل اريد به الدثار من برد يعتري الروع كالمحموم كما كان يعتريه صلى الله
عليه وسلم عند نزول الوحي عليه فخاطبه بما طلب من تزمله اي يا ايها المتزمل المتدثر روع الدثار

وجد في الانذار تانيسا له من الروع وتنشيطا له على فعل ما امر به كما تقول لمن ارسلته لامر فتخوف
وتثبط عنه يا ايها المتخوف امض لامرك وقال السهيلي فيه ملاطفة لانه ورد انا النذير
العريان فوصفه بالانذار مع الدثار تلميح بالطباق وهو منزع بديع وكان تدثره صلى الله
عليه وسلم بقطيفة في بيت خديجة وذكر عائشة بدل خديجة خطا لانه كان بمكة وعائشة انما
كانت معه بالمدينة وقيل معناه المدثر بالقران وقيل معنى المزمل الحامل لاعباء الرسالة
من المزاملة فهو استعارة تصريحية وقال السهيلي ليس المزمل من اسمائه صلى الله عليه
وسلم وانما هو مشتق من حالته المتلبس بها حال الخطاب والعرب تفعله ملاطفة ومعاتبة
كقوله صلى الله عليه وسلم لعلي كرم الله وجهه وقد نام على الارض قم يا ابا تراب ملاطفة
لما كان بينه وبين فاطمة رضي الله عنها نام على الارض قم يا ابا تراب من المغاضبة وما روي
عن عائشة رضي الله عنها انه كان بمنزلها مزملا مرطا طوله اربعة عشر ذراعا نصفه عليها
وهي نائمة لا اصل له فان هذا نزول يا ايها المزمل بمكة ودخوله صلى الله عليه وسلم على عائشة
انما كان بالمدينة وقد علمت ان عبد الله سماه الله به في ايات والعبودية اشرف صفاته صلى
الله عليه وسلم واصل معناها الخضوع والتذلل وان العبد هو الانسان رقيقا ام لا وقال
المشايخ العبودية القيام بحق الطاعات بشرط التوفيق والنظر لما صدر منه بعين التقصير
وفي بعض النسخ وفي حديث عن جبير بن مطعم هي اي اسماؤه صلى الله عليه
وسلم ست محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماحي وقد علمت معانيها وفي
حديث ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم كان يسمي لنا
نفسه اسما فيقول انا محمد واحمد والمقفي وفي رواية كما تقدم المقتفي والحاشر
وبني التوبة هذا الحديث اسنده السيوطي في الرياض الانيقة وقد مر تفسير هذه الاسماء
غير الاخير ومعناه ان توبة امته مقبولة من غير حرج عليهم حتى تطلع الشمس من مغربها
او يغرغر وكانت الامم السالفة منهم من لا تقبل توبته اصلا ومنهم من تقبل توبته بشرط
امور شاقة كما لم تقبل توبة بني اسرائيل من عبادة العجل الا بقتل انفسهم وهذه الامة تقبل
منهم مطلقا وان تكررت مع تكرر الذنوب على عدم العود ورد حقوق العباد او استحلالهم
ونحوه كما فصلوه في محله فهو لا ينافي قبول توبة غير هذه الامة في الجملة وبني الملحمة تقدم
تفسيره وبني المرحمة والرحمة وكل صحيح ان شاء الله رواية ودراية كما تقدم ايضا ومعنى
المقفي هو معنى العاقب كما مر مفصلا والاولى تفسير كلا منهما بمعنى هربا من التكرار
فمعنى المقفي التابع لهدي النبيين وسننهم والعاقب الخاتم لباب النبوة والرسالة واليه اشار
بقوله وقيل معنى المقفي المتبع لهدي النبيين واما بني الرحمة والتوبة يأتي جواب
اما وقيل معنى بني التوبة انه كثير التوبة والاستغفار لنفسه لقوله صلى الله عليه وسلم
اني لاستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة والمرحمة والراحة لان من رحمه الله فقد
اراحه من العقاب واذا اعلمه بذلك اراحه من القلق والضجر فقد قال تعالى وما
ارسلناك الا رحمة للعالمين دليل وتفسير لما قبله وقد تقدم انه لا ينافي انه بني الملحمة والسيف
اي القتال به لما تقدم وفي شرح السنة ان الامم السالفة كان من كفر منهم بعد ظهور المعجزات
يعذب بالاستيصال فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالجهاد بسيفه ليرتدعوا عن الكفر
والسيف فيه بقية لهم ويؤيده نزول ملك الجبال عليه صلى الله عليه وسلم ليطبقها عليهم

واباؤه

وا باؤه ذلك رجا ان يكونا من ذريتهم من يعبد الله ورفع عنهم الاصر واثابهم الكثير على العمل
القليل مع قصر اعمارهم وقد اثاب الله تعالى الامم السالفة مع كثرة اعمارهم واعمالهم باقل من ذلك
وذلك فضل الله يوتيه من يشا وفي جعله صلى الله عليه وسلم عين الرحمة وتعميم العالمين بها مبالغة
ظاهرة وكما وصفه اي مثل وصفه او الذي وصفه به في هذه الاية وصفه له في غيرها بان يزكيهم
اي يطهرهم من الاخلاق الذميمة والاثام المدنسة لهم بقاله وحاله وضمير يزكيهم للعالمين
وقيل لامته ويعلمهم الكتاب اي القران والحكمة اي العلوم النافعة والعقايد الحقة ومعاني
القران وفسرت ايضا باصابة الحق قولا وفعلا ووردت بمعنى القران ايضا والحكمة من الله معرفة
الحقايق الاشيا وايجادها على غاية الاحكام ومن الناس معرفة الموجودات وفعل الخيرات وهو
الذي وصف به لقمان ويصح ارادته هنا ايضا ويهديهم الى صراط مستقيم اي يهديهم على
طريق لا عوج فيه بالوحي والشريعة يوصلهم الى سعادة الدارين وبالمومنين روف رحيم
قدم متعلقة للتخصيص او للاهتمام والتشريف مع رعاية المفاصلة وموافقة نظم القران قصدا
للاقتباس من مشاكلته وتقديم الروف كما مر لانه الشفقة والتلطف بالمنعم عليه وهو مقدم كما مر
وما قيل لمن انه قدم للمفاصلة وخفة التاخير على انه اشد الرحمة تقدم رده وقد قال النبي صلى
الله عليه وسلم او الله في غير القران اذ لم يقع فيه بهذا اللفظ في صفة امته انها امة مرحومة
في الدنيا والاخرة في الحياة والممات والامة امة الدعوة او الاجابة وقد قال تعالى فيهم اي
في حقهم وشانهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة معطوف على جملة الصلة في قوله
تعالى الذين امنوا اي ترحم بعضهم بعضا اي اوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن
معاصيه وبالرحمة على خلق الله فبعثه الله وفي نسخة فبعثه صلى الله عليه وسلم ربه رحمة لامته
متفرع على ما قبله باعتبار العلم والظهور وهو في الحقيقة سبيله ورحمته المختصة بهم ظاهرة ورحمة
مفعول له او حال من الله او من ضمير النبي صلى الله عليه بمعنى راحما لهم ورحمة للعالمين ورحيما بهم
اي جعله عين الرحمة لارشاده لهم ولطفه بهم وحيلة على ذلك فلا تكرار فيه مع ما قبله
ومترحما ومستغفرا لهم اي داعيا لهم بالرحمة والمغفرة لشفقته صلى الله عليه وسلم
ووصفها بالرحمة لاجابة دعايه وتحقيق رجايه لهم كما مر ويجوز ان يكون بيانا لما مر باعتنايه
به وتفضيله وامرها اي الله عليه الصلاة والسلام بالتراحم واثنى عليهم اي امر امته
بان يرحم بعضهم بعضا ثم فسره بقوله وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب من عباده الرحما وقال
صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن وهذا خبر لفظا ما ءا معناه الامر فلذا
اردفه بصريحه بقوله ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء بالرفع والجزم وحديث
ارحموا الخ صحيح مشهور مسلسل بالاولية قيل ويوخذ من كونه صلى الله عليه وسلم رحمة
انه لا ينبغي ان يدعى له بالرحمة فيقال اللهم ارحم محمدا ورده العراقي بان كونه رحمة للعالمين
من جملة الرحمة فهو دليل لهم لا عليهم وما ورد في الحديث يتبع وما قيل انه مخصوص بالشهيد لعدم
وروده في غيره وسياتي تفصيله في بحث الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واما رواية نبي
الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف وهي صحيحة متنا وسندا كما ذكره
المحدثون وظاهره معنى لانه صلى الله عليه وسلم فرض عليه القتال واحلت له الغنايم ونصر
بالرعب ووقع من الحرب والجهاد والنصرة ما لم يتفق لغيره من الرسل وبقي ذلك في امته الى يوم
القيمة وما احسن ما قيل

عليهم ففيه حسن ترتيب واتهام للتاكيد وجعل امته امة مرحومة

جمع الشجاعة والخشوع لربه • ما احسن المحراب في المحراب •

فلاختصاصه بذلك اضيف له وروي حذيفة وفي نسخة عن حذيفة وهذا رواه احمد
والترمذي في الشمايل مثل حديث ابي موسى الاشعري السابق اي بمعناه ولفظه وفيه ونبي
الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم بالجمع لكثرة اشارة الي انه اختص بكثرتها وروي
الحربي تقدم ذكره وانه متعدد ولم يعينه المص ورواه ابو نعيم في الدلايل عن ابن ميسرة
في حديث انه عليه الصلاة والسلام بيان لانه مرفوع قال اتاني ملك فقال انت قثم
بالثا المثلثة كما مر اي مجتمع اي مجموع فيك كل كمال وخير فكني عن ذلك بكونه مجتمع في ذاته ولذا
عقبه بقوله قال والقثوم الجامع للخير كل في ذاته ولغيره وهذا اسم له صلي الله
عليه وسلم هو في اهل بيته معلوم فسمي به غيره كما تقدم هو وتفسيره وقد جات
من الفابه وهي اسماوه المنقولة واللقب ما اشعر بمدح واما قوله تعالي ولا تنابزوا بالالقاب
فمخصوص بما فيه ذم موذ كما ذكره المفسرون وسماته بمعني صفاته او هو عطف تفسيري
والسمة في الاصل الوسم والكي ثم عم لكل علامة واشتهر بمعني الصفة او المراد الصفات الواردة في القران
لان اكثر ما فيه صفات منزلة منزلة الاعلام عدة كثيرة سوي ما ذكرناه مما تقدم ذكره ومنها
ما هو حقيقة ومنها ما هو استعارة كالنور والسراج المنير كما قال تعالي قد جاكم من الله نور وقال
وسراجا منيرا وفسر بالنبي صلي الله عليه وسلم فانه نور لا ينطفي ويابي الله الا ان يتم نوره وهذا
بنا علي ما اختاره ومنهم من فسره بالقران ولكل وجهة والذي حققه المشايخ نور الله مراقدهم
كما في مشكاة الانوار لحجة الاسلام ان حقيقة النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره والعالم مشحون
بالانوار الظاهرة المحسوسة والباطنة المعقولة التي يفيض بعضها علي بعض قال والنور الحقيقي
هو الله فهو نور السموات والارض ونور الانوار وقال الاشعري انه نور ليس كالانوار والروح
النبوية القدسية لمعة من نوره والملايكة شرر تلك الانوار وبهذا صرح في هياكل النور فلذا
سمي النبي صلي الله عليه وسلم نورا ولاقتباسه من الانوار الالهية سمي سراجا لما فاض عليه
من الانوار العلوية فليس الوصف به لغوا وموكدا فان فهمت فنور علي نور فهو في الاصل
استعارة ثم ان كان سمي به صار حقيقة والمنذر والنذير وهما متقاربان معني واصل
الانذار الاعلام بما فيه تخويف قال تعالي انما انت منذر ولكل قوم هاد وقال اني انا النذير المبين
وفي البخاري انما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتي قوما فقال يا قوم اني رايت الجيش
بعيني وانا النذير العريان فالنجاة النجاة فاطاعه طايفة من قومه فادلجوا وانطلقوا علي مهلهم
فنجوا وكذبته طايفة فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذاك مثل من اطاعني
واتبع ما جيت به ومثل من عصاني وكذب ما جيت به من الحق والنذير للمبالغة في صدقه وجده
في انذاره ووصفه بالعريان لانه ابلغ في انذاره وقيل كان النذير يتجرد من ثيابه ويلوح
بها مع الصباح تاكيدا لانذاره والمبشر والمبشر قال تعالي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا ونحوه من الايات وهما من البشارة بكسر البا وضمها وهو الاخبار بخبر سار وقوله
فبشرهم بعذاب اليم تهكم وسميت بها لتغييرها بشرة الوجه اي ظاهره وقيده بعضهم
بالخبر الصادق وبنوا عليه ما لو علق عليه طلاقا او اعتاقا كما بين في كتب الفقه والاصول
وقيل انه يعم الخير والشر حقيقة وقد مر ذلك كله وقال السيوطي انه من اسما الله ايضا لقوله
تعالي يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وفيه نظر والشاهد والشهيد قال تعالي

انا ارسلناك

انا ارسلناك شاهدا ويكون الرسول عليكم شهيدا ونحوه مما مر الكلام عليه والشهادة كما في الصحاح
الخبر القاطع واصل معنى الشهادة المعاينة وسمي به لشهادته على الامم لتبليغ انبيائهم لهم ويشهد
على امته بالايمان كما ورد في الحديث ويأتي ان الشاهد من اسماء الله وان معناه العالم او الشاهد على
عباده يوم القيمة ثم سمي به النبي صلى الله عليه وسلم **والحق المبين** قال تعالى حتى جاءهم الحق
ورسول مبين وقال قد جاءكم الحق من ربكم ونحوه وفسر به صلى الله عليه وسلم والحق والصدق
متقاربان وفرق بينهما الامام بان الصدق نسبة الشيء الى الواقع والحق نسبة ما في الواقع الى الشيء
من حق اذا ثبت وسمي به صلى الله عليه وسلم لحقية نبوته ورسالته وما جاء به وجعل عين الحق مبالغة
ويأتي ان المبين من ابان ويكون متعديا ولازما بمعنى البين فمعناه الظاهر في نفسه والمظهر
لغيره قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم وان المبين من اسمائه تعالى لتبين الوهيته وعظمته
ولتبيينه لعباده امر معادهم ومعاشهم وشرائعهم **وخاتم النبيين** بكسر التاء اسم فاعل وبفتحها اسم
آلة كطابع كانه ختمهم بنفسه فهو استعارة في الاصل شاع وصار حقيقة قال تعالى ولكن رسول الله وخاتم
النبيين من ختمت الامر اذا تممته وبلغت آخره وفي الصحيحين مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى
بيتا واحسنه واكمله الا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون ويقولون هل وضعت
تلك اللبنة فانا تلك اللبنة وانا خاتم النبيين وحكمة كونه خاتما ليكون الختم رحمة وليلا يطول مكث امته
تحت الارض وليلا تطلع الامم على احوال امته وليلا تنسخ شريعته ولذلك نزل عيسى عليه الصلاة
والسلام على شريعته كما تقدم **والرؤف الرحيم** تقدم معناهما مفصلا **والامين** فعيل بمعنى
مفعول مبالغة ويكون بمعنى فاعل كقوله وهذا البلد الامين وتسميته به مشهورة قبل البعثة ووقع
في القرآن في قوله تعالى انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين فمن قول بعض
المفسرين ان المراد به النبي صلى الله عليه وسلم كما مر وان كان المشهور خلافه وانه جبريل وقال المص
انه قول اكثر المفسرين كما نقله السيوطي عنه وقيل انا لم نعلمه في القرآن في غير هذه والراجح خلافه الا
انه وقع فيه بطريق الالتزام لانه وصف به فيه من هو دونه كقوله في موسى اني لكم رسول امين وفيه
تكلف وقد سمي به وبالمامون في الجاهلية قال اخو كعب ابن زهير

سقاك ربي المامون كاسا روية • فانهلك المامون منها وعلكا

ومر انه لما تشاحت قريش فيمن يضع الحجر الاسود قالوا اول من يدخل من هذا الباب يضعه فدخل
صلى الله عليه وسلم فلما راه قالوا قد جاء الامين وان كان مشهورا به قبل البعثة فكانت توضع عنده
الودائع والامانات **وقدم الصدق** كما عده كثير من اسمائه صلى الله عليه وسلم وفي البخاري عن زيد
بن اسلم في قوله تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم قال هو محمد صلى الله عليه وسلم
ومر الكلام عليه اول الكتاب **وعن علي كرم الله وجهه** كما اخرجه
ابن مردويه انه قال في تفسيره هو محمد شفيع وفيه اشارة الى وجه التسمية من انه يبشر بان يشفع
لهم لان من عادة الشافع تقدمه على من يشفع له فعلى هذا انه سماه الله به وكذا روي عن ابي
سعيد الخدري رضي الله عنه ان معناه شفيع مصدق ومر عنه في كلام المص شفيع صدق عند ربهم
ومر عن سهل ان معناه سابقة رحمة اودعها الله اي عهد له بها ازلا انه سيجعله رحمة لهم
ولذا عقبه المص بقوله **ورحمة للعالمين** فهو كالتفسير له والقدم واحد الاقدام ويطلق على
التقدم لانه يكون بها ويقال لفلان قدم اي مقدم كما قال ذو الرمة

لكم قدم لا ينكر الناس انها • مع الحسب العادي طمت على الفخر

وكنه رحمة لجميع العالمين كما في قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقد مر الكلام عليه ونعمة الله
فهو صلى الله عليه وسلم نعمة لهم وعن ابن عباس في تفسير قوله تعالى بدلوا نعمت الله كفرا قال هم كفار
قريش ونعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم فسمي نعمة كما سمي رحمة وذلك حقيقة لمن اتبعه ولذا قال
والعروة الوثقى قال ابن دحية وابو عبد الرحمن السلمي في قوله تعالى فقد استمسك بالعروة
الوثقى هو محمد صلى الله عليه وسلم والعروة ما يتمسك به من الحبل والوثقى الوثيقة المتينة ففيه
استعارة تمثيلية تصريحية لانه من اتبعه لا يقع في هوة الضلال كما ان من مسك شيئا صعد من
حضيض المهالك ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم الصراط المستقيم ذكره ابن دحية وحية
وقال ابو العالية في قوله اهدنا الصراط المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخرجه ابن ابي حاتم وسمي به لانه طريق الى الله موصل له وتقدم ان الصراط بالصاد والسين
والزاي المشمة الطريق المستوي او الواضح والمستقيم الذي لا عوج فيه فاستعير له صلى الله
عليه وسلم لان التابع له واصل لسعادة الدارين ناج والمنحرف عنه ضال غير مهتد فلذا عقبه
بقوله والنجم الثاقب اشارة لقوله تعالى وبالنجم هم يهتدون وروي عن
السلف في قوله تعالى والنجم الثاقب انه محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
قلبه وهو بعيد وقد مر هو وما قبله في كلام المص عن جعفر الصادق في تفسير والنجم اذ هوى
وان الثاقب بمعنى المضيء المتهوج قال اضاءت لهم
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجذع ثاقبه
وهو تشبيه بليغ او استعارة من مطلق النجم او من نجم مخصوص وهو زحل لانه يهتدي به
صلى الله عليه وسلم كما يهتدي بالنجم او لانه استنارت به ظلمة الجهل فان خص بزحل فوجه
الشبه الاضاءة مع الرفعة كما قيل والكريم المتفضل او العفو او الكثير الخير او العلي كما ياتي
وكله صحيح في حقه صلى الله عليه وسلم وسمي به في قوله تعالى انه لقول رسول كريم
بناء على انه المراد به وقيل المراد جبريل كما مر وياتي والخلاف في تفسيره مشهور ولا حاجة لاثباته
بهذه الاية لاتصافه صلى الله عليه وسلم به وبمعناه في الاحاديث الصحيحة والنبي الامي قال
تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي وهو من لا يقرأ ولا يكتب وقيل هو الذي لا يقرأ ولا
يكتب ورجحه السبكي والسيوطي وفيه اقوال احدها وثانيها هذان وقيل كان يقرأ ويكتب وقيل
كان لا يقرأ ولا يكتب في اول امره لما زالت الشبهة علمه الله ذلك وذهب الى هذا بعض المحدثين
من علماء المغرب ومن تبعهم وسياتي تفصيله مع انه تقدم مرارا والامي منسوب الى الام كانه
على الحالة التي ولدته امه عليها او الى ام القرى وهي مكة او الى امة العرب وكني به عما ذكر لان القراءة
والكتابة لم تكن معروفة فيهم وقيل منسوب الى الامة لانه امة بنفسه وامية معجزة له
صلى الله عليه وسلم وان عدت منقصة لغيره لانه مع ما ظهر منه العلوم والمعارف اللدنية
ومعرفته باحوال الامم وشرائعهم وهو لا يقرأ ولا يكتب ولم يدارس ولم يتلقن ممن قرأ وكتب امر
غريب عجيب والمقصود من القراءة والكتابة ذلك لانها آلة وواسطة له غير مقصودة في نفسها
فاذا حصلت له الثمرة المطلوبة منهما استغنى عنهما بخلاف غيره مع ما في ذلك من الرتبة والاستغناء
بكتابته عن ملاقاته كما قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب
المبطلون وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لا اريد الخط لئلا يقع ظل القلم على اسم الله رواه
الترمذي ولم يسنده فجازاه الله على ذلك ان يرفع ظله عن الارض فلا يوطأ وان لا ترفع الاصوات

على صوته

علي صوته وسياتي ان من وصفه صلي الله عليه وسلم بالامية علي وجه يشعر بالتنقيص له حكم الساب وادعي
الله اي داعي الناس الي توحيد الله وطاعته كما قال تعالي وداعيا الي الله باذنه واجيبوا داعي الله
ونحوه وفي الحديث الصحيح ان ربكم فتح دارا وصنع مادبة فمن اجاب الداعي رضي عنه السيد ودخل الدار واكل
من المادبة فالسيد هو الله والداعي محمد والدار الاسلام وقال البخاري الجنة وكذا المادبة قال السيوطي
وقد وصف الله نفسه بانه داع في قوله والله يدعوا الي دار السلام فهو من جملة اسما الله التي سماه بها وقال
علي لسان الجن اجيبوا داعي الله ففيه دليل علي انه صلي الله عليه وسلم مبعوث اليهم وقال مقاتل
الي الجن نبي قبله وفسر قوله بعثت الي الاسود والاحمر بالانس والجن كما تقدم وهو مشكل بسليمان عليه
الصلاة والسلام وقد يوفق بينهما بان الله سخر له الجن مع امره لهم بتوحيد الله لانه لا يرضي الكفر الا
انه لم يكلفهم بفروع شريعته والنبي صلي الله عليه وسلم مامور بتوحيد الله بدعوتهم وتكليفهم بالعمل
بشرعه ولم يومر باستخدامهم وتسخيرهم له كسليمان في اوصاف كثيرة وسمات جليلة عظيمة
مبجلة اي ورد ما ذكر في القران والاثار مع صفات اخر كثيرة اطلقت عليه كاطلاق الاسم علي مسماه فجعل
الكثير باشتماله علي غيره كالظرف المحتوي علي مظروفه وسمات جمع سمة فجعل الكثير باشتماله علي
غيره سمة وهي العلامة لكن تجوز بها عن الصفة وهو المراد هنا وعبر به للتفنن في العبارة وجري
مثلها في كتب الله المتقدمة اي وقع منها المتقدمة علي القران كالتوراة والانجيل وغيرهما
وجري حقيقته اشرع في الشي وفي المايعات بمعني سال كجري النهر ثم شاع عرفا بمعني ووقع حدث فيقال
جري الما علي كذا ولذا تلطف الشاعر في قوله

ويحدث الما الزلال مع الصفا ۞ فجري النسيم عليه يحدث ما جري

وكتب انبيائه قيل المراد بها كلمات منقولة فان لهم عليهم الصلاة والسلام احاديث دونها
احبارهم في زمانهم قبل نسخ احكامهم ونقلها المسلمون عنهم ودونوها كالاسرائيليات وهذا يعلم
من مقابلته لما قبله واحاديث رسوله صلي الله عليه وسلم الواقع فيها وصفه او تسميته لنفسه او
قالها اصحابه بنقل عنه وبدونه وهذه كلها تسمي احاديث ايضا واطلاق الامة غير الصحابة او المراد الاعم
اي تسميتهم له صلي الله عليه وسلم ووصفهم فان اطلاق اللفظ بمعني استعماله سواء كان حقيقة ام لا
مشهور متعارف وهو في الاصل من الاطلاق بمعني فك الوثاق ثم نقل عرفا لما ذكر واسماوه صلي الله
عليه وسلم وان كانت توقيفية عند بعضهم فما اشتهر فيها وتلقي بالقبول في حكم المنقول فان الامة لا
تجتمع علي الضلالة وقد وقع هذا في كثير من اسمايه وصفاته جملة شافية فاعل جري من شفا
المريض اي شافيه من داء الجهل او من شفا العليل وهو حر العطش لانه يروي الظما ويثلج الصدر
كتسميته بالمصطفي والمجتبي هذا مما اطلقه عليه الامة ولم يرد في كتاب ولا سنة وهما بمعني وفي
الصحاح اجتباه بمعني اصطفاه واختاره واصله كما قال الراغب من جبيت الما في الحوض اذا
جمعته لجمعه صلي الله عليه وسلم المكارم والصفات الحميدة بفيض الهي من غير سعي كما قال الله يجتبي
اليه من يشا ويهدي اليه من ينيب قال السيوطي المصطفي من اشهر اسمايه صلي الله عليه وسلم
ومثله المختار وفي مسند الدارمي ان في التوراة محمد رسول الله عبدي المختار
الخ وابي القاسم وهذا اشهر كنية له صلي الله عليه وسلم كما ياتي ومنها ابو ابراهيم كما ياتي وابو المومنين
وابو الارامل كما ذكره السيوطي وهذا ورد في الحديث الصحيح ففي مسلم عن جابر رضي الله عنه انه صلي
الله عليه وسلم قال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي فاني ابو القاسم اقسم بينكم وياتي الكلام عليها في اوايل
القسم الرابع ومثله ما في كتاب الذخاير والاغلاق في ادب النفوس ومكارم الاخلاق

شافية

انه كني بابنه القاسم وهو اول اولاده صلى الله عليه وسلم من خديجة وقيل ولادة ووفاة
وظاهر النهي فيه تحريم التكني بكنيته مطلقا وهو الاصح من مذهب الشافعي **وقيل**
انه جابر بعد موته صلى الله عليه وسلم او النهي مخصوص بحياته ورجحه النووي
ووجهه ان النهي عن ذلك لئلا يتاذى باجابة دعوة غيره فيجد المنافقون فرجة لاذاه
وهو يزول بوفاته صلى الله عليه وسلم ولذا لم ينه عن اسمه مع منع الله من ندائه به وفي قول
يحرم لمن اسمه محمد دون غيره لما روي عن جابر مرفوعا من تسمى باسمي فلا يتكنى بكنيتي
ويأتي بسط ذلك في القسم المذكور **قال السبكي** وحيث حرمناه فالمحرم
التكنية وهو وضع الكنية لاحد والتكني وهو قبول المسمى لذلك واما الاطلاق فامر ثالث الا
ان يكون ذلك الشخص لا يعرف الا به فيكون عذرا واختلفوا في عمر ابنه القاسم فقيل سنتان
وقيل غير ذلك **والحبيب** وحبيب الله وهذا ثبت بالحديث الصحيح الذي رواه البيهقي
في الشعب عن ابي هريرة رضي الله عنه اتخذ الله ابراهيم خليلا وموسى نجيا واتخذني حبيبا
وقال وعزتي وجلالي لاوثرن حبيبي على خليلي ونجيي وقد مر الكلام على المحبة والخلة
والفرق بينهما والكلام على ايهما افضل وهذا الحديث صريح في تفضيل المحبة لان لها معنيين
احدهما مطلق وهو في الخلق مطلق الميل وفي الله ايثاره وتفضيله على غيره وخاص وهو في
في الناس ايثاره على نفسه وغيره وجعله نصب عينه بحيث لا يفتر عن ذكره وتملكه لقلبه
بحيث لا يكون فيه محل كسواه والخلة المودة والمعاونة مع ميل ما ولا شك انها بهذا المعنى افضل
واعلى فقول ابن القيم في كتاب الداء والدواء ما يظنه بعض الغالطين من ان المحبة اكمل من
الخلة فمن جهله فان المحبة عامة والخلة خاصة فانها نهاية المحبة فانه صلى الله عليه وسلم
اخبر بانه لم يتخذ خليلا غير ربه مع اخباره صلى الله عليه وسلم بمحبة عائشة وغيرها لم يصادف
محزه **ورسول رب العالمين** لم ينظم هذا في سلك ما وقع في القران لانه وان ورد فيه كثيرا
الا انه لم يقع فيه مضافا لرب العالمين قال الازهري الرسول المبلغ لاخبار من بعثه من قولهم
جاءت الابل رسلا اي متتابعة والفرق بينه وبين النبي مشهور **والشفيع المشفع** اي المقبول
شفاعته وسمي شافعا ايضا وقد تقدم ان له صلى الله عليه وسلم شفاعات سبعة كما تقدم
تفصيله **والمتقي** والتقي والاتقى لحديث مسلم انا اتقاكم لله والتقوى لها مراتب مفصلة في
تفسير البيضاوي **والمصلح** للخلق بارشاده وهدايته قال المص وجد على بعض الحجارة القديمة
محمد تقي مصلح امين لانه الف بين قلوب الناس وازال ما بينهم من الضغائن كما بين العرب
والعجم وقبائل العرب كما قال تعالى واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم
والطاهر بالمهملة لطهارته صلى الله عليه وسلم من النقائص والادناس الحسية والمعنوية
حتى ذهب الشافعية الى طهارة فضلاته كغائطه وبوله ودمه ورجحه السبكي والبلقيني
وافتوا به كما مر وقد شربت ام ايمن بوله وشرب جماعة من دمه ولم ينكره صلى الله عليه وسلم
وطهارته من الذنوب والاخلاق الردية كما تقدم **والمهيمن** ويأتي ان هذا سماه به عمه
العباس رضي الله عنه في شعره المشهور الذي مدحه صلى الله عليه وسلم به وقد تقدم
روايته له وفيه

حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف عليها تحتها النطق

وميمه الاولى مضمومة والثانية مكسورة وروي فتحها ايضا وهو كما انه اسم له صلى الله عليه وسلم

صح

صح انه من اسما الله ومن اسما القران قال تعالى وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من
الكتاب ومهيمنا عليه وفسر في الاية بمحمد صلى الله عليه وسلم على انه حال من كاف اليك والراجح
تفسيره بالقران على انه حال بعد حال من الكتاب والذي لم يذكره المص في اسمايه صلى الله
عليه وسلم الواردة في القران **وقال ابن قتيبة** انه في اسما الله معناه الشاهد
وقيل الرقيب وقيل القايم على خلقه وقيل الامين اي وتبعه المص في بعض ذلك كما ياتي بيانه
واصله مؤيمن بما قلبت همزته ها وقيل المهيمن وهو في اسما النبي صلى الله عليه وسلم
بالمعنى الاول او الرابع او الخامس انتهى وهو عنده اي المص مصغر مؤمن على ما سياتي وتصغيره
للتعظيم وقد رد هذا وشنع عليه فيه بان اسما الله واسما النبي صلى الله عليه وسلم والقران
بل كل معظم لا يجوز فيها التصغير كما ياتي ولم يرد مثله ولذا ارتضى ابو علي في الحجة انه اسم
مكبر ورد بهذه الزنة كالمبيقر والمسيطر وفتح ميمه يدل على ما قاله واذا وصف به القران
رئيس الكتب العالي عليها لحفظه من التغيير والتبديل واعجازه ببلاغته ومزاياه وقيل
معناه المصدق ويبعده تعديته بعلى الا ان يقال انه لما فيه من معنى العلو وعلى انه من الامن
ظاهر لانه امنهم من الخوف **والصادق والمصدوق** وسمي بالصدق ايضا والمصدق اسم
فاعل بالتشديد كما ذكره ابو بكر بن عربي وفي صحيح البخاري حدثنا رسول الله وهو الصادق
المصدوق قاله ابن مسعود وقد ورد هذا في عدة احاديث رواها السيوطي لانه صدق الانبيا
والكتب التي قبله والمصدوق اسم مفعول من صدق المتعدي كما ورد صدق وعده والصادق من
اسما الله تعالى ايضا وورد في حديث الاسما كما قاله السيوطي **والهادي** عدة جماعة في اسمايه
اخذا من قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم وهو من اسما الله ايضا وياتي هذا ان الهداية
تطلق على خلق الاهتدا ويوصف بها الله خاصة وهي المنفي في قوله انك لا تهدي من احببت
على قول وعلى البيان والدلالة ولكل قوم هاد لا تستعمل الا في الخير وقوله واهدوهم الى صراط
الجحيم تهكم وهدايته صلى الله عليه وسلم لما فيه من صلاح المعاش والمعاد ظاهرة وقد اشبعنا
الكلام عليه في حواشي البيضاوي **وسيد ولد ادم** وقد ورد اطلاقه عليه في احاديث كثيرة
صحيحة كما في حديث الشفاعة انطلقوا الى سيد ولد ادم وفي حديث الصحيحين انا سيد الناس
يوم القيمة وهو من اسما الله ايضا كما اثبته البيهقي في كتاب الصفات فيجوز اطلاقه على الله
وعلى غيره مطلقا وهو احد اقوال اربعة فقيل يختص بغيره ولا يجوز اطلاقه عليه واستدل
للاول بانه لما قال له صلى الله عليه وسلم وقد بني عامر انت سيدنا قال السيد هو الله وهو
حديث صحيح كما مر وتحقيقه انه على الاطلاق معناه العظيم المحتاج اليه غيره وهذا مما يوصف
به الله وغيره واما تخصيصه بغير الله كما روي عن مالك فلانه لم يثبت عنده اطلاقه على
الله ولان معناه رييس القوم الذي تفخر ويعز باتباعه وسيد القوم منهم وهذا لا يليق بالله
ولذا فسر اذا اطلق على الله بما مر واما اختصاصه بالله فلان معناه المالك المتصرف في امور
غيره وهذا في الحقيقة انما هو لله واما التفصيل فلانه معرفا المعهود بالعظمة وكونه ملجاء
لكل احد وهذا مختص به تعالى وهذا اضعفها فان قلت اذا صح الاول فما تصنع
بالحصر في حديث السيد هو الله قلت اذا ثبت وصف الشي وحده او مع غيره واريد
رده فللعرب فيه طرق اظهرها ان يوتى بصريح الحصر كقولك لا معبود الا الله قلبا وافرادا
او يعرف الطرفان كالمعبود الله وهو كالذي قبله معنى الا انه قد يجا بسيئا لفطنة مخاطبه

فهو ابلغ في مقامه او يجعل من اثبته الزاعم له الصفة عين من هي له في نفس الامر كما يقال للدهري
الدهر هو الله اي لا دهر ولا تصرف لسوى الله فاثبت له التصرف ونفاه عما عداه بطريق برهاني
كقوله تعالى ان كان للرحمن ولد الخ وهذا نوع من ادق من غيره سماه الشيخ التنويع وذكره سيبويه
في باب الاستثنا فقوله السيد هو الله يحتمل اجراوه على ظاهره وان يكون من هذا القبيل فلا دليل
فيه على انه من اسما الله فضلا عن اختصاصه فاعرفه فانه من نفايس الذخاير المكنوزة في دفاين
الخواطر وقد منا ذلك اول الكتاب في الباب الاول وانما اعدناه لطول العهد والمراد بولد آدم النوع
الانساني وكذا كل جماعة سموا باسم ابيهم جاز اطلاق الاولاد عليه واطلاقه عليهم كما يقال تميم له
ولاولاده وكذا يقال بنو تميم لما يشمل تميم وهو القبيلة وهذا مجاز شاع حتى صار حقيقة عرفية
كما فصله القرافي في كتاب العقد المنظوم وعده من الفاظ العموم فمن قال الولد للواحد والجمع
فان كان مفردا ينبغي ان يكون الاضافة للاستغراق بقرينة المقام اي انا سيد كل ولد ادم وان
كان للجمع فالامر ظاهر ويلزم من كونه سيد ولد ادم سيادته على آدم اذ فيهم من هو افضل
من ادم كابراهيم وموسى عليهما الصلاة والسلام فقد تكلف ما لا حاجة اليه لعدم وقوعه
على ما ذكر وفي الحديث انا سيد ولد آدم يوم القيمة لانه يظهر فيه سيادته على ساير المرسل
من غير منازع فيه وان كان سيدا في الدارين كما مر **وسيد المرسلين** كما ورد في احاديث صحيحة
واذا كان صلى الله عليه وسلم افضل من ساير المرسلين فهو افضل من ساير النبيين لان الرسول
افضل من النبي وان اختلف في تفضيل الرسالة والنبوة **وامام المتقين وقايد الغر المحجلين**
جمعهما المص لورودهما كذلك في حديث رواه البزار انه صلى الله عليه وسلم قال ليلة اسري
بي انتهيت الى قصر من لؤلؤة يتلالا نورا واعطيت ثلاثا قيل لي انك سيد المرسلين وامام
المتقين وقايد الغر المحجلين وقد ورد تسميته صلى الله عليه وسلم بامام النبيين وامام المتقين
وامام الناس وامام الخير كما في الرياض الانيقة والاول ذكره ابن سيد الناس في سيرته
وعن قتادة في قوله تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم ان الامام المراد به النبي
صلى الله عليه وسلم والامام في اللغة المقتدى به ويطلق على الواحد كقوله تعالى اني جاعلك
للناس اماما قال ابن الانباري وسمي صلى الله عليه وسلم امام النبيين لانه اسبقهم في النبوة
الروحانية ولانه امهم في الاسرا كما مر واخرج احمد والترمذي اذا كان يوم القيمة كنت
امام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم **وفي رواية** احمد كنت امام الناس
ومنها اخذ تسميته صلى الله عليه وسلم به وامام المتقين ان اريد به امته صلى الله عليه وسلم
فظاهر وان اريد الامم موافقة لرواية امام الناس فالاقتدا الانبيا به **وفي بعض
الشروح** ان كل متقن سوا كان من امته او من الامم السالفة مقتد به لانهم في السير الباطني
اشرفوا على المقام المحمدي وامنوا به واهتدوا بهديه وامام الخير ورد في حديث رواه ابن مسعود
رضي الله عنه قال اذا صليتم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم
لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا له فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك
وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام
الخير وقايد الخير رسول الرحمة اللهم ابعثه المقام المحمود الذي يغبطه به الاولون والاخرون
وقايد اسم فاعل من القود وهو تقدمه على من يتبعه باختياره وهو يقودهم الى الجنة
برضاهم وفي القاموس القود نقيض السوق والغر جمع اغر واصل الغرة بياض في جبهة

الفرس

الفرس فالمراد به مطلق بياض الوجه هنا والتحجيل بياض في القوائم وفي الصحيحين أنا متي
يدعون يوم القيمة غرا محجلين من اثار الوضوء وورد بمعناه من طرق كثيرة وقد زين لهم
وقد جعل ذلك علامة لهم يعرفون بها بين الامم يوم القيمة والتقبير به وبالعقود مما هو
معروف من صفات الخيل فيه اشارة الي انهم جياد سابقون علي غيرهم ففيه استعارة مكنية وتورية
كقوله

الناس للموت كخيل الطراد ٭ والسابق منها الجواد ٭

وبهذا استدل علي ان الوضوء من خصائص هذه الامة وقيل انه غير مختص بهم وانما المختص
بهم الغرة والتحجيل لحديث هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي واجيب بضعفه واحتمال
ان يكون الانبياء عليهم الصلاة والسلام اختصوا به دون امتهم علي تقدير صحته بعيد وكون
بياض الغرة اثر الوضوء لا ينافي كونه من اثار السجود وادعاء انه غيره فيه نظر وحبيب الله تقدم
بيان معناه خليل الرحمن كما تقدم تحقيقه وصاحب الحوض المورود رواه ابن حبان
والحاكم وقال السيوطي حديث الحوض مروي عن اكثر من خمسين صحابيا اي وتقدم سرد بعضهم
في كلام المصنف ومنهم ابو برزة الاسلمي وحديثه سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول
اني لبحوضي ما بين ايلة الي صنعاء عرضه كطوله فيه ميزابان من الجنة احدهما من ورق اي فضة
والاخر من ذهب ماؤه احلي من العسل وابرد من الثلج وابيض من اللبن من شرب منه لم يظمأ
حتي يدخل الجنة فيه اباريق عدد نجوم السماء وقال القرطبي ذهب جماعة الي ان حوضه صلي
الله عليه وسلم بعد الصراط والصحيح ان لحوضين احدهما في الموقف قبل الصراط والثاني
في الجنة وكلاهما يسمي كوثرا واختلف هل هو قبل الميزان او بعده والصحيح انه قبله والمعني
يقتضيه فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا ويزداد عطشهم في السعي الي المحشر فيردونه
قبل الميزان والصراط وورد ايضا التسمية صلي الله عليه وسلم بصاحب الكوثر وسمي به
لاختصاصه به وفي بعض الكتب لكل نبي حوض وتسميته به صلي الله عليه وسلم لعظم حوضه
وزيادته ومثله يحتاج لنقل والمورود اسم مفعول من الورد بالكسر وهو الذهاب للماء
ويلزمه الشرب عادة فلذا عبر به عنه وهو وان كان اسم مفعول لابد له علي المبالغة فالمراد
به كثرة الواردين عليه ولولاه كان الوصف به لغوا وقد ورد التصريح به الشفاعة اي
من اسمائه صلي الله عليه وسلم صاحب الشفاعة وقد تقدم بيانه وصاحب المقام المحمود
وهو مقام الشفاعة العظمي كما مر وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة
الوسيلة السبب الموصل لامر عظيم سمي بذلك لانه سبب لكل خير وفسر في الحديث بمنزلة مخصوصة
كما ورد في حديث مسلم السابق سلوا الله لي الوسيلة كما قال السيوطي القرب من الله والمنزلة
عنده وكونه صلي الله عليه وسلم صاحب فضيلة ودرجة عالية رفيعة حسا ومعني في
الدنيا والاخرة غني عن البيان وصاحب التاج قيل المراد بالتاج هنا العمامة ونقل عن
المحب رحمه الله والعمايم تيجان العرب لكونها معروفة عندهم دون غيرهم فكني به عن انه
من صميم العرب واشرفهم حسبا ونسبا وروي عنه صلي الله عليه وسلم انه لم يلبس
العمامة غيره من الانبياء وفي مقدار عمامته وكيفيتها تفصيل في السير والذي فيه رسالة
مستقلة وكان له صلي الله عليه وسلم عمامة تسمي السحاب نشر لها قلنسوة ودخل مكة في الفتح
وعلي راسه عمامة سوداء وهو لا ينافي رواية انس رضي الله عنه انه كان عاكسر راسه مغفر

مغفر ولبس صلى الله عليه وسلم حمامة حمرا ايضا ولم يلبس خضرا اصلا وصاحب المعراج وهو السلم
فهو اسم آلة وقال السيوطي هو عروجه وصعوده صلى الله عليه وسلم للسما والاسرا سيره
من مكة الى القدس فهو مصدر ميمي فبينهما فرق وان اطلق كل منهما على الاخر كما مر وهو الذي
تصعد عليه الارواح والملايكة ولم يصعد عليه في الدنيا بجسده احد غيره صلى الله عليه وسلم
فلذا خص بالتسمية به وسمي ايضا صاحب اللوا قال السيوطي المراد به لوا الحمد الذي تقدم وقد
يحمل على اللوا الذي كان يعقده صلى الله عليه وسلم للحرب فهو كناية عن القتال قال وهو
مما يحمل في الحرب ليعلم به صاحب الجيش يحمله هو بنفسه وقد يحمله غيره وقريب منه
الراية وفرق بينهما وفي الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما كانت رايته
صلى الله عليه وسلم سودا ولوؤه ابيض وقيل كان مكتوبا عليه لا اله الا الله محمد
رسول الله واول ما حدثت الرايات في الاسلام يوم خيبر وما كانوا يعرفون قبل ذلك الا
الالوية والقضيب اي من اسمايه صلى الله عليه وسلم صاحب القضيب وهو السيف كما قاله المصنف
وتبعه السيوطي وياتي انه وقع مفسرا به في الانجيل حيث قال معه قضيب من حديد يقاتل به
وانه يحتمل ان يراد به القضيب الممشوق الذي يمسكه الخلفا وفي كتاب البيان للجاحظ انه
كانت له صلى الله عليه وسلم مخصرة وقضيب وعنزة تحمل بين يديه وهكذا كانت عادة
عظما العرب وخطبايهم وما قيل من ان المراد به القضيب الذي اعطاه صلى الله عليه وسلم
لبعض الصحابة فانقلب سيفا كما هو معروف في معجزاته تكلف ناش من ضيق العطن وراكب
البراق والناقة والنجيب البراق بزنة غراب من المخلوقات العلوية روي ان وجهه كوجه
الانسان وجسده كالفرس وقوايمه كالثور وذنبه كالغزال وليس بذكر ولا انثى وسمي به
لسرعته او لبياضه وصفايه او لما فيه من قليل سواد من قولهم شاة برقا وركبه صلى الله عليه
وسلم لما اسري به واختلف فيه هل ركبه غيره من الانبيا ام لا وهل ركبه معه جبريل ام لا كما
تقدم ذلك كله فان قلنا لم يركبه غيره فوجه التسمية به ظاهر وان قلنا ركبه غيره فوجهه
ان ركوبه بهذه السرعة وصعوده الى السما مخصوص به على ان وجه التسمية لا يلزم اطراده
والنجيب الجمل وقد سمي براكب الجمل ايضا في الكتب القديمة كما سمي عيسى عليه الصلاة
والسلام براكب الحمار ولذا قال النجاشي لما جاه كتابه صلى الله صلى الله عليه وامن به اشهد
ان بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل وسمي به مع ركوبه صلى الله
عليه وسلم الفرس والبغل والحمار لانه كناية عن تواضعه او لهجرته عليه او كونه من صميم العرب
وكان له صلى الله عليه وسلم جمال ونوق مذكورة في السير وقيل المراد بالنجيب الناقة وقيل النجيب
اسم فرس له صلى الله عليه وسلم اشتراه من اعرابي وهو الذي شهد له به خزيمة وهو غريب صاحب
الحجة وهو الدليل الذي يحج به الخصم وهو المراد او المراد المعجزة وهي بلغت الفا واعظمها القران والسلطان
بضم السين وسكون اللام وقد تضم وهو يذكر ويونث وله معان منها البرهان والملك والنبوة
والغلبة ويصح ارادة كل منها هنا وسمي صلى الله عليه وسلم بهذا في كتاب شعيا وبعض الكتب القديمة
والخاتم اي صاحب الخاتم بالكسر والفتح وهو خاتم النبوة الذي كان بين كتفيه صلى الله عليه وسلم
كزر الحجلة وبيضة الحمامة وقيل انه كان فيه كتابة الله وحده لا شريك له او محمد رسول الله او توجه
حيث شيت فانك منصور وذكره مع السلطان لانه ورد مقرونا به في كتاب شعيا وقيل المراد به
الخاتم المعروف لانه لم يعرف في العرب ولا في الانبيا من ختم الكتب سواه وفيه نظر والعلامة اي علامة النبوة

وهي الخاتم

وهي الخاتم ايضا وقد ورد نعته به في الكتب القديمة وهو من شواهد نبوته صلى الله عليه وسلم
الدال على ان الانبيا ختموا به كما ورد في حديث ويجوز ان يراد به مطلق العلامات التي كان
اهل الكتاب يعرفونه بها كما يعرفون ابناهم وصاحب الهراوة بكسر الهاء ثم را مهملة ثم الف
وواو وتا تانيث وهي العصاة الضخمة وجمعها هراوى كمطايا وقال المص كما ياتي انها العصا
الواردة في حديث الحوض انه يذود بها الناس عنها وقال النووي انه ضعيف او باطل
لان المراد وصفه صلى الله عليه وسلم بما يعرفه الناس ويعلم اهل الكتاب انه المبشر به في كتبهم
فلا وجه لتفسيره بامر يكون في الاخرة فالصواب ما تقدم ومن سنن الانبيا حمل العصاة تواضعا
والنعلين اي صاحب النعلين وقد ورد تسميته صلى الله عليه وسلم بهذا في الانجيل وفي
كيفية نعليه كلام مفصل افرده بعض اهل العصر بالتاليف وكان له صلى الله عليه وسلم نعلان
سبتية بكسر السين اي لا شعر عليها او مدبوغة وما قيل من انه سمي به لما فيه من مخالفته لاهل
الجاهلية من تنعلهم في رجل واحدة وقد ورد النهي عنه في الحديث الاولى تركه ومن اسمايه
صلى الله عليه وسلم في الكتب الالهية المنزلة على من قبله من الانبيا عليهم الصلاة والسلام
المتوكل فهو اسمه في التوراة ونصها انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل وهو الذي يكل امره الى
الله ويعتصم به والتعلق بالله على كل حال وقيل التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع من
الحول والقوة وهو فرع التوحيد وكان صلى الله عليه وسلم ارسخ الانبيا قدما فيه وموكل
العوام مباشرة الاسباب مع الاعتماد على مسببها واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
لو توكلتم على الله حق توكلكم لرزقكم كما ترزق الطير تغدو بطانا وتروح خماصا وتوكل الخواص
وهو ترك الاسباب بالكلية والمختار اسم مفعول من الاختيار وهو الاصطفا لانه خيار من
خيار وفي التوراة عبدي المختار لا فظ ولا غليظ ومقيم السنة سمي به في التوراة والزبور
في قوله اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة لن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا والمراد
سنة من قبله من الانبيا عليهم الصلاة والسلام وطريقتهم باظهار التوحيد ودعوة الخلق من
قامت السوق فعقب ففيه استعارة مكنية بجعل ذلك كالامتعة المرغوب فيها او معدلها ومسويها
والمقدس بالتشديد اسم مفعول وفي الرياض الانيقة معناه المفضل على
غيره وقال ابن دحية معناه المطهر المنقي من دنس الذنوب والنقايص من التقديس وهو
التطهير ومن اسما الله القدوس اي المنزه عن سمات النقص والحدوث وقيل تقديسه الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم وروح القدس بضمتين وضم وسكون وهذا سقط من بعض
نسخ الشفا اي الروح المقدسة من النقايص وروح القدس في القران فسر بجبريل عليه الصلاة
والسلام والقدس الطهارة او الله واضافة الروح له تشريفية كروح الله عيسى وروح الحق
الحق هو الله وقال ابن عربي في النصوص انه اسم الله الاعظم وهو صلى
الله عليه وسلم مظهره وهو اي روح القدس وروح الحق معنى البارقليط في الانجيل
فانه فيه سمى النبي صلى الله عليه وسلم الفارقليط وفسر بما ذكر وروايته مفسرا به في
شرح الانجيل للمسيحي الطبيب الا انه حرفه وقال المراد بروح الحق احد الاقانيم الثلاثة
عندهم قاتلهم الله وقال ثعلب هو احمد بن يحيى الشيباني البغدادي امام اهل اللغة
المشهور ومولده في حدود المايتين ووفاته في جمادى الاخرة سنة احدى وتسعين ومايتين
في تفسيره له البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل قال ابن دحية وهو اسمه

صلى الله عليه وسلم في الكتب القديمة **وروي** عن ابن عباس ايضا وروي بالبا الفصيحة
وبالبا غير ضافية وفي المقتفي للحلبي الذي احفظه انه بموحدة في اوله والف ورا مكسورة وقاف
ساكنة ثم لام تليها يا مثناة تحتية ساكنة وطا مهملة وهو الصحيح وفي بعض الحواشي انه روي
بفتح الرا وقد تسكن وقاف تفتح مع السكون وتسكن مع الفتح ومعناه محمد **وفي**
الرياض الانيقة معناه الحامد او الحماد والذي عليه اصحاب الانجيل ان معناه
المخلص وعبارة الانجيل اي ذاهب الى ابي وابيكم يبعث اليكم الفارقليط وفي شرح هياكل
النور للدواني هو بالفا ثم الف ورا مكسورة وقاف ساكنة ولام مكسورة ثم طا مهملة والف
مقصورة وهو لفظ عبراني معناه الفارق بين الحق والباطل والمراد مظهر الولاية التي
هي باطن النبوة والمراد بابي وابيكم ربي وربكم والاوايل يسمون المبادي بالاباء انتهى فالحاصل
انه بباء مشوبة بفا واخره الف ثم عرب ببا وفاء وحذفت الالف من اخره ففيه ثلاثة اوجه
وقالوا حقيقته المخلص كما قلت وتفسيره بالفارق الخ بيان لحاصل المعنى ومن كذب جهلة
النصارى ان الفارقليط نار تنزل على التلاميذ من السما بها يفعلون العجايب **وفي**
ترجمة الانجيل ان احسنتموني فاحفظوا وصيتي وان اطلب ليعطيكم فارقليط
اخر يكون مقيم الدهر كله قال بعض اهل العلم بالكتب السالفة هذا صريح في ان الله يبعث
اليهم من يقوم مقامه في تبليغ رسالته ويكون شريعته مويدة وليس الا هو محمد صلى الله
عليه وسلم وهم يختلفون في معنى الفارقليط والذي صح عنهم انه الحكيم الذي يعرف السر
وفي الانجيل ما يدل على انه الرسول فانه قال هذا الكلام الذي تسمونه ليس هو لي بل للاب
الذي ارسلني كلمكم بهذا وانا معكم واما البارقليط فروح القدس الذي يرسل الي باسمي
فهو يعلمكم كل شي ويذكر جميع ما اقول لكم وهم يزعمون ان روح القدس تفسير للبارقليط
كما رايته في شرح الانجيل واما الاب فكلمة تعظيم للمعلم وهم يسمون العلما ابا روحانية وقوله
يرسل باسمي اي يشهد بصدق رسالتي وبهذا اتضح لك لفظه ومعناه وهذا انتخبته
من كتب عديده فاحفظه **ومن اسمايه صلى الله عليه وسلم في الكتب السالفة ماذ ماذ**
ومعناه طيب طيب وروي موذ موذ وميذ ميذ والاول هو الذي صح روايته عند المص والثاني
ذكره العرفي وقال انه اسمه صلى الله عليه وسلم في صحف ابراهيم وذكر الثالث وقال انه اسمه
صلى الله عليه وسلم في التوراة وهو بميم مفتوحة والف غير مهموزة وذال معجمة ساكنة
كما في المقتفي وقال انه ينبغي ضم داله لانه اسم غير منصرف للعلمية والعجمة وتقديره انت
ماذ ماذ اي يا ماذ **ونقل الشهاب الحجازي** الاديب شيخ
السيوطي نقلا عن السهيلي ان ميمه مضمومة والفه مهموزة بين الواو والالف وقال
انه سمعه من بعض احبارهم والظاهر انه تكرر للتاكيد او المراد انه طيب في نفسه او في دنياه
وطيب في صفاته واخرته وكونه اسما واحدا مثل مرمر او مركب خلاف الاصل وقيل ان داله
مهملة **وفي شرح رسالة الكندي** المنسوب للغزالي
انه سمع ممن اسلم من احبار اليهود انه في التوراة اشارة لمحمد صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى لابراهيم اني قد استجبت لك في اسماعيل وانا اباركه واعظمه بماذ ماذ
وهو محمد من طريق العدد لان فيه ميمين في مقابلة وبا موحدة والفين باثني عشر
وهو عدد الحا والدال من محمد وهذا يقتضي ان داله مهملة وهذا مما لم يذكره احد من ارباب

الحواشي

الحواشي والشروح وما قاله التلمساني من انه يحتمل ان يكون ماخوذا من الماذي وهو العسل
الابيض الحلو وتد في ذاته وصفاته او الماذي بمعنى الدرع المتينة السهلة لانه حصن حصين
للعالمين ليس بشيء لانه يقتضي انه عربي ولم يقل به احد قط **وحطايا** هذا وما قبله رواه ابو نعيم
في الدلايل عن ابن عباس رضي الله عنهما وضبطه الشمني في حاشيته بفتح الحا المهملة وفتح الميم
المشددة وطا مهملة مخففة والف بينهما مثناة تحتية وفي الغرر بيني انه بكسر الحا وبيم ساكنة
يليها يا مثناة تحتية والف ثم طا والف هكذا حميا طا وفي المواهب انه بفتح الحا وسكون الميم ومثناة
تحتية والف وطا مهملة والف بعدها وقال انه بكسر وبا او نون واما معناه فقال ابو عمر وعن
بعض الاحبار انا معناه يمنع من الحرام ويحمي الحرم اي يمنع ما كانوا في الجاهلية من الانتهاك وغيرها
من المحرمات فالحرم بفتحتين او بضم ثم فتح **وفي الرياض الانيقة** معناه حامي
الحرم او بني الحرم **والخاتم والخاتام** حكاه كعب الاحبار وقد مت ترجمته واختلف الشراح في
ضبط ذلك ورواياته فقبلهما بالخا المعجمة الا ان الاول بفتح الخا والثاني بكسرها او بالعكس
وهو بعيد لانه تقدم فلا وجه لاعادته وقيل الاول معجم والثاني مهمل وفسر بانه احسن الانبيا
خلقا وخلقا كما ذكر والظاهر انه من الختم وهو الاحكام لاحكام القضا بالاحكام ويجمع
على ختوم كما قال امية بن ابي الصلت

عبادك يخطيون وانت رب ... يكفيك المثانا والختوم

والخاتم القاضي كما في الصحاح ووجه الاول انجماد الانبيا كالخاتم الذي يتزين به فهذا اما
كما تفسير للخاتم بالمعجمة فهو في قوله **وقال ثعلب فالخاتم الذي يجمع الانبيا والخاتم**
احسن الانبيا خلقا وخلقا يكون اشارة الى تفسيره على وجه يسقط به التكرار
وسكت عن الثاني لظهوره وان كانا الاول ذهنا بالمعجمة والثاني بالمهملة كما ضبط في بعض
السروح والحواشي وهو المروي عن المم ففيه مع التكرار ان تفسير الخاتم بالمهملة بما ذكر
ليس معروفا في اللغة وانما معناه ما تقدم حتما الا ان يتكلف انه من الختم بمعنى الخالص وقد قالوا
فيه انه مقلوب من المحن ولك ان تقول انه من الختامة وهو بقية الطعام كانه آخر ما بقي
من نظم الله وقرن بالخاتم وان تكرر لهذه النكتة والعجب من الشراح اذ لم يتعرضوا لهذا مع
ظهوره **وتسمى بالسريانية** وهي لغة ادم عليه الصلاة والسلام واول اللغات ومنها تشعبت
سايرا للغات ثم صارا صول اللغات ثلاث السريانية والعبريانية والعربية وفي بيان
معنى بيانها كلام لا حاجة اليه هنا وهي بضم السين وتشديد الراء مكسورة وما قيل انه من السرة
لا دال الله عليها لادم سرا بعيد وقال السيوطي رحمه الله ان سوال الغير بالسريانية **مشفح**
بضم الميم وفتح الشين المعجمة وفا مفتوحة او مكسورة مشددة فيهما وروي بالقاف وحاوه
مهملة وسمي به صلى الله عليه وسلم في كتاب شفيا وقال البرهان لا اعلم صحته ولا معناه
ونقل بعض اهل العصر عن ابي فورك ان معناه محمد لانهم يقولون شفح لها اي
يحمد الله ونبع فيه التلمساني **والمخمنا** قال البرهان هو بضم الميم ونون ساكنة ثم حا مهملة
مفتوحة وميم مكسورة ونون مفتوحة مشددة والف مقصورة وقال التلمساني النون
الثانية مثلثة ومعناه روح القدس وهو بالسريانية محمد وبالرومية البرقليطس
ونحو منه في تذكرة الصعدي وضبطه بعضهم بفتح اليمين ونقله السيوطي عن ابن دحية
وقال ابن سيد الناس في السيرة معناه محمد وهو محتمل لانه اسم له ولكونه بمعناه **واسمه**

في التوراة احيد قال السهيلي هو بضم الهمزة وسكون الحاء المهملة وفتح المثناة التحتية وكسرها ودال مهملة
وقيل انه بفتح الحاء المهملة وسكون الياء التحتية والمحفوظ فتح الهمزة وسكون المهملة وفتح التحتية
وهو عربي وفي الكامل رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم
قال اسمي في القرآن محمد وفي الانجيل احمد وفي التوراة احيد وانما سميت احيد لاني احيد امتي
عن نار جهنم وكذا اخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ويؤيده انه ضبط بكسر الحاء مع فتح الهمزة
وضمها وهو عزي بن حاد يحيد اذا عدل وما ال اذا لم يكن من توافق اللغات وذكره الماوردي في
تفسيره وضبطه بعد الالف وكسر الحاء كما في الرياض الانيقة وفي الشرح للجديدان الذي
في المشرع بضم الهمزة وحاء مكسورة مهملة ومثناة تحتية ساكنة والمشهور فتح الهمزة وسكون الحاء
وفتح الياء وفي نسخة بفتحها وكسر الحاء وسكون الياء وما قيل انه من الوهم لانفراده في ذاته وصفاته
فيما لا يخفى وروى ذلك ابن سيرين الامام المحدث الثقة الزاهد الورع الشايع صيته في الآفاق
ابو بكر محمد بن سيرين الانصاري وروى عنه الائمة الستة وتوفي بعد مائة تفسير بعض الاسماء
السابقة فقال ومعنى صاحب القضيب اي السيف كما تقدم ومعنى مبتدا خبره وقع ذلك
مفسرا في الانجيل قال اي الله في الانجيل وكون فاعله ضمير الانجيل تجوز او تخلق وفي القاموس
القضيب السيف القاطع كالقاضب سمي به من القضب لانه اقتطع من الحديد معد قضيب
من حديد يقاتل به وامته كذلك اي تقاتل بالسيف لاعدائهم اشار الى معنى احيد فقال وقد
يحمل على انه القضيب المسكوك اي قد يفسر به وهو مجاز بنى الحاء على الظهر فيحمل التاويل
به لجعله عليه الصلاة والسلام استعارة صارت حقيقة شايعة فيه وقد للتحقيق وقد تجعل
للتقليل لقلة تفسير بالسبة لما قبله وقضيب فعيل بمعنى فاعل من قضبه بمعنى قطعه فهو في السيف
بمعنى انه بالغ في القطع الى الحد لم يصل البه سواه فهو عبارة عن شجاعته وكثرة جهاده وكثرة غزواته
وفتوحاته وغنايمه فاذا كان بمعنى العصا فهو بمعنى مفعول لانه يقطع من الشجر وقد مر انه كان
له صلى الله عليه وسلم عصا على عادة العرب في اتخاذ عظمايهم وخطبايهم عصيا يشهرونها
كما قال الشاعر

في كفه خيزران ريحه عبق ... في لكف اروع في عرنينه شمم

كما في كتاب العصا للجاحظ وفي القاموس فقضيب ممشوق طويل دقيق من المشق وهو
جذب الشيء ليطول وكان للصلى الله عليه وسلم قضيب وهو الذي كان يمسكه عليه
الصلاة والسلام وهو الان عند الخلفا يمسكونه بتركا به فكان لهم واحدا بعد واحد
واما الهراوة التي وصفوها فقالوا في تسميته صاحب الهراوة وتقدم تفسيرها فكان صلى الله
عليه وسلم يحملها ويتوكا عليها وهو من سنن الانبيا فمعنى في اللغة العصا وارها والله اعلم
بضم الهمزة او فتحها بمعنى اظنها او اعتقدها واما المراد بهما هنا في التسمية العصا المذكورة
في حديث الحوضي الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن
اذود بمعنى اطرد وامنع وهو بذال معجمة في اول ومهملة في اخره وهذا الحديث رواه مسلم
في المناقب هكذا لاهل اليمن اي لاحلهم فانهم على بيرشقتهم اجابوا دعوته صلى الله عليه
وسلم من غير تردد وقتال فاوردهم الحوضي قبل غيرهم ليريحهم كما اراحوه فالجزا من
جنس العمل وفيه روايات فمن روى لاهل اليمن كما ذكر ومع صحة معنى قالوا انه من اطناب
العلم ومر عن النووي ان هذا التوجيه ضعيف او باطل لان المراد تقريبه صلى الله عليه وسلم

بصوته

بصفة يعرفها الناس ويستدل بها عليه وانما المبشر به في الكتب السالفة التي ميز فيها العنوان فلا وجه
لتفسيره بما في الاخرة مما لم يتيقنونه ولكن يكفي في ذلك ذكره مع ما وقع في الكتب الالهية التي لم
يقراها او يقول من فسره بهذا انما اراد تفسيره بامر يختص به ويصيره علما له وتقدم انه قيل الاحسن
حمله على العصا التي اعطاها صلى الله عليه وسلم لبعض الصحابة فانقلبت سيفا فانه معجزة له كما
قال الصرصري يمدحه صلى الله عليه وسلم

وعصاه لما مسها بيمينه • فضلت عصا صارت الى ثعبان

يعني انها صارت معجزة اقوى من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بعصاه **التاج فالمراد به**
العمامة كما تقدم **ولم تكن حينئذ** اي في عهد مبعثه وحياته صلى الله عليه وسلم **الا للعرب**
والعمايم تيجان العرب اي قايمة مقام تيجان العجم المعهودة بينهم والتاج ما يوضع على الراس
من الذهب المرصع بالجواهر والعمايم جمع عمامة وسياتي الكلام على عمامته صلى الله عليه وسلم
ولما لم يقنع في وصف الحبيب المعمم بما مر قال **واوصافه** اي الاوصاف التي اطلقت عليه **والفابه**
وسماته جمع سمة وهي العلامة كما تقدم **في الكتب كثيرة** اراد بها كتب الحديث والسير او الكتب
الالهية **فيما ذكرنا مقنع ان شا الله** اي في المقدار الذي ذكر ما يحصل به القناعة عن غيره مما في
الكتب وفي المصباح مقنع كجعفر ما يقنع به يعني انه اسم مكان تجوز به عما يقنع به وقيل انه مصدر
ميمي من قنع بمعنى رضي والاول اولى وفي بعض النسخ هنا زيادة من الحاق المص وهي **وكانت كنيته**
المشهورة والكنية ما صدر باب او ام ونحوه **ابا القاسم** اشتهر بها صلى الله عليه وسلم لانه اول
اولاده صلى الله عليه وسلم كما تقدم **لما ولد له** اي للنبي صلى الله عليه وسلم ولده **ابراهيم** من
مارية القبطية جاريته المشهورة **جاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال السلام عليك**
يا ابا ابراهيم فكناه به كما كناه بالقاسم ومما كني به صلى الله عليه وسلم ابو الارامل وابو المومنين
وقد مر او قرى في الشواذ وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقيل ان هذا وامثاله مما لم يصنف للابنا
الحقيقية لقب لا كنية كابي تراب **فصل في تشريف الله تعالى له صلى الله عليه وسلم**
اي تعظيمه وتفضيله **بما سماه به من اسمايه** عز وجل والباء سببية او للتعدية **الحسنى** اي الحسنة
الجليلة لدلالتها على معان محمودة وقال الراغب الفرق بين الحسن والحسنة والحسنى ان الحسن
يقال في الاعيان والاحداث وكذلك الحسنة اذا كانت وصفا لا اسما فاذا كانت اسما فهي متقاربة
في الاحداث والحسنى تكون في الاحداث دون الاعيان انتهى **ووصف به من صفات العلا** بالضم
جمع لكبر وكبرى وفي بعض النسخ العليا وفي المصباح العليا كل مكان مشرف ولا وجه لتخصيصه
بالمكان وقال الراغب العلى جمع لتانيث اعلا بمعنى افضل واشرف والصفتان كاشفتان
قال القاضي ابو الفضل هو عياض المص **رضي الله عنه** وهو مما عبر به عن نفسه من غير قصد
التمدح لاشتهاره او ازاده تلاميذه كقوله في بعض النسخ **وفقه الله** والتوفيق تهيئة الاسباب
الموافقة وهي جملة دعائية معترضة **ما احرى** بفتح الهمزة وحاء ساكنة مهملة وراء مقصورة
بمعنى احق واولى هي صيغة تعجب من زيادة لياقته **الفضل هذا** قال البرهان الفضل ضبط
في الاصل بالرفع والظاهر نصبه لانه ما تعجبه كما تقول ما اكرم زيدا كما هو معروف في النحو
بفصول الباب الاول المعقود لثنا الله عليه واظهار عظيم قدره وهذه التسمية دالة على
ذلك كما اشار اليه بقوله **لانخراطه في مسلك مضمونه** اي لدخوله فيما تضمنه ودل عليه من
المناقب التي خرست عندها السنة الاقلام وفي السلك استعارة تخييلية ومكنية غير انهم

فسروا الانخراط بالانتظام وقد تتبعت اللغة وكلام العرب فلم اجد الانخراط معنيا بهذا المعنى بل هو
مناف له فان اختراط السيف اخراجه من غمده واختراط ورق الشجر ازالته عنه بجمع الكف ومنه
خرط القتاد الا انهم استعملوها كثيرا في كلام المصنفين الموثوق بهم كالزمخشري والسكاكي
ولم يزل هذا يختلج في صدري ولم اجد ما يثلجه حتى وجدت ابن عباد قال في جامع اللغة
خرطت الجواهر جمعتها في الخريطة وهي الكيس فعلمت ان هذا منه غير انهم تسمحوا في
استعماله فذكروا السلك مكانه لانه مثله في جمع الجواهر فحمدت الله على ذلك **وامتزاجه**
اي اختلاطه بحيث لا يتميز احدهما عن الاخر ومنه المزاج **بعذب معينها** وهو بفتح الميم وكسر
العين المهملة الجاري مطلقا او على وجه الارض واصله معيون فاعل كمبيع فهو من عين الماء
وميمه زايدة وقيل ان وزنه فعيل ومعناه البعيد مجراه من امعن في سيره والعذب الحلو الذي
يتغذى به وفي تفسيره بالغزير مسامحة ووجه الاستعارة فيه ظاهر ثم استدرك الاعتذار
عن عدم ذكره في الباب الاول فقال **لكن الله لم يشرح الصدر للهداية الى استنباطه** اي لم
يفتح الله عليه بها اولا باخراجه في محله واصل الاستنباط اخراج الماء ففيه مع ما قبله مناسبة لطيفة
وفي ذكر الحوض الاتي بعده لطف

يزيدك وجهه حسنا • اذا ما زدته نظرا

وقوله **لا اثار** اي دل دلالة واضحة **والفكر** بكسر الفاء وسكون الكاف او فتحها جمع فكرة **لاستخراج
جوهره والتقاطه** اي استخراجه من مجاره واخذ لقطته وهذا ناظر لانخراطه في سلكه ففيه
استعارة ولف ونشر غير مرتب ففيه درة ودرة **الا عند الخوض في الفصل الذي قبله**
اي لم يهده الله للوقوف عليه الا عند الشروع فيما قبله واصل الخوض الشروع في المرور في الماء
فاستعير لمطلق الشروع الا انه كما قال الراغب اكثر ما ورد في القران فيما يذم الشروع فيه **فراينا
ان نضيفه اليه** اي الى الفصل الذي قبله بان نذكره عقبه لمناسبته له ومراده ان يجعله كالمضيف
الذي انزل عنده فلذا قال **ونجمع به شمله** اي نضمه اليه والشمل بمعنى المتفرق اي يجمع ما تشتت
منه ويكون بمعنى الجمع فهو من الاضداد **فاعلم** خطاب لكل من يصح توجيه الخطاب له
كما مر **ان الله خص كثيرا من الانبياء عليهم الصلاة والسلام بكرامة** اي بامر اكرامه
وشرفه به **خلعها عليهم من اسمائه** اي اعطاها لهم والبسها اياهم والاصل في الخلعة
انها ثوب يلقيه الملك على من يكرمه او يوليه ولاية وشاع في عرف الكتاب تسمية الخلعة
تشريفا واليه اشار المص بقوله في اول هذا الفصل في تشريف الله تعالى له بما سماه من
اسمائه ففيه لطف لم يتنبهوا له وفي نسخة عليه بالافراد وفي نسخة جعلها بدل خلعها
والصحيح الاول لما عرفته وفيه استعارة لطيفة بجعل الاسم خلعة لما فيها من الشهرة واظهار
التكريم **كتسمية اسحاق واسماعيل بعليم وحليم** في قوله تعالى وبشروه بغلام عليم
يعني اسحاق وقوله فبشرناه بغلام حليم يعني اسماعيل وهذا بناء على ان المبشر به اسحاق
وقيل هو اسماعيل قيل ولهذا جمع المص هنا بين اسحاق واسماعيل **وابراهيم لحليم** في قوله
ان ابراهيم لحليم اواه حليم **ونوح بشكور** اي كثير الشكر في قوله ذرية من حملنا مع نوح انه
كان عبدا شكورا في الاسرا بناء على ان الضمير له لا لموسى عليهما الصلاة والسلام كما
تقدم **ويحيى وعيسى ببر** في قوله تعالى وبرا بوالديه وبرا بوالدتي وهو صفة مشبهة
من البر والخلاء والبر خلاف البحر ولما فيه من السعة توسعوا فيه فاشتقوا منه اي التوسع

في فعل

في فعل الخير وينسب ذلك تارة الى الله نحو انه هو البر الرحيم والى العبد فيقال بر العبد ربه اي توسع
في طاعته فمن الله الثواب ومن العبد الطاعة وذلك ضربان ضرب في الاعتقاد وضرب في
الاعمال وقد استعمل منه قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم الاية ولذا لما سيل النبي صلى الله
عليه وسلم عن البر تلا هذا الاية وبر الوالدين التوسع في الاحسان اليهما ويستعمل البر في الصدق لكونه
بعض الخير المتوسع فيه قاله الراغب **وموسى بكريم وقوي** في قوله تعالى وقد جاءهم رسول كريم وقوله
ان خير من استاجرت القوي الامين وفي بعض النسخ بدل كريم كليم والصحيح الاول لانه لم يسم به الله وان
كان الكلام من صفاته **ويوسف بحفيظ عليم** اي حافظ كثير العلم وهذا في قوله تعالى اجعلني على
خزاين الارض اني حفيظ عليم **وايوب بصابر** في قوله تعالى انا وجدناه صابرا نعم العبد **واسمعيل
بصادق الوعد** في قوله تعالى واذكر في الكتاب اسماعيل ان كان صادق الوعد لشهرته بوفاء
ما وعد به من صبره على الذبح ووفايه به ولا يرد عليه اذ فيه ما ذكر ما هو من كلام الملايكة
والانبيا لانه تعالى حكاه واقره فكان في الحقيقة وصفا من الله بما ذكر واسماعيل هو ابن ابراهيم
عليهما الصلاة والسلام لا ابن حزقيل فانه قول غير مشهور وما قيل ان هذه الصفات يوصف
بها كل من قامت به فكل من قام به علم او حلم يقال له عليم وحليم مثلا فلا اختصاص لهذه الاسما
بمن ذكر والجواب بالفرق بين ثنا الله وثنا غيره فالاختصاص من حيث ان الله وصفهم بها وفيه
غاية الاختصاص وثنا الله على كثير من المومنين بالصبر والصدق ايضا لا ينافيه لان الثنا بهذه
الصفات على هولا من حيث ان الله جبلهم عليها وكذا ما قيل من ان عيسى عليه الصلاة والسلام
هو الذي وصف نفسه بما ذكر الا انه لما كان في حال الطفولية والله هو الذي انطقه على خرق
العادة فالواصف هو الله في الحقيقة كله تكلفات نحن في غنية عنها فان المص لم يذكر الاختصاص
وانما قال ان من اسما الله ما سمى به رسله تشريفا لهم وبيانا لتخلقهم باخلاقه ولا شك
ان هذه الصفات اذا اجريت على الله فلها معان لا تليق بغيره ولما كان سمى ببعض منها بعض
رسله ان الاسما التي تطلق على الله وعلى غيره اختلف فيها فقيل انها حقيقة في الله مجاز في
غيره وقيل العكس وقيل انها مشتركة بينهما وان كان هذا محتاجا للبسط والبيان **كما نطق
بذلك الكتاب العزيز** اي كما دل عليه القران نصا وتصريحا فالنطق مجاز عما ذكر في قولهم
نطقت الحال والعزيز بمعنى الغالب لغيره من الكتب باعجازه واستيعابه في غيره من الكتب
من مواضع ذكرهم اي مستفاد من مواضع ذكرهم فيه وان حكاه عن غيره ففيه اشارة لما تقدم
وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم في القران على غيره ممن ذكر **بان حلاه منها
في كتابه العزيز** الباء سببية متعلقة بفضل وحلاه بفتح الحا المهملة وتشديد اللام من
الحلية وهي الصفة الظاهرة او الحلي التي يتزين بها اي بان وصفه او زينه وكرمه بما وصفه
وسماه به في القران **وعلى السنة انبيايه** في الكتب المنزلة عليهم او فيما نقل لنا عنهم **بعدة
كثيرة** بكسر العين وتشديد الدال اي بعدة اسماء وصفات كثيرة فميزه بكثرتها لان كثرة
الاسما تدل على شرف المسمى **اجتمع لنا منها جملة** اي انه جمع منها اسما متعددة **بعد
اعمال الفكر** مصدر اعمله اي جعله عاملا لما يريده فكانه استخدم افكاره في النظر فيما يوخذ
منه ويدل عليها **واحضار الذكر** اي استحضارها وتذكرها وذال معجمة مكسورة وجوز ضمها
وتفسير الذكر بالقران هنا لا وجه له والحاصل انه اجتهد في جمعها وبذل فيها جهده وطاقته
اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين قيل هما رؤف رحيم في سورة براة **ولا من تفرع**

فيها التاليف فصلين الفراغ خلاف الشغل الحسي والمعنوي يقال تفرغ لعمله اذا اشتغل به وترك
غيره واذ تعليل لما قبله وحروا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما نحو هنا بمعنى قريب اي
يقرب من هذا العدد فلا يضر زيادة او نقص قليل منها كما ان فوق فيما سبق بمعنى ازيد والتحرير
بمعنى الكتابة او التهذيب والتحقيق كما مر ولعل الله تعالى اي ارجو من الله عز وجل الذي
الهمنا ان يتم ما الهمنا والمراد الدعا كما الهم الي ما علم منها ضمن الهم معنى ارشد وهدي فعداه
بالي فانه يتعدي بها وباللام وعلم بتشديد اللام اي علمني من هذه الاسما وحققها اي بين حقيقته
او جعله محققا متيقنا واطلعه عليه يتم هذه النعمة وهي التعليم والتحقيق بابانة
اي اظهار ما لم يظهره لنا حتى نقف عليه والكاف للتشبيه وقدم المشبه على المشبه به اهتماما به او هي
للمبادرة كما في قولهم كما يدخل صلى الله عليه وسلم الآن مبني على الفتح والالف واللام لازمة
زايدة اي لم يظهره الي حين تحرير هذا الفصل ويفتح غلقه بفتح الغين المعجمة وفتح اللام والقاف
وهو الباب المغلق ففيه استعارة تصريحية مرشحة ويجوز ان يكون بفتحه ثم كسرة بزنة الكتف من
قولهم كلام غلق فالاستعارة تبعية في قوله يفتح فمن اسمايه تعالى الحميد بمعنى المحمود
فهو فعيل بمعنى مفعول لاستحقاقه الحمد لانه حمد نفسه وحمده عباده بنا الفعل للفاعل فيهما
وذكر الاول توطية للثاني وبيانا لانه المحمود الحقيقي وحمد غيره له انما هو باقداره عليه وخلقه
لقوة النطق فيه فكانه في الحالين حمد نفسه وبهذا فسر قوله الحمد لوليه اي لموليه ومعطيه فليس
احد مستحق الحمد سواه ويكون ايضا اي الحميد في اسمايه كما يكون بمعنى المفعول يكون بمعنى الفاعل
كما قال بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات والاعمال الصالحة الصادرة من عباده وقال
الغزالي في شرح الاسما الحسنى انه يجوز ان يطلق على النبي صلى الله عليه وسلم الحميد لانه من حمدت
جميع اخلاقه وعقايده واعماله الا انه لما لم ينقل لم يذكره المصنف فاشار الي انه ورد اطلاق ما هو
بمعناه عليه فقال وسمي النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد وهما بمعنى حميد على الوجهين
فمحمد بمعنى محمود لان كلا منهما اسم مفعول دال على مبالغة في كونه محمودا وكذا وقع اسمه
صلى الله عليه وسلم اي تسميته بمحمود في زبور داود وفي نسخة زبر بكسر الزا وضمها وضم البا
وسكونها وهو مصدر او جمع بجعل كل جزء منه زبورا بمعنى مزبور فلا يرد عليه ان هذا لا دليل فيه
على تسميته باسم الله فلا يناسب ما هو بصدده ثم اشار الي المعنى الثاني بقوله والحمد بمعنى اكبر من
حمد بالموحدة وحميد مبني للفاعل واجل من حمد بالبنا للمفعول ففيه لف ونشر والي نحو هذا
اي كون اسمه بمعنى ما ذكر اشار حسان بن ثابت الانصاري المشهور بقوله في شعر له من قصيدة
مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

والشعر هكذا بتمامه

الم تر ان الله ارسل احمدا ... ببرهانه والله اعلى وامجد
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد
نبي اتانا بعد ياس وفترة ... من الدين والاوثان في الارض نعبد
فارسله ضوءا منيرا وهاديا ... يلوح كما لاح الصقيل المهند

وشق مبني للفاعل من شق الشيء اذا جعله قطعتين اي اشتق له صلى الله عليه وسلم من اسمه اجله
وعظمه وهمزة اسمه مقطوعة للضرورة وانما قال المص نحو ولم يقل الي هذا لان ما في الشعر

انه ماخوذ

انه ماخوذ من محمود والمم بصدد اخذه من حميد وزيد في هذا

اغر عليه للنبوة خاتم • من الله من نور يلوح ويشهد

وضم الاله اسم النبي الى اسمه • اذا قال في الذكر الموذن اشهد

وشق الخ والبيت المذكور رواه البخاري في تاريخه وعزاه لابي طالب وهو منقول عن علي بن زيد
حسان رضي الله عنه توارد معه او ضمنه واستعان به ومن اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى
متقارب لان الرافة نوع من الرحمة وقد تقدم تحقيقه وقد سماه الله في كتابه اي القران بذلك
اي الروف الرحيم فقال بالمومنين روف رحيم ومن اسمايه تعالى الحق المبين ومعنى الحق
الموجود والمتحقق امره اي المتصف بالوجود الازلي الابدي من ذاته لذاته واجب الوجود والمتحقق
بمعنى المتيقن وجوده لثبوته بالبراهين القاطعة وامره بمعنى شانه وما يجب ثبوته من صفاته وافعاله
والمتحقق بفتح القاف ويجوز كسرها وللحق معان اخر وكذلك المبين اسم فاعل من ابان اللازم لانه ورد
لازما ومتعديا اي البين الظاهر امر والاهيته بان وابان بمعنى واحد فيكون متعديا ولازما
وابان يكون بمعنى قطع وفصل ايضا وبينه على اللزوم وعلى التعدي ويكون بمعنى المبين امر دينهم
في الدنيا ومعاهم في الاخرة وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك اي الحق المبين في كتابه فقال
تعالى حتى جاهم الحق ورسول مبين بنا على ان المراد بالحق محمد صلى الله عليه وسلم ومبين
بمعنى ظاهر لعظيم اياته ومعجزاته فلا وجه لما قيل ان هذا ليس على وجه التسمية وقال تعالى قد
جاكم الحق من ربكم وقل اني انا النذير المبين اي المحذر لكم من الله والمبين لكم امور دينكم
وقال تعالى قد جاكم الحق من ربكم على ان المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل المراد به القران
وقال تعالى فقد كذبوا بالحق لما جاهم من الله قيل هو محمد اي المراد به في هذه الاية وتكذيبه
صلى الله عليه وسلم بتكذيب رسالته وما جا به وقيل المراد به القران بدليل التكذيب ومعناه
اي الحق هنا ضد الباطل من حق بمعنى ثبت والمتحقق صدقه وامره هو تفسير لما قبله او معنى
اخر وفي تفسير البيضاوي الحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره ضم الاعيان والافعال الصايبة
والاقوال الصادقة من قولهم حق الامر اذا ثبت ومنه ثوب محقق محكم النسج وهو بالمعنى
الاول ضمير هو راجع الى قوله المتحقق صدقه وامره والمراد بالمعنى الاول كون الحق اسما لمحمد
صلى الله عليه وسلم والمبين على هذا التفسير البين الظاهر الذي لا يخفى امره ورسالته
وهذا على كونه من بان اللازم او هو المبين بتشديد المثناة التحتية المكسورة عن الله ما بعثه
به للخلق كافة وعداه لتضمنه معنى المبلغ او هو حال بتقدير ناقلا قال تعالى لتبين للناس
ما نزل اليهم من شرايعه واحكامه وهذا على انه من ابان المتعدي ومن اسمايه تعالى النور
وقد قدمنا ما قاله الغزالي انه حقيقة في ذات الله لان معناه الظاهر بنفسه المظهر لغيره واليه ذهب
الحكما ويشير اليه قول الاشعري رحمه الله انه نور ليس كالانوار وما قاله السهيلي في الفرق بينه
وبين الضيا بانه ذات المنير والضوء والضيا اشعته المنتشرة عنه ولذا قال تعالى جعل الشمس
ضيا والقمر نورا لكثرة اشعتها فلا وجه لما يتوهم من ان الظاهر العكس ولا حاجة لتاويله
اذا اطلق على الله فان اردت فطالع مشكاة الغزالي والمشهور فيه التاويل كما اشار اليه المصنف
بقوله ومعناه ذو النور وخالقه عطف تفسير وهذا تاويل له بتقدير مضاف فيه لما مر
او منور السموات والارض فعلى الاول هو حقيقة وعلى هذا هو مجاز كعدل بمعنى عادل
لانه المنعم على اهلها بالانوار الفايضة عليها بواسطة الكواكب ودونها والنور على هذا

بمعناه الحقيقي او منور قلوب المومنين بالهداية ولذا ورد تفسيرها بالهادي وهذا على استعارة
للنور للهداية لما فيهما من الدلالة ثم استعماله بمعنى المنور اي الهادي ففيه مجاز على مجاز لاشتهار
الاول حتى صار كالحقيقة وسماه اي سمى الله نبيه صلى الله عليه وسلم فقال قد جاكم من الله نور
وكتاب مبين قيل المراد بالنور في هذه الاية صلى الله عليه وسلم لظهور اياته
وقيل القران لازالته ظلمة الكفر والجهل ولا يشكل على الاول افراد الضمير بعده في
قوله يهدي به الله من اتبع رضوانه مع تغايرهما وعطفهما بالواو دون او كما قيل لان الضمير
راجع اليهما معا باعتبار المذكور او لانهما كالشي الواحد وهداية احدهما عين هداية الاخر وقد
صرح الفرا في تفسيره بجواز مثله جوازا مطردا وبه ورد القران في ايات كثيرة كما بيناه في السوانح
وانشد عليه شاهدا

رماني بامر كنت منه ووالدي بريا ومن حول الطوي رماني

وقال فيه اي في وصف النبي صلى الله عليه وسلم وشانه وسراجا منيرا فسماه سراجا كما سماه
نورا على نهج الاستعارة او التشبيه البليغ ثم بينه بقوله سماه بذلك اي بالنور والسراج
وفي نسخة سمي بذلك لوضوح امره كالنور الذي لا يخفى وبيان نبوته اي كونها بينة
ظاهرة وتنوير قلوب المومنين والعارفين به وباجابه وهذا ناظر لقوله ومنور قلوب
المومنين بالهداية وفيه تبيين لاطلاقه على القران ضمنا ومن اسمائه تعالى التي شرف بها
نبيه صلى الله عليه وسلم الشهيد من الشهادة وهي المعاينة والاخبار بما عاينه او من المشهود
وهو الحضور ومعناه العالم لان من شاهد شيا علمه علما تاما قال تعالى لم تكفرون بايات الله
وانتم تشهدون اي تعلمون وفي شرح المواقف الشهيد القايم بالغايب والحاضر ويوافقه اطلاق
المص فلا يرد عليه انه فسر الاخص بالاعم وقول الغزالي اذا اعتبر العلم مطلقا فهو العليم
وان اضيف الى الغيب والامور الباطنة فهو الشهيد فتدبر وقيل الشاهد على عباده يوم
القيمة اذ يبين لهم ما صدر منهم في حياتهم الدنيا اذ لا يخفى عليه خافية وسماه اي سمى الله
نبيه صلى الله عليه وسلم شاهدا وشاهدا فقال انا ارسلناك شاهدا مقبولا شهادتك
على امتك ولهم وهو حال مقدرة وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على
الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا اشارة الى ما رواه مسلم من ان الله يسال الانبيا عليهم
الصلاة والسلام هل بلغتم فيقولون نعم فتنكر اممهم فيقول من يشهد عليكم لكم فيقولون محمد
وامته فتشهد امة محمد ويشهد عليه الصلاة والسلام لامته بصدقهم وهذا معنى الاية وهذه
الشهادة لهم لا عليهم لكن ضمن شهيدا معنى رقيبا وقدم الجار لاختصاصه بهذه الشهادة
وفيه فضيلة له صلى الله عليه وسلم فان الانبيا يحاسبون يوم القيمة وهو لا يحاسب وفضيلة
لامته اذ لم ينكروا بتبليغه وقد تقدم الكلام على هذه الاية وهو اي الشهيد الاول الذي اطلق
على الله والاولية على الوجهين لمطلق التقدم وقيل وصف اسمه الشاهد بالاولية مع كونه
ثانيا لذكر امته قبل اية اسمه الشهيد ومن اسمايه تعالى اي من اسما الله التي سمى بها نبيه الكريم
ومعناه الكثير الخير وهذا اصل معناه لغة وان اختص في عرف اللغة والعرف العام بالسخي
الكثير العطا واليه اشار المص بقوله وقيل المفضل بوزن محسن ومعناه ولذا فسر بمن يعطي
عفوا بغير وسيلة وسوال وقيل العفو فعول من العفو وهو التجاوز عن سيئات من اسماء
قيل وهو ابلغ من الغفور من حيث ان الغفر ستر السيئة والعفو نحوها وهو في الاصل القصد

عليه صلى الله عليه وسلم
بمعنى الاول اي الشاهد
او بمعنى الشهيد الاول
الذي ح ح ح ح
اطلق ح

لمتناول

لتناول الشيء فاستعير لقصد ازالة المحو وقيل العلي وهو البالغ الى رتبة فوق كل رتبة فهو العلي
في ذاته وصفاته وفسره الغزالي بانه الذي اذا قدر عفا واذا وعد وفا واذا اعطى زاد على منتهى
الرجا ولا يبالي كم اعطا ولا لمن اعطى وان رفعت حاجة الى غيره لا يرضى واذا جفي عاتب وما استقصى
ولا يضيع من لاذ به والتجا فيغنيه عن الوسايل والشفعا فمن اجتمع له جميع ذلك لا بالتكليف فهو
الكريم المطلق وذلك هو الله وحده لا يناله غيره الا باكتساب وتمحل ومع ذلك لا يستوفي جميع
انواعه ولذا جاز اطلاقه على غيره تعالى كالنبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المروي الذي
رواه ابن ماجة في سننه في اسمايه تعالى اي في اسما الله وهو متعلق بالمروي او بمقدر اي
عد في اسمايه الاكرم اي الزايد على غيره في صفة الكرم وهذا يقتضي مشاركته لغيره في هذه
الصفة ان فسرت بمعنى يوجد فيه وفي غيره فان فسرت بما تقدم من الغزالي وهو مختص بالله
فالتفضيل ليس على بابه بل بمعنى الكريم او على اصله على طريق التسامح في قوله احسن
الخالقين قال ابن عبد السلام في اماليه هذا ونحو ارحم الراحمين واحكم الحاكمين مشكل لان افعل
يضاف الى جنسه وهذا ليس كذلك لان خلق الله ايجاده وهو من غيره بمعنى الكسب وهما
متباينان والرحمة من الله ان حملت على الارادة صح لان معنى اعظم ارادة من ساير المريدين وان
جعل من مجاز التشبيه وهو ان معاملته تشبه معاملة الراحم صح ايضا لانه مشترك بينه وبين عباده
فان اريد ايجاد الرحمة فهو مشكل اذ لا يوجد غير الله واجاب الامدي بان معناه اعظم من يسمى
بهذا الاسم واستشكل بان التفاضل في غير ما وضع له اللفظ ويصح على مذهب المعتزلة لان التفا
عندهم كثير ثم انه قيل على المص ان اثباته تسمية الله بالاكرام بالحديث غفلة عن تسميته
بذلك في القران في قوله تعالى اقرا وربك الاكرم ولك ان تقول ان الذي في الاية على سبيل
التوصيف والذي ذكره انه عد في الحديث في سلك الاسما الحسنى وهو ادل على مراده
وسماه الله تعالى كريما اي سمى الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله انه لقول رسول كريم قيل
اي قال بعض المفسرين هو في هذه الاية محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو جبريل عليه
الصلاة والسلام وهو قول اكثر المفسرين كما مر لانه الظاهر من السياق وقال صلى الله عليه وسلم
انا اكرم ولد ادم اي اشرف من ساير الخلق الانبيا وغيرهم وقد تقدم مرارا روايته ومعناه
ثم اشار بقوله ومعاني الاسم اي الكريم والاكرم صحيحة في حقه صلى الله عليه وسلم لاتصافه
بغاية الكرم الى انه باتصافه بمعناه والمراد بالاسم ما يطلق عليه سوا كان اسما او صفة فسقط
ما قيل ان تسميته كريما على سبيل التوصيف لا على طريق الاسما الاعلام وقوله اكرم ولد ادم
المراد به تفضيله صلى الله عليه وسلم عليهم لا التسمية بهذا الاسم بل ينبغي ان يقال باختصاص
الاكرم بالله وهو غفلة عما قررناه بل هو ناش عن عدم فهم كلام المص وفي ذلك اشارة الى
تشريفه بكونه كريما واكرم ومن اسمايه تعالى العظيم وهو الذي عظم جسما او قدرا او رتبة
والمراد الثاني لانه عز وجل هو العظيم على الاطلاق لبلوغه مرتبة من العظمة لا تحيط بتصورها
الافهام ولا تتخيلها الاوهام لتنزهه عن ان يحيط العقول بكنه ذاته وصفاته فلذا قال ومعناه
الجليل الشان بهمزة او الف مبدلة منها الذي كل شي دونه اي قاصر عن بلوغ رتبته اذ لا كمال
يدنو من كماله في ذاته وصفاته والعظيم والجليل والكبير معانيها متقاربة الا انه قيل ان الكبير
هو الكامل في ذاته والعظيم هو الكامل فيهما وقال تعالى في حق النبي صلى الله عليه وسلم
الصلاة والسلام انك لعلى خلق عظيم فقد جمع الله له من محاسن الاخلاق ما لا يتصور في

علي

في احد سواه واذا وصف خلقه بالعظيم فقد وصفه به فكان من اسمايه فلا يرد عليه انه وصف لخلقه صلي
الله عليه وسلم لا له فيلبس ولا ان العظمة مختصة بالله او نقول انه توطية لقوله ووقع في
اول سفر من التوراة بكسر السين وسكون الفا وراء مهملة وهو الكتاب عن اسماعيل نبي الله
بن خليل الله عليهما الصلاة والسلام وكان الظاهر ان يقول في حق اسماعيل فكانه صفة سفر
اي سفر فيه ما يصدر عن اسماعيل عليه الصلاة والسلام وستلد عظيما لا متعظمة وفيه
مبالغة في وصفه بالعظمة اذ جعل اتباعه عظما فما بالك به

واذا سخر الاله سعيدا ۝ لا ناس فانه سعدا

ومن اسمايه تعالي الجبار وهو صيغة مبالغة علي خلاف القياس اذ لم يجي جبر بل تجبر فهو متجبر
وجبار وجبر متعد ولازم يقال جبرت العظم وجبر جبورا وجبر الفقير ويتصف به من
الناس الشديد العدوان وله معان في كلام العرب القهار والمسلط قال تعالي وما انت عليهم بجبار
كما ياتي والقوي العظيم الجسم والمتكبر والقتال والنخلة الطويلة وتجبر النبت طال وجبره علي
كذا اكرهه والجبر خلاف القدر والجبرية بفتح البا وسكونها وقال ابو عبيد انه مولد والمجبر
الذي يجبر العظام المكسورة اي يصلحها يقال اجبرت واجبرت وهو اكثر قال قد جبر الدين
الاله فجبر ويقال جبرتها ايضا ولما ذكرناه من معناه الحقيقي لغة اختلفوا في تفسيره حيث
وقع صفة كما قاله المص ومعناه المصلح للعالم ولامور عباده تفضلا به من جبرت العظم والفقير
فهو من صفات الافعال وقيل القاهر فيرجع الي صفة القدرة الذاتية فما من مخلوق الا وهو
مقهور في قبضة تصرفه يفعل به ما يريد وقيل العلي العظيم الشان من قولهم نخلة
جبارة وبنت جبار اي طويل فاستعير من العلو الحسي للمعنوي ولذا فسروه بالعالي فوق خلقه
فهو صفة ذاتية وقيل المتكبر المتعظم الذي يري الكل حقيرا بالاضافة الي ذاته من قولهم فيه جبرية وجبروت
اي تكبر وعظمة ولذا كان صلي الله عليه وسلم لتنزيله منزلة الموجود لتحققه في علمه الحضوري
عنده تقلد ايها الجبار سيفك يقال تقلد السيف اذا جعل حمايله علي عاتقه وحمله كالقلادة
وفيه اشارة الي انه سيومر بالقتال فانا ناموسك اي الوحي النازل عليك او عظمتك في قلوب
الناس وهذا المعني شايع بين الناس واصل معناه كما في القاموس صاحب السر المطلع علي باطن امرك
او صاحب سر الخير وصاحب سر الشر جاسوس وفترة الصايد وهي شي يختفي في الصايد لياخذه الصيد
وفي البيان للجاحظ قال الزبيدي الناموس ذويبة تلسع الانسان مشتق من نمس الكلام اخطا
وسمي جبريل عليه الصلاة والسلام بالناموس الاكبر لانه يخفي الكلام حتي يلقيه الي الرسل عليهم
الصلاة والسلام بالناموس الاكبر لانه يخفي الكلام حتي يلقيه الي الرسل عليهم الصلاة والسلام
بالناموس الاكبر لانه يخفي الكلام حتي يلقيه انتهي وشرايعك يحتمل انه عطف تفسير ولذا وحد الخبر
في قوله مقرونة بهيبة يمينك اي بالخوف من سيفك فكني بما ذكر عنه او تجوز باليمين عما فيه ومعناه
في حق النبي صلي الله عليه وسلم اي معني الجبار الذي هو من اسما الله اذا اطلق في وصف النبي
صلي الله عليه وسلم يقال كذا ورد في حق كذا اي امره وشانه المتحقق فيه ولو فسر الجبار في كتاب
داود بالمجاهد القتال الذي هو احد معانيه بقرينة ما بعده كان اولي من قوله اما لاصلاحه
لامته بالهداية والتعليم اي ارشادهم لما فيه صلاح معاشهم ومعادهم وتعليم امور دينهم فعلي
هذا سمي صلي الله عليه وسلم باسمه الجبار بمعني المصلح او لقهر اعدايه وفي نسخة لقهره اعداه
وهذا اشارة الي انه سمي بالمعني الثاني الذي مر بيانه او لعلو منزلته علي البشر فهو مسمي به
باعتبار المعني الثالث وهو العلي ولو قال علي الخلق كان احسن وقيل انه يفهم من تفضيله علي البشر

تفضيله

تفضيله على الجن والملك بالطريق الاولى وفيه نظر **وعظيم خطره** هذه اشارة الى انه اما مستعار من
العلو الحسي فينزل الرتبي منزلته ويتخيل فيه انه ارتفع في مكان عال او علو القدر وهو العظمة وهذان
على هذا الوجه وعلى الاول هو كقول ابي تمام وقد ذكر علو ممدوحه

ويصعد حتى يظن الجهول • بان له حاجة في السماء

واصل الخطر ما يعطى في البرهان للمسابقة ثم استعير للشرف فيقال له خطر ورجل خطير وهو من
اضافة الصفة لموصوفها ولله در الغزالي رحمه الله في قول الجبار من العباد من ارتفع عن
الاتباع ونال درجة الاستتباع وتفرد بعلو رتبته بحيث يجبر الخلق لهيئته وصورته على الاقتداء به
وعلى متابعته في سمته وسيرته فيفيد الخلق ولا يستفيد ويؤثر ولا يتأثر ويستتبع ولا يتبع لا يستهدي
احدا الا ويغني عن ملاحظة نفسه ويصير مستوفي الهم به غير ملتفت الى ذاته ولا يطمع احد في استدراجه
واستتباعه وانما حظي بهذا الوصف سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه حيث قال لو كان موسى
عليه الصلاة والسلام حيا ما وسعه الا اتباعي وانا سيد ولد ادم ولا فخر وفي كلامه لف ونشر وايجاز
اذا وصل معناه في حقه عليه الصلاة والسلام بمعناه في حق الله وان لم يكن يساويه او يقاربه او يدانيه
ولما كان المعنى الاخير وهو المتكبر لا يصح في حق النبي صلى الله عليه وسلم بوجه من الوجوه قال
ونفى عنه في القران جبرية التكبر بفتح الباء كجبروت وجبروت وجبوره كغرة وجه الكبر كما قال
القرطبي في شرح الاسماء الحسنى واضافها الى التكبر احترازا من الجبرية بمعنى الجبر وهو خلاف
القدر وقال القرطبي الجبرية بفتح الباء خلاف القدرية عن الجوهري **وحكى**
عن الزجاج الجبرية بالاسكان وهو اصوب وعن ابي عبيد انه مولد **التي لا تليق**
به صلى الله عليه وسلم لما تقدم من تواضعه صلى الله عليه وسلم ولان الكبرياء
والتكبر من صفات الله التي لا تليق بغيره ومعنى يليق يناسب ويصح **ويصح فقال وما انت**
عليهم بجبار تفسير لقوله نفى عنه وتقدم انه فسر بمسلط والمتكبر هو المتعاظم على الغير
واستحقاره وهو محرم على كل مخلوق وبما ذكرناه علم ما في قول القرطبي في شرح الاسماء الحسنى
انه يجب على كل مسلم مكلف ان لا يتصف باسم الجبار ولا يتعاطاه وانما حظه الاتصاف بنقيضه
فان اطلاقه يأباه اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم فينبغي تقييده ببعض معانيه وقيل
تفسيره بالمسلط اولى لانه نزل في حق اهل مكة وانكارهم لبعثته فامره بان ينذرهم ولا يجبرهم
على الايمان ويتسلط عليهم حتى يسلموا والاية منسوخة باية السيف لانها من سورة ق وهي مكية
وانما امر صلى الله عليه وسلم بالقتال بالمدينة وعلى ما ذكره المص يكون غير منسوخة **ومن اسمائه**
تعالى الخبير وقد ورد ذلك في القران معرفا ومنكرا قال تعالى الا يعلم من خلق وهو اللطيف
الخبير من الخبر بالضم وحقيقته استكشاف باطن المخبور حتى يستوي عنده ظاهره وباطنه ولذا قيل
للحارث خابر ويكون بمعنى المخبر والمختبر والله تعالى يختبر لعباده قال تعالى ونبلوكم بالشر
والخير فتنة فهو من صفات الافعال ويكون بمعنى العليم من صفات الذات واذا كان بمعنى المخبر
رجع الى صفة الكلام فقوله **ومعناه** اذا اطلق **المطلع على كنه الشيء** اي الواقف على حقائق الاشياء
وكنه الشيء بضم فسكون له معان منها الحقيقة كما في التهذيب يقال اكتنهه اذا بلغ كنهه فقوله في
شرح المفتاح انه مولد لا وجه له وتعديه بعلى لانه بمعنى **العالم بحقيقته** وهي ذاته
لا غايته كما قيل **وقيل معناه المختبر** واصله المجرب والمراد به في حقه تعالى استدراج عباده
حتى يعلم الصابر من غيره فيلزمه الحجة او يعلم سلوكه الحجة وهو اعلم بهم وفي بعض النسخ المخبر اي

اي المخبر انبياءه ورسله بكلامه المنزل عليهم او المخبر عباده يوم القيمة باعمالهم فانه لا يعزب عن علمه
شي ثم شرع في بيان تسمية الرسول صلي الله عليه وسلم به فقال قال الله تعالى وهو الذي خلق
السموات والارض في ستة ايام ثم استوي علي العرش الرحمن فاسال به خبيرا اي عنه او الباء تجريدية
والضمير لخلق السموات والارض والاستوا علي العرش المذكور قبله والخبير بمعني العالم ثم قال المولف
رحمه الله قال القاضي بكر بن العلا بفتح الموحدة والعين المهملة وهو بكر بن محمد بن العلا ابن زياد
القشيري من ولد عمران ابن الحصين رضي الله عنه توفي ليلة السبت لسبع بقين من ربيع الاول
سنة اربع واربعين وثلثمائة المامور بالسوال في الاية غير النبي صلي الله عليه وسلم
من كل من يتاتي منه السوال لا النبي لانه المخاطب والمسئول الخبير هو النبي صلي الله عليه وسلم
لانه العالم بحقيقة ما ذكر دون غيره ففيه دليل علي تسميته خبيرا وقال غيره اي غير القاضي
بكر بل السايل النبي صلي الله عليه وسلم لانه المخاطب به والمسئول الله تعالى فالنبي خبير بالوجهين
المذكورين اي علي التفسيرين فالبا بمعني علي او ظرفية اما الاول فظاهر لاطلاقه عليه ولانه لو لم
خبيرا لم يومر بسواله واما علي الثاني فلان اذنه له في السوال دال علي اعلامه به وقيل المراد
بالوجهين تفسير الخبير بالعالم بالحقيقة وتفسيره بالمختبر قيل لانه عالم علي غاية من العلم
مما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته اي سمي خبيرا لما اعلمه به من الخفيات والمغيبات
التي اطلعه عليها بوحيه وما جبله عليه من المعرفة العظيمة مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم
به دون ما لم يوذن فيه من الاسرار الالهية وما بعد قيل خبيرا باعتبار ما اجابه به بعد سواله
والقيل باعتبار انه عالم قبل السوال فتدبر ومن اسمائه تعالى الفتاح قال الراغب اصل معني الفتح
ازالة الاغلاق والاشكال وهو ضربان احدهما ما يدرك بالبصر كفتح الباب والقفل والمتاع والثاني
ما يدرك بالبصيرة كفتح الهم والمشكل ومنه فتح القضية اذا فصل الحكم فيهما ومنه الفاتح والمفتاح
للقاضي وفتح الممالك الظفر بها منه وفتح الله برزقه اذا جاءه من حيث لا يحتسب ومعناه في حق
الله الحاكم بين عباده في فصل القضا او بانصاف المظلوم من الظالم فهو من صفات الافعال
او فاتح ابواب الرزق والرحمة لهم تيسير ارزاقهم لهم وتهيئة اسبابها وفتح اقفال موانعها
والرحمة الانعام اي المنعم عليهم الرازق لهم قال ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهو
استعارة في الاصل صار حقيقة عرفية والمنغلق من امورهم عليهم بالجر عطف علي ابواب اي فاتح
المنغلق بمعني ميسر كل صعب ومسهله وعليهم متعلق بفاتح او بالمنغلق او يفتح قلوبهم وبصايرهم
الحق الذي هو الله او خلاف الباطل اي يزيل اقفال قلوبهم المانعة لهم وغشاوة قلوبهم ابصارهم
وبصايرهم حتي يعرفوه ويهتدوا بهدايته ويفتح مضارع معطوف علي فاتح فان الفعل يعطف
علي الاسم الصفة لانهما بمعني وفي بعض النسخ يفتح بالبا الجارة والظاهر الاول وهذا معطوف
علي مقدر اي المتعلق بتيسيره او يفتح الخ ويكون الفتاح ايضا كما كان بمعني الحاكم بمعني الناصر المعين
لان من شان الحاكم نصرة المظلوم ولخفايه استشهد له بقوله كقوله تعالى ان تستفتحوا فقد
جاكم الفتح اي لانه فسر هكذا اي ان تستنصروا فقد جاكم النصر من عند الله نجد لان اعدا دينه
ونصرته للحق وقيل معناه مبتدي الفتح والنصر لان الفتح جا بمعني البدء ومنه فاتحة الكتاب
لاوله ومبدئه ومعني مبتدي النصر انه موجده وميسره وما النصر الا من عند الله وقوله
ان تستفتحوا خطاب من الله لاهل مكة ابي جهل واضرابه ممن قتل ببدر تعلقوا باستار الكعبة
عند خروجهم من مكة وقالوا اللهم انصر اعلي الجندين واهدي الفريقين واكرم الحزبين

فاجابهم

فاجابهم الله تعالى متهكما بهم انه قد نصرتم وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
بالفاتح في حديث الاسرا الطويل الذي تقدم ذكره من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية
وغيره عن ابي هريرة والفاتح بمعنى الفتاح والمبالغة التي فيه لا تنافي مشاركته له في اصل معناه
كما توهم وكذا ما قيل من انه ليس بخاص به ولا على وجه التسمية ونحوه مما لا ينبغي ذكره وفيه
اي في حديث الاسرا من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم فيما خاطبه به اذ عرج به وجعلتك
فاتحا وخاتما اي اول الانبيا واخرهم لما مر من انه صلى الله عليه وسلم نبي قبل خلقهم وقد
تقدم بيانه او المراد به ما قاله في شرح قوله وفيه اي في حديث الاسرا من قول النبي صلى الله عليه
وسلم في ثنايه على ربه اذ حمده بمحامد لم يلهمها قبل وتعديد مراتبه اي مقاماته بين يدي ربه ورفع
لي ذكري بجعله قرينا لذكره كما تقدم وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا الحاكم وانما
خصه بذلك لانه لم يكن لاحد قبل شريعته كشريعته او الفاتح لابواب الرحمة على امته اذا
هداهم الى ما ارشدهم الى سعادة الدارين او الفاتح لبصايرهم لمعرفة الحق والايمان بالله لدعوتهم
الى معرفته تعالى وتوحيده او الناصر للحق والدين القويم بجهاده في سبيله تعالى او المبتدي بهداية
الامة لتقديمه ذلك على كل مهم او المبدا المقدم في الانبيا كما بيناه اولا والمبدا بضم الميم وتشديد الدال المهملة
وهمزة كما قاله البرهان فالمقدم تفسير له فان كانت به رواية فيها والا فيجوز فتح الميم وسكون الباء
الموحدة المفتوحة اولا وتخفيف الدال بمعنى الاول والخاتم لهم كما قال كنت اول الانبيا في الخلق لخلق
نور روحه قبلهم واخذ عليهم الميثاق في اتباع من ادركه منهم واخرهم في البعث باعتبار الزمان وبما
قررناه علمت الجواب عما قيل من انه لا اختصاص لما ذكر غير الاخير به الا ان يقال انه وقع على اتم وجه بحيث
لا يشاركه فيه غيره ثم ان المص لم يقل انه لا بد في اسمايه من اختصاص معانيها به فتدبر ومن اسمايه اي من اسما
الله التي سمى بها نبيه صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وغيره عن ابي هريرة رضي الله
عنه في تعداد الاسما الحسنى الشكور وفي القران ان ربنا لغفور شكور والشكر معنيان لغوي وعرفي
مشهوران واما في حقه تعالى فمعناه المثيب اي المعطي الثواب الجزيل على العمل القليل فهو من صفات
الافعال وهو مجاز لان حقيقته الثنا المقابل للاحسان فاطلق على الانعام المقابل للشكر لان العمل شكر اذ
هو لا يختص باللسان فهو استعارة او من اطلاق السبب على المسبب كقوله لئن شكرتم لازيدنكم وهذا اقرب مما قيل
انه الذي يجازي على قليل من العمل الطاعة في ايام قليلة ما لا نهاية له من النعيم المخلد كما قال تعالى كلوا
واشربوا هنيا بما اسلفتم في الايام الخالية اي في الحيوة الدنيا لان المغايرة بينهما سهلة خلافا لمن توهم
ذلك وقيل المثني على المطيعين وهذا انسب بمعنى الشكر الحقيقي واقرب وقد اثنى الله على عباده الصالحين
كثيرا في القران والكتب المنزلة وهو الذي خلق فيهم القدرة على الطاعة ووفقهم لها كما قال ابن عطا الله في
حكمه من نعمه عليك ان خلق منك ونسب اليك ومع ذلك يثني باحسانه عليك فهو انما اثنى في الحقيقة
على نفسه ثم ذكر ما يدل على ان اسما الله التي سمى بها رسوله صلى الله عليه وسلم لا يلزم اختصاصه بها فقد
يشرف بها غيره كما مر فقال ووصف اي الله عز وجل نبيه نوحا عليه الصلاة والسلام بذلك فقال انه كان
عبدا شكورا قيل ويعلم من وصفه به وصف من هو افضل منه وهو محمد صلى الله عليه وسلم فلا ينافي ما هو
بصدده من ذكر تسمية نبينا صلى الله عليه وسلم باسمايه ولا حاجة اليه مع قوله وقد وصف النبي صلى
الله عليه وسلم نفسه بذلك فقال في حديث مشهور تقدم ذكره افلا اكون عبدا شكورا فان الاستفهام
الانكاري يدل على انه وصف مقرر له وما ذكره في حق نوح عليه الصلاة والسلام مبني على ان الضمير
راجع له لقربه لا لموسى عليه الصلاة والسلام كما ذهب اليه بعض المفسرين اي معترفا بنعم ربي مقرا

بها عارفا بقدر ذلك موديا لحقه مثنيا عليه بلساني واركاني مجهدا بزنة منعم اي بان لا جهدي وطاقتي
وطاقتي ومتعبا نفسي في الزيادة من ذلك اي من الاعتراف والثنا عملا بقوله لئن شكرتم
لازيدنكم من النعم التي شكرتموها وعدا ممن لا يخلف الميعاد اذ قال لبني اسرايل واذ تاذن
ربكم لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمايه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة اي
احاط علمه بكل شي مما غاب وخفي وما حضر وظهر ودق وجل وعلمه تعالى لا يشبه علم
غيره وتحقيقه في علم الكلام ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه
مزية كمية بمعنى فضيلة وقال العلامة في شرح المفتاح لا يتبين منه فعل وتبعه بعضهم
هنا وفي الاساس تمزيت عليه ومر التنبيه على ذلك وفسر المزية بقوله فقال وعلمك ما لم
تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما بما خصك به من العلم والمعارف الالهية والامور
الدينية وفيه اشارة الى ان له صلى الله عليه وسلم مزية في ذلك لم ينلها غيره ولا ينا
فيه قوله وقال كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون مما لا طريق له سوى الوحي غير المتلو وكذا اعاد الفعل لتغايرهما
ولما كان هو المعلم لهم وما علمهم بعض مما علمه الله لم يشاركوه في هذه المزية وانما ذكر
هذه الاية وان كان ظاهرها ليس مما هو بصدده لانها تدل على زيادة علمه صلى
الله عليه وسلم وانه معلم لغيره غير متعلم من غير ربه ومن اسمايه الاول والاخر وقد سمي
به في القران والاحاديث الصحيحة ومعناه بحسب اللغة وبحسب الاشتقاق وكون فايه واوا
وهمزة معلوم في العربية ووزنه افعل ويكون اول اسم تفضيل وظرفا وليس هنا محل الكلام
فيه وانما الكلام في معناه في اسما الله فقال ابن العربي للعلما فيه عبارات فقيل الاول
الموجود قبل الخلق فكان ولا شي قبله ولا معه قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقيل انه الذي لا
كل شي له وبه كل شي ومنه كل شي كما يقال فلان اول هذا الامر واخره وقيل الاول بصفاته
وقيل بمحبته لاوليايه ويقابله الاخر فقيل هو الموجود بعد الخلق فلا شي بعده وقيل
هو الذي لا انتها له وقيل هو الذي يرجع اليه كل شي اخر وقيل **وقال الضحاك**
هو الذي اخر الاواخر اي الذي جعل لكل شي اخر وقيل الاخر بقضايه وقدره وقال
الغزالي رحمه الله الاول والاخر متناقضان فالشي الواحد لا يكون اولا واخرا من اوجه واحد
فانت اذا نظرت الى ترتب سلسلة الموجودات فالله تعالى بالاضافة اليها اول لانها استفادت
منه الوجود واما هو فموجود بمعنى انه غير مستفيد لوجوده من غيره فاذا نظرت الى ترتيب
السلوك ومنازل السايرين فيه اليه فهو اخر ما يرتقي اليه درجة العارفين ولما كان الاول
والاخر مع كونهما كالمتضادين يوهم الانتها من الطرفين فسروه بما فيه دقة والى هذا
اشار المص بقوله ومعناهما السابق للاشياء اي جميع الموجودات قبل وجودها لانه الذي
اوجدها وابتدعها والباقي بعدها فنايها ثم صرح بالمقصود من دفع الايهام فقال وتحقيقه
انه ليس له اول ولا اخر ولا ابتدا ولا انتها فلا سابق عليه ولا باقي بعده فهو واجب الوجود
وجوده عين ذاته لا يتصور انفكاكه عنه فهو من صفات التنزيه **وقال**
القرطبي انه الاول بوجوده في الازل وقبل الابتدا والاخر بوجوده في الابد
وبعد الانتها وعلى هذا يكون من اسما الذات ويجوز ان يكون من اسما الافعال على معنى
اول الاول واخر الاخر في الوجود ثم اشار الى اطلاقه عليه صلى الله عليه وسلم بقوله

وقال

وقال عليه الصلاة والسلام اول الانبيا في الخلق يعني انه في عالم الذر والارواح خلقت
روحه ونبئ قبلهم واذا عبر بالانبيا دون الرسل كما تقدم بيانه ولا وجه لتفسيره بانه كان نورا
في وجه ادم اذ لا يطابق قوله صلى الله عليه وسلم واخرهم في البعث فهو خاتمهم ونبوته صلى الله
عليه وسلم ورسالته لا تنقطع بموته وفسر بهذا اي بتقدم خلقه وتاخر بعثته قوله تعالى واذ
اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الميثاق هو ان يومنوا بالله ويوحدوه فقدم
محمدا صلى الله عليه وسلم في الذكر لتقدمه في الخلق بل والبعث وهذا التفسير رواه قتادة عن
الحسن عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل
واذ اخذنا الاية فقال كنت اولهم في الخلق واخرهم في البعث واما ما روي عن مجاهد من ان هذا
في ظهر ادم عليه الصلاة والسلام فتفسير اخر لا وجه لذكره هنا وقد اشار الى نحو من هذا
عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قوله كما تقدم لما بكى على النبي صلى الله عليه وسلم اذ توفي بابي وامي
انت يرسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان بعثك اخر الانبيا وذكرك اولهم فقال واذ
اخذنا من النبيين الاية وانما قال اشار ونحوه لانه ليس فيه تصريح بتقدم خلقه صلى الله عليه
وسلم اذ التقدم الذكري ليس صريحا فيه لجواز كونه لشرف رتبته عنده ومنه اي من قبيل
ذكر كونه اولا واخرا قوله نحن الاخرون اي هو صلى الله عليه وسلم اخر الانبيا بعثة وامته اخر
الامم السابقون اي اول من يقضي بينهم ويقضي لهم يوم القيمة قبل الخلايق كما صرح به في حديث
مسلم وقوله صلى الله عليه وسلم كما تقدم انا اول من تنشق عنه الارض في الخروج من القبور
للحشر واول من يدخل الجنة هو وامته كما مر واول شافع واول مشفع اي ماذون له في
الشفاعة المقبولة وهذا بيان لاطلاق الاول عليه وقوله وهو خاتم النبيين واخر الرسل صلى
الله عليه وسلم لبيان اطلاق الاخر عليه ايضا فعلم منه كله انه يقال له صلى الله عليه وسلم
الاول والاخر كما يقال على الله وان كان اطلاقهما على الله بمعنى مختص به كما مر واطلاقهما
عليه صلى الله عليه وسلم بمعنى اخر مقيد بقيود اخر يدل على تغايرهما فكفاه شرفا تسميته
باسم الله ومشاركته في لفظه وسقط ما قيل ليس هذا المعنى الاول قطعا ولا نسبة بينهما فهو غفلة
منه وزلة قدم اذ مثله لا يخفى عليه مثله واعلم انه وقع هنا في بعض الحواشي انه سماه بالاول والاخر
والظاهر والباطن وفسر الاول والاخر بما مر والظاهر بانه الذي لا يخفى على عاقل وجوده او القادر
والباطن بالمحجوب عن عباده في الدنيا او الذي لا كيفية له وقيل الظاهر القريب والباطن العليم
الحكيم وروي فيه حديثا وهو ان جبريل عليه الصلاة والسلام عليك يا اخر السلام عليك
يا ظاهر السلام عليك يا باطن فقال يا جبريل تكون هذه الصفة لمخلوق مثلي وهي صفة للخالق
لا تليق الا به فقال ان الله امرني ان اسلم عليك بها وقد خصك بها دون الانبيا والمرسلين وشق
لك اسما من اسمه وصفة من صفته وسماك بالاول لانك اول الانبيا خلقا وسماك اخرا لانك خاتم
النبيين وسماك بالباطن لانه عز وجل كتب اسمك مع اسمه بالنور الاحمر على ساق العرش قبل ان
يخلق اباك ادم بالف عام الى ما لا غاية له ولا نهاية وامرني بالصلاة والسلام عليك فصليت عليك
الف عام حتى بعثك اليه بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وسماك بالظاهر لانه
اظهرك في عصرك واظهر دينك على الدين كله وفضلك على اهل السموات والارض فما منهم
احد الا وقد صلى عليك صلى الله عليه وسلم فربك محمود وانت محمد وربك الاول وانت
والاخر والظاهر والباطن وانت الاول والاخر والظاهر والباطن فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم الحمد لله الذي فضلني على جميع النبيين في اسمي وصفتي انتهى وهذا مما لم نره لغيره
ومن اسمايه تعالى القوي وذو القوة المتين اي الشديد المحكم قوته فالمتين اخص من القوي ولذا
وصف بها والقوي وذو القوة ورد اطلاقهما عليه في القران واصله قوو فاعل بالقلب والقوة
خلاف الضعيف وهي ما يجد به القادر نفسه مستطيعا لتقدير المراد وان لم يفعله فهي والقدرة
متقاربات وقد يراد بالقوة كثرة الاسباب المعينة كالجند والمال ونحوه ومنه قوله تعالى واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة وقال الخطابي القوي يكون بمعنى القادر ومن قوي على شي قدر عليه
ويكون معناها التام القوة الذي لا يستولي عليه العجز بحال من الاحوال فيما لا يتناهى وهي
مخصوصة بالله ولذا قال تعالى ان القوة لله جميعا فلا قوة لعبده الا اذا قواه الله ولذا تعبدنا
بقول لا حول ولا قوة الا بالله كما قيل

بك اشطوا ذا سطوت ولولا ... لما استمسكت قوي اوصالي

ومعناه القادر وان كان بين القوة والقدرة فرقا كما اشرنا اليه ولكنهما متلازمان ولذا فسره
به الخطابي واباه القرطبي في شرح الاسما الحسنى الا انه لا خلاف بينهما وقد وصفه الله تعالى اي
وصف الله نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك فقال انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي
العرش مكين اي ذي مكانة ورتبة عليه عند الله قيل المراد بذي قوة محمد وقيل جبريل
عليهما الصلاة والسلام وعليه اكثر المفسرين كما مر وبه استدل المعتزلة على تفضيل جبريل ولا
دليل فيه كما سياتي ومن اسمايه تعالى التي سمى بها رسوله صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق
كما رواه ابن ماجة والمصدوق بمعنى المصدق فيما جا به وقد ورد في اسما الله الحسنى في الحديث
الماثور المروي بسند صحيح وورد في الحديث ايضا تسميته صلى الله عليه وسلم بالصادق
المصدوق وتقدم لفظه والكلام عليه في الفصل السابق ومن اسمايه تعالى الولي كما قال تعالى
الله ولي الذين امنوا اي الذي يتولى امرهم ويقوم بنصرتهم ومن اسمه ايضا الوالي وهو
بمعناه والمولى كما قال تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم ومعناهما
اي الولي والمولى الناصر اي الذي ينصرهم على اعدايهم وقال تعالى انما وليكم الله ورسوله
والذين امنوا اي ناصركم ولم يقل اولياوكم لان نصرتهم واحدة او لان الناصر انما هو الله
وغيره بتبعيته واعانته كما قال وما النصر الا من عند الله وقد قال عليه الصلاة والسلام
انا ولي كل مومن كما رواه البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه رواه احمد
وابو داود انا اولى بكل مومن من نفسه وفي البخاري ايضا انا اولى بالمومنين
من انفسهم فمن مات وعليه دين ولم يترك وفا فعلي قضاوه ومن ترك مالا فلورثته وكان
صلى الله عليه وسلم في اول الاسلام يوتى بالرجل المتوفى فيسال هل عليه دين وهل وفا فان قالوا
له عليه دين وليس له وفا قال صلوا على صاحبكم والا صلى عليه فلما فتح الله عليه بالفتوح
والغنايم قال صلى الله عليه وسلم من مات وعليه دين فعلي قضاوه فقيل انه كان واجبا عليه
وارتضى امام الحرمين والماوردي انه لم يكن واجبا عليه وانما كان يفعله تكرما وهل
كان صلى الله عليه وسلم يقضيه من الغنايم او من خالص ماله احتمالان وقد قال تعالى
النبي اولى بالمومنين من انفسهم اي احق بهم من انفسهم فانه يتولى صلاحهم وينصرهم ويقضي
ديونهم كما مر ويخلصهم مما يكرهون في الدنيا والاخرة وقال عليه الصلاة والسلام في حديث
رواه الترمذي وحسنه من كنت مولاه فعلي مولاه والمراد ولاء الاسلام ونصرته كما قاله

الشافعي

الشافعي وهذا الحديث ورد في قصة غدير خم وقيل سببه ان اسامة بن زيد رضي الله عنهما
قال لعلي كرم الله وجهه لست مولاي انما مولاي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كنت مولاه فعلي الخ ولا دليل للشيعة فيه على انه رضي
الله عنه وكرم وجهه احق بالخلافة لا سيما والمولى من الولاء وله معان كالنصرة والعتق
وغيره فلا حجة فيه لهم ومن اسمائه تعالى العفو مبالغة في العفو عن السيئات
وهي محوها وازالتها ولذا قيل انه ابلغ من الغفور لانه من الغفر وهو الستر واما الصفح
فمعناه الاعراض وهو دونهما لكنه يطلق على ذلك ايضا فلذا قال ومعناه الصفوح فلا يرد
عليه انه لا ينبغي تفسيره به وقد وصف الله تعالى نبيه عليه الصلاة والسلام في القران اذ امره
به فيه اذ قال خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فامره صلى الله عليه وسلم
بالتخلق بذلك فكان ممتثلا له متخلقا به فيقتضي الاتصاف به على ابلغ وجه واتمه اذ كان
جبلة له صلى الله عليه وسلم فلا يرد عليه انه لم يطلق عليه في القران وانما امر به ولو
سلم اتصافه به لانه لا يعصي له امرا لا يقتضي كونه على وجه المبالغة التي دل عليها صيغة
فعول والامر لا يقتضي التكرار على الاصح والتوراة وفي نسخة والانجيل وامره بالعفو
فقال بيان لما في القران خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح هذا مبني على ان العفو في هذه
الاية الصفح ويدل عليه ما روي انها لما نزلت قال صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذا فقال
لا ادري حتى اسال ربي فساله ثم رجع فقال ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتعفو عمن ظلمك وتحسن الى من اساء اليك وهذا رواه البغوي والقرطبي ونقل بصيغة
التمريض وعليه اعتمد المصنف بقوله وقال له جبريل عليهما الصلاة والسلام وقد سأله صلى
الله عليه وسلم عن قوله خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك فاختصره والذي عليه
الاكثر ان العفو المال الفاضل عن نفقة العيال كما في قوله يسالونك ماذا ينفقون قل العفو
ثم نسخت باية الزكاة فلا شاهد فيها على ما نحن بصدده وقال هذا بيان لما في التوراة وفي بعض
النسخ التصريح بقوله في التوراة والانجيل في الحديث المشهور الذي تقدم عن عبد الله
بن عمرو بن العاص انه صلى الله عليه وسلم ليس بفظ لا غليظ ولكن يعفو ويصفح وقد
تقدم شرحه وان قول النساء لعمر رضي الله عنه في قصة الحجاب لانت افظ من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليس التفضيل فيه على اصله او انه فظ على من يستحق الفظاظة كالكفرة
ومن اسمائه تعالى الهادي وهو الضمير للهداية التي في ضمن الهادي وذكره لان
تانيث المصدر غير معتبر او لانه بمعنى ان يهدي كما في الكشاف بمعنى توفيق الله لمن
اراد من عباده اللام زائدة للتقوية لتعدي التوفيق بنفسه واصل الهداية كما قاله الراغب
الدلالة بلطف لما يوصل او الموصلة على الخلاف المشهور وهي على انواع
الاول ما يعم كل مكلف من العقل والعلوم الضرورية والثاني دعاؤه اياهم
على السنة رسله والثالث التوفيق الذي يختص به من اهتدى والرابع الهداية
في الاخرة التي في قوله الحمد لله الذي هدانا لهذا والانسان لا يقدر يهدي احدا
الا بالدعاء نفيت تارة واثبتت اخرى انتهى والى احد انواعها اشار بما ذكر واشار الى
الاخر بقوله وبمعنى الدلالة والدعاء اي الدعوة قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام
اي الجنة ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم اي يرشدهم الى طريق مستقيم يوصلهم الى الجنة

بما خلقه فيهم من العقل وارسل من الرسل ووفقهم لاتباعهم وتقدم ان التوفيق خلق قدرة
الطاعة في العبد وعنده الخذلان ومن فسر المعنى بالهداية والتوفيق فقد ضل عن
الطريق وكذا ما بناه عليه من ان تفسير الهداية بما ذكر مبني على مذهب المعتزلة في خلق
العباد لافعالهم وان ما ذكره المص لاتساعده الاصول الى غير ذلك من الخلط الناشئ عن عدم
معرفته بقدر المص واصل الجميع من معاني الهداية وفيه اشارة الى انها معان مختلفة اصلها
لغة من الميل فمعنى هداه الى كذا صرفه اليه وماله عن غيره لانه من التهادي وهو التمايل
وفي الحديث خرج صلى الله عليه وسلم يتهادى بين ابنتي ان يتمايل وقيل انها ماخوذة
لغة وقيل هي ومنه هوادي الوحش للمتقدم منها والهادية العنق وهو الذي
ارتضاه الراغب ثم شرع في بيان اطلاقه على النبي صلى الله عليه وسلم فقال وقيل
في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي على طريق الرمز والاكتفاء بحرفين من الاسمين
بدلان على الباقي كما في قوله قلت لها قفي فقالت قاف اي وقفت يعني النبي صلى
الله عليه وسلم اي يريد الله بهذين الاسمين تنبيه صلى الله عليه وسلم لطهارته من كل دنس
وهدايته لخلقه وقال له الله تعالى خطابا لرسوله صلى الله عليه وسلم وانك لتهدي الى
صراط مستقيم اي تدل وتدعو الى الاسلام والطريق الموصلة الى سعادة الدارين وهذا على
قراءته مبنيا للفاعل وهي المشهورة وعلى المجهولة هو الله وقال فيه اي في حقه وشانه صلى الله
عليه وسلم وداعيا الى الله باذنه اي بتيسيره وارادته والاذن يستعمل مجازا مشهورا
في ذلك واصل الاذن معروف والاجازة وعبر في الاولى بقوله له لكونه بصفة الخطاب يقال
قال له كذا اذا خاطبه ولما لم يكن في الثانية خطابا قال فيه لانه في حقه ووصفه
فلا وجه لما قيل انه لا وجه لتغاير المتعلقين ثم اشار الى ان معاني الهداية منها ما
يختص بالله ومنها ما يطلق عليه وعلى غيره فقال والهداية بالمعنى الاول وهو
التوفيق بخلق الله الاهتداء مختص بالله سبحانه لا يقدر عليه سواه ولذا نفي عن النبي
صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى قال تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله
يهدي من يشاء ويريد توفيقه ومعنى الدلالة بكسر الدال المهملة وفتحها
وفتحها وهي ارادة الطريق تطلق على غيره تعالى كالنبي صلى الله عليه وسلم
والمومنين العلما الوقوع الدلالة منهم وقولك لا تهدي نزلت في ابي طالب
عمه لا في العباس عمه رضي الله عنه كما قيل وكان صلى الله عليه وسلم حريصا على
اسلامه حتى دخل عليه في مرض موته وقال له يا عماه قل لا اله الا الله كلمة احاج
لك بها عند الله وعنده ابو جهل وصناديد قريش فقالوا له انرغب عن ملة عبد
المطلب فكان اخر ما قال انه على ملة عبد المطلب فنزلت هذه والشيعة تقول انه
قالها خفية وشهد بذلك فمات مسلما وقد رده الحفاظ وقالوا انه لم يثبت ومن اسمائه
تعالى التي سماه صلى الله عليه وسلم المومن المهيمن قيلهما في اسماء الله بمعنى
واحد ولفظهما من مادة واحدة قلبت الهاء عند هذا القائل همزة فمعنى
المومن على هذا المقول في حقه تعالى المصدق وعده اي ما وعد به عباده في الدنيا
من الثواب ونعيم الاخرة والنصر للمومنين في الدنيا الى غير ذلك من وعده
من لا يخلف الميعاد والمصدق في قوله الحق اي الذي صدق قائلهن

الحق

الحق كما قال فورب السما والارض انه لحق والمصدق لعباده المومنين ورسله اي يصدق ما قالوه
او عاهدهم صادقين في قولهم ملتزمين للصدق في اقوالهم وعهودهم كما قال تعالى رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه فعلى الاول اللام غير زايدة وعلى الثاني مزيدة للتقوي وتحقيقه ان هذا الاسم
سمى الله به نفسه في القران والاحاديث الصحيحة واجمعت عليه الامة وهو من امن يومن ايمانا
فهو مومن اي مصدق فانه كذلك في لغة العرب واستعمالهم وعلى هذا فقيل معناه عباده او الذي
لا يخاف ظلما وقيل معناه الذي يامن اولياوه عذابه كما قال الشاعر

والمومن العايذات الطير تمسحها ركبانا مكة بين الغيل والسند

وقال الحاكم معناه انه اذا وعد صدق وعده وقال الخطابي بعد ما فسره بالمصدق
انه يحتمل وجوها احدها انه يصدق عباده وعده ويفي بما ضمنه لهم من رزق الدنيا وثواب
الاخرة والاخر انه يصدق ظنون عباده المومنين ولا يخيب امالهم كقوله انا عند ظن عبدي بي
وقيل الموحد نفسه بقوله شهد الله انه لا اله الا هو وقوله انني انا الله لا اله الا انا فصدق ما
نطقت به الكاينات وحكته البراهين من توحده في الوهيته وهذا كله على انه من الايمان بمعنى التصديق
وقوله وقيل المومن عباده كلهم مومنهم وكافرهم في الدنيا من ظلمه لتنزهه عنه وما ربك بظلام للعبيد
والمومنين في الاخرة من عذابه معطوف على قوله عباده مفعول مومن بوزن منصف بمعنى معطي
الامان فعلى هذا هو من الامن ضد الخوف فهو من صفات الافعال وعلى الاول صفة ذاتية لانه
راجع للكلام ثم بعد ما بين معنى معنى المومن شرع في بيان معنى المهيمن على انه بمعناه فقال
وقيل المهيمن بمعنى الامين فوزنه مفعيل وهمزته مبدلة فيها واصله مايمن وميمه الاولى
مضمومة زايدة ومعناه الامين كما ذكره وفي بعض النسخ بمعنى الامن وهو من طغيان
القلم الا ان يراد معنى مادته الماخوذة منها وهو من اسمايه الواردة في القران والحديث
واجمعت عليه الامة وورد على غيره تعالى كما سياتي في بيت العباس واطلق على ابي
بكر ايضا رضي الله عنه في قول الشاعر

الا ان خير الناس بعد نبيه مهيمنه التالي على العرف والنكر

ولم ينكره وقال ابن الحصار لا نعلم احدا سمي به الا انه ليس في الشرع ما يمنعه
وقوله مصغر منه اي مصغرا من الامين وهو قول ابن قتيبة الا انه رد بانه قول مرغوب عنه
لان اسما الله لا يجوز تصغيرها لايهامه التحقير وانما جا للتعظيم في قوله دويهية
تصفر منها الانامل لانه انما جا بالتصغير فيما يجوز تصغيره فصغروه تلطفا
منهم كما قال وتقدم

ما قلت حبيبي من التحقير بل يعذب اسم الشخص بالتصغير

واما اسماوه تعالى واسما انبيايه عليهم الصلاة والسلام فلا يجوز ذلك فيها قطعا وانما
هو اسم فاعل من هيمن فهو ميمن والبا فيه كياء ضيغم وحيدر وليست للتصغير وقد جاء
في كلامهم الفاظ على وزنه كمصيطر ومصيطر ومبيطر وهو البيطار ويقال له بيطر ايضا
والمذبير بالموحدة من الادبار ومجيمر اسم جبل وهذا البنا من النوادر غير
متصرف ولم يرد له فعل فلا يقال هيمن يهيمن هيمنة وحكى الخطابي
عن بعض اهل اللغة الهيمنة بمعنى القيام على الشي والرعاية له وذكره ابن الانباري في الزاهر
ولغرابته اختلفوا في معناه على اقوال العشرة الاول انه بمعنى الامين كما ذكره المص
فقلبت الهمزة ها لانها اخف منها كما قالوا في اراق هراق وفي انك هنك وقول المص انه مصغر

منه اي من مادته ونوعه والا فهو من الامن مصغر مومن ويجوز ان يعود ضمير منه الي مومن
فليس مراده انه تصغير امين كما توهمه عبارته الا انه لظهوره لم يوضح عبارته فلا يرد
عليه ما قيل انه سهو منه لان تصغير امين اُمَيّن بضم اوله وتشديد يايه وجعله شاذا لا داعي
اليه واسماء الله لا تصغر فياؤه زايدة للتكثير ثم ذكر اسما اخر من هذه المادة فقال وقد
قيل ان قولهم في الدعا امين بالمد وقد يقصر اسم فعل كصه ومه قال الحسن معناه
استجب او افعل او لا تخيب وامّن اذا قال امين وقايله مجاهد انه اسم من اسما الله
تعالي بدل من قوله ان قولهم قيل اصله علي هذا امين بالقصر مبني علي الفتح وادخلت
عليه همزة الندا وابدلت الثانية الفا ورده ابن قرقول بانه ليس في اسما الله اسم مبني
وقال الراغب عن ابي علي ان القايل بذلك اراد انه فيه ضمير الله
لان معناه استجب وقيل انه عبراني وقيل سرياني وقيل لا يعلم اصله ومعناه
معني المومن اذا كان اسما لله ولذا قيل ينبغي تقديمه علي هذا والكلام عليه مفصل في التفاسير
والقول الثاني في المهيمن ما اشار اليه بقوله وقيل المهيمن بمعني الشاهد اي الحاكم او الذي
يشهد علي كل نفس بما كسبت وقريب منه الثالث وهو الشهيد والرابع الحافظ للموجودات
عن العدم حتي يريد غيره او المحصي لاقوالهم وافعالهم والخامس انه بمعني العلي المتقا
والسادس الشريف وهو قريب مما قبله والسابع المصدق والثامن الوالي قاله عكرمة والتاسع
القاضي قاله ابن الزبير والعاشر الرقيب وفيه كلام في شرح الاسما الحسني للقرطبي ثم شرع في
ذكر تسمية النبي صلي الله عليه وسلم بذلك فقال والنبي صلي الله عليه وسلم امين
ومهيمن ومومن اي يسمي بهذه الاسما الا الثلاثة التي سمي الله بها وان لم تتخذ معانيها
من كل الوجوه بشهادة الحديث اني لامين في الارض وامين في السما وكان قريش تسميه
صلي الله عليه وسلم قبل البعثة محمد الامين كما مر واشار اليه بعد وسياتي ذكر المهيمن وقد
سماه الله تعالي امينا فقال مطاع ثم امين ان لم نقل المراد به جبريل عليه الصلاة
والسلام كما تقدم اي مطاع امره وامين علي وحيه واسراره وكان يعرف بالامين وشهر
به قبل النبوة وبعدها بين اهل مكة وطوايف العرب والفضل ما شهدت به الاعدا وهذا
مويد لما قبله لان شهرته بذلك بتقدير الله واظهاره فلا يرد عليه انه بصدد تسمية الله
له صلي الله عليه وسلم لا الناس حتي يقال انه لما اقره ورضي به دل علي انه باذن الله
وسمي بالمامون ايضا علي ما مر في قول اخي كعب

سقاك بها المامون كاسا روية ۞ فانهلك المامون منها وعلكا

فلما سمعها صلي الله عليه وسلم قال مامون ان شا الله ان لم نقل المراد به ابو بكر رضي
الله عنه ثم بين تسميته صلي الله عليه وسلم بالمهيمن بقوله وسماه العباس رضي الله
عنه ابن عبد المطلب عمه في شعره مهيمنا في قوله في الشعر الذي قدمناه مع شرحه

ثم اغتدي بيتك المهيمن من ۞ خندف عليا تحتها النطق

وتقدم شرحه فانظره وقيل المراد يا ايها المهيمن ولولا هذا لم يكن اسما ومرضه
المص وتبرا عنه بعزوه لقايله بقوله قال القتيبي عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
البغدادي الامام المشهور نسبة لقتيبة جده توفي سنة ست وسبعين ومايتين وتاليفه
كثيرة والامام ابو القاسم القشيري عبد الكريم بن هوازن منسوب لقشير قبيلة وانما
مرضه لانه تكلف ضعف لان المعرف بال لا ينادي وتقدير ايها مع حرف الندا لا يرتضيه

نحوي

نحوي واثقل من هذا ما قيل ان البيت هنا بمعنى العز والشرف كما في قوله

ان الذي سمك السما بنى لنا ۝ بيتا دعائمه اعز واطول

واذا عزه وشرفه بالمهيمن كان صفة له على ابلغ وجه لانه صفة الصفة صفة ومثل هذه الدقة لا يتحملها الكلام فانه زهرة لا تحتمل الغرك وقال تعالى في وصفه صلى الله عليه وسلم بانه مومن اي مصدق يومن بالله ويومن للمومنين اي يصدق لعلمه بخلوصهم واللام لتضمينه معنى يذعن ويسلم او مزيدة والاية نزلت في حقه صلى الله عليه وسلم لما قالوا في حقه صلى الله عليه وسلم لما قالوا في حقه امرا منكرا وقالوا اذا بلغه ذلك نحلف ونعتذر فانه اذن اي يصدق بكل ما يسمعه فقال تعالى قل هو اذن خير لكم يومن الى اخره وقال صلى الله عليه وسلم انا امنة لاصحابي هذا طرف من حديث النجوم امنة في السما فاذا ذهبت اتى السما ما توعد وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت اتى اصحابي عدون واصحاب امنة لاحتي فاذا ذهبت اصحابي اتى امتي ما يوعدون يعني ان النجوم اذا رفعت قرب وقت فنايها وانشقاقها وكذا كثر سقوطها عند بعثته صلى الله عليه وسلم اشارة الى قرب الساعة فهو صلى الله عليه وسلم امان لاصحابه رضي الله عنهم من وقوع باسهم بينهم ووقوع الفتن فاذا توفاه الله ابتدا وقوع ذلك كقصة عثمان وعلي وابنه الحسين واصحابه صلى الله عليه وسلم امان للناس من ظهور الفساد في البر والبحر فاذا ذهبوا بدا ظهور ذلك وامنة بفتح الهمزة وضمها مصدر بمعنى الامان او بزنة المبالغة كرجل عدل يقع على الواحد وغيره قال الراغب يقال رجل امنة وامنة يثق بكل احد وامين ويومن به انتهى ونحوه في الاساس وكونه جمع امين وهو الحافظ خلاف الظاهر للاخبار به عن الواحد وانما ذكره المص تاييدا لما قبله لانه خارج عما هو بصدده من ذكر تسميته صلى الله عليه وسلم باسما الله اذ ليس من هذا القبيل ومن اسمايه تعالى التي اطلقت عليه صلى الله عليه وسلم القدوس مبالغة من القدس وهو الطهارة والنزاهة باتفاق اهل اللغة وهو بضم القاف في الاشهر وان كان الاقيس فتحها وهو لغة فيه وقرئ بها وكل اسم على فعول مفتوح الاول كتنور وسمور الا السبوح والقدوس ومنه القدس بفتحتين للسطل والعامة تقول له قادس وظاهر كلام القرطبي في شرح الاسما الحسنى انه سمع والمشهور خلافه ومعناه المنزه عن النقايص المطهر عن سمات الحدوث اي علاماته واثاره فلا يتصف بشي منها وسمي بيت المقدس اي من هذه المادة بالمعنى المذكور بيت المقدس مخفف بزنة مرجع اسم مكان او مصدر ميمي من القدس وهو الطهر وجا فيه ضم الميم وفتح القاف والدال المشددة من التقديس وهو التطهير وجا بكسر الدال المشددة اسم فاعل ويقال له البيت المقدس بالتوصيف والاشهر الاضافة قاله الكرماني وقد تقدم لانه يتطهر فيه من الذنوب بزيارته والعبادة فيه

وروى النسائي

باسناد صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس سال الله تعالى خلالا ثلاثا حكما يصادف حكمه وملكا لا ينبغي لاحد من بعده وان لا ياتي بيت المقدس احد لا ينهزه الا الصلاة فيه يخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه فاعطي جميع ذلك انتهى ولذا تشد اليه المطي كما تشد الى الكعبة ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم ومنه الوادي المقدس المسمى طوى وهو واد بالشام كلم الله فيه موسى عليه الصلاة والسلام سمي به لان الله قدسه وشرفه بظهور كلامه فيه وهو من الارض المقدسة ايضا فهو مطهر مبارك وقد فسر المقدس بالمبارك ايضا ومنه روح القدس بضمتين ومن فسكون كما

مر وهو جبريل عليه الصلاة والسلام قال تعالى قل نزله روح القدس لنزوله بما يطهر النفوس من
القرآن والحكمة والفيض الالهي وهذا هو الاصح وفيه وجوه اخر ووقع في بعض كتب الانبيا المنزلة
من عند الله عليهم في اسمايه عليه الصلاة والسلام المقدس هذا هو الصحيح وما في بعض النسخ
من انه القدوس من غلط الناسخ فانه لا يجوز ان يقال في حق مخلوق القدوس مطلقا اي المطهر
من الذنوب لعصمة الله له صلى الله عليه وسلم من الدنس بها ومغفرتها لو فرض وقوع شي منها
يسمى ذنبا بالنسبة له صلى الله عليه وسلم كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تاخر وقيل المراد ما تقدم من ذنوب امتك وما تاخر منها كما سياتي بيانه وخوطب
لانه سبب المغفرة او الذي يتطهر من الذنوب وينزه ببنا المجهول فيهما والتنزه
البعد ولذا اخره لانه شعار التطهير بالوقوع وقوله باتباعه عنها متعلق بينزه والبا سببية
لان من اتبعه صلى الله عليه وسلم واتبع شرعه المطهر لا يرتكب الذنوب وان ارتكبها غفرت
ببركته صلى الله عليه وسلم كما قال الله تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم
اياته ويزكيهم يطهرهم من الشرك وخبايث الجاهلية ويعلمهم ما يكفهم عن الاثام وقال ويخرجهم
من الظلمات الى النور اي من الكفر والمعاصي الى الايمان وتقوى الله وطاعته بارشادهم وتوفيق
الله لهم ببركته صلى الله عليه وسلم ففيه استعارة تصريحية او يكون مقدسا الموصوف به النبي
صلى الله عليه وسلم بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة بالمعجمة اي المذمومة والاوصاف الدنية
الحقيرة التي لا تليق بجنابه صلى الله عليه وسلم وفي الشرح الجديد هنا ما تركه خير منه
ومن اسمايه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الذي لا ينال ولا يدرك والعرب تقول حصن عزيز
اذا كان لا يوصل اليه قال الهذلي في العقاب

حتى انتهيت الى مراش عزيزة ... سوداء روثة انفها كالمحصف

كذا قاله القرطبي نقلا في شرح الاسما الحسنى وهذه صفة ذاتية وقوله الغالب القاهر من
صفات الافعال فكان ينبغي ان يقول او الغالب لانه معنى اخر كما صرحوا به في شرح اسما الله
والجمع بينهما على انه مركب من نعت حقيقي ونعت تنزيهي كما قيل خلط وخبط يعرفه من
من نظر شرح القرطبي لاسما الله الحسنى ان اطلاق الغالب على الله لم يات في عداد الاسماء وورد
في قوله والله غالب على امره اي الفعال في مخلوقاته ما يريده احبوا او كرهوا وفي التنزيل
كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقال الحاكم الغالب والطالب جرت عادتهم باستعمالهما في اليمين
اي الممتنع اي الممهل ولا يهمل وهو على الامهال بالغ امره انما نملي لهم ليزدادوا اثما او الذي
لا نظير له هذا معنى اخر قال الخطابي العزة تكون بمعنى نفاسة القدر يقال منه عز يعز
بكسر العين فيتناول معنى العزيز على هذا انه لا يعادله شي وانه لا مثل له انتهى وبما سمعته
من تفسير العزيز ظهر ان ما قيل انما انحصر في فرد كالشمس والقمر داخل فيه فيحتاج لزيادة
قيود اخر ليس بشي او المعز لغيره فهو فعيل بمعنى مفعل وهو عزيز في العربية ولذا اخره
المص يعني به لا عزيز الا من اعزه الله فالعز له وبيده لا بيد غيره وبهذا صح الاستشهاد له بقوله
وقال تعالى ولله العزة ولرسوله صلى الله عليه وسلم والاية نزلت في حق المنافق عبد الله
بن ابي بن سلول حيث قال ليخرجن الاعز منها الاذل يعني بالاعز نفسه وبالاذل المسلمين
فرده الله عليه على طريق القول بالموجب ثم نفاها عنه بتقديم الخبر هنا فلا يتوهم ان انحصار
العزة في الله لا يقتضي انه معز بل معزز بالفتح وقد جوز في الاسم الشريف ان يكون المعزز

المعظم

المعظم وقد يقال يكفي في كونه معزا اثبات العزة للرسول صلى الله عليه وسلم والمومنين وانه محل الاستشهاد
اي الامتناع وجلالة القدر معطوف على ما قبله لانه بمعنى العزة عدم النظير او تقديره وبزيادة المصنف
لما ذكر اندفع ما تقدم ايضا **وقال الغزالي** العزيز من العباد من يحتاج اليه في المهم وهي الحياة الاخروية
وهو مما يعز وجوده وهو مرتبة الانبياء والخلفاء وورثتهم من العلماء المرشدين وذوي العدالة من الحكام
ثم ذكر اسما للرسول وصفه بها الله لا على طريق الاسمية فقال **وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة**
والنذارة الاول بكسر اوله والثاني بفتحه والبشارة الخبر السار سمي به لانه يؤثر في بشرة الوجه ولذا
لو قال لعبيده من بشرني بقدوم زيد فهو حر فبشروه على الترتيب عتق الاول ولو قال من اخبرني
عتق الجميع كما مر والنذارة الاعلام بما فيه وعظ وتخويف وقوله فبشرهم بعذاب اليم تهكم كما مر
فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه
اسمه المسيح عيسى ابن مريم ومن يكتفي بوجود المادة يجوز ان يسمي الله مبشرا ومنذرا
ومثله يكفي في كونه توفيقيا والاشعري رحمه الله يقول لا بد من وروده بعينه **وسماه الله تعالى**
مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل طاعته بما يسرهم في الدنيا والاخرة **ونذيرا لاهل معصيته**
بما يسوءهم من العقاب ونحوه **ومن اسمايه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم**
انهما من اسما محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم وتقدم الكلام عليه مفصلا فلا حاجة
لاعادته **تنبيه** في فتاوى السبكي في قوله تعالى في سورة الاسرا انه هو السميع البصير
ان الضمير في قوله انه يعود على الله تعالى وقد ورد في اربعة مواضع من القران **وقال بعضهم**
الضمير هنا يعود على النبي صلى الله عليه وسلم فيكون هذان الاسمان من اسمايه صلى الله عليه وسلم
ومعنى وصفه بهما انه الكامل في السمع والبصر اللذين يدرك بهما الايات التي يريه اياها وهو نذير
والانذار بالعقل واعظم الحواس الموصلة الى العقل السمع والبصر وعلى هذا وصفه صلى الله عليه
وسلم بذلك لانه لا احد اكمل منه في الانذار والاستدلال انتهى **اقول** يعني ان وصفه
صلى الله عليه وسلم بهما هنا على هذا وقع بطريق الحصر المستفاد من تعريف الطرفين وسيق
للمدح وهو امر عام ففسره بما يخصصه به ويصيره مدحا له ولا حاجة لهذا مع بعده فانه قد
تبين توجيه اظهر منه وهو السميع لكلام الله من غير واسطة والناظر الى نور جماله وجلاله
بعين بصره وهذا مما اختص به صلى الله عليه وسلم

فصل

قال القاضي ابو الفضل عياض المولف **رضي الله عنه وها هنا نكت** وفي نسخة وها انا ذكر نكتة
وها حرف تنبيه والاكثر وقوع اسم الاشارة خبر عن المبتدا الواقع بعدها نحو ها انا ذا اقول
وقد لا يوتى به كما صرحوا فمن ظنه لازما واعترض على المص لم يصب والنكتة بضم اولها وفتح
المثناة الفوقية هي الامر الدقيق المحتاج الى فكر فتامل سميت بها لان صاحبها كثيرا ما يبحث
في الارض بقضيب ونحوه وهو معنى النكتة لغة **اذيل بها هذا الفصل** اي اختمه بها واطوله فيكون كذيل الثوب
الذي يطول به **وفي حديث مصعب**
بن عمير رضي الله عنه انه كان في الجاهلية مترفا يدهن بالعنبر ويذيل يمنة اليمن اي يطيل ذيلها
واليمنة برد من برود اليمن ففيه استعارة تصريحية تبعية واليه اشار بقوله **واختم به هذا**
القسم الذي فيه ذكر الاسما **وازيح الاشكال بها فيما تقدم** اي ازيل ما يشكل على سامعه **عن كل**
ضعيف الوهم قيل المراد بالوهم الذهن والادراك لا القوة الواهمة المعارضة للعقل فان
ضعفها بقوة العقل المزيل للاوهام والاشكال فقوله **سقيم الوهم** كالتفسير له وشقمه

بمعنى قلته فهو استعارة وتعبيره في الاول بالضعف وفي هذا بالسقم تفنن حسن والوهم
بسكون الها وفتحها تخلصه من مهاوي التشبيه بكسر الواو جمع مهواه وهي كالهاوية الحفرة العميقة
التي يقع فيها من يصعب طلوعه وهو من اضافة المشبه للمشبه به كلجين الما وهي تخييلية ومكنية
والمراد بالتشبيه تشبيهه الله وصفاته وبغيرها لان اطلاق بعض الاسما على الله وعلى غيره يقتضي
ذلك وتزحزحه اي تزيله وتبعده قال تعالى فمن زحزح عن النار عن شبه التمويه الشبه بزنة غرر
جمع شبهة وهو ما يلتبس واصله ما لا يتميز عن غيره لما بينهما من التشابه والتمويه من الماء والمراد
به زخرفة الكلام الذي لا حقيقة له وتحسينه حتى يروج على من لا علم عنده وهو استعارة قال
في الاساس سرج مموه مطلي بالذهب او الفضة وحديث مموه مزخرف وما احسن
موهة وجهه بهاوه ورونقه انتهى وانما سمي تمويها لانه بذات حتى يصير كالماء ويقال موه عليه
الخبر اخبره بخلاف ما ساله عنه وهو عايد على ما يفهم مما تقدم وهو ما يزيل الاشكال ويريح الاوهام
والعجب ممن اعاده على ضعيف الوهم وسقيم الفهم ان نعتقد ان الله جل اسمه اي عظم وتنزه
عن الالحاد في اسمايه بالتاويلات الباطلة ولقد اصاب قوله هنا جل اسمه مخرجه وطبق مفصله
في عظمته وكبريايه الكبريا الترفع عن الانقياد والعظمة جلالة ذاته في نفسها ولظهور الاولى
ورد في الحديث الكبريا ردايي والعظمة ازاري من نازعني في شي منهما قصمته والفرق بينهما فيه
تفصيل ليس هذا محله والجار والمجرور متعلق بما سياتي من قوله لا يشبه الخ وقيل انه حال
لازمة من ضمير اسمه اي متصفا بهما وبما بعدهما وكني بالظرفية عن تمكنه فيهما من غير تصور
ظرفية واستقرار ففيه استعارة تبعية او هو ظرف مستقر كانه لتمكنه وانفراده باعلى مراتبهما
فيهما انتهى وفيه تكلف وملكوته اي عظم وعز سلطانه وهي كما مر صيغة مبالغة من الملك كالجبروت
وقد يقابل بالملك فيراد به عالم الغيب وبالملك عالم الشهادة وكلا المعنيين صحيح هنا
وحسنى اسمايه اي اسماوه الحسنى ووصفت بالحسنى لدلالتها على احسن المعاني وامدحها
فهي صفة كاشفة لا مخصصة ومنها ما يختص به كالخالق وما يطلق عليه وعلى غيره ولها
تقاسيم اخر وعلى صفاته بضم العين وفتح اللام مقصور جمع عليا وهي الشريفة الرفيعة
وروي على بفتح العين وكسر اللام وتشديد اليا وهما بمعنى لا تشبه شيا من مخلوقاته
بالتا الفوقية اي المذكورات من لفظ العظمة وما بعده وهو خبر ان وما بعده متعلق به او حال
مما قبله وليس معترضا كما قيل ولا تشبه به مبني للمجهول بضم الفوقية مشدد البا الموحدة
ويجوز ضبطهما بالتحتية اي معاني اسمايه وصفاته لا تشابه غيرها بوجه من الوجوه لقدمها
وكونها على اعظم رتبة لا يصل اليها غيرها وهو جواب عن سوال وشبهة نشات مما تقدم
تقديره ان بعض اسمايه تعالى اطلق على نبيه صلى الله عليه وسلم وغيره فيلزم مشاركة
عبيده لنفيها كما قال وان ما جا من اسمايه تعالى مما اطلقه الشرع في القران والاحاديث
والكتب الالهية على الخالق وعلى المخلوق كشكور وحفيظ وغيره مما تقدم واعاد الجار
اشارة الى تغايرهما وان اتحد لفظهما فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي الذي هو ماخذ الاشتقاق
من الشكر والحفظ قال العلامة ابن القيم في كتابه بدايع الفوايد اسماوه
تعالى التي تطلق عليه وعلى غيره كسميع هل هي حقيقة فيه مجاز في غيره او مجاز فيه حقيقة
في غيره او حقيقة فيهما ثلاثة اقوال والاسما الحسنى منها ما هو علم وصفة والوصف فيها لا
ينافي العلمية بخلاف العباد فانها مشتركة انتهى وهو كلام مشكل فان منها ما هو حقيقة قطعا

كالاله

كالاله والخالق ومنها ما هو مجاز كالرحيم فان الرحمة رقة القلب وقد صرحوا بانه اطلق عليه
باعتبار غايته الا ان يقال انه حقيقة شرعية فان تغايرها باعتبار الصفات كما تقدم والحدوث
لا يستلزم اشتراكها بل كونها مقولة بالتشكيك فقوله اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق لا يتم
دليلا على مدعاه فكما ان ذاته لا تشبه الذوات اي حقيقته ونفسه ومن ذهب الى الذات لم ترد
بهذا المعنى ينكر دخول ال عليه الا ان الظاهر صحته ويشهد له قولهم الذوتي لملوك اليمن وقوله
تعالى ذواتي افنان فكذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين وكون ذاته لا تشبه شيئا من الذوات
هو الحق الذي ذهب اليه الاشعري وغيره من المتكلمين خلافا لمن ذهب الى انها تشبه غيرها في
الحقيقة وان امتازت بالوجوب والالوهية وغيرهما وتفصيله في الكتب الكلامية واعلم
ان في اطلاق لفظ الذات على الله شرعا ولغة خلاف فقيل انه غير صحيح لانه مؤنث ذو ودخول
ال عليه غير صحيح لغة وقال السهيلي ذهب كثير الى اطلاقها عليه وجواز تعريفها
لانها بمعنى النفس والتانيث غير مراد فيقولون ذات الباري بمعنى حقيقته ويحتجون بما
ورد في الحديث الصحيح ثلاث كذبات في ذات الله وقول حبيب رضي الله عنه

وذلك في ذات الاله وان يشا ... يبارك على اوصال شلو ممزع

وقد اثبت ذلك البخاري واحمد في مسنده وقال ابن القيم وابن قدامة ليست هذه اللفظة كما
زعموا في اللغة والشرع بالاستقرا ولم يرد الا مجرورا بفي والظرفية غير صحيحة فهي صفة
لمؤنث مقدر ومعناها طاعة الله وشريعته كما قال النابغة

مجلتهم ذات الاله ودينهم ... ومن فسره بغير ذلك فقد وهم فتدبر اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض
والاعراض الاول بغين معجمة والثاني بغين معجمة او العكس ثم راء مهملة وضاد معجمة
فيهما فالاول جمع عرض بفتحتين وهو ما يقابل الجوهر اي ما لا يقوم بذاته او بمعنى كالمرض
ويكون بمعناه ايضا لان ما يعرض للبدن ان استمر فهو مرض عند الاطبا والا فعرض ويطلق كل
منهما على الاخر والثاني هو الامر الباعث على وجود الفعل وايجاده وهذا تعليل لكون ذات
الله وما تعلق بها لا يشبه شيئا من المخلوقات فان الخلق وصفاتهم لا تنفك اي لا تفارق الاعراض
والله تعالى منزه عن الاعراض المحسوسة والكيفيات النفسانية لانها تابعة للمزاج المستلزم
للتركيب المستلزم للحدوث المنافي لوجوب الوجود الذاتي خلافا للحكما والكرامية وافعاله تعالى
لا تعلل بالاغراض وان كان لها ثمرات وحكم كثيرة جليلة وهي تسمى غرضا ايضا ولكنه ليس
محل خلاف وذهب النسفي وبعض المحققين الى جوازه والخلاف فيه لفظي
فان الغرض ان كان ما يستكمل به الفاعل ويحتاج اليه فهو منفي عنه والا فيجوز اثباته له
خلافا للحكما وليس هذا محل بسط الكلام فيه وفي كلامه تجنيس وهو تعالى منزه عن ذلك
فلا يحل به عرض ولا يفعل لغرض بل لم يزل موجودا ازلا وابدا بصفاته واسمائه
الدالة على ذاته وصفاته فهي قديمة اما صفاته الذاتية فلا كلام في قدمها ومنها ما هو
عينه ومنها ما هو غيره او لا عينه ولا غيره عند الاشعري واما صفات الافعال كالاحياء
والاماتة والخلق فاختلف فيها فقيل انها قديمة والحادث تعلقها عند الماتريدية
والمص تبعهم هنا وقيل انها حادثة اذ هي اضافات تعرض له ولا محذور فيه كما حققه المتكلمون
وصفاته السلبية قديمة ايضا واسماؤه على ما ذكره قديمة ايضا لانه تعالى سمى نفسه
بها في كلامه وهذا بنا على قدم الكلام اللفظي وهو مذهب السلف وبعض الخلق فالشهر

ستاتي وكفى بهذا اي يكفي في كون ذاته وصفاته واسمائه لا يشبهه شيئا منها قوله
تعالى ليس كمثله شيء فانه صريح فيه سوا قلنا ان مثله كناية عن ذاته كقولهم مثلك
لا يبخل والكاف غير زايدة او قلنا انها زايدة وقيل ان الفرق بين مثله وكمثله
ان الاول يدل على المشابهة في ساير الوجوه وكمثله يدل على المشابهة بوجه ما
ولله در من قال من العلما العارفين المحققين الدر بفتح الدال وتشديد الرا المهملتين اصل
معناه اللبن الحليب ويتجوز به عن الخير والعمل الصالح واللام في لله للتعجب وكذا يستعملوه
فيقال لله دره للثنا عليه والتعجب من محاسنه ولم يقولوا لله هو لانه ابلغ بمراتب لتعجبهم من لبن
ارتضعه كما يقال لله ابوه وبلده واضافوه لله اشارة الى انه لا يقدر عليه سواه واراد بالعارفين
مشايخ الصوفية لما سيحكيه عنهم فان العارف مختص في العرف باوليا الله التوحيد اثبات
ذات وهي ذات الله غير مشبهة للذوات جميعها بوجه من الوجوه ولا معطلة من الصفات
اصل معنى العطل فقد الزينة والشغل والمراد به النفي هنا اي غير منفي عنها الصفات كما يقوله
المعتزلة هربا من تعدد القدماء والمحذور تعدد قدما لا ذوات وصفات وفيه تشبيه
للصفات بالزينة وزاد هذه النكتة وهي معنى التوحيد الذي قاله المشايخ الواسطي تقدمت
ترجمته بيانا وهي اي الزيادة وهي معنى التوحيد الذي قاله المشايخ التي زادها فهو
عايد على ما فهم مما قبله مقصودنا لدلالتها على ما عقد له هذا الفصل فقال ليس كذاته
ذات اي ليس كحقيقته حقيقة فلا تشاركه بوجه من الوجوه اذ لو شاركته لزم امر اخر يميز
ذاته عن ذات غيره والا لاتحدا وهذا يستلزم التركيب والحدوث ولا كاسمه اسم اي لا يشبه
مدلول اسمه مدلول اسم اخر كما مر ولا كفعله فعل لانه في غاية الكمال والاتقان وليس لغرض
ولا غرضا كما مر ولا كصفته صفة لانها عظيمة قديمة وغيرها ليس كذلك الا من
جهة موافقة اللفظ اللفظ في بعضها كسميع وبصير وحي فمثل ذلك في حقه ليس مثله
في غيره وان كان اللفظ متحد المناسبة ثم وضحه فقال وجلت الذات القديمة اي عظمت
وتعالت وتنزهت عن ان يكون لها صفة حديثة اي محدثة موجودة بعد العدم لانها ان
كانت صفة كمال لزم خلو الذات عنها قبل وجودها وهو نقص لا يليق بكماله الا استحال اتصافه
بها وهذا مبني على قدم صفات الافعال كما تقدم كما استحال ان يكون للذات المحدثة
صفة قديمة لامتناع وجود صفة قبل موصوفها وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة
والجماعة الماتريدية فالجماعة اذا اطلقه المراد به هولاء دون غيرهم من الفرق الضالة
المضلة وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري تقدمت ترجمته قوله هذا اي قول الواسطي
السابق ليزيده بيانا وايضاحا على ايضاح فقال هذه الحكاية اي المحكي المنقول عن
الواسطي يشتمل وفي نسخة اشتملت على جوامع اي امور جامعة مستوفية من مسايل
التوحيد وهو اعتقاد ان الله واحد في ذاته وصفاته لا مثل له ولا ضد ولا ند ولا شريك
له في الوهيته واستحقاقه للعبادة وكيف تشبه ذات ذات المحدثات بفتح الدال المهملة
اي الامور الحادثة وهي بوجودها مستغنية مستقلة غير محتاجة ومستندة لغيرها
لوجوب وجودها وكونه عين ذاتها والا كانت ممكنة وكيف يشبه فعله فعل الخلق في حقيقته
ولوازمه وكمال وهو اي فعله لغير جلب بفتح الجيم وسكون اللام وفتحها وباء موحدة
وهو التحصيل واصل معناه السوق انس اي استيناس ودفع وحشة لاستغنايه عن

الانيس

الانيس والجليس او دفع نقص حصل اي ليس شي من افعاله لنفع له بل كله لنفع عباده فانه الغني
المطلق ولا بخواطر واغراض والباء سببية وفي نسخة لخواطر فلا فاللام التعليلية واغراض
بغين معجمة اي ليس شي من افعاله تعالى لخاطر يطرو عليه وباعث يدعوه لفعله كما تقدم وفي نسخة
ولا بجواهر واعراض بالمهملة والصحيح رواية ومعنى الاول وهذا تحريف من النساخ
وان احتمل رجوع الجواهر لذاته والاغراض لافعاله على ما فيه وقوله وجد ماض للمجهول كما قاله
البرهان وقع في مقابلة قوله حصل اي ليس لدفع نقص حاصل ولا لخاطر وعرض موجود وفي بعض
الشروح بكسر الجيم وتشديد الدال اي ليس فعله باجتهاد وجد منه والذي غره قوله هو
ولا بمباشرة ومعالجة الا ان قوله ظهر يأباه فان الافعال الثلاثة فيها ضمير عايد على
الفعل فان معناه ليس فعله وقد وقع كل من الافعال الثلاثة في محله فوصف النقص
يحصل لانه طار عليه ووصف الخاطر بانه وجد بغتة في نفسه كما هو شان كما ان شان المباشرة
كونها محسوسة فهذا ناش من عدم تامل كلامه والمباشرة فعل الشي بنفسه ومزاولته
بجوارحه والفعل ضربان بمباشرة وتولد كانه يمس بشرته وظاهر بدنه والمعالجة المباشرة
بجد وقوة يقال اعتلجوا اذا اقتتلوا اي ليس فعله كفعل غيره بعلاج واعمال وانما هو
بارادته من غير شي من ذلك انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون وفعل الخلق لا
يخرج عن هذه الوجوه المذكورة من جلب نفع ودفع ضر واغراض ومباشرة ومعالجة وقد
قال اخر من مشايخنا جمع شيخ الشيخ من كبر سنه وفي العرف من تصدر للافادة لانه انما
يحصل بانفاق العمر وله جموع منها مشايخ على الاصح وقال بعض اهل
اللغة انه لا اصل له ولم نسمع في كلام العرب ورد بانه سمع كما في شرح الفصيح ما
توهمتموه باوهامكم اي كل شي واقع في اوهام الناس انه حقيقة الباري ليس كما
توهمتموه او ادركتموه بعقولكم اي تصورتموه وعلمته عقولكم فهو محدث مثلكم
لان الاوهام والعقول مالوفة بادراك ما شاهده فتظن الله جل وعلا مثله وتقيس الغائب
على الشاهد والله اجل من ان يحيط به الادراك المدرك للامور المحدودة المتناهية وهو
تعالى منزه عما لا يليق به مما الفته النفس من المدركات وليس المراد انه لا تدرك ذاته وصفاته
بوجه ما فانه معلوم بالنظر الصحيح والبراهين القاطعة فالمراد انه لا يدرك كنه ذاته وصفاته
ومسمى اسمايه بكنهه ولم نكلف بهذا وانما كلفنا بمعرفة ذاته وصفاته ووحدانيته وانه
لا رب ومعبود سواه وقال الامام ابو المعالي الجويني امام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن
يوسف بن محمد الجويني النيسابوري ابو المعالي امام الايمة عربا وعجما فريد دهره تحفة
الفلك ونكتة عطارد صاحب الفضايل والتاليف الجليلة ولد ثاني عشر المحرم سنة تسع
عشرة واربعماية في خامس عشرين من ربيع الثاني وجوين بضم الجيم من نواحي نيسابور وهو
شيخ الغزالي ومفخره من اطمان بطا مهملة ساكنة وميم وهمزة مفتوحة ونون مشددة بمعنى سكن
بعد انزعاج اي تقرر وتيقن عنده بعد الشك والشبه الى موجود انتهى فكره اي تيقن امرا
موجودا على وجه معين ارتسم في ذهنه انه الله فهو مشبه اي معتقد لتشبيه الله بغيره مما
في جزانه فكره وهو خطا لانه ليس كمثله شي وفكره انما هو مدركات المشاهدة فياتيه
التشبيه منها واحترز بقوله اطمان عن الوسوسة فانها ليست بتشبيه لعدم ركون النفس لها
ومن اطمان الى النفي المحض اي الخالص بان نفى ذات الباري حقيقة او حكما كالكلاسفة القايلين

لا يصدر عن الواحد بالذات الا واحد فهو معطل نافٍ للصانع وهم الدهرية القائلون بالطبايع
الى غير ذلك مما لا يصدر عن عاقل واما قطع اي جزم بوجوده اليه واجب الوجود اعترف بالعجز
عن درك حقيقته بسكون الراء وقد تفتح اصل معناه اللحوق ثم صار بمعنى العلم كالادراك
لوصول العقل اليه اي عجز عن علم كنهه فهو موحد لانه عرف الله ووحده واعترف بانه لا
يقدر على معرفته بكنهه وهو التوحيد الصرف قال الراغب
روي عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال يا من غاية معرفته القصور عن معرفته اذ كانت غاية
معرفته ان يعرف الاشيا فيعلم انه ليس شي منه ولا يمثله بل هو موجد كل ما ادركته انتهى
معرفته ان يعرف الاشيا فيعلم انه ليس شي منه ولا يمثله بل هو موجد كل ما ادركته انتهى
وما احسن قول ذي النون المصري الزاهد العارف بالله ابو الفيض ويقال ابو الفياض
واسمه ثوبان بن ابراهيم الاخميمي كان ابوه نوبيا توفي رحمه الله سنة خمس واربعين ومايتين
وكان عالما بالعلوم والخطوط القديمة وجدت له قراما خط قديم

تدبر بالنجوم ولست تدري ... ولرب النجم يفعل ما يشاء

وله ترجمة في الميزان حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشيا اي في ايجادها وابداعها
بلا علاج اي بلا معالجة ومكابدة واستعمال آلة وتعلم ان صنعه لها بلا علاج المزاج لغة
كالمزج للخلط وما ركب عليه البدن من الطبايع وعند الاطبا كيفية له من العناصر المماسة
بحيث يكسر سورة كل منهما سورة الاخر وهو بالمركبات العنصرية والمراد انا ايجاده
لها لا يحتاج الى مادة ومعاونة تركبه منها بل قدرته تعالى الفعلية اوجدته ابتدا من العدم
بعد ان لم يكن بمجرد قوله كن فيكون فلا يحتاج الى شي من العلل الاربع كما اشار اليه
وعلة كل شي صنعه تعيينه في ايجاده اذ افعاله تعالى لا تعلل بالاغراض وما تصوروه
وهمك فاسد خلافه فان ذاته لا تشبه الذوات وافعاله لا تشبه افعال غيره فهو منزه
عن ان تتصوره الاوهام وهذا كلام عجيب نفيس محقق من النفاسة وهي الشرف وعلو القدر
والفضل الاخير من كلام ذي النون وهو الفقرة الثالثة اعني قوله وما تصوروه وهمك
فاسد خلافه تفسير لقوله عز وجل امر بمعنى قوله ليس كمثله شي فان ما لا مثل له لا
يرتسم في الوهم والثاني اي الفصل الثاني وهو قوله وعلة كل شي صنعه ولا علة لصنعه
تفسير وبيان لمعنى قوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فانه لا علة لفعله حتى يقال له لم فعلت
كذا بخلاف غيره من عبيده المكلفين والثالث في العدد وهو الاول اعني قوله حقيقة التوحيد
ان تعلم ان قدرة الله في الاشيا بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج تفسير لقوله انما قولنا لشي
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ففي كلامه لف ونشر غير مرتب وهذا التفسير لسرعة الايجاد
والتسخير ثبتنا الله واياك على التوحيد على العقيدة الحقة في اعتقاد وحدانية الله في ذاته
وانفراده بجميع شؤنه وادلته اي اثبات ما يليق بذاته لذاته وبصفاته لصفاته وليس المراد
اثبات واجب الوجود المنافي للتعطيل فانه معلوم من التوحيد الا ان يريد مجرد التوكيد
والتنزيه لذاته وصفاته عما لا يليق بها ... اي يقدرنا طرق الضلالة والغواية من
التعطيل والتشبيه من بيانية واراد بالضلالة التعطيل وبالغواية ادناها التشبيه والتجسيم
وجعل للاعتقاد الحق طرفين افراط وتفريط والوسط هو الصراط المستقيم والدين القويم
وهذا كله استدلال على ان ما اطلق على الله وعلى غيره ليس لاشتراكهما في حقيقة المدلول

والمسمى

والمسمي كما مر بيانه مبسوطا ولما كانت هذه التسمية تشريفا عما عداهم اردفه بما يتم به التمييز وهو المعجزات فقال

الباب الرابع من القسم الاول فيما اظهره الله علي يديه صلي الله عليه وسلم ما علي اليد هو ما وضع فوقها فكني به عما كان مشاهدا وهي الامور الخارقة للعادة التي يظهرها الله علي يد انبيائه عليهم الصلاة والسلام لالزام من كذبهم اذا عجزوا عن الاتيان بالمثل وهذا هو الفرق بينها وبين الكرامة وليس الفرق ان المعجزة للنبي والكرامة للرسول كما قيل فان الكرامة تكون للنبي ايضا كما اشار اليه المص بقوله وشرف به من الخصايص والكرامات اي ما خصه الله به واكرمه مما لم يكن لغيره والفرق بينها وبين السحر ليس ادعا النبوة فان الساحر قد يدعيها كاذبا بل انها امر الهي ليس بمزاولة العزايم ونحوها من تسخير الكواكب كما يدل عليه قوله اظهره الله وهي دالة علي صدقه في دعوي النبوة وما كان قبل البعثة فهو ارهاص اي تاسيس للنبوة وادخلها بعضهم في المعجزة قال الزركشي في البحر اختلف في دلالتها فذهب القشيري الي انها وضعية وما دل وضعا يجوز ان يتبدل واختار الامام في الارشاد وابو اسحاق انها عقلية وقال الامدي في ابكار الافكار الذي ذهب اليه المحققون ان دلالة المعجزة علي صدق الرسول ليست دلالة عقلية ولا سمعية اما الاول فلان ما يدل عقلا يدل بنفسه ويرتبط بمدلوله لذاته وقد تقع الخوارق عند تصرم الدنيا مع عدم دلالته علي تصديق مدعي النبوة فانه لا ارسال ولا رسول اذ ذاك واما الثاني فلان الدلالة السمعية تتوقف علي صدقه فلو توقف صدق الرسول عليها كان دورا بل دلالتها علي صدقه غير خارج عن الدلالات الوضعية النازلة منزلة قول صدق عبدي انتهي وفيه بحث قال القاضي ابو الفضل عياض المولف رضي الله عنه حسب المتامل بسكون السين المتامل اي يكفيه او كفايته والمتامل هو المفكر الناظر نظرا صحيحا ان كتابنا هذا لم نجمعه اي لم نؤلفه لمنكر نبوة نبينا صلي الله عليه وسلم ممن كفر به ولا لطاعن في معجزاته اي معترض ومعارض معاند في ثبوت بعضها وان كان يظهر الاسلام كبعض الزنادقة واصل الطعن الرشق بالسنان ونحوه فاستعير لتعييب الناس وذمهم يقال طعنه يطعنه بالضم والفتح وقال ابن برسي الاكثر في طعن السلاح ضم عين المضارع وفي القول فتحها ونقله بعضهم عن غيره من الايمة فتامله فيحتاج بالرفع علي الاستيناف او النصب في جواب النفي بنا علي رفع اي من جوزه مستدلا بقوله

لم الق بعدهم حيا فاخبرهم ... الا يزيده حبا الي كرم

وقد منعه بعض نحاة العرب الي نصب البراهين عليها اي علي اثباتها بالادلة القاطعة الملزمة لمن انكرها او طعن فيها ونصبها اقامتها وايضاحها من قولهم نصب رايا اذا اشار اليه بان لا يعدل عنه كما في الاساس وتحصين حوزتها بفتح الحاء المهملة وسكون الواو وفتح الزاي المعجمة وهي الناحية والجانب وتحصينها جعلها حصينة محفوظة كان عليها حصنا يحميها وفيه استعارة تمثيلية تخييلية

يجعل المنكر كالعدو القاصد لخراب المملكة ويقال حمي حوزة وبيضة بلده اذا حفظ جوازه
وما يلزمه حفظه حتى لا يتوصل المطاعن اليها جمع مطعن وهو الطعن والرد بالاباطيل
الفاسدة التي تصدر عن اهل الالحاد وضمير اليها للحوزة او للمعجزة والاول اولى وابلغ
لان عدم الوصول الى الحوزة يستلزم عدم الوصول اليها ويذكر شروط المعجزة والتحدي
بفتح المثناة الفوقية المشددة والحا المهملة وكسر الدال المهملة المشددة وياء تحتية
وهو طلب المعارضة واصله تقابل الحادين في حد الابل وحده معطوف على يحتاج الداخل
في حيز النفي وحده بمعنى تعريفه منصوب كقوله وفساد قول من ابطل نسخ الشرايع
ورده اي لا يذكر فساده ورده معطوف على فساد او ماض معطوف على ابطل اي لم
نجمعه لاجل شيء من ذلك حتى يحتاج الى ذكر ما يدفعه ويقيم الحجة على بطلانه كما هو
داب المسلمين ان يقدموا قبل مباحث اثبات النبوة او ذكر المعجزات مبحث ابطال قول
المنكرين للنسخ لعدم فرقهم بينه وبين البدا وهم اليهود الذين تمسكوا بذلك في ابطال
نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبوة عيسى عليه الصلاة والسلام لنقلهم عن
التوراة ما يدل على تاييد شريعة موسى عليه الصلاة والسلام مع وقوع النسخ فيها
كما فصل في كتب الاصلين بل الفناه لاهل ملته اي انما الفناه لاهل ملة نبينا صلى الله
عليه وسلم من المومنين به الملبين لدعوته بالبا الموحدة المشددة اي القايلين اذ دعاهم صلى
الله عليه وسلم للتوحيد والدين الحق لبيك وهو عبارة عن اطاعته وتصديقه ولذا قال المصدقين
لنبوته لاقرارهم واعترافهم بكل ما جا به ولا يقال ان جميع التاليف الاسلامية كذلك فانه ليس
بشيء ثم بين الداعي لتاليفه فقال ليكون تاكيدا في محبتهم له صلى الله عليه وسلم دفعا لما عسى
يقال ان المومنين غير محتاجين له مع اعترافهم واقرارهم بذلك فاجاب بانه موكد لمحبتهم له صلى
الله عليه وسلم منماة لاعمالهم بالنون من النمو بمعنى الزيادة مصدرا واسم محل اي
يزيدهم رغبة في اعمالهم الصالحة او يبلغهم الاعمال او يبلغ اعمالهم الى الله من تمنيت الحديث
اذا بلغته وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم بذلك فانه يزيده او يثبته في قلوبهم وفي تقديمه
زيادة الاعمال على زيادة الايمان اشارة الى ان زيادته مبنية على دخول الاعمال
والقول في قبول الايمان الزيادة مقدر في محله ونيتنا بالنون والمثناة التحتية المشددة
والمثناة الفوقية والنون قبل الالف اي قصدنا وما عزمنا عليه في هذا الباب
ان نثبت في هذا الباب اي نقرب ونكتب وهو بكسر الموحدة مخففة ومشددة رواية من
الافعال او التفعيل امهات معجزاته اي كبارها وعظامها جمع ام ومشاهير اياته غاير بينهما
تفننا فان الايات بمعنى المعجزات ايضا او المراد ما اشتهر من كراماته صلى الله عليه وسلم
من غير تحدي غيره ليدل ما اثبتناه على عظيم قدره عند ربه لما اجراه على يديه من عظيم
الايات واتينا منها اي ذكرنا من تلك المعجزات بالمحقق اي بما اشتهر وشاع حتى
لم يبق فيه شبهة والصحيح الاسناد اي ما صح سنده وتقدم ان الاسناد الاتيان بالسند
وهو عبارة عن الرجال الذين نقلوا الحديث منقول من سند الجبل وهو ما ارتفع من
سفل الجبل وقد يكون الاسناد بمعنى السند وصحته باستوفا شروطه المذكورة في كتاب
ابن الصلاح وغيره واكثره اي اكثر ما اتينا به ممن بلغ القطع اي وصل الى رتبة القطع بحيث
لا يقبل التشكيك كالقران او كاد اي قارب بلوغ القطع لشهرته وصحته فهو وان كان

ظنيا

ظنيا لكنه قوي حتى صار متيقنا بما حفه من القراين وحذف معمولي كاد شايع في كلام العرب لا
سيما في السجع كما هو فيما نحن فيه واضفنا اليها اي ضممنا الى المعجزات المحققة والمقاربة لها
بعض ما وقع في مشاهير كتب الايمة يعني ايمة الحديث الذي تلقى الايمة كتبهم بالقبول كدلايل
النبوة للبيهقي والسنن وبقية الكتب واذا تامل المتامل المنصف ما قدمناه اي من نظر بعين
الرضا والانصاف في صفاته صلى الله عليه وسلم التي قدمها المص قبل هذا الباب وهذا تاكيد لما
قبله من ان ذكر المعجزات ليس لاثبات نبوته صلى الله عليه وسلم لان من تامل صفاته علم انه غير محتاج
في اثبات نبوته صلى الله عليه وسلم الى برهان بذكر معجزاته وانما ذكرت لمحبتها وتاكيد ذلك كما
قال المتنبي

صفاته لم تزده معرفة ... لكننا لذة ذكرناها

من جميل اثره بفتحتين وهو بقية الشي وما يبقى بعده من اثار فعله كالصدقة الجارية والولد
الصالح والعلم النافع مما يرسم في الصحايف الايام وقيل جمع اثره من اثره يوثر ايثارا
اذا اعطاه وماثر العرب مكارمها ومفاخرها التي تروى وتذكر وحميد سيره جمع سيرة
كسدرة وسدر وهي الطريقة والسنة المحمودة وبراعة علمه اي علمه الفايق به على غيره
يقال برع براعة وبروعا اذا فاق في علم او غيره ورجاحة عقله اي عقله الزايد بحيث لو وزن
بغيره رجح عليه وحلمه الراجح ايضا وجملة كماله جمع خصلة وهي الصفة الحسنة وهي مجاز من الخصل
وهي ما يعطى في الرهان فاستعير لما ذكر كما ذكره في الاساس ونشهد حاله اي ما حكي عما كان يشاهد
من حاله وفي تفسيره بالمشاهد لطف لان فيه ايهام انه يشهد لمحاسنه وهو بمعنى الحاضر وصواب مقاله
اي ما يحكى من كلامه صلى الله عليه وسلم الذي هو صواب كله وحكم وحكم والكل بالجر عطف على جملة
وقوله لم يمتر جواب اذا اي لم يشك ويشتبه عليه ويقع له تردد في صحة نبوته اي صدقه صلى الله
عليه وسلم في مدعاه او فيما دعا الخلق اليه من دينه وتوحيد ربه وقد كفى ذلك غير واحد
هذا فاعل كفى وهو اشارة لما ذكر من الجهل وما بعده وغير معقوله في اسلامه والايمان به
اي كفاه ما راه من احواله صلى الله عليه وسلم عن طلب برهان واية على نبوته وصدق رسالته
والانقياد لامره فاسلم وامن به وتبعه من غير تعليم كابي بكر رضي الله عنه فانه كلما
راه صلى الله عليه وسلم قال ما خلق هذا الا لامر عظيم فلما دعاه للاسلام قال هذا الذي
كنت ارجو منك فروينا عن الترمذي الامام المشهور صاحب السنن وقد منا ترجمته وابن قانع
بقاف ونون مكسورة بعد الالف وعين مهملة وصحفه بعضهم بنافع بنون وفا وهو غلط وهو
عبد الباقي بن قانع الامام الحافظ كما تقدم وغيرهما باسانيدهم جمع اسناد وجمع وان كان
مصدرا لنقله الى الاسمية الى عبد الله بن سلام الصحابي المشهور وهو بتخفيف اللام وغيره
مشدد اللام واختلف في بعضها ايضا قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
في هجرته هو وابو بكر رضي الله عنه جيته لانظر اليه جواب لما يعني انه سمع بقدومه صلى
الله عليه وسلم من مكة وقولهم انه رسول الله فاتاه ليعرف امره وهو من علما اهل الكتاب
صاحب فراسة وذكا فلما استبنت وجهه استفعال من البيان وهو الوضوح
والظهور والسين للمبالغة عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب اي لاح لي من سيماه
ونور النبوة في محياه صلى الله عليه وسلم ان مثله لا يكذب فيما ادعاه فخلق الله فيه
علما ضروريا فصدقه صلى الله عليه وسلم مع ما كان علمه من صفته في التوراة والكتب

السالفة وقال لليهود يا معشر يهود اتقوا الله واقبلوا ما جاكم به فوالله انكم لتعلمون انه رسول الله صلى الله
عليه وسلم الذي تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته واني اومن به واصدقه ثم شرع في ذكر
سنده لما رواه عن الترمذي ولم يقدمه لئلا يفصل بينه وبين ما استشهد له به فقال حدثنا به اي بحديث
ابن سلام القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله الحافظ المعروف بابن سكرة كما تقدم قال حدثنا ابو
الحسين الصيرفي بالتصغير ومن قال ابو الحسن مكبرا فهو مخطئ وابو الفضل بن خيرون تقدمت
ترجمته عن ابي يعلى البغدادي بفتح التحتية وهو المعروف بابن زوج الحرة كما تقدم عن ابي
علي السنجي تقدم مع ضبطه وبيان نسبته عن ابن محبوب المعروف بالمحبوبي راوي السنن
عن الترمذي كما تقدم قال حدثنا عبد الوهاب الثقفي ابن عبد المجيد بن الصلت بن عبد الله بن الحكم
بن ابي العاص الثقفي الحافظ وثقه ابن معين وقيل انه اختلط في اخر عمره توفي سنة اربع
وتسعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة وترجمته في الميزان ومحمد بن جعفر هو غندر كما
تقدم وابن ابي عدي محمد بن ابراهيم بن ابي عدي البصري الثقة توفي سنة اربع وتسعين ومائة
وروى له اصحاب الكتب الستة ويحيى بن سعيد بن فروخ ابو سعيد القطان البصري التميمي الحافظ
احد الائمة الاعلام توفي سنة ثمان وتسعين ومائة وترجمته في الميزان عن عوف بن ابي جميلة
بفتح الجيم وكسر الميم الاعرابي سمي به لسكناه بدرب الاعراب قاله ابن دقيق العيد وهو ثقة ثبت
توفي سنة سبع واربعين ومائة واخرج له اصحاب الكتب الستة كما في الميزان عن زرارة
بن ابي اوفى وفي نسخة بن اوفى وهو من خطا الناسخ وزرارة بضم الزاي المعجمة وراءين مهملتين
وهو مكنى بابي صاحب قاضي البصرة ثقة عالم تقي ام في داره فقرا فاذا نقر في الناقور
فشهق شهقة فمات سنة ثلاث وتسعين وروى له اصحاب الكتب الستة عن عبد الله بن
سلام الحديث كما تقدم عن رمثة بكسر الراء المهملة وسكون الميم ومثلثة قبلها علم منقول من
رمثة نوع من الثياب واختلف في اسمه فقيل رفاعة وقيل عمارة وقيل غير ذلك التيمي وقيل
التميمي اختلف في نسبته ليتم او تميم وهما قبيلتان مشهورتان وقيل انه بلوي ايضا اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي حكاية لحاله التي جاء بها والا فلا دخل له في القضية
فارايته اي ارانيه وعرفني غيري بارشاد ونحوها وهو بضم الهمزة مجهول اراه يريه
لانه لم يكن راه قبل ذلك فلما رايته قلت هذا نبي الله اي بمجرد تعلق نظري به اعترف بنبوته
صلى الله عليه وسلم وروى مسلم وغيره ان ضمادا بكسر الضاد المعجمة وميم مفتوحة مخففة والف
ودال مهملة وهو ضماد بن ثعلبة الازدي نسبة لازد شنوءة قبيلة مشهورة وكان صديقا
للنبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فلما قدم مكة وسمعهم يقولون فيه ما قالوه تابعه
واسلم في اول الاسلام وكان عاقلا يتطبب ويرقي ذكره ابن عبد البر في الصحابة وفي الصحابة
شخص اخر يسمى ضمادا وله وفادة ولا ثالث لهما لما وفد عليه اي لما قدم على النبي صلى الله
عليه وسلم وهو بمكة في ابتداء الاسلام وتقدم ان الوفود القدوم على العظماء من مكان بعيد
قصدا وكان راقيا يرقي الناس في الجاهلية فلما سمعهم يقولون ان محمدا مجنون وفد عليه وقال يا محمد
اني راق فهل بك من شيء فارقيك فاجابه صلى الله عليه وسلم دفعا لما قاله مما نسب اليه
كما بينه بقوله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله جوزوا في ان كسر الهمزة وتشديد
النون وفتح الهمزة مع التخفيف وهو ظاهر والحمد وكون جملته انشائية او خبرية مشهور
وحسن تاكيده سواله وطلبه ان يرقيه لتوهمه صدقهم فيما قالوه فاجابه صلى الله عليه وسلم

وصدر

وصدر كلامه بحمد الله اشارة الي ان الله انعم عليه بنبوته ففيه رد لما زعموه علي ابلغ وجه ثم قال
نحمده ونستعينه فاردف الجملة الاسمية بفعلية مضارعية لانه قصد بالاولي ان الحمد ثابت
ومستحق له بالاستحقاقين بقطع النظر عن الحامدين والجملة محتملة للخبرية والانشائية
ثم اردفها بجملة اخري لانشا حمده بنفسه لما انعم الله به عليه من جلائل النعم التي اجلها نعمة
النبوة المويدة بالمعجزات الباهرة ولذا قطعها عما قبلها واتي بها مضارعية لتدل علي الاستمرار
التجددي واسنده لضمير المتكلم مع الغير اشارة الي انه لا يقدر وحده علي وفا حق حمده
فان كان الضمير له وحده فليس لتعظيم نفسه بل لتعظيم الحمد والمحمود ونستعينه بمعني نطلب
المعونة والمساعدة منه علي ادا حق حمده او علي جميع امورنا التي من جملتها الحمد وفيه اقتدا
بما ارشدنا اليه من ان الطالب للشي يقدم عليه حمد الله وتعظيمه كما في سورة الفاتحة ولذا اردفه
بقوله من يهده الله اشارة الي انه طلب منه الهداية الي الطريق المستقيم كما في قوله اهدنا الصراط
المستقيم ومن شرطية جوابها قوله فلا مضل له اي لا يقدر احد علي اضلاله ومن يضلل فلا
هادي له وفيه تعريض بمن تعرض له له صلي الله عليه وسلم باسناده له ما لا يليق به وان الله
بيده الهداية والضلال واشهد اي اعلم واذعن واعتقد ان لا اله الا الله اي لا معبود بحق سوي
واجب الوجود المستحق لجميع المحامد وحده لا شريك له في الوهيته وجميع شؤونه وهو موكد لما
قبله لتضمنه للحصر المقدم عليه وان محمدا عبده ورسوله ارسله لهداية خلقه وارشادهم
لتوحيده وفيه دعوة اي اعتراف بانه عبده وجواب لما قوله قال له ضماد المذكور لما سمع ما
قاله صلي الله عليه وسلم اعد علي كلماتك هولاء المذكورة من قوله الحمد لله الخ وانما طلب اعادتها
ليتاملها ويفهم ما اراده وهولاء واوليك اشارة الي جمع المذكر والمونث من العقلا وغيرهم
كما قال الشاعر

ذم المنازل بعد منزلة اللوي • والعيش بعد اوليك الايام

فالمشار اليه هنا الكلمات فلقد بلغت قاموس البحر اي اشتهرت مقالتك هذه في جميع اقطار
الارض شرقا وغربا وقاموس البحر وسطه او لجته او قعره كما في كتب اللغة من قسمه اذا غمسه
ووزنه فاعول وهذه اشهر الروايات واصحها وفيه روايات اخر فروي تاعوس بمثناة
فوقية وعين وسين مهملتين بينهما واو ساكنة وروي فاعوس بفاء بدل القاف ورواه
ابو داود قاموس او قابوس علي الشك في الميم والبا الموحدة وروي ناعوس بالنون ايضا
وقيل ان الكل تصحيف ما عدا قاموس وفاعوس كما قاله ابن قرقول يقال قال فلان قولا بلغ
قاموس البحر اي سمعه كل ذي روح حتي دواب البحر وهو مبالغة في شيوعه وروي قاعوس
من القعس وهو خروج الصدر وبروزه وقيل انه تعجب ممن لم يسمعها ولم يصدق بها من العقلا
مع بلوغها هذا المبلغ هات بكسر التا اسم فعل معناه اعطي يدك ابايعك بالجزم في جواب
الامر ووجه استشهاد المص به انه بمجرد رويته وسماع كلامه صلي الله عليه وسلم امن به من غير
تردد وليس في كلامه ما يدل علي صدق مدعاه ولكنه لما راي نور وجهه الشريف وحسن بهجته
امن به وقال جامع بن شداد في حديث رواه عنه البيهقي وهو ابو ضمرة الاسدي الكوفي الحديث
روي عن صفوان وغيره واخرج له ابو داود والنسائي وتوفي سنة ثمان او سبع عشرة
او عشرين ومائة كان رجل منا يقال له طارق بن عبد الله المحاربي وهو صحابي كما اشار
اليه بقوله فاخبر انه راي رسول الله صلي الله عليه وسلم بالمدينة كما قال ابن شداد وغيره

وله رواية عنه وقال ابن حبان انما رآه بمكة بذي المجاز وهو سوق بينه وبين عرفة فرسخ وهو مخالف
لما قاله المص فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ولمن لقيه معه هل معكم شيء تبيعونه انما سالهم
لانهم اعراب وانما يقدم مثلهم للبيع والشرا قلنا هذا البعير فقال بكم تبيعونه قلنا بكذا كذا وسقا
من تمر بكسر الواو وفتحها وهو ستون صاعا مما يكال فاخذ بخطامه بخا معجمة وطاء مهملة وميم
وهو الزمام وزنا ومعنى اي رسنه الذي يقاد به والبا مزيدة اي اخذه ليجره ويذهب به وسار
اي ذهب من عندنا بالبعير فقلنا اي قال بعضنا لبعض بعنا بعيرنا من رجل لا ندري من هو
حتى نطالبه بالثمن والوسق المبهم في الحديث كان ستون صاعا كما ورد التصريح به في رواية اخرى
وقوله من هو مفعول ندري والمعنى لا ندري جواب هذا السوال وعدي البيع بمن وهو متعد
بنفسه اما بنا على مذهب الاخفش من جواز زيادة من في الاثبات وقال النووي انه لغة فيه
فيتعدى بنفسه وبمن كانكح وزوج فانه يقال انكحه وزوجه وانكح وزوج منه وقد وقع هذا في
كثير من الاحاديث فلا عبرة بقول من عده من لحن الفقها وفي مسلم لو بعت من اخيك
وفي البخاري يبيعه من الصواغين الى غير ذلك مما لا يحصى تنبيه
قوله وسقا منصوب لانه تمييز وكذا مركبة من كاف التشبيه واسم الاشارة ثم كني بها عن العدد
وغيره وتكون مفردة ومكررة بعطف ودونه وذهب البصريون
الى ان تمييزها لا يكون الا مفردا منصوبا وذهب الكوفيون الى انها بحسب ما يكنى بها عنه فكذا
عبد كناية عن ثلاثة الى عشرة وكذا كذا عبدا كناية عن واحد وعشرين الى تسعة وتسعين
وكذا عبدا كناية عن عشرين واخواته وتفصيله في شروح التسهيل وقد افرده بالتصنيف
ابن هشام وغيره ومعنا ظعينة جملة حالية والمراد بالظعينة المراة من الظعن وهو الارتحال
ولذا قيل ان حقيقته امراة في هودج على جمل ثم تجوز به عما ذكر وللهودج بلا امراة وللجمل
نفسه وهو بظا معجمة وعين مهملة وسميت المراة ظعينة لظعنها مع زوجها فقالت اي المراة
لما سمعت كلامهم انا ضامنة لثمن البعير اي اعطيه لكم من عندي ان لم يجي لكم منه وانما ارادت
انها واثقة بانه لا بد ان يجي به لما وقع في قلبها من ان مثله صلى الله عليه وسلم لا يغدر ولا
يخلف لفراسة منها حين شاهدت ولذا قالت رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر هذا
استيناف بيان لوجه ضمانها لمن لم تعرفه بانها رات في وجهه صلى الله عليه وسلم نورا وحسنا
سيما تدل على انه ليس ممن يصدر منه شر وشبهت وجهه الشريف بالقمر عند كماله وزيادة
نور على عادتهم في تشبيه الوجه الحسن به والا فمن اين للبدر مثل نوره وحسنه ولقد اجاد بعض
الظرفا في قوله

بلا غيبة للبدر وجهك اجمل ... وما انا فيما قلته متجمل

لكنما الشي بالشي يذكر كما قيل

ظبي اذا ما بدا محياه ... اقول ربي وربك الله

وقد هجا ابن الرومي البدر فقال

لو اراد الاديب ان يهجو البدر ... رماه بالخطة الشعاء
قال يا بدر انت تغرر بالساري ... وتغري بزورة الحسناء
كلف في شحوب وجهك يحكي ... نمشا فوق وجنة برصاء
يعتريك المحاق في كل شهر ... فترى كالقلامة الحجناء

ويليك

ويليك النقصان في اخر الشهر فيمحوك من اديم السماء لا يحبس بكم اي حسن صورته صلى الله
عليه وسلم يدل على حسن سيرته فمثله لا يصدر عنه ما ظننتموه يقال خاس يخيس ويخوس اذا
غدر وكذب فنكث عهده واخلف وعده وهو بخاء معجمة وسين مهملة فاصبحنا اي مضى بعد اخذه
صلى الله عليه وسلم البعير يوم وليلة ثم دخلنا في صبيحة يوم بعد دفي رجل من اتباعه صلى
الله عليه وسلم وهذا الرجل لا يعرف اسمه بتمر فقال انا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليكم ثم استانف جواب سوال مقدر او مطوي كانهم قالوا ما فعل او ما يقول فقال يامركم
ان تاكلوا من هذا التمر الذي جا به وتكتالوا اي تكيلوا منه ثمن البعير حتى تستوفوا اي تاخذوا
الثمن من التمر الذي جا به وافيا كاملا غير ما اكلتموه فانه هبة منه لكم وفيه من المكارم وحسن
المعاملة ما لا يخفى وفي الحديث خياركم احسنكم قضا وورد حديث رواه ابن اسحاق في حديث
الجلندي وقصته وهو اي الجلندي ملك عمان وسلطانها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
وفي القاموس جلندا بضم اوله وفتح ثانيه وهو اللام المخففة ممدودا وبضم ثانيه فيقصر ووهم
الجوهري فقصره مع فتح ثانيه قال الاعشى

وجلندا في عمان مقيما ثم قيسا في حضرموت المنيف

ولا حجة له فيما ذكر لاحتمال انه ضرورة كما قاله تلميذه البرهان الحلبي وفي شرح
المفصل لابن الحاجب الاولى ان لا تدخل عليه الالف واللام ومعناه القوي
المتحمل من الجلادة كما قاله المقري في رسالة الغفران وعمان بفتح العين المهملة وتشديد الميم
مدينة قديمة بالشام وبالضم والتخفيف صقع عند البحرين وفي الشروح نقلا عن الذهبي
ان له شعرا يدل على اسلامه وهذا يدل على عدم جزمه به والذي نقله النويري في تاريخه
الجزم به وانه صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاص في سنة ثمان من الهجرة الى جيفر
وعبد ابني الجلندي وهما من الازد والملك منهما جيفر وكتب اليهما كتابا فلما قدم عمان عمد
الى عبد وكان اعلمهما واحسنهما خلقا فقال اني رسول رسول رب العالمين الله صلى الله عليه
وسلم اليك والى اخيك فقال اخي مقدم علي في السن وهو الملك وانا اوصلك اليه فمكثت بيانه
اياما ثم دعاني فدخلت عليه ودفعت اليه الكتاب ففض ختمه وقراه ثم دفعه الى اخيه
فقراه فقال دعني يومي هذا وارجع الى غدا فلما رجعت اليه قال اني فكرت فيما دعوتني
اليه فاذا انا اضعف العرب ان ملكت رجلا ما في يدي فقلت اني خارج فلما ابقى بمخرجي
ارسل الي واجاب الى الاسلام هو واخوه وصدقا بالنبي صلى الله عليه وسلم وخليا بيني
وبين الصدقة والحكم بينهم فلم ازل مقيما بينهم حتى بلغني وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
انتهى وهذا يدل على ان ملك عمان بن الجلندي لا هو الا ان يقال كل من ملك عمان يسمى جلندي
واما ما في بعض الشروح من ان في بعض النسخ ملك غسان بتشديد السين كشداد اسم
قبيلة ولعل ملك القبيلة سكنت تلك البلدة وكان الجلندي ملكها فمما لا يعول عليه
لمخالفته الرواية والنسخ الصحيحة هو الذي صححه السهيلي والشراح كلهم لما بلغه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام كما سمعته مفصلا قال الجلندي والله لقد
دلني على هذا النبي الامي الذي لا يقرا ولا يكتب ووصفه به لشهرته صلى الله
عليه وسلم به في الكتب القديمة ولانه مدح له كما تقدم انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ
اي اول عامل بما امر به صلى الله عليه وسلم ولا ينهى عن شي الا كان اول تارك له

كما قال صلي الله عليه وسلم اني لاتقاكم لله واخشاكم له وهو كما قيل

• لانته عن خلق وتاتي مثله • عار عليك اذا فعلت عظيم •

وقوله انه الخ اسم تاويلا هو فاعل دل **وانه يغلب** اعداه وينتصر عليهم وهو سبب للفاعل **فلا يبطر** اي لا يبطئ وينتر ويظهر الفرح وهو حقه مذمومة وبطر من باب علم **ويغلب** بالبناء للمفعول اي يغلب احيانا فاذا الحرب سجال كما اجرت به عادة الله في ايامه **فلا يضجر** اي يقلق ويجزع بل يصبر اي يغلب احيانا فاذا الحرب سجال كما اجرت به عادة الله في ايامه **فلا يضجر** اي يقلق ويجزع بل يصبر ويتحمل ما اصابه في سبيل الله احتسابا للاجره ورضا بما قدره الله كما هو عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام **ويفي بالعهد** فاذا عاهد صلي الله عليه وسلم احد الا ينكث عهده كما قال تعالي واوفوا بالعهد **وينجز الموعود** اي يجعل ما وعد به كلامه والموعود اسم مفعول وجوز ان يكون مصدرا فانه جاء علي مفعول الا انه نادر **واشهد انه نبي** كما تحققه من اخلاقه وكمال صفاته صلي الله عليه وسلم وهذا شاهد لما عقد له الفصل من ان من تامل صفاته صلي الله عليه وسلم وهذا منه شاهد صدق بنبوته وان لم يشاهد معجزاته **وقال القطوبيه** ابراهيم بن محمد الامام الجليل باعرفة بني سليمان الازدي الواسطي النحوي المفسر الاديب وقد تقدمت ترجمته وضبط اسمه بفتح اوله وواوه وسكون ياءه وان الحريري يضمون ما قبل الواو بسكونها لما مر **في قوله تعالي** مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله لنبيه صلي الله عليه وسلم هذا بناء علي الوقف علي قوله الله نور السموات والارض وابتداء مثل نوره وان الضمير في قوله مثل نوره لمحمد صلي الله عليه وسلم وان المشكاة هو وصدره والمصباح علمه والزجاجة قلبه والزيتونة نبوته والمعني ان نبوته تظهر وان لم يبد معجزة وبرهان عليها وقد تقدم ذكر الم لهذه الاية وانا هنا احد احرفها **تعاسيرها** وانه بعيد وانما عداها لما فيها علي وجه ان دلالتها علي المقصود من ان المتامل يشهد ويصدق بنبوته وان لم يقم برهانا عليها فلا تكرار في كلامه كما توهم وهو علي هذا تشبيه تمثيلي وهو ظاهر **يقول** الحقير الي يلاحظ **بنظره** اي ما يتعلق به النظر من ذاته صلي الله عليه وسلم وصفاته **يدل علي** نبوته **وان لم يتل** وانا اي وان لم يظهر صلي الله عليه وسلم معجزة وخص القرآن لانه اعظم معجزاته وتلاوة القرآن معلومة وروي وان لم يقل قرآنا ثم استشهد بما يدل علي معناه فقال **كما قال ابو دواد** رضي الله عنه وهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الانصاري الصحابي احد شعراء رسول الله صلي الله عليه وسلم وقد شهد معه المشاهد الا الفتح فانه مات شهيدا بمؤتة سنة ثمان من الهجرة وهو احد الامراء الثلاثة بها وهم زيد ابو حارثة وجعفر ابن ابي طالب ومما روي من نظمه صلي الله عليه وسلم قوله

• لو لم تكن فيه ايات مبينة • لكانت منظرة ينبيك بالخبر •

ومبينة بكسر الباء المشددة اسم فاعل وبفتحها اسم مفعول ومنظرة مرآة وظاهره وفي رواية كانت بداهته وهذا علي نهج قوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اي مما يترتب الجواب فيه علي وجود الشرط وعدمه وهو علي فقد الشرط اولي ويجوز ان يبقي علي حاله لانه عند ظهورها الايات لا يحتاج الي الاستدلال بظاهر الحال فلا اشكال فيه اصلا واضاء ينبيك ينبؤك بالهمزة فابدلت يا وسكنت علي حد قراة بارئكم وفي جعل المنظر مخبرا من البلاغة ما لا يخفى **وقد اخذ** ناخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة يقال اخذ في القراءة اي شرع فيها الاصل واصل الاخذ

التناول

التاول باليد ويجوز به عن سائر معانيها ومنها هنا وأنا بمعنى قرب اوانه وعمره اي بعد ذكرها شرع في
معجزة القرآن وما فيه من براهينه ودلالته اي دليل قاطع على نبوته بفتح الدال وكسرها مصدر
ويستعمل بمعنى الدليل فصل واعلم امر بالعلم اهتماما بما بعده والخطاب عام لكل من وقف
على كتابه اولمن سأله تأليفه كما تقدم اعلم سجل اسمه اي عظم وعظمت اسماؤه وجلا لذا سمه
تدل على جلالته بالطريق الاولي قادر على خلق المعرفة وهي العلم بالجزئيات وتكون
بمعنى مطلق العلم ايضا والعلم بذاته علما يقينيا وان لم يكن دليلا لكنه والحقيقة واسمائه وصفاته
الذاتية وغيرها وجميع تكليفاته الذي الزمهم بها من الامور الشرعية والعبادات شرع بتوله
دونه واسطة يتوسط بينه وبينهم في اعلامهم وتفهيمهم ما ذكر لوشاء كما حكي عن سننه اي
عادته وطريقته في بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام اذ عرف بعض الامور السابقة بدون
واسطة بان اوقع ذلك في قلوبهم وكشفه لهم او الهمهم او اراهم ذلك في منامهم الصادقة وهذا
مما شاع وذاع وملأ الاسماع وكون كل علم منقسما الي نظري وضروري المراد به غير علوم الانبياء
كما صرحوا به وفي الكشاف حيث العادة بان كل علم نظري كسبي ثم في قدرة
تعالي الهي احداث علم واحد اث القدرة عليه من غير تقدم نظر قال بعضهم كعلوم الانبياء
التي ليست ضرورية ولا نظرية فيخلق فيهم العلم بلا تقدم نظر ليلا يكلفوا ان النظر شاكين وذلك
لا يصح عليهم في التوصير ولو كان ضروريا لم يكن عليه اجر فجمع بينهما كونه مقدورا لينا لوا الاجر
وعدم تقدم النظر ليتنفي الريب وهذا هو الذي ارتضاه المحققون فيما نقل عن بعض مشايخ
الصوفية ان علوم الانبياء جميعها ضرورية غير مسلم وذكر بعضهم الفسر في قوله
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا بناء على ان الوحي يشمل الالهام ونحوه وليس
المراد به ما كان بواسطة الملك فقط وجاز ان يوصل الله معطوف على قوله اولا قادر
اليهم جميع ذلك المذكور من العلوم السالفة بواسطة يبلغهم صفة واسطة بالموصوفية
او التحتية اي يوصله بكلام يدل عليه وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء
عليهم الصلاة والسلام سواء اوهم متمثلين بصورة غير صورتهم او على صورتهم الاصلية
كما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم اولم يروهم كما كان يأتيه صلى الله عليه وسلم الوحي احيانا
كصلصلة الجرس وليست رؤية الملك مخصوصة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام بل قد يره
غيرهم من خلص عباده مكرمين او من جنسهم كالانبياء مع الامم الذين يبلغونهم عن
الله ما امروا بتبليغه ولما نع لهذا المذكور بقسميه من دليل العقل اي من دليل هو
العقل فالاضافة بيانية او هي حقيقية بمعنى انه غير مستحيل خلافا للبراهمة الذين جعلوه
مستحيلا لاحالة فمنعوا ارسال الرسل كفرا وضلالا لما نطقت به الكتب الالهية ودلت عليه
الادلة العقلية كما بين في الكتب الكلامية كما اشار اليه بقوله واذا جاز هذا ولم يستحل
اي لم يصر محالا عقلا وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من مبغ انهم الظاهرة الحقة وجب
تصديقهم في جميع ما اتوا به عن الله وبلغوا علائق لاجلهم لان المعجزة التحدي من النبي
اظهار النبي معجزة له وطلبه ممن انكر نبوته الاتيان بمثلها لان معنى التحدي هو الطلب
المذكور لانه ماخوذ من حدي الابل اذا اتقني لها لتنشطها ومن داب فيه انا يتقابل شخصان
يتناوبان ذلك فهو من النبي قائم مقام قول الله الذي اقدره على ذلك وامره به صدق
عبدي ورسولي فيما ادعاه لما معه من البرهان الذي لا يقدر عليه احد من جنسه
فاطيعوه واتبعوه في كل ما يامركم به لانه من عند الله وشاهد على صدقه في كلما

ما قاله وهو معطوف على قوله قايم خبر ان وقد تقدم الكلام على دلالة المعجزة وانها سمعية او وضعية
والفرق بينها وبين الكرامة والسحر وهذا الكلام كاف فيما قصدناه والتطويل فيه خارج عن
الغرض الذي صنف الكتاب لاجله فمن اراد تتبعه اي الوقوف عليه وجده مستوفى خبر من
اوجوابها يقف عليه بتمامه وتفصيله في مصنفات ايمتنا وعلمائنا وفي نسخة في كتب ايمتنا والنبوة
في لغة من همزه اشارة الى ان فيه لغتين الهمز وتركه الا ان الهمز هو الاصل كما ذهب اليه كثير من اللغويين
والنحاة وان كان ترك الهمز هو الاكثر ولذا قيل انه لغة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه انكر
على من قال له يا نبي الله بالهمز ويأتي الكلام عليه من النبا وهو الخبر لانبائه
واخباره عن الله وقال الراغب النبا خبر ذو فايدة عظيمة يحصل به علم او غلبة ظن فلا يقال
له نبا حتى يتضمن هذه الاشيا الثلاثة ويكون صادقا فالخبر اعم منه وقد لا تهمز بالتا الفوقية
والبنا للمجهول اي النبوة ويجوز قراته بالمثناة التحتية باعتبار اللفظ على هذا التاويل
اي تفسيره بالنبا تسهيلا اي يبدل همزته واوا تخفيفا لكثرة الاستعمال فتبدل من جنس
الحركة التي قبلها وهي الضمة والتسهيل عند القرا بمعنى جعل الهمزة بينها وبين
الحرف الذي منه حركتها وليس مرادهنا والمعنى اي معنى النبي المفهوم من الكلام على هذا
القول ان الله اطلعه على غيبه اي اعلمه واخبره بمغيباته واعلمه انه نبيه الموحى اليه فيكون
نبيا منبا بصيغة المفعول مشدد البا الموحدة ويجوز تخفيفها اي يكون من اطلعه واعلمه
نبيا بمعنى منبا فهو فعيل بمعنى مفعول او يكون معناه مخبرا بكسر البا اسم فاعل عما
بعثه الله به ومنبا اسم فاعل بتشديد البا وتخفيفها عما اطلعه الله عليه من علمه
ومغيباته فعيل بمعنى فاعل على هذا ويكون عند من لم يهمزه اي يقول بان اصله الهمز
من النبا ماخوذ من النبوة مصدر بزنة سلوة في الاصل نقل وشاع بمعنى المرتفع وهو
ذكره باعتبار اللفظ ونظر الخبر اي ما ارتفع من الارض فهو كالربوة لفظا ومعنى ثم بين
المراد منه بقوله معناه ان له عند الله وفي الواقع رتبة شريفة ومكانة نبيهة
اي عالية مشهورة والنبيه ضد الخامل لتنبه سعده من نومة الخمول والمكانة كالرتبة
تختص بالمنازل المعنوية فجعل علوه معنى بظهوره كعلوه حسا عند مولاه
وربه الذي تولى اموره صلفة عالية لا يصعد لها سواه وهو على هذا ايضا فعيل بمعنى مفعول
لانه صلى الله عليه وسلم مرفوع على غيره او بمعنى فاعل لانه مرتفع لما له من رفيع
الدرجات فالوصفان اي وصفه بالنبي بمعنى المخبر او بمعنى المرتفع مؤتلفان
اي متوافقان بحسب المعنى لان من بعثه الله واطلعه على ما لم يطلع عليه غيره له منزلة
عالية ومن له مقام عال يطلع على ذلك او المراد بالوصفين فعيل بمعنى فاعل او مفعول
والذي ارتضاه سيبويه انه مهموز كالذرء والبرية التزم تخفيفه في الاكثر وكلاهما لغة
والخلاف انما هو في ايهما اصل ولذا قدم المص المهموز وبهما قرئ في السبع كما ياتي وقرا نافع
بجميع الهمز في جميع القران الا في موضعين ان وهبت نفسها للنبي لا تدخلوا بيوت النبي واما
الرسول فهو المرسل اسم مفعول من ارسله اذا بعثه لامر وتبليغ رسالة ولم يات فعول
بفتح اوله اسم مفعول من الافعال بمعنى المفعل بضم الميم وفتح العين المهملة في اللغة اي
لغة العرب وكلماتهم ويجوز ان يراد به علم اللغة وكتبها الا نادرا اي الا في الفاظ قليلة
قال الشمني في الدر المصون فعول بمعنى مفعول قليل جاء منه ركوب وحلوب بمعنى المركوب
والمحلوب والرسول بمعنى المرسل انتهى وكلام المص يقتضي ان النادر فعول بمعنى مفعل

من المزيد

من المريد وكلام العرب انه قليل بمعنى المفعول مطلقا فاذا الطالب فيه معنى الفاعل كصبور وشكور الا انه قيل اذا الرسول في الاصل مصدر بمعنى الرسالة ثم يكثر ممانحن فيه بالمجاز للمبالغة كالدرهم ضرب الامير اى مضروبه وقد ورد في قول كثير بهذا المعنى وهو قوله

• لقد كذب الواشون ما بعثوا لهم • بثا ولا ارسلتهم برسول •

اي برسالة فما قيل ان فيه شيا ليس بشي وارساله امر الله له بالابلاغ الي من ارسل اليه اي تبليغهم شريعته ودينه بنفسه او بواسطة واشتقاقه من الارسال بمعنى التتابع اي التوالي والتكرار لتبليغه فالمناسبة بينهما ظاهرة ومنه قولهم جاء القوم ارسالا بفتح الهمزة جمع رسل بفتحتين اي فرقة بعد فرقة متتابعين يتبع بعضهم بعضا كما بينه بقوله اذا تبع بعضهم بعضا كما ورد في الحديث انهم صلوا على صلى الله عليه وسلم ارسالا يتبع بعضهم بعضا ثم بين وجه اشتقاقه بقوله فكانه صلى الله عليه وسلم الزم تكرير التبليغ مرة بعد اخرى الي امته والزمت الامة اتباعه فرقة بعد فرقة تشوقا بعد امة لعموم رسالته فالتكرار والتتابع اما في نفس تبليغه او باعتبار اتباعه وامته ولو عطفه باو كما في نسخة كان احسن فما قيل من انه في كلامه بحث لانه ماخوذ من جهة المعنى والاشتقاق من الالفاظ وان قولهم جاء الناس ارسالا ليس مصدر ارسله لاختلاف المعنى كلام ناشئ من عدم فهم كلام المم وفيه خلط وخبط لا يخفى على من له بصيرة ولما اختلف العلما في جواب قولهم هل النبي والرسول بمعنى واحد فهما مترادفان فقيل هو سوا فهما متغايران غير مترادفين او في نسخة ام بمعنيين ولذا قيل انا وما احسن هنا وفيه كلام في المعنى وشروحه ليس هذا محله فقيل هما سوا اي متساويان او مترادفان لان الاول التساوي في كما صدق دون المفهوم كالانسان والناطق والثاني التساوي فيهما فقط بارتة شاملة لهما الان ما بعده اقرب الي الاول فمعنا هما كل من اوحي اليه بشرع واعم من الانبا وهو الاعلام وهو الارسال فيه اعلام ايضا لانه انما ارسل لذلك فهما متساويان واذا اختلف مفهومهما وترك بيانه للعلم به مما قبله فلا يرد عليه ان الاعلام اعم لانه قد يعلمهم بما لم يرسل به من نبوته وكذا قوله ان الاية لا ترد علي ما مر ذكي فانه من تلقي الركبانا واستدلوا علي تساويهما بقوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي لانه علق فعل الارسال بهما فاذا ارسل النبي لزم ان يكون الرسول نبيا والنبي رسولا والية اشار بقوله فقد ابت لهما الارسال قال المستدل ولانه يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل عليه ان الاية انما تدل علي ان النبي اعم من الرسول فانها ترفع من ذكي الاخص الي ذكي الاعم والحديث الناطق بزيادة عدد الانبيا علي عدد الرسل باباه واعادة النفي تقتضي المغايرة فما ذكي ممنوع وقيل هما متغايران من وجه فبينهما عموم وخصوص وجهي فكل رسول نبي وليس نبي رسول فما دله الي موجبة كلية وسالبة جزئية كما سياتي بيان والمشهور انه علي هذا من اوحي اليه بامر الهي امر بتبليغه ام لا والرسول من اوحي اليه بذلك وامر بالتبليغ وقيل انه ما كانت له شريعة ناسخة لغيرها وقيل من انزل عليه كتابا والي هذا اشار بالم بقوله اذ قد اجتمعا اي النبوة والرسالة في النبوة التي هي الاطلاع بتشديد الطاء وتخفيفها اي سكونها علي الغيب اراد به ما لم يعلمه ما او امر الله وتشريعه له ما يختص

به او به وبغيره والاعلام من الله بخواص النبوة اي ما يختص بالنبوة الشاملة للرسالة كالعصمة
والوحي بواسطة الملك او بدونها كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام اذ كلمه الله قبل
ارساله او الرفعة بمعرفة ذلك المذكور من الاطلاع والاعلام وفي نسخة لمعرفة باللام
بدل البا السببية وحوز درجتها اي درجة النبوة العلية والحوز بحا مهملة مفتوحة
وواو ساكنة وزاي معجمة وهي حيازتها وتحصيلها وقوله الاطلاع والاعلام اشارة
الى انها من النبا المهموز وما بعده الى انه من النبوة الواوي وهي الرفعة كما تقدم
ولا تكلف في شي من كلامه كما قولهم وافترقا اي النبوة والرسالة في زيادة الرسالة
اي الامر بالتبليغ المعتبر في الرسول دون النبي وهو اي الرسالة وذكره مراعاة للخبر
وهو الامر بالاعلام والانذار بما امر بتبليغه وهذا القيد المخصوص هو الذي
حصل به الافتراق في ما صدق عليه النبي فلا مخالفة بينه وبين ما قاله المنطقيون
كما قيل لانهم اعتبروا ذلك في ما صدق عليه لا في المفهوم وهذا كلام ناس من قلة
التدبر كما قلنا اشارة الى ما قدره اولا وحجتهم اي دليل القايلين بان بينهما
العموم والخصوص من وجه وليسا مترادفين ماخوذة من الاية نفسها التي استدل
بها من ذهب الى القول الاول فهي عليهم لا لهم بين الاسمين يعني النبي
والرسول فان العطف واعادة النفي يدل على تغايرهما ولو كان ذا شيا واحدا
لما حسن تكرارهما في الكلا البليغ وليس البليغ المقام مقام اطناب ولا تاكيد
اذ لو كان كذلك حسن التكرار كقوله تعالى فلا سوف تعلمون كلا سوف تعلمون
ونحوه قالوا والمعنى اي معنى الاية على هذا وما ارسلنا قبلك اي اوحينا
واعلمنا من رسول الى امة امر بتبليغهم ما ارسل به وفي بعض النسخ من نبي
والاولى اوفق بالنظم واظهر او نبي ليس بمرسل الى احد فافترقا على هذا
التفسير افتراقا ظاهرا وفي كلامه نوع خفا اراد بعضهم اي يفسده فاصلحه
وفي الاية ترق لانه ترقى في النفي بذكر العام بعد الخاص وفي الاثبات ترقى به
على العكس كما تقول في الدار انسان ولا حيوان ولو عكست كان ذكر الانسان
بعده لغوا فان قلت الذي استدل به اولا تعلق ارسلنا بهما فانه يقتضي
ان النبي مرسل ايضا وما ذكره المص لا يدفعه قلت وجه دفعه ما ذكر انه لما
اقتضى هذا العطف التغاير لزم تاويل ارسلنا بمعنى يشملها اي ما ارسلنا ملايكتنا
بوحينا لاحد من نبي او رسول لان ارسل متعد بنفسه او هو من قبيل ورجحن الحواجب
والعيونا ومن زايدة بعد النفي اي ما ارسلنا ولا نبانا نبيا فتامل وقد ذهب بعضهم
مجاز من الذهاب وهو الخروج من مكان الى اخر قال في الاساس ذهب فلان الى قول
ابي حنيفة اذا اخذ به واتخذه مذهبا الى ان الرسول من جا بشرع مبتدا ولم يكن مقررا
لشرع غيره فشرعه لم يسبق اليه ومبتدا بفتح التا صفة شرع ويجوز كسرها على انه حال
من ضمير جا والاول اولى ومن لم يات به اي بشرع مبتدا ولم يسبق اليه نبي غير
رسول وان امر بالابلاغ والانذار فبينهما عموم من وجه اخر والصحيح والذي
عليه الجما الغفير بمد الجما وفي نسخة الجم والمعنى واحد اي الجماعة الكثيرة والجم
بفتح الجيم وتشديد الميم والغفير بغين معجمة وفا وفي الصحاح الجما الغفير جماعة الناس

يقال

يقال جاؤا جما غفيرا بالمد وبقصر والجما الغفير بالمد وجم الغفير والجم الغفير اي جميعا والزايدة
والغفير صفة لازمة للجما لا يفرد بدو بقا من الغفر وهو الستر كانهم للكثرتهم ستروا وجه الارض
ومعنى جاؤا جميعهم بجملتهم شر بقيتهم ورضيعهم وهو اسم ينصب كالمصدر جما وجميعا وقاطبة
والجم الكثير وينصب لانه اسم وضع موضع المصدر وقيل انه مصدر ولا يلزم نصبه عند الكسائي
وعليه يتمشى كلام المص لا على من الزمه النصب وليس المراد للجميع بلا الا كل حتى يستشكل ويجاب بانه
لم يعتد بغيرهم وعبرهم كالعدم ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وهو صادق بالقولين المعتبرين
بينهما عموم وخصوص وجهي لانه شرط في الرسول دون النبي ان يؤمر بالتبليغ او ان
يكون له شرع جديد او انزل عليه كتاب والاول هو المشهور ولذا قال المحدثون اذا ورد
في الحديث ذكر احدهما او قال قال رسولا او نبيه لم يجز له ان يبدل لمن يرويه وقيل انه لا
يلزم ولكنه اولى وهذا في غير الاذكار فانها توقيفية ولذا ورد في الحديث ان بعضهم قال
في بعض الادعية امنت بكتابك الذي انزلت وبرسولك الذي ارسلت فقال له صلى الله عليه وسلم
قل وبنبيك الذي ارسلت كما في شرح مسلم وفيه بحث وقيل الرسول اعم ليشمل رسل الملائكة كجبريل
عليهما الصلاة والسلام لكن الكلام انما هو في رسل البشر **وقال صاحب القاموس**
في كتاب الصلاة والسر انا النبي ما اوحي اليه بامر يختص به في نفسه حتى لا يجوز لغيره ان يتبعه
فيه فان امر بتبليغه ما امر به لامة محصورة او لجميع الناس فهو رسول فان لم يكن له حكم مختص
به فهو رسول لا نبي وان كان مع التبليغ له ما يختص به كنبينا صلى الله عليه وسلم فهو نبي ورسول
فعلى هذا بينهما عموم وخصوص مطلق وليس كل رسول نبيا وقال انه الحق الذي لا شك فيه وهو
مخالف لكلام المص **واعلم** ان النبي اذا كان من النباء فهو مهموز وان كان من النبوة فغير
مهموز كما تقدم وكلاهما جايز وبهما قرئ في السبعة واما قوله صلى الله عليه وسلم لاعرابي
قال له يا نبيء الله اي بالهمز لست بنبيء الله ولكني نبي الله لانه في لغة نبا بمعنى خرج من ارض
وطرد فلا يلزمه ذلك مع انه ورد ايضا لا تنبزوا باسمي فانما انا نبي الله ومعنى لا تنبزوا لا تهمزوا
وليس في هذا ما يقتضي منعه على الاطلاق كما قاله ابن سيدة **واول الرسل آدم واخرهم محمد صلى**
الله عليه وسلم ولا ينافي هذا ما في البخاري في حديث الشفاعة من انهم يقولون لنوح
عليه الصلاة والسلام انت اول الرسل الى اهل الارض لانهم يقولون اول الرسل مطلقا بل اول الرسل
الى اهل الارض في عصره ولذا قال في الدعاء عليهم الصلاة والسلام انما ارسل الى بنيه وهو موسوم
به وادريس وشيث عليهما الصلاة والسلام لم تعم رسالتهما وهذا لا ينافي اختصاص نبينا صلى
الله عليه وسلم بعموم الرسالة الى اخر الزمان فلم تختص بعصر ولا بقوم وعمت رسالته الانس
والجن كما تقدم **وفي حديث ابي ذر** الذي رواه احمد في مسنده وابن حبان والحاكم في مستدركه
وسيأتي بطوله **عنه** صلى الله عليه وسلم انه قال **الانبيا ماية الف واربعة وعشرون الفا**
نبي وقد قال الحاكم في مستدركه انه طعن في بعض رواته وقيل انه منكر **وقال القرطبي**
الله اعلم حديث ورد في عدد الانبيا والرسل عليهم الصلاة والسلام وقيل ان اصحابه عليهم
الصلاة والسلام كانوا بهذه العدة ايضا عند وفاته صلى الله عليه وسلم **وعن كعب**
الاحبار انهم الفي الف وما يتي الف عن مقاتل انهم الف الف واربعماية الف واربعة وعشرون
الفا وقد عرفت ان الاول اصح ما في الباب **وذكر ان الرسل منهم** اي من الانبيا عليهم الصلاة
والسلام **ثلاثماية وثلاثة عشر او نيف** آدم عليه الصلاة والسلام وقيل اربعة عشر كعدد اصحاب

طالوت ويوافقان حرف اسم نبينا بالجمل الكبير ثلاثمائة واربعة عشر اذ فيه ثلاث ميمات لان الحرف المشدد بحرفين
ولفظ ميم ثلاثة احرف فجملتها مايتان وسبعون ولفظ دال بخمسة وثلاثين ولفظ حا بتسعة
ففي اسمه الكريم اشارة الى ان جميع الكمالات الموجودة في المرسلين موجودة فيه صلى الله عليه
وسلم وزيادة واحد على القول الاول والحديث طويل اورده الحاكم في مستدركه كما مر ونقل
البرهان ما في بعض رواته من الكلام وطويناه لانه لا ثمرة له هنا **فقد بان للمعنى النبوة والرسالة**
على الاقوال الثلاثة من الترادف والعموم والخصوص من وجه او مطلقا كما فصلناه **وليست**
اي النبوة والرسالة **ذاتا للنبي عند المحققين** اي ليست امرا ذاتيا في الرسول بجبلة طبعه
الله عليها كالعقل وغيره من الغرايز وليست النبوة مكتسبة برياضة وتصفية باطن كما ذهب
اليه الحكما وانما هي امر طارئ عليه بارادة الله وفضله والله اعلم حيث يجعل رسالاته **ولا صفة ذات**
اي ليست صفة قايمة بذاته موجودة فيه صلى الله عليه وسلم قبل الوحي اليه **خلافا للكرامية**
فهولاء قالوا انهما امران له الوحي في امر الله له بتبليغ شريعته تصاحبها متصف بهما وان لم يوح
اليه **اقول** ان اراد هولا ان الله خلق له صلى الله عليه وسلم نفسا قدسية واوقع
فيها قوى يستعد بها لتلقي الوحي والعلم بربه وان مسمى النبوة هذا وان اطلقوها على ما يترتب
عليها وانه ركب فيه نورا كان يشاهد في ابائه وينقل في اصلابهم وذلك من نعم الله ايضا كايجادنا
ابتدا والامر فيه سهل والا فهو لغو من القول والكرامية بتشديد الرا وتخفيفها على القولين
وفتح الكاف وكسرها على التخفيف قال في المغرب اخبرني صديقي الثقة ابن خولة ان عبد
العزيز العرجي ذكر في تاريخه هذا الرجل وهو محمد بن كرام الذي نسب اليه الكرامية فقال
كرام بوزن خدام وقطام وقيل انه كرام على لفظ جمع كريم وهو الجاري على السنة اهل سجستان
وهي بلدته كما قال فيه البستي رحمه الله

ان الذين لجهلهم يقتدوا ... بمحمد بن كرام غير كرام
الفقه فقه بن حنيفة وحده ... والدين دين محمد بن كرام

فهو منسوبون لمحمد بن كرام بفتح الكاف وتشديد الرا كما قاله السمعاني وقال لان والده كان
يحفظ كرما او يعمل فيه وكذا صححه في الميزان **وقال ابن الصلاح** انه لا
معدل عنه وكذا صححه ابن ماكولا والذهبي وانكره ابن الهيصم وهو من اهل مذهبه ادعى انه ادرى
به كما مر عن البستي وانما هو مخفف الرا مع فتح الكاف بمعنى كرم او كرامة وبكسرها على لفظ الجمع
وكان صاحب مذهب في العقايد وغيرها وله رواية في الحديث وكان يجوز الكذب على النبي
صلى الله عليه وسلم في الترغيب والترهيب لانه له لا عليه فعليه ما عليه ومات في القدس في صفر
سنة خمس وخمسين ومايتين **في تطويل لهم** في بيان مقالتهم وتاييدها **وتهويل** اي تخويف
وتفزيع لمن عدل عن مذهبهم في هذا **ليس هو عليه تعويل** اي هو مع ذلك ساقط ضعيف لا
يعتمد عليه ولا يلتفت اليه ويجوز ان يريد بالتهويل تزيين الباطل وزخرفته ففي القاموس
التهويل الالوان المختلفة وزينة النصارى وهذا اقرب لشبهة المص **واما الوحي فاصله** اي معناه
الحقيقي الذي وضع له اولا **الاسراع** وفي الحديث اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان شرا
فانته وان كان خيرا فتوجه اي اسرع فيه والها للسكت وقال الاعشى

مثل ريح المسك زاك ريحها ... صبها الساقي اذا قيل توج

ويقال اوحى بمعنى اومى او تكلم بكلام خفي **فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى ما ياتيه**

من ربه

من ربه بعجل استهى اي من يأتيه من ربه وحيا اي متلقى بسرعة فاطلق عليه المصدر مبالغة ثم صار حقيقة
في كل ما يوحي اليه وسميت الانواع الالهامية وحيا كقوله تعالى واوحى ربك الى النحل تنبيها بالوحي
الى النبي في سرعة وقوعها في القلب فهو استعارة تحقيقية والالهام القاء امر في الروع باعث على
الفعل او الترك وسمي اللحظ وحيا على الاستعارة التحقيقية ايضا او المجاز المرسل لسرعة حركة
يد كاتبه هو وجه الشبه بينهما ووحي الحاجبو واللحظ هو في الاصل موخر العين ثم اطلق على النظر
فيقال لحظه بعينه وهو هنا مستعار لسرعة اشارتهما اي حركتهما بسرعة للاشارة بهما.
ومنه اي من اطلاق الوحي على الاشارة قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ماء
بهمزة في اخره وقد استعمل منقوصا ايضا بالالف فاوحى لفظا ومعنى ورمز بتخفيف الميم اي
اشار بالعين او الشفة وقيل معناه هنا كتب لان الوحي يكون بمعنى الكتابة كما تقدم ومنه
قولهم اي قول العرب الوحا الوحا بفتح الواو والمد والقصر ويقال الوحاك بكاف الخطاب ايضا
كما في الاساس وهو منصوب بفعل مقدر للاغراء اي السرعة والعجلة وقيل اصل الوحي لغة
السر والاخفاء ومنه اي من كونه بمعنى الخفاء سمي الالهام وحيا لخفائه وهو ظاهر مما تقدم من ان
معناه السرعة ومنه اي من هذا القبيل قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي من يوالونهم
ويصادقونهم من المشركين اي يوسوسون في صدورهم اي يلقون في قلوبهم والمراد بالشياطين
مردة الجن والمراد باوليائهم لمزة قريش او مردة الانس من مجوس عجم وفارس والوسوسة
كالالهام الا انها في القلب الا ان الاول يختص بالخير وهذا بغيره ولذا اتبعه بقوله ومن قوله تعالى
واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه اي القي بنينا المجهول في قلبها منا ما او الهاما وقيل انه وحي
حقيقة كالوحي للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقد قيل ذلك لتفسير السابق في قوله تعالى
وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة والذي زحموه في هذه
الاية ان المراد بالوحي فيها المشافهة بكلام الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وكلام
لموسى عليه الصلاة والسلام وحديث ابي ذر المشار اليه هو هذا قال لما دخلت المسجد فاذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم جالس فجلست اليه فقلت يا بي انت وامي امرتني بالصلاة اي اهلي فاي
الصلاة قال الصلاة خير موضوع استكثر منه او قل قال فقلت فاي الاعمال افضل قال ايمان
بالله وجهاد في سبيل الله فقلت اي المومنين اكمل ايمانا قال احسنهم خلقا فقلت اي المسلمون اسلم
قال من سلم المسلمون من يده ولسانه فقلت اي الهجرة افضل قال هجر السيات فقلت اي الصلاة
افضل قال طول القنوت قلت اي الليل افضل قال جوف الليل الغابر قلت فاي الصلاة افضل
قال فرض يجزي عند الله وعند الله اضعاف كثيرة قلت اي الصدقة افضل قال جهد من مقل
يصير الى فقير قلت اي الرقاب افضل قال اعلاها ثمنا وانفسها عند اهلها قلت فاي الجهاد افضل
قال من هريق دمه وعقر جواده قلت فاي شيء اعلم مما انزل الله قال اية الكرسي يا ابا ذر ما
السموات السبع والارضون السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة في فلاة من الارض وفضل العرش
على الكرسي كفضل تلك الفلاة على الحلقة قلت يا بي انت وامي فكم الانبياء قال مائة الف واربعة وعشرون
الفا قلت فكم الرسل من ذلك قال ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير قلت فمن كان اولهم قال ادم
قلت نبي مرسل قال نفخ خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه فلا با ذر اربعة سريانيون
ادم وشيث وخنوخ وهو ادريس وهو اول من خط بالقلم ونوح واربعة من العرب هود وصالح وشعيب
ونبيكم يعني نفسه صلى الله عليه وسلم وابراهيم وسايرهم من بني اسرائيل فاول الانبياء ادم

واخرهم اتا واول انبيا بني اسرايل موسي واخرهم عيسي قلت فما كتاب انزله الله علي قال مائة
كتاب واربعة كتب انزل علي شيث بن ادم خمسين صحيفة وانزل علي اخنوع ثلاثين صحيفة وانزل
علي ابراهيم عشر صحف وانزل علي موسي قبل التوراة عشر صحايف وانزل التوراة والانجيل
والزبور والفرقان قلت فما كانت في صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها منها ايها المغرور المسلط
اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها الي بعض ولكن لترد علي دعوة المظلوم فاني لا ارد دعاها وان كانت من
الكافر اذ ليس على دعائها حاجب او بواب وينبغي للعاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله ان لا يكون ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد وحرفة لمعاش ولذة
في غير محرم

فصل اعلم ان معنى تسميتهم ماجزة الانبياء عليهم الصلاة والسلام

معجزة هو ان الخلق قد عجزوا عن الاتيان بمثلها العجز
عند العرب ان لا يقدر على ما يريده يقال عجز بفتح الجيم يعجز بكسرها ويقال ايضا بكسر الجيم
في الماضي وفتحها في المضارع كما حكاه الاصمعي وغيره ويقال عجزه اذا اتاه اخر ذلك وقيل
العجز في الحقيقة هو اسم لخلق العجز فيمن يحدث فلم يقدر على المثل فاذا خرجت عن مقدورهم
لم يتصور عجزهم عنه ايضا فاذا العجز يقابل المعجوز عنه فلو عجزوا وجدت المعارضة منهم
ولم توجد فالمعنى مجازا امتناع المعارضة وانتفاء القدرة وحقيقته ان المعجز لانبائه تعجز
المرسل اليهم واستقر لاظهاره العجز واسند لسببه الذي هو اظهار الخوارق وجعلت اسما له
فالتاء من النقل من الوصفية الى الاسمية او للمبالغة كعلامة وفيه بحث لا يخفى وهي اي المعجزة
على ضربين اي هي اسم شامل للنوعين مقدور وغير مقدور ضرب هو من نوع قدرة البشر
اي مقدورهم الذي يمكنهم الاتيان بمثلها لله من نوعه فعجزوا عنه الفاء فصيحة اي فطلب
منهم فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه اي جعلهم عاجزين والمصدر مضاف لمفعوله اي تعجيز
الله اياهم فعل الله دل على صدق نبيه اي خلق العجز فيهم ومنعهم عما من شانهم القدرة عليه
فهو في قوة قول الله تعالى صدق عبدي فيما ادعاه والعادة جارية بان يقع بعد معلم
صدوري يصدقه كصرفهم عن تمني الموت اي منع الله اليهود عن تمني الموت لما قالوا نحن
ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فكذبهم الله والزمهم
بقوله قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان
كنتم صادقين اي قل لهم يا محمد ان كنتم احباب الله والجنة مختصة بكم فاطلبوا الموت فان من
احب لقاء الله احب لقاءه ومن كانت داره الجنة مختصة يبادر لتحولها فلم يتمنه احد منهم ولو بلسانهم
لصرف الله لهم عن ذلك ولذا اورد ولو تمنوه لم يبق على وجه الارض يهودي وسياتي بيان
هذا مطولا في محله وهذا اعظم حجة على صدقه صلى الله عليه وسلم كما قاله المفسرون وهذا
وان كان تركا وعدما مستمرا لمعنى وجودي وهو السكوت وللخوف ونحوه فسقط ما قيل ان
المعجزة فعل خارق وليس هذا من قبيل الافعال وتعجيزهم من الاتيان بمثل القرآن على راي
بعضهم القائل بان اعجازه بالصرفة اي بصرف العرب الفصحاء عن معارضته مع تحديه لهم وتقريعهم
بذلك على رؤوس الاشهاد حتى عدلوا عن معادلة الحروف الى معادلة السيوف كما هو مشهور
معروف وهذا مذهب النظام وبعض المعتزلة والشيعة فقيل صرفهم بما لم يكن . ذو اعجاز
وبواعث ذلك وقد سلبهم المعارف المركوزة في طباعهم من معرفة فنون البلاغة والتمييز
على العقول المشهورين في المعرفة والذي عليه الجمهور المحققون ان اعجازه انما هو بما
تضمنه من الفصاحة والبلاغة وغرابة الاسالیب وبلاغة التراكيب وجزالتها وانواع البديع

ومطابقة

ومطابقة المقامات وبدايع الفواتح والمقاطع وروائع الاستعارات الى غير ذلك مما خرج عن طوق
البشر وبلغ الى ذروة لا تصل اليها خطى الافكار مع حلاوة طلاوة تعين السامع الى غير ذلك مما
قرروه وقيل اعجازه بما فيه من المغيبات وقيل بجميع ذلك والاقوال معروفة مقررة في
الاصول والمعاني وغيرها من كتب السلف ونحوه مما نوعه مقدور لهم وضرب من المعجزة هو خارج
عن قدرتهم اذ تحداهم به فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحيا الموتى الذي وقع لابراهيم ولعيسى
عليهما الصلاة والسلام فما قيل ان ما كان بدعا عيسى عليه الصلاة والسلام معجزة له انما كان من
الله لا منه شهادة واحيي الموتى باذن الله واذ تخرج الموتى باذني لا وجه له وهذا ايضا مما وقع
لنبينا صلى الله عليه وسلم فيما وقع لابويه على الصحيح وقلب العصا حية معجزة لموسى صلى
الله عليه وسلم وسياتي ان ما من معجزة لنبي من الانبيا الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها وزيادة
واخراج ناقة من صخرة بلا واسطة واسباب معتادة معجزة لصالح عليه الصلاة والسلام لما اقترح
عليه جندب بن عمر سيد قومه ان يخرج لهم من صخرة اسمها كاتبة ناقة عشرا فصلى ودعا ربه فتمخضت
تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشرا وهم ينظرون ثم نتجت مثلها في العظم فامن
جندع في جمع من قومه وتمادى غيرهم في الكفر حتى عقروا الناقة فاخذتهم الرجفة وكلام
الشجرة وفي نسخة الشجر وهذا مما وقع لنبينا صلى الله عليه وسلم ومثله حنين الجندع المشهور
ونبع الما من الاصابع اي من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وهذا مما وقع له صلى الله عليه وسلم
ايضا كما سياتي ولله در الابوصيري في قصيدة عارض بها بانت سعاد حيث قال

ومنبع الما عذب من اصابعه ... وذاك صنع به فينا جرى النيل

وانشقاق القمر معجزة له صلى الله عليه وسلم حتى صار فلقتين يشاهده الناس وقد ثبت
هذا في الاحاديث الصحيحة وروي من طرق متعددة خرجها السيوطي وبه
فسر قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر ولعل النوبة تقضي لتفصيله وهذا النوع
كله وامثاله مما لا يمكن ان يفعله احد الا الله عز وجل فيكون اجراء ذلك على يد النبي
اي وقوعه من نبي من انبيائه بحسب الظاهر فعله وهو في الحقيقة من فعل الله تعالى الذي
اظهره على يديه بقدرته وتحديه بتشديد الدال مصدر مضاف والاتيان بمثله كما تقدم
وهو مبتدا للفاعل وهو ضمير النبي ويجوز عوده على الله لامره به وهو طلب المعارضة
والاتيان بمثله كما تقدم وهو مبتدا وقوله من يكذبه مفعول وقوله تعجيز له بتقدير
الجار اي لان ياتي بمثله او بدل من تحديه او خبر وقوله واعلم ان المعجزات خبر بعد خبر
اي يظهر عجز لانه لما لا يعقل التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم وصدرت منه ودلايل
نبوته وبراهين صدقه عطف تفسير له كانشقاق القمر ونحوه مما تقدم وسياتي مما لا يحصى
من هذين النوعين معا خبر ان اي بعضها مقدور وبعضها غير مقدور كالقران ونحوه
وهو اي نبينا صلى الله عليه وسلم اكثر الانبيا معجزة منصوب على التمييز اي معجزاته
اكثر من معجزات ساير الانبيا عليهم الصلاة والسلام وابهر اية تمييز والاية المعجزة لانها علامة
للنبوة وابهر افعل تفضيل من بهر بمعنى ظهر او غلب يقال بهر القمر فهو باهر اذا ملا
الارض ومن ذلك قول ابن عمر بن ابي ربيعة

ثم قالوا تحبها قلت بهرا ... عدد الحصى والرمل والتراب

ان ياتي بمثله

واعلم ان المعجزات جمع معجزة وقيل جمع معجز لانه لما لا يعقل

وفيه وجوه ذكرها الادبا فالمعنى ان معجزاته صلى الله عليه وسلم اكثر واظهر واقوى واظهرهم
برهانا هذا اعم مما تقدم لان البرهان وهو الدليل القاطع اعم من المعجزة ويجوز ان
يريد المعجزة ايضا كما سنبينه في اخر هذا الباب وفي قوله اكثر واظهر ما يدل على ان سائر
الانبيا اتت بدلايل ومعجزات وبراهين ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم وبراهينه اقوى
واظهر وانها تسمى بذلك كما تسمى به ايات نبينا وقد اطلق عليها اية وبرهان الا انه لم يطلق عليها
في القران معجزة قيل ولا في السنة والمعجزة مخصوصة بالانبيا عليهم الصلاة والسلام وخوارق
الاوليا تسمى كرامة وقد تطلق عليها واطلق عليها المعجزة ايضا الامام احمد بن حنبل واباه
غيره وهي اي معجزاته صلى الله عليه وسلم في كثرتها بها ضبط اي لا يحيط بها حصر
وعددا وحفظ لان الناس يطلقونه على هذا تجوزا من الضبط بمعنى الاخذ باليد
والحفظ بمعنى الصيانة واما اطلاقهم الضابط على القاعدة الكلية فمولد من كلام المصنفين ووجه
التجوز فيه احاطته بافراده ففي كلامه استعارة مكنية وتخييلية ولم يتعرض له في الاساس
ثم بين ذلك بقوله فان واحدا منها اي معجزة واحدة من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم
وهو القران فانه بجملته معجزة وكذا اياته وسوره قال الامام مجد الدين في نهاية
العقول التحدي وقع مرة بالقران كقوله قل ان ياتوا بمثل هذا القران ومرة بعشر
سور كقوله بعشر سور ومرة بسورة كقوله فاتوا بسورة من مثله ومرة باية كقوله
فاتوا بحديث مثله وذلك نهاية التحدي وهو كقول الرجل لمن يفاخره هات قوما
كقومي هات كنصفهم هات كربعهم هات كواحد منهم انتهى والى هذا اشار المصنف
بقوله لا يحصى اي لا يعد ويضبط وكانوا يعدون ما كثر بالحصى ثم استعمل في مطلق
العدد ولذا قال الاعشى

ولست بالاكثر منهم حصى ... وانما العدة للكاثر

عدد معجزاته اي معجزات القران بالف ولا الفين لما في كل اية من الاعجاز ولا اكثر
من ذلك كما في الفاظه من البلاغة وفنونها كالتوكيد والتلميح والتشبيه والاستعارة
والايجاز وحسن الفواتح والخواتم والفواصل الى غير ذلك مما لا يحصى لان
النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى بسورة منه اي طلب مثلها من بلغا قريش
فعجز عنها فاعل عجز من تحداه المعلوم مما قبله او هو مبني للمجهول وهذا اولى
قال اهل العلم بالقران وبلاغته واقصر سورة من القران وهو منون او هو جمع مضاف
لضميره انا اعطيناك الكوثر سميت بحرفها هذا كما تسمى سورة الكوثر لذكره فيها لانها
ثلاث ايات وسورة قل هو الله احد كذلك وسورة النصر الا ان حروف هذه اقل منهما
فكل اية طويلة من القران بعدد حروفها ومقدارها او ايات منه اي القران بعددها
اي بعدد الكوثر ايات وقدرها معجزة للبلغا عن معارضتها لما فيها من البلاغة وهذا
بيان اقل مراتب الاعجاز فيه ومنه يعلم كثرته ثم فيها نفسها اي في سورة الكوثر
معجزات كثيرة على ما سنفصله نبينه تفصيلا فيما انطوى اي اشتمل القران عليه من
المعجزات التي لا تحصى ولا تحصر ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين
اي علم واستقر انقسامها انقسام الكلي الى جزئياته فشبه استقرارها باعتلا

الراكب

الراكب على مركوبه لانها اما ان تعلم علما يقينيا قطعيا اولا فالاول قسم منها علم
قطعا ونقل الينا تواترا كالقران فلا مرية بكسر الميم وضمها وسكون الراء المهملة
ومثناة تحتية وهي الشك والتردد كما تقدم بيانه ولا خلاف بمجيء النبي صلى الله عليه
وسلم به الباء الاولى بمعنى في والثانية صلة المجيء ولا خلاف ولا مرية في ظهوره من قبله
بكسر القاف وفتح الباء الموحدة ومعناه جهته وجانبه كما سياتي في قوله من قبل
الله على ما فيه واستدلاله اي استدلال النبي صلى الله عليه وسلم على صدقه ونبوته
بحجته الاضافة بيانية اي بحجة هي القران وان انكر هذا المذكور الذي لا مرية
فيه معاند جاحد اي منكر له عنادا مع علمه به فهو كانكاره وجود محمد صلى
الله عليه وسلم في الدنيا وهو سفسطة وانكار للمحسوسات التي لا تسمع ولا تصدر
من عاقل وانما جاء اعتراض الجاحدين اشارة الى ان انكارهم لما علموا خلافه في الحجة به
اي الاحتجاج به وانه كلام الله كقول المشركين هذا سحر مبين واساطير الاولين
وما انزل الله على بشر من شيء الى غير ذلك فهو اي القران في نفسه اي في كلامه الفرد
وجميع ما تضمنه واشتمل عليه من معجز اي من كل امر معجز كالبلاغة والاخبار عن المغيبات
معلوم ضرورة علما ضروريا لمن كان من اهل البلاغة ولذا قال الوليد بن المغيرة
لما سمعه ان له حلاوة وعليه طلاوة واسفله مغدق واعلاه مثمر وما هو من كلام
البشر كما ياتي بيانه والفضل ما شهدت به الاعداء ووجه اعجازه معلوم ضرورة
عند اهل اللسان لا عند كل احد لما فيه من قبول البلاغة ونظرا اي استدلالا عند غيرهم
لافتقار بعض وجوهه اليه كما سنشرحه ونبينه قريبا قال بعض ايمتنا اي علماء التفسير
والحديث لا الملائكة المالكية اذ لا اختصاص لما ذكر بمذهب ويجري هذا المجرى بفتح الميم
اسم مكان او مصدر ميمي اي يقارب ما تقدم ويشبهه لان ما جرى في مجرى شيء ساواه
على الجملة اي اجمالا من غير تفصيل لوجه المشابهة وفاعل يجري انه قد جرى على
يديه اي صدر منه صلى الله عليه وسلم ايات وخوارق وعادات عطف تفسيري
او من عطف الخاص على العام والاول اولى ان لم يبلغ اي يصل واحد منها معينا اسم
مفعول حال من النكرة لوصفها ولو رفع كان اولى القطع والجزم مفعول يبلغ فيبلغه
جميعها انه مجموعها وهذا يسمى التواتر المعنوي كشجاعة علي وزهد الحسن
البصري فان كل حاو من احوال هولاء لم يبلغ مبلغ التواتر ومجموعها اجمالا بلغ ذلك
بحيث لم يبق شبهة فيه كتذليله الجبابرة بما شاهدوه من خوارق عاداته وانقياد الملوك
له وغير ذلك فلا مرية في جريان معانيها على يديه مشهورة ناطقة بتصديقه
شاهدة برسالته ولا تخليق مومن ولا كافر من الامم السالفة انه اي نبيهم قد جرت على
يديه عجائب اي امور خارقة للعادة حيرت ابصارهم والبابهم حتى تعجب العجب
منها وانما وقع خلاف المعاند في كونها اي تلك العجايب صادرة من قبل الله بكسر
القاف وفتح الباء اي من المبدا الفياض المبدع البدايع وقد قدمنا اولا كونها اي
بيان كون العجايب من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله اي الله عز وجل لرسوله
صدقت في نبوتك وما ادعيته ومعنى مثابته لمنزلته وفي حكمه مفعله من اثابه كذا
اذا عوضه ومنه الثواب بالثاء المثلثة كجزاء الطاعة والجاحد العنيد يزعم تارة انه

سحر وكهانة وان ما سمع من كلام الشجر والجماد كلاجن سحرها الي غير ذلك من الخرافات التي صاروا
اليها سخرة اذا عرفت هذا فقد علم وقوع مثل هذا الذي وقع للانبيا والامم السالفة مما علمه
كل مومن وكافر وبر وفاجر ايضا كما وقع لاوليك من نبينا محمد صلي الله عليه وسلم ضرورة
اي علم علما ضروريا متواترا تواترا معنويا لاتفاق معانيها اي لتوافقها كلها في معني واحد
كما يعلم ضرورة جود حاتم الطاي وشهرته تغني عن ذكره فاخباره في الجود مشهورة ايضا وكان
في الجاهلية قريبا من مبعثه صلي الله عليه وسلم وادرك ابنه عدي الاسلام وكان من كبار الصحابة
رضي الله عنهم وشجاعة عنترة بالها ويقال له عنتر ايضا وهو عنترة بن معاوية بن شداد القيس
وهو علم منقول من عنتر وهو نوع من الذباب ازرق ونونه اختلف في زيادتها وهو من فرسان العرب
وفصحايها المشهورين وحلم احنف بن قيس التميمي ادرك الاسلام واسلم لكنه لم ير النبي صلي الله
عليه وسلم وهو من كبار التابعين واحنف بفتح الهمزة وسكون الحا المهملة معناه مايل الرجل وله
كلمات من الحكم مشهورة في كتب وعنه في الحلم حكايات عجيبة وكان من المعمرين ثم وضح ذلك علي طريق
اللف والنشر المرتب فقال لاتفاق الاخبار الواردة اي المروية عن كل واحد منهم ثم ابدل من قوله
عن كل واحد قوله علي كرم هذا يعني حاتما وشجاعة هذا يعني غيره وحلم هذا يعني احنف واشار
بهذا القرب ذكرهم وحضورهم في الذهن وان كان كل خبر من اخبار هولاء الثلاثة بنفسه اي
وحده لا يوجب العلم القطعي ولا يقطع بصحته لعدم تواتره بانفراده وانما المتواتر ما يحصل من
مجموعها كالكرم والشجاعة والعلم والحاصل ان ما جري علي يديه صلي الله عليه وسلم تواتر
تواترا معنويا لا لفظيا حقيقيا والمعنوي هو حصول العلم القطعي من مجموع امور جزئية واخبار
واردة مستفيضة كما اذا اخبر واحد بان حاتما اعطاه دينارا واخر بانه اعطاه بعيرا واخر بانه
اعطاه وهبه غنما واخر بانه كساه واخر بانه ذبح له فرسه فقد اتفقوا كلهم علي مطلق الاعطاء
والتواتر الحقيقي ان يخبر جماعة عن جماعة الخ يومن توطيهم علي الكذب في خبر واحد متفق اللفظ
والمعني وكلاهما يفيد علما ضروريا عند سماعه من غير حاجة الي نظر واستدلال بشروط مقررة
في الاصول خلافا لامام الحرمين والرازي فانه عندهما يفيد علما نظريا لتوقفه علي مقدمات
اخر ولا يشترط فيه عدد مخصوص ولا اسلام والقسم الثاني من المعجزات ما لم يبلغ مبلغ الضرورة
والقطع عطف تفسيري اذ لم يصل الي مرتبته وهو علي نوعين مشتهر منتشر اي له شهرة
وشيوع بين الناس ويسميه المحدثون مشهورا ومستفيضا رواه العدد الكثير وشاع الخبر به
عند المحدثين الحفاظ الذين رووه وهو لا يبلغ رتبة المتواتر المفيد للعلم الضروري ولا النظري
وذهب بعض الاصوليين الي انه يفيد العلم القطعي وقيل انه يفيد العلم النظري والمشهور انه انه يفيد
الظن ولا بد ان تكون شهرته علي اصل وروايته فان اشتهر لا عن اصل وهو المسمي بالمشهور
علي الالسنة لم يعتد به المحدثون ما لم يعلم اصله فان علم ذلك تقوي بشهرته في الجملة والرواة
ونقلة السير جمع ناقل بفتحتين ككاتب وكتبة والسير جمع سيرة كما مر وهي اخبار المغازي والاخبار
عطف تفسيري كنبع الماء من بين الاصابع اي اصابعه صلي الله عليه وسلم وتكثير الطعام
الذي رواه انس وغيره كحنين الجذع وكلام الضب والذراع الذي رواه الشيخان وغيرهما
ونوع منه لم يشتهر وينتشر بل اختص به رواية الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير
اي القليل ولم يشتهر اشتهار غيره كالقسم الاول والنوع الاول من القسم الثاني ويسمي
عزيزا وهو لا يفيد العلم الا بقرينة كما في جمع الجوامع وقيل لا يفيده مطلقا وقال احمد

انه

انه يفيد العلم مع عدالة راويه لوجوب العمل به ولو لم يفده لم يجب العمل به وله ادلة مذكورة
مع الوجوب عنها في الاصول لكنه اذا جمع الى مثله من احاديث المعجزات اتفقا في المعنى
من اصل الاعجاز ونبوته كما اشار اليه بقوله عن الاتيان اي اتيان النبي صلى الله عليه وسلم بالمعجز
كما قدمنا من جرياتها على يديه وانضمام بعضها الى بعض المقوي له قال القاضي عياض
ابو الفضل عياض المصنف رضي الله عنه وانا اقول صدعا بالحق تقديم المسند لافادة
التقوية ويجوز ارادة الحصر لانفراده بعبارته المخصوصة ومجموع ما قاله وقوله صدعا اي صدعا
صدعا فهو حال او مفعول لاجله او مطلق لمقدر او لاجله او لاقول لانه بمعناه كقوله فاصدع بما تؤمر
مستعار من صدع ونحوه من الاجرام الصلبة لاظهار الحق والجهر به كانه يصدع قلبه او يصدع
شبهته ويبطلها او من انصداع الفجر لظهوره ويقال للفجر صديع لهذا ان كثيرا من هذه الايات
والمعجزات المأثورة عنه اي المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم معلومة بالقطع لتواترها
حقيقة او معنى اما انشقاق القمر اي اما معجزته صلى الله عليه وسلم بانشقاق القمر له بمكة
حين ساله كفار قريش اية غير ما جاء به اولا فاراهم ذلك فهي ظاهرة باهرة فالقران نص بوقوعه
اي صرح به في قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وقرئ وقد انشق اي اقتربت وقد
حصل من ايات اقترابها انشقاقه ولتضمنه معنى صرح عداه بالباء والا فهو متعد بعلى فقد
تواتر ذلك لفظا على القراءة المشهورة ومجيئه بقد ياتي تاويله بان معناه سينشق اذا قامت
القيامة والتعبير عنه بالماضي لتحقق وقوعه فهو استعارة تبعية وقرينتها اقترانها بلفظ الساعة
فلا يرد عليه انه ليس معه قرينة تصححه كما توهم الا انه لا يدفع كونه خلاف الظاهر واخبر بوجوده
في هذه الاية وقراءة انشق تؤيد التاويل فقد تعارضا ويرجح الاول انه الاصل والمتبادر منه
ولا يعدل عن ظاهر بالتنوين اي عن ظاهر القران الا بدليل قوي يقتضي العدول عنه
وتاويله بما تقدم وقولهم انه لو وقع شاهده الناس كلهم يرده انه اية ليلية قد يخفى على بعض
الناس وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار اي احتمال خلاف الظاهر ورد في الاخبار الصحيحة
ما يرفعه ويدفعه كما سياتي من طرق كثيرة تؤيد حمل الاية على ظاهرها لا سيما وقد روي
في الصحيحين وقد قال خاتمة الحفاظ ابن حجر ان ما روي في الصحيحين يفيد علما نظريا وان لم
يتواتر وقد صرح بهذا قبله ابو اسحاق الاسفرايني والحميدي وابو الفضل بن طاهر فان اختلف به
قرائن وورد من طرق اخر زاد قوة وبلغ العلم المستفاد مرتبة تقرب من القطعي ثم اشار الى
انه لا يلتفت الى خلاف من خالف في مثل هذه المطالب مقال فلا يوهن بالتخفيف والتشديد عزمنا
اي ما عزمنا عليه وقصدناه جزما من اثبات هذه المعجزات وحمل النصوص الواردة بها على ظاهرها
من غير تاويل خلاف احرق بالاضافة اي مخالفة شخص احمق واصله الذي لا يحسن العمل
بيده كانه يحرق ما يريد زيفه وقال الثعالبي في فقه اللغة في انواع الحمق
اولها احمق ثم ابله فان كان معه عدم الرفق فهو احرق فالحاصل ان المخالف في مثله جاهل لا دراية
له ولا معرفة بالاحاديث ثم وصف ذلك المخالف بقوله سخل عري الدين فهو بالجر صفة احرق
اي هو مع جبله قليل الدين ضعيفه لعدوله عن ظواهر النصوص وشبهه باذيال الشبه
وعري بضم العين وفتح الراء المهملتين والف مقصورة جمع عروة وهي ما يعقد في الحبل
ليتمسك به وقال الراغب العري مقصور الناحية ومنه العروة وهو ما يتمسك به قال تعالى فقد
استمسك بالعروة الوثقى وهو على طريق التمثيل انتهى فان شبه الدين بالعروة فهو من اضافة

المشبه للمشبه به كلجين الماء وان شبه بالحبل الملقى صاحبه لما يعلوكما في الحديث كتاب الله حبل ممدود
من السما الى الارض فان الحبل مستعار في كلام العرب كقوله اني بحبلك واصل حبلي فهو استعارة مكنية
وتخييلية والمراد انه غير منفصل عن الدين **ولا يلتفت الى سخافة مبتدع** للالتفات الانحراف للمنظر
الى شيء ثم صار كالنظر كناية عن الرعاية بلطف واحسان ومنه قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة
والسخافة اصلها عدم احكام النسج ثم تجوز به عن قلة العقل فيقال هو سخيف العقل اي عقله **يلقى**
الشك على قلوب الا ضعفا المومنين اشارة الى ما هو من شان اهل البدع من القائهم الجزع والمشكلات
على الضعفاء العقول من المومنين وخصهم بذلك لان غيرهم لا تقبل مثل هذه الاراء الواهية واما
ضعيف العقل فقد ياخذ بها فوق الم . **فيفتن بل يرعوي بهذا نفقه** اي يرد ما قاله ويظهر
جهله وسخافة عقله حتى ينتفض وينذل ويخزى لان اصله اذا يلصق انقبض الزعام وهو التراب
فيتجوز به عن الاذلال والتخيير وكني به هنا عما فسرناه به وهذا اشارة الى ما ذكر من النقول
الصحيحة التي لا تصرف عن ظاهرها بغير دليل **وينبذ بالقرا سخفه** النبذ بنون وباء موحدة وذال
معجمة يقال لنبذه ينبذ كضربه يضربه اذا طرحه والقاه والقرا المراد المكان الخالي الذي لا ستره
فيه وبالقصر الناحية ويقال عراه اذا قصده وسخفه قلة عقله ودينه وينبذ سخفه بالقرا
اي القاه في مكان خالي عن الناس وهو عبارة عن ابطاله بالكلية وهذا ابلغ من عدم الالتفات
الذي هو معنى الاعراض وعدم الاعتداد بالشيء فهذا ترق لان الاول يكون مع استماعه وحضوره
عنده وهذا ابعاد له ورميه بالعراء ولا تكرار في كلامه وتفسيره باهماله مهمل لا يلتفت اليه
وحاصله ان اشتقاق القمر في الاية على ظاهره لورود ه في الحديث الاحاديث الصحيحة
من طرق متعددة فمن حمله على ان المراد انه سينشق اذا اقامت القيمة يوم تنشق السما لم يات
بشيء واذا ريضنا جمع لانه لو وقع شاع وذاع وملا الاسماع لانه اية عظيمة وفي معناه ظهر
لامرا ذا الغرب تضرب المثل بالقمر لما وضح كما قال التستري في لامية الغرب

فقد حبت الحاجات والليل مقمر وسدت لطيات بطايا وارحل

وقيل معناه انشقاق الظلم عنه بطلوعه كما يقال انقلق الصبح وانشق كما قال النابغة

فلما ادبروا ولهم دوي دعانا عند شق الصبح داعي

والداعي لهم على هذا لعدم الوقوف على ما ورد في السنة والفهم لاقوال الحكما الذاهبين
الى امتناع الخرق والالتيام في الاجرام الفلكية ونحوه من الخرافات الفلسفية **ولذلك قصة**
نبع الما بين اصابعه صلى الله عليه وسلم **وتكثير الطعام** القليل ببركة وضع يده الشريفة
فيه **رواها** اي القصة **الثقات** من حفاظ المحدثين **والعدد الكثير من الجم الغفير**
تقدم معناه مفصلا وياتي ايضا مع زيادة **عن العدد الكثير من الصحابة** كالشيخين عن
انس رضي الله عنه والبخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قبل استعمال الجم الغفير مجرورا
بالحرف والذي في كتب العربية انه لا يلزم السبب وجود بعضهم رفعه كما تقدم ولا وجه له لان
ما لم يقل بلزوم نصبه يجوز جره ايضا لا دليل مانع منه **وسما** اي برواية قصة تكثير الماء
والطعام **ما رواه الكافة عن الكافة** اي ما رواه جماعة عن جماعة ومثل هذه العبارة
ما تقرر انها كافة وجه وقع في كلام كثير من العلما والفضلا وقد حظاهم فيه الحرير في
مادرة الغواص وتبعه صاحب القاموس لا يقال جملة الكافة لانه لا يخلو اما ان ولا تختلف

ووهم الجوهري وقد بسطنا الكلام عليه في شرح الدرة وبينا انه مردود رواية فانه سمع في كلام العرب
فان اردت معرفة ذلك فانظره متصلا عمن حدث بها اي بتلك القصة من جملة الصحابة واخبارهم
بفتح الهمزة اي بان الخ ويجوز كسرها كان في موطن بمعنى محل فاصله محل التوطن اجتماع الكثير
منهم في يوم الخندق بالمدينة وهو بفتح الخا المعجمة وسكون النون وفتح الدال المهملة
وقاف وهو فارسي معرب كنده بمعنى الحفر والمراد غزوة الخندق وتسمى غزوة الاحزاب
لاجتماع احزاب المشركين واليهود بها حول المدينة فامر النبي صلى الله عليه وسلم بحفر خندق
حول المدينة اشار عليه به سلمان الفارسي رضي الله عنه ولم يكن ذلك معروفا عند العرب
وانما هو من مكايد الفرس وكان ذلك في شوال وقيل في ذي القعدة سنة اربع او خمس من الهجرة
النبوية وقد فصلوها في السير وفي غزوة بواط بضم البا وفتحها وهو اسم جبل من جبال جهينة
بينه وبين المدينة برد تعرب رضوى وهو جبل ايضا وهي التي ظفر بها النبي صلى الله عليه وسلم
بعير قريش سنة اثنتين ولم يكن بها حرب ايضا وبواط قيل فيه الصرف وعدمه والظاهر
الاول واشار بالاول الى قصة جابر رضي الله عنه لما دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ناس
كثير فكان دعاه وحده فاكلوا وشبعوا وفضل ذلك الطعام وكانوا نحو الف وبالثاني الى قصة
بواط وهو انه صلى الله عليه وسلم وضع عنده ما قليل للوضوء فقال لجابر ادع الناس فلما اتوا
وضع يده الشريفة في الماء فنبع الماء من بين اصابعه حتى توضوا كلهم كما سياتي وعمرة الحديبية
بالجر عطف على المجرور بفي قبله والحديبية مصغر كدويهية اسم مكان او بير فيه قريبة من مكة
سميت بشجرة حدبا فيها وهي التي وقع تحتها بيعة الرضوان وهي بتخفيف الياء الثانية
على الصحيح وشددها بعضهم واليه ذهب كثير من المحدثين وكانت في سنة ست والاية التي
فيها انه صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة معتمرا فلما وصل اليها صده المشركون عن البيت
وكان بين يديه ركوة فتوضا منها وما البير قليل جدا نزعه الناس وشكوا العطش الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنزع سهما من كنانته واعطاه لناجية بن عمير فغرزه في البير فجاش ماوها
وجات جارية من الانصار معها دلو فاقبلت به على ناجية وهو في القليب وقالت منشدة

ايها الماتح دلوي دونكا • اني رايت الناس يحمدونكا
يثنون خيرا ويمجدونكا • ارجوك للخير كما يرجونكا

الى اخر ما فصل في السير وسياتي بتمامه وغزوة تبوك في السنة التاسعة من هجرته عليه
الصلاة والسلام او السابع وهو اسم موضع بين الشام والمدينة غير مصروف سميت بعين ماء بها
امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمسوا ماءها فسبق رجلان بسهمين جعلاهما فيها
ليكثر ماؤها فزجرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهما ما زلتما تبوكانها اي تحفرانها ليخرج
ماوها واشار المص الى اية فيها رواها ابو هريرة رضي الله عنه وهي ان الناس اصابتهم
مجاعة فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله ادع بفضل الازواد فدعى بنطع وبسطه ودعى
بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجي بكف من ذرة والاخر بكف من تمر والاخر بكف من شعير فجمع
ذلك وبرك عليه قال خذوا فاخذوا في اوعيتهم حتى ما بقي في العسكر وشا الا ملوه واكلوا
حتى شبعوا وفضلت فضلة وعقد المص رحمه الله لكل اية فصلا وامن لها من محافل المسلمين مجرور
معطوف على موطن والضمير للغزوات المذكورة والمحافل جمع محفل من حفل القوم اذا اجتمعوا

وكثروا وقيل المحفل مجمع الرجال والمأتم مجمع النسا والنادي مجمع الناس في الشتا ودار الندوة
والمسطبة مجمع الغربا وقيل محل اجتماعهم لامورهم والمجلس مقر الناس في بيوتهم والخان محل
المسافرين والحانوت محل البيع والشرا وقد يخص بمحل بيع الخمر ومجتمع العساكر اي محل اجتماعهم
وهو المعركة والعساكر جمع عسكر وهو الجيش والجمع الكثير مطلقا من الرجال والخيل وقيل انه مقر
ولم يؤثر بالبنا للمجهول اي لم ينقل من اثره اذا نقله ومنه الاثر بمعنى الخبر وقد يخص بغير الحديث عن
احد من الصحابة مخالفة للراوي نايب الفاعل فيما حكاه الراوي من الامور والايات المذكورة
ولا نقل عن واحد انكار لما ذكر عنهم وذكر مبني للمجهول نايب فاعله فانهم راوه كما راه اي
لم ينقل انكار انهم راوا من النبي صلى الله عليه وسلم كما راه منهم الاخر بل سكتوا حين سمعوا من بعض
الرواة انه شاهد بعض اياته صلى الله عليه وسلم فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق لانه في محل
اقرار اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل يسمعه من غيره ولا يصرح له بانكاره وكون السكوت
كالنطق ليس على اطلاقه كما ذكره الفقها واهل الاصول وكذا هكذا قالوا السكوت في محل الحاجة
بيان والمنزهون عن المداهنة في كذب فان الصحابة كلهم عدول لا يخشون في الله لومة لايم والمداهنة
الملايمة والمطاوعة الا ان الفرق بينها وبين المداراة ان المدارة في الحق والمداهنة في غيره
ولذا جعلت من الغش قال تعالى افبهذا الحديث انتم مدهنون وهي استعارة من الدهن
اللين كلام صاحبها وجانبه وهي مذمومة لانها نفاق وليس هناك رغبة ولا رهبة تمنعهم
اي الصحابة رضي الله عنهم ليسوا ممن يطمع ويرغب في دنيا غيره ولا يخافون احدا عدل عن الحق
لصلابة دينهم فلا يداهنون لان الحامل على المداهنة هذان الامران فليس عندهم
ما يمنعهم من الانكار على من كذب ولو كان الاحسن ان يقول فلو بالفا لترتبه على ما قبله ما
سمعوه منكرا عندهم اي في اعتقادهم وغير معروف لديهم اذ لم يبلغهم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثله لانكروه على قايله تنزها عن الاقرار على الباطل وما يخالف الظاهر واما
احتمال ان غيرهم سمع ما لم يسمعه وحمل قايله على الصلاح ففيه متانة هذا لان الصحابة
رضي الله عنهم في العصر الاول كان عندهم حرص على معرفة احواله صلى الله عليه وسلم
واقواله لغرابتها وعظمها ليس مما يخفى مثله نعم بعد عصرهم يجوز هذا لان خبر الاحاد
مقبول فتدبر كما انكره بعضهم اي بعض الصحابة على بعض منهم اشيا رواها من السنن
اي سنن النبي صلى الله عليه وسلم جمع سنة بمعنى طريقة والمراد الاحاديث النبوية
والسير جمع سيرة وهي احوال الغزاة وحروف القران اي قراته المتعددة فان كل وجه
من القراة يطلق عليه حرف وبه فسر حديث انزل القران على سبعة احرف اي لغات ووجوه
منقولة على المعنى المشهور من معانيه وفي السنن الستة ان عمر رضي الله عنه انكر على
هشام بن حكيم قراة قرايها في سورة الفرقان لم يسمعها فجا به الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال سمعت هذا يقرا بغير ما اقراتنيها فقال له هكذا انزلت ان هذا القران انزل على سبعة
احرف فاقرؤا ما تيسر منه وفيه بيان لحكمته وكما وقع بين عمر وابن عباس رضي الله عنهم
في انكاره عليه ما قاله في نكاح المتعة وامثاله كثيرة في كتب الحديث وخطا بعضهم بعضا
ووهمه في ذلك يعني ان بعض الصحابة نسب بعضهم الى الخطا والوهم اذا ذكر امرا لم يكن
معروفا عندهم مما يتعلق بسنن النبي صلى الله عليه وسلم وسيره او بالقراة وغير ذلك مما يتوقف

على النقل

على النقل ولا يقال بالراي فانهم لا مداهنة عندهم ولا مداراة في الحق الا ترى الى عمر رضي الله عنه
مع جلالته لما قبل الحجر الاسود وقال اني اعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولكن رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقبلك فقبلتك فسمعه علي كرم الله وجهه فقال له لا تقل كذا فان
الله لما اخذ العهد قال ذرات بني ادم اودع كتاب العهد فيه وقال من قبله فقد وفى بالعهد
فيشهد له الحجر بذلك يوم القيمة فدعا له عمر وقال لا عدمناك يا ابا الحسن والوهم
والخطا هنا بمعنى وروي وهنه بالنون من الوهن وهو الضعف في الراي مما هو معلوم
بيان لذلك فهذا النوع كله من المعجزات المروية بطريق الاحاد ولم يشتهر اشتهارا يقرب
من التواتر يلحق بفتح اوله وضمه بالقطعي اي يعد من قبيل المقطوع من معجزاته كما
بيناه من نقل بعض الصحابة له نقلا صحيحا وسكوت غيره عليه ممن بلغه فهو كالاجماع
السكوتي وايضا لنا وجه يؤيد كونها كالقطعي فان امثال هذه الاخبار المتعلقة بالمعجزات
الثابتة في عصر الصحابة لو لم تكن صحيحة وكانت من الاخبار التي لا اصل لها رواية وبنيت
على باطل بان كانت كذبا محضا تبطل وتضمحل اذ لا بد مع مرور الازمان عليها في نقلها
في عصر بعد عصر وتداول الناس اي يلقي الناس لها فيما بينهم عصرا بعد عصر قال الراغب
يقال تداول القوم كذا اذا تناولوه واخذه بعضهم من بعض قال تعالى وتلك الايام نداولها
بين الناس واهل البحث اي المفتشين عنها والمراد علما الحديث الذي يبحثون
عن رواة الحديث صحة وسقما من انكشاف ضعفها اي ظهوره وخمول ذكرها بان تنسى ولا
يشتهر لها ذكر لكونها لا اصل لها كما يتشاهد بالمثناة التحتية او الفوقية ويجوز قراءته
بالنون اي يعرف ويتحقق في كثير من الاخبار الكاذبة التي ظهرت في بعض الازمنة ثم
تبين كذبها وصارت كان لم تكن شيئا مذكورا كاخبار مسيلمة الكذاب واضرابه والاراجيف
الطارية اي الاكاذيب التي حدثت في بعض السنين الخالية والاراجيف جمع ارجاف بكسر
الهمزة وفتحها وقيل انه جمع رجفة من الرجف وهو الاضطراب والتحرك بحركات متوالية
ولذا سمي البحر رجافا لاضطراب امواجه وقال بعض الشعرا فيمن اصابته رعشة في يده

ما كان من رجاف كفك منكر ۞ فالبحر من اسمائه الرجاف

وهي هنا بمعنى الاخبار السيئة التي تشيع بين الناس ثم تنسى لظهور كذبها والطارية
بالهمزة والياء التحتية من طرا اذا حدث وتجدد واعلام نبينا صلى الله عليه وسلم بفتح
الهمزة جمع علم بمعنى علامة او راية كبيرة والمراد معجزاته المعلومة المشهورة هذه الوراثة
اي المروية من طريق الاحاد بالمد اي التي رويت احادا ولم تتواتر لا تزداد مع مرور الزمان
الا ظهورا ولو كانت غير صحيحة ازدادت خفا وضعفا ومع تداول الفرق اي تكلم الناس بها فرقة
بعد فرقة وهو بكسر الفا وفتح الرا جمع فرقة وكثرة طعن العدو من اعدا الدين الكفرة والطعن
القدح والدخل بالمعارضة وحرصه على تواهينها اي تضعيفها وفي نسخة بدل حرصه خصه
بضاد معجمة اي حثه وتحريضه وتضعيف اصلها بالانهار والعناد وانها سحر وافتراء
واجتهاد الملحد اي بذل طاقته وقوته والملحد العادل عن الحق من الزنادقة والالحاد الميل
عن الاستقامة والحد والحد في دين الله حاد عنه وعدل وعن ابن عباس في قوله تعالى ان الذين
يلحدون في اياتنا هو تبديل الكلام ووضعه في غير موضعه وفي نسخة باجتهاد بدون تاء
من اجهد اي اتعابه نفسه وكدها محافظة على اطفا نورها اي ابطالها فشبه المعجزات

لسراج منير ونار على علم في الظهور والتحقق على طريق الاستعارة المكنية واضاف الاطفا اليها
على طريق التخييل وعدى الاجتهاد بعلى مشاكلة لما قبلها قبله او ضمنه معنى الملازمة والانكباب
فهم كما قال تعالى يريدون ليطفؤا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ومن حكم اهل
الهند ان الرجل ذو المروءة والعقل ليكون حامل المنزلة غامض الامر فما تبرح به مروءته وعقله
حتى يستبين ويعرف كالشعلة من النار التي يصونها صاحبها وتابى الا ارتفاعا ومنه اخذ ابن
الرومي قوله

كالذي طاطا الشهاب ليخفي ... وهو ادنى له الى التصريم

ومنه اخذ الارجاني قوله

ما لشانك يلتظي من غرور ... وله آخر ترقب قمعه
كلما رام منه للراس رفعا ... زاد خفضا كانه نار شمعه

واحسن من هذا كله قولي في بعض الحساد

رام بالذل ان ينكس قدري ... حاسد زادني سنا وسناء
قلت ان الشهاب شعلة نار ... كلما نكسوه زاد ضياء ضياء

وقوله الا قوة وقبولا معطوف على قوله الا ظهورا كما ان قوله ومع تداول الفرق معطوف
على قوله مع مرور الازمان وفي نسخة الزمان وقوته بظهور خفيته وتيقنه وهو مقابل
لما في ضده من التضعيف والقبول باذعان العقول السليمة له وهو مقابل لطعن الطاعنين
وانكارهم وللطاعن اي المنقض الذي يعينها ويسعى في ابطالها والجار والمجرور حال من
المستثنى بعده بعد ما كان صفة وعداه بعلى في قوله عليها لانه ضمنه معنى المتعدي عليها
لانه يتعدى بفي وقوله الا حسرة وهي التاسف والتندم على مهم فاته وايس منه
وغليلا بالغين المعجمة واصله حرارة وتلهف في الجوف من شدة العطش والمراد به
هنا محمار الحقد المضمر والحسد معطوف عليه وان لم يشاركه في متعلقه الا بتاويل فتدبر وكذلك
اي كاعلامه بفتح الهمزة فيما ذكر من الازدياد اخباره بكسر الهمزة مصدر اخبر عن الغيوب جمع غيب
وهو ما خفي علمه عن الناس كالدجال والمهدي ودابة الارض وغير ذلك مما اخبر به بعض
الصحابة رضي الله عنهم وانباؤه بوزن اخباره ومعناه بما يكون في المستقبل من اشراط
الساعة ومما يقع بين امته عليه الصلاة والسلام من الفتن وغيرها وما كان في الماضي
كاحوال الانبياء عليهم الصلاة والسلام والامم السالفة ونحوه مما لا يعلم الا بوحي او حفظ
الكتب الالهية التي لم يقرأها ولم ير من عرفها معلوما انه من اياته ومعجزاته الخارقة للعادة
اما الاول فظاهر واما الثاني فلانه عليه الصلاة والسلام امي ولم يخالط من علم ذلك

كفاك بالعلم في الامي معجزة ... في الجاهلية والتاديب في اليتم

على الجملة بالضرورة اي معلوم بعلم ضروري مجموعه واجماله وان لم يكن كل فرد
فرد كذلك وهذا حق اي امر محقق متيقن لا غطا عليه ظاهر منكشف من غير لبس وشبهة
فيه وقد قال به اي اعتقده وصرح به يقال قال كذا اذا نطق به وقال به اذا ذهب اليه واختاره
المقتدى بهم من الاشعرية او المالكية القاضي ابو بكر الباقلاني الاصولي المالكي لانه
المراد به اذا اطلق وبه صرح صاحب المقتفي هنا قال والمراد بقوله والاستاذ ابو بكر
ابن فورك كما تقدم في كلام المص وقيل المراد بالاول ابو بكر بن العربي شارح

الترمذي

الترمذي وبالثاني ابو بكر الباقلاني او العكس والاول مالكي والثاني عدم المص من المالكية وعده السبكي
في طبقاته من الشافعية **وقال** التلمساني ان المراد بالثاني ابو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي
والاستاذ بضم الهمزة وآخره ذال معجمة معناه الماهر وهو معرب فارسية بالدال المهملة
والمولدون يريدون به الطواشي وقد بسطنا الكلام عليه في كتابنا شفا العليل فيما في كلام
العرب من الدخيل **وغيرهما** من الايمة اي ذهب هولاء كلهم الي انها معلومة بعلم ضروري قطعي
فهي متواترة بحسب المعني وان لم تتواتر مفرداتها **وما عندي اوجب قول القايل** وفي نسخة
تاخير ما عن عندي وهي نافية ومعني عندي في اعتقادي وحكمي وهو متعلق باوجب **ان هذه**
القصص المشهورة من باب خبر الواحد اي من قبيل خبر الاحاد التي لا توجب العمل واوجب
بمعني اقتضي واستلزم والجاء اي لم يلجيه لذلك **الا قلة مطالعته للاخبار** النبوية ومطالعتها
الاطلاع عليها **وروايتها وشغله** بضم اوله اي اشتغاله **بغير ذلك من المعارف** غير الاحاديث
من العربية والامور والعلوم العقلية وفيه تادب مع العلما وعدم المجاهرة بالقدح فيهم
والا اي لو لم نقل بقلة اطلاعهم لاشتغالهم بما ذكر **فمن اعتني** اي كانت له عناية واشتغال
بطرق النقل الي الامور النقلية اي الامور النقلية السماعية **وطالع الاحاديث والسير** النبوية
بان درسها وقراها **لم يرتب** اي لم يحصل عنده ريبة وشك **في صحة هذه القصص المشهورة**
عند المحدثين والحفاظ **علي الوجه الذي ذكرناه** من جمع طرقها وضم بعضها لبعض حتي تقوي وتصير
متواترة بحسب المعني قيل وقوله لم يرتب قاض يرد اعتراضه علي من قال انها احاد اذ لم يرد به
مجموعها بل جميع افرادها وفيه نظر ثم اشار الي دفع شبهة هي انه لو كانت الاحاد تصل رتبة التواتر
بالاعتنا بالنقول ومطالعة الاحاديث كانت متواترة معني عند غيره فقال **ولا يبعد ان يحصل**
العلم بالتواتر الحقيقي **عند واحد ولا يحصل عند آخر** فبالطريق الاولي التواتر المعنوي
وقد قيل بمثل هذا في البسملة وجمع به بين الخلاف بين الايمة فان اثباتها في اوايل السور واسقاطها
قراتان متواترتان من السبعة كما قاله ابن حجر ومن تبعه وان خفي علي كثير **فان اكثر الناس يعلمون**
بالخبر المتواتر **كون بغداد موجودة** وهي المدينة المشهورة بدار السلام اما لسلامة اهلها من
فساد وتغير المزاج او لان نهرها يسمي السلام وهي فارسية معربة ومعناها محل البساتين
لان باغ معناه بستان وقيل بغ اسم صنم وداد معناه العطية اي عطية الصنم ولذا كره بعضهم
تسميتها بذلك وفيها ست لغات اهمال الدالين واعجامهما واهمال الاول واعجام الثاني
وعكسه وبغدان بالنون مع الاهمال وزاد يعقوب ابدال الباء ميما مع الدال والميم والنون والاهمال
والاعجام والاهمال اصح وقالوا بغدين ايضا **وانها مدينة عظيمة ودار الامامة والخلافة**
بكسر اولهما وهما بمعني والخلافة هي الولاية العامة لانه خليفة رسول الله صلي الله عليه وسلم
فهي السلطنة بحق وسميت امامة لان الامامة والخطبة في عهد الرسول صلي الله عليه وسلم
والخلفا الراشدين لازمة له لا يقوم بها غيره الا بطريق النيابة عنه كالقضا والحكومة ولذا
احتاجت لتقليد السلطان ونحوه ومعني دارها مقرها ومحلها واول من بني بغداد هذه ابو جعفر
المنصور المعروف بالدوانيقي ثاني خلفا بني العباس **واحاد** بالمد جمع واحد **لا يعلمون**
اسمها لعدم سماعه **فضلا عن وصفها** من كونها دار الخلافة متنزهة عظيمة البناء
وفضلا منصوب بالمصدرية يقيد الوية ما بعدها والكلام فيها مبسوط في العربية مشهور
ثم ذكر مثالا آخر في الشرعيات فقال **وهكذا** اي مثل تجوزا مشهورا **يعلم الفقها من اصحاب**

مالك المقلدين لمذهبه فتجوز بالصحبة عما ذكر تجوزا مشهورا بالضرورة اي بالعلم الضروري
اي البديهي لا اضطراري لتواتره عندهم وتواتر النقل عنه كالمفسر له ان مذهبه ايجاب
ام القران اي الفاتحة ووجه التسمية مشهور في الصلاة للمنفرد والامام دون المأموم فان قراءة
امامه قراءة له وان لم يسمعها ولا فرق بين الصلاة الجهرية وغيرها وكذا مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه
كما فصل في كتب الفقه واجزاء النية اي نية صوم رمضان كله في اول ليلة من رمضان عما سواه
الضمير راجع لاول فلا يحتاج في بقية الشهر الى نية اخرى اكتفاء بتلك النية والاجزاء بمعنى الكفاية
والاغناء وقيل معناه سقوط القضاء ورده الاصفهاني في شرح المحصول والفرق بينه وبين
الصحة مفصل في كتب اصول الفقه وان الشافعي رضي الله عنه يرى من الراي بمعنى المذهب
تجديد النية كل ليلة قبيل الفجر فمذهبه ان النية واجبة في كل ليلة لا مندوبة وهذا معلوم بالضرورة
عند الفقهاء لتواتره عند اصحابه وغيرهم لان صوم كل يوم عبادة مستقلة فيفتقر الى نية جديدة
لحديث انما الاعمال بالنيات والمراد الاعمال الشرعية اي انما صحتها وغيره يقدر انما كمالها كما بين
في محله والاقتصار على مسح بعض الراس اي ويعلم ضرورة ان الاقتصار على مسح بعض الراس
يجزئ عند الشافعي لتواتر نقل ذلك عنه خلافا لمالك فانه يجب عنده مسح الراس كله احتياطا وان
مذهبهما اي مالك والشافعي القصاص اي وجوبه في القتل المحدد اسم مفعول مشدد الدال
وهو حديد له حد جارح كالسيف ونحوه وغيره مما لا حد له كالعصا والحجر والسحر وايجاب النية
في الوضوء فهي واجبة عندهما لانه عبادة فلا بد من النية فيه ليكون قربة ولتتميز العبادة عن العادة
باخلاص العمل بالنية واشتراط الولي وهو من يكون له ولاية شرعية على المنكوحة كالاب والسيد
في النكاح اي في صحته وانعقاده كما فصل في كتب الفقه وان ابا حنيفة النعمان بن ثابت
الامام المشهور شهرة تغني عن ذكر ترجمته يخالفهما في هذه المسائل فلا يوجب القصاص
في غيره المحدد بل المحدد الدية ولا يوجب النية في الوضوء وخالف فيه بعض الحنفية كما في الاسرار
للدبوسي ولا يشترط في النكاح الولي كما فصلوه يعني ان مذهبه يخالف مذهبهما في هذه المسائل
فانه لم يرهما حتى يخالفهما والفقهاء يستعملون مثل هذه العبارة كثيرا في كتبهم فيقولون خالف
فلان في كذا فلانا وان تقدم عصره عليه وغيرهم اي غير الفقهاء واصحاب المذاهب ممن لم يشتغل
بمذاهبهم ومن ذكر من الائمة ولا روى اقوالهم ممن قلدهم واشتغل بكتبهم لا يعرف هذا
الامر الذي وقع فيه الخلاف منهم من مذاهبهم واقوالهم فضلا عما سواه اي سوى
هذا من دقائق المذاهب ومسائلها الغريبة وعند ذكرنا احاد هذه المعجزات نزيد الكلام
فيها بيانا بتفصيلها وذكر ما يتعلق بها من الفوائد ان شاء الله تعالى ذلك

فصل في اعجاز القران اي في بيان اعجازه والقران بالهمز وقد يسهل ويتدرج
ووزنه فعلال على الصحيح وتقدم بيان اعجازه والقران وهو جعل غيره عاجزا عن
معارضته والاتيان بمثله اعلم وفقنا الله واياك اي رزقنا التوفيق والجملة دعائية
وتصديره باعلم تنبيها له على ان ما بعده امر مهم يلزم علمه ان كتاب الله العزيز بفتح الهمزة
وهو وما بعده سادّ مسد منقولي اعلم وتقدم ان العزيز بمعنى القوي الغالب وبمعنى الذي لا
نظير له ويجوز فيه الجر والنصب على انه صفة الله او الكتاب ولك ان ترفعه قطعا والكتاب
المراد به القران لغلبته فيه وله معنيان الكلام النفسي وما بين الدفتين وكلاهما قديم عند
بعض المحققين كالشهرستاني والكلام فيه مشهور والمراد هنا الثاني لانه هو المتصف

بالاعجاز

بالاعجاز منطوٍ اي مشتمل ومحتو افتعال من الطي وهو معروف على وجوه من الاعجاز كثيرة
اي انواع يعرف بها اعجازه وكونه لا يقدر عليه البشر وتحصيلها اي محصلها اجمالا فالمراد
بالمصدر اسم المفعول مبالغة كالدرهم ضرب الامير اي مضروبه والضمير للوجوه من جهة
ضبط انواعها اي حصرها وجعلها مضبوطة محفوظة في اربعة اوجه خبر تحصيل او متعلق
بقوله ضبط اولها حسن تاليفه اي نظم كلماته موتلفة متوافقة والتيام كلمه عطف تفسير
اي كونها متناسبة بحسب الدلالة بحسب مقتضى مقاماتها والكلم اسم جنس جمعي لكلمة كتمر وتمرة
لا جمع ولا اسم جمع على الاصح وفصاحته قدمها على البلاغة لتوقفها عليها بمعناها المشهور
في كتب المعاني ووجوه ايجازه اي قلة لفظه وكثرة معانيه ووجوهه معروفة في المعاني
وبلاغته الخارقة عادة العرب عادة بالنصب مفعول خارقة بمعنى خارجة عن عادتهم
كما يقال خرق الاجماع اذا خالفه وخرج عنه ثم بين ذلك فقال وذلك اي ما ذكر
من عادتهم لانهم اي العرب كانوا ارباب هذا الشان هو الامر العظيم والمراد به البلاغة
وجعلهم اربابها اي اصحابها المالكون لها الذين بيدهم ازمتها وهو مبالغة في اتصافهم بالفصاحة
والبلاغة وفرسان الكلام جمع فارس او جمع فرس الذي هو جمعه والفرس ايضا يكون جمع
فارسي بمعنى عجمي كما في شرح شواهد الايضاح ومنه قولهم لغة الفرس فشبه الكلام الذي
تمكنوا من الصرف فيه بجواد علوه وتسابقوا به في ميادين البلاغة والرهان وفازوا بقصب
السبق فيه قد خصوا من البلاغة والحكم اي خصهم الله من دون الناس ببلاغة كلامهم المخصوصة
بلغاتهم وبما تضمنه من الحكم اي المعاني المحكمة المتقنة وما يحث على مكارم الاخلاق ومحاسن
الصفات وفيه كلام تقدم بما لم يخص به غيرهم قيل كان الظاهر ان يقول بما لم يوجد
في غيرهم لكنه عبر به ليشاكل ما قبله ولان نفي الوجود وهو المقصود وفيه بحث من الامم
اي من جميع الامم السابقة واللاحقة واتوا بالبنا للمجهول اي اعطاهم الله من ذراية
اللسان المراد الجارحة المعروفة والكلام نفسه والذراية بذال معجمة وراء مهملة وموحدة
اصل معناها حدة السيف والسنان ونحوه وقيل هي ان تسقي السم والذراب السم
فاستعير لطلاقة اللسان مع الخلو من اللكنة قال

ارحني واسترح مني فاني ثقيل محملي ذرب لساني

وهذا امر محمود وقد يكون بمعنى كونه سليطا صخابا فيكون ذما كالحدة قال تعالى سلقوكم
بالسنة حداد ما لم يوت انسان اي لم يوته غيرهم من الامم لكنه اتى بما ذكر لقصد السجع
والخطابة كقوله ومن فصل الخطاب اي الخطاب البين الفاصل عند الحاجة الذي لا
لبس فيه ولا خفا كما تقدم ما يقيد الالباب جمع لب وهو العقل ويقيدها بمعنى يحيرها اذا
سمعته حتى كانها قيدت ومنعت عن الحركة لدهشتها من حسنه وبراعته جعل الله
لهم ذلك المذكور الذي خصوا به طبعا وخلقة مركوز في طبايعهم لا بتكلف وتعلم وتقليد
لغيرهم وفيهم غريزة اي حيلة وسجية مركوزة فيهم وقوة المراد بالقوة مقابل الفعل
وليست بمعنى الشدة وهذا استعمال مولد وهو قريب من الطبيعة ايضا وتكرار
الالفاظ المتقاربة لا باس به هنا لانه مقام خطابة او المراد بالقوة القدرة اي هذا
امر طبعهم الله عليه وجعل لهم زيادة قدرة فيه فلذا عقبه بقوله ياتون منه على
البديهة بالعجب اصل معنى البديهة الفجاة ولذا قيل لكل كلام من غير اتعاب فكر

ونظر بديهة فيقال اجاب على البديهة وله بدايع بدايه وهذا معلوم في بداية العقول ولحقه
في بدايه جرمه والعجب بمعنى الامر الذي يعد عجيبا لحسنه وجزالة معناه فكانه لم يعهد فما قيل
انه غير صحيح هنا لا وجه له ويدلون به بضم المثناة التحتية وسكون الدال المهملة وباللام
من ادلى دلوه في البير اي نزله لاخذ الماء ثم عبر به عن مطلق التوصل كما قال عمر رضي الله عنه
لما استسقى بالعباس رضي الله عنه وقد دلونا اليك مستشفعين اي توسلنا الى كل سبب
اي طريق ووسيلة الى حصول مهمات امورهم كالزام الخصوم وجلب محبة القلوب واستعطاف
الملوك والرؤساء فاذا ذكروا هذه الوسايل عبروا عنها بعبارات بليغة رايقة تسحر السامعين
وتقود بعنان البيان سواد القلوب والخواطر وفي قوله بسبب هنا تورية لانه في الاصل بمعنى الحبل
فذكره بعد الادلا فيه لطف وقيل المراد اقبلنا وسقنا من الدلو وهو السوق والزفق
وقيل المراد بالسبب الطلب العالي الشبيه باسباب السموات اي نواحيها كانه شبه ذلك الطلب
في عزة نيله بنواحي السما والعرب كانوا يصلون الى هاتيك المطالب بما نالوه من القرايح الزكية
ولعل المراد بالاسباب مقتضيات الاحوال وقد بين ذلك بقوله فيخطبون الخ انتهى
ولا يخفى انه لا يلايم ما نحن فيه بديها اي ينشون الخطب بمقتضى طبايعهم بديهة من غير تكلف
في المقامات اي محافل الناس ومجامعهم على روس الاشهاد بديهة من غير تصنع جمع مقام
ومقامة يقال قام بين يدي الامير بمقامة حسنة اذا تكلم بعظة ونحوها وكانوا يخطبون
قياما فلذا سميت مقامة ثم اطلقت على نفس الكلام المقول فيها كمقامات البديع والحريري وغيرهما
وتشديد الخطب اي الامر العظيم الشان الذي من شانه ان يقع فيه المخاطبات والمنازعات فكان
لكل قوم خطيب يقوم بينهم يحثهم على مهماتهم وقيل ان الخطر الشان عظم او صغر وسبب
الامر ولا يناسب المقام والتكلم بكلام بليغ ارتجالا يدل على سجية وغريزة قوية ويرتجز
وزنه اي ينشدون رجزا في تلك المقامات بديهة يعدونه كالخطب ولذا ذهب بعضهم
الى انه ليس بشعر بين الطعن والضرب كما ينشدونه في اندبتهم وهذا كقول علي رضي الله
عنه لما بارز مرحبا بخيبر

انا الذي سمتني امي حيدره كليث غابات كريه المنظره اكيلكم بالسيف كيل السندره وامثاله
مما لا يحصى ويمدحون من يستحق المدح في مقاماتهم بديهة بابلغ الاشعار ويقدحون اي
يذمون ويهجون يقال قدح في عرضه اذا عابه ومن فسره بقوله اي يقدحون افكارهم
فيستخرجون معجز الكلام في احسن نظام لم يصب محز الكلام ويتوسلون بما ذكر من
بليغ الكلام نظما ونثرا ويتوصلون عطف تفسير اي بالمذكور الى مطالبهم العالية ويرفعون
من مدحوه بمدايحهم حتى يرتقي لمرتبة اي لم يكن له بشرة مدحه فيصير بابه الذكر
بعد ان كان خاملا كما وقع للمحلق لما نزل عنده الاعشى ضيفا فنحر له وسقاه وعنده
بنات لم يرغب احد في تزوجهن فمدحه بقصيدة قافية مشهورة فلم يمض زمن حتى خطبوا بناته
ورغبوا فيهن ويضعون مقدار من ذموه بقدحهم حتى يصير سبة بينهم ففيه لف ونشر
فياتون من ذلك المذكور كله بالسحر الحلال السحر في الاصل الفطنة وكل ما دق ثم انه يشبه
به الكلام البليغ الذي يلتذ به النفوس وتنجذب له القلوب ومنه ان من البيان لسحرا فهو
تشبيه بليغ والسحر معناه الحقيقي معروف وهو قبيح محرم فوصفه بالحلال بيان للمعنى
المراد منه وتجريد للتشبيه والسحر حق واقع وهو بامور يعرفها اهلها سياتي الكلام عليها

عند قوله

عند قوله وقولهم ان هذا بسحر يؤثر فيطوقون بالتشديد من الطوق وهو ما يجعل في العنق من
ذهب او نحوه من اوصافهم البديعة البليغة وفيه استعارة مكنية وتخييلية اي من وصفهم
لغيرهم بمدحهم اجمل من سمط اللآل اجمل بمعنى ازين واحسن وسمط بكسر فسكون المراد به جنسه
لعمومه بالاضافة فمن قال صوابه سموطه لم يصب وهو السلك ما دام فيه الخرز والا فهو خيط
وقال البرهان السمط الخيط ما دام فيه الخرز والا فهو سلك وتبعه الانكاري
ونسبه للجوهري وقال ان غيره قال ان السمط للجوهر والسلك للخرز والنظام للابر وفيه
نظر وفضله عقد المدائح على اللآلي لانه لا يفنى ولا يقاومه ثمن لعزته واصل اللآل اللآلي
بهمزة في آخره فابدلها بالسكونها وقفا ثم عامله معاملة المعتل في الوقف فاسقطها كالعاص
فيخدعون الالباب الخداع هو المكر واظهار امر على خلافه لمن تريد به امرا مكروها والالباب
جمع لب وهو العقل كما مر والمراد انهم يستميلون العقول حتى تنقاد لهم ففيه استعارة
مكنية وتخييلية وتقدير ذوي العقول يذهب برونق الكلام ويذللون الصعاب
اي يسهلون بفصاحتهم الامور الصعبة فان كان من الذل بالكسر والذال المعجمة من الارض
الذلول وهي التي يسهل المشي فيها ففيه استعارة تبعية وكذا ان كان من الذل بضمها والمراد
على كليهما انهم يجعلونها مطيعة لهم ويجوز ان يكون مكنية وتخييلية على ان الصعاب جمع صعبة
وهي الناقة التي لا تنقاد ويذهبون الاحن بكسر الهمزة وفتح الحاء المهملة جمع احنة بفتح
فسكون وهي الحقد ويهيجون الدمن بضم اوله وفتح ثانيه وكسر المثناة التحتية المشددة ويجوز
كسر الهاء مع سكون الياء اي يحركونها ويظهرونها والدمن بكسر الدال المهملة وفتح الميم
والنون جمع دمنة وهي في الاصل ما في مبارك الابل من بعرها المتلبد بما عليه من ابوالها استعير
للحقد المضمر المجتمع في الباطن وهي استعارة بليغة شايعة في كلامهم قال

ادعي الامانة لا اخون ولا ارى ... ابدا ادمن عرضة الاخوان

وكون المراد به آثار السكان في الديار والمعنى انهم يندبون الاطلال وسكانها فيهيجون
الاشواق بذكرها وان سلم من التكرار بعيد هنا فلا يغتر بما قيل ويجرؤن الجبان بالتشديد
والهمز من الجراة وهي الاقدام والشجاعة والجبان ضد الشجاع اي يجعلونه شجاعا بعد جبنه
ويبسطون يد الجعد البنان باضافة الجعد الى البنان والبنان الاصابع وعقدها وبسطها
مدها واذهاب جعودتها وهي انقباضها والجعد اذا اضيف الى اليد او البنان كان للذم
بمعنى البخيل اللئيم فان اطلق كان بمعنى الجواد الكريم والجعودة ضد السبوطة وهي الانبساط
والمعنى انهم بفصاحتهم يصيرون البخيل كريما قال ابو عبيد الجعد في
صفة الرجال يكون مدحا ويكون ذما ففي المدح معناه شديد الخلق مدبر للامور او ان
شعره جعد غير سبط لان السبوطة اكثر في العجم وفي الذم معناه القصير او البخيل ويصيرون
الناقص كاملا بحثه على اكتساب الكمال حتى يصير التطبع طبعا وان كانت الطباع يعسر تغيرها
وتبدلها ويتركون النبيه الشريف المشهور خاملا اي خامل الذكر متروكا بعد شهرته بسبب
ذمهم له وتنقيصهم بالهجاء ونحوه ثم قسمهم فقال منهم اي من العرب البدوي وهم سكان
البادية النازلون في الاخبية والدرات وهو بالباء الموحدة والدال المهملة المفتوحتين لا
يسكنون القرى والامصار ويسمى ساكنها حضرا وحاضرة لحضور بعضهم لبعض فيها
والنسبة للبادية او للبدو بالسكون على خلاف القياس ويقال بداوي بفتح اوله وكسره او هو

نسبة للبدا كالفتي بمعني البادية ايضا ذو اللفظ الجزل اي صاحب اللفظ المحكم القاطع الفاصل
بالصاد المهملة اي الفاصل بين الحق والباطل قال تعالي انه لقول فصل وما هو بالهزل واصل
معني الفصل الحجز ومنه فصول الكتب والكلام الفخم اي المفخم المعظم لشهامتهم وعدم مداراتهم
او الممتلي المعاني الرائقة يقال وجه فخم اذا كان له جمال ومهابة او هو من التفخيم ضد الترقيق
لاعتيادهم باخراج الحروف من حاق مخارجها والجهر بها لقوله والطبع الجهوري اي طبعوا
علي جهر الصوت وعلوه ومنه الحروف المجهورة قال في القاموس جهر ككرم فخم والصوت
ارتفع وكلام جهر ومجهر وجوهري قال وفي الحديث نادي
بصوت جهوري وفي نسخة جوهري نسبة للجوهر وهو الخالص المنقي او المقدم الحري
فان كان من الجوهر المعروف كالياقوت والزمرد ونحوه فهو استعارة للنفيس وفي القاموس
الجوهر كل حجر يستخرج منه شي ينتفع به ومن الشي ما وضعت عليه جبلته والجري القدم
انتهي والواو زايدة وقيل انه بمعناه المعروف معرب والعرب تمدح بالجهر بالكلام وتعبر
به عن البهاء والحسن كما قال الاعرابي

جهير الرواء جهير الكلام جهير العطاس جهير النغم

وهذا اشبه بطريقة المم في فصاحته والمنزع القوي مفعل من النزع وهو الجذب
والاخذ ونزع الماء من البير اخرجه ونزع القوس جذبه وهو مصدر ميمي او اسم
مكان والاول اظهر اي ياتون بنوع من الكلام يستخرجونه من بين انواع الكلام
بطبايعهم السليمة بحيث اذا سمعه السامع شفي غليله ومنهم الحضري نسبة الي الحضر
بفتحتين مقابل البدو وهو الحاضرة ايضا والحاضرة سكني الحضر وهي الامصار والقرى
ذو البلاغة البارعة اي الفايقة من برع اقرانه اذا فاقهم برقة طبعه وتهذيب كلامه والالفاظ
الناصعة اي الخالصة من الالفاظ الوحشية الغريبة السالمة من الركاكة والكلمات
الدامغة للمعاني الكثيرة في الالفاظ القليلة الموجزة والطبع السهل اللين المنقاد بسهولة
السلامة ذوقه وانسجام كلامه الذي هو ارق من النسيم يكاد من عذوبة الالفاظ تشربه
مسامع الحفاظ فيدخل الاذن بلا اذن والتصرف في القول القليل الكلفة فيخرج من
نوع لنوع من غير تكلف لكونه سجية له والقليل صفة للتصرف او للقول فلا يورد في
كلامه ما يعسر فهمه علي السامع لغرابته او تعقيده الكثير الرونق اي الحسن واللطافة
من رونق السيف وهو ماؤه وحسنه كما قال البحتري

وبديع كانه الزهر الضاحك في رونق الربيع الجديد
مشرق في جوانب السمع ما يخلقه عوده علي المستعيد

الرقيق الحاشية اصل الحاشية طرف البرد والثوب ورقة حاشيته عبارة عن رقته وحسن
نسجه والكلام يشبه بالحلل والبرود والتكلم بالنسج وفي الاساس من المجاز عيش
رقيق الحواشي وكلام رقيق الحواشي وهو عبارة عن سهولته وسلاسته بان يكون لفظه
رشيقا عذبا وفخما سهلا ومعناه ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا وكلا
البابين اي كلا القسمين من كلام البدوي والحضري في مقامه ومحله وعند اهله
فلهما في البلاغة الحجة البالغة قيل ان في الكلام تقديرا واصله واما كلا البابين الخ
فالفا واقعة في جواب اما المقدرة ولا يخفي انه ركيك ولو حذفها كان اولي ولو قيل

كلا

كلا مبتدا خبره مقدر تقديره وكلاهما مما اختصوا به او مما له شان عظيم وما بعده مبني عليه
كان احسن لان اما حذفها من غير عديل ليس سهلا والحجة البرهان والدليل من حجه
اذا خصمه والزمه والبالغة بمعنى الواصلة والافصح افراد ضمير كلا رعاية للفظه
ومعناه وان جاز تثنيته وقد جمع بينهما

كلاهما حين جد الجري بينهما ... قد اقلعا وكلا انفيهما راني

والقوة الدامغة اي الطالبة لغيرها من ساير اللغات واصل الدمغ الضرب على الدماغ
فاريد به ما ذكر من الغلبة والقهر يقال دمغ الحق الباطل اي ابطله ودمغت فلانا
قهرته والقدح الفالج بكسر القاف وسكون الدال والحا المهملتين واحد قداح الميسر
وهو سهم بغير ريش وقداح الميسر التي كانوا يقامرون بها في الجاهلية ولها اسما مشهورة
ومنها ما له نصيب زائد ومنها ما لا نصيب له والفالج بالفا واللام والجيم بمعنى الفايز يقال
فلج امره اي فاز وسعد اي لهذه اللغة وشرف فوز عند سامعها وقيل المراد
ما تنتجه الافكار واصابة الآرا وجودة الانظار وهو امر لا تعلق له بنفس الكلام
والكلام فيه والمهيع الناهج بفتح الميم وسكون الها وفتح المثناة التحتية وهو الطريق
الواسع والناهج بمعنى البين الواضح المسلوك واصله السالك فتجوز به عن المسلوك
كماء دافق بمعنى مدفوق وعيشة راضية واراد به سعة لغتهم وظهور دلالتها
لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم قيل كان الاحسن الظاهر لا يشك بنا المجهول
ليكون ابلغ وهذا من عدم معرفته بمقاصده فان هذا هو المناسب لما هو بصدده فان
البليغ الفايق اذا كان هذا حاله كان له اقدام على المعارضة عند التحدي فلله دره
ما ادق نظره والمراد انهم يعلمون ما جبلوا عليه من البلاغة والقدرة على ايراد كل
كلام بليغ في مقامه على ما يقتضيه حاله وسبكه في قوالبه ونظره لاساليبه المطاوعة
له ومعرفته بذلك والبلاغة ملك قيادهم بكسر القاف وهو حبل تقاد به الدابة
اي والبلاغة مملوكة لهم منقادة واصله ملكهم وفي قيادهم فعدل عنه لما ذكره لانه
ابلغ ففيه استعارة في الملك والقياد وهي اضافية على حد قوله مكر الليل يعني انهم
متصرفون في افانينها من غير تكلف قدحوا فنونها اي جمعوا وحازوا انواع البلاغة
واقسامها والفنون جمع فن واستنبطوا عيونها اي استخرجوا خيارها ومحاسنها وامل
معنى الاستنباط استخراج الماء من الابار والعيون النابعة فعيون هنا في موقعها وفيها
تورية لايهامه لعيون الما والمراد خيارها لان عين كل من خياره وليس من اطلاق اسم
الجزء على الكل كما توهم ودخلوا من كل باب من ابوابها اي سهل عليهم الوصول الى مقاصدهم
باي عبارة ارادوها كالحقيقة والمجاز والكناية وبسط الكلام في مقام وايجازه في مقام
والتصريح والاخفا وفيه استعارة مكنية وتخييلية بجعل مقاماتها قصورا واسعة
لها ابواب متعددة ولذا عقبه بقوله وعلوا صرحا وهو البيت العالي المزخرف بناؤه
والبيت المنفرد وعلوا بتخفيف اللام بمعنى صعدوا ويجوز تشديدها لبلوغ
اسبابها جمع سبب وهو كل ما يتوصل به لشيء اخر كالحبل والسلم وهو علة للعلو
اي علو قصر البلاغة ليصلوا الى ما فيه من الاسباب الموصلة لمهماتهم ومطالبهم النفيسة
كمن يدخل قصرا ليقاتل الملك فينال عند لقايه انعامه واحسانه وفيه ايما لقوله تعالى

يا هامان ابن لي صرحا لعلي ابلغ الاسباب الاية فما قيل ان الاحسن ان يقول صرح اسبابها تركه
احسن منه لان معناه انهم علوا ذروة البلاغة فوصلوا بها لكل ما ارادوه فعبر بعباراتهم
لمقاصدهم واللام لام العاقبة وفيه استعارة مكنية تخييلية لتشبيه مرتبة الاعجاز التي عجزوا
عنها بسما لم يصلوا اليها **فقالوا** اي تكلموا بكلامهم البليغ **في الخطير** اي في الامر العظيم الذي له
خطر اي شرف ومزية على غيره **والمهين** بفتح الميم اي الحقير من المهانة وهي الحقارة **وتفننوا**
اي اتوا بكل فن من فنون الكلام متصرفين **في الغث** بفتح الغين المعجمة وتشديد المثلثة واصله اللحم
المهزول الذي يكره تناوله فاستعير للامر القبيح والفاسد **وضده السمين** وفي حديث ام
ام زرع زوجي لحم جمل غث وفي المثل غث خير من سمين غيرك وقد علمت ان تفالوا قالوا
في اكثر النسخ بالقاف من القول وفي بعضها تفالوا بالغين المعجمة وفتح اللام اي زادوا الاول رواية
الانطاكي وفسره التلمساني بانشاد المديح والهجا والمدح والذم او الجدل والهزل وله وجه **وتقاولوا**
تفاعل من القول اي اداروا الكلام بينهم **في القل والكثر** بضم اولهما واجاز البرهان كسرهما اي
القليل والكثير مدحا وذما وجدا وهزلا قيل وفيه ثقل ولو قال في الكثير والنزر كان احسن
واخف وانسب بقوله **وتساجلوا في النظم والنثر** والتساجل تفاعل من السجل بالفتح وهو
الدلو الكبير وسجلت الماء صببته ثم لما كانوا يتناوبون في سقي الماء استعاروا المساجلة
للعطا وللمفاخرة كما قال

من يساجلني يساجل ماجدا ... يملؤ الدلو الى عقد الكرب

وقيل الحرب سجال اي تارة يغلب وتارة يغلب كما قيل

فيوما علينا ويوما لنا ... ويوما نساء ويوما نسر

فالمراد انهم تناوبوا او تفاخروا وتعارضوا في عد المآثر كما هو متعارف عندهم وليس
المراد به المبارزة بان يدعو احدهما الاخر للقتال فيبرز من الصف كما قيل فانه لا وجه
له هنا وهي جائزة لفعل الصحابة رضي الله عنهم لها ومنعها بعضهم شرعا لما فيها من
المخاطرة والنظم والنثر غني عن البيان **فما راعهم** اي بينما هم كذلك فجاهم امر بغتة لم
يكن لهم علم به ولم يطرق مسامعهم مثله وفي الاساس ما راعني الا مجيئك اي ما شعرت
الا به وهو من الروع بمعنى الخوف والفزع **الا رسول كريم** بعث بين اظهرهم صلى الله عليه
وسلم **بكتاب عزيز** لا نظير له شريف ومنيع بحماية الله وهو استثنا مفرغ من عام مقدر
اي لم يفجاهم ويفزعهم شي سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهم من الله اتاهم
بخلاف هواهم وعكس مناهم اذ كانوا يتوهمون ان رتبتهم في البلاغة لا يفوقها كلام فاتاهم
بكتاب اخرس شقاشقهم واصم اسماعهم والبال للمصاحبة اي مويد لكلام معجز **لا ياتيه**
الباطل اي لا ياتيه باطل وامر فاسد بحسب العقل والشرع او ما يبطل كالنسخ والطعن المقبول
من بين يديه اي قدامه وفي مقابلته **ولا من خلفه** اي وراء ظهره والمراد من جهة من الجهات
فلا يجد سبيلا يوصله اليه وما وقع فيه من المطاعن اضمحل وانمحق حتى صار كالعدم ولذا
قال تعالى لا ريب فيه وقال تعالى جا الحق وزهق الباطل **تنزيل من حكيم** محكم
لمصنوعاته وتدبيره لجميع مخلوقاته **حميد** محمود يحمده جميع الكاينات بلسان القال
والحال **احكمت اياته** اي نظمت نظما محكما لا يعتريه فساد ولا خلل ومنعها الله وحفظها
من التبديل والتحريف الذي وقع في غيره من الكتب فهو من احكمت الدابة اذا وضعت في

فمها

فمها حكمة تمنعها الجماح او جعلت حكيمة لاشتمالها على امهات الحكم النظرية والعملية من حكم بالضم
اذا صار حكيما وايات القران جمع اية وهي جملة كلمات من القران لها ابتدا ومقطع **وفصلت كلماته**
اي فصل وبين ما فيها من الفوايد الجليلة كالعقايد الحقة والاحكام الشريفة والمواعظ والاخبار الصادقة
او جعلت سورا او انزلت نجما نجما او فرقت بين الحق والباطل وجمعت الوعد والوعيد **وبهرت** اي غلبت
وادهشت **بلاغته العقول** جميعها لغرابة اسلوبها وحسن بديعها الذي اعجز البلغا **وظهرت فصاحته**
اي اتضحت كالشمس وسط النهار او علت وارتفعت مرتبة اعجازها **كل مقول** اي كل كلام نظما ونثرا
وتظافر بالظا المشالة كما في اكثر النسخ تفاعل من الظفر وهو العز ونيل الاماني ايجازه اي قلة
الفاظه الوافية باداء المعاني من غير خلل **واعجازه** اي كونه في اعلى مراتب البلاغة المعجزة
للبشر فالمعنى ان الايجاز اخذ من الاعجاز ما يليق به والاعجاز استوفى من الايجاز ما يحق له ففيه
من البلاغة استعارة مكنية وتخييلية فمن قال انه لم يجد في كتب اللغة ما يفسره به فقد قصر وفي بعض
النسخ بالضاد المعجمة اخت الصاد المهملة بمعنى تعاونا وتقويا على منع معارضته والاتيان بمثله
من ضفر الحبل والشعر اذا جمع بعضه على بعض ليتقوى وهو مجاز مستعمل يقال تضافر القوم
اذا تجمعوا وتفاوتوا وقيل انه بالطا المهملة من الطفرة بمعنى الوثوب اي وثب كل منهما والمراد
انهما بلغا الغاية في بابهما والاوجه الثلاثة معانيها متقاربة فلا وجه لتصويب بعضها دون بعض
وتظاهرت حقيقته ومجازه اي عضد كل منهما الاخر وقواه لما صار له حقيقة ظهير ومستندا
لما بينهما من العلاقة او تشابها في الظهور لوضوح معانيه وظهور قراينه لا كما يكون في
بعض المجازات من الخفا والتعقيد **وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه** اي تشابهت
وتساوت اوايله واواخره من قولهم فلان يباري فلانا اذا فعل مثله والتباري يكون بمعنى
التسابق في الجري فالمعنى ان مطلعه وهو مبدؤه ومقطعه وهو منتهاه وغايته كفواتح السور
والايات وخواتمها يجاري كل منهما الاخر ويسابقه ليحوز قصب السبق من الفصاحة وصحة
المعاني وهو عبارة عن تشابههما **وحوت كل البيان** اي ما ينبغي بيانه واظهاره **جوامعه**
اي جوامع كلمه التي جمعت المعاني الكثيرة في الفاظ قليلة **وبدايعه** اي ما ابتدع فيه مما لم يسبق
مثله في كتابه وكلام الله مما لا يقبل تحريفا ولا يخشى تصحيفا وكفى بالدهر مملياً وبالذوق
مستمليا **واعتدل** اي استقام من غير افراط ولا تفريط **مع ايجازه** وعدم تطويل لفظه **حسن**
نظمه اي تناسب كلماته لفظا ومعنى ولما يكون ايجاز كذلك وهذا من ادلة اعجازه وليس هذا تكرارا
مع قوله حوت كل البيان جوامعه وبدايعه كما توهم **وانطبق** اي وافق **على كثرة فوايده** اي
معانيها التي تفيدها **مختار لفظه** اي لفظه المهذب الذي كانه انتخب ونقي وهذا من وجوه الاعجاز
ايضا لان اللفظ الذي يفيد معاني كثيرة من الفصحا يحتاج غالبا الى ترك الفاظ غير منفخة **وهم**
اي فصحا العرب من كل باد وحاضر **افصح ما كانوا في هذا الباب مجالا** اي اوسع يقال فسحت
مجلسه فتفسح فيه ومنه فسحت له ان يفعل كذا اي وسعت له فهو في فسحة مرة وما كانوا
بمعنى اكوانهم فما مصدرية واضافة افعل للمصدر على التجوز كاخطب ما يكون الامير قائما
والمجال محل الجولان وهو الحركة والجملة حالية من ضمير هم راعهم ومجالا تمييز عن النسبة محل عن
الفاعل والمراد بالباب جنس البلاغة وجعله بابا لوصولهم به الى مقاصدهم اي جاءهم صلى الله
عليه وسلم بالكتاب المجيد ومجالهم في غاية الاتساع وتفسير المجاز بالاتساع وان كان ينبئ
عنه فيه تكلف **واشهر** اي اعظم شهرة وفي نسخة واشهرهم بالاضافة لضمير الناس **في**

في الخطابة بفتح الخا اي انشا الكلام في المحافل وقوله رجالا تمييز كالذي قبله واشهر معطوف على
خبرهم اي ورجالهم اشهر من غيرهم في هذا وليس المراد بالرجال مطلق الذكور بل الاشراف
كما يقال رجالات قريش لاشرافهم وليس هذا منافيا لقوله خصوا من البلاغة والحكم بما لم يخص
به احد من الامم لان اسم التفضيل يقتضي مشاركة غيرهم لهم فيما كان مختصا بهم لان اختصاصهم
بما ذكر على ظاهره والتفضيل مجازي بان يكون على طريق الفرض كما في حديث ما رايت ناقصات
عقل ودين اذهب للب الرجل منكن اذ الخطاب لجنس النسا او نقول انه على حد قوله الخل
احلى من العسل اي انه في حموضته اقوى من العسل في حلاوته ولاسم التفضيل استعمالات
اخر ذكروها في المطولات واكثر في السجع وهو الكلام المشهور الذي له فواصل مقفاة كالشعر
وهو منقول من سجع الحمام لكونه على وتيرة واحدة ولذا لا يجوز اطلاقه على القران
والشعر وهو الكلام الموزون المقفى بالقصد ارتجالا اي تكلما به من غير فكر ورؤية وهو
في الاصل الانتصاب والقيام على الارجل فاطلق على التكلم قايما لانه كان عادة لهم ثم نقل
لما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه وفي كتاب بدايع البداية انه في الاصل الانتصاب
بسهولة ومنه شعر رجل وقيل هو من ارتجال البير وهو ان ينزلها برجليه من غير حبل
كالبديهة وهو من بدهه بمعنى بدا كما قالوا مدحه ومدهه الا ان الارتجال اسرع من البديهة
وبعده التروية انتهى وفي نسخة واكثر في الشعر والسجع سجالا والمراد بالسجال هنا
المجاورة واصل معناه الدلو كما تقدم وقيل المراد به المفاخرة واوسع في الغريب
المراد به ما يستغرب من الكنايات والمجازات البديعة لتصرفهم في الكلام وقيل المراد به
ما يحتاج الى تنقير وتفتيش من كتب اللغة وهو بالنسبة الينا فان قلت هذا مما يخل بالفصاحة
وسياق الكلام لمدحهم قلت قال ابن هلال في كتاب الصناعتين انه ليس مخلا بها لمن كانت
لغته من الاعراب والفخ من العرب الغربا فاطلاق اهل المعاني غير صحيح ولم ار من نبه
عليه واللغة مقالا اللغة معناها الكلام ولكل قوم لغة وتكون اسما لعلم مدون يبين فيه معناها
والمراد هنا الاول والمقال مصدر ميمي بمعنى القول يعني ان لغة العرب اكثر من ساير اللغات
الفاظا فقلما يكون معنى الا وله اسما مترادفة حتى انه يوجد في كلامهم ما له ماية اسم فاكثر
وقد افردوه بالتاليف وهذا كناية عن كونهم اقدر على الكلام من غيرهم فاذا اعجزهم
القران فغيرهم يعلم عجزه بالطريق الاولى وعطف اللغة على الغريب من عطف العام على الخاص
بلغتهم التي بها يتجاوزون الجار والمجرور صفة كتاب او حال منه والتجاوز ادارة
الكلام والمراجعة فيه سوالا وجوابا من الجوز وهو التردد والضمير للعرب وقيل لقريش
لان القران نزل بلغتهم فان كان ما قبله كذلك فلا اشكال في كلامه ومنازعهم بفتح الميم
والنون وزاي معجمة وعين مهملة جمع منزع بالفتح مجرور بالعطف على لغتهم من النزع
وهو كما مر الجذب والاخذ والمنزع مصدر بمعنى النزع واسم مكان ويكون اسما للسهم
الذي يرمى به يقال رماه بمنزع اي سهم بعيد المرمى قال

فهو كالمنزع المريش من الشوحط ... المت به يمين المغالي

قاله في الاساس قيل وهو المراد هنا لمناسبته لقوله التي عنها يتناضلون بالضاد
المعجمة اي يترامون بالسهام يقال ناضلته وخرجوا يتناضلون وينتضلون ونضلت من
من الكنانة سهما اخترته ومن المجاز ناضل عن قومه اذا دافع وحاج والمناضلة المفاخرة

فشبه

فشبه الكلام الداير بينهم في المخاصمة والمفاخرة بالسهام واثبت له المناضلة تخييلا
وقيل المنزع هنا اسم مكان والمعنى اسم يتغالبون في كلامهم نظما ونثرا في حال
المنازعة وهي المجادلة في الاعيان والمعاني وهو بعيد وابعد منه ما قيل ان المنزع
ما يرجع اليه الرجل من رايه وطريقته اي اتاهم الكتاب بما هو ديدنهم الذي
لا يتركونه فاكبوا على مدافعته صارخا بهم في كل حين حال من الكتاب او الرسول
من الصراخ وهو الصياح والندا بصوت شديد يسمع من بعيد اي مصرخا بدعوته
في كل وقت يتلوا القران عليهم ويبكتهم ويدعوهم لمعارضته ومقرعا بضم الميم
وفتح القاف وتشديد الرا المهملة وبعين مهملة اي معبرا وموبخا لهم من
القرع وهو الضرب ومنه القرعة لهم بضعا وعشرين سنة وهو بكسر البا الموحدة
وضاد معجمة ساكنة وعين مهملة وهو من الثلاث الى السبع من كسور العدد ويقال
بضعة ايضا في لغة قليلة وفيه اقوال اخر في القاموس هذا اصحها ويستعمل مع العشرة
وما فوقها الى تسعين ولا يختص ببعض العقود منها وهذه المدة مدة دعوته
صلى الله عليه وسلم من بعثته الى وفاته وقد اختلف فيها مع انه بعث على راس الاربعين
وحياته بعده قيل عشرون وقيل ثلاث وعشرون وهو الاصح وقيل خمس
وعشرون ولذا قال بضعا من غير تعيين ولذا اختاره لان بها حسابهم ولانها
قد يعبر عن الشدة والقحط واعلم ان البضع ليس كصريح العدد في انه يذكر
مع المونث ويؤنث مع المذكر وما نقله في القاموس عن تبريزان يرده ما في الحديث
الايمان بضعة وسبعون شعبة فلا يرد على المص ان الصواب ان يقول بضعة وعشرون
كما قيل ولا حاجة للتاويل على رؤس الملاء اجمعين الروس جمع راس وهو
العضو المعروف والشريف السيد والملا الجماعة وقد يخص بالاشراف ويقال كلمه على
روس الناس وعلى روس الاشهاد اذا صرح بما يريده واشاعه لان من يريد ذلك
يقوم في المحافل مستعليا على روسهم اي انه صلى الله عليه وسلم لم يزل مظهرا
لدعوته مدة بعثته منذرا لهم قايما عليهم بين اظهرهم والجار متعلق بقوله
مقرعا او تنازعه مقرعا وصارخا ام يقولون افتراه هذا حال ايضا اي قايلا
وتاليا لهم ام يقولون الخ ولم يعطفه رعاية لنظم القران فيكون اقتباسا من
مشكاة انواره والافترا كالاختلاق الكذب والاستفهام انكاري توبيخي
قل ان كان الامر كما زعمتم فاتوا بسورة مثله في النظم والبلاغة فانه انزل
بلغتكم وانتم فصحا وادعوا من استطعتم اي كل من قدرتم على دعوته ليعينكم
على افترا كلام يضاهيه من دون الله اي غير الله فانه القادر على كل شي ان كنتم
صادقين في قولكم انه افترا وهذا توبيخ وتقريع بتعجيزهم عن اقل مراتبه وليس
مقابلا للسجعة الاولى كما قيل ثم انه اتى باية اخرى في معناها فقال وان كنتم
في ريب في شك وشبهة مما نزلنا على عبدنا اي نزل منجما بحسب الوقايع فاتوا
بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا وقوله من مثله صفة سورة اي سورة
كاينة من مثله فالضمير لما نزلنا ومن للتبعيض او للتعيين عند الاخفش اي بسورة
مماثلة للقران في البلاغة وحسن النظم او كعبدنا ومن للابتدا اي بسورة

كاينة ممن هو على حاله من كونه بشرا اميا لم يقرا الكتب ولم يتعلم العلوم او صلة قالوا والضمير
للعبد وهذه الاية ابلغ مما قبلها للدلالة على عجزهم المستقبل بقوله ولن تفعلوا
والكلام على الايات مما كفانا المفسرون مونته وقل لين اجتمعت الانس والجن على
ان ياتوا بمثل هذا القران نظما وبلاغة لا ياتون بمثله الاية وهو جواب قسم مقدر
ولذا لم يجزم ولم يذكر الملايكة لان اتيانهم بمثله لا ينافي اعجازه فتامل وقل فاتوا بعشر
سور مثله مفتريات اي محض كذب واختلاق منكم وخص الكذب بالذكر لقوله وذلك اي
طلب الاتيان بالمفترى تهكما وتقريعا ان المفترى اسم مفعول اسهل تلفيقا ووضع الباطل
اقرب تناولا واروج تنميقا ومع ذلك لم يقدروا عليه واللفظ اذا اتبع المعنى الصحيح
كان اصعب لانه يلاحظ فيه ما في الواقع ونفس الامر ثم يوتى باللفظ على طبقه
وترتيبه بحيث لا يخرج عنه والمختلق بفتح اللام اسم مفعول بمعنى الكذب المفترى كما
قال تعالى وتخلقون افكا وهو من الخلق بمعنى التقدير لانه امر يقدر في النفس من
غير نظر للواقع وقيل انه من الخلق وهو الثوب البالي لان الحق يزيد كل يوم جدة
والكذب يزداد بلى على الاختيار اقرب المراد بالاختيار ضد الالجا والاضرار فان الصادق
مضطر الى اتباع الحق وقد يضيق عليه نطاق البيان بخلاف الكاذب فانه يجد برا واسعا
كما قال تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون وقيل هنا بحث وهو ان التحدي بقوله
فاتوا بسورة الخ ان كان بالاتيان بما هو واقع على وجه الحق فهو غير ممكن قطعا
وان كان بالاتيان بمثله وعلى صورته لفظا فلا يخرج عن كونه مفترى وحينئذ يستوي
يستوي الامران والذي دار في الحلك خلدي ان ذكر مفتريات لمشاكلة قوله افتراه
تهكما وتقريعا لا لما قاله المص انتهى وليس بشيء لانا نختار الثاني وبقولهم انهم لعجزهم
لا يستويان وهو في غاية الظهور فتدبر وضمن اقرب معنى اهون وكذا عداه بعلى
لقوله وهو اهون عليه ولولا ذلك عداه بالى او اللام ولذا اي لكون المختلق اسهل
واقرب من الحق الصحيح عبارة قيل اي قال الادبا ومن لهم دربة في صناعة الصياغة
للكلام فلان اي المنشي لرسايل الملوك ونحوه ممن يقول الحكم والمواعظ من الفصحاء
يكتب كما يقال له اكتب في شان امر واقع رسالة فيفتق كمام الكلام عن زهر المعاني
في الزاهية حتى يفوح عبيرها في نادي البراهة وفلان ممن ينشي المقامات يكتب كما يريد
من كل ما يطرو على خاطره من غير نظر لصدقه وكذبه فاذا صعب عليه التعبير عن معنى
عدل عنه لغيره فهو يكتب كما يريد لا كما يراد وهذا اشارة كما حكي عن بديع الزمان انه
رتب له راتب بين كتبة الديوان فلم يقدر على كتابة الرسايل فلما اخبر الصاحب بذلك
قال دعوه فانه يكتب كما يريد لا كما يراد وحكي مثله عن الحريري ايضا وللاول الذي يكتب
كما يقال له على الثاني وهو الذي يكتب كما يريد والمراد بالكتابة هنا مطلق الكلام وان لم
يكتب فضل اي زيادة شرف ورتبة وبينهما شاو اي مسافة ومدا بعيد والشاو بفتح
الشين المعجمة وسكون الهمزة وقد تبدل الفكر بالواو بمعنى السبق والغاية والامد فتجوز به
عن المسافة ثم كني به عن التفاوت الزايد فلم يزل صلى الله عليه وسلم يقرعهم اي يعيرهم
ويعيبهم ويشنع عليهم لما تحداهم بالقران اشد التقريع لانذارهم بالهلاك والعذاب
الاليم ويوبخهم غاية التوبيخ هو بمعنى ما قبله لكن المقام مقام اطناب وخطاب يحسن

فيه مثله

فيه مثله ويسفه احلامهم اي يصفهم بالسفه وهو قلة العقل وخفته والسفه الخفة والاحلام جمع
حلم بضمتين وضم فسكون وهو العقل ويحط اعلامهم بحا مهملة مضمومة واعلام جمع علم بفتحتين
وهي الراية الكبيرة والجبل والسيد والاسم المختص والكل محتمل هنا اي ينكس راياتهم ويهد جبالهم
ويذل سادتهم ويزري بالتامهم والمعنى على حال ان يحقرهم ويقهرهم بطعنه فيهم واظهار
ضلالهم وسوء حالهم ويشتت نظامهم اي يفرق جمعهم ويبطل اراءهم بجداله وجلاده والنظام
ما ينتظم به الدر ونحوها والتشتيت التفريق كما مر فاستعير لما ذكر ويذم الهتهم اي اصنامهم
التي عبدوها في الجاهلية واباهم الذين اقتدوا بهم في الكفر وقالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا
على اثارهم مقتدون والاباء بالمد جمع اب ويستبيح ارضهم وديارهم اي يجعلها مباحة للمسلمين
باستيلائهم عليها واجلائهم عنها واموالهم ما ملكوه من الاثاث والمواشي وغيرها وهم في كل
هذا المذكور من التوبيخ والتسفيه وما بعده الى استباحة الاموال والديار ناكصون
يقال نكص على عقبيه اذا احجم وتاخر فاستعير للاعراض عن معارضته فيما فعله وما اتى به للقران
عن معارضته والاتيان بمثله والجملة حالية من الضمير قبلها محجمون عن مماثلته اي عن الاتيان
بشيء يماثل اقصر سورة منه لما تحداهم واحجم كنكص بمعنى تاخر وهو كناية عن عدم القدرة يقال حجمته
فاحجم وهو من النوادر كمثل كببته فاكب يخادعون انفسهم اي يمنون انفسهم اماني كاذبة ويأملون
امالا فارغة ويمكرون مكرا يعود عليهم بالوبال فكانهم بذلك خادعوا انفسهم فهو كقوله وما
يخادعون الا انفسهم وتحقيقه في الكشاف وشروحه بالتشغيب وهو تهييج الشر والفتن من
الشغب بفتح الغين المعجمة وسكونها والتكذيب اي بادعائهم كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيما جاء به من الحق الذي لا مرية فيه وقيل هو من قولهم كذبته نفسه اذا خيلت له اما لا تحثه على اتباع
الباطل وهو تعسف لا وجه له والذي غره قوله والاغرا بالافترا هكذا في النسخ الصحيحة بغين
معجمة وراء مهملة ومدة وفي بعضها الاغترا افتعال منه وقال التلمساني صوابه الاغرا بغير تاء
وهو المولع بالحث والتحريض قال تعالى فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء اي الزمناه اقول
اصله قال بعضهم اصله من الغر الذي يلصق به وعلى هذا فالاعتراض ساقط لما في القاموس
انه يقال اغتراه اذا لصقه والمص اجل من ان يوهم في اللغة فانه قدوة فيها ولا حاجة الى انه
لمشاكلة الافترا والافترا الكذب كما تقدم وصيغة الافتعال تفيد مبالغة ليست في المجرد كما
قرروه في قوله لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقولهم بالجر معطوف على التكذيب
ان هذا الا سحر يؤثر اي ينقل ويروى عن السحرة كاهل بابل وغيرهم وسبب نزول هذه
الاية ان الوليد لما سمع منه صلى الله عليه وسلم حم السجدة كما سمعت من محمد كلاما ليس بكلام
انس ولا جن وانه ليعلو ولا يعلى فقيل قد صبا الوليد فقال اين اخيه ابو جهل لعنه الله انا اكفيكموه
فجلس عنده حزينا فكلمه بكلام اخاه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون هل رايتموه يفرق
بين المرء واهله وولده فاهتز النادي فرحا وياتي ذلك كله مبسوطا واعلم
ان السحر كما نقله الاكفاني في ارشاده قد صنف فيه كتب كثيرة اكبرها غاية الحكيم للمجريطي
وهو حقيقي وغير حقيقي يقال له الاخذ بالعيون والى القسمين الاشارة بقوله سحروا اعين
الناس واسترهبوهم وجاوا بسحر عظيم ولما خفيت اسبابه اختلفت طرقه فطريقة الهند تصفية
النفس وتجريدها لانهم راوه افعالا تصدر عن النفس وطريق النبط عمل اشيا مناسبة
للغرض المطلوب مضافة لرقية وعزيمة ودخنة في وقت مناسب وتلك الاشيا تماثيل وتصاوير

وعقد ينفثون فيها وكتابة تدفن او تعلق في الهوى او تحرق والعزايم تصرع للكواكب المؤثرة
عندهم وطريق اليونان تسخير روحانية الافلاك والكواكب دون اجرامها في وقت خاص
وطريق القبط والعبرانيين والعرب الاعتماد على اسماء وعزايم مجهولة كانهم يخاطبون بها
حاضر الاعتقاد انها تصدر عن الجن بتسخير الملايكة لها وانواعه ثلاثة الاستخدام والاستنزال
والاستحضار وتكون يقظة بتوسط تلبس الروح ببدن متفعل ينطق بلسانه كصبي وامراة
حال غيبته عن الحس ويختص باسم الاستحضار فان كان مناما اختص باسم الجليان انتهى ملخصا
وسحر مستمر اي دايم باق لما راوه من تتابع الوحي غضا طريا او محكم متقن واصله من مر الحبل وهو
فتل مرايره وهي طاقاته او ذاهب غير قار من المرور او مستمتع مر المذاق وافك افترم اي كذب اخترعه
واختلقه والافك اسوء الكذب واساطير الاولين اي شي اخذه مما سطره الاولون وزخرفوه
وهو جمع سطر اي صنف من الكتابة على خلاف القياس وقال المبرد انه جمع اسطورة كارجوحة
واراجيح على القياس او له مفرد مقدر كاسطارة واسطيرة وقايل هذا هو النضر بن الحارث
بن كلدة وفيه نزلت الاية وقتل يوم بدر والمباهتة بالجر عطفا على التكذيب وهي بمعنى البهتان
وهي الكذب الذي يبهت ويدهش سامعه وكذا قوله والرضا بالدنية بالهمزة وتبدل فتدغم
ومعناه الخصلة الحقيرة الخسيسة المنحطة التي لا يرضى بها من له عقل ومروة وفسرها بقوله
كقولهم قلوبنا غلف لان ظاهره الوصف بالحماقة وعدم الفهم وهو امر مذموم لا يرتضيه العقل
وهو جمع اغلف اي في غلاف يقال سيف اغلف فهي بمعنى في اكنة جمع كنان بزنة كتاب غطا ومعناها
مغطاة وغلام اغلف بمعنى اقلف والغلفة القلفة وقيل انه جمع غلاف واصله غلف بضم اللام
ككتب وبه قرئ ثم خفف بالسكون اي هي اوعية للعلم مملوة به فلا تحتاج للتعلم منك وعلى الاول
معناه لا تفهم ما تقول ولا تصل الينا وهذا هو الملايم لكلام المص ولقوله وفي اكنة مما تدعونا
اليه وهو القران والايمان وفي اذاننا وقر اي صمم واصل معناه الثقل والحمل ومن بيننا
وبينك حجاب اي مانع من وصول ما تقوله لنا وفي من اشارة الى انه مبتدا وانه استوعب
المسافة المتوسطة بينهما بحيث لم يبق فراغ وهو تمثيل لنبو قلوبهم عن ادراكها ما دعاه
له ومج اسماعهم له وامتناع مواصلتهم وموافقتهم له قال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القران
اي لا تصغوا وانصتوا له والغوا فيه بفتح الغين المعجمة وضمها من لغى يلغى ويلغو والاول
اصح وهو المقروء به والمراد هنا رفع الاصوات باي كلام كان حتى يشوش على قاريه فيقطع
قراته او يمنع من استماعه ولغو الكلام ما لا يعتد به وهو من اللغا وهي اصوات الطيور يقال
لغا لغوا ولغا وقد يسمى كل كلام قبيح لغوا قال تعالى لا يسمعون فيها لغوا اي قبيحا كما قال الراغب
وانما فعلوا هذا لعجزهم عن معارضته لعلكم تغلبون قاريه بقطع قراته فغلبتهم انما هي بالجهل
والسفه كما هو شان العاجز المعاند ومثله دنية لا ترضى والادعا مجرور كالذي قبله مع العجز
بقولهم لو نشا لقلنا مثل هذا وهذه وقاحة لفرط عنادهم ومكابرة ولو استطاعوه
ما منعهم ان يشاوا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشرين سنة ثم قارعهم بالسيوف فلم
يقدروا مع استنكافهم من ان يغلبوا خصوصا من الفصاحة وقايل هذا هو النضر بن الحارث
انفا لكنه اسنده الى الجميع كاسناد فعل الرئيس الى المرؤوسين او على حد قولهم بنو فلان
قتلوا قتيلا والقاتل واحد منهم وقد قال لهم الله تعالى مكذبا لهم ولن تفعلوا فنفى
قدرتهم في المستقبل فلو قدروا لحميتهم فعلوا ولم يقل فلن تاتوا بسورة من مثله لما فيه

الكتابة

الكتابة والايجاز فما فعلوا ولا قدروا ففي الفعل ظاهر والقدرة في الانسان قوة غير
محسوسة فنفيها يعلم من انهم وبخوا وعيروا فلم ينطقوا ببيت شفه مع شدة غيرتهم
واشتغال نار حميتهم ومن تعاطى ذلك اي فعله وتكلم بما توهمه معارضة فاصل
معناه المناولة من سخفائهم ممن له طيش وقلة عقل كمسيلمة تصغير مسلمة فلامه مكسورة
وميمه مضمومة والعامة تفتح لامه وهو خطا منهم والضمير للعرب وهو كذاب يضرب
به المثل فيقال اكذب من مسيلمة وهو ابن حبيب اليمني من بني الحنفية قبيلة وهو القبة
واسمه هارون ويقال له ابو ثمامة وكان وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يسلم
حتى قتله خالد بن الوليد في خلافة ابي بكر رضي الله عنه وقيل قتله وحشي قاتل حمزة
رضي الله عنه وكان له جبل ونيرنجات يوهم انها معجزات وارسل للنبي صلى الله عليه
وسلم مكتوبا صورته من مسيلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام عليك اما بعد فاني
قد اشركت معك بان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا يعتدون علينا فاجابه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب اليه من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على
من اتبع الهدى اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين انتهى
ومن هذيانه الذي زعم انه وحي نزل عليه والزارعات زرعا والحاصدات حصدا
والطاحنات طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا ضفدع بنت ضفدعين الى كم تنقين
لا الماء تكدرين ولا الشراب تنبعين الى غير ذلك مما تمجه الاسماء وتستقبحه الطباع
فكشف عواره في نسخة بدون فاء واثباتها احسن اي احسن ما قاله من الكلام السخيف
الركيك غيبه وحماقته وهو بضم العين المهملة بزنة غراب على الافصح وآخره واو مهملة
وبفتح العين ايضا وقيل انها الافصح لجميعهم اي العرب ممن سمعه وقد نقل صاحب
الدلائل عنه كلاما كثيرا وشرحه ولا حاجة لتسويد وجه الصحف به والعوار ماخوذ من عور
العين وفيه اشارة الى ما نقل من انه مسح عين من استشفى بمسحه فابيضت عينه وسلبهم
الله اي اخذ منهم والضمير لمن وجمع نظرا لمعناه ما الفوه اي اعتادوه بطباعهم من فصيح
كلامهم بيان لما اي لما ارادوا المعارضة لم يقدروا على كلام مثل كلام قبله وليس هذا قولا
بالصرفة كما توهم لان من فعل هذا ليس له صرفه وهذه الجملة معطوفة على جملة ما
فعلوا وليست الواو للمعية ولا حالية كما قيل فلم يخف على اهل الميز بفتح الميم وسكون التحتية
والزاي المعجمة اي التمييز والعقل وزاد الفاء في الجواب لانه ماض لفظا ومعنى او بتقدير المبتدا
اي فهم لم يخف الخ ووجهه دفع توهم كون الا استثنائية فاندفع ما قيل ان الصواب اسقاطها
لصحة مباشرته للشرط يقال مازه يميزه اذا ميزه اي لو نظر تلك الجمل وما زها ظهر انه كلام
ما راق وما زهي انه ليس من نمط فصاحتهم بفتحتين ونون وميم وطاء مهملة اي من نوع
الفصاحة وعلى طريقتها التي اعتادها فانه معجز خارق عن طوق البشر وضمير انه للقرآن يقال
عندي متاع من هذا النمط وهذا ابلغ من ليس فصيحا لانه نفى عنه كونه من جنسه ولا جنس بلاغتهم
لركاكته وقباحته بل ولوا عنه مدبرين اضراب عن مثله ومدبرين اي معرضين حال مؤكدة لولوا
بمعنى رجعوا واعرضوا واتوا مذعنين بذال معجمة وعين مهملة اي منقادين مسلمين والاذعان
الانقياد واما اطلاقه على العلم في قولهم اذعان النسبة تصديق فمولد ليس من كلامهم من بني
مهند اي مصدق بحقيقته واعجازه لهداية الله له وبين مفتون متحير في امره منكر لاعجازه وفيه

وفيه لف ونشر مشوش ولهذا اي لكونه ليس من نمط كلامهم لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله يامر بالعدل والاحسان الاية لما ساله ان يقرا عليه شيا من القران لينظر في امره
وقرا هذه الاية عليه دون غيرها لمناسبتها له لانه من اقاربه وفيها عظة له وتنبيه وهو من رؤساء
عقلايهم فرجا بذلك ان يهديه الله للاسلام قال السيوطي وهذا الحديث رواه البيهقي عن عكرمة مرسلا
وفي المقتفي في الاحيا في اداب تلاوة القران حديث ان خالد بن عقبة جا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال اقرا علي فقرا عليه ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى الاية فقال اعد
فاعاد فقال ان له لحلاوة الى اخر ما ذكره المص هنا وكذا ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب بغير اسناد
ورواه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد الا انه قال ان الوليد بن المغيرة بدل
خالد بن عقبة كما قاله المص وكذا ذكره ابن اسحاق في سيرته فان صح فهما قضيتان والوليد والد خالد
بن الوليد والمغيرة بضم الميم وكسر الغين المعجمة هو ابن عبد الله المخزومي وباقي نسبه معروف مات
كافرا وترجمته معروفة قال لما سمع ما تلاه عليه النبي صلى الله عليه وسلم والله ان له
اي لما تلا حلاوة اي عذوبة فصاحة عند من له ذوق فهو استعارة لما يستلذه السمع وان عليه
لطلاوة بضم التا ويجوز فتحها لغة ومشاكلة وتكسر ايضا فهو مثلث ومعناها الحسن والقبول والرونق
وجا بمعنى السحر ايضا وهو استعارة كالذي قبله واكده بالقسم وان والاسمية وقدم الخبر للحصر اشارة
الى انه لا يشبه غيره من الكلام وان اسفله لمغدق بلام التوكيد وضم الميم وسكون الغين المعجمة وكسر
الدال المهملة كما في النسخ كلها من الغدق بفتحتين وهو كثرة الما ورواه ابن اسحاق وان اصله لمعدق
وان نوعه لجناه والغدق فيه بفتح العين المهملة وسكون الذال المعجمة هو النخلة التي اصلها ثابت
ورواه ابن هشام لغدق بفتحتين قال السهيلي ورواية ابن اسحاق افصح لانها استعارة تامة
فيها اخر الكلام لسته اوله والجناه بفتح الجيم والنون الثمرة وان اعلاه لمثمر اي له ثمر طيب كثير
والجملة الثانية بتمامها استعارة تمثيلية والمراد انه كلام اصله قوي ليس من جنس كلام البشر ومعانيه
مفيدة مرشدة كسعادة الدارين وحسن العاقبة وهو كقوله تعالى ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة
طيبة اصلها ثابت وفرعها في السما واستعارتان تمثيليتان واراد باسفله ما تضمنه من المعاني
كما يقال تحت هذا الكلام معان عزيزة واراد باعلاه ما ينتجه من الفوايد والعوايد التي تظهر من فهم معانيه
وتيقنها فشبه الكلام لفصاحته وبلاغته بشجرة شربت عروقها ماء غزيرا فاهتزت وربت واينعت
ثمراتها وكثرت وعذبت ويجوز ان تكون مكنية وتخييلية قلت اختلاف الروايات يدل على تعدد
القضية ثم بني على هذا قوله ما هذا بقول بشر لانه لا يشبه كلامهم بوجه من الوجوه وفي نسخة ما يقول
هذا بشر بصيغة المضارع اي ليس من كلام البشر لحلاوة نظمه وبديع اسلوبه وبلاغة معانيه وجزالة
مبانيه يعني انه ليس مفترى مختلقا وخص البشر لانهم المعروفون بالبلاغة والا فهو معجز للجن
ايضا مع ان في هذا الخبر التصريح بذلك حيث قال وليس بشعر فما فيكم رجل اعلم بالشعر مني ولا اعلم
برجزه ولا بقصيده مني ولا باشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيا من هذا وانه ليعلو وما
يعلى وانه ليحطم ما تحته كما رواه البيهقي في الدلايل ثم انه روى الفربري ان القاري
على الوليد عثمان بن مظعون لا النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه المص فان عثمان رضي الله عنه
قال ما اسلمت ابتدا الاحيا من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلت ان الله يامر الاية
وانا عنده فاستقر الايمان في قلبي فقراتها على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن اخي اعد الى اخر
الحديث وهذا يويد ما سبق من تعدد القضية وحكى ابو عبيد القاسم بن سلام بتشديد

الكلام

اللام الامام في الفقه والحديث واللغة البغدادي الحبر الامام الجليل اخذ عن الشافعي وغيره وكان
عبدا روميا لرجل من هراة واحواله وترجمته معروفة توفي سنة اربع او ثلاث وعشرين ومايتين
ان اعرابيا سمع رجلا يقرا فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين اي اجهر بما امرت بتبليغه ولا
تبال بما يقولوه وما موصولة او مصدرية واصل معنى الصدع التفريق والتمييز فاستعير لما ذكر
لتفريقه بين الحق والباطل وما قيل من انه لا يجوز ان تكون مصدرية لانه بمعنى اترك وهو مصدر
مبني للمفعول والصحيح عدم جوازه ولا موصولة لانه يحتاج لتقدير العائد اي تومر به ولا يجوز
الا اذا جر بما جر به الموصول واتحدا متعلقا والاول متعلق باصدع والثاني بتومر سهو من قايله
وان سبقه اليه بعض المعربين لان الخلاف في المصدر الصريح لا في والفعل كما في هذه الاية
ولانه انما حذف العايد بعد حذف الجار ونصبه فسجد الاعرابي لما ادهشه من بلاغته
وقال سجدت لفصاحته اذ ليست اية سجدة وانما هزه العجب لفصاحته حتى ذل ومرغ وجهه
في التراب وكان هذا معروفا في مثله حتى قال بعضهم للشعر سجدات وليس المعنى سجدت
لله لاجل فصاحته كما توهم وضمير فصاحته للكلام المقروء لا لقارئه كما توهم لانه لا يناسب
المقام وسمع اعرابي اخر رجلا يقرا قوله تعالى فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا اي لما
يئسوا من يوسف عليه الصلاة والسلام وزيدت السين والتا للمبالغة في الياس
وخلصوا بمعنى اعتزلوا وانفردوا ونجيا بمعنى متناجين في تدبير امره وهو يطلق
على الواحد المذكر وغيره فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام
لاعجاز بلاغتها وخروجها عن طوق البشر فانك اذا وزنت قولك لما لم يطعهم
يوسف عليه الصلاة والسلام يجبهم ذهبوا وتشاوروا فيما يقولون بعد هذا وكيف
يرجعون لابيهم بهذا النظم عرفت بالذوق انه لا مناسبة بينهما ولولا خوف السامة
فصلنا وجوه البلاغة فيها وحكي ان عمر بن الخطاب كان نايما بالمسجد اي مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة والظاهر ان مراده بقوله نايما مضطجعا لينام فانه
يستعمل كثيرا بهذا المعنى لقوله وعلى راسه قايم اي في جانب راسه رجل منتصب
القامة وليس المراد انه واطي لراسه وهو حقيقة عرفية في مثله والجملة حالية والضمير
لعمر رضي الله عنه في نسخ فاذا هو قايم على راسه فاذا فجائية والبا للملابسة ليتشهد
شهادة الحق اي يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاستخبره اي
طلب عمر رضي الله عنه منه الاخبار عن سبب تشهده وعن حاله فاعلمه ذلك الرجل
المتشهد انه من بطارقة الروم بطارقة جمع بطريق بكسر الرا معرب بترك ومعناه
الرئيس وقائد الجيش وقد تكلمت به العرب قديما قال الجواليقي في كتاب المعرب
البطريق بلغة الروم هو القايد للجيش وجمعه بطارقة وقد تكلموا به ولما سمعت
العرب بان البطارقة اهل رياسة وصفوا الرئيس به يريدون المدح قال ابو ذويب

هم رجعوا بالعرج والقوم شهد ... هوازن تحميها حماة بطارق

وهذا يقتضي ان بطريق هو المعرب وقال ابن خالويه في كتاب ليس البطرك
معرب بطريق عربية العرب قديما قال

يعلو الظواهر فرد في التلال له ... كبطرك قد مسى في غيط كتان

وهذا مما يتعجب منه فجرره والروم جيل من الناس معروفون سموا باسم جدهم

روم بن عيصو ابن اسحاق وكان اصغر فلذا قيل لهم بنو الاصغر والواحد رومي وقول الجوهري
رامي غلطته ممن يحسن كلام العرب وغيرها من العبرانية والسريانية والرومية وانما
قال هذا توطئة لانه يفهم القران والانجيل ويقدر على النظر في معانيهما ولذا قال وانه سمع
رجلا من اسارى المسلمين بضم الهمزة وفتحها جمع اسير واصله من الاسر وهو الشد بالقيد ثم عم
لكل من اسر وصار في يد عدوه يقرا اية من كتابكم ايها المسلمون يعني القران فتاملتها اي نظرت بفكري
فاذا قد جمع فيها ما انزل الله على عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام في الانجيل من احوال
الدنيا والاخرة بيان لما اي من الاحوال التي تلزم العبد في الدنيا التي هي سبب للفوز والنجاح في الاخرة
وهي اي الاية التي سمعها قوله عز وجل ومن يطع الله ورسوله في امره مما فرض وسن ونهيه عن
غيره ويخش الله ويتقه اي يخافه ويتجنب ما يستوجب عقوبته فاولئك هم الفائزون
بسعادة الدارين وقوله جمع بالبنا للمفعول ويجوز بناؤه للفاعل ويقرؤ بالافراد فاعله ضمير
رجل وقيل انه روي يقرؤن بضمير الجمع للاسارى وهو محتاج للتكلف وحكى الاصمعي
بصاد مهملة ساكنة وميم مفتوحة وعين مهملة وهو عبد الملك بن قريب بالتصغير بن اصمع
وهو لقب جده ومعناه صغير الاذن وهو امام اللغة والنحو والادب والنوادر ولد بالبصرة سنة
ثلاث وعشرين ومائة وتوفي بها سنة عشر ومائتين انه سمع جارية اي امراة شابة من العرب
تتكلم بكلام فصيح فقال لها قاتلك الله ما افصحك تعجب من فصاحة لسانها وبالغ في تعجبه فانها
يقال لمن اتى بامر بديع غريب وهي في الاصل جملة دعائية يراد بها شدة الاستحسان كانه ممن
يستحق اي يحسد ويدعى عليه فقالت او يعد بفتح الهمزة الاستفهامية والواو العاطفة والهمزة
مقدمة من تاخير او داخلة على مقدر معطوف عليه ويعد بالياء التحتية مجهول او الفوقية
معلوم هذا الكلام فصاحة اي فصيحا بعد قول الله اي مع فصاحة القران لا يقال لكلام غيره انه فصيح
لمن سمعه فانه ازرى بكل فصاحة فصيرها كالعدم كالمتاع النفيس اذا نشر بجنب ما هو اعظم
نفاسة منه فانه يعد غير نفيس كما قيل

ولا قبح فيها غير ان جمالها ... يصير كل الغانيات نياحا

واوحينا الى ام موسى اي الهمناها او اريناها منا ما ان ارضعيه الاية اي فالقيه في اليم ولا تخافي
ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجمع في اية واحدة بين امرين ارضعيه والقيه
ونهيين لا تخافي ولا تحزني وخبرين اوحينا وخفت عليه وبشارتين رادوه اليك وجاعلوه من
المرسلين والمراد بالفصاحة هنا البلاغة فانها تطلق عليها كما ذكره الشيخ عبد القاهر فهذا اي
الجمع بين ما ذكر في اية واحدة نوع من اعجازه اي القران منفرد بذاته اي مستقل بنفسه غير محتاج
لغيره غير مضاف لغيره اي غير تابع لنوع غيره من البلاغة على التحقيق لما في الواقع عند
من عرفه والصحيح من القولين بالجر معطوف على التحقيق والظاهر ان مراده بالقولين هنا كما قاله
بعضهم القول بان اعجاز القران هل هو مجموع بلاغته واسلوبه نظمه او هو متحقق بكل واحد
منهما على حدته وانفراده بدون اضافة احدهما الى الاخر فان كلا منهما خارق للعادة
خارج عن طوق البشر وهذا هو المتبادر من سياقه وقيل ان المراد بالقولين القول بان
اعجازه ببلاغته التي لا يرتقي احد الى مرتبتها والقول بان معجز بغير ذلك كالصرفة والاخبار
بالمغيبات ولا شك في ان من يقول باعجازه لبلاغته واسلوبه يقول ايضا انه بالنظر
لمعناه ايضا اذ لا يمكن قطع النظر عنه كما قال العلامة الزركشي في برهانه اذ قال اكثر المحققين

على ان

على ان الاعجاز من جهة البلاغة لكن تعذر الاحاطة بتفصيلها فان اجناس الكلم مختلفة ومراتب البيان
متفاوتة فمنها البليغ الرصين الجزل والفصيح القريب السهل والجائز المطلق الرسيل فهذه اقسامها
المحمودة فالاول اعلاها والثاني اوسطها والثالث ادناها وقد جازت بلاغة القران من كل شعبة
فانتظم له نمط جمع الفخامة والعذوبة وهما كالمتضادين لان العذوبة نتاج السهولة والمتانة
والجزالة يعالجان الوعورة فكان اجتماعهما فضيلة خص بها القران ليكون اية بينة وانما تعذرت
على البشر لان علمهم لا يحيط بجميع اللغة العربية وظروف معانيها وافهامهم لا تدرك جميع
معانيها ووجوه نظمها فيتخيروا احسنها حتى ياتوا بمثله وانما يقوم الكلام بلفظ حامل ومعنى
عليه قايم ورباط له ناظم فاذا تاملت القران وجدته استوفى ذلك كله ورقى لاعلى درجاته
وهذا لا يتيسر لغير العليم القدير فانما صار معجزا لانه جا باحسن الالفاظ وابدع النظم والتاليف
واصح المعاني مما الدعا للتوحيد وطاعة الرب المجيد والتحليل والتحريم والعظة والتقويم والارشاد
الى محاسن الاخلاق والزجر عن مساويها واضعا كل شي في موضعه بحيث لا ترى محلا اولى من
محل مودعا فيه مثلات اخبار القران الماضية منبيا بالحوادث المستقبلة ازمانها جامعا للحجج
للحجج والمحتج له المؤكدة للزوم ما دعي له ولا شك ان استيفا هذه الامور متسقا احسن
نسق لا يمكن لغيره عز وجل **وكون القران من قبل النبي صلى الله عليه وسلم** بكسر القاف والبا
الموحدة واللام اي من عنده قال تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين ويستعار للقوة
والقدرة على المقابلة اي المجازاة فيقال لا قبل لي بكذا ومنه قوله بجنود لا قبل
لهم بها والمراد كونه بلغه فقوله **وانه اتى به** عطف تفسير فليس المراد انه كلامه
صلى الله عليه وسلم **معلوم ضرورة** لتواتر وتوافر الدواعي على نقله **وكذا كونه**
صلى الله عليه وسلم **متحديا** اي طالبا منهم الاتيان بمثله **معلوم ضرورة** لسماعهم
له **وكذا عجز العرب عن الاتيان به** اي بمثله **معلوم ضرورة** لمشاهدتهم له **وكذا**
كونه في فصاحته في سببية مستعارة استعارة تبعية بتشبيه السبب بالظرف المتمكن فيه
خارقا للعادة اي مخالفا للعادة فصحا العرب في كلامهم الفصيح من قولهم خرق المعن
اذا تجاوزه وتعداه **معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة** اي انواعها
ومقاماتها المقتضية لها لعجزهم عن معارضته وقد طلب منهم ذلك مرارا لا تحصى وهم
احرص الناس على ذلك **وسيل من ليس من اهلها** اي طريق من ليس من اهل الفصاحة
الجبلية الموصلة لمعرفة اعجازه كالمولدين والعجم **علم ذلك** اي الاعجاز واسم الاشارة
قايم مقام الضمير **معجز المنكرين من اهلها** لاعجازه وانه ليس من كلام البشر اذ اتحدوا
عن معارضته والاتيان بمثله وعن متعلق بعجز **واعترف** هو في الاصل افتعال من الغرفة صار
بمعنى الاقرار بما عرفوه فقوله **المقرين** بانه كلام الله المعجز من اقام الظاهر
مقام الضمير **باعجاز بلاغته** لهم ولغيرهم عن ان يزفوا ببيت سفه الا من غلب عليه
السفه وتعلق هذا بما نحن بصدده اظهر من الشمس وانكاره مكابرة وقوله سبيل مبتدا وعلم
بزنة مسد وخبره مصدر علم يعلم والمبتدا معرفة باضافته لمن الموصولة والخبر باضافته
كاسم الاشارة ولارباب الحواشي هنا خبط يتعجب منه فمنهم من قال علم مجرور بدل من
من الموصولة وذلك مفعوله ويعجز الخ خبره اي سبيل علم من ليس اهلا ذلك اي كونه

خارقا للعادة هو يعجز الخ واعجب منه قولهم ان علم بفتح الامين وبسكون اللام بمعنى
علامة مما علمت شفته اذا انشقت فهو اعلم ويعجز متعلق بمقدر وقيل علم بفعل ماض
مبني للمجهول او للمعلوم وهو تخليط لا داعي له بعد ذكر ايات استوضح بها ما قدمه
فقال وانت اذا تاملت اي امعنت النظر و دققته كما ينظر لما له فيه امل وانت فاعل
مقدر يفسره ما بعده على حد قوله اذا السما انشقت اذ منها حولها على الجهل الكمينة
قوله تعالى ولكم في القصاص حياة وما اودع فيه من الودايع مع لطايف الايجاز وانوار
الاعجاز السافطة طعمة من سكاته ورسوخ عروقه في الفصاحة وحلاوة ثمرات بلاغته
في الذوق وما اشتمل عليه من بديع البديع كالطباق يجعل القتل الذي هو ضد الحياة قارنها
لها لان من علم انه اذا قتل اقتص منه لم يقتل فكانت سببا لحياة من هم بقتله وهو اوجز مما عدوه من افصح
كلامهم وهو قولهم القتل انفي للقتل مع ما فيه من التكرار والقتل مطلقا لا ينفيه ففي القصاص تصريح
بالمعنى المراد القتل قد يكون ظلما وفيه كلام وفوايد كثيرة في شروح الكشاف والمفتاح والمرة
تدل على الشجرة ولا اقول الشجرة تدل على البعير لما فيه من نجاسة سوء الادب وقوله ولو ترى
اذ فزعوا من حلول الاجل او من بعثهم من القبور او في يوم بدر فلا فوت ولجئ ومن مكان قريب
اي من ظهر الارض الى بطنها او من الموقف الى النار او من صحراء بدر الى قليبها ففي هذه الاية من
الايجاز والبلاغة وعذوبة الالفاظ ما يوفيه مقاله بجيزة وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن
اي ادفع سيئة من اساء عليك بالحسنة التي هي احسن من كل شئ حسن او باحسن ما يمكن دفعه
بالحاجة الى القول بان احسن بمعنى حسن وعدل عنه للمبالغة فانظر ما في هذه الاية من الايجاز
بحذف مفعول احسن وهو السيئة لانه لا يدفع الحسن ولطف المعنى وما تضمنه من المبالغة
ومكارم الاخلاق وهذا القول احسن الى من اساء في المسيء فقله وفي طي ذكر السيئة نكتة نسمية
واما دعوى المناسبة للمقام بما فيها من دفع الصايل وتكلف المناسبة بينها وبين قوله
وقوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سما اقلعي فبعيدة بمراحل وتكلف ما غير طايل وفي هذه
الاية من البلاغة المعجزة مع الايجاز انه ناد لهما كما ينادي العقلا وامرهما بما يؤمر به نمثيل
لباهر قدرته وعظمته لانقيادهما لما اراد كالمامور المطيع المبادر للامتثال احذر ان سطوة
امره والبلع استعارة للجفاف والاقلاع للامساك وفيها لطايف اخر مفصلة في شرح
المفتاح الاية وتمامها وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم
الظالمين وقوله تعالى فكلا مما ذكر قبله من المكذبين اخذنا بذنبه اي بما اقتناه به فمنهم من
ارسلنا عليه حاصبا اي ريحا صرصرا فيها حصباء وهي الحجارة الصغيرة او ملكا رماهم
بها وهم قوم لوط عليه الصلاة واللام الاية وتمامها ومنهم من اخذته الصيحة ومنهم من
خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا والاول قوم ثمود ومدين والثاني قارون والثالث
قوم نوح وفرعون وفي الاية من وجوه البلاغة الاجمال والتفصيل وحسن السبك
والنظم والاعلام باحوال من مضى للاعتبار والايجاز والانسجام الرايق واشباهها اي ما يضاهي
ما ذكر في البلاغة ووجوه الاعجاز من الاي اسم جنس جمعي كلم وكلمة او اسم جمع وهو منصوب
معطوف على مفعول تاملت ثم اضرب بيانا لانه لا ينحصر في ايات مخصوصة مشيرا الى وجوه
من الاعجاز فيها فقال بل اكثر القرآن وجواب اذا قوله حققت ما بينته لك انفا من ايجاز

القاظها

المفاظها وكثرة معانيها مع لطايف ودقايق ولطايف ديباجة عبارتها قيل ضمنه معنى الديباج
من الحرير له ويقال فلان يلبس الديباج ويركب الهملاج وقيل انه معرب فاصله ديباز يدفيه
الجيم كما يقال في قولونا وهو من الاتفاق ثم استعير فقالوا ديباج المطر الارض اذا زينها بالنبات
والرياض وفلانا يصون ديباجته اي خلقه وفي صدره يبتذلها ومنه اخذ ديباجة الكتاب والقصيدة
لاوله والحواميم ديباج القرآن اي رياضه التي يرتع فيها القاري فالمراد احسن عبارته
ففيه استعارة مكنية وتخييلية شبهت العبارة بحي واثبت لها الديباج بمعنى الرياض والنبات
ثم كني به عما مر وحسن تاليفها حيث كانت سالمة من التنافر والتشعث وحسن تلاؤم كلماتها
بالهمزة وقد تبدل ياء فيقال تلاليم وملايمة اي مناسبة وموافقة واما ابدالها واوا فهو خطا من رسم الهمزة
بالواو ولان الملاومة مفاعلة من اللوم فقراءة بعض المحدثين له بالواو لحن يعني ليس فيه تعقيد ولا ضعف
تاليف وتنافر كلمات واما تحت كل لفظة منها جمل كثيرة اي فيها معان كثيرة وفوايد عزيزة وجمل
مايد على عليه تحته بحور ذا وقوله وضروبا جمة اي انواعا كثيرة من محاسن الكلام كما يقال جمل الكلام فصلا
فصلا والجمة الكثير وغاير بينهما تفننا كقوله وعلوما زواخر بزا وخاصة مجتمعة ثم رآ مهملة اي علوما
كثيرة كالبحار الزواخر من زخر البحر اذا كثر ماؤه وارتفعت امواجه ففيه مكنية وتخييلية
ويجوز ان يكون تشبيها بليغا واستعارة مصرحة وزواخر ممنوع الصرف وما في بعض النسخ
من التنوين للتناسب لا وجه له ملية الدواوين اي امتلات الكتب التفسير وغيره من المتون من
بعض ما استفيد بالبناء للمجهول اي اخذه كل باحث عنه بحسب فهمه واذا املاها بعضه فكله
لا يملن حصره والمجموعة كتاب كما قال تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد
البحر قبل ان تنفد كلمات ربي وقد واوين جمع ديوان وهو الكتاب وقد تقدم الكلام
عليه وكثرة المقللات اي كلام الايمة والمصنفين في المستنبطات منها اي في المعاني والاحكام
المستخرجة بطريق الاشارة والدلالات الملتزمة الالتزامية وهو من قولهم استنبط الماء
من البير اذا استخرجه فما استفيد هو ما دل عليه صريحا وما استنبط غيره ثم هو اي القرآن
وعطفه بثم للتراخي في رتبته عما قبله في سرد القصص الطوال اي ذكرها في اثنايه استعارة
من سرد الدرع لنسجه واخبار القرون السوالف معطوف على القصص جمع قصة والمراد
بالقرون السوالف الامم المتقدمة على عصر النبوة من سبق بمعنى تقدم والقرن مدة
من الزمان مختلف فيها والمراد اهله التي يصنف في عادة الفصحاء عندها الكلام صفة
للقصص والاخبار اي انها لطولها اثر اريد ذكرها بتمامها يصعب على الفصيح
حكايتها ويضعف نطقها عن ادايها واجمالها الذي لا يخلها الا تقييده فايدة تقيد بها وليس
المراد انه واقع في الخارج يعجز الفصيح عن مطابقة حكايته له ويذهب ما البيان اي رونقه
وحسنه لانه لطوله قد لا تناسب كلماته ويختل نظامه ويحكم ارتباطه والبيان ايضاح المعنى
وهو معطوف على يضعف الصلة فقيه عايد مقدر كالذي قبله اية لمتامله اي علامة بينة
لمن تامل نظمه وسرده القصص والاخبار وايتحير المبتدا الذي هو ثم هو واسند اموخر
والجار والمجرور خبر مقدم والجملة خبر هو والرابط الالف واللام القايمة مقام
الضمير اي هو في سرد قصصه اية لمن تامله حق التامل وقوله من ربط الكلام صفة اية
ومن بيانية او متعلق بمقدر اي يظهر كونه اية دالة على اعجازه من ارتباط الكلام
وحسنه بعضه ببعض بالجر بدل من الكلام اي من كون اجزايه الى غاية التناسب بحيث كان كل

كلمة مرتبطة باختها **والتيام سرده** بالهمزة والياء اي متناسبة كلماته المسرودة اي المتتابعة
لحلق الدرع الداخل بعضها في بعض مع فصاحتها وحسن تاليفها **وتناصف وجوهه** المراد بالوجوه
انواع بلاغته من الاستعارة والكناية وتناصف تفاعل من النصفة والانصاف يقال اعضاؤه متناصفة
حسنا اي لا ينقص حسن بعضها على بعض وهو من بليغ الكلام الذي لا يعرفه الا من ذاق حلاوة
العربية كما اشار اليه المبرد رحمه الله تعالى في الكامل قال الشاعر

• لما عرضت لي تناصف وجهها عرض المحب الى الحبيب الاول •

واصل معنى الانصاف المواساة ونحوها كانه تعطيه نصفا وتاخذ نصفا ومن ظن عدم تغاير هذه
المعاني فقد وهم **لقصة يوسف عليه الصلاة والسلام على طولها** قصها الله تعالى على
اعجب ترتيب وابدع تهذيب بحيث لم ينضب ماء بيانها ولم يخل عقد نظامها مرتبطة الهوادي
بالمعجز على اصح وجوه اوضح نهج **ثم اذا ترددت** اي كررت **قصته** المذكورة في القرآن من قولهم
فلان يتردد على فلان اذا كان يكثر الاتيان اليه لقول بعضهم

• اذا اتيتك لم اكثر بزورة حبها • فمتى تريني لا تريد تردد •

اي ما اكرر من قصص القرآن ليس تكرارا لخلاء ذلك **اختلفت العبارات عنها** فذكرت
من كل مكان لمعنى ضربت له مثلا غير المكان الآخر وحليت بعبارات مختلفة النظم والالفاظ
وان كانا المعنى واحدا **على كثرة تردها** وتكرارها على الاسماع والجرور حال من ضمير عنها
وهذا من عظيم قدرته قابلها **وحكي عن ابن عباد** رحمه الله انه مات
له ولد فاشتد حزنه على فقده فلما صلوا على جنازته في محفل عظيم وقام الناس لتعزيته
فلم يعد عيادة للمعزين له مع كثرتهم وكونه في حالة حزن والم حتى تعجب الحاضرون
من بلاغته **حتى تكاد كل واحدة** من القصص المكررة **تنسي في البيان صاحبتها** يعني ان
سامعها كانه انما سمعها الآن ولم يسبق لها ذكر قبل ذلك لان العبارة غير الاولى والسياق
ومناسبة المقام تفيد فوائد اخر وتجدد لمن سمعها حظا عظيما المغايرة لما تقدمها
وتناصف في الحسن وجه مقابلتها لفا ونشرا باعتبار المقامات المحكية فيها كقصة آدم
وحواء وموسى عليه الصلاة والسلام مع بني اسرائيل **ولا تقوم للنفوس من تردادها**
وتكريرها وهذا اشارة الى الجواب عما قاله بعض الطاعنين في القرآن بان فيه مكررات
كثيرة وهو مما ينفر الطبع السليم **ولا معاداة لمعادها** اي لا يعادي الطبع المكررة المعاد
في القرآن ما قصصه كما قال الشاعر

• طبع النفوس معاداة المعادات • وهو تلميح لما ذكر وتجنيس لطيف **فصل الوجه الثاني**
من وجوه اعجاز القرآن **من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب** اشار بالاسلوب
والصورة الى رشاقة عبارته وفخامة معانيه وهذا باعتبار نظمه وطريقته الوارد فيها
فانه مع الرغبة لا يشبه الشعر ولا الخطب ولا غيرها مما كانت عادتهم ومحاورتهم قرع
الاسماع بروائع عوايده وبهذا اندفع ما قيل ان حسب المعنى راجع للاول لان حسن
تاليفه والتيام كلمه راجع لصورة نظمه فان قيل انه قوله **المخالف لاساليب كلام العرب**
منتزه عنه قلت لا لان قوله الخارق للعادة بمعناه انتهى والاساليب جمع اسلوب وهو الفن
والنوع وفي كلامه اشارة الى ان الاعجاز ليس سراره على الالفاظ ولذا عبر بالنظم دون
اللفظ قال عبد القاهر يوحي المعاني على حسب الاغراض التي صيغ لها الكلام لانو الميها

في النطق

في النطق وضم بعضها لبعض كيف ما اتفق ومناهج نظمها ونثرها مجرور معطوف على اساليب اي مخالف
لمناهجها جمع منهج وهو الطريق اي لا يشبه كلامهم المنظوم وهو الشعر ولا المنثور من الخطب
وغيرها الذي جاء عليه صفة نظم اي النظم الذي جاء عليه من عند الله وارد اعلى اسلوبه
العجيب الذي لا يشبه كلام البشر ووقفت مقاطع آية جمع اية مضاف لضمير القران وفي نسخة
اياته والمقاطع جمع مقطع وهو آخر الكلام الذي يقف عليه القاري وقفا تاما وكافيا واسناد
الوقف اليها مجازي والواقف انما هو القاري وهو بمعنى انتهت ووصلت ولذا عداه
بالى وهو معطوف على الصلة وانتهت فواصل كلماته اليه وفي بعض النسخ ووقفت
مطالع آيه عليه والفواصل جمع فاصلة وهي الكلمة الاخيرة من الفقرة ونحوها والضمير
للموصول بتقدير مضاف الى اخره قالوا لا يقال في القران انه سجع وانما يقال فواصل
لقوله فصلت اياته ولم يوجد اي لم يسمع كلام بليغ قبله ولا بعده نظير له يماثله في بلاغته
وعلو مرتبته وغرابة اسلوبه ولا استطاع وقدر احد مماثلة شيء منه بان ياتي بكلام ما
يشبهه في الجزالة والبلاغة بل حارت فيه عقولهم فوقعوا في الحيرة فالعناد يمنعهم
من الاعتراف وظهور اعجازه يكذبهم في قولهم انه مفترى او سحر ونحوه مما لا يقبله
الطبع وتدلهت به دونه احلامهم بفتح الدال المهملة واللام المشددة اي دهشت وتحيرت
في شانه فهو مما قبله وفي نسخة تولهت بواو بدل الدال من الوله وهو الحيرة ايضا
والاحسن ان يفسر التدله بذهاب العقل من الهوى فيكون ترقي من حيرته الى نهايته
ودونه بمعنى ما لم يبلغ منزلته كما في قوله تعالى لا تتخذوا بطانة من دونكم والاحلام
جمع حلم وهو بمعنى العقل وله معان اخر يعني ان عقولهم لم تصل اليه اذ تحيرت فيما
هو اقل منه فكيف به ولم يهتد الى مثله اي لم يسمعوا به من فصحائهم ولم يقدروا على الاتيان
بشيء مماثله او يقرب منه في جنس كلامهم الذي يقدرون عليه وبقي به عقولهم
قواهم البشرية من نثر كالخطب والرسايل او نظم من القصائد والقصص او سجع وهو
الكلام المقفى غير المنظوم وهو يطلق على مجموع هذا وعلى الكلمات الاخيرة من
النثر ويطلق على الاتيان به ونفس التوافق الواقع فيه او رجز وهو نوع من الشعر
معروف وافرده بالذكر مع دخوله في النظم لانه خلافه في عدم التزامهم رويا واحدا
فعد نوعا مستقلا من الكلام افرد باسم يخصه ولم يعده بعضهم من الشعر حتى سمي
قائله راجزا لا شاعرا او شعر لو لم يذكره كان احسن لانه مكرر مع النظم ولما سمع كلامه
صلى الله عليه وسلم الوليد ابن المغيرة تقدم ضبطه وانه ابو خالد وكان من صناديد قريش
وعقلائهم وفصحائهم الا ان الله لم يهده الى الاسلام كما مر واسم ولده خالد رضي الله عنه
سيف الله وقرا عليه القران اي اسمع الوليد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض القران
رجا اسلامه رق قلبه ومال طبعه الى الاعتراف به والاسلام واصل الرقة ضد الغلظة
فتجوز به عن الملائمة والميل كما قال ابن سعيد المغربي

قد طال شوقي الى ثغور ... ملاى من الشوق والرحيق
عنها اخذت الذي تراه ... يعذب من شعري الرقيق

فجا ابو جهل لعنه الله لما بلغه ميله الى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصده عنه وكان
ابن اخيه واسمه عمرو بن هشام منكرا عليه بميله له واستحسانه لما قراه عليه

صلى الله عليه وسلم وهو حال من فاعل جاء فقال اي الوليد ردا لانكار ابي جهل عليه
والله ما منكم يا معشر قريش احد اعلم بالاشعار مني انكارا لقولهم انه شاعر والله ما
يشبه الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من القران شيا من هذا الشعر الذي ينشد
واشار اليه بالقرب لشهرته وحضوره في الذهن كالشاهد المحسوس وفي خبره الاخر اي في
خبر اخر عن الوليد رواه البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما حين جمع الوليد قريشا
يعني اشرافهم ورؤساهم عند حضور الموسم مفعل الوسم وهو العلامة والمراد موسم الحجاج
وهو زمان اجتماعهم لانها معالم كانوا يجتمعون فيها بمكة وحضوره مجيء زمانه او مجيء
اهله ولما كان يجتمع به جميع قبايل العرب من كل فج خشي ان يسمعوا باثر النبي صلى الله
عليه وسلم فيتبعوه فجمعهم وحدهم ليتشاوروا ويروا رايا فيما يصد الناس
عنه صلى الله عليه وسلم كما اشار الى بيان ذلك بقوله وقال وفود العرب جمع وفد وهم
كما مر الجماعة الذين يقدمون من بلادهم الى مكة من غير اهلها واصل معنى الوفد الاشراف
ترد اي يقدمون من غير البلاد واصل الورود الذهاب للما فاجمعوا فيه اي في النبي
صلى الله عليه وسلم وامره اي دبروا وتداركوا رايا اي امرا يعتقدون له فايدة
ونتيجة واجمعوا بقطع الهمزة من الاجماع يقال اجمعت كذا وكذا وجمعت عليه واكثر
ما يقال فيما يكون جمعا يتوصل اليه بالكفر نحو فاجمعوا امركم وشركاوكم ويقال اجمع
المسلمون على كذا اذا اجتمعت اراؤهم عليه ويجوز ان تكون همزته همزة وصل ايضا
لانه يقال جمع له رايا ايضا وبه فسر قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم اي جمعوا
اراهم وتدبيرهم كما قال الراغب ولا عبرة بانكار الحريري في الدرة لصحته كما بيناه في
شرحها لا يكذب بعضكم بعضا اي اتفقوا على امر قبل قدومهم حتى لا يحصل افتراق
كلمة واختلاف في شانهم فقالوا نقول هو كاهن وهو الذي يخبر عن المغيبات ويدعي
معرفة الاسرار وكانوا في العرب كثيرا كشق وسطيح وكان لهم كلام مسجع مصنع فمنهم
من له جني يخبره ويلقي اليه الاخبار ومنهم من يدعي معرفة ذلك باسباب وامور ياخذها
من كلام السايل وفعله وحاله ويقال له عراف واكثرها امور ظنية تخطي وتصيب احيانا
فقال الوليد لهم والله ما هو بكاهن اي حاله لا تشبه حال الكهان وكلامه لا يشبه
كلامهم المسجع الذي كانوا يلفقونه ويتنمقونه وفيه اكاذيب باطلة فليس هذا رايا
مقبولا يروج عند العقلا ما هو بزمزمته ولا سجعه الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم والبا
للملابسة اي ليس معروفا بزمزمته او لكلامه المفهوم من السياق اي وما كلامه مشبها بزمزمته
والزمزمة صوت خفي لا تكاد تفهم وكان للكهان زمزمة ترقي يحضرون بها الجن وزمزمة
المجوس قراتهم وكلام الكهان كان مسجعا ولذا كره النبي صلى الله عليه وسلم
قول القايل في الجنين كيف ترى من لا اكل ولا شرب ولا استهل ومثل ذلك بطل وقال هذا
من اخوان الكهان وهذا لا يدل على كراهة السجع مطلقا فينافي كلامه صلى الله عليه
وسلم به احيانا فلما لم يرض الوليد هذا الراي فيه صلى الله عليه وسلم قالوا نقول
هو مجنون اي رجل اختلط عقله فاختل كلامه وفعله وذلك باصابة الجن له
وهو المعروف عند الاطبا واصله من جنه واجنه اذا ستره لاستتار عقله ومنه الجان
والجنين قال الوليد رد الرايهم هذا ما هو مجنون ولا مخنقة ولا وسوسة

اي لا يشبه

اي لا يشبه حاله حال المجانين والخنق بفتح الخا المعجمة وسكون النون مصدر وهو الاخناق
والجنون يقال له خنق بكسر النون وفتحها والوسوسة بفتح الواو مصدر وهو شي يلقي
في القلب او في السمت بصوت خفي وقد يحدث به المرء نفسه ولذا سمي حديث النفس قالوا
فنقول شاعر قال اي الوليد ما هو بشاعر اي ليس كلامه بشعر ولا وزنا ولا معنى اذ
الشعر مدح وهجو وتشبيب وليس فيما سمعوه منه صلى الله عليه وسلم شي من ذلك قد
عرفت الشعر كله بانواعه واوزانه ومعانيه ثم فصل بعضا منه بقوله رجزه هو نوع من
الشعر معروف كما مر يسمى بالرجز ويقال للقصيدة منه ارجوزة وجمعها اراجيز وسمي
رجزا لاضطرابه في وزنه واختلاف اوزانه واختلاف قوافيه وهجزه بفتحتين ومعجمتين
وهو اسم لبحر من بحور الشعر معروف وبه فسر هنا ولكن الذي قالوا ان اسما البحور
منقولات اصطلاحية نقلها الخليل بن احمد فهي منقولة من الهجز الهزج لنوع
مضطرب من الاغاني ولو قيل انه اسم لضرب من الشعر كانت العرب تستغني به كان اقرب
وانسب بقوله وقريضه لانه ليس اسم بحر من بحور العروض لانه في اللغة بمعنى الشعر مطلقا
من قرضه بمعنى قطعه فعيل بمعنى مفعول لان الشاعر يقتطع نوعا مخصوصا من الكلام لغرض
له فالظاهر ان المراد به ما يقابل القصايد وهي المقطوعات وقرض الشعر ملكة يقتدر
بها على نظمه وفي العرب معرفة محاسن الشعر وقبيحه ومبسوطه اي مطولات قصايده
مطلقا المقابلة لما قبله فيتناول جميع انواعه من الطويل والبسيط وغيره فمن فسره ببحر البسط
وقال زيادة الميم فيه لمشاكلة قوله ومقبوضه فقد تكلف ما لا دليل عليه وكان المراد بمقبوضه
مختصر اوزانه المسمى في العرض بالمجزو والمنهوك وليس المراد مصطلح العروضيين وهو
المحذوف ثاني السبب الخفيف الذي هو خامس كمفاعيل الذي حذفت ياوه فصار مفاعلن لان
هذا اصطلاح احدثه المولدون لا تعرفه العرب قديما وقوله رجزه وما عطف عليه
منصوب بدلا من الشعر لا من كلمة لانه توكيد لا يصح البدل منه لا لانه لا يقع مفعولا كما توهم
قالوا فنقول هو ساحر قال اي الوليد ما هو بساحر انكره لما يعلم من ان الساحر هو الذي
يستعين على ما ياتي من خارق العادة بامر علوي او بعزايم يسخر بها الجن او بطلسمات
يستمزج بها السفلي بالعلوي والناس جميعهم يعلمون انه صلى الله عليه وسلم ليس كذلك
ولذا قال ولا نفثة ولا عقدة بفتح العين المهملة وسكون القاف او بضم ففتح جمع عقدة والنفث
النفخ مع ريق والعقد عقد حبال او شعر مضفور ونحوه كما يعرفه السحرة فقد تربى صلى
الله عليه وسلم بين اظهرهم ولم ير احد منه ذلك فلذا خطاهم الوليد في وصفهم له صلى
الله عليه وسلم وبين لهم ان تدبيرهم الباطل لا يروج على عاقل كما قيل

يا سطوة الله حلي عقد ما ربطوا ... وشتتي شمل اقوام بنا اختلطوا
الله اكبر سيف الله قاطعهم ... وكلما قد علوا في ذمهم هبطوا

قال فما نقول بالنون او بالمثناة الفوقية اي نحن او انت يا وليد وما رايك قال ما انتم
بقايلين من هذا اي من مثل هذا الاراء شيا في حقه الا واعرف انه باطل ليس بمقبول
عندي ولا عند العقلا الذي يعرفونه وتقديم الضمير لتقوية الحكم لانه يقدم لتقوية
الكلام او للحصر لنفسه اعتقاد بعض جهلهم فيه والجملة حالية مستثناة يجوز
اقترانها بالواو وعدمه وان اقرب القول في حقه وان كان الكل مفترى انه ساحر

بفتح الهمزة وكسرها كما في كل ما وقع في بعد افعل تفضيل مضاف للقول على ان المصدر
خبر ان والجملة المحكية ولا تحتاج لرابط لانها على المبتدا هنا وهذا رجل عاقل ختم الله
على قلبه وسمعه ونسجت عناكب الضلالة على بصره ثم بين وجه اقربيته بحسب النظرة
الحمقى بقوله فانه سحر اي كالسحر ووجه المشابهة انه يفرق بين المرء وابنه بالبا الموحدة
والنون او اليا المثناة التحتية ومعناهما ظاهر والمرء واخيه وفي نسخة بين المرء
وابنه واخيه والمرء وزوجه اي امراته وفيه لغتان هذه وزوجته بتا التانيث والمرء
وعشيرته اي اقاربه الادنون المعاشرين له وقد كان ذلك فان من ذاق حلاوة
الاسلام ترك ما عداه لاجله صلى الله عليه وسلم كما كان مشاهدا في الصحابة رضي الله
عنهم ومنهم من ترك ملكه كنيرز بن النجاشي كما في سيرة ابن هشام والتوفيق بين
هذا وبين ما حكاه الزمخشري عن الوليد هذا من انه قال لهم ما هو الا سحر اما رايتموه يفرق
بين المرء الخ وما حكاه عنه من قوله ان هذا الا سحر يوثر كما تقدم انه اراد ما هنا
من انه كالساحر فيما ذكر لكنه ساقه في معرض الجزم وليروج عندهم او انه
قال مرة ثم راجع عقله فرجع عنه وهو الاوفق بما في الاية ومناسبة ما ذكر
لما هو بصدده في غاية الظهور فالقول بان الانسب ان يذكر ما حكي عنه من
انه قال لبني مخزوم والله قد سمعت محمدا يقول كلاما ما هو مقول ان له لحلاوة
وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى كما
تقدم فتفرقوا من المجلس الذي جمعهم للمشاورة فيه وجلسوا على السمل
بضمتين جمع سبيل وهو الطريق ليجروا الوافدين بما قالوه حتى لا يتبعوه صلى
الله عليه وسلم ويحذرون الناس منه حتى لا يصدقوه فيقولون لكل من راوه محمد
شانه كذا وكذا فاحذروه لا يفتنكم عن دينكم والجملة الاولى معطوفة او حالية بتقدير
قد وكذا الثانية من ضمير تفرقوا وهما حالان متداخلتان فقالوا ذلك لكل من قدم
للحج ففشا امره صلى الله عليه وسلم في قبايل العرب وخشي ابو طالب من ذلك ومن
تعييب النبي صلى الله عليه وسلم لالهتهم وسبها ان يقع منهم ما يحرضهم على ضرره
فقال قصيدته اللامية الطويلة المشهورة يمدحه صلى الله عليه وسلم ويذكر
حسن حاله وما هو عليه صلى الله عليه وسلم فيها فمنها قوله

لعمري لقد كلفت وجدا باحمد ... واخوته ذاب المحب الواصل

الى اخرها ولولا خوف الاطالة اوردتها لما فيها من مدحه صلى الله عليه وسلم
وبيان حقيقته وتقيده بحميته فانزل الله في الوليد وقصته المذكورة التي هي سبب
النزول وهذا من اقامة الظاهر مقام الضمير للتسجيل عليه بدم الله له ذرني ومن
خلقت وحيدا الايات اي دعني معه فانا اكفيه من كيد اعدائه وان كان وحيدا
منفردا عن اهله وعترته ليزكيهم له او لا نظير له وتمام النظم وجعلت له مالا ممدودا
وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لاياتنا
عنيدا سارهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر
ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يوثر والكلام على هذه
الايات مفصل في التفسير والمقام لا يسعه وقال عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد

مناف

مناف والد هند ام معاوية رضي الله عنهما وهذا قتله عبيدة بن الحارث في غزوة بدر كافرا
حين سمع القرآن يا قوم لقد علمتم اني لم اترك لحيا الا وقد علمته وقرأته وقلت
هذا عبارة عن انه عنده علم بالكتب المنزلة لقرائته بعضها وانه قرأ القصص السالفة
وقال الشعر وله سعة علم بالبلاغة وليس ظاهره بمراد اذ لا يمكن لمثلها ادعاه
والله لقد كمعت قوله يعني به القرآن العظيم الذي سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتلوه والله ما سمعت مثله قط هو للاستغراق في الماضي ما هو بالشعر المباذ ايدة اي
ليس بشعر ولا يشبهه كما مر ولا بالسحر ولا بالكهانة اي ليس يشبه كلام السحرة والكهنة
المسجع المتكلف ولم يكن في قابله شيء من اعمال السحرة المعهودة والكهانة مصدر كهن
يكهن بكسر الكاف وفتحها الكتابة والقسامة كما قاله التبريزي في شرح المقامات وقال
النضر بفتح النون المشددة وسكون الضاد المعجمة علم منقول من النضارة بمعنى الحسن
ابن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار الذي قتله النبي صلى الله عليه
وسلم بالصفراء صبرا وقصته مذكورة في السير نحوه اي مثل ما قاله عتبة والوليد في اعترافهم
بالقرآن وانه لا يشبه كلام البشر وفي حديث اسلام ابي ذر الغفاري الصحابي رضي الله عنه
وهو جندب بن جنادة كما مر وغفار قبيلة من العرب مشهورة وغفار قبيلة من كنانة
وهو غفار بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف ابن كنانة بن خزيمة وحديثه
رواه مسلم وغيره ووصفه البيهقي في دلايل النبوة واسنده الى عبد الله بن الصامت
وهو حديث طويل وكان اسلامه بمكة رابع اربعة فلذا كان يقول كنت ربع الاسلام
وقوله ووصف اخاه انيسا بالتصغير ووصف مأمن والجملة حالية بتقدير قد فقال
تفسير لوصفه المذكور والله ما سمعت بشعر من احد انيس لقد ناقض بقاف وضاد
معجمة من المناقضة مفاعلة من النقض وهو هدم البناء وحل طاقات الحبل ثم صارت
بمعنى كون الكلام له معنى لا يمكن اجتماعه مع نقيضه كزيد قايم وزيد ليس بقايم
وهذا اصطلاح المنطقيين وعند العرب نقايض الكمر في الجاهلية انه اذا
قال احدهم شعرا ذكر فيه افتخارا بابايه وشكر فهم على قوم فغيره او ذكر فيه
هجا غيره او ذكر فيه هجا غيره ومطالبه ونقيض حسبه والله فيما رضه غيره بشعر
يشعر يذكر فيه ضد ما قاله فيسمي ذلك مناقضة ويقال للقصايد نقايض جرير
والفرزدق لقصايد من الطرفين جمعت وسكحت وفي الاساس يقال في كلامه
تناقض وهذا مناقضة ونقيضة وتناقض القولان والشاعران اذا ناقض احدهما الاخر
يقول قصيدة فينقضها صاحبه عليه وهذه القصيدة نقيضة قصيدة فلان وهما
نقايض ومنه نقايض جرير والفرزدق انتهى وفسره في الشرح
الجديد بما في النهاية من ان المتناقضة مفاعلة من نقض البناء وهو هدمه اي ينقض
عهده وينقصون قوله واراد به المراجعة والمراودة انتهى وهو تفسير لا يفي
بالمقصود لما عرفته نحو اتى عسكر شاعرا في الجاهلية اي عارضهم في قصايدهم
فاتى بمثلها وهذا يدل على فصاحته ومعرفته بالشعر وقدرته على اشاعته وزمان
الجاهلية كان فيه الشعراء الفحول كثيرا وذكر هذا تمهيد لما سيأتي من انكاره عليهم
في قولهم ان النبي صلى الله عليه وسلم شاعر اما احد هم ذكر ما عرفا بقوة

شاعريته وانه اي اخاه انيسا انطلق الي مكة اي ذهب اليها بعد ما كان في غنم لهما ترعي
فقال لاخيه ان لي صاحبا بمكة فاكفني امر الغنم حتي اتيك فانطلق حتي اتي مكة فابطا
علي ابي ذر ثم اتاه فقال ما حبسك قال رايت رجلا يزعم انه علي دينك الي اخر القصة التي
ذكرها البيهقي واشار الي بعض منها المص بقوله وجا يخبر النبي صلي الله عليه وسلم الي اخيه
ابي ذر وكان اسلم بمكة قبل اخيه واسلم اخوه بعده فهما صحابيان قلت له بعد ما اخبرني فما
يقول الناس فيه صلي الله عليه وسلم قال يقولون شاعر كاهن ساحر اي بعضهم يقول
هذا وبعضهم يقول هذا ثم اشار الي بطلان ما قالوه بقوله لقد سمعت قول الكهنة جمع كاهن
مثل كاتب وكتبة وما هو اي النبي صلي الله عليه وسلم او كلامه ملتبس بقولهم ولقد وضعته
بالضاد المعجمة المفتوحة والعين المهملة الساكنة اي وضعت قوله صلي الله عليه وسلم
علي اقرا الشعر يعني انه قابله وقاسه بالشعر ونزله عليه لينظر هل فيه ما يشبهه وهو
مجاز من قولهم وضع النعل علي النعل اي طابقه به لينظر هل هو مساو له والاقرا بفتح
الهمزة والمد جمع قلة اريد به الكثرة هنا قال في القاموس من اقرا الشعر انواعه وانحاوه
اي امثاله فهو جمع قرء بالضم وقيل انه جمع قرء بالفتح وهو طرفه وانواعه
وتجوزه وقال الزمخشري انه قوافيه الذي يختم بها كاقرا الظهر الذي ينقطع
عندها الدم واحدها قرء فتحا وكسرا وضما فهو مقاطع اياته وحدودها فلم يلتئم
بالهمز من الملايمة اي لم اره مناسبا ولا موافقا لفظا ولا معني وايما الثريا من الثري
ولذا قال الفقهاء رحمهم الله لا تكتب فيه البسملة واجازها بعضهم مع الكراهة قال وهذا
في مدح النبي صلي الله عليه وسلم ونحوه من التوحيد ومنظومات العلوم واما الهجا فينبغي
ان لا يختلف في عدم كتابتها فيه كما قاله التلمساني وما يلتئم اي يتيسر ويتفق علي لسان
احد بعدي انه شعر بفتح همزة انه لا يتم لاحد غيري اي يقول انه شعر لانه ليس احد
اعلم بالشعر واقدر عليه مني فلو امكن لاحد ان ينزله علي الشعر ويعارضه به
كنت فعلت فحيث لم يتيسر لي لم يتيسر لغيري والمراد ابطال كونه سحرا وكهانة فلذا
عقبه بقوله وانه اي النبي صلي الله عليه وسلم لصادق في قوله انه كلام معجز من عند
الله وانهم اي الكفرة لكاذبون في جميع ما قالوه ونسبوه له من الاباطيل وتتمة الخبر انه
قال لانيس هل انت كافي حتي انطلق فانظر قال نعم وكن علي حذر من اهل مكة فانطلقت
حتي اتيت مكة فقلت لرجل اين هذا الذي تدعونه الصابي فاشار اليه فمال علي اهل
الوادي يرجوني حتي خزيت مغشيا علي ثم اتيت زمزم فشربت منها وغسلت الدم
ودخلت تحت استار الكعبة ولبثت نحو ثلاثين ليلة وما لي طعام الا ماء زمزم فسمنت
وما وجدت جوعا فبينما انا في ليلة وامراتا تطوفان وتدعوان اساف ونائلة فلما رايا في
ولولا وانطلقا فاستقبلهما ابو بكر ورسول الله صلي الله عليه وسلم هابطين
من الجبل فقالا ما لكما قالتا صابي بين الكعبة واستارها فجا رسول الله صلي
الله عليه وسلم وابو بكر فاستلما الحجر وطافا ثم صليا فاتيته وحييته بتحية الاسلام
غفار فرفع راسه ثم قال متي كنت هاهنا قلت منذ ثلاثين ليلة ويوم قال ما كان طعامك
قلت ما كان لي طعام الا ماء زمزم فسمنت حتي تكسرت عكن بطني فقال انها مباركة
انها طعام طعم وشفا سقم فقال ابو بكر يرسول الله ائذن لي في طعامك الليلة فانطلقت

معهما

مهما حتى فتح ابو بكر بابه وجعل يغيض لي من زبيب الطايف فكان ذلك اول طعام اكلت
بمكة ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني وجهت الاردن ذات نخل ما احسبها
الا يثرب فهل انت تبلغ عني قومك لعل الله ينفعهم بك ويوجرك فانطلقت حتى بيت
اخي انيسا فقال لي ما صنعت قلت اسلمت فقال ما بي رغبة عن دينك فاني اسلمت وصدقت
ثم اتيت امي فقالت مثله ثم احتملت واتيت قومي فاسلم نصفهم قبل ان يقدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة وكان يؤمنا ضماد وهو سيد قومنا فلما قدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة اسلم بقية قومي وحاث اسلم فقالوا يا رسول الله سلم علي الذي
اسلم عليه اخوانك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله لها واسلم سالمها
الله وهذا خبر اسلامه باختصار والاخبار في هذا الذي ذكرنا من اعتراف البلغاء بعجازه
وانقياد من هداه الله منهم للايمان به مع كثرة مع اختلاف انواعها وتباينها والعجز
جميع الخلق بتعجيزهم عن الاتيان بمثله بكل واحد من النوعين اللذين ذكرهما والنوع
الاول منهما الايجاز والبلاغة بذاتها اشارة الى قوله في اول هذا الفصل او لما حسن
تاليفه والتيام كلمه وفصاحته ووجوه اعجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب
وحاصله ان اعجازه من نفس جوهر كلمه بكونه في اعلى طبقات البلاغة والفصاحة بحيث
يسلم عن ضعف التاليف وتنافر الحروف والكلمات واعجازه ورعايته معانيه ووجوه
يقتضيها المقام وتضمن نكات يعجز عنها طاقة البشر منها والنوع الثاني ما اشار
اليه بقوله او الاسلوب الغريب بذاته يعني كونه على نمط لا يشبه نمط كلامهم المنظوم
ولا المنثور وانه ليس بشعر ولا سجع ولا خطب وان وقع فيه من غير تكلف سجع احيانا
او نظم حتى ذهب الخطيب في تكملة العمدة ان النظم الواقع فيه مقصود كالابيات
واشطارها التي تقع في اثنا الاستشهاد ولا يسمى بها الكلام شعرا لانه لم يقصد
بالذات وهو قول غريب وقوله بالذات بمعنى فقط وتغاير النوعين ظاهر وان لم يغير
بينهما بمعنى السراح وقال ان في النوعين تداخلا اذ لم يتصوره كونه اسلوبا غريبا
دون البلاغة الى اخره مما لا طايل تحته اذ كل واحد منها بضمير الواحدة للمؤنثة
الراجع للبلاغة وفي نسخة منهما بتثنية والضمير للنوعين وقيل الاولى اولى
ولكل مبتدا خبره نوع اعجاز على الحقيقة غير محتاج الى الاخر ثم بين اعجازه بقوله لم يقدر
العرب على الاتيان بواحد منها وفي نسخة منهما كما تقدم خارج عما قدرتها
لانه مبان اي منافي لفصاحتها وكلامها لما فيه من وجوه البلاغة التي لا يحيط بها
قدرهم ولم تالف طباعهم مع استحكام اشجارها وعذوبة الفاظه والى هذا القول
الوالد على ان كل واحد منهما نوع مستقل من الاعجاز كاف في اثباته ذهب
غير واحد اي جماعة كثيرة من ائمة المحققين العارفين بالبلاغة ووجوه الاعجاز
يعني ان منهم من قال بلاغته باسلوبه الغريب ونظمه العجيب الذي لا يشبه كلام
البشر ولا يطيقه القوي والقدر مع انه بلغتهم وكلماته كلماتهم التي يعرفونها كما
قيل في معنى الحروف في اوايل السور كالم والمر يعني انه كلام مركب من هذه
الحروف التي تركب منها كلامكم فلم ياتوا بمثله وذهب بعض المقتدى بهم
بو ذلك مصطفى الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب لا بكل واحد

منهما وحده واتى على ذلك القول الذي اختاره وضمن اتى معنى استدل فعداه بعلى
بقول مجه بضم الميم وجوز بعضهم فتحها اي ترميه ولا يعتد به الاسماع بفتح الهمزة
جمع سمع بمعنى الاستماع وبمعنى جارحة السمع يقال مج الماء من فيه اذا طرحه ففيه
استعارة مكنية وتخييلية لتشبيه الاذن بالفم والكلام بالماء في الرقة والعذوبة وتبريد
الحرارة كما قال بعض اهل العصر

يكاد من عذوبة الالفاظ ... نشربه مسامع الحفاظ

وقال الغزي

وتغير المعتاد يحسن بعضه ... للمورد خذ بالانوف يقبل

وتنفر عنه القلوب من النفار وهو الذهاب بسرعة فكان القلوب تهرب منه
لعدم قبولها له وهو عبارة عن كونه قول ضعيف مردود ولذا قال في الاول انه قول
ايمة المحققين واشار بالمقتدي بهم الى ان هذا القول له وجه ايضا ليس كالقول
بالصرفة والصحيح ما قدمناه من ان كل واحد منهما وجه في الاعجاز كاف فيه والعلم
بهذا كله اي العلم بايجازه وبلاغته واساليبه العجيبة على القولين ضرورة وقطعا
بنصبهما اي من سمعه قطع بما عنده من العلم الضروري في انه في اعلى طبقات الكلام
وهو مما يدرك بالذوق ولا يدرك بالوصف كالملاحة والطريق له متبع كلام البلغا
وخدمة علم البلاغة الذي يورثه علما ضروريا ولذا قال ومن تفنن في علوم البلاغة
اي عرف فنونها ومارسها حتى حصل له ملكة يعرف بها خواص التراكيب ووجوه
ايرادها في طرقها المختلفة في الوضوح وانواع محاسنها البديعة وهو من علمي
المعاني والبيان وتوابعهما وارهف اي سن وحدد ودقق من قولهم ارهف
السيف فهو مرهف اذا سنه ودق حده خاطره ولسانه اي فكره ونطقه بحيث
يسهل عليه تصوره والتعبير عنه واصل الخاطر المعنى الذي يخطر على قلب الذي
هو محل العقل والفهم ويراد به نفس الفهم والعقل فارهافه ممارسته حتى يتمكن
من علمه واللسان الجارحة ويراد به نفس الكلام فشبه ذلك بالسيف المسنون في سرعة
نفوذه ودقته وارهف فعل ماض فاعله ادب هذه الصناعة اي صناعة البلاغة
وعلم المعاني والبيان وادب بوزن طلب يكون بمعنى الظرف والحسن والعلم يقال ادبه
فاحسن تاديبه اي علمه واصله من المادبة وهي الطعام الذي يدعى له كما قيل الادب
مادبة ما لاحد فيها مأربة ويصح ارادة كل واحد هنا واقربها الاخير فاما اطلاق الادب
على علمي النظم والنثر فمولد وان قرب من معناه الاصلي واصل الصناعة معرفة ما يزاول
بالجوارح كالخياطة ثم شاع في معنى العلم لم يخف عليه ما قلنا اي جميع ما تقدم وان
كلا منهما نوع مستقل وقد اختلف اهل السنة في وجه عجزهم عنه اي في سببه ومنشائه
الذي يوجب عجز الفصحاء عن معارضته فاكثرهم يقول اي قال وغير به حكاية الحال الماضية
حتى كانها حاضرة انه وجه اعجازه ماش مما جمع في قوة جزالته الجزالة الغلظة والصلابة
والقوة يقال حطب جزل ثم يطلق على الكثرة فيقال عطاؤه جزيل فاستعير هنا
لاحكام نظمه وعدم ركاكته واضاف اليه القوة اشارة الى انه في اعلى مراتب الاحكام
حتى لا يتطرق اليه خلل اصلا ولا يختلف نظمه ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه

اختلافا

اختلافا كثيرا ولا حاجة لتفسير القوة ويقال للقوة قوة ويصح اضافتها اليها ونصاعة الفاظه
بفتح النون والصاد والعين المهملتين اي وضوحها وخلوصها ومنه ابيض ناصع وقيل
الجزالة القطع ومنه القضا الجزل اي القاطع للشك ونصاعة بياضه وهو تكلف لا داعي اليه
وكونه اشارة الى المحسنات البديعة لا وجه له وحسن نظمه وايجازه لسلاسته وانسجامه
وبديع تاليفه وتراكيب كلماته المؤتلفة المتواخية واسلوبه طريق بلاغته اي لا يسلكها كلام
غيره وقوله مما جمع مقدم من تاخير متعلق بقوله لا يصح ان يكون في مقدور البشر
مقدور اسم مفعول او مصدر على وزن مفعول بمعنى القدرة اي لا يمكنهم القدرة على
مثله لما جمعه مما لا تطيقه قدرتهم وانه من الخوارق اي من جنسها ونوعها يقال هذا
من باب هذا وبابته اي من جنسه الممتنعة عن اقدار الخلق عنها اي التي لا يقدرون
عليها كانها امتنعت منهم وابت مطاوعتهم وهو من بليغ الكلام كاحيا الموتى بفتح الميم
جمع ميت وهذا مما وقع لعيسى عليه الصلاة والسلام وابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم
وقلب الفصاحة كما وقع لموسى عليه الصلاة والسلام وسيفا حديدا كما وقع لنبينا واطلقه
المص ليشملهما فيكون فيه ذكر لمعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم وهو المناسب لقوله وتسبيح
الحصا في كفه صلى الله عليه وسلم كما ثبت في معجزاته ثم ذكر مذهبا اخر فقال وذهب الشيخ
ابو الحسن الاشعري امام اهل السنة وقد تقدم بعض من ترجمته الى انه اي القران المعجز
مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر اي انه فرد من افراد الكلام البليغ داخل فيه
مندرج في جنسه ومثله قولهم الحيوان جنس تحته الانسان والفرس وهو تجوز معروف
ويقدرهم الله عليه عطف تفسير لما قبله على مذهبه من خلق الافعال ولكنه لم يمكن
هذا فيما مضى ولا يكون في الحال والمستقبل فمنعهم الله عن هذا اي عن معارضته
والاتيان بمثله وهذا هو القول بالصرفة وفيه اختلاف ايضا فقيل معناه ان فيهم قدرة على
التكلم بمثله وعندهم بوجوه البلاغة واساليبها حالة التحدي لكن الله صرف
دواعيهم عن ذلك مع توفر اسبابها من التقريع والتبكيت وتكرير الطلب وهو قول
النظام والاستاذ من اهل السنة وقيل بل سلبهم الله عند التحدي القدرة والعلم بعلوم
البلاغة فاذا اراد ذلك لم يقدروا عليه وتسمية التحدي صرفة بحسب ظاهر حالهم
وما علم من اقتدارهم وهذا مذهب المرتضى علم الهدى من الشيعة ونقل عن الاشعري
الى انه لم يشتهر عنه وكلام المص محتمل للوجهين فان قلنا هذا اشارة الى الاتيان بمثله
فهو المذهب الاول وان قلنا للاقدار فهو الثاني وحمله بعضهم على الثاني وقال يحتمل
ان يكون المراد بابي الحسن رجل اخر غير الاشعري ولا حاجة لمثله من التكلف وعلى
الطريقين بل الطرق من اعجازه وبلاغته واسلوبه والصرفة فعجز العرب عنه ثابت
محقق مع كمال بلاغتهم وفرط تهالكهم ونفخ عنادهم لاطفا نوره وما ناده
الا اشتعالا واضاءة واقامة الحجة عليهم بتكليفهم باقل قليل منه بما يصح اي يمكن
وينبغي فانه ورد بهذا المعنى في اللغة ان يكون في مقدورهم على مذهب الاشعري
وتحديهم مصدر مضاف لمفعوله اي طلب النبي صلى الله عليه وسلم من العرب
الفصحا ان ياتوا بمثله اي مثل القران في البلاغة وعجز العرب مبتدا خبره ثابت واقامة
مبتدا خبره قاطع بعجزهم عما لا ريب فيه وهو اي ما ذكر او التحدي بما هو مقدورهم

ابلغ في التعجيز بغيره مما لا يقدرون كاحيا الموتى واخرى افعل تفضيل بجاوزا مهملتين بمعنى
احق واولى بالتقريع وهو التوبيخ والتعيير من القرع بالحصا وهو الضرب والاحتجاج
بمجيء بشر مثلهم من جنسهم واهل لغتهم بشيء ليس من قدرتهم البشر لازم على
القول الاول من ايجازه بمادته وصورته وهو اي المذكور من عدم قدرتهم ابهر اية
اي اظهرها واعلها لساير الايات الباهرة لارتفاع شانه وعلوه في مرتبة من لا يدنوا منها
كلام بليغ كما مر تفصيله واقمع دلالة بالنصب على التمييز والجر على الاضافة والدلالة بكسر
الدال مصدر او بمعنى الدليل واقمع من قمعه اذا قهره وردعه واذله بعجزهم عن
معارضته فقد عجزوا فما اتوا في ذلك بمقال اي لم يسمع منهم كلام عارضوه به ولو صدر
منهم ذلك شاع وذاع بل صبروا على الجلا بفتح الجيم والمد وهو ترك الوطن والمال
والقتل لفرط عنادهم وعدم انقيادهم وتجرعوا اي شربوا جرعة بعد جرعة كاسات
جمع كاس وهي ما يشرب به الخمر ونفس الخمر الصغار والذل بفتح الصاد المهملة وهو
المذلة فالعطف تفسيري وفيه استعارة تصريحية او مكنية اي صبروا على التحقير والاهانة
وتجرعوا عصيصها وكانوا من شموخ الانف بفتح الهمزة والمد وضم النون جمع انف كذا
ضبطوه ويجوز فتح الهمزة وسكون النون بالافراد والشموخ بضم الشين المعجمة مصدر
شمخ اذا رتع وهو كناية عن غاية الشكر والجملة حالية بتقدير قد واباة الضيم بكسر الهمزة
بالمثلثة اي لا يرضون ذلك اي الذل والضيم اختيارا اي باختيارهم وعدم جبرهم
وقهرهم ولا يرضونه الا اضطرارا اي قرا والجا وهو عطف تفسير لما قبله ونصبهما
على التمييز او المفعول المطلق والا مركب من ان الشرطية ولا النافية اي وان لم يكن الامر
فالمعارضة للقران بالاتيان بما يماثله لو كانت من قدرهم بضم القاف وفتح الدال
المهملة جمع قدرة اي لو كانت المعارضة مقدرة لهم والشغل بها اهون عليهم جملة حالية
اي اشتغالهم بمعارضته اسهل عليهم من الصبر على ما ذكر واسرع بالنجح بضم النون
وسكون الجيم وحا مهملة وهو الظفر والفوز بمطلوبهم وهو ابطال الحجة عليهم وقطع
العذر اي قطع ما اعتذروا به من عدم المعارضة من الاعذار الفاسدة وافحام الخصم اي
اسكاته عما قرعهم به لديهم اي عندهم وهو متعلق بجميع ما قبله من اسرع واهون وقطع
وافحام وهم من هم قدرة تمييز والجملة حالية وليس قدرة حال بمعنى مقتدرين كما قيل
لتكلفه وهم مبتدا اول ومن استفهامية وهم الثاني خبره او بالعكس على المذهبين
والجملة خبرهم وهم اي شيء هم اي امر عظيم لا يقدر قدره ولا يعلم كنهه وهو من ابلغ
المدح كقولهم زيد وما زيد كقوله تعالى الحاقة ما الحاقة وهو مشهور في كلام العرب
والعجم وقد يقال هم هم بدون من اي شيء هم القوم المعروفون بالبلاغة وشهامة
النفس واباة الضيم الذي لا يعادلهم فيه احد فناهيك بما اوقعهم في حضيض الذل
ومزقهم الصبا والدبور ايدي سبا على الكلام متعلق بقدرة وقدوة اي مقتدى
بهم وهو منصوب رواية ودراية معطوف على قدرة في المعرفة به اي بمعرفة
الكلام وصياغته لسلامة فطرتهم وصفا قريحتهم لجميع الانام متعلق بقدوة واتى به
للقافية اي هم في كل ذلك ايمة مقتدى بهم لا تبعا لغيرهم فكيف عجزوا ورضوا
بما رضوا ثم انه لما ذكر شمائلهم وتكبرهم ربما توهم متوهم ان تركهم للمعارضة لعدم

تنزلهم

تنزلهم وعدم مبالاتهم فكذ فدفعه بقوله وما منهم احد الا من جهد ماض بزنة ضرب
فالاستثنا مفرغ من عام مقدر جهده بفتح الجيم وضمها الطاقة والمشقة وقيل الجهد
بالفتح المشقة وبالضم الوسع وقيل الجهد بالضم ما يجهد الانسان فيه اي يجتهد فيه ويتعب
نفسه كقوله تعالى لا يجدون الا جهدهم فالمعنى انهم بذلوا ما عندهم في الطلب فلم يقدروا
على شي منه واستنفد ما عنده بالدال المهملة اي استفرغ ما في طاقته وقوته في اخفاء
ظهوره اي القران او النبي صلى الله عليه وسلم واطفا نوره ويابى الله الا ان
يتم نوره ولو كره المشركون واطفا نوره اي اظهروا من جلا العروس على المنصة بزينتها
لذكر البنات بعده فما جلوا اي ما اجتهدوا فيه وحاولوه خبيئة بفتح الخا المعجمة وكسر البا
الموحدة وسكون المثناة التحتية والهمزة والها فعيلة بمعنى مفعولة اي مخباة في ضمايرهم
ومستورة خلف استار سرايرهم من بنات شفاههم اي كلمة يتلفظون بها شبهت بالبنت
والشفة بالام لظهورها منها وهي استعارة مشهورة مكنية او مصرحة ولا اتوا بنطفة
بضم النون وسكون الطا المهملة والفا وهي الما الصافي من نطف بمعنى صب والناطف
السايل والمراد القطرة القليلة وفي بعض النسخ نقطة بالقاف مقدمة على الطا وتسمى
اللؤلؤة نطفة ايضا كما قاله الراغب والنطفة تطلق على قليل الما وعلى كثيره لما جا
في الحديث فجا رجل بنطفة في اداوة وهو المراد هنا من معين مياههم المعين الما
الجاري ظاهرا والميم زايدة من العين وقيل انها اصلية من معن بمعنى سار في الارض
ومياه جمع ماء واصله موه اي لم يقدروا على شي مما طلب منهم وهو استعارة مصرحة
مرشحة او مكنية اي مع ما لهم من موارد فصاحتهم وجاري كلامهم لم يجدوا قطرة من عذب
قطراته مع طول الامد اي امتناع زمن التحدي وكثرة العدد من فصحايهم وتظاهر
اي تعاون ومساعدة الوالد وما ولد اي الكبير والصغير فهذا دفع للشبه وازالة الاعذار
اذ لو ضاق الزمان وقل الاخوان كان لهم معذرة ما بل انبسوا بالبنا للفاعل وفتح
الهمزة يقال ابلس اذا ايس قيل ومنه ايليس لياسه من رحمة الله وكان اسمه
عزازيل ويكون بمعنى الانكسار والحزن والمراد الاول فما نبسوا بنون وبا موحدة
مفتوحة مخففة وورد بتشديدها كما في قوله ان كنت غير صايد فنبس ومعناه نطقوا
قيل هو مختص بالنفي واورد البيت المذكور وقد يقال المخصوص بالنفي المخفف
فتدبر ومنعوا بالبنا للمجهول فانقطعوا عن المعارضة لعجزهم وقد يقال هذا
اشارة الى القولين فانبسوا فما نبسوا يشير لعجز طاقتهم عن بلاغته ومنعوا اي
منعهم الله ايما للصرفة وفي الارشاد لامام الحرمين فان قيل ان العرب لم تترك
المعارضة للعجز بل لعدم الاكتراث به قيل هذا ركيك من القول لا يخطر ببال عاقل
وقد كانوا اذا قال شاعر شعرا في حقهم هاموا لمعارضته فكيف وقد وبخوا اشد
توبيخ وحقرت اصنامهم وسفهت احلامهم وقوتلوا حتى نكست اعلامهم وقد
مر ما نبهناك عليه من اشارة المص لهذا وجوابه والاضراب لتوكيد نفي المعارضة
كما يقال ما تكلم زيد بل سكت عجزا فهذا نوعان من اعجازه الاشارة الى اعجازه
بنفس كلامه وخواص تراكيبه وبصورة نظمه واسلوبه ولم يلتفت للصرفة لضعف
القول بها عنده كما تقدم فانهم افسدوه بان قوله قل لين اجتمعت الانس والجن

فما جلوا

في ذلك صح

الخ دليل ظاهر على عجزهم مع بقاء قدرهم ولو سلبوا القدرة لم يبق فائدة لاجتماعهم
لانهم حينئذ بمنزلة اجتماع الموتى وليس عجز الموتى مما يحتفل بذكره هذا مع ان
الجماع منعقد على امتناع الاعجاز اي للقرآن والقول بالصرفة يلزمه اضافته الى الله
تعالى لا الى القرآن وحينئذ يلزمه زوال الاعجاز بزوال الزمان التحدي وفيه خرق الاجماع
الامة اذ معجزة الرسول العظمى باقية ولا معجزة له باقية اظهر من القرآن ويلزم الصرفة
ايضا لانه لا فضيلة للقرآن على غيره **فان قلت** القول بعجزهم مع بقاء
قدرتهم فيه الجمع بين النقيضين وهو محال **قلت** معنى قدرتهم انهم لو
توجهت الى المحاكاة لطيها القضية عليها فجزت وعلى القول بالصرفة لم يتوجهوا للمعارضة
اصلا لعظمهم في نفوسهم بعجزها وانها لا قدرة لها عليه البتة **فان قلت**
توجه الهمم اليها مع العجز عنها في نحو نفس الامر لا يسمى قدرة **قلت**
ممنوع بل يسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات ولا شك ان اهل البلاغة
لا يقطعون سبب القدرة عن المحاكاة ابتدا بل بعد الاختبار فتامله لتسلم سقوط ما قيل
كيف يخاطبون بالتحدي مع القطع بعجزهم عنه وتظير ذلك خطاب الله من علم منه
عدم الايمان كابي جهل وابي لهب نظر القدرتهما عليه عقلية باعتبار الظاهر
واعراضا عن النظر للغايات **فصل الوجه الثالث من وجوه الاعجاز** اي اعجاز
القرآن الكريم بوجه لا خلاف غير الوجهين السالفين او غير الوجوه الثلاثة **ما انطوى**
عليه اي اشتمل عليه ووقع في ضمنه **من الاخبار** بكسر الهمزة مصدر **بالغيبات**
بفتح الياء المثناة التحتية المشددة جمع مغيب او مغيبة اسم مفعول وهو شامل لما
سبق مما لم يدركه هو ولا اهل عصره وما يستمع بعد ذلك مما لا يعلمه الا الله والمراد
هنا الثاني لان الاول يمكن الوقوف عليه فلذا عطف فهو عليه قوله **وما لم يكن ولم يقع**
فمن فسره بما كان ووقع من الغفول الماضية بدا على ان الاصل في المطلق التغاير فقد
خالف كلامه الاتي من جميع ما مثل به وان كان صحيحا في نفسه لا ندراجه فيما **فوجد**
بعد ذلك مطابقا لخبره ومصداقا له وعبر عنه بالماضي وان كان مستقبلا بالنسبة لما
قبله **على الوجه الذي اخبر به** في هذه الاية **كقوله تعالى** في سورة الفتح **لتدخلن**
المسجد الحرام اللام داخلة على جواب قسم مقدر للتاكيد والتحقيق **ان شاء الله**
عليه بالمشية مع تحققه تعليما للعباد او تلويحا بعدم وقوع بعضهم لموته او غيبته
وحكايته لما قاله ملك الرؤيا او النبي صلى الله عليه وسلم **امنين** حال من فاعل
لتدخلن والشرط اعتراضي لانه صلى الله عليه وسلم راى وهو بالمدينة قبل عام
الحديبية انه دخلها مع اصحابه واخبرهم بذلك فظنوا انه في ذلك العام فلما صدهم
المشركون عن الدخول شق عليهم ذلك فاخبرهم الله بانه سيقع بعد ذلك وكان
كما اخبر **وقوله تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون** فاخبر الله تعالى ان الروم تغلب
فارس بعد مدة اقل من عشر سنين وكان كما اخبر الله في كتابه وذلك ان الروم كانوا
اهل كتاب وفارس لا كتاب لهم كالمشركين فكان المشركون كلما حاربت فارس والروم
يرجون غلبة فارس ويفرحون بذلك خفاء ولا بغلبتهم للمسلمين فبعث كسرى جيشا
الى الروم فالتقيا باذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم ففرح المشركون وشق ذلك

على المسلمين فانزل الله هذه الاية واخبر ابو بكر رضي الله عنه للمشركين بذلك وقال
ستظهر الروم على فارس فلا تفرحوا وقد اخبر الله نبينا صلى الله عليه وسلم بذلك ~
فقال له امية بن خلف كذبت فقال بل انت لذبت ياعدو الله فقال اجعل بيني وبينك اجلا
على عشر قلايص ياخذها الصادق منا فراهنه على ذلك لثلاث سنين واخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له مد الاجل وزد في الرهان فان الله قال في بضع سنين
وهي من الثلاث الى التسع فجعل القلايص مائة الى تسع سنين ففعل فوقع ذلك بعد سبع سنين
فاخذ القلايص ابو بكر رضي الله عنه فقال له صلى الله عليه وسلم تصدق بها وكان هذا قبل تحريم
القمار وانما امره بالتصدق بها لانه علم خبثها لانها استحرم او شاء الله على تصديق
مقالته وتكذيب مقالتهم **وقوله تعالى ليظهره على الدين كله** هذا وعد من الله بان دين
رسوله صلى الله عليه وسلم سيظهر ويغلب سائر الاديان وتقهر امته جميع الامم
فان العزة لله ولرسوله وكما قال من غير شبهة وكم شاهدنا من تاييد الله جنده
ونصرهم مع ما للكثرة من الكثرة في المال والجند **وقوله وعد الله الذين امنوا منكم**
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الاية اي ليجعلنهم خلفا في ارضه ماكنين لهم متمكنين ~
على اعدائهم وهذه الاية وان كانت عامة المراد بها خلفاء المسلمين لاهل الردة في خلافة
ابي بكر الصديق رضي الله عنه **وقوله اذا جاء نصر الله الى اخرها** اي الى اخر السورة
وهذه الاية وان كانت شاملة لكل فتح لكنها نزلت مبشرة بفتح مكة نعيه لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولما نزلت وتلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم بكى العباس
رضي الله عنه فقال له ما يبكيك ياعم فقال نعيت اليك نفسك فقال انه لما تقول وعبر بالجي
ايما الى ان المقدرات متوجهة من الازل الى اوقاتها المعينة لها المترقبة القدوم وفيه ~
من البلاغة ما لا يخفى ثم اشار الى تفسير ما ذكر بقوله **فكان جميع هذا كما قال الله**
عز وجل مطابقا لما اخبر به والاشارة الى ما تقدم من المغيبات المخبر بها وكان بمعنى
تحقق ووقع بعد الاخبار به ثم فصله على اللف والنشر بقوله **فغلبت فارس الروم**
وهم جيل من الناس معلومون **فارس** وهم من الفرس اي قوم العجم ويطلق على بلادهم
ايضا وهو لفظ معرب فان اريد الثاني قدر اهل وقد تقدم بيانه وهو ممنوع من الصرف
للعلمية والتانيث **في بضع سنين** اي سبع سنين كما مر اي في راس سبع سنين واخرها والراس
يطلق على ذلك مع الزمان ويكون بمعنى الاول ايضا **ودخل الناس في الاسلام افواجا**
اي جماعات كثيرة بعد جماعات كثيرة وافواجا بعد افواج مما اعز الله الدين ونكر اعلامه
في الخافقين وهذا اشارة لما في سورة النصر السالفة **فلما مات صلى الله عليه وسلم**
وفي بلاد العرب كلها من لم يدخله الاسلام واستخلف الله المومنين في الارض اي
جعلهم خلفا لرسوله صلى الله عليه وسلم بعده واخر هذه الاية عن ذكر سورة النصر لان ~
الاستخلاف وقع بعد ذلك الدخول واذ تقدمت فيما ذكر قبله وهذا مبني على عموم
الذين امنوا في قوله وعد الله الذين امنوا الاية لجميع الامة وعدم اختصاصها بابي بكر الصديق
رضي الله عنه كما تقدم **ومكن لهم** اي في الارض **دينهم** وهو دين الاسلام اي جعله ~
متمكنا قارا لا يزول الى يوم القيمة بقال مكنته وملنت له فتمكن وهو في الاصل من المكان
وملكهم اياها اي الارض لان اشرف المعمور منها في ايديهم وباقيها في انقيادهم

فهم بالقوة كالمالكين لها او انه باعتبار ما سيكون بعد نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة
والسلام الى الارض على دينه معدودا من امته صلى الله عليه وسلم ولذا قال من اقصى
المشارق الى اقصى المغارب اي ابعد مكان من جانب المشرق الى ابعده من جانب المغرب
وقدم المشارق اقتدا بالكتاب والسنة او لشرفه لانه محل الرسل وفيه الاراضي المقدسة
وقد وقع للادبا مفاخرة بينهما فقال محيي الدين بن سحنون

من اين للغرب فضل ... الا لمن يتغالى
والشمس تفقد فيه ... والبدر يلفى هلالا
دلايل النقص فيه ... فكيف يحوي الكمالا

وقال

فلا تبخس الشرق خفاوخذ ... من الوصف فيه على ما اتفق
مهب الصبا ومفيد الصبا ... ووجه الزمان وثغر الفلق

وعارضه الرداعي رحمه الله فقال

المغرب خير وعند ساكنه ... امانة اوجبت تقدمه
والشرق من نيرته عندهم ... يودع ديناره ودرهمه

ثم انصف من قال

حوى كل من الافقين فضلا ... يقربه الغني مع النبيه
فهذا مطلع الانوار منه ... وهذا منبع الايوا فيه

وهذه لمحة ادبية ونفحة مسكية احمضنا بها كما قال عليه الصلاة والسلام في حديث
صحيح رواه مسلم عن ثوبان رضي الله عنه زويت لي الارض بزاي معجمة وواو ويا مبني
للمجهول من المزيد اي اراني الله مشارقها ومغاربها اي جميع اماكنها وبلدانها وسيبلغ
ملك بضم الميم امتي ما زوي لي منها وجمع بمرآى عيني وما زوي منها هو المشارق
والمغارب السالفة وتوهم بعضهم انه غيره وان اول الحديث مخالف لاخره ثم جمع بينهما
بان المراد بما زوي المعمور منها وما من شانه ان يملك فكانه قال جميعها وفيه ما لا
يخفى وقدم المص خبر الله على الحديث رعاية للادب بتقديم الاصل الاشرف وقوله
انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فاخبر بانه تعالى تولى حفظ القران من التبديل
والتغيير في ساير الزمان بدلالة الاسمية المؤكدة فكان كذلك في المستقبل كما اخبر فلا مبدل
لكلماته بخلاف ساير الكتب فانه تعالى وكل حفظها للامم المنزلة عليهم فقال بما استحفظوا
من كتاب الله اي طلب حفظه منهم فوقع التبديل والتحريف حتى صارت لا يوثق بما نقل
منها والمراد بالذكر القران لا يكاد يعد بالبنا للمجهول اي لا يعد لكثرته من سعى اي
اجتهد في تغييره وتبديل محكمه ويكاد بمعنى يقرب ونفي القرب من العدد
ابلغ من نفي العدد وقال تبديل محكمه دون تبديله ارشادا للمانع من تبديله وقوله من
الملحدة بيان لمن اي من الطايفة الملحدة من الالحاد وهو الميل كما مر سموا بذلك لعدولهم
عن ظواهر الشريعة وتاويلها بامور سخيفة ويسمون باطنية وهم الاسما عليه وزعم
بعضهم ان مصحف عثمان رضي الله عنه نقص منه بعض القران كما ذكره القرطبي في اول
تفسيره والمعطلة الذين نفوا الصانع وتستروا بذي الاسلام خوفا من القتل
وسعوا في نقض الدين وتزيين ما يروج على بعض العقول القاصرة لا سيما القرامطة

هم طايفة

هم طايفة من الملحدين ايضا قال السمعاني في الانساب القرمطي بكسر القاف وسكون الراء
وكسر الميم والطا المهملة نسبة لطايفة خبيثة وهم من اهل هجر ولحسا واصلهم رجل من
سواد الكوفة يقال له قرمط وقيل حمدان بن قرمط وسبب ظهورهم ان جماعة من اولاد
بهرام جور ذكروا اباهم وجدودهم وما كانوا فيه من العز والملك وزوال ذلك بدولة
الاسلام في ايام ابي مسلم الخراساني ونقله الخلافة المروانية وهو من الموالي وهم من اولاد
الملوك فاتفقوا على رفع الاسلام وقالوا ينبغي ان نفرقهم ونفسد الرعايا عليهم
فقسموا الدنيا اربعة اقسام لكل ربع رجل منهم واحد ذهب الى الكوفة فاول من اجابه
حماد بن قرمط فلعانه على الدعوة وقيل انما سموا قرامطة لان النبي صلى الله
عليه وسلم راى عامر يمشي وهو من اهل المدينة فقال انه ليقرمط في مشيه انتهى اي
يقارب خطاه ومنه الخط القرمط وعلى هذا فهو عربي وقيل انه معرب وان جدهم
كان يسمى كرمد فغيروه وعربوه وكان رجلا احمر العينين من سواد الكوفة فالكاف
عجمية في الاصل من الكرمية وهي الحرارة وكان ظهوره في سنة ثمان وسبعين ومايتين
فلم يزل يظهر الصلاح حتى اجتمع عليه الخلق فزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم بشر به
وانه الامام المنتظر فابتدع مقالات وزعم انه انتقل اليه كلمة المسيح وجعل الصلاة
ركعتين بعد الصبح وركعتين بعد المغرب والصوم يومين بالنيروز والمهرجان فكانت
له وقايع وحروب ودعاة وخلفا مذكورة في التواريخ حتى ظهر منهم سليمان بن
الحسن الجنابي فعاث في البلاد وافسد وقصد مكة فدخلها يوم التروية سنة سبع
عشرة وثلاثماية في خلافة المقتدر فقتل الحجاج ورماهم بزمزم وقلع باب الكعبة واخذ
كسوتها واخذ الحجر الاسود فبقي عندهم سنين ثم ردوه مكسورا فنصب في محله وقد كان
بذل لهم فيه خمسون الف دينار فابوا ولم يزالوا كذلك حتى اخذوا الشام وغيرها حتى
قاتلهم جوهر القايد فهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا وكانت مدة خروجهم ستا وثمانين
سنة وكانوا يحرفون القران ويتاولونه بتاويلات فاسدة لم تقبلها العقول وما بعد
سيما تجوز فيه وجوه الاعراب الثلاثة كما تقدم بيانه **فاجمعوا كيدهم** بقطع الهمزة
والمراد بالكيد الحيلة والمكر في تحريف القران **وحولهم وقوتهم** اي اعملوا حيلتهم
وبذلوا قوتهم وقدرتهم في ان يحرفوا القران **اليوم** منصوب على الظرفية قيل بتقدير
اعد اليوم او بنزع الخافض اي الى هذا اليوم والمراد مطلق الزمان والوقت الحاضر
في زمن المص رحمه الله **نفيا** بكسر اليا المشددة بعد نون مفتوحة ومعناه الزيادة اي
مدة تزيد **على خمسماية عام** وهي مدة سعي هولا فيما ذكر **فما قدروا** في هذه المدة
الطويلة **على اطفا شي من نور** تمثيل لحالهم في سعيهم في تحريف القران بمن اراد اطفاء
نور عظيم منتشر في الافاق **ولا على تغيير كلمة من كلامه** تفسير لما قبله بجعل كلام
الله نورا **ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه** فضلا عن كلمة من كلامه فهو ترق **الحمد لله**
على هذه المنة العظيمة وهي حفظ الله لكلامه وبقا رونق نظامه وخيبة سعي من سعى
في اطفايه وافتضاح جهلة اعدايه **ومنه** اي مما اخبر به من المغيبات المعجزة **قوله**
عز وجل **سيهزم الجمع ويولون الدبر** نزلت بمكة فلم يدر الصحابة رضي الله عنهم
ما المراد بها حتى كان يوم بدر بعد سبع سنين من نزولها فلبس النبي صلى الله عليه وسلم

درعه وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر قال ابن عمر رضي الله عنهما فعلمت المراد عنها
اي سيهزم كفار قريش ويولون المسلمين ادبارهم اي يجعلون المسلمين متوليين على
ادبارهم بالطعن والضرب فعبر عن شدة انهزامهم بابلغ عبارة ففيها اعجاز لفظا ومعنى
وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية اي ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور
قوم مومنين وفيها من الاخبار عن الغيب ان ناسا من اليمن وبني خزاعة اسلموا وبقوا
بمكة بعد الهجرة فلقوا من المشركين اذى كثيرا فشكوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اصبروا وابشروا بفرج قريب فنزلت هذه الاية فكان بعدها ما اوقع الله بهم من القتل
ونصرة المومنين التي شفيت بها صدورهم وخزايهم بالسبي والجلا وسلب نعمهم وقوله
هو الذي ارسل رسوله بالهدى الاية فيها اخبار بالغيب من ظهور دينه على ساير
الاديان على رغم انفهم وقد تقدم الكلام على هذه الاية وقوله لن يضروكم الا اذى
اي لا يقدرون عليكم الا باذية يسيرة كالطعن فيهم وتهديد منهم وان يقاتلوكم الاية
اي يولوكم الادبار ثم لا ينصرون فاخبر انهم كلما قاتلونا غلبوا وكانت عاقبة النصر لنا
عليهم والامور بخواتيمها والحرب سجال فكان كل ذلك اي وقع كلما اخبر الله به قبل
على طبق خبره من هزيمة جموعهم وتعذيبهم بما يشفي صدور المومنين واظهار دينه
وتولية الدبر كل من قاتل منهم ومما في القران من المغيبات ما فيه اي القران
من كشف اسرار المنافقين اي اظهار ما اخفاه المنافقون في قلوبهم مما لا يعلمه الا الله
مما انزله في حقهم في سورة المنافقين وكشف اسرار اليهود ومقالهم اي اظهار ما قالوه
فيما بينهم وهم يظنون انه لا يشعر به غيرهم وكذبهم في حلفهم اي كذب المنافقين وقسمهم
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على مقالتهم انها صادقة والله يعلم انهم كاذبون كما
ذكر في سورة المنافقين ومثله كثير في القران وتقريعهم بذلك اي توبيخ الله لهم
بسبب ما قالوه وحلفهم بايمان فاجرة ثم مثل لما ذكر فقال كقوله عز وجل ويقولون
في انفسهم اي قول اليهود فيما بينهم وفي خلوة تناجيهم لولا يعذبنا الله بما نقول
اي هلا عذبنا الله بقولنا في حق محمد لو كان نبيا دعا علينا حتى نعذب او بما كانوا يقولون
فيما بينهم في حق النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فاخبر الله بذلك وفضح سرايرهم
وزاد بقوله حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير وقوله تعالى يخفون في انفسهم
ما لا يبدون لك الاية يعني انهم يسرون في ضمايرهم غير ما يظهرونه لك اذا اتوك وهذا
بيان لحال المنافقين ومكرهم والذي اخفوه قولهم يوم احد وقد غشيهم النعاس ولم يكن
لهم هم غير تخليص انفسهم من القتل وقال بعضهم لبعض في خلوة من المومنين لو كان
لنا من الامر شي ما قتلنا ها هنا الاية فاعلم الله رسوله صلى الله عليه وسلم بذلك
فاخبرهم بما قالوه وهو من جملة المغيبات وقوله عز وجل ومن الذين هادوا سماعون
للكذب الاية اي سماعون لقوم اخرين اي لم ياتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه
وقوله من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع
غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين دعي عليهم بالصمم او بالموت او لا
تسمع ما دعيتا اليه فاخبره الله تعالى بتحريفهم كتابهم ومقالتهم وعدم اطاعتهم وهو
من الاخبار بالغيب الدال على اعجاز القران وهذا في حق اليهود وفي الاية كلام مفصل

في التفاسير

في التفاسير واحتمالات اخر ووجوه من الاعراب ليس هذا محل تفصيلها وقوله في هذه الاية
وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين اي بالتكذيب والاستهزا والسخرية فهذا اخبار بالغيب
عما كان اليهود يقصدونه من التحقير ويبرزون سبه في صورة التوقير فيقولون راعنا
وصفا له صلى الله عليه وسلم بالرعونة موهمين التماس نظره ورعايته لهم مكرا منهم
وليا بالسنتهم وكلامهم **وقد قال** الله تعالى حال كونه **مبينا** بالياء اي مظهرا **ما قدره**
الله وقضى به **واعتقده المومنون** من الظفر باحدى الطايفتين المعير او النفير **يوم بدر**
اي في وقعتها لان اليوم يطلق على ذلك في قولهم ايام العرب كما تقدم وهو من المغيبات
التي اخبرهم بها بقوله **واذ يعدكم الله احدى الطايفتين انها لكم** بدل مما قبله
وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم الشوكة مستعارة من الشوك المعروف للقوة والحدة
بكثرة السلاح والرجال ومنه شاكي وشاك السلاح للرجل المستعد للحرب بالاته وهذا اخبار
للمومنين بامر وقع في انفسهم ودوه واحبوه وهو مغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم اعلمه
به جبريل عليه الصلاة والسلام فلما تلاه عليهم زاد ايمانهم باعجاز القران وذلك ان
المسلمين لما علموا بقدوم عير المشركين بما لهم من التجارة واحبوا الخروج اليها علم
الكفار بذلك فخرج ابو جهل بمقاتلة مكة وهم النفير ولما علم ابو سفيان بخروج النبي صلى
الله عليه وسلم لذلك اخذ الى جانب ساحل البحر فقيل لابي جهل ارجع بالناس فابى وسار
بمن معه الى بدر فوعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم باحد الامرين الظفر بالعير او قتل
النفير وكانت الصحابة رضي الله عنهم يودون في انفسهم اخذ العير لما فيها من المال وقلة
ما عندهم من السلاح والرجال فقدر الله انهم يلقون العدو ليقطع دابر الكافرين فقتل
صناديدهم وايد الله المومنين واعز الدين **ومنه** اي من اخباره بالغيب في كلامه المعجز **قوله**
تعالى انا كفيناك المستهزئين وهم خمسة من الكفار او سبعة كانوا يوذونه صلى الله
عليه وسلم اشد الاذى ويسخرون به فاخبره الله بهلاكهم سريعا وكفايته امرهم قبل وقوعه
فكان كما قال وهذا من جملة المغيبات التي اخبر بها رسوله صلى الله عليه وسلم كالذي قبله ولذا
جعلهما في قرن كما اشار اليه بقوله في سبب نزول هذه الاية كما رواه الطبراني في الاوسط **ولما**
نزلت هذه الاية عليه صلى الله عليه وسلم **بشر بذلك اصحابه** اي بهلاكهم لما كان عندهم من
الالم من شدتهم فاخبرهم **بان الله كفاه اياهم** باهلاكهم **وكان المستهزئون كفرا بمكة**
من اهلها **ينفرون الناس عنه** صلى الله عليه وسلم بطعنهم واستهزائهم **ويوذونه فهلكوا**
وهم الاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والوليد بن المغيرة والعاص بن وايل وعدي
بن قيس وقيل منهم الحارث بن عيطلة وفكيهة بن عامر الفهري والحارث بن الطلاطلة
ذكرهما الماوردي في اعلام النبوة روي ان جبريل اخبره صلى الله عليه وسلم بهلاكهم
وكيفيته وقد مروا به رجلا رجلا وكيفية هلاكهم مفصل في السير وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انهم هلكوا في ليلة واحدة والذي ذكره غيره انهم هلكوا في ايام متقاربة بعد ما دعي
عليهم بفنا البيت فاجاب الله دعوته صلى الله عليه وسلم وانزل عليه الاية كما
قال في الهمزية

وكفاه المستهزئين وكم سا ... نبيا من قومه استهزاء
فرماهم بدعوة من فنا البيت ... فيها للظالمين فناء

خمسة اكلهم اصيبوا بدال والردا من جودة الادواء

من الاخبار بالغيب قوله والله يعصمك من الناس اي يحفظك من جميع الناس الذين يريدون بك سوءا وكان الصحابة يحرسون النبي صلى الله عليه وسلم في اسفاره فلما نزلت منعهم من الحراسة ومر ان هذا لا ينافي ما اصابه صلى الله عليه وسلم باحد لان الاية نزلت بعدها او المراد حفظه من القتل كما فصله الخيضري في خصائصه فكان كذلك اي محفوظا معصوما كما اخبره الله وكان هنا تامة وكذلك اي وقع ووجد كما اخبر به او ناقصة وكذلك خبرها وقوله على كثرة من هم رام اي قصد وضره مفعول وفسره بقوله وقصد قتله اشارة الى صحة ما تقدم عن الخيضري من ان العصمة انما هي عن القتل لا عن غيره من انواع الاذى كما مر والاخبار بذلك معروفة صحيحة كما في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في واد كثير العضاة فنزل تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من اغصانها وتفرق الناس في الوادي ليستظلون بالشجر فاتاه رجل وهو صلى الله عليه وسلم نايم فاخذ السيف فاستيقظ وهو قايم على راسه والسيف مصلت في يده فقال له من يمنعك مني قال الله ثم قال ذلك ثانيا فقال الله فشام السيف قال وها هو جالس ثم لم يعرض له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملك قومه فانصرف حين عفا عنه وقال والله لا اكون في قوم هم حزب لك ومثله كثير فصل الوجه الرابع من وجوه الاعجاز القرانية ما انبا به اي ما اخبر الله به من اخبار القرون السالفة هو جمع قرن وهم اهل كل عصر وزمان من الاقتران لاقتران زمانهم واحوالهم فقيل هو اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة وقيل هو مطلق الزمان اي اخبار الامم والملك المتقدمة والبلاد البعيدة مما لا يطلع عليه الا من تتبع التواريخ او ساح في اقطار الارض وقد عمر عمرا طويلا وكلا الامرين منتف في حقه صلى الله عليه وسلم والامم البايدة اي الهالكة الذين افناهم الموت وطحنتهم رحى الدهر حتى اندرست اثارهم والشرايع الداثرة بدال مهملة وثا مثلثة من دثر اذا اندرس ولم يبق له اثر والدثور ورد بمعنى النسيا فالمراد معرفته بالشرايع القديمة التي نسيت ونسخت احكامها من تدثر بثيابه اذا تلفف بها وفي تعبيره نوع من البلاغة يسمى التفنين لان السالفة والبايدة والداثرة متغايرة اللفظ متقاربة المعاني مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة بيان لما كقوله من اخبار على حد قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا على ما حقق في شروح الكشاف الا الغذا الغذ هو الفرد والشاذ وهما بمعنى وكلاهما بذال معجمة وفي الحديث لا تدع شاذة ولا فاذة من اخبار اهل الكتاب احبار جمع حبر بكسر الحا المهملة وفتحها وسكون الموحدة وراء مهملة ومعناه العالم الحافظ الواسع علمه والعرف يخصه بعلما اهل الكتاب ومنه كعب الاحبار للتابعي المشهور ويقال له كعب الحبر ووجه اطلاقه انه من الحبر وهو المداد الذي يكتب به واليه نسب اليه كعب المذكور او لانه يحبر الكلام ويزينه وفي المصباح الحبر بالكسر المداد الذي يكتب به واليه نسب اليه كعب فقيل كعب الحبر لكثرة كتابته بالحبر حكاه الازهري وعن الفرا الحبر العالم والجمع احبار مثل حمل واحمال ويقال الاحبار ايضا اي عالم العلما وكذا في تهذيب الاسما للنووي وحينئذ فلا عبرة بقوله في القاموس كعب الحبر بالفتح ويكسر ولا تقل كعب

الاحبار

الاحبار الذي قطع عمره في تعلم ذلك اي تعلم اخبار من سلف وشرايعهم فاذا كان لا يعلمه
الا من قراه ودرسه طول عمره واما من كان اميا في امة امية لم يقارن من له علم بذلك فعلمه
به واخباره به معضلا مرخارق للعادة في حقه محال لذاته بل لذاته فيورده متفزعا علي ~
قوله انبا اي اذا اخبر به النبي صلي الله عليه وسلم في الوحي المتلو المنزل عليه يورده اي يذكره
النبي صلي الله عليه وسلم علي وجهه حال من الفاعل او صفة مصدر مقدر اي ايرادا كائنا علي
وجهه اي علي اتم حال يليق به وينبغي له كما يقال دبر الامر علي وجهه كما في الاساس
ويابق به علي نصه اي في غايته مرتبة من كماله ورفعته يقال بلغ الشي نصه اي نهايته
كما في الاساس لان معني نص رفع ومنه المنصة وفيه نورته لان عبارة القرآن تسمي نصا ~
فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه اي من يعلم تلك الاخبار والشرايع اذا سمعها من لم
يسمع بها علم صحة كلامه وصدقه فيما قاله وانا مثله اي مثل النبي صلي الله عليه وسلم او مثل
هذا الكلام لم ينله اي لم يحصل اليه النبي صلي الله عليه وسلم بتعليم اي من البشر بل بوحي
من الله وقد علموا اي علم الناس من المسلمين والمشركين انه صلي الله عليه وسلم امي ~
اي لا يعرف القراءة ولا الكتابة لا يقرأ ولا يكتب صفة له مفسرة وموضحة وقول النحاة الجملة
المفسرة لا محل لها من الاعراب ليس علي اطلاقه ولما كان هذا لا يلغي لاحتمال ان يسمعه من
قرأ وكتب قال ولا يثقف بدارسه اي يحفظ ويلقن من الافواه ولا مكافئه بضم الميم وتليها
مثلثة ثم الف وفاء ونون اي مداومة طلب ومحالسة تحتك فيه الركب بالركب حين يوثر فيها الاحبار
وهو عبارة عن كثرة المجلوس مع اهل العلم بالاخبار والشرايع للمتعلم منهم وهو مجاز من ~
ثفن البعير اذا برك والثفنات ركبه التي يبرك عليها حتي يغلظ من حك الارض كثفنته
علي لذا اذا اعتنته وكانا يقال لابن عباس ذو الثفنات لطول جلوسه في طلب العلم ~
او لكثرة سجوده حتي يصير في جبهته اثر السجود وهذا ابلغ مما قبله وهو الصحيح الموافق
لاداب المعلم في بلاغته وما قيل من انه بمثلثة وقاف وموحدة من ثقب رايه اذا نفذ ودهن
ثاقب واما الاول بمعني الثقب من ثقنت يد الرجل بكسر الفا اذا غلظت من كثرة العمل فهو
من تحريف الكتبة الذي لا يلتفت اليه من لمعلم بكلام العرب ولما نقله عن بعض الشراح وقد
تقدم ان النبي صلي الله عليه وسلم كان اميا لا يعرف الخط ولا يكتبه وانه من معجزاته وردما
قيل انه مخصوص باول امره وانه كتب بيده الشريفة عام الحديبية فكان ذلك معجزة له اخري
وقد شنع علي قائله علما الاندلسي وشبهه للزندقة كما مر مبسوطا غير مامرة ولم يغب
عنهم اي لم يغب صلي الله عليه وسلم عن قومه غيبة يحتمل انه تعلم فيها ما اخبرهم به ولم يجر
حاله احد منهم من ولادته صلي الله عليه وسلم الي وفاته حتي يتوهم تعلمه ذلك من اهل
الكتاب وقد كان اهل الكتاب اي احبار اليهود والنصاري • كثيرا ما يسالونه اي ~
في كثير من الاحيان فهو منصوب علي الظرفية وما مزيدة لتاكيد معني الكثرة او هو صيغة
مصدر مقدر اي يسالونه صلي الله عليه وسلم سؤالا كثيرا عن هذا اي عن خبر من تقدم
من الامم السالفة فينزل عليه عقب سؤالهم جوابا لهم من القرآن ما يتلو عليهم
منه ذكرا المراد بالذكر القرآن المذكور لهم لقصص مصدر بالفتح او جمع قصة بالكسر اي ~
سير الانبياء مع قومهم فيذكره صلي الله عليه وسلم لهم مفصلا بابلغ عبارة واللطف اشارة
وخبر موسي والخضر بفتح الخاء وكسر الضاد المعجمتين ويجوز سكون ثانيه مع فتح اوله ~

وكسره وهو ما قصه الله في سورة الكهف وموسى هو ابن عمران الكليم على الاصح لا نبي اخر
كما يزعمه اهل الكتاب والخضر هو بليا بن ملكان على اقوال في المختلاف في اسمه وقد اختلف
ايضا في نبوته ورسالته وانه هل هو حي الى الآن او مات قبل تمام المائة الاولى او قبل
زماننا صلى الله عليه وسلم والاكثر على ما الصوفية على انه حي الآن الى ان الله اخفاه عنا وقد
اطبق اكثر الصالحين على ذلك وانهم يلاقونه ويتحدثون معه وانه يحج في كل سنة وليس
في ذلك دليل قاطع ولكن حسن الظن يصدق ما قالوه والاكثر انه ولي لا نبي ومن القريب ما قيل
انه ملك وقيل انه لا يموت الا في آخر الزمان حين يرتفع القرآن وفي صحيح مسلم في حديث
الدجال انه يقتل رجلا ثم يحييه قال ابراهيم بن سنان راوي كتاب مسلم يقال انه الخضر وكذلك
قال معمر في مسنده وسمي خضرا لانه اذا جلس على ارض اخضرت له او لانه اذا صلى اخضر
ما حوله **وفي جامع الاصول** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاخضرت تحته
وفي صحيح البخاري من حديث همام بن منبه عن ابي هريرة مرفوعا انما سمي الخضر
لانه جلس على فروة فاذا هي تهتز من خلفه خضرا والفروة الارض اليابسة او الحشيش
اليابس قال ابن فارس الفروة كل نبات مجتمع اذا يبس وقال الخطابي الفروة وجه الارض
انبتت ولخضرت بعد ان كانت جردا **او يوسف واخوته** وهي واسما اخوته والخلاف في
كونهم انبيا ام لا سيأتي مفصلا وقد كان اليهود سألوه صلى الله عليه وسلم عنها فانزل
الله عليه السورة **واصحاب الكهف** ومعناه الغارة لانهم وجدوا بها واختلف في مكانها
ولهم اسما ثانية اختلف في ضبطها وكانوا فرارا من ملك يسمى دقنيوس وقصتهم
مفصلة في التفاسير وسبب نزولها ان قريشا بعثوا النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط
الى احبار اليهود ليسألوهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره لانهم عندهم
علم من الكتاب الاول فقدموا المدينة قبل الهجرة وسألوهم عن ذلك فقال لهم الاحبار
سلوه عن ثلاث فان اخبركم عنها فهو نبي مرسل والا فهو متقول سلوه عن فتية ذهبوا
في الدهر الاول ما كانا امرهم العجيب وعن رجل طاف مشارق الارض ومغاربها ما كان نبأه
وسلوه عن الروح ما هي فان لم يبينها فهو نبي مرسل على ما يأتي فسألوه عن ذلك
فقال اخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فانقطع عنه الوحي اياما اختلف في عددها فارجف بذلك
كفار مكة وحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انزل الله عليه ما قصه في سورة الكهف **وذي**
القرنين اختلف فيه وفي اسمه وسبب تسميته فقيل يونابي اسمه هرديس وقيل حميري
اسمه الصعب بن ذي مرائد وفي خطبة لقيس بن ساعدة ابن الصعب ذو القرنين ملك
الخافقين واذل الثقلين وعمر القرن ثم كان كلحظة عين وهو الاسكندروس سمي ذا القرنين
فقيل لانه عمر مدة قرنين وقيل لانه ضرب على قرني رأسه وقيل لذؤابتين له والقرنان الشعر
وقيل غير ذلك **ولقمان ذو النون** وهو لقمان بن عنقا بن مرة وكان وليا صالحا وقيل انه نبي والاصح
خلافه وقيل انه نوبي من اهل ايليا واسم ابنه ثاران عند ابن قتيبة **واشباه ذلك من الانباء**
والقصص والاخبار المذكورة في القرآن عن معنى من الامم السالفة **وبدء الخلق** اي
ابتدء خلق الله للدنيا وما جرى في ذلك مما لا يطلع عليه الا من قرأ الكتب ودرسها
وخلقه للسمرات والارض **وما في التوراة والانجيل** من احكام الشرايع والتوحيد **والزبور**

وصحف

وصحف ابراهيم وموسى من المواعظ والاذكار وذكره لبدء الخلق لما تضمنه من الاخبار
عما سلف ايضا من اخبار الامم فلا يرد عليه ما قيل من ان بدء الخلق اخبار عن فعل الله وهو جدير
بالحاقه بالاخبار بالغيب مما صدقه فيه العلما بها اي الاخبار من اهل الكتاب حين ذكره لهم
ولم يقل راوا على تكذيب ما ذكر منها لكونها مطابقة للواقع ولما عندهم مما لم يمكن انكاره
بل اذعنوا لذلك فاقروا به واعترفوا منقادين له فمن موفق اسم مفعول من التوفيق اي
الذين سمعوا ما قصه صلى الله عليه وسلم عليهم وعرفوا حقيته منهم من وفقه الله
فهداه وآمن بالمد فعل ماض مفتوح الاخر بما سبق له من خير اي بسبب ما سبق له في علم
الله الازلي وحكم بانه سعيد فسبق فعل ماض بسين مهملة وبا موحدة وقاف والخير هو
احسان الله وانعامه عليه بهدايته ويجوز كسر سينه قبل يا مثناة تحتية ماض مجهول
ساقه اي بما ساقه الله له واوصله اليه من الخير ومن شقي معاند حاسد اي اشقاه
الله حتى حمله على العناد والحسد على عدم الانقياد لما علم خفيته كما حمل الحسد ابليس لعنه
الله على ضلاله لما كتب له من الشقاوة الازلية فلم يصدق ولم يؤمن ومع هذا العناد والحسد
الذي اظهروه فلم يحك بالبنا للمجهول ونايب فاعله انه انكر الواقع بعد سطور وهو
بالفا التعريف تفعيل وتبيين لقوله لم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها والمقام مقام اطنا
وخطابة فلا وجه للاعتراض عليه بانه لا موقع له بعد ما تقدم اي لم يذكر عن واحد من
النصارى واليهود على شدة عداوتهم له صلى الله عليه وسلم اي هم مع انهم اشد
الناس عداوة له وعلى بمعنى مع كقوله وانه لحب الخير لشديد واحرصهم على تكذيبه
اي على شي من كلامه يقدرون على نسبته الى الكذب فيه وطول احتجاجه عليه الصلاة والسلام
وتقريعهم اي توبيخهم وتفضيحهم بما انطوت عليه مصاحفهم جمع مصحف بتثليث
الميم كما نقل عن ثعلب والفتح غريب من اصحف اذا جمع الصحف فهي بمعنى الصحف هنا وكثرة
سوالهم له عليه الصلاة والسلام عما لا يعلمه الا من له بحر في العلم منهم وتعنيتهم
اياه تفعيل من العنت وهو المشقة والتعب اي تكليفهم بما هو شاق عن اخبار انبيائهم
متعلق بسوالهم واسرار علومهم اي الامور الخفية الدقيقة من علومهم ومستودعات
سيرهم اي سوالهم عما اودع في مصاحفهم من سير انبيائهم واعلامه لهم بمكتوم
شرايعهم وفي نسخة بمكنون بدل مكتوم اي اخباره صلى الله عليه وسلم لمن ساله منهم عن
امور مكتومة مخفية عندهم ستروها عن غيرهم ومضمنات كتبهم اي ما تضمنتها كتبهم
من الاحكام وغيرها مثل سوالهم عن الروح في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان كما
تقدم بيانه وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى لما قال علما اليهود للمشركين سلوه
عنها فان سكت او اجاب عن الجميع فليس بنبي وان اجاب عن الاولين وسكت عن الروح ووكل
علمها الى الله فانه كذلك في التوراة فهو نبي مرسل وحكم الرجم اي سوالهم له صلى الله
عليه وسلم عن حكم الرجم للزاني المحصن الذي انكروه فبينه لهم صلى الله عليه وسلم
كما في التوراة وما حرم اسرائيل على نفسه اسرائيل هو يعقوب عليه الصلاة والسلام ومعناه
صفوة الله وكان اليهود سالوه امتحانا له عما حرم على نفسه فقال لحوم الابل والبانها او
العرق وما فيه عرق فصدقوه لانه كان يسكن البدو خوفا من اخيه العيص ثم نذر انه اذ دخل
بيت المقدس سليما من الامراض والافات ان يذبح اخر اولاده واعزهم عليه فلما سار

وقرب منه بعث الله ملكا وكز فخذه فمرض بعرق النسا حتى كان من وجعه ما كان وذلك ليلا
يلزمه ذبح ولده فحرم على نفسه ما مر لانه يضر عرق النسا وكان ذلك باجتهاد منه والانبيا
يجوز لهم الاجتهاد على الصحيح ويعقوب مات بمصر فحمله يوسف عليهما الصلاة والسلام
فدفنه عند ابيه بوصية منه وسالوه ايضا عن ما حرم عليهم اي على بني اسرايل من الانعام
ومن طيبات من الاكل كانت احلت لهم اي جعلها الله حلالا لهم فحرمت عليهم ببغيهم
اي حرمت عليهم عقوبة بسبب ظلمهم يشير الى قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل
ذي ظفر الاية فحرم الله عليهم ما لم يكن مشوق الاصابع من البهايم والطيور كالابل والنعام
والاوز والبط وقيل كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وحرم عليهم شحم
البقر والغنم والكليتين الا ما التصق بالظهر والجنب كما بينه المفسرون وفصلوه في سورة
الانعام وقوله ببغيهم اي بقتل انبيايهم واخذهم اموال الناس بالباطل فقالوا ان الله
لم يحرم علينا شيا فنزلت هذه الايات بتكذيبهم حتى افتضحوا واذعنوا ومثل قوله ذلك
مثلهم في التوراه ومثلهم في الانجيل الاية الاشارة الى قوله تعالى سيماهم في وجوههم
من اثر السجود كزرع اخرج شطاه الى اخر ما ذكره في اخر سورة الفتح فاخبرهم الله على لسان
رسوله صلى الله عليه وسلم بما في كتابهم وغير ذلك من امورهم التي نزل بها القران
مما لا يعلم مثله الا بوحي فاجابهم عما سالوه وعرفهم بما كتموه بما اوحي اليه من ذلك
السابق ذكره كله انه انكر ذلك او كذبه بفتح همزة انا والمصدر المسبوك منها ومما دخلت
عليه نايب فاعل لم يحك وهو ظاهر ثم اضرب عن ذلك اضرابا انتقاليا على سبيل الترقي
فقال بل اكثرهم صرح اي تكلم بكلام صريح ناطق بصحة نبوته اي قال انه صلى الله
عليه وسلم صادق في دعوى النبوة وان له نبوة صحيحة وصدق مقالته اي صدق كل ما قاله
صلى الله عليه وسلم مما ادعاه ومما نقله عن كتبهم وصدق مصدر مضاف للفاعل ومقالته
منصوب مفعوله واعترف بعناده وحسده اياه فاقر بان جحده لما قاله صلى الله عليه
وسلم محض عناد وحسد وافراد ضمير حسده رعاية لافراد لفظ اكثر وروي بضمير الجمع
رعاية لمعناه وليس حسده فعل ماض لقوله اياه فانه يا باه كاهل نجران بفتح النون وسكون
الجيم وراء مهملة قبل الف ونون وهم قوم من نصارى نجران العرب منزلتهم بين مكة
واليمن على سبع مراحل من مكة سموا نجران بنجران بن زيد بن سبا وسياتي الكلام عليهم
وابني اخطب تثنية ابن واخطب بزنة افعل التفضيل بخا معجمة ساكنة وطا مهملة مفتوحة
وموحدة علم لابيهما وهما حيي بضم الحا المهملة وفتح اليا المثناة التحتية يليها ياء مشددة
وابو ياسر وهما يهوديان من يهود المدينة معروفان ماتا على كفرهما وحيي هذا
هو ابو صفية ام المومنين رضي الله عنها قالت كان عمي ابو ياسر احسن رايا من ابي كان
يقول الست تجده في كتبنا فيقول نعم هو هو فيقول له فما في نفسك منه فيقول معاداته
وغيرهم من احبار اليهود والنصارى ومن باهت في ذلك بعض المباهتة اي لم يقر
بحقية ما جا به صلى الله عليه وسلم وادعى انه كذب مكابرة منه يقال بهته وباهته اذا كذبه
ونسبه للبهتان ومنكر طيب المسك كذبه الشذاء وقوله بعض المباهته اي في بعض اموره
التي يمكن المكابرة فيها وفيه اشارة الى ان من اخباره صلى الله عليه وسلم ما لا يمكن انكاره
من احد من العقلا وقد علمت انه يقال بهته بكذا وباهته كما في الاساس ومن انكره فقد اتى

ببهتان

ببهتان من عنده وادعى ان فيما عندهم من كتبهم من ذلك لما حكاه متعلق بقوله مخالفة
بالنصب اسم ان ومن الموصولة في قوله ومن باهت مبتدا خبره دعي بالبنا للمجهول اي
دعاه الرسول صلى الله عليه وسلم باذن ربه الى اقامة حجته اي دليل بالاتيان بنص من كتبهم
يخالف ما اخبرهم به وكشف دعوته اي بيان ما ادعاه فقيل له اي قال الله له صلى الله
عليه وسلم قل لهم فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون يعني قوله
فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فاولئك هم الظالمون وسبب نزولها ان اليهود لما صلى
الله عليه وسلم تزعم انك على ملة ابراهيم وانت تاكل لحم الابل ولبنها وذلك يحرم في شرعه
وقيل ان المسلمين قالوا لهم انما حرمت عليكم الطيبات ببغيكم فقالوا انها كانت محرمة قبل ذلك
فامروا بابراز التوراة حتى يتلى ما فيها من تحريم ذلك فلم يجدوا ذلك فيها وافتضحوا وقيل
انهم اتوا برجل وامراة زنيا فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم كيف تفعلون فقالوا نحبسهما
ونضربهما فقال لهم ان الذي في التوراة رجمهما فانكروه فقال لهم كذبتم ايتوا بالتوراة
فاتلوها ان كنتم صادقين فاتوا بها وقرؤا حكم الزاني فيها فوضع القارئ يده على اية
الرجم وقرا ما قبلها وما بعدها فانتزعت من يده ووجد فيها الرجم فرجما ففزع ووبخ
اي فزعهم الله وعيرهم بتكذيبهم وافترائهم على الله صريحا وتلويحا وجعلهم ظالمين ودعي
الى احضار ممكن غير ممتنع وهو امرهم بالاتيان بالتوراة وهي حاضرة بين ايديهم فصاروا
قسمين فمن معترف بما جحده وانكره من احكام التوراة ومن متواقح بضم الميم ومثناة فوقية
مفتوحة وقاف مكسورة وحا مهملة اي متكلف للوقاحة وهي قلة الحيا وصلابة الوجه حتى
لا يبالي بافتضاحه والمراد به ابن صوريا الذي الذي وضع يده على اية الرجم فقال له ابن سلام
ارفع يدك يا عور كما اشار اليه بقوله يلقي على فضيحته اي ما يفضحه ويجعله سخرة بين
الناس من كتابه اي من الكتاب الذي معه يده اي يضعها عليه وعلى الاية التي فيها ما يخالف
دعواه ويكذبه ولم يؤثر بالبنا للمجهول بمعنى ينقل معطوف على قوله فلم يحك المتقدم
ونايب فاعله ان واحدا منهم اي من اهل الكتابين اظهر خلاف قوله صلى الله عليه وسلم
من كتبه اي من الكتب التي عندهم مما انزل على انبيايهم ولا ابدا اي اظهر نقلا صحيحا ولا
مقيما اي محرفا لفظه او مولا ما ولا معناه من صحفه جمع صحيفة وهي الكتاب قال الله
تعالى بيانا لما كانوا عليه في هذا الامر يا اهل الكتاب قد جاكم رسولنا يبين لكم كثيرا
مما كنتم تخفون من الكتاب كصفته صلى الله عليه وسلم وقصة الرجم وبشارة الكتب
ببعثته صلى الله عليه وسلم وشانه ويعفو عن كثير لحلمه وستره عليهم رجا هدايتهم
بتوفيق الله الايتين وهما قد جاكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه
سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم

فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة في غاية الظهور

لا نزاع فيها اي لا ينازع احد من العقلا في كونها ثابتة معجزة ولا مرية بكسر الميم
وضمها كما مر بمعنى شبهة وشك في ذلك وهي عامة في جميع الايات وفي جميع
الاخبار الواقعة فيها كما قال ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يومنون
بالغيب ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه الاربعة اي جمع اية
او اسم جنس جمعي كثمر وثمرة وليس كل ما يفرق بينه وبين واحده بالتا اسم جنس جمعي

كما فصله البدر بن مالك في باب الجمع من شرح الالفية والاية جملة من القران لها مبدا ومقطع كما
مر وردت بتعجيز قوم اي جا فيها اظهار عجز طايفة مخصوصة من الناس في قضايا جمع
قضية وهي الحادثة الواقعة في حكم قضاه الله وقدره واعلامهم انهم لا يفعلونها الاعلام بكسر
الهمزة مصدر اعلم مجرور معطوف على تعجيز والضمير للقضايا فما فعلوا ولا قدروا
على ذلك المذكور من تلك القضايا ونفي القدرة ابلغ من نفي العلم كقوله عز وجل لليهود
لما ادعوا دعاوي باطلة كقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى فكذبهم والزمهم
الحجة فقال خطابا له صلى الله عليه وسلم قل ان كانت لكم الدار الاخرة وهي الجنة عند الله
خالصة اي خاصة بكم وهو حال من الدار الاخرة والخطاب لاهل الكتاب من دون الناس
اي باقيهم من المومنين غيرهم فتمنوا الموت ان كنتم صادقين في قولكم انكم من اهل الجنة وانها
مخصوصة بكم لان من تيقن دخول الجنة اشتاق لها واحب التخلص من هذه الدار واكدارها
ومن احب لقا الله احب الله لقاؤه ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم فنفى عنهم تمني الموت
في جميع الازمنة المستقبلة بقوله لن وابدا وما قدمته ايديهم الكفر بالله وتحريفهم التوراة
فما في هذه الاية من المعجزات لانه اخبار بالغيب وهو كما اخبر اذ لو تمناه احد منهم مع توفر
الدواعي على نقله اشتهر والتمني وان كان من اعمال القلب الخفية كما ياتي فالنطق به
وقولهم تمنينا مما لا يخفى ولو تمنوه ما توافهم لحرصهم على الحياة وخوفهم لن يتمنوه
وقد صرفهم الله عن ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم وقد استشكل ما قاله المص هنا بان
ما ذكره هنا داخل في الوجوه السابقة فان قوله لن يتمنوه ابدا مثل قوله فاتوا بسورة
من مثله الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا لاعلامهم بانهم لا يفعلون لعجزهم وعدم قدرتهم
فهو داخل في النوع المتقدم لانه اخبار عما استاثر الله بعلمه في المستقبل فجعله ادنى
منه غير مسلم وقد سوى بينهما في الكشاف والجواب عنه ان ما تقدم امر معجز في نفسه
في ساير الازمنة بخلاف ما نحن فيه فان قول احدهم ليتني اموت ونحوه امر ممكن
لهم ولغيرهم واعجازه انما هو بمجرد الاخبار عن عدم وقوعه فهو مغاير لما قبله وادنى
منه بمراتب قال ابو اسحاق الزجاج في تفسيره المسمى بمعاني القران وهو تفسير جليل يعتمد
عليه الزمخشري في كشافه وهو ماخذه كما مر وهو العلامة في فنون العربية التي تلقاها
عن المبرد واسمه ابراهيم بن السري ابن سهل ابن الزجاج نسبة لصنعته توفي سنة احدى
عشرة وثلاثماية يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الاخرة كما تقدم في هذه الاية اعظم حجة
واظهر دلالة على صحة الرسالة اي رسالة محمد نبينا صلى الله عليه وسلم لانه قال
فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه واحد منهم وفي نسخة احد منهم
وفي الكشاف فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه احد فمن اين
علمت انهم لن يتمنوه قلت ليس التمني من اعمال القلوب وانما هو قول الانسان
بلسانه ليت لي كذا وليت كلمة تمن ومحال ان يقع التحدي بما في الضماير والقلوب ولو كان
بالقلوب لقالوا قد تمنيناه بقلوبنا ولم ينقل انهم قالوه وفي حواشيه للقطب انه استدلال
على ان التمني ليس من افعال القلوب لان التحدي انما يكون بامر ظاهر وفيه ان التحدي
انما يكون باظهار المعجز لالزام من لم يقبل الدعوى والتمني ليس بمعجز فهو كقول الخصم
احلف لي ان كنت صادقا ويمكن ان يقال التحدي هنا بطلب دفع المعجزة فان اخباره

بانهم

بانهم لن يتمنوه ابدا معجزة طلب دفعها بتمنيهم والدفع لا يكون الا بامر ظاهر وهو كلام حسن
منعه قول من لم يصل الى المنقود وعن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي من
طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما بهذا اللفظ الاتي واحمد في مسنده عن
ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا باسناد جيد بلفظ لو ان اليهود تمنوا الموت لماتوا والذي نفسي بيده
اقسم بالله قسما مناسبا للمقسم عليه فان معناه ان روحه بيد الله ان شاء ارسلها فتحيي وان
شاء امسكها فيموت وكان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقسم به لا يقولها اي كلمة التمني المفهومة
من السياق رجل منهم اي واحد من بني اسرايل والرجل على ظاهره او المراد ما يعم المراة الا غص
بضم الغين المعجمة وفتح الصاد المشددة المهملة او بفتحهما وفاعله ضمير الرجل وعليه
اقتصر بعضهم ولا ينافي الاول كونه لازما كما توهم والغصة ما يعوق في الحلق فتمنع النفس حتى
تهلكه يقال اغصى بالطعام وشرق بالشراب وشجي بالعظم وحرض بالريق وقد يستعمل كل منها
مكان الاخر والريق رطوبة الفم وغصص الدهر مصائبه وهو كناية عن سرعة وقوع الموت
بهم كما في النهاية واليه اشار بقوله يلفظ مكانه اي في مكانه الذي غص فيه فلا يمشي
لانتقاله لفراشه فضرقهم الله عن امنيته مصدر مضاف لمفعوله وهو ضمير الموت وجرعهم
بفتح الجيم وتشديد الراي المعجمة وفتحها وفتح العين المهملة وفي نسخة في جزعهم وكونه
جرعهم براء مهملة غلط ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة ما اوحي اليه
ثم بينه بقوله اذ لم يتمنه احد منهم لخوف الموت لتيقنه صدق خبره وكانوا على
تكذيبه احرص لو قدروا على تكذيبه بانا يتمنوا ولا يموتوا والجملة حالية بتقدير قد ولكن
الله بالتخفيف والتشديد يفعل ما يريد من تمنيهم وعدمه فظهر بذلك اي بعدم تمنيهم
عما هم احرص عليه معجزة وبانت حجته بصدق خبره عن الغيب قال ابو محمد لا صيلي تقدم
الكلام عليه وعلى نسبته من اعجب امرهم اي اليهود انا لنعني للشان لا يوجد منهم جماعة
ولا واحد من يوم اي من حين امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله قل لهم فتمنوا الموت
يقدم عليه اي على تمني الموت ولا يجيب اليه اي الى قوله تمنوا الموت او الى قوله احد
تمنى الموت لشدة خوفهم ولما جبلهم الله عليه من حرصهم على حب الحياة كما قال ولتجدنهم
احرص الناس على حياة وهذا المذكور من امتناعهم على التمني موجود مشاهد لمن
اراد ان يمتحنه منهم اي كل من اراد ان يعرفه اذا ذكره لهم فظهر به ما في طباعهم والامتحان
هو المجربة وانما ذكره دفعا لما يقال التمني امر خفي فقد يقال انه موجود ولم يطلع عليه
وكذلك اية المباهلة اي مثل قصة النبي صلى الله عليه وسلم في بني اسرايل قصة المباهلة
في نهاري نجران لان فيها تكليفا بالتكلم بامر لو قالوه هلكوا وقد اخبره الله به قبل وقوعه
فكان كالخبر ولم يجب احد منهم الى ما دعاهم اليه كما لم يتمنوا ليهود الموت فهو من هذا المعنى
يعني انهما متقاربان كما قرراه انفا واصل معنى المباهلة كما حققه الراغب من البهلة
وهو الاهمال كارسال البعير وكل من اراد الناقة يقال ابهلت فلانا اذا خليته وارادته ومنه
الابتهال وهو تضرع الدعا قال ومن فسره باللعن فلما فيه من الاسترسال فيه قال الشاعر
نظر الدهر اليهم فابتهل اي استرسل اليهم فانشاهم انتهى وفيه رد على بعض اهل اللغة
اذا ظن ان حقيقته الملاعنة ويؤيده ظاهر قوله ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين
حيث وفد عليه الوفد هو القادم من غير اهل الديار كما مر وحيث هنا للزمان اي لما

قدموا عليه من ديارهم اساقفة نجران جمع اسقف بضم الهمزة والقاف وبينهما سين
مهملة واخره فا مشددة مشددة وهو رئيس النصارى في دينهم قاضيهم وامامهم
قيل سمي به لانحنائه وخضوعه ونجران بفتح النون واسكان الجيم بلدة كانوا فيها وهي بين
مكة واليمن على سبع مراحل من مكة قدموا منها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
ستون راكبا منهم اربعة عشر رجلا رؤساهم ومنهم ثلاثة نفر بيدهم كل امرهم واميرهم
اسمه العاقب كما ياتي وذو رايهم كالوزير اسمه المسيح وثمالهم السيد وصاحب رحلهم
الايهم وابو حارثة ابن علقمة اخو بكر بن وائل اسقفهم وامامهم وقصتهم مشهورة في
الاسلام وابوا الاسلام اي امتنعوا ان يسلموا لادعائهم حقية دينهم وعدم نسخه فانزل
الله عليه صلى الله عليه وسلم في حقهم اية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك
من العلم الاية وتمامها فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم
ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ومعنى انفسنا وانفسكم اي ليدع بعضنا بعضا فان
الانسان لا يدع نفسه وكيفيتها كما قصه الله ان يجمع كل من المتخاصمين اهله ثم يتوجه
كل منهما الى الله ويقول اللهم ان هذا يقول كذا وكذا وانا اقول كذا وكذا اللهم فاجعل لعنتك
على الكاذب منا فان عذاب الله يحل بمن كذب من مطر وهذا لم ينسخ فان سلطان العلماء العز
بن عبد السلام اسند اليه بعض اهله شيا لم يقله فقال اباهله الى الله ففعل فلم يمض سنة حتى هلك
من باهله وانما جمع الاهل تخويفا لهم بحلول العذاب بهم من الله اجمعين ومن قال هنا معنى
البهلة بالضم والفتح اللعنة لم يصب كما مر عن الراغب وهذا مما نحن فيه من وجه ومن
قال الاسقف مشتق من السقف كما قال ابن السكيت والها للعجمة ففي كلامه تناقض فامتنعوا
منها اي من المباهلة خافوا لما شاهدوه من الهلاك على انفسهم بدعائه صلى الله عليه وسلم
ورضوا باداء الجزية وهي الخراج الموظف على الناس ويطلق على ما يعين على الاراضي
فاختاروها مع ما فيها من المذلة وكانوا قالوا له صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم
نبينا فتقول عبد الله فقال هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها العذراء البتول فغضبوا
وقالوا هل رايت انسانا من غير اب فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى عند الله الخ ثم دعاهم
للمباهلة وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه ملاعن قوما نبي قط
فبقي كبيرهم ولا صغيرهم اي هلكوا جميعا لاجابة دعائه عليهم ثم قال لهم ان ابيتم الا
الاقامة على دينكم فصالحوه وانصرفوا الى دياركم وروي ان القايل لهذا منهم هو السيد
الذي كان يسمى سرجيل فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا يكن لكم وعليكم
ما للمسلمين وعليهم فابوا فقال نقاتلكم فقالوا ما لنا طاقة بحربك ولكن نصالحك على
ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة
الفا في صفر والفا في رجب فصالحهم صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال لو تلاعنوا
مسخوا قردة وخنازير واضطرم عليهم الوادي نارا وفيه دليل على مشروعية الملاعنة
قال في المواهب وقد جربت وانه لا يمضي على الكاذب سنة كما سمعته وقد علمت ان هؤلاء
امتنعوا من الملاعنة كما امتنع اليهود عن تمني الموت ولذا اورده المص هنا ومثله قوله وان
كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا اي مثل قوله فمن
حاجك فيه فاخبرهم الله في هذه الاية انهم لا يفعلون في المستقبل ابدا وهو ما دل عليه

الجملة

الجملة المعترضة بين الشرط وجزائه وبين قوله ولن تفعلوا كما مر في الماضي الدال عليه فاذا لم تفعلوا فان عجزهم عن معارضة القرآن امر محقق ووقع وانما اتي بإذا الشرطية وكان يقتضي المقام اذا اعتبار ما عندهم من الشك في قدرتهم تهكما بهم وهذه الاية اي قوله تعالى وان كنتم في ريب الخ ادخل في باب الاخبار بالغيب اي اندراجها فيه اظهر او نحن لتحقق النفي في المستقبل بالنفي في الماضي الذي علم من التحدي بخلاف اية تمني الموت واية المباهلة لعدم تقدم شيء من نوعها وقبل لا ما فيها تصريحا بنفي فعلهم في المستقبل بخلاف اية المباهلة فان فيها اشعارا بالعجز عن المباهلة في الحال والاشعار بالنفي في المستقبل الذي هو من الاخبار بالغيب من الوجه الاول من حيث انها وفيه بحث ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها اي في اية سورة البقرة التي فيها تعجيزهم عن الاتيان بمثل سورة ما من منظم تعجيز لتعجيزهم عن المباهلة وفيه نظر فانهم لم يعجزوا عن المباهلة وانما خافوا من عاقبتها فاحجموا عنها ولو ارادوا لم يكن عندهم مانع منها فتدبره فصل ومنها اي من وجوه اعجاز القرآن الروعة بفتح الراء والعين المهملتين المرة من الروع وجه غير الوجوه الاربعة التي تقدمت وهي هيبته كما وقع لسيدنا عمر رضي الله عنه وهو الفزع والخوف الذي يطرء عند سماعه لجلالته وهيبته كما وقع لسيدنا عمر رضي الله عنه لما سمع اول سورة طه فاسلم من غير تردد لما وقع في قلبه عند سماعه التي تلحق قلوب اسماعهم سامعيه اصله تلحق قلوب السامعين له فحذفت نونه لاضافته لضمير القرآن واسماعهم بالنصب معطوف على قلوب مفعول تلحق وهو جمع سمع بمعنى الحاسة وفيه تسمح لاد الفزع لا يلحق السمع وانما يلحق القلب بواسطته وهو كقوله تعالى ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما اي لتذكر احدهما الاخر اي اذ اصلت كما حقق في الكشاف وشروحه وانما عطف عليه ليفيد ان هذه الروعة تلحق من يفهمه ومن لا يفهمه مؤمنا كان او كافرا فما قيل من ان هذه الوجوه الاعجاز نظرا لانه معنى زائد على النظم مشروحة اذ في عد هذه اوجها مستقلا ما وجوه الاعجاز نظر لانه معنى زائد على النظم مشروحة بتدبره وهو في المؤمن واضح واما في الكافر فليقربه ليس بسديد فتمكن الفي السمع وهو شهيد وقوله عند سماعه يأباه والضمير للقرآن والهيبة بالرفع معطوف على الروعة والتحقيق انهما ليسا لخوف يقارنها اذ اخافه كما في القاموس وهو قريب من الروعة والتحقيق انهما ليسا بمعنى واحد كما في عروس الافراح قال ربما يتوهم ان الروع والمهابة واحد وليس كذلك بل الروع الفزع والمهابة الاجلال قال

اهابك اجلالا ومابك قدرة ... علي ولكن ملأ عيني حبيبها

وقال الشريف في قول السكاكي ادخال الروعة وتربيته المهابة المهابة يراد بها عرفا الحالة التي تكون في قلوب الناظرين الى الملوك وتربيتها تقويتها والروعة الخوف الذي يتجدد بملاحظتهم انتهى التي تقتريهم اي تطرء عليهم وتغشاهم عند تلاوته وقراءته والاول ناظر للسامع والثاني للقاري نفسه او هما بمعنى لقوة حاله اي لما فيه من الحالة المقوية باعتبار ما فيه من المواعظ والانذار وهذا ناظر للروعة عند من فهمه واما فخطره اي علو مرتبته على غيره من الكلام الذي يهابه سامعه فهو ناظر للهيبة ويمكن كل منهما لكل منهما وهي اي الروعة والهيبة وافرد الضمير لانهما شيء واحد او كالواحد على المكذبين به اعظم منهما على المؤمنين لشدة خوفهم منه كما قيل الخائن خائف والمؤمن واثق به فهو مستلذ به مطمئن قلبه بيسايره حتى كانوا اي المكذبون يستثقلون سماعها لصعوبة ما فيه عليهم ويزيدهم سماعه نفورا عن الحق والاصغاء اليه كما قال تعالى واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا اي ولوا معرضين عنه

لعدم ذكر الهتهم فيه **ويودون** اي يحبون **انقطاعه** اي قطع تلاوته عندهم **لكراهتهم له** لخبث طباعهم كما يضر رياح الورد بالجعل **ولهذا** المذكور من محبة انقطاعه وكراهتهم له **قال** صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الديلمي وغيره عن الحكم بن عمرو سيأتي بتمامه **ان القرآن صعب** في نفسه بمعنى انه لا يقدر احد على محاكاته وضبط الفاظه وحفظها بسهولة كما قال تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا **مستصعب** بفتح العين وكسرها اي عسير فهمه وتفسيره بالراي ولا يمكن تغييره وتحريفه لانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لانه ليس من جنس كلام البشر **على من كرهه** الباطل من الكفار والمنافقين **وهو** اي القرآن **الحكم** بفتحتين اي الحاكم الفاصل بين الحق والباطل بما تضمنه من الاحكام والبر والفاجر بما نصب فيه من الادلة الدالة على حقيته ولذا قيل له فرقان وهذا في حق غير المؤمن **واما المؤمن** فعادته تلاوة ما تقدر معلومة مما قبله **فلا تزال** روعته به بفتح اي اما غير المؤمن فلا يزال الصعب عليه لكراهته له واما المؤمن **فلا تزال** روعته به بفتح اي اما غير المؤمن فلا يزال الصعب عليه لكراهته له واما المؤمن فلا تزال روعته به بفتح الراء اي فزعه وخوفه من نزول اجره ومواعظه وهيبته منزله لحاصلة بسببه **وهيبته** اياه الضمير الاول للمؤمن والثاني للقرآن او بالعكس **مع تلاوته** اي قرائته من تلاه اذا تبعه او هو بمعناه اللغوي اي اتباعه لاوامره ونواهيه والتلاوة في العرف تختص بالقرآن وقيل لاختصاص به **تولبه** اي تعطيه من اولاه معروفا اذا اعطاه فهو بضم المثناة الفوقية وسكون الواو وكسر اللام المخففة **اجذابا** بنون وجيم وذال معجمة وموحدة من جذبه اذا اماله بشدة اي يستميل قلبه وسمعه لمحبته له وشبه الشيء منجذب اليه **وتكسبه** بضم التاء الفوقية وسكون الكاف **هشاشة** بفتح الهاء والشين المعجمة اي مسرة وخفة وليانا لما فيه من البشائر السارة والمعاني اللذيذة التي تجعله في نشاط **لميل قلبه** اليه **وتصديقه به** فهو دائما يرتع فكره منه في رياضات انيقة فاذا عرض ما ينافي ذلك ولو في الجملة ينزعج ويتأذى ويتألم **وقد جلس** الحسن ستر ونشط ثم استشهد لهذا بقوله **قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله** اي يعرض لجلود ابدانهم قشعريرة اي قيام من الخوف من مهيبته فاذا تأمله وتدبره لان قلبه وجلده لانسه وسروره به وكذا ترى بعض الصالحين اذا تلى القرآن تواجدوا وصاحوا وقد يتعدى ذلك الى الغشي وشق الثياب ونحوه ومثله لا ينكر ومن لم يذق لا يعرف ولا يبالي هذا انه لم يقع من الصحابة رضي الله عنهم لان مقامهم مقام تمكين وقد بسط هذا في الاحياء فان اردته فارجع اليه وعدي تلين بالى لما فيه من معنى الميل وذكر الجلود في الاول وضم اليها القلوب في الثاني اشارة الى ان الاول قبل التدبر التام فاذا تدبر لان وقر في قلبه وزالت تلك الحالة الظاهرة عنه **وقال** تعالى **لو انزلنا هذا القرآن على جبل** الاية يعني لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وهذا تمثيل لما فيه من الروعة التي تهد الجبال فما بالك بالجبال والاية مبينة في التقاسيم فلا حاجة للتطويل بذكر ما فيها **ويدل على انه هذا** اي ما يحدث للقلوب والاسماع من الروعة والمهابة **شيء يخص به** القرآن دون غيره من الكلام **انه من يقرئ** اي يطرق ويحدث من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره ممن لم يمارس كتبه ويقرؤها حتى يعثر على لطائفه ودقائقه فعلم من هذا ان تأثر السامع به ليس فيه وامر ربانيا ولذا كان ينبغي

قاريه

قاريه وسامعه وان لم يفهمه بخلاف غيره كما روي عن نصراني ليس من شانه فهم القران ولا الوقوف
علي تفسيره ففيه ايضاح لما قبله انه مر بقاري يتلو القران جهرا فوقف ليسمع قراته وهو يبكي
فقيل له مم بكيت وانما سيل عن سبب بكايه لانه لا يصدق به ولا يفهمه فقال للشجا والنظم
الشجا بفتح الشين المعجمة والجيم مقصور يقال شجي يشجي شجا وهو شجي اذا حزن او طرب او غضب
والثاني انسب هنا كما قاله البرهان والمراد بالنظم رايق انتظامه وحسن انسجامه فاثر ذلك
في نفسه وهو لا يفهمه حتي ابكاه وسمع بعض العرب بخراسان مغنية حسنة الصوت تغني
بالفارسية فشوقه ذلك واشجاه وقال

ومسمعة بحار السمع فيها ... ولا يفهمه لا يصمم صداها
ولم افهم معانيها ولكن ... ورت كبدي فلم افهم شجاها
فكنت كانني اعمي معني ... يحب الغانيات ولا يراها

ولم يذكر المص رحمه الله تعالي ان ذلك القاري قرا بصوت حسن حتي يكون تاثره وطربه
لنغماته وهو ابلغ وادل علي ما قصده وهذه الروعة الحاصلة عند سماع القران لمن لم يتدبره
فقد اعترت جماعة وحصلت لهم قبل الاسلام اي قبل اسلامهم وبعده ثم فصل حال
من اعترته الروعة قبل اسلامه لكنه تسمح في العبارة لان القبلية تقتضي عروض الاسلام
فلا ينافي قوله ومنهم من كفر وكذلك قوله بعده فعبارته لا تخلو من المسامحة وكان
الظاهر ان يقول اعترت جماعة منهم من اسلم ومنهم من بقي علي كفره بقوله فمنهم من
اسلم لها اي لهذه الروعة لاول وهلة بفتح الواو وسكون الها وهي المرة من الوهل وهو
الفزع يقال وهل منه واليه اذا فزع ثم قيل اول وهلة لاول ما يقرع السمع ويقع في الوهم
والفكر وهو المراد كما اشار اليه في الاساس واسلم بمعني اقر واعترف وامن به اي
صدق بقلبه ومنهم من كفر اي دام علي كفره لاصراره علي عناده لحماقته وجاهليته
وحكي في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان مسندا عن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل
ابن عبد مناف الصحابي رضي الله عنه وقد تقدمت ترجمته وانه اسلم في فتح خيبر او فتح
مكة انه قال سمعت رسول الله وفي نسخة النبي صلي الله عليه وسلم يقرو في صلاة
المغرب وذلك قبل اسلام الطور بسورة الطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شي
اي من غير خالق لهم كما تقول الدهرية ام هم الخالقون لانفسهم بشهادة قوله بعده ام خلقوا
السموات والارض وقرا الي قوله ام هم المصيطرون اي المدبرون للاشيا كما يريدون وبينهما
بل لا يوقنون ام عندهم خزاين ربك يقال مصيطر ومسيطر للسيد المالك كاد قلبي ان
يطير اي حدث عندي فزع وخوف شديد ظننت ان قلبي ذاب وفني حتي لم يبق معي وطيران
القلب يراد به نار شدة الخوف وهو المراد هنا لان القلب متحرك دايما لحرارته فاذا زالت
الحرارة الغريزية لخوف او شدة شوق وحب زاد خفقانه فيشبه حينيذ بطاير يخفق جناحه
كما قال القايل

كان قطاة علقت بين اضلعي ... لان فوادي دايم الخفقان

وقلت

عجبا لقلبي طاير فزعا ... وعليه ناحل اضلعي قفص

وعليه قول العرب افرخ روعه كما حقق في كتب اللغة وفي رواية اخري غير رواية الشيخين

وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وقربالقاف بزنة ضرب يعني سكن وثبت وذلك انه كان
مشركا في اساري بدر او في فدا اساراها فلما سمع الاية وفهمها علم ما فيها من برهان الايمان
القاطع لعرق الكفر لدلالتها على انه لا خالق يستحق العبادة الا الله فسكن قلبه بعد اضطرابه
حتى كاد يطير وهذه رواية البخاري ايضا في المغازي وفي رواية فصدع قلبي وفيه دليل على
صحة رواية المسلم ما تحمل حال كفره وفيه بيان لروعة القران لمن سمعه وان تلك الروعة
سبب لاسلامه وعن عتبة بن ربيعة هو ابو الوليد ابن عبد شمس بن مناف المشهور وهو ممن
قتل كافرا ببدر فلا يتوهم اسلامه بقوله الم عن عتبة هنا وهذا الحديث رواه ابن اسحاق في سيره
والبغوي في تفسيره انكم البني صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه يكبر لما في
السير من ان ابا جهل لعنه الله قال لقريش قد التبس علينا امر محمد فلو اتينا صنبا من كلمه فذهب اليه
عتبة وكان ذا راي وحزم وقال له يا محمد انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب فلم تشتمه
الهتنا وتسفه احلامنا وتضللنا وانت بنا بسطة قومنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء
وكنت رئيسنا وان كان بك الباءة زوجناك من بنات قريش وان كنت تريد المال جمعنا
لك من اموالنا حتى تكون من اكثرنا مالا وان كان بك رايئ لا تستطيع رده طلبنا لك الطب
وبذلنا فيه اموالنا او كما قال والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامه حتى فرغ فقال له افرغت
يا ابا الوليد قال نعم قال اسمع مني ما اقول فتلا عليهم اي على الوليد ومن معه او من علم
انه سيبلغه ما تلاه عليه وفي نسخة عليه بالافراد من سورة حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب
فصلت اياته الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اي الصاعقة
التي اهلكت قوم هود وقوم صالح فامسك عتبة على فيه اي ومنع يده على فم النبي صلى الله
عليه وسلم حتى يقطع كلامه وما تلاه عليه من هذه السورة لخوفه من وقوع ما انذرهم
به وفي نسخة فامسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف اي يسأله
مقسما عليه بالرحم وهي القرابة القريبة المقتضية للرحمة والتعطف عليهم من احلوا ما
ذكره من العقاب بهم يقال ناشدته وشددته اذا اقسمت عليه قسم استعطاف وفي رواية اخرى
لابن اسحاق في سيرته عن كعب الغزلي فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرؤ قال الراغب
جعل لفظ عام في الافعال كلها اعم من فعل وصنع واخواتها وتاتي على اوجه فتجري مجرى
صار وطفق فلا تتقدي تقول جعل زيد يقول كذا الخ فالمعنى انطلق في قراءة السورة وقوله
لا تتعدي اي من هي من افعال الشروع والفعل خبرها لا مفعولها والشروع لا ينافي
الاستمرار كما توهم وعتبة مصغر اسم فاعل من عتب بوزن سمع اي مستمع لقراءته منصبت
لها ملق بيديه خلف ظهره لاعتماده عليهما فقوله معتمد عليهما كالتفسير له حتى انتهى اي
وصل الى اية السجدة فسجد صلى الله عليه وسلم وقام عتبة من عنده لا يدري ما يرد به
اي يكلمه بعد تلاوته لروعته التي ادهشته بما سمعه منه صلى الله عليه وسلم ورجع الى اهله
اي دخل عتبة منزله ولم يقابل احدا ممن كان ينتظر خبره ولم يخرج من بيته الى قومه واستمر
في بيته حتى انوه لبسالوه عن انقطاعه عنهم ما سببه فاعتذر لهم عن عدم خروجه لهم
واخباره بما جرى له معه صلى الله عليه وسلم وقال فيما اعتذر لهم به والله لقد كلمني
النبي صلى الله عليه وسلم بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط اي مماثل له في حسنه
وجزالته وتاثيره في القلوب فما درى ما اقول له فنهضت الذي كفر والله لا يهدي

جمه

القوم الظالمين

القوم الظالمين وفيه دليل لما نحن فيه من الروعة والهيبة لمن بقي على كفره ممن اضله الله
على علم وفي رواية لما راوه قالوا والله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به
فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال ورائي اني سمعت قولا والله ما سمعت
مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة يا معشر قريش اطيعوني وخلوا بين
هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعته نبا عظيم
فان تصب العرب كفيتموه بعدكم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد
الناس فقالوا سحرك والله يا ابا الوليد قال هذا رايي فيه فاصنعوا ما بدا لكم وقد حكي
بالبنا للمجهول عن غير واحد اي عن كثير وغير الواحد شامل للقليل والكثير ولكنه
خص عرفا بهذا كما مر ممن رام معارضته اي قصد ان ياتي بالكلام يماثله في البلاغة انه
اعتراه اي حدثت له واصابته روعة وهيبة حتى تلاه وسمعه كف بها اي بتلك الروعة
والفزع عن ذلك اي المذكور من روم المعارضة ثم ذكر بعض من سخف عقله ممن هم بذلك فقال
فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه اي قصد معارضة القران والكلام بما يماثله وفي
المقتفي للبرهان الحلبي المقنع بضم الميم وفتح القاف والفا المشددة قبل العين المهملة
ولم يتعرض ابن ماكولا لبيان حركة الفا وهي مضبوطة في النسخ بالكسر والذي احفظه الفتح
وذكر ابن ماكولا شخصا يقال له مروان بن المقفع فليحرر هل هو هذا ام لا انتهى وهو
غريب من مثل هذا الحافظ فانه بالفتح من غير شبهة قال في القاموس لمقفع اليدين كمعظم
متشنجهما ومروان ابن المقفع تابعي وهو ابو عبد الله بن المقفع فصيح بليغ وكان اسمه
روزبه او رازبه ابن داود خنيس قبل اسلامه وكنيته ابو عمرو ولقب ابوه بالمقفع
فتقفعت يداه اي تشنجتا وهذا مما يعرفه الخاصة والعامة الا ان التلمساني قال في حواشيه
المقفع اليابس اليدين والرجلين من برد وقال ابن مكي في تثقيف اللسان
اما الصواب فيه المقفع بكسر الفا لانه كان يعمل القفاع جمع قفعة وهي شي يشبه
الزنبيل بلا عرق من خوص وليس بالكبير وقيل انه كان كاتب المنصور وهو اول من هذب
المنطق وقتله سفيان المهلبي لما ولي البصرة وحضره اهلها وفيهم ابن المقفع فذكر
عنده الوطيس فلم يعرفه وساله عنه من حضر فضحك ابن المقفع ثم انصرفوا فامر
ابن المقفع فذكر عنده الوطيس فلم يعرفه وساله عنه بالجلوس حتى خلا المجلس فامر
بتنور عظيم وامر بان يسجر وامر بطرحه فيه فاحترق كما في مشكاة انوار الخلفا وكان ابن
المقفع من جملة قوم زنادقة كانوا يجتمعون لذكر مطاعم القران وصياغة هذيان يعارضونه
بها كما اشار اليه المص بقوله وشرع فيه اي في المعارضة وذكره لان تانيث المصادر غير معتبر
لتاويله بان والفعل فمر بصبي يقرؤ وقيل يا ارض ابلعي ماءك وقد تقدم بيان بلاغتها
وما فيها من الاعجاز على ما في المفتاح وشروحه فمحى جميع ما عمل يعني غسله وابطل ما في
صحفه لما راها لا مناسبة بينها وبين شي من الكتاب العزيز وقال اشهد اي اقر واعترف
او اعلم كل احد ان هذا لا يعارض اي لا يقدر احد على الاتيان بمثله وما هو من كلام البشر
لظهور اعجازه وكان افصح اهل وقته فليس ممن قال ذلك بغير علم لمعرفته بصناعة الصياغة
والمراد بوقته زمانه وعصره الموجود فيه قال ابو الفرج ابن الجوزي نقلت من خط ابي
الوفا علي ابن عقيل الحنبلي صاحب الفنون قال وجدت في تعاليق محققة من اهل العلم

ان سبعة مات كل منهم وله ست وثلاثون سنة فعجبت من قصر اعمارهم مع بلوغ كل واحد منهم
الغاية فيما كان فيه وانتهي اليه فمنهم الاسكندر ذو القرنين وابو مسلم صاحب الدولة
العباسية وابن المقفع صاحب الخطابة والفصاحة وسيبويه صاحب التصانيف والتقدير
في علم العربية وابو تمام الطائي وما بلغ في الشعر وعلومه وابراهيم النظام المتعمق في علم
الكلام وابن الراوندي وما انتهي اليه من التوغل في المخازي فهولا السبعة لم يجاوز احد
منهم ستا وثلاثين سنة بل ابتنوا علي هذا القدر من العمر انتهي قلت ينظر الزركشي
فانه لم يجاوز الاربعين فانه مات في ست وثلاثين فيضم اليهم وكذلك شيخ الاسلام تقي الدين
السبكي فانظر الي مولفاته التي زادت علي اكثر من ثلاثين ما بين مبسوط ومختصر مات عن خمسة
وعشرين سنة فيضم اليهم وكان يحيي بن الحكم بفتح الحا المهملة وكاف مفتوحة بعدها وقيل
انما هو الحكيم بوزن الطبيب كما ذكره الذهبي وقال انه من شعرا الماية الثانية توفي بعد ماية وخمسين
ولست علي ثقة منه وذكره ابن خلكان في تاريخه وقال انه من شعرا الاندلس وذكره في الذخيرة
ايضا الغزال بالمعجمتين وراوه مشددة وقيل انها مخففة عند الذهبي ايضا في كتاب المشتبه
فعلي الاول هو وصف منسوب لصنعة الغزل وعلي الثاني هو علم منقول من اسم الحيوان
وهو بكري قرطبي الدار كان في زمن هشام بن الحكم اقول الذي ذكره ابن حيان
في المقتبس تاريخ الاندلس انه يحيي بن الحكم البكري الجياني لقب بالغزال في صغره لحسنه
وكان في الماية الثالثة حكيم الاندلس وشاعرها وله شعر في غاية الحسن وارتحل لمصر ثم عاد
للاندلس وعمر اي بلغ من العمر ماية وثلاثين سنة وارسل رسولا لبلاد الفرنج فاعجب ملكها
فنادمه وسالته امراته عن سنه فقال عشرين سنة فقالت له فما هذا الشيب فقال اما رايت
مهرا ولدا اشهب فضحكت والي هذا يشير بقوله في قصيدة

قالت اري فوديه قد نورا ... دعابة توجب ان ادعبا
قلت لها ما له انه ... قد ينتج المهر كذا اشهبا

قال وحكي انه اراد ان يعارض سورة الاخلاص فعرضت له حالة اوجبت توبته وهو ما ذكره
المص الاتي بليغ الاندلس في زمنه اي معروف بالبلاغة وفصاحة النظم والنثر في عصره
والاندلس بفتح الهمزة وضم الدال وفتحها وضم اللام ليس الا وهي معربة لم تكلم بها العرب
قديما وانما عرفها في الاسلام قال ياقوت في معجمه اشتهر علي الالسنة انها تلزمها
ال وقد وردت بدونها في قول بعض العرب

سالت القوم عن انس فقالوا ... باندلس واندلس بعيد

وهي بلغاتها لا نظير لها سو قلنا فعلل او فعلل والظاهر ان الهمزة زايدة لان بعدها
اربعة احرف ولو كانت عربية جاز ان يقال وزنها انفعل فان قلت قال
سيبويه انتحل الشيخ المسن ولا يعرف ما في اوله زيادتان لما ليس جاريا علي الفعل قلت
هو في العربي المحت وهي تجاه تونس ارض تحتوي علي بلاد وليست جزيرة الا ان البحر يحيط
بها من ثلاث جهات هي اكثرها فلذا سماها بعضهم جزيرة فحكي بالبنا للمجهول انه رام
شيا من هذا اي معارضة القران وسبح كلام علي منواله في الفصاحة فنظر في سورة الاخلاص
التي هي اقصر سورة اي تدبر في نظمها لياتي من عنده بمثلها وسميت سورة الاخلاص
لاشتمالها علي ما يجب اخلاص اعتقاده من التوحيد لذات الله وصفاته ليحذو علي مثالها

من حذوته

من حذوته بحا مهملة وذال معجمة اذا قمت بحذائه اي مقابلته وحذا النعل بالنعل اذا قطعها
بمقدارها وقالبها فالمعنى ليقول مثلها وفي الحديث لتركبن سنن من قبلكم حذو النعل
بالنعل اي تعملون مثل اعمالهم من غير زيادة ونقص فهو استعارة تمثيلية وينسج بزعمه
بزاي معجمة مثلثة وهو الظن واكثر ما يستعمل في الكذب فان زعم مطية الكذب على منوالها
هو بمعنى ما قبله والمنوال بكسر الميم خشبة ينسج عليها الثياب فهو استعارة تخييلية
ومكنية بتشبيه التكلم والكلام ببرود تنسج واثبت لها ما له من النسج والمنوال او هي تمثيلية
او تبعية وهو امر سهل قال اي ابن الحكم فاعترتني اي عرض لي في حال النظر خشية اي
خوف وتعظيم له ورقة اي رقة قلب وخشوع او ضعف ولين حملته التفات اذ الظاهر حملته
والحمل الالجا والقسر على التوبة عما كنت هممت به والندامة على ما عزم عليه والانابة اي الرجوع
عنه وفي نسخة والادبة وتركه لذلك لعلمه بانه امر لا يقدر عليه البشر فصل
ومن وجوه اعجازه المعدودة اي الذي عده العلما منها اشارة الى انه مسبوق بذكره كونه
اية ومعجزة باقية فسره بقوله لا يعدم ما بقيت الدنيا اي مدة بقايها الى قيام الساعة
وما ورد في حديث حذيفة من انه تاتي ليلة يرفع فيها القران لا يبقى في الارض منه اية
هو بعد نزول عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وظهور ياجوج وماجوج وهو في حكم
الساعة ووجود الدنيا حينئذ والعدم سوا وبقاوه ببقا تلاوته محفوظا من النسخ والتبديل
والتغيير وهذا فصل يتميز به عن ساير الكتب الالهية فضلا عن غيرها وما قيل من ان عد هذا من
وجوه الاعجاز لا وجه له فانه لا تعلق له بالنظم المعجز ساقط فان بقاوه كما ذكر من لوازم
اعجازه بعدم مشابهته لكلام البشر حتى يوتى بامثاله او يدخل فيه ما ليس منه او نقول
انه من جملة ما اخبر الله به عنه فهو من عينه فهو انسب بقوله مع تكفل الله تعالى بحفظه
فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والمراد بالذكر القران وضمير له لاله صلى الله
عليه وسلم فلما تولى حفظه بعظمته وجلال ذاته ولم يكله لغيره كغيره المقول فيه بما استحفظوا
من كتاب الله كما تقدم تابد وتايد حفظه لبقا حافظه ورفعة نعمة حفظه وقال لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه الاية فلا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات ما يبطله ولا يكون
قبله ولا بعده ما يكذبه او ينسخه وساير معجزات الانبيا والرسل عليهم الصلاة والسلام اي
بقيتها غيره انقضت اي مضت وذهبت بانقضا اوقاتها اي بعد عصرهم وزمن وجودهم
انعدمت فلم يبق الا خبرها اي الاخبار الماثورة عنها دون ذاتها ونفسها كعصى موسى
وناقة صالح وانفلاق البحر وغيرها مما هو مذكور في السير كما قيل

وانما المرء حديث بعده ۞ فكن حديثا حسنا لمن وعى

والقران العزيز اي المنيع المحمي بحماية من قاله الباهرة اياته اي الغالبة لغيرها والظاهرة
واياته بمعنى انواع معجزاته السالفة او كل اية متلوة منه فقوله الظاهر معجزاته على الاول
توضيح وتوكيد وعلى الثاني بيان وتاسيس باقية على ما كان عليه اليوم اي الى يومنا
هذا فتعريف اليوم للتعريف الحضوري كهذا الان والجار والمجرور خبر المبتدا وهو
القران والمراد باليوم عصر المولف كما اشار اليه بقوله مدة خمسماية عام وخمس وثلاثين
سنة وروي سبع بدل خمس والصواب الاول لانه روي ان تاليفه للشفا كان في ايام
قضائه في سنة خمس وثلاثين وخمسماية قال التلمساني هكذا نقله الثقاة عن ابي عبد

الله بن مرزوق ولم اسمعه منه انتهى لاول نزوله الى وقتنا هذا اي من ابتدا الوحي ونزول
القران على نبينا صلى الله عليه وسلم الى وقت تاليف المص لهذا الكتاب فاللام بمعنى من نحو
سمعت له صريحا اي منه كما ذكره النحاة ويدل عليه مقابلته بالى حجته قاهرة المراد بالحجة
نفس القران اي هو حجة غالبة لمن كفر به او المراد ما فيه من الحجج والادلة ومعارضته ممتنعة
اي الاتيان بمثله لا يمكن ولم يقع والاعصار كلها طافحة الاعصار جمع عصر بفتح فسكون
لا ضم وسكون لان جمع الجمع غير قياسي وطافحة بطا وحا مهملتين بينهما الف وفا من طفح
اذا فاض وتدفق باهل البيان متعلق بطافحة فان كان مجازا مرسلا بمعنى ممتلية فظاهر
وان كان استعارة تخييلية فعلى ان البيان مشبه بالما على طريق الكناية والمعنى ببيان اهل الكتاب
والمراد العارفون بايراد التراكيب البليغة على حسب مقاماتها وحملة اللسان حملة جمع حامل
ككاتب وكتبة وهو الحافظ اللسان بمعنى اللغة العربية وايمة البلاغة اي العلما بعلم البلاغة
من المعاني والبيان وقرض الشعر وغيره من العلوم الادبية وفرسان الكلام الذين لهم فطرة
مجبولة على القدرة على التكلم بكلام بليغ نظما ونثرا وفيه استعارة مكنية تخييلية
اذ شبه الكلام بجواد فاره والمتكلم برجل عارف برياضته والسبق به واثبته له وجهابذة البراعة
اي اساتذة الفصاحة الفايقة في بابها جمع جهبذ بكسر الجيم والبا وبينهما ها ساكنة واخره
ذال معجمة يقال رجل جهبذ اي عالم نحرير وهو لفظ معرب واصل معنى الجهبذ النقاد البصير
والسمسار الخبير فاستعير لما ذكر كذا قالوا والذي عندي في هذه التراكيب الخمسة ان المراد بها
اهل اللسان العارفون به بجبلة نقادة وطبيعة وقادة والعلما بعلوم العربية واللغة فالمراد
باهل البيان الفصحا وبالجملة علما اللغة وبالايمة البلغا الخطبا من العرب العربا وبالفرسان
الشعر واهل الانشا المحدثين وبالجهابذة العلما بقرض الشعر وانشا النثر فلا تكرار في كلامه
وان كان مقام خطابة يحمد فيه البسط والاسهاب ولذا كان هولا فرقتان مهتد لا يكد طبعه في
العناد وضده والملحد فيهم كثير الملحد اسم فاعل من الحد عن الحق اذا مال ومنه لحد القبر
والالحاد كما قال الراغب ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب والاول ينافي
الايمان ويبطله والثاني يوهن عراه ويحل عقدته والمعادي للشرع عتيد اي مهيا حاضر
باذل جهده في عداوته واعتد واعد متقاربان لفظا ومعنى اي مع كثرة من يريد المعارضة
فما منهم من اتى بشي من الكلام يؤثر اي يحفظ وينقل في معارضته الاتيان بما يماثله ولا الف
كلمتين في مناقضته المناقضة التكلم بما يخالفه ويبطله ومنه نقايض جرير كما تقدم وهي
المراجعة والمحاورة ولا قدر فيه على مطعن صحيح اي لم يعبه ولم يعترض عليه باعتراض
يسمع منه وقد فعل ذلك بعض الزنادقة فافتضح وصار مسخرة كما بين في مطاعن القران
التي ذكرها السلف ولا قدح القدح ذكر المعايب يقال قدح في نسبه وعرضه اذا ذمه وقدح الزناد
ضربه لاجل النار والمراد الاول لكن فيه تورية بالثاني لقوله المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند
شحيح والمتكلف هو الذي لا يحسنه بكلفة منه والذهن قوة الفكر وذلك اشارة الى القدح
والطعن والشحيح البخيل استعارة للزند الذي لا يخرج منه شرر منيره اي لم يفده قدحه
شيا غير الخيبة يقال زند شحيح اذا كان لا يورى ولله در المص ما الطف صنعه ومن لم يذق
حلاوة كلامه قال لو قال ولا ضرب المتكلف بسيف ذهنه الا ارتد وهو جريح وحسن استعارته
كون الذهن يوصف بالتوقد والاشتعال كما قيل

ويكاد

ويكاد يحرقه توقد ذهنه • لولا مياه الجود فيه والندا •

لكن لا تعدم الحسناء ذاما فما ابلغ السكوت في محله بل المأثور والمنقول عن كل من رام ذلك
اي قصد الطعن فيه تذكر ما يؤدي زكاة حمقه القاؤه في المعجز بيديه الالقا بالقاف بمعنى الرمي
ومفعوله محذوف اي القاؤه نفسه ورميها في مهالك العجز ومهاويه فشبه العجز ببئر
ونحوها مما يهلك الواقع فيه وبيديه متعلق به اي هو الرامي والطارح لنفسه وقيل معناه
القي نفسه بهما في العجز وللزومه له جعله ظرفا له وهو معنى ركيك وقول التلمساني انه
الغا بالغين المعجمة من لغو الكلام الذي يحسن السكوت عنه لا عليه والنكوص على عقبيه
اي المأثور الرجوع عما قاله بالاعتراف بعجزه يقال نكص على عقبيه وهما موخر الرجل اذا
رجع القهقري وقال الراغب النكوص الاحجام عن الشي وفي القاموس نكص على عقبيه رجع
عما كان عليه من خير فهو خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهري في اطلاقه وقيل عليه
ان قلت معارضة القران شر فكيف يكون الرجوع عنها نكوصا على العقبين قلت
هو مبني على زعمه او هو تهكم به كما اطلق على رجوع الشيطان يوم بدر عن اعانة قريش
على النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه
على ان الاصح جواز اطلاقه على خلافه نادرا **اقول** هذا استعارة من رجوع
القهقري لانه معنى الرجوع على العقبين حقيقة فتجوز به عن العود الى حاله الاول
مطلقا شرا كان او خيرا فالحق ما قاله الجوهري **فصل** وقد عد جماعة من
الايمة ومقلدي الايمة ضبطه بفتح لام نقلد ليناسب ما قبله وقيل انه بكسرها والمراد
بالاول المجتهدين ولك ان تقول انه اشارة الى ضعف اقوالهم في اعجازه وجوها كثيرة
منها ان قاريه لا يمله اي يسام طبعه من كثرة قراته ولو اعاده مرارا كثيرة مع ان الطباع
جبلت على معادات المعادات وسامعه لا يمجه اي لا يكره تكراره على مسامعه يقال
مج الشراب ونحوه اذا رماه من فيه فالمج حقيقته طرح المايع من الفم فان كان غير مايع
يقال لفظه فاقيم الاذن مقام الفم واللفظ مقام الما لرقته ولطفه وهي استعارة لطيفة
كما قال الغزي وقد تقدم

وتغير المعتاد يحسن بعضه • للورد خد بالانوف يقبل •

فاستعير لتركه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية فكانه كالنفس الذي تكرره لا يمل
منه لانه مادة الحياة كما قال المعري

ردي حديثك ما امللته مستمعا • ومن يمل من الانفاس ترديدا •

ومجه يمجه بضم ميم المضارع كقتله يقتله فهو من باب قتل بل الاكباب على تلاوته اي
ملازمة قراته وتكراره فهو مجاز من الاكباب وهو الوقوع على الوجه كما قال تعالى افمن
يمشي مكبا على وجهه وفي اختياره على الوقوع اشارة الى توجهه اليه قال لبيد

ينوح الهالكي على يديه • مكبا يجتلي نقب الفصال •

يزيده حلاوة اي تزداد قراته تزيده حلاوة ففيه ترق من عدم الملك الى زيادة حلاوته
واصاب به المحز لان ما يمج يكون مرا وما لحا يكرهه الطبع وهو قول الشاطبي رحمه الله

وجبر جليس لا يمل حديثه • وترداده يزداد فيه تجملا •

وترديده اي اعادته وتكريره يوجب له محبة لزيادة حلاوته وحسنه لا يزال كلما كرر غضا

اي جديدا وهو مجاز عن غض الصوت والطرف قال جارية شبت شابا غضا طريا اي رطبا
ناعما فلا تتغير بهجته ونضارته قال الشاطبي رحمه الله

واخلق به اذ ليس يخلق جدة ۞ جديدا مواليه على الجد مقبلا

فكانه في كل مرة قريب عهد بالنزول وغيره من الكلام ولو بلغ من الحسن والبلاغة مبلغه
اي لو فرض ان بعض كلام البشر وصل الى رتبته في البلاغة يمل بالبنا للمجهول اي يمله قارئه
وسامعه مع الترديد اي مع التكرير مرارا ويعادي اذا اعيد اي يكره ويثقل وتنفر منه النفس
كما تنفر ممن يعاديها وهذا على فرض المحال والا فقد تقدم انه لا يوجد مثله ولا ما يقرب
منه واين الثريا عن يد المتناول وكتابنا معاشر الامة المحمدية النازل الينا بواسطة نبينا
صلى الله عليه وسلم وهو القران مستلذ به في الخلوات اي يجد قارئه لذة فاذا اختلى
بقراته وخص الخلوة لانها محل اجتماع الحواس واطمينان القلوب بذكر الله فهو فيها اعظم
لذة وان كان له لذة ايضا بقراته بين الناس ايضا ويونس بالبنا للمجهول اي يجد به انسا يدفع
وحشته في الازمات جمع ازمة وهي الشدة كما في حديث اشتد ازمة تنفرجي ولام خلوة
وزاي ازمات ساكنتان في المفرد والجمع لانه اذا جمع على فعلات يسكن في الاسما ويحرك
في الصفات كما بين في التصريف والضمير في كتابنا لجماعة المومنين لا للتعظيم لانه لا يناسب
المقام قيل ولو قال كتابنا يستانس به في الخلوات ويستعان به على الازمات كان احسن وما
قصده المص اعلا مما قاله لان الخلوة انسب باللذة وقرينتها لان المرء يستلذ الخلوة بمن يحبه

ولذة الاحمق مكشوفة ۞ يسعى بها كل عدو رقيب

والشدايد لا تجد فيها رفيقا يعين عليها ويدفع كربها والمعالي قليلة الرفقا ولكل وجهة
وسواه من الكتب سوى اذا ضم اوله او كسر قصر واذا فتح مد والرواية على القصر وهو
بمعنى غير لكنه تفنن فعبر في الاول بغير وفي هذا بسوى والظاهر ان المراد بالكتب الكتب
المنزلة قبله كالزبور لا يوجه فيها ذلك اي اللذة والانس المذكورين حتى احدث اصحابها
اي اخترعوا والفوا والمراد باصحابها من يقرؤها لها لحونا اي للكتب التي يدرسونها
واللحون جمع لحن واحد الحان الاغاني والنغمات التي تزين بها الاصوات وتوزن بضروب
الموسيقي على مقاماتها وشعبها مما هو معروف عندهم يقال لحن في قراته اذا طرب وللحن
معان منها هذا والايماء والرمز وان اشتهر في خطا الاعراب والمراد به هنا ترجيع الاصوات
للتطريب والغنا تحسينا للقراة والشعر وفي الحديث اقرؤا
القران بلحون العرب واصواتها واياكم ولحون اهل الفسق واهل الكتابين يعني اليهود
والنصارى يقرؤن كتبهم بنحو من ذلك وهكذا يفعل اهل مصر بقراتهم في مجامع الناس المعروفة
بالحوق وهي مما حرمه الفقها وشددوا النكير على فاعله وهو لا ينافي قوله صلى الله عليه
وسلم ليس منا من لم يتغن بالقران على احد المعنيين فان المراد به الحان العرب المذكورة
من غير تمطيط وتغيير كما فصل في ادب القاري وطرقا جمع طريق وهو ما يجري على قانون
الموسيقي وضروبها الموزونة يستجلبون اي يطلبون وجودها او يجلبونها لهم ولمن يسمعهم
بتلك اللحون والنغمات تنشيطهم اي وجود نشاطهم وطربهم على قراتها اي على تطويل
قراتها وزيادتها او على ان يقراها غيرهم كقراتهم ان اريد باللحون تغني القاري نفسه
ويحتمل ان يريد بما احدثوه ما يكون مع القاري من الات الطرب كالمزامير وما يسمى ارغنون

من اوتار

من اوتار كثيرة تضرب مع القراة ويا تلف بعضها ببعض حتى كان القاري على نغماته على قرين
الآته • يملي على عوده انغامه • وتراه يعرك اذنه ان قصرا •
ولهذا اي لما اختص به القران من عدم مثل قاريه وما بعده وصف رسول الله صلى الله عليه
وسلم القران في حديث رواه الترمذي عن علي كرم الله وجهه بدون قوله الآتي هو الذي
لم تنته الجن الخ بانه لا يخلق بفتح اليا وضم اللام اي لا يبلى ويتغير حاله بمرور الزمان ويجوز
فتحهما وضم اوله وكسر ثالثه من اخلق بمعنى خلق لانه ورد متعديا ولازما فلامه مثلثة
بمعنى واحد ومع بمعنى مع كثرة الرد والرد كالترديد بمعنى كثرة التكرار في قراته ورده
ورد ده بمعنى كرره وكثرة التكرار في العادة تؤثر وتفني ما كرر كالثوب اذا تكرر لبسه
كما قيل
اما ترى الحبل بتكراره • في الصخرة الصماء قد اثرا •
وفيه استعارة مكنية وتخييلية لتشبيهه ببرد رقيق يلبس يتجمل به والمراد به اما الملل
منه فهو بمعنى ما تقدم من ان قاريه لا يمله وكل مكرر يمل او لا يتغير بتحريف ونسخ
ولا ينسى وقد ورد ان بعضهم كرر اية واحدة طول ليله ولا تنقضي غيره بكسر الغين
المهملة وفتح البا الموحدة جمع عبرة بكسر بسكونها والمراد بها عجايبه او مواعظه التي
يعمل بها ويعتبر وهو عبارة عن كثرتها وبقايها والثاني اولى لئلا يتكرر مع قوله ولا تفنى
عجايبه اي لكثرتها لا تنفد وتنتهي جمع عجيبة وهي ما يتعجب منه فكلما اعدت النظر فيها
ظهر لك ما هو اغرب واعجب مما عرفته اولا هو الفصل اي الجد الفاصل بين الحق والباطل
يقال كلام فصل اي حق مبين محكم او المفصول المتميز من غيره فهو فعل بمعنى فاعل او
مفعول ليس بالهزل كما قال تعالى وما هو بالهزل اي ليس فيه لعب ولا كلام سخيف وهو
في الاصل من الهزال ضد السمن فكله فهو كله سمين لا غث فيه لما فيه من الاوامر والنواهي
التي يهابها سامعها لا تشبع منه العلما اي لا تستغني عنه ولا تزال تستنبط منه معاني
وفوايد في كل حين وفي الحديث منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب
دنيا فشبهه بما تولد به قوام حياته الا ان كل ماكول يشبع اكله اذا امتلات جوفه وهذا مخالف
لذلك ففيه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية فموايد فوايده ممدودة والوان لذايذه
غير مقطوعة ولا ممنوعة ولا تزيغ به الاهوا بفتح المثناة الفوقية وزاي وغين معجمتين
بينهما تحتية ساكنة من زاغ اذا مال وعدل عن منهجه والاهوا بالمد جمع هوى وهو ما تهواه
وتشتهيه الانفس من الضلال اي لا يضل من اتبعه ويميل الى هوى نفسه الامارة ولا
تلتبس به الالسنة جمع لسان وهو الجارحة المعروفة شاع في الكلام واللغات فالمعنى انه
لا يشبه غيره من الكلام فلا يمكن اختلاطه به وادخاله فيه لان اسلوبه ونظمه لا يشبه غيره
والمراد انه لا يمكن ان يدس فيه دسيسة وقيل المعنى انه لا يعسر قراته على المومنين وهو
بعيد لان افتعال من اللبس وهو الاشتباه وقوله هو الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا
اصل معنى انتهى بلغ النهاية وهي اخر الشي وغايته ويكون بمعنى كف وترك وهذا هو المراد
هنا اي لم يكف الجن عن هذه المقالة ولم يترك شيا بادر اليه واقبل عليه ولذا قيل معناه لم
يلبثوا وان مصدرية بفتح الهمزة ومحله نصب او جر بتقدير عن وما قيل انه في معنى العلة
اي لم ينتهوا عن القول من اجل قولهم لقومهم اذا رجعوا اليهم فيه خلط وخبط

انا سمعنا قرانا عجبا اي عجبا في بلاغته وعلو رتبته وبركته وعزته يهدي الى الرشد اي يدل على
الصواب من الايمان والتوحيد وهو تبليت لقريش اذ مكثوا سنين مع معرفتهم بالفصاحة
لم يفهموه وهولا الجن بمجرد سماعهم من غير توقف امنوا به وقال البرهان كانوا سبعة
شاصر وماصر ومنشي وماشي والاحقب وهولا الخمسة ذكرهم ابن دريد في مناقب عمر بن
عبد العزيز قال بينما هو يمشي بفلاة اذا هو بحية ميتة فكفنها بفضل ردائه ودفنها فاذا
قايل يقول يا سرق اشهد بالله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستموت
بارض فلاة ويدفنك رجل صالح فقال عمر رضي الله عنه من انت رحمك الله قال رجل من الجن
الذين سمعوا القران من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق منهم الا انا وسرق وهذا سرق
قد مات وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه كان في نفر من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يمشون فرفع لهم اعصار عظيم ثم انقشع فاذا حية قتيل فعمد رجل
منا الى ردائه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل اذا امراتان تسالان ايكم
دفن عمرو بن جابر فقلنا ما ندري من عمر فقالتا ان كنتم ابقيتم الاجر فقد وجدتموه ان فسقة
الجن اقتتلوا مع مومنيهم فقتل عمرو وهو الحية التي رايتموها وهو ممن استمع القران من
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذهبي الذي دفنه بالعرج صفوان بن المعطل وهو من
الصحابة وسماه عمرو ابن طارق ومن لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم مومنا منهم عد
من الصحابة والاعتراض بانه يقتضي ان يعد منهم الملايكة ايضا كجبريل وميكايل رده
الذهبي بانه ارسل اليهم ولم يرسل للملايكة وبيانه يحتاج لتفصيل ليس هذا محله ومشى
شيخنا الرملي على مقتضى كلام الذهبي تبعا لوالده والمعتمد خلافه فارساله صلى الله عليه وسلم
عام لكل الخلق حتى الجن وهولا من جن نصيبين بلدة بالجزيرة لا باليمن كما قيل والكلام على الجن
مبسوط في كلام كتاب لفظ المرجان في احكام الجان وسياتي بيانه في الكلام على نطق الشجر ومنها
اي من وجوه اعجازه التي ذكرها بعضهم جمعه لعلوم ومعارف اي علوم كلية كانت في الامم
السالفة كعلم النجوم ودقايقه وعلم الطب كما في قوله لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر
وقوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا والمعارف الجزئية كالاخبار عن قصة يوسف عليه الصلاة
والسلام وتفصيلها ممن لا يعرفه الا من شاهدها ومن ذلك ما قيل ان قوله تعالى ظل ذي
ثلاث شعب انه اشارة الى شكل المثلث وبعض احكامه المذكورة في الهندسة وفيه اشارة الى انه
لا يفهم تفسيره الا من تضلع من جميع العلوم لم تعهد العرب بالبنا للمفعول اي لم تعرف في
عهدها وزمانها عامة اي جميع العرب وعامة منصوب على الحال لافادة العموم مثل كافة
وطرا ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته ونزول الوحي عليه خاصة اي لم يعرف له صلى
الله عليه وسلم بخصوصه علم بها قبل البعثة اما بعدها فقد اطلعه الله على علوم الاولين
والاخرين بمعرفتها متعلق بتعهد والضمير للعلوم والمعارف ولا القيام بها ومداومته عليها
ولا يحيط بها احد من علما الامم اي لم يحط علم احد من علما السلف كالحكما والاخبار من اهل
الكتاب بشي منها ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم اي لم يدون قبله حتى يقال انه اخذ علمه
منها وفسر ما ذكره بقوله فجمع فيه من بيان علم الشرايع جمع مبني للمجهول اي جمع الله
في كلامه ما ذكر والشرايع جمع شريعة وهي والملة والدين بمعنى متحد الماصدق متغاير المفهوم
وهي وضع الهي سايق الى ما فيه الخير في الدارين منقولة من الشريعة وهي موردة الماء

او الطريق

او الطريق الواسع كالشارع والتنبيه على طرق الحجج العقليات اي تنبيه الناس وارشادهم الى نصيب
الادلة العقلية وكيفية التزام الخصم بها كما في قصة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ونظره الكواكب لاقامة
الحجة على وجود الصانع وكما في قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وغيره مما لا يحصى كما ياتي
بيانه والرد على فرق الامم الضالة ممن عبد الكواكب وغيرهم ببراهين قوية محكمة الالزام جارية
على قانون المناظرة والجدل واداب البحث بينة ظاهرة سهلة الالفاظ يفهمها كل من سمعها
تكاد من عذوبة الالفاظ تشربها مسامع الحفاظ كما مر موجزة المقاصد قليلة الفاظها الدالة
على معانيها المهمة الكثيرة فليس فيها اختصار مخل ولا عبارة مغلقة رام المتحذلقون بعد بالبناء
على الضم اي بعد الوقوف عليها والمتحذلقون بزنة اسم الفاعل بحا مهملة وذال معجمة ولام وقاف
وهو مدعي الحذق وهو سرعة الفهم اي قصد مدعي الذكا في العلم واقامة البراهين يقال حذلق
اذا اظهر الحذق وادعى اكثر مما عنده كتحذلق فهو ماخوذ من الحذق ولامه زايدة ان ينصبوا
ادلة مثلها نصب الدليل واقامته ذكره في مقام المخاصمة فلم يقدروا عليها اي لم يكن لهم قدرة
على الاتيان بمثل ادلته وبراهينه كقوله اوليس الذي خلق السموات والارض رد على منكري الحشر
والمعاد الجثماني اي من قدر على اختراع مثل هذه الاجرام العظيمة من العدم بقادر على ان يخلق
مثلهم اي مثل هذه الاجسام الحقيرة الصغيرة ويعدها وهو اهون عليه كما قال تعالى لخلق
السموات والارض اكبر من خلق الناس فهذه حجة ظاهرة وقوله قل يحييها الذي انشاها
اول مرة اي من اوجدها من عدم محض قادر على اعادتها واحيائها بطريق الاولى وفي هذا ايضا
حجة باهرة منها قوله لو كان فيهما اي في السما والارض الهة الا الله لفسدتا فلو تعددت
الالهة فسد نظام العالم وبطل وفيها برهان قوي قطعي وليس اقناعيا كما في شرح العقائد
ويسمى برهان التمانع وفي بيانه واعرابه كلام مفصل لا يسعه هذا المقام وقد افرد بالتاليف
خاتمة المحققين مصلح الدين اللاري فحسبك من القلادة ما احاط بعنق التقليد فالكل
مقام مقالا الى ما حواه اي مضموما ما ذكر من البراهين الى ما اشتمل القران عليه من علوم
السير جمع سيرة وهي الطريقة والاخلاق الحميدة ويخص في العرف بالغزوات واخبار الجهاد
ولكل وجهة هنا وانبا الامم اي اخبار من مضى منهم والمواعظ والحكم اي امور الترغيب
والترهيب وجوامع الكلم المحكمة المرشدة التكميل النفوس الملكات الفاضلة واخبار الدار
الاخرة من الجنة والنار والحشر واهوال الموقف وغير ذلك ومحاسن الاداب جمع ادب وهو
الاوصاف المحمودة التي يشرف صاحبها والشيم بشين معجمة ومثناة تحتية وبهمزة ايضا بزنة
عنب جمع شيمة وهي الطبيعة واهل مصر تستعملها بمعنى دارت الما كقول القيراطي رحمه الله تعالى

لك يا نيل مصرنا • كرم اخجل الديم • انت فينا حقيقة • ظاهر الوصف والشيم •

وهي لغة عامية لا اصل لها قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شي اي لم نترك شيا يحتاج
اليه الا بيناه في القران بنا على ان المراد بالكتاب القران لا اللوح المحفوظ كما قيل والتفريط
الترك المخل ضد الافراط وهو يتعدى بفي من غير تضمين معنى اغفلنا كما توهم والمعنى انه
مشتمل على جميع ما يحتاج اليه اجمالا تصريحا وتلويحا كما بينه المفسرون ومن زايدة بعد النفي
في المفعول الذي تعدى اليه بتضمين تركه ونحوه ثم اردفه باية توبيخا ان المراد بالكتاب
القران فقال ونزلنا عليك يا محمد الكتاب تبيانا لكل شي بمعنى مبين ولا ثاني له غير تلقا على كلام
فيه مر ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل ضرب المثل معلوم اي اتينا لكل امر مهم بمثال

يوضحه لما في ضرب الامثال من الفوائد المهمة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الترمذي عن علي رضي الله عنه تقدم بعض منه واورد بقيته هنا مع زيادة فيه ان الله انزل
القران من اللوح المحفوظ منجما بحسب المصالح وانزل ونزل يستعمل كل منهما بمعنى الاخر فاذا
جمع بينهما اوقات قرينة اريد بالانزال الدفعي وبالتنزيل التدريجي كما فصلوه امرا بالمد حال
من الفاعل او المفعول على الاسناد المجازي وزاجرا اي مانعا وكافيا وناهيا والزجر الطرد
بصوت ثم يستعمل تارة في الطرد واخرى في الصوت كما قاله الراغب وسنة خالية اي طريقة
متبعة مستقيمة لمن كان قبلكم من الامم من خلا بمعنى ذهب ومضى ويكون بمعنى تفرغ ومثلا
مضروبا جعله عين المثل مبالغة لكثرة اشتماله على الامثال كغيره من الكتب الالهية وهي مقررة
لما مثل له لتنزيل المعقول منزلة المحسوس قال البيضاوي ولا مر ما اكثر الله والانبيا والحكما في كلامهم
من الامثال وقوله فيه نباوكم بالرفع كالمعطوف عليه ان كان نايب فاعل مضروبا فهو بتقدير
مضاف اي مثل نبايكم وان كان مبتدا ففيه خبر مقدم والجملة حالية وتغيير الاسلوب يحتاج
لنكتة فكانها الاشارة الى انها حالة اخرى غير مختصة بالقران كالتي قبلها والنبا الخبر عن
امر عظيم والخطاب للامة وقيل للصحابة رضوان الله عليهم وخبر ما كان قبلكم عبر بالخبر تفننا
واشارة لشرف هذه الامة وما شامل لمن يعقل تغليبا للاكثر او لصفات من يعقل كقوله وما
ملكت ايمانكم ونبا ما بعدكم اي ما بعد النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم او
لما يقع بعدهم من الفتن واشراط الساعة وغير ذلك الى يوم القيمة وحكم ما بينكم اي بيان
للاحكام فيما يقع ويحدث بينكم معاشر هذه الامة المحمدية وهو بضم الحا المهملة وسكون
الكاف لا يخلقه طول الرد تقدم معناه وانه بضم اوله وفتحه من الثلاثي والمزيد اي يبليه
ويفنيه تكرار تلاوته ولا تنقضي عجايبه هو الحق ليس بالهزل تقدم تفسيره من قال به
صدق اي من اختار ما فيه وحكم به فقد اتى بامر صادق لا ريب فيه وفي القاموس
قال به غلب ومنه سبحان من تعطف بالعز وقال به وهذا لا يناسب قوله صدق ومن حكم به عدل
اي قضى بما فيه من الاحكام فهو عادل فانه حكم الله وما ربك بظلام للعبيد ومن خاصم به
اي خاصم بحجة وادلة ماخوذة منه فلج اي غلب وفاز بالنصر على من خاصمه وهو بفتح
الفا واللام وبجيم يقال فلج اذا فاز وظفر بالغلبة ومن قسم به اقسط قسم بفتح القاف
والسين المخففة اي من تولى قسمة امر فقسمها بما في كتاب الله كقسمة المواريث والغنايم
وغيرها عدل يقال قسط اذا جار واقسط بالهمزة اذا عدل فهو مقسط فالهمزة للسلب
كاشكيته اذا ازلت شكايته وهو ماخوذ من القسط وهو الميزان كالقسطاط وفي الحديث ان الله
يخفض القسط ويرفعه وهو تمثيل ويقال قسط اذا عدل ايضا فهو من الاضداد ومن عمل
به اجر بالبنا للمفعول اي حاز الاجر والثواب الجزيل ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم
هو كقوله فقد استمسك بالعروة الوثقى ففيه استعارة مكنية وتخييلية هنا بتنزيل المعقول
منزلة المحسوس لايصاله لمن اقتدى به الى الطريق الحق وهو الصراط المستقيم الذي لا عوج
فيه ولا ضلالة ومن طلب الهدى من غيره كعقله واقوال غيره اضله الله اي جعله شقيا ضالا
لعدوله عن الطريق الحق ومن حكم بحكم غيره قصمه الله اي قتله واهلكه هلاكا شديدا واصل
معنى القصم القطع بابانة وانفصال فاستعير لما ذكر ويجوز في هذه الجملة ان تكون خبرية
ودعائية انشائية هو الذكر الحكيم الذكر بمعنى القران والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليهما

اوسمي

اوسمي باسم قايله تفعيل بمعني فاعل او المحكم الذي يهتدي بانواره العقول الي الخروج من ظلمة
الجهل والضلالة **والصراط المستقيم** اي الموصل الي السعادة الابدية فيصل الناس به ومنه الي
المقصد الاسني كما تصل من الطريق الي ما تريد من الدار ومنازلها **وحبل الله المتين** اي عهده
وامانه الذي يومن العذاب وكل ما يكره ويشق علي النفس ويتوصل به الي ما ينجيه ويوصله
لمطالبه والمتين بمعني القوي المحكم يقال متن اذا صلب **والشفا النافع** اما ان يراد بالشفاء
ظاهره لانه يسترقي به فيشفي من بعض الامراض او يراد به مطلق النفع علي طريق المجاز
كالمشفر او علي طريقة الاستعارة بان يشبه الجهل بالداء ويجعل ما يزيله كالدواء والعلاج
النافع الذي لا سقم بعده لنفعه في الدنيا والاخرة **عصمة لمن تمسك به** بكسر العين وسكون
الصاد المهملتين فعلة من العصم وهو الامساك والاعتصام التمسك ويجوز ضم عينه ايضا
والاكثر الافصح الكسر ويجي العصمة بمعني السوال ومنه العصم لانه محلها والمراد انه حام
ومانع لمن اتبعه وعمل به عن ارتكاب الفاحشة والزلل **ونجاة لمن اتبعه** اي منج له ومخلص مما
يخشاه **لا يعوج** بفتح اوله وتشديد جيمه ورفعه اي ليس فيه خلل لفظا ولا معني كما قال تعالي
ولم يجعل له عوجا والعوج بفتحتين الميل والانعطاف المدرك بالبصر ويكسر اوله ما يدرك
بالبصيرة **فيقوم** بالنصب في جواب النفي اي لا يحتاج الي تقويم يزيل عوجه فليس كساير
الكلام المحتاج للاصلاح **ولا يزيغ** بمعجمتين بوزن نصير اي لا يميل عن الحق والصواب
فيستصعب بالنصب اي لا يستحق العتاب واللوم لعدم خروجه عن الاستقامة والعتب
مخاطبة ادلاله وموجده ففيه استعارة مكنية وتخييلية وفي رواية الترمذي ولا تزيغ به
الاهوا اي تميله **ولا تنقضي عجايبه ولا يخلق علي كثرة الرد** تقدم بيانه **ونحوه** اي نحو هذا
الحديث المروي عن علي كرم الله وجهه ما رواه الحاكم **عن ابن مسعود وقال** اي ابن مسعود
رضي الله عنه **فيه ولا يختلف** اي لا يقع فيه ما يخالف بعضه بعضا مع طوله وبعد عهده
ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا **ولا يتشان** بفتح اليا التحتية والتاء
الفوقية والشين المعجمة والف بعدها نون مشددة تفاعل من التشن به وهو القربة البالية
فهو مستعار للبلاء والفنا بمعني قوله في الرواية الاخري لا يخلق علي كثرة الرد وفي رواية
لا تفه ولا يتشانا والتفه الحقارة وشي تفه حقير كذا هو في اكثر الروايات وصححوه وفي
نسخة ولا يتشانا بياء تحتية مفتوحة او مضمومة وتا فوقية مفتوحة وشين معجمة والف بعدها
نون وهمزة من الشان وهو البغض والعداوة فاستعير لتنافر الكلمات وعدم تناسبها
حتي كان بينها عداوة او لتخالف معانيه فهو كقوله ولا يختلف معني وهو معني ظاهر مكشوف
فما قيل ان الصواب هو الاول ان ارادوا بحسب الرواية فمسلم وان ارادوا بحسب الدراية
فلا وجه له **فيه نبا الاولين والاخرين** تقدم بيانه بما يغني عن اعادته **وفي الحديث** الذي رواه
ابن الضريس في فضايل القران عن كعب الاحبار انه قال في التوراة انزلت علي محمد فذكره
واخرج ابن ابي شيبة في المص عن مغيث بن سمي مرسلا انزلت علي توراة الخ **قال الله عز
وجل لمحمد صلي الله عليه وسلم اني منزل عليك توراة** اي كتابا سماويا شبيها بالتوراة
لكثرة ما اشتمل عليه من الاحكام والمواعظ والوعد والوعيد والاقبال والحكم والعقايد
اليقينية فاطلاق التوراة عليه استعارة تصريحية او مجازا مرسلا او حقيقة ان قلنا
انه عبراني معناه كتاب وانما عبر به لشهرته وعظم شانه فانه اجل كتاب نزل قبل القران

ولشهرته بين اليهود من اهل الكتاب الذين هم اقرب اليه وهو حديث قدسي نزل عليه صلى الله عليه وسلم
قبل الوحي او في ابتدا امره حديثة اي قريبة عهد بالنزول وهو كقوله ما ياتيهم من ذكر من ربهم
محدث فلا دليل فيه لمن يقول بحدوث القران ولما كان كلام الله يسمى نورا وشفا قال تفتح
بها اعينا عميا اي ترشد بها من كان في ضلالة كالاعمى لعدم اهدائه للحق واذانا صما
اي وتسمع بها اذانا لا تسمع الحق فتقبله وقلوبا غلفا لا يصل اليها ما يهديها الى السعادة لانها
في غلاف وغشا مانع عن وصول الحق اليها وعن الفهم وقد تقدم بيانه فسمى ازالة المانع مطلقا
فتحا او هو من قبيل قوله متقلدا سيفا ورمحا فيها اي في التوراة بمعنى القران ينابيع العلم
جمع عالم ينبوع وهي العين التي ينبع منها الما الجاري فشبه العلم النابع بالما الذي تحيى به
النفوس على طريق الاستعارة المكنية واثبت له الينبوع على طريق التخييل وفهم الحكمة
اي ما يفهم الحكم وهي المواعظ وكل كلام محكم نافع جعل الفهم كانه فيها مبالغة لكونها
ينبوعه ومعدنه وربيع القلوب الربيع يكون بمعنى الخصب والمطر اي فيها ما تحيى به القلوب
وتنمو وتخصب وتمرح وتسرح وتتنزه وتفرح ففيه استعارة لطيفة وعن كعب ابن مانع المعروف
بكعب الاحبار كما تقدم عليكم بالقران اسم فعل بمعنى الزموا وتمسكوا يقال عليك كذا وبكذا
فالمراد ملازمة تلاوته وتدبر معانيه فانه فهم العقول اي مفهم للعقول ما يخفى عليها فهو
مصدر بمعنى اسم فاعل مبالغة لا بمعنى مفعول كنسج بمعنى منسوج فانه دليل كما يرشد اليه قوله
بعده هذا بيان للناس ونور الحكمة اي منورها او هو كلجين الماء اي فيه حكم يشرق نورها
ويتلالا وضوحا ويهتدي بها وقال تعالى ان هذا القران يقص على بني اسرايل اكثر الذي
هم فيه يختلفون يعني انه بين فيه لاهل الكتاب ما اشتبه عليهم واختلفوا فيه مما لم يعرفوه
من كتابهم ففيه اشارة الى ان القران اجمع للاحكام من غيره من الكتب المنزلة قبله واوضح وقال
تعالى هذا بيان للناس وهدى الاية اي لجميع الناس من اهل الكتاب وغيرهم وموعظة
للمتقين والاتيان بما يويد ما قال كعب ثم وضح ما قاله وفسره بقوله فجمع فيه اي في القران
مع وجازة الفاظه اي اختصارها وقلة الفاظه مع كثرة معانيه وجوامع كلمه معنى جوامع
الكلم انها الكلام الجامع للمعاني الجمة في الفاظ قليلة واضحة وتطلق على القران كما في حديث
اوتيت جوامع الكلم اضعاف ما في الكتب قبله مفعول جمع اي جمع ما يزيد على ساير الكتب
مثله او مثليه التي الفاظها على الضعف منه مرات اي مع زيادة الفاظها عليه بامثاله جمع
من المعاني ما يزيد على امثال معانيه وضعف الشي يكون بمعنى مثليه وامثاله والتضعيف
الزيادة مطلقا وفيه كلام لاهل اللغة ليس هذا محله ومنها اي من وجوه الاعجاز التي ذكروها
جمعه فيه اي جمع الله في القران بين الدليل والمدلول الدليل هو الدال المرشد اي ما يمكن
التوصل بالنظر فيه الى مطلوب خبري والمدلول هو المطلوب فالدليل هنا وان كان
بمعنى المعنى مطلقا ثم بين معنى الجمع المذكور بقوله وذلك اي الجمع بينهما انه احتج
بالبنا للمجهول فهو بضم اوله وثالثه اي ان الله اقام فيه الحجة على ما اراد اثباته والالزام به
لمن اقيمت عليه الحجة بنظم القران اي بنظامه البديع المعجز وحسن رصفه براء وصاد مهملتين
وفا لا بواو كما في بعض النسخ وهو من رصف البنا وهو ضم بعضه الى بعض فالمراد حسن نظمه
وتاليفه كما يؤلف البنا شيا بعد شي حتى يتم ويكمل في غاية الاحكام وضمير انه لله او للقران
وايجازه وبلاغته وفي نسخة اعجازه اي كونه في اعلا طبقات البلاغة المعجزة لكل بليغ واثنا هذه

البلاغة

البلاغة بالنصب على الظرفية خبر مقدم اي في خلالها والثنا بالمد على وزن افعال جمع ثناء
بالضم والقصر وهو ما اثني عليه ودخل بعضه في بعض كما اشار اليه ابن هشام اللخمي في شرح
الدريدية كما مر وهذا هو الدليل الحسن السابق ذكره ثم ذكر المدلول فقال امره ونهيه
ووعده ووعيده وغير ذلك من المقاصد العظيمة التي ارادها الله فالتالي له اي القاري يفهم
وتدبر لمعانيه يفهم موضع الحجة والتكليف بالجر والنصب من كلام واحد وسورة منفردة
عن غيرها مما هو حجة او محتج عليه يعني ان كل مقدار معجز منه دال على مقصد من مقاصده
يكون ذلك على مطلوب ومدعي وعبارته الدالة عليه برهان مصدق له لاعجازها وقيل المعنى
انه وقع فيه الجمع المذكور كما في قوله في الواقعة كما حكى كلام منكري المعاد وهو ايذا متنا
الخ عقبه بما قطع عرق شبهتهم بقوله افرايتم الخ وقيل انه كقوله فلا تقل لهما اف
انه حجة لتحريم التافيف وتكلف باجتنابه وقوله فصل لربك وانحر حجة لوجوب الصلاة
والاضحية وانه مكلف بهما وهذا كلام لا محل له ومحل احتجاج للتحريم ومنها اي من وجوه
اعجازه ان جعله في حيز يقال تحيز وتحوز تفعيل فهذه المادة معناها في كلام العرب
يتضمن العدول من جهة اخرى من الحيز وهو فنا الدار ومرافقها ثم قيل لكل ناحية
فالمستقر في موضعه كالجبل يقال له متحيز ويراد بالمتحيز عند غير العرب ما يحيط به حيز
موجود وهو اعم من هذا والمتكلمون يريدون به اعم من هذا وهو كل ما اشير اليه سوا
كان له حيزا او لا فالعالم كله متحيز كما قاله ابن تيمية المنظوم الذي لم يعهد اي المولف الواقع
على طريق لا يشابه شيا من كلامهم المنظوم لا شعرا ولا خطبة ولا رسالة مع كونه واضح
الدلالة بلسانهم وهذا انما يعرفه من له معرفة بكلام العرب نظمه ونثره وسجعه كما بينه
في كتاب الابانة ثم قال فان قلت وما هذه المباينة العظيمة التي بين القران وبين
ساير كلام العرب وجميع المنظوم والاوزان حتى صار لاجلها معجزا باهرا قلت
هي ما في القران من البلاغة التي لا يقدر اشد اهل البلاغة واللسن تقدما في البيان ان
ياتي بمثلها او يقاربها ولم يكن في حيز المنثور اي لم يشبه اقسام منثورهم من السجع الملتزم
فيه حروف كحروف روي الشعر ولا خطابة لمقاطع فصول الخطب ومواضع استراحاتها لا
لاشتمالها على الفواصل كما توهم لان المنظوم اسهل على النفوس اي الكلام المنسق
نظمه وتاليفه على نهج واحد والمعتضل عليه المنثور بالمعنى السابق واوعى للقلوب
جمع قلب اي ادخل في وعائه وهو القوة الحافظة له وفي الحديث
بعد ذكر الانبيا الذي راهم في السما اوعيت منهم اي ادخلته في وعا قلبي فهو اسم تفضيل
من المبني للفاعل على القياس واللام داخلة على الفاعل كما يقال هو اوعى لي ولا قلب فيه والصواب
والقلوب اوعى كما توهم واسمح في الاذان بسين وحا مهملتين اي اسهل مستعار من
السماحة وليس من اسمح للمزيد كما قيل وليس ايضا بخا معجمة من السماخ وهو الصماخ
اي منفذ الاذن كما توهم واحلى على الافهام ان يستعذبه الذوق السليم فيجد له لذة
وحلاوة فالناس اليه اميل اي اكثر ميلا وصحبة كما قال الشنفري فاني الى قوم سواكم لاميل
والاهوا اليه اسرع جمع هوى وهو ميل النفس وانجذابها اي ميل القلوب نحوه اشد
من ميلها لغيره ومنها اي من وجوه اعجازه تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه اي من يريد
تعلمه وتقريبه على متحفظيه اي تسهيل حفظه لمن يريده قال تعالى ولقد يسرنا

للذكر في الكشاف معنى الاية سهلناه للاذكار والاتعاظ بان سحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا
فيه من الموعد والوعيد وقيل معناها سهلناه للحفظ واعنا من اراد حفظه ويجوز ان
يكون معنى يسرناه هيأناه من يسر ناقته للسفر اذا رحلها وفرسه للغزو اذا اسرجه
والجمه كما قال

وقمت اليها باللجام ميسرا ۞ هنالك يجزيني الذي كنت اصنع

وعلى الوجه الثاني بين المص استشهاده بالاية وساير الامم التي قبل هذه الامة من
الكتابين وغيرهم لا يحفظ كتبها الواحد منهم اي لا يوجد فيها واحد يحفظ كتابهم المنزل
على انبيائهم الا نادرا وروي عن ابن جبير ان بني اسرائيل لم يكن فيهم
من يحفظ التوراة فكانوا لا يقرؤونها الا نظرا في صحفها غير موسى وهارون ويونس
بن نون وعزير فقيل انها رفعها الله وقيل انها حرفت فجاء عزير وتلاها عليهم كما انزلت
من حفظه فافتتنوا به وقالوا انه ابن الله وقد من الله على هذه الامة بان يسر عليهم حفظ
كتابه وجعل فيهم حفظة له لا تحصى الى الان فكيف الجماء منهم اي فاذا لم يتيسر ذلك
لواحد منهم الا نادرا فكيف يتيسر للكثير والجما بفتح الميم المشددة والمد بعد جيم مفتوحة
من الجموم وهو الاجتماع والكثرة التي لا تعد وفي بعض النسخ فكيف الجم بدون مد وكلاهما
صحيح رواية ودراية وفي الاساس عدد جم واحبك حبا جما وجاوا جما غفيرا والجما
الغفير اشتق من جمة الشعر وما قيل من ان الصواب انجم لانه لا يتلفظ بالجما الا موصوفا
نحو جاوا الجما الغفير لا اصل له وذلك انما هو اذا كان منصوبا كما ذكره اهل العربية
على مرور السنين عليهم اي مع طول اعمارهم وامتداد ازمنتهم لم يتيسر لهم حفظ
كتبهم والقران ميسر حفظه للغلمان اي لغلمان هذه الامة واطفالهم في مكتبهم
في اقرب مدة اي في زمن قليل كسنة ونحوها كما شاهدناه وغلمان بكسر الغين المعجمة وهو
من حين يولد الى ان يشب ومنها اي من وجوه الاعجاز عند بعضهم مشاكلة بعض اجزائه
بعضا اي مشابهة بعضه لبعض قال الراغب المشاكلة في الهيئة والصورة والند في الجنسية
والشبه في الكيف والشكل الدل وهو في الحقيقة الانس الذي بين المتماثلين في الطريقة
ومن هذا قيل الناس اشكال والاف واصل المشاكلة من الشكل اي تقييد الدابة بالشكل ومنه
شكل الكتابة وحسن ايتلاف انواعها اي مناسبة انواع تلك الاجزاء فتكون كلماته متناسبة
وجملها المركبة ايضا بينها الفة وحسن مناسبة تامة والتيام اقسامها بهمزة ويجوز ابدالها
يا ايضا اي توافقها وانضمام كل قسم الى مشاكلة وحسن التخلص من قصة الى اخرى
وهو ان يوافق مطلع السابقة مبدا الملاحقة حتى يصير كالقصة الواحدة والخروج من باب
الى غيره اي الانتقال من نوع من الكلام الى نوع اخر في ذكر الخروج مع الباب لطف ظاهر
على اختلاف معانيه الضمير للقران وعلى بمعنى مع اي تراه مع اختلاف مقاصده لا يخرج
عن المناسبة التامة في جملة وتفاصيله وهذا يعلم من كتاب المناسبات وقد صنف فيه كتب
اجلها مناسبة البقاعي وحسن التخلص مما اعتنى به البلغا والشعرا كقوله

يقول في قوس صحني وقد اخذت ۞ مني السرى وخطى الهزبة القود
امطلع الشمس تبغي ان يؤم بنا ۞ فقلت كلا ولكن مطلع الجود

والانتقال من غير مناسبة يسمى اقتضابا وانقسام السورة الواحدة على امر ونهي وخبر

واستخبار

عظيمة مناسبة له في انها سماوية ومعجزة عليه فقال **فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس**
اي في ذكر معجزته صلى الله عليه وسلم بشق القمر وجعله فلقتين وفي منع الشمس عن مسيرها
للغروب كما سياتي بيانه وهذا كان عقب قصة الاسرا وفي معنا رد الشمس الاتي في قصة علي
واقتصر في الترجمة على هذا لانهما في المعنى سوا ولما سياتي **قال الله تعالى اقتربت الساعة**
وانشق القمر قدم اقتراب الساعة عليها تخويفا لمنكري ذلك واثباتا له وتقريرا في نفوس
المومنين بها اذ تشقق السموات فيها فالقادر على ذلك الفعال لما يريد كيف لا يقدر على
شق القمر واقتربت بمعنى صارت قريبة من بعثته صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث
بعثت انا والساعة كهاتين واشار باصبعه الوسطى والسبابة لان التفاوت بينهما مقدار
سبع وبعثته صلى الله عليه وسلم في الالف السابعة على ما اشتهر عند المحدثين وغيرهم وانما كانت
الساعة قريبة لان عمر الدنيا على المشهور سبعة الاف وكسور وقيل اكثر من ذلك وقد بعث
نبينا صلى الله عليه وسلم في اخرها الفا وحيث لم تبق الا صبابة وقوله انشق القمر اي وقع
شقه وجعله فلقتين في الزمن الماضي بمكة معجزة له صلى الله عليه وسلم اذ قال المشركون له
ارنا آية وهذا ما عليه جمهور المفسرين وقيل ان المعنى انه سينشق في المستقبل اذا قامت
القيامة وعبر بالماضي لتحققه ورده جماعة وقالوا انه مبني على قول الفلاسفة ان الاجرام
العلوية لا تقبل الخرق والالتيام ويكذبه القران وقوله فاذا انشقت السما فكانت وردة
كالدهان وقوله **وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر** اي دايم محكم من امر الحبل اذا
احكم فتله وقد ثبت انشقاق القمر له صلى الله عليه وسلم في الصحيحين واخبر به جماعة
من الصحابة والى بيان ذلك اشار بقوله **اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض**
الكفرة عن اياته ومعجزاته التي لا يمكن البشر الاتيان بمثلها **واجمع المفسرون واهل السنة**
على وقوعه في الماضي وقال السبكي رحمه الله انه متواتر لا يجوز انكاره ورد واقول الماوردي
ان الجمهور على خلافه وتاويل انشق بمعنى سينشق بانه لو وقع لم يبق احد الا راه ولم
يعتد المص رحمه الله تعالى بهذه المقالة وهي لا تخرق اجماع السلف من اهل السنة
ومثله ليس من اهل التفسير بل من اهل التاويل عنده الا ان بعضهم نظر في حكايته
الاجماع بان السجاوندي والنسفي قالا في تفسيريهما انه منقول عن الحسن البصري
وكذا قال ابو الليث في تفسيره ان معناه سينشق وعزاه بعضهم للجمهور ومن الغريب ما حكي
عن بعض شراح المدونة ان فلقة منه نزلت لجنبه وخرجت من مكة صلى الله عليه وسلم ولما
ارسل ابو بكر بن الطيب رسولا لملك الروم بقسطنطينية وقيل له انه اجل علما الاسلام
احضر بعض بطارقته لمناظرته فقال له تزعمون القمر انشق لنبيكم فهل للقمر قرابة منكم
حتى ترونه دون غيركم فقال له وهل بينكم وبين المايدة اخوة ونسب اذا رايتموها ولم ترها
اليهود ويونان والمجوس الذين انكروها وهم في جواركم فاحم ولم يفه بشي **اخبرنا الحسين**
بن محمد هو ابو علي الغساني الجياني تقدم مفصلا ترجمته **الحافظ من كتابه** لا بقراته
عليه **قال حدثنا القاضي سراج بن عبد الله الاصيلي** السابق ترجمته وفي نسخة اخبرنا
في جميع ما ياتي **قال حدثنا المروزي** تقدم مع بيان نسبته **قال حدثنا الفربري** تقدم بيانه
وضبط نسبته **قال حدثنا البخاري** الامام المشهور **قال حدثنا مسدد** عبد الملك بن عبد
العزيز الاسدي ومسدد بوزن اسم المفعول لقب له كمسرهد وهو مسدد بن مسرهد

بن مسروق بن عمرو بن عبد بن ماثلة بن المسيب وحدث
البصرة وقال ابو نعيم لوكان في اول هذه السنة بسم الله الرحمن الرحيم كانت رؤيته المغرب وهو
امام حافظ روى عنه اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائتين **قال حدثنا يحيى**
بن سعيد بن ابان الاموي الحافظ اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة اربع وتسعين ومائة
وسنه ثمانون وترجمته في الميزان **عن شعبة** بن الحجاج العتكي الحافظ امير المومنين في الحديث كما
تقدم **وسفيان** بن عيينة ابو محمد الهلالي الكوفي احد الاعلام الذي اخرج له الستة وتوفي
سنة ثمان وتسعين ومائة كما تقدم **عن الاعمش** سليمان بن مهران السابق ترجمته **عن ابراهيم**
النخعي السابق ترجمته **عن ابي معمر** الازدي الكوفي وهو بفتح الميمين وسكون العين
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي في زمنه وحياته والعهد يأتي بهذا المعنى كما في القاموس وغيره وذكره للرد على من يقول انه
سيكون بعده يوم القيمة **فرقتين** بكسر الفاء وسكون الراء المهملة بمعنى قطعتين والمراد نصفين
وانتصابه على المصدرية بما معنى انشق كفق جلوسا وبتقدير وافترق **فرقة فوق الجبل**
وفرقة دونه بالنصب بدل من فرقتين والجبل حرا او ابو قبيس وفوق يجوز رفعه ونصبه
ودونه بمعنى في مقابلته منفصلا عنه لحفته كما قيل لما سيأتي **فقال رسول الله صلى الله عليه**
وسلم اشهدوا انما قال ذلك لان المشركين اجتمعوا اليه صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت
صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم ان فعلت تؤمنوا قالوا نعم فسأل ربه ان يعطيه ما قالوا
فانشق القمر فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا واوذلك
بمكة قبل الهجرة رواه ابو الجوزي في الوفا عن ابن عباس رضي الله عنهما وقاله لانه وقع ليلا
في وقت الغفلة اي اشهدوا علي معجزتي وبنوتي ووقوع ما طلبوه لانهم وقوع اهل بهتان
وجحود **وفي صحيح** مسلم انه انشق مرتين قال ابن القيم في كتاب اعانة اللهفان
المراد بها الانفلاق تارة والاعيان تارة واكثر ما يستعمل في الانفلاق واما في الاعيان
فكقوله في الحديث انشق القمر مرتين اي فلقتين ولما خفي هذا على بعضهم زعم ان الانشقاق
وقع مرتين وياتي ما فيه من قريب **وفي رواية مجاهد** التي رويت عن ابن مسعود في
الصحيحين **وكنا مع النبي صلى الله عليه وسلم** جملة حالية تفيد انه شاهد ذلك ولم يسمعه
من غيره **وفي بعض طرق الاعمش** كما رواه احمد في مسنده بزيادة قوله **بمنى** منون وغير منون
اسم بقعة معلومة سميت بها بكثرة ما يهراق بها من الدم اي يراق وقيل لها المنازل
ايضا ويقال لها ان زلوا اذا انتوا منى قال انا زلة اسما ام غير زلة قاله ابن هشام اللخمي في سيرته
المقصورة واختلفت الروايات في محل الانشقاق فقيل بمكة وقيل بمنى وفي اخرى
دبر حرا بينهما وقيل شقة منه على ابي قبيس واخرى على السويداء والجماعة الذين طلبوا
ذلك صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وابو جهل والعاص ابن وايل والعاص بن هشام
والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب فنظروا وهم في هذه الروايات في محله لا تنافي
بينها لان كل راى يرى القمر بانه كان دونه **ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود**
بن يزيد بن قيس بن عبد الله ابن علقمة بن اسلاما ولم يبينه المصنف لشهرته وهو من اكابر التابعين
معروف بالرواية عن ابن مسعود وهو من المخضرمين بالزهد وكثرة العبادة توفي سنة
خمس وسبعين **وقال** اي ابن مسعود **حتى رايت الجبل** يعني حيل حرا على ما تقدم **بين فرجتي**

القمر

القمر اي فلقتيه وقطعتيه لبعد ما بينهما وهي بضم الفا وفتحها والضم اولى لان فعلة فعلا بالفتح للمرة
وبالكسر للهيئة وبالضم للمقدار الحاصل كالغرفة للمغروف والفرجة الفضا ما بين الشيئين فتجوز
به عن المنفرج نفسه اذ الظاهر بين القطعتين المنفرجتين وقصة ابي عمرو مع الحجاج في قراءته غرفة
وسماعه من العرب

ربما ضاقت النفوس من الامر له فرجة كحل العقال

مشهورة ورواه اي ما ذكر عنه اي عن ابن مسعود كما ذكره البيهقي في الدلائل مسروق
ابن الاجدع الهمداني الكوفي من كبار التابعين تقدمت ترجمته وانه توفي سنة ثلاث وستين
انه اي المشق او ابن مسعود كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة
يعنون النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن حجر هو احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هو جد
وهب جد النبي صلى الله عليه وسلم لامه وقيل عليه ان ام وهب اسمها عاتكة بنت الاوقص
بن مرة بن هلال ولم يقل احد من النسابين ان الاوقص يكنى بابي كبشة وقيل هو جد عبد المطلب
لامه وتعقب ايضا بان ام عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد الخزرجي ولم يقل احد ان عمرا يكنى
بابي كبشة ايضا وقيل انه ابوه من الرضاعة وهو الحارث ابن عبد العزى وله بنت تسمى كبشة
كني بها وذكر ابن حبيب ان له صلى الله عليه وسلم اجدادا من قبل ابيه وامه تكنوا بذلك وانما قالوه
لان من عادتهم اذا بغضوا احدا نسبوه لجد غامض له وفي النهاية انه رجل من خزاعة خالف
قريشا في عبادة الاوثان وعبد الشعرى العبور فلما خالفهم النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يرض الهتهم شبهوه به في ذلك وفي القاموس انها كنية وهب بن عبد
مناف او كنية عمرو الد حليمة السعدية مرضعته صلى الله عليه وسلم وعلى كل حال ارادوا
به تنقيصه فزاده ذلك شرفا فقال رجل منهم اي من كفار قريش قيل ابو جهل ان محمدا ان
كان سحر القمر حين شقه او خيل لكم شقه فانه لا يبلغ اي لا يصل شي من سحره ان يسحر الارض
كلها اي اهلها كلهم فسلوا من ياتيكم من بلد اخر غير بلدكم هل راوه اي القمر او شقه او
الامر الذي وقع وفي نسخة هل راوا هذا فاتوا اي اتوا من قدم على اهل مكة من غيرها
فسالوا اي سالوهم هل راوا ذلك فاخبروهم لما سالوهم انهم راوا مثل ذلك اي
مثل رؤيتهم فالتشبيه بين الرويتين والمرئي واحد وهو القمر المنشق وحكى السمرقندي
تقدم ترجمته عن الضحاك نحوه اي مثل الحديث الذي ذكره اولا وقال اي الضحاك فيما راوه
فقال ابو جهل لقريش لما شاهدوا انشقاق القمر بعد ما سالوه فابعثوا الى اهل الافاق
بالمد جمع افق بضمتين او بضم فسكون فسكون وهو هنا بمعنى الناحية بالمد وما ظهر من
الفلك ومطلع الشمس كما بينه علما الهيئة وهو الافق المرئي والافق الغير المرئي له
احكام اخر والمعنى ارسلوا ناسا لمن جاوركم من البلاد ليسالوا من بها حتى تنظروا اي يعرفوا
اراوا ذلك ام لا الهمزة استفهامية وفي نسخة هل راوا وشاهدوا مثل ما راه اهل مكة
ام لم يروه لانه خيل لهم امر لم يقع وفي نسخة حتى ننظر بنونين فاخبر اهل الافاق انهم
راوه اي القمر حالة كونه منشقا والفا فصيحة اي فسالوهم فاخبروا فقالوا يعني
الكفار هذا سحر مستمر اي دايم باق غير ذاهب على حاله الى غير النهاية من المرور او
محكم قوي من امرار الحبل وهو شدة فتله وقال ابو عبيدة معناه
باطل وهو بعيد بحسب اللغة وانما قالوا انه مستمر لان هذا اشارة الى ما صدر قبله من

من الايات المتتابعة يقفو بعضها اثر بعض كما اشار اليه القاضي ولولا هذا لم يتات ما قالوه فان
انشقاقه لم يستمر بعد الليلة التي وقع فيها وهذا يكون اشارة للشخص وللنوع كما حققه النحاة
ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة بن قيس بن مالك النخعي الفقيه الكبير التابعي الجليل ولد
في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي في سنة اثنين وستين والرواية عنه مشهورة في الكتب
الستة فهولاء الاربعة يعني مجاهدا والاسود ومسروقا وعلقمة كلهم رووا هذا الحديث
عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ثم ذكر له طريقا اخر فقال وقد رواه غير ابن مسعود
كما رواه ابن مسعود وقدم حديث ابن مسعود وجعل رواية غيره كالمتابعة له لانه لم يرو حديث
الانشقاق رواية مسندة في غاية الصحة واعتمدها الايمة غيره وهي مما اتفق عليه الشيخان
واحمد بن حنبل وابن الصلاح وغيره رجحوا ما اتفق عليه الشيخان على غيره وقال انه مقطوع
بصحته منهم اي ممن راوه غير ابن مسعود واعاد ضمير الجمع نظرا لمعناه انس وابن عباس
وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم رضي الله عنهم وهذه الروايات كلها في
الكتب الستة وغيرها مخرجة فرواية انس وابن عباس في الصحيحين ورواية ابن عمر في
صحيح مسلم والترمذي ورواية حذيفة بن اليمان في الدلايل وغيرها ورواية ابن مطعم
بكسر العين في مسند احمد والبيهقي ولذا قال فقال كرم الله وجهه من رواية ابي حذيفة
الارحبي واسمه سلمة بن صهيب على الاصح نسب لارحب حي من همدان بهمزة مفتوحة
وراء مهملة ساكنة وحاء مهملة مفتوحة وباء موحدة قبل يا النسبة وهو من الثقات المشهورين
انشق القمر ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والجملة حالية وضمير نحن لعلي
ومن كان معه لا لمن تقدم وعن انس خادمه صلى الله عليه وسلم وحديثه من مرسل الصحابة لان
الحادثة وقعت وهو لم يسلم اذ ذاك وهذا من مرجحات حديث ابن مسعود رضي الله عنه
سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم اية معجزة على ما راوه وفي الرواية المتقدمة
انهم سالوه ان يشق لهم القمر فاراهم انشقاق القمر فرقتين بكسر الفاء وسكون الراء
وفي رواية فلقتين باللام بدلها وهما بمعنى قطعتين ونصفين كما مر حتى راوا حراما بينهما
اي بين القطعتين وما زايدة للتاكيد وفي نسخة حذفها وحرا بكسر الحاء وفتح الراء المهملتين
وهمزة ممدودة وتفتح حاؤه مع القصر وهو جبل بمكة معروف كان صلى الله عليه وسلم
يتعبد فيه كذا قاله التلمساني وقال انه يذكر ويونث ويجري ولا يجري وهذا مما ذكره
غيره من اهل اللغة اذا عرفت هذا فما قاله الخطابي من انهم يغلطون في حرا ثلاث خلطات
يفتحون حاؤه وهي مكسورة ويقصرونه وهو ممدود ويميلونه وهو لا يمال
شي لا اصل له الا قلة النظر في كتب اللغة رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره
عن قتادة عنه اي عن انس اراهم القمر مرتين انشقاقه بالنصب بدل من القمر بدل اشتمال
وفي تقديم مرتين في هذه الرواية دليل على ما قلناه سابقا من ان التعدد في الاراة
لا في الانشقاق وانه مرتين كما ذهب اليه من نظر لظاهر هذه الرواية وان ما قيل من ان
اصل المرات في الازمان والافعال وانها قد تكون في الاعيان والاول اكثر وهذا
من قبيل الثاني فمعناه ومعنى فرقتين وفلقتين واحد وان هذا خفي على من قال ان
الانشقاق وقع مرتين وهو لم يقع الا مرة بلا اختلاف فيه ودعوى الحافظ العراقي في منظومته
الاجماع على تعدده سهو منه وغفلة عما ذكر كدعواه تواتره فيها وما قيل من انه كان

مرة

مرة بمكة ومرة بحرا وهو على ثلاثة اميال من مكة في طريق الذاهب لمنى وانه يدل على تعدد
الازمان والا لزم التناقض في هذه الروايات وهي كلها صحيحة ولا يمكن عادة ان يكون الناس
الذي راوه في ذلك في هذه الامكنة الثلاثة وقد قالوا ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهذا مما يقطع بتعدد الازمنة والامكنة ليس بشي فانهم اذا راوه بمكة شاهدوا وقوع فلقة منه
خلف حرا واخرى امامه من تعدد النظر لسمة من الافق وان لم يكونوا ثمة ولا يخفى بعد كون من
ذكر من كبار الكفرة معه ليلا بحرا وغيره من جبال مكة وبراريها فالذي تحرر في الجمع بين هذه
الروايات انه تباعد ما بين الفلقتين جدا ليكون اظهر في دفع الانكار فانه لو تقارب لقال هولاء
لطول العقول انه من غلظ الحس فلما اشهدهم النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك اشار مرة الى
فلقة منه وقال اشهد يا فلان ويا فلان ثم اراهم مرة اخرى فلقة اخرى وقال اشهدوا وكل
هذا كان بمكة ليلا والقمر في وسط السما بحذا حرا وبحذا غيرها من الجبال والاماكن البعيدة
فلا تعدد في الشق ولا تدافع بين الروايات ولا يطعن في شي منها وهذا ان شا الله مما لا ينبغي العدول
عنه فان القول بان المرات في الاعيان لا صحة له في اللغة واستعمال الناس فلو قطع انسان بطيخة
قطعتين دفعة واحدة وقال قطعتها مرتين كذبه من سمعه واستهزا به فعليك بالنظر الجديد
وان تطرح من جيد فكره عن التقليد فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر مع يوا المعجزته
صلى الله عليه وسلم وبهذا تقوى الحديث وان يروا اية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر كما لا يخفى
على من له نظر سديد ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد فرواه عن
ابيه عن جده وجبير الثاني روى عنه ابو داود حديثا واحدا قال البرهان ولا اعلم له تخريجا
ولا توثيقا ورد بان ابن حبان ذكره في كتاب الثقات ورواه عن ابن عباس عبيد الله بن
عبد الله بن عتبة الامام الجليل القدر احد الفقها السبعة وهو ثقة مامون خرج له اصحاب الكتب
الستة وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة ورواه عن ابن عمر مجاهد بن جبير وقد منا ترجمته
ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي بضم السين وفتح اللام وهو ابو عبد الرحمن عبد
الله بن حبيب الامام المشهور مقرئ الكوفة وحافظ السنة توفي سنة ثلاث وسبعين تقريبا وخرج
له الايمة الستة ومسلم بن ابي عمران الازدي البصري وهو ابو عبد الله المعروف بالبطين
نسب للازد بسكون الزاي المعجمة ويقال لها اسد بالسين اسم قبيلة عظيمة والازد اسم
جدهم الاعلى وهم حي باليمن واليهم ينتهي نسب الانصار واكثر طرق هذه الاحاديث صحيحة
الطرق هي الاسانيد والرواة تسمى طرقا لوصول الحديث الينا منها وعبر بالاكثر اشارة الى ان
في بعضها ضعفا وقيل مراده بالصحيح هنا ما يقابل الحسن فكلها صحيحة مع التفاوت فيها
والاية مصرحة بما في الاحاديث من الانشقاق وفيه اشارة لما قلناه من ان فيها
ما يمنع التاويل الذي جوزه بعضهم ولا يلتفت الى اعتراض مخذول اصل معنى الخذل ترك
النصرة والاعانة ثم قيل لكل من لم يكن على الحق وطريق الهداية والمراد به من انكر هذا
بقصد الطعن في المعجزة لا من اول الاية بخلافه فانه ذهب اليه بعض المفسرين كما مر الا انه
ايضا لا ينبغي القول به ايضا بانه لو كان هذا الانشقاق لم يخف على اهل الارض كلهم
اذ هو شي ظاهر لجميعهم تعليل لقوله لم يخف اذ لم ينقل الينا عن اهل الارض انهم رصدوه
تلك الليلة اي ترقبوه ونظروا الى مطلعه والرصد الترقب ومنه اخذ الرصد المعروف عند المنجمين

فهو منقول منه وليس بمعنى لغوي فلم يره انشق رأى هنا بصرية وانشق حال اي وقد انشق
ولا يلزم ان يعرفوا انه سينشق في تلك الليلة فيرصدوه كما قيل بل يكفي فيه سماعهم له من النبي
صلى الله عليه وسلم فيرصدوا ما وعدهم به ليعرفوا حال خبره وهو ظاهر واذا الثانية تعليل
لعدم الالتفات ثم اجاب بجواب اخر على فرض تسليم ما ذكر فقال ولو نقل بالبنا للمجهول الينا
انهم رصدوه فلم يروه انشق عمن لا يجوز تمالؤهم على الكذب اي طايفة من اهل الارض
لا يجوز اجتماعهم على الكذب في خبرهم لكثرتهم من الملاء وهم الجماعة المجتمعون المتفقون
على امر واحد لانهم يملأون مكان اجتماعهم لما اللام جواب لو وما نافية فميمها مخففة كانت علينا به حجة
اي لم يكن ما اجتمعوا عليه حجة ودليلا يقوم على عدم وقوعه فعلينا مقدم من تاخير متعلق بحجة
لتوسعهم في الطرق اذ ليس القمر في حد واحد الحد الوصف المميز للشيء ماخوذ منه الحد بمعنى
الحاجز ومنه حدود الدار اي ليس القمر على حال واحد لجميع اهل الارض اي عند جميعهم لاختلاف
احواله باختلاف مطالعه بالنسبة لبعض دون بعض فقد يطلع في ليلة في بعض البلاد دون
بعض كما بينه علما الهيئة فقد يكون ليلة انشقاقه طالعا بمكة دون غيرها فلو قال غيرهم لم نره
انشق في تلك الليلة لم يكذبوا ولذا قال المص فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين ولهذا
لو شهد اهل بلد برؤية هلال رمضان لم يلزم غيرهم صومه كما قرره الفقها وقد يكون
راي القمر من قوم بضد ما هو من مقابلتهم من اقطار الارض جمع قطر بضم فسكون وهو الناحية
كالطلوع في بعضها والخلفا في بعض او يحول بالحا المهملة اي يكون حايلا مانعا من رؤيته
بين قوم وبينه سحاب او جبال شاهقة فلا يرونه مع رؤية غيرهم له ولهذا اي لكونه ليس
على حال وحد واحد في جميع اقطار الارض تجد الكسوفات في بعض طلع من البلاد دون
بعض منها والكسوف معروف وهو كون جرم القمر غير مضي مسود لحيلولة الارض بيننا
وبينه كما بين في محله وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية والكسوف الجزئي كسوف
جزء منه والكلي كسوف جميع جرمه نسبة للجزء وللكل وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها
اي في بعضها بعض البلاد يعرف الكسوفات بعض الناس الذين يعرفون علم الهيئة دون
غيرهم ممن لا يعرفونه كالكسوف تحت الارض فانه يقع كثيرا عندهم ويترتب عليه احكامه وغيرهم
لا يعرفها بل لا يقدر على تصورها وعبر بالادعا اشارة الى ان مثله ليس بثابت عند علما
الشريعة وليس المراد به اختلاف المطالع كما قيل وما ذكره المص بنا على ان الكسوف يقال
في القمر فلا يرد عليه ما قيل من ان الصواب ان يكون الخسوف قال الراغب الخسوف
للقمر والكسوف للشمس وقال بعضهم الكسوف فيهما اذا زال بعض ضوئها والخسوف
اذا ذهب كله يقال خسفه الله وخسف هو انتهى وقد يستعمل كل منهما بمعنى الاخر مطلقا
وعليه الاستعمال في عرف التخاطب وعليه مشى المص فلا اعتراض عليه وله تفصيل
ليس هذا محله ذلك تقدير العزيز العليم اي سير القمر واحواله من الكسوف وغيره كله
بقدرة الله العلي العظيم الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علمه بكل معلوم لا كما
تقول الفلاسفة انه بقوة فلكية الاحكام الجرمية لا يمكن تخلفها عنه وقيل انه وقع
في اصل الحكيم بدل العليم وان صوابه العليم لانه الموافق للتلاوة واعتذر له بانه لم ير الاقتباس
من القرآن ولذا لم يقل قال الله تعالى والذي رايناه في جميع النسخ العليم وآية القمر كانت ليلا
اي الاية والمعجزة بانشقاق القمر وقعت في الليل قال الخطابي الحكمة في ذلك ان من طلبها من قريش

طلبها

طلبها ليلا فاراد الله وقوعها ليلا واراد وقوعها نهارا لتكون محسوسة لكل احد فعل ذلك
ولكن الله جرت عادته باهلاك كل امة اتاها نبيها باية عامة يدركها الحس اذا لم يومنوا
بها فخص الله هذه الامة برحمته فجعل اية بينها صلى الله عليه وسلم على حال لا يقتضي اهلا
والعادة سي الناس بالليل اي فيه الهدو والسكون عطف تفسير اي النوم وعدم الحركة
كما قال الجعل الليل سكنا والهدو بهمزة بعد الواو ويجوز ابدالها واوا وادغامها والخاف
الابواب اي اغلاقها بكسر الهمزة وسكون المثناة التحتية وجيم وفا واصل معناه الاسراع
في السير واستعمل في الحفلاق لانها مما يسارع اليه عند الحاجة لاسيما ليلا وهو تجوز سايغ
شايع فما قيل انه لم يوجد في كتب اللغة فلعله هنا وجف بهمزتي اضطرب والهمزة فيه للسلب
لان بغلق الابواب يزول الاضطراب تكلف لا داعي له ومن يغلق بابه ولا يخرج من بيته
لا يرى القمر فكني به عن ذلك وقطع القمر والنظر البشي فضلا عن رصد النجوم وكل هذا
مبالغة في ان هذا امر لا يستبعد ولا يكاد يوقف من امور السماء شيا الا من صدر ذلك
اي الامن تقيد بالنظر اليه وترقبه ليلا واهتبل به اي ببذل جهده واعتني به غاية الاعتناء من قولهم
العرب اهتبل الصيد اذا اطلبه من مظانه وهو مستعد بنفسه وعداه الهم بالباء لانه ضمنه
معنى الاعتناء ولزوال اي لكونه امرا ليليا في زمان غفلة ونوم مايكون الكسوف القمري كثيرا
في البلاد ما زايدة لتحقيق الكلام وقيد بالقمري بنا على شهود الكسوف للشمس والقمر واكثر
عن الشمس لظهوره والكثير لا يعلم به حتى يخبر بالبناء للمجهول اي يخبر الناس العارفون
بوقوعه وكثيرا ما منصوب على الظرفية او المصدرية وما زايدة للتاكيد يحدث الثقات
بحجاب يشاهدونها من انوار بيانا للحجاب وجمع النور وهو على ظاهره لانه قد يحدث
في الجو نور زايد على ما عهد او المراد به شعل نارية كالذوابات الاذناب التي تمتد في الافق
في بعض الليالي ويسبب لها امور تذكر في كتب الملاحم وتجوم طوالع عظام تظهر في الجو
بالليل في السماء ولا يعلم عند احد منها لانها تسير تحت الارض حتى تقطع درجات في دايرتها
وتصل الى ما فوق الارض فتظهر بعد الخفا وهو مشاهد كثيرا مفصلا في فنه وخرج الطحاوي
بالخا المعجمة المفتوحة وتشديد الرا المهملة المفتوحة قبل الجيم والتخريج نقل حديث بسنده
من الكتب المعتمدة ومسانيد الايمة المحدثين وبيان صحته وغيرها والطحاوي بفتح الطا
والحا المهملتين والف واو بعدها يا نسبة منسوب لطحا قرية من قرى مصر وهو الامام
الجليل القدر المحدث ابو جعفر احمد بن محمد بن مسلمة ابن عبد الملك بن سلمة بن سليم
الازدي ثم المصري الحنفي لا المالكي كما قيل ولد سنة تسع وثلاثين ومايتين وتوفي ليلة
الخميس مستهل ذي القعدة سنة احدى وعشرين وثلاثمايتة وكان اولا شافعيا من
تلامذة المزني ثم تحنف وانتهت اليه رياسة الحنفية بمصر وله تاليف جليلة في مشكل الحديث
هو كتاب جليل له في الحديث اشتهر بالاثار عن اسما بنت عميس مصغر وهي زوجة ابي
بكر الصديق رضي الله عنهما وترجمتها مشهورة فكانت اولا زوجة جعفر بن ابي طالب
من طريقين وسند بن مختلفين في رواية هذا الحديث عنهما ورواه الطبراني باسانيد
مختلفة رجال اكثرها ثقات وهذا الحديث في درء الشمس او حبسها لعلي رضي الله
عنه كما سياتي قال ابن الجوزي انه موضوع بلا شك ورواياته مضطربة وفي رواية
رجاله متهومون بالكذب والوضع كاحمد بن داود قال الدارقطني وابن حبان قالا انه

كما

كذاب متروك الحديث وضاع وعمار بن مطر متروك ايضا ذكره الذهبي في الميزان وذكر كلام الناس
فيه وانه روي حديث رد الشمس وتعقبه بما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلي الله عليه
وسلم قال لم ترد الشمس الا علي يوشع ابن نون وفي طريقه الثاني فضيل بن مرزوق وقد
ضعفه يحيي وقال حبان انه يروي الموضوعات وهذا الحديث باطل قال ابن الجوزي ولا
اتهم فيه الا ابن عقبة فانه رافضي يحدث بمثالب الصحابة وقد رواه ابن مردويه من حديث
داود بن فراهيج عن ابي هريرة قال نام رسول الله صلي الله عليه وسلم في حجر علي ولم يكن
اي علي صلي حتي غربت الشمس فذكر نحوه وداود ضعيف ضعفه شعبة قال ابن الجوزي
ومن غفلة واضعه انه نظر الي فضيلة ولم يتلمح الي عدم الفايدة فيها فان صلاة العصر بعد غيبوبة
الشمس صارت قضا ورد الشمس ورجوع الشمس لا يعيدها اداء وقد ذكر ابن تيمية الحديث في كتاب
رد الروافض بطرقه بما فيه واطال فيه قلت طالعته ورايت ما ذكره فيه من ان ذلك
كان مرتين وانشد فيه شعرا للحميري ان النبي صلي الله عليه وسلم كان يوحي اليه
مرة بالصهباء وراسه الشريف في حجر علي جملة حالية والحجر مثلث الحا المهملة وقيل جيم
ساكنة وراء مهملة بمعني الحضن وهو معروف والاظهر ان المراد انها كانت موضوعة علي ركبته
وهو نايم فلم يصل العصر حتي غربت الشمس وغابت فانتبه فقال رسول الله صلي الله
عليه وسلم لعلي اصليت يا علي بهمزة الاستفهام وفي نسخة هل صليت فقال لا اي لم
اصلها فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك لانه لم
يزعج رسول الله صلي الله عليه وسلم من منامه وانتظر يقظته فاردد عليه الشمس
اي اعدها لمكانها الذي غربت منه ليصلي الصلاة في وقتها يقال اردد بالفك ورد بالادغام
وهو دعا وقد سمعت ما قاله ابن الجوزي انه لا فايدة فيه بعد ما صارت قضا ويأتي ما فيه
مشرقها اي محل شروقها وفي رواية شروقها وهذا في بعض النسخ وهو بفتح الرا وسكونها
وهو بدل من الشمس او منصوب علي الظرفية ومعناه ضوءها او ارتفاعها علي الحيطان
او انبساطها علي الارض وقيل انها انما حبست ومنعت من الحركة حتي يودي الصلاة
في وقتها وينافيه قوله فقالت اسما فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت
ووقعت الجبال والارض وذلك بالصهبا في القاموس قلعة بقرب خيبر وكذا قاله
غيره ففي قوله في خيبر مسامحة او فيه مضاف مقدر اي في قربها وخيبر بوزن ضيغم
ارض بقرب المدينة فيها قلاع وقري كان بها مساكن اليهود ثم خربت واليه الاشارة
بقوله في الهمزية

ردت الشمس والشروق عليه ... لعلي حتي تم الاداء
ثم ولت لها صرير وهذا العراق له الوصال دواء

قال اي الطحاوي وهذان الحديثان ثابتان رواية ورواتهما اي اكثرهما ثقات جعلهما
حديثين والمذكور حديث واحد تسمحا لانه روي من طريقين كما ذكره واعترض عليه بعض
الشراح وقال انه موضوع ورجاله مطعون فيهم كذابون ووضاعون ولم يدر ان الحق خلافه
والذي غره كلام ابن الجوزي السابق ولم تقف علي ان كتابه اكثره مردود وقد قال خاتمة
الحفاظ السيوطي وكذا السخاوي ان ابن الجوزي في موضوعاته تحامل تحاملا كثيرا حتي ادرج
فيه كثيرا من الاحاديث الصحيحة كما اشار اليه ابن الصلاح وهذا الحديث صححه المص واشار

العصر

الي ان

الي ان تقدد طرقه شاهد صدق علي صحته وقد صححه قبله كثير من الائمة كالطحاوي واخرجه
ابن شاهين وابن مندة وابن مردويه والطبراني في معجمه وقال الحسن وحكاه العراقي
في التقريب ولفظه انه صلي الله عليه وسلم صلي الظهر بالصهباء ثم ارسل عليا في حاجة فرجع
وقد صلي النبي صلي الله عليه وسلم العصر فوضع راسه في حجر علي فنام ولم يحركه حتي غابت
الشمس فقال صلي الله عليه وسلم اللهم ان عبدك عليا انما احتبس نفسه علي نبيه فرد عليه
الشمس الخ وانكر ابن الجوزي فايدة رد ها مع القضاء لا وجه له فانها فائتة بعذر مانع عن الاداء
وهو عدم تسطو بيئه علي النبي صلي الله عليه وسلم وهذه فضيلة اي فضيلة فلما عادت
الشمس حاز فضيلة الاداء ايضا وقد قال ابن حجر في شرح الارشاد لو غربت الشمس ثم عادت
عاد الوقت ايضا لهذا الحديث ولما حديث ان الشمس لم ترد الا ليوشع حين قاتل الجبارين يوم
الجمعة فلما ادبرت الشمس خاف ان تغيب الشمس ويدخل السبت فلا يحل له قتالهم فدعي الله
فرد عليه الشمس حتي فرغ من قتالهم فقد اجيب عنه بانه قاله قبل قصة خيبر او المراد انها
لم ترد لاحد من الامم السالفة فالحصر اضافي مع انه نقل ابن حجر عن المهم في الاكمال ان الشمس حبست
للنبينا صلي الله عليه وسلم في الخندق حين شغل عن صلاة العصر حتي ادركها اداء وما روي انه
قضاها بعد ما غربت الشمس لعله كان في يوم اخر **وفي تفسير الصفوي**
والكواشي والثعلبي ان الشمس ردت ليوشع وفي علي وضمير ردوها عايد علي
الشمس في الاية لعلمهما وانه لم يجر لها ذكر **اقول** ان السيوطي صنف في هذا الحديث
رسالة مستقلة سماها كشف اللبس عن حديث رد الشمس وقال انه سبق بمثله لابي الحسن
المفضلي او رد طرقه باسانيد كثيرة وصححه بما لا مزيد عليه **ونازع** ابن الجوزي في
بعض ما طعن فيه مما رجاله والحاجة التي ارسل صلي الله عليه وسلم لها عليا قسمة غنائم
خيبر وما ذكره من الحديث المعارض له لا يعارضه وهو انه لم يكن لنبي معجزة الا وكانت لنبينا
مثلها وهذه المعجزة كانت ليوشع وسليمان ومن غريب طرقه ما رواه الطبراني في الكبير عن
اسما ايضا قالت اشتكي علي رضي الله عنه مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في قسمة الغنائم
يوم خيبر حتي غابت الشمس فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم يا علي أصليت العصر قال
لا يا رسول الله فتوضا رسول الله صلي الله عليه وسلم وجلس في المسجد فتكلم بكلمتين او ثلاثة
كانها من كلام الحبشة فارتجعت الشمس كهيئتها في العصر فقام علي فتوضا وصلي العصر
ثم تكلم رسول الله صلي الله عليه وسلم بمثل ما تكلم به قبل ذلك فرجعت الشمس الي مغربها
فسمعت لها صريرا كالمنشار في الخشبة وطلعت الكواكب انتهي واذا صح الحديث علم منه
ان الصلاة ليست بقضاء بل يتعين بهذا الدعاء الاداء والا لم يكن له فايدة فيما اورده وارد عليه
ولا حاجة الي ان يقال انه من خصائصه فانه لا يقاس عليه وقد يقال نظيره علي القول
بان الصلاة ليست بقضاء ما لو صام اول يوم في رمضان ببلدة ثم سافر وافطر ووصل لبلد فيها الشهر
باختلاف المطالع ما لو صام اول يوم في رمضان ببلدة ثم سافر وافطر ووصل لبلد فيها الشهر
لم يلزمه صوم يوم العيد ولا يوم قبله وتمام الكلام عليه في حاشيتنا علي شرح العقائد
وحكي الطحاوي عن احمد بن صالح
هو ابو جعفر الحافظ الثقة روي عنه اصحاب السنن وتوفي سنة ثمان واربعين
ومائتين وله ترجمة في الميزان **كان ينبغي ان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم** اي لمن طريقه
ودابه الاشتغال بالعلم ومعرفة الحديث فجعل نفس العلم طريقا لانه يعمل به الي صاحبه
الي سعادة الدارين **لانه من علامات النبوة** التخلق عن حفظ حديث اسما بنت عميس

الذي رويته في رد الشمس **لانه من علامات النبوة** اي من الايات الدالة على ثبوتها لانه معجزة
عظيمة وهذا مويد لصحته فان احمد هذا من كبار ائمة الحديث المثقات ويكفي في توثيقه ان البخا
روي عنه في صحيحه فلا يلتفت الى من ضعفه وطعن في روايته وبهذا ايضا سقط
ماقاله ابن تيمية وابن الجوزي من ان هذا الحديث موضوع فانه مجازفة منهما وما قيل من
ان هذه الحكاية لا موقع لها بعد نصهم على وضع الحديث فان كونه من علامات النبوة
لا يقتضي تخصيصه بالحفظ خلط وخبط لا يعبوء به بعد ما سمعت **وروى يونس بن**
بكير بالتصغير وهو ابو بكر الشيباني الامام الثقة وقول ابي داود انه ليس بحجة مردود
فان ابن معين وثقه وقال انه صدوق توفي سنة ثمان وتسعين ومائة وله ترجمة في الميزان
في زيادة المغازي عن ابن اسحاق محمد بن يسار صاحب السيرة وروايته مقبولة **روي**
انما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم واخبر قومه من قريش بعد اسرائه بالرفقة
والعلامة التي في العير بكسر العين المهملة وهي الابل والرفقة جمع رفيق مثل الرا اي اخبرهم
بقافلتهم ومن فيها من الجماعة المترافقين والعلامة هي قوله صلى الله عليه وسلم انه يقدمها
جمل اورق على ما فصل واشتهر في السير وباتي بعضه قريبا **قالوا متى يجيء** جواب لما
اي في اي يوم تقبل لمكة وسوالهم لامتحانه صلى الله عليه وسلم **قال يوم الاربعا** بتثليث
الباء والمد اي يجيء يوم الاربعا **فلما كان ذلك اليوم** بالرفع والنصب والاول اولى لانه نعت
فاعل كان التامة بمعنى وجد **اشرفت قريش** بشين معجمة وراء مهملة اي قامت على شرف
وهو المكان المرتفع وقوله **ينتظرون** حال او مستانفة اي يرتقبون قدوم غيرهم وقافلتهم
في اليوم الموعود **وقد ولى النهار** اي قارب ذلك اليوم وهو يوم الاربعا اتم ويحتمل
الليل بغروب الشمس فيه **ولم يجيء** العير وتصل اليهم في المكان الذي وقفوا فيه لانتظارها
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي سال ربه وتحتمل ان يمد ذلك اليوم حتى يجيء العير
قبل انقضائه **فزيد له في النهار ساعة وذلك انه حبست له الشمس** ساعة اي امسكها
الله بقدرته وعوقها عن سيرها المعتاد مقدار ساعة حتى قدمت العير قبل غروبها في ذلك اليوم
وقد تقدم انها حبست له صلى الله عليه وسلم في الخندق ايضا **وفي سيرة مغلطاي**
نقلا عن الخطيب في كتاب النجوم انها حبست لداود عليه الصلاة والسلام ايضا وقال انه رواية
ضعيفة وذكر البغوي وغيره في سورة ص انها حبست لسليمان عليه الصلاة والسلام حين عرضت
الجياد كما مر آنفا **تنبيه** الذي ذكرهنا من حبس الشمس واتى العير قدمت بعد
العصر قبيل الغروب بنا فيه ما ورد من انها قدمت صباحا وعليه اقتصر المفسر وذكر الزمخشري
والبيضاوي في اول سورة الاسرا وهو ان الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الاسرا فقد جزنا
لعلمه بتكذيبهم له فمر بهم ابو جهل عدو الله وقال له مستهزئا هل استفدت من شيء قال نعم
اسري بي الليلة الى بيت المقدس قال واصبحت بين ظهرانينا قال نعم قال الا ترى قومك
بهذا قال نعم فنادي هلموا فاقصصوا بحتى يجلسوا اليهما فقال احدهم بما حدثتني به فقصه
عليهم فمن بين مصفق وواضع يده على راسه تعجبا للكذب على زعمهم وارتد ناس
وسعى بعضهم الى ابي بكر رضي الله عنه وقال لهل لك في صاحبك يزعم انه اسري به الخ
قال قد صدق واني لاصدقه فيما هو اعظم من ذلك من اخبار السما فسمي لذلك الصديق وكان
فيهم من راى المسجد الاقصى فقالوا لهل تستطيع ان تنعته لنا قال نعم فنعته لهم ثم

الحبش

التبس عليه بعض امره فجيء بالمسجد المعظمي ووضع دون دار عقيل فنظره ونعته لهم فقالوا اصاب ثم قالوا لخبرنا عن عيرنا هل لقيتها قال نعم مررت علي عير بني فلان بالروحا وقد ضلوا بعيرا لهم وطلبوه وفي رحالهم قدح ما فطشت فشربته فسألوهم هل وجدوا ما في القدح قالوا نعم وهذه اية قال ومررت بعير بني فلان وفلان راكب فقود انفر فوقع وانكسرت قالوا نعم وهذه اية قالوا فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا لخبرنا عن عدتها واحمالها وهيئاتها ومن فيها قال كنت في شغل عن ذلك ثم مثلت له فنعت ذلك لهم وقال يقدمها جمل ادرق عليه غرارتان محيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا نعم وهذه اية اخري ثم حزروا يشتدون نحو الثنية وقالوا لقد قضي محمد بيننا وبينه حتي انزكدا فجلسوا ينتظرون طلوع الشمس كي يكذبوه فقال قايل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال اخر هذه قد طلعت يقدمها بعير ادرق فراوا فيها كل ما ذكره فقالوا اذ هذا لامر مبين انتهى مع طي لبعض الفاظه وهذا منافي لما راواه المم رحمه الله والعجب من بعضهم اذا ورد هذا منا ولم يتنبه لما قلنا

فوالله ما ادري لحلام نايم ۞ المتن بنا ام كان في الركب يوشع

لطيفة من الاتفاقات الحسنة ان المظفر الواعظ ذكر يوما وقت الغروب قضايا علي كرم الله وجهه ورد الشمس له والسما مغيمة غيما مطبقا فظنوا ان الشمس غربت وهموا بالانصراف فاضحت السما واضحة الشمس صافية الاشراق فاشار اليهم بالجلوس وانشد ارتجالا

لا تغربي يا شمس حتي ينتهي ۞ مدحي لآل المصطفي ولنجله
وائتي عنانك اذا اردت تناهم ۞ انسيت اذكاك الوقوف لاجله
انا كما للمولي وقوفك فاعلمن ۞ هذا الوقوف لخيله ولرجله

فصل في نبع الماء بين اصابعه اي خروجه من بينها اصابعه صلي الله عليه وسلم معجزة له يقال نبع ينبع نبعا ونبوعا من باب نصر وعلم وضرب ومنه الينبوع لعين الماء وهو مصدر مضاف للفاعل **وتكثيره ببركته صلي الله عليه وسلم** اي تكثير الماء ببركة وضع يده الشريفة فيه وهو نبع ايضا ولم يشاهده الناس وقد كان هذا مرات كثيرة وروي بطرق سعديدة في الصحيحين وغيرهما ففي بعضها اني بقدح وفي بعضها حضرت وفي بعضها ميضاة وهي انا معد للوضوء وفي بعضها مزادة والماء قليل فكفي جماعة كثيرة في بعضها كانوا خمسمايه وفي بعضها ثمانمايه وفي بعضها خمسمايه والف الي غير ذلك مما استوفاه جمعه في المعجزات وهذه المعجزة اعظم من معجزة موسي عليه الصلاة والسلام اذ نبع له الماء من الحجر لانه معتاد وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار واما من وجه من لحم ودم فلا يعهد كما قال الشاعر رحمه الله

انا كان موسي سقي الاسباط من حجر ۞ فما في الكف معني ليس في الحجر

ولله در الابوصيري في قوله في لاميته

ومنبع الماء عذبا من اصابعه ۞ وذي اباد عليها قد جري السيل

قالوا وهذا الماء افضل من ماء زمزم والكوثر ويحتمل قوله وتكثيره ان لا يكون عطف تفسير بل من عطف العام علي الخاص ليشمل ما كان بدعايه ونقل ريقه فيه وهو الاظهر والبركة اليمن واصل معناه زيادة الخير فهو مناسب هنا جدا **اما الاحاديث في هذا فكثيرة جدا** اي كثيرة عظيمة تفوت الحصر وهو مصدر يلازم النصب والتنكير وفيه ايما الي انها لا تدرك الا بغايه الجد والاجتهاد فيها وقال النووي رحمه الله انها بلغت مرتبة التواتر وفي بعض

نبع الما من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة بفتح الصاد مصدر في الاصل
كالصحبة ثم صار جمعا للصحابي منهم انس وجابر وابن مسعود رضي الله عنهم واشار بمن
التبعيضية الى انه روي عن كثير غير هولاء كبلال وابن عباس لانه وقع بين الجم الغفير منهم
في الحديبية وغيرها كما قال اولا ان احاديثه كثيرة جدا فلا حاجة لما قيل ان الكثرة باعتبار المخرجين
لها في كتبهم من ايمة الحديث حتى صار متواترا تواترا معنويا وانما نص على رواية هولا لقوة
صحتها برواية الامام مالك والشيخين لها حدثنا ابو اسحاق بن جعفر رحمه الله بقراتي عليه
هو ابن احمد الفاسي اللواتي نسبة للواتة بفتح اللام والواو المخففة تليها تا مثناة فوقية وهو
شيخ المص قال حدثنا القاضي عيسى بن سهل ضد الصعب وتقدمت ترجمته قال حدثنا
ابو القاسم حاتم بن محمد كما تقدم في ترجمته قال حدثنا ابو عمر بن الفخار بفتح الفاء
وتشديد الخا لقب بمعنى كثير الفخر ونوع من الاواني تجعل من الطين ولذا قيل

لا يفخرن امرء بذات يد • فالكسر يدنو لكل فخار

وقيل على المص ان الصواب ابو عبد الله بن الفخار فان ابن رشد ابو عمر الذي يروي
عن ابي عيسى ليس بابن الفخار وانما هو ابن القطان الفقيه وهو ابو عمر احمد بن محمد
بن عيسى القرطبي المتوفى سنة ستين واربعماية وبقراته على ابي عيسى سمع الموطاء
يونس بن الملقب لكن ابن حاتم لم يذكر الرواية عنه وانما يروي عن عبد الله محمد بن عمر
بن الفخار المتوفى سنة تسع عشر واربعماية ففي كلام المص سهو من وجهين اذ سماه ابو عمر
وهو ابو عبد الله وفي قوله قال حدثنا ابو عيسى قال حدثنا يحيى اذا سقط راويا بين ابي
عيسى ويحيى وهو عبد الله ابو مروان وقد ذكره المص على الصواب في غير هذا المحل
فيما مر وفيما سياتي وابو عيسى هذا هو يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى بن كثير صاحب
مالك وراوي الموطا عنه وليس من قبيل الانقطاع لتصريحه بصيغة التحديث اللهم الا ان يقال
انه جعل اتصاله في غير هذا المحل قرينة على تقديره هنا فليتامل قال ابو محمد القراطبي صوابه
حدثنا عيسى حدثنا عبيد الله بن يحيى عن ابيه يحيى وابو عيسى هو يحيى بن عبد الله بالتكبير
ابن يحيى سمع عم ابيه عبيد الله بالتصغير بن يحيى وقد تقدم على الصواب في فصل الحاء والاحتمال
وياتي ايضا كذلك في فصل كنيته قال حدثنا مالك امام دار الهجرة المشهور عن اسحاق بن عبد
الله بن ابي طلحة الامام المشهور الفقيه وانس عمه توفي سنة اثنين وثلاثين وماية عن انس
بن مالك قال فيما رواه مالك في موطايه عنه والشيخان عنه رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد حانت صلاة العصر بمهملة ونون اي قربت او دخل وقتها وهو ماخوذ من الحين بمعنى الوقت
فالتمس الناس الوضو بفتح الواو وهو الما الذي يتوضا به ويجوز ضمها والالتماس افتعال من اللمس
بمعنى المس ثم صار حقيقة في مطلق الطلب فلم يجدوه فاتي بالبنا للمجهول بوضوء تقديره باناء
وضوء بقرينة قوله فوضع يده فيه وفي مسلم بقدح رجراج وامر الناس ان يتوضوا منه
قال اي انس فرايت الما ينبع من بين اصابعه فتوضا الناس من عند اخرهم اي جميعهم وتقدم
معنى ينبع وانه بتثليث البا وقد قالوا انه يحتمل ان الما خرج من اصابعه صلى الله عليه وسلم حقيقة
وهو الظاهر ويحتمل انه كثر من غير نبع منها وانما وضع يده فيه سترا عن الناس حتى لا يروه
فيفتتن بعضهم به وتادبا مع الله الذي لا يوجد المعدوم سواه واصابع جمع اصبع وفيه عشر لغات
تثليث الهمز مع تثليث البا والعاشرة اصبوع قال ابن مالك رحمه الله

تثليث

واستخبار اي استفهام وهو احد اقسام الانشا المقابل للخبر وعدي الانقسام بعلي والمعروف
تعديه بالي الي اقسامه وانما يتعدي بعلي لمن يعطي تلك الاقسام فتقول النقد ينقسم الي
دراهم ودنانير وتقول قسمته علي الفقرا والمساكين فاذا استعمل احدهما في مكان الاخر واراد
الكلام كان تجوز النكتة وهي هنا جعل القسم الكلي كانه امر خارج قسم علي افراده وانواعه فنال
كلا حصة منه لوجوده في ضمنه فلا يحسن ذلك في كل محل ولا من كل قايل ووعد ووعيد واثبات
نبوة وتوحيد كقوله وما كنت ثاويا في اهل مدين اه قضينا الي موسي الامر وقوله انما الله
اله واحد وتقرير لبعض ما شرع اولا وترغيب وترهيب بوعد من اتقي بالنعيم المخلد وان من
كفر في سوا الجحيم منضما ما ذكر الي غير ذلك من فوايده كضرب الامثال وذكر القصص
للعبرة بها دون خلل اي امر يخل به وينقضه يتخلل فصوله اي يكون في اثنا فصوله والفصل
عبارة عن جمل من الكلام مستقلة وقيل انه بمعني الفاصلة وهي الكلمة مما يضاهي السجع
والكلام الفصيح من كلام البشر اذا اعتوره اي ورد عليه وطرا وتداوله مثل هذا اي تضمن
انواعا من المقاصد كوعد ووعيد وعبرة وتخلل فصوله التي ينشيها المتكلم الفصيح ضعفت
قوته لانه يكل خاطر قايله بتعدد انواع المقاصد فينزل عن مرتبته التي ساقها في اوله
ولانت جزالته اي صلابته وشدته تقلب لضدها وكل رونقه اي صفاوه ونضارته وتقلقلت
الفاظه اي اضطربت والقلقلة في الاصل الحركة بعنف ويقال تقلقل في البلاد اذا طال
سفره فاستعير لتنافر الكلام الطويل فتاول اي تدبر واطل النظر والفكر اول سورة
ص والقران ذي الخ وما جمع فيها بالبنا للفاعل او المفعول وانث ضمير اول لانه بمعني
الفاتحة او لاكتسابه بالتانيث مما اضيف اليه من اسم السورة من اخبار الكفار اي كفار
قريش من تعجبهم بارجاهم تدبر منهم وقولهم انه ساحر كذاب وغيره وشقاقهم اي
عداوتهم لله ورسوله صلي الله عليه وسلم بقوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق
وتقريعهم وتوبيخهم باهل القرون من قبلهم بقوله كم اهلكنا من قبلهم من قرن وما ذكر
فيها من تكذيبهم بمحمد صلي الله عليه وسلم في قولهم ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة
ان هذا الا اختلاق وتعجبهم مما اتي به في قوله ا انزل عليه الذكر من بيننا الخ والخبر
عن اجتماع ملئهم علي الكفر الخبر هنا بمعني الاخبار والملا جماعة الاشراف والروسا وذلك
انه لما اسلم عمر رضي الله عنه شق عليهم اسلامه فاجتمعوا عند ابي طالب وقالوا له
انت شيخنا وكبيرنا وقد رايت ما فعل هولا السفها فاقض بيننا وبين ابن اخيك فجا بهم له صلي
الله عليه وسلم وقال له يا محمد هولا قومك يسالونك القصد فلا تمل عليهم كل الميل فقال
ارايتم ان اعطيتكم ما سالتموه اتعطوني انتم كلمة واحدة تدين لكم بها العرب والعجم قالوا
نعم وعشرا قال قولوا لا اله الا الله فقالوا امشوا واصبروا علي الهتكم ان هذا لشي يراد وما
ظهر من الحسد في كلامهم اي ما ظهر في كلامهم مما يدل علي حسدهم له صلي الله عليه
وسلم علي ما اتاه الله في قولهم ا انزل عليه الذكر من بيننا مما دل علي اعترافهم وتيقنهم
بصدقه صلي الله عليه وسلم الا ان الحسد اخرس السنتهم واعمي قلوبهم وتعجيزهم حيث
قال ام عندهم خزاين رحمت ربك العزيز الوهاب ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما
فليرتقوا في الاسباب فانهم لما انكروا اختصاصه صلي الله عليه وسلم من بينهم بالنبوة بين
لهم انها رحمة منه يصيب بها من يشا مما ارتضاه من عباده ولا مانع لما اراد فانهم لا يملكون

حزابه والتصرف فيها حتى يضعوا النبوة في مناديدهم فانى انكروا ذلك فليصعدوا الى
السما وينزلوا الوحي لمن ارادوه وفي هذا غاية التهكم بهم واظهار عجزهم ونقصهم
وتوهينهم اي اظهار ضعفهم ووهن كيدهم وتحقيرهم بقوله جند ما هنالك مهزوم من
الاحزاب اي هوله الذين كذبوك وتحزبوا عليك جند ذو حقارة لا قدرة لهم على التصرف
في الامور الربانية فلا تكترث بهم ووعيدهم بجزي الدنيا بمحنتهم والعزة بذوقهم
العذاب فيها وتكذيبهم الامم قبلهم اي وعيدهم بذكر من كذب من الامم قبلهم واهلاك
الله لهم بقوله كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون الى قوله فحق عقاب ووعيد هولاء
يعني كفار قريش الذين كذبوه كما كذب الامم رسلهم فسيحل بهم ما حل بهم مثل ما بهم
منصوب بقوله وعيدهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم اي امره بالصبر
بقوله اصبر على ما يقولون الخ وتسليته بكل ما تقدم ذكره من بيان ما آل اليه امرهم وان
له صلى الله عليه وسلم فيمن تقدمه من الرسل اسوة ثم اخذ اي شرع بعد تحقيره وتسليته في
ذكر داود عليه الصلاة والسلام بقوله واذكر عبدنا داود الخ قيل لما في قصته من تقطيع المعصية
بذكر ما صدر منه من خلاف الاولى الذي صدر منه فعوتب عليه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب
فما بالك بغيره فهذا وجه ذكره هنا فتدبر وقصص الانبيا بفتح القاف وكسرها كسليمان
وايوب وابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام بقوله ولقد فتنا سليمان الخ
فذكرهم الله مثنيا عليهم كل هذا المذكور في اول سورة من مذكور في اوجز كلام واحسن
نظام على اتم ارتباط من غير خلل يزيل رونقه ويقلل ما فصاحته ومنه اي من اعجاز القرآن
وفي بعض النسخ ومنها ويحتمل ان يريد مما ذكره في اول سورة ص الجمل الكثيرة من المعاني
لقوله التي انطوت عليها واشتملت الكلمات القليلة بالنسبة لمعانيها وفي المقلة والكثرة من
طباق البديع وقيل عليه ان كل محصل هذا انه ايجاز وقد تقدم ذكره غير مرة فلا حاجة لاعادته
وعده وجها مستقلا ولذا استدركه بقوله وهذا كل اي ما ذكر هنا وكثيرا ما ذكرنا في هذا
الفصل من اوله الى هنا انه ذكر في اعجاز القرآن مخافا الى وجوه كثيرة لم يذكرها ثمة اكثرها
داخل في بلاغته اشار بقوله اكثرها الى ان منها ما لا يدخل في البلاغة لتسهيل حفظه واذا كان
يرجع اليه بوجه بعيد والا لم يعده الائمة من وجوه الاعجاز فلا يجب ان يوجد فنا منفردا في
اعجازه بل يجيء من توابعه او ثمراته الا في باب تفصيل فنون البلاغة فيعد فنا منها
كمشاكلة اجزائه وحسن التخلص فانه فن منفرد من البلاغة لا من الاعجاز فانه لا يتوقف
عليه اذ من المعجز ما لا يكون فيه ذلك كسورة الاخلاص مثلا وكذا اي مثل المذكور كثير مما قدمنا
عنهم اي عن الائمة يعد في حواشيه وفضايله لا اعجازه لانه لا مدخل له فيه وحقيقة الاعجاز
عند من لم يقل بالصرفة انما هي الوجوه الاربعة التي قدمنا المهم اولا كما قال التي ذكرنا
فليعتمد عليها في تحقيق الاعجاز ويستند اليها من اراد تحقيقه وما بعدها مما ذكر في هذا
الكتاب فانما هو من خواص القرآن التي لا توجد في كلام غيره وعجايبه التي لا تنقضي اي
لا تعد ولا تتناهي وبالله التوفيق اما التوفيق والهداية للوقوف على عجايبه التي
لا تتناهي الا من الله وعنا يتوفي بعض النسخ والله الموفق وفي حديث قدسي من شغله
القرآن عن دعائي ومسالتي اعطيته فضل ثواب الشاكرين اللهم فاجعله ربيع قلبي وشفاء
همي وغمي ثم عقب معجزة القرآن التي هي اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم بمعجزة اخرى

عظيمة

تثليث باصبع مع ضم لهمزته والفتح والكسر والاصبوع قد كملا

وعند مثلث العين والافصح الكسر وهي ظرف مكان تلزم النصب على الظرفية او الجر بمن ويجوز
بها عن العلم وغيره من معانيه وقوله من عند اخرهم لفظ مسموع من فصحا العرب قديما
وقال النووي انه لغة لبعضهم وعندهم من للغاية بمعنى الى ولم يات على الاصل
لان الى عنده لحن عندهم ونقله عن سيبويه وقيل بل هي هنا ابتدائية لابتدا الغاية
اذ لم تسمع بمعنى الى وانه كناية عن الاستيعاب والشمول والمعنى توضوا كلهم بحيث لو قيل
ان ابتدا وضوئهم كان من اخرهم صدق قايله **اقول** سمع ايضا من اخرهم بدون عند كما
في الكشاف في اول البقرة وما ذكره ركيك جدا فالصواب ان يقال انه كناية كما قال وتوجيهه
ان ما الوضو كانه ماخوذ ومبذول من اخرهم والمعروف انه لا يبذل الا ما فضل عن حاجته
فكانهم بذلوه لاولهم ولمن بعدهم وما قاله النووي اسهل واظهر وقد نقل انه لغة في شم
مسلم وهو عبارة النبي صلى الله عليه وسلم ولشراح الكشاف فيه كلام فيها **ورواه ايضا** اي
كالرواية السابقة **عن انس** رضي الله عنه **قتادة** كما في صحيح مسلم **قال** اي انس في هذه
الرواية **بانا فيه ما** الانا بكسر الهمزة مفرد وتقدم انه انية جمعه وليس مفردا كما يتوهم **يغمر**
اصابعه بالغين المعجمة وميم وراء مهملة هو ما يسترها ومنه استعير الغمرة للشدة **او لا يكاد**
يغمرها يعني انه قليل لا يغطيها وتقدم انه صلى الله عليه وسلم فعله تسترا وتادبا مع الله الذي
لا يوجد المعدوم سواه وكاد للمقاربة ونفيها ابلغ من نفي الفعل الذي هو خبرها والكلام
عليها مشهور فلا حاجة لتكثير السواد به هنا كما فعله بعضهم **قال** اي قتادة لانس رضي الله
عنه **كم كنتم** معاشر الناس الذين توضؤا من ذلك الماء **قال زها** بضم الزاي المعجمة والمد
ويقال ايضا لها باللام اي مقدار **ثلاثماية** رجل واصل الزها العدد الذي يقدر بالتخمين
فقد ينقص او يزيد بمقدار يسير يقال زهوت القوم اذا حذرتهم وقدرتهم من غير عد حقيقي
وليس من الزهو بمعنى الفخر والعجب **وفي رواية عنه** اي عن انس رضي الله عنه **وهم**
بالزورا عند السوق الزورا مكان مرتفع قريب من مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة
وثمة سوقها **ورواه** اي حديث نبع الما **ايضا حميد** بالتصغير وهو المعروف بالطويل
واختلفوا في اسمه فقيل تير وقيل تيرويه وقيل ترجمان وقيل غير ذلك وهو
ابو عبيدة مولى طلحة الطلحات الخزاعي او الدارمي مات وهو قايم يصلي سنة اثنين واربعين
ومائة وهو ثقة اخرج له الايمة الستة الا انه نسب للتدليس وترجمته في الميزان **وثابت والحسن**
بن ابي الحسن البصري كما تقدم **عن انس** وتفرد البخاري عن مسلم بالرواية الاولى والثالثة
واتفقا على الثانية **وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال** كانوا **ثمانين ونحوه عن ثابت**
عنه اي عن انس **وعنه ايضا** اي عن انس **وهم نحو من سبعين رجلا** وفي مسلم عنه ايضا
بين الستين والثمانين وحمل اختلاف الرواية عنه على انهما كانا قضيتين في وقتين وواقعتا
حال حدث عنهما واذا كان الامر على التقريب والتخمين فلا اشكال ايضا **واما ابن مسعود ففي**
الصحيح اي الحديث الصحيح او صحيح البخاري **عنه** اي عن ابن مسعود رضي الله عنه **من رواية**
علقمة تقدم ترجمته بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اي كانوا مجتمعين عنده وبين
ظرف والالف فيه اشباع كافة عن الاضافة كما ذكره النحاة وفي نسخة بينما وهي كبينا فيما ذكره
وتقع بعد الجملة الاسمية والفعلية وقد يتلقى باذ واذا والاصمعي يستفصح تركها كما هنا **وليس**

معنا ما فقال لنا اطلبوا من معه فضل ما اي بقية من ما كان او زيادة منه على حاجته وقد مر
انه صلى الله عليه وسلم انما طلبه تسترا لئلا يتوهم انه موجد له من العدم دون الله وهو الواجد
الموجد لكل فتادب بذلك مع الله ولو شا لاوجده بدعايه وطلبه له من الله ولو شا لاوجده
ابتدا من غير شي فاتي بما بالبنا للمجهول والفا فصيحة اي فطلبوا الما فوجده بعضهم واتي به
فصبه في اناء اي صبه وسكبه في اناء اخر مكشوف وكانه اتي به في مزادة لا تدخلها اليد
ثم وضع كفه فيه اي في الانا الثاني والعطف بثم لما بينهما من تراخ يسير بدعايه اي فدعا الله
ثم الخ فجعل ينبع بتثليث الموحدة كما مر وجعل بمعنى صار وليس الاسناد مجازيا كما قيل
من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم وهذه القصة هي المتقدمة وانما اعادها اشارة الى
تعدد طرقها الدالة على ذلك ويحتمل انها غيرها وفي الصحيح اي صحيح البخاري او المراد في
الحديث الصحيح وله ولغيره عن سالم بن ابي الجعد الاشجعي الكوفي وهو من كبار التابعين
الثقات روى عن ابن عباس وغيره وتوفي سنة مائة وله ترجمة مفصلة في الميزان عن جابر
رضي الله عنه عطش الناس يوم الحديبية وهو يوم معروف بمكان معروف بين مكة
والطايف وهو مصغر وياؤه مخففة على الافصح ويجوز تشديدها كما تقدم ورسول الله
صلى الله عليه وسلم بين يديه اي عنده في مكان قريب منه ركوة بتثليث الرا المهملة وكاف
وواو والافصح فيه الفتح وجمعه ركا بالكسر والمد وهي انا للما من جلد كالابريق فتوضا
صلى الله عليه وسلم منها واقبل الناس نحوه اي جاوا له صلى الله عليه وسلم وقالوا له
ليس عندنا ما الا في ركوتك جملة حالية والاستثنا متصل فوضع النبي صلى الله عليه وسلم
يده في الركوة فجعل الما يفور اي ينبع ويرتفع لزيادته من بين اصابعه كامثال العيون
اي كان بين كل اصبعين من اصابعه الشريفة عين ما نابعة وفيه اي في حديث سالم هذا فقلت
لجابر رضي الله عنه كم كنتم معاشر الصحابة قالوا لو كنا ماية الف لكفانا ذلك الما لما شاهد من فور انه
الدال على عدم انقطاعه كنا خمس عشر ماية يعني الفا وخمسماية رجل وهم اصحاب الشجرة وبيعة
الرضوان وقد اختلف في عددهم وهذه رواية مشهورة ولذا اقتصر عليها
المص وقيل كانوا الفا واربعماية وصحح هذه الرواية البيهقي وقيل كانوا الفا وستماية وقيل
الفا وخمسماية واربعون وقيل وخمسة وعشرون وقيل وثمانون وقيل وثلاثماية وجمع ابن
دحية رحمه الله بين الروايات بانه كان حزرا وتخمينا لا تحقيقا وتحديدا ورواية سبعماية وهم من
راويها وروي مثله ببنا المجهول اي مثل حديث سالم المذكور عن انس عن جابر صحح في النسخ
بدون عاطف بينهما فان صح هذا فليس رواية انس عن جابر في الكتب الستة كما قاله البرهان الحلبي
وفيه اي في هذا الحديث انه كان بالحديبية كما في الرواية التي قبله وفي رواية الوليد بن عبادة
بن الصامت عنه اي عن جابر رضي الله عنه والوليد هذا ولد في حياته صلى الله عليه وسلم وتوفي
في خلافة عبد الملك بن مروان وهو ثقة لكنه قليل الحديث واخرج له الشيخان والترمذي وابن
ماجة وهو يروي عن ابيه في حديث مسلم الطويل صفة للحديث في ذكر غزوة بواط بضم الباء
الموحدة وفتح الوا والمخففة والف وطا مهملة وهي ثاني غزواته وهي مفصلة في مسلم وغيره
ويجوز فتح يائه ايضا وهي اسم لجبال الجهينة على ابراد من المدينة منها بقرب الينبع وكان في ربيع
الاول سنة اثنين وفي هذا الحديث معجزات له صلى الله عليه وسلم قال قال لي رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا جابر ناد الوضو ناد امر من النداء محذوف الاخر المعتل والوضو بفتح الواو

وهو منصوب

وهو منصوب بمقدر ومفعول ناد مقدر ايضا اي ناد الناس وقل لهم اعطوا او ناولوا الوضوء
وهو الما الذي يتوضا به وفيه حث لهم عليه وذكر الحديث بطوله وفيه ان رجلا من الانصار كان
يبرد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما في سقا فلما اخبره انه نادى فلم يجد الما قال له انطلق الى فلان
الانصاري فانظر هل في اشجائه من شي قال فانطلقت اليه واخبره بما عنده وانه لم يجد عند الانصاري
الا قطرة اراد ما قليلا جدا في عزلا شجب اي في فم قربة بالية وعزلا بفتح العين المهملة وسكون الزاي
المعجمة ولام بعدها مدة وهمزة وهم فم الراوية ومصب الما منها وجمعه عزالي بفتح اللام وكسرها
وشجب بفتح الشين المعجمة قيل او كسرها وسكون الجيم وبا موحدة ما قدم من القرب او اعواد
تعلق عليها القرب ونحوها وجمعه شجب واشجاب واصل معناه الهلاك فاتي به ببنا المفعول
ويجوز بناوه للفاعل والرواية الاولى وضمير به للمذكور النبي صلى الله عليه وسلم فغمره
بفتح الغين المعجمة والميم والزاي المعجمة اي وضع يده عليه وكبسه بها والغمر هنا كالذي في قوله

وكنت اذا غمزت قناة قوم ۞ كسرت كعوبها او تستقيما

والغمز بالعين الاشارة بها معنى الخز وتكلم بشي لا ادري ما هو وفي الحديث انه صلى الله عليه
وسلم جعل يتكلم بشي لا ادري ما هو فكانه سر من اسرار الله تكلم به بالسريانية ونحوها ليخفى
على غيره وقد تقدم حكاية مثله في رد الشمس المتقدم وقال ناد بجفنة الركب الجفنة كالقصعة
لفظا ومعنى وهي التي تشبع عشرة فاكثر ودونها الصحفة ثم الماكلة والركب بفتح ثم سكون
اسم جمع لراكب والمراد الناس وان يكونوا راكبين بالفعل وهذا وقع في رواية لقتادة
والذي في مسلم ناد بجفنة فكانه لم يكن معهم الا جفنة واحدة وضمن ناد معنى ائت بها بدليل
قوله فاتيت بها بالبنا للمفعول كما قاله البرهان وغيره ويجوز البنا للفاعل وقيل مفعوله
محذوف اي ناد القوم ليأتوا بجفنتهم او هي منزلة منزلة من يعقل لا ان الله خلق فيها ادراكا
حتى تنادي هي فتاتي بنفسها ويكون ذلك معجزة له صلى الله عليه وسلم لانه لم ينقل لنا
مثله فوضعتها بين يديه وذكر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط
يده بالسين والصاد وبهما قرئ اي وضع يده الشريفة في الجفنة مبسوطة ليكون ابرك
وفرق اصابعه وصب جابر عليه ما كان في القربة من الما وقال اي النبي صلى الله عليه وسلم
بسم الله اتبرك واطلب نبع الما ويحتمل القسم لصحة نيته بذلك واقتصر عليه لانه الماثور في ساير
الافعال لا لبيان انه يجري بدون الرحمن الرحيم كما قيل ولو قلنا فاعل قال بسم الله جابر كان
اوفق بما في الرواية من انه وضع يده في قعر الجفنة وقال خذ يا جابر صب علي وقل بسم الله
فصببت عليه وسلم وقلت بسم الله فلا يقال كيف استبد جابر بالصب من غير اذن وان المص غير
الرواية ونسب لجابر ما لم يقله فيجاب بان كمال جابر وما علم من داب الصحابة رضي الله عنهم
معه صلى الله عليه وسلم قرينة على ما ذكر قال جابر رضي الله عنه فرايت الما يفور اي
يزيد ويرتفع حتى تندفق من فار القدر اذا غلا ما فيه من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم
ثم فارت الجفنة اي فار ماوها ففيه مضاف مقدر او الاسناد مجازي للمبالغة في فورانه واستدارت
اي دار ماوها لان الما اذا زاد بسرعة يرى كانه يدور وليس المراد ان الجفنة نفسها استدارت
لعظم الامر فانه لا محصل له حتى امتلات وامر الناس بالاستقا فاستقوا حتى رووا اي اخذ
كل منهم من الما ما يكفيه ودوابه وشربوا حتى ذهب عطشهم والري مقابل العطش وفيما رواه
المص بعض مخالفة لما في صحيح مسلم بحسب اللفظ دون المعنى كقوله ودارت وفي بعض نسخة

فارت الجفنة ثم فارت بالتكرار فقلت هل بقي احد له حاجة اي قال جابر فقلت الخ وهل هنا فقيل
انها نافية كقوله صلى الله عليه وسلم هل ترك لنا عقيل من دار ويجوز ان تكون استفهامية
وقوله فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة الفا فيه فصيحة اي فقال لا فرفع
الخ وحديث جابر هذا ليس في شيء من الكتب الستة غير مسلم وهي ملأى بوزن سكرى اي مملوءة
بالماء لم تنقص شيئا بما اخذوه وعن الشعبي هو من كبار التابعين فحديثه هذا مرسل والمرسل يستدل
به عند مالك والمص مالكي المذهب اتي النبي صلى الله عليه وسلم بالبناء للمجهول اي اتاه بعض الصحابة
باداوة بكسر الهمزة وفتح الدال المهملة والف وواو وجمعها اداوي وهي اناء صغير للماء
من جلد ولذا اضافها لقوله ما في بعض اسفاره وقيل ما معنا يا رسول الله ما غيرها فكسبها
اي صبها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه او امر بصبها ووضع اصبعه بالافراد وقد تقدم
لغات الاصبع وانها عشرة وسطها بفتح السين وسكونها وهو منصوب على الظرفية اي وضعه
في وسط مائها وفي الفرق بين الوسط مسكنا ومحركا كلام في كتب العربية ليس هذا محله
وبيناه في شرح الدرة وتقدم فيما مر ما فيه الكفاية وغمسها في الماء تفسير لما قبله والغمس
بغين معجمة الادخال وجعل الناس يجيئون ويتوضؤن جعل هنا بمعنى صار وطفق نحو جعل
زيد يقول كذا وهو احد معانيه الخمسة ثم يقومون بعد الوضوء قال الترمذي ابو عيسى امام اهل السنة
المشهور صاحب الجامع وغيره وفي الباب اي في هذا الباب الذي ذكر فيه معجزاته ونبع الماء عن عمران
بن حصين بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين اي روي عنه مثله ومثل هذا الامر المعجز المروي في هذا
الحديث في المواطن جمع موطن وهو موضع التوطن وهو هنا بمعنى المجالس الحفلة
بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء واللام والهاء اي الكثيرة الناس والجموع الكثيرة اي جموع
الناس الكثيرة في مثل هذه المحافل لا يتطرق التهمة بضم المثناة الفوقية وفتح الحاء ويجوز
تسكينها وتاؤها مبدلة من الواو والتهمة ما يتوهم ويظن في شيء على خلاف الواقع وقيل
التسكين غلط وهو ظاهر ما في القاموس والصحاح ولا يكون الا اسما لما يتهم به وقيل
انه بالسكون مصدر وبالفتح اسم كما في المفتاح لابن كمال وفيه نظر ويتطرق بمعنى يصل واصل
معناه يجد طريقا اي المحدث به بفتح الدال المهملة المشددة وكسرها لانهم كانوا اسرع
شيء الى تكذيبه اي تكذيب المخبر عنه او الخبر لوقوعه بين ناس كثيرين لا يمكن تواطيهم على
الكذب لما جبلت عليه النفوس من ذلك اي الاسراع الى التكذيب ولانهم اي من حضر تلك المحافل
قد رووا هذا الحديث الذي فيه نبع الماء من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم واشاعوه
ونسبوا حضور الجماء الغفير له اي قالوا انه وقع في محافل الناس لا يحصون كثرة
فلا يمكن كونه كذبا وحضور الجماء الغفير كجماء والجماء الغفير اي كلهم شريفهم ووضيعهم
بحيث لم يتخلف منهم احد وفيه لغات واستعمالات كثيرة ذكرها في القاموس وليس هذا
محل تفصيلها ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم اي لم يقل احد ان ما نقلوه
من هذه المعجزة انها لا اصل لها ونحوه انهم فعلوه وشاهدوه بفتح همزة ان بدل مما حدث
وما فعلوه كوضوئهم وتقديمهم الاداوة فصب الماء وغيره مما تقدم وما يشاهدوه نبع الماء
وتدفقه وكثرته فصار ما ذكر من كثرة من نقله من عدول الصحابة وعدم انكار غيره
كتصديق جميعهم له اي لذلك الخبر والحديث فيتواتر تواترا معنويا وامرا مجمعا
عليه وفي نسخة لهم فصل ومما يشبه هذا اي من المعجزات المشبهة لنبع الماء من بين

في هذه

كانوا ممن لا يسكت على باطل فلا يقرونه على ما قاله اذا كذب فيهم وهم عرفوا خلافه ولا يخافون في الله لومة لائم وهؤلاء المذكورون وغيرهم

اصابعه

فتنة

اصابعه صلي الله عليه وسلم من معجزاته بيان لما اوحاما اسم الاشارة تفجير الماء بركته صلي الله عليه وسلم والتفجير الشق الواسع يقال فجرت الارض فانفجرت وتفجرت ومنه الفجر بمعني الصبح وانما للماء اضافة مجازية مثل اضافة المحل الي الحال قال عز وجل وفجرنا الارض عيونا والتفجير مجاز بمعني الاخراج وهو شايع فيه وقوله بمركته اي بيمينه وجوده في مكان اخرج منه الماء والبركة الخير الدايم وهي في الاصل مأ البرك ومنه البركة وهو الموضع الذي يضمه البعير علي الارض اذا برك ومنه البركة وهي الموضع الذي يحبس فيه الماء وقوله تبارك وتعالي انزلني منزلا مباركا اي كثير الخير وتبارك الله بمعني زاد خيره الذي اضافه علي عباده وهو لا يتصرف ولا يستعمل في غير الله وابتعاثه وهو افتعال من البعث وهو الاثارة والاخراج للماشي يجري بسه ودعوته اي بلسانه لحمله ودعايته لله واخرهنا عن تبعه من بين اصابعه لانه الاولي اقوي في المعجزة لاحتمال هذا الكونه مما الالتقاطيات كغيره من الماء الجاري وفي بعض النسخ ابتعاثه من الافتعال بالثاء المثلثة وهما بمعني واحد مطاوع بعثه فانبعث وابتعث كانشوي واشتوي وجعل هذا شبيها بذاك لما تقدم رواه مالك في الموطا ومسلم في صحيحه وعزاه المم للموطا وحده لانه رواية له هذا سند اعنده اولترجيح روايته عن معاذ بن جبل الصحابي المشهور رضي الله عنه في قصة غزوة تبوك بفتح المثناة الفوقية اسم مكان بين الشام والمدينة غزاه صلي الله عليه وسلم في غزوة مبينة في السير وانهم اي الجيش الذين كانوا معه صلي الله عليه وسلم وردوا العين بتفريغها للعهد اي عينا بتبوك نزلوا عليها في سفرهم هذا وهي بفتح المهملة وكسر الميم وتشديد التحتية تضاف مع بعض بئر نزرع بمرحة رضاد معجمة مشددة ما بحي الماء اذا سال سيلا ناقليلا وحيوت اذا يكون بصاد مهملة من بص الماء وبرق وهو رواية فيه وهو كناية عن قلة الماء ولذا قال شيئ مثل الشراك بكسر الشين المعجمة وفتح وكسر الراء المهملة والف وكاف وهو سير النعل الذي يكون علي وجهه وشبهه به لقلته وضعف جريانه وليس بمعني لحذ ودفي الارض كما قيل فغرفوا من العين بايديهم حتي اجتمع الماء الذي عروه في شئ من الاواني التي كانت معهم وليس فيه قلب واذا الاصل غرفوا في شئ حتي اجتمع ما كثير كما توهم ثم غسل رسول الله صلي الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه في شئ حتي اجتمع ما كثير كما توهم ثم اعاده فيها اي في العين ضمير فيه للشئ بمعني الاناء او للماء وهو الظاهر منه ولكنه لم يتكلم عليه وقوله واعاده فيها اي في العين التي غرفوا منها وضمير اعادها للماء لا للوجه كما توهم فجرت بماء كثير اي جري من تلك العين ماء كثير فاستقي الناس اي شربوا وسقوا دوابهم قال اي معاذ بن جبل رضي الله عنه فاخبرني عبد بك ابن ابي اسحاق صاحب السير فيما رواه عن معاذ في سيرته فاخبرني بنون وخاء معجمة مشددة من بخ الماء اذا سال سيلا ناقليلا وقاف اي انفجر انفجارا بشدة من الماء الحس كحس الصواعق بمهملة وزاي مهملة وقاف اي انفجار

عمرك ورايت هذا المكان ان ترى بعينك وهو فاعل يوشك وان بالفتح مصدرية ما هاهنا
ما موصولة اي الذي هاهنا وهو اشارة للمكان قد ملئ بالبنا للمجهول جنانا منصوب على
التمييز وهو بكسر الجيم جمع جنة بفتحها وهي البستان اي يكثر ماؤه ويخصب ارضه فتكون
بساتين ذات ثمار وشجر كثيرة والحديث طويل اقتصر منه على بعضه المراد منه اختصارا وفي حديث
البرا ابن عازب بفتح البا الموحدة كما تقدم وسلمة بن الاكوع افعل من الكوع بفتحتين وهو
اعوجاج اليد وحديث سلمة بفتحتين في مسلم وحديثه اي حديث سلمة الذي رواه مسلم
اتم من حديث البرا كما ياتي في قصة الحديبية التي قدمناها وفيها بيعة الرضوان
وهم اربع عشرماية رجل من الصحابة كما تقدم ويبرها اي وما يبرها لا يروي بضم المثناة الفوقية
خمسين شاة الشاة معروفة وروي اشاة بهمزة مكسورة في اوله ومفتوحة في اخره وهي
النخلة الصغيرة فنزحناها اي اخرجنا جميع ما فيها من الما بطينة فلم نترك فيها قطرة من
مايها ففقد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباها بفتح الجيم والبا الموحدة
مقصور وهم فم البير وما حولها وبالكسر ما جمع فيها من الما ويروي فيها بشين معجمة
وهما بمعنى هنا قال البرا واتي بالبنا للمفعول بدلو منها اي من تلك البير اي بما دلو مما
نزحوه منها فنصف اي القى ريقه ودعا بعد بصاقه او هو شك من الراوي وفي نسخة
فاما دعا الخ وضمير فيها راجع للبير لا للدلو كما قيل فجاشت البير اي فارماوها حتى
ارتفع لقمها من جاشت القدر اذا غلت فارووا انفسهم وركابهم كابهم اي شربوا منها
حتى ارتووا وسقوا ركابهم حتى رويت والركاب بكسر الرا المهملة الابل جمع لا واحد له
من لفظه وقد علمت ان حديث البرا رواه البخاري ولفظه قال تعدون وانتم الفتح فتح
مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم اربع عشرماية والحديبية بير فنزحناها فلم نترك فيها قطرة
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ما فتوضا
فتمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا نحن وركابنا اهدى
صرفتنا ونحن وابلنا راوا ولم يحتج للمقام بها لاجل الما وان حديث سلمة في صحيح مسلم
وهو انه قال قد قدمنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن اربع عشرة
ماية وعليها خمسون شاة لا ترويها قال فقد رسول الله صلى الله عليه وسلم على جباء
الركية فاما دعا واما بصق فيها قال فجاشت فسقينا واستقينا قال ثم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعانا للبيعة في اصل الشجرة فبايعته اول الناس ثم بايع حتى اذا كان
في وسط النهار قال بايع يا سلمة فقلت قد بايعتك يا رسول الله في اول الناس قال وايضا
ورآني رسول الله صلى الله عليه وسلم اعزل اي ليس معي سلاح فاعطاني حجفة او درقة
ثم بايع حتى كان في اخر الناس قال الا تبايعني يا سلمة قلت قد بايعتك يا رسول الله اول
الناس واوسط الناس قال وايضا فبايعته الثالثة الحديث ومنه تعلم ما قدمه المص من ان
حديث سلمة اتم لما فيه من تفصيل القصة وانه كان عليها من يستقي للشاحين قدموا
ولذكره كيفية المبايعة وما جرى له معه صلى الله عليه وسلم وفي غير هذه الروايتين كذا
في اكثر النسخ بتوحيد هذه وفي بعضها هاتين الروايتين قيل وهو الصواب لتثنية
المنشار اليه ووجه الاول بانه وحد اسم الاشارة لاتحاد الروايتين معنى لان القصة

فيهما

فيهما واحدة ممكنة لا يخلو من تكلف والروايتان رواية البراء ورواية سلمة في هذه القصة اي في
قصة الحديبية من طريق ابن شهاب الزهري وقد تقدمت ترجمته مرارا في الحديبية تفسير
للقصة فاخرج سهما من كنانته هي ما يوضع فيه السهام لانها تكنها اي تسترها فوضع بالبنا
للمجهول وفي بعض النسخ فوضعه اي امر بوضعه في قليب ليس فيه ما القليب البير المحفورة من غير
بنا فان بنيت فهي طوي ويذكر ويونث وهو مخالف للرواية السابقة انه كان ما قليل والذي وضع
السهم البراء وقيل ناجية على ما ياتي فروى الناس بفتح الرا المهملة والمثناة التحتية بينهما
واو مكسورة اي شبعوا هم ودوابهم لقوله حتى ضربوا بعطن هو بفتح العين والطا المهملتين ونون
محل تبرك فيه الابل عند الما بعد شربها لتعود لعلل بعد نهل وضربوا بمعنى اقاموا من ضرب الخيمة
اذا نصبها يقال ضربت الابل بعطن اذا بركت يعني انهم لما راوا كثرة الما نزلوا عنده وهذا
الحديث رواه البيهقي مسند المروان بن الحكم والمسور بن مخرمة قال فيه خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم لزيارة البيت لا يريد حربا فذكر الحديث وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال ايها
الناس انزلوا فقالوا ما بالوادي ما ننزل عليه فاخرج سهما من كنانته اعطاه رجلا من اصحابه فقال انزل
للقليب واغرزه فيه ففعل فجا الما حتى ضرب الناس بعطن وفيه انا الذي نزل في البير خلاد الغفاري
دلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمامة وقيل هو ناجية السلمي وكان البرا بن عازب رضي الله
عنه يقول انا الذي نزلت كذا في دلايل النبوة وعن ابي قتادة هو الحارث بن ربعي وقيل
النعمان بن ربعي وقيل اسمه عمرو وهذا الحديث رواه البيهقي ايضا فلذا عطفه فقال وذكر ان
الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره لانه كان يوما شديد
الحر فدعا بالميضاة بكسر الميم ويا منقلبة عن واو لانها الة الوضو وهي مقصورة وزنها مفعلة
وقد تمد فوزنها مفاعلة ودعا بمعنى طلب مطهرة ما الوضو فاتي بها فجعلها في ضبنة بكسر
الضاد المعجمة وسكون البا الموحدة والنون وهو ما تحت الابط قريب من الحضن يقال اضبنته
اذا جعلته في ضبنك وبه سمي العيال كما في الغريبين والمراد انه امسكها وضمها اليه ثم التقم
فمها اي ادخل فمها في فيه كما يدخل اللقمة فالله اعلم اي قال الراوي اني لا اعلم نفث فيها ام لا
اي انفث في تلك الميضاة ام لا والنفث بنون وفا وثا مثلثة نفخ لطيف بغير ريق كالنفخ واقل
من النفل فشرب الناس من تلك الميضاة حتى رووا اي حصل لهم الري المزيل للعطش وملاوا
كل اناء معهم مما فضل عن شربهم فخيل بالبنا للمجهول الي انها كما اخذها مني اي مثل ما
اخذها مني لم تنقص شيا مما كان فيها حين اخذها مني وانما قال خيل لانه بالحدس اذ لم يتحقق
مقدار ما كان فيها وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري
محمد بن جرير الامام المشهور حديث ابي قتادة المذكور على غير ما ذكره اهل الصحيح اي فيه
مخالفة لما رواه اصحاب الحديث المعتنون بتصحيحه وان النبي صلى الله عليه وسلم خرج
بهم اي بهولا المذكورين من الصحابة رضي الله عنهم ممدا لاهل مؤتة بضم الميم وسكون
الواو وجوز بعضهم همزها ساكنة ثم مثناة فوقية وهي ارض من البلقا وقرية بين تبوك
وحوران من الشام وممدا بمعنى مقويا ومعينا عند ما بلغه قتل الامرا ما مصدرية
والامرا جمع امير وهم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعفر ابن ابي
طالب وعبد الله بن رواحة وذلك انه صلى الله عليه وسلم ارسل حارث ابن عمير الازدي
بكتاب الى ملك بصرى فلما نزل بمؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني فقتله ولم يقتل رسول

له

له قبله فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة على ثلاثة الاف وارسلهم لقتال شرحبيل
وقال ان قتل زيد فاميركم جعفر فان قتل جعفر فاميركم عبد الله بن رواحة فان قتل فليرض
المسلمون برجل منهم وعقد للسرية لوا دفعه لزيد واوصاهم كما ذكره اهل السير فلما التقوا قتل
زيد ثم جعفر ثم عبد الله كما اخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفعت الراية لخالد بن الوليد
الى اخر الحديث وفيه معجزات له صلى الله عليه وسلم من اخباره بالغيب كما اشار اليه بقوله وذكر
اي ابن جرير حديثا طويلا فيه معجزات وايات للنبي صلى الله عليه وسلم كما ذكر وما
شاهده من جعفر وطيرانه في الجنة بجناحين وغير ذلك مما فضله الله به وعظم قدره وفيه
اعلامهم انهم يفقدون الما في غد وذكر ابن جرير حديث الميضاة السابق قال والقوم
زهاء ثلاثمائة اي قريب من ذلك بطريق الحزر والتخمين كما تقدم انفا وفي كتاب مسلم انه
صلى الله عليه وسلم قال لابي قتادة وقد راى معه ميضاة احفظ علي وفي نسخة علينا
ميضاتك هذه وامسكها عندك فانه ضمير شان سيكون لها نبا اي خبر عظيم وقصة عجيبة
في امر مائها وكفايته القوم وما يظهر بها من المعجزة العظيمة وذكر نحوه اي مثل ما تقدم ومن ذلك
اي من قبيل المعجزة السابقة في تعجيز الما حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله
عليه وسلم واصابه عطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين من اصحابه
اي ارسلهما لجهة من الجهات واعلمهما انهما يجدان امراة بمكان كذا الرجلان عمران بن
حصين الراوي وعلي ابن ابي طالب كرم الله وجهه وقيل انهما علي والزبير بن العوام
وفي البيهقي ان عليا كرم الله وجهه خرج في نفر من اصحابه ولم يسم احد هذه المراة الا انه
وقع في السير انها اسلمت ولم يذكروا اسم المكان الا اثر في الحديث انه بروضة خاخ ان كانت القصة
واحدة معها بعير قال اهل اللغة انه يطلق على الذكر والانثى عليه مزادتان المزادة بفتح الميم
من جلد يحمل فيه الما كالقربة وهو من الزيادة لانه زيد فيه جلد مع جلد لا من الزاد كما توهمه
بعضهم فقالوا تثنية لمزود والحديث فوجداها اي المراة واتيا بها الى النبي صلى الله
عليه وسلم فجعل في انا من مزادتيها اي في الما الموضوع في الانا ما شا الله ان يقول
المراد دعاؤه وذكر اسما الله عليه ونحوه لم يسموه ولذا ابهموه ثم اعاد الما الذي اخذه
في انايه من المزادتين فرده بعض بعد ما دعا له في المزادتين اللتين للمراة ثم فتحت عزاليهما
ببنا الفعل للمجهول وعزاليهما بكسر اللام جمع عزلا وهو فم القربة كما تقدم والتانيث
والجمع وليس للقربة الا فم واحد قيل لانها كانت تتعدد في قربهم عزلا وان من
اسفل وعزلا وان من فوق وما كان من اسفل يخص باسم العزلا والاحسن ان الجمع قد يطلق
على الواحد وليس على حد قوله قد صغت قلوبكما لاختصاصه بما اذا كان المضاف مثنى
وانما جنى على مائها لانها كانت حربية ولضرورة العطش وقد قيل ان هذه المراة اسلمت
لما شاهدت هذه المعجزة العظيمة منه صلى الله عليه وسلم وامر صلى الله عليه وسلم الناس
ان يملؤا منه فملوا سقيهم جمع سقا وهو انا من جلد يوضع فيه الما حتى لم يدعوا شيا
من اوانيهم الا ملوه ماء عمران بن حصين رضي الله عنه وانا يخيل الي بالبنا للمجهول انهما لم
يزدادا الا امتلاء فالجملة حالية بتقدير مبتدا اي حال كوني وقع في مخيلتي ان المزادتين
بعد اخذ الناس منهما الما انهما لم ينقصا بل زادا عما كانا عليه ثم امر صلى الله عليه وسلم
ان يعطوها من زادهم شيا بدلا مما اخذ من مائها تفضلا منه فان ماءها لم ينقص فجمع

بالبنا

بالبنا للمفعول اي جمع الناس للمراة حتى ملؤا انؤبها وحملوه على بعيرها وقال صلى الله عليه
وسلم للمراة اذهبي فانا لم ناخذ مما بدك شيا ولكن الله سقانا من فضله واختلفت الروايات
هنا في بعضها ما ذكره المم فقط وفي بعضها انهم ملؤا اسقيتهم وستوا ابلهم وانه امرهم بذلك
واستقاله صلى الله عليه وسلم من ما القربة التي للكافرة لا ينافي النهي سنه عن استعمال اوانيهم
وانهم نجس وامرهم بغسلها اذا اضطروا لاستعمالها لاختصاصه بما يحتمل النجاسة لقدرتهم
واوانيهم التي يصنعون فيها الخمر والخنزير وقرب الما لا يتوهم فيها ذلك الحديث بطوله اي
اقول الحديث بطوله وتمامه اذا اردت الوقوف عليه وفيه اشارة الى انه حديث طويل مروي في كتب
الحديث كالبخاري وغيره لاشتماله على رجوعها لقومها وذكرها لهم القصة بتمامها وتعجبها
مما رات من المعجزة له صلى الله عليه وسلم لكن المم اقتصر على محل الشاهد منه وعن سلمة بن
الاكوع رضي الله عنه تقدم بيانه انه قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم في يوم من الايام هل
من وضو بفتح الواو كما تقدم وانه الما الذي يتوضا به وبالضم نفس الفعل ومن زائدة
في المبتدا القدر خبره اي هل معكم وضو وسوغ الابتدا بالنكرة وقوعه بعد الاستفهام فجا رجل
باداوة بكسر الهمزة وبالمهملة اي انا من جلد صغير فيها نطفة اي ما قليل وقد تطلق على
غيره لتنزيله منزلة لنكتة واصل معناها الفطرة وفيها منه نطفة الرجل لمنيه فافرغها في قدح
اي صبها في اناء فتوضانا كلنا بالرفع توكيد لضمير الفاعل نرغفة وغفقة مفعول
مطلق ونرغفة بضم النون وفتح الدال المهملة وسكون الغين المعجمة ثم فا مكسورة وقاف
اي نضب صبا كثيرا من فوقهم عيش رغفق اي واسع اربع عشرة مايه من الرجال واربع بالرفع
خبر مبتدا مقدر اي وخبرا اربع الخ او بدل من ضمير نرغفة اي توضانا لانه بيان للعدد من
توضانا وكنا تهم مع قلة الما وصغر الاناء ونصبه على الحالية من احد الضمائر وفي حديث عمر بن
الخطاب رضي الله عنه الذي رواه البيهقي والبزار وابن خزيمة في مسنده بسند صحيح في جيش
العسرة بضم العين وسكون السين المهملتين وهي غزوة تبوك الواقعة في سنة تسع من الهجرة
وسميت بذلك لانها انفقت في زمان كانت النفقة والزاد في غاية القلة عندهم ولذا الوبو
النبي صلى الله عليه وسلم فيها كما كانت عادته في اسفاره ولعثمان بن عفان رضي الله عنه
فيها اليد البيضا لما جهزهم به كما بين في السير وسمي الفاضحة لافتضاح الفاضحة
المنافقين فيها والعسرة هي الشدة والضيق وذكر عمر رضي الله عنه ما اصابهم اي جيش
العسرة من العطش لقلة الما حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه هو ما في كرشه فيشربه
اي يشرب ما عصره منه مع تغيره وقلته وهم كانوا يفعلون ذلك في ضنكهم فزعب ابو بكر
اي رغب ما عصره منه مع تغيره وقلته وهم كانوا يفعلون ذلك في ضنكهم فزعب ابو بكر
رضي الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم والرغبة طلب ما يحبه ويتعدى للمطلوب
بفي فيقال رغب في كذا ولعنده بعدا فيقال رغب عنه ويكون بمعنى التضرع فيتعدى بالي
بفي فيقال رغب في كذا ولعنده بعدا فيقال رغب عنه ويكون بمعنى التضرع فيتعدى بالي
طلبه اي تضرع وتذلل في الدعا اي في دعايه صلى الله عليه وسلم وتوجهه لربه
لينزل ما بالناس من الباس الذي علمه منهم ورفع يديه نحو السما التي جعلها الله قبلة
للدعا ورفع اليدين نحو هاسنة كمسح الوجه بهما بعده كما ذكره ابن حجر اي ودعا ربه وتضرع اليه
كما ورد انه طفق يهتف بربه ان يدعوه ويناشده في سرعة اجابته فلم يرجعهما بفتح الياء
اي لم يرد يديه من دعايه ويرجع سقد كما في قوله تعالى فان رجعك الله ويكون لازما
ايضا حتى قالت السما اي غيمة وظهر فيها سحاب من قولهم قالكذا اذا تهيا له

واستعد كما في القاموس وفي بعض الحواشي يقال قالت السما اذا ارعدت وغيمت وتفسيرها بامطرت
لا يناسب قوله فانسكب اي انسكب ماوها فالاسناد مجازي وكون السما بمعنى المطر بعيد
هنا وكذا كونها استخداما كقوله

اذا نزل السما بارض قوم • رعيناه وان كانوا غضابا

فمليوا ما معهم من انية جمع انا كاوان وبعضهم يظنه مفردا وهو وهم كما مر والاناء
معروف ولم يجاوز العسكر في يجاوز ضمير مستتر راجع للسما بمعنى السحاب او للمطر المعلوم
من السياق وهذه معجزة اخرى وعن عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص
السهمي الصحابي المشهور وفي الاحتجاج بعمرو هذا اختلاف واقوال والاكثر على الاحتجاج
به وهو يروي عن ابيه وغيره واخرج له اربعة من اصحاب السنن وهذا الحديث ليس فيها
وتوفي سنة ثمان عشرة ومائة ودفن بالطايف ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه
وسلم وهو رديفه اي راكب خلفه وضمير هو للنبي صلى الله عليه وسلم وضمير رديفه
لابي طالب بذي المجاز بفتح الميم والجيم والف ثم زاي معجمة وذي بمعنى صاحب اي محل الجواز
وذو المجاز اسم سوق بقرب عرفة كانوا يجتمعون فيه في الجاهلية كما كانوا يجتمعون بعكاظ
وهذا الحديث رواه ابن سعد عن اسحاق بن الازرق عن عبد الله بن عون بن عمرو
وعطشت وليس عندي ما فنزل النبي صلى الله عليه وسلم عن الدابة التي اردف عليها
وضرب بقدمه الارض فخرج الما فقال صلى الله عليه وسلم لابي طالب اشرب قيل هذا
كان قبل البعثة قيل ولم يذكره على سبيل الاحتجاج لان ابا طالب كافر لا يستدل بقوله
والحديث في هذا الباب اي باب نبع الما وخروجه ببركته صلى الله عليه وسلم كثير ومنه الاجابة
بدعا الاستسقا اي دعاوه صلى الله عليه وسلم بطلب السقيا وايجاد الما عند الحاجة له
وما جانسه اي شابه الاستسقا من السما كما ذكر هنا وهو ماخوذ من الجنس وهو معروف
فصل مناسب لما قبله لان الاكل والشرب توأمان ومن معجزاته صلى الله
عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعايه النافعين عند الحاجة وبداه بحديث رواه مسلم
في صحيحه بسند صحيح وهو حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله هو الحافظ ابن
سكرة وتقدمت ترجمته قال حدثنا العذري قال حدثنا الرازي تقدمت ترجمتهما
وبيان نسبتهما قال حدثنا الجلودي تقدمت ترجمته ونسبته وانه يجوز ضم الجيم وفتحها قال
حدثنا ابن سفيان هو ابراهيم بن محمد بن سفيان راوي صحيح مسلم وقد تقدمت
ترجمته قال حدثنا مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح المشهور كما تقدم قال حدثنا سلمة بن شبيب
ابو عبد الرحمن النيسابوري الحافظ الثقة اخرج له اصحاب السنن وتوفي سنة سبع واربعين
ومائتين قال حدثنا الحسن بن اعين افعل تفضيل من العين وهو الحسن بن اعين بن محمد
الحمراني الثقة قال حدثنا معقل بفتح الميم وسكون المهملة والقاف المكسورة عن ابي الزبير
محمد بن مسلم الثقة وترجمته مشهورة عن جابر الصحابي المشهور رضي الله عنه ان رجلا
اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه اي يطلب منه طعاما ولاهله لشدة احتياجه وهذا
الرجل لم يعرفوا اسمه لانه من اهل البادية والطعام ما يوكل به قوام البدن ويطلق على غيره
مجازا فاطعمه اي اعطاه لان الاطعام يكون بمعنى الاعطا كثيرا حتى انه لكثرته يستعمل فيما لم
يكن ماكولا فيقال اطعمه السلطان بلدة وهو مجاز مرسل او استعارة شطر وسق شعير

الشطر

الشطر هنا بمعنى النصف وهو اصله ويكون بمعنى البعض مطلقا وبمعنى الجهة كقوله تعالى فول
شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره والمراد جهته والوسق بفتح الواو
وكسرها وسكون السين المهملة وقاف بمعنى الحمل فيقال وسق بعير اي حمله ثم خص وصار
حقيقة عرفية في ستون صاعا بصاعه صلى الله عليه وسلم وهو ثلاثمائة وعشرون حجازية واربعة
وثمانون رطلا عراقية على الاختلاف في قدر الصاع والمد فشطره ثلاثون صاعا وعلى الاول
مائة وستون رطلا وعلى الثاني مائتان واربعون رطلا والكلام في المقادير الشرعية مفصل
في كتب الفروع **فما زال ياكل منه وامراته** بالرفع معطوف على الضمير المستتر في ياكل من غير
فصل موكد كاسكن انت وزوجك الجنة وهو الافصح وقد يعطف بفاصل من غير ضمير كما هنا فانه
فصله بقوله منه وهو فصيح ايضا وقد يعطف من غير فاصل اصلا كما في قول علي كرم الله وجهه
كنت وابو بكر وعمر لكنه قليل **وضيفه** اي من ينزل عليه من غير اهله وهو يطلق على الواحد
وغيره وقد يختص بالفرد فيقال ضيف وضيفان وضيوف اي لم يزالوا ياكلوا منه وهو باق
بحاله من غير نقص لانه لا يزال يكثر ببركة النبي صلى الله عليه وسلم وهو محل استشهاد
المص وفي نسخة وضيف **حتى كاله** غاية لاكله اي استمر اكلهم منه من غير نقص شيء منه الى ان كاله
فظهر نقصه بعد الكيل مما ياخذه منه فكانت البركة في ترك كيله حتى لو لم يكله لم ينفذ وترك الكيل
والعد فيه بركة لما فيه من الاتكال على الله وهو اكثر بركة وهكذا جرت عادة الله واما ما ورد
في الحديث من قوله صلى الله عليه وسلم كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه فهو بالنسبة لمن كان
يخشى خيانة فيه وقيل المراد كيلوا ما تخرجونه للنفقة منه لئلا يخرج اكثر من الحاجة او اقل
بشرط ان يبقى الباقي مجهولا غير مكيل وقيل انه انما كان كذلك لافشائه سرا من اسرار الله
ينبغي كتمه **فاتى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره** بتكثير ما اعطاه له صلى الله عليه وسلم
ببركته **فقال لو لم تكله لاكلتم منه** اي لاستمر اكلكم منه الى غير النهاية **ولقام بكم** اي لكفاكم مدة حياتكم
وكان فيه قوام لكم من غير نقص وهذا الرجل هو جد سعيد بن الحارث وكان فيه قوام لكم من غير
نقص وهذا الرجل هو جد سعيد بن الحارث وكان استعان به صلى الله عليه وسلم في نكاحه
فانكحه امراة فطلب منه طعاما يقوم به وبزوجته ولم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيء فبعث ابا رافع وابا ايوب الانصاريين بدرعه فرهناه عند يهود في شطر وسق من شعير
ودفعه اليه قال فاكلنا منه سنة وبعض سنة ثم كلناه فوجدناه كما ادخلناه **ومن ذلك** اي تكثير
الطعام ببركته صلى الله عليه وسلم **حديث ابي طلحة المشهور** في قصته التي رواها الشيخان
عن انس رضي الله عنه وهو زيد ابن سهل بن الاسود الانصاري الصحابي رضي الله عنه توفي
سنة احدى وثلاثين وقيل غير ذلك والمشهور بمعنى انه كثرت روايته في كتب الحديث وتعددت
طرقه ويحتمل ان يريد بالمشهور معناه المعروف في مصطلح الحديث **واطعامه صلى الله عليه
وسلم** مرفوع عطف على حديث **ثمانين او سبعين رجلا** وجزم مسلم بالثمانين **من اقراص شعير**
جمع قرص وهو رغيف صغير **اتى بها انس** بن مالك وفي نسخة جا وهو عم ابي طلحة
تحت يده ابي ابطه بكسر الهمزة والبا وتسكينها والابط ما تحت المنكب وفسره به لان اليد
تشمله وغيره والابط يذكر ويونث **فامر بها** اي بالاقراص **ففتت** يقال فتته اذا قطعه
باصابعه قطعا صغيرة بمقدار اللقمة وقد يطلق بمعنى التكسير مطلقا **وقال فيها** اي في شانها
بان دعا ببركتها وذكر اسما الله عليها وقيل في بمعنى على كقوله ولاصلبنكم في جذوع النخل

ما شاء الله ان يقول اي ما قدره وعلمه من الذكر الذي لم يطلع عليه وهو حديث طويل في الصحيحين
اقتصر المص على بعضه اعتمادا على شهرته وفيه ان ابا طلحة رضي الله عنه قال لام سليم لقد سمعت
صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفا اعرف فيه الجوع فهل عندك شيء فقالت نعم
فاخرجت اقراصا من شعير وفيه انه دعا القوم عشرة عشرة وحكمته ان لا يزدحموا على قصعة
واحدة كانت صغيرة وهذا كان بالمدينة لا بالخندق كما توهمه القسطلاني وقد علمت ان الحديث
طويل والكلام عليه مفصل وفيه انهم بعد ما اكلوا دفعه لاهل المنزل فاكلوا واطعموا جيرانهم
وحديث جابر رضي الله عنه الذي رواه البخاري في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم
الخندق اي قصة الخندق المشهورة في السير ومعناه معروف وهو معرب كندة بمعنى
الحفر الف رجل بالنصب معطوف اطعام ويوم الخندق منصوب على الظرفية وحديث
مبتدا خبر مقدر اي من ذلك وقوله من صاع شعير بالاضافة وفي نسخة من صاع من
شعير وتقدم معنى الكلا الصاع وعناق بفتح العين وهي الانثى من اولاد المعز لم يتم
لها سنة وقيل هي التي قاربت الحمل ولم تحمل قال جابر فاقسم بالله لاكلوا وفي نسخة
لقد اكلوا ولما كان هذا امرا غريبا خارقا للعادة اكده بالقسم لانه مظنة الاركان حتى تركوه
وانحرفوا اي اكلوا كلهم حتى شبعوا وقاموا وانصرفوا والانحراف الميل الى جهة اخرى غير
التي كان متوجها لها من الحرف وهو الطرف ومنه قوله تعالى ومن الناس من يعبد الله على
حرف اي على طرف غير متمكن وان برمتنا لتغط البرمة بضم البا الموحدة وسكون الراء
المهملة ثم ميم وها القدر مطلقا او من حجارة وهو المعروف وجمعها برام وتغط بفتح المثناة
وفتح او كسر الغين المعجمة وبعدها طا مهملة مشددة اي تغلي غليانا شديدا يسمع له
صوت كهدير النايم والمخنوق كما هي اي على حالها الاول لم ينقص منها شيء مع كثرة من
اكل منها وهذا محل الشاهد وان عجيننا ليخبز اي انهم استمروا على خبز العجين وايصاله
شيا فشيا لمن ياكل منه ولم ينقص ببركة النبي صلى الله عليه وسلم لانه بصق في البرمة والعجين
وبارك عليه كما ذكره المص بقوله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين
والبرمة وبارك فيهما ومعنى بارك دعا فيهما بالبركة كما مر اي الزيادة والنمو رواه
اي روى هذا الحديث عن جابر سعيد بن مينا بكسر الميم وسكون المثناة التحتية والنون والمد
والقصر والصرف وعدمه على ان وزنه فعلا او مفعال وسعيد هذا اخرج له البخاري
ومسلم ومينا علم منقول من الميناء وهي مرسى مرسى السفن وجوهر الزجاج وايمن بزنة
افعل من اليمن وهو ايمن الحبشي المكي والد عبد الواحد بن ايمن مولى عمرة المخزومي الثقة وقال
ابن حبان انه ايمن بن ايمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم واخو اسامة لامه قال البرهان
وفيه نظر لان ابن ام ايمن هذا قتل بحنين فقد خلط ترجمة بترجمة وتبعه التلمساني وعن ثابت
مثله اي مثل حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن رجل من الانصار وامراته ولم يسمها
قال وجيء بمثل الكف وفي نسخة بملء الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها
في الاناء ويقول ما شاء الله ان يقول فاكل من في البيت والحجرة والدار وكان ذلك اي ما ذكر
من الثلاثة قد امتلا ممن قدم معه صلى الله عليه وسلم لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل
ما كان في الاناء وقد علم ان ذلك ببركته صلى الله عليه وسلم وحديث ابي ايوب اي ومن
ذلك حديث ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه الذي رواه عنه الطبراني والبيهقي وهو

انه

انه صنع لرسول الله صلي الله عليه وسلم ولابي بكر حين قدما المدينة في الهجرة من الطعام زها
اي مقدار ما يكفيهما اي طعاما يكفي رجلين فقصد وهو بيان لقلته فقال له النبي صلي الله عليه
وسلم لما اخبره بذلك ودعا له ادع ثلاثين من اشراف الانصار فاحضهم قبل ليتأهبوا لفهم كي يسلموا
فان ذلك كان في اول الهجرة وسماهم انخاط لعلمهم صلي الله عليه وسلم بانهم سينصرونه
ويتفانون بذلك فدعاهم فاكلوا حتي تركوه اي شبعوا وتركوا الطعام والاكل منه ثم قال صلي
الله عليه وسلم ادع ستين لي اي من اشراف الانصار فكان مثل ذلك اي اكلوا حتي تركوه ثم قال
صلي الله عليه وسلم ادع سبعين فاكلوا حتي تركوا الطعام والاكل كما مر وما خرج احد منهم
اي ممن دعاه واكل حتي شبع حتي اسلم وبايع رسول الله صلي الله عليه وسلم علي الجهاد معه
ونصرته لما راوا من تلك المعجزة ولطف بهم وفي نسخة الا حتي اسلم قيل وهو ابعد اسقاط الا
ولا وجه له قال ابو ايوب رضي الله عنه فاكل من طعامي مائة ونيفا رجل ذكر بعضنا
منهم وترك الباقي كانه لكونهم لم يدعهم بامره والمذكور مائة وسبق انه غير ابي بكر والنبي
صلي الله عليه وسلم وعن سمرة بن جندب تقدمت ترجمته وانه بضم الدال وفتحها اتي النبي
صلي الله عليه وسلم بابنا للمجهول اخلاتي علق مزض بيان الاتي هذا بقصعة بفتح القاف
ولا تكسر القصعة فيها لحم مطبوخ فتقاقبوها اي دخل جماعة من الصحابة بعد جماعة
لان كلا منهم اتي علي عقب بعضهم اي من غير فاصل بينهم لانه محل الاعجاز من عذوة حتي
الليل بالجر ويجوز رفعه ونصبه يقوم قوم ويقعد اخرون تفسير لما قبله من تقاقبه
القوم وقيل عليه المعروف من حديث سمرة من غدوة الي الظهر فيقوم قوم ويقعد اخرون
قال فقيل لسمرة هل كان بعد قال فمن اي شيء تعجب ما كان الا من هنا واشار الي السماء ومن
ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما اي من معجزاته صلي الله عليه
وسلم في تكثير الطعام ببركته وهذا الحديث رواه الشيخان في صحيحهما كنا مع النبي صلي الله
عليه وسلم ثلاثين ومائة ومع النبي حال من اسم كان او هما حبرا ما اي خبز بعد خبز وذكر في الحديث انه عجن صاعا من طعام روي بينا
عجن الفاعل ونصب صاعا وبينا به للمفعول ورفعه وصفت بهمي طبخت في قوله وصفت
شاة فشوي بينا المفعول سواد بطنها المراد به الكبد خاصة او حشوها مطلقا والاول اظهر
فقال اي عبد الرحمن ابنا ابي بكر رضي الله عنهما وايم الله قسم كعهد الله وهو مبتدا خبره محذوف
تقديره قسمي فهو مرفوع وجوز بعضهم جره بواو القسم وفيه لغات كثيرة وهمزته همزة
وصل وهو اسم وقيل حرف وقيل الله في الاصل جمع بعينه والكلام عليه مفصل في باب
القسم ولا يجر بالاضافة بعده الا لفظ الله وجوز ابن مالك جر غيره ما من الثلاثين ومائة
احد الا وقد حز له حزة بفتح الحاء المهملة والزاي المعجمة المشددة والحز هو القطع بالسكين
والحزة بالضم القطعة من اللحم من سواد بطنها اي كبدها كما مر والحز بعينه سبب
الظاهر وهو اسب بمحل الاستشهاد لكفاية الكبد لهم في تغويقها ثم جعلت منها اي طبخ
من الشاة ما جعل صلح قصعتين فاكلنا اجمعون بالرفع تاكيد لاسم كان او غيرها يكون تابعا
للكل كقوله لاغوينهم اجمعين وفضل في القصعتين اي ما فضل من لحمها مقدار في القصعتين
بعد ما اكلوا حتي شبعوا وقد صرح به في الصحيحين قيل ولو ذكره الم كان اولي لانه محل
الشاهد وفضل بمعني بقي فيه ثلاث لغات كمخل يبخل وعلم يعلم وبالكسر في الماضي

وضم عين المضارع وهي شاذة او من التداخل فان كان من الفضيلة فالفتح والضم لا غيره فحملته على
البعير فيه اشارة لكثرة ما بقي بعد اكلهم كلهم ومن ذلك اي من معجزاته صلى الله عليه وسلم في تكثير
الطعام ببركته صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن سعد والبيهقي وصححاه حديث عبد الرحمن بن ابي
عمرة بفتح العين وسكون الميم وراء مهملة الانصاري عن ابيه ابي عمرة بن عمرو بن محصن
الانصاري النجاري الصحابي البدري قتل مع علي كرم الله وجهه بصفين وفي اسم ابي عمرة اختلاف
وابنه عبد الرحمن اخرج له اصحاب الكتب الستة لا الدارقطني فقط وهو ثقة وهذا الحديث مروي
في بعض غزواته صلى الله عليه وسلم ومثله اي مثل حديث عبد الرحمن لسلمة بن الاكوع وابي
هريرة في مسلم وعمر بن الخطاب ورواه ابو يعلى بسند جيد فذكروا اي هؤلاء مخمصة بفتح الميمين
بينهما خاء معجمة ساكنة ثم صاد مهملة وهي الجوع من الخمص وهو خلو البطن من الطعام
اي مجاعة اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه جمع مغزاة بمعنى موضع
الغزو او هو بمعنى الغزو نفسه واختلف في هذه الغزوة والذي في مسلم خرجنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في غزوة وفي دلايل النبوة انه في غزوة غطفان وفي غيره عن ابن
عباس انه مرجعهم من الحديبية كلمه بعض اصحابه وقالوا جهدنا وفي الناس ظهر فانحره
لنا الحديث فالقضية وقعت مرتين فدعا ببقية الازواد اي طلب من كل رجل منهم ان ياتي بما
بقي عنده من زاده فجاء الرجل بالحثية بفتح الحاء المهملة وسكون الثاء المثلثة والمثناة التحتية
ويقال حثوة بالواو لانه يقال حثى يحثي وحثى يحثو وهي والحفنة بالفاء والنون بمعنى وهو يملؤ
اليدين معا وقيل بالفاء في اليدين وبالثاء في احدهما وروي بالخبثة بخاء معجمة مضمومة وبعدها
موحدة تحتية ساكنة ونون وهي ما يحمل في الحضن تحت الكشح والاول اشهر واظهر وتعريف
الرجل هنا للعهد الذهني كادخل السوق وليس المراد به رجل معين من الطعام اليسير الذي بقي
عنده فوق ذلك اي ازيد منه بيسير واعلاهم اي اكثرهم زادا وبقية الذي ياتي بالصاع من
التمر فجعله اي وضع ما اجتمع من الازواد على نطع بكسر النون وفتح الطاء المهملة بزنة عنب
بساط من ادم وفيه لغات اربع هذه افصحها وتفتح نونه مع فتح الطاء وسكونها وبكسر نونه
مع سكون الطاء قال سلمة فحزرته بحاء مهملة وزاي معجمة وراء مهملة اي قدرته بطريق الحدس
والتخمين كربضة العنز براء مهملة مفتوحة وقيل انها مكسورة لا غير لان المراد بيان الهيئة وموحدة
وضاد معجمة من الربوض وهو كالجلوس في الانسان والبروك للابل والجثوم للطير اي مقدار جثة
عنز باركة على الارض او هو تقدير لموضع من النطع بموضع ربوضها ثم دعا الناس باوعيتهم
اي طلب مجيئهم ومعهم اوعيتهم لياخذوا مما اجتمع عنده وفي الحديث حتى ملؤا ازودتهم قال
المص في الاكمال كذا الرواية عن جميع شيوخنا فالازودة بمعنى الاوعية كما سميت الاسقية
روايا وورد ايضا جاؤا باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء الا ملؤه مما اجتمع عنده وبقي
منه اي فضل منه بقية بعد ما اخذ الجميع كفايتهم والمص اقتصر على محل الشاهد من الحديث
لطوله وفيه انهم اكلوا حتى شبعوا ثم حثوا في اوعيتهم وقبله انهم لما اصابهم الجوع قال له
قال له بعضهم لو امرتنا نحرنا نواضحنا اي ابلنا فقال افعلوا فقال عمر رضي الله عنه ان فعلوا
قل الظهر يعني ما يركب ولكن ادع بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجيء بكف ذرة والاخر
بكف تمر والاخر بكسرة حتى اجتمع على النطع فدعا بالبركة فقال خذوا فاخذوا كلهم
وفضلت فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله

الحديث

الحديث وعن ابي هريرة في حديث رواه ابن ابي شيبة والطبراني بسند جيد امرني رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة تقدم ان الصفة محل مرتفع في الدار والمسجد وغيره
مفوز عن غيره وللجلوس فيه وكان في مسجده صلى الله عليه وسلم محل كذلك فيه المنقطعين
عنده صلى الله عليه وسلم من فقرا الصحابة الاغراب وغيرهم كسلمان وابي ذر قال ابو نعيم
في الحلية كانوا نيفا وماية وفي عوارف المعارف انهم كانوا نحن الاربعماية ونحوه في الكشاف
ولا ينافيه ما روي انه منهم نحو ثلاثين رجلا يصلون مع النبي صلى الله عليه وسلم بلا اردية
وهولاء هم صفوة خلق الله هنيا لهم وانا نتوسل الى الله بهم ان يجعلنا في بركتهم فتتبعتهم
اي ذهبت لكل واحد منهم في مكان كان فيه لانهم في النهار يتفرقون في المدينة لان كل
احد لا يخلو من حاجة يذهب اليها حتى جمعتهم عند النبي صلى الله عليه وسلم فوضعت
بالبنا للمجهول بين ايدينا صحفة بالرفع نايب الفاعل وهي انا بين الصغير والكبير معد
للطعام واكلنا ما شينا وفرغنا اي حين شبعنا وانتهت ارادتنا للاكل وهي مثل ما وضعت
جملة حالية اي وهي مملوءة بما فيها كما كانت حين وضعت بين ايدينا الا ان فيها اثر الاصابع
اي اصابع من اكل منها وهذا تشبيه لحالها بعد الاكل بحالها قبله فليس فيه تشبيه الشي بنفسه
كما لا يخفى وكان اهل الصفة يسمون اضياف الاسلام لان اكثرهم اغراب وقال اكلنا بضمير المتكلم
مع الغير لان ابا هريرة منهم وعن علي بن ابي طالب في حديث رواه احمد والبيهقي بسند
جيد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين رجلا وهذا كان
بمكة في ابتدا البعثة منهم قوم هو في الاصل مصدر قام ثم صار اسم جمع للرجال خاصة لقيامهم
بالامور ياكلون الجذعة بفتح الجيم والذال المعجمة والعين المهملة وهي من البقر والغنم ما تم
له سنة وقيل انه في البقر ما دخل في الثالثة والمراد هنا الاول اي اقل ما يكفيهم كما يقال لمن دونهم
اكلة راس ويشربون القرق بفتح الفا والرا المهملة ويجوز تسكينها وهو مكيال يسع ثلاثة
آصع وهو ستة عشر رطلا كما تقدم اي يرويهم ما فيه وفي النسخ هنا اختلاف ففي بعضها بني عبد
المطلب منهم قوم من ياكل الجذعة وفي بعضها منهم قوم ياكل وفي بعضها منهم قوم ياكلون
وهذه اقرب وفي التي قبلها قلق ما وقال التلمساني المراد بالجذعة جذعة الابل كما ورد
مفسرا في بعض الروايات وهي التي تدخل في الخامسة فصنع لهم مدا من طعام اي طبخه وسواه
فاكلوا حتى شبعوا كما هو ما موصولة وهو مبتدا خبره محذوف اي قبل الاكل والجملة صلة والمراد
انه لم ينقص كانه ما اكل منه شي ثم دعا بعس بضم المهملة وتشديد السين المهملة وهو
قدح من خشب يروي الثلاثة والاربعة والمعنى بعس من لبن طلبه من اهله لهم فشربوا من
العس حتى رووا اي تم شربهم منه وبقي كانه لم يشرب منه شي وتفصيله كما في الدلايل
للبيهقي وغيره بسند صحيح انه لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وانذر عشيرتك
الاقربين الاية قال صلى الله عليه وسلم ان بدات قومي بها رايت منهم ما اكره فصمت فجاه جبريل
عليه الصلاة والسلام فقال يا محمد ان لم تفعل ما امرك به ربك عذبك فدعا عليا رضي الله عنه
واخبره بذلك وبما قاله جبريل له ثم قال له فاصنع طعاما واعد لنا عس لبن ثم اجمع بني المطلب
وهم نحو اربعين من اعمامه فلما اجتمعوا قدم لهم الطعام وقال كلوا بسم الله فاكلوا ثم
شربوا فلما اراد ان يكلمهم قال ابو لهب سحركم محمد فتفرقوا ولم يكلمهم فلما كان الغد فعل مثل
ذلك فلما اراد ان يكلمهم تفرقوا وفي الثالثة قال لهم يا بني عبد المطلب انه لم يجيكم احد بافضل

مما جيتكم به اني قد جيتكم بامر الدنيا والاخرة الي اخر الحديث والذي في البخاري عن ابن عباس
رضي الله عنهما انها لما نزلت صعد رسول الله صلي الله عليه وسلم علي الصفا ونادي يا بني
فهر يا بني عدي ويا بطون قريش حتي اجتمعوا الخ ولعل ذلك تكرر فخص اولا ثم عمم وقال
انس في حديث رواه الشيخان واللفظ لمسلم ان النبي صلي الله عليه وسلم لما وفي نسخة حين
ابتني بزينب بنت جحش ام المومنين رضي الله عنها وهو افتعال من البنا وهو التزوج هنا
ويقال بني بها وعليها امره اي امر النبي صلي الله عليه وسلم انسا ان يدعو له قوما سماهم
اي عينهم باسمايهم وكل من لقيت بتا الخطاب ومن منصوبة محلا بمقدر اي قال له صلي الله عليه
وسلم ادعهم وادع كل من لقيته من غيرهم فهو تعميم بعد تخصيص لمن اعتني به فدعاهم او
فقال فدعوتهم حتي امتلاء البيت بالناس المراد به المنزل كله وقيل انه اراد به الصفة التي فيه
كما ورد مصرحا به والحجرة هي بمعني البيت والغرفة وكان لكل زوجة من ازواجه صلي
الله عليه وسلم حجرة تخصها واصل معني الحجرة بقعة تفرز ببنا الحجر ثم عم وقدم اليهم ثورا
بمثناة فوقية مفتوحة واو ساكنة ورا مهملة وهو انا من صفر او حجارة كالاجانة او كالقدح
الذي يشرب فيه فيه قدر مد من تمر بيان للمد وقد تقدم تفسيره جعل بالبنا للمفعول
حيسا مفعوله الثاني وهو بفتح الحا المهملة وسكون المثناة التحتية والسين المهملة
وهو تمر خلط بسمن واقط او دقيق قال

التمر والسمن يقال الاقط ... او الدقيق الحيس لما يختلط

وقال ابن قرقول انه قيل انه تمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والاول اعرف واصل
معني الحيس الخلط فوضعه صلي الله عليه وسلم والضمير للثور قدامه بين يديه وغمس ثلاث
اصابعه اي ادخلها فيه لتحصيل البركة وليطيب قلوبهم باكله معهم لت والسنة ان ياكل بثلاث
اصابع ففيه تعليم لهم وجعل القوم ينفذون بذال معجمة من الفذ بمعجمتين وهو اعم من الفرا
بالدال المهملة وفي مسلم انه دعا الناس بعد ارتفاع النهار فيصح ان يكون بالمهملة ايضا كما
في المقتفي ويخرجون من الحجرة وبقي الثور نحوا تمييز او حال مما كان قيل الاكل منه لم ينقص
نقصا كثيرا وكان القوم احدا واثنين وسبعين رجلا وهو شك من الراوي وقيل ان هذه القصة
في بنائه صلي الله عليه وسلم بصفية والراوي ادخل قصة في قصة وقيل يحتمل انه اتفق
الشيئان من الشاة والحيس الذي لام سليم وفي قوله بقي الثور نحوا اي بقي ما فيه وفي
رواية اخري في هذه القصة اي قصة وليمة زينب رضي الله عنها او مثلها فيما ذكر من الطعام
ان القوم كانوا زهاء ثلاثماية اي مقدارهم وانهم اكلوا حتي شبعوا وقال لي بعد ما شبعوا
ارفع الثور من مكانه فما ادري حين وضعت بضم التاء للمتكلم اي حين وضعته او بتاء التانيث
الساكنة كالتي في قوله كانت بالتانيث باعتبار انه انية اكثر ام حين رفعت بالوجهين وروي
لترفع بدل ارفع بكلام الامر والخطاب والاول اولي وافصح وهذا حديث طويل في مسلم
اختصره المص اقتصارا علي محل الشاهد منه وفي حديث جعفر الصادق عن ابيه محمد الباقر
عن علي بن ابي طالب جد والد محمد اعني زين العابدين ابن علي بن الحسين بن علي فهو
حديث مرسل او معضل فهو ضعيف ان فاطمة الزهرا طبخت قدرا اي طعاما في قدر
ففيه تجوز وهو بتقدير مضاف اي طعام قدر لغذايها بمعجمة وهو كل وقت ما يوكل في اي
وقت او بمهملة وهو كل ما يوكل اول النهار اي لاجل غذايها وفي نسخة تتغذي به وفي نسخة

لغذايهما

لغذايهما ووجهت عليا اي ارسلته الي النبي صلي الله عليه وسلم اي لجهته والمراد بيته ليتغدي
معها فامرها اي قال لها اغرفي من القدر فغرفت بالغين المعجمة لجميع نسائه التسع المعروفة
صحفة صحفة منصوب كتعلمت النحو بابا بابا والصحفة آنا صغير معروف ثم له ولعلي اي ثم
غرفت له صلي الله عليه وسلم ولعلي ثم لها اي ثم غرفت لنفسها ما تتغدي به رضي الله عنها
ثم رفعت القدر بعد ما غرفت لجميع من ذكر وانها لتفيض جملة حالية وتفيض بفا وضاد
معجمة من الفيض والمراد انه بعدما غرفت لجميع من ذكر فمنه بقي مملوء بطعام كثير يسيل من جوانبه
ببركته صلي الله عليه وسلم وكانها بعثت له صلي الله عليه وسلم ليجيها وياكل معها وحده فلم
يات وامرها بما ذكر فيه لما فيه من مكارم الاخلاق والايثار قالت فاطمة فاكلنا منها اي اكلنا
كلنا من طعامها والضمير للقدر لانها مونثة وقيل يجوز تذكيرها وتانيثها فالمراد ان اهل
فاطمة واهل بيتها اكلوا مما بقي في القدر بعد ما فرقته ما شا الله اي الذي اراده الله لنا او مدة
ارادة الله ذلك وهو كناية عن كثرة ذلك وامر رسول الله صلي الله عليه وسلم في حديث اخر
عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ان يزود اربعماية راكب اي يعطيهم ما يكفيهم من الزاد من احمس
احمر بحا وسين مهملتين بينهما ميم اسم قوم من العرب وهو بطن من ضبيعة يقال لهم بنو احمس
وهو من الحماسة وهي الشدة والصلابة ويقال لقريش الحمس لتصلبهم في دينهم في الجاهلية فقال
عمر رضي الله عنه يرسول الله ما هي الا اصوع بفتح الهمزة وضم الواو ويجوز ان تبدل همزة
كما في الصحاح وهو آنا يشرب فيه ومكيال معلوم وهو جمع صاع قال ابن قرقول فيه لغات
صاع وصوع وصواع ويجمع علي اصوع وصيعان وفي كثير من الروايات اي في الحديث اصع بالمد
والصواب اصوع غير مسلم واذا جا نهر الله بطل نهر معقل وهو مبني علي عدم صحة الاستدلال
بالحديث في العربية وهو علي الاطلاق فاسد اي قال عمر رضي الله عنه ليس التمر الذي عندي
يكفي فانه اصوع قليلة فان الصاع مكيال يسع اربعة امداد والمد رطل وثلث او رطلان عراقيان
علي اختلاف فيه كما تقدم والضمير اعني هي راجع للاصوع وان تاخر لا للوديعة كما في قوله تعالي ان
هي الا حياتنا الدنيا قال الزمخشري هذا ضمير لا يعلم ما يعني به الا ما يتلوه واصله ان الحياة
الا حياتنا الدنيا ثم وضع الضمير موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه قوله
هي النفس ما حملتها تتحمل وهي العرب تقول ما شات انتهي قال ابن مالك وهذا من جيد
كلامه وفيه كلام في شرح التسهيل لا يسعه المقام قال صلي الله عليه وسلم لعمر رضي الله
عنه اذهب وافعل ما امرتك به ولا تبال بقلة ما عندك فذهب عمر فزودهم منه اي
اعطاهم ما يكفي لهم من التمر الذي عنده وكان اي التمر قدر الفصيل هو ولد الناقة الصغير
الرابض اي البارك علي الارض وهو بيان لمقداره تخمينا من التمر بيان لقدر وبقي بحاله اي لم
يلقص شيا مع ما اعطاهم منه وهو من المعجزات من رواية دكين خبر مبتدا مقدر اي وهذا الحديث
من رواية دكين وهو بضم الدال المهملة وكاف مفتوحة ثم يا تصغير ونون ورواه الغزي
بالرا بدل الدال وقال انه الصحيح ودكين هو ابن سعيد بالتصغير وقيل سعد المزني وقيل
الخثعمي وله صحبة وهذا الحديث رواه ابو داود في الادب قال اتينا النبي صلي الله عليه وسلم
فسالناه الطعام فقال يا عمر اذهب فاعطهم فارتقي بنا الي علية فاخذ المفتاح في حجرته ففتح
وليس له غير هذا الحديث ولم يروه غير ابي داود الاحمسي نسبة لبني احمس قبيلة كما تقدم
وهو صفة دكين ومن رواية جرير اي مثل رواية دكين ولم يخرجه ومثله اي مثل المروي

المذكور وهو احمسي ايضا واحمس فخذ من مزينة وتقدم انهم من ضيعة من نسل ادبن طلحة
طامحة وللنعمان سبعة اخوة كلهم صحابة هم النعمان ومعقيل وعقيل وسويد وسنان وعبد الرحمن
ولم يسم السابع قال السهيلي بنو مقرن المزني هم البكاؤن الذين نزل فيهم ولا على الذين اذا ما
اتوك الاية **الحبر بعينه** بالرفع والنصب والبا مزيدة في التاكيد يقال هذا عينه وبعينه كما ذكره وتلطف
القايل منقولا فقلت هذا قاتلي بعينه وحاجبه وزيادة حاجبه فيه من كلام المولدين لتوهمه
اولايهامهم انها الباصرة **الا ان قال** في هذه الرواية **اربعماية راكب من مزينة** في هذه
الرواية فزاد قوله من مزينة وكذا رواه ابو داود في سننه قيل واختلاف الروايات يدل على تعدد
القصة وفيه شي **ومن ذلك** اي من معجزاته صلى الله عليه وسلم في جعل القليل كثيرا **حديث جابر**
بن عبد الله الانصاري رضي الله عنهما وهذا الحديث رواه البخاري **في دين ابيه بعد موته** اي في
قصته لما مات ابوه وعليه دين اراد اداه لغرمايه **وكان قد بذل** بموحدة وذال معجمة اي اعطى
وهو مجاز بمعنى اراد بذله **لغرما ابيه** جمع غريم وهو صاحب الدين الطالب له من الغرام وهو
اللزوم كما قال تعالى ان عذابها كان غراما **اصل ماله** اراد باصل ماله بستانا ونخلا له كان
يتقوت منه والمال في لسان العرب لا يختص بالنقود كما في العرف وشاع اطلاقه على الابل قديما
كما يشير اليه بقوله **فلم يقبلوه** اما لانه لا يفي بدينهم او لعدم احتياجهم او لانه لم يكن مرضيا لهم
ولم يكن في ثمرها انث الضمير الراجع للمال نظرا لمعناه لان المراد بها هنا النخيل جمع نخل وهي تونث
والثمر بالمثلثة واحده ثمرة ولا حاجة لجعله لامواله المعلومة من قوله مال ولا الى تفسيره بالفوايد
مطلقا فيشمل الالبان والنتاج كما قيل ولا وجه لما ستسمعه في الحديث وقوله **سنتين** مثنى
سنة وفي نسخة سنين بصيغة الجمع والاول هو الصحيح **كفاف دينهم** بفتح الكاف بمعنى ما يفي
به ويكفيه ومنه اللهم اجعل رزقي كفافا اي بقدر الكفاية وبكسرها معناه الخيار وهو غير
مناسب هنا كقراة تمر بمثناة فوقية وان صح معنى وسنتين ظرف مستقر لا انه متعلق بثمر بالمعنى
المصدري حال من ثمر فجاه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجذها بفتح جيمه وذال
معجمة ويجوز اهمالها وكلاهما بمعنى قطع الثمار وجمعها **وجعلها** بصيغة المصدر **بيادر** بمثناة
تحتية وذال وراء مهملتين جمع بيدر بزنة حيدر وهو الموضع الذي يوضع فيه التمر لينشف والبر
ونحوه ليخلص من تبنه والكوم من الطعام كالتمر والحنطة ويصح ارادة كل منهما هنا والظاهر
الثاني والبيدر هو الجرين والجرن واهل العراق يسمونه اندر وجمعه اناذر وفي المغرب
يسمونه نادر وكانه غلط من الاندر **في اصولها** اي جعلها كوما كوما في اصول الثمار وهي
النخل والمراد انه كومه في حديقة نخله حتى يعلم مقدارها **فمشى فيها** النبي صلى الله عليه
وسلم وفيه مضاف مقدر اي في ارضها او المراد ما بينها وفعل ذلك لتحصل البركة ويتموا
ما فيها **ودعا** الله تبارك وتعالى ان يبارك فيها فنمت وزادت **فاوفى منه جابر غرماه**
اي اعطاهم مما في البيدر مقدار حقهم بتمامه من قولهم اوفاه حقه ووفاه فاستوفاه وتوفاه
اخذه بتمامه وضمير غرماه لابيه لعلمه مما تقدم اوله لقيامه مقامه في اداء دينه وفي نسخة
غرما ابيه وهي ظاهرة **وفضل** اي بقي منه بعد ما ادى كل ذي حقه وهو مثلث الضاد
المعجمة والفتح افصح **مثل ما كانوا يجذون** بفتح المثناة التحتية وضم الجيم وتشديد الذال المعجمة
او مهملة اي ما كانوا يقطعونه من ثمارها **كل سنة** اي فيها وفي رواية مثل ما اعطاهم غرماء
ابيه وفيه زيادة كثيرة على ما في الرواية الاولى من ان ثمرها لا يفي بدينهم في سنتين او سنين

اي بقي مثل ما اعطى ؟؟؟

قال

قال اي جابر رضي الله عنه وكان الغرما يهود بالنصب خبر كان وهو ممنوع من الصرف لانه علم
لهذه الطايفة وقد ينكر وينون فعجبوا من ذلك اي مما رواه من كفاية ثمرها وزيادته مع انه
كان لا يكفي في سنين وهو من معجزاته صلى الله عليه وسلم العظيمة وهذا الحديث قد علمت انه
في البخاري وكذا في غيره واقتصر المص على محل الشاهد منه وكان ابو جابر عبد الله استشهد
باحد وترك عليه دينا كثيرا وله ست بنات وكان الدين لرجل من اليهود كما علم ثلاثين وسقا
فاستنظره جابر فلم ينظره فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما مر فاتاه وطاف ببيدره
ثلاث مرات وامره بان يكيل لهم فكال حتى وفى لهم ثلاثين وفضل سبعة عشر وفيه فلما حضر
جذاذ النخل اتيته صلى الله عليه وسلم وفيه تصريح بان ماله حديقة نخل وهذا ما وعدناك
به فلا تكن من الغافلين وقال ابو هريرة رضي الله عنه في حديث رواه البيهقي مسندا
اصاب الناس مخمصة اي جوع كما مر فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل عندك
من شي من جنس الطعام ومن زايدة هنا لاطراد زيادتها بعد النفي والاستفهام وشي
مبتدا خبره مقدر كما ذكرناه قلت نعم شي من التمر قليل من المزود بكسر الميم وهو وعاء
الزاد قال فايتني به فاتاه اي بالمزود او التمر فادخل يده الشريفة في المزود فاخرج
منه قبضة بفتح القاف وهي المرة كالضربة اريد بها المقبوض من القبض وهو الاخذ بالكف
وبالضم اسم المقبوض فبسطها اي وضعها مبسوطة متفرقة ليعلم قلتها ودعا بالبركة
اي بان يبارك الله فيها حتى تزيد ثم قال صلى الله عليه وسلم بعد ما دعا ادع عشرة
من الناس فدعاهم فاكلوا حتى شبعوا من ذلك التمر ثم قال ادع عشرة كذلك اي
فدعوتهم فاكلوا حتى شبعوا وهكذا حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا وهذا يقتضي انه كان
في بعض غزواته وقد صرح به في بعض الروايات وسياتي وقال لي خذ ما جيت لانه اطعمهم
كلهم وبقي ما جا به كما كان وهو محل الاستشهاد فانه امره برفعه وان ياخذ كل ما اراد
وقال له ولا تكانه ليبارك فيه كما مر وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت على اكثر
مما جيت به قال فاكلت منه واطعمت اهلي ومن اردت اطعامه حياة رسول الله اي
مدة حياته صلى الله عليه وسلم في مدة حياة ابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان ابن عفان
رضي الله عنهم فانتهب مني بالبنا للمجهول اي نهبه الناس واغاروا عليه فاخذوه
في زمن الفتنة فذهب اي عدم ولم يبق منه شي ولولا ذلك لكفاه مدة حياته لما فيه
من البركة وفي رواية رواها الترمذي في سننه وحسنها عن ابي هريرة رضي الله عنه
فقد حملت من ذلك التمر الذي اعطانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اي جعلته محمولا
معي في اسفاري كذا وكذا كناية عن مقدار ما حمله من وسق بيان لكذا وكذا والوسق
حمل بعير كما مر في سبيل الله اي في اسفاري غازيا وسبيل الله الطريقة الموصلة اليه فاذا
اطلق فالمراد به ما ذكر وفي رواية فلقد حملت بلام القسم وكان يعلقه خلف رجله وكان
يقول اصبت بثلاث مصايب لم اصب بمثلهن موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتل عثمان
وذهاب مزودي وروي هذا الحديث بطريق آخر قريب مما هنا وذكرت قبيل هذه الحكاية
بالبنا للمجهول وانت لانه اكتسب التانيث من المضاف اليه وفي نسخة وذكر في غزوة تبوك
وان التمر كان بضعة عشر تمرة ذكره لانه ابلغ في المعجزة لغاية قلته ومنه اي من تكثير الطعام
ببركته صلى الله عليه وسلم ايضا حديث ابي هريرة رضي الله عنه الذي رواه البخاري

حين اصابه الجوع وعلمه منه صلى الله عليه وسلم فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم اي طلب منه
ان يتبعه فقال له اتبعني وكن ماشيا معي فتبعه فوجد لبنا في قدح في بيته قد اهدي اليه صلى
الله عليه وسلم وامره ان يدعو اهل الصفة ليكونوا تابعين معه وهم فقرا المهاجرين الذين تقدم
بيانهم قال فقلت لهم ما موقع هذا اللبن فيهم وما مقداره القليل كاف لهم كنت احق منهم
اشدة جوعي وما علمه الرسول من حالي انا صيب منه تمر به اي من ذلك اللبن اتقوى بها
اي يكون فيها تقوية لضعفي بجوعي وليس هذا انكارا على النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يليق
بمثله فهو ما تعجب منه لما استقر به قبل مشاهدة الحقيقة ومثله من الخواطر لا يواخذ بها
وقيل غايته انه ارتكب خلاف الاولى ولا حاجة لمثله فدعوتهم الى النبي صلى الله عليه وسلم
و بعد حضورهم امرني اسقيهم وفي نسخة وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسقيهم فجعلت
اي شرعت اتبع الرجل منهم فيشرب بالنصب حتى يروى بفتح المثناة اي يروي عطشه ثم ياخذ
الاخر اي فيشرب حتى يروى وهكذا حتى روى جميعهم اي جميع اهل الصفة قال ابو هريرة
فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح الذي فيه اللبن وهذا القدح يحتمل ان يكون لصاحب
اللبن الذي اهداه له او هو من اقداحه صلى الله عليه وسلم صب فيه اللبن الذي جاه وقال
صلى الله عليه وسلم لابي هريرة بقيت انا تاكيد لضمير الفاعل ليعطف عليه قوله وانت اقعد
فاشرب امره بالقعود لان الشرب قلما من غير ضرورة مكروه فشربت ثم قال اشرب مرة اخرى
وما زال يقولها اي كلمة اشرب واشرب بالرفع اي وانا اشرب والجملة حالية حتى قلت لا اشرب
بعد هذا نفي للشرب المامور به واعتذر عن رده بقوله والذي بعثك بالحق لا اجد له اي اللبن
مسلكا اي لم يبق في جوفي محلا خاليا يدخله وهو جواب القسم ان لم يكن تاكيدا للنفي قبله وما بعده
استيناف او تعليل له فاخذ صلى الله عليه وسلم اي تناول من يد ابي هريرة رضي الله عنه
القدح فحمد الله على ما انعم به من الزيادة وسمى فقال بسم الله وشرب الفضلة اي ما بقي منهم
بعد شربهم كلهم والحديث بتمامه في صحيح البخاري اقتصر المص منه على محل الشاهد منه كما هو
دابه وفي حديث خالد بن عبد العزى الذي رواه البيهقي مسندا عنه ولم يذكره
اصحاب الكتب الستة وخالد هذا كما قاله البرهان هو ابن سلامة ابو خناش بخا معجمة مضمومة ونون
واخره شين معجمة ونونه مخففة وهو خزاعي وله صحبة وروى عنه ابن مسعود رضي الله عنه
وقال التلمساني انه خالد بن حزام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصير هاجر الى الحبشة في المرة
الثانية فمات في الطريق وهو ابن اخي خديجة ام المومنين رضي الله عنها انه اجزر للنبي صلى الله
عليه وسلم شاة بالنصب مفعول اجزر بمعنى اعطى والنبي بالنصب ايضا مفعول اول واجزر
اعطاه جزرة وهي شاة او نعجة او كبش او عنز تعطى لتجزر اي تذبح ولا تكون في الناقة فانه يقال
اجزره او جزره اذا اعطاه جزورا لغير الذبح كالركوب وهو معنى قول الجوهري يقال اجزرت
القوم اذا اعطيتهم شاة يذبحونها او كبشا او عنزا ولا تكون الجزرة الا من الغنم ولا يقال اجزرهم
ناقة لانها قد تصلح لغير الذبح انتهى وفي القاموس هنا كلام غير مهذب
وقصة خالد هذه كانت بالجعرانة لما نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامسى ثم بدت له صلى
الله عليه وسلم العمرة فارسله الى رجل من تهامة كما في بعض الشروح هنا وكان عيال خالد كثيرا
يذبح الشاة لاجلهم وطعامهم فلا تبد عياله بفتح المثناة الفوقية وضمها وضم الموحدة وكسرها
وفاعله ضمير الشاة يقال بده بموحدة ودال مهملة مشددة يبده اذا فرقه وقال ابن القطاع

بددت

بددت الشي فرقته وابددتهم العطا فرقته فيهم وفي المحكم ابد الطعام بينهم اذا اعطى كل واحد
منهم نصيبه على حده وهو بيان لكثرتهم يعني ان الشاة اذا فرقت عليهم لا تكفيهم وقوله
عظما عظما اي اذا فرقت عليهم قطعة قطعة وعظمة بعد عظمة لا تكفيهم لكثرتهم وان
النبي صلى الله عليه وسلم بفتح همزة ان بالعطف على قوله انه اجزر الخ الذي هو مبتدا
مقدم خبره وهو قوله في حديث خالد اكل من هذه الشاة التي اجزرها له خالد وجعل
فضلتها اي ما بقي منها بعد اكلهم في دلو خالد هو وعا من ادم وجلد يستقى به الماء فالمراد به
هنا جراب يشبه الدلو ويجوز ان يراد حقيقته لانه لم يكن معه وعا غيره ودعا له اي لخالد
ويجوز ان يعود للدلو بالبركة اي بالزيادة ولفظه اللهم بارك لابي خناش فنثر ذلك
الطعام الذي في الدلو اي رماه لعياله بكسر العين قال الصاغاني في التكملة انه جمع
عيل كجياد جمع جيد وهو من يلزمه الانفاق عليه ويكون اسما للواحد كما استعمله الحريري في
مقاماته وذكره المطرزي في شرحه فاكلوا وافضلوا اي ابقوا بقية زادت عن كفايتهم
ببركته صلى الله عليه وسلم وبركة دعائه ذكر خبره اي خبر خالد او خبر ما ذكر من الاكل
والزيادة الدولابي فاعل ذكر وهو بضم الدال المهملة وواو ساكنة ولام والف وبا موحدة
وهو اسم بلدة نسب اليها وهو منقول من الدواب بضم الدال وفتحها معرب دولب وهو
الحافظ ابو بشر محمد بن احمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الانصاري الرازي الوراق المحدث
الجليل صاحب التصانيف روى عنه الكبار كالطبراني وابو حاتم وتوفي بين مكة والمدينة
بالفرج في ذي القعدة سنة عشر وثلاثماية ومولده سنة اربع وعشرين وفيه كلام مفصل
في الميزان في ترجمته وله ذرية مشهورة ولهم دولابي اخر وهو ابو جعفر بن الصباح صاحب
السنن والمراد الاول كما ذكره البرهان وغيره وفي حديث الاجري بالمد وضم الجيم وتشديد
الرا المهملة منسوب للاجر المعروف بالطوب نسبة لعمله وهو ابو بكر بن محمد البغدادي
كما تقدم تفصيله في ترجمته في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة لعلي اي عقده
نكاحها واللام مزيدة للتقوية ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا ان ياتي بقصعة مملوءة
من اربعة امداد او خمسة من حنطة او غيرها ويذبح جزورا بنصب يذبح بان مصدرية
مقدرة وجزورا مفعول وان يذبح او معطوف على مقدر كما اشرنا اليه او على امر بتقدير
وامره ان يذبح والجزور بوزن الشكور راس من الابل ناقة او جملا سميت بها لانها مما يجزر
اي وهي مونثة سماعية وان عمت ففيها شبه تغليب فافهم لوليمتها الوليمة هي الدعوة
لطعام يصنع في النكاح خاصة ويجمع على ولايم وهو مستحب قال بلال رضي الله عنه فاتيته
بذلك الذي امرني به من القصعة والجزور فطعن في راسها ان كان الضمير للقصعة فراسها
بمعنى اعلاها وان كان للمجزور فهو ظاهر وطعنه فيها ادخال يده فيها او مسها ليحصل
البركة فيها ثم ادخل الناس اي امر صلى الله عليه وسلم بدخولهم لياكلوا رفقة رفقة بالنصب
اي حال كونه دخولهم جماعة بعد جماعة والرفقة بضم الرا وكسرها بمعنى الجماعة المترافقين
المتصاحبين ياكلون منها جملة مستانفة او حال مقدرة حتى فرغوا اي اكلوا جميعا الى ان
شبعوا وفرغوا من اكلهم وبقيت منها فضلة اي فضل منها ما زاد على اكلهم فبرك
فيها وفي نسخة وبرك بتشديد الرا المهملة اي دعا بان يبارك فيها ويجعل فيها البركة وهو الزيادة
والنمو كما مر وامر بحملها اي بحمل القصعة بما فيها او بحمل الفضلة الى ازواجه اي الى بيوتهن

وقال لازواجه كلن واطعمن من غشيكن بفتح الغين وكسر الشين المعجمتين اي كل من ياتي اليكن
من غير اهل البيت يقال غشيه غشيا وغشاه اذا اتاه اتيان ما قد غشيه اي ستره وفي حديث
انس الذي رواه الشيخان مسندا تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ازواجه وهي
صفية بنت حيي رضي الله عنها في مرجعه من خيبر بمحل يسمى سد الصهبا قال انس رضي الله عنهما
فصنعت امي وكنية والدة انس ام سليم بضم السين مصغرا واسمها سهلة وهي زوجة ابي طلحة الخزرجية
الصحابية الصالحة القانتة وكانت لها منزلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حلسا وقد تقدم
انه طعام يصنع من لبن واقط وتمر وسمن يجاش اي يخلط بعضه ببعض فجعلته اي وضعته
في تور بفتح المثناة الفوقية وواو ساكنة وراء مهملة وهو اناء من صفر او حجارة واسع رخاج
كالصنية القريبة القعر فذهبت بضم التاء وهو ضمير المتكلم به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ضعه على الارض وادع الي فلانا وفلانا ممن كان معه ثمة من كبار الصحابة وخصهما تشريفا
لهما ثم عمم فقال ومن لقيت اي وادع كل من صادفته فدعوتهم اي دعوت من عينه اولا ولم يقل
دعوتهما اما لان قوله فلانا وفلانا مختصر كناية عمن عينه من القوم او لان الاثنين جمع على قول
ولم ادع اي لم اترك احدا اي دعوته لقيته الا دعوته كما امرني به وذكر انس انهم اي من دعاهم
كانوا زهاء اي مقدار ثلاثمائة مرجل فاجتمعوا ثمة حتى ملؤا الصفة وهي موضع مظلل قدام البيت
او دكة عليه فيه وليس المراد صفة المسجد المعهودة والحجرة وهي البيت الصغير المفرز من الدار
فقال لهم صلى الله عليه وسلم بعد اجتماعهم تحلقوا تفعل اي استديروا حول الطعام كالحلقة
طايفة بعد طايفة من غير ازدحام عشرة عشرة يسعهم مكان الطعام ووضع النبي صلى الله
عليه وسلم يده على الطعام الموضوع وهو الطعام الذي جاءه فدعا فيه بالبركة وقال ما شاء
الله ان يقول اي ما اراد الله من دعائه الذي علمه وابهمه لانه اسره فلم يسمعوه لانه من الاسرار
التي خصه الله بها فاكلوا حتى شبعوا كلهم فقال صلى الله عليه وسلم لي اي لانس ارفع
التور بما فيه فما ادري حين وضع عنده قبل الاكل منه كان الطعام اكثر ام حين رفع بالبناء
للمجهول وفي بعض النسخ وضعت واعلم ان هذا الحديث ذكره بعينه عن انس قبل هذا فاعادته هنا
تقتضي ان القصة صح تكررها وانه وقع مرة في تزوجه صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش
واخرى حين تزوج صفية وقد استشكله المص في شرح مسلم فقال ما وقع في الحديث من ان تكثير
الطعام كان في وليمة زينب يخالف الروايات المشهورة من ان وليمتها كانت بالخبز واللحم ولم يذكر
فيها تكثير الطعام وانما فيها انهم شبعوا من الخبز واللحم ففيه وهم فيه وانه لا مانع من الجمع بين
الروايتين بان الذي دعوا من الراوي ادخل فيه قصة في قصة فان التكثير في قصة صفية لا في
وليمة زينب التي نزلت فيها اية الحجاب وتعقبه القرطبي بانه لا وهم فيه وانه لا مانع من الجمع
بين الروايتين بان الذين دعوا للخبز واللحم اكلوا وذهب منهم جمع وبقي اخرون يتحدثون
فجاء انس بالحيس ودعا الناس كما ذكره المص هنا وقال ابن حجر ايضا لا وجه لانكاره تكثير الطعام
في حديث الخبز واللحم فان انسا قال انه اولم بشاة اشبعت الناس وما قدرها حتى تشبعهم
وهم نحو الالف فالظاهر ان المص راى هنا تعدد القصة ولذا صرح بزينب اولا ولم يسمها اشارة
الى انها صفية الا ان فيه توقفا عندي من جهة اخرى فان وليمة صفية كانت في السفر وذكر الصفة
والحجرة ينافيه والحيس فيها صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ام سليم وما قيل
من ان ام سليم اهدته له صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة فرحا بتزوجه لا يخفى ما فيه من البعد

وبعد

وبعد كل كلام فكلام المص فيه اضطراب يحتاج للتحرير واكثر احاديث هذه الفصول الثلاثة اي نبع
الما من بين اصابعه وانفجاره بدعوته وتكثير الطعام ببركته في الصحيح من الاحاديث وكتبها
المعتمدة وقوله اكثر اشارة لضعف بعضها وقد اجتمع على معنى هذا الفصل بضعة عشر
من الصحابة يعني توافقوا على ما يفيده المجموع بقطع النظر عن كل واحدة على حدة وتقدم
ان البضع بكسر البا من الثلاثة الى السبعة مع اختلاف في استعماله فيما فوق العشرين والصحيح جوازه
لوروده في الحديث وقوله ببضع وعشرين درجة في فضل الصلاة وتفصيله مشهور رواه
عنهم اضعافهم من التابعين ثم رواه في الاضعاف من التابعين وتبع التابعين من لا يعد
بعدهم بصيغة المجهول وفي بعض النسخ من لا نعد بالنون واكثرها اي اكثر احاديث الفصول
الثلاثة في قصص مشهورة بحسب الرواية ومجامع مشهودة جمع مجمع وهو محل يجتمع
فيه الناس بكثرة قال الفرزدق اذا جمعتنا يا جرير المحافل والمشهد من الشهود بمعنى الحضور
وفيه تجنيس وتورية بديعية وما يقع بين كثير من الناس لا يمكن ان يكون غير واقع او منتقل ولا
يمكن التحديث عنها الا بالحق اي لا ينقل عن مثلها الا الامور الصادقة المحققة ولا يمكن
ان يسكت الحاضر في مجالس وقوعها والتحدث بها وضمن الحاضر معنى السامع فعداه باللام
في قوله لها على ما انكره منها مما خالف الواقع

فصل في كلام الشجر

الآتي بيانه والشجر ما قام على ساق واحده شجرة وما عداه نبات وقد يطلق على بعض النبات
شجر كاليقطين والحنطة والكلام ما يتلفظ به اسم ويجيء بمعنى التكليم وتكليمه له صلى الله عليه وسلم
بان يخلق الله فيه نطقا ولما كان هذا امرا خارقا للعادة لم يقل ومن معجزاته فلا حاجة لذكره
كما قيل وشهادتها له بالنبوة من عطف الخاص على العام واجابتها دعوته اي طلبه صلى
الله عليه وسلم منها ان تجيء نحوه كما سياتي وله منها حديث رواه البيهقي والبزار والدارمي مسندا
عن ابن عمر وهو ما ذكره بقوله حدثنا احمد بن محمد ابن غلبون بفتح الغين المعجمة وسكون اللام
وموحدة ممنوع من الصرف للعلمية وشبه العجمة كزيدون وسعدون ومثله كثير في لسان اهل
المغرب الشيخ الصالح فيما اجازنيه عداه بنفسه لمفعولين وهو لغة حكاها ابن فارس في المجمل
ويتعدى باللام والبا والاجازة الاذن في الرواية عنه والكلام على انواعها ولغتها مفصل في ابن
الصلاح وحواشيه فلا حاجة لذكره هنا عن ابي عمرو الطلمنكي بالطا المهملة واللام والميم المفتوحات
ونون ساكنة وكاف تقدم الكلام عليه وعلى نسبته عن ابي بكر بن المهندس المعروف بابن ابي طاهر
والمهندس بوزن اسم الفاعل ويقال مهندز بالزاي وهو معرب وليس في لغة العرب دال
بعدها زاي والهندسة اسم علم معروف من الرياضيات وفي العرف العارف باحوال البنا عن ابي
قاسم البغوي نسبة الى بغ ويقال بغا وهي قرية بين مرو وهراة واصلها بغشور فخفف وهذا هو
عبد الله بن محمد ابن عبد العزيز بن المرزبان الامام الحافظ الجليل البغدادي بن بنت احمد ابن
منيع وليس هو البغوي المشهور صاحب المصابيح والتفسير محيي السنة ومولد هذا في رمضان سنة
اربع عشر ومايتين وتوفي ليلة عيد الفطر سنة سبع عشرة وثلاثماية وترجمته في الميزان قال
حدثنا احمد بن عمران الاخنسي بيا النسبة لاخنس بخا معجمة ونون وسين مهملة بوزن افعل
وقيل انه الاخنس بغير نسبة لقب له وهو كذلك في بعض النسخ وقيل هما واحد وقيل اسمه
محمد وتوفي في حدود الثلاثين ومايتين وكان ببغداد وفيه كلام قال حدثنا ابو حيان التيمي
بحا مهملة مفتوحة ومثناة تحتية مشددة منسوب لتيم قبيلة مشهورة وهو امام ثقة اخرج له

الستة وتوفي سنة خمس واربعين ومائة وهذا الحديث منقطع فانه سقط بين ابن عمر وابي
حياد راويه وهو محمد بن فضيل كما سيأتي في كلام المصنف في بعض النسخ وتردد في تعيينه البرهان
ومثله لا يكون رجما بالغيب وكان صدوقا وثقه رد اعلى من طعن فيه عن مجاهد تقدمت ترجمته
عن ابي عمر الصحابي المشهور رضي الله عنهما قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر فدنا منه اي قرب منه من الدنو اعرابي نسبة الى الاعراب وهو سكان البادية من العرب
وفي النسبة اليه وهو جمع حضاري لا مفرد له كلام مشهور فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
يا اعرابي اين تريد اي تقصد بمسيرك وسفرك هذا قال الى اهلي اي اريد مكانا فيه اهلي ولم
يعينه لانهم نزالة رحالة وعداه بالى لتضمنه معنى التوجه والارادة متعدية بنفسها وانما قدم
سؤاله تأنيسا له واذ الله لما في نفسه من مهابته صلى الله عليه وسلم فانه كان مهيبا لمن راه وتوطئة
لقوله قال هل لك الى خير اي هل تنقاد وتذعن لخير مما انت فيه قال وما هو اي الخير الذي هو تبغي له
قال تشهد ان مخففة من الثقيلة لا اله الا الله وحده حال لازمة اي متوحدا منزها عما يشاركه
في ذاته وصفاته وفي كونه معبودا بحق وقوله لا شريك له تاكيد لوحدانيته بعد تاكيد وان محمدا
عبده ورسوله قدم العبودية تنزيها لنفسه عن الاطراف في مدحه قال الاعرابي من يشهد لك
على ما تقول من دعوى الرسالة قال هذه السمرة بفتح السين المهملة وضم الميم وتاء مهملة
مفتوحة وهي سجرة عظيمة ذات شوكة من الطلح واشار اليها لقربها منه وفي نسخة بعد ما تقدم
فادعها فانها ستجيبك قال فدعوتها وهي اي السمرة بشاطئ الوادي بشين معجمة والف
وطاء مهملة وهمزة بعني جانب وطرف والوادي الارض الواسعة المستوية من ودي بمعنى
سال لما فيها من المياه السايلة فاقبلت الفا فصيحة اي فدعاها تشهد له فاقبلت تخد الارض بمثناة فوقية
وخاء معجمة مضمومة ودال مهملة مشددة اي تشقها ومنه للمخدود وشقها المتسبي بمرورها
التي في جوف الارض ولولا ذلك لم تتحرك حتى وقفت بين يديه صلى الله عليه وسلم بان قامت
محاذية له قريبا منه فاستشهدها ثلاثا اي قال لها ثلاث مرات وطلب منها ان تشهد له بانه
رسول الله وجملة تخد الارض حالية او مستانفة وانما كرر استشهادها تاكيدا ليقر ذلك
في قلب الاعرابي فشهدت له بانه رسول الله حقا ارسله الله الذي لا شريك له ولم يبق
ما نطقت به لانه معلوم من السياق ثم رجعت الى مكانها الذي كانت فيه وفي هذه القصة معجزات
له صلى الله عليه وسلم خلق الله فيها ادراكا ونطقا وحركة ارادية يجيء بها ويذهب وقد
وقفت على سبيل التحدي فيها معجزة منطبق على كل واحد منها وفي حديث عن بريدة بضم
الموحدة وفتح الراء المهملة ومثناة تحتية ودال مهملة لتعلم منقول من مصدر البردة المعروفة
وهو ابو عبد الله او ابو الحسيب بمهملتين وموحدة وهو صحابي اسلم قبل بدر وشهد
الحديبية ومات بمرو وخراسان غازيا في ايام معاوية او يزيد سنة اثنين او ثلاث وستين من هجرته صلى
الله عليه وسلم سال اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية اي علامة ومعجزة تدل على انه
رسول الله حتى يومن به فقال له قل لتلك الشجرة يعني السمرة كانت ثمة وهي تلك السمرة المذكورة
في الحديث الذي قبله او غيرها رسول الله يدعوك بكسر الكاف اي يطلب منك المجيء اليه والحركة
نحوه قال اي بريدة فدعاها فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها بين يديها وخلفها
اي مالت ميلا شديدا وتحركت في جهاتها الاربع حتى تخلعي عروقها من الارض وتمكنها الحركة
نحوه صلى الله عليه وسلم فتقطعت عروقها المتمكنة في مغرسها وهو اما على ظاهره او

المراد

او المراد انها تخلصت وهذا هو الظاهر من قوله ثم جاءت تخد الارض وتشقها تجر عروقها
من خلفها وهذا يدل على انها لم تنقطع ولو تقطعت فسدت ولم تبق نابتة بحالها وقيل انه معجزة
اخرى مخالفة للعادة من بقائها بعد تقطع عروقها التي هي سبب حياتها والجملتان حالان مترادفان
او متداخلتان والثانية موكدة للاولى ولذا لم تعطف عليها مغيرة اي مسرعة في مشيها قال تعالى
فالمغيرات صبحا ومنه الغارة على العدو وهو منصوب على الحال ايضا ومغيرة اسم فاعل من الغارة
وبعد الغين المعجمة مثناة تحتية ساكنة وقيل انه بباء موحدة مشددة مكسورة وراء مهملة
مخففة وقيل الغين ساكنة والباء مفتوحة مخففة والراء مفتوحة مشددة من الغبار
وهو حال من الفاعل المستتر او من العروق ولكل منها ذهب بعض حتى وقفت بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم قريبا منه مواجهة له فقالت السلام عليك يا رسول الله وفيه شهادة
برسالته وتوقير له ولم يذكر انه رد عليها السلام لان السلام انما شرع تحية موجبة للرد في حق البشر
لانه امان وليست من اهله فما قيل من انه صلى الله عليه وسلم رد عليها السلام مكافاة لها لا وجوبا
اذ ليست مكلفة امر يحتاج للنقل فكان عليه بيانه والسلام دعا بالسلامة وقيل انه هنا اسم لله
اي الله معك حفيظ لك وفيه كلام ليس هذا محله قال الاعرابي مرها بضم الميم امر اصله اومرها
فخفف فلترجع الى منبتها تفسير للامر ومنبتها بكسر الباء موضع نباتها ويجوز فتحها فامرها
فرجعت لمحلها فدلت عروقها اي ادخلتها في الارض اصلها فاستوت استوت اي انتصبت
قائمة من غير ميل بها فقال الاعرابي لما راى هذه المعجزة وآمن به صلى الله عليه وسلم ائذن لي
امر من الاذن بكسر الهمزة الاولى وسكون الثانية ويجوز ابدالها ياء اسجد لك مجزوم
في جواب الامر او جواب شرط مقدر اي ان تاذن لي في السجود اسجد لك فابى صلى الله عليه وسلم
ذلك وقال له لو امرت احدا ان يسجد لاحد اي لو جاز لي امر مخلوق بالسجود لمخلوق مثله
لامرت المراة ان تسجد لزوجها لوجوب طاعته عليها ولما له عليها من الحقوق الموجبة
للتعظيم والخضوع والسجود والركوع لا يجوز لغير الله في ملتنا وقد قيل انه كان جائزا في
الشرائع التي قبل شريعتنا بقصد التعظيم لا العبادة ولذا قال تعالى ورفع ابويه على العرش
وخروا له سجدا اذا كان الضمير ليوسف عليه الصلاة والسلام ولذلك جاز سجود الملائكة
لادم عليه الصلاة والسلام ولذلك جاز سجود الملائكة لادم عليه الصلاة والسلام ثم نسخ هذا
في شريعتنا وكان ذلك تحية الملوك عندهم ولذا طلب الاعرابي الاذن في تعظيمه عليه الصلاة
والسلام لذلك فنهاه عنه وكذلك الانحناء على هيئة الركوع نهينا عنه وعوضنا عن ذلك تحية
الناس بالسلام والمصافحة وقال الاعرابي لما نهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن السجود فاذن
لي اقبل مجزوم في جواب الامر يديك ورجليك تعظيما لك فاذن له في تقبيل يديه ورجليه
فقبلهما وفيه دليل على تقبيل اليد والرجل من الفاضل للمفضول اذا كان لزهده وصلاحه
او علمه وشرفه وليس بمكروه بل يستحب اذا كان تعظيمه لامر ديني كما قاله النووي في
الاذكار فان كان لامر دنيوي فهو مكروه وقد ورد في احاديث كثيرة صحيحة تقبيل يد
النبي صلى الله عليه وسلم وبهذا رد على المتولي من ائمة الشافعية حيث اطلق القول
بعدم جوازه وفي الصحيح اي الحديث الصحيح او المراد به صحيح مسلم لانه روى هذا الحديث
مسندا فيه في حديث جابر بن عبد الله الطويل بالجر صفة الحديث وصفه به لتوجيه
عدم ايراده بتمامه هنا ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصحراء يقضي حاجته

لانه لم يكن في بهمة خلاوهكذا سائر بهيمتهم وهو كناية عن التفوط اي ذهب لاجل ذلك ٧٧
فلم ير شيأ يستتر به اي حايلا بينه وبين رؤية عورته بعد كشفهما بشجرتين لانه لم يكن في ٧
بيته خلاوهكذا سائر بهيمتهم وهو كناية عن التفوط اي ذهب لاجل ذلك فلم ير شيأ يستتر
به اي حايلا بينه وبين رؤية عورتهما بعد كشفهما فاذا بشجرتين اذ فجائية والمعنى ابدة اي
فاجاه بغتة من غير ترقب منه اي فاذا هو فالمبتدا مقدر هنا في شاطئ الوادي بالهمزة اي طرفه
وجانبه فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احديهما اي توجه الى احدى الشجرتين
حتى قرب منها فاخذ بغصن من اغصانها اي امسكه صلى الله عليه وسلم بيده فقال
للشجرة انقادي اي طاوعني وميلي علي لتكوني ساترة له عن الاعين باذن الله اي
بتيسيره وتسهيله وارادته لا بقوة جذبي واذنك الله يجوز به كونه مشهولا فانقادت
معه اي طاوعته ومالت حتى ستر ته كما اراد وانما اسند غصنها ولم يكتف بمجرد دعوتها
كما في الحديث الذي قبله لان ذلك كان لاظهار المعجزة حتى يسلم الاعرابي وهذا لم يقصد لذاته
كالبعير المخشوش اي كما ينقاد البعير المخشوش لمن يقوده بسهولة وهو اسم مفعول
بخاء وشينين معجمتين وهو الذي يوضع في انفه خشاش بكسر الخاء والبعير الذي يسر قوده يخرق انفه ويوضع فيه شيء يذلل به فان كان عودا من
خشب فهو خشاش وان كان من نحاس ونحوه من المعدنيات فهو برة كما قاله الخطابي وبهذا علمت موقع قوله المخشوش هنا
لان الغصن من جنس العود فلذا لم يقل الخزوم وهي نكتة سرية لم ينبهوا عليها ٧
والتشبيه في السرعة والسهولة وفيه تشبيه الشجرة بالبعير وهو واقع في كلامهم
كما سلف في قوله في الابل
لما نجح قد انقلتها اشاربها ... سقايا بر والسراب جاذرها
والخشاش ماخوذ من قولهم خشى بيقى دخل لاده حاله في الانف وقوله الذي تحيا تقاد
صفة البعير وهو يطلق على الذكر والانثى كما مر والمحاقفة مفاعلة من الحقف وهو الرمل
والمراد به المبالغة وسهولة الانقياد مستعار من المحاقة وهي المداورة والاعطاء ولذا قيل
للرشوة محاقفة كما قاله الراغب وذكر اي جابر رضي الله عنه في هذا حديث هذا اي انه صلى
الله عليه وسلم فعل بالاخرى اي بالشجرة الاخرى التي كانت بالوادي مثل ذلك
اي مثل ما فعل بالاولى باذاسك عضنا منها حتى انقادت له صلى الله عليه وسلم بسهولة
حتى اذا كان صلى الله عليه وسلم اي حل ووجد بالمنصف بفتح الميم وسكون النون
وفتح الصاد المهملة المخففة اي حل في وسط المكان بينهما اي بين الشجرتين وهذا
منزلة قال لتيئا بفتح المثناة الفوقية وكسر الهمزة اي انضما واجتمعا عليّ باذن الله
بتيسيره وارادته والالتيام الاجتماع ومنه التيام الجرح والاستتار من رؤية العورة
واجب اذا كان منده مما لا يعفى بجره مما يحرم نظره اليها وهذا لا ينافي كون هذا
معجزة له صلى الله عليه وسلم فان اللازم البشري وجه كان وفي رواية اخرى لحديث
جابر رضي الله عنه من غير طريق مسلم فقال صلى الله عليه وسلم ياجابر قل لهذه
الشجرة التي بشاطئ الوادي يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي
بجاحبك اي بمحركي وادهبي حتى تكوني مع الشجرة الاخرى وسماها صاحبة

لكونها

لكونهما في واد او باعتبار ما يوول بعد اللحوق والانضمام حتى اجلس لقضا الحاجة مستترا
خلفكما فرجعت بزاي معجمة وحا مهملة وفا في نسخة فرجعت براء وعين مهملتين بينهما جيم
حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما بان جعلهما بينه وبين الناس قال جابر رضي الله عنه
فخرجت احضر بضم الهمزة وسكون الحا المهملة وكسر الضاد المعجمة والرا المهملة اي اسرع في العدو
من الحضر بالضم والسكون قال الجوهري الحضر بالضم العدو ويقال احضر الفرس احضارا
واحتضر اذا عدا انتهى فهو مضارع المزيد المتكلم كاكرم يكرم وجلست احدث نفسي حديث
النفس مجاز عما يخطر بالبال من هذه الامور العجيبة والمنقبة الشريفة التي شاهدها رضي
الله عنه من معجزاته صلى الله عليه وسلم وانما اسرع وعدا لما كان يعلمه منه من المبالغة في الستر
والابعاد عن الناس اذا قضى حاجته لشدة حيائه صلى الله عليه وسلم حتى انه كان يذهب
وهو بمكة لقضا حاجته الى العمس وهو مكان بينه وبين مكة نحو ميلين ولذا تادب ولم يمش
على تودته حتى يقف صلى الله عليه وسلم منتظرا لبعده عنه فالتفت اي حولت وجهي
وانا جالس الى جانبه لانظر ما حدث بعد الحدث فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقبل اذ فجائية اي فاجاني بغتة بعد التفاتي فابصرته ومقبل اسم فاعل من الاقبال مرفوع
خبر رسول وفي نسخة مقبلا بالنصب على الحالية من مقدر اي جا مقبلا والجملة خبر المبتدا والحال
موكدة كولي مدبرا والشجرتان قد افترقتا وعادت كل واحدة منهما لمحلها وهي جملة اسمية
حال من الضمير المستتر في قوله مقبل فقامت كل واحدة منهما على ساق منتصبة في منبتها مفارقة
لصاحبتها والساق حقيقة فيما قام عليه الشجر وما لا ساق له فهو نجم ونبت فاذا ظهر على
وجه الارض فهو عشب فاذا غطى الارض فهو كلا كما فصله اهل اللغة فوقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقفة يسيرة ينتظر لما اكرمه الله به من مشي الشجر لاجله فقال براسه
اي حركه هكذا وفسره بقوله يمينا وشمالا منصوب على الظرفية اي في جانب اليمين والشمال
وقال هنا بمعنى مال اي ميل راسه الشريف في الجهتين قال في القاموس قال ابن الانباري
يجيء قال لمعان تقول قال فاكل وقال فضرب وقال فتكلم ومال واقبل الى آخر ما فصله
وقيل قال هنا مجاز عن الاشارة لاشتراكهما في الافهام وقيل انه اذن لهما في الرجوع الى
مكانهما وهو لا يوافق قوله فقامت كل واحدة منهما على ساق فتدبر وروى اسامة
بن زيد في حديث اخرجه البيهقي في الدلايل وابو يعلى بسند حسن عنه نحوه اي
بمعنى الحديث الذي قبله قال اسامة قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه
جمع مغزاة بمعنى الغزاة او محلها كما مر هل استفهام حذف المستفهم عنه للعلم به او استحيا
ذكره او لانه لم يسمعه او لم يفهمه او لم يجده في اصله اي هل ترى مكانا لايقا بقضا الحاجة
واليه اشار بقوله يعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم الحاجة
هنا كناية عن البول والغايط فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس الباء سببية وما نافية
اي ما فيه موضع خال بسبب نزول الناس فيه فهو مملوء بهم فقال هل ترى من نخل او حجارة
مرتفعة يمكن ان يستتر بها كالنخل الذي يقضي الحاجة خلفه ويكون في سترة ومن زايدة
بعد الاستفهام قلت ارى نخلات جمع نخلة متقاربات اي قريب بعضها من بعض

وهو تناسب للسترة بها للجلوس بينها وروي متكاربات بالكاف وهي لغة بمعنى متقاربات والقاف
تبدل كافا كثيرا وقرئ في الشواذ لا تكهر في لا تقهر ورواي بصرية وكونها علمية بعيد فهي
صفة نخلات منصوبة قال انطلق وقل لهن اي للنخلات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يامركن ان تاتين اي تجتمعن ويتزايد قربكن ليكون استر له لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي لمكان خرج اليه لقضاء حاجته فيه وقل للحجارة مثل ذلك اي مثل قولك للنخلات من امره
صلى الله عليه وسلم اي لمكان خرج اليه لقضاء حاجته فيه لها ان تاتين لمخرجه وفي كلام اسامة
لم يامر الحجارة اما لعدم الحاجة اليها مع النخيل او لانها لم تكن مرفوعة حتى تعد ساترة
فقلت ذلك لهن الفا فصيحة اي قد ذهبت فقلت ما امرني به لهن فوالذي بعثه بالحق
قسم اي بالدين الحق لقد رايت النخلات يتغارين اي يدنو بعضها من بعض حتى اجتمعن
في مكان واحد والحجارة بالنصب يتعاقدن اي ينضم بعضها الى بعض حتى يصرن كالبنيان
المعقود بعضه ببعض حتى صرن ركاما بضم الرا المهملة اي بعضها فوق بعض خلفهن
متعلق بركاما والضمير للنخلات يعني ان الحجارة اجتمعت مع النخل وفي نسخة فجلس خلفهن
فالضمير للنخلات والحجارة فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن اي يرجع كل نخلة وحجر
الى موضعه الذي كان فيه اولا فوالذي نفسي بيده اي الله الذي روحي في قبضة تصرفه
وارادته ان شا ابقاها وان شا اماتها والنفس لها معان مشهورة منها الروح وعاير
بين القسمين تفننا مع مناسبة الاول للمقسم عليه مع ان له دينا حقا وهو رسول له معجزات
منها ما ذكر ومناسبة الثاني لحاله من ان من امن بالله وخشيه لا يتكلم الا بالحق لا سيما فيما
ذكر لرايتهن والحجارة بالنصب عطف على الضمير او هو مفعول معه والضمير للنخلات واللام
في جواب القسم يفترقن عدن الى مواضعهن وفيه معجزات له صلى الله عليه وسلم في
سعي النخل والحجارة بامره مرتين وخلق الله فيها قوة تسمع وتاتمر بامره والحديث
طويل وفيه معجزات اخر من اتيان امراة له صلى الله عليه وسلم بولد لها صغير كان يصرع
فتفل في فيه فلم تعد له ذلك وان امه اتت له صلى الله عليه وسلم بشاة فسواها اسامة
له فقال له ناولني منها ذراعا فناوله ثم قال ذلك فناوله ثم قاله فقال اسامة الها غير ذراعين
فقال لو سكت لم تزل تناولني منها وكان ذلك في سفره للحج بمحل يقال له الروحا وقال
يعلى ابن سيابة في حديث صحيح رواه احمد والبيهقي والطبراني ويعلى ثرثة يرضى علم منقول
من المضارع وسيابة بفتح السين المهملة وتشديد المثناة التحتية والف موحدة يليها ها اسم
امه فيرسم ابن بالالف وابوه مرة بن مرازم وقيل مرة ابن وهب الثقفي وقيل انهما اثنان وهو
صحابي بصري او كوفي وترجمته مفصلة في الاصابة والرواية عنه نادرة وهو من اهل
السحرة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير بفتح الميم مصدر ميمي او اسم زمان او
مكان قبل والاول اولى وذكر نحوا من هذين الحديثين اللذين قبله في ذهابه لقضاء حاجته
وامره للشجرتين غير انه قال وذكر فامر وديتين تثنية ودية بفتح الواو وكسر الدال المهملة
والمثناة المشددة قبل الها وهي صغار النخل التي تخرج من اصول كبارها فتنقل وتغرس
وتسمى فسيلا وفراخا فانضمتا اي انضمت احديهما للاخرى كالذي مر وفي رواية اشاتين

بفتح

بفتح الغين المعجمة وتحتية مثناة ولام الهمزة وكسرها في بعض النسخ خطأ وشين معجمة والف
ممدودة وهمزة وتاء تانيث مثنى اشاة وهي من صغار النخل ايضا لكنها اكبر من الوديعة وهمزته
الثانية منقلبة عن ياء وقيل اصلية وعن غيلان بن سلمة الثقفي في شجرتين وغيلان بفتح الغين
المعجمة وتحتية مثناة وكلام ونون وهو غيلان بن سلمة بن معتب بوزن معلم بالتشديد بن مالك
ابن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف الصحابي الشاعر اسلم بعد الطايف وتوفي في اخر
خلافة عمر وهو الذي اسلم على عشر نسوة وفي هذه الرواية لم تعين الشجرتان وعن ابن مسعود
مثله في غزاة حنين اسم موضع معروف وغزوة حنين كانت بعد الفتح بسنة كما فصل في السير
وضمير مثله راجع لما ذكر من امر الشجرتين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا اشارة
الى ما مر من الاختلاف في اسم ابيه كما سمعته آنفا وان سيابة اسم امه وذكر اشياء رآها من
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ذكر ابن سيابة امورا خارقة للعادة من معجزاته صلى
الله عليه وسلم شاهدها منه صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة فذكر ان طلحة او سمرة بفتح
المهملة وضم الميم كما مر نوعان من شجر البرية ذات شوك تسمى الغضاة واو للشك من الراوي
في تلك الشجرة جاءت فطافت به صلى الله عليه وسلم اي دارت حوله وفي بعض النسخ فاطافت
بهمزة قبل الطاء المهملة وهو بمعناه يقال طاف واطاف ويطوف واستطاف بكذا اذا لم به ودار
حوله واما كونه من الطوف بمعنى الغايط ويقال منه ايضا طاف واطاف اذا ذهب الى البراز
ليتغوط وانه اسند الى الشجرة مجازا فتكلف لا حاجة اليه وليس من هذا التجوز معنى حسن يرتكب
لاجله وان كان صحيحا بحسب اللغة ولا يناسبه قوله بعده ثم رجعت الى منبتها اي موضعها
الاول الذي نبتت فيه فقال صلى الله عليه وسلم انها اي تلك الشجرة استاذنت ان تستقم
علي اي استاذنت ربها ويجوز ان يكون هذا مجازا والمعنى انها طلبت من الله ان يعطيها قدرة
كقدرة العقلاء من المشي اليه صلى الله عليه وسلم والسلام عليه بالمقال لا بلسان الحال
وهذا صريح في انه لم يكن للتغوط كما قيل وفي حديث عبد الله ابن مسعود الذي رواه الشيخان
مسندا آذنت بالمد بمعنى اعلمت وفاعله شجرة الاتي وقوله النبي صلى الله عليه وسلم
بالنصب مفعوله وبالجن متعلق به اي بحضورهم عنده صلى الله عليه وسلم واستماعهم
منه القران ليلة استمعوا له منصوب على الظرفية اي في الليلة التي استمعوا قراءته صلى الله
عليه وسلم للقران شجرة وفي دلالة على انه صلى الله عليه وسلم لم يرهم عيانا في هذه
القصة وانما كانوا عنده وهو لم يرهم وانما نطقت الشجرة واعلمته بحضورهم واستماعهم
وفي هذه القصة كلام سنفصله وعن مجاهد بن مسعود في هذا الحديث الذي رواه الشيخان
ان الجن قالوا له صلى الله عليه وسلم لما اجتمعوا به من يشهد لك بانك رسول
الله قال هذه الشجرة ثم دعاها للشهادة فقال تعالي يا شجرة بفتح اللام وسكون
الياء التحتية وهو امر من تعالى يتعالى بالطلوع لمكان عال ثم عم وصار بمعنى اقبل مطلقا
وكسر اللام قال كثير من النحاة انه لحن ولم يرتضه الزمخشري وقال انه قرئ به في الشواذ
وانه لغة وعليه قول ابي فراس وهو اسير يسمع تغريد حمامة شوقته لاوطانه ومعاهد
الفه واخوانه

اقول وقد ناحت بقربي حمامة • ايا جارتي هل بات حالك حالي

معاذ الهوى ما ذقت طارقة النوى ولا خطرت منك الهموم ببالي
لتحمل محزون الفؤاد قوايم الى غصن نائي المسافة عالي
ايا جارتي ما انصف الدهر بيننا تعالي اقاسمك الهموم تعالي
تعالي ترى روحا لدي ضعيفة تردد في جسم يعذب بالي
ايضحك ماسور ويبكي طليقه ويسكت محزون ويندب سالي
لقد كنت اولى منك بالدمع مقلة ولكن دمعي في الحوادث غالي

فجات امتثالا لامره صلى الله عليه وسلم اذ قال تعالى تجر عروقها لانها لما خرجت من محلها اخرجت عروقها التي كانت في داخل الارض فلما مشت انجرت خلفها لها اي لعروقها او للشجرة نفسها قعاقع اي صوت قوي كصوت الرحا وهو جمع قعقعة وهي حكاية صوت الحركة من الاجرام الصلبة وقيل يجوز ان يراد به صوت كلام جوهري اذا نطقها الله او الصوت من شق الارض كما مر انها جات تخد الارض او صوت اصطكاك اعضايها وقال الحافظ العراقي حديث مجاهد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرسل نقلا عن شيخه العلاي وابن الصلاح وذكر مجاهد مثل الحديث اي ما يشابهه لفظا ومعنى او نحوه اي قريبا منه وان لم يكن مثله وهو المراد هنا لجمعه بينهما وقوله في اول الحديث ان الشجرة اعلمته بالجن يقتضي انه صلى الله عليه وسلم لم يرهم وقوله بعده انهم قالوا من يشهد لك يقتضي انه راهم وخاطبهم ولا تناقض فيه لان القصة تعددت وتحقيقها كما في كتاب اكام المرجان في احكام الجان انه صلى الله عليه وسلم لما ايس من ثقيف رجع من الطايف لمكة فقام بنخلة يصلي جوف الليل فمر به نفر من الجن جن نصيبين وسمعوا قراته فامنوا به ولقوا قومهم منذرين كما اخبر الله عنهم بقوله واذ صرفنا اليك نفرا الخ وفي هذه القصة كما في الصحيحين لم يقرا عليهم ولا راهم وانما كانت الشياطين لما حيل بينهم وبين خبر السما تفرقوا في الارض ليعلموا سبب ما حدث فمر به صلى الله عليه وسلم منهم من جا تهامة وهو راجع من عكاظ وقد قام يصلي الفجر باصحابه فلما سمعوا قراته صلى الله عليه وسلم قالوا هذا هو الذي حال بيننا وبين خبر السما فرجعوا واخبروا قومهم وانزل الله عليه قل اوحي الي السورة كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما قال البيهقي وهذا كان في اول امره ولم يرهم واتاه مرة اخرى داعي الجن فراهم وقرا عليهم كما رواه ابن مسعود وفي القصة الاولى لم يرهم وانما الذي اعلمه بهم الشجرة وروي انه صلى الله عليه وسلم قرا عليهم سورة الرحمن فكانوا كلما قال فباي الا ربكما تكذبان قالوا ولا بشي من الايك ربنا نكذب فلك الحمد وابن مسعود اعلم بقصة الجن من ابن عباس لانها كانت قبل الهجرة سنة احدى عشرة من النبوة وابن عباس طفل وقال السهيلي رحمه الله انهم كانوا يهود لقولهم من بعد موسى دون عيسى كما ذكره ابن سلام واختلف في عددهم فقيل سبعة وقيل تسعة وفي مسلم انه قيل لابن مسعود هل صحب احد منكم النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قال لا وكنا فقدناه ليلة فالتمسناه في الاودية فلم نجده وبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا جا من قبل حرا وقال اتاني الليلة داعي الجن فذهبت معه وقرات عليهم القران فانطلق بنا وارانا اثار نيرانهم

وذكر

وذكر لنا ما امر لهم به من الزاد وهذه غير الليلة اعلمهم بها وذهب معه ابن مسعود وخط له خطا
وغاب عنه ثم عاد اليه وكانت بمكة وقد قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه من احب منكم ان يحضر الليلة
امر الجن فليفعل فلم يحضر احد منهم غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة خط لي برجله خطا
امرني ان اجلس فيه ثم انطلق حتى قام يقرا فغشيته اسودة حالت بيني وبينه صلى الله عليه وسلم
ثم انصرفوا مثل قطع السحاب الى الفجر ثم اتاني وفي هذه الرواية اي ان ابن مسعود قال سمعتهم
يقولون من يشهد انك رسول الله الى اخر ما ذكر من قصة الشجرة وما هنا من اعلامه لهم وخروجه
معه الخ وما روي عنه من انهم التمسوه وباتوا بشر ليلة يدل على ان قصة الجن تعددت وقول
البيهقي انها واحدة لا يمكن فيه الجمع بين الروايتين ويعينه ما رواه ابو نعيم في دلايله من ان
القصة كانت بالمدينة بالبقيع وروي ان الزبير انه حضرها بالمدينة فهذه مرة ثالثة وذكر
مثله عن بلال باحاديث مفصلة ثم قال دل مجموع الاحاديث ان وفادة الجن صلى الله عليه وسلم كانت ست
مرات الاولى يشعروا بها والتمسوه فيها فلم يجدوه والثانية كانت باعلى مكة في الجبال والثالثة
ببقيع الغرقد وقد حضرها ابن مسعود رضي الله عنه وخط عليه الخط والرابعة كانت مع ابن
مسعود ايضا والخامسة خارج المدينة مع ابن الزبير والسادسة في بعض اسفاره مع بلال رضي
الله عنه ولكل منها حديث مسند ان اردته فانظر الكتاب المذكور فانه لم يصنف في معناه مثله
اقول وفيما ذكرناه معجزات اخر منها انقياد الجن له صلى الله عليه وسلم باختيارهم
وهي اعظم من تسخيرهم لسليمان عليه الصلاة والسلام ومنها كلام الشجرة له ومنها سعيها له
وعودها لمحلها بعد خروج عروقها من مبنتها وهو امر خارق للعادة وفي الحديث فوايد
منها كراهة الاستنجا بالعظم فانه صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك فيه ومنها ان غيره صلى
الله عليه وسلم من الانبيا بعث للجن كموسى عليه الصلاة والسلام وانهم مكلفون وقد اختلف
هل بعث منهم رسول ام لا فقيل منهم رسول يسمى يوسف وثمة فوايد اخر لا يسعها نطاق
البيان هنا قال القاضي ابو الفضل هو عياض المص رضي الله عنه وهذا قد لكه لما تقدم
بقوله فهذا ابن عمر رضي الله عنهما وبريدة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما وابن
مسعود ويعلى ابن مرة واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وعبد الله
بن عباس رضي الله عنهما وغيرهم الى قوله قد اتفقوا على هذه القصة نفسها يعني
كلام الشجر او معناها مما يدل على ذلك وقد رواها عنهم اي عمن ذكر من الصحابة
من التابعين اضعافهم لتعدد طرقهم والضعف هو المثل والمثلان فصارت في انتشارها
اي اشتهار روايتها عنهم من القوة حيث هي يعني انها نقلت عن كثير من الصحابة والتابعين
حتى بلغت التواتر المعنوي وصارت في مرتبة قوية لا يشك فيها احد من العقلا فحيث
ظرف مكان مضاف لجملة وهي ضمير القصة مبتدا خبره محذوف تقديره هي معروفة
مشهورة وذكر ابن فورك تقدم الكلام عليه وعلى صرف فورك وعدمه وانه امام ثقة
جليل القدر انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة الطايف اسم بلدة قريبة من مكة
كثيرة المياه والاشجار يقال ان جبريل اقتطعها من ارض صنعا وهي المذكورة في سورة
ن في قوله تعالى فطاف عليها طايف من ربك وهم نايمون والطايف هو جبريل عليه
الصلاة والسلام اقتلعها وطاف بها حول البيت ثم انزلها حيث هي كما نقله السهيلي
عن بعض المفسرين قال فلذا سميت بالطايف وهذه الغزوة كانت في السنة الثانية من الهجرة

ليلا متعلق بسار وهو وسن بزنة حذر والوسن قريب من النعاس وفي فقه اللغة في مراتب
النوم اوله النعاس ثم الوسن ثم الترقيق ثم الكرا والغمض ثم التعقين ثم الاغضا ثم التهويم ثم
الغرار ثم التهجاج وهو الهجوج يعني انه صلي الله عليه وسلم نعس وهو ساير علي دابته بحيث
لا يري ما في طريقه فاعترضته سدرة اي وقع اتفاقا ان شجرة في طريقه اتت دابته لها بحيث كادت
تمنعه عن سيرة لسدها طريقه وهو صلي الله عليه وسلم لنومه لم يعدل عنها لطريق اخري
فانفرجت له نصفين اي انشقت وتباعد بعضها عن بعض بحيث صار بينهما فرجة يمر
فيها الراكب حتي جاز بينهما اي بين النصفين وبقيت الشجرة بشجرتين علي ساقين قائمة
الي وقتنا اي الي زمن ادركه ابن فورك وهي هناك اي في الارض التي فيها من الطايف
معروفة معظمة لانها من اثار معجزاته صلي الله عليه وسلم ومن ذلك اي من معجزاته صلي
الله عليه وسلم في الشجر ما ورد في حديث رواه الدارمي وابن ماجه والبيهقي وهو حديث
انس ان جبريل علي الصلاة والسلام قال للنبي صلي الله عليه وسلم وراه حزينا جملة
حالية اي وقد راه محزونا لعدم اطاعة قومه له في اول البعثة اذ عرض نفسه علي القبايل
اتحب ان اريك اية اي معجزة تزيل حزنك لانه اذا اطاع دعوته الجماد دل ذلك علي
ان الناس ستطيعه ولكن تاخيره لحكم خفية قال نعم احب ذلك ليزول حزني واعلم
ان الله سينصرني ويلين قلوب قومي لاجابة دعوتي فنظر صلي الله عليه وسلم الي شجرة
من ورا الوادي الذي كان فيه مع جبريل فقال جبريل له صلي الله عليه وسلم ادع تلك
الشجرة اي مرها بان تاتي اليك ولم يدعها هو ليكون معجزة له لا لجبريل كما توهم فامرها فجات
تمشي حتي قامت بين يديه صلي الله عليه وسلم بمكان قريب منه ثم قال امرها فلترجع
الي مكانها الذي كانت فيه فامرها فعادت الي مكانها كما كانت نحوه كرم الله وجهه
نحوه قال السيوطي لم اجده عن علي وانما هو عن جابر رضي الله عنه ولم يذكر فيها اي
في هذه الرواية جبريل وكلامه له وانما الذي فيه انه صلي الله عليه وسلم قال اللهم
ارني اية اي معجزة ملزمة لمن راها دالة علي ان تستجاب دعوتي وينفذ بلاغي واللهم
معناه يا الله كما فصل في النحو وتقدم منه ما فيه الكفاية لا ابالي من كذبني بعدها
لانها معجزة قطعية لا يفيد انكارها وجحدها عنادا ولا ابالي بمعني لا اعتد ولا التفت
لمن خالفها قال ابن فارس رحمه الله في المجمل اشتبه علي اشتقاق لا ابالي فرايت
قول ليلي الاخيلية

تبالي رواياهم هبالة بعدما ... وردن الما بالجم يرتمي

اذ فسر التبالي بالمبادرة للاستقا يقال تبالي القوم اذا تبادروا للماء عند قلته وانتظار بعضهم
لبعض فقولهم لا ابالي معناه لا ابادر الي افتتانه بل انبذه ولا اعتد به انتهي فدعي شجرة وذكر
مثله من مجيها ورجوعها وحزنه بالنصب كما مر لتكذيب قومه له في اول امره وطلبه
الاية لهم اي لقومه المكذبين لا له صلي الله عليه وسلم لانه علي يقين من امره وعلمه بقدرة
ربه وذكر ابن اسحاق مما رواه في سيره ورواه ابو نعيم في البيهقي عن ابي امامة بسند من
طريقين مرفوعا ومرسلا ان النبي صلي الله عليه وسلم اري ركانة مثل هذه الاية في شجرة
دعاها فاتت حتي وقعت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت كما ستسمعه قريبا في الحديث
الذي اذكره لك وركانة بضم الرا المهملة وفتح الكاف المخففة والف تليها نون وها وهو ركانة

وعن علي

ابن عبد يزيد

ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المكي الصحابي الذي اسلم عام الفتح وتوفي
بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه سنة اثنين واربعين وكان شديد الباس قويا جسيما
معروفا بالقوة في المصارعة بحيث انه لم يصرعه احد قط ولم يمس جنبه الارض مغلوبا قط وقد
صح انه صلى الله عليه وسلم صارعه فصرعه واما مصارعته لرجل اخر يقال له ابو جهل فلم تصح كما
قاله المقدسي وكان ركانة قبل اسلامه يرعى غنما له بوادي اضم بالمدينة وهو من افتك الناس
واشدهم فخرج صلى الله عليه وسلم يوما من بيته وتوجه لذلك الوادي فلقيه ركانة وليس ثمة
احد غيرهما فقال له انت الذي تشتم الهتنا وتدعوا لهك العزيز ولولا رحم بيني وبينك قتلتك
ولكن ادع الهك ان ينجيك مني اليوم وانا ادعوك لامر وهو ان تصارعني وتدعوا لهك وادعو
اللات والعزى فان غلبتني فلك من غنمي هذه عشرة تختارها فصارعه صلى الله عليه وسلم
فغلبه فقال لم تصرعني وانما غلبني الهك وخذلني اللات والعزى وما وضع جنبي على الارض احد
قبلك ولكن عد فان صرعتني فلك علي عشرة اخرى فعاد فصرعه فقال له كما قال اولا ثم دعاه
ثالثة فصرعه فقال له دونكها ثلاثين من غنمي تختارها فقال له لا اريد ذلك ولكن ادعوك الى
الاسلام فاسلم تسلم من النار فقال لا الا ان تريني اية فقال له ان اريتك اية تسلم قال نعم وكان
بقربه شجرة سمرة فقال لها اقبلي باذن الله فانشقت اثنتين واقبل نصفها حتى كان بين يديه
صلى الله عليه وسلم وبيدي ركانة فقال اريتني امرا عظيما فمرها فلترجع فقال ان امرتها فرجعت
اتسلم قال نعم فامرها فرجعت والتامت بقضبانها وفروعها مع نصفها الاخر فقال له اسلم
فقال اكره ان يتحدث نساء المدينة وصبيانها باني اجبتك لرعب قلبي منك ولكن الغنم لك فقال لا
حاجة لي بها وانطلق فلقيه ابو بكر رضي الله عنه فقال له تخرج الى الوادي وبه ركانة فضحك
صلى الله عليه وسلم فقال اليس الله عصمني وحدثه الحديث المار والحديث يقتضي جواز المصارعة
الا انهم قالوا انها بالمال حرام كالمسابقة عليه والجواب انه صلى الله عليه وسلم لم يطلب منه ذلك
وانما اقره على مقالته ليريه اية رجي بها اسلامه او انه من خصائصه صلى الله عليه وسلم
او تحريه ورده الغنم عليه قيل انه كان بعد اسلامه وصارعه هنا ثلاثا كما علم وقيل مرتين وقيل
انه كان صارعه بمكة ولم يسلم الا يوم الفتح **وعن الحسن** في حديث رواه البيهقي مرسلا وهو الحسن
بن علي رضي الله عنهما وقيل يحتمل انه الحسن البصري رضي الله عنه **انه صلى الله عليه وسلم**
شكى الى ربه من قومه في اوايل البعثة قبل قوة الاسلام واهله **وانهم يخوفونه** كما
قال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك وهو عطف تفسيري لان
المراد انه صلى الله عليه وسلم شكى له تعالى تخويفهم له وانما شكى ذلك لانه خاف القصور
في تبليغ ما ارسل به فلا ينافي كونه كونه صلى الله عليه وسلم على كمال يقين من الله في رسالته
كما توهم وهذا كان قبل الهجرة وقبل نزول قوله تعالى والله يعصمك من الناس **ورسالة اية**
ومعجزة **يعلم بها ان لا مخافة عليه** ان هنا مخففة من الثقيلة واصلها انه **فاوحى الله اليه**
ان ايت وادي كذا من اودية مكة **فان فيه شجرة فادع غصنا منها** اي غصنا وطرفا
من اطرافها **ياتك** مجزوم في جواب الامر **ففعل** اي اتى الوادي ودعى الغصن كما امر
فجا يخط الارض خطا اي يشقها شقا وهذا يدل على انه غصن مع بعض ساق منها وهي
بمعنى قوله فيما تقدم يخد ويحتمل ان الطا مبدلة من الدال المهملة وقيل المراد
بالخط اثر مشيه الذي يشبه خط الكتابة كقول الابوصيري

جاءت لدعوته الاشجار ساجدة • تمشي اليه على ساق بلا قدم
كانما سطرت سطرا لما كتبت • فروعها من بديع الخط في اللقم

حتى انتصب بين يديه اي قام عنده فحبسه ما شاء الله اي جعله مدة من الزمان ارادها الله قايما عنده ثم قال ارجع كما جيت فرجع الى مكانه الذي كان فيه والتاءم باصله فقال صلى الله عليه وسلم علمت ان لا مخافة علي بتسخير الجمادات لامتثال امري الدال على ان من عصاه سيرجع عما كان عليه ونحو منه اي فيما رواه البزار وابو يعلى والبيهقي بسند حسن ما هو قريب مما ذكر في هذا الحديث مروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال عمر فيه اي فيما رواه اراني اية لا ابالي من كذبني بعدها اي لا اعتد واهتم به لاطمينان قلبي وذهاب خوفي فذكر نحوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما في حديث رواه البخاري في تاريخه والدارمي والبيهقي مسندا انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي ارايت بهمزة الاستفهام وتاء الخطاب بمعنى اخبرني وقل لي وهو مجاز مشهور ورأي فيه علمية او بصرية فاريد به لازمه كما بينه النحاة ان دعوت ان شرطية اي امرت هذا العذق اشارة لعذق كان عنده وهو بكسر العين المهملة وسكون الذال المعجمة والقاف وهو العرجون من النخلة وشماريخها كما بينه بقوله من هذه النخلة وقد يطلق على النخلة نفسها ولا يناسبه قوله من هذه النخلة فلا وجه لتفسيره به هنا وقيل ان النخلة يقال لها عذقا بفتح العين اتؤمن باني رسول الله اي اتؤمن بي وبما ارسلت به وتقر بذلك قال نعم اشهد بانك رسول الله فدعاه اي العذق بان امره بالمجيء اليه فجعل اي طفق وصار العذق ينقز بفتح المثناة التحتية وسكون النون وضم القاف وكسرها اي في المحكم ففي الاقتصار على الضم قصور واخره زاي معجمة ومعناه يثب صعدا وروي هذا الحديث معضلا البيهقي وقال ان الاعرابي من بني عامر حتى اتاه ووصل الى مكان عنده بقربه فقال له ارجع فعاد الى مكانه الذي كان فيه وخرجه بالتشديد اي رواه بسند الترمذي وقال هذا حديث صحيح متنا وسندا

فصل

من معجزاته صلى الله عليه وسلم ما اشتهر في قصة حنين الجذع الحنين بفتح الحاء المهملة ونونين بينهما ياء تحتية وهو صوت كالانين يكون عند الشوق لمن يهواه اذا فارقه وتوصف به الابل كثيرا قال الجوهري الحنين الشوق وتوقان النفس تقول حن اليه يحن حنينا وحنين الناقة صوتها في نزاعها الى ولدها والجذع بكسر الجيم وسكون الذال المعجمة وعين مهملة وهو ساق النخلة اليابس وقيل انه لا يختص به لقوله تعالى وهزي اليك بجذع النخلة وتعريف الجذع للعهد والمراد به جذع كان قايما بالمسجد النبوي كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يستند اليه ويخطب قايما ولم يكن له منبر فلما وضع له المنبر وخطب عليه صلى الله عليه وسلم سمع للجذع حنين كمفارقته له كما ياتي قال البرهان وغيره ان الخبر به متواتر وكذا قال المص هنا وهذا الجذع من سواري المسجد النبوي وهكذا كانت سواريه كلها وسقفه من جريد النخل كما ياتي في رواية جابر ولا بدع في ان يخلق الله فيه حياة وصوتا كما قيل انه لا يلزم من سماع صوته عنده ان يكون منه مما لا ينبغي ذكره ويعضد هذه الاخبار المذكورة في الفصل الذي قبل هذا من كلام الشجر ومشيها اليه صلى الله عليه وسلم اي يقويها ويؤيدها وهو بعين مهملة وضاد معجمة من عضد اليد وساعدها حديث انين الجذع الانين صوت المريض والانين والحنين متقاربان وقيل الانين فيه زيادة امتداد الصوت وفي

تعبيره

تعبيره به اشارة الى انه لحقه الم كما يلحق المريض ولله در الشهاب المنصوري في قوله

يا السنا فصحاء قد خرست . ان الجماد يعضله نطقا

واعلم ان المص انما عطف الانين على الحنين كنكتة وهي ان حقيقة الحنين في الابل فتحن اذا فارقت اولادها ثم شاع في مطلق الشوق ولو بالكلام كقوله

والمرء يشتاق الديار واهلها وحنينه ابدا لاول منزل

واما الانين فانه بما لا يفهم كالتلاوة ففيه اشارة الى ان حنين الجذع لم يكن بكلام يفهم وانما كان بصوت يفهم منه الحزن بدلالة طبيعية كانين المريض فهو من عطف الخاص على العام فتنبه وهو اي حديث الجذع في نفسه بقطع النظر عن غيره مما يؤيده فانه غير محتاج لذلك لانه مشهور منتشر اي شايع بين الخلف والسلف والخبر به متواتر لكثرة طرقه الصحيحة ونقل جماعة له عن جماعة لا يمكن تواطيهم عن الكذب خرجه اهل الصحيح اي رواه مسندا اصحاب الكتب الستة الصحيحة كالبخاري ومسلم وابن حبان وابن خزيمة وما وصل الى مثلهم بطرق متعددة صحيحة يكون متواترا حقيقة الاجماع من بعدهم على صحتها كما قاله ابن حجر ردا على ابن الصلاح في قوله ان التواتر لا يكاد يوجد كما بينه في شرح النخبة والمراد باهل الصحيح من التزم ان يورد في كتابه الاحاديث الصحيحة عنده ورواه من الصحابة بضعة عشر تقدم ان البضع من الثلاثة الى التسعة فما زاد على العقود مطلقا كبضعة وستين ونحوه على الصحيح عند اهل اللغة وهو كما مر بكسر البا وفتحها منهم اي من الصحابة الذين رووه مرفوعا ابي بن كعب كما رواه عنه الشافعي في مسنده وابن ماجه والدارمي والبيهقي وجابر بن عبد الله كما رواه عنه البخاري وانس بن مالك كما رواه عنه الترمذي وصححه وعبد الله بن عمر كما رواه عنه البخاري وعبد الله بن عباس كما رواه عنه احمد في مسنده باسناد صحيح على شرط مسلم والدارمي والبيهقي وعبد الله بن عباس كما رواه عنه الشيخان وابو سعيد الخدري بالدال المهملة كما تقدم في ترجمته رواه عنه الدارمي وام سلمة ام المومنين كما رواه عنها البيهقي والمطلب بن ابي وداعة بفتح الواو والدال المهملة والف وعين مهملة بعدها ها ابن الحارث بن صبرة بن سعيد القرشي السهمي الصحابي ممن اسلم عام الفتح رواه عنه احمد والزبيري بكار كلهم يحدث بمعنى الحديث فجميع روايتهم متفقة بحسب المعنى وكانه اشارة الى ان تواتره معنوي لا اصطلاحي لما مر عن ابن الصلاح وقد علمت ما فيه قال الترمذي صاحب السنن الامام المشهور وقد تقدمت ترجمته وحديث انس صحيح انما نص على صحته لرجحانه عنده على غيره لا لنفي صحة غيره حتى ينافي ما مر من رواية اهل الصحيح له اولا ان في بعض رجاله شي وقال جابر بن عبد الله في روايته كان المسجد اي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة مسقوفا اسم مفعول من سقفت البيت ونحوه اذا جعلت عليه سقفا وهو مرفوع على جذوع نخل جمع جذع وقد تقدم بمعنى ان له سواري وضع السقف عليها من النخل والاضافة بيانية فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب اي قام للخطبة يقوم مستندا الى جذع منها وكان هنا تفيد تكرار ذلك في استعمالهم كقولهم كان حاتم يقري الضيف وقال الله تعالى وكان يامر اهله بالصلاة والزكاة وهو مما صرح به في كتب العربية والاصول وفي وجه دلالتها على ذلك كلام مقرر مشهور لا حاجة لنا به هنا فلما صنع بالبنا للمجهول وفي نسخة

وضع له صلى الله عليه وسلم المنبر بكسر الميم من نبره بمعنى رفعه ورقاه لانه يرتفع القايم عليه
به عن غيره سمعنا لذلك الجذع الذي كان يستند اليه صلى الله عليه وسلم في خطبة صوتا كصوت
العشار بكسر العين المهملة وشين معجمة والف وراء مهملة جمع عشرا كنفسا وهي الناقة
التي اتى عليها الفحل عشرة اشهر وزال عنها اسم المخاض ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع وبعد
وضعها ايضا والمراد خوارها حين وضعها او عقبه نزاعا لولدها اذا لم تره وفيه مناسبة تامة
هنا لما عرفته من ان الحنين اصله في الشوق والتشبيه به لشدته وانه لحزنه على مفارقته صلى الله
عليه وسلم كما انه في النوق كذلك ويزيده حسنا ان النوق تشبه بالنخل فليس المقصود تشبيه
مسموع بمسموع فقط كما قيل وفي رواية انس انه صلى الله عليه وسلم لما قعد على المنبر
خار الجذع حتى ارتج المسجد بهمزة الوصل وسكون الرا المهملة وفتح التا الفوقية وتشديد
الجيم مطاوع رجه فارتج اذا تحرك حركة شديدة واضطرب وهو بتقدير مضاف اي اهله او
هو على ظاهره بان تتحرك حيطانه وجدرانه لشدة صوته اما حقيقة او لظن ذلك ممن هو
فيه لخواره بضم الخا المعجمة وفتح الواو بعدها الف وراء مهملة بوزن فعال وهو بنا مطرد
في اسما الاصوات والخوار في الاصل كما قاله الراغب يختص بصياح البقر ثم توسعوا فيه في
اصوات جميع البهايم وفي بعض النسخ جوار بضم الجيم وفتح الهمزة والراء المهملة وهو بمعنى
الاول وقال الراغب قال تعالى اليه يجارون من جار اذا افرط في الدعا تشبيها له بخوار
الوحشيات كالظبا ونحوها انتهى والمعنى فيهما واحد اي صاح وفي رواية سهل وكثر
بكا الناس لما راوا به البكا يمد ويقصر معروف وما موصولة والعايد محذوف اي رواه
بالجذع ورأى بصرية وكونها قلبية يجوز على بعد والمرئي حركته ونحوها والبا بمعنى
في او سببية وفيه تجوز اي للذي راوا اثاره بسببه اذ الصوت لا يرى ويجوز كونها مصدرية
وفي رواية المطلب بن ابي وداعة وابي بن كعب حتى تصدع وانشق عطف تفسيري
لان حقيقة الصدع شق الاجسام الصلبة كالزجاج والحديد يقال صدعته فانصدع وصدعته
فتصدع ثم استعير منه صدع الامر اذا فصله كقوله تعالى فاصدع بما تؤمر ومنه صداع الراس
لوجعه وانصداع الفجر وهو مبالغة في شدة صياحه كما يقال صاح حتى انفلق ويجوز بقاؤه
على ظاهره ويؤيد الاول قوله حتى جا النبي صلى الله عليه وسلم اي نزل عن منبره
واتى له فوضع يده عليه فسكت اي ترك خواره لما زال المه بقربه صلى الله عليه وسلم
منه ومشيه له زاد غيره اي غير المطالب وهو في رواية ابي بن كعب فقال النبي صلى
الله عليه وسلم ان هذا بكا لما فقد من الذكر فقد كقتل من الفقد وهو العدم بعد الوجود
فهو اخص من العدم والمراد بالذكر ذكر الله او الموعظة او القران وجوز ان يكون نفس
النبي صلى الله عليه وسلم لانه اطلق عليه الذكر ايضا وزاد غيره اي غير الغير
او من ذكر والذي نفسي بيده قسم بالله على عادته صلى الله عليه وسلم والنفس الروح
هنا وبيده معناه بفيضة قدرته وتصرفه حياته ومماته متى اراد لو لم التزمه هو افتعال
من اللزوم والعدم عدم الفراق ثم استعير للعناق كما في الاساس يقال التزمه اذا اعتنقه
وضمه اليه لم يزل هكذا اي له صراخ وخوار الى يوم القيمة تحزنا على مفارقته
رسول الله صلى الله عليه وسلم والتحزن تفعل من الحزن والمراد به الزيادة لا
التكلف فامر به نبي الله صلى الله عليه وسلم اي امر بعض الصحابة باخذه او بدفنه

فدفن

فدفن تحت المنبر وانما امر بذلك ليلا يشتغل به الناس وربما افتتن به بعد العصر الاول
وفيه اشارة الى انه سينبت في الجنة كما سياتي وان بعض اغصان الاشجار بعد قطعها اذا
دفن نبت وطلع منها الارض واعلم ان سواري المسجد في زمنه صلى الله عليه وسلم معدودة
مفصلة في تاريخ المدينة كهيئة حرمه ومنبره صلى الله عليه وسلم كان من خشب اثل الغابة
والاثل بالمثلثة شجر معروف والغابة اسم موضع بالمدينة فيه اشجار وفي النجار الذي صنعه
له صلى الله عليه وسلم اقوال فقيل انه قبيصة المخزومي وقيل انه غلام للعباس اسمه
صباح وقيل هو غلام اسمه باقوم او باقول باللام غلام سعيد بن العاص وقيل هو تميم الداري
وقيل غلام لسعد بن عبادة وقيل انه غلام امراة انصارية وقول الكرماني رحمه الله انه غلام لعايشة
رضي الله عنها لا مستند له فيه وقيل انها عايشة الانصارية وقيل هي من بني سعد وكان وضع
منبره صلى الله عليه وسلم في السنة السابعة وقيل الثامنة من الهجرة وعلى القول بانه تميم تكون
التاسعة لانه اسلم سنة تسع الا ان يقال عمله قبل اسلامه وهو اول منبر في الاسلام وكان درجه
ثلاثا ومن قال اثنتين اسقط محل قيامه صلى الله عليه وسلم عليه وقيل انه كان اكثر من ثلاث
وكان طوله اكثر من ذراعين وعرضه ذراع وطول صدره وهو مستنده ذراع ورمانتاه اللتان
يمسكهما بيده الكريمة في قيامه ولما حج معاوية رضي الله عنه كساه قباطي ثم لما رجع
للشام كتب لمروان وهو عامله على المدينة فرفعه وزاد عليه ست درجات فصارت تسعا
ثم لما قدم جدده بعض بني العباس واتخذ من اعواده القديمة امشاطا يتبرك بها الى آخر ما فصل
في تاريخ المدينة كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد واسحاق عن انس وفي بعض النسخ
هنا وفي بعض الروايات عن سهل فدفنت تحت منبره او جعلت في السقف انتهى وضمير
دفنت وجعلت على هذه الرواية لعواده او التاويل الجذع بالخشبة واسحاق المذكور
هو ابن عبد الله بن ابي طلحة الانصاري اخرج له الستة وتوفي سنة اثنين وثلاثين ومائة
من الهجرة وكونه دفن تحت المنبر على ظاهره او تسمح فيه لانه قيل انه دفن في يسار المنبر
وروي دفن في المسجد وفي حديث ابي فكان اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه
اي استقبله وجعله كالسترة للمصلي من المارين فلما هدم بالبناء للمجهول والهدم والهد نقض
البناء ونحوه المسجد اي مسجده صلى الله عليه وسلم وهدمه في زمن عمر رضي الله عنه لا بناه في
عهده صلى الله عليه وسلم لم يكن بالحجارة ثم هدمه عثمان رضي الله عنه وزاد فيه كما ذكر في
تاريخ المدينة اخذه ابي رضي الله عنه هذا لا ينافي ما مر من انه جعل في السقف او دفن تحت المنبر
ثم رفع في السقف لئلا يداس بالارجل تكريما لاثر الرسول صلى الله عليه وسلم ثم حين الهدم
اخذه ابي تبركا به وكان عنده الى ان اكلته الارضة ووقع في رواية الارضة بفتحات وهي دويبة
صغيرة تاكل الخشب وغيره من الثياب والكتب وهي العثة وقال الامام المزني ان هذه الرواية هي
المشهورة عند المحدثين وما ذكره المص صحيح والارض فيه اما بمعناها المشهور لانها تبلى
ما يدفن فيها فاستعير له الاكل او هو بتقدير اي دابة الارض وهي تلك المتقدمة بعينها او مصدر
ارض يارض ارضا اذا اكلت الارضة وبه فسر قوله تعالى دابة الارض تاكل منساته كما ذكره السيوطي
ولابن عين

يا اهل مصر وجدت ايديكم ... عن بسطها بالنوال منقبضه
لما عدمت النوال عندكم ... اكلت كبتي كانني ارضه

فليس في كلامه ما يعترض به عليه كما توهم قال القسطلاني فان قلت هذا يخالف قوله صلى
الله عليه وسلم لو لم التزمه بقي هكذا الى يوم القيمة وكيف يتصور هذا مع قوله تعالى كل من عليها
فان قلت هذا وقع على طريق المبالغة كقوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وان لم
يقع وهذا مما لا حاجة اليه وبقاؤه على ظاهره لا مانع منه فانه علق بقاؤه على عدم فعله به ما
فعله فاذا فعله تغير وفني وقد علم بما ذكر وعاد رفاتا عاد هنا بمعنى صار لا بمعنى رجع الامر
كان عليه وهو احد معنييه كما بين في كتب اللغة وغيرها والرفات بوزن غراب براء مهملة
وفاء ومثناة فوقية كالفتات وهو ما تكسر وتفرق وذكر الاسفرايني بكسر الهمزة وسكون السين
المهملة وفتح الفاء والراء المهملة بعدها همزة مكسورة ونون بلدة بالعجم نسب اليها هذا الاستاذ
الامام الاصولي المتبحر في ساير العلوم المعروف بالزهد والورع وهو ابو اسحاق لانه اذا اطلق
فالمراد هو وان نسب لهذه البلدة غيره من الايمة كابي حامد وطاهر بن محمد ان النبي صلى
الله عليه وسلم دعاه اي دعا الجذع المذكور الى نفسه اي امره بان ياتيه ويقبل
ساعيا اليه وزاد لفظ نفس هنا ليلا يتحد ضمير الفاعل والمفعول بواسطة ودونها فانه ممتنع
في غير افعال القلوب وما الحق بها كما مر وقد اورد عليه نحو قوله وهزي اليك بجذع النخلة
وصرهن اليك وقد اجيب عنه بما يطول وقد فصلناه في السوانح والمقام يضيق عنه هنا
فجاء يخرق الارض اي يشقها بمشيه فيها فالتزمه واعتنقه ثم امره بالرجوع لمحله فعاد الى
مكانه الذي كان فيه من المسجد وهذه زيادة منه لا يقال مثلها من قبل الراي وهو امام ثقة
على ان هذا رواه الامام البيهقي في دلايله والحافظ ابو القاسم في تاريخه عن العباس كما
في الشرح الجديد ولو وقف عليه المص عزاه له وفي حديث بريدة علم منقول من تصغير
البردة المعروفة وهو بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث ابن الاعرج السلمي واختلف
في كنيته فقيل ابو عبد الله وقيل ابو سهل وقيل غير ذلك وهو صحابي اسلم حين مر به النبي
صلى الله عليه وسلم مهاجرا ثم قدم المدينة قبل الخندق ثم نزل البصرة واخرج له الامام احمد
في مسنده وغيره وليس هو بريدة الاسلمي كما توهم فانه تابعي روى احاديث مرسلة فظن
انه صحابي وله ترجمة في الميزان فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم للجذع حين سمع
حنينه ان شئت بتا الخطاب خاطبه لما علم ان الله خلق فيه حياة وادراكا اردك الى مكانك
الحايط الذي كنت فيه هو في الاصل اسم فاعل من حاطه اذا احاط به ودار عليه ثم نقل
للبستان نفسه الذي فيه الشجر والنخل وهو المراد هنا ولذا قال الذي كنت فيه ينبت لك
عروقك بدل من قوله اردك او مستانف لبيان علة الرد الى مكانه الذي نبت فيه ويكمل خلقك
ويجدد لك خوص وثمرة الخوص بضم الخاء المعجمة وواو ساكنة وصاد مهملة واحده خوصة
وهي كالورق للنخل والثمر بمثلثة واحده ثمرة اي تعود لك خلقتها بتمامها ونضارتها
وان شئت مفعوله مقدر اي غرسك فقوله اغرسك في الجنة جواب الشرط
مجزوم فتاكل اولياء الله من ثمرك معطوف على الجواب وهذا مرتبط بقوله فالتزمه
في الكلام الذي قبله فخيره صلى الله عليه وسلم بين الحياة الدنيوية والحياة المخزونة
ثم اصغى له صلى الله عليه وسلم بصاد مهملة وغين معجمة اي امال راسه وقرب منه
يستمع ما يقول اي يسمع قوله وما يجيب به وهو من الصغي بمعنى الميل كما علم يقال صغت
الشمس اذا مالت للغروب وصغيت الاناء واصغيته اذا املته واصغيت الى فلان ملت

بسمعي

بسمعي نحوه وحكي صغوت اليه اصغوا صغوا وصغيت اصغي قاله الراغب فقال اي الجذع بل
تغرسني في الجنة اي تصيرني من غراس الجنة وتغرسني بيدك فيأكل مني اي من ثمري اولياء الله
واكون في مكان لا ابلي فيه ابلي كافتني لفظا ومعنى من البلا بالكسر وهو الفنا فاختار الحياة
الباقية كساير اهل الجنة واشجارها وابلي بفتح الهمزة وضمها خطا فسمعه من يليه اي سمع
كلام الجذعي والضمير الاول له والثاني يحتمل عوده له وللنبي صلى الله عليه وسلم ويليه بمعنى
يقرب منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت بضم التا للمتكلم اي اجعلك من غراس
الجنة ثم قال صلى الله عليه وسلم اختار دار البقا وهي الجنة كما تقدم على دار الفنا
وهي الدنيا فكان الحسن البصري التابعي الامام المشهور اذا حدث بهذا بكى وقال يا عباد
الله الخشبة يعني الجذع تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم تفسير الحنين
شوقا اليه مفعول مطلق لقوله تحن كجلست قعودا او مفعول له والاول اولى لان قوله لمكانه
لامه للتعليل ان لم يكن بدلا من قوله اليه وقيل انه علة متداخلة فشوقا علة لتحن ولمكانه علة
لقوله شوقا اي الخشبة اشتاقت لعلو مقامها وجلالة قدره وهي جماد وهذه معجزة له صلى
الله عليه وسلم اعظم من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام في العصا واحيا عيسى عليه الصلاة
والسلام الموتى لان الشوق والكلام يستلزمان الاحيا عند الاشعري وان قيل ان مجرد الصوت
المسموع لا يستلزمه كما تقرر في محله فالمكان على حقيقته وهو الجنة او بمعنى علو قدره
وشرفه صلى الله عليه وسلم كما اشرنا اليه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه ونقل عن صاحب
القاموس انه استاذن سلطان اليمن في الحج وزيارة النبي صلى الله عليه وسلم فكتب اليه
بكلام قال فيه انه صلح في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لا يحل بالمومن ان يمر عليه اربع سنين
ولا يتجدد له شوق للحج وزيارة سيد المرسلين وقد تجدد لي من الشوق ما شيت عمره عن
الطوف وقد تضعضع السن وتقعقع الشن فما هو الا عظم في جراب وقد بلغت دقاقة الرقاب
الى اخر ما قاله وقلت حين وقفت على ما كتبه لم لا احن الى المختار من اضم والجذع حن اشتياقا
بعد فرقته اني لاعجب من خشب مسندة ما هزها الشوق احيانا لروضته والشوق نزاع النفس
للشي والهيجان اليه ونقل ابن عطية في سورة الكهف انه سمع الجوهري الواعظ يقول كلب احب
اهل الخير نالته بركتهم وشرف صحبتهم حتى ذكره الله في كتابه فالخشبة تحن والكلب يحب وهذا
عبرة لاولي الالباب وفقنا الله لما يقربنا اليه ورواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال
عبيد الله بن حفص بتصغير عبيد فيهما وقيل انه حفص ابن عبيد بلا تصغير قال البرهان
والصواب الاول وهو حفص بن عبيد الله بن انس بن مالك وهو يروي عن جده وروى
عنه اصحاب السنن وقال ابو حاتم انه لم يثبت له سماع الا عن جده وايمن الحبشي والد عبد
الواحد بن ايمن مولى بن ابي عمرة المخزومي وقد وثقه ابو زرعة وقد تقدم فيه كلام وان
ابن حبان خلط في ترجمته وايمن منقول من افعل التفضيل من اليمن وهو البركة وابو نضرة
بفتح النون وسكون الضاد المعجمة وراء مهملة ووقع في بعض النسخ بصرة بباء موحدة وصاد مهملة
وهو تحريف وليس لنا ابو نضرة غير ابي نضرة واسمه جميل وليس له رواية عن جابر كما قاله
الحافظ الحلبي وابو نضرة الاول اسمه المنذر بن مالك بن قطعة العبدي النضري له رواية عن
ابن عباس وغيره واخرج له اصحاب السنن وله ترجمة في الميزان وكان فصيحا ثقة توفي سنة
تسع ومائة وابن المسيب سعيد الامام المعروف تقدمت ترجمته وان ياؤه تفتح وتكسر وسعيد

بن ابي كرب بكاف وراء مهملة وبا موحدة الهمداني وله ترجمة في الميزان وكريب مثله الا انه
مصغر وهو ابن رشد مولى بن عباس وابو صالح وهو ذكوان السمان وتقدمت ترجمته
واسحاق بن ابي طلحة السابق بترجمته ورواه عن ابن عمر نافع ابو عبد الله مولى بن عمر
الامام الثقة المشهور توفي سنة سبع عشرة ومائة واخرج له الستة وابو حية بفتح الحا المهملة
وتشديد المثناة التحتية واسمه حيي الكلبي الكوفي الامام الثقة والد ابي جناب يروي عن
ابن عمر ولهم ابو حية اخر يروي عن علي وترجمته في الميزان ورواه ابو نضرة السابق
ذكره قريبا وابو الودال بفتح الواو وتشديد الدال المهملة ثم الف وكاف وهو جبر بن نوف
البكالي له ترجمة في الميزان عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه وقد قدمنا ترجمته
وعمار بن ابي عمار مولى ابي هاشم وهو ثقة اخرج له مسلم عن ابن عباس وابو حازم
بحا مهملة وزاي معجمة وهو سلمة بن دينار الاعرج المدني الثقة احد الاعلام اخرج له الستة
وعباس بعين وسين مهملتين بينهما موحدة مشددة والف ابن سهل بن سعد عن
سهل بن سعد الساعدي توفي سنة بضع عشرة ومائة وقد زاد على الشعبي واخرج له اصحاب
السنن عن سهل بن سعد ابو عباس المذكور روى عنه ابنه وغيره وكثير بفتح الكاف ومثلثة
وراء مهملة بن زيد الاسلمي ابو محمد المدني وله ترجمة في الميزان عن المطلب السابق ذكره
رواية كثير عنه ليس لها ذكر في الكتب الستة كما قاله البرهان وعبيد الله بن بريدة عن ابيه
عبد الله قاضي القضاة بمرو وعالمها الثقة وترجمته في الميزان والطفيل بصيغة تصغير طفل
بن ابي عن ابيه ابي بن كعب وكنيته ابو بطن لعظم في بطنه قال القاضي ابو الفضل وهو عياض
المص رضي الله عنه فهذا يعني حديث حنين الجذع حديث كما تراه يعني انه علم مما ذكره
من كثرة طرقه عن الصحابة والتابعين وغيرهم انه خرجه اهل الصحة اي الثقات من المصنفين
الذين التزموا في كتبهم رواية الاحاديث الصحيحة ورواه من الصحابة من ذكرناه في هذا
الفصل وغيرهم من التابعين ضعفهم بكسر الضاد المعجمة لان كل صحابي روى عنه من طرق كما
فصله فاذا ضممتهم الى من لم تذكره فاذا علمت هذا تحقق عندك القطع بصحته لتواتره ومن
دون هذا العدد الذي ذكره يقع العلم اي يوجد العلم وتتفق صحته فكيف به لمن اعتنى
اي اهتم به وتقيد بهذا الباب من معجزاته صلى الله عليه وسلم والله المثبت بضم الميم وبالمثلثة
المفتوحة وتشديد الموحدة قبل المثناة اي توفيق الثبات وعدم تقلب القلب نعمة من الله
على عبده المومن فيشتبه على الصواب وهو ضد الخطا فصل ومثل هذا من حنين
الجذع واشتياقه ونطقه في ساير الجمادات اي جميعها او بقيتها والجماد ما لا روح له ومثل مرفوع
خبره ما بعده او فاعل فعل مقدر اي ورد مثله وهذا يحتمل انه اشارة لجميع ما سبق من كلام
الشجر وغيره واستشهد بالحديث رواه البخاري وهو ما اشار اليه بقوله حدثنا القاضي
ابو الفضل عبد الله محمد بن عيسى التميمي تقدم بيانه وترجمته قال حدثنا القاضي ابو عبد
الله محمد بن المرابط بصيغة اسم الفاعل من المرابطة وهي الاقامة بالثغور بنية الجهاد
وهو محمد بن خلف بن سعيد بن وهب المري توفي بالمدينة قاضيا بها سنة ثمانين واربعمائة
وكان مفننا في العلوم سمع من المهلب والداني وغيرهما قال حدثنا المهلب ابو القاسم
والمهلب بصيغة المفعول هو ابن ابي صفرة وفي التكنية بابي القاسم وجوازه على الصحيح
كلام مشهور تقدم وسياتي بيانه ايضا قال حدثنا ابو الحسن القابسي علي بن محمد بن خلف

الحافظ

الحافظ المفاوزي كما تقدم قال حدثنا الوراق ابو زيد كما تقدم قال حدثنا الفربري تقدم
بيانه وبيان نسبته على اللغتين في اسم بلده قال حدثنا البخاري صاحب الصحيح وقد تقدم ببيانه
قال حدثنا محمد بن المثنى وهو محمد بن المثنى ابو موسى العنزي الحافظ الثقة الورع توفي
سنة اثنتين وخمسين ومايتين وترجمته مفصلة في الميزان قال حدثنا ابو احمد الزبيري
بضم الزاي المعجمة وهو محمد بن عبد الله بن الزبير بن عمر الزبيري نسبة الجدة وليس هو الزبير
بن العوام بل هو كوفي مولى لبني اسد توفي سنة ثلاث ومايتين حدثنا اسرائيل بن يونس بن
ابي اسحاق السبيعي الكوفي ابو يوسف الثقة اخرج له الستة وتوفي سنة اثنتين وستين وماية وترجمته
في الميزان عن مغفول ابو عتاب بن المغتمر السلمي مولاهم الكوفي عن ابراهيم بن يزيد النخعي
من علقمة بن قيس تقدم بيانه عن عبد الله بن مسعود قال اي ابن مسعود لقد كنا
نعاشر الصحابة نسمع تسبيح الطعام وهو بوكل جملة حالية اي في حال اكلنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفي غير هذه الرواية يعني رواية البخاري وهو رواية الترمذي
عن ابن مسعود ايضا كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه
اي قوله سبحانه الله وهذا مما يستأنس به لا ما معنى قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده
حقيقي بلسان القال لا بلسان الحال وانه يشهد له من تأليه بقوله ولكن لا تفقهون
تسبيحهم وهو حديث صحيح حسن اخرجه عن ابي يسار ايضا من طريق اخر وفي قوله كنا الخ
دليل على كثرة وانه وقع مرارا عديدة كما تقدم وفي هذا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم
وكرامة للصحابة اذ سمعوا ما لم يسمعه غيرهم وهذه المعجزة اعظم من معجزة فهم منطق الطير
والجبال لسليمان وداود عليهما الصلاة والسلام وفي الدر المنثور للسيوطي اما كل شيء يسبح
الا الكلب والحمار وتقدم ان التسبيح معناه تنزيه الله عما لا يليق به واهل الظاهر اولوا
الاية بلسان الحال كالزمخشري وجعلوه خطابا للمشركين ولذا قال لا تفقهون ولم يقل
لا تسمعون وذكر الهم هذه الروايات لما فيها من التصريح بانه كان في فمه صلى الله عليه وسلم
ولبعض الشراح هنا كلام لا طائل تحته وقال انس في حديث اخرجه ابن عساكر في تاريخه
اخذ النبي صلى الله عليه وسلم كنا اي مقدار ما يملؤ الكف وهو باطن اليد وقيل فيه مضاف
مقدر اي ملء كف من حصى جمع حصاة وهي صغار الحجارة فسبحن في يد رسول الله صلى
الله عليه وسلم من وضع الظاهر موضع المضمر تعظيما واشارة الى انه معجزة وفي نسخة في
يده حتى سمعنا التسبيح ثم عهد اي وضعنا وهو استعارة شايعة في الاجرام الصغار كصبابا
الصبرة من المكيل واصله في الحيوانات كالماء في يد ابي بكر فسبحن جملة حالية ثم صبن
في ايدينا فاسكتن وفي قوله حتى سمعنا اشارة الى خفاء صوتهن وفيه دليل ظاهر على فضل
ابي بكر رضي الله تعالى عنه على غيره وايما الى خلافته ومعنى قوله فما سكتن انه ما سمع تسبيحهن
اواه التسبيح لم يكن في الجمادات دايما والاولى وروي مثله ابو ذر رضي الله تعالى عنه
رواه الطبراني والبيهقي والبزار والمثلثة في مجرد تسبيح الحصى فلا ينافي قوله وذكر انه سمع
سبحن في كف عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما ولفظ هذا الحديث عن ابي ذر في دلايل
البيهقي قال كنت اتبع خلوات صلى الله عليه وسلم من بيته يوما خاليا فاغتنمت خلوته وجيئته
حتى جلست اليه فجاء ابو بكر فسلم ثم جاء عمر فسلم وجلس عن يمين ابي بكر ثم جاء عثمان فلم
وجلس عن يمين عمر وبيما يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع حصيات فاخذهن فوضعن

في كفه فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم اخذهن فوضعهن في يد ابي
بكر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في يد
عمر فسبحن حتى سمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن ثم تناولهن فوضعهن في
يد عثمان فسمعت لهن حنينا كحنين النحل ثم وضعهن فخرسن فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذه خلافة النبوة وهكذا اخرجه الحافظ ابو القاسم في تاريخه مسندا عن انس رضي
الله عنه وزاد فيه بعد عثمان ثم وضعهن في ايدينا رجلا رجلا فما سبحت حصات منهن
وفي رواية صبهن في ايدينا رجلا رجلا الى اخره وفي الشرح الجديد انه لم يذكر عليا رضي الله
عنه وكرم وجهه فان كان تسبيحها في يد غيره مخصوصا بالخلفاء فهو خليفة كابنه الحسن
ايضا واجاب بانه لم يكن حاضرا ثمة او لان خلافته ادركت الفتنة على ان مثله لا يشين مقامه
رضي الله عنه مع ما له من المناقب اقول الظاهر ان هذه الواقعة تعددت لان رواية ابي ذر انه
لم يكن ثمة غيره وما في رواية البيهقي يقتضي انه حضرها جماعة من الصحابة لقوله رجلا رجلا
وعلي كلهما لم يكن معهم علي رضي الله تعالى عنه وفيها اشارة الى عدم امتداد خلافته استقلالا
وقال علي رضي الله عنه في حديث رواه الدارمي والترمذي بسند حسن كنا بمكة مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فخرج صلى الله عليه وسلم الى بعض نواحيها فما استقبله وفي بعض
النسخ فما استقبلته شجرة اي وقعت في مقابلة وجهه قريبا منه ولا جبل الا قال له كل واحد
منهما السلام عليك يا رسول الله بان خلق الله تعالى فيه نطقا وان لم يكن معه حياة لانه
لا تلازم بينهما ولكن الظاهر انه كان فيه حياة ايضا وهذا كما قاله ابن اسحاق رحمه الله تعالى
كان في بدء النبوة تطمينا لقلبه صلى الله عليه وسلم وتبشيرا له بانقياد الخلق له بعده واجابتهم
لدعوته وعن جابر بن سمرة رضي الله تعالى عنه عنه صلى الله عليه وسلم وفي حديث صحيح
رواه مسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي اي يقول السلام عليك يا رسول الله ونحوه
قيل انه الحجر الاسود فقد قال السهيلي وغيره روي في المسندات ان هذا الحجر هو الحجر الاسود
وهذا هو المأثور وقد قيل انه حجر غيره وانه معروف اليه الان بمكة في محل يقال له زقاق
المرفق والناس يتبركون به الان ويقولون انه الذي كان يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
وهذه المعجزة اعظم من معجزة داود عليه الصلاة والسلام في قوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن
لانها لم تسبح بيده وفي يد من اراده من امته وتسبيح الطعام اعظم منهما لانه لم يعهد
مثله والجبال قد وصفت بالخضوع والخشوع وتاكيده بان وتكثيره اشارة الى ان له شانا
خاصا به وانه حجر ليس كساير الحجارة ولذا فسر بالحجر الاسود فلا يقال ما الفايدة في ذكر حجر
واحد وهو صلى الله عليه وسلم كان لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه كما اشار اليه بقوله وعن عايشة
رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه البزار في مسنده لما استقبلني
جبريل عليه الصلاة والسلام اي نزل علي واتاني بالرسالة جعلت اي صرت لا امر بحجر ولا
شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله تشريفا له وتطمينا وانهما لعموم رسالته وامر بقربه
الحجر كيف ينكره البشر وعن جابر بن عبد الله في حديث رواه البيهقي لم يكن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ابتداء بعثته يمر بشجر ولا حجر الا سجد له اي انخفض حتى مس الارض
على هيئة السجود تواضعا له صلى الله عليه وسلم وتعظيما له وتكريما كما سجدت الملائكة
لادم عليه الصلاة والسلام والسجود لغير الله انما يمتنع من البشر وهذا محمول على السماع

منه

منه صلى الله عليه وسلم كما ورد التصريح به في الحديث السابق ومثله لا يقال من قبل الرأي فلا حاجة
الى ان يقال انه علم من باب الكشف ويحتمل ان الراوي شاهد ذلك في حال مروره معه صلى الله
عليه وسلم وفي حديث العباس رضي الله تعالى عنه الذي رواه البيهقي عن ابي اسيد الساعدي
اذ اشتمل عليه الضمير للعباس اي الحديث الذي ذكر فيه انه كان في وقت اشتمل اي ضمه
صلى الله عليه وسلم في رداء له وبنيه وهم عبيد الله وعبيد الله والفضل وقثم بملاءة
بميم مضمومة ولام وهمزة ممدودة وهاء وهي الازار والملحفة وقيل الملاءة الازار الذي
له شقتان فان كان له شقة واحدة فهي ريطة برا وطا مهملتين والجمع ملاء وريط ودعا لهم
اي للعباس وبنيه بالستر من النار الستر ما يمنع المستور ويحجبه فهو مجاز واستعارة لما
يمنعهم من دخولهم للنار وعن ارتكاب ما يوجب العذاب بها وهو بفتح السين مصدر ستره
ثم شبه بعد التجوز في قوله كستره صلى الله عليه وسلم اياهم بملاءته اذ قال يا رب هذا
عمي وصنو ابي وهولاء بنوه فاسترهم من النار كستري اياهم بملاءتي هذه فامنت بفتح
الهمزة والميم المشددة والنون اي قالت امين طلبا لاستجابة دعائه اسكفت الباب بضم الهمزة
وسكون السين المهملة وضم الكاف وفا مشددة مفتوحة وهاء وهي العتبة وما يعلوه الداخل
من الباب ومن المجاز وقعت الدمعة على اسكفة عينه اي جفنه الاسفل وهذا محل الشاهد
من الحديث لنطق الجماد فيه وحوايط البيت جمع حايط وهو معروف اي جدرانه المحيطة بجوانبه
ونواحيه امين امين هو اسم فعل امر بمعنى استجب وفيه لغات اشهرها مد الهمزة وتخفيف
الميم وروي قصرها وتشديد الميم وفيه كلام في التفسير واللغة مشهور وامين امين اما معمول
لمقدر اي وقالت امين او لامنت لتضمنه معنى القول وتكريره اما على التوزيع اي قالت الاسكفة
امين والحوايط امين ويحتمل ان كل واحد منهما كرر قوله امين تاكيدا وتحقيقا للمقال اذ
قد يغفل عن مثله وهذا الحديث بتمامه في دلايل البيهقي وفيه انه قال للعباس يا ابا الفضل لا
تفارق انت وبنوك بيتك حتى اتيك فان لي بكم حاجة فانتظروه فلما اتاهم قال كيف
اصبحتم فقالوا بخير فقال تقاربوا تقاربوا فاجتمعوا فجمعهم معه في ملاءته وقال يا رب
هذا عمي وصنو ابي وهولاء بنوه فاسترهم من النار الى اخر ما ذكره المص وفي دلايل
ابو نعيم انهم كانوا سبعة الفضل وعبد الله حبر الامة ابو الخلفا وعبيد الله وعبد الرحمن وقثم
وسعيد وام حبيبة اختهم وفيهم يقول عبد الله الهلالي

ما ولدت نجيبة من فحل ... بحبل نعلمه او سهل
كستة من بطن ام الفضل ... اكرم بها من كهلة وكهل
عم النبي المصطفى ذي الفضل ... وخاتم الرسل وخير الرسل

ومثل هذه القصة حديث اهل الكسا في المباهلة المتقدم وهو جمع النبي صلى الله عليه وسلم لخمسة من
اهل بيته وهم النبي صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسنان في كساله ويقال ان جبريل عليه
الصلاة والسلام كان معهم كما قيل

افضل من تحت الفلك ... خمسة رهط وملك

وقال الخالدي

اعاذلي ان كسا التقي ... كسانيه حتى لال الكسا

وقال ابو علي الضرير لمن وعده بكسا ثم اخلف

من غزل هذا الكسا ونسج من • هوا في عمان طرزه ام في عدن •
ولاي وقت بعد ريح فتزه • هبت وامطار المت تختزن •
ام ذا الكسا الغزال محمد • فالضن من بذل له امر حسن •

وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس المشاهد فلا يقال عليه ان المشبه هنا اعظم من المشبه والمعهود في التشبيه عكسه كما قيل وعن جعفر بن محمد عن ابيه محمد الباقر بن زين العابدين وقال السيوطي لم اجد هذا في كتب الحديث يعني المشهورة فلا ينافي اطلاع المص عليه مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام بطبق فيه رمان وعنب المذكور في اللغة ان الطبق بمعنى الغطا والمراد به هنا الوعا مجازا لانه على هيأته والظاهر انهما من ثمرات الجنة وكونه من ثمرات الدنيا وانه لو كان من الاخرة لم يغن لقوله اكلها دايم لا يلتفت اليه كالبحث عن كونهما فاكهة اولا فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح اي فاراد الاكل منه اذ تناوله بيده لا بعد الاكل كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الاية ولم يذكر هذا مع الطعام لكونه ليس من طعام الدنيا المعقود له فضله فلذا ذكره مع الجماد وهو ما لا روح له مطلقا وعن انس بن مالك في حديث رواه احمد والبخاري والترمذي وابن ماجة صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان احدا بضمتين وقد يسكن ثانيه وقيل ان تسكينه ضرورة وهو جبل معروف بقرب المدينة وقد قال صلى الله عليه وسلم فيه انه جبل يحبنا ونحبه واخبر انه سيكون في الجنة فرجف الجبل بهم اي تحرك حركة شديدة واضطرب اضطرابا اما لمهابته صلى الله عليه وسلم او لخوفه من الله وانه لزلزلة اتفقت عند صعودهم عليه فقال اثبت احد بضم اخره من غير تنوين اي يا احد فامره صلى الله عليه وسلم بالثبات وعدم الحركة وقد خلق الله فيه ادراكا وحياة اذ فهم كلامه وامتثل امره وهذا محل الشاهد في هذا الحديث اي ينبغي ان يكون فيك وقار وسكون لشرف من علا عليك ممن ينبغي عدم الاضطراب المشوش عليهم فلذا قال فانما عليك نبي يعني نفسه صلى الله عليه وسلم وصديق يعني ابا بكر رضي الله عنه وشهيدان يعني عمر وعثمان رضي الله تعالى عنهما لانهما قتلا ظلما كما لا يخفى ورواه بعضهم وشهيد بالافراد وقال لم يصف عثمان بالشهادة اختصارا او اقتصارا ولا وجه له وكل الشراح على خلافه وروي انه صلى الله عليه وسلم ضربه برجله اي ركضه بها ومثله اي مثل الحديث الذي في احد ما رواه مسلم عن ابي هريرة في جزا بالمد والقصر والتذكير والتانيث والصرف وعدمه وهو جبل معروف على ثلاثة اميال من مكة وقد تقدم الكلام عليه وزاد في هذه الرواية على ما تقدم من ذكر عمر وعثمان وابي بكر ومعه علي وطلحة والزبير وفي رواية سعد بن ابي وقاص بدل علي وقال في هذه الرواية فانما عليك نبي او صديق او شهيد وهنا بمعنى الواو للتقسيم وبها عبر المص عند سياقه هذه الرواية فيما ياتي فقال اثبت انما عليك نبي وصديق وشهيد وياتي الكلام عليها واراد بالشهيد ما يشمل ما فوق الواحد وبالشهيد المقتول ظلما مطلقا لان عمر رضي الله عنه قتلها بولؤلؤة غلام المغيرة الكافر وعثمان قتل يوم الدار واختلف في قاتله وعلي رضي الله عنه قتله ابن ملجم الخارجي الشقي والزبير رضي الله تعالى عنه قتل بوادي السباع ظلما وطلحة رضي الله تعالى عنه اعتزل الناس فاصابه سهم فقتله فكلهم قتلوا ظلما فهم شهدا حقيقة وحكما وروي انه صلى الله عليه وسلم قال اسكن حرا او اهدا

حرا كما رواه

حرا كما رواه كما رواه مسلم والترمذي ولم يذكر سعدا كما سياتي والخبر الذي رواه مسلم والترمذي
عن ابي هريرة رواه الترمذي والنسائي في حرا ايضا عن عثمان ابن عفان رضي الله تعالى عنه
قال عثمان في هذه الرواية ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد في رواية عثمان عبد الرحمن
بن عوف وسعدا ابن ابي وقاص قال ونسيت الاثنين تتمة العشرة وهما طلحة والزبير في حديث
اخر رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة سعيد بن زيد ايضا بن عمرو ابن نفيل
احد العشرة المبشرة مثله اي مثل حديث عثمان وفي الصحابة سعيد بن زيد انصاري اسلمي وهو
غير هذا لانه لا يعرف له رواية وذكر في هذه الرواية ايضا عشرة وزاد نفسه فيهم وقد
روي في حديث الهجرة المذكورة في السير ولم يسنده السيوطي هنا انه صلى الله عليه وسلم
حين طلبته قريش لما خرج مهاجرا وارسلوا خلفه من يطلبه منهم قال له ثبير بثا مثلثة
مفتوحة وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة ورا مهملة جبل بالمزدلفة عن يسار الذاهب الى
منى ولهم جبال اخر تسمى ثبيرا كلها حجازية وسمي ثبيرا من الثبور باسم رجل كان يسمى ثبيرا
دفن به فسمي باسمه اهبط يا رسول الله اي انزل علي من على ظهري واذهب الى مكان
اخر تختفي به عنهم ثم علل امره بالهبوط والنزول منه الى مكان اخر بقوله فاني اخاف ان
يقتلون على ظهري فيعذبني الله بالنصب معطوف على يقتلون فانما خاف العذاب
بسبب قتله لانه لو لم يذكر له ذلك مع علمه بانه ليس فيه مكان يستره كان غشا منه يستحق به
العذاب او لانه لو قتل على ظهره غضب الله على الكان الذي يقع فيه مثل هذا الامر العظيم
كما غضب على ارض ثمود يقع فيه مثل فلا يقال انه كيف يعذب بذنب غيره ولا تزر وازرة
وزر اخرى حتى يوجه بان خوفه بمعنى حزنه وتاسفه عليه ونحوه من التخيلات التي لا
وجه لها كما قيل فقال حرا اسم جبل كما تقدم الي يا رسول الله بتشديد اليا المفتوحة
تقديره ايت الي او هو اسم فعل بمعنى اقبل وقال له ذلك لانه الهمه الله انه يقدر على ان
ينشق له ويستتر في جوفه ونحو ذلك مما تقع به سلامته صلى الله عليه وسلم وكان هذا قبل توجهه
صلى الله عليه وسلم الى غار ثور الذي اختفى فيه عند الهجرة وروى ابن عمر في حديث رواه مسلم
والنسائي واحمد في مسنده وما ذكره المص هو رواية احمد بلفظه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قرا على المنبر اية وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق تعظيمه وما عرفوه
حق معرفته قيل ان بعض احبار اليهود قال له يا محمد ان الله يمسك السموات يوم القيامة
على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والما والثرى على اصبع وساير الخلق على
اصبع ويقول انا الملك انا الله فضحك صلى الله عليه وسلم تصديقا له وتعجبا ثم قرا وما
قدروا الله الاية ونحو منه في جامع الترمذي وقال الخطابي انه انكار لمقالته لتوهمه ان لله
يدا حقيقية ذات اصابع وهو منزه عن مثله ولذا قال ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم
بعد ما تلى الاية بمحمد الجبار نفسه اي يعظم وينزه ذاته وروي يحمد بالحا المهملة من الحمد
والثنا الجميل ومن ذكره الجبار موافقة القران وهو صيغة مبالغة من الجبر وهو القهر
ونفوذ الامر والنهي وفيه دليل على جواز اطلاق النفس بمعنى الذات على الله وان لم يكن
بطريق المشاكلة كما ورد في القران ايضا وليس من قبيل قوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك
فانه يشترط فيه المشاكلة لانه اطلاق اخر ومن اشترط ذلك مطلقا فقد وهم وهذا مما خفي
على كثير من الفضلا يعني المقصود من الاية تعظيم كبريائه توفيقا لعباده على كنه ذاته

فلذا قال انا الجبار انا الجبار انا المتعالي في عظمته عما يخطر بالعقول وحذف اليا في الوقف وهو
جايز اي انا الجليل المتكبر العلي الاعلي المنزه عن الجارحة وفيه اشارة الي ان ما ذكر من الاصبع
واليد والقبضة تمثيل لجلالة قدره وعظم ذاته فرجت المنبر اي اهتز واضطرب من مهابة مقاله
صلي الله عليه وسلم حتي قلنا اي قال من كان حاضرا ليخرا عنه اي ليقع النبي صلي الله
عليه وسلم من شدة اضطراب المنبر من عليه اذ لينهد المنبر وهذا وما قبله من معجزاته صلي
عليه وسلم لنطق الجبل له وفهم المنبر كلامه وتحركه وهو محل الشاهد وعن ابن عباس في حديث
اخرجه الشيخان والبزار والطبراني وابو يعلي عن جابر وابن مسعود ايضا كان حول
البيت في الجاهلية وقبل الفتح ستون وثلاثماية صنم اتخذها قريش الهة يعبدونها
من دون الله مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة اي قيدت ارجلها ومكنت في الارض برصاص
جعل عليها حتي لا تسقط وتزول من مكانها والرصاص معروف قال الجوهري بفتح الراء
والعامة تكسره انتهي فكسره كضمته لحن من العامة وكون الاصنام حول الكعبة لا فوقها ورد
في كثير من الروايات فلما دخل رسول الله صلي الله عليه وسلم المسجد اي مسجد مكة المشرفة
عام الفتح اي فتح مكة جعل اي شرع وطفق يشير بقضيب وعصا كانت في يد اليها
اي الي الاصنام المذكورة واليها متعلق بيشير ولا يمسها بيده ولا بقضيبه لاستكراهه صلي
الله عليه وسلم لها ولانه لو مسها توهم ان سقوطها بشدة دفعه لها ويقول حال حق فاعل
يشير لا من فاعل يمسها كما قيل وان جاز بتكلف اي قايلا جا الحق وزهق الباطل والحق
التوحيد والاسلام والباطل ضده وزهوقه زواله واضمحلاله وزهقت نفسه خرجت فما
اشار القضيب الي وجه صنم اي ما هو علي صورة وجه مقابل له الا وقع خرسا قطا لقفاه
اي علي قفاه فاللام بمعني علي كقوله وخر صريعا لليدين وللفم
والاستثنا مفرغ من اعم الاحوال اي في حال من الاحوال الا حال سقوطه ولا اشار لقفاه
الا وقع لوجهه اي اي جهة اشار صلي الله عليه وسلم اليها من الصنم وقع علي مقابلها
حتي سقطت كلها وما بقي منها صنم قايم اذ سقطت كلها والقفا مقابل الوجه وهو مقصور
وسمع مدة في لغة ضعيفة وقيل انه ضرورة والحاصل انها سقطت كلها باشارته صلي الله
عليه وسلم من غير ان يمسها واختلفت الروايات فقيل اشار بيده بقضيب وقيل بعود
وهذا فيما كان حول البيت واما ما كان في جوفه فامر باخراجه ولم يدخل صلي الله عليه وسلم
البيت حتي اخرجت منه ومحيت الصور التي كانت فيه ولم يتعرض له المص مع انه في الصحيحين
لان كلامه في اطاعة الجمادات له صلي الله عليه وسلم وقد علم ان هذه الاصنام كانت موثقة
في الرصاص لو اراد احد قلعها لم يقلعها الا بعلاج شديد وقد سقطت باشارته من بعيد
فهو كتحريك الشجر من مغرسه له صلي الله عليه وسلم فلذا اقتصر عليه المص واشار اليه
بقوله مثبتة بالرصاص ومثله اي مثل هذا الحديث وبمعناه في حديث ابن مسعود الذي
رواه الشيخان وقال اي ابن مسعود في روايته فجعل يطعنها اي الاصنام المذكورة
ويطعن بفتح العين كمنع يمنع ويجوز ضمها والاول اشهر وافصح خلافا لمن عكس وقد
تقدم اختلاف الروايات فيما طعن به وهي متقاربة والذي مر في الرواية السابقة انه اشار
اليها من غير ان يمسها بيده وما فيها من عصي ونحوها وهذه الرواية تقتضي انه مسها
بالعصا ودفعها بها كالطاعن لها فبينهما اختلاف ولذا فسر بعضهم طعنها باشار اليها

من غير

من غير مس وهو خلاف الظاهر وقيل انها كانت كثيرة فاشار لبعض منها وطعن بعضا منها
فلا تعارض في الروايات **ويقول** معطوف او حال بتقدير وهو يقول **جا الحق** اي الدين الحق
والتوحيد او وعد الله بفتح مكة **وما يبدي الباطل وما يعيد** الابدا الايجاد ابتدا من غير سبق
ايجاد اخر والاعادة الايجاد مرة بعد مرة اخرى وما هنا جوز فيها ان تكون نافية اي ان الشرك
هلك واضمحل واستفهامية استفهاما انكاريا وهو بمعنى النفي ايضا فالمعنى واحد وانما ذكر حديث
ابن مسعود لانه في الصحيحين وقدم الاول لانه اوفق بمراده هنا وفيه زيادة ثقة وهي مقبولة
ومن ذلك اي مما ذكر من امر الجمادات **حديثه** الذي رواه الترمذي والبيهقي **مع الراهب** وهو
بحرا واسمه جرجيس ويقال جرجيس بيا من عبد القيس نصارى تيما او بصرى وهو ممن امن
به صلى الله عليه وسلم قبل بعثته صلى الله عليه وسلم ولذا عده بعضهم من الصحابة كورقة بن
نوفل وفي المسالة اختلاف ذكره البرهان في النبراس وغيره وقيل ان بحيرا يهودي واسمه
بفتح البا مقصور ومروي مدة وتسميته راهبا تؤيد نصرانيته لان الرهبانية وهي الزهد
في الماكل وغيره لشدة رهبته اي خوفه معروفة فيهم كما لا يخفى **في ابتدا امره** صلى الله عليه
وسلم اي وهو صغير السن لم يبعث **اذ خرج تاجرا** اي لاجل التجارة **مع عمه** ابي طالب واعترض عليه
بانه لما خرج مع عمه المذكور كان عمره تسع سنين وقيل اثنا عشر ولم يكن تاجرا وانما تعرض
لعمه وهو خارج وقال له تركني وليس معي احد فاخذه معه وانما خرج تاجرا بعد ذلك مع
ميسرة غلام خديجة رضي الله تعالى عنها وميسرة هذا لم يذكر في الصحابة وقد مات قبل
البعثة وفي هذه الخرجة لقي راهبا اخر وهو سنطورا وقصته مشهورة ايضا ففي كلام
المص ما لا يخفى وما قيل في الجواب من ان تاجرا حال من ضمير عمه او حال من ضميره صلى الله عليه
وسلم المستتر في خرج وجعله تاجرا لمجاورته كعمه الذي خرج للتجارة تعسف وتكلف جدا
وكان الراهب لا يخرج من صومعته له كان يترهب فيها **الى احد** ممن يمر عليه من ابنا السبيل
لان صومعته كانت على طريق قريش في ممرهم للشام تجارا فكان يراهم ولا يخرج اليهم لانفراده
واشتغاله بعبادته على عادتهم **فخرج** على خلاف عادته لما نزل قريبا منه ابو طالب والنبي صلى
الله عليه وسلم معه وابصرهم **وجل** اي صار **يتخللهم** بفتح المثناة التحتية والفوقية
والخا المعجمة واللام المشددة بعدها لام مخففة اي يدخل في خلالهم ويدور بينهم ينظرهم
واحدا بعد واحد من تخلل القوم اذا دخل بينهم كما في الصحاح **حتى اخذ بيد رسول الله**
صلى الله عليه وسلم اي امسك يده الشريفة **فقال هذا سيد العالمين** اي اشرف المخلوقات
كلهم لما راى فيه من الصفات التي علمها من كتبهم **يبعثه الله** اي يرسله لدعوة الكافة بعد
ما نباه **رحمة للعالمين** اي لاجل رحمتهم جميعا لمجيئه بما يسعدهم في الدنيا والاخرة كما تقدم
فقال له اي للراهب **اشياخ من قريش** جمع شيخ وحقيقته الكبير السن ثم شاع في التشريف المتقدم
على غيره **ما علمك** بما ذكرته من كونه سيدا ورحمة عامة اي من اين عرفت هذا فقال انه لم يبق
شجر ولا حجر الا خر ساجدا له وهو شاهد ذلك من صومعته لما نزلوا عنده ومن معه لم يروا
ذلك لاشتغالهم باحوالهم في السفر **ولا تسجد الا لنبي** تعظيما له اذا مر بها او نزل عندها
والسجود للتحية والاكرام كان سنة عندهم على ان امتناعه انما هو في حق العقلاء دون غيرهم
كما مر فانهم لا يتصور منهم شرك فالبحث عنه لا وجه له **وذكر الغضب** الخ مفصلة كما في السير
وشهرتها تغني عن ذكرها **ثم قال** اي الراهب **فاقبل** صلى الله عليه وسلم للمنزل

وعليه غمامة تظله دون من معه من رفقته فلما دنا من القوم الرافقين له الذين نزلوا قبله وجدهم
سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس صلى الله عليه وسلم مال الفيء عليه اي الى جانبه الذي جلس
فيه والفيء هو الظل اعم والظل بالغداة والفيء بالعشي لانه من فاء اذا رجع وهذا هو اصل معناه
لكن قد يسعمل فيه فاستعملوا كلا منهما مقام الاخر والغمامة السحابة او البيضاء والمراد الاول
وخبر بحيرا صحيح وروي من طرق صحيحة الا ان طعن فيما رواه الحاكم فيه من ان تسعة من
الروم اقبلوا يقصدون قتله صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم بحيرا وقال لهم ما جاء بكم فقالوا
اذ هذا النبي خارج في هذا الشهر وانا بعثنا له فقال لهم اراتم امرا اراده الله هل يستطيع
احد رده قالوا لا فضدهم عما اراده وقاموا معه وزاده ابو طالب وبعثوهما بوبكر بلالا
رضي الله عنهما وقال الذهبي انه حديث منكر وانما طعن فيه لان ابا بكر رضي الله عنه كان صغيرا
اذ ذاك ولم تملك بلالا وقيل ان هذا مدرج فيه من حديث اخر والله اعلم وما افده
الاختيار الادواتها **فصل في الآيات في ضروب الحيوانات** الآيات جمع اية
وهي العلامة والمعجزة لانها علامة بنبوة النبي والضروب جمع ضرب وهو النوع **حدثنا**
سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ قال حدثنا ابي قال حدثنا القاضي يونس
رجال هذا السند تقدموا لهم مع الكلام عليهم وعلى اسمايهم فلا حاجة للتكرار والمهمل **قال حدثنا**
ابو الفضل الصقلي بفتح الصاد المهملة والقاف وكسر اللام المشددة وياء نسبة لصقلية جزيرة
بالاندلس كثيرة الفواكه والثمار قال الشاعر ذكر صقلية والسبي توجع ينبر ان تذكارها
وكسر صاد مهملة خطأ وان ذكره البرهان ظنا منه **قال حدثنا ثابت بن قاسم بن ثابت**
عن ابيه وجده قال حدثنا ابو الفضل احمد بن عمران قال حدثنا محمد بن فضيل قال حدثنا يونس
بن عمرو كذا في النسخ وقد سقط منه راو وهو ابو حدثنا احمد بن عمران حدثنا ابن عمر
كما في بعض النسخ موقوفا وهو من رجال مسلم واصحاب السنن الاربعة وترجمته في شروحها
كما تقدم ويونس هو ابن اسحاق السبيعي وهو ثقة صدوق وقيل انه مضطرب لا يحتج به
وترجمته في الميزان توفي سنة تسع وخمسين ومائة **قال حدثنا مجاهد** وفي نسخة عن مجاهد
عن عائشة ام المومنين رضي الله تعالى عنها ومجاهد هو ابن جبر كما تقدم وقيل ان مجاهدا
لم يسمع منها والصحيح خلافه **قالت عائشة كان عندنا داجن** من الدواجن وهي لزوم
البيوت وتطلق فيها وتطلق على غيرها من الحيوانات التي تربي في البيوت كالناقة
والحمام والمراد بقولها عندنا منزله الذي يسكنه وكذا في قوله **قالت كنا عند نا رسول الله**
صلى الله عليه وسلم قرويثبت مكانه اي وقف او يمشي في مكانه لا يتحرك يعتاد بامعه
صلى الله عليه وسلم **واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزله جاو ذهب**
اي مشى في البيت وتردد فيه لانه ليس لله بما يهابه وقيل المعنى انه لم يقر لعدم رويته صلى
الله عليه وسلم استيناقا لرويته وهذا حديث صحيح رواه احمد والبزار وابو يعلي
والبيهقي والدارقطني وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم لان الحيوانات التي لا تعقل
وهبها بتوهاله وروي جلكه داجنة بالها ولجي بالجيم قد علم انا قومن القرار وهو السكون
وعدم الحركة **وروي عن عمر** ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه في حديث رواه الطبراني
والبيهقي **وروي ايضا عن عائشة وابي هريرة** وهو ضعيف كما قاله السيوطي وليس بموضوع
كما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفز بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الفاء

والزاي

واللام محل يجتمع فيه ناس كثيرون من حفل بمعنى جمع من اصحابه اذ جاء اعرابي اي دخل بغتة
عليهم رجل من اهل البادية غير معروف قد صاد ضبا جملة حالية بفتح الضاد المعجمة وتشديد
الباء الموحدة حيوان بري اكبر من الجرذون يبيض والاعراب تصطاده وتاكله فقال الاعرابي
للصحابة من هذا سال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه ينكره او لم يعرفه قالوا له جوابا
نبي الله اي هو نبي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

وليس قولك من هذا بضايره ۞ البيت يعرف من انكرت والحرم

فقال واللات والعزى وهما صنمان عبدا في الجاهلية واصل اللات اللاه فحذفوا الهاء وادخلوا
تاء التانيث عوضا عنها وهو من لوى سمي به لالتوائهم في طوافهم حولها وكان نخلة
والطايف لقريش وثقيف والعزى تانيث الاعز شجرة من السمرة كانت لغطفان بعث اليها رسول
الله خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها فقتلها وقال
يا عزى كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك ثم اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال تلك العزى ولن تعبد ابدا واقسم الاعرابي بهما لانه لم يكن مسلما كما يدل عليه ما بعده
من قوله لا امنت لك اي بانك رسول الله او يومن بك هذا الضب بنصب يومن اي الا
ان يومن هذا الضب فاومن انا بك ايضا بعد رؤية معجزتك من نطق هذا الحيوان واقراره
برسالتك او بمعنى الا او الى غاية لانتفاء ايمانه وهما مما ينتصب بعده المضارع بعد النفي ونحوه
وفي نسخة حتى يدل او طرحه اي رمى الاعرابي الضب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
اي في مقابلته قريبا منه فقال صلى الله عليه وسلم له اي للضب يا ضب بالضم لانه منادى
مفرد فاجابه بلسان بين كلامه بكلام ظاهر مفهوم يسمعه القوم الذين عنده جميعا لبيك
اي اجابة لك بعد اجابة بعد اجابة وهو مثنى منصوب على المصدرية كما بينه وسعديك
اي مساعدة وطاعة لك بعد طاعة وهو مثله في المعنى والنصب وهما عبارة عن سرعة الاجابة
والانقياد والطاعة يا زين من وافى القيامة اي من تزين وتحسن من كل من جا الى القيامة
والموافاة الحضور والمجي والقيامة معروفة وانما جعله زينا اي مزينا لاهلها ومن بها لانه
صلى الله عليه وسلم سيدهم وقائدهم والشفيع فيهم وهذه العبارة شايعة في لسان
عامة العرب فيقولون يا زين القوم لاشرفهم واحسنهم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم للضب من تعبد ساله ليقر بعبوديته لله فوصفه بما يعرفه كل احد قال اعبد
الذي في السما عرشه وهو في الاصل سرير الملك والعرش والكرسي اجمالا معلوم وتحقيقه
في كتب التفسير والمراد بالسما ما يقابل الارض او جهة العلو مطلقا فلا ينافي ما ورد من انه
فوق السموات كما قال وسع كرسيه السموات والارض وللكلام في هذا مقام اخر لا تحيط به
ظروف الحروف وفي الارض سلطانه اي في الارض ومن فيها يظهر عدله وحكمه وقهره
لمن فيها من الثقلين وسلطانه وان كان على كل موجود لكن ظهوره فيمن قد يخالف ظاهر
فيها والسلطان في الاصل مصدر من التسلط والقهر وفي البحر سبيله اي طريقه التي جعلها
مسلوكة لعباده بتسخير الريح ونحوه مما لا يقدر عليه غيره كما قال تعالى وهو الذي يسيركم
في البر والبحر ولذا كانت الكفرة لا يدعون فيها سواه كما قال فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين وفي الجنة رحمته المختصة به العظيمة الباقية وان كان رحيم الدنيا والاخرة
وفي النار عذابه وفي نسخة عقابه فلما امن بالله ووصفه بما هو مختص به دال على عظمته

قال له صلى الله عليه وسلم ليكمل ايمانه فمن انا اي اذا امنت بي فمن انا قال رسول رب العالمين
اشارة عمامة رسالته صلى الله عليه وسلم لكل موجود حتى الجمادات والحيوانات وخاتم
النبيين فلا نبي بعدك كما تقدم وقد افلح وفاز بسعادة الدارين من صدقك واقر برسالتك
وخاب من كذبك بانكار رسالتك وعدم اجابته دعوتك فاسلم الاعرابي لما راى معجزته صلى
الله عليه وسلم وعلم علما ضروريا بتوحيد الله والاقرار برسالة رسوله صلى الله عليه وسلم
وهذا الحديث طويل رواه البيهقي وفيه ان الاعرابي من بني سليم وانه كان ذاهبا بالضب
ليشويه وياكله فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم ووقع له معه ما ذكره المص من اسلامه قال
لا اتبع اثرا بعد عين والله لقد جئتك وما على ظهر الارض ابغض الي منك وانت اليوم احب الي
من نفسي وولدي فلما اسلم وتشهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي هداك
ان هذا الدين يعلوا ولا يعلى ولا يقبل الا بصلاة ولا صلاة الا بقران ثم علمه الصلاة والسلام
والقراة وعلمه سورة الاخلاص وكان هذا سببا لاسلام قومه وقدومهم على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد علمت ضعف الحديث وان قال ابن دحية انه موضوع ومن ذلك اي
من معجزاته صلى الله عليه وسلم في تسخير الحيوانات وانطاقها قصة كلام الذيب المشهورة
التي رواها احمد والبزار والبيهقي وصححها عن ابي سعيد الخدري هو سعد بن مالك
الصحابي كما تقدم بينا راع تقدم ان بينا من الظروف وان الالف للاشباع او كافة عن الاضافة
فراع في محل رفع او جر وهو اسم فاعل من رعى الغنم له فليس باجنبي وانه كان يرعى
غنما فان الراعي قد يرعى غيرها كالابل والبقر واختلف في اسم هذا الراعي فقيل انه اهبان
بن اوس وقد جرى عليه المص فيما ياتي وانه وقع مثل هذه القصة لابي سفيان بن حرب
وصفوان بن امية في ذيب اخذ ظبيا ولابي جهل واصحابه وفي حديث اخر ان الذيب
اخذ شاة فتبعه الراعي فقال له الذيب من لها يوم السبع يوم لا راعي لها غيري وان الذي
كلمه الذيب اهبان ابن اوس الاسلمي وقيل اهبان بن عقبة عم سلمة ابن الاكوع احد اصحاب
الشجرة وقيل اهبان بن الاكوع وعند السهيلي انه رافع بن ربيعة وقيل هو اهبان بن عباد
الخزاعي وقيل الذي كلمه الذيب سلمة بن الاكوع وياتي بيان ذلك كله وقيل اهبان ابن
صيفي وعن ابن عساكر ان الذي كلمه الذيب رافع بن عميرة الطائي كلمه الذيب وهو في ضان
له يرعاها ودعاها الى النبي صلى الله عليه وسلم وامره باللحوق به صلى الله عليه وسلم فقال

رعيت الضان احميها زمانا ... من الضبع الخفي وكل ذيب
فلما ان سمعت الذيب ناري ... يبشرني باحمد من قريب
سعيت اليه قد شمرت ثوبي ... عن الساقين قاصدة الركيب
فالفيت النبي يقول قولا ... صدوقا ليس بالقول الكذوب
فصيرني لدين الحق حتى ... تبينت الشريعة للمنيب
وابصرت الضيا يضي حولي ... امامي ان سعيت وعن جنوبي
الا ابلغ بني عمرو بن غوث ... واخوتهم جذيلة ان احبيبي
دعا المصطفى لا شك فيه ... فانك ان اجبت فلن تجيبي

وقد علم ان قصة كلام الذيب وقعت مرارا عديدة على انحاء مختلفة وكلامه وان كان
لغيره لكن اقراره به معجزة له صلى الله عليه وسلم عرض الذيب لشاة منها اي اتاها

لاختطافها

لاختطافها واخذها فاخذها الراعي منه اي ادركه وانتزعها من يديها وردها فاقعى الذيب
اي مكث على عقبيه ناصبا يديه كما هو معروف في اقعا الكلب والذيب وللاقعا معنى اخر كما ذكره
الفقها في كتاب الصلاة فقال الذيب بعد اقعايه للراعي الا حرف استفتاح هنا تتقي الله
اي تخافه وتحذره حلت بضم الحا المهملة وسكون اللام وفتح تا الخطاب اي فصلت وفرقت
بيني وبين رزقي الذي رزقه الله لي قال الراعي العجب من ذيب يتكلم بكلام الانس
وفي نسخة البشر وهما بمعنى تعجب من نطقه وليس من شانه ذلك فقال الذيب مجيبا له الا
اخبرك باعجب من ذلك اي من كلام حيوان اعجم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين
بفتح الحا وتشديد الرا المهملتين وتا تانيث مثنى حرة وهي ثنية مرتفعة ذات حجارة سود
كانها اسودت من الحر والحرتان بالمدينة يحدث الناس بانبا ما سبق وفي نسخة من سبق
اي الامم السالفة واحوالهم وانما جعله اعجب لانه اخبار بالغيب معجز فلذا عده اعجب
من نطق حيوان انطقه الله الذي انطق كل شي وكون الامر اعجب مختلف باختلاف الاسباب
والانبا جمع نبا وهو الخبر فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بكلام الذيب
وقصته معه فقال النبي صلى الله عليه وسلم للراعي قم من عندي فاذهب للحاضرين
فحدثهم بما شاهدته ليزداد ايمانهم ويسرهم ما ظهر من معجزاته ثم قال صدق والحديث
فيه قصته لما فيه من الغرابة وانه من اشراط الساعة لقوله صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الناس ويكلم الرجل شراك نعله وعذبة
سوطه ونخبره فخذه بما حدث في اهله ولما لم يكن في هذا استشهاد لما هو بصدده اسقطه
واعتذر عنه بقوله وفيه اي في بعض رواياته طول ولذا تركه لعدم الحاجة اليه هنا وروي
حديث الذيب عن ابي هريرة رضي الله عنه رواه احمد والبزار والبيهقي وصححه والبغوي
وابو نعيم بسند صحيح وفي بعض الطرق بضمتين جمع طريق تجوز به عن الرواية فقال
الذيب للراعي انت اعجب اي حالك اعجب من حالي كونك واقفا على غنمك اي مراعيا
وحافظا لها وتركت نبيا اي وقد تركت الخ فالجملة حالية بتقدير قد لم يبعث الله نبيا
من انبيائه السالفة قط اعظم منه عنده واجل قدرا ومنزلة عند ربه وهو تمييز لنسبة
اعظم وقد فتحت له ابواب الجنة بتشديد تا فتحت وتخفيفها اي هيئت واعدت له والجملة
حالية ايضا وقوله واشرف اهلها يدل على ان المراد انها انفتحت حقيقة لينظر من فيها
من الملايكة والاشراف النظر من مكان عال ماخوذ من الشرف وهو المكان العالي على
اصحابه لينظرون قتالهم اي ينتظرون اليهم وهم صفوف واقفون في القتال كصفوف
الملايكة وما بينك وبينه الا هذا الشعب بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة
بعدها موحدة وهو منفرج بين جبلين يعني انه قريب منك لا عذر لك في التخلف عنه فتصير
في جنود الله اذ ذهبت اليه وتصير من حزب الله المفلحين فتخلفك عنه مع هذا اعجب
من نطقي الذي تعجبت منه قال الراعي للذيب لما اشار عليه بالذهاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن لي بغنمي اي اذا ذهبت اليه من يتكفل لي بحفظ غنمي حتى اجي قال الذيب
انا ارعاها اي احفظها واحرسها حتى ترجع اليها من عنده صلى الله عليه وسلم
فاسلم الرجل وهو الراعي اليه غنمه اي سلمها للذيب وتركها عنده ومضى الى النبي صلى
الله عليه وسلم قصته مع الذيب وما كلمه به وما فعله معه واسلامه الغنم له ووجود النبي

وذكر له

صلى الله عليه وسلم يقاتل كما قال له الذيب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما قص
قصته عليه واسلم وامن به صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها بفتح الواو
وسكون الفا اي بتمامها وكمالها لم ينقص منها شي من قولهم ارض وفرة لم يرع نباتها فوجدها
كذلك اي تامة غير ناقصة وذبح للذيب منها شاة جزا له على صنيعه وارشاده له
وعن اهبان بن اوس عطف على قوله عن ابي هريرة وهو بضم همزة اهبان واوس بفتحها
علم منقول معناه العطية وهذا الحديث رواه البيهقي والبخاري في تاريخه عنه انه صاحب
هذه القصة المذكورة في كلام الذيب وانه المحدث بها والمكلم الذيب كما في الروض الانف
وانه كان في غزوة ذي قرد وروي ايضا عن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه اي ابن الاكوع
لا سلمة كما قيل ويجوز فتح همزة هذه انه وكسرها فان صاحب هذه القصة ايضا
تعني انها تعددت وكانت سبب اسلامه وفي مراة الزمان لسبط ابن الجوزي اهبان
ابن الاكوع اسمه عقبة من الطبقة الثالثة من المهاجرين وهو يكلم الذيب في رواية هشام
وقد اختلفوا فيه فقال هشام هو اهبان بن اوس الاسلمي الصحابي من اسلم ترك الكوفة
وتوفي في خلافة معاوية وحكى ابن سعد عن ابن الاشعث ان مكلم الذيب اهبان بن عباد
ابن ربيعة بن كعب بن امية نفطة بن خزيمة من اسلم وذكر جدي في التلقيح ان من اسمه
اهبان اربعة اهبان بن الاكوع ابو عقبة واهبان بن اوس الاسلمي واهبان ابن صيفي الغفاري
واهباد بن عباد الخزاعي مكلم الذيب قال وقيل ان مكلم الذيب اهبان بن اوس انتهى ولم
يذكر في الرواة منهم سوى اهبان ابن صيفي والحاصل ان مكلم الذيب على رواية هشام
اهبان بن الاكوع وعلى قول الواقد اهبان بن اوس الاسلمي وعلى قول ابن الاشعث اهبان بن
صيفي الغفاري انتهى ففيه اقوال ارتضى المص منها قول الواقدي فان كانت القصة تعددت
فلا خلاف وليس في الصحابة من اسمه اهبان بن عقبة وقد يقال انه غلط من ابي عقبة
فليحرر بمثل حديث ابي سعيد الخدري اي روي سبب اسلامه بمثله وروى
عبد الله بن وهب السابق ترجمته مثل هذا المذكور من كلام الذيب انه جرى اي وقع
واتفق لابي سفيان بن حرب والد معاوية وام حبيبة المشهور رضي الله تعالى
عنهم وصفوان بن امية الصحابي المعروف وقع هذا لهما قبل اسلامهما
وكان من اشد الناس عداوة له صلى الله عليه وسلم قبل اسلامهما فلما اسلما صار صلى
الله عليه وسلم احب اليهما من نفسهما مع ذيب وحداه اخذ ظبيا اي اراد
اخذه فجرى خلفه في الحل لياخذه بقرينة قوله فدخل الظبي الحرم فانصرف الذيب
عنه لانه في الحرم المحرم صيده او انه انفلت منه بعد اخذه فعجبا من ذلك
اي من كون الذيب عرف حرمة الحرم وكف عن صيد امكنه وهو ليس من العقلا فقال
الذيب لما سمع تعجبهما او علمه من حالهما اعجب من ذلك الفعل الذي صدر منه
محمد ابن عبد الله موجود بالمدينة يدعوكم الى الجنة بدعوته للاسلام
الذي هو مقتضي لدخولها وتدعونه الى النار بقولكم لم لم لا تاتوا فقنا وتعبد الهتنا
مما هو سبب للخلود في النار وانما كان اعجب لانه مخالف لما يقتضيه العقل ونطق
حيوان اعجم لقدرة الله تعالى واقداره ليس بعجيب لهذا في النظر السديد والعقل
السليم وليس باغرب من عبادة الحجارة فقال ابو سفيان واللات والعزى

لين

والعزى لئن ذكرت بضم التا وفتحها هذا اي تكلم الذيب وما قاله بمكة اي ذكرته لاهلها لتتركنها
خلوفا [illegible] بضم الخا المعجمة واللام والفا مصدرا وجمع خالف والمراد تركها
خالية من اهلها بان يسلموا جميعا ويرتحلون له صلى الله عليه وسلم لان من سمع مثله لا
يتردد في صحة رسالته صلى الله عليه وسلم وسعادة من اتبعه او المراد يدعها واهلها
متغيرة فاسدة لما يقع بين اهلها من الفساد والفتن باختلاف الكلمة فالاول من قولهم اتيت
الحي فوجدته خلوفا اي ليس فيه احد من الرجال بل النساء ويقال لهن خوالف لانهن
يخلفن الرجال والثاني من قوله صلى الله عليه وسلم لخلوف الصايم اطيب عند الله من ريح
المسك اي رايحته تغيره وقد روي مثل هذا الخبر الذي وقع لابي سفيان وصفوان وانه
جرى لابي جهل واصحابه اي انهم شاهدوا مثله وتعجبوا منه ولكن الله اشقاه واشقاهم
وعن عباس بن مرداس بكسر الميم وهو من الصحابة شاعر مجيد وشجاع سهم وكان ممن حرم
الخمر على نفسه في الجاهلية كالصديق رضي الله عنه وجماعة الا انه كان من المولفة قلوبهم
حسن اسلامه ونور الله قلبه لما تعجب ظرف متعلق بمقدر اي وقع ذلك او شرطية جوابها
قوله فاذا طاير الخ فان جواب لما قد يقترن بالفا لكنه نادر من كلام ضمار بكسر الضاد
المعجمة وميم واخره را مهملة بوزن كتاب كما في القاموس وفي بعض نسخ القاموس من
الدبل والصلة للصاغاني بالدال المهملة وفيه نظر كما قاله البرهان الحلبي صنمه بالجر بدل
من ضمار فانه اسم صنم كان يعبده مرداس ورهطه وانشاده بالجر معطوف على كلام الشعر
بالنصب مفعول المصدر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم صفة الشعر وضمير انشاده
للصنم وسبب ذلك ان مرداس لما احتضر قال لابنه يا عباس اي بني اعبد ضمارا فانه سينفعك
ويضرك فتفكر عباس يوما عنه ضمار وقال انه حجر لا يضر ولا ينفع ثم صاح باعلى صوته
يا الهي الاعلى اهدني للتي هي اقوم فصاح صايح من جوف الصنم

اودى ضمار وكان يعبد مرة ... قبل البيان من النبي محمد
وهو الذي ورث النبوة والهدى ... بعد ابن مريم من قريش مهتدي
قل للقبايل من سليم كلها ... اودى ضمار وعاش اهل المسجد

فحرق ضمارا ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فاذا طاير سقط اي خر من الجو بغتة عليه
فقال الطاير يا عباس تعجب من كلام ضمار بالتنوين والصرف الا انه وقع في الشعر غير
مصروف فان لم يكن ضرورة فهو جايز وتعجبه لنطق الجماد بما سمع من جوفه وانكاره لتعجبه
لانه كلام شيطان في جوفه وكلام الطاير اعجب منه ولا تعجب من نفسك ان رسول الله يدعوا
الى الاسلام حذف مفعوله للتعميم اي كل احد عليه اليه وانت جالس في منزلك متخلف في اجابة
دعوته صلى الله عليه وسلم التي هي السعادة العظمى فكان ذلك المذكور مما سمعه من الصنم
والطاير سبب اسلامه لانه لما سمع ما ذكر نهض في ثلاثماية فارس من قومه وهم سليم فلما راه
النبي صلى الله عليه وسلم وقال له يا عباس حدثنا بما رايت فقص عليه القصة واسلم وقيل ان ضمارا
كان صنما لخزاعة يتحاكمون اليه وان قصته نطقه لعمر بن الخطاب وكانه صنم اخر والقصة له ونطق
الاصنام واخبارها ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم وقعت مرارا وفيها اخبار مذكورة في السير
قيل انما تركها المص لان النطق المسموع منها من الجن وعن جابر ابن عبد الله رضي الله تعالى
عنهما في حديث رواه البيهقي عن رجل اسم اسلم وعن الواقدي ان اسمه يسار ورجل اسود

كما ياتي قاتل بخيبر حتى قتل كما ذكره ابن سيد الناس في سيرته في غزوة خيبر اتى النبي صلى الله
عليه وسلم وامر به وهو على بعض حصون خيبر قوله جملة حالية اي وهو صلى الله عليه
وسلم مقيم عنده لفتحه والحصون جمع حصن وهي القلعة التي يتحصن بها لا القصر كما قيل
ولا حذف في هذا الكلام وقيل الضمير للرجل ويبعده قوله وكان في غنم يرعاها لهم اي لاهل
خيبر والظرفية بمعنى المعية او هي مجازية لقوله واذا كنت فيهم الاية فقال يا رسول الله
فكيف بالغنم اي كيف افعل بالغنم اذا سلمت وهي ملك غيري وانا اجير فقال له صلى الله عليه
وسلم احصب وجوهها اي ارمها في وجوهها بالحصبا وهي صغار الحجارة ورقاقها وما
قيل من ان حكمة هذا ان الحصاة وردت بمعنى الفعل في قوله

وان لسان المرء ما لم يكن له حصاة على عوراته لدليل

ومنه الاحصا بمعنى العدا واجد العلم والهداية لها الى اهلها هذيان لا معنى له وانما المراد
انه اذا ضرب وجوهها ولت مدبرة فهداها الله ببركته صلى الله عليه وسلم للرجوع لمنازل
اصحابها حتى يخلص من عهدة ضمانها كما اشار اليه بقوله فان الله سيؤدي عنك امانتك
وهي الغنم التي سلمت لك اي يوصلها ويبلغها ويردها الى اهلها واهم اصحابها المالكون
لها فتخرج انت عن عهدة ضمانها ففعل ما امره به رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وانما كان هذا لانه كان مستامنا وفي يده امانة لاهل
خيبر قبل فتحها فلذا ردها صلى الله عليه وسلم لاصحابها مع ما فيه من تطمين قلبه من خروجه
من عهدتها ولذا لم يجعلها فيئا مع انه علم انها ستكون كذلك بعد الفتح وقيل ان الراعي كان
عبدا اسود رقيقا لبعض اهل خيبر فلما غزاها النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود جاء واسلم
اي اظهر اسلامه فلا منافاة بينه وبين ما مر وحسن اسلامه واستشهد في تلك الغزوة بحجر اصابه
او سهم ولم يصل صلاة قط فشهد له صلى الله عليه وسلم بالجنة واخبر انه راى عنده حوريتان من
الحور العين كما رواه مفصلا في دلايل النبوة وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم الظاهرة
كما لا يخفى وعن انس في حديث صحيح مسند رواه احمد والبزار دخل النبي صلى الله عليه
وسلم حايط انصاري الحايط معروف ويتجوز به عن البستان وهو المراد هنا وابو بكر
وعمر ورجل من الانصار وفي الحايط اي البستان غنم فسجدت له صلى الله عليه وسلم
تعظيما له لما شاهدت نور نبوته والهمها الله تعالى معرفته فقال ابو بكر لما راى سجودها له
صلى الله عليه وسلم نحن احق بالسجود لك منها يعني لو كان السجود لغير الله والجار الاول
متعلق بالسجود لانه ظرف يتوسع فيه ومعمول المصدر غيره لا يتقدم عليه لضعف علمه الحديث
وتتمته انه صلى الله عليه وسلم قال له لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد واحد الخصوص بالنفي
ليشمل الواحد وغيره ويختص بالعقلا كما صرحوا به فقرا ذلك اشارة الى الغنم ونحوها
من غير جنس الناس سجودها تعظيما ليس ممنوعا كسجود الكواكب ليوسف عليه الصلاة
والسلام وعن ابي هريرة قال السيوطي هذا الحديث رواه البزار بسند حسن وحديث ثعلبة
بن مالك الاتي رواه ابو نعيم وحديث جابر رواه احمد والدارمي والبزار والبيهقي وحديث
يعلى بن مرة واحمد والحاكم والبيهقي بسند صحيح وحديث عبد الله بن جعفر رواه مسلم
وابو داود وحديث عبد الله بن ابي اوفى رواه ابو نعيم والبيهقي دخل النبي صلى الله عليه
وسلم حايطا اي بستانا فجا بعير كان في البستان فسجد له صلى الله عليه وسلم

وذكر

وذكر مثله اي مثل الحديث الذي قبله فقالوا هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن احق ان
نسجد لك فقال صلى الله عليه وسلم لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر ولو صلح لامرت المراة ان تسجد
لزوجها لما له من الحق عليها وروي مثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك الصحابي وهو من استشهد
باحد لكن الذي ذكره ابن عبد البر انه ثعلبة بن ابي مالك القرظي وابوه قدم من اليمن على دين
اليهودية فنزل على بني قريظة فنسب اليهم ثم اسلم فقول ابن مالك صوابه ابن ابي مالك وجابر
ابن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر فحديث الجمل وسجوده روي من طرق متعددة
مروية عمن ذكر والقصة واحدة كما بينه السيوطي قال كل منهم او عبد الله بن جعفر وكان
لا يدخل احد الحايط من غير اصحاب البستان الا شد عليه الجمل شد هنا بمعنى اسرع وحمل عليه
قال الراغب يقال شد واشتد اذا اسرع وشد عليه حمل يعني انه كان عقورا هايجا على كل من
استقر به فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم عليه اي على الجمل في البستان دعاه وامره
بالاقبال عليه فوضع مشفره في الارض بكسر الميم وسكون الشين المعجمة وفتح الفا وراء
مهملة وهو في الابل كالشفة للانسان والجحفلة للفرس والخرطومة للسباع والمنقار للطير
كما بينه اهل اللغة في الفروق وبرك بين يديه البروك للجمل كالجلوس للانسان من البرك
وهو صدر الجمل ونحوه فحطمه اي وضع زمامه الذي يقاد به في راسه وعلى فمه لانه برك عنده
صلى الله عليه وسلم وانقاد له متذللا بعدما كان لا يطاق وقال صلى الله عليه وسلم لمن
عنده ما بين السما والارض شي من الحيوان والطيور وغيرها والمراد بالارض الجنس فيشمل
الاراضي السبع الا يعلم وفي نسخة الا ويعلم اني رسول الله بعلم خلقه الله فيه ويلهمه له
الا عاصي الجن والانس اي الا من عصى الله ورسوله وكفر فانه ينكر معرفتي اي معرفتي اني
رسول الله حقا وعاصي يجوز ان يكون مفردا واصله عاصين فحذفت النون للاضافة
والياء لالتقا الساكنين وقدم الجن لسبقهم خلقا ومعصية لان اول من عصى الله ابليس والاكثر
حيث اجتمعا تقديم الجن في القران ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى هو وابوه صحابيان
رضي الله تعالى عنهما شهدا المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي دعا له
النبي صلى الله عليه وسلم حين اتى اليه بصدقة وقال اللهم صل على ال ابي اوفى وحديثه
مذكور في دليل النبوة لابي نعيم والبيهقي كما علمت ولفظه قريب مما ذكره اولا وفي خبر اخر
في حديث الجمل اما النبي سالهم عن شانه لما ابق منهم وبطش بكل من قرب منه
فاخبروه وفي نسخة فاخبر بالبنا للمفعول انهم ارادوا ذبحه لانه ضعف كما
سياتي وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف
وهو بفتحتين فعل بمعنى المفعول والعلوف يطلق على قوت الدواب من الحبوب وغيرها
وشكايته الظاهر انها بنطق فهو من المعجزات وفي رواية انه شكى الي انكم اردتم ذبحه ونحوه
واكثر ما يستعمل في الابل النحر وفي غيرها الذبح والفرق بينهما قريب جدا فلذا استعمل
كل منهما بمعنى الاخر ومعرفته ارادتهم ذبحه بالالهام بعد ان استعملتموه اي اكثرتم العمل
به من التحميل ونحوه في شاق العمل اي فيما يشق اي يصعب عليه من العمل وقولهم
عمل مشق غير مسموع فكانه مبني على ان التعدية بالهمزة مقيسة وفيه خلاف مذكور في
كتب اللغة من صغره اي ان بلغ الكبر وعجز عن العمل فقالوا نعم اعترافا بما ذكر فبيس الجزء
الذي ارادوه وهذا الحديث اخرجه الطبراني وابن ماجه في سننه في غزوة ذات الرقاع

عن جابر وتميم الداري وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال لهم ما هكذا الجزا المملوك الصالح بعينه
فاتباعه منه وارسله يرعى في الشجر حتى قوي والحديث فيه طويل وقد روي بالبنا للمجهول قيل
وهذه القصة بهذا التفصيل الاتي لا يعرف راويها في قصة الناقة العضبا بفتح العين
المهملة وسكون الضاد المعجمة والموحدة والمد وهي اسم ناقة للنبي صلى الله عليه وسلم
ومعناها المشقوقة الاذن وقد اختلف في ناقته العضبا والقصوا والجدعا بالمد فيهما
ايضا هل هن ثلاثة او واحدة لها القاب متعددة او اثنتان فذهب التيمي والعراقي في منظومته
الى انها واحدة ولا عضب ولا جذاع اي شق اذن فيها وانما هو لقب وقيل كان باذنها عضب اي
شق وفي البخاري ان الجدعا هي التي هاجر عليها وقيل ان التي هاجر عليها القصوا وعن ابن
عباس انه صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة فمر بناقة باركة في الدار فقالت السلام عليك
يا نبي الله يا زين القيامة يا رسول رب العالمين فالتفت لها وقال وعليك السلام فقالت اني كنت
لرجل من قريش يقال له عضب فهربت منه فوقعت في مغارة فكان اذا غشي الليل احتوشتني السباع
ينادي بعضها بعضا لا تؤذوها فانها مركب محمد فاذا اصبحت رتعت زادتني كل شجرة الى الي
فانك مركب محمد حتى وقعت وقعت هاهنا فسميت عضبا باسم صاحبها وفيه انها قالت له
صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يجعلني مركبك في الجنة فقال قد قضيت وقد قيل ان هذا الحديث
كله في مسنده طعن وقد علمت انها واحدة قد سميت عضبا وقصوا وجدعا بدال مهملة وصلما
ومخضرمة والكل متقاربة المعاني والجدع قطع طرف الاذن فاذا بلغ الربع فهو قصو فاذا
جاوزه فهو عضب فان استوصل فصلم ونقل ابن الجوزي عن ثعلب انها كلها القاب لناقة
له صلى الله عليه وسلم ولا جذع لها ولا عضب واختاره في القاموس وكلاهما للنبي صلى الله
عليه وسلم كلام بمعنى تكليم مصدر والنبي منصوب به مفعوله وتعريفها له بنفسها كما سمعته
انفا ومبادرة العشب اليها بالدال المهملة مفاعلة من البدار وهو الاسراع وقد تقدم انه كان
يناديها الى الي فالمراد طلبه منها ان ترعاه قبل غيره والعشب بالضم معروف للرعي اي
مكان رعيها وتحن الوحوش لها اي عدم اذيتها واكمالها كما مر وندايهم لها انك معدة
لمحمد ولركوبه وضميرهم للعقلا وعبر به لصدور فعل العقلا منها وهو الندا كما في قوله
تعالى رايتهم لي ساجدين وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته صلى الله عليه وسلم حتى ماتت
من الحزن والاسف على فراقه صلى الله عليه وسلم وقيل انها التي اشتراها ابو بكر رضي الله
عنه من بني الحريش مع اخرى بثمانماية درهم فلما هاجر اشتراها صلى الله عليه وسلم
منها باربعماية درهم وقد ذكر قصتها مفصلة ابن سعيد في كتاب الشرف وكان له صلى الله
عليه وسلم نوق اخر كما بينه اصحاب السير ذكره الاسفرايني رحمه الله تعالى وقد تقدمت
نسبته وترجمته وروى ابن وهب رحمه الله وتقدمت نسبته وترجمته وروى ابن وهب
رحمه الله هذا الحديث لم يخرجوه واما ابن وهب فقد تقدمت ترجمته ان حمام مكة الموجود
بحرمها الى الان والحمام كل ذات طوق بري او اهلي وقيل انه مخصوص بالبري وقيل انه
كل ما عب وهدر والعب كراع الما من غير نفس والهدير ويقال الهديل ترجيع صوت الطاير
المعروف اظلت النبي صلى الله عليه وسلم اي اجتمعت لتجعل ظلها عليه وقاية من الحر قيل
ولذا كانت محترمة لا تضاد وقيل انها من نسل حمامتي الغار وسياتي يوم فتحها اي
فتح مكة فدعا لها بالبركة فاجاب الله دعاه فيها وكانت محترمة لا تضاد كما تقرر وروي

عن انس

عن انس رواه عنه ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وابو نعيم وزيد ابن ارقم والمغيرة بن شعبة قال امر الله ليلة الغار منصوب على الطريق والغار بمعاريتور الذي اختفى فيه صلى الله عليه وسلم لما هاجر وقصته مشهورة في القرآن غنية عن البيان بشجرة فنبتت من وقتها والامر هنا مجاز عن التسخير كقوله كونوا قردة فتنبها منزلة المأمور المختار وروي بشجرة بالباء الجارة وهما بمعنى والشجرة كانت من الطلح سمي الراكما قاله السهيلي وهي بمقدار القامة ولها زهر ابيض وبها سمي شبه القطن يحشى به الخاد كالريش خفة ولينا واحمره بذاه كما في كتاب النبات قال الشاعر

• ترى ودك الشريان على لحاهم • كمثل الرالمبدة الصقيع •

تجاه النبي صلى الله عليه وسلم تجاه بضم التا المثناة الفوقية المبدلة من الواو واصله وجاه اي في مقابلة وجهه باب الغار فسترته عمن ينظره بحيث لا يراه مما طلبه من كفار قريش وامر اي الهم الله حمامتين ذكرا وانثى فعششتا وباضتا على تلك الشجرة فوقفتا بفمه اي بفم الغار لا تمثله لا يكون الا بمكان خال من الناس وورد في الحديث فسمت عليهما صلى الله عليه وسلم اي دعا لهما بالبركة فاخذا الى الحرم فاصل كل حمام به وفي الحديث خديث الاكل سموا الله ودنوا وسمتوا اي اذا ابتدأتم فالاكل كلوا مما يليكم ودنا منكم واذا فرغتم فسموا اي ادعوا لمن اكلتم عنده وقيل اذ الشجرة جاءت تسعى من مكان آخر شقت الارض كما اشار اليه القايل

• قامت اليه سرحة سترته من نظر العدو باحسن الحفظات •

وفي حديث آخر رواه ابن سعد والبزار والطبراني والبيهقي وابو نعيم عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة وفيه فسمت عليهما ودعا لهما وانخذا الى الحرم فافرخ ذلك الوكر كل شيء في الحرم كما تقدم ان العنكبوت نسجت على بابه اي على باب الغار وفمه فلما اتى الطالبون له صلى الله عليه وسلم الذين قصوا اثره واتبعوه ليأخذوه ورأوا ذلك المذكور من الشجرة والسحرة الحمام والعنكبوت بباب الغار قالوا لو كان فيه اي في هذا الغار احد من الناس لم تكن الحمامتان بفرائه بيابه الذي منه المرور الى النبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم لقربهم منه بحيث لو امسوا التناول يداه فانصرفوا راجعين تاركين للطلب وكانوا فتيانا من قريش معتولا لخلقه صلى الله عليه وسلم ومعهم راعية القايف اثره فلما انتهوا الى الغار رأوا نسج العنكبوت والحمامتين على بيضهما فقال انه لو دخل احدكم لم يكن مثل هذا مع قربهم منه بحيث لو طاطا احدهم راسه راه صلى الله عليه وسلم وفي هذا معجزات شائعت حتى بلغت حد التواتر ورواه المحدثون من طرق كثيرة صحيحة وقد قال فيها السفراكيل ويعجبني قول ابي المنقيب

• ودود القز اذ نسجت حريرا • يحمل لبسه في كل زي
• فاذ العنكبوت احل منها • بما نسجت على راس النبي

وانظر هذا مع قولي

• على غار ثور عنكبوت بنسجه • لقد حاز فخرا ما حواه فخار
• كذلك دود القز يهدي لنفسه • وقد غار من نسج له يوم الغار

وفيه معان لم تطبا بها النسمة قول الابي ميري في هذه البيت

• اخرجوه منها واواه غار • وحمته حمامة ورقاء

وكفته بنسجها عنكبوت ما كفته الجنانة الحصداء

الجنانة بنونين هي الدرع لانها تجن البدن اي تستره الحصدا المحملة النسج كما في كتب اللغة وهذا البيت حرفه شراحه وصاحب المواهب اذ جعلوه الحمامة الحصدا اي الكثيرة الريش وهذا قول من لم يصل الي المقصود ويفسره قوله في البردة

وقاية الله اغنت عن مضاعفة من الدروع وعن عال من الاطم

وعن عبد الله بن قرط بضم القاف وراء مهملة ساكنة يليها طاء مهملة وهو صحابي غالي وكان اميرا علي حمص من قبل معاوية وقتل بارض الروم سنة ست وخمسين واخرج له اصحاب السنن واحمد في مسنده وغيرهم وهذا الحديث رواه الحاكم والطبراني وابو نعيم مسندا قرب بالبنا للمفعول اي اتي بعض الصحابة الي رسول الله صلي الله عليه وسلم بدنات جمع بدنة وهي ما يعد للنحر من الابل خاصة ولا تطلق علي البقر وغيرها وان كانت في حكمها شرعا في الاجزا عن سبعة وقال ابن الاثير انها من الابل والبقر حقيقة وبدنات بفتحات وقال العزفي انه بدناح بضم الموحدة وسكون الدال ورد بانه علي خلاف القياس الا ان يكون جمع بدن فهو جمع الجمع وهو بعيد الا ان تساعده الروايتو سميت بدنة بعظم بدنها خمس او ست او سبع الشك من الراوي لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه افتعال من الزلفي وهي القربا بدل تاوه الا لاجل الراي اي مقدم كل واحدة منهن اليه صلي الله عليه وسلم رغبة في ان يذبحها وانقيادا له بالهام من الله تعالي بايتهن يبدا بيدا في الذبح وهذه معجزة باهرة وعن ام سلمة في حديث رواه الطبراني والبيهقي واسمها هند او رملة كما تقدم كان النبي صلي الله عليه وسلم في صحرا فنادته ظبية اي كلمته بنطق سمعه الناس لا بلسان الحال قالت له يا رسول الله فالتفت اليها فاذا هي موثقة عندها اعرابي نايم قال ما حاجتك حتي ناديتني قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان مثني خشف بوزن طفل بمعجمتين وهو الظبي الصغير الذي ولدته امه في ذلك الجبل تشير لجبل بتلك الصحرا فاطلقني حتي اذهب فارضعهما وارجع بنصب الافعال الثلاثة قالت نعم فاطلقها والاعرابي نايم لا يشعر بذلك فذهبت وارضعتهما ورجعت فاوثقها وربطت كما كانت فانتبه الاعرابي وراي رسول الله صلي الله عليه وسلم عنده فقال لرسول الله صلي الله عليه وسلم الك حاجة قال تطلق هذه الظبية فاطلقها من وثاقها فخرجت تجري وهي تقول اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فالجملة حالية بتقدير مبتدا وقد ذكرنا من روي هذا الحديث وقد صححه ابن حجر لوروده من طرق اخر فلا تلتفت لقول ابن كثير انه لا اصل له لان في مسنده مجاهيل وانما استاذنه النبي صلي الله عليه وسلم في ذلك لانه ملكها بالحيازة واتلاف ملك الغير بغير اذنه ممنوع والواو في قوله او تفعلين محركة عاطفة علي مقدر اي اتقولين ذلك لي وترجعين الي او استينافية علي القولين في مثله وفي الحديث معجزات ظاهرة ومن هذا الباب اي باب المعجزات باطاعة الحيوانات ما روي قال السيوطي لم اقف علي هذا الحديث هكذا واخرج البيهقي انه وقع لسفينة حين ضل عن الجيش بارض اليوم الا ان البخاري ذكره فيها في تاريخه كما قاله المص فلا اعتراض عليه من تسخير الاسد اي تذليله وانقياده لسفينة مولي رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو من خدمة رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو الذي لقبه سفينة لانه راه في بعض اسفاره حاملا لامتعته فقال له انما انت سفينة فاشتهر بذلك واختلف في اسمه فقيل رومان وقيل مهران

وقيل

وقيل طهمان وروى عنه مسلم وغيره من اصحاب السنن وفي الحديث مناسبة اتفاقية لاسمه
اذ وجهه الى معاذ بن جبل حال كونه باليمن وهو الاقليم المعروف وسفينة من مولدي
العرب وقيل من فارس اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتقه وقيل ان ام سلمة اعتقته
فخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم ارسل معاذ بن جبل لليمن
ليجمع الزكاة فلقي الاسد في طريقه فعرفه اي قال له انه مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومعه كتابه فالهمه الله تعالى فهم كلامه وكنى عنه فهمهم الهمهمة صوت لا يفهم
وقيل صوت فيه بحة وفي الحديث ان سفينة قال ظننته السلام يعني عليه او على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتنحى عن الطريق اي تاخر عنه في ناحية متباعدة عن الطريق اذهابا
بالخوفة وذكر اي سفينة في متصرفه اي مثل ما وقع له في ذهابه فيكون لقيه في سفر هذا
مرتين وفي رواية اخرى عنه اي عن سفينته وهذه الرواية هي التي رواها البيهقي والبزار
وصححها السيوطي في تخريجه ان سفينة تكسرت به في بعض اسفاره فخرج الى جزيرة فاذا
الاسد اي فاجاه بها اسد لقيه فيها والجزيرة معروفة فقلت للاسد انا مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجعل اي طفق وصار يغمزني بسكون الغين المعجمة وكسر الميم وضمها
وزاي معجمة واصل الغمز بالاشارة بالجفن فتجوز به عن الدفع الخفيف بقرينة قوله بمنكبه
بفتح الميم وكسر الكاف وهو راس الذراع وما بين الكتف والعنق حتى اقامني على الطريق
اي حتى اتى بي الى الطريق ليعرفه بما يذهب فيه وقال البيهقي قال سفينة وكنت في البحر
فانكسرت السفينة فركبت لوحا منها فاخرجني الى اجمة فيها اسد فرايته اقبل الي فقلت
يا ابا الحارث انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل نحوي ضربني بمنكبه ثم مشى معي
حتى اقامني على الطريق ثم همهم ساعة وضربني بذنبه فظننته انه يودعني فكان اخر عهدي
به وفيه معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانقياد الاسد له اذ ذكر اسمه وكرامته لسفينة
ايضا رضي الله تعالى عنه واخذ عليه الصلاة والسلام باذن شاة اي امسكها واخذ التعدي
بالباء بمعنى امسك بخلاف اخذه فهو تضمين لقوم من بني عبد القيس اقسم قبيلة مشهورة
بين اصبعيه بكسر الهمزة مثنى اصبع معروف وفيه لغات عشر تقدمت ثم خلاها اي نحى اصبعيه
عنها وتركها فصار ذلك اي اخذه باذنها يعني اثره مسيما بكسر الميم اصله موسم فقلبت
واوه ياء من الوسم وهو الكي فهو اسم الة الكي من الحديد فاطلقت على العلامة واثرها
مجازا كما يطلق على العضو الذي فيه الاثر كما ورد في الحديث فيها اي الشاة ونسلها
بعد بالبناء على الضم اي بعدها او بعد اخذه وعهده قالوا وهذا الحديث لا يعلم من رواه
من المحدثين وما روي عن ابراهيم بن حماد بسنده هذا الحديث رواه ابن حبان لكنهم
قالوا انه ضعيف من كلام الحمار ونطقه له صلى الله عليه وسلم صريحا بمقاله الذي اصابه
بخيبر اي وجده بها لما فتحها وقال له ما اسمك قال يزيد بن شهاب وانه من نسل ستين
حمارا كلها لم يركبها الا نبي وقال له كنت اتوقع ان تركبني اذ لم يبق من نسل جدي غيري
ولا من الانبياء غيرك وكنت ليهودي فكنت اعثر به عمدا فكان يجيعني ويضربني فسماه النبي
صلى الله عليه وسلم يعفورا هو في اكثر النسخ مصروف منون منصوب لانه مفعول سمى
وروي غير منون قيل لمنع صرفه للعلمية ووزن الفعل كيعقوب قاله التلمساني اقول
فيه نظر لان زيادة الواو فيه اخرجته عن شبه الفعل والظاهر صرفه ويعفور لم يمنع

من الصرف لزائد للعلمية والعجمة الاترى انا يعفر بضم الياء يصرف لذلك قال في الصحاح الاسود بن يعفر بضم الياء مصروف لانه قد زال عنه شبه الفعل انتهى وليس في اوزان الفعل يفعول وفي هذه المسالة كلام في شرح التسهيل واعلم انه صلى الله عليه وسلم كان له حماران يعفور ويعفير وهو الذي رمى نفسه في البير كما سياتي ويقال هما واحد وقيل قال ابن فورك انهما كانا من مغانم خيبر وقيل ان يعفير كان اشهب وهو مما اهداه له المقوقس ملك القبط وكان الحمار الذي اهداه له فروة كان يركبه والذي اعطاه له سعد بن عبادة وقصته يعفور هذه نقلها السهيلي في الروض عن ابن فورك في كتاب الشامل وانه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب براسه ويستدعيهم ومعنى يوجهه يرسله الى جهة ود ورجع دار ويستدعيهم بمعنى يطلب منهم اجابة دعوة رسول صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا اذا خرجوا الرقة الباب ورواه علموا انه يطلبهم لا انه يكلمهم لكنه يفهم ما امره به النبي صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا اكلا خرجوا بالهام من الله وهو من معجزاته ان سخر له وفهم مراده وان النبي صلى الله عليه وسلم لما مات تردى الحمار اي القى نفسه وطرحها في بير كانت بالمدينة معروفة لابي الهيثم ابن التيهان فكانت البير قبره والتردي تفعل من الردي وهو من الهلاك وهو مخصوص هنا بالقاء النفس يقال تردى من الجبل وفي البير اذا اسقط او القى نفسه فيها جزعا وحزنا على فراق رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقده فمات وكونه صلى الله عليه وسلم كان له حمار وانهما كانا يركبه وان ركوبه سنة لا كلام فيه وانما الكلام في هذا الحديث فانه رواه ابن حبان في سنده ضعيف فيه من طعن فيه حتى قيل انه كذب موضوع كما قاله ابن الجوزي وغيره وقال العجلوني لا اصل له ومما ذكر من معجزاته صلى الله عليه وسلم في الجماد والبهايم ونطقها حديث الناقة الذي رواه الطبراني عن زيد بن ثابت بسند فيه مجاهيل والحاكم عن ابي عمر وقال الذهبي انه موضوع التي شهدت بنطق بني عند النبي صلى الله عليه وسلم لما حملها ومالكها الذي قيل انه سرقها فقالت انه ما سرقها وانما ملكه فحكم له صلى الله عليه وسلم بها لان للقاضي ان يحكم بعلمه او نقول انه من خصايص الانبيا عليهم الصلاة والسلام والحديث هو ما قاله زيد ابن ثابت عن ونا سعه صلى الله عليه وسلم حتى اذ كنا بجمع طرف المدينة بصرنا باعرابي لخذ بخطام بعير حتى وقف صلى الله عليه وسلم وقال السلام عليك يا نبي الله فرد عليه السلام فجار رجل وقال انه سرق هذا البعير فرغا البعير وهو ملجمت له ثم قال للرجل انصرف فان البعير شهد بانك كاذب الخ وفي الفتر ان في حديث الفتر الذي اخرجه ابن سعد والبيهقي وابن عدي عن سعد مولى ابي بكر رضي الله تعالى عنه التي اتت رسول الله صفة الفتر وفي نسخة النبي صلى الله عليه وسلم فيسكره حالا اي وهو في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على فيرما اي في مكان لا ماء فيه وهم زهاء ثلاثمايه اي قريب عددهم تخمينا من ثلاثمايه رجل وقد تقدم الكلام على زهاء ومعناه وضبطه فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتمل انه على ظاهره وان يكون امر بحلبها والاسناد مجازي فاروى بلبنها الجند باجمعهم لما سقاهم فشربوا حتى زال ما كان بهم من العطش والري ضده ومنه ادوى والعسكر والجيش والجند بمعنى ففيه تفنن واسناد اروى للنبي صلى الله عليه وسلم لانه سببه بحلبه وسقيه فتنوه مجازا ايضا ان لم نقل فاعل اروى ضمير يعود على ما حلبه المفهوم مما قبله مع بعده ثم قال صلى الله عليه وسلم لرافع براء

وعنهم ملتبي

براء وعين مهملتين بينهما الف وفا اسم الفاعل من الرفع علم للصحابي كانت تلك المقترعنده
وتقدمت ترجمته املكها اي خذها ولتخذها ملكا لك لانها لا صاحب لها او وجدت
بارض العدو وحتمل ان يكون بمعناه شدها واوثقها من املاك الامر او ملك العجين ونحوه
وهما ادراك ما كهما لكانها او فاعلاه لكوهم بضم الهمزة مبني للمجهول اي لا تظنن تملكها او تحفظها
فربطها وشدها بوثاق ثم ذهب ورجع فوجبتقد انطلقت اي لخروناقها ومضت وغابت
عنه فالفاصيغة رواه اي حديث هذه القترابن قانع بقاف ونون وعين مهملة وغيره
من الرواة من غير هذه الطريق فقد رواه البيهقي وابن عدي عن جماعة من الصحابة قالوا كنا
مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في سفر وكنا اربعماية فنزلنا في موضع ليس فيه ما نشتق
ذلك علينا واعلمناه بذلك فجاءت شويهة لها قرنان وقامت بين يديه صلي الله عليه وسلم
فحلبها حلبا وشرب حتي روي وسقانا حتي روينا وقال يا رافع املكها الليلة وما اراك
تملكها فاخذت لها ووبدت لها ونمت ثم قمت في بعض الليل فلم اجدها فاخبرت النبي صلي
الله عليه وسلم قبل ان ينبسا لي فقال يا رافع ذهب بها الذي جابها وما قيل من انها ليست
من جنس حيوان الدنيا وانما هي كبعض الكمذا وانما سماها علي عرف اللغة لكونها علي صورتها لا وجه
له ومثله من خلاف الظاهر يحتاج للرواية والرؤيا وهمه ذلك قوله وفيه فقال النبي صلي
الله عليه وسلم لرافع لما اخبره بانطلاقها ان الذي جابها هو الذي ذهب بها يعني الله او
الملاك وما هنا القبيل ما روي انه عليه الصلاة والسلام قال لفرسه الفرس واحد الخيل
يطلق علي الذكر والانثي الا انه مونث سماعي وسمع فرسه وكان له صلي الله عليه وسلم
عدة افراس مذكورة في السير باسمائها ومن اين ملكها وادعي لتفصيلها هنا كما ذكره بعضهم
وقد قام الي الصلاة في بعض اسفاره والفرس غير مربوط ولم يامر احدا بامساكه بل خاطبها
الفرس وقال له لا تبرح اي لا تزل من مكانك الذي اوقفتك فيه من البراح وهو المكان
الواسع وبرح بمعني زال وهو نفي معني فاذا دخل عليه صار للنفي
النفي وهو اثبات كما هنا فمعناه اثبت والزم كما حققه النحاة واهل اللغة بارك الله فيك
دعا له من البركة وقد تقدم تحقيقها وباني ايضا مع زيادة حتي تقوم من صلاتنا وتنتهي
وهو غاية لمبانة في مكانه وجعلته قبلك اي جعله في جهة قبليته سائرا وما نقلما يمر بين يديه
صلي الله عليه وسلم وفيه دليل علي جواز الاستئناس بالحيوان والكلام عليه مفصل في كتب
الفقه لا حاجة لذكره هنا كما حرك العرش عطفوا من اعطافه وهو بضم العين وكسرها
وسكون الطاء المهملة معروف حتي صلي اي اتم صلاته صلي الله عليه وسلم وفيه معجزة
له عليه الصلاة والسلام لفهم الحيوان كلامه واطاعته له وانقياده لعلمه بانه رسول الله صلي
الله عليه وسلم وفي بعض النسخ هنا زيادة وهي في يلحق بهذا المذكور من معجزاته او من
كلام الحيوانات لا ذا فهم لغة لم يعرفها لفهم العربي كلام العجم قريب منه ومشابه له
مار وي الواقدي صاحب السير وهو محمد بن عمر بن واقد قاضي العراق وعالمها وقد
قيل فيه انه ضعيف ونسب للوضع وقيل انه جمع علي ضعفه ونازع فيه بعضهم وقال كفي بروايته
الشافعي عنه دليلا علي صحة ما رواه وترجمته في الميزان مفصلة وكذا في اول سيره ابن سيد
الناس ان النبي صلي الله عليه وسلم لما وجه رسله جمع رسول الي الملوك من العرب
والعجم اي ارسلهم لجهتهم وناحيتهم لما فشا الاسلام وقوي فدعتهم اي ستة رجال

من الرسل والنفر اسم جمع للثلاثة فما فوقها الا انه يستعمل بمعنى الرجل الواحد كما بيناه في شرح الدرة
وقد صرح به الكرماني في شرح البخاري وهو عربي فصيح ايضا وكان ارساله لهم في يوم واحد خرجوا
من عنده صلى الله عليه وسلم فيه فاصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذي بعثه صلى
الله عليه وسلم اليهم من غير مضي زمان يحتمل التعلم فيه وتفصيل الرسل ومن ارسلوا اليه مفصل
في السير ايضا وهذا معجزة له صلى الله عليه وسلم لشمول بركته لهم والحديث في هذا الباب
كثير وقد جينا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الايمة رضي الله تعالى عنهم
ونفعنا ببركاتهم خاتمة مما يلتحق بمعجزاته صلى الله عليه وسلم في الحيوانات والجمادات
ما ذكر في بعض الكتب وشاع في الاقطار ونظمه الشعرا في فصيح الاشعار من انه صلى الله
عليه وسلم كان في بعض الاحيان اذا مشى غاص قدمه في الحجارة بحيث بقي ذلك الى الان وارتسم
فيها مثاله بعينه والناس تتبرك به وتزوره وتعظمه كما في القدس ونقل منه لمصر في اماكن
متعددة حتى قيل ان السلطان قايتباي اشتراه بعشرين الف دينار واوصى
بجعله عند قبره وهو موجود الى الان وانه صلى الله عليه وسلم اذا مشى على الرمل احيانا
لا يكون لقدمه اثر فيه الا ان هذا لم يضبط لان هذا امر عرفي لا يعرفه الا من كان حاضرا ثمة
وقد ذكر هذا السبكي في تائيته وغيره قال الامام القسطلاني في المواهب اللدنية كان
صلى الله عليه وسلم اذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه كما هو مشهور قديما وحديثا
على الالسنة ونطق به الشعرا في قصايدهم النبوية والبلغا في منثورهم مع اعتضاده
بوجود اثر قدمي الخليل عليه الصلاة والسلام في حجر المقام المنوه به في التنزيل في قوله
تعالى فيه ايات بينات البالغ تعيينه وانه اثره مبلغ التواتر وفيه يقول ابو طالب

وموطئ ابراهيم في الصخر وطؤه • على قدميه حافيا غير ناعل •

ربما في البخاري من معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بتاثير ضربه في الحجر ستا او سبعا
لما فر بثوبه حين اغتسل وقد صح ما من معجزة لنبي الا ولنبينا صلى الله عليه وسلم مثلها
ويؤيده وجود حافر بغلته صلى الله عليه وسلم في مسجد بطيبة عرف بها الى الان يقال له
مسجد البغلة وما ذاك الا من سره صلى الله عليه وسلم الساري فيها ليكون اوضح في الدلالة
على انه اوتي مثل ما اوتي الخليل صلى الله عليه وسلم على وجه اعلى منه ونقل المجد
الشيرازي عن ابن بكار في المغانم المطابة بعد ذكره لحافر البغلة ومسجدها انه في غربي
هذا المسجد اثر كانه اثر مرفق يذكر انه صلى الله عليه وسلم اتكى عليه بمرفقه الشريف فاثر
فيه وفي اخر اثر اصابعه انتهى وممن ذكر اثر البغلة السيد السمهودي في تاريخ المدينة
وقال انه مسجد بين ظفر بن الاوس شرقي البقيع بطرف الحرة الغربية ويعرف بذلك وذكره
ابن النجار في تاريخه ايضا لكن قال الشيخ محمد بن يوسف الدمشقي في سيرته ان هذا
لا وجود له في شي من كتب الحديث وممن انكره الشيخ برهان الدين النجا الناجي وقال السيوطي
في فتاويه لم اقف له على اصل ولا سند ولا رايت من خرجه في شي من كتب الحديث وتبعه
تلميذه العلقمي في شرح الجامع الصغير وزاد انه لم يوجد في شي من التواريخ المعتمدة فلا
يسوغ نسبته له صلى الله عليه وسلم وقد تعقبه من علما عصره الشيخ الصالح المحدث احمد المتبولي
شارح الجامع الصغير فقال بعد ما ساق ما قلناه مفصلا سبحان من لا ينسى كيف وقد قال
السيوطي في خصايصه الصغرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وطي على صخر

الدوائر

واثر فيه وعزاه للحافظ وزين العبدري انتهى **قلت** لا سهو ولا نسيان فان
السيوطي رحمه الله تعالى لم يذكر هذه المعجزة وانما انكر ما يوثر بعينه في الاماكن التي ذكروها
وكذا ما قاله صاحب المواهب الا ان ما نقله السيوطي من قوله ما وطي صلى الله عليه وسلم على صخر
الا واثر فيه لا ينبغي لان الظاهر انه كان في اول البعثة لكلام الحجر والشجر الذي تقدم واما كونه
لا اثر لقدمه صلى الله عليه وسلم في الرمل فقد رواه ابن سبع والنيسابوري وغيرهما بسند
ضعيف وقال انه صلى الله عليه وسلم الطف خلق الله واخفهم ولذا لم يوثر مشيه في الرمل ولا
ينافيه تاثيره في الحجارة فانما هو لبقا اثره وتبكيت حاسديه فانهم اقسى من الحجارة الا انه
وقع في الاحيا ما يقتضي خلافه لانه نقل فيه اثرا فيه ان بعض الصحابة انكر على ابي موسى
رضي الله عنه دعاءه على المنبر لعمر رضي الله عنه اذ لم يذكر ابا بكر رضي الله تعالى عنه فقام
بين الملا بالمسجد وقال له اين ما كان قبله فشكاه لعمر رضي الله عنه فامر باشخاصه اليه من
البصرة فلما جاءه دق عليه الباب فخرج اليه فقال له لم ازعجتني من وطني فساله عن سبب
شكاته امين منه فقص عليه القصة فبكى رضي الله تعالى عنه وقال والله ليوم وليلة لابي بكر
رضي الله تعالى عنه خير من خلافتي يعني باليوم لما قال على المنبر خطيبا يوم مات النبي
صلى الله عليه وسلم وبالليلة ليلة ذهابه معه الى الغار فكان يمشي تارة خلفه وتارة امامه
وتارة يحمله يقصد بذلك اخفا اثر اقدامه في الرمل حتى لا يشعر من يقص اثره .
قلت وكان هو هذا مستند ابن خلدون في مقدمة تاريخه اذ ذكر
فيها ان الدعا للسلاطين في الخطبة سنة وان كان الزركشي قال في كتاب احكام المساجد
انه بدعة لا ينبغي تركها لخوف الفتنة فاعرفه فانه من الفوايد النفيسة الجليلة

فصل من معجزاته صلى الله عليه وسلم في احيا الموتى وكلامهم له صلى
الله عليه وسلم واحيا مصدر مضاف لمفعوله وفاعله الله او النبي صلى الله عليه وسلم
لانه سببه وان كان الفاعل الحقيقي هو الله وهو اعظم معجزاته صلى الله عليه وسلم وكذا
قال في البردة

لو ناسبت قدره اياته عظما ، احيى اسمه حين يدعى دارس الرمم

وقد تكلم الناس في معنى هذا البيت واورد عليه ان من جملة معجزاته صلى الله عليه وسلم
القران وقد قال صلى الله عليه وسلم اية من كتاب الله خير من محمد وال محمد فكيف
لا يكون في معجزاته ما يناسب مقداره في الشرف واجيب بان المراد بمعجزاته ما احدثه
الله تعالى على يديه والقران صفة لله قديمة ومعناه انه لا يعد شيا من معجزاته عظيما
بالنسبة اليه الا ان يكون منها ان كل احد لو دعا باسمه وتوسل به في احيا الموتى وقع له ذلك
بان يقول اللهم اني اسالك بمحمد صلى الله عليه وسلم ان تحيي صاحب هذا القبر وليس
عطف الكلام من عطف الخاص على العام كما توهم **وكلام الصبيان** الذين في المهد لم يصلوا
السن يتكلم فيه مثلهم ولذا عطف على كلام الموتى لانه ليس من شانهم الكلام واخره لانهم
احيا من شانهم الكلام فهو دونه مرتبة **والمراضع** جمع مرضع اسم مفعول وهو الولد الصغير على
القياس وليس جمع راضع على خلاف القياس كما قيل وليس جمع مرضع بكسر الضاد وهو الام لانه
ليس فيه خرق للعادة ولا مرضعة بالفتح بمعنى بنت صغيرة ترضع وان الاحسن ان يقول
الاطفال لانه عطف تفسير للصبيان بمعنى من ابتدا رضاعه والاطفال كالصبيان لا تودي

مو داه الذي قصده وشهادتهم له صلى الله عليه وسلم بالنبوة اي قول من في المهد انه نبي الله ٧
ورسوله وعطفهم على كلام الصبيان من عطف الخاص على العام ثم شرع في اثبات ما ذكره بحديث
اورده ابو داود مسندا عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه
ابي المتكلم في معرفة الاحكام الشرعية الفرعية وقيل المراد به العالم بالعلوم الشرعية مطلقا بقراءتي
عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد علم منقول من ضد الغي وهو محمد بن احمد بن رشد
الامام في كل فن الجليل قاضي قرطبة تولى قضاها بعد ابي القاسم ابن احمد بن سنة احدى عشرة
وخمسمائة ثم عزل سنة اربع عشرة وولي ابو القاسم وذلك في سلطنة ابو بن ماسفين والقاضي
ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي الذي تقدمت ترجمته وغيره واحد سماعا
واذنا بيني انه سمع منهم واحتمله في الرواية عنهم قالوا حدثنا ابو عيسى الحافظ
الغساني الذي تقدم قال حدثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى هو ابن عبد البر الامام المشهور
كما تقدم وقال حدثنا ابو عمر الحافظ بن محمد المعروف بابن العطار قال حدثنا احمد بن قيد
تقدمت ترجمته قال حدثنا ابن الاعرابي تقدم قال حدثنا ابو داود الامام صاحب السنن
قال حدثنا وهب بن بقية الواسطي ابو محمد ويقال له وهبان توفي سنة تسع وثلاثين ومائتين
وروى له مسلم وابو داود والنسائي عن خالد هو الطحان هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن
بن يزيد المعروف بالطحان كان من العباد الصالحين يقال انه اشترى نفسه من الله ثلاث
مرات فتصدق بوزنه فضة توفي سنة تسع وسبعين ومائة وولد سنة عشر ومائة واخرج
له اصحاب الكتب الستة عن محمد بن عمرو بن علقمة وله ترجمة في الميزان عن ابي سلمة احد ٨
الفقهاء السبعة كما تقدم عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان يهودية من يهود خيبر اسمها
زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم صاحب الكتف وهو من بني النضير وقيل انها زينب
اخت مرحب بن سلام اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية اي مشوية من صلاه
بالنار اذا شواه واصلها مصلوية فقلبت الواو ياء وادغمت وكسر ما قبلها سمتها اي وضعت
فيها السم يقال سممته انا والعامة تقول سميته وهو خطأ كما قال السراج الوراق رحمه الله تعالى

رفقت بنتا ليتها لم تكن ... في ليلة كالدهر وضيحها
فقيل ما سميتها قلت لو ... ملكت منها سميتها

ويقال اصلها اصلة سممتها بثلاث ميمات ابدلت الثالثة ياء علي العباس فاكل رسول الله صلى
الله عليه وسلم منها واكل القوم الذين كانوا معه من الصحابة رضي الله تعالى عنهم اي شرعوا
في الاكل فقال صلى الله عليه وسلم ارفعوا ايديكم اي كفوها عن الاخذ منها للاكل
وابعدوا ايديكم عنها واصل الرفع الاعلى فكني به عما ذكر وشاع حتى صار حقيقة فيه فانها
اخبرتني انها مسمومة وهو محل الشاهد لانها كلمته صلى الله عليه وسلم وهي مبتة بكلام
لم يسمعه غيره ولو شاء الله اسمعهم كلامها فمات بشر بن البراء بفتح الباء الموحدة والراء المهملة
والمد اي معروف بسلودة العين المهملة وفتحها خطأ وهو صحابي خزرجي شهد العقبة وبدرا
قيل انه مات في الحال وقيل لم يزل مريضا حتى مات بعد سنة وقال صلى الله عليه وسلم
لليهودية ما حملك على ما صنعت من السم ووضعه حتى حصل منه ما حصل وهو مجاز مشهور
من الحمل المشهور من قوله حمله كذا وحمله عليه اذا كلفه به قال تعالى مثل الذين حملوا التوراة
ثم لم يحملوها اي كلفوا ان يقيموا حجتها فلم يقيموا فالمعنى ما دعاه لمن يفعل بهذا قالت ١٠

الداعي

الواعي اني اردت معرفة حالك واختبارك اذ كنت نبيا لم يضرك ما وفي نسخة الذي صنعت
من وضع السم واكلك له وانا كنت ملكا بكسر اللام اي سلطانا ارحت الناس منك بموتك
فلما لم يضره السم مع ذلك اظهر لغيره علم بذلك انه نبي وهذه معجزة له صلى الله عليه وسلم لان
الله عصمه من اذى الناس ولم يمكن احدا من قتله صلى الله عليه وسلم بأي طريق كان وانما
احتجم بعده كما روي هنا بيانا لاستحباب المداواة وتعليما للامة ولذا لم تخبره الشاة قبل الاكل ولنيله
مرتبة الشهادة العظمى على غيرها انه صلى الله عليه وسلم واختلف في السم هل كان في الشاة كلها
او في الذراع زيادة على غيره لما سألت ما احبها اليه فقالوا الذراع او كان في الذراعين
فقط لان لكل منهما ناسي وانما سألها صلى الله عليه وسلم لتقرر قبيح الغدر ولانه
كان بينه وبين اليهود عهد وهذا انقضى له قال ابو هريرة راوي الحديث كما ذكره البيهقي
واما كما رواه مرسلا في محل اخر فامر بها اي بقتلها فقلت وقد روي هذا الحديث اي حديث
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه من طريق اخر في الصحيحين عن انس بن مالك وفيها اي فيما
رواه انس والتا ردت قتلك ان لم تكن نبيا كما مر فقال لها ما كان الله ليسلطك من التسليط
والسلاطة وهي التمكن من القهر والاخذ بذة كما قال تعالى ولو شاء الله لسلطهم عليكم على ذلك
اي القتل وروي على مسدد اجريا المتكلم والكاف مكسورة لان الخطاب لمؤنث كما قاله النووي
فقالوا انقتلها وفي نسخة نقتلها بتقدير همزة الاستفهام وفي اخرى الا نقتلها قال لا
تقتلوها ولعل هذا كان قبل موت بشر بن البراء وبهذا يجمع بين هذه الرواية وبين رواية ابي
هريرة انه قتلها وبجواب عما قيل انه مشكل لانه كيف يعفى عنها مع قتلها المبرا الا ان يقال ان البراء
عفى عنها او على انه لا يقتل بالسم وانما يستحق الدية على ما فصل في كتب الفقه وبذلك روى
بالبناء للمجهول اي روى بهذا الحديث عما ابي هريرة من رواية غير ابن وهب بن بقية شيخ ابي
داود الذي روى وقال فما عرض لها عرض بفتحتين بمعنى تعرض للمسدد اي تركها ورواه ايضا
جابر بن عبد الله كما في سنن ابي داود والبيهقي وفيه اي فيما رواه جابر لحزيتني به اي
بالسم الذي فيها هذه الذراع اي ذراع الشاة وهو موتني سماي ولذا قال هذه ولكنا الفخذ
لانها تموتني قال جابر رضي الله تعالى عنه ولم يعاقبها اي لم يقتلها وفي نهي النسخ وفي رواية
للحسن البصري اما فخذها هو بفتح الفاء وكسر الخاء وسكونها ما فوق الساق كلمتني اي قالت
لي انها اي الشاة مسمومة اي لان السم عمها او في ذراعها فقط كما مر وهذا يبنا في بامر من
ان الذراع كلمته لانه لا مانع من ان تكلمه الذراع والفخذ معا ويكون عود الضمير للجزء بناء على
احد الوجهين وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن قال اي مسمومة وكذلك اي مثل هذه الرواية
ذكر الخبر السابق ابن اسحاق في سيرته وقال فيه فتجاوز عنها اي عفا عنها ولم يقتلها
في اول الامر ثم لما مات بشر بن البراء قبلها به كما مر في الجمع بين الروايتين اولم يقتلها بسببه
اما لانه لا يوجب القتل او لامر اخر راه في الحديث الاخر الذي رواه الشيخان عن انس
انه قال فما زلت اعرفها اي اعرف الغلة التي غلتها اليهودية في لهوات رسول الله
صلى الله عليه وسلم بفتح اللام والهاء والواو جمع لهاة بوزن فتاة وهي لحمة في اقصى سقف
الفم تنطبق على اجزاء الحلق المسماة واول الخلق وهي لا تتبين الا اذا فتح الفم انفتاحا تاما
فكانه يريد بها الفم باطلاق الجزء على الكل كما في قولهم اللهم افتح لنا ابواب رحمتك
في ظاهر فيه سبق بزق ونحوها لان الاطلاع على حقيقتها بعيد وفي المراد انها اثرت في صوته

تاثيرا قليلا يظهر لمن تامله فاراد باللهاة الصوت ولا يخفى ما فيه والحديث في البخاري وفيه
كلام في شروحه والحاصل انهم اختلفوا في قتلها كما مر وعن ابن شهاب انها اسلمت فتركها
لاسلامها وفي الروض الانف انه تركها اولا لانه كان لا ينتقم لنفسه فلما مات بشر قتلها قصاصا
به الا ان فيه ان فقهانا والشافعي قالوا ان من قدم لضيفه طعاما مسموما فاكل منه ولا يعلم فمات
لا يجب القصاص ولذا قيل انه انما قتلها سياسة او لنقض العهد والقصاص يجب فيه المماثلة
والذي في البخاري ان اليهود سموها لا ينافيه لانه كان بامرهم واتفاق منهم وفي حديث ابي هريرة
الذي رواه عنه ابن سعد بسند صحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه يعني
مرضه فعبر عنه بلازمه الذي مات فيه اي مات متلبسا به او في زمنه بدل فيه ما زالت اكلة
بضم فسكون وهي ما يوكل كالغرفة لما يغرف لان فعله بالفتح المرة وبالكسر للهيئة وبالضم للمقدار
كما قاله النحاة خيبر بمنع الصرف بلدة على اميال من المدينة اهلها يهود تعادني بضم المثناة
الفوقية وفتح العين المهملة والف ودال مهملة مشددة ونون الوقاية وضمير المتكلم اي
تعود الي مرة اخرى في اوقات معلومة من العداد وهو كما قال ابن الاثير ما ياتي لوقت الحمى والسم
وقال السهيلي تعادني بمعنى تعتادني وقيل هو ما يهيج بعد سنة من الم لدغ ونحوه وليس المراد
بالالم نقص في الذوق لانه لا يعد مثله الم وما قيل من انه المراد مكابرة في المحسوس لا وجه له
مع انه لا ينافي قوله فالان مبني على الفتح ولا يستعمل بغير ال وهو الزمن الحاضر وان قطعت
اي الاكلة بسمها وتاثيره ابهري بهمزة مفتوحة وموحدة وهاء وراء مهملة بزنة افعل التفضيل
وهو عرق كبير متصل بالقلب او داخله وهما ابهران وقيل هو الوريد وهو اذا انقطع يموت
صاحبه وقيل هو الوريد انه الاكحل وموته بهذا السم لا ينافي قوله تعالى والله يعصمك من
الناس الخ لانه قبل نزول هذه الاية لان المراد عصمته صلى الله عليه وسلم من قتلهم له بسيف
ونحوه مجاهرة بحيث يظهر في وقته وهذا مع انه سم مسلمة لم يظهر فيه صلى الله عليه وسلم
حتى عد من معجزاته لخفاء اثره وانما قدر الله تعالى تاثيره فيه بعد زمان ليرزقه الله الشهادة
وهذا مما لا دخل للمخلوق فيه ومرضه الذي مات منه صلى الله عليه وسلم كان حمى مع صداع وروى
ابو يعلى بسند ضعيف انه ذات الجنب واورد عليه انه صلى الله عليه وسلم لد بقسط وزيت
فلما افاق صلى الله عليه وسلم قال كنتم ترون ان بي ذات الجنب ما كان الله ليجعل لها علي سلطان
والله لا يبقى احد في البيت الا لد ففعلوه واللدود دواء ذات الجنب وقد ورد ان ذات الجنب من
الشيطان واجيب بان ذات الجنب قسمان مرض حار يكون في مشبطن الحشا وهو المنفي واخر يكون
بين الاضلاع وهو المروي في الحديث المذكور والحمى المذكورة انما كانت بسبب ذلك السم وحكى
ابن اسحاق ان بكسر الهمزة وتخفيف النون الساكنة المخففة من الثقيلة واسمها مقدر اصله
انهم كان المسلمون ليرون بفتح اللام وهي لام الابتداء ويرون بضم الياء المثناة التحتية اي يجوزون
ويجوز فتحها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا بسم الشاة ليكرمه الله بنيل
الشهادة مع ما اكرمه الله من النبوة وقال ابن سحنون بضم السين وفتحها ومنع الصرف
وهو محمد بن عبد السلام المالكي الامام المشهور عمدة مذهب مالك كما تقدم اجمع اهل الحديث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته كما مر في بعض الروايات مع ما فيه
ودعواه الاجماع مع هذا غير مسلمة منه وكون الرواية الاخرى ماولة عنده كما مر لا تصفى
كدره واليه اشار المص بقوله وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك الدال على خلاف ما

قاله

قاله ابن عبد البر عن ابي هريرة وانس وجابر وغيرهم من الصحابة فمع ذلك كيف تصح دعوى الاجماع وما ذكر في الحديث الذي قبل هذا من كون اثار السم تشاهد في لهوات من تمت القصة فلا ينافي ذلك الفصل معقود الاحياء الموتى كما توهم وكذا ما ذكر في هذا الحديث وفي رواية ابي عباس التي رواها ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم دفعها اي سلم المرأة التي سمت لولي بشر بن البراء بن معرور الذين لهم دعوى القصاص وكذلك اي مثل ما اختلف في قتل من سمه وحكمه قد اختلف في قتل من سحره وفي نسخة الذي سحره وهو رجل يهودي من زريق يقال له لبيد بن الاعصم كما صرح به بعد سحره صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل له انه يفعل الشيء وما يفعله ثم شفاه الله تعالى منه كما سيأتي الكلام على قصته في كلام المصنف وقال الواقدي وعفوه عنه اي الساحر ثبت اي اقوى واصح واصل معناه استقر ثبوتا ولزوما فاستعير لما ذكر عند اهل معاشر اهل السنة والحديث وروي عنه انه قتله وفي الوفا عن زيد بن ارقم قال سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يهودي فاشتكى لذلك اشد ما تكون فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له ان رجلا من اليهود سحرك فعقد لك عقدا في بئر كذا وكذا فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها وجاء بها وحلها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام كانما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا اداه في وجهه قط وقال الثعلبي انهم قالوا له صلى الله عليه وسلم اما تأخذ للخبيث فقال اما انا فقد شفاني الله واكره ان اثير على الناس منه شرا يعني فقتل الساحر ذكره الفقهاء معضلا في الفروع وفي السير وجواز قتله للامام مشهور بيناه في غير هذا المحل وروي الحديث اي حديث الشاة المسمومة السابق لا حديث السحر كما توهم البزار عن ابي سعيد الخدري فذكر مثله الا انه قال في آخره فبسط يده ومدها صلى الله عليه وسلم ليتناول من لحمها وقال لمن عنده من الصحابة كلوا منه فاكلنا منها فلم يرزأ منا احد وهو معارض لحديث البراء الصحيح الذي تقدم وقال السيوطي نقلا عن البلقيني ابن حجر انتهى الحديث منكر قال القاضي ابو الفضل عياض في معنى هذا الكتاب وفي اسحنه وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح الذين اعتنوا بتصحيح الحديث ورواته وخرجه الائمة في كتبهم كالصحابة السنن وهو حديث مشهور بين المحدثين واختلف ايمة النظر من المتكلمين وغيرهم من نقاد الحديث في هذا الباب اي باب خلق الله الكلام في اجسام غير ناطقة ثم بين وجه اختلافهم بقوله فمن قائل يقول هو كلام خلقه الله في الشاة الميتة بالتشديد والتخفيف او الحجر او الجبل وانما كان الكلام يطلق عند المتكلمين على اللفظ والنفسي بالاشتراك او الحقيقة في الاول والمجاز في الثاني او بالعكس اشارة الى ان المراد الاول بقوله حروف واصوات اي هواء خرج من الجسم متكيف بكيفية مخصوصة ومجموعها هو الحروف ذوات المخارج المعروفة وهو معطوف على قوله كلام خلقها اي بوجود تلك الحروف والاصوات فيها اي في تلك الاجسام بلا حياة مخلوقة فيها لعدم توقفها عليها ويسمعها بضم التحتية اي يجعلها مدركة بالسمع لمن شاء من خلقه الحيا منها اي من تلك الاجسام لامن الاصوات والحروف كما قيل دوي تغيير اشكالها جمع شكل بفتح فسكون وهو الصورة والهيئة ومنه المشاكلة قال تعالى واخر من شكله ازواج اي هو مثله في الهيئة ومنه قولهم الناس اشكال والاف وهو من الشكل بمعنى التقييد الدابة كما قاله الزمخشري فقوله ونقلها من هيئاتها اي نقلها من هيئاتها المحلية الى هيئة الحزي لذوات الارواح والنطق وهو اي عدم لزوم ما ذكر مذهب الشيخ ابي الحسن الاشعري

امام اهل السنة والقاضي ابي بكر الباقلاني فمذهبهما الحياة ليست بشرط لخلق الكلام في الاجسام
وقوم اخرون من اهل السنة ذهبوا الي اشتراط ذلك والي ايجاد الحياة بها اولا قبل نطقها به
وصدور الكلام منها ثم الكلام بعدها بعده اي بعد ايجاد الحياة بها وحكي هذا ايضا عن شيخنا
ابي الحسن الاشعري كما حكي القول الاول عنه فله قولان في هذه المسالة والضمير لاهل السنة
المعلوم من السياق والشيخ هو المسن وشاع بمعنى الاستاذ كما مر ولا يلزم ان يكون المعلم ادركه وتلمذ
له كما لا يخفى في مثله وكل من القولين محتمل اسم مفعول اي جايز عقلا فيحتمل فيما صدر عنه النطق
ان يخلق الله فيه حياة وان ينطقه بدونها ولا تناقض على ما قررناه في كلام الشيخ حيث يحتاج
لحمل احد قوليه على الكلام النفسي لاستلزامه الحياة كاستلزام العلم لها والاخر على اللفظي لعدمه
استلزام خلقه في محل خلقها فيه ومثل هذا لا يلتفت اليه حتى يسود به وجه الصحف كما لا يخفى
اذ لم يجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات وحينئذ يحتمل انه تعالى خلق فيها الحياة
ويحتمل انه تعالى خلق فيها حياة ويحتمل انه انطقها بدون ذلك اذ لا يشترط وجوده ولا عدمه
اذ لا يستحيل ويمتنع عقلا وجودها اي الحروف والاصوات مع عدم الحياة بجردها اي وحدها
عما غير جارحة وحياة ونحوها واما اذا كانت اي الحروف والاصوات او هذا العبارة
التي هي الكلام فالتانيث لمراعاة الخبر في قوله عبارة اي معبرا بها والظاهر الثاني عن الكلام
النفسي الذي يعبر به عندهم وتحقيق الكلام النفسي والفرق بينه وبين العلم فيه كلام طويل في
علم الكلام يضيق طول المقام عنه فلا بد من شرط الحياة لها لانها العلم او مستلزمة له وعلى كل
حال فلا بد من الحياة فيها اذ لا يوجد كلام النفس لا من حي اذ لا بد له من نفس تقوم به
والنفس لا تكون الا ذات حياة واما الكلام اللفظي فلا يشترط فيه ذلك خلافا للجبائي بفتح
الجيم وفتح الباء الموحدة المشددة والمد وبانسبته الي الجبا قرية بالسواد وهو ابو علي محمد
بن عبد الوهاب بن سلام مخفف اللام ابن خالد حمدان بن ابان مولى عثمان بن عفان البصري
رئيس المعتزلة مات سنة ثلاث وثلاثمائة ما بين سائر متكلمي الفرق اي فرق اهل السنة
والمعتزلة فانه تفرد في احالته وجود الكلام اللفظي اي عده محالا عقلا وعادة والحروف
والاصوات الصحيحة تركب قايم بحسب الصورة على تركيب ما يصح منه النطق بالحروف
والاصوات بان تكون جسما له الة نطق وحروف ثم لما ورد عليه ما تواتر من نطق غيره قال
دفعا له نلتزمه واليه اشار بقوله والتزم ذلك اي وجود التركيب المذكور في الحصا
بمهملتين جمع حصاة والجذع والذراع الذي نطق له صلى الله عليه وسلم لتواتره وقال
ان الله خلق فيها حياة وحرفا لها اي ابدعه وميزه عن غيره من الاعضا كما خرق سمعه
وشقه اذا ابدله وصوره والسنا والة للكلام امكنها اقدرها وجعلها متمكنة بها
من الكلام والنطق وهذا اي المذكور من الالة والاصوات دعوى بلا بينة اذ لو كان اي ما
ادعاه وقع في الخارج لكان نقله اي وجد نقله وسمع فكان فيه لها تامة والتهمم به تفعل
من الهم اي الاهتمام والاعتناء به اكد بالمد واوكد بالواو ومعناه اي اقوى واسند من التزم
بنقل تسبيحه اي تسبيح الحصا وحنينه اي الجذع كما تقدم والامر بالعكس فانه نقل تسبيحه
وحنينه ونطقه نقلا شايعا ولم ينقلا له روي لهم ولا لسان فما ذكره مكابرة في المحسوسات
ودعوى تشهد الحس بخلافها ولم ينقل لاحد من اهل السير اي رواة الحديث والسير
النبوية والروايات وفي نسخة الرواية شيا من ذلك المذكور الذي ادعاه فذلك

عدم

عدم نقلهم على سقوط دعواه اي بطلانها مع انه لا ضرورة داعية اليه في النقل والفكر في الامور المعقولة واما كونه اسخلق ذلك دعواه خفاؤها فاوهاها من دعاوى مواساة الموفق للصلوب روى وليع بفتح الواو والكاف المكسورة هو ابو سفيان بن المجراح بن ملجم ابن عدي الراجي رفعه اي رواه مرفوعا له صلى الله عليه وسلم عن فهد بما عطية هو بفاء مفتوحة وهاء ساكنة ودال مهملة او في نسخة وآء مهملة قال البرهان لا اعرفه بعد ولا بآء والذي في البيهقي انه عن سعيد بن عطية عن بعض اشياخه فيحتمل انه تحرف على الناسخ ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب اي كبر وصار شابا وهو لم يتكلم قط من طفولتيته لشبابه لانه خلق لحزبس فقال له من انا فقال انت رسول الله فانطقه الله معجزة له صلى الله عليه وسلم بعد ما كان ابكم وذكر هذا في الفصل الذي بعده اظهر وادنى ما هنا بتنزيل الابكم منزلة الميت والجماد لعدم القدرة على النطق وروي عن مرثد بن مهيقب بميم مضمومة بزنة الفاضل وقيل الراء مكسورة مشددة وروي مهيقيب بياء وقيل مهيقيا بلام هـ رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا اي امرا عجبا وقع عنده وهو انه جيء بالمبنا للمجهول اي جا اليه بعضهم بصبي يوم ولد مجهولا ايضا فذكر دوانقي وهو بضم مهملة اي مثل ما مر من الله قال له صلى الله عليه وسلم من انا فقال له انت رسول الله وهو مفروض في المعجزات بانه حديث مبارك اليمامة وفي نسخة ولد يسمى اي ذلك الولد مبارك اليمامة لقوله صلى الله عليه وسلم له بارك الله فيك واليمامة علم لارض باليمن منقول من اسم طائر وهذا موجز في النسخ كما سيأتي ويعرف ذلك الحديث بحديث شاصونه بشين معجمة والف وصاد مهملة وواو وساكنة نليها نون وها وهو اسم راويه اي راوي هذا الحديث وبيانه قال السيوطي في حضايصه الكبرى قال الخطيب اخبرنا علي بن احمد الرزان قال حدثنا ابو عمر محمد بن عبد الواحد ابن ابي هاشم املاء قال حدثنا شاصونه بن عبيد ابو محمد اليماني منصرفا من عدن سنة عشر ومائتين بمكة يقال لها للبردة قال حدثنا مرثد بن عبد الله اليماني عن ابيه عن جده قال حججت حجة الوداع فدخلت مكة فرأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجهه مثل دارة القمر وسمعت منه عجبا جاء رجل من اهل اليمامة بغلام يوم ولد وقد لفه في خرقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا غلام من انا فقال انت رسول الله قال صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم حتى شب قال ابي فكنا نسميه مبارك اليمامة قال شاصونه سمعت هذا الحديث منه منذ ثمانين سنة ولم اسمع منه الا هذا الحديث قال الدارقطني كان الكندي يتم بوضع الحديث ومما تكلم به فيه حديث شاصونه وقيل انه حدث عمن لم يخلق بعد فلما بلغه ذلك قال عقدت بيني وبينه عقدة لا احلها الا بين يدي الجبار فانتهى اليه الخبر فكان لا يذكره الا بخير وقال الخطيب ان الكندي فيما املى هذا الحديث استعظمه الناس وقالوا انه كذاب الا انه قد وقع الينا من طريق الكندي ثم ساقه بسنده الخ قال السيوطي فقد وقع رواية من الطرق فهو حديث حسن وسبب انكاره انه من الامور الخارقة للعادة وقد وقع في حجة الوداع مع كثرة الناس فكان حقه ان يشتهر انتهى باختصار فقول بعض الشراح تبعا لابن حجر انه موضوع غير مسلم وتبعه السيوطي هنا من غير تعقيب له فبين كلاميه تناف وفيها اي في هذا الحديث فقال النبي صلى الله عليه وسلم اي للصبي حين تكلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام بعد مشي على الفور اي بعد ذلك الكلام حتى شب اي

كبر ووصل سن النطق فكان يسمى مبارك اليمامة لدعا النبي صلى الله عليه وسلم له بالبركة وكانت
هذه القصة بمكة في حجة الوداع بفتح الواو وكسرها سميت بها لانها اخرجه صلى الله عليه وسلم
وقد ذكر فيها ما يشعر بقرب اجله وانه يوادع فيها امته وعن الحسن البصري وقد منا ترجمته
وهذا الحديث لم يخرجه السيوطي اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر انه طرح بنية له تصغير
بنت في وادي كذا لم يعينه راويه اي رماها ثمة فماتت وقيل انه وادها على عادة الجاهلية
فانطلق اي النبي صلى الله عليه وسلم معه الى الوادي الذي ذكره له وناداها
اي نادى النبي صلى الله عليه وسلم بنت ذلك الرجل باسمها يا فلانة احيي باذن الله تعالى
اي بارادة الله تعالى وقدرته والاذن يتجوز به عما ذكر تجوزا مشهورا فخرجت حية من قبرها
وهي تقول لبيك وسعديك اجابة لك بعد اجابة واسعادا بعد اسعاد ومعناه سرعة الاجابة
والانقياد ولا يستعمل الا مثنى والكلام عليه مشهور في كتب النحو كما تقدم فقال لها لما اجابته
ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما بعد استقرار الحياة فيك رددتك عليهما
قالت لا حاجة لي فيهما ولا اريد الرجوع اليهما وجدت الله وما عنده من الخير خيرا لي منهما
ومما عندهما وفيه دليل ان صح الحديث على ان اطفال الكفار غير معذبين وهو الاصح وفيه
من المعجزات احيا الموتى وكلامهم ونطق الطفل الصغير ايضا وقد نطق في المهد جماعة
منهم من ذكر في هذه الاحاديث وسياتي تمامه واعلم ان من تكلم في المهد من الاطفال
كثير عدوا منهم عيسى بن مريم وصاحب الاخدود وابن ماشطة فرعون وصاحب
جريج وشاهد يوسف وشاهد الامة والخبار وما ذكره المص وقد نظمهم السيوطي في قوله

تكلم في المهد النبي محمد ... ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبري جريج ثم شاهد يوسف ... وطفل لذي الاخدود واويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التي ... يقال لها تزني ولا تتكلم
وماشطة في عهد فرعون طفلها ... وفي زمن الهادي المبارك تختم

وقد تقدمت الاشارة الى ذلك ايضا وعن انس في حديث رواه البيهقي وابن عدي مسندا
ان شابا من الانصار توفي وامه عجوز عميا وهذا مما يدل على شدة حزنها لكبر سنها وعجزها
المحوج لولدها فسجيناه بالسين المهملة والجيم اي غطيناه من قولهم سجا الليل اذا استتر
بظلمته الارض او كفناه وعزيناها اي صبرناها وسلبناها بذكر ما لها من الاجر ونحوه
كما هو معلوم والتعزية تسلية اهل الميت عنه وهي سنة معروفة فقالت لهم لما عزوها
مات ابني فيه استفهام مقدر اي مات ابني وانما قالته اما لانها لم تعلم او لتذكر ما بعده
او لذهولها بالمصيبة قلنا نعم فقالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت الهجرة الانتقال من بلد
الى اخر وهذا لا ينافي كونها من الانصار لانها قد تسكن في مكان بعيد هاجرت منه
اليك والى نبيك الهجرة الى الله بالهجرة لرسوله صلى الله عليه وسلم والا فالله معها
اينما كانت رجا ان تعينني بالفوقية خطاب لله لانه هو المعين على كل شدة الشدة بمعنى
الصعوبة هنا اي على كل حال من شاق يصعب علي ويعسر تحمله لا سيما فقد الولد مع
كبر السن وعدم البصر وعلقته بان المشعرة بعدم الجزم باعتبار ان خلوصها في هجرتها
لله ورسوله مما يخفى على غيرها ومن شانه ان يشك فيه لانها لا تعلم ذلك لانه لا ينافي
توسلها به الى الله او باعتبار القبول او تجاهلا رجا للاجابة ورجا منصوب مفعول له

كقوله فلا تحملن

بالحا المهملة وتشديد الميم ونون التوكيد بمعنى لا تكلفن لان التكليف كالحمل الثقيل فاستعير له
كقوله تعالى لا تحملنا ما لا طاقة لنا به علي بجر ياء المتكلم هذه المصيبة يعني موت ولدها في
هذه الحالة فما برحنا اي ما ذهبنا من مكاننا الذي كنا فيه حتى كشف ولدها الثوب عن وجهه
بعد ما غطي به فطعم وطعمنا اي قدم لنا طعام اكل منه ولدها واكلنا معه وذكروا انه عاش
الى وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقيل بقي بعده كما ذكره ابن ابي الصيف وفيه معجزة حيث
انه احيي الميت للدعا باسم النبي صلى الله عليه وسلم فلا يقال ان هذا كرامة لام الصبي وروى
الراوي له البيهقي رحمه الله تعالى عن عبد الله بن عبيد الانصاري بتصغير الثاني كنت
فيمن دفن ثابت بن قيس اي حضر دفنه وهو ابن مالك بن زهير ابن امرئ القيس بن مالك
بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج الانصاري المدني الصحابي وكان خطيب الانصار وشهد له
النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وكان قتل باليمامة وروى له البخاري والنسائي وابو داود
وكان جهوري الصوت فلما نزل يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
صلى الله عليه وسلم احتبس من الحضور عنده لانه كان يرفع صوته اذا تكلم فسئل عن سبب
ذلك فقال قد علمتم اني ارفعكم صوتا على رسول الله فاخشى ان اكون من اهل النار فذكر
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل هو من اهل الجنة وقال التلمساني انه كان باذنه
صمم فلذا يرفع صوته وفيه ان الاصم لا يحتاج لرفع صوته وقد قال ابن حجر ان الصحابة
لم يكن فيهم اصم وكانت وقعة اليمامة في ربيع الاول سنة اثنتي عشرة في خلافة
الصديق واليمامة اسم بلدة من جانب اليمن كما مر وهي بلدة مسيلمة الكذاب وهي على ستة
عشر مرحلة من المدينة وقد قالوا انه اوصى بعد موته فتقدمت وصيته ولم تنفذ وصيته
احد بعد موته الا هو وذلك انه لما قتل كان له درعان فسرقت احداهما وجعلت تحت قدر
وكانت انفس درعيه فرأى رجل ثابتا في منامه فقال اوصيك بوصية فاياك ان تقول انها
حلم فتضيعها اني قتلت امس فمر بي رجل فاخذ درعي ومنزله في اقصى الناس وعند حنائه
فرس يستن في طوله وقد كفى على الدرع برمة وفوق البرمة رحلا فات خالدا يعني اميرهم
فمره فليأخذها واذا قدمت المدينة فقل لابي بكر ان علي دينا لفاس مقداره كذا
والداين فلان وفلان وان رقيقي فلانا حر فاتى الرجل خالدا فاخبره فبعث الى من عنده
الدرع فوجدها كما وصف واخبر ابو بكر بوصيته فاجازها فسمعناه حين ادخلناه القبر
يقول اي سمعنا كلامه ففيه مضاف مقدر او الضمير مفعوله الاول وقوله يقول مفعوله
الثاني على ما ذهب اليه ابو علي الفارسي من ان سمع اذا تعدى لغير مسموع نصب مفعولين
وغيره يقول انه متعد لواحد مقدر والجملة حالية او مستانفة وقد خطا ابن السيد
ابا علي في هذه المسالة في كتاب الحلل كما فصلناه في غير هذا المحل واجبنا عنه محمد رسول
الله ابو بكر الصديق مبتدا وخبر اي الكامل في التصديق والصدق لانه لم يرتب في
تصديقه صلى الله عليه وسلم وقد سبق الناس في ذلك فلذا خص بالصديقية وسياتي
تحقيقها عمر الشهيد اي المخصوص بالشهادة الكاملة من بين الخلفا لان قاتله كافر
مجوسي وهو ابو لؤلؤة غلام المغيرة بخلاف قاتل عثمان فانه من رعاع الناس وهو
شهيد ايضا عثمان بن عفان البر الرحيم ذو البر والاحسان لشهرته بالكرم ونحوه
وهو رحيم ايضا اي ذو رحمة ورافة بالمسلمين لحسن اخلاقه وشفقته فنظرنا

اليه وهو ميت لما تكلم بعد موته فوهمنا انه عادت اليه حياته فاذا هو ميت اي فاجا فيا بغتة
معرفة كونه ميتا على حاله وانما انطقه الله الذي انطق كل شي ليتحقق حياة الشهدا قيل وقوله
هذا كان عند سوال الملكين له ان قلنا ان الشهدا قيل وقوله هذا يسالون وفيه نظر وذكر
بالبنا للمجهول وهذا مما رواه الطبراني وابو نعيم وابن منده ورواه ابن ابي الدنيا عن انس
ايضا عن النعمان بن بشير الصحابي الانصاري الخزرجي البدري وهو اول من بايع ابا بكر واستشهد
مع خالد بن الوليد بعين النهر بعد انصرافه من اليمامة والنعمان اول مولود بعد الهجرة ولد بعد اربعة
اشهر منها ومات بقرية من قرى حمص في ذي الحجة سنة اربع وستين وولاه معاوية حمصا
والكوفة ان زيد ابن خارجة هذا اصح مما وقع في بعض النسخ ابن حارثة وان كان من بني الحارث
بن الخزرج لانه زيد بن خارجة ابن زيد ابي زهير بن مالك من بني الحارث بن الخزرج قال
في الاستيعاب ولم يختلفوا في انه هو الذي تكلم بعد الموت وقال ابن سيد الناس قال ابو نعيم
الاصبهاني خارجة بن زيد هو الذي تكلم بعد الموت على اختلاف فيه وهو الصحيح انه زيد
بن خارجة كما قاله ابن عبد البر وابن الاثير في اسد الغابة وكذا قال الذهبي وقيل المتكلم ابوه
وهو وهم لانه قتل باحد وجزم به ابن الجوزي ولم يحك فيه خلافا ولابن ابي الدنيا جزء
افرده لمن تكلم بعد الموت ولم يقف عليه خر ميتا اي سقط من قيام في حال كونه ميتا واصل
واصل معنى خر سقط سقوطا يسمع معه خرير وتقدم ان الخرير صوت الما والريح ونحوه مما
سقط من علو قال تعالى وخروا له سجدا في بعض ازقة المدينة جمع زقاق كغراب وهو الطريق
فرفع بالبنا للمجهول اي اخذ من مكانه الذي سقط فيه وسجي بالبنا للمجهول اي غطي اذ سمعوه
بين العشائين اذ هنا فجائية والتقدير فبينما هو كذلك اذ سمعوه الخ والعشائين يعني المغرب
والعشا على التغليب والنسا يصرخن بالصاد المهملة والخا المعجمة وبنون النسوة حوله يقول
مفعول ثان لقوله سمعوه او حال او هو جملة مستانفة كما مر ويقول القول انصتوا انصتوا اي
استمعوا وكرره للتاكيد فحسر عن وجهه بضم الحا وكسر السين والرا المهملة اي كشف عنه بعد
ما كان عليه غطا فقال لما كشف عن وجهه محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين
اي اخرهم بعثا كما مر كان ذلك المذكور من كونه رسولا ونبيا اميا خاتما للرسل في الكتاب
الاول اي في جنسه من الكتب المتقدمة او اللوح المحفوظ المكتوب فيه كل ما قدره الله تعالى
ثم قال زيد بن خارجة مخاطبا لمن كان عنده او لمن يصح ان يتوجه الخطاب اليه او مجردا من
نفسه مخاطبا مامورا ان كان قوله صدق صدق امر كما ذهب اليه بعض الشراح فان كان
ماضيا كما رايناه يضبط القلم واعتمد عليه في الشرح الجديد وقال فاعله ضمير مستتر
عايد للنبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغ عن الله وذكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا بكر وعمر وعثمان وكانه لم يذكر عليا رضي الله عنه لعدم ادراكه خلافته لانه توفي في زمن
عثمان كما ذكروه ومراده الثنا عليهم رضي الله تعالى عنهم بما فعلوه وايدوا به الدين
الذي بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه ثم قال السلام عليك يا رسول الله
دعا له صلى الله عليه وسلم واصله سلمت سلاما فاقيم المصدر مقام فعله ثم عدل الى الرفع
وجعل مبتدا للدلالة على الثبوت ثم عرف ليدل على انفراق انواع السلام الذي يوجه
للانبيا وزيادة ومعناه السلامة من النقايص والتكريم والتشريف له بما يليق بجانبه كما
بينوه وخص وصف الرسالة بالذكر لانتفاع الامة بها الذي هو من جملتهم ورحمة الله

وبركاته

وبركاته والرحمة بمعنى الانعام والاحسان او ارادة ذلك وفيه دليل على جواز الدعا بالرحمة
للنبي صلى الله عليه وسلم خلافا لمن اباه لورودها في حديث الشهدا كما مر ويأتي بيانه ايضا
والبركات جمع بركة وهي الخير الالهي وكثرته قال الراغب اصل البركة صدر البعير وغيره وبرك
البعير التي بركه واعتبر فيه معنى اللزوم فقيل ابتركوا في الحرب وبركا القتال مكان يلزمه
الابطال وسمي محبس الماء بركة والبركة ثبوت الخير الالهي في الشي قال تعالى لفتحنا عليهم بركات
من السما والارض ولما كان الخير الالهي يصدر من حيث لا يحس على وجه لا يحصى ولا يحصر
قيل لكل من يشاهد منه زيادة غير محسوسة مبارك وفيه بركة ثم عاد ميتا كما كان قيل تكلمه حين
سجي وكفن فان قلت المقام والفصل معقود لذكر معجزاته صلى الله عليه وسلم باحياء الموتى
وانطاق من ليس من اهل النطق له وما في هذا الحديث ليس كذلك قلت هو من امته صلى
الله عليه وسلم وصحابته وكلامه بعد موته وكرامات الامة من جملة كراماته وقد يقال انه دليل
على ما قبله وموكد له لانه اذا كان في امته من يصدر عنه مثله فكيف لا يصدر عنه صلى الله عليه
وسلم **فصل** من معجزاته صلى الله عليه وسلم في ابرا المرضى جمع مريض كقتلى
وقتيل وابراوهم زوال مرضهم وحصول الشفا لهم واصل البرء والبراة والتبري التعصي
مما يكره ولذلك قيل بريت من المرض اذا خلصت منه وذوي العاهات جمع عاهة
وهي الافة ويقال عاة الزرع اذا اصابته العاهة والعاهة قد تخص بالامراض المزمنة
وقد لا تخص بها فتكون الامراض ما يعرض مما لم يزمن كالحميات ونحوها فتكون اتم فايدة
وهو المراد هنا فليس من عطف المرادين وتطلق العاهة على بعض الاعضا كالشلل
والعرج والعمى وقد يكون بعضها خلقي ايضا وهذا هو المعروف اخبرنا ابو الحسن
علي بن مسرف فيما اجازنيه وقراته على غيره تقدم الكلام على هذا وعلى معنى
الاجازة قال حدثنا ابو اسحاق الحبال بحا مهملة وموحدة مشددة كما تقدم في ترجمته
قال حدثنا ابو محمد بن النحاس بحا مهملة ايضا كما تقدم قال حدثنا ابن الورد عبد الله بن جعفر
محمد بن الورد بن نجويه راوي سيرة ابن هشام عن البرقي هو ابو سعيد عبد الرحيم بن
عبد الله بن عبد الرحيم بن ابي زرعة البغدادي الزهري مولاهم المعروف بابن البرقي نسبة
لبرقة اسم مكان عن ابن هشام ابو محمد عبد الملك بن هشام بن ايوب الامام الاديب النحوي
صاحب السير وهو حميري مغافري بصري وسكن مصر وتوفي بها سنة ثلاث عشرة
ومايتين وله تاليف نفيسة ككتاب الانساب وغريب اشعار السير وغيره كما فصله ابن خلكان
وفي تاريخ وفاته اختلاف عن زياد البكاي بفتح الموحدة وتشديد الكاف والمد وهو ربيعة
بن عامر بن صعصعة سمي البكاي لانه دخل على امه فراها تحت ابيه وهو صغير فخرج يصيح
ويقول ان ابي قتل امي توفي سنة ثلاث وثمانين ومائة وروى له اصحاب السنن وترجمته
في الميزان مفصلة عن محمد ابن اسحاق الامام صاحب المغازي والسير كما تقدم قال حدثنا
ابن شهاب محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب الزهري شيخ ابن اسحاق الامام
المشهور كما تقدم ووقع في بعض النسخ هنا ابن هشام وهو غلط من الناسخ كما في المقتفي
وعاصم بن عمر بن قتادة ابن النعمان الظفري الثقة امام رواة المغازي توفي سنة تسع او
سبع وعشرين او عشرين فقط ومائة اخرج له الستة وترجمته في الميزان وجماعة ذكرهم
فاعل ذكرهم لابن شهاب الزهري بقضية احد بطولها متعلق بذكرهم والبا بمعنى في وقضية

احد غزاتها وما وقع فيها قال قالوا اي الجماعة المذكورون الذين رووا هذا الحديث من طريق
ابن اسحاق التي اسندها المص عنهم ورواه البيهقي ايضا قال سعد بن ابي وقاص الصحابي المشهور
في قصة احد التي رواها بطولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني اي يعطيني بيده
وهو معنى المناولة ومنه النوال بمعنى العطية السهم الذي لا نصل له بفتح النون وسكون الضاد
المهملة قبل لام وهو حديدة في طرف السهم والرمح وفي بعض النسخ نضل بضاد معجمة بدل الصاد
البرهان والصحيح الاول والثاني لا يصح معناه ولا يستعمل قلت هو بعيد هنا رواية ودراية
كانه من تحريف النساخ الا ان معناه صحيح ايضا لان النضل رمي السهام فالمعنى انه ليس مما يرمى
به لانه لا نصل له فيؤول الى الرواية الاخرى وان كان لا وجه له هنا فيقول رسول الله صلى
الله عليه وسلم لسعد بن مناولته السهم له ارم به بكسر الهمزة والميم امر من الرمي والضمير للسهم
في الكلام مقدر اي فيرمي به ويقتل من اصابه سهمه معه مع انه لا نصل له ومثله لا يقتل عادة وهذه
معجزة له صلى الله عليه وسلم ولذا ذكره المص وان لم يكن محل الشاهد وقد رمى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يومئذ الى يوم احد عن قوسه يقال رمى عن قوسه وبقوسه لا قوسه حتى اندقت
اي انكسرت والقوس مونثة سماعية واصل معنى الدق الرض بجرم صلب واصيبت يومئذ
عين قتادة بن النعمان اصيبت مبني للمجهول اي اصابها سهم فاخرجها واذهبها وروي اصيب
بدون تانيث للتاويل بالعضو او للفاصل بينهما حتى وقعت عينه على وجنته الوجنة
اعلى الخد وما يلي العين من الوجه ويطلق على الخد كله فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده اي اعاد حدقة عينه التي سالت لمكانها فكانت العين المردودة بيده صلى الله عليه وسلم
احسن عينيه اي اجملهما واقواهما حسنا اي احسن من عينيه اللتين كانتا له قبل ما اصيب
وردت فلا يرد عليه ان الشي لا يكون احسن من نفسه وقوله اصيبت عينه ظاهره انما
اصيبت عين واحدة وهو كذلك عند الاكثر وروي عينيه اصيبتا فيكون من التعبير عن
العضوين المتفقين ذاتا وصفة واسما باحدهما وهو فصيح مشهور كما يقال نظر بعينه ومشى
بقدمه كما قرره النحاة وقالوا انه حقيقة مشهورة كما يقال نظر بعينه ومشى بقدمه كما قرره
النحاة وقالوا انه حقيقة مشهورة وروي ان عاصم بن عمر ابن قتادة وفد على عمر بن عبد العزيز
رضي الله تعالى عنه فقال له من انت فقال بديهة

انا ابن الذي سالت عن الخد عينه ... فردت بكف المصطفى ايما رد
فعادت كما كانت لاول امرها ... فيا حسن ما عين ويا حسن ما رد

فقال عمر

تلك المكارم لا عتيان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

وروي انه صلى الله عليه وسلم قال ان شئت رددتها لك وان شئت فاصبر ولك الجنة فقال
يا رسول الله ان الجنة لعطا جزيل جميل ولكني اكره العور فردها واسال الله لي الجنة فردها
ودعا له وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قسي اختلف اهل السير في عددها فقيل سبع وقيل
ست وهي الروحا والصفرا من نبع والبيضا من شرحط والزورا والكتوم سميت به لعدم
صوت لها والسدا ودرند المرفان لصوتها والتي انكسرت باحد هي الكتوم كما في الهدي النبوي
والكلام على قسيه صلى الله عليه وسلم ومن اين صارت وتوجيه تسميتها مذكور في السير
وشروحها وروي قصة قتادة صاحب القصة المذكور فيها رد العين عينه وهي قصة فيها

طول

طول اقتصر المص على محل الشاهد وذكره لها لما فيه من المعجزات ايضا ويزيد بن عمر بن قتادة
كذا في النسخ كما قاله البرهان الحلبي والصواب يزيد ابن عياض عن ابن عمر بن قتادة ففيه سقط
لان عاصما شيخ يزيد او سقط عن عاصم ويزيد بن عياض الليثي الحجازي حدث عن نافع الخ وكذا
وقع في نسخة على الصواب ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة وابو سعيد هو اخو قتادة
لامه وقتادة بن النعمان انصاري اوسي وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم بدرا واحدا
وغيرهما من المشاهد وكانت واقعة يوم احد وقيل يوم بدر وقيل يوم الخندق والصحيح
الاول كما قاله ابن عبد البر وقد اختلف كما مر هل قلعت عينه او عيناه والمشهور الاول ووقع
الثاني مصرحا به في بعض الروايات ايضا كما رواه ابو نعيم الاصبهاني ونقله السهيلي
وقال الدارقطني انه غريب تفرد به عمار بن نصر عن مالك وهو ثقة قال ابن حجر في شرح
الهمزية وهي زيادة ثقة فتقبل وترجح به رواية الثنتين وهو رد على من قال ان هذه
الرواية غلط وفيه نظر وقد اختلف ايضا هل انفصلت اولا فقيل انها بقيت معلقة وقيل
سقطت فاتى بها او بهما في كفه فقال له رسول الله ان شئت فاصبر ولك الجنة وان شئت
رددتها فقال يا رسول الله اني محب للنساء وعندي امراة احبها فاخشى ان تعذرني
فردها وادع الله لي بالجنة ففعل فكانت اقوى عينيه واحسنهما وتوفي وهو ابن خمس
وستين سنة سنة ثلاث وعشرين وصلى عليه عمر رضي الله عنهما وروى البيهقي انه صلى
الله عليه وسلم بصق على اثر سهم اي جعل ريقه وما فيه على جراحة في وجه ابي قتادة
الحارث ربعي الانصاري السلمي الصحابي توفي بالمدينة وهو ابن اربع وخمسين وقيل
ابن سبعين وفي وجه ظرف لغو متعلق بقوله بصق او مستقر حال او صفة لسهم في يوم
ذي قرد بقاف وراء مفتوحتين ودال مهملتين وروي بضمتين كجنك وهو اسم ما بينه
وبين المدينة مسافة يوم وليلتين من جهة خيبر والقرد الوبر والصوف الردي المتجعد
فسمي به لانه معاطن فيها او لكثرة طحلبه الشبيه به واليوم هنا بمعنى الزمن كما يقال ايام
العرب وقد تقدم ويقال ذو القرد معرفا وهي غزوة تسمى ايضا غزوة الغابة وكانت
قبل الحديبية وقيل بعدها ورده في الهدي النبوي والقرطبي في شرح مسلم وسببها انه كان
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاحا ترعى بالغابة فيها ابن ابي ذر وامراة من غفار فاغار
عليها عيينة بن حصن الفزاري في اربعين فارسا فاستاقوها وقتلوا ابن ابي ذر
وسبوا تركبت المراة ناقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على غفلة منهم ونذرت
ان نجت لتخبرنها فنجت فاخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا نذر
في معصية الله ولا لاحد فيما لا يملك وركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونودي
يا خليل الله اركبي وكان اول ما نودي به فادركهم في خمسماية وقيل سبعماية فاستنقذ منهم
عشرا وفروا بباقيها كما فصل في السير قال ابو قتادة فما ضرب الجرح واثر السهم
علي اي فيما المني ولا اوجعني ضربانه ولا سلط علي ضربانه من الضربان يقال ضرب
الدهر بمعنى الم ولا قاح اي سال منه قيح ومدة يقال قاح يقيح ويقيح والقيح صديد وهو
شي كالما اصفر يخالطه قليل دم وهذا حديث حسن صحيح رواه الترمذي والبيهقي
وروى النسائي والترمذي والحاكم والبيهقي وصححوه والنسائي بالهمزة نسبة لنسا
بلدة ويقال نسوي بالواو ايضا وهو ابو عبد الرحمن بن شعيب بن علي بن سنان الامام

المشهور صاحب السنن توفي سنة ثلاث وثلاثماية على الاصح وله ثمان وثمانون ولم يتاخر عن
الثلاث ماية من اصحاب السنن غيره عن عثمان بن حنيف بضم الحا المهملة ونون وفا مصغر
وهو اخو عباد وسهل ابنا وهب وله صحبة ورواية وروى عنه احمد واصحاب السنن وهو من
الاشراف ولي سواد العراق والبصرة وعاش الى زمن معاوية وسنقرر هذا الحديث قريبا
الا ان البرهان قال كان ينبغي للقاضي ان يذكر سنده ليعلم انه صحابي لئلا يتوهم ان النسائي
سمع منه ومثله سهل ان اعمى لم يذكروا اسمه قال يا رسول الله ادع الله لي ان يكشف عن بصري
المعنى ان يدعو له بان يصح بصره ويزيل الله عنه العما فعبر عنه بالكشف وهو ازالة الغطا فاما
ان يكون على بصره غشاوة وجلدة رقيقة طلب ازالتها او شبه عدم الروية بحجاب حايل بينه
وبين المبصرات والروية بازالته ففيه استعارة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرا له انطلق اي قسم من مجلسك هذا فتوضا اي امر بالوضو ثم صل ركعتين نافلة
وتسمى صلاة الحاجة ومنه اخذ ان كل من اهمه امر ينبغي له ويستحب ان يصلي قبل الدعاء
تقربا الى الله ثم قل اللهم اي يا الله والكلام عليه مشهورة ذكرناه في غير هذا المحل اني اسالك
واطلب منك حاجتي هذه واتوجه اليك اصل معنى التوجه المقابلة بالوجه فاريد الاخلاص
في القصد للدعا والتوسل بنبيك وفي بعض النسخ بنبي بالاضافة الى المتكلم محمد
نبي الرحمة بدل من نبيك او عطف بيان وقد تقدم معناه ثم التفت من خطابه لله تعالى الى
خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم لانه واسطة في كل ما يصل من الاحسان والفيض الالهي يا محمد
اني اتوجه بك الى ربك اي اتوسل بك فيما طلبته منه الله وهو ان يكشف عن بصري
حجابه المانع له عن الروية وفيه مقدر اي فدعا فابصر ونداوه صلى الله عليه وسلم
باسمه انما يحرم اذا كان بحضرته واذا لم يكن في دعا ماثور امر به كما هنا لقوله تعالى قل
اللهم الخ فان امتثال الامر هو عين الادب كما ذكره ابن حجر فما قيل ان نداه
صلى الله عليه وسلم باسمه لعله كان قبل علمه تحريمه او قبل تحريمه بقوله تعالى لا تجعلوا
دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا ليس بظاهر وعدل صلى الله عليه وسلم عن دعايه
له بامره ان يدعو لنفسه تعليما وارشادا لامته وتواضعا وتادبا مع الله تعالى وهذا الحديث
مسند صحيح اخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما وكان ابن حنيف وبنوه يعلمونه الناس
وقد حكوا الناس فيه حكايات فيها اجابة دعا من دعا به من غير تاخر وقد اخرجه
البرهان الحلبي من طرق متعددة فلم يبق فيه شبهة فاحفظه اللهم شفعه اي اقبل
شفاعته فيّ وهو يحتمل ان يريد شفاعته صلى الله عليه وسلم فيه في الدنيا برد بصره
او شفاعته له في الاخرة او ما يشملها وهذا اولى ومنه علم استحباب الدعا عقب الصلاة
وروي بالبنا للمجهول والراوي له الواقدي وابو نعيم عن عروة ان ابن ملاعب الاسنة
قال البرهان الحلبي ابن ملاعب الاسنة فهو عامر ابن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة
بن عامر بن صعصعة سمي ملاعب الاسنة جمع سنان وهو حديد في طرف الرمح يعد للطعن
ويقال له ملاعب الرماح سمي بذلك لانه في يوم سوبان بزنة طوفان وهو يوم كان
فيه بين قيس وتميم وقعة وكان اخوه طفيل بن مالك فارس قرزل وهو اسم فارس
له فرقي ذلك اليوم فقال فيه الشاعر

فررت واسلمت بن مالك عامرا ... يلاعب اطراف الوشيج المزعزع

فسمي

فسمي بذلك ملاعب الرماح وملاعب الاسنة وهو عم لبيد وهو ابو عامر وذكره بعضهم في الصحابة وقال
الذهبي الاصح انه لم يسلم لانه قدم المدينة وعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم الاسلام فلم
يسلم وهو عم لبيد بن ربيعة المسمى بربيعة المعترس **اصابه استسقا** اصل معناه طلب السقي
وهو اسم مرض معروف قال في الاساس سقي بطنه واستسقي وبه سقي بكسر السين وهو ان يقع
الما الاصفر في بطنه انتهى وهو مرض علاجه صعب لا يكاد ينجو من اصابه منه **فبعث الى النبي صلى
الله عليه وسلم** قاصدا يلتمس منه الدعا وان يشفيه الله ببركته وهذا يدل على انه اسلم بخلاف
كما مر **فاخذ** صلى الله عليه وسلم لما قص عليه قاصده امره **بيده** الشريفة **حثوة من الارض** بفتح
الحا المهملة وسكون المثلثة ويقال حثية بالياء وهو ملء يده او يديه وهي من التراب هنا **فتفل**
بفتح المثناة الفوقية والفا وفي نسخة بصق **عليها** اي الحثوة من ما فمه المبارك **فتفل**
اي حثوة التراب **رسوله** الذي ارسله للنبي صلى الله عليه وسلم **فاخذها متعجبا** مما اعطاه
وان مثله لا يداوي به الاستسقا بل يزيده لان مبداه سده في الجوف والتراب يزيدها كما يشاهد
ممن ياكل الطين **يرى** بفتح اليا وضمها اي يظن **ان قد هزي به** الضمير للرسول او لمرسله وهزي
بالبنا للمجهول ويجوز فيه بنا الفاعل ايضا **فاتاه بها** اي بالحثوة **وهو** اي ابن ملاعب
الاسنة على **شفا** بفتح الشين المعجمة والفا مقصور اي قريب من الموت واصل الشفا مكان متصل
بحفرة كالبير قال تعالى على شفا جرف هار ويجوز ان يراد به الكناية عن الموت ويراد بالحفرة
القبر والجملة حالية وبينه وبين قوله **فشربها فشفاه الله** تجنيس بديع اي وضعها في ماء
وشربها فشفاه الله ببركة النبي صلى الله عليه وسلم **وذكر العقيلي** بالتصغير وهو الامام
الحافظ ابو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد المكي صاحب كتاب الضعفا الذي رتبه
الهيثمي وهو ثقة جليل توفي سنة اثنين وعشرين وثلاثماية **عن حبيب بن فديك** حبيب
بفتح الحا المهملة وموحدتين بينهما يا مثناة تحتية وقيل انه بخا معجمة مضمومة وفديك
وقيل فويك بضم الفا ودال مهملة مفتوحة مصغر وكاف وقيل انه بواو بدل الدال
وقيل برا مهملة ذكره الذهبي في الصحابة وقيل انه حبيب بن عمرو بن فديك السلاماني
وقد اضطرب فيه وفي اسمه واخرج حديثه هذا البيهقي والطبراني وابن ابي شيبة في سنده
عن رجل من بني سلامان عن امه ان خالها حبيب بن فديك حدثها ان اباه خرج به الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعيناه مبيضتان فساله ما اصابه فقال كنت اقود جملا لي فوقعت رجلي
على بيض حية فاصبت في بصري فلا ابصر شيا والى بعض ما ذكر من الاختلاف في اسمه
اشار بقوله **ويقال فويك** بواو او برا بدل الدال **ان اباه ابيضت عيناه** لغشاوة عظمتهما
او هو عبارة عن العما **فكان لا يبصر بهما شيا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم**
بالمثلثة اي تفل ريقه **في عينيه فابصر** بهما وذهب عنه عماه في ساعته **فرايته
يدخل الخيط في الابرة** لقوة بصره وصحته **وهو ابن ثمانين سنة** وهو سن يضعف فيه بصر
مثله وان لم يعرض له عارض وليس في الحديث ان البياض لم يزل بعينه مع شدة نظره وقوته
وانه اعظم في المعجزة كما قيل لاحتمال ان البياض زال لسرعته ولم يصرح به لانه معلوم
ورمي بالبنا للمجهول **كلثوم بن الحصين** بضم الحا وفتح الصاد المهملتين ونون مصغر
حصن وهو ابو رهم الغفاري الصحابي وهو من اصحاب الشجرة وشهد احدا واستخلفه
رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح **يوم احد** لما وقع السهم في نحره وخشي الموت

من ماء وضع السهم **في كفه** اي مقدم صدره عند جبل الوريد الذي لا يعيش من جرح به **فبصق**
رسول الله صلي الله عليه وسلم فيه اي في كفه ومحل جراحته **فبرا** بفتحات وهمزة
مقصورة اخره ويقال برئ ايضا بزنة علم وضرب كما قاله ابن السكيت اي حصل له البرء من حينه
وهذا الحديث لم يخرجوه **و** روي الطبراني في حديث مسند انه صلي الله عليه وسلم **تفل**
بتاء مثناة وفاء ولام مفتوحات اي بصق **في بصق علي شجة عبد الله بن انيس** الشجة بفتح
الشين المعجمة والجيم المشددة جراحة صدرته في الوجه او الراس وقد تطلق عليه ما في غيرهما
من الجسد والمعروف الاول وانيس مصغر ابن اسعد بن حرام بن مالك ابن غنم بن كعب الجهني
الانصاري الصحابي شهد احدا وكان صلي الله عليه وسلم بعثه مع عبد الله بن رواحة ونفر من
الصحابة الي اسير بن زارم بخيبر لما جمع من غطفان لغزو رسول الله صلي الله عليه وسلم
فقالوا له اذا قدمت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم اكرمك فلم يزالوا به حتي حزح معهم
فحمله ابن انيس علي بعيره حتي اذا كانوا بالقرقرة بقرب خيبر ندم فقطن له ابن انيس وضربه
بسيفه فقطع رجله وضرب اليسير ابن انيس بعصاه فشجه فلما قدم علي رسول الله صلي الله
عليه وسلم نفل في شجته **فلم تمد** بضم المثناة الفوقية وكسر الميم وتشديد الدال المهملة المفتوحة
اي لم يبق فيها مدة وجع يقال امد الجرح اذا صارت فيه مدة وهي القيح كما في الصحاح
وغيره والمدة بكسر الميم **ونفل في عيني علي** ابن ابي طالب رضي الله تعالي عنه في حديث رواه
الشيخان عن سهل بن سعد **يوم خيبر وكان رمدا** بزنة حذر منصوب منونا اي به رمد
والرمد وجع العين **فاصبح باريا** اي صار بارئا في الحال لانه تاخر برؤه الي وقت الصباح
واصبح له معنيان هذا احدهما والحديث بتمامه في الصحيحين وغيرهما وفي دلايل البيهقي
عن بريدة كان رسول الله صلي الله عليه وسلم ربما احتبسه الحمي فيملك اليوم او اليومين
لا يخرج فلما نزل لخيبر احتبسته فلم يخرج فاخذ ابو بكر رضي الله تعالي عنه الراية وقاتل قتالا
شديدا ثم اخذها عمر رضي الله تعالي عنه وقاتل فلما خرج راجعا قال لا اعطينها غدا
رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتطاول الناس لذلك فاصبح وحا علي وقد
عصب عينيه فقال ادن الي ونفل في عينيه ففتحهما واعطاه الراية ورجي انه وضع راسه
في حجره ثم بصق في راحته وذلك بهما عينيه والحديث طويل والكلام عليه وعلي الاستدلال
به لتفضيل علي مشهور غير محتاج للبيان **و** في صحيح البخاري ان الله صلي الله عليه وسلم **نفث**
علي مزبه بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت من حينها والمزبة للساق لانها موضع
سماعا وللضربة وبرها بذهاب اثر الجراحة والتحامها **و** روي عبد بن حميد في تفسيره
انه صلي الله عليه وسلم **نفث في** جراحة **رجل زيد بن معاذ** اي جعل ريقه عليها
حين اصابها السيف الي اللعب حتي قتل ابن الاشرف فبرات رجله او جراحتها واعتمد من
البرهان الحلبي علي المصنف بان قصة كعب بن الاشرف مقررة في السير ورواها مسلم
في الجهاد كغيره وذكروا الجماعة الذين اشتركوا في قتله باسمائهم وليس فيهم من اسمه زيد
بن معاذ بل لا يعرف في الصحابة من اسمه زيد بن معاذ الا ان يكون نسبه الي احد الجداده والي
جد اعلي له وهو خلاف الظاهر والجرح الذي في راسه او رجله علي المشهور من الراوي
في قصة كعب انما هو للحارث بن اوس بن معاذ بن النعمان بن اخي سعد بن معاذ الاسهلي
وقد سمي البخاري الذين قتلوا كعبا وسمي منهم الحارث بن اوس بن سعد بن النعمان بن اخي

سعد

سعد بن معاذ الاشهلي وقد سمي البخاري الذين قتلوا كعبا وسمي منهم الحارث بن اوس بن سعد
بن النعمان وهو الذي تفل رسول الله صلى الله عليه وسلم على جرحه وقيل هو الحارث بن
اوس بن النعمان وقيل هما واحد وقال التلمساني ان العزيزي نقل في تفسيره في سورة الحشر
ما ذكره المص بعينه وقال انه زيد بن معاذ وهو ابن اخي سعد بن معاذ فالمص لم يقل ما قالوا الا عن
تحقيق وقع له ولا يخفى ما فيه فانه مصادم للنقول الصريحة ومثله لا يقال بسلامة الامير وكعب
بن الاشرف بزنة افعل التفضيل من الشرف يهودي من بني نبهان وقصته كما في السير انه لما اصيب
اصحاب القليب من كفار قريش وبلغه الخبر قال ان كان محمد اصاب هولاء لبطن الارض خير
من ظهرها فلما تحقق الخبر خرج لمكة يحرض الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبكي اصحاب
القليب ويرثيهم بشعره تارة وتارة بشيب نساء المسلمين حتى اذاهم فقال صلى الله عليه وسلم
من لابن الاشرف فانه اذى الله ورسوله فقال محمد بن سلمة اخو بني عبد الاشهل انا لك به يا رسول
الله قال فافعل ان قدرت فرجع واقام ثلاثا لا ياكل الطعام ولا يشرب فقال له صلى الله عليه
وسلم لم تركت الطعام والشراب قال قلت قولا لا ادري افي به ام لا قال عليك الجهد فقال لا بد ان
تقول فقال صلى الله عليه وسلم قولوا ما بدا لكم فانتم في حل من ذلك فاجتمع في قتله محمد بن
مسلمة وسلكان بن سلامة ابو نايلة الاشهلي وكانا اخا ابن الاشرف من الرضاعة وعباد بن
بشر وقيس وابو عبس بن جبير ثم قدموا الى عدو الله فتقدم ابن سلامة رضيعه وتحدث
معه وناشده الاشعار وكان شاعرا ثم قال له ويحك يا ابن الاشرف اني جيتك لحاجة اذكرها
لك فاكتمها قال كان قدوم هذا الرجل علينا من البلاء عادتنا العرب ورمتنا عن قوس واحدة
وانقطعت عنا السبل حتى ضاعت العيال وجهدت الانفس فقال كعب قد اخبرتك ان الامر
سيصير لما اقول فقال انا لا نحب ان ندعه حتى ننظر لم يصر شانه واني قد جيتك استسلفك
وقال الدمياطي الذي تحدث معه ابو نايلة وهو الذي نزل له كعب من حصنه فلما استسلفه
وقال له نرهنك ما تثق به قال ارهنوا ابناءكم ونساءكم قال اردت ان تفضحنا فانتا شب اهل
يثرب واعطرهم ولكن نرهنك الحلقة والسلاح فقال ان فيها لوفا وان اراد ان لا ينكر مجيئهم
مسلحين ولي اصحاب جاؤا لذلك فرجع الى اصحابه وامرهم ان ياخذوا السلاح ويجتمعوا اليه
فلما فعلوا شيعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البقيع في ليلة مقمرة فلما انتهوا الى حصنه
هتف به ابو نايلة وكان كعب حديث عهد فقالت له امراته انك رجل محارب لا ينبغي لك الخروج
في مثل هذا الوقت وان في الصوت لسوا وانه صوت يقطر منه الدم فقال ان الكريم لو دعي لطعنة
ليلا اجاب والبلاء موطئ بالمنطق فقال لها انه ابو نايلة لو وجدني نايما ما ايقظني وبرز لهم
في ملحفة فتحدثوا معه ثم قالوا نمشي لشعب العجوز نتحدث بقية ليلتنا قال ان شئتم فتماشوا ساعة
ثم وضع ابو نايلة يده على راسه ثم شمها وقال ما رايت كالليلة طيبا اعطر من هذا ثم تماشى ساعة
وفعل مثل ذلك ثم اخذ نفود راسه وقال اضربوا عدو الله فصاح صيحة اشرف عليه اهل الحصون
فلما قتلوه اتوا براسه ويقال انها اول راس ابي عزة الجمحي وقيل راس عمرو بن الحمق فاصاب
الحارث بن اوس سيف من اصحابه برجله فابطا عليهم ثم اتاهم يتحامل فحملوه اخر الليل واتوا به
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فاخبروه بقتله وجراحة صاحبهم فتفل على جراحته كما
ذكره المص على ما فيه وفي هذه المسئلة القصة اشكال مشهور وهو انهم تكلموا في حقه صلى الله عليه وسلم
بما لا يجوز مما ظاهره ومثله كفر ولا اكراه فيه وقد اجاب عنه الفقها وغيرهم انه لم يقصد ظاهره

وهو من المعاريض التي تجوز للمصلحة واذا تاملت ما قالوه وجدته يحتمل المدح وقد اذن لهم النبي
صلى الله عليه وسلم فيه وسياتي تفصيله في محله اخر الكتاب ان شاء الله تعالى وفي قوله الى
الكعب نكتة يعني ان صدمة السيف امتدت الى ان وصلت الى كعبه وكان قصد تجنيسا لان ابن الاشرف
اسمه كعب كما علمت فكانه قال جرح الى الكعب في قصة كعب وعلي كل حال فكلامنا فيه ما فيه
قاتل و نفث علي ساق علي بن الحكم يوم الخندق علي هذا صحابي وهو اخو معاوية ابن الحكم
السلمي وهذا الحديث اخرجه ابو القاسم البغوي في معجمه كما قاله السيوطي ويوم الخندق هذا
كان في غزوة الاحزاب سمي به لان سلمان رضي الله تعالى عنه اشار علي النبي صلى الله عليه
وسلم بحفر خندق حول المدينة ولم تكن العرب تعرف ذلك وانما كان يفعله ملوك الفرس قال الطبري
انا اول من عمله موسى بن ايدح بن فرندود وهم يزعمون انه فرندود بن اسحاق واكثرهم علي
خلافة وخندق معرب كندو ومعناه الحفر وهو في الالفاظ الاسلامية اذا انكسرت اي ساقه
لانها مؤنثة وهي ما بين القدم والركبة فبرئ اي صح وزال ما به من الكسر ويقال ترب كعلم
وبرا كضرب واخره همزة مضمونة مكانه بالنصب على الظرفية اي كائنا في مكانه وسرجه الذي
ركب عليه وما نزل عن فرسه الذي كان عليه لما جاءه يستشفيه قال ابو القاسم البغوي باسناده
عن معاوية بن الحكم عن ابيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فاترى اخي علي ابن الحكم فرسا
له الخندق فاصاب رجله جدار الخندق فدقها فاتي النبي صلى الله عليه وسلم وما نزل عن فرسه
فمسحها له وقال بسم الله فما اذاه شيء منها وقد عده ابن حاتم البغوي في الثقات وروي
البيهقي في الدلائل عن علي كرم الله وجهه قال اشتكي علي ابي طالب اي مرض مرضا
والمرض يسمي شكاة فجاء يدعو الله لما صح كما سياتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لما سمعه اللهم اشفه او عافه شك من الراوي في اللفظ والمعني واحد ثم ضربه
برجله ليقوم من مضجعه وقام وما اشتكي ذلك الوجع بعد مبني علي الشر اي ضربه
ضربه او دعا به او هما ولفظ البيهقي عنه عبد الله بن سلمة قال سمعت عليا رضي الله عنه
يقول اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا شاك اقول اللهم ان كان اجلي قد حضر فاريحني
وان كان متاخرا فاشفني وان كان بلاء فصبرني فضربني برجله وقال كيف قلت فاعدت
عليه فقال اللهم اشفه او قال اللهم عافه قال علي فما اشتكيت وجعي ذلك بعد وقطع ابو
جهل يوم بدر اعترض علي المم بالميم المعروف العاقطع عكرمة ابن ابي جهل لاهو وانا المقطوع
معاذ بن عمرو بن الجموح حين ضرب اباه وقد نقلها ابن سيد الناس عن المم بمعوذ بضم
الميم وفتح العين المهملتين وتشديد الواو المكسورة وتفتح وذاله معجمة بن عفرا بفتح
وفاسكنة وراء مهملة ومدة اسم امه وهو من جملة شهداء بدر وهم اربعة عشر ومعوذ بن الحارث
بن رفاعة النجاري الانصاري وعفرا بنت عبيد بن ثعلبة النجارية وعرف بامه وهو واخوه
معاذ وعوف شهدوا بدرا فاستشهد عوف ومعوذ بها وبقي معاذ بن عفرا الي زمن عثمان
رضي الله تعالى عنه والذي في سيرة ابن سيد الناس معاذ بن عفرا قتل ابا جهل فضربه ابنه
عكرمة علي عاتقه وطرح يده وتعلقت بجلدة من جنبه واحمضه القتال فقاتل يومه وهو
يسحب يده خلفه فلما اذته وضع عليها قدمه فقطعها فجاء بيده فبصق عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم والصقها فلصقت كما كانت في مكانها ببركته وبركة ريقه الشريف الذي
تفله عليها وهذا لا ينافي كونه فعل الله تعالى ولا حاجة لذكر مثله رواه ابن وهب

وقد علمت

وقد علمت ما يخالفه مما رواه ابن اسحاق وصححه ابن سيد الناس والمص في غير هذا الكتاب
وقيل ابن وهب لا شك في جلالته فما رواه لا يخالف ما قاله ابن اسحاق لجواز كون معاذ
قطعت يده ايضا وعكرمة قطع يد اخيه معاذا وبوجهل نفسه قطع يد معوذ والصقها له رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قتل وهذا من غير نقل صريح لا يقبل مثله بمجرد الاحتمال فلا ينبغي
ذكره من غير ست ومن روايته اي رواية ابن وهب التي رواها ابن اسحاق والبيهقي عنه كما
نقله السيوطي ايضا كرواية الاولى ان خبيب بالتصغير وخا معجمة وموحدتين تصغير خب
وهو المغفل ابن سياق بكسر الياء اخر الحروف وسين مهملة والف وقاف ويقال اساف بهمزة مكسورة
اصيب بالبنا للمجهول اي اصابته ضربة سيف يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بضربة على عاتقه وكتفه حتى مال شقه الذي اصابته الضربة بقطع يده وانفصالها عن
عاتقه من غير انفصالها فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم اي رد عضوه الى مكانه الذي
كان فيه ونفث عليه حتى صح اي التام وعاد كما كان فيه ويساف هو ابن عيينة بن عمرو الخزرجي
شهد ابنه خبيب بدرا واحدا وكان بالمدينة حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وتاخر
اسلامه حتى سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر فلحقه واسلم وشهد بدرا فضربه
رجل على عاتقه يومئذ فمال شقه فاتاه صلى الله عليه وسلم فتفل عليه ورده فالتام
فانطلق وقتل الذي ضربه وتزوج ابنته بعد ذلك فكانت تقول لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح
يعني الضربة التي في محل الوشاح فيقول لا عدمت رجلا عجل اباك الى النار والى ذلك
اشار المص بما ذكر وروى ابن ابي شيبة عن ام جندب انه صلى الله عليه وسلم اتته امراة
من خثعم بخا معجمة ومثلثة وعين مهملة وميم بزنة جعفر اسم جبل واسم قبيلة نزلت عنده
منها هذه المراة لانها كانت نازلة بالجبل كما توهم معها صبي وهو ابنها به بلاء وهو ما يبتلى
به الناس وفسره لا يتكلم فان كان بمعنى لا يقدر على الكلام فبلاؤه انه كان اخرس او ابكم
وان كان بمعنى انه به ذهول وعدم عقل للكلام فهو مستانف وهذا هو المراد كما سياتي
فاتي به بما بالبنا للمجهول اي امر من ياتيه بما في اناه فاتاه به فمضمض فاه مضمض متعد
وفا مفعول والمضمضة ادارة الما في الفم فذكر الفم بعده تجريد اذ لا هو لازم ضمن
معنى غسل وغسل يديه بذلك الما اعطاها اياه اي اعطا المراة ذلك الما الذي رده في
انايه بعد المضمضة وغسل اليدين منه وامرها بسقيه اي امر المراة بان تسقي الصبي من
ذلك الما ومس به مصدر مضاف للمفعول اي مسحه بالما ف لما فعلت ما امرها به برا
الغلام وعقل عقلا يفضل بزنة يقعد ويرقد عقول الناس اي يزيد على عقول الناس
الذين من امثاله وهذا الحديث رواه احمد في مسنده بسند متصل بابن عباس قال ان امراة
جات بولدها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله ان به لمما اي جنونا
ياخذه عند طعامنا فيفسده علينا قال فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره ودعا
له فتع تعة اي تقيا فخرج من فيه مثل الجرو وهو الكلب الصغير جدا وفي كون هذه القصة
ما ذكره القاضي بعينه نظر لما بينهما من الخلاف مع احتمال تعدد القضا وهو الظاهر فلا
وجه لجعلهما قصة واحدة بل هذه التي رواها احمد والبيهقي وابن ابي شيبة ما اشار اليه
المص بقوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما جات امراة بابن لها به جنون فمسح صلى الله
عليه وسلم صدره بيده المباركة الشريفة فتع تعة بفتح المثلثة وتشديد العين

المهملة اي قاء مرة واحدة كذا قاله اهل اللغة وقال وقال بعض اهل بمعني سعل وروي
الحديث من طرق متعددة فخرج من جوفه وبطنه مثل الجرو الاسود بجيم مثلثة وراء مهملة
ساكنة وواو وهو الصغير من اولاد الكلاب والسباع ويطلق علي صغار الحنظل والقثا ايضا
وهو محتمل هنا وجمعه اجرو كادل بكسر آخره وحذف الواو بعد قلبها يا فشفي بالبنا للمجهول
اي شفاه الله وفي حديث رواه البيهقي والنسائي والطيالسي مسندا مصححا فيه انه انكفات
انكفات بنون وكاف وفا او همزة مفتوحة بعدها تا تانيث ساكنة اي انقلبت القدر
التي يطبخ فيها اي وقع ما فيها من طعام حار كالنار المحترقة علي ذراع محمد بن
حاطب بن الحارث بن معمي القرشي الجمحي الصحابي الذي ولد بالحبشة وهو اول من
سمي محمدا في الاسلام وحاطب بزنة فاعل وطا مهملتين وموحدة علم منقول من جامع
الحطب وسمي به لذلك وهو طفل صغير والجملة حالية وفيه تقدير اي فحرق ذراعه
فمسح عليه اي انه صلي الله عليه وسلم مسح ذراعه محمد او علي محمد نفسه وفعاله
ونفل عليه اي نفخ نفخا فيه ريقه الشريف وفي نسخة ونفل فيه فبرا لحينه من غير بطيء
ومثله يكون في ايام عديدة ومحمد بن حاطب هذا صحابي توفي عام اربع وسبعين بمكة
وقيل بالكوفة وفي حديث رواه الطبراني والبيهقي مسندا كانت في كف شرحبيل بضم الشين
المعجمة وفتح الرا وسكون الحا المهملتين وموحدة مكسورة ومثناة تحتية ساكنة ولام
قال ابن السيد في شرح ادب الكاتب عن الاصمعي شرحبيل اعجمي وكذا شراحيل وايل معناه
الله ومعني شراحيل وديعة الله عند اهل اليمن وراي اكثر البصريين خلافه بل شرحبيل
كقذعميل وشراحيل كسراويل جمع سمي به او بزنة الجمع انتهي وهو عند سيبويه اسم عربي
غير منصرف الجعفي بضم الجيم نسبة للجعفة مكان معروف وشرحبيل صحابي ذكره
الذهبي سلعة بكسر السين وسكون اللام وعين مهملة زيادة بين الجلد واللحم كالغدة
وفيها لغات فتفتح سينها مع سكون اللام وفتحها ويقال سلعة بزنة عنبة وقول البرهان
هنا من فتح اراد الشجة لا وجه له فانها لغة والكل بمعني ولا ينافي كون السلعة بمعني
الشجة كما في القاموس والسلعة المتاع الذي يباع ايضا تمنعه اي تلك السلعة لكونها
في داخل كفه القبض علي السيف وعنان الدابة بكسر العين المهملة وهو ما يقاد به
الفرس ونحوه فشكاها اصله شكي منها لضررها له للنبي صلي الله عليه وسلم
فما زال يطبخها حتي يدير كفه الشريفة عليها بقوة كما تدور الرحا وهو بفتح الحاء
ونون كسال يسال حتي رفعها اي حتي ازالها من كفه ولم يبق لها اثر في كفه يضره
ويمنعه ففي قوله يطبخها استعارة وفي حديث رواه الطبراني عن ابي امامة رضي الله
تعالي عنه انه صلي الله عليه وسلم سال جاريته اي امراة صغيرة السن او خادمة لبعض
اهل المدينة وهو ياكل جملة حالية اي حال تناوله من طعامه فناولها اي اعطاها
كان بين يديه وكانت الجارية قليلة الحيا من الناس لوقاحتها فقالت الجارية له صلي
الله عليه وسلم انما اريد بسوالي ان تناولني من الذي وصفته من الطعام في فيك وقصدت
التبرك والتلذذ بما فيه ريقه الشريف لكن فيه من ترك الادب ما لا يخفي فناولها
ما في فيه ولم يحبها ويردها بعنفه ولم يكن صلي الله عليه وسلم يسال بالبنا للمفعول
اي يساله احد شيا فيمنعه بالنصب في جواب النفي فلما استقر الطعام الذي ناولها

من بين يديه اي طعامه صلي الله عليه وسلم الذي صح

مما فيه

من فيه في جوفها القي بالبنا للمفعول اي القي الله عليها من الحيا بالمد واما بالقصر فهو المطر
ما لم تكن امراة بالمدينة اشد حيا منها اي حيا لم يكن في امراة غيرها لشدته ببركته صلى الله
عليه وسلم فما موصولة او موصوفة في محل رفع نايب فاعل القي والجملة صلة او صفة بتقدير
العايد ما لم يكن به اي بسببه وذكر هذا لان قلة الحيا من الفايقات النفسية والجبلة الخبيثة
التي يصعب زوالها فمناسبته الحديث ظاهرة هنا وفي هذا الباب من امثالها ذكر احاديث
كثيرة من ارادها فعليه بالنظر في مطولات كتب الحديث فصل في اجابة دعايه
صلى الله عليه وسلم اي دعايه للناس وعليهم وهذا الامر المذكور هنا او الاجابة
وذكرها رعاية للخبر في قوله باب واسع جدا بكسر الجيم منصوب على المصدرية فهو
في الاصل ضد الهزل ثم استعمل في معنى الزيادة المفرطة المخففة هنا وهو ظاهر واجابة
دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة اي لاجل ناس استحقوا ذلك سوا كان ذلك لهم
او عليهم كما اشار اليه بقوله دعا لهم وعليهم فان دعا اذا تعدى باللام كان للنفع لانه
اوصل لهم بدعايه ما ينفعهم واذا تعدى بعلى كان للضرر كانه انزل عليهم البلا وصبه عليهم
وهذا مخصوص بلفظ دعا الا ترى صلى الله على محمد فانه تعدى بعلى للرحمة لما فيه
من الحنو والشفقة قيل انما اعاده بلفظ الافراد دون الجمع المعنوي كدعايه كما تقدم
لارادة التنصيص على ما وقع منه فردا فردا فالاول على الاجمال المطلق والثاني على الاجمال
التشخيص وقد ادرج شيا مما عقد له هذا الفصل في الفصل الذي قبله انتهى متواتر على
الجملة اي متواتر تواترا معنويا باعتبار معناه الاجمالي وان لم تواتر افراده معلوم ضرورة
اي بعلم ضروري غير محتاج لدليل وقد جاء اي ورد في حديث رواه احمد ابن حنبل
في حديث حذيفة بن اليمان الصحابي المشهور كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا دعا لرجل
ادركت اي وصلت واثرت دعوته المستجابة له ولده وولد ولده فوصل اثرها لهم وظهر فيهم
ثم استشهد لما ذكره بقوله فيما رواه من حديث الصحيحين عن انس رضي الله تعالى عنه
حدثنا ابو محمد العتابي هو بفتح العين المهملة وتشديد المثناة الفوقية نسبة لعتاب كما
تقدم بقراتي عليه من صحيح البخاري حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد الذي تقدمت
ترجمته وتقدم ويأتي انه يجوز التكني بابي القاسم على الصحيح من ان النهي مخصوص بعصره
صلى الله عليه وسلم او بالجمع بين الاسم والكنية قال حدثنا ابو الحسن القابسي الحافظ
السابق ترجمته قال حدثنا ابو زيد المروزي نسبة لمرو كما تقدم قال حدثنا محمد بن يوسف
العنبري كما تقدم قال حدثنا محمد ابن اسماعيل الامام البخاري قال حدثنا عبد الله بن ابي
الاسود واسمه حميد البصري الحافظ روى عنه البخاري وغيره وتوفي سنة ثلاث وعشرين
ومايتين وترجمته في الميزان قال حدثنا حرمي بفتح الحا والرا المهملتين وهو حرمي بن عمارة
بن ابي حفصة العتكي توفي سنة احدى ومايتين قال حدثنا شعبة عن قتادة عن انس تقدم
تراجم هولا كلهم قال انس رضي الله عنه قالت امي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
واسم امه رميلة الرميصا وهي انصارية صحابية وهي ام سليم يا رسول الله خادمك انس
بن مالك بن ضمضم بن زيد الانصاري النجاري وكنيته ابو حمزة وكان لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة صغيرا فخدمه وشهد معه المشاهد وفي عمره اختلاف والاصح
انه عمر ثمانية الاسنة وقيل احدى وتسعين وقيل ماية وعشرين وقال النووي

الاصح انه جاوز المائة ومات بمكان يسمى الطف على فرسخين من البصرة ودفن به وقيل انه
اخر من مات بالبصرة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقال ابن عبد البر لا اعلم احدا مات بعده
غير ابي الطفيل وخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مدة اقامته بالمدينة وروي عنه كثيرا
فروي عنه الفي حديث ومائتين وستة وثمانين حديثا ادع الله له ولم تعين الدعوة بل فوضتها
له صلى الله عليه وسلم قال اللهم اكثر ماله وولده اي اكثر وكثر بمعنى وبارك له فيما اتيته
اي فيما اعطيته من المال والولد فاجاب الله تعالى دعوته حتى مات له في الطاعون الجارف
من نسله سبعون ولدا قيل وفي هذا دليل على فضل الغني على الفقير وارتضوا ان الغني
الشاكر خير من غيره والفقير الصابر خير من غيره والظاهر انه يتفاوت بحسب الناس كما
ورد في الحديث القدسي ان من عبادي لا يصلحه الا الغنا وان من عبادي من لا يصلحه الا
الفقر ودعا له صلى الله عليه وسلم بالبركة لان من بورك له فيما اوتي لم يكن فيه ضرر ولا
تقصير في الحقوق وهو غني محمود ومن رواية عكرمة عن انس كما اخرجه مسلم قال
انس فوالله ان مالي لكثير ببركة دعايه صلى الله عليه وسلم وان ولدي وولد ولدي
لكثير لما مر ليعادون اليوم المراد باليوم الزمن الحاضر مطلقا ويعادون بضم اليا
المثناة التحتية وفتح العين المهملة المخففة والف بعدها دال مشددة وواو جماعة ونون
اي يزيدون على نحو المائة وهو مفاعلة من العدد وروي في الصحيحين وغيرهما ليتعادون
بزيادة تاء فوقية والمعنى واحد وقد وقع في نسخ الشفا بالروايتين ايضا وفي الاساس
بنو فلان يتعادون على بني فلان اي يزيدون انتهى كان بعضهم يعد بعضا ثم عبر به عما
ذكر واقحم نحو والمعنى انهم يزيدون على ما يقرب من المائة اقتصارا على المتيقن المتحقق
وفي رواية قالوا هذه الرواية لا يعرف من رواها وما اعلم احدا اصاب اي وجد عنده
من رخا العيش اصل الرخا بفتح الرا المهملة وخا معجمة ومد بمعنى اللين ثم استعير للسعة
والعيش بمعنى المعيشة ما اصبت اي كالذي اصبته والقد جواب قسم مقدر وقد هنا
للتحقيق وكثيرا ما يقترن بها جواب القسم دفنت بيدي بالتثنية هاتين اشارة لبديه
ليبين انه على ظاهره وحقيقته في الجارحة لا بمعنى القدرة والتصرف مائة من ولدي
ثم بين ان المراد بالولد اولاده الكبار لصلبه فقال لا اقول ان الولد كان سقطا بتثليث
السين المهملة وهو ما سقط من بطن امه قبل مدة تمام حمله واوان ولادته ولا ولد ولد
نفاه لان الولد قد يطلق عليه مجازا وعلى ما يشمل الولد الصلبي وغيره بعموم المجاز وهو
منصوب بمقدر اي لا اقول دفنت سقطا الخ والجملة مقول القول وحديث انس هذا
صحيح روي من طرق مختلفة في الفاظها اختلاف يحتاج للتوفيق ان لم تكن القصة متعددة
وفي الوفا لابن الجوزي انه صلى الله عليه وسلم قال في دعايه له واطل حياته وان انسا
قال فاكثر الله مالي حتى ان لي كرما يحمل في السنة مرتين وولد لصلبي مائة وستة وفي مسلم
انه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا وما هو الا انا وامي وام حرام خالتي
فقالت امي يا رسول الله خويدمك انس ادع الله له فدعا لي بكل خير وكان في اخر ما دعا
لي اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيه وفيه ايضا جات امي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقد ازرتني بنصف خمارها وردتني بنصفه فقال هذا ابني اتيتك به يخدمك
فدعا له وفيه انه صلى الله عليه وسلم مر بامي فسمعت صوته فقيل يجوز ان يكون مر

فعرفت

فعرفت صوته فدعته لدخول دارها فدخلها **تنبيه** قال ابن قتيبة ان ثلاثة
من اهل البصرة رزق كل منهم ماية ولد صلبي انس وابو بكرة وخليفة بن بدر وفي تاريخ
ابن خلكان ان تميم بن المعتز باديس خلف ماية ذكر وستين انثى **ومنه** ان من دعايه صلى الله
عليه وسلم كما رواه البيهقي **دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف** الصحابي احد العشرة المبشرين
بالجنة وهو من اغنيا الصحابة رضي الله تعالى عنهم وترجمته معروفة **بالبركة** اي بان يبارك
الله تعالى له فيما رزقه **قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا** من مكانه بيدي **لرجوت** ببركة دعائه
صلى الله عليه وسلم **ان اصيب** واحد **تحته ذهبا وفتح الله عليه** اي يسر له امور الدنيا
بسهولة وتقدم ان اصل الفتح ازالة الاغلاق والاشكال قال تعالى فتحنا عليهم ابواب كل شي
اي وسعنا عليهم باقبال انواع الخيرات عليهم وهذا ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم
له فانه لما قدم المدينة اخا بينه وبين سعد بن الربيع وتعاطى التجارة فرزقه الله تعالى
مالا كثيرا **ومات** في سنة احدى وثلاثين وقيل اثنين وثلاثين وهو ابن خمس او ثلاث
او اثنين وسبعين سنة ودفن بالبقيع **فحفر الذهب من تركته بالفؤوس** الحفر معروف
وهو في الاصل اخراج تراب الارض قيل المراد به هنا قطعه لانه في صدر الاسلام
لم يكن تضرب الدنانير وانما كانت تاتي من غير ديارهم وتجعل الذهب والفضة بسايك
وقطع توزن فكان عنده منها قطع كثيرة لما اريد قسمتها كسرت والتركة بفتح اوله وكسر
ثانيه ما تركه الميت خالصا من حق الغير والفؤوس بضم الفا والهمزة تليها واو ساكنة بوزن
كوس جمع فاس بفتح همزة ساكنة وتبدل الفا **حتى محلت فيه الايدي** بفتح الميم والجيم ويجوز
كسرها وفي اخره لام وتا تانيث وضمير فيه للحفر المعلوم مما قبله والمحل تغير يكون في اليد
من كثرة العمل حتى خرج في ايديهم نفاطات وجراحات من كثرة عملهم **واخذت كل زوجة**
واحدة من زوجاته **ثمانين الفا** لم يبين هل هي ذهب او فضة وهل هي مثاقيل او دراهم
الا انه وقع التصريح في رواية بانها دراهم والعادة ان يعد الذهب بالمثاقيل والفضة
بالدراهم **وكن** اي زوجاته التي مات عنهن وورثته **اربعا** من النسوة **وقيل**
ان نصيب كل واحدة من هولا الزوجات الاربع **ماية الف وقيل بل صولحت** بالبنا للمجهول
احداهن اي صالحها بعض ورثته بعد موته على طريق الخارج من التركة **لانه طلقها**
في مرضه الذي مات فيه والمطلقة في مرض الموت ترث اذا مات وهي في العدة ولم يكن
الطلاق يطلب منها بشروط مفصلة في كتب الفقه وهو مذهب ابي حنيفة رضي الله
تعالى عنه وخالفه في ذلك الشافعي في احد قوليه وذهب الى كل من المذهبين كثير
من الصحابة كما فصل في كتب الفقه وليس هذا محله **على نيف** بفتح النون وتشديد الياء
المكسورة بوزن كيس وهو كل ما زاد على عقد الى ان يبلغ ما فوقه من العقود من
مناف بمعنى زاد ويجوز تخفيفه **وثمانين الفا** من الدنانير **واوصى بخمسين الفا**
من الدنانير كما ذكر الطبري في الرياض النضرة قال اوصى عبد الرحمن بن عوف بخمسين
دينار في سبيل الله واوصى بحديقة لامهات المومنين فبيعت باربعماية الف واوصى
لمن بقي من اهل بدر لكل رجل باربعماية دينار وبالف فرس في سبيل الله وهذا كله **بعد**
صدقاته الفاشية اي الظاهرة المشهورة من فشى الشر اذا شاع **في حياته وعوارفه**
العظيمة جمع عارفة جمع وهي ما يعتاد من الاحسان والعطايا يجعل المعروف عارفا

مبالغة وتمليحا وهو من لطايفهم المشهورة ثم اشار الي شي مما ذكر فقال اعتق يوما ثلاثين
عبدا وتصدق يوما بعير بكسر العين المهملة وهي الجمال التي تحمل الميرة اسم جمع لا واحد
له وقد يقال لكل ما تحمل الميرة من الابل وغيرها والمراد الاول لقوله فيها سبعماية بعير
وردت عليه اي جاته مع قافلة للتجارة ارسلها تحمل من كل شي اي عليها احمال من امور
مختلفة كالبر والتمر والثياب والاستغراق عرفي اي من كل ما عهد حمله للتجارة فتصدق بها
اي بالابل وبما عليها من طعام وغيره باقتابها جمع قتب بفتحتين ويجوز اسكان ثانيه وهو
اكاف صغير يوضع علي سنام البعير ليقيه من الاذي وباحلاسها جمع حلس بكسر الحا المهملة
وسكون اللام وسين مهملة وهو كسا يوضع تحت الاكاف علي ظهر البعير وهذا قليل مما
ذكر في مناقب ابن عوف وصدقاته فانه لا يعد ولا يحصي وكان اهل المدينة عيالا عليه يصلهم
دايما ويقضي ديونهم ويقوم بمؤنة فقرايهم وليس هذا محل تفصيله ودعا صلي الله
عليه وسلم لمعاوية بن ابي سفيان رضي الله تعالي عنهما بالتمكن في البلاد التمكن
تفعل من المكان والمراد به القدرة علي التصرف فيها يقال مكنته ومكنت له فقال تعالي ولقد
مكناكم في الارض فنال الخلافة اي صار خليفة وسلطانا مالكا للبلاد بدعايه صلي الله
عليه وسلم وهو اشارة الي حديث رواه ابن سعد فيه انه قال له اللهم علمه الكتاب ومكن له
في البلاد وقه العذاب ومعاوية رضي الله تعالي عنه اسلم هو وابوه وامه هند واخوه
يزيد في فتح مكة وقال معاوية انه اسلم في يوم الحديبية وكتم اسلامه عن ابويه وشهد مع
رسول الله صلي الله عليه وسلم حنينا فاعطاه من غنايم هوازن اربعين اوقية ولما بعث ابو
بكر رضي الله تعالي عنه الجيش الي الشام سار هو واخوه يزيد معهم فاستخلفه ابو بكر
علي دمشق ثم اقره عمر عليها ثم اقره عثمان ممن كان معه ممن باشر قتله وجري بينهما
ما جري في وقعة صفين مما ينبغي الكف عنه وقال صلي الله عليه وسلم لمعاوية اللهم اجعله
هاديا مهديا وورد في فضايله احاديث اخر فكان في اول امره اميرا لابي بكر وعمر وعثمان
رضي الله تعالي عنهم فلما قتل عثمان استقر مكانه ولم يمتثل امر علي كرم الله وجهه لاجتهاد
اداه لذلك فلما قتل علي واستخلفه ابنه الحسن رضي الله تعالي عنه سار معاوية الي العراق
وسار اليه الحسن ثم راي ان الخطب عظيم تراق فيه دماء المسلمين فسلم الامر الي معاوية
باختيار منه فرجع الي المدينة فتسلم منه معاوية الخلافة وتوفي واتي الكوفة فبايعه الناس
واجتمعوا عليه فسمي ذلك العام عام الجماعة وصار معاوية خليفة حقيقة بعد ما كان
الحق مع علي كرم الله تعالي وجهه كما ارتضاه القاضي ابو بكر ابن العربي لا متغلبا كما اشار
اليه المص بقوله نال الخلافة فاندفع ما قيل من ان الصواب ان يقول نال الامارة
والملك لقوله صلي الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون ملكا عضوضا وسياتي
الكلام عليه علي ذلك كله وكلت الخلافة بمدة الحسن بعد ابيه ستة اشهر وقيل الخلافة بالمعني
اللغوي لانه خلف من قبله والخلافة اتباع السنة ودعا صلي الله عليه وسلم لسعد بن
ابي وقاص اي دعا دعا مستجابا لسعد بن ابي وقاص رضي الله تعالي عنه كما ورد في حديث
رواه الترمذي مسندا متصلا عن سعد والبيهقي عن قيس بن ابي حازم مرسلا حسنا
وابو وقاص كنية ابيه وهو مالك بن وهيب بن عبد مناف الزهري القرشي احد العشرة
المبشرة بالجنة وهو اول من اراق دما في الاسلام وهو من الشجعان الذين كانوا يحرسون

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم واخر العشرة موتا مات بسنة خمس وخمسين ولد بضع وستون
او سبعون سنة او ثمانون ودفن في البقيع ومناقبه مشهورة انجيب الله دعوته اي كل
دعوة له فما دعي على احد الا استجيب له بالبنا للمجهول والاستجابة بمعنى الاجابة قال
وداع دعايا من يجيب الى الندا فلم يستجبه عند ذا التعجيب واصل معناه الاجابة قال الترمذي
قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم استجب لسعد اذا دعاك وعن المقداد رضي الله تعالى عنه
ان سعدا قال يا رسول الله ادع الله ان يستجيب دعائي فقال يا سعد اطب مطعمك تكن مستجاب
احد حتى يطيب طعمي فاني لا قول الا بدعائك فقال اللهم اطب طعمة سعد الحديث ودعواته
مشهورة مأثورة وقد اجيب له دعوات مخرجة في الصحيح وغيره ودعا صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما بعز الاسلام باد الله يعز الاسلام
اي يقوي بهم وينصره ويظهره باحد الرجلين بهما رضي الله تعالى عنه او بابي جهل لما كان
يعلم من شدتهما وشجاعتهما وتيقرسه فيهما لاعلى التعيين وهذا كان بمكة قبل الهجرة وتمكن
المسلمين من اظهار الدين فاستجيب له في عمر باذ هداه الله تعالى واعز به دينه فسبقت
له السعادة وشقيت الشقاوة ولابي جهل عمرو ابن هشام فرعون هذه الامة لعنه الله
فقتل كافرا يوم بدر في السنة الثانية من الهجرة والمراد بعز الاسلام عز الاسلام واهله واذ
فنهود ابما عن نزلائهم كانوا قبل اسلام عمر لا يظهرون صلاتهم عند البيت خوفا من المشركين
فلما اسلم رضي الله تعالى عنه قاتلهم حتى صلوا معه عند الكعبة ولذا قال ابن مسعود رضي الله
تعالى عنه كان اسلام عمر فتحا وهجرته نصرا وخلافته ورحمة وتشريعه صلى الله عليه وسلم
له في الدعا مع ابي جهل لانه لم يتعين عنده احدهما ولم يعينه لامر ما وقد روي من طرق
ان الله صلى الله عليه وسلم خص عمر بالدعا فقال اللهم اعز الاسلام بعمر بن الخطاب اللهم ايد
الاسلام بعمر وجمع بين الروايتين باند لما تفرس فيهما الشهامة ونفوذ الكلمة بحيث لا
يعصي امرهما ودعا بذلك ثم لما تبين له باعلام من الله تعالى والهام منه ان اللايق بذلك
عمر خصه بدعاية ثانيا وكرره حتى استجيب له وقصة اسلامه مفصلة في السير قال
ابن مسعود ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر لانه اظهر ذلك وقاتلهم في بلدهم كما فعل
حمزة ايضا رضي الله عنه فكان ذلك ابتدا الظهور وكان ما كان مما لم يجل في حواطر
الامكان ومما وقع له صلى الله عليه وسلم من اجابة دعايه ما رواه البيهقي والحاكم
وصححه عن عمر رضي الله تعالى عنه اصاب الناس في بعض مغازيه صلى الله عليه وسلم
عطش فساله عمر الدعا للناس اذ يسقيهم الله في فيض فضله فدعا فجاءت سحابة اي ظهرت
سحابة عقب دعايه صلى الله عليه وسلم وفيه استعارة لتشبيهها برجل يسح بذاء من فيه
فرمى دفعة كيه تبوية او تخييلية كما في قوله فسقتهم اي سكبوا من مائها وقوله حاجتهم
مفعوله لتضمينه معنى اعطتهم حاجتهم وهي الما الذي ينيل عطشهم ثم اقلعت اي انجلت
وكفت عن المطر بعد قضا حاجتهم من مائها قيل هذه الغزاة هي غزاة ابوا لعشا واليها بقوله
في سورة الانفال وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به كما ذكره ابن الجوزي في الوفا وساق
الحديث بتمامه ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن انس رضي الله تعالى
عنه في الاستسقاء اي في دعايه وطلبا ان يسقيهم فسقوا بالبنا للمجهول اي
سقاهم استسقائي عقب دعايه ودام السحاب بمطر ثم شكوا اليه المطر اي من كثرته ودوامه

المضر بهم فدعا الله ان يكف المطر ويقلع السحاب فصحوا ان
صحت السما وانكشف غيمها فاسناد الصحو اليهم مجازي وهو بفتح الواو
بزنة رموا وروي بضمها واصله صحوا فنقل وحذف ودعا لابي قتادة الحارث بن
ربعي الصحابي وقد تقدمت ترجمته وهذا الحديث رواه البيهقي في الدلايل وبين دعاءه
بقوله افلح وجهك الفلاح الظفر وادراك البغية وهو دنيوي وهو نيل ما يطلب به حياة
الدنيا والبقا في عز وغنى واخروي وهو النعيم المخلد والوجه معروف وقد يعبر به عن الذات
كما في قوله ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام اللهم بارك له اي لابي قتادة رضي
الله عنه وتقدم معنى البركة في شعره وبشره والشعر معروف والمراد به ما يستحسن ويعد
زينة والبشر ظاهر الجلد والبدن وكني بذلك عن جملته وجميع بدنه فدعا له صلى الله عليه
وسلم بان يبقى معمرا على احسن تقويم كاملا جميع اعضايه فمات وهو ابن سبعين سنة وكان
ابن خمس عشرة سنة في نضارته وقوته لم يتغير بدنه ولم يشب شعره ببركة دعايه صلى الله
عليه وسلم وتوفي بالمدينة سنة اربع وخمسين وقد تقدم ان الفلاح دنيوي واخروي وما
ذكره من تمام خلقته دنيوي فتمامه يدل على فوزه بالفلاح الاخروي لان الكريم اذا طلب
منه امران فعجل احدهما دل على انه يعطي الاخر وانما اقتصر على هذا لانه
معلوم مشاهد دال على غيره كما قيل

كما احسن الله فيما مسى يحسن الله فيما بقي

وقال صلى الله عليه وسلم للنابغة الجعدي وهو قيس وقيل حبان بن عبد الله
بن عمر بن عدس بن زنا عمرو في الشعرا من لقب بالنابغة غيره كالنابغة الذبياني ولكنه
اذا اطلق يراد به هذا وهو احد المخضرمين المعمرين قيل انه عاش مايتين وثمانين سنة وقيل
مايتين واربعين وقيل ماية وعشرين سنة كما ياتي واجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم
واخرج له بقي بن مخلد حديثا ومدح النبي صلى الله عليه وسلم واخرج له بقي بن مخلد حديثا
ومدح النبي صلى الله عليه وسلم بقصيدته الرائية وهي نحو ماية بيت في غاية البلاغة
انشدها بين يديه صلى الله عليه وسلم فدعا له بما ذكره المص ولما بلغ قوله منها

بلغنا السما مجدنا ومساونا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

قال الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة قال نعم ان شا الله ثم لما انشده صلى الله عليه وسلم قوله

ولا خير في علم اذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه ان يكدرا
ولا خير في جهل اذا لم يكن له حليم اذا ما اورد الامر اصدرا

قال له صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك وروي لا يفضي الله فاك بضم اوله وسكون
ثانيه وكسر الضاد تليها ياء ساكنة مضارع افضى كاعلى يعلي قال المرزوقي في شرح
الفصيح فقول العرب في الدعا عليه فض الله فاه وفي الدعا لا يفضض الله فاه ومصدره
الفض ومعناه الكسر وبعض العرب تقول لا يفضي الله فاك اذ لا يجعله فضا خاليا من
الاسنان وهذا كقوله قد ترك البرني فاه بلدا انتهى فعلى الاول الفم مجاز عما فيه
من الاسنان وعلى الثاني على حقيقته والنابغة لقب له لانه نبغ في الشعر اي فاق
اقرانه والها للمبالغة كعلامة فما سقطت له سن ببركة دعايه صلى الله عليه وسلم
له والسن واحدة الاسنان المعروفة وقد قالوا زيادة السن نقص في السن فالسن الاول

العمر

العمر والثاني واحد الاسنان وفي رواية لحديث النابغة المذكور فكان احسن الناس ثغرا بثاء
مثلثة مفتوحة وعين معجمة ساكنة وراء مهملة وهو ما تقدم من الاسنان ويقال ثغر الغلام
بتشديد المثلثة واثغر بتشديد المثناة ويطلق الثغر على الفم وفصيح ارادته هنا وثغرا
منصوب تمييز اذا سقطت له سن نبتت له اخرى مكانها لئلا يخلو فمه من الاسنان وعاش
عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا فقيل مائة واربعين وقيل مائتين وثمانين لانه دعاءه
صلى الله عليه وسلم له بان لا تسقط اسنانه يتضمن الدعاء له بطول العمر وفيه معجزة له صلى الله
عليه وسلم باجابة دعوته فيه واكثر اعمار هذه الامة ما بين الستين والسبعين وما زاد لا
يزيد غالبا على مائة وعشرين ويزعم الاطباء انه العمر الطبيعي وقد زاد بعضهم على ذلك
كما استقصاه الاصمعي في كتاب المعمرين ومنهم سلمان الفارسي وقد اختلفوا في مدته
كما هو مفصل في ترجمته وفي الحديث ما يدل على مدح الشعراء للاشراف غير مكروه وان الاحسان
لمن مدحهم بعطية وجائزة او بدعاء وجميل من القول سنة وقصيدة النابغة هذه طويلة
بليغة رواه ابن حجر بتمامها في بعض كتبه ولولا خوف الاطالة اوردناها هنا ودعا
صلى الله عليه وسلم لابن عباس في حديث صحيح رواه الشيخان وابن عباس هو عبد الله
بن العباس بن عبد المطلب غلب عليه حتى صار علما بالغلبة له دون ساير بنيه وقوله اللهم
فقهه في الدين معمول مقدر اي فقال او قايلا الخ اي فقهه وعلمه قال الراغب الفقه التوصل
الى علم غايب بعلم شاهد فهو اخص من العلم قال تعالى ذلك بانهم قوم لا يفقهون
والفقه العلم بالاحكام الشرعية يقال فقه اذا صار فقيها وفقه بمعنى فهم وفقهه
فهمه وتفقه اذا طلبه فيخص به كما قال تعالى ليتفقهوا في الدين انتهى وعلمه التاويل
اي التفسير وقد يفرق بينهما فيقال التفسير بيان معنى القران بما هو ماثور عن
النبي صلى الله عليه وسلم او كبار الصحابة والتاويل بيانه بما تقتضيه قواعد العربية
وهو تفعيل من الاول بمعنى الرجوع الى الاصل ومنه المويل لموضع الرجوع فهو رد الشي
الى الغاية المرادة منه علما كان او فعلا فالعلم كقوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله
والفعل كقوله وللنووي قبل يوم البين تاويل وقوله تعالى يوم تاويله اي
بيان غايته المقصودة منه وقوله ذلك خير واحسن تاويلا بمعنى احسن معنى
وترجمة وقيل احسن ثوابا في الاخرة فدعاؤه له صلى الله عليه وسلم بان يعلمه
الشريعة المحمدية وان يهديه للوقوف على معاني كلامه فاجاب الله دعاءه صلى الله
حتى كان معول الناس عليه في ذلك فسمي بعد بالبناء على الضم اي بعد دعايه صلى الله
عليه وسلم له او بعد موته صلى الله عليه وسلم الحبر مفعول سمي وهو بكسر الحاء وفتحها
ومعناه العالم المتقن الذي تبقى اثاره بعده فاصل معنى الحبر الاثر المستحسن ومنه ذهب
حبره وسيره اي جماله وبهاؤه اي كان الصحابة وساير الناس يسمونه بذلك لان النبي
صلى الله عليه وسلم توفي وابن عباس ابن عشر او ثلاث عشر او خمس عشر سنة
على اختلاف فيه وترجمان القران ترجمان بالضم كعنوان والفتح كزعفران وبفتح اوله
وضم الجيم وهو من يفسر لسانا بلسان ويطلق الترجمان على من يبلغ الكلام والترجمة
اطلاقات اخر وفي كلام المصنف شبه اللف والنشر فان كونه حبر الامة ناظر لقوله فقهه
في الدين وكونه ترجمان القران ناظر لعلم التاويل والتفسير ودعاؤه صلى الله عليه وسلم

لابن عباس وقع مرارا وروي من طرق صحيحة منها ما روي عنه انه قال اتي صلى الله عليه وسلم
الخلا فوضعت له وضوءا اي ما يتطهر به فقال من صنع هذا فقالوا ابن عباس فقال اللهم الى اخره
قال ابن المنير مناسبة الدعا لما فعله انه يدل على ذكايه لعلمه بان محتاج لطلب الما فبادر
لذلك وكان عند خالته ميمونة ليلا وهي المخبرة له صلى الله عليه وسلم بما صنعه وفي رواية
علمه الكتاب ورده علما وفهما ووضع يده الشريفة على كتفه وفي رواية انه صلى الله عليه وسلم
ضمه لصدره واول من لقبه بترجمان القران ابن مسعود وكان اعلم الناس بالفقه والفرايض
واشعار العرب وايامها وكان يجلس لافادته فكان لا يسال عن شي الا وجد عنده علم منه كل ذلك
ببركة دعايه صلى الله عليه وسلم ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي عن عمرو ابن
حريث لعبد الله بن جعفر بن ابي طالب بن عبد المطلب فعبد الله هاشمي مدني صحابي ولد
بالحبشة وتوفي سنة تسعين او ثمانين وروي عنه احاديث عدة وجعفر هو الطيار ذو
الجناحين وكان عبد الله ولده من اسخى الناس حتى لقب بحر الجود وقطب السخا بالبركة اي
الزيادة والنما في صفقة يمينه اي في بيعه وشرايه ومعاملته وسمي ذلك صفقة لانهم كانوا
اذا تبايعوا يصفق احدهم بيده بيد الاخر والصفقة ضرب اليد بصوت وذكر اليمين لان
الاكثر في الاخذ والعطا بها تيمنا فما اشترى شيا الا ربح فيه اي وجد فيه ربحا وفايدة
ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي في الدلايل وابو نعيم للمقداد بن الاسود
والمقداد هو ابن عمرو بن ثعلبة وياتي انه اشتهر بابن الاسود لانه تربى في حجره وهو صحابي
مشهور توفي في خلافة عثمان رضي الله تعالى عنه بالبركة اي الزيادة في ماله فكان
عنده غرايرمن المال ببركة دعايه صلى الله عليه وسلم والغراير جمع غرارة بكسر الغين المعجمة
وهي معروفة وقال الجوهري اظنها معربة قال ابو نعيم قالت ضباعة بنت الزبير وهي
زوجة المقداد خرج المقداد يوما لقضا حاجته فبينما هو جالس خرج جرد من حجر بدينار
ولم يزل يخرج دينارا دينارا حتى بلغ سبعة عشر فجا بها المقداد للنبي صلى الله عليه وسلم
واخبره بخبره فقال له ادخلت يدك في الحجر قال والذي بعثك بالحق فقال صدقة تصدق
الله بها عليك بارك الله فيها قالت ضباعة فما فني اخرها حتى رايت غراير الورق في بيت
المقداد انتهى ودعا بمثله اي بمثل ما دعي للمقداد وغيره في حديث رواه البخاري والدارقطني
واحمد في مسنده لعروة بن ابي الجعد البارقي وقيل الازدي واختلف فيه فقيل عروة
بن ابي الجعد وقيل ابن الجعد وهو صحابي مشهور اخرج له الستة واحمد وبارق بطن من الازد
نزلوا بمندحيل يقال له بارق فنسبوا له قيل من قال ابن الجعد فقد اخطا وولاه عمر قضا
الكوفة قال عروة فلقد كنت جواب قسم مقدر اقوم بالكتامة بضم الكاف معناها القمامة
ثم صارت علما لسوق مشهورة بالكوفة وقيل انه يجوز ان يراد به حقيقته اي اقوم بمقام
حقير يستبعد الكسب في مثله وهو بعيد فما ارجع اي اعود من المحل الذي قمت فيه
حتى اربح اربعون الفا مما يبيعه ويشتريه وقال البخاري فيه اي في حديث عروة فكان عروة
رضي الله عنه لو اشترى التراب ربح فيه ببركة دعايه صلى الله عليه وسلم وروي مثل هذا اي
مثل حديث عروة المذكور لغرقدة ايضا ايضا بفتح الغين المعجمة وسكون الرا المهملة وقاف
ودال مهملة واحدة الغرقد وهو شجر معروف له شوك يسمى العوسج والعضاة وبه سمي
بقيع الغرقد وهو مقبرة اهل المدينة وغرقدة صحابي يسمى ابا شبيب روى عنه ابنه وندت

له

له ناقة الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم وندماض بفتح النون وتشديد الدال المهملة بمعنى
نفرت وشردت حتى غابت عن نظره فلا يراها واصل معناه انفردت اندادها وهذا يختص
بالابل ونحوها فلا يقال ند الرجل وليس ضمير له لعروة كما توهمه بعضهم فجا بها اعصار
ريح الاعصار بحروف مهملة ريح شديدة تثير غبارا ويرتفع الى السما كانها عمود وهي
الزوابع وقيل ريح تثير سحابا ذات رعد وبرق والمراد الاول هنا حتى ردها الاعصار
عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث لم يخرجوه وكون الضمير لعرقدة لا
يناسب المقام وان اتفقوا عليه والظاهر ما قلناه وليس من هذا ايضا كما في الشرح الجديد
ما وقع في غزوة بني المصطلق لانها هاجت فيها ريح شديدة فاذتهم وكانت ناقته صلى الله
عليه وسلم ضلت ليلا فقال صلى الله عليه وسلم انها هبت لموت عظيم من الكفار وهو رفاعة
بن زيد فقال بعض المنافقين ايزعم محمد انه يعلم الغيب وهو لا يعلم مكان ناقته فاتاه جبريل
واخبره بما قاله وبمكان ناقته بالشعب الخ القصة اذ ليس فيها ان الريح ردت الناقة عليه فلعل
المص وقف عليه من طريق اخر فيه رد الريح ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم
فيه انه دعا لام ابي هريرة رضي الله تعالى عنهما بان يهديها للاسلام وكانت مشركة فاسلمت
وهداها الله للاسلام وحديث شرف الصحبة واسمها اميمة بنت صبيح بن الحارث بن دوس
كما ذكره ابن شكوال وابوها صبيح بالموحدة وقيل صفيح بالفا وقيل اسمها ميمونة وحكى
القولين ابن الاثير في اسد الغابة واما ابو هريرة فقد تقدم الكلام على اسمه والخلاف فيه
وكان رضي الله تعالى عنه عريضا على اسلامها فدعاها للاسلام فاسمعته ما يكره في حق النبي
صلى الله عليه وسلم فاتاه وهو يبكي وقال له ان كنت ادعوها للاسلام فتابى فدعوتها
اليوم فاسمعتني فيك ما اكره فادع الله ان يهديها فقال اللهم اهد ام ابي هريرة فخرج
مستبشرا بدعايه صلى الله عليه وسلم فلما اتى الباب خسف اقدامه فقالت مكانك يا ابا
هريرة اني اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فرجع الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرحا وقال ابشر يا رسول الله فقد اجيبت دعوتك وهدى الله تعالى
امي للاسلام فحمد الله تعالى فقال يا رسول الله ادع الله ان يحببني انا وامي الى عباده
المومنين ويحببهم الينا فقال اللهم حبب عبدك هذا وامه الى عبادك وحببهم لهما فكان
لا يسمع به احدا ويراه الا احبه كما ذكره مسلم والبيهقي في دلايله ودعا صلى الله عليه
وسلم لعلي بن ابي طالب في حديث رواه البيهقي وابن ماجه بسند صحيح متصل بعلي
رضي الله تعالى عنه ان يكفى بالبنا للمجهول اي ان يكفيه الله تعالى بفضله الحر والقر
اي المهمات وهو بفتح الحا وتشديد الرا المهملتين وهو ضد البرد والحرارة سخونة
تعرض للهوا من نحو الشمس والنار وضمها ما يعرض لليدين من الطبيعة كحرارة المحموم
والقر بضم القاف وتشديد الرا هو البرد ويخص ببرد الشتا كما يخص الحر بحرارة الصيف
وهو المراد وحكى ابن قتيبة تثليث قافه فيجوز فتحها هنا للازدواج واصله من القرار
لان البرد يقتضي السكون والحر يقتضي الحركة كما قاله الراغب فكان علي رضي الله عنه
بعد دعايه صلى الله عليه وسلم له يلبس في زمن الشتا ثياب الصيف الخفيفة كالقميص
الواحد وفي زمن الصيف ثياب الشتا وهي الضربات المحشوة والثياب التحتية ولا يصيبه
اي لا يحد ويحس حر ولا برد اي المهما ويقصد بذلك باظهار ذلك انه اختص بامر يخالف

غيره لدعايه صلي الله عليه وسلم له فاذا كان لا يضره شدة حر الصيف لا سيما في الحجاز ولا شدة
برد فصل الشتا فغيره بالطريق الاولي وكان دعاوه صلي الله عليه وسلم له بخير لما اصابه بها
رمد شديد قال عبد الرحمن بن ابي ليلا كان علي رضي الله عنه يلبس في الحر القبا المحشو النحيين
ولا يبالي بشدة الحر ولا يخرج في البرد الشديد بثوب خفيف ولا يبالي فسيل ذلك فقال صلي الله عليه
وسلم انه اعطي الراية يوم خيبر ابا بكر ثم عمر فلم يحصل فتح علي يديهما فقال لاعطين الراية اليوم
رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله خيبر علي يديه فدعاني واعاني الراية وكان
بي رمد شكوته له صلي الله عليه وسلم فقال اللهم اكفه الحر والبرد فما وجدت لهما الما بعد ذلك وانما
دعا له بدفع الحر والبرد مع ان تالمه رضي الله تعالي عنه كان من الرمد ووجع العين لانه صلي
الله عليه وسلم علم ان رمده كان من زيادة الدم الذي حصل له من الحر فدعا له بسبب دفع
سبب ذلك وزاد عليه دفع الم البرد لانه ضده فربما اذاه لقوته بعدم ضده وروي
يسيئه من الاساءة ويسوءه من السوء بدل قوله يصيبه والمعني واحد ودعا صلي الله عليه وسلم
لفاطمة ابنته رضي الله تعالي عنها في حديث رواه البيهقي عن عمران بن حصين امه مفعول
دعا وفي نسخة ان الله ان لا يجيعها اي ان لا يجعلها متالمة من الجوع وترك الطعام واكله
قالت فاطمة رضي الله تعالي عنها فما جعت بضمير المتكلم بعد مبني علي الضم اي بعد دعائه
وبركته قال عمران بن حصين كنت معه صلي الله عليه وسلم فاقبلت فاطمة ووقفت بين يديه
فنظر اليها وقد اصفر وجهها من الجوع فوضع يده علي صدرها وقال اللهم شبع الجماعة ورافع
الوضيعة ارفع فاطمة بنت محمد قال عمران فرايت وجهها وقد احمر وذهبت صفرته ثم حسنها
فقالت لي ما جعت يا عمران قال البيهقي بعد ما ذكر الحديث هذا قبل نزول اية الحجاب وذكر رفع
الجوع عنها بعد دفع الحر والبرد عن علي لما بينهما من المناسبة مما لا يخفي وساله صلي الله عليه
وسلم في حديث رواه ابن اسحاق بالاسند والبيهقي عنه وابن جرير من طريق الكلبي الطفيل
بن عمرو بضم الطا المهملة المشددة والفا المفتوحة وسكون المثناة التحتية واللام كتصغير
عقيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم الازدي الدوسي ويقال له ذو النور
وقيل في وقعة اليمامة وتقدم ان وقعتها كانت في ربيع الاول سنة اثنتي عشر في خلافة ابي بكر
رضي الله عنه وقيل في عام اليرموك في خلافة عمر رضي الله عنه وهو من كبار الصحابة ومن اصحاب
النور وهم ستة اسيد ابن حضير بضم الهمزة وعباد بن بشر وحمزة ابن عمرو الاسلمي وقتادة بن
النعمان كما ياتي والطفيل وهذا الحسن بن علي رضي الله تعالي عنهم ولكل منهم قصة
مذكورة في محلها اية لقومه مفعول سال اي ساله صلي الله عليه وسلم معجزة تكون معه يومن
بها قومه اذا دعاهم للاسلام وكان امن بالنبي صلي الله عليه وسلم قبل الهجرة ودعا قومه
فلم يطيعوه فقال يا رسول الله ان دوسا قد عصت وابت فادع عليها فقالوا هلكت دوس
ان دعا عليها فقال اللهم اهد دوسا فعلم ان الله سيهديهم ببركة دعايه فطلب الطفيل منها
منه صلي الله عليه وسلم ان يريهم اية يهتدوا بها فقال اللهم نور له الضمير للطفيل اي اجعل
نورا يكون اية لصدقه رضي الله تعالي عنه فسطع له نور بين عينيه اي ظهر بين عينيه
نور ساطع واصل معني السطوع الارتفاع والظهور وهو المراد هنا فقال اي الطفيل
لما علم بذلك النور الذي بين عينيه يا رب اني اخاف من قومي اذا راوا ذلك
النور ان يقولوا مثلة خبر مبتدا مقدر اي هو او هذا مثلة بضم الميم وسكون المثلثة ولام

بعدها

بعدها هاء وهو التنكيل والعقوبة وتغيير الخلقة الاصلية بقطع بعض الاعضا وتسويد الوجه ونحوه
وهذا هو المراد هنا اي خشي ان يعدوه عارا لتوهم انه يرهب ونحوه وجوز بعضهم نصبه
وفتح ميمه وكسرها وهو تكلف لا داعي له **فتحول** ذلك النور **اي ظرف سوطه** اي لما شكي
الي الله ما يخافه وتضرع اليه انتقل ذلك النور من بين عينيه الي سوط كان معه والسوط
في الاصل بمعني الخلط فسمي به ما يعد للضرب من جلد ونحوه وهو معروف **فكان** اي سوطه
يضيء في الليلة المظلمة كالشمع والمصباح **فسمي** الطفيل **ذا النور** اي صاحب النور لذلك
وروي الظلما بدل الظلمة ولا اشكال في شي من هذا كما توهمه بعضهم واغرب منه انه قال
روي صوته بصاد مهملة ومثناة فوقية ثم تكلم في تاويله بخرافات لا ينبغي تسويدها
لوجه الصحف وقصة الطفيل كما نقله ابن عبد البر عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما قال
كان الطفيل سيدا مطاعا في قومه وشاعرا بليغا فقدم مكة ومشي لقريش فقالوا له انك سيد
قومك وانا نخشي ان يلقاك هذا الرجل يعنون رسول الله صلي الله عليه وسلم فيصيبك فانه
يفرق بين المرء وزوجه وولده فما زالوا ينهوني ويحذروني منه حتي قلت لهم لا ادخل المسجد
الا سادا اذني فحشوتهما كرسفا اي قطنا ودخلت المسجد فاذا رسول الله صلي الله عليه وسلم
قايما قريبا مني وابي الله الا ان يسمعني قوله فقلت في نفسي ان هذا العجز وانا امرء
امرء ثبت لا يخفي عن الحسن والقبيح والله لاسمعنه فان كان رشدا اخذته او غيا تركته فنزعت
ما باذني واستمعت له فلم اسمع باحسن واحلي مما قاله وانتظرته صلي الله عليه وسلم حتي انصرف
وتبعته فدخلت منزله معه وقلت له يا محمد ان قومك قالوا كذا وكذا وقد سمعت ما قلت
ووقع في نفسي انه حق فاعرض علي دينك وما تامر به وتنهي عنه ففعل فاسلمت ثم قلت
يا رسول الله اني راجع لدوس وانا فيهم سيد مطاع وانا داعيهم الي الاسلام فادع الله ان يجعل
لي اية تكون عونا لي عليهم فقال اللهم اجعل له اية قال فخرجت حتي اشرفت علي حاضرة دوس ولي
هناك اب شيخ كبير وامراة وولد فلما علوت الثنية ظهر بين عيني نور كالشهاب فقلت
اللهم في غير وجهي فاني اخشي ان يظنوه مثله لفراق دينهم فتحول في راس سوطي فلقد
رايتني اسير وانه علي راس سوطي كانه قنديل معلق فيه فلما قدمت عليهم اتاني ابي فقلت
اليك عني فلست منك ولست مني فاني اسلمت واتبعت دين محمد فقال اي بني ان ديني دينك
فاسلم وحسن اسلامه ثم اتتني صاحبتي فقلت لها كما قلت لابي فاسلمت وحسن اسلامها واغتسلت
ثم دعت دوسا فابت وتعاصت علي فاتيت رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو بمكة فقلت يا رسول
الله ان دوسا غلب عليها الزنا والربا فادع عليهم فقال اللهم اهد دوسا فرجعت اليهم
واقمت بين ظهرانيهم ادعوهم الي الاسلام حتي استجاب لي منهم من استجاب ثم قدمت المدينة عليه
صلي الله عليه وسلم بعد احد والخندق بثمانين او سبعين من اهل بيتي حتي فتحت مكة وارسله
رسول الله صلي الله عليه وسلم لاحراق صنم عمرو بن حممة فاحرقه واقام معه حتي قبض
ثم بعثه ابو بكر رضي الله تعالي عنه الي مسيلمة فاستشهد باليمامة وقيل باليرموك في خلافة
عمر كما تقدم **ودعا علي مضر** اي انه صلي الله عليه وسلم كما ورد في حديث صحيح رواه
الشيخان والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنهما والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله تعالي
عنه دعا عليهم ومضر اسم قبيلة عظيمة سميت باسم الجد وهو مضر بن معد بن عدنان وفي
وجه تسميته اختلاف وتسمي مضر الحمرا وتسمي مضر ربيعة وقبيلة ربيعة الفرسان تراد

ابوهم اوصي لمضر بالذهب وهو قد يؤنث فيوصف بالحمرة ويقال ذهب حمرا واعطي ربيعة الخيل
فيقال لها ربيعة الخيل وكان شعارهم في الحرب العمايم والرايات الحمر وشعار اهل اليمن الصفر وبه
فسر قول ابي تمام في الربيع

محمرة مصفرة فكانها • عصب تيمن في الوغا وتمضر

ومضر ابو قريش **فاقحطوا** بالبنا للمجهول اي اصابهم القحط لاحتباس المطر عنهم حتي كادوا
يهلكون وتهلك دوابهم فيكون بناؤه للفاعل قيل وهو الافصح لانه لازم والهمزة للصيرورة لا
للتعدية **حتي استعطفته قريش** اي سالوه صلي الله عليه وسلم ان يعطف عليهم ويرحمهم بدفع
القحط عنهم وما حل بهم من البلا **فدعا الله لهم** اي يمطرهم ويزيل قحطهم **فسقوا** اي سقاهم
الله تعالي وامطر ارضهم فزال عنهم القحط بدعايه صلي الله عليه وسلم سريعا وكان دعاوه صلي الله
عليه وسلم لما لم يجيبوا دعوته انه قال اللهم اجعلها عليهم سنينا كسني يوسف فاقحطوا حتي
اكلوا الجراد والدم والعظام فقال له ابو سفيان ابن مرة انك تامر بصلة الرحم وان قومك قد
هلكوا فادع الله لهم فقال اللهم اسقنا غيثا مريعا طبعا غدقا عاجلا غير رايث نافعا غير ضار
فما اتي عليهم جمعة حتي مطروا كما رواه ابو نعيم في الدلايل **ودعا** صلي الله عليه وسلم
في حديث رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله تعالي عنهما **علي كسري** بكسر الكاف وقد تفتح
كما مر وهو معرب خسروا وهو لقب لكل من ملك الفرس واسم هذا الذي كتب اليه النبي صلي
الله عليه وسلم كتابا يدعوه فيه الي الاسلام ابرويز بن هرمز وهو من اولاد انوشروان
قيل ابرويز معناه المظفر وانوشروان معناه مجدد الملك كما قاله السهيلي رحمه الله تعالي
حين مزق كتابه الذي بعثه صلي الله عليه وسلم اليه يحثه فيه علي الاسلام وسعادة الدارين
وكان بعثه صلي الله عليه وسلم مع عبد الله بن حذافة السهمي وقيل مع غيره فقطعه تحقيرا
له وقيل جعله هدفا ورماه بالسهام حتي تمزق تجبرا منه وقيل لانه كتب اسمه فوق اسمه
وصورة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الي كسري عظيم فارس سلام علي من
اتبع الهدي وامن بالله ورسوله وشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
ارسله الي الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول علي الكافرين اسلم تسلم فاذا توليت
فان عليك اثم المجوس وقوله حين مزق كتابه وان كان الدعا بعده حين بلغه خبره بعد زمان لان
المراد زمان ممتد لان الحين يطلق علي مطلق المدة كما في قوله هل اتي علي الانسان حين من
الدهر او المراد حين بلغه تمزيقه ففيه تقدير فما قيل انه كان ينبغي ان يقول من اجل تمزيقه
كتابه ليس بشي **ان يمزق الله ملكه** معمول دعا اي بان يمزق الخ باهلاكه وانتقال ملكه لغيره
فمزق كل ممزق **فلم يبق له** اي لكسري او لملكه **باقية** اي نفس باقية من عقبه او هو مصدر
بمعني بقية او بقاء والمصدر يكون بوزن فاعله قليلا **ولو بقيت لفارس** هو معرب بارس
بالبا المعجمة ويطلق علي القبيلة وعلي بلادهم **وياسة** اي ملك ونفاذ كلمة **في اقطار الدنيا**
وفي نسخة البلاد اي في جميع نواحيها فقطع الله دابرهم وافناهم بدعائه صلي الله عليه وسلم
عليهم لما عصوه وتحيروا فلم يزل امره في انحطاط حتي قتله ابنه شيرويه ثم مات ابنه بعده
بزمن يسير ومالت دولتهم حتي انقرضوا كما فصل في التواريخ والحديث في البخاري
والكلام عليه مبسوط في شروحه **ودعا** صلي الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود
والبيهقي انه دعا **علي صبي** صغير قال ابن حبان اسم الصبي يزيد بن مهرام وقيل

انه لا يعرف

انه لا يعرف اسمه وحديثه ضعيف وقال الذهبي اظنه موضوعا لانه اشكل عليهم بان الصغير غير
مكلف فكيف يدعو صلى الله عليه وسلم مع رافته به وما اجاب به البرهان الحلبي من ان الاحكام
انما تعلقت بالبلوغ بعد احد كما قال التقي السبكي او بعد الهجرة كما قاله غيره او هو من باب
خطاب الوضع المتعلق بالاتلاف وهو لا يشترط فيه التكليف لا يخفى ما فيه على بعده وابعد منه
واغرب ما قيل ان الله اطلعه صلى الله عليه وسلم على حال هذا الصبي وانه سيصير متعديا وانه
لو لم يكن كذلك اضر بالناس فلذا دعا عليه كما اطلع الخضر عليه الصلاة والسلام على حال الغلام
الذي قتله وانه لو عاش كان كافرا وقد قرر ائمة الحديث انه صلى الله عليه وسلم له ان يحكم بالباطن
احيا كما يحكم بالظاهر وان من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد افرده السيوطي بجزء الفه
الا انه هنا تعسف لا يلتفت اليه **قطع عليه صلاته** بمروره بين يديه صلى الله عليه وسلم وقطع
الصلاة مجاز عن افسادها قبل تمامها حتى يحتاج للاعادة والمصلي اذا صلى في غير العمران
يستحب له ان يجعل بين يديه سترة تمنع المار عن المرور بينه وبين القبلة وينبغي ان تكون
مرتفعة ارتفاعا فكانه صلى الله عليه وسلم لم يكن له سترة في هذه الصلاة او كانت ومر الصبي
بينه وبين السترة وحينئذ فلو مر انسان او حيوان لا يقطع صلاته عند الجمهور من المحدثين
والفقها ولا يفسدها كما صرحوا به وذهب بعضهم الى انه يقطعها لانه ورد في احاديث
صحيحة منها ما رواه ابو ذر انه صلى الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم يصلي بسترة ما يضعه
بين يديه مثل اخرة الرحل فاذا لم يكن ذلك فانه يقطع صلاته الحمار والمراة والكلب
الاسود وخصه لانه ورد في الحديث الكلب الاسود شيطان وقد علمت ان الجمهور على خلافه
فقيل انه منسوخ وقيل انه ماول والمعنى يقطع خشوعه في صلاته وهو صلى الله عليه وسلم
وان كان لا يشغله عن الله شي فعله تشريعا لامته **ان يقطع الله اثره** معمول دعا اي دعا صلى
الله عليه وسلم على ذلك الصبي بان يقطع الله اثره والاثر بفتحتين ما يوثره بمشيه وغيره
ويبقى بعده علامة عليه وقطع الاثر يكنى به عن الاكثر عن الفنا والذهاب بالكلية فيقال ما
بقي له عين ولا اثر كما قيل

الدهر يفجع بعد العين بالاثر ... فما البكا على الاشباح والصور

وهو كناية عن كونه زمنا مقعدا لان الاثر انما يكون من المشي فاذا انقطع مشيه انقطع اثره
كما تقرر ويجوز ان يراد المعنى الحقيقي فلذا قيل انه كناية لا مجاز كما اشار اليه بقوله
فاقعد الصبي وصار مقعدا زمنا لا يمكنه المشي لبيس اعصاب رجله التي يتحرك بها وروي
ان يقطع الله دابره والدابر في الاصل الاخر كما في قوله فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي اخرهم
فلم يبق منهم احد فاستعير هنا للزمانة بان يسلبه الله قوة مشيه وهذا رواه ابن حبان عن ابن
مهران قال رايت مقعدا بتبوك يسمى يزيد بن بهرام يقول مررت بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فقال اللهم اقطع اثره فما مشيت بعد وقد سمعت ما فيه **وقال**
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم ابن الاكوع انه صلى الله عليه وسلم قال **لرجل**
قال البرهان الحلبي اسم هذا الرجل بسر بضم الموحدة وسكون السين وراء مهملتين ومن عجمه
فقد صحف وهو بسر بن راعي العير الاشجعي **راه ياكل بشماله كل بيمينك** ارشادا له للسنة
فان الاكل بغير اليمين مكروه وقوله كل الخ مقول القول **فقال لا استطيع** اي لا اقدر
على الاكل بيميني **فقال** له صلى الله عليه وسلم **لا استطعت** بتا الخطاب وهو دعا

عليه بان يسلبه الله القدرة على الاكل باليمين **فلم يرفعها** اي يده اليمنى لانها مؤنثة سماعا اي لم
تقدر بعد دعايه صلى الله عليه وسلم عليه ان يرفع يده اليمنى **الى فيه** ويحركها لانها شلت وبطل
عمله بها لانه صلى الله عليه وسلم امره بالتيمن وهو سنة في الاكل والشرب لقوله اذا اكل احدكم
فلياكل بيمينه واذا شرب فليشرب بيمينه فلا يتركه الا لعذر وقد علم صلى الله عليه وسلم انه لا
عذر له وانما لم يتمامل امره الا لتكبره ولذا قال المص رحمه الله تعالى في شرح مسلم انه كان منافقا
الا ان الذهبي قال انه صحابي جليل فيحتمل انه كان كذلك في اول امره ثم لما ظهرت له هذه
الاية تاب واخلص لله فلا اشكال فيه وما قيل من ان ترك المندوب لا يقتضي استحقاق العقاب
ليس بشي لان مخالفة امره صلى الله عليه وسلم مشافهة بغير عذر لا تجوز وليس هذا الرجل
جاهليا كما توهم هذا القايل وخبط وخلط هنا على عادته وليس في قوله قال دون دعا
اشارة لما توهمه **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الحاكم والبيهقي وابن اسحاق
من طرق صحيحة مسندة **لعقبة بن ابي لهب** الجهني عدو الله ورسوله واسمه عبد العزى
بن عبد المطلب بن هاشم المشهور وكان له ثلاثة اولاد عتبة وعتيبة بالتصغير ومعتب اسلم
منهم اثنان يوم الفتح ولم يهاجر من مكة وبقي واحد منهم على الكفر وهو عقير الاسد وكان
عنده ابنة للنبي صلى الله عليه وسلم فطلقها فاذاه فدعا عليه بما ياتي فافترسه الاسد
بالزرقا من ارض الشام كما رواه الحاكم من حديث ابي نوفل وقال انه صحيح الاسناد قال
تجهز ابو لهب وابنه عتبة الى الشام فنزل بالسراة قريبا من صومعة راهب فقال لهم
الراهب هنا سباع فاحذروا على انفسكم فقال ابو لهب لمن معه انتم عرفتم مني وحقي
قالوا اجل فقال ان محمدا دعا على ابني فاجمعوا متاعكم على هذه الصومعة وافترشوا
لابني عليها وناموا حوله ففعلوا ونام عتبة فوق متاع عال فجا اسد فشم وجوههم ووثب
على عتبة فقطع راسه وذهب **قيل** انه لم ياكله لما فيه من خبث الطوية ببغض خير البرية
الا انه قيل ان العقير عتيبة مصغر وان عتبة اسلم وحسن اسلامه فهو من كبار الصحابة والصواب
عتيبة بالتصغير والمشهور ان المصغر عقير الاسد والمكبر هو الصحابي فما في بعض النسخ
مما خالفه على قول خلاف المشهور انتهى فقد علمت الاختلاف فيه وفي النسخ والاصح منها
اللهم سلط عليه كلبا من كلابك قال في حياة الحيوان الاسد يسمى كلبا لانه يشبهه
في بعض احواله ويرفع رجله اذا بال فلما اضاف الكلب الى العظيم علم انه اعظم ما يسمى
بذلك الاسم كما قاله الثعالبي والى ذلك اشار بقوله **فاكله الاسد** وفي دلايل النبوة للبيهقي
كانت ام كلثوم ابنته صلى الله عليه وسلم في الجاهلية تحت عتيبة بن ابي لهب واختها رقية
تحت اخيه فلما نزل تبت يدا ابي لهب وتب قال ابو لهب لابنيه راسي من راسكما حرام وان لم
تطلقا ابنتي محمد وقالت امها حمالة الحطب مثله فطلقها عتبة واتاه صلى الله عليه وسلم
فقال له اني طلقت ابنتك فاني لا احبك ولا تحبني وشق ازاره وسفه عليه فقال صلى الله عليه
وسلم اللهم سلط الخ ثم خرج في نفر من قريش الى الشام فكانت قصة الاسد وفي
روايتها وتسمية ابنه اختلاف كما مر ولا خلاف في اصل القصة وقد ذكرها حسان رضي الله
تعالى عنه في شعره **وقال** صلى الله عليه وسلم **لامراة ياكلك** وفي نسخة اكلك
الاسد فاكلها الاسد قال البرهان الحلبي هذه المراة لا اعرفها وذكر غيره انها بنته

الحطيم

الحطيم الانصارية فانها اتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو مولى ظهره الشمس فضربت منكبه
فقال من هذا اكله الاسد فقالت انا ابنة مطعم الطير ومباري الريح ابو ليلى جيت لاعرض نفسي
عليك لتتزوجني فقال قد فعلت فرجعت الى قومها واخبرتهم الخبر فقالوا اتت امراة غيري
وللنبي صلى الله عليه وسلم نسا فيدعو عليك فرجعت وقالت له اقلني فاقالها وتزوجت
بغيره فبينما هي في حايط بالمدينة افترسها ذيب فالاسد هنا بمعنى الحيوان المفترس
فلا يقال ان دعوته صلى الله عليه وسلم لم تتحقق وهذا الحديث سقط من بعض النسخ ومن
ذلك حديثه صلى الله عليه وسلم المشهور الذي رواه مسلم والبخاري عن عبد الله بن مسعود
في دعايه صلى الله عليه وسلم على قريش قبل الهجرة بمكة حين وضعوا اي حين اذا وضع
بعض منهم فهو من اضافة ما للبعض الى الكل السلا بفتح السين المهملة واللام المخففة
مقصور وهو جلد رقيق يخرج مع الولد من بطن امه ملفوفا فيه قيل وهو كالمشيمة من
المراة وفي النهاية الاول اشبه لان المشيمة انما تخرج بعد الولد والسلا وهو للمواشي ان ينزع
عنه ساعة يولد بقي حيا والا هلك وكذا اذا انقطع في البطن ويقال للولد بعينه سلا ايضا تسمية
له باسم محله ويكون فيه دم ونحوه على رقبته الشريف والرقبة موخر اصل العنق عند
الكتفين وهو ساجد عند البيت في صلاته والجملة حالية مع الفرث والدم حال من السلا
والفرث بالفا وراء مهملة وثا مثلثة وهو السرجين ما دام في الكرش وسماهم فاعل سمى
ضمير ابن مسعود وضمير المفعول لقريش وهو يدل على ان المراد بعضهم لا الجميع كما اشرنا اليه وهم
المستهزؤن المذكورون في الاية كانوا سبعة كما تقدم ويحتمل ان فاعل سمى هو للنبي صلى الله
عليه وسلم وهو الذي صرح به سياق اصل الحديث فقال اي ابن مسعود فلقد رايتهم
قتلوا يوم بدر فاجاب الله دعوته صلى الله عليه وسلم فيهم وحديث ابن هذا في الصحيحين كما مر
قال انه صلى الله عليه وسلم كان يصلي عند البيت وابو جهل واصحاب له جلوس فقال بعضهم
لبعض انكم يجي بسلا جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد اذا سجد فانبعث اشقى القوم
فجا به وانتظر النبي صلى الله عليه وسلم حتى سجد فجعله بين كتفيه وانا انظر فجعلوا يضحكون
ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرفع راسه حتى جات فاطمة رضي الله تعالى عنها فطرحته عنه
فرفع صلى الله عليه وسلم راسه الشريف ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات اللهم عليك
بابي جهل وعتبة ابن ربيعة والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابي معيط وعمارة
بن الوليد وعدهم والذي جا بالسلا والقاه عقبة وهو اشقاهم لمباشرته الفعل كاشقى ثمود
والكلام على الحديث مفصل في شروح البخاري واما استمراره صلى الله عليه وسلم في سجوده
مع ما عليه من النجاسة المفسدة للصلاة فقد اجابوا عنه باجوبة منها انه صلى الله عليه وسلم
لم يرها حتى يتحقق نجاستها وكان هذا في اخر الصلاة فلا يلزم اعادتها مع انه كان قبل الهجرة
وتحقق شروط الصلاة المفروضة ثم انه قيل انهم كلهم لم يقتلوا ببدر ويلقوا في قليبها فان
عقبة بن ابي معيط اسر ببدر ثم قتله صلى الله عليه وسلم بعد مرحلة منها وعمارة بن الوليد
مات بالحبشة فقيل انه باعتبار اكثرهم وغالبهم على ما فيه ودعا صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه البيهقي مسندا من طرق صحيحة على الحكم بن ابي العاص بن عبد شمس بن عبد
مناف بن قصي القرشي الاموي وهو ابو مروان وعم عثمان بن عفان وهو ممن اسلم في الفتح
وكان اي الحكم يختلج بوجهه اي يحرك وجهه وبعضه لحاجبيه وعينيه ويغمز بعينيه

اي يحركهما مشيرا بهما وهو جالس عند النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا باشارته وغمزه لمن
يراه ثمة من المنافقين ونحوهم ان ما حدث به الرسول صلى الله عليه وسلم لا اصل له كما اشار اليه
بقوله اي لا فهو تفسير للغمز بالمراد منه وليس المراد بالغمز هنا العيب كما قيل لانه
غير مناسب هنا وان كان ورد بهذا المعنى في اللغة فلا وجه لتفسير يغمز بعيب لانه كان يخبر
المنافقين باسراره صلى الله عليه وسلم ولا لما قيل انه كان يحرك ذقنه وشفتيه محاكاة لفعله
صلى الله عليه وسلم فراه صلى الله عليه وسلم وهو يختلج فقال له كن كذلك دعا عليه
بان لا يزال وجهه يختلج وفي نسخة كذلك كما فلم يزل يختلج الى ان مات بدعائه وكان موته في
خلافة عثمان قبل فتنته والقيام عليه باشهر وكان صلى الله عليه وسلم اخرجه من المدينة ونفاه
الى الطائف ومعه ابنه مروان وقيل ان مروان ولد بالطائف فلم يزل بها الى ان رده عثمان في خلافته
فكان بسبب رده وابنه ما كان ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سال عثمان ابا بكر
رضي الله تعالى عنه في رده فقال ما كنت لارد من نفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم رده فوعدني به فقال ابو بكر رضي الله تعالى عنه اني
لم اسمع ذلك ولم يكن معه بينة ثم لما ولي عمر ساله ذلك فقال كما قال ابو بكر
فلما تولى عثمان عمل بعمله ورده فلا وجه للتشنيع عليه بذلك والطعن بسببه في خلافته كما تزعم
الشيعة مع انه رضي الله تعالى عنه علم من الحكم انه تاب وخلصت طويته واختلف في سبب نفيه
فقيل انه كان يستخفي ويسمع ما يسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لكبار الصحابة في امر
المشركين والمنافقين فيخبرهم به وقيل انه كان يحكي يحاكي مشي رسول الله صلى الله عليه
وسلم وحركاته فيفعل مثلها ويتغامز في مجلسه كما مر فلما علم ذلك منه نفاه وروي عن عائشة
ام المومنين رضي الله تعالى عنها انها قالت لمروان لما قال في حق اخيها عبد الرحمن ما قال اما انت
فاشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن اباك وانت في صلبه تشير الى ما روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لاصحابه سيدخل عليكم رجل لعين فدخل عليهم الحكم فلذا
قيل فليت عثمان لم يحكم بعودته رضي بما حكم الصديق في الحكم
ودعا صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي وابن جرير موصولا عن ابي هريرة
عمر رضي الله تعالى عنه قال بلغنا انه صلى الله عليه وسلم دعا على محلم بميم مضمومة وحاء مهملة
مفتوحة ولام مشددة مكسورة فميم ابن جثامة بضم الجيم وتشديد الثاء المثلثة والف وميم
وهاء واسمه جثامة بن بدر بن قيس بن ربيعة الكناني الليثي اخو الصعب قيل انه نزل فيه اذا
ضربتم في سبيل الله الاية كما ياتي فمات اي محلم هلك عقب دعائه عليه لسبع اعند سبع
او بعد سبع ليال من دعائه صلى الله عليه وسلم وهذا رواه ابن سيد الناس وغيره وقال
السهيلي انه مات بحمص ايام ابن الزبير وسياتي مثله وبينهما بون بعيد كما قاله البرهان
الحلبي فلفظته الارض اي قذفته وطرحته واخرجته من بطنها لعدم قبولها له وهذا مما
شوهد كثيرا وورد في الحديث يبقى في كل ارض شرار اهلها تلفظهم ارضوهم ثم ووري
بواوين مضمومة فساكنة وراء مكسورة ومثناة تحتية اي ستر وغطا وعيب فهو مجهول واراه
اذا عينه فلفظته الارض مرات فكانوا كلما دفنوه اصبحوا راوه فوق الارض تفضيحا
له واشارة الى انه من الاشرار فعجزوا فالقوه اي القوا بدن محلم بين ضدين مثنى ضد
بضم الضاد وفتحها وتشديد المهملتين وهو ناحية الوادي او الشعب او الجبل ورضموا عليه

الحجارة

الحجارة رضم بفتح الراء المهملة و الضاد المعجمة وميم من الرضم بالفتح والسكون وهو وضع الحجر
بعضها فوق بعض كالبناء والحد بالضم والفتح جانب الوادي وهو الارض الواسعة وهذا
احد الاقوال فيه كما تقدم وسبب دعائه عليه وسلم الصلاة والسلام انه بعثه في سرية امر عليها
عامر بن الاضبط فبلغوا بطن واد فقيل لمحلم عامر أفلما بلغه صلى الله عليه وسلم ذلك قال
اللهم لا تغفر لمحلم ثلاث مرات فلفظته الارض من رأسه فقال صلى الله عليه وسلم ان الارض لم
لتقبل من هو شر منه ولكن اراد الله ان يجعله لكم عبرة فالقوه بين صدوحي جبل حتى اكلته
السباع قال الزبيدي الصدوح الشق قال الثلمساني والذي رواه عبد الله بن مسند الي
العقفاع عن ابيه انه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية الي ضم فلقينا
عامر بن الاضبط فحيانا بتحية الاسلام فحمل عليه محلم فقتله وسلبه فلما قدمنا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم واخبرناه ترك يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل فتبينوا الآية
وقد قيل الملفوظ عين محلم بن جثامة وانا محلما ترك حمصا ومات بها في زمن ابن الزبير
رضي الله تعالى عنهما ولهم اختلاف في سبب نزول هذه الآية المذكورة وفيمن نزلت
على اقوال كثيرة وقد اختلف في محلم هذا بعد تحقق اسلامه ومحبته هل كان منافقا
ام لا وجده صلى الله عليه وسلم رجل بيع فرس اي اكثرها وكان استراها منه صلى الله عليه
وسلم وهذا الرجل اعرابي يسمى سواد ابن قيس وقيل ابن الحارث وهو صحابي والفرس
بجر كما قاله الجوهري وقيل الطرف بكسر الطاء المهملة وقيل النجيب وهي اي هذه الفرس
التي شهدت فيها اي في بيعها النبي صلى الله عليه وسلم خزيمة بجاء وذاي معجمتين
ويقال اسمه ابو خزيمة وهو صحابي مشهور قتل بصفين مع علي رضي الله تعالى عنهما
سنة سبع وثلاثين ولما شهد له قبل صلى الله عليه وسلم شهادته وجعل شهادته بشهادتين وهو من خصائصه رضي الله تعالى عنه فزاد الفرس بالنصب مفعول رد
بعد مبني على الضم اي بعد جحوده وشهادة خزيمة له النبي صلى الله عليه وسلم
هو فاعل رد على الرجل الذي جحد البيع وهو متعلق برد وانكارها صلى الله
عليه وسلم تعنتا منه وتكرما وقال اذ رد ها اللهم انه كاذب فلا تبارك له فيها
اي لا تجعل له بركة في فرسه فاصبحت اي الفرس شاسية برجلها اليسرى اي رافعة
بين معجمة والف وسين مهملة ومثناة تحتية وها اي رافعة رجلها والمراد انه
رجلها مرفوعة والاسناد مجازي وارتفاع رجلها كناية عن انها ماتت وانتفخ
بطنها حتى صارت رجلها مرفوعة كما يشاهد في الجيف بعد ايام يقال شصا الميت
اذا انتفخ وارتفعت يداه ورجلاه كما قاله اهل اللغة ووقوع مثله عادة بعد ايام
فوقوعه بسرعة من الآيات ايضا فحاصله قصة خزيمة انا رسول صلى الله عليه
وسلم اتباع الفرس من ذلك الاعرابي وتبعه ليقبض الثمن فجعل الناس يساومونه
ويزيدونا ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشعر فناداه الاعرابي ان كنت مبتاعا
الفرس والا بعته فقال صلى الله عليه وسلم قد ابتعته فقال هلم شاهدا فقال خزيمة
انا اشهد فقال له صلى الله عليه وسلم بم تشهد فقال بابي انت وامي انا اصدقك في خبر
السماء افلا اصدقك في ابتياع فرس فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا الشهادتين
وقال من شهد له خزيمة فحسبه وكان كلام الاعرابي كان قبل اسلامه او قبل خلوص اسلامه والا

فمثله لا يليق وبهذا الباب اي باب دعا النبي صلى الله عليه وسلم واجابة دعائه وقع كثيرا
وروي في احاديث كثيرة اكثر من ان يحاط به اي لا يمكن احد من علما هذه الامة ان يعلم جميع دعواته
صلى الله عليه وسلم فانها كثيرة جدا وما نقله المص منها قطرة من بحر يعلم بها ما سواه اجمالا
ويحصل به اليقين لمن كان من المومنين وقوله اكثر من ان يحاط به كقولهم اكثر من ان تحصى ومثله
كثير وتاويله مشهور فان ظاهره غير مراد حتى افرده بعض فضلا العصر بجز مستقل والاحاطة
بالشي معناها استقصا جميع افراده تنبيه مر ان الدعا معناه التضرع الى الله في جلب
ما ينفع ودفع ما يضر وقد قيل اذا كان كل شي بقضا وقدر وقد جف القلم فما فايدة الدعا
واجيب بانه امر تعدي محافظة على مقام العبودية وقد يكون ذلك معلقا بالدعا موقوفا
عليه كما اشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله اعملوا فكل ميسر لما خلق الله فمن انكر الدعا
وقال انه لا فايدة فيه فقد ضل سوا السبيل فاعرفه فصل في كراماته صلى
الله عليه وسلم اي ما اكرمه الله تعالى به من الامور الخارقة للعادة والكرامة اعم من المعجزة
فان المعجزة تكون بعد دعوى النبوة مقارنة للتحدي بالفعل او بالقوة والكرامة لا يشترط
فيها ذلك ويكون للنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من اوليا الله تعالى وان غلب في العرف
جعل الكرامة للولي والمعجزة للنبي الا انها لا تختص بذلك على ما عرف وما كان منها قبل النبوة
للنبي يسمى ارهاصا لانه تاسيس للنبوة ومقدمة لها وبركاته اي ما وقع له صلى الله عليه وسلم
ببركته من الخوارق وانقلاب الاعيان له اي تبدل حقيقتها وماهيتها وصورتها وذلك جايز
وواقع على الاصح وليس بممتنع كما توهم وليس هذا الفصل مقصورا على هذا وان كان اعظمه
فما قيل الاحسن ان يقول في كراماته بانقلاب الاعيان ليس بظاهر والاعيان جمع عين وهي
الذات فيما لمسه صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة او باشره المباشرة ان يلي الامر بنفسه
فهي اعم من اللمس واللمس المس متقاربان اخبرنا احمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن
بن علبون الخولاني شيخ المص توفي سنة ثمان وخمسماية وكان في الحديث وساير الفنون امام
عصره قال حدثنا ابو ذر الهروي تقدم بيان ترجمته اجازة وحدثنا القاضي ابو علي
سماعا ابو علي هو ابن سكرة السابق ترجمته والقاضي ابو عبد الرحمن وغيرهما ابن عبد الرحمن
هو ابن سعيد كما تقدم قالوا حدثنا ابو الوليد القاضي الباجي الحافظ وقد تقدم قال حدثنا
ابو ذر يعني الهروي المتقدم قال حدثنا ابو محمد السرخسي المتقدم وابو اسحاق المستملي
المتقدم وابو الهيثم اللشميهني المشهور قالوا حدثنا الفربري تقدم بيانه ونسبته
قال حدثنا البخاري صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا يزيد بن زريع بالتصغير ابو معاوية
البصري ولد سنة احدى وماية ومات سنة ست وثمانين وماية كذا في النسخ هنا وصوابه
حدثنا البخاري حدثنا عبد الاعلى بن حماد حدثنا يزيد بن زريع وكذا هو في صحيح البخاري
فسقط منه راو من قلم المص قال حدثنا سعيد بن ابي عروبة كما تقدم وفي نسخة عن سعيد
عن قتادة تقدمت ترجمته عن انس بن مالك الصحابي المشهور ان اهل المدينة فزعوا مرة
اي وقع بهم فزع بفتح الفا والزاي المعجمة والعين المهملة قال المبرد في الكامل الفزع في كلام
العرب على وجهين احدهما الخوف والذعر والاخر الاستنجاد والاستصراخ يقال
فزع وافزع وهو من الاضداد قال زهير زهير اذا فزعوا طاروا الى مستغيثهم طوال
رماح لا ضعاف ولا عزل وقال النبي صلى الله عليه وسلم انكم لتكبرون عند الفزع وتقلون

عند الطمع

عند الطمع والمراد هنا الاول اي وقع خوف استصرخوا بسببه وهو اشهر معنييه فركب رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما سمع صياح الناس وفزعهم لظنهم ان عدوا عجم عليهم فسبق الناس
كلهم الى الجانب الذي سمع منه الصوت وراى الناس في رجوعه فقال لهم لن تراعوا
وهو راكب فرسا لابي طلحة ركبها عريا من غير سرج عليه وابو طلحة هو زيد بن سهل الانصاري
النجاري الصحابي البدري وهو احد النقبا ليلة العقبة وممن شهد المشاهد مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وله مقام محمود باحد كما تقدم وروى عنه احاديث كثيرة وتوفي سنة اربع وثلاثين من
هجرته كان يقطف اديه قطاف بكسر القاف وبالطا المهملة والفا والشك فيه من الراوي قال البرهان
يقطف بضم الطا في قولهم تقطف الدابة بمعنى تبطي واما من قطف العنب فبكسر الطا كما قاله الزمخشري
والقطاف بكسر القاف الاسم منه وقال الجوهري المقطوف في الدواب البطي وقال ابو زيد الضيف
المشي وهما متقاربان ويوصف به الانسان والخيل وهو عيب في الخيل وهو معنى قوله وبه قطاف
وقال غيره اي غير انس يبطا مكان يقطف بمثناة تحتية مضمومة وبا موحدة مفتوحة
وطا مهملة مشددة مفتوحة وهمزة مضارع بطا والبطؤ ضيق الخطا فهو قريب من الرواية الاولى
والظاهر ان المراد هنا انه كان يوصف بالبطء وينسب اليه ذلك وهو مبني للمجهول فلما رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفزع ولقي ابا طلحة قال له وجدنا فرسك بحرا اي كالبحر
في شدة جريه وعدوه بسهولة وهو استعارة تصريحية كما يقال تبحر فلان في علمه اي توسع فكان
ذلك الفرس بعد مبني على الضم اي بعد قول النبي صلى الله عليه وسلم له ذلك ببركته
ولا يجاري مبني للمجهول مفاعلة من الجري وهو مما يوصف به الما والحيوان ايضا فهو تجريد
شبه بالترشيح وفيه مبالغة والمعنى لا يسبق فكانه لذلك لا يجاريه احد بقرينة السياق وهذا الحديث
رواه البخاري والكلام عليه مفصل في شروحه وكان ذلك الفرس يسمى مندوبا ومما رواه
الشيخان من هذا النوع انه صلى الله عليه وسلم نخس جمل جابر ابن عبد الله الانصاري الصحابي
المعروف رضي الله عنهما ونخس بخا معجمة وسين مهملة كنصر من النخس وهو ان يطعنه
في جنبه او نحوه بعود او نحوه وكان ذلك بمحجن في يده الشريفة وكان ذلك الجمل قد اعيا اي
تعب وقلت حركته من السير فنشط بكسر الشين المعجمة في الماضي وفتحها في المضارع اي اسرع
في السير وخف من النشاط ضد الكسل والمراد انه ذهب اعياؤه فابدا قوة وسرعة وفي النهاية
روي كثيرا انشط وليس بصحيح يقال نشطت العقدة اذا عقدتها وانشطتها وفي الحديث كانما
انشط من عقال ونشطت الدلو اذا جذبتها بقوة انتهى يعني ان الصواب هنا انشط من المزيد
واصل معناه الجذب بسرعة واذا صحت الرواية بخلافه فكيف يقال انه غير صواب ولا يخفى انه
استعارة فيجوز ان يستعار من نشط الدلو اذا نزعها فيشبه الجمل بدلو في بير ويشبه نخسه
له حتى جد في سيره باخراجه من البير كانه جذبه وابدا قوته التي لم تكن ظاهرة فيه حتى كان
اي جابر او الجمل لا يملك زمامه الزمام مقود الجمل ويملك يجوز بناؤه للعلوم فالضمير
فيه لجابر وللمجهول فهو للجمل ومعناه انه لا يقدر على ضبطه وحبسه لانه لشدة نشاطه يجذبه
من يده وينازعه فيه والحديث كما في الصحيحين قال جابر رضي الله تعالى عنه كان معه صلى
الله عليه وسلم في غزاة فابطا به جمله ومر به صلى الله عليه وسلم فقال له ما شانك فقال له
ابطا بي جملي واعيى فتخلفت فنزل ونخسه بمحجن وقال له اركب قال فصار لا يقدر على
كفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انه اشتراه منه ثم وهبه له كما فصل قصته في الحديث

وشروحه وفي ثمة اختلاف ايضا وفيه من بركته صلي الله عليه وسلم ولطف مقاملته مع اصحابه وكرمه
ما لا يخفي وهذه الغزوة هي غزوة ذات الرقاع كما في شرح البخاري **وصنع مثل ذلك** اي مثل ما
صنع مع جابر رضي الله تعالي عنه في حديث رواه البيهقي **بفرس لجعيل** بضم الجيم وفتح العين
المهملة ويا تصغير ولام وهو جعيل بن زياد وقيل انه سمرة الصحابي الكوفي وقيل اسمه جعال
الاشجعي بشين معجمة وجيم وعين مهملة منسوب لاشجع وهي قبيلة وحديثه هذا رواه عنه
عبد الله بن ابي الجعد قال كنت في بعض غزواته صلي الله عليه وسلم علي فرس عجفا ضعيفة في
اخريات الناس فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ما شانك فقلت انها عجفا ضعيفة فضربها
بحجفة كانت في يده وقال بارك الله لك فيها فلقد رايتني اول الناس ما املك راسها وبعث
من بطنها عدة كثيرة واليه اشار بقوله **فخفقها** رسول الله صلي الله عليه وسلم اي ضربها
بمخفقة كانت **معه** بكسر الميم وسكون الخا المعجمة وفتح الفا وقاف وهاء اسم الة من الخفق
وهي الدرة وقيل انها عصا والخفق الضرب ومنه خفق الطاير بجناحه وخفقنا بالقلب
والخافقان كله يرجع لهذا **وبرك عليها** بالتشديد تفعيل من البركة اي دعا لها مرارا بالبركة
فيها **فلم يملك راسها** اي لم يقدر علي ضبط راسها بلجامها لقوة سيرها ومجاذبتها له وهذا
من قولهم ملك العجين اذا عجنه بقوة والملك ماخوذ من هذا وهو حقيقته **نشاطا** اي
من شدة نشاطها **وباع من بطنها** اي مما ولدته وحصل من نسلها الخارج من بطنها والبطن
حقيقة الجوف ثم شاع في الولد والنسل **باثني عشر الفا** وهذه بركة عظيمة لدعايه صلي
الله عليه وسلم ولعله كان عنده منها بطون متعددة تتناسل فيكون ذلك ولدها وولد
اولادها وفيه لف ونشر فقوله لم يملك ناظر لقوله حقها وقوله باع الخ ناظر لقوله وبرك
عليها وهو ظاهر وهذا رواه النسائي وابو عبد البر في الاستيعاب **وفي** حديث رواه ابن
سعد من حديث اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة انه صلي الله عليه وسلم **ركب حمارا قطوفا**
قليل السير متقارب الخطي **لسعد بن عبادة** الانصاري سعد المشهور **فرده** اي
اعاده صلي الله عليه وسلم لصاحبه بعد ما ركب او معناه صيره لان رد يكون بمعناها ويعمل
عملها كما صرحوا به فعلي الاول ما بعده حال وعلي الثاني مفعول ثان **هملاجا** بكسر
الها وسكون الميم ولام وجيم وهو فارسي معرب وهو من البراذين ما يسرع مشيه ويكثر
نقله علي هيئة مخصوصة والعامة يسمونه رهوان **لا يساير** مبني للمجهول اي يسبق
كل ما سار معه فعبر بما ذكر مبالغة كما مر في قوله لا يجاري **وروي** البيهقي انه **كانت**
شعرات من شعره صلي الله عليه وسلم وهو بفتح العين فيهما **في قلنسوة خالد بن الوليد**
اي انه رضي الله تعالي عنه وضعها في داخل قلنسوته تيمنا بها والقلنسوة بفتح القاف
واللام وضم السين وفتح الواو وقبل هايه ما يوضع علي الراس وهي معروفة ويقال قلنسية
كما في الصحاح **فلم يشهد** اي لم يحضر **قتالا** وحربا فاتك فيه **الا رزق النصر** اي الا نصره
نصره الله تعالي علي اعدايه فيقتلهم او يهزمهم ببركة تلك الشعرات التي كانت في
قلنسوته وجملة الا رزق الخ حال مستثناة اي استثنا مفرغا من اعم الاحوال وحكي
ابن العديم ان ابن ابي طاهر العلوي كان عنده اربعة عشر شعرة من شعره صلي الله
عليه وسلم فبلغه ان بعض امرا حلب يحب العلويين وله كرم فارتحل له واهدي تلك الشعرات
له فاكرمه ثم اتاه بعد ايام فعبس في وجهه ولم يلتفت اليه فساله عن السبب فقال له قال لي

فلان

فلان ان هذه الشعرات داصل لها فساله احضارها فاحضرت فطلب منه نارا بوقدة فاتى
بها فرمي بها في حرس تلك شعرات منها في النار لم تحترق بل صارت احسن مما نت فقبل رجلة
وابقم عليه بنعم لاتحصي واكرمه غاية الاكرام **وفي الصحيح** اوفي الحديث الصحيح او صحيح
مسلم لما هذا الحديث رواه مسلم وابود اود والنسائي وابن ماجة **عن اسما بنت ابي**
بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما **انها** اي اسما **اخرجت** اي اظهرت واتت الناس
جبة بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة وهي ثوب مخيط **طيالسة** قال النووي رحمه الله ~
روي باضافة جبة لطيالسة جمع طيلسان بتثليث اللام والاشهر فتحها وطيالسة بنون
مصروف لانه بزنة ثمانية ورقاهية ويجوز نصبه على انه صفة لجبة كثوب اخلاق
وقد سقط لفظ طيالسة من بعض النسخ وهذه الجبة كانت عند اختها عائشة ام المومنين
فلما ماتت بعد النبي صلى الله عليه وسلم بنحو خمسة واربعين سنة انتقلت لها والطيالسة
نوع من الاكسية قيل انها ذات اعلام خضر ولذا ورد وبحبة خضراء فوصفت بوصف ~
بعضها وقيل معنى طيالسة خلقة وقيل انه جمع طيلس كصيقل وهو المتقن النسج وقيل
الطيلسان كساء اخضر يعرف بالمتاج وقيل الطلسان رداء من صوف تستعمله العجم ولذا يقال
يا ابن الطيلسان في الشتم **وقالت** اسما **كانت** جبة **رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها** اي
كان يكثر لبس هذه الجبة لا ان كان يهمل كذا يدل على تكرر الفعل عرفا كما ذكره الاصوليون
وليس بطريق الوضع كما مر **فنحن نغسلها** ونأخذ ما غسلها فنعطيه للمرضى **فنستشفي**
المرضى بها اي بما يها بان يشربه منه ويمسح به الاعضاء تبركا باثار صلى الله عليه وسلم فنرجو
الله الشفا بها كذا في مسلم انها جبة كسر والبة حسبة بكسر ح اي عجمية وانها كانت تكون ~
بالديباج فاستدل به بعضهم على حل السجاف من الحرير وفيه بعضهم بان لا يزيد
على اربعة اصابع وادنى في كونها من الطيالسة ما نقل انه صلى الله عليه وسلم لم يتعمم ~
الطيلسان وكرهه بعضهم لما ورد انه حلية قوم الرجال **وحدثنا القاضي ابو علي** هو ابن سكرة
وقد تقدم **عن شيخه ابي القاسم بن المامون** ابي محمد بن هشام المرعيني السبتي المعروف بابن
المامون الامام المشهور **قال كانت عندنا قصعة** بفتح القاف ولا تكسر كما مر وهي الخشبة
المعروفة وتختص في العرف بما كان من الخشب وقيدها النووي بما كانت تسع عشرة واقل
بني المامون فعلمنا انها كانت عنده وصلت اليه بطريق من الطرق ويحتمل انها كانت بدارهم
وبلادهم **من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم** بكسر القاف جمع جفنة وجفان ويجمع على ~
قصع ايضا وقصاعه صلى الله عليه وسلم لم يعدوها ولم يذكروا صفاتها لانه كان لا يعتني
بها ولا يعدها ولا يدخرها **كنا نجعل فيها المال المرضى** جمع مريض **فنستشفي بها**
اي يطلبون الشفا فيحصل لهم بشربهم مما وضع فيها البركة اثار اثاره **واخذ جهجاه الغفاري**
جهجاه بجيمين مفتوحتين بينهما هاء وبعد الجيم الاخيرة الفا وهاء وقيل ان صوابه جبكا مقصورا
لاهاء في الاخير احزه والغفاري بكسر الغين نسبة لغفار وهي قبيلة معروفة واختلف في اسم
ابيه فقيل هو ابن مسعود وقيل ابن سعد بن حرام وقيل ابن سعيد وقيل ابن قيس وهو صحابي
مهاجري مدني وروي عنه احاديث وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتوفي بعد عثمان رضي الله تعالى عنه بسنة **القضيب** يعني قضيب رسول الله صلى الله ~
عليه وسلم الذي كان مع الخلفا والقضيب عصي قصيرة **من يد عثمان** بن عفان لما قام عليه

قبل يوم الدار فقيل اخذه وجذبه من يده وهو على المنبر وقيل بعد نزوله منصرف الدار ليكسره
اي اخذه بقصد ان يكسره وظاهره ان لم يكسره لصياح الناس عليه وقال ابن عبد البر وبعض اهل
السير انه كسره على ركبته اي اتكى على ركبته في كسره كما هو معتاد فصاح به الناس ليمنعوه
من كسر قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه امر عظيم وجراة لم يرضوها ولذا قال ابن
العربي لا يصح كسر العصا عمن اطاع او عصى وهذه العصا كان يعتمد عليها النبي صلى الله عليه
وسلم اذا خطب وكذا الخلفا بعده فاخذته اي اصابته ووقعت به واصل معنى الاخذ التناول
فتجوز به عما ذكر الاكلة كقرحة وهو دا يصيب بعض الاعضا فيتاكل اي يتفتت ويتقطع وهو
نوع من الجذام والفرق بينهما المذكور في مفصلات كتب الطب والناس تقول اكلة بالمد وقد
قيل انه خطا الى ان الثعالبي انشد لبعض العرب في كتابه ثمار القلوب

ومن انت هل انت الا امرء ... اذا صح نسلك في باهله
وللباهلي على خبره ... كتاب لاكله الاكله

ولم يخطئه فيه وهو من ايمة اللغة فيصح ان تقرا عبارة المص به الا ان معارضة الرواية فقطعها
اي قطع جهجاه ركبته او رجله من ذلك كيلا يسري المرض لبدنه فان هذا الاكل المرض يعالج بقطع
العضو كما قيل

القطع طب كل عضو فاسد ... فلا حاجة لما قيل ان ضمير

الفاعل للاكل وذكره بتاويل المرض ونحوه ومات الجهجاه من قطعها قبل تمام الحول السنة
التي وقع فيها القطع بسبب اهانته لقضيبه صلى الله عليه وسلم قال ابن عبد البر في الاستيعاب
انه تناول العصا من يد عثمان رضي الله تعالى عنه وهو يخطب فكسرها فوقعت الاكلة في ركبته
وتوفي بعد عثمان بسنة وهو مناف لكلام المص من وجهين لان ظاهره ان لم يكسرها وانه حال
عليه الحول وفي الروض الانف انه انتزعها من يد عثمان رضي الله تعالى عنه حين اخرج من
المسجد ومنع من الصلاة فيه وهو ايضا مخالف لكلام ابن عبد البر في قوله انه اخذها وهو
على المنبر وكان عثمان لما قام عليه الناس وهجموا المدينة يخرج يصلي بالناس على عادة
الخلفا الراشدين ثم خرج في اخر جمعة فحصبوه حتى وقع من على المنبر ولم يقدر على الامامة
فصلى بهم ابو امامة بن سهل ثم حصروه ومنعوه من المسجد وكان من القايمين عليه الجهجاه وشافهه
بما لا يليق وفعل بالقضيب ما فعل وفي جراته على قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع انه من الصحابة الذين شهدوا المشاهد معه صلى الله عليه وسلم اشكال لا يخفى فان الظاهر
انه يعرف القضيب وحرمته وغضبه على عثمان رضي الله عنه لا يسوغ له مثل ذلك وعثمان
رضي الله عنه كان مجتهدا متاولا فيما انكروه عليه وما هذه الازلة عظيمة لا تليق بمن كان
مومنا صحابيا وروى البيهقي عن انس رضي الله تعالى عنه حديثا متصلا انه صلى الله عليه وسلم
سكب من فضل وضوئه السكب بمعنى الصب وفضل وضوئه ما زاد عليه وقال شيخنا المقدسي
قدس الله روحه في كتابه الرمز ان الوضو بالفتح في المصدر كما في الصحاح وبالضم مصدر عن
البريدي والفتح اولى وفي كتاب سيبويه فلما جا على فعول بالفتح توضا وضوا وتطهر
طهورا وولع ولوعا وقبل قبولا وقال ابن خروف في شرحه زعموا ان الوضوء من اسما
الما كالوقود ولم يجا عمن يوثق به الوضو بالضم قلت ولولا انه ضعيف ما تبرا منه الجوهري
والقاضي عياض وتبعه النووي القاضي عياض وكلاهما لم يجزاه انتهى ما قاله شيخنا فلك

هذا الفتح

هنا الفتح والضم في بير قبا بضم القاف والمد مكان بقرب المدينة الشريفة غير مصروف ويجوز
صرفه ايضا باعتبار المكان والف ليست للتانيث وقال في التبصرة انه اسم اماكن ثلاثة وينسب
اليه قباي والي قبا فرغانة قباوي والقصر لغة فيه ايضا فما نزفت البير اي انقطع ماوها
بعد مبني على الضم اي بعد ما سكب فيها فضل وضوئه صلى الله عليه وسلم ونزفت بفتح
الزاي المعجمة ويجوز كسرها فهو مبني للفاعل ويجوز بناؤه للمفعول ايضا لانه ورد متعديا
وغير متعد فمن اقتصر على الثاني فقد قصر وقد ورد ثلاث متعديا ومزيده لازما على خلاف
القياس ككبه الله فاكب وله اخوات فصلناها مع الكلام عليها في السوانح والمم قال انه صب
فضل وضوئه اي بقيته ووقع في رواية انه تفل فيها وعد هذا من كراماته صلى الله عليه
وسلم وتقدم ان من معجزاته صلى الله عليه وسلم تفجير الما في بير الحديبية وبير تبوك لانه
ثمة وقع التحدي لمشاهدة الكفار له وهنا لم يقصد التحدي كما قيل و روى ابو نعيم في
دلايله انه صلى الله عليه وسلم بزق بزاي وصاد وكلاهما بمعنى وهو مج الريق من فيه
في بير كانت في دار انس بن مالك خادمه صلى الله عليه وسلم فلم يكن بالمدينة بير من
ابارها اعذب منها اي احلى والذ من مايها وهذا كان بين اظهر المومنين فلذا لم يعده
معجزة كما اشرنا اليه ومر صلى الله عليه وسلم على ما في بعض اسفار فسال عنه اي عن
اسمه فقيل له اسمه بيسان بموحدة مكسورة وقال التلمساني بالفتح وهو الظاهر
لموارثته كنعمان الاتي ولولاه جاز فتحه وكسره ومثناة تحتية ساكنة وسين مهملة والف ونون
وماوه ملح جملة حالية اي لا عذوبة فيه فلما سمي بما يوهم البوس ضد الغم لم يجب صلى الله
عليه وسلم بابتسامه فغيره لانه كان يحب الفال الحسن فقال بل هو نعمان بفتح النون
فعلان من النعيم والنعمة وبيسان موضعان احدهما بالشام وهو في حديث الدجال والاخر
بالحجاز وهو الذي مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذي قرد وهو المذكور
هنا فغير اسمه فغير الله ماوه فاشتراه طلحة رضي الله تعالى عنه وتصدق به فقيل له طلحة
الفياض وضبط الانطاكي في حواشيه هنا نعمان بضم النون والصواب ما تقدم وفي الشرح
الجديد انه بكسر النون فكانه قصد بذلك موافقة بيسان وملح هو الفصيح ومالح لغة ايضا لكنها
غير فصيحة وليست لحنا كما قيل لورودها في النظم والنثر كثيرا ولولا خوف الاطالة اوردنا
ذلك وماوه طيب هذا من جملة مقوله صلى الله عليه وسلم والا تناقض كلامه فطاب
ببركته صلى الله عليه وسلم لما غير اسمه وقال انه طيب روى ابن ماجة في حديث اخر
مسندا انه صلى الله عليه وسلم اتي بالبنا للمجهول اي اعطاه بعض اصحابه صلى الله عليه
وسلم وجاله بدلو مملوء من ما زمزم رواه البيهقي عن وايل الحضرمي الا انه لم يقل فيه
انه من ما زمزم فمج فيه اي القى فيه صلى الله عليه وسلم ما فمه وريقه فصارت رايحته
اطيب من رايحة المسك وقريب منه قصة نافع احد القرا السبعة المذكورة في شروح
الشاطبية و من كراماته صلى الله عليه وسلم ما رواه الطبراني عن ابي هريرة انه اعطى
الحسن والحسين لسانه الشريف اي وضعه في فمهما فمصاه اي جذبا ريقه وشربا
منه وهما يبكيان جملة حالية اي باكين عطشا تمييزا ومفعول له والعطش حرارة تقتضي
اشتهاء ما يشرب فسكتا فسكن عطشهما وتركا البكا وكان الاحسن ان يذكر هذا مع قوله
وكان يتفل في افواه الصبيان الخ و في حديث صحيح رواه مسلم عن جابر انه كان لام

مالك الانصارية الصحابية وهي ام سليمان بنت ملحان قيل والصواب ان يقول ام انس بن مالك
وفي الصحابة ام مالك البهزية وليست هذه وفيه نظر لان ام مالك هذه ليست ام انس وقد
قالوا انه لا يعرف اسمها وفي شرح المصابيح للتوربشتي ان ام مالك في الصحابة اثنتان ام
مالك الانصارية وام مالك البهزية وهي صاحبة العكة انتهى عكة بتثليث العين
المهملة والمشهور ضمها وهي صفر من جلد يوضع فيه السمن غالبا وكافها مشددة تهدي
فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا اي ترسل به له على طريق الهدية وهو بفتح السين للبقر
غالبا ويكون للعزي ايضا وفي القاموس انه سلا الزبد ولم يقيده فامرها النبي صلى الله عليه
وسلم ان لا يقصرها الامر هنا بمعناه اللغوي لان قوله لا يقصرها نهي لا امر او هو باعتبار
لازمه لان النهي يلزمه الامر بالكف وعلى الاول هو مطلق الطلب والعصر الضغط للظرف
ليخرج بقية ما فيه مما قل ففيه اشارة الى انه لا ينبغي النظر لقلة ما فيها واحتقاره وتعظيم ما
قل من نعم الله يزيده ويجعل فيه البركة ولذا قيل ان فيه دقيقة لمن نظر بعين الحقيقة ويعصر
بكسر الصاد كضرب يضرب ثم دفعها اي دفع صلى الله عليه وسلم العكة اليها اي الى ام
مالك المهدية له فاذا هي فاجاه بغتة مملوة سمنا اي فاجاها بغتة ملؤها بزنة المفعول
مهموز ويجوز ابدال الهمزة واوا وادخالها سمنا فياتيها بنوها يسالونها الادم
بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وضمها وهو جمع ادام هو ما يوتدم به مع الخبز كالسمن
والعسل واختلف الفقها هل يسمى اداما عرفا ام لا فلا ينافي ما ورد في الحديث سيد ادام الدنيا
والاخرة اللحم وقيل الادم ما يصلح به الطعام وليس عندهم شي يعني من الادام فتعمد
اليها اي تقعدها وتمسكها بيدها وعمد يعمد بفتح الميم من الماضي وكسرها في المضارع ويجوز
العكس كما في شرح الفصيح لليلي فتجد فيها سمنا كما كانت فلا تنقص فكانت مقيم ادمها اي تجدها
قايما اي باقيا على حاله حتى عصرته غاية للاقامة اي لما عصرته انتهت اقامة السمن في العكة
وفقدته وذهبت بركته لما خالفت امره صلى الله عليه وسلم قال النووي في شرح مسلم
الحكمة في ذلك ان عصرها يضاد التوكل والتسليم ويتضمن التدبير والاخذ بالحول والقوة فعاقبها
الله تعالى بزوال ما انعم عليها ولم يذكر هذا في المعجزات لانه لم يتحد به ولانه حصل في بيت
ام مالك وفي اسد الغابة لابن الاثير انه صلى الله عليه وسلم امر بلالا فعصرها ثم دفعها اليها
فلما اخذتها اذا هي مملوة فاتت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله نزل بي شي
فقال ما ذاك يا ام مالك قالت رددت علي هديتي فدعا بلالا وساله عن ذلك فقال والذي
بعثك بالحق لقد عصرتها حتى استحييت فقال هنيا لك يا ام مالك هذه بركة عجل الله
ثوابها ثم علمها صلى الله عليه وسلم ان تقول في كل صلاة سبحان الله عشرا والحمد لله عشرا
والله اكبر عشرا وهذا صريح في ان ما ذكر كان بركة لا معجزة بملاحظته صلى الله عليه وسلم كما
قيل فتدبر وفي حديث رواه البيهقي انه صلى الله عليه وسلم كان يتفل بفتح المثناة التحتية
وسكون التا المثناة الفوقية وضم الفا وكسرها والتفل البصاق وخصه البيهقي بيوم عاشورا
في افواه الصبيان وافواه جمع فم باعتبار اصله لان اصله فوه والصبيان جمع صبي والمراد
بهم الصغار الذين يرضعون ولهذا قال المراضع بزنة مساجد جمع مرضع بفتح الضاد اسم
مفعول من الرضاعة وهي مص الثدي لا جمع رضيع بمعنى مرضع كما قيل فان فعيل لا
يجمع على مفاعل وادعا انه على خلاف القياس لا حاجة اليه وفي بعض النسخ مراضيع بزيادة

الياء

اليا فان صحت رواية فهو على خلاف القياس كما قيل في جمع خاتم خواتيم الا ان ابن عصفور
قال انه شاذ وادعا بعضهم انه ضرورة لا يصح فانه ورد في الحديث الاعمال بخواتيمها وما قيل ان
تقدير هذا الكلام صبيان المراضع وهن الامهات خطا اللهم الا ان وقع له رواية صبيان المراضع
بالاضافة ولم نجده في شي من النسخ **فيخرجهم** بضم المثناة التحتية وسكون الجيم وكسر الزاي المعجمة
وهمزة اي يكفيهم واهل الاصول فسروا الاجزا بالصحة وفي المحصول وشروحه كلام في الفرق
بين الاجزا والصحة **ريقه** الشريف **الشريف الى الليل** اي يكفيهم عن الرضاعة النهار كله
ببركته صلى الله عليه وسلم فيقول المص منه مقام لبن الام الكثير **ومن كرامته** اي من كرامة النبي صلى
الله عليه وسلم ما رواه البيهقي **بركة يده فيما لمسه** اللمس قريب من المس وهو وضع اليد على الشي
فقوله بيده تاكيد او تجريد كنظرت بعيني والبركة الزيادة المعنوية والحسية كما تقدم **وغرسه**
لسلمان اليمن الفارسي اي لاجله كما سياتي والغرس ما وضع اصول الشجر في الارض لينمو وفي
نسخة او غرسه فهو شك من الراوي وسلمان هو ابو عبد الله الفارسي مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو من قرية يقال لها جي من قرى اصبهان او رام هرمز ولم يتخلف عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اعتقه وكان من علما الصحابة وزهادهم المعمرين وكان رضي الله
تعالى عنه يعمل الحوض وياكل منه مع ان عطاه من بيت المال خمسة الاف كل سنة وكان اذا اخذها
تصدق بها قال النووي رحمه الله تعالى اتفقوا على انه عاش مائتين وخمسين سنة وقيل
ثلاثماية وخمسين سنة وتوفي بالمداين ودفن بها سنة خمس او ست وثلاثين وقد قال صلى الله
عليه وسلم ان الجنة لتشتاق له وكان مولاه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من اليهود
فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وقصته مشهورة **حين كاتبه مواليه** من اليهود
وهذا ينافي ما قاله البرهان انه صلى الله عليه وسلم اشتراه وجمع الموالي ولم يكن الا مولى واحد
تجوزا وقد قيل انه على ظاهره لانه ورد انه اشتراه من قوم من اليهود وفيه نظر والمولى
هنا هو السيد وهو مشترك بينه وبين العبد وله معان اخر والكتابة معلومة مفصلة في كتب
الفقه **على ثلاثماية ودية** بفتح الواو وكسر الدال المهملة ويا مثناة تحتية مشددة وهي
صغار النخل **يغرسها لهم كلها تعلق** بفتح التا الفوقية وسكون العين المهملة وفتح اللام
ثم قاف اي تنبت بعد غرسها ويتم غراسها من علقت المراة اذا حبلت وقال بعض الشراح توكل
ثمرتها من علق يعلق كعلم يعلم وقيل تدركه وتضم لامه كيكتب فهو متداخل من بابين
والمراد الاكل هنا وهو الظاهر وجملة كلها تعلق بدل مما قبله وقوله **وتطعم** اي يوجد
فيها ما يوكل من ثمرها ويويد ان المراد بما قبله تدرك واجاز ان يكون عطف تفسير وهو
بوزن يكرم **وعلى اربعين اوقية** بضم الهمزة وتشديد اليا ويقال وقية ايضا بفتح الواو وقال
السعد في شرح الكشاف الاوقية افعولة فاصلها اوقية فاعلت او فعلية من الاوق وهو الثقل
والمراد اربعون درهما كما في كتب اللغة وعند الاطبا وهو المتعارف لان انها عشرة دراهم
وخمسة اسباع درهم وقال الزمخشري انها اثنان واربعون درهما وقال انتهى وقيل
انها سبعة مثاقيل **من ذهب** بيان للاوقية وانها ليست من فضة ولفظ الوقية وقع في حديث
رواه الشيخان فقول بعضهم انها عامية كما في النهاية لا وجه له اللهم الا ان يريد انها
المشهورة بين العوام فلا ينافي تصحيح اهل اللغة لها كما في القاموس وغيره والنش بفتح
النون وتشديد الشين المعجمة عشرون درهما **فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم**

من مجلسه الي محل عين لغراسها فيه وغرسها له بيده الشريفة تبركا الا واحدة منها غرسها غيره
قيل هو عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنه كما رواه ابن عبد البر وقيل انه سلمان ووفق بينهما بانهما
غرساها معا او ان كل واحد منهما غرس واحدة فاخذت كلها بمعني انها طلعت وادركت
فهو مجاز كانها اخذت من الارض ما قامت به ونمت كما يدل عليه الكلام الا تلك الواحدة التي غرسها
غيره فقلعها من محلها وردها اي اعادها الي محلها فاخذت اي نبتت وادركت ببركة يده
الشريفة ومسها وهو من معجزاته صلي الله عليه وسلم الباهرة وقوله الا واحدة يدل علي بطلان
التوفيق بانهما غرس كل واحد منهما ودية وفي بعض السير انه صلي الله عليه وسلم غرسها كلها
من غير ذكر الواحدة بعد ذلك فلا منافاة بينهما وفي كتاب البزار بموحدة وزاي معجمة والفوراء
مهملة نسبة لعمل بزر الكتان زيتا عند البغداديين وهو الحافظ المشهور فاطعم النخل اي اثمر
ذلك النخل الذي غرسه صلي الله عليه وسلم بيده الشريفة من عامه اي في سنته التي غرس فيها
ومن ابتدائية الا الواحدة فقلعها رسول الله صلي الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها
واضافة العام لها حقيقة لوقوع الغراس فيه واعطاه اي اعطي رسول الله صلي الله عليه وسلم
سلمان مما كوتب عليه مثل بيضة الدجاجة اي قدر حجمها لا وزنا كما قيل من ذهب جاءه من الغنائم
بعد ما ادارها علي لسانه الشريف ليحصل فيها بركته ولا حاجة الي ان يقال انه صلي الله عليه وسلم
دعا بالبركة فيها ولم يسمع فيها فانه لا يقال مثله بالراي فوزن سلمان رضي الله عنه منها لمواليه
اي لمن كاتبه كما مر اربعين اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم وهي اربعون اخري وكانت
في راي العين دون ما كوتب عليه من الذهب لكنها زادت وزنا ورجحت ببركته صلي الله عليه
وسلم وهو من نمو الاعيان قيل يجوز ان يكون فاعل وزن الصبي صلي الله عليه وسلم وكذا بقي
وهو بكسر القاف المخففة ويجوز فتحها مشددة وقصة سلمان رضي الله عنه طويلة مفصلة في
السير وحاصلها انه يجي وهي قرية بفارس كان ابوه رئيسها وهو ممن يعبد النار فمر سلمان
برهبان في كنيسة يصلون ويتعبدون فاعجبه امرهم وقال هذا خير من نبينا فلما اخبر اباه بذلك نقم
عليه وقيده مخافة ان يتبعهم فارسل سلمان اليهم يقول اذا كان عندكم من يذهب الي الشام
اخبروني به وكانوا قالوا ان ديننا هذا بالشام فاخبروه فكسر قيده وذهب معهم وجاء
الي الشام ودخل كنيسة فيها قسيس يتعبد بها فاستمر عنده الي ان مات فذهب لاخر بعمورية
ثم لاخر بالموصل ومكث عنده فمرض واشرف علي الموت فقال له انت ما افعل قال ان ديننا
هذا قديم وقد دنا زمن نبي علي الحنيفية يظهر بارض النخل فسأله عن علامته فقال به خاتم
النبوة ولا ياكل الصدقة وياكل من الهدية فمر به قوم من كلب وكان له بقرات وغنيمات
اكتسبها من عمله فاعطاها لهم علي ان يحملوه الي ارض العرب فغدروا به واسروه وباعوه من يهودي
وقيل ابتاعته امراة والاصح الاول فكان يخدمه حتي قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم المدينة
فبينما هو علي نخلة من النخيل وسيده الذي اشتراه منهم تحتها اذا برجل غريب جا الي سيده
المذكور وقال هل سمعت ما فعله الانصار قدم عليهم رجل من مكة وهو معهم بقبا الان فلما سمع
مقالته عراه نافض كالحمي ونزل يسال الرجل عما قاله فنهره سيده فاضمر مقالته ثم ذهب
اليه صلي الله عليه وسلم بتمرات من نخل سيده فاكلها فلما راي العلامات المذكورة جا وكاتبهم
سيده علي ما ذكره المص فان قلت تقدم في الحديث انه مولي رسول الله صلي الله
عليه وسلم مما اتي به والعبد لا يملك شيا قلت اجابوا عنه بوجوه منها انه ورد انه صلي الله عليه وسلم

اشتراه

اشتراه منه بما ذكر وعلى هذا فلا اشكال ومنها انه علم انه لم يمسه الرق كما مر وانما باعوه ظلما
وعصيا ولو سلم فهو مولى موالاة لا مولى ولذا قيل صلى الله عليه وسلم ما اهداه له لانه اجرة
له واذن له سيده في دفعه لمن يريد وفي حديث حنش بفتح الحا المهملة والنون وشين معجمة
ابن عقيل بفتح العين وكسر القاف وليس مصغرا وهو صحابي ترجمته في الاستيعاب وغيره وهذا
الحديث رواه بطوله قاسم بن ثابت في الدلايل عن المسور بن مخرمة سقاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم شربة من سويق بالسين وقد تبدل صادا وهو قمح يقلى ويطحن ثم يجعل في ما ونحوه
من المايعات ويشرب فهو طعام وشراب وشربة بفتح السين المراة من المشروب وليس بضم الشين
كما قيل فهو مفعول به لا مفعول مطلق كما قيل وشرب صلى الله عليه وسلم اولها شربت اخرها
يعني انه صلى الله عليه وسلم شرب منها اولا لتحصل البركة فيها ثم ناوله الانا فشرب بقيته
فما برحت اي لم ازل بعد ما شربت سوره اجد شبعها اي يحصل عندي الشبع بزنة العنب وهو
معروف اذا جعت اي جاء وقت الجوع والحاجة الى الطعام وريها بكسر الرا وهو برد يحصل في
الجوف من الما ونحوه يغني عن الما اذا عطشت اي جا وقت الحاجة الى الشرب والضميران
للشربة وبردها اذا ظمئت بزنة علمت بهمزة بعد الميم ويجوز ابدالها وهو من الظما وهو العطش
فغاير بينهما في العبارة تفننا اي لم يفارق بعد شربها الشبع والري لبركة سورة صلى الله
عليه وسلم وفي حديث صحيح رواه احمد في مسنده عن ابي سعيد انه صلى الله عليه وسلم اعطى
قتادة بن النعمان ابن زيد ويكنى ابا عمر وهو صحابي مشهور توفي سنة ثلاث وعشرين
وصلى عليه عمر رضي الله تعالى عنه وهو الذي روت عينه كما تقدم وهو من الانصار وصلى
معه العشا جملة حالية بتقدير قد اي وقد صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العشا
في ليلة مظلمة مطيرة اي ذات ظلمة من ظلمة الليل والسحاب المطبق بالمطر وهو متعلق باعطى
عرجونا بضم العين وسكون الرا المهملتين وضم الجيم كعنقود وبكسر وبفتح كفردوس وبها قرئ
وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وقيل وزنه فعلول واليه ذهب صاحب القاموس
والصحيح الاول وقال صلى الله عليه وسلم لقتادة انطلق به اي خذ العرجون واذهب
به لمنزلك فانه سيضي من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا اي مقدار عشرة اذرع في طريقك
حتى تبصرها وليست العشرة من الاشبار كما قيل فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا وهو ضد
البياض والمراد جسم اسود والسواد يطلق على الجثة والشبح وفي توفيق عربي الايمان للبازي
انه كان هيئته قنفذ فاذا رايته فاضربه حتى يخرج من البيت فانه اي السواد المرئي الشيطان
تصور بهذه الصورة فانطلق قتادة فاضا له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد فضربه
حتى خرج من بيته كما اخبره به صلى الله عليه وسلم قيل ما ذكره المص رحمه الله رواية بالمعنى
فان لفظ الحديث كما رواه ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات ليلة لصلاة
العشا وهاجت السما والظلمة وبرقت فراى رسول الله صلى الله عليه وسلم قتادة فقال له
له قتادة قال نعم يا رسول الله علمت ان شاهد الصلاة قليل فاحببت ان اشهدها فقال له
اذا انصرفت فاتني فلما انصرف اعطاه عرجونا وقال خذه فسيضي امامك عشرا وخلفك
عشرا الحديث ويضي جا متعديا فعشرا مفعوله ولازما فهو منصوب على الظرفية والشيطان
المراد به واحد من الجن المردة او ابليس بعينه ومنها اي من كراماته صلى الله عليه وسلم
في قلب الاعيان ما رواه البيهقي في حديث مسند وهو رفعه لعائشة ابن محصن له

الصحابي المشهور وهو بضم العين وتخفيف الكاف وتشديدها وشين معجمة علم منقول واصله
العنكبوت او بيته وهذه القصة وقعت له وهو ببدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والدفع اصله
معناه الازاحة باليد والمنع ويطلق على الاعطا والتسليم كما يقال دفع له المال **جذل حطب** بجيم
مكسورة وذال معجمة ساكنة ولام وقد تفتح جيمه وهو عود غليظ او اصل من اصول الشجر ومنه
المثل انا جذيلها المحكك وهو عمود ينصب لتحتك به الابل الجربى فاستعير لمن يرجع لرايه ويستشفى
بهدايته في المهمات والحطب ما يبس من اغصان الشجر وهو معروف وهو الذي قال فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وقد كان يدخل الجنة سبعون الفا بغير حساب وهم الذين لا
يرقون ولا يسترقون فقال عكاشة ادع الله ان يجعلني منهم فقال جعلك الله منهم ثم قام اخر
فقال مثل ما قال فقال له صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة قال ابن عبد البر الثاني كان من المنافقين
ورده السهيلي بانه ورد في رواية فقام رجل من اخيار المهاجرين وايضا ورد انه انما قال لثالث
ولعل الساعة الاولى كانت ساعة اجابة انقضت او لانه عرف صلى الله عليه وسلم انه لو دعا له استرسل
الامر وطال وعم مثله وهو مما يكتم **وقال اضرب حيين انكسر سيفه يوم بدر** اي في وقعة بدر
كما مر في اطلاق اليوم على مثله **فعاد في يده سيفا** اي صار لان عاد يكون بمعنى رجع وليس
مناسبا هنا وبمعنى صار كما فصل في محله وقوله **صارما** اي قاطعا ومنه الصرم وهو الهجر والقطيعة
طويل القامة اي طويلا مستقيما **ابيض** اللون **شديد المتن** اي قوي الجزم صلبا من المتانة وهي
القوة ولذا سمي الظهر متنا لقوته واشتداد الاعضا وقوامها به **فقاتل به** ببدر حتى انقضت
ثم لم يزل السيف **عنده** اي في ملكه وتصرفه والعند للحضرة وترد لمعان اخر منها
هذا يشهد اي يحضر **به الموافق** اي قتال الكفرة **الى ان استشهد في قتال** اهل **الردة** واستشهد
بمعنى صار شهيدا وقيل معناه طلب الله تعالى منه الشهادة وذلك في خلافة ابي بكر رضي الله
عنه وهو مشهور وقوله الى ان استشهد الخ غاية لبقايه في يده فلا ينافيه بقاؤه عند اهله بعده
كما توهم **وكان هذا السيف يقال له العون** سمي بهذا المصدر مبالغة لاعانته على الاعدا وكان
من عادة العرب واهل الصدر الاول انهم يسموا الات حربهم وخيولهم باسما كالاساسي **ودفعه**
مصدر مرفوع مبتدا خبره مقدر اي من كراماته صلى الله عليه وسلم دفعه او هو معطوف على دفعه
السابق بل بلا تقدير وهو الاولى **لعبد الله بن جحش يوم احد** اي في وقعة احد المشهورة وهو
ابن عمته صلى الله عليه وسلم اميمة بنت عبد المطلب وهو من المهاجرين بالهجرتين ويسمى
المجدع لانه استشهد باحد ومثل بقطع انفه واذنيه لانه طلب ذلك من الله وقصته مشهورة في
السير ورواها البيهقي مسندة **وقد ذهب سيفه** جملة حالية او معترضة فاعطاه صلى الله عليه
وسلم **عسيب نخل** عسيب بوزن كريم بعين وسين مهملتين ومثناة ساكنة تحتية وبا موحدة قيل وهي
جريدة النخل لا خوص عليها والصواب ما في الصحاح من انه من السعر ما فوق الكرب لم يبت عليه
خوص كعسب الذنب **فرجع** اي سار العسيب وهو احد معنيي الرجوع ويكون لازما ومتعديا **سيفا**
مفعول رجع قال ابن عبد البر في الاستيعاب انقطع سيف عبد الله بن جحش يوم احد فاعطاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد عرجون نخلة فصار في يده سيفا يقال ان قايمة كان منه
فبقي الى ان بيع من بقا التركي عملتا في دينار وكذا ذكره ابن سيد الناس وغيره وهذه الرواية
تدل على ان العسيب اصل العرجون لان الجريد كما قيل قيل وهذه اعظم من معجزة موسى عليه الصلاة
والسلام في عصاه لانها بقيت بعده صلى الله عليه وسلم وعصا موسى لم تبق بعد موته وقد

وقعت

وقعت مرارا في عصى متعددة وتلك عصاة واحدة وفي سيرة ابن سيد الناس مثله لسلمة بن اسلم يوم
يوم بدر **ومنه** اي من هذا النوع من الكرامات والبركات **بركته** صلى الله عليه وسلم **في درور
الشاة** وورد بدال وراين مهملات مصدر درت الشاة ونحوها درورا سال لبنها من
ضرعها بكثرة والدر اللبن ومنه لله دره ثم شاع في معنى الخير والنفع والشاة من الغنم
واصلها شوهة فاعلت وتطلق على ما يشمل المعز مجازا والشياه بزنة رجال جمع شاة **الحوايل**
جمع حايل وهي التي لم تحمل مطلقا او ما حمل عليها فلم يحمل وقيل انها ما لم تكمل سنة او سنتين
وقيل انها جمع حول جمع حائل جمع الجمع ووصفها بذلك لانها ابعد من الدر **باللبن الكثير**
ذكره للايضاح والتاكيد واراد بالدرور مطلق الخروج على طريق التجريد والمجاز المرسل
كقصة شاة ام معبد عاتكة بنت خالد الخزاعي اخت حبيش الصحابي المعروف بالاشعر وابو معبد
اسلم ومات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وله رواية وقال السهيلي انه لا يعرف اسمه وقيل
اسمه حبيش وقيل اكثم بن ابي الجون ومنزله بقديد وقصة ام معبد مشهورة وتقدمت الاشارة
اليها وافردها الحافظ العلائي بالتاليف وان النبي صلى الله عليه وسلم مر على خبائها وهو
مهاجر للمدينة فنزل عندها وطلب منها زادا فقالت ما عندي غير شاة عجفا لا لبن فيها فمسح صلى
الله عليه وسلم ضرعها فدرت ما كفاه ومن معه وبقي في الاناء بقية فلما جاء زوجها اخبرته بخبره
وصفته فعرفه ثم قدمت عليه صلى الله عليه وسلم المدينة بولد صغير لها واسلمت كما بيناه سابقا
وتفصيله في السيرة وشرحها وهو مشهور لا حاجة لذكره هنا **ومنها قصة اعتر** جمع عتر **معاوية
بن ثور** بالمثلثة بن عبادة بكسر العين ابن البكا والد بشر وقصته رواها ابن سعد وابن شاهين
عن الجعد بن عبد الله وفي نسخة العز في انه معوية بعين مضمومة ونون وصححه ولم يذكره
الحافظ الحلبي ونقل خلافه عن الذهبي وكان وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وهو شيخ
كبير ومعه ولده بشر ومعه الضجيع بن البكا والاصم ابن كعب فقال يا نبي الله بابي انت وامي امسح
على وجه ابني فمسح عليه واعطاه اعترا سبعا ودعا لها بالبركة قال الجعد وكانت السنة ذات
قحط وغلا اصاب بني البكا فاصابتهم بركته صلى الله عليه وسلم ونمت الاعتر وكتب لهم كتابا
هو بني بشر المذكور وفيه قصة الاعتر وفي ذلك يقول بشر رضي الله تعالى عنه

وانا الذي مسح الرسول براسه ودعا له بالخير والبركات

وشاة انس وقصتها كقصة شاة ام معبد الا ان الشراح لم يذكروها ولم يذكرها السيوطي في
تخريجه ايضا لعدم الوقوف عليها **وغنم حليمة مرضعته** صلى الله عليه وسلم اي قصة غنمها
التي رواها ابو يعلى والطبراني وغيرهما بسند حسن لما حملته صلى الله عليه وسلم لترضعه
في سنة كان فيها قحط اصاب ارض قومها وقل النبات فيها فكان غنمها تاتي من المرعى وقد
رعت كثيرا ورد لبنها وغنم قومها تاتي عجافا جافة الضروع فيتعجبون منها وما ذاك الا
ببركته صلى الله عليه وسلم ويمن قدمه وحليمة بنت عبد الله بن الحارث السعدية وزوجها هو
الحارث بن عبد العزى وقد اسلمت هي وزوجها واولادها كما تقدم ومرضعته بالجر بدل
من حليمة **وشارفها** بالجر عطف على غنم والشارف الناقة المسنة وقيل انها تشمل الذكر
والانثى والمعز والمراد الاول فكانت خرجت من بلدها مع زوجها وابن رضيع لها ومعهم
شارف ليس في ضرعه قطرة لبن فكانوا لا ينامون من الجوع فلما اخذت النبي صلى الله عليه
وسلم لترضعه قام زوجها فوجد شارفه حافلة بالدر فحلب منها ما شربوا كلهم وشبعوا

وبات بخير ليلة فقال لحليمة انه نسمة مباركة فقالت اني والله ارجوا بركته الي اخر القصة ~
وشاة عبد الله بن مسعود التي روي قصتها البيهقي وابن مسعود رضي الله عنه من كبار ~
المهاجرين السابقين وترجمته تقدمت وكان وهو صغير يرعي غنما لعقبة بن ابي معيط فمر
عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم وابو بكر رضي الله عنه فقال له هل عندك لبن قال نعم لكن
موتمن فقال ايتني بشاة لم ينز عليها الفحل فاتيته بجذعة فاعتقلها ومسح ضرعها ودعا الله واتاه
ابو بكر بصحفة فحلب فيها وقال لابي بكر اشرب ثم قال للضرع اقلص فعاد كما كان وكان هذا
سبب اسلامه وكانت لم ينز عليها فحل نزا الذكر علي الانثي اذا علاها لينكحها واتراه غيره
وهو مخصوص بالبهايم والسباع والفحل الذكر فيصح في ينز ان يكون بفتح اليا التحتية وضم
الزاي المعجمة مبني للفاعل ويصح ضم اوله وفتح اخره بالبنا للمجهول وهو مبالغة في عدم اللبن
بنفي اللازم البعيد لانه اذا نزا عليها حملت ثم ولدت ثم يدر لبنها وشاة المقداد بالجر اي
اي قصتها التي رواها مسلم والبيهقي وهو ابن عمرو لا الاسود وان اشتهر به كما ياتي ابن عبد يغوث
الصحابي المشهور وقصته انه قال كنت انا وصاحبان لي قد بلغنا الجهد فعرضنا انفسنا علي اصحاب
رسول الله صلي الله عليه وسلم فلم يقبلنا احد فاتينا النبي صلي الله عليه وسلم فانطلق بنا الي
اهله فاذا ثلاثة اعنز فقال احتلبوا منها لبنا فبينا كنا نحتلب ويشرب منا كل نصيبه ونرفع للنبي
صلي الله عليه وسلم نصيبه فيجي من الليل ويشربه فوقع في نفسي ذات ليلة انه صلي الله عليه
وسلم ياتيه الانصار لحاجتهم لهذه الجرعة فشربتها ثم ندمت خشية انه اذا لم يجدها يدعو علي
فاهلك فلم انم وقد نام صاحباي فجا صلي الله عليه وسلم لعادته ليكشف الانا فلم يجد شيا
ورفع بصره الي السما فقلت الان يدعو علي فقال اللهم اطعم من اطعمني واسق من سقاني
فاخذت الشفرة وانطلقت الي الاعنز لاذبح ما سمن منها فاذا هن حفل كلها فحلبت انا حتي
علت الرغوة وجئت اليه صلي الله عليه وسلم به فشرب ثم ناولني فلما علمت انه روي واصبت
دعوته ضحكت حتي استلقيت فقال صلي الله عليه وسلم احذر سواتك يا مقداد يعني انك
فعلت سوءة فما هي فقلت يا رسول الله كان مني كذا وكذا فقال ما هذه الا رحمة من الله لو
كنت ايقظت صاحباك فاصابا منها فقلت والذي بعثك بالحق ما ابالي اذا اصبتها واصبت فضلك
من اخطات من الناس ومن ذلك اي من كراماته وبركاته صلي الله عليه وسلم ما رواه ابن سعد
عن سالم بن ابي الجعد مرسلا تزويده اصحابه اي اعطاهم ما يتزودونه اي يكون زادا
والزاد يشمل الما والطعام والمراد الاول لقوله سقا ما السقا ككسا جلد كالقربة يوضع
فيه الما واللبن ونحوه وضمن تزويد معني اعطا ولذا نصب السقا او هو علي التسمح ~
وقوله سقا ما المراد به سقا فيه ما كما يشهد له ما بعده بعد ان اوكاه اي شده بالوكا وهو ما
يربط به القربة ونحوها ودعا فيه اي دعا في شانه وامره وبسببه وبعد متعلق بتزويد
فلما حضرتهم الصلاة اي دخل وقتها حتي كانها جاتهم وهذا يقتضي انه كان ما يصلح للوضو
نزلوا فحلوه حلوا وكاه ليستعملوا ماءه فاذا هو لبن حليب فاجاهم كونه لبنا خالصا ~
بعد ما كان ما وهذا من قلب الاعيان ببركته صلي الله عليه وسلم وزبده بتا الوحدة
او بالاضافة بضمير اللبن او للسقا بادني ملابسة في فمه اي في فم ذلك السقا والزبد
دليل علي خلوص لبنه وجودته وانما اوكاه لئلا يتوهم ان اللبن وضع فيه ويدل لمن لم
يكن معه وفي نسخة فنزلا فخلاه بضمير التثنية لرجلين كان السقا معهما وهذا الحديث

من رواية

من رواية حماد بن مسلمة بن دينار الامام ابو سلمة احد الاعلام وله ترجمة في الميزان كما تقدم وذكر انه مما روايته على خلاف المعتاد مما اسلو به في تحريمه قبل بيانا لشافه هذا الحديث حبيب رواه سئل هذا الامام الثقة العابد الزاهد الذي كان مجاب الدعوة مقصود امن الابدال وسلم مما الجمهور وروي عنه والمغاربة والمصنفون اجلهم يميزون الرمسلم فلا يعتدون بما من يتهمون بما علم منه وقال البخاري لم يروعنه الاعلي طريق الاستشهاد وهذا من قلة الانصاف وسلمة هنتين كما مر ومسح علي راس عمير بن سعد اي امر صلى الله عليه وسلم بيده علي راسه قال الحافظ البرهان الحلبي كذا في نسخ من الكتاب وفي بعضها عمر بن سعد بلا تصغير وهو ابو ليلى الانصاري الصحابي وعميس الصحابة ايضا ولا اعرف من جرت له هذه المنقبة منهما وقال الصيوطي اذ الذي رواه الزبير بن بكار في اخبار المدينة ولعله اذ ذاك واقعة ان وفي نسخة الثاني عمر بن سعيد وقال انه ابو يحيى النخعي الكوفي مات سنة خمس عشرة ومائة وبرك بالمشدد اي دعا له صلى الله عليه وسلم بالبركة في عمره وصحبة فمات وهو ابن ثمانين اي وقد بلغ سنة الثمانين فجعله ابنها مجازا ومثله مشهور يجعلون الدهر كالاب والام كما قال اللبالي حبالي قال

فنحصت المؤودة له بيوم ... اتي ولكل حاملة تمام

فما شاب اي ببركة من يده الشريفة له لم يشب راسه وشعره ولم ينعزم فنفي الهرم بنفي الشيب لانه من لوازمه وروي للبنا للمجهول نائب فاعله مثله هذه القصة من بركاته صلى الله عليه وسلم عن غير واحد اي عن كثير فنفي الوحدة كناية عن الكثرة منهم المشايب يا يزيد يا سعيد بن ثمامة يا الاسود ومدلوك بفتح الميم وسكون الدال المهملة وضم واو تليها لام وهو ابو سفيان المزادي له وفادة علي رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم مع مواليه وعلق البخاري حديثه في غير الصحيح وذكره ابن حبان فقال مولود ابو سفيان كان يسلي السلام واتي النبي صلى الله عليه وسلم فمسح براسه فكان ما مست يده اسود وسائر راسه ابيض انتهي وفيه تفضيل عدم الشيب عليه وان كان الشيب وقارا لان مدحه لدلالته علي الصحة كما مر ولكل شيء جهة مدح وجهة ذم وقد افرد ذلك الثعالبي في كتابه سماه مدح الشيء وذمه وروي الطبراني والبيهقي انه كان يوجد لعتبة بن فرقد اي كان موجودا عندهم والمضارع لحكاية الحال الماضية وهو ابو عبد الله عتبة بن فرقد بن يربوع السلمي الصحابي سكن الحيرة وابتنى بالموصل دارا وسكنها وابنه عمر وعدد من الاولياء وسكن عتبة الكوفة ويقال لاولاده الفرقدة وولي الموصل طيب ثانيه فاعل يوجد والمراد بالطيب الرائحة الطيبة وقيل انه بتقدير مضاف اي رائحة طيب بسم ما جسده ويوضح في مجلسه فغلب طيب ثنايه اصل معني الغلبة القهر والاستيلاء فاستعير للزيادة والقوة كما ورد غلبت رحمتي غضبي وروي سبقت فالمراد ان رائحته تزيد علي رائحة غيره حتي لا يظهر عندها فانه روي كما في الدلائل والاستيعاب عن زوجته ام عاصم انها قالت كنا عنده ثلاث سنوة ما منا واحدة الا وهي تجتهد في الطيب ليكون الطيب رجاء ما صاحبتها وعنده لا يمس طيبا فكنا الطيب منه رجاء فقلت له في ذلك فقال اصابتني الضراء علي عهده صلى الله عليه وسلم فاقعدني بين يديه فجردت في ثيابي فتغفل في كفه وذلك المخرج ثم امرها علي ظهري وبطني

فعبق بي ما ترون واليه اشار بقوله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على بطنه وظهره
وهو متعلق وتعليل لقوله نعلبه وسلت الدم عن وجه عايذ بن عمرو اي مسح صلى الله عليه
وسلم وجهه بيده متكيا عليه حتى اخرج ما عليه من الدم وهذا معنى السلت ويختص باخراج المايع
والاعرق الرطب الملتصق بشي اخر يقال سلت القصعة اذا مر اصابعه على جوانبها لتنظف
كما في صحاح الجوهري وهو معنى معروف فلا وجه لما قيل انه من سلت الدم قطعه وعايذ بعين
مهملة وذال معجمة اسم فاعل من العوذ سمي به وهو عايذ بن عمرو بن هلال المزني الصحابي من
الشجرة وهو مزني وحديثه هذا رواه عنه الطبراني وكان عايذ جرح يوم حنين اي في وقعته
التي وقعت مع هوازن سنة ثمان من الهجرة كما فصل في السير وحنين اسم موضع قريب من
الطايف بينه وبين مكة ثلاثة اميال سمي باسم حنين بن مهيلا ميل لنزوله به كما مر وجملة
وكان الخ حالة ودعا له لجهاده في سبيل الله فكانت له غرة بيضا منيرة كغرة
الفرس من اثر يده الشريفة لما مسح وجهه والغرة بياض منتشر طولا وعرضا في وجهه
فان قلت سميت فرجة وليس فيه مثلثة كما توهم فانه كبياض يد موسى عليه الصلاة والسلام
والفرق بينه وبين البرص ظاهر وفي نسخة والا كغرة الفرس اي لا يشبه غرته لما فيه من النور
وليس كالوضع في البدن وذكر ابن الكلبي انه صلى الله عليه وسلم مسح على راس قيس بن زيد
وهو صحابي له وفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سيد قومه في بعض النسخ
يزيد بيا في اوله وابوه يسمى عامرا الجذامي نسبة لجذام كغراب قبيلة مشهورة ودعا له
صلى الله عليه وسلم بما فيه بقا صحته وعافيته فهلك اي مات فالهلاك والموت بمعنى
وقد يخص الهلاك بموت غير مرض لكنه ليس معنا وضعيا وهو ابن ماية سنة وراس ابيض
تشبيه وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت عليه يده اسود لم يشب ببركته
صلى الله عليه وسلم وكان يدعى الاغر اي كان يسمى بالاغر لما في وجهه من النور يقول
دعوت ابني محمدا اذا سميته به وروي بالبنا للمجهول والذي رواه البيهقي مثل هذه
الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني في مسحه صلى الله عليه وسلم براسه وبقا اثره في وجهه
وموته كما مات قيس على احسن حالة وثعلبة هو وهب بن عدي بن مالك النجاري الزهري
والجهني منسوب لجهينة وهي قبيلة مشهورة وقصته كما في دلايل البيهقي انه قال
لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيالة فاسلمت ومسح على وجهي فمات عمرو
وقد اتت عليه ماية سنة وما شاب منه شعرة مسها يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من وجهه وراسه وسيالة بوزن سحابة وسين مهملة ولام موضع قريب من المدينة
الشريفة ومسح صلى الله عليه وسلم على وجه اخر قال البرهان لا اعرفه وقيل لعله
خزيمة بن سواد بن الحارث لانه روي انه مسح على وجهه فصارت له غرة بيضا وقيل
لعله طلحة بن ام سليم فانه روي انه صلى الله عليه وسلم مسح بناصيته فكان لغرة فما زال
على وجهه نور من اثار انواره صلى الله عليه وسلم ومسح صلى الله عليه وسلم وجه قتادة
بن ملحان بكسر الميم ويجوز فيه الصرف وعدمه وقتادة هذا صحابي له رواية وترجمته
فكان لوجهه بريق اي لمعان وصفا بشرة من اثر مرور يده الشريفة ليرى الناظر
صورة وجهه فيه لشدة صفا بشرته كما ينظر في المراة بكسر الميم اسم اله من الرؤية معروفة
والظاهر انه مبالغة في صفايه وحسنه وليس المراد حقيقته ووضع صلى الله عليه وسلم

يده

يده على راس حنظلة في حديث رواه البيهقي بطوله مسندا ابن حذيم قال ابن ماكولا هو
بكسر الحا المهملة وسكون الذال المعجمة وفتح المثناة التحتية وميم وقال انه حنيفة ابن حذيم ابو
حنظلة له صحبة وكذا قال الذهبي في المشتبه والتجريد حنيفة والد حذيم ولها صحبة ولحنظلة
ابنه وذكر حذيما فقال حذيم بن حنيفة ابن حذيم الحنفي والد له فيما قيل صحبة ولابنه وابن ابنه
صحبة وفيه خلاف انتهى فعلم منه انهم اربعة لهم صحبة وقد قال ابن الجوزي لا يعلم اربعة ادركوه
صلى الله عليه وسلم الا ابا قحافة وابنه ابا بكر وابنه عبد الرحمن ويكنى ابا عتيق انتهى والصحيح
ان ابا عتيق تابعي وحمر عليه الذهبي في تجريده ولو قالوا عبد الله بن الزبير وامه اسما وابوها
ابو بكر وابوه ابو قحافة كان صوابا فانه لا خلاف في صحبتهم فحصل من مجموعه ثلاثة اشخاص
ولهم رابع ذكره العراقي في حاشيته الفنية وحنظلة مالكي وقيل حنفي وقيل سعدي
هذا محصل ما قاله البرهان وبرك عليه بالتشديد اي دعا له بالبركة وقال بارك الله فيك
فكان يوتى بصيغة المجهول اي ياتيه الناس بالرجل بقرينة للعهد الذهني المساوي
للنكرة قد ورم وجهه جملة حالية اي اصابه مرض ورم منه وجهه والشاة بالجر من المعز
والضان قد ورم ضرعها وهو كالثدي للانسان وهو معروف فيضع محل الورم من الوجه
والضرع على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم الذي مسه فيذهب الورم الذي كان اصابه
وروى ابن عبد البر في الاستيعاب انه صلى الله عليه وسلم نضح في وجه زينب بنت ام
سلمة بفتحتين علم منقول من اسم شجر معروفة وام سلمة هي ام المومنين وزينب بنتها ربيبة
رسول الله صلى الله عليه وسلم واخت ابن الزبير من الرضاعة ونضح ينضح من باب ضرب يضرب
بمعنى رش بالما ونحوه نضحة اي رشة من ما فكان يعرف في وجه امراة اي ما كان يرى
وينظر في وجه احد من النسا او يعلم بالاخبار لمن لم يرها من الجمال اي حسن الوجه ورونقه
ما بها اي ما كان بها من ذلك ببركة الما الذي رشه صلى الله عليه وسلم في وجهها لان ذلك الما
كان مسه صلى الله عليه وسلم قال ابن عبد البر في الاستيعاب دخلت زينب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل فنضح في وجهها ما فلم يزل ما الشباب بوجهها حتى كبرت
وعجزت وكانت عند عبد الله بن زمعة فولدت له وكانت من افقه اهل زمانها واعقلهم
وتقدم ان اسم ام سلمة هند وقيل رملة وابوها حذيفة المعروف بزاد الراكب وزينب ولدت
بارض الحبشة فقدمت بها امها وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه
وسلم زينب ومسح صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة المباركة على راس صبي كان ذلك الصبي
به عاهة اي افة ومرض والمراد انه كان اقرع واسم هذا الصبي لا يعرف فبرا بزنة ضرب
واخره مهموز وما برئ بمعنى خلق فمعتل اي زالت عاهته وشفي مما به واستوى شعره
اي نبت وتم وحسن من قولهم استوت الثمرة اذا اكملت والشعر معروف بفتح العين وسكونها
وهذا الحديث لم يخرجه السيوطي ولا غيره من الشراح ومثله روي في خبر المطلب قتادة ومسح
صلى الله عليه وسلم على عبر واحد اي على كثير كما مر بيانه من الصبيان المرضى جمع مريض
والمجانين فبرؤا اي زال ما بهم من المرض والجنون قيل هذا كله كان ينبغي ذكره في فصل
ابرا المرضى وذوي العاهات واكثر فصول متداخلة ولكل وجهة لمن تدبر وعرف مقاصد
المصنف في حديث لم يخرجوه انه صلى الله عليه وسلم اتاه رجل به ادرة بضم الهمزة وسكون
الدال وبالرا المهملتين وها وهو انتفاخ في الخصيتين معروف فامره ان ينضحها اي يرش على

على ادرته بما من عين مج فيها اي كان صلى الله عليه وسلم تفل فيها فقول اي رش من مائها على
ادرته فبرا اي شفاه الله وزال ورمه على السرعة ببركة الله وبركته صلى الله عليه وسلم في الما الذي
خالطه فيه وضمير فيها للعين اي عين الماء لانها مونثة وفي بعض النسخ فيه بالتذكير فالضمير للماء
او للعين لتاويلها به والامر فيه سهل ويجوز في الادرة فتح الهمزة مع سكون الدال وفتحها
وقد قيل انها انفتاق فيها او في احد جانبيها وقد يكون بالجيم يزيد فيها او ريح كما يعرف الاطبا
وبضمها يجوز في اضدادها الفتح والكسر وفي بعض الحواشي ان الرجل اسمه المهلب بن قيالة بفتح
القاف والبا الموحدة الخفيفة ولام وروي هلب بن قنافة وهلب بضم الها وسكون اللام نزنة
فقل وقنافة بضم القاف ونون مفتوحة مخففة وفا قال ابن عبد البر هو الصواب ان لم يكونا
قصتان وقال الطبري هو المهلب بن يزيد بن عبدي قنافة ابن عدي بن عبد شمس بن عوف
الطائي وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه فزع فمسح براسه ونبت شعره فسمي
المهلب لذلك وفي حديث روي عن طاووس ابن كيسان اليماني ابو عبد الرحمن اليماني المشهور وهو
من ابنا الفرس واسمه ذكوان فقلب بطاوس لانه طاوس القرا روي عن ابن عباس وابي هريرة
وغيرهما وكان راسا في العلم والعمل توفي سنة ست او خمس ومائة واخرج له الستة وهو ممن اتفق
على زهده وحلمه حج اربعين حجة وصلى الصبح بوضوء العتمة اربعين سنة الى غير ذلك من
من مناقبه وهو من اجل التابعين دفن بمكة رضي الله تعالى عنه لم يوت النبي صلى الله عليه وسلم
بالبنا للمجهول اي لم ياته احد باحد به مس سياتي تفسيره فصك في صدره بصاد مهملة
وكاف مشددة اي ضرب صدره بيده المباركة والصك مطلق الضرب او اشده الا ذهب المس
عنه ويروى مما به وهذا الحديث موقوف على طاوس ولم يذكروا من رواه عنه والجملة حالية
تاتي بالواو وقد وبدونهما والمس الجنون واللمس والمس متقاربان الا انه يكنى به عن الجنون
قال تعالى كالذي يتخبطه الشيطان من المس لانه يقال كل على مثال الانسان من الاذى كقوله
مستهم البأسا والضرا روى احمد عن وايل بن حجر مسندا انه صلى الله عليه وسلم مج اي صب في
فيه في دلو فيه ما اخرج اخرج من بير ثم صب فيها اي في البير الما الذي مج فيه ريقه ففاح منها
ريح المسك الريح هنا بمعنى الرايحة ويطلق في الاصل على نفس الهوى والمراد انه مثله في
الطيب وهو اتم منه واطيب ولكن جعل مشبها به لشهرته وفي حديث مشهورة رواه مسلم عن سلمة
بن الاكوع انه صلى الله عليه وسلم اخذ قبضة بفتح القاف وضمها من تراب اي ملء كفه من التراب
يوم حنين اي في وقعتها المشهورة في السير ورمى بها اي بترابها في وجوه الكفار فاصابتهم
جميعا وقال شاهت الوجوه جملة دعائية بمعنى قبحت وقبحها الله وهي من الشوهة والتشويه
وهو القبح قيل واول من تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقع مثله في يوم بدر
كما في السير وهو شي اقدره الله تعالى عليه كما قال وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فان ايصال
هذا المقدار اليسير الى اعين هولا الجم الغفير من صنع الملك القدير فانصرفوا اي ولى الكفار حال
كونهم يمسحون القذا بفتح القاف والذال المعجمة والف مقصورة وهو ما يقع في العين
من التراب ويكون ايضا ما يقع في الما المشروب ونحوه مما يكدره عن اعينهم اي يزيحونه ويزيلونه
منها لتاذيهم به ومنعهم من الابصار وفتح العين وهو معروف وواحده قذاة وفي الحديث
يرى احدكم القذاة في عين اخيه ويعمى عن الجذع في عينه وهو مثل يضرب لمن يرى في عيوب
الناس الصغيرة ولا يرى عيوبه الكبيرة وهو مثل تمثل به النبي صلى الله عليه وسلم ونظمه بعض

المتاخرين

المتاخرين فقال

واعجبا للمرء مع علمه ، اذ ليالي عمره ساريه
ينظر في عين اخيه القذا ، ولا يرى في عينه الساريه

وقوله فانصرفوا بمعنى انهزموا لما وصل التراب الى اعينهم وقالت شاهت الوجوه وفيه معجزة عظيمة له صلى الله عليه وسلم وفي بعض النسخ انه صلى الله عليه وسلم ضرب صدر جرير بن عبد الله البجلي الصحابي رضي الله عنه وليس هو جرير الشاعر خص الصدر لانه محل الرهبة والامن لانه مقر القلب ودعا له وكان جرير ذكر له صلى الله عليه وسلم انه لا يثبت على الخيل اي لا يقر على ظهورها لعدم فروسيته فصار رضي الله تعالى عنه حينئذ من افرس العرب اي اقواهم واثبتهم على ظهورها ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم له فالفا فصيحة اي فدعا له فصار الخ ومسح صلى الله عليه وسلم على راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي المدني الصحابي وهو صغير وكان اتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فحنكه وكان ذميما بدال مهملة بمعنى حقير واما ذميم بالمعجمة فهو بمعنى مذموم وليس مرادا هنا ودعا له بالبركة اي بالزيادة في خلقته وسائر اموره ففرغ بفاء وراء وعين مهملتين مفتوحات الناس اي جنسهم وفي نسخة الرجال بدله بمعنى زاد عليهم طولا اي في طول قامته وتماما اي بان تم سائر اعضائه وكل الله خلقته بدعائه له صلى الله عليه وسلم والى هنا انتهى ما زيد في الاصل ونقل من خط المص وشكى اليه صلى الله عليه وسلم ابو هريرة الصحابي المشهور رضي الله عنه وقد قدمنا ترجمته وما يتعلق به من الصرف وعدمه وما فيه من الكلام للناس النسيان مصدر بكسر النون وهو ضد الحفظ والفرق بينه وبين السهو ان الثاني ينتبه صاحبه بادنى تنبه والفرق بينه وبين الخطا ان الفرق بينه وبين الخطا صدور امر من غير قصد فامره صلى الله عليه وسلم ببسط ثوابه اي ما كان يسال في ذلك الوقت اي بان يضعه على الارض ويفرشه وغرف بيده فيه اي فعلا شبيها بمن يغرف من شي ما يضعه في اخر وضمير فيه للثواب الذي امره صلى الله عليه وسلم ببسطه للاثر الذي اراده له ثم امره بعد ما غرف فيه بضمه اي ضم ثوبه على جسده ففعل اي ضمه عليه حتى كانه صار بدنه ما غرفه فما نسي بعد يا ابنا على الضم لما تقرر في محله من علم العربية اي لم ينس ابو هريرة شيئا مما كان يسمعه منه صلى الله عليه وسلم ومن غيره لما ناله من البركة قال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه فما كان احد احفظ مني لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الا ان ابن عمر رضي الله تعالى عنهما لتقدم اسلامه عليه ولانه كان يكتب وهذا الحديث رواه البخاري وفيه بدل الثوب الرداء ولا مخالفة بينهما لان المراد بالثوب الملبوس مطلقا كما تقرر وان خص في العرف بالمحيط منه وما فعله صلى الله عليه وسلم من الغرف ونحوه يجعل المعاني المعقولة بمنزلة الامور المحسوسة فجعل الحفظ كشي عنده اغترف منه حتى ملا رداءه وضمه عليه حتى يحيط به ويسري من ظاهره كباطنه وهو صلى الله عليه وسلم كما فوض اليه التصرف في عالم الشهادة فوض اليه التصرف في غيره ايضا وهو سر من الاسرار لا يوقف عليه الا بالكشف فصل ومن ذلك اي من خصايصه صلى الله عليه وسلم وكراماته الباهرة ما اطلع عليه هو اما مبني للمجهول من الافعال اي اطلعه الله تعالى عليه او من الافعال مبني للفاعل بتشديد الطا من الغيوب بغين معجمة جمع غيب المصدر على خلاف القياس من غاب بمعنى استتر عن العين يقال غاب عني كذا ويستعمل في كل غايب عن الحاسة وما يغيب عن الانسان بمعنى الغايب والغيب بالنسبة للناس لا لله فانه لا يعزب عنه مثقال ذرة

وقوله عالم الغيب والشهادة اي ما يغيب عنكم وما تشاهدونه وقوله يومنون بالغيب اي بما لا يقع
تحت الحواس ولا تقتضيه بداهة العقول وانما يعلم باخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام وما يكون
في المستقبل وهو معطوف وهو معطوف على الغيوب عطف الخاص على العام لان الغيب اما باعتبار
انه موجود لم يطلع عليه غير الله او ما سيوجد فهو قبل وجوده والعلم به من المغيبات والاحاديث
الواردة في هذا الباب اي في هذا النوع من كراماته صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الغيب الذي
اطلعه الله عليه فانه لا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول بحر تشبيه بليغ اي في كثرتها
كالبحر لا يدرك قعره بالبنا للمجهول والادراك الوصول وقعره قراره وارضه اي لا يصل
احد الى نهايته ولا ينزف بمعجمة وفا مبني للمفعول او للفاعل نزفه يضرب والتنزفه والنزح بمعنى
اي لا ينفد ويفنى عمره بفتح الغين المعجمة وسكون الميم قبل راء مهملة وهو الما الكثير جدا وهذه
المعجزة في اطلاعه صلى الله عليه وسلم على الغيب من جملة معجزاته اشارة الى كثرتها فهي البحر حدث
عنه ولا حرج المعلومة للناس على طريق القطع بتحققها بحيث لا يمكن انكارها او التردد فيها
لاحد من العقلا وقوله المعلومة على القطع صفة للمعجزات والقطع بنوعها ومجموعها وكذا
تواترها تواترا معنويا حاصلا عن مجموعها بقطع النظر عن كل فرد فرد منها مما لا شبهة فيه
كتواتر جود حاتم وهذا غير التواتر المصطلح عليه فانه جار في بعضها كالقران والى هذا انه اشار
بقوله الواصل الينا خبرها جاريا على نهج التواتر المشهور لكثرة رواتها اي رواة
مجموعها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب اي الامور المغيبة وهذا لا ينافي الايات
الدالة على انه لا يعلم الغيب الا الله وقوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير فان المنفي
علمه من غير واسطة واما اطلاعه عليه باعلام الله له فامر متحقق لقوله تعالى فلا يظهر على غيبه
احدا الا من ارتضى من رسول قال ابن عطا الله في لطايف المنن اطلاع العبد على غيب من غيوب
الله بنور منه بدليل اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله لا يستغرب وهو قوله كنت
بصره الذي يبصر به فمن كان الحق بصره اطلاعه على غيبه غير مستغرب وقال بعض العارفين
قوله الا من ارتضى من رسول لا ينافي قول المرسي في تفسيرها الا رسول او صديق او ولي ولا
زيادة فيه على النص فان السلطان لا يدخل على اليوم الا الوزير لا ينافي دخول اتباع الوزير
معه فكذلك الولي اذا اطلعه الله على غيبه لم يره بنور بنفسه وانما راه بنور متبوعه ولم
يكلفنا الله الايمان بالغيب الا وقد يفتح لنا باب غيبه والى هذا اشار الغزالي في امالته
على الاحيا ثم قال ويحتمل ان يكون المراد بالرسول في الاية ملك الوحي الذي بواسطته
تنكشف الغيوب فيرسله للاعلام بمشافهة او القا في روع او ضرب مثل في نقطة او منام
ليطلع من اراد فايدة الاخبار الامتنان على من رزقه الله ذلك واعلامه بانه لم يصل
اليه بحوله وقوته فلا يظهر على غيبه احدا من عباده الا على يدي رسول من ملايكته
ارسله لمن فرغ قلبه لانصباب انهار العلوم الغيبية في اوريته حتى يصل لاسرار الغيب
المكنونة في خزاين الالوهية انتهى فاعرفه فانه من المهمات واليه اشار القاضي في تفسيره
وبقي ثمة اسرار لا تسعها الحروف ثم انه بين ما اجمل بحديث رواه ابو داود عن حذيفة
وعدل عما رواه الشيخان لما في طريقه التي رواها من الزيادة فقال حدثنا الامام ابو بكر
محمد بن الوليد الفهري المعروف اجازة منه بروايته عنه وقراته على غيره اشارة الى
انه رواه من طرق متعددة قوية والقراة والاجازة طريقان اختلف في ايهما اقوى

وقيل

وقيل انهما متساويان وهو الظاهر قال ابو بكر حدثنا ابو علي التستري علي بن احمد بن
علي الامام المشهور احد رواة سنن ابي داود وستر كجندب بلد معروفة وسينه مهملة
واعجامها لحن قال حدثنا عمر الهاشمي وهو القاسم بن جعفر بن عبد الواحد قال
حدثنا اللولوي وهو ابو علي محمد بن احمد بن عمر السابق ترجمته قال حدثنا ابو داود
صاحب السنن المشهور كما تقدم قال حدثنا عثمان بن ابي شيبة بن محمد بن ابراهيم ابو
الحسن اللوهي الحافظ توفي سنة تسع وثلاثين ومائتين واخرج له اصحاب السنن
وغيرهم وترجمته في الميزان قال حدثنا جرير بن عبد الحميد الضبي صاحب المصنفات
المشهورة الثقة توفي سنة ثمان وثمانين ومائة واخرج له الستة وترجمته
في الميزان وغيره عن الاعمش هو سليمان بن مهران كما تقدم في ترجمته عن
ابي وائل سفيان بن سلمة الاسدي المخضرم توفي سنة اثنين وثمانين وهو من العلما
العاملين ثقة اخرج له الستة عن حذيفة بن اليمان الصحابي المشهور صاحب رسول
الله صلى الله عليه وسلم الذي اخبره بالفتن وما سيكون وروي عنه احاديث كثيرة
وكان عمر رضي الله عنه اذا لم يشهد حذيفة جنازة لا يشهدها هو لا لاطلاعه
على المنافقين باعلام منه صلى الله عليه وسلم له بذلك وروي عنه لا تقوم
الساعة حتى يسود كل قبيلة منافقوها وحديثه الطويل في الفتن مشهور واليه
اشار بقوله قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم الضمير للصحابة والمراد به انه
خطبهم يوما فعبر بالقيام عن الخطبة لان الخطيب يخطب قايما اي قام ونحن عنده فالظرفية
مجازية مقاما بفتح الميم اسم مكان او مصدر ميمي فهو مفعول مطلق فما نزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقامه هذا شيئا مما يكون اي يوجد ويحدث
اي يوجد ويحدث بعده مما يهم من احوال المسلمين ومن يتولى امورهم بعده وما يكون
بعده من الفتن والحروب فيكون تامة والجملة صفة شيا في مقامه ذلك اي في خطبته
التي خطبها وهو من وضع الظاهر موضع المضمر بكمال العناية به الى قيام الساعة
اي من اول زمنه الخ فقدره لدلالة المقام عليه الا حدثه اي الا حدثنا به وقد ذكر
لنا انه سيوجد وفي نسخة حدث به والفعل في تاويل الاسم كقولهم انشدك الله الا فعلت
والاستثنا متصل لدخول المحدث به في الشي وقيل انه منقطع بمعنى لكن حفظه من حفظه
الضمير للحديث المفهوم من السياق ونسيه من نسيه اي حفظه بعض السامعين له ونسيه
بعضهم قد علمه اصحابي هولا الحاضرون عنده او المراد اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهذه الزيادة في رواية ابي داود لم يذكرها البخاري وانه الضمير للشان ليكون
منه الشي اي يوجد شي مما حدثنا به في ذلك المقام في الخارج قد نسيته لطول العهد بحديثه
فاراه يعني بعد ما وجد فاعرفه فاذكره اي اتذكره بعد ما نسيته فاتذكر ما اخبرنا به رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم شبه تذكره ايضا حاله كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب
عنه ثم اذا راه عرفه فيه تقديم وتاخير اي كما ان الرجل اذا غاب عنه رجل كان يعرف
وجهه وسيماه وهو في مخيلته الا انه لم يذكره فاذا راه تذكره وعرفه فليس اذا متعلقا
بتذكر بل بنسي المعلوم من الكلام وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس تشبيها تمثيليا ثم قال
حذيفة فيما رواه ابو داود وزاده على ما رواه الشيخان ما ادري انسي اصحابي

هذا الحديث امرتنا بشوه اي اظهر وانسيانه خوف الفتن لا لقلة الاهتمام به كما قيل
بل لانه من الاسرار التي لا ينبغي ان يحدث بها كل احد والله قسم اكد به ما بعده ما ترك رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قايل بالقاف والدال المهملة ومن زايده والمراد به المنفلتة
الذين معهم جند تتبعهم كما يتبع الجمل والفرس من يقوده ويمشي خلفه فتنة فياتي
للمحاربة وايقاع الضرر بالمسلمين كالحجاج وغيره من اصحاب البدع من زمنه الى ان تنقضي
الدنيا اي الى ان تتم وتنتهي مدتها ويخرب العالم او تبدو مقدمات الساعة بخروج الدجال
ياجوج وماجوج يبلغ من معه اي يصل من معه من اتباعه والضمير للقايد ثلاثماية رجل
ثلاثماية فصاعدا الا قد سماه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم باسمه واسم ابيه وقبيلته
بحيث لم يبق شبهة فيه وهذا الحديث روي من طريق اخر مفصلا على كلام فيه ذكره ابن
الجوزي وغيره وقال ابو ذر الصحابي المشهور في حديث رواه احمد والطبراني وغيرهما
بسند صحيح لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اي ذهب عنا وانتقل الى الاخرة من
بين اظهرنا ولم ندع شيا الا بينه لنا بحيث لا يخفى علينا شي من بعده وكان قد خطب قبل موته خطبا
اطال فيها مرة من الصباح الى الظهر ومرة من الظهر الى قبيل الغروب لم يدع شيا الا بينه لاصحابه
وما تحرك طاير جناحيه في السما اي في الجو وهو كناية عن بيان كل شي الا ذكر لنا مثله علما
وفي نسخة الا ذكرنا منه علما اي تذكرنا من طرافه علما يتعلق به فكيف بغيره مما يهمنا في الارض
وهذا تمثيل لبيان كل شي تفصيلا تارة واجمالا اخرى وقد خرج اهل الصحيح اي رووا
باسانيدهم ما صح عندهم كالشيخين واصحاب السنن والمسانيد والايمة الحفاظ الثقات
كاحمد والشافعي وابو حنيفة ومالك ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم
به بيان لما من الظهور على اعدايه لغلبتهم وفك شوكتهم وفتح مكة الذي اخبر به قبل
وقوعه فحققه الله وفتح بيت المقدس كما رواه البخاري وغيره وبيت المقدس تقدم الكلام
فيه وقد اخبر صلى الله عليه وسلم تميما الداري بفتحه لما اسلم واقطعه ارضا بها ثم فتح
في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه فاعطى تميما اقطاعه في سنة ستة عشر من الهجرة وفتح
الشام وفتح اليمن والعراق يعني به ما يشمل العراقين عراق العرب والعجم وكلها مجرورة
بالعطف على مكة والشام واليمن والعراق بلاد معروفة وكان اخباره صلى الله عليه وسلم
بذلك بمكة قبل الهجرة في حديث رواه ابن دحية كما في كتاب مرج البحرين في اخبار المشرقين
والمغربين واصل معنى العراق شاطي البحر وقيل انه معرب وظهور الامن
في الممالك الاسلامية وهو مجرور اي اعلم اصحابه بظهور الامن حتى تظعن المراة بظاء
معجمة وعين مهملة ونون اي تسافر وحدها من الظعن بفتح العين وسكونها وهو السفر
قال تعالى يوم ظعنكم وذكر المراة للمبالغة في الامن لانها مع ضعفها وشدة خوفها اذا امنت
علم من غيرها بالطريق الاولى من الحيرة الى مكة بكسر الحا المهملة وسكون المثناة التحتية وفتح
الراء المهملة والها مدينة بقرب الكوفة واسم بلدة اخرى بقرب نيسابور لا تخاف المراة
الا الله كناية عن انها لا تخاف احدا من الناس من قطاع الطريق واللصوص وغيرهم والى
المدينة يعني طيبة وهو علم بالغلبة عليها واصل معناها كل قصر يجتمع فيه الناس ستغزى
روي بغين وزاي معجمتين من الغزو وهو القتال وهو اشارة الى وقعة الحرة الاتي
ذكرها فانها وقعة عظيمة قتل بها المسلمون حتى تركت الصلاة في الحرم وروي بعين وراء

مهملتين

مهملتين ومثناة فوقية مفتوحة وهي مضمومة في الرواية الاولى اي تخرب وتخلوا فتصير عرايس
فيها احد والعرا الفضا الخالي من الناس قال تعالى فنبذناه بالعرا وهو سقيم وهذا لم يقع بعد
وانما يكون قرب الساعة وقيل ان وقع وهو مقتضى السياق فهو اشارة الى قصة الحرة ايضا فان
الناس تخلوا فيها منها وتركت الصلاة والاذان حتى سمع الاذان من مرقده صلى الله عليه وسلم
ثم امنهم يزيد حتى عادوا لها **و** اعلمهم صلى الله عليه وسلم **بفتح خيبر على يد علي في اخذ يومه**
الذي اخبرهم فيه بفتحها كما رواه الشيخان عن سهل بن سعد لما كانت وقعة خيبر وتعسر فتحها
قال صلى الله عليه وسلم لاعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح
الله على يديه فدعا عليا وكان امد فبصق في عينيه فبرا وفتحها الله على يديه على ما فصل في
السير وقد تقدم الكلام على شي منه **و** اعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه **بما يفتح الله على**
امته اي بما يسره الله تعالى لامته من فتح البلدان وما يوسعه لهم **من الدنيا** بكثرة المال والقوة
ويؤتون بالبنا للمجهول اي يؤتيهم الله **من زهرتها** اي زهرة الحياة الدنيا وهي زينتها وطيب نضارتها
ونعيمها وهذا رواه الشيخان من طرق صحيحة **وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر** الكنوز جمع
كنز معرب كنج وهو المال المدفون ويطلق على كل نفيس مدخر والمراد هنا خزاينهما ومالهما
وكسرى بكسر الكاف وفتحها وهو علم لملك من ملوك الفرس ثم صار علم جنس لكل من ملكهم او
كبر وقيصر علم ملك من ملوك الروم ثم اطلق على ملك لهم كذلك ومعناه المشقوق لان امه
ماتت حين ارادة وضعه فشقت بطنها واخرج منها حيا وهو اشارة لحديث رواه الشيخان عن
ابي هريرة وغيره من طرق وفيه اذا هلك كسرى بعده واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده والذي
نفس محمد بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله وقد حقق الله ما اخبر به صلى الله عليه وسلم
وصدق الله وعده وكان ذلك على يد خلفايه رضي الله عنهم **وما يحدث بينهم** اي اعلمهم
صلى الله عليه وسلم بما يحدث بين امته **من الفتون** بوزن دخول مصدر بمعنى الافتتان كما
في اكثر النسخ جمع فتنة كما قال البرهان والفتنة اصلها الاختبار ثم قيلت لكل ما يقع بين الناس
من النزاع والحروب وقيل صوابه الفتن جمع كما قاله البرهان والفتنة اصلها الاختبار ثم قلبت
لكل ما يقع بين الناس من النزاع والحروب وقيل صوابه الفتن جمع فتنة كما في بعض النسخ لان
الفتون الميل للزنا ونحوه من الفجور وليس بشي فانه ورد بمعنى الفتنة ايضا وهو بطريق
المجاز اي مطلق الميل **والاختلاف** في الكلمة والآرا وهو سبب الفتن ولذا قيل انه لو قدمه
كان احسن **والاهوا** بالمد جمع هوى وهو ما تهواه النفس وتميل له واذا اطلق خص بالامور
الباطلة **وسلوك سبيل من قبلهم** من الامم اشارة لما رواه الشيخان لتتبعن سنن من قبلكم
شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قيل يا رسول الله اليهود
والنصارى قال والسنن بفتحتين الطريق وهو تمثيل لما احدثوه من الضلال والبدع
والتحريف كما صرح به في الحديث **وافتراقهم** اي افتراق هذه الامة **على ثلاث وسبعين فرقة**
اي ينقسمون الى هذه الى هذه الاقسام وعداه بعلى لما وقع عليه الانقسام من النهج المخصوص
كما يقال الدار مبنية على طبقات ثلاث وعلى نباتة كما قال الدواني في حواشي الشمسية
في قوله رتبته على مقدمة الخ فقال الترتيب لا يتعدى بعلى فاما ان يكون بتضمين معنى
الاشتمال واما ان يريد بمدخول على هذا الاسلوب الخاص وحينئذ فاما ان يقال اذا تعدى
بعلى انه تضمن معنى البنا فانه يتعدى بعلى الى اسلوبه فيقال بني الدار على طبقتين او يقال تعدى

بها بناء على ان معنى الترتيب جعل الاجزاء مترتبة وهو مقصور على انحا فيتعدى بعلى الى النحو
المعنى انتهى وهذا الحديث رواه احمد وابو داود والترمذي والحاكم كما في مناهل الصفا
للجلال السيوطي **الناجية منها واحدة** اي المفرقة الناجية من هذه الفرق فرقة واحدة
وهم اهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله كما بينه رسول الله صلى الله عليه
وسلم في هذا الحديث فانه قال فيه ليأتين على امتي ما اتى على بني اسرائيل حذو النعل بالنعل
والقدرة بالقدرة وان بني اسرائيل افترقت على ستين او سبعين فرقة كلها في النار الا هلة
واحدة او فرقة واحدة قالوا يا رسول الله من هم اي الناجون منهم قال من كان على ما انا عليه
واصحابي فمعنى الناجية انهم على الحق فهم ناجون من غضب الله وعذابه وفي قوله ستفترق
اشارة الى انه ليس في زمانه صلى الله عليه وسلم اختلاف وانه انما يحدث ذلك بعده بل بعد
الخلفاء الراشدين وفي قوله ملة اشارة الى ان الخلاف المذكور في الدين والاعتقاد فلا ينافيه
ما وقع بينهم في امور جزئية وقد بينت هذه الفرق وفصلت في كتاب الملل والنحل وفي علم
اصول الدين وهذا من جملة ما اطلعه الله عليه من المغيبات **و** في حديث رواه الشيخان
عن جابر رضي الله تعالى عنه **وانهم سيكون لهم انماط** جمع نمط كسبب واسباب وهو البساط
يعني ان امته صلى الله عليه وسلم يتوسعون في الدنيا حتى يتخذوا الفرش النفيسة لبسط الله
لهم الرزق بعد ما كانوا فيه من الفقر وضيق المعيشة **و** قوله **يغدو احدهم في حلة ويروح
في اخرى** وما بعده من حديث رواه الترمذي عن علي وحسنه والغدو بغين معجمة ودال مهملة
سير اول النهار ويقابله الرواح والحلة هو الثوب النفيس ولا تطلق الا على ثوبين احدهما
فوق الاخر كما مر الا انهم توسعوا فيه فاطلعوه على ما قلناه والمراد تعدد لباسهم ونفاسته
بعد ما كانوا عليه من التقشف كما ان قوله **وتوضع بين يديه** اي بين يدي احدهم **صحفة** بزنة
قصعة وهي انا الطعام **وترفع اخرى** اي صحفة اخرى اشارة الى تلون اطعمتهم وتعددها
ونفاستها **وستر بيوتهم** بالبناء للمجهول اي يسترون حيطان بيوتهم وابوابها وفي نسخة
ويسترون بيوتهم **كما تستر الكعبة** وهذا كما يفعله الامراء والعظماء الذين اتسعت دنياهم
حتى كسوا الحجارة والجدران وهذا لم يكن في العصر الاول وهو اسراف وقد ورد النهي عنه
ثم قال صلى الله عليه وسلم مخاطبا لاصحابه **في اخر الحديث** الذي رواه الترمذي
وغيره **وانتم اليوم** المراد به مطلق الزمان الحاضر **خير منكم يومئذ** اي احسن منكم
حالا من حالكم الاتي الذي يبسط لكم فيه الرزق ويوسع عليكم ففضلهم على انفسهم باعتبار
لان الرزق الكفاف خير من غنى يشغل عن عبادة الله ويتعب القلب والبدن كما يشاهده
من ابتلي به ومما علم به صلى الله عليه وسلم اصحابه **انهم اذا مشوا المطيطا** كما ورد في
حديث رواه الترمذي عن ابن عمر الا ان الذهبي قال في ميزانه انه لم يصح والمطيطا بضم
الميم وفتح الطاء المهملة ومثناة تحتية ساكنة والف ممدود كما في الصحاح ويقصر ايضا كما في النهاية
وهو مبني على التصغير كالكميت وهي مشية فيها مد اليدين فهو منصوب على المصدرية والمراد
به التبختر وهو كالريا والمريطا ويجوز فتح ميمه وكسر طائه وهو من مط بمعنى مد او من
مطا يمطو كما بين في كتب اللغة **وخدمتهم بنات فارس والروم** اي اتخذوا الجواري والخدم
منهم وخصهما لان الرقيق كان منهم في الاكثر لانهم كفرة يحل سبيهم لاهل الاسلام كثيرا
او لانهم مع تكبرهم وتعاظمهم يصيرون خدمة ارقاء لاهل الاسلام ففيه اشارة لعزتهم وعلوهم

على غيرهم

علي غيرهم وفارس علم للجبل المعروف ممنوع من الصرف ويطلق علي بلادهم ايضا وهو معرب
بارس بالبا العجمية ولا يدخل عليه الالف واللام والروم جبل معروف ايضا سموا باسم ابيهم
رد الله باسهم بينهم جواب اذا والباس معناه الخوف الشديد لا مطلقه والمراد به العداوة
ووقوع القتال بينهم لان الله كان اعطي نبيه صلي الله عليه وسلم النصرة بايقاع الرعب في قلوب
اعدايه الكفرة وبقي من ذلك اثر فيمن اقتدي به من الخلفا فلما اشتغلوا بزخرف الدنيا نزع
الخوف من قلوب الاعدا وصار بعضهم يعادي بعضا ويقاتله لما بينهم من التحاسد والتباغض
وطلب كل منهم ما في يد الاخر لما ظهرت الملوك المتغلبة فصار الامر لمن غلب وسلط شرارهم علي
علي خيارهم الشرار جمع شر بمعني شرير وخيار جمع خير بمعني اخير او مخفف خير وتسليطهم
بقهرهم والعلو عليهم بالباطل وهو كالتفسير لما قبله وكان ابتدا ذلك بعد فتح فارس والروم وسبي
ذريتهم واستخدامهم وتنافسهم في الدنيا وذلك من الدولة الاموية الي الان واخبرهم صلي الله
عليه وسلم بقتالهم الترك كما ورد في حديث اخبرهم صلي الله عليه وسلم رواه الشيخان لا تقوم
الساعة حتي تقاتلوا الترك صغار الاعين حمر الوجوه لف الانوف كان وجوههم المجان المطرقة
وقد ورد هذا الحديث من طرق بالفاظ مختلفة والترك بضم التا جيل معروف من الناس يقال
لهم بنو قنطورا وهي امة لابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام واختلف في نسبهم اختلافا كثيرا والمشهور
انهم اولاد يافث ابن نوح عليه الصلاة والسلام وقيل انهم الديلم وقيل المراد بهم هنا ياجوج وماجوج
وعلي كل حال فهم قوم من الكفرة دارهم بعيدة من ديار الاسلام ومنهم التتار ولهم وقايع مشهورة
كوقعة جنكيز وهلاكه المفصلة في التواريخ والخزر بضم الخا وسكون الزاي المعجمتين وراء
مهملة وهم جيل من الناس كفرة قيل انهم من الترك وقيل من العجم وقيل من التتار لانهم
جمع اخزر وهو الضيق العين وقيل المراد بهم الاكراد ووقايعهم كلها مشهورة فقد وقع ذلك
كما اخبر به صلي الله عليه وسلم وروي الحرز بفتحتين ايضا وفي بعض نسخ الشفا بخا مضمومة
واو وزاي معجمة ساكنة وفيه نظر والحرز ضيق العين كما علمت او النظر بموخرها والروم
اي مما وقع من اخباره صلي الله عليه وسلم اصحابه اخباره بما سيكون من قتال الروم وهم قوم
معروفون من ولد روم بن عيص بن اسحاق سموا باسم ابيهم ثم قيل روم ورومي كزنج وزنجي
وقد ملكوا الشام واختلط بهم قوم من العرب من غسان واصل مساكنهم جهة الشمال وذهاب
كسري بفتح الكاف وكسرها كما مر اي ذهاب ملكه وقومه بعد ظهور دولته وتغلبه وفارس ارض
العراق وغيرها وقد تقدم بيانه حتي لا كسري ولا فارس اي حتي لا يبقي له ذكر ولا ملك
الي يوم القيمة ولا انما تدخل علي نكرة فاما ان نقول انه مكر كما في هذا الحديث لا قيصر فهو
كقولهم لكل فرعون موسي اي لكل جبار مبطل محق يغلب عليه ويمحو لاثره وفيه مقدر اي لا
مثل كسري ومثل وغير لا يتعرفان بالاضافة بعده اي لا يكون بعده من جنسه وذهاب
قيصر ملك الروم بذهاب ملكه وقومه حتي لا قيصر بعده وهذا مما رواه الشيخان ايضا
بدون فارس الا انه وقع في رواية من غير طريقهما وذكر صلي الله عليه وسلم فيما اخبر به من
المغيبات التي كانت كما قال ان الروم اي جنسهم المعروف ذات قرون وفي نسخة ذات القرون
بالتعريف جمع قرن وهم الجماعة في عصر واحد اي كلما مضي قرن خلفه قرن وهم الجماعة في
عصر واحد اي كلما مضي قرن خلفه قرن وقوم يملك ملكهم منهم وقيل القرن السيد اي كل
ما هلك قرن خلفه مكانه قرن وقيل المراد قرون شعورهم التي كانوا يطولونها

ويبرفوذ فيها للاشاره الي تطود همم هم **الي اخر الدهر** اي يمتد ملكهم بديارهم بخلاف فارس
فانه انمزق ملكهم بدعوته صلي الله عليه وسلم عليهم لما مزقوا الكتابه لهم كما هو
مذكور في السير وقد تقدم ايضا وهو مشاهد الي الان ليس لغيرهم ملك لملكهم وذلك انه صلي
الله عليه وسلم لما ارسل الكتب الملوك في عهده فلما قرأ كسرى الكتاب مزقه فقال صلي الله عليه
وسلم مزق الله ملكهم فكان كما قيل

وكسر كسرى بتمزيق الكتاب فقد ٭ اذاقه الله تمزيقا بتمزيق

واما قيصر فلما اتاه كتابه صلي الله عليه وسلم مع دحية قبله واجله فدعا له رسول الله صلي
الله عليه وسلم بان يثبت ملكه وقد ذكر ان الكتاب الذي بعثه صلي الله عليه وسلم الي الان عند
ملوكهم محلوة وهو محفوظ عندهم في صندوق من ذهب واوصي بعضهم بعضا بحفظه وان
ملكهم لا يزال دايما ما دام هذا الكتاب عندهم حتي انهم اخرجوه لابي الصابغ الحنفي لما ارسله
السلطان قلاوون الملك المنصور الي ملوكهم وقالوا له هذا الكتاب نبيكم احمد نا تحفظه
ونتبرك به وكان عند ملك طلبطلة وهو الي الان عندهم ولكن الله يهدي من يشاء اعلم صلي الله
عليه وسلم اصحابه **بذهاب العلم قال ذهاب العلماء** لا اهل هنا بمعني الاشراف لانه اكثر مسائله
وشابهته اهل الحق والصدر الاول والفاء للترتيب المتفاصل لاتباعه للاول ثم للثاني وهكذا الي
ان يبقي حثالة لا عبرة بهم وفي الصحاح فلان امثل بني فلان اي ادناهم للخير وهولاء اماثل القوم
اي اخيارهم اي اعلمهم صلي الله عليه وسلم بموت الاقرب الي الخير قبل غيره وفي البخاري
يذهب الصالحون الاول فالاول وتبقي خفالة كخفالة الشعير او التمر لا يبالي بهم الله بالة اي لا
يرفع لهم قدرا ولا يقيم لهم وزنا والخفالة بالخاء والفاء المثلثة من كل شي رديء **وتقارب الزمان**
في حديث رواه الترمذي عن انس رضي الله تعالي عنه لا تقوم الساعة حتي يتقارب الزمان
فيكون السنة كالشهر والشهر كالجمعة واليوم كالساعة والساعة كالضرمة بالنار وبجناد
مفتوحة معجمة وراء مهملة مفتوحة وهي حشيش يحترق بسرعة والتقارب تقارب علي الوجه
والمراد قصره وقلة لبث القصير يقرب بعضه من بعض ويقال للقصير متقارب ومتادفه وهذا
يكون اذا اقربت الساعة في اخر الزمان كما ورد التصريح به في بعض الروايات واختلفوا في
معناه فقيل المراد انهم يوسع عليهم من الدنيا فيستلذون معيشتهم ويكونون مسرورين
وقيل ان الناس يصفون الايام الهنية بالقصر وللشعراء فيها مبالغات ومعان لطيفة يعرفها
من العالم بالادب

كقول ابي تمام

اعوام وصل كاذ يمشي طيبها ٭ ذكر النوي فكانها ايام
ثم انبرت ايام بعد عقيبة ٭ نحوي اسافكانها اعوام
ثم انقضت تلك السنون وأهلها ٭ فكانها وكانهم احلام

وهذا المذكور هو الذي ارتضاه الخطابي واعترض عليه القرماني بانه لا يناسب قوله بعده
وقبض العلم وقال ابن حجر انما احتاج الخطابي لتاويله بما ذكر لانه لم يشاهد النقص في زمنه
والذي تضمنه الحديث وجده في زماننا هذا فانا نجد من سرعة الايام ما لم نجده في العصر
الذي قبله واذا لم نكن هنا في عيش مستلذ كما قيل

كفي حزنا ان الحياة مذمة ٭ ولا عمل يرضي به الله صالح

فالموت

فالحق ان المراد نزع البركة من كل شي حتي من الزمان وذلك من علامات قرب الساعة وهذا
هو الذي ارتضاه النووي رحمه الله تعالي وقيل المراد بتقاربه وقصره قصر الاعمار
فان كل قرن اهله اقصر اعمارا من اعمار القرن الذي قبله وقال البيضاوي في شرح المصابيح
المراد تسارع انقضا الدول وانقراضها وهنا وجه اخر قريب من الاول وهو انه لكثرة الظلم
والاحزان والاشتغال بامور الدنيا وكثرة الحرص علي تحصيلها يغفلون عن اوقاتهم ولا يشعرون بها

كما قلت

ان الزمان مقصر ذهبت به ... بركاته اذا ذابت الالام
ما ذاك الا انه قد فر من ... خوف وقد جارت به الحكام

وهو مناسب لذكر الفتن بعده في قوله **وظهور الفتن والهرج** وهي جمع فتنة وهي معروفة
وهذا قد شاهدناه وقبض العلم بمعني اخذه ونزعه من الناس وذلك بموت العلما حتي لا يبقي
الا ناس جهلة اذا استفتوا بغير علم وبهذا فسره صلي الله عليه وسلم لما سيل عنه وموتهم
بالكلية انما يكون اذا قربت الساعة فلا ينافي هذا قوله في الحديث الصحيح الاتي لا تزال طايفة
من امتي ظاهرين علي الحق حتي ياتيهم امر الله فانه قبل ذلك والهرج بالها وسكون الرا المهملة
وجيم بمعني القتل واصل معناه لغة الكثرة وقد ورد تفسيره في الحديث بالقتل وورد
بمعني اختلاط الناس بعضهم ببعض وقيل انه لغة حبشية فهو معرب صار عربيا فصيحا ومنه
قولهم في هرج ومرج **وقال** صلي الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن زينب ام المومنين
رضي الله عنها **ويل للعرب من شر قد اقترب** اي قرب ودنا منه وويل كلمة تفجع وتعجب وتعجب
مما ينالهم من المشقة والهلاك بفتن تقع بين المسلمين لقطع الليل المظلم يصير المتمسك فيها بدينه
كالقابض علي الجمر يشير بذلك الي امر عثمان وعلي رضي الله عنهما وويل مبتدا وان كان نكرة
لما فيه من الدعا مثل سلام عليكم وهي ترد للتحزن والتحير والكلام عليها مفصل في العربية
واللغة والمراد بالشر ما مر لقوله اقترب وقيل انه اشارة لفتح سد ياجوج وماجوج لان الحديث
اوله قالت زينب رضي الله تعالي عنها استيقظ رسول الله صلي الله عليه وسلم من النوم
محمرا وجهه وهو يقول لا اله الا الله ويل للعرب الخ فتح اليوم من ردم ياجوج اي السد
وعقد تسعين يعني جعل سبابته مضمومة لاصل ابهامه يشير للفرجة اليسيرة بينهما بحسابهم
المشهور ومثله كثير في الحديث لتعارفه بينهم والحديث والكلام عليه مبسوط في شروحه
و اعلم صلي الله عليه وسلم اصحابه ايضا **بانه زويت له الارض** مبني للمجهول اي جمعت
وضم بعضها لبعض حتي يطلع علي جميعها **فاري مشارقها ومغاربها** اي جميع الارض
وجوانبها كما يضم البساط الكبير حتي يصير في محل واحد يحيط به الناظر اليه سريعا واري
بضم الهمزة مبني للمجهول اي اراه الله جميع ذلك ومشارقها مفعول ثان والمشارق والمغارب
كناية عن الجميع كما في قوله رب المشارق والمغارب والجمع باعتبار تعدد المطالع كما ذكره
المفسرون وقيل انه لم يذكر الجنوب والشمال لان معظم امتداد ملك هذه الامة في جهتي
المشرق والمغرب وهكذا هو في الواقع كما اخبر به صلي الله عليه وسلم وفي قوله **وسيبلغ**
اي يصل **ملك امته** اي سلطانهم وحكمهم اشارة اليه **ما زوي له** صلي الله عليه وسلم
منها اي الارض او المشارق والمغارب وهو من تتمة الحديث ومن تفصيله بيانية او تبعيضية
لما مر **وكذلك كان** اي وقع ما ذكر في الامتداد **امتدت** مملكتهم واتسعت او امته

بمعني انتشرت في نواحيها في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند بيان للمشارق والمغارب
او بدل ايضا اقصي بفتح الطا المهملة المشرق بيان لارض الهند او بدل ايضا الي بحر طنجة
بفتح الطا المهملة ونون ساكنة وجيم بلدة مشهورة بساحل بحر المغرب حيث لا عمارة وراه
اي انتهت الي مكان من ذلك البحر لا عمارة بكسر العين اي ليس بعده بلاد ولا جزاير معمورة
وطنجة لفظ بربري وهي مدينة عظيمة فتحت في الاسلام ثم استولي عليها النصاري في سنة
سبعين وثمانماية بعد قتال عظيم فلما راي المسلمون ان لا معين لهم ولا مغيث سلموها لهم فانا
لله واليه راجعون ولم تزل النصاري ظاهرين ثمة حتي تملكوا اكثر البلاد فعاد الاسلام
غريبا كما بدا ومن اراد التفصيل ذلك فلينظر تاريخ الاندلس السالفة وذلك الذي امتد
لهذه الامة ما لم يملكه احد من الامم السالفة ولم يمتد الممالك الاسلامية في جهة الجنوب
ولا في جهة الشمال مثل ذلك اي مثل امتدادها في المشرق والمغرب فما قيل في تفسيره انه بلغ
ملكها اقصي الجهات الاربع مهاب الريح قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا لم ينتبه لما قلناه وقوله
صلي الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالي عنه لا يزال
اهل المغرب سياتي تفسيره مفصلا في كلامه ظاهرين علي الحق حتي تقوم الساعة غاية
لاستمرار ظهورهم بتاييد الله تعالي لهم واعلايه لكلمة الذين بجهادهم وقوله ظاهرين اصل
معني الظهور العلو علي الظهر ويطلق علي ما يلزمه وهو الشهرة والعلو وقد يراد به العلو
المعنوي وهو الغلبة والقهر وقد اختلفوا في المشرق والمغرب ايهما افضل فذهب الي كل منهما
طايفة وهو خلاف لا طايل تحته قال ابن العماد في كتابه كشف الاسرار استدل من قال بفضل
العرب بهذا الحديث واجيب بان الثابت لا تزال طايفة من امتي ظاهرين علي الحق حتي
ياتي امر الله وهم بالشام فان ثبت هذا اللفظ فالمراد الشام لانه غربي المدينة وقوله علي الحق
خبر بعد خبر لانه ليس المعني علي الظهور علي الحق بل انهم ظاهرون وانهم علي الحق وهو
ضد الباطل او هو متعلق بظاهرين يتضمن معني محافظين مداومين علي اقامة الحق وشعاير
الدين ذهب ابن المديني في تفسير هذا الحديث وهو علي بن عبد الله بن جعفر بن جريج ابو
الحسن امام اهل الحديث واعلمهم به في عصره وقال النسائي كان الله تعالي لم يخلقه
الا لهذا الشان وقال البخاري ما استصغرت نفسي الا بين يدي علي بن المديني الخ وكان
من احسن الناس كلاما علي حديث رسول الله صلي الله عليه وسلم توفي ليلتين بقيتا من ذي
القعدة سنة اربع وثلاثين وله ثلاث وسبعون سنة وروي عنه البخاري وغيره من اصحاب
السنن وهو منسوب لمدينة الرسول علي خلاف القياس والقياس مدني كما بينه النحاة هـ
والمشهور ان يقال مديني في النسبة لمدينة المنصور فرقا بينه وبين المنسوب للمدينة المشهورة
ولكنه اشتهر بذلك وله ترجمة في الميزان وقال ابن الاثير النسبة الي المدينة مدني والاكثر
مدني والمديني نسبة الي مداين سبعة غيرها كما فصله وقال الجوهري المديني نسبة لمدينة
الرسول والمدني نسبة لمدينة المنصور وبين كلا منهما تناف وقال ابن الصلاح في الكلام علي
المسلسل بالاولية المديني نسبة لحي مدينة اصبهان وهو من المدينة الا انه سكن البصرة وفي
القاموس النسبة لمدينة الرسول مدني ولمدينة المنصور واصبهان وغيرهما مديني وقال
الكرماني قال الحافظ المقدسي قال البخاري المديني الذي اقام بمدينة الرسول صلي الله
عليه وسلم ولم يفارقها والمدني الذي تحول عنها وكان منها انتهي الي انهم العرب مطلقا

ووجه تسميتهم باهل المغرب بقوله لانهم المخصوصون بالسقي بالغرب بفتح الغين المعجمة
وسكون الرا المهملة والموحدة وهي الدلو العظيمة المعروفة تذكر وتؤنث سماعا وقيل المراد
بالغرب في الحديث الحدة والشوكة وتقدم تفسيره بالشام ايضا ومنه غرب الشام لحدته وللغرب
معان كثيرة في كتب اللغة وغيره ان غير ابن المديني من علما الحديث يذهب الى انهم في الحديث
اهل المغرب بميم في اوله وقد ورد المغرب كذا اي بهذا اللفظ في بعض الروايات وهو مؤيد
للتفسير الثاني ولا يعينه لاحتمال انه روي في الحديث بمعناه فهو رواية بالمعنى ولولا هذا
لم يفسره بغيره وفي حديث اخر من هذا القبيل رواه الطبراني وعبد الله بن احمد بن حنبل
من رواية ابي امامة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزال طايفة من امتي ظاهرين
على الحق قاهرين لعدوهم من الكفرة بالجهاد في سبيل الله حتى ياتيهم امر الله يعني الساعة
واشراطها وهو غاية لظهورهم على ظاهرها او المراد انهم لا يعدم ظهورهم كقوله صلى الله عليه
وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا كما حققه الكرماني وغيره وهم كذلك اي باقون على حالهم
والجملة حالية قيل يا رسول الله واين هم من البلاد ومقرهم قال بيت المقدس بالاضافة وفيه
لغات فمقدس كمرجع اسم مكان او مصدر ميمي من المقدس وهو الطهر اي المكان الذي يطهر فيه
العابد من الذنوب او تطهر فيه العبادة من الاصنام وجا فيه ضم الميم التطهير وجا بكسر
الدال المشددة اسم فاعل لانه يقدس العابد فيه من الاثام ويقال البيت المقدس بالتوصيف
والاشهر الاضافة والظاهر ان الطايفة المذكورة الامرا والحكام وولاة الامور لانهم
المعروفون بالقهر والغلبة وقيل انه يشملهم ويشمل غيرهم من الفقها والمحدثين وكل من
يامر بالمعروف وينهى عن المنكر وقال البخاري هم اهل العلم ونقل عنه ايضا انهم اهل الحديث
وكل محتمل والتعميم اولى كما لا يخفى وفي شرح مسلم للقرطبي بعد ما ذكر رواية اهل المغرب
من طرق متعددة وصححها انه يدل على ابطال التاويلات فيه والمراد بالمغرب جهة المغرب
من المدينة الى اقصى بلاد المغرب فيدخل فيه الشام وبيت المقدس فلا منافاة بين الروايات
وفي رسالة للطرطوسي ارسلها لاهل المغرب وذكر فيها هذا الحديث وقال فيها ما اراد كم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الا لما انتم عليه من التمسك بالسنة وطهارتكم من البدع
واقتفا اثر السلف وفيه دليل على صحة الاجماع واخبر صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الترمذي والحاكم عن الحسن ابن علي رضي الله تعالى عنهما بملك بني امية وهذا من جملة ما اخبر
به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وهم بنو مروان بن الحكم بن ابي العاص بن امية بن عبد شمس
بن عبد مناف بن قصي وقد رواه البيهقي مرسلا من طريق اخر في مسنده ضعف وولاية
معاوية ابن ابي سفيان بن حرب بن امية بن عبد شمس ولقد اجاد المص رحمه الله تعالى اذ عبر
في بني امية بالملك ولم فيهم معاوية وعبر في معاوية رضي الله تعالى عنه بالولاية الشاملة
للملك والخلافة كما سنبينه عن قريب والفرق بين الملك والخلافة والولاية ان الملك
هو السلطنة بطريق التغلب والخلافة ما كان ببيعة اهل الحق لمن هو قرشي جامع لشروط
الخلافة المذكورة في الاصول والولاية اعم منهما فتشملهما وتشمل الامارة ونيابة الخلفا
وغيرهم كما في الحديث الاتي جمع الكلام عليه الخلافة بعدي ثلاثون عاما لم تصر ملكا
عضوضا ومعاوية كما تقدم كان اولا امير ثم صار ملكا وهو اول ملوك الاسلام ثم لما بايعه
الحسن رضي الله تعالى عنه برضاه صار خليفة فلما كان ذكر الولاية فيه اشارة لهذا

وليس عثمان رضي الله تعالى عنه من بني امية لانه خليفة نحو معاوية وان كان منهم
نسبا لان ابا سفيان كما علمت ابن حرب بن امية فلم يدخله المص فيهم لما ذكرناه وقيل
انه اول ملوك بني امية ولكل وجهة وقد ورد في الحديث انه صلى الله عليه وسلم راى مناما
بني امية على منبره الشريف فساءه ذلك فانزل الله عليه تسلية له صلى الله عليه وسلم سورة
الكوثر وسورة القدر لان ملك بني امية كان الف شهر لا تزيد ولا تنقص فاعطى الله امية في كل سنة
ليلة مقدار ملكهم وتزيد بما لا يحصى من العجايب الواقعة في تلك الليلة مما لا يعلم مقدار ثوابه
الا الله تعالى يعرف ذلك من الهم الله تعالى الفهم الثاقب وخصه بالمواهب وفيه من الاسرار
الخفية ما لا يخفى على ذي بصيرة **ووصاه** اي وصى عليه الصلاة والسلام معاوية اذا تملك بالعدل
والرفق لما قال له اذا ملكت فاسجح قال معاوية رضي الله تعالى عنه فما زلت اطمع في الخلافة
منذ سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل في قوله اذا ملكت اشارة الى انه رضي الله
عنه لم يكن خليفة وانما كان ملكا وروى البيهقي عن معاوية انه قال ما حملني على الخلافة
الا قوله صلى الله عليه وسلم يا معاوية ان ملكت فاحسن وهو ضعيف الا انه له شواهد منها
ما روي انه تبع بالاداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاوية ان وليت امرا فاتق الله
واعدل وروي ما يقرب منه من طرق متعددة وهذا من جملة ما اخبر به صلى الله عليه وسلم
من المغيبات **ومنه** ايضا قوله **واتخاذ بني امية مال الله دولا** كما ورد في حديث رواه الترمذي
والحاكم والبيهقي عن ابي هريرة رضي الله عنه اذا بلغ بنو ابي العاص اربعين او ثلاثين اتخذوا
دين الله دغلا وعباد الله خولا ومال الله دولا ودول بضم الدال المهملة وفتح الواو ولام
جمع دولة بالضم والفتح وهي ما يتداول اي ياخذه واحد بعد واحد والمراد انهم استاثروا به
ومنعوا حقوقه فاسرفوا وبذروا وضيعوا بيت مال المسلمين وهم اول من فعل ذلك في الاسلام
واول ملوكهم بعد معاوية في يزيد مروان بن الحكم ثم ولي ابنه عبد الملك وتمت دولتهم بالرابع
عشر مروان ابن محمد كما فصله المورخون **ومنه** ايضا **خروج ولد العباس** بعد انقراض الدولة
الاموية اي ولد العباس بن عبد المطلب كما ورد في حديث رواه احمد والبيهقي بسند فيه ضعف
وهو مما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم والولد يطلق على الواحد والجمع والمراد هنا
الثاني **بالرايات السود** اشارة الى ما في هذا الحديث تظهر الرايات السود لبني العباس
حتى ينزلوا بالشام وتغسل الله على ايديهم كل جبار وعدو لهم وفي رواية تخرج الرايات السود
من خراسان لا يردها شيء حتى تنصب بايليا اي بيت المقدس وفي سنده ضعيف وكان صلى الله
عليه وسلم اخبر العباس ان الخلافة تكون في ولده فكانوا يتوقعون ذلك وقد روي تبشيره
صلى الله عليه وسلم بذلك له ولام الفضل زوجته من طرق افردها السخاوي بتاليف ليس
يسع تفصيله هذا المقام وكان شعار بني العباس السود في لباسهم وراياتهم وسببه انه صلى
الله عليه وسلم اخبرهم بذلك وقيل سببه ان مروان الحمار اخر بني امية لما بلغت دعوة ابي مسلم
الى محمد بن علي الامام ومات محمد فعهد الى ابنه ابراهيم فاتي به مروان وسجنه فلما احس
بالقتل اوصى اتباعه بالثبات على امرهم واستخلاف اخيه السفاح فلما قتل لبسوا السواد اظهارا
لحزنهم وحثا للاخذ بثاره فما استمر ذلك فيهم ولا منافاة بين الروايتين ولم يزل ذلك الى
عهد المامون بن الرشيد في سنة احدى ومائتين فامر بترك السواد ولبس الخضرة لمحبته
للعلويين حتى خلع اخاه المؤتمن وجعل العهد لعلي الرضى فمات ولم يتم امره فكلمه العباسيون

في اعادة

في اعادة شعار السواد وترك الخضرة ففعل وهذا اول لبس العلويين الخضرة وليس مبدؤه كما توهمه المتاخرون في سنة ثلاث وسبعين وسبعماية برسم الملك الاشرف بمصر وفي ذلك يقول ابن جابر الاندلسي

جعلوا لابنا الرسول علامة ... ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم ... يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وقال ابن حبيب

عمايم الاشراف قد تميزت ... بخضرة رقت وراقت منظرا
وهذه اشارة الى ان لهم ... في جنة الخلد لباسا اخضرا

وقال ابن المزين

اطراف تيجان من سندس ... خضر كاعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها ... شرفا لتعرفهم من الاطراف

ولكن الاول لما لم يستمر وترك حتى نسي توهموا ان ابتداءه كان كذلك وكان سبب حدوث شعارهم ان يهوديا دخل بعمامة فعظم ودخل بعض الاشراف فلم يلتفت اليه لعدم العلم به فامر بذلك وقال السبكي انه مستحب واستنبطه من قوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن فلا يوذين وهو كلام حسن **وملكهم** اي تملك بني العباس الخلفا **اضعاف ما ملكوا** اي اضعاف تملك بني امية واضعاف خلفايهم فان اولهم السفاح بويع في ربيع الاخر سنة اثنين وثلاثين ومايه واستمر ملكهم الى سنة ست وخمسمايه وكانوا نحو ثلاثين ببغداد ثم انقضت تلك السنون واهلها ولله الامر من قبل ومن بعد **وخروج المهدي** في اخر الزمان كما ورد في حديث رواه اصحاب السنن وغيرهم من طرق كثيرة الا انه قيل ان اسانيده لا تخلوا من ضعف وفيه اختلاف كثير افرد بالتاليف فقيل انه عباسي وقيل انه علوي وانه يملك سبع سنين وكنيته ابو القاسم واسمه محمد بن عبد الله وفي زمنه ينبسط الامن والعدل وقيل المراد به عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وذكره النبي صلى الله عليه وسلم باسمه وصفته كما فصلوه واحواله مبسوطة في تذكرة القرطبي وهو ممن يملك الارض كلها وقد ملكها قبله مسلمان سليمان عليه الصلاة والسلام وذو القرنين وكافران نمرود وبخت نصر **وما ينال اهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم** يقال نال كذا اذا وصل اليه فيجوز ان يكون فاعله مستتر يعود لما فاهل منصوب ويجوز رفعه بتقدير اي ما يناله اهل بيته وما قيل انه لا يجوز رفعه لا وجه له اي مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات كما في حديث رواه الحاكم ان اهل بيتي سيلقون بعدي من امتي قتلا وتشريدا وضعفه الذهبي والتشريد الطرد والتفريق من شرد البعير اذا ند وشردت فلانا من البلاد وشردت به قال تعالى فشرد بهم من خلفهم **وقتل علي** بن ابي طالب كرم الله وجهه اي مما اخبر به صلى الله عليه وسلم قتل علي كما رواه احمد والطبراني في حديث **وان اشقاها** اي اشقى الخلايق او الدنيا او الطايفة الخوارج او اشقى هذه الامة **الذي يخضب هذه** اشار به الى لحيته **من هذه** اشارة لراسه اي يضربه على راسه ضربة يسيل بها دمه حتى يبل لحيته والخضاب صبغ معروف فشبه دمه بالخضاب لتغيره لونها كما يغير الخضاب ففيه استعارة وهو عبد الرحمن ابن ملجم بضم الميم وسكون اللام بفتح الجيم على زنة اسم المفعول كما قاله النووي في تهذيبه وغيره **اي لحيته من راسه** اي من دمها وهو تفسير لما قبله وقصة الخوارج وقتل علي مشهورة لا حاجة لنا بها وكذا قصة قتل اهل

بيته واخباره بقتل سبطه بكربلا وانه يعني عليا كرم الله وجهه قسيم النار ظاهر كلامه ان هذا مما
اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم الا انهم قالوا لم يروه احد من المحدثين الا ان ابن الاثير قال في النهاية
الا ان عليا قال انا قسيم النار يعني اراد ان الناس فريقان فريق معي فهم على هدى وفريق علي
فهم على ضلال فنصف معي في الجنة ونصف علي في النار انتهى قلت ابن الاثير ثقة وما ذكره
علي لا يقال من قبل الراي فهو في حكم المرفوع اذ لا مجال فيه للاجتهاد ومعناه انا ومن معي قسيم
لاهل النار اي مقابل لهم لانه من اهل الجنة وقيل القسم المقاسم كالجليس والسمير وقيل اراد بهم
الخوارج ومن قاتله كما في النهاية يدخل اولياؤه الجنة اي من ولاه ونصره وكان من حزبه ويدخل
بفتح المثناة التحتية وضم الخاء المعجمة ويجوز ضم اوله وكسر ثالثه فيرفع اولياؤه او ينصب او
تدخل بفوقية وذلك باذن من الله تعالى تكريما له على الثاني لان كبار الامة لهم شفاعة ثمة
كما ورد في الحديث ويدخل اعداؤه النار لبغضهم له وعدم اتباعهم الحق وفي الغيلانيات انه
ينادي يوم القيامة اين اصحاب محمد فيؤتى بالخلفاء رضي الله عنهم فيقول ادخلوا من شئتم الجنة
ودعوا من شئتم او ما هو بمعناه فكان ممن عاداه اي اظهر العداوة له الخوارج وهم الذين خرجوا
عليه عند التحكيم فكانوا اثني عشر الفا اصحاب صلاة وصيام وقد اخبر عنهم النبي صلى الله عليه
وسلم وذكرهم بصفاتهم وكان لعلي رضي الله تعالى عنه معهم وقايع مدونة في التواريخ وهم
من الفرقة الضالة ولهم اعتقادات فاسدة واعمال كاسدة والواحد منهم خارج وخارج
والناصبة اي الفرقة او الطايفة الناصبة ويقال لهم النواصب وهم قوم تدينوا ببغض علي كرم
الله وجهه قال ابن السيد من نصبت الشرك والحالة فاستعير ذلك لكل من يبيد ويوقع المكروه
واشتق منه هذا الاسم انتهى وفي الكشاف النصب بغض علي وعداوته وهو بالصاد المهملة وهم
من الخوارج ايضا وطايفة ممن ينتسب بالياء التحتية او بالمثناة الفوقية وروي ينتسب افتعال
من النسبة اليه اي الى علي لانهم كانوا يعتقدون انه الخليفة بحق وان الامامة جمع حقة
وتلك الطايفة من الروافض من الرفض وهو الترك سموا بذلك لتركهم السنة والجماعة كفاروه
اي نسبوه الى الكفر لتركه الخلافة وهي خفية وهو زعم فاسد وحماقة وهم المنكرون للتحكيم
وقولهم لا حكم الا لله وهي كلمة حق اريد بها باطل وقد كفروا غيره من الصحابة ايضا
وفي قوله السابق ممن عاداه اشارة الى ان من عاداه ليس منحصرا فيمن ذكر فان كثيرا
من بني امية والعباسيين اظهروا عداوته وشبه وقال صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان
يقتل عثمان وهو يقرو القران في داره في المصحف وروى الترمذي عن ابن عمر انه
صلى الله عليه وسلم ذكر فتنة فقال يقتل فيها هذا مظلوما يعني عثمان رضي الله عنه وحسنه
وهو من جملة ما اخبر به من المغيبات فكان كما قال والمصحف بضم الميم وكسرها محل المصحف
لجمعه ما كان فيها كما ياتي وان الله عسى ان يلبسه قميصا اتى بعسى هنا تاديا لعدم جزمه واستعارها
للاستقبال اللازم للترجي اي سيلبسه واستعار القميص للخلافة استعارة مرشحة بقوله وانهم يريدون
خلعه وظاهره ان الضمير للقميص ويجوز عوده لعثمان وخلعه بمعنى عزله فانهم اجتمعوا لخلعه
فلم يرض لانه صلى الله عليه وسلم نهاه عنه فقوله فلا تخلعه فقتلوه فاهدر الله بدمه سبعين
الفا قتلوا بصفين وغيرها كما رواه الترمذي عن عايشة رضي الله تعالى عنها وهو حديث
حسن وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه اي عثمان اصبح يحدث الناس فقال رايت النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا عثمان افطر عندنا فاصبح صايما وقتل في يومه وانه سيقطر دمه

علي

على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم اي تاخذ تارك ممن يقتلك وهذا رواه الطبري
في كتاب الرياض النضرة ورواه الحاكم عن ابن عباس وقال الذهبي انه موضوع وتبعه السيوطي
والظاهر منه ان دمه وقع على هذه الاية وقيل المراد انه اريق دمه وهو يقروها
وهو بعيد وفيه اخبار بمغيبات منها وقوع هذه الفتنة وان عثمان سيقتل شهيدا وان القران
سيجمع في مصحف فانه لم يكن في زمنه صلى الله عليه وسلم مصحف واختلفوا فيمن قتله
فقيل رومان بن سرحان وقيل الاسود التجيبي وهذه اول فتنة ومصيبة وقعت في الاسلام

ومن لم يقاس الدهر لم يعرف الاسى ۞ وفي غير الايام ما وعد الدهر

مما اخبر به صلى الله عليه وسلم ان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا روى البيهقي هذا الحديث
عن ابن عمر رضي الله عنهما والشيخان عن حذيفة ولقي يوما عمر ابا ذر فاخذ بيده وعصرها
فقال دع يدي يا قفل الفتنة فقال له ما هذا يا ابا ذر قال جئت يوما ونحن عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكرهت ان تتخطى الناس فجلست في ادبارهم فقال لا تصيبكم فتنة
ما دام هذا فيكم وقال عمر رضي الله عنه يوما ايكم يحفظ ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في الفتنة التي تموج كموج البحر فقال حذيفة ليس عليك منها يا امير المومنين قال يكسر قال اذن
لا يغلق ابدا فقيل له اكان عمر يعلمه قال نعم كان دون الغداء الليلة اقول في هذا سر
من كنايات البلاغة عجيب فان قوله فيه تموج اشارة الى انها ليست فتنة المال والاولاد وقوله
يكسر يشير الى انه يقتل فيتحرا الناس على الخلفاء والباب اذ لا يكسر لا يقفل وقوله دون
الغداء الليلة كناية عن انه كان يقينا عدوا انما سال ليعلم هل علمه غيره ام لا وخطب
خالد بن الوليد يوما فقال ان امير المومنين قد بعثني الى الشام وهو يهمه فالقى بوانية بثنية
وغسلا اراد ان يوثر به غيري فقال له رجل اصبر ايها الامير فان الفتن قد ظهرت فقال
اما وابن الخطاب حي فلا انما ذاك بعده اذا كان الناس بذي بلى او بذي بليان فينظر الرجل
هل يجد مكانا لم ينزل به ما نزل بمكانه من الشر فلا يجده نعوذ بالله ان تدركني واياكم اوليك
الايام وبوانية جمع بانية اي حيرة وسعته والبثنية حنطة مستوية لبثينة ناحية بدمشق
وقيل هي الزبدة اي كانها عسل وزبد لما يجي من اموالها وذي بلا وذي بليان يريد به طوايعه
بلا امام وكل من بعد حتى لا يدري موضعه فهو بذي بلى من بلي في الارض اذا ذهب اراد
ان امور الناس تضيع بعد عمر رضي الله عنه واخبر صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
البيهقي من طرق وهو مما اخبر به من المغيبات بمحاربة الزبير لعلي وهو ظالم له وكان صلى
الله عليه وسلم راهما يوما وكل منهما يضحك فقال لعلي اتحبه فقال كيف لا احبه وهو ابن خالتي
وعلى ديني فقال اما انك ستقاتله وانت له ظالم فلما كان يوم الجمل قاتله فبرز له علي رضي
الله عنه وقال ناشدتك الله اسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله انك ستقاتلني
وانت لي ظالم قال نعم ولكن انسيته وانصرف عنه فلما كان بوادي السباع خرج عليه ابن جرموز
وهو نايم فقتله واتى براسه كما فصله المورخون ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات
نباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه يعني عايشة رضي الله عنها وهو بحاء مهملة واو
ساكنة وهمزة مفتوحة وموحدة اسم ماء او موضع وقرية فيه الماء في طريق الذاهب من
المدينة الى البصرة قال ابن عبد ربه في العقد وبعضهم يقول في الحوب بضم الحاء وتشديد
الواو والمشهور الاول قال الشاعر من الخوارج وانا البري من الزبير وطلحة ومن النبي

كلاب الحواب وفي معجم البلدان اصل معناه الوادي الواسع وانما كان المراد عايشة رضي الله عنها
لانه صلى الله عليه وسلم كان يوما جالسا وعنده نساؤه يتحدثن معه فقال ايتكن تنبحها
تنبحها كلاب الحواب سايرة الى الشرق في كتيبة فكانت عايشة في وقعة الجمل ولما مرت بذلك
المكان نبحتها كلابه فسالت عن اسم ذلك المكان فقيل لها الحواب فهمت بالرجوع فحلفوا لها انه
ليس بالحواب والحواب ايضا اسم مخلاف بالطايف قتلت فيه سلمى المرادية عتيقة عايشة وقيل
ايضا انها المرادة بالحديث ايضا لانها كانت مع نسايه صلى الله عليه وسلم لما حدثهن به كما في
المعجم والصحيح خلافه لما ياتي في بقية الحديث والنباح بضم النون وكسرها صوت الكلب
والتيس وقيل انه اي الحواب سمي باسم حواب بنت كلب لنزولها به كما قاله ابن ماكولا واختلف
في وزنه فقيل فوعل وقيل فعال وفيه الاخبار بالمغيبات وهو حديث صحيح رواه البزار
عن ابن عباس وهو من تتمة حديث الزبير رضي الله عنه لان عايشة ذهبت معه لتصلح بينه
وبين علي فاتفق ما اتفق في وقعة الجمل واخبر صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث انه يقتل
حولها ممن كان معها قتلى كثيرة قيل كانوا نحو ثلاثين الفا وتنجوا اي تسلم هي بعد ما كادت
اي قاربت عدم النجاة فنبحت كلاب الحواب على عايشة عند خروجها الى البصرة وهذا الحديث
صحيح كما مر روي من طرق عدة فعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال لنسايه ليت شعري
ايتكن صاحبة الجمل الازب تنبحها كلاب الحواب والازب كثير شعر الوجه وفك ادغامه
لمشاكلة الحواب فكان ما اخبر به لانه لما قتل عثمان رضي الله تعالى عنه وكانت هي وامهات
المومنين حاجات في ذلك العام فبايع الناس عليا وانحاز اليه قتلة عثمان من غير رضى منه
لكنه خشي الفتنة لكثرتهم وتغلبهم واشتد غيظ الناس فخطبتهم عايشة رضي الله تعالى عنها
وحثتهم على الطلب بدمه ودفع الخوارج عن البلد الحرام فاجابها الناس وقالوا لها حيثما
سرت فنحن معك فسارت في هودجها على جمل يقال لها عسكر وودعتها امهات المومنين
يبكين فسمي ذلك العام عام النحيب فلما وصلت الى الحواب واناخوا جملها نبحتها الكلاب فقالت
ردوني واخبرت بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها الزبير يا ام المومنين اصلحي
بين الناس فسارت لذلك وكان ما كان وما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ان عمار
بن ياسر الصحابي المشهور تقتله الفية الباغية من البغي وهو الخروج بغير حق على الامام ولفظ
مسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمار تقتلك الفية الباغية وروي وقاتله في النار فقتله
اصحاب معاوية وكان هو مع علي بصفين وهو صريح في ان الخليفة بحق هو علي رضي الله
تعالى عنه وان معاوية مخطي في اجتهاده كما في حديث اذا اختلف الناس كان ابن سمية
مع الحق وابن سمية هو عمار رضي الله عنه كان مع علي وهذا هو الذي يدين الله به وهو ان
عليا كرم الله وجهه على الحق ومجتهد مصيب في عدم تسليمه قتلة عثمان ومعاوية رضي الله
تعالى عنه مجتهد مخطي فدعي القيل والقال فماذا بعد الحق الا الضلال وقد تاول معاوية
حديث عمار لما لم يجد مجالا لانكاره فقال انما قتله من اخرجه ولذا قال علي كرم الله
وجهه لما بلغه قوله فرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل حمزة رضي الله تعالى عنه لما اخرجه
لاحد كما نقله ابن دحية رحمه الله تعالى وقتل عمار بصفين وهو ابن سبعين سنة قتله
ابن العمارية واحتز راسه ابن جزء ودفنه علي رضي الله عنه وقال صلى الله عليه
وسلم في حديث تقدم لعبد الله بن الزبير لما شرب دما من فضلاته صلى الله عليه

وسلم

وسلم ويل للناس منك وويل هنا للتحسر والتاسف وتكون للدعاء بالهلاك وكان صلي الله
عليه وسلم احتجم واعطاه دمه وقال له اذهب فاخفه في محل لا يراني فلما رجع قال له صلي الله عليه وسلم
لعلك شربته فقال لهم فقال له ذلك واستدل به علي طهارة فضلاته صلي الله عليه وسلم كما مر
وكان الناس يرون اذا ما عنده من القوة والجراءة ملتسبة من ذلك الدم والمراد من الناس
الجنس وويله من الناس لانه ممن كان علي الحق جريئا علي المقاتلة عليه يكثر اعداؤه وحساده
وينال من الناس اذي ووقع له ذلك رضي الله تعالي عنه حتي قتله هو وابنه ظلما وعدوانا
كما اخبر به صلي الله عليه وسلم فلم يرق ذلك الدم حتي اراق دمه وقال صلي الله عليه وسلم
في اخباره عن المغيبات في حديث صحيح رواه الشيخان في حق قزمان بقاف مضمومة
وزاي معجمة ساكنة وميم وهو مولي لبعض الانصار وكان شجاعا لكنه منافق وكان قاتل
قتالا شديدا اعجب الصحابة رضي الله عنهم كما اشار اليه بقوله وقد ابلي من المسلمين
وابلي بفتح الهمزة وموحدة ساكنة ولام والف مقصورة فعل ماض من ابلي بمعني اختبر ويقال
ابلي بلاء حسنا في الحرب اذا صبر في قتاله واجاد والجملة حالية اي ابان شجاعته واقدامه
الا ان ذلك لم يكن خالصا لله وقد اطلع الله رسوله صلي الله عليه وسلم علي حاله فقال
فيه انه من اهل النار فعجب الناس من ذلك فاظهره الله لهم فقتل نفسه لما اكثرت الجراحة
فيه والخثته واختلفت الرواية في الحديث بعد الاتفاق علي صحته لرواية الشيخين له
عن ابي هريرة فقيل انه كان ذلك باحد وقيل بخيبر والاحيز الواقع في صحيح
مسلم محرف من خيبر لقرب رسمها خطا وقيل ان القصة تعددت فانه صلي الله عليه وسلم
في بعض غزواته راي رجلا فقال انه من اهل النار فلما قاتلوا قاتل معهم اشد القتال حتي
اثخن بجراحات كثيرة فقال صلي الله عليه وسلم انه من اهل النار فكاد بعض الناس يرتاب
فلما اشتد عليه الم جراحاته قتل نفسه فقيل انه جعل سيفه بين ثدييه وتحامل عليه حتي مات
وقيل اخرج من كنانته سهما فذبح به نفسه وقيل قطع عروق يده فاخبر النبي صلي الله
عليه وسلم بذلك تصديقا لمقالته فقال ان الله ليؤيد الدين بالرجل الفاجر وامر مناديا
ينادي في الناس انه لا يدخل الجنة الا مومن اي مومن كامل او قد علم منه انه منافق
او انه ارتد قبيل موته والمنادي قيل انه عمر رضي الله تعالي عنه وقيل بلال وقيل عبد
الرحمن بن عوف وجمع بين الروايات بتعدد القصة او بانه وقع كل ذلك من حامل وغيره
وقد ورد من نادي وفيه اشارة الي انه لا ينبغي النظر الظاهر العمل ولا الاتكال عليه وروي
الطبراني والبيهقي من طرق بعضها مرسل وبعضها منقطع انه صلي الله عليه
وسلم قال في حق جماعة من الصحابة كانوا عنده فيهم ابو هريرة وحذيفة وسمرة بن
جندب احدكم ميتا في النار احزكم مبتدا خبره محذوف تقديره يموت ميتا في النار فموتا
مفعول مطلق والجار والمجرور متعلق بالخبر او بالمصدر او احزكم فاعل يموت وما كونه
مبتدا وموتا تمييز والظرف خبره واذا احتمل فليس بمراد ولذا قيل ان فيه ايهاما وتورية
لان المراد انه يحترق في الدنيا حريقا يموت به لا انه يدخل نار جهنم لان ابن عساكر روي
عن ابي سيد بن ابي سمرة اصابه كزاز وهو مرض يصيب صاحبه برد لا يدفا منه فكانوا
يملؤن له قدر عظيم ما يسخن ويجلس عليه ليدفا من بخاره فسقط فيه فاحترق وقيل انه مات
في حريق وقيل ويحتمل انه علي ظاهره بان يدخل النار في الاخرة ثم يخرج لامر صدر منه

والذي صححه السيوطي وغيره الاول واليه يشير المص بقوله فكان بعضهم ان بعض من قبل
في حقه ذلك مما تقدم يسال عن البعض من رفقايه الذين قال صلي الله عليه وسلم فيهم ما مر قال
ابن حكيم الضبي كنت ان القيت ابا هريرة سالني عن سمرة فاذا اخبرته بصحته فرح فسالته عن
ذلك وقال كنا عشرة في بيت فقال صلي الله عليه وسلم اخركم موتا في النار فمات منا ثمانية
ولم يبق غيري وغيره وكان اذا قيل له مات سمرة يغشي عليه حتي مات قبله فكان سمرة
اخرهم موتا هرم بزنة علم اي كبر سنه وضعف بدنه واصابه هزال الشيخوخة وخرف بخا معجمة
مفتوحة مفتوحة وراء مهملة مكسورة اي فسد عقله وتغير من الكبر فاصطلي اصله اصتلي
فابدلت التا طا لمجاورة الصاد اي تدفي بالنار اي بنار اوقدت له فاحترق فيها لغفلة
اهله عنه وضعفه عن الحركة فعلم صحة ما اخبر به الرسول صلي الله عليه وسلم قبل وقوعه ولم
يكشف لهم الغطا عن مراده ليجدوا في اعمالهم ويدومون علي الخوف والمراقبة او لانه صلي الله
عليه وسلم لم يوذن له في ذلك وهو من الحكم الخفية قيل ان ما ذكر لم ير منقولا عن غير المصنف
ولم يذكر احد ان سمرة حرق بل لم ينقل ان احدا من الصحابة حرق الا بسر بن ارطاة او ابن
ابي ارطاة علي القول بانه صحابي وقد نفي بشرا سفينة مولاه صلي الله عليه وسلم كما قال البرهان
وقال صلي الله عليه وسلم في حديث رواه ابن اسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة انه قال
في حنظلة بن ابي عامر الانصاري الصحابي المشهور لغسيل فعيل بمعني مفعول من
الغسل سمي بذلك لان الملايكة غسلته لما استشهد باحد وكان جنبا فقتله ابو سفيان بن حرب
وقيل قتله شداد بن اوس الليثي وهو حنظلة بن عامر الراهب الذي لقبه رسول الله صلي الله
عليه وسلم الملايكة تغسله مع انه شهيد فقال سلوا ازواجه يعني امراته وذو زوجته فانه
يقال للمراة زوج كالرجل في الصحيح وقد يقال زوجه للفرق عنه اي عن حاله فانه صلي
الله عليه وسلم علم ان تغسيله لجنابته وهي لا يطلع عليها غيرها كما اشار اليه بقوله فاني رايت
الملايكة تغسله والشهيد لا يغتسل وكان ذلك باحد فسالوها فقالت انه خرج من بيته لاحد
جنبا من جماع امراته اعجله الحال اي محبة الجهاد واللحوق برسول الله صلي الله عليه وسلم
عن الغسل بضم فسكون عن ان يغتسل من جنابته لخوفه ان ينظر عن حضوره معه صلي الله عليه
وسلم فيفوته ذلك الوقت وفي رواية قالت كان جنبا فغسلت احدي شقي راسه فلما سمع
صوتا خرج فقتل وكان ابتني بزوجته في تلك الليلة وهي جميلة بنت ابي بن سلول المنافق
قال ابو سعيد ابن مالك بن سنان الخدري وقد تقدم ذكره مرارا ووجدنا راسه اي راس
حنظلة لما قتل تقطر ما من اثر تغسيل الملايكة وهذا من ظهور ما في عالم الغيب وهذا مما في بعض
النسخ ملحا بالام والشهيد في المعركة لا يغسل لكنه لو كان جنبا هل يلزم تغسيله ام لا اختلف
فيه فقيل يجب لانه بسبب اخر وهو ظاهر الحديث والكلام مفصل في كتب الفقه وقال صلي الله
عليه وسلم في حديث رواه احمد والترمذي وهو مما نحن فيه اذ فيه مع الحكم اخبار ببعض المغيبات
الخلافة في قريش ولو كان هذا لمجرد الحكم لم يكن مما نحن فيه لانه صلي الله عليه وسلم حكم
باستحقاقهم لها وقع ام لم يقع وقد وقع كما اخبر مدة طويلة الي انقضا دولة بني العباس
وفي حديث اخر رواه البخاري لن ينال هذا الامر يعني الخلافة في قريش ما اقاموا
الدين بيان لغاية اي ما حموا شوكة الاسلام واقاموا شعاير الدين الظاهرة فاذا غيروا
غيرهم الله ونزع الملك منهم وقد وقع كما قال صلي الله عليه وسلم وفيه روايات متغايرة تحتاج

لكلام

الكلام طويل طويناه خوف السامة والملل وفي رواية حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة وما ظرفيه
مصدرية اي مدة امامتهم والاجماع منعقد على ان الخلافة مختصة بقريش **وقاد** صلى الله عليه
وسلم في حديث رواه مسلم والبيهقي **يكونا** اي يوجد بعده صلى الله عليه وسلم **في ثقيف**
قبيلة معروفة **كذاب ومبير** اي مهلك بكثر القتل بغير حق من البوار وهو الهلاك قال الله تعالى
وكنتم قوما بورا اي هالكين **فرأوهما** من الرأي اي راي العلما ان المراد في الحديث بهما
الحجاج بن يوسف الثقفي وهذا مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وفي حديث اسما
رضي الله تعالى عنها من طريق مسلم انها قالت الحجاج ان في ثقيف كذابا ومبيرا اما الكذاب فقد
رأيناه واما المبير فلا لخالك اياه وقال النووي رحمه الله تعالى اجمع العلما على ان المبير هو
الحجاج وقال هشام بن حسان انه قتل مائة وعشرين الفا والكذاب هو **المختار** بن ابي عبيد الثقفي
بن مسعود بن عمير بن عمير ففي عبارته لف ونشر مشوش وابوه اسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم
ولم ير فلم يعد في الصحابة والمختار هذا كما يزعم اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام يأتيه
وكان يظهر مرح ابن الزبير ومحمد بن الحنفية واستحوذ على الكوفة واظهر التشيع واجتمع
عليه ناس كثيرون وطلب الاخذ بثار الحسين فقتل كثيرا من قتلته وعظم امره وكان يتكهن ويزعم
انه يوحى اليه وله كراسي يضاهي به تابوت بني اسرائيل فهو ضال مضل واشتد على ذلك مدة
حتى قتله مصعب بن الزبير وامر الحجاج اشهر مما يذكر **وادعى مسيلمة** يغفره الله اي لما اخبر
به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما من ظهور مسيلمة الكذاب واتى الله تعالى بقتله ومسيلمة بصيغة التصغير
فلامه مكسورة والعامة تفتحها وهو خطأ قبيح كما مر وهو رجل من بني حنيفة ابو ثمامة
ادعى النبوة وزعم انه يأتيه الوحي بقرآن فكان له هذيانات سخيفة وتقدم بعض منها
ولما قدم وفد بني حنيفة المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معهم لم يقابله وقال
لوحبال الامر لي بعده اتبعته فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قاله فقال لو سألني هذه
الشظية ما اعطيتها له فرجع معهم وتخرج في بعثه فافتتنوا به وزعم ان النبي صلى الله
عليه وسلم اشركه معه في امره وكتب اليه من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فاني قد
اشركت في الامر معك فان لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكنهم قوم يعتدون فكتب اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من
يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فاخفى الكتاب وكتب كتابا من عنده اظهره لاصحابه زعم انه
صدقه فيما قاله فكذبه من بني حنيفة ثمامة بن اثال رضي الله تعالى عنه ونهى الناس عنه وقال
يخاطبه وكان مؤمنا رضي الله عنه

- مسلمة ارجع ولا تحدث ... فانك في الامر لم تشرك
- كذبت على الله في وحيه ... هواك هوى الاحمق الاتوك
- فاني السماك مصعد ... ومالك في الارض من مبرك

وكان يلقب نفسه يرحمن اليمامة ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع جموعا وسرنا
جهزه ابو بكر رضي الله تعالى عنه جيشا امرهم خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنه فقتل مسيلمة
لعنه الله تعالى قتله وحشي قاتل حمزة رضي الله عنه وسلاحه فيه ناس والعقر اصله يستعمل
في الحيوان كعقر الناقة ونحوها وفيه اشارة الى ان بهيمة من البهايم ماتت جاهلية فلم يذك

ولم يزك ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه الشيخان عن عايشة رضي
الله تعالى عنها ان فاطمة الزهرا بنته صلى الله عليه وسلم ورضي عنها اول اهله لحوقا به
اي اول من يموت بعده صلى الله عليه وسلم من اهل البيت فمات بعد ستة اشهر وقيل ثمانية اشهر
وقيل ماية يوم وهي اصغر بناته صلى الله عليه وسلم واحبهم اليه وهي اول من غطى نفسه
من النسا في الاسلام واول الحديث انه صلى الله عليه وسلم سارها في مرض موته فبكت ثم دعاها
وسارها بشي فضحكت فسيلت عن ذلك بعد موته صلى الله عليه وسلم فقالت سارني اولا بانه
يموت في مرضه هذا فبكيت ثم سارني باني اول اهله يتبعه فضحكت ولما توفيت دفنها علي
كرم الله تعالى وجهه ليلا واختلف في محل دفنها فقيل في قبة ولدها الحسن قرب محرابها
وروى احمد بن حنبل في المناقب انها اغتسلت ولبست ثيابا لها وكفنا وقالت اني مقبوضة
فلا يغسلني ولا يكفني احد فامتثل امرها وفيه كلام للفقها وانه هل يكفي غسلها في الحياة
حتى غسل الميت ام لا الا انه يعارضه ما روي من انها امرت فاطمة بنت عميس ان تغسلها
وقيل انه من خصايصها وفي اللالي للسيوطي عن ام سلمة قالت مرضت فاطمة فقالت
يا امتاه اسكبي غسلا فسكبته فاغتسلت ثم قالت هاتي ثيابي الجدد فناولتها فلبستها فقالت قدمي
الفراش فقدمته فاضجعت مستقبلة ثم قالت اني اليوم مقبوضة فلا يكشفني احد فقبضت مكانها
واتى علي فاخبرته فدفنها يغسلها وقال ابن الجوزي انه موضوع ورد بانه رواه الطبراني
الا انه يعارضه ما روي بخلافه كما مر ولعله من خصوصياتها وانه صلى الله عليه وسلم
اخبرها به وانذر بالردة اي اعلم صلى الله عليه وسلم اصحابه ممن يرتد بعده وما يكون من
قتالهم وقد وقع ذلك في خلافة ابي بكر رضي الله تعالى عنه والانذار اخبار بامر مكروه
مخوف ضد التبشير وهو مما رواه الشيخان ايضا عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما وكان
ذلك بعد ابتدا خلافة الصديق سبعة اشهر وستة ايام فانه بعد انتقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ارتد كثير من الناس الا اهل الحرمين والبحرين فكفى الله امرهم بابي بكر رضي الله
عنهم بعد ان قاسى منه امورا شديدة ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات في حديث
رواه اصحاب الكتب الستة مسندا وفيه ان الخلافة اي خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحق وخلافة النبوة انما تكون لمن تمسك بالسنة من قريش وهي بعده ثلاثون سنة ثم تكون
اي تتحول الخلافة وتصير ملكا عضوضا اي سلطنة بالقهر والتطلب من غير وجود شروطها
فكانت الخلافة الحقيقية كذلك اي لما اخبر به صلى الله عليه وسلم وتمت المدة التي
ذكرها بمدة الحسن بن علي بن ابي طالب كما رواه سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكانت خلافة الصديق رضي الله عنه سنتين واربعة اشهر وخلافة عمر رضي الله تعالى
عنه عشر سنين ونصفا وخلافة عثمان رضي الله عنه اثني عشر سنة الا اياما وخلافة علي
رضي الله تعالى عنه اربع سنين وتسعة اشهر واياما وفي المغرب خلافة ابي بكر سنتان وثلاثة
اشهر وتسع ليال وعمر عشر سنين وستة اشهر وخمس ليال وعثمان اثني عشر سنة الا اثني
عشر ليلة وعلي خمس سنين الا ثلاثة اشهر فتتم المدة بمدة الحسن لما بويع في عشر رمضان
الاخير سنة اربعين من هجرته ثم سلمها لمعاوية في نصف جمادى الاولى سنة احدى واربعين
فمدته كانت سبعة اشهر ونصفا واياما فيها تتم الثلاثون كما ذكره المص والملك بضم الميم
والعضوض بفتح العين صيغة مبالغة وروي ثم يكون ملك عضوض بضم العين جمع عض

بكسرها

بكسرها وهو الشرش الخبيث والملك السلطان والخليفة امير المومنين ويقال خليفة رسول الله صلى
الله عليه وسلم لانه خليفة في القيام بامر المسلمين ولا يقال خليفة الله لغير داود عليه
الصلاة والسلام وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البزار عن ابي عبيدة رضي الله
تعالى عنه والبيهقي عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه ان هذا الامر اراد به دين الاسلام وامر
الشريعة المحمدية بدا بهمزة في اخره اي ابتدا في اول امره او بالف مقصورة بمعنى ظهر وبرز
من كمون العدم الى الخارج والظاهر الاول هنا نبوة ورحمة بالنصب على الحالية او بنزع الخافض
اي بدا بنبوته صلى الله عليه وسلم ورحمته للعالمين بانقاذهم من الضلال والكفر وامور
الجاهلية وهذا في حياته صلى الله عليه وسلم ثم يكون بعده رحمة وخلافة في زمن الخلفا
الراشدين واخر الرحمة اولا لانها نشات من النبوة وقدمها هنا لسبقها على الخلافة
فان رحمته صلى الله عليه وسلم كانت قبلهم واستمرت ثم يكون بعد الخلافة ملكا عضوضا
بفتح العين وضمها كما تقدم في رواية ملك عضوض وهو استعارة تصريحية او مكنية
بتشبيه ظلمهم وتعديهم على الرعية بعض حيوان مفترس بعض من راه ثم يكون
بالتحتية والضمير للامر عتوا وجبرية العتو بضم العين الخروج عن طاعة الله تعالى يقال عتا
يعتو عتوا وعتا والجبرية بفتح الجيم والموحدة وتسكن ايضا من الجبر وهو الاكراه والقهر
قال الراغب الاجبار في الاصل حمل الغير على ان يجبر الامر لكن تعورف في الاكراه المجرد
فقيل اجبرته على كذا وسمي الذين يدعون ان الله يكره العباد على المعاصي في تعارف المتكلمين
مجبرة وفي قول المتقدمين جبرية وجبرية انتهى وقال غيره الجبرية بفتح البا اي قهرا
وتكبرا ولفظ الحديث الذي رواه البيهقي ان الله بدا هذا الامر نبوة ورحمة وكانت خلافة
ورحمة وكانتا ملكا عضوضا وكانتا عتوا وجبرية وفسادا في الامة يستحلون الفروج والخمور
والحرير وينصرون على ذلك ويرزقون ابدا حتى يلقوا الله وهما منصوبان خبر كان وروي
بالرفع فكان تامة وروي جبروتا بمثناة فوقية والعتو بمثناة ايضا وما قيل انه بمثلثة
ومعناه الفساد وقوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين فالحال موكدة وقوله في الحديث
عتوا وجبروتا وفسادا في الامة يلزمه عطف الشي على نفسه وفي الكشاف معناه اشد
الفساد فقيل لهم لا تتمادوا في الفساد في حال فسادكم انتهى وكونه اشد الفساد يحتاج الى
النقل وفي الصحاح ما يخالفه بمطلق الفساد ويلزمه ان يكون النهي التمادي في حال الفساد
انتهى ملخصه فيه بحث وانما تركناه لانه اطال فيه من غير طايل وانا اقول لا يخلو اما في
كلامه من الخبط فان العتو هنا بالمثناة خبط والمثلثة تحريف واعتراضه على العلامة
من قصور نظره فان مثله لا يطلب منه النقل والمراد ان العتو ان كان بمعنى الفساد فالمراد
بقوله مفسدين مستمرين على الفساد لان الاصل التاسيس وقد قرره في سورة البقرة
في امر المومنين بالايمان ومثله كثير ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم
بشان اويس بن عامر المرادي نسبة لمراد قبيلة مشهورة القرني بفتحتين نسبة لقرن بن
ردمان بن ناجية بن مراد وغلط الجوهري في نسبته لقرن المنازل كما غلط في فتح قرن
المنازل كما في القاموس البادي بالغ النووي في حكاية الاتفاق على تخطيه في تحريك
قرن المنازل وحكى المص رحمه الله عن تعليق القابسي ان من قال بالاسكان اراد الجبل ومن
قال بالتحريك اراد البلد وقال الكرماني اويس القرني منسوب الى قبيلة بني قرن ولا منافاة

بينه وبين ما قدمناه وفي طبقات الاولياء للشرجي انه خير التابعين مطلقا بشهادة النبي صلي
الله عليه وسلم له وكاد ادرك دعا النبي صلي الله عليه وسلم ولم يره لاشتغاله ببر امه
وعن عمر رضي الله تعالي عنه انه قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول يا تيكم
اويس ابن عامر مع امداد من اهل اليمن مما مراد من قرن كان به برص فبرا منه الا موضع درهم
منه لانه دعا الله ان يزيله الا لمكة او كر بها نمما ء علي قبر ادركه منكم فاستطاع ان يستغفر
له فليفعل ووصفه صلي الله عليه وسلم بانه اسمر ذو صهوبة بعيد ما بين المنكبين شديد
الادمة ضارب بذقنه الي صدره يرام ببصره الي موضع سجوده يبكي علي نفسه ذو طمرين
لا يوبه به مجهول في اهل الارض معروف في السماء لو اقسم علي الله لابر قسمه تحت منكبه اليسر
لمعة بيضاء الدواء اذا كان يوم القيامة قيل للناس ادخلوا الجنة وقيل لاويس قف
واشفع فيشفعه الله في ربيعة ومضر يا عمر ويا علي اذا انتما لقيتماه فاطلبا منه ان
يستغفر لكما فكبا عشرين سنة يطلبانه فلم يلقياه فلما كانت السنة التي توفي فيها عمر
قام علي ابي قيس فنادي يا اهل اليمن هل فيكم اويس فقام شيخ وقال لا ندري ما
اويس ولكنا ابناء الخلي احمل ذكرا واهون من ان نرفعه اليك وهو في ابلنا يرعاها ففي
عمر رضي الله تعالي عنه كانه لم يرد به ثم قال ايا هو فقال بارك عرقات فركب عمر
وعلي رضي الله تعالي عنهما اليه فاذا هو قايم يصلي فسلما عليه وقالا من الرجل
فقال راعي ابل اجير فقالا لشئنا نسالك عن ذلك ما اسمك فقال عبد الله فقالا لكنا عبيدا
لله ما اسمك الذي سمتك به امك قال فما تريد اذ مني فاخبراه بما قاله رسول الله صلي
الله عليه وسلم لهما وعرفاه بانفسهما فقام وسلم عليهما وقال لهما جزاكما عن امة محمد
خيرا واستغفر لهما كما امرهما رسول الله صلي الله عليه وسلم بذلك فقال له عمر رضي الله تعالي
عنه مكانك يرحمك الله حتي ايتيك بنفقة من عطائي وكسوة من ثيابي فقال له ميعادك لي
ولا تراني بعد اليوم وما اصنع بالنفقة والكسوة ثم اقبل علي العبادة وتوفي بصفين علي ما قيل
عام سبع وثلاثين شهيدا مع اصحاب علي رضي الله تعالي عنهم وقال ابو اسامة عزونا
اويسا في زمن عمر رضي الله تعالي عنه ومعنا اويس فلما رجع مرضي ومات فدفناه
وجعلنا علي القبر علامة فلما رحلنا لم نجد له اثرا والاول اصح لقول ابي هريرة انا احمله
بعمر في السنة التي توفي فيها فكيف يكون غازيا في ايامه وقبل دفن بدمشق والله اعلم انتهي
وهنا هو المراد بشانه الذي اشار اليه الملا وبامر علمت انا اويسا لم يدفن باليمن كما توهمه
بعض الناس وانه افضل التابعين وانه لقي عليا وعمر وادرك زمنه صلي الله عليه وسلم
لما ورد في الحديث الصحيح ان خير التابعين رجل يقال له اويس القرني وقال احمد ابن حنبل
افضل التابعين سعيد بن المسيب قال العراقي لعل احمد لم يقف علي هذا الحديث او لم يصح
عنده وفيه انه ذكر في سنده ولم يضعفه وانما وجهه الله رواه ان من خير التابعين
بل التبعيضية وقال النووي افضليته اويس بشرة زهرة وخشيته لله وافضلية سعيد بكثرة
علمه وحفظه الحديث فلا منافاة بينهما وقيل افضلهم الحسن البصري وقيل حفصة بنت
سيرين ولا شك ان الافضلية علي الاطلاق لاويس وبالعلم النافع لسعيد وفيه نظر وما
يوخر وقت الصلاة عن وقتها لفظ الحديث كيف انت اذا كنت وعليك امرا يوخرون

الصلاة عن اوقاتها قلت فما تامرني قال صل الصلاة لوقتها فان ادركتها فصل فانها
لك نافلة وفي رواية والا كنت قد احرزت صلاتك قال النووي المراد في الحديث
تاخيرها عن وقتها الاختياري لا عن وقتها مطلقا بشهادة امره صلى الله عليه وسلم
باعادتها معهم بعد ادائها منفردا اذ لا اعادة بعد خروج وقت الصلاة ولا جماعة في
الصلاة المقضية والقول بان المراد تاخيرها على جميع وقتها دعوى بلا بينة وتلك بشهود
لم تكن تقبل الرشا والمراد الامر الغة فيشمل الملوك وخصهم لان الامامة كانت وظيفة لهم فكل
سلطان او حاكم بلدة يوم الناس في المكتوبات او يستخلف من يصلي بهم وقد وقع هذا في زمن
بني امية لانهم اول من غير رسم الخلافة ووقع هذا التاخير في زمن الحجاج وانكر عليه ذلك
ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه احمد والطبراني والبزار انه قال
سيكون في امتي وفي بعض النسخ في امته ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة ادخال النسوة فيهم
بطريق التغليب والذي في صحيح مسلم انهم قريب من ثلاثين وورد في حديث اخر انهم سبعة وعشرون
دجالا فيهم اربع نسوة والذي ذكره المص رواية اخرى وتسميتهم امة بناء على ظاهر حالهم او
المراد بالامة امة الدعوة والمراد بالكذب فيهم كذب مخصوص وهو ادعاء النبوة وقد وقع
هذا بعده صلى الله عليه وسلم من الرجال المسيلمة والاسود العنسي بالنون ومن النساء السجاح
التي ظهرت باليمن وقصتها مشهورة وتفسيره بما ذكر ورد مصرحا به في الحديث كحديث في امتي
دجالون كذابون وانا خاتم النبيين لا نبي بعدي ولو استقصى عدتهم ما ذكر والدجال الكذاب
الذي يخلط ويلبس يقال دجل امره اذا خلطه وموهه ولبس فيه حتى يخفى ومنه الدجال
المشهور وجمعه دجالون ودجاجلة وفي حديث اخر رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي
الله تعالى عنه ثلاثون دجالا كذابا عطف بيان على ما قبله اخرهم الدجال الكذاب
الاعور الذي يظهر في اخر الزمان ويقتله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فالتعريف فيه
للعهد وتقدم انه من الدجل وهو الكذب والتمويه وفي تذكرة القرطبي فيه اقوال اخر احدها
انه ابن صياد يدعي الالوهية ويظهر امورا خارقة للعادة ولا يدخل مكة والمدينة والقدس
معه جنة ونار وجبال من خنزير كلهم يكذب على الله ورسوله كذبه على الله قوله انه اوحي
اليه وعلى رسوله قوله انه بشرني واخبر بنبوتي كقول مسيلمة انه اشركني في امره ويحتمل ان
يكون الرسول من رسل الملائكة كقولهم ان جبريل ترك علي واوحى الي كذا وقال صلى
الله عليه وسلم في حديث رواه البزار والطبراني بسند صحيح من حديث طويل فيه يوشك
بضم اوله مضارع اوشك بمعنى قرب ودنا واسرع يقال وشك واوشك ان يكثر فيكم
العجم هو خلاف العرب مطلقا لان السنتهم عجم اي غير ظاهرة لهم وقد يخص باهل
فارس والاول اقرب هنا والمراد انه يكثر فيهم حكمهم وامارتهم عليهم كما في كثير من الدول
كالامومة والاكراد والاتراك الذين كانت فيهم السلطنة والدولة ولذا قال ياكلون
افياءكم جمع في وهو الغنيمة من الكفار بغير قتال ويطلق على مطلق الغنيمة والاكل فيه مجاز
من الاستيلاء عليه واخذه قهرا ومنع المستحقين منه بغير وجه واضافة الافياء اليهم باعتبار
حقهم ويحتمل ان يراد بافيائهم مالهم الذي بايديهم سماه فيئا لانه مما افاء الله لهم بغير مشقة
عليهم ويضربون رقابكم اي يقتلونهم بغير حق فالخطاب خطاب مشافهة لجنس المؤمنين
من العرب فيشمل جميع من بعد العصر عصر النبوة كما في غيره من خطابات الشارع وانما

جعله قريبا منهم لان كل آت قريب والدنيا ساعة وقد فسره الشارح الجديد بما لا وجه له
فتركه خير من ذكره وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان لا تقوم الساعة
حتى يسوق الناس بعصاه اي يملك الناس ويسخرهم كما يريد من غير مانع ولا كد وتعب
وفيه استعارة تمثيلية لتشبيهه براع لغنم يسوقها بعصاه يهش بها عليها وفيه اشارة
الى ضعف الناس وجهلهم فكانهم غنم سائمة همها ان ترعى والعصا فيه كما في قولهم فلان تحت
عصا فلان اي منقاد لامره وحكمه وهم عبيد العصا رجل من قحطان اي من عرب اليمن وقحطان
ابو اليمن وهذا الرجل يسمى الجهجاه كما ورد في الحديث وقحطان اسمه يقظ او يقظان وكان
تجبر ومنع ارزاق الناس فسمي قحطان لقحط الرزق بسببه وقال صلى الله عليه وسلم
في حديث رواه الشيخان ايضا خيركم المراد امته ولفظ الصحيحين خير امتي
وهو المراد قرني اي عصري وزماني الذي انا فيه والمراد اهله لقوله ثم الذين يلونهم وهو تبع
اي يلقون بعدهم بلا فصل وهم الصحابة والتابعون لهم باحسان ثم الذين يلونهم وهم تبع التابعين
والقرن اهل زمان اجتمعوا واقترنوا فيه في اعمارهم وجميع احوالهم وفي تفصيله كلام تقدم
والخيرية ان كانت بالنسبة لما بعده وهو الظاهر فلا كلام فيه وان كان على اطلاقه لا يلزم منه
تفضيل اصحابه على الانبياء عليهم الصلاة والسلام لان المراد تفضيل الجملة والمجموع على المجموع
لا تفضيل كل فرد وثم لبيان التراخي في الرتب كالافضل والافضل ولا شبهة في فضل العصر وجملة
اهله من غير تفصيل فلا ينافيه حديث امتي كالمطر لا يدري الخير في اوله ام في اخره فان
هذا من واد وذاك من واد اخر وهذا اشارة الى انه قد يجيء في الامة من ينفع الناس نفعا
عظيما لم يتيسر لغيره ممن سبقه وهذا بالنظر لافراد مخصوصة وذاك بالنظر لمجموع العصر
وشتان ما بينهما ولذا عبر بالقران فلا يتوهم واهم نظر لعمر ابن عبد العزيز وما صدر منه
ولعثمان وما كان في عهده تفضيل لعصره فيضل ويضل ثم ياتي بعد ذلك قوم وروي ثم ان
بعدكم قوما يشهدون لا يستشهدون اي يؤدون الشهادة قبل ان تطلب منهم ومثله لا يقبل
وهذا لا ينافي ما ورد في الحديث ان خير الشهود من ياتي بالشهادة قبل ان يسالها فان هذا
حمل على من كان عنده علم بامر وشهادة فيه وصاحبها لا يدري انها عنده فيخبره بما عنده
ليستشهده عند حاجته ولكل مقام مقال ويخونون ولا يؤتمنون هو عطف مؤكد لما قبله لان
الخائن لا يؤتمن او المراد ظهور خيانتهم حتى لا يامنهم احد بعد ذلك بخلاف من خان مرة فانه قد
يؤتمن او المراد انهم يخونون فيما لم يؤتمنوا عليه كمن سرق او غصب ونحوه وينذرون بضم
الذال المعجمة وكسرها ولا يوفون بما نذروه من غير عذر ومانع لهم ويقال وفى ووافى بمعنى
ويظهر فيهم السمن اي عظم البدن بكثرة لحمه وهذا علامة على كثرة اكلهم وشربهم وترفههم
وعدم خوفهم من الله وعدم تفكرهم في عواقب الامور وروي ياتي في اخر الزمان قوم
يسمنون وفي التوراة ان الله يبغض الحبر السمين وفي الغالب ان من سمن وكثرت رطوبة
بدنه كان بليدا مغفلا غير مكترث بدينه ودنياه فجعل هذا كناية عما ذكر لانه من لوازمه غالبا
فلا ينافيه ما يشاهد من كون بعض العلماء والصلحاء سمين الجثة خلقة انشاه الله عليها لقوة نطفة
ابويه وقيل المذموم منه ما يكتسب دون الخلقي لانه ورد في الحديث ويل للمقسمات
يوم القيامة اي اللواتي يستعملن وهي دواء يتسمن به وروي تخلف قوم يحبون السمانة بفتح السين
المهملة وهي السمن وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري عن انس رضي الله تعالى

عنه

عنه لا يأتي زمان الا والذي بعده شر منه المستثنى جملة حالية يجوز في مثلها الواو وتركها
والحديث هكذا قال الزبير بن عدي اتينا انسا رضي الله عنه فشكونا له الحجاج فقال اصبروا فانه
لا يأتي زمان الا والذي بعده شر منه حتى تلقون ربكم سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم وروي
اشر على الاصل كاخير والمستعمل منهما خير وشر وسمعا على الاصل نادرا وفي معنى هذا الحديث
ما اشتهر من انه صلى الله عليه وسلم قال كل عام تزدلون الا انهم قالوا انه لم يرد بهذا اللفظ وان كان
معناه ثابت في احاديث كثيرة فهو رواية بالمعنى وقال الحسن البصري لما ذكر يحيى بن عبد العزيز
بعد الحجاج لا بد للناس من تنفس يعني ان الله ينفس عن عباده ويكشف عنهم البلا احيانا وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان هلاك امتي على يدي اغيلمة من قريش اغيلمة
تصغير اغلمة وهو جمع قلة يجوز فيه التصغير على لفظه وهو في حكم المفرد وفي القاموس
جمع غلام غلمة واغلمة وغلمان والغلام الشاب قد طر شاربه وهو المراد فما في النهاية من انه
تصغير غلمة على القياس ولم يرد في جمعه اغلمة ومثله اصبية تصغير صبية كلام لا وجه له فان
رد جمع القلة لجمع قلة اخر في التصغير مما لا يعقل ولا يسمع ولو لم يرد غير هذا دلنا على انه سمع
فيه اغلمة فلا حاجة للتعسف في تاويله والمراد بهلاكهم ضياع امورهم وهلاك بعضهم قال ابو
هريرة راويه اي راوي هذا الحديث ولو شئت سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان اي لو اردت
ان اسميهم لكم سميتهم كيزيد فانه اباح المدينة ثلاثة ايام وقتل من خيار اهلها ناسا فيهم ثلاثة
من الصحابة وازيلت بكارة الف عذرا وكبني مروان بن الحكم وغيرهم من بني امية ولم
يسمهم خوف الفتنة واخبر صلى الله عليه وسلم عن بعض المغيبات في حديث رواه الترمذي
وابو داود والحاكم بظهور القدرية في قوله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه
الامة وهم لما قالوا بان الامور كلها ليست بقضاء الله وقدره وان الانسان خالق لافعاله
وانها بقدرته سموا قدرية لاثباتهم للعبد قدرة لا لانكار قدرة الله على افعاله وشبههم
بالمجوس لانهم اثبتوا خالقين خالق الخير وهو النور الذي سموه مزدان وخالق البشر
الظلمة سموها اهرمن وهولاء لما نسبوا افعال العباد لهم قالوا بتعدد الخالق على ما تقرر في
الاصول واما معنى القضا والقدر فعند السلف القضا ارادة الله الازلية المتعلقة بجميع
الاشيا خيرها وشرها والقدر ايجاده اياها على ما قضاه اولا وعند الفلاسفة القضاء
علمه بما عليه الوجود حتى يكون على احسن نظام ويسمونه العناية والقدر خروجها
على وفقه وهولا القدرية هم المعتزلة واما القدرية الذين انكروا القدر وان الامر انفاي
مستانف لا يعلمه الا بعد وجوده فليس المراد بالحديث لانهم انقرضوا ولم يبق منهم احد
والرافضة الذين اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهورهم كما ورد في حديث
رواه البيهقي من طرق الا انها كلها ضعيفة فقال يكون في امتي قوم في اخر الزمان يسمون
الرافضة يرفضون الاسلام ودوي ويلفظون فاقتلوهم فانهم مشركون انتهى وفيه بيان
لوجه التسمية فان الرفض معناه لغة الترك وقيل قوم تركوا حب الشيخين من الشيعة وهم
اثنان وعشرون فرقة وقد وقع ما اخبر به الصادق الامين لما ظهر الفاطميون ومن العجم
الان منهم وسبب اخر هذه الامة اولها اي اخبر صلى الله عليه وسلم بان من تاخر من امته
سيظهر سب اولها وهذا من المغيبات ورد في حديث رواه البغوي عن عائشة مرفوعا
فقال لا تذهب هذه الامة حتى يلعن اخرها اولها وقد وقع هذا كثيرا من الرافضة فاظهروا

سب الشيخين وسب عائشة ومعاوية وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم ووقع من
بني امية سب علي كرم الله وجهه على المنابر وادخل بعضهم في هذا من سب بعض الاوليا وعلما
السلف وذكرهم بالسوا وافترى عليهم ما لم يقولوه كما شاهدناه من بعض السفها يسبون العارف
بالله تعالى سيدي محيي الدين بن عربي وسيدي عمر بن الفارض ونحوهما من اوليا الله تعالى
حتى صنف بعضهم تصانيف في الرد عليهم ومقامهم اعلى من ذلك والاشتغال بمثل هذا تضييع
للزمان وتسويد لوجوه الاوراق ويخشى على المتصدي لذلك من سوء الخاتمة نفعنا الله تعالى
ببركاتهم وحشرنا في زمرتهم واخبر صلى الله عليه وسلم بقلة الانصار بعد عصر النبوة وهم الاوس
والخزرج وسموا انصارا لانهم نصروا الرسول صلى الله عليه وسلم واووه وهو جا جمع ناصر
او نصير غلب على هذه القبيلة ولذا نسب اليهم انصاري ولم يرد لواحد وهذا اشارة لما رواه
الشيخان عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مرضه الذي مات فيه فجلس على المنبر وحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال اما بعد فان الناس
يكثرون وتقل الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فمن ولي منكم شيا يضر قوما فيه وينفع
فيه اخرين فليقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم اي ان اهل الاسلام لا يزالون يدخلون في
افواجا افواجا وهولا يقلون ويفنى نسلهم فان خيار الاكثر قليل في كل جيل ولم تزل قلتهم الى
ان صاروا بالنسبة لغيرهم كالملح في الطعام ووجه التشبيه انهم مع قلتهم فيهم صلاح واصلاح وانهم
يذوبون بينهم كالملح فانه يذوب فيما وضع فيه وقد كان كما قال فان الان في المدينة لم يبق منهم
الا اقل من القليل كما اشار اليه بقوله فلم يزل امرهم يتبدد المراد بامرهم ما به بقاوهم وانتظام حالهم
من املاكهم واموالهم ويتبدد بمعنى يتفرق ويتشتت حتى يفنى ويضمحل ويقلون حتى لم يبق لهم
جماعة اي لم يبق من نسلهم قوم يجتمعون بالمدينة كما كانوا عليه اولا وهكذا السادات العظام اذا مات
واحد منهم لم يقم بعده من يخلفه واشار لسبب ذلك بقوله انهم سيلقون بعده اي يلقى الانصار
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اثرة بفتح الهمزة والمثلثة والرا المهملة قيل ويجوز
كسر الهمزة وسكون المثلثة وهما بمعنى يعني وهو الاستبداد وقيل الثاني شدة الاستبداد اي
يلقون بعده صلى الله عليه وسلم من يوثر عليهم غيرهم ويقدمه عليهم في العطا من الديوان
ويقل نصيبهم من الفي فيضيق معيشتهم وفي نفسهم شرف رحمته فيتشتتوا ويتبدد امرهم
قال ابن سيد الناس كان ابتدا هذا في زمن معاوية رضي الله عنه ويجوز في اثرة ان يكون
جمع اثر ككاتب وكتبة اي اثر لنفسه وقومه عليهم وبعده فاصبروا حتى تلقوني على الحوض والحديث
طويل في الصحيحين وهذا كله من الاخبار عن المغيبات ومنه اخباره صلى الله عليه وسلم بشان
الخوارج الذين خرجوا على امير المومنين علي كرم الله وجهه بالنهروان وهم نحو اربعة
الاف فقاتلهم حتى قتلهم واستشهد بحربهم بعض اصحابه وقيل كانوا اكثر من ذلك بكثير
وحديثهم رواه الشيخان وصفتهم بالجر عطفا على شاذ وهم فرق من اهل الضلال كالمحكمة
الذين انكروا تحكيم الحكمين والازارقة المنسوبين الى نافع ابن الازرق وغيرهم مما لا حاجة
لتفصيل احوالهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهم انهم اهل صلاة وصيام يحقر احدكم
احدكم صلاته في جنب صلاتهم وصيامه في جنب صيامهم الا انهم فرقوا من الدين كما يمرق السهم
من الرمية وقد كفروا مرتكب الكبيرة واكثر الصحابة ومواطنهم الجزيرة وعمان والموصل
وحضرموت وبعض نواحي المغرب واخبر بالمخدج الذي فيهم وروي المخدوج وهو

الناقص

الناقص خلقه ومنه الخداج وهو اشارة لما في حديث الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم
قسم في بعض الايام قسمة فقال له رجل من تميم وهو ذو الخويصرة اعدل يا رسول الله فقال
ويحك ومن يعدل اذا لم اعدل خبت وخسرت فقال عمر رضي الله تعالى عنه ايذن لي اضرب
عنقه فقال له دعه ان له اصحابا يحقر احدكم صلاته الخ رايتهم رجل اسود احدى عضديه مثل
ثدي المراة او مثل البضعة تدردر ولما كانت وقعتهم وقتال علي لهم خطب الناس وذكر
الحديث وقال اطلبوا ذا الثدية فطلبوه فوجدوه تحت القتلى فجاوا به فقال شقوا قميصه
فشقوه فلما راى احدى ثدييه مثل ثدي المراة عليه شعرات سجد شكرا لله تعالى اذ صدق
نبيه صلى الله عليه وسلم وعلم انه على الحق وهم على الباطل **وان سيماهم** بكسر السين
وهي العلامة **التحليق** اي يحلقون شعور روسهم ولم يكن في الصدر الاول حلق الروس الا في
النسك وهذه الاحاديث ظاهرة في تكفيرهم كما قاله الخطابي وفيه اختلاف وقيل المراد جلوسهم
حلقا حلقا وليس بشي وقيل المراد به العلو والارتفاع من قولهم حلق الطاير اذا طار وعلا وبما
ذكرناه على ان حلق جميع الراس ليس بممنوع وليس فيما ذكر دليل على حرمته ولا كراهته
على انه استدل لجوازه بحديث صحيح على شرط الشيخين انه صلى الله عليه وسلم راى صبيا
حلق بعض راسه فقال احلقوه كله او اتركوه كله قال النووي رحمه تعالى في شرح مسلم
وهو صريح في اباحته وقال قال الفقها انه جايز على حال فان شق عليه تعهده بالشريح
والدهن استحب حلقه وان لم يشق استحب تركه **ويرى رعا الشا** يرى بالتحتية مبني للمجهول
ورعا بكسر الرا المهملة والمد جمع راع كرعاد ورعيان واشا بالمد جمع شاة وهي معروفة
روس الناس وروس جمع راس وهو مجاز مشهور يعني الرئيس وروي ترى بالتا
الفوقية والخطاب لغير معين نحو ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا روسهم ويجوز رفعه
ونصبه **والعراة الحفاة** العراة جمع عار من اللباس والحفاة جمع حاف وهو من ليس في رجله
نعل وهذا الحديث في الصحيحين بمعناه وبعض الفاظه فالمصنف رواه من طريق اخرى
رواه بالمعنى **يتبارون في البنيان** اي يناظر بعضهم بعضا في بنايه فيريد كل منهم ان يزيد
على غيره يقال باراه اذا عارضه فتبارى وانبرى وهذا وما قبله كناية عن توسع من لا قدرة
له في الدنيا عليها وعلوها على غيره حتى يصير رئيسا بعد فقره وذله وكثرة مفاخرة
بعضهم لبعض في البنا العالي كالقصور المشيدة والمساجد المزخرفة وفي مسلم ان ترى الحفاة
العراة رعا الشا الصم البكم ملوك الارض وروي يتطاولون في البنا يعني ان من اشراط الساعة
ان اهل البادية ونحوهم ممن لا لباس ولا نعل يتوطنون البلاد وينون القصور ويراسون
وجهلة الناس واراذلهم يصير حاكما واليا عظيم الشان ولقد ظهر ما اخبر به رسول الله صلى
الله عليه وسلم من هذه المغيبات وهو الان عيان راي العين وكني بكونهم رعا الى انهم مجهولون
الانساب جهلة وانهم مشغولون عن عبادة الله وروي يتمارون بالميم بمعنى يتنازعون
والمعنى واحد **وان تلد الامة** اي الجارية المملوكة التي اتخذت سرية **ربتها** بتا التانيث ورب
ورب بمعنى سيد وسيده والرب لغة له معان السيد والمالك والمربي والمدبر والقيم والمنعم
ويطلق على الله وعلى غيره مضافا وغير مضاف نكرة ومعروفة بحسب القراين والمقامات
والمراد هنا الساعة السيد ذكرا كان او انثى وانثه باعتبار النسمة وهو من حديث صحيح
مشهور رواه الشيخان وغيرهما وهو من المغيبات واشراط الساعة التي اخبر بها صلى

الله عليه وسلم اصحابه وفي معناه اختلاف كثير فقيل معناه ان الاما تلدن الملوك فتكون امة من جملة
رعيته وقيل هو عبارة عن فساد احوال الناس في اخر الزمان وكثرة بيع امهات الاولاد
حتى يشتري الرجل امه وهو لا يدري انه ابنها فلا يختص بام الولد والامة قد تلد حرا من غير
سيدها لوطيها بشبهة قوية او رقيقا بنكاح او زنا ويعتق ويتداول الايدي امه حتى يشتريها
ابنها وقيل معناه كثرة العقوق حتى يستظل الولد على امه استظالة السيد والذي عد
من الاشراط على الاول كثرة التسري فلا ينافي تسري النبي صلى الله عليه وسلم بمارية
وغيره وفي الشروح كلام مبسوط في هذا الحديث وفيه من دلايل النبوة الاعلام بكثرة التسري
والسبي بعد ظهور الاسلام واستيلا المومنين على الكفرة وتملك ديارهم والانذار بان غايته
الانحطاط لا يذانه بقيام الساعة وكل شي بلغ الحد انتهى ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من
المغيبات ما رواه الشيخان وهو ان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا الاحزاب جمع حزب
وهو الطايفة الكثيرة المجتمعة للتعصب والقتال وتعريفه هنا للعهد اذ المراد احزاب مخصوصون
في الغزوة المشهورة وانه هو الذي يغزوهم بعد اخباره بذلك في الاحزاب وهي غزوة
الخندق وبعد احد والخندق لم تغزه قريش وهو صلى الله عليه وسلم غزاهم حين فتح مكة
واتى بالجملة موكدة بالاسمية وان ضمير الفصل لتحقيق وقوعه ونصره ولذا قال صلى الله
عليه وسلم يوم فتحها لا تغزى قريش بعد هذا الى يوم القيامة اي لا تعود مكة دار كفر
ولا تغزوها الكفار فلا ينافي ما وقع لبعض المسلمين كالحجاج وكذا حديث ذي السويقتين
قال الواقدي انه صلى الله عليه وسلم قال هذا السبع بقين من ذي القعدة ومما رواه
الشيخان ايضا انه صلى الله عليه وسلم اخبر بالموتان بضم الميم بزنة بطلان وبفتحها
وسكون الواو وهو مصدر بمعنى الموت الكثير وفتح الميم والواو ولا يصح هنا لانه اسم
يقابل الحيوان وفي القاموس الموتان بالتحريك خلاف الحيوان او ارض لم يحيى بعد وبالضم
موت يقع في الماشية ويفتح انتهى يعني ان فعلان بفتحتين في المصادر يختص بما دل على
الحركة كالجولان والدوران وهو من محاسن اللغة العربية اذ جعل اللفظ على وفق معناه
فلذا امتنع تحريكه هنا الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وكان ذلك في خلافة عمر رضي الله
تعالى عنه بعمواس بفتحتين وهي قرية من قرى بيت المقدس نزل بها عسكره وهو اول طاعون
وقع في الاسلام مات فيه سبعون الفا في ثلاثة ايام وكان ذلك سنة ست عشرة من الهجرة
وعمواس هذه هي القرية التي بين الرملة وبيت المقدس مات فيها ابو عبيدة بن الجراح والحديث
اوله عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو
في قبة من ادم فقال اعدد ستا بين يدي الساعة موتي ثم فتح بيت المقدس ثم موتان ياخذ فيكم كقعاص
الغنم بقاف وعين وصاد مهملتين ذا تموت به الغنم من وقتها ثم استفاضة المال وعدها الى اخرها
وفتنة وهدنة بينكم وبين الاصفر والموتان ان خص بالماشية كما مر فهو هنا مجاز مرسل
لمطلق الموت او استعارة ولا ينافيه التصريح باداة التشبيه في ذلك المجاز بعينه وقد اشار لما
قلناه الشريف في حواشي الكشاف في قوله كان اذني قلبه خطلان وهو من الفوايد النفيسة
وما وعد من سكنى البصرة بتثليث اليا ومعناها ارض غليظة او ذات حجارة والفتح اشهر
وافصح وهي بلدة اسلامية ويقال لها بصيرة بالتصغير ايضا بناها عتبة ابن غزوان في
خلافة عمر سنة سبع عشرة وسكن سنة ثمان ومن شرفها انه لم يعبد بها صنم وينسب اليها

بصري

بحري بكسر وفتح وجيجون الخم وهذا الحديث رواه ابو داود عن انس انه قال له صلى الله عليه وسلم
يا انس ان الناس يمصرون امصارا واذا مصرا منها يقال له البصرة فان انت مررت بها او دخلتها
فاياك وسباخها وكلاءها وسوقها وباب امرائها وعليك بضواحيها فانه يكون بها خسف وقذف
ورجف ومسخ وضواحيها نواحيها ومنه قزيشه الضواحي للثنائيه يبطحها بها وظواهرها وكلاءها
بتشديد اللام موسي سفنها وفي هذا من اعلام النبوة والاخبار بالغيب ما لا يخفى ويجوز كسرها
عباد ها ولهم بلدة بالمغرب تسمي البصرة ايضا والمراد الاولي وسكني مصر كعقبي بمعني الاقامة
بها وتوطنها وما اختاره صلى الله عليه وسلم عن الغيب ايضا في حديث رواه الشيخان
انهم اي امته عليه الصلاة والسلام يغزون ما في البحر بعده صلى الله عليه وسلم فانه لم يكن
ذلك في حياته والمراد بالبحر الملح لانه اذا اطلق ينصرف اليه ولم يعهد في غيره الا نادرا
كالملوك علي الاسرة وهو تشبيه بليغ والاسرة جمع سرير وهو مقعد يعد للمملوك مرتفع
يجلسون عليه ترفعا وتعظما وموخر الراكب العدة للغزو والذي يقعد عليه رئيسهم يعمل علي
هيئة سرير الملك بعينه كما يعرفه من شاهده فهو من الاعلام الغيبية لانه لم يكن ذلك
بديار العرب ولم يره احد منهم فتوصيفه صلى الله عليه وسلم له لمن عرفه وجلس عليه ملحان
فيه المعقول والحديث عن انس رضي الله تعالي عنه عن خالته ام حرام بنت ملحان وكانا رسول
الله صلى الله عليه وسلم نام عندها يوما لانه محرم لها ثم استيقظ رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يتبسم فقالت له ما اضحكك يا رسول الله قال اناس من امتي عرضوا علي يركبون
البحر الاخضر كالملوك علي الاسرة قالت ادع الله ان يجعلني منهم فدعا لها ثم نام فراي ذلك فقال
لها ما قال اولا ودعا لها وقال انت من الاولين فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت مع المسلمين
الغزاة في البحر مع معاوية رضي الله عنه فلما انصرفوا قربت لها دابة تركبها فوقصت وماتت
شهيدة ثمة واختلفوا في دفنه فقيل في زمن معاوية كما علم وقيل في زمن
عثمان رضي الله تعالي عنه وجمع بينهما بانه في زمن عثمان امر معاوية بغزو البحر بامر عثمان رضي
الله عنه ثم ولي الخلافة غزاه بنفسه وفي الحديث معجزة اخباره صلى الله عليه وسلم
عما عز الله في البحر وغلبتهم وظهور شوكة الملوك فيهم وانام حرام من اولهم وفيه
دليل علي جواز ركوب البحر للرجال والنساء خلافا لمالك في كراهته للنساء في رواية عنه
وانا الغزو فيه مشروع مطلوب وورد في الحديث الغازي والحاج يجيء يوم القيامة
بشد رحلات لما فيهما من المشاق وهذه الفراة او غزاة فيه وهي فتح فبرس وكان عمر
رضي الله عنه لم يأذن في ذلك اولا ثم لما ذكر له هذا الحديث امر به وجهز الاسطول
كما هو مفصل في محله وليس المراد بالبحر في الحديث بحر الشام وغيره المعهد بالاطلاق
كما لا يخفي وام حرام رضي الله عنها مدفونة بقبرس وقبرها معروف بها يزار وفي نسخ
سبح البحر بسين مهملة وموحدة وحيم وهو وسطه ومعظمه واحنبصلي الله عليه وسلم ان
الدين لوكا بالثريا لناله اي وصل اليه رجال من ابناء فارس اي
ناس منهم ومناط الثريا كناية عن غاية البعد وهي كواكب مجتمعة اختلف في عددها كما مر وهي
المنازل المشهورة وهي مشهورة بالعلو في السما ويضرب بها المثل ولعظمها مصغر من الثروة
كما تقدم والدين بمعني الايمان او الشرع وما يتعلق به وهو كناية عن ان هولا يصلون اليه
لها لم يصل اليه غيرهم قط وهذا من حديث رواه الشيخان وهو من اعلام النبوة ايضا لما

ظهر فيهم من الاوليا والعلما وما ظهر منهم من التصانيف التي لا تعد ولم يات الدهر بمثلها وما كان فيهم
من خدمة كتاب الله وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم فلا تجد فنا الا وقد حاز واقصب السبق
فيه وانظر الى البخاري هل له مثيل وليست هذه شفوتية كما يتوهمه من يتعصب تعصب الجاهلية
وانما هو تحقيق لما اخبر به سيد البرية صلى الله عليه وسلم وفارس جبل معروف ويقال لهم
الفرس ايضا وهم من اولاد سام بن نوح على الاشهر وفارس جبل معروف ويقال لهم الفرس
ايضا وهم من اولاد سام بن نوح على الاشهر وفارس جبل اسم جدهم سموا به ويطلق على بلادهم
ايضا والحديث مروي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كنا جلوسا عنده صلى الله عليه وسلم فانزل
عليه سورة الجمعة وقوله فيها واخرين منهم لما يلحقوا بهم من هم يا رسول الله وفينا سلمان
الفارسي رضي الله تعالى عنه فوضع صلى الله عليه وسلم يده عليه ثم قال لو كان الايمان عند الثريا
لناله رجال او رجل من هولا وفي رواية لو كان العلم وروي ايضا ان ذلك كان عند نزول قوله
تعالى وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ولا مانع من تعدد سبب النزول كما حققه المفسرون والاشارة
بهولا مع ان المشار اليه واحد وهو سلمان لان المراد به الجنس او هو بتقدير من جنس هولا ومن ذلك
ما رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه انه هاجت اي هبت ريح بشدة والنبي صلى الله عليه
وسلم في غزاته اي في غزوة من غزواته وهي غزوة تبوك وهو محل من ارض الشام كما قيل وفيه
نظر فقال انها لموت منافق اي رجل من المنافقين وهو رفاعة بن زيد التابوت احد بني قينقاع
وكان من عظما اليهود كهف المنافقين فلذا سماه منافقا قال ابن الجوزي انه عم قتادة بن
النعمان وذكر عنه قتادة رضي الله تعالى عنه انه راى منه ما يدل على صحة اسلامه وقال الذهبي
في التجريد ان له صحبة فتسميته منافقا على حقيقته وظاهره وروي انها لموت عظيم من عظما
الكفار وهو ايضا محمول على ظاهره او باعتبار ما في قلبه من الكفر المضر وصح البرهان ان
هذه الغزوة غزوة بني المصطلق وكان ذلك في رجوعه منها سنة ست او اربع او خمس قبل
الخندق على اختلاف فيها وهذه علامة لما ذكر لانها تدل على غضب الله كما في ريح عاد
التي اهلكتهم كما تهلك ريح السموم من هبت عليه لا انه استدل بها كما يستدل بالنجوم وحوادث
الجو عند الحكما والمنجمين ولا حاجة الى ان يقال انها علامة لما صنعه الله وقدره واطلع من
اراد عليه والممنوع انما هو اسناده لها وجعلها موثرة فيه فلما رجعوا اي النبي صلى الله
عليه وسلم ومن معه من تلك الغزالة وجدوا ذلك اي ما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من
المغيبات بموت ذلك المنافق المذكور فهلك في وقت اخباره صلى الله عليه وسلم وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الطبراني عن رافع بن خديج رضي الله تعالى عنه
بسند صحيح لقوم من جلسايه من الصحابة رضي الله تعالى عنهم وهو جمع جليس بمعنى مجالس
مثل كريم وكرما ففرس احدكم اي واحد منكم ايها الحاضرون في النار اي اذا كان في جهنم
مثل احد اي كالجبل المذكور عظما وهو عبارة عن ان احدهم يموت كافرا لما في حديث اخر
ضرس الكافر مثل احد وجسم المعذب زاد زاد عذابه فكان اشد عليه وكونه عبارة عن ثبات
عذابهم وقوة صبرهم عليه كما قيل في غاية البعد قال ابو هريرة رضي الله تعالى عنه
الذي كان الخطاب له فذهب القوم الذين كانوا جلساه اي ماتوا كلهم كما اشار اليه
بقوله يعني ابو هريرة بقوله ذهب القوم ماتوا فان الذهاب حقيقة الانصراف
عن مكان وقد يخص بالموت كقول قيس

في الذاهبين

في الذاهبين الهالكين لنا بصائر

وبقيت انا ورجل منهم ولم يعينه لكراهته والستر على من كان صحابيا بحسب الظاهر وا
الرحال بن عنفوه والرحال براء مهملة وحا مهملتين ولام وقيل انه بالجيم وهو الاصح رواية
وهو من اهل اليمامة فقتل مرتدا حال من ضمير قتل النايب عن الفاعل والضمير لرجل يوم القيامة
اي في حرب كان باليمامة وهو اسم ارض معروفة شرقي الحجاز ومدينتها العظمى الحجر ويسمى حجر
اليمامة ايضا وقتله زيد بن الخطاب في حرب مسيلمة لعنه الله وكان معه وقدم مع وفد بني
حنيفة على النبي صلى الله عليه وسلم واسلم وتعلم القران فلما ادعى مسيلمة الشرك مع النبي
صلى الله عليه وسلم في الوحي ارتد وشهد له بذلك واعلم الصحابة رضي الله تعالى عنهم معيب عنهم
وهو ماض مبني للفاعل بون اكرم وفاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الحديث رواه ابو
داود والنسائي عن زيد بن خالد الجهني بالذي غل بغين معجمة ولام مشددة من الغلول وهي
السرقة خفية كان الايدي غلت عنها او من الغلل وهو الماء الجاري تحت النبات وكثرة استعماله
في السرقة من الغنايم خرزا بخا معجمة وراء مهملة وزاي معجمة واحدة خرزة وهي حجارة تنظم
ويزين بها وكل جوهر من خرز يهود ممنوع من الصرف لانه علم لهذه الطايفة سموا باسم
جدهم يهود بن يعقوب اخو يوسف والمراد اذ يهود خيبر لانه توفي بها فذكر ذلك له صلى
الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان صاحبكم قد غل
في سبيل الله ففتشنا متاعه وما معه فوجدت تلك الخرز التي غلها في رحل اي في منزله وما
معه بعد موته وهي لا تساوي درهمين واصل الرحل ما يوضع على البعير ويجوز به هنا عن
محله النازل فيه بما معه وهذا الرجل لا يعرف اسمه و اعلم ايضا بما هو من الغيب بالذي غل
اي سرق كما مر الشملة وهي المراة من الشمول وكساء صغير يشمل به الانسان وهذا بعض حديث
رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال اهدى رجل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم غلاما اسمه مدعم فبينما هو يحط رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه سهم عاير
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله هنيا له الجنة فقال صلى الله عليه وسلم كلا والذي
نفسي بيده ان الشملة التي اخذها يوم خيبر من الغنايم قبل القسمة لتشتعل عليه نارا ففيه اخبار
عن الغيب باعتبار اخباره بسرقته وبكونه معذبا وعاير يعني وراء مهملتين اصابه من غير قصد
من عار الفرس اذا انفلت وقيل انه اشارة لحديث المصابيح وهو ان رجلا فقل عليه صلى
الله عليه وسلم يقال له كركرة بفتحتين او كسرتين فمات فقال صلى الله عليه وسلم هو في
النار فذهبوا ينظرون فوجدوا عنده عباة قد غلها واقتصر السيوطي رحمه الله تعالى على
الاول وانه على الذي عناه المص وهو الظاهر والنووي في المبهمات على الثاني والبرهان
تبعه والذي اوجب عدول الجلال عنه لفظ الشملة وفيه تعظيم الغلول في الغنايم لتعلق
حق المسلمين كلهم به واذا عرف يرد للامام او يتصدق به وقيل انه يحرق وقيل انه مبني على
التعزير باخذ المال وهو منسوخ واذا كان هذا من الكباير فما حال ولاة الامور اليوم فانا
لله وانا اليه راجعون وحديث ناقته اي مما اعلم به صلى الله عليه وسلم من المغيبات حديث
ناقته الذي رواه البيهقي عن عروة مرسلا حين ضلت ناقته وغابت عنه حتى لم يروها
وكيف تعلقت ناقته بالشجرة بخطامها بكسر الخا المعجمة وهو زمامها ومقودها وكان
صلى الله عليه وسلم طلبها لما ضلت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم محمد انه يعلم الغيب

وما اعلمه ولكن الله تعالى اخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي وهي في الشعب قد تعلق زمامها
بشجرة كذا فخرجوا يسمعون قبل الشعب فوجدوها حيث قال وكما وصف فجاوا بها وامن
ذلك المنافق وهو زيد اللصيب او ابن اللصيب بفتح اللام وكسر الصاد المهملة وكان اولا من
اليهود وما ذكرنا عبارة المتن هو الصحيح كما ذكره السيوطي من مناهل الصفا في تخريج احاديث
الشفا ووقع في بعض النسخ وحيث هي ناقته حين ضلت وفي اخرى ومن ضلت ناقته حيث
هي حين ضلت وكيف الخ فقال بعضهم هو مجرور عطف على الظرفية معمول لاعلم وناقته
مبتدا وهي مبتدا ثان خبره محذوف اي موجودة والجملة محل جر باضافته حيث وانت في
غني عن مثله ومن المغيبات التي اعلم النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بها ما رواه الشيخان
عن علي كرم الله وجهه حين اعلم بشان كتاب حاطب بن ابي بلتعة الصحابي البدري المشهور
الذي ارسله الى اهل مكة لما تجهز النبي صلى الله عليه وسلم لفتح مكة ولم يعلم احد بتوجهه
وبقصده فكتب حاطب كتابا اليهم فيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش
كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو سار اليكم وحده نصره الله عليكم فانه متجر له وما وعده
فعليكم الحذر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي وبعض الصحابة اذهبوا الى
روضة خاخ ففيها جارية معها مكتوب فايتوني به وكان صلى الله عليه وسلم اخفى مسيره
فاتوا المحل فوجدوا الجارية فانكرت ففتشوها فلم يجدوا معها شيئا فهموا بالرجوع ثم بدا
لعلي رضي الله عنه ان خبره صلى الله عليه وسلم صدق فهدد الجارية فاخرجت الكتاب
من عقصتها فلما اتوا به قال عمر رضي الله تعالى عنه عند حاطب فقال صلى الله عليه وسلم
لا فان الله اطلع على اهل بدر وقال اصنعوا ما شئتم فاعتذر له حاطب فيهم بدا يقتضي
حفظه فقبل عذره كما تقدم والقصة مفصلة في شروح السير والبخاري والكتاب كان مع
امراة تسمى ام سارة ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات ما رواه ابن اسحاق والبيهقي
والطبراني حين اعلم بقصة عمير بالتصغير بن وهب بن خلف مع صفوان بن امية ابن خلف حين
ساره اي اخبر عمير صفوان سرا في خفية لم يسمعه احد والسر انه يقتل النبي صلى الله عليه
وسلم اذ ياتيه بغتة بحيث لم يشعر به احد وكان شجاعا فاتكا وشارطه على قتل النبي صلى الله
عليه وسلم اي اشترط عليه ما يعطيه اذ فعل ذلك فلما جا عمير الى النبي صلى الله عليه وسلم
قاصدا لقتله واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر والسر الذي كان بينهما
لم يطلع عليه غيرهما وهما بمكة اسلم عمير وحسن اسلامه لما شاهده من المعجزة الباهرة
وحاصل ذلك ان عمير بن وهب جلس مع صفوان بن امية وهو ابن عمه في الحجر بعد
بدر فذكروا اصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان والله ليس في العيش بعدهم خير فقال
عمير صدقت والله لولا دين علي ليس عندي قضاؤه وعيال اخشى ضياعهم لكنت اتي محمدا
اقتله فان لي فيهم علة بني اسير عنده فاغتنمها صفوان فقال علي دينك اقضيه وعيالك مع
عيالي اواسيهم ما بقوا فقال اكتم عني شاني ثم شحذ سيفه اي سنه وسمه وانطلق حتى اتى
المدينة واناخ بباب المسجد متوشحا بسيفه فراه عمر رضي الله تعالى عنه فقال هذا الكلب
عدو الله ما جا الا بشي واخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ادخله علي فاقبل
عمر رضي الله عنه حتى اخذ بحمالة سيف لببه بها ثم ادخله فلما راه صلى الله عليه وسلم
قال ارسله يا عمر ادن يا عمير فدنا فقال ما جا بك قال جئت لهذا الاسير فاحسنوا فيه قال فما

بال السيف في عنقك قال قبحه الله ما اغنى شيأ قال اصدقني ما الذي جيبت له قال ما جيبت الا لذلك قال
بل قعدت انت وصفوان بالحجر وذكرا اصحاب القليب وقلت لولا دين علي وعيال لخرجت الي
محمد حتى اقتله فتحمل دينك وعيالك وجيت لتقتلني فقال اشهد انك رسول الله وقد كنا
نكذبك وهذا امر لم يحضره الا انا وصفوان فوالله الذي لا اعلم انه ما اتاك به الا الله فالحمد لله
الذي هداك للاسلام وتشهد فقال صلى الله عليه وسلم فقهوا اخاكم دينه فاقرؤه
القرآن واطلقوا اسيره واما صفوان فهرب بخاينما يوم الفتح ثم جاء مستأمنا فاسلم وحسن
اسلامه وكان داعيا الى الناس لعمر فلما اسلم كان احب الناس اليه وهو من سادات قريش وفضلائهم
فتتم سيادته بالاسلام وله احاديث في السنن اخبر ايضا صلى الله عليه وسلم بما رواه احمد عن ابن
عباس والحاكم والبيهقي عن عائشة بسند صحيح بالمال الذي تركه عمه العباس بمكة عند
ام الفضل لبابة بنت الحارث بن حزب الهلالية زوجته كنيت باسم ابنها الفضل كما كني العباس
ابا الفضل وهي من السابقات الصحابة رضي الله عنهم عنها يقال انها اول امراة اسلمت بعد خديجة
رضي الله تعالى عنها وكاد كتم ما لديه عندها واخفاه حتى عن اولاده كما اشار اليه بقوله بعدان
كتمه فلما سر ببدر لما خرج مع كفار قريش وطلبته الغدر فقال لا مال لي فقال له صلى الله
عليه وسلم ما فعل المال الذي دفنته عند ام الفضل وقلت اذا اصبت في
سفري فالمال لولدي فقال والله يا رسول الله ما علم هذا شيء ما علمه غيري وغيرها فاحسب لي
ما اصبتم اي فانه جاء اما العباس خارج لبدر ومعه عشرون اوقية من الذهب ليطعم بها
المشركين فاخذت منه في الحرب فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقية من
فدايه فابى وقال اما شيء خرجت تستعين به علينا فلا نتركه لك فقال لذلك اعطاه الله لنا
فداهم فانزل الله يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى الاية ومقتضى قوله لم يسلم
الله ما اسلم الا حينئذ والذي قالوه انه اسلم قبل فتح مكة خبير وكاه بكم اسلامه وقالا يا عم
البر قيل انه اسلامه كان قبل بدر وكان المسلمون بمكة يقوون به وكان العباس يكتب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم احوال المشركين واحب ان يقدم عليه المدينة فكتب الي مقامك بمكة
خير ولذا قال صلى الله عليه وسلم يوم بدر من لقي منكم العباس فلا يقتله فانه انما خرج
مكرها ومما اخبر به صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي عن عروة وسعيد بن المسيب
مرسلا انه اعلم انه سيقتل بنفسه ابي بن خلف كما تقدم مجروحه بعنقه في احد فمات
بسرف يسمى برقا وكان قبل ذلك اذا لقيه بمكة يقول عندي فرس اعلفها كل يوم ذا قتلك
عليها فيقول له صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله فلما كان يوم احد اقبل يقول
اين محمد لا نجوت ان نجا فاعترض دونه جماعة من المسلمين فقال صلى الله عليه وسلم

خلوا سبيله ونظر فرجة من درعه على ترقوته فطعنه طعنة لم يخرج منها دم ووقع عن فرسه
ورجع اليهم فقال له ما بك من باس فقال لو بصق علي محمد لقتلني فقتل قاتله الله في مرجعه
من احد ومما اعلم به صلى الله عليه وسلم انه في عتبة بن ابي لهب بن كلاب الله فاكله الاسد وهو ذاهب
الى الشام والاسد يسمى كلبا وهو يشبهه صورة ولما اضافه لله افادته الاضافة تعظيما
كما قاله الثعالبي في المضاف والمنسوب وقد تقدم ان ابا لهب كان له اولاد معتب وعتبة وعتيبة
بالتصغير وان المصغر هو عقير الاسد والمكبر اسلم وكان من كبار الصحابة فالصواب ان يقول
المص عتيبة بالتصغير الا ان من علما الحديث من قال مثل ما قاله المص والاعتراض غير مسلم كما مر
ثم ان المص ذكر هذا في فصل اجابة دعائه فتكون هذه الجملة دعائية انشائية وكلامه هنا يقتضي
انها خبر ينا خبر بها عن امر مغيب فبين كلاميه تدافع والجواب عنه ان كلا منهما محتمل فذكره
ثمة باعتبار وهنا باعتبار ويؤيده انه لما خاف من الاسد قال له رفقاؤه لم ارشد عبيك قال
ان محمدا قال لي كذا وهو لا يقول الا صدقا والصدق من خواص الخبر وقد يقال ان الدعا عند من
تحقق اجابته خبر معنى واخبر صلى الله عليه وسلم عن مصارع اهل بدر اي محال قتلهم ووقوعهم
على الارض يعني من قتل بها من كفار قريش وصناديدهم فقال قبل وقعتها هذا مصرع فلان
وهذا مصرع فلان مشيرا الى محال قتلاهم بها قبل وقوعه وسماهم اهلها لبقا جثثهم فيها كما
يقال الدار لمن بها فكان ما اخبر به صلى الله عليه وسلم عن مصارعهم كما قال لم يتجاوز احد منهم
موضعه الذي عينه له رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه من الاخبار بالغيب ما لا يخفى
وهذا اصل الحديث كما في صحيح مسلم وغيره انه صلى الله عليه وسلم قام ببدر قبل قتالهم وقال
هذا مصرع فلان ووضع يده على الارض ثم قال هذا مصرع فلان ووضع يده عليها وعدهم
واحدا واحدا مشيرا لمصارعهم فلا يتجاوز احدهم موضعه فصرعوا كذلك ثم جروا بارجلهم
وطرحوا في القليب ثم جا صلى الله عليه وسلم حتى وقف عليهم وقال يا فلان بن فلان
يا فلان بن فلان يناديهم باسمائهم واحدا بعد واحد هل وجدتكم ما وعد ربكم حقا فقال الصحابة
لرسول الله اتكلم اجسادا لا ارواح لها فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع منهم لكلامي
ولكنهم لا يستطيعون ان يردوا وقال صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه الشيخان
وغيرهما في الحسن بن علي بن ابي طالب ان ابني هذا سماه ابنا له مجازا لانه يطلق على الولد
وعلى ولد الولد اطلاقا مشهورا حتى صار حقيقة عرفية سيد اي شريف رئيس مسود
في قومه لشرف نسبه في ذاته وفضله على غيره من جهات وللسيد اطلاقات ويطلق على
الله وعلى غيره كما تقدم تفصيله وسيصلح الله به اي بسببه سيقع الصلح بين فئتين
عظيمتين من المسلمين وللفئة الجماعة من فا بمعنى رجع والمراد بهما من كان معه ومن كان
مع معاوية رضي الله تعالى عنهما وفي صحيح البخاري عن الحسن عن ابي بكرة قال رايت رسول
الله صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن الى جنب وهو يلتفت الى الناس مرة واليه مرة ويقول
ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين وهو حديث صحيح مروي من طرق
وفي رواية فئتين عظيمتين قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى في الاستيعاب لما قتل علي
رضي الله تعالى عنه بايع الحسن اكثر من اربعين الفا على الموت وكانوا اطوع واحب له
من ابيه فبقي نحو سبعة اشهر خليفة بالعراق وخراسان وما وراء النهر ثم سار رضي الله
تعالى عنه الى معاوية وسار معاوية اليه فلما تراءى الجمعان بناحية الانبار علم الحسن انه سيقع

قتال

قتال يذهب فيه كثير من المسلمين فارسل الي معاوية يخبره ان يفوض الامر له بشرط ان لا
يطلب احدا من اهل المدينة والحجاز والعراق بشي كان في ايام ابنه فاجابه معاوية
لذلك وقد طار فرحا الا انه قال عشرة انفس لا او منهم قيس بن سعد فراجعه الحسن
وقال لا ابايعك وانت تطلب احدا منهم لا قيس ولا غيره وارسل له معاوية رقا ابيض
وقال اكتب فيه ما شيت وانا التزمه فاصطلحا علي ذلك وعلي ان الامر له بعد
معاوية وساء ذلك اكثر الناس حتي كانوا يقولون للحسن يا ذل المسلمين وعار
المومنين ولما سلم الامر له قال اخطب الناس فحمد الله واثني عليه ثم قال اما بعد فان
اكيس الكيس التقي وان اعجز العجز العجوز الا وان هذا الامر الذي اختلفت فيه انا
ومعاوية حق لامر كان احق به مني او احق لي تركته لمعاوية ارادة اصلاح المسلمين
وحقن دماهم وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الي حين ثم استغفر الله ونزل ومما
اخبر به صلي الله عليه وسلم ما رواه الشيخان من قوله لسعد بن ابي وقاص مالك بن
رهيب بن عبد مناف احد العشرة واصحاب الشوري ولتبادره اذا اطلق لم يقيده بما
يخرج سعد بن معاذ وغيره من سعود الصحابة فلا اعتراض عليه كما قيل ولسعد معطوف
علي قول ابي الحسن اي قال لسعد لعلك تخلف وفي نسخة ان تخلف بان المصدرية في
خبرها حملا لها علي عسي لانها اختها في البرجي كما قال

لعلك يوما ان تلم ملمة

وكان سعد رضي الله تعالي عنه مرض بمكة وكان يكره ان يموت بالارض التي هاجر
منها فاتاه صلي الله عليه وسلم يعوده فقال يا رسول الله اوصي لي بمالي كله فقال لا
الي ان قال الثلث والثلث كثيرا الي اخر الحديث وهو مشهور ولم يكن له الا ابنة وقد طال
عمره فخشي ان يموت ثمة وذلك في حجة الوداع وقوله تخلف بضم المثناة الفوقية هـ
وتشديد اللام اي تبقي بعد هذا الزمان فكان كما قال فانه عاش بعد ذلك نحو خمسين
سنة وقوله حتي ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون قال النووي في هذا الحديث
من المعجزات تحقق ما اخبر به فانه عاش بعد ذلك زمانا كما تقدم ونفع الله به المسلمين
لما كان علي يديه من الفتوح وهدي الله به ناسا اسلموا علي يديه وغنموا معه وضر الله
به ناسا اسلموا علي يديه وغنموا معه وضر الله به ناسا من الكفار جاهدهم وقتل منهم
وسبا وليس المراد بضرره ضرر المسلمين لان ابنه عمر كان اميرا علي الجيش الذين
قتلوا الحسين لانه لم يرض بذلك ولا تزر وازرة وزر اخري وقال ابن حبيب المراد
به انه تولي العراق واتي بقوم ارتدوا وسجعوا سجع مسيلمة لعنه الله فاستتابهم فتاب بعضهم
وانتفع به واتي بعضهم فقتله فتضرروا به وهذا تاويله عند بعضهم وقيل الرواية انما
هي بضربك اخرون والمص اراد باستفعل فعل وجعل المص الترجي اخبارا لانه بمعناه وهو
المراد لكن عبر به تادبا منه وقد صرحوا بان الترجي في حق الله والرسول والاوليا تحقيق
معني كما قاله ابن الملقن واخبر صلي الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه البخاري عن انس
بقتل اهل موتة بضم الميم وسكون الواو والهمزة فان فيها لغتين كما في القاموس وهي اسم
موضع بالشام كما قيل لانه انما اخبر بقتل ناس منهم قبل مجي الخبر له صلي الله عليه وسلم
بيوم والذي اتي بالخبر يعلي بن امية وكان صلي الله عليه وسلم نعاهم لاصحابه فقال اخذ

الراية زيد فاصيب وعيناه تذرفان حتى اخذ الراية سيف من سيوف الله يعني خالد بن الوليد
ففتح الله تعالى عليهم فلما اتاه يعلي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت اخبرني وان
شئت اخبرتك فقال اخبرني فاخبره ووصفهم له فقال والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم
حرفا واحدا وقوله **يوم قتلوا** متعلق باخبر **و** بينه صلى الله عليه وسلم **و بينهم** اي
المقتولين بموته **مسيرة شهر او ازيد** ذكره تحقيقا لانه اخبار بالغيب لبعده بحيث لا يمكن
مجي الخبر له صلى الله عليه وسلم في يومه ولذا ورد في هذا الحديث انه صلى الله عليه وسلم
قال ان الله رفع لي الارض حتى رايت معتركهم وما قيل ان المدينة ليس بينها وبين موته
هذا المقدار بل بينهما نحو عشرة مراحل كما يعرفه من سلك طريقها لكنه لم يعرفها لبعده
بلاده يقتضي انه قال في نفسه من غير تثبت فيه وليس كذلك فانه يختلف باختلاف الاحوال
كالسير ماشيا وكسير الجمال في القافلة باجمالها بخلاف الفرسان ويختلف ايضا باختلاف بطول
الايام وقصرها والامر فيه سهل **وبموت النجاشي** اي اخبر صلى الله عليه وسلم بموته رواه
الشيخان عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه **يوم مات** متعلق باخبر وذلك سنة سبع من الهجرة
وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغايب وبه استدل الشافعي على جوازها
وهو ملك الحبشة او سمه اصحمة كما تقدم وهو الذي ارسل اليه مكتوبه خلافا لابن القيم في الهدي
النبوي اذ قال ان الذي كاتبه غيره فان كل من ملك الحبشة يقال له نجاشي بفتح النون
وكسرها وتخفيف اليا وتشديدها **وهو بارضه** جملة حالية والضمير للنجاشي اي والحال ان
النجاشي مات بارض الحبشة سو اخبار عن الغيب ويحتمل ان يعود للنبي صلى الله عليه وسلم
اي والنبي صلى الله عليه وسلم وقت موت النجاشي كان بارضه اي المدينة فلا يحتمل انه راه
عادة وان امكن ان يرفع له حتى راه كما قاله من لم يقل بالصلاة على الغايب انه من خصايصه
ايضا **واخبر** ايضا صلى الله عليه وسلم في حديث اخر رواه البيهقي **فيروز** علم عجمي ممنوع
من الصرف وهو وزير كسرى ملك فارس ومعناه الفوز والظفر وفاوه مفتوحة
وقد تكسر وفيروز ديلمي والديلمي جيل من العجم **اذ ورد** اي جا فيروز وقدم
عليه اي على النبي صلى الله عليه وسلم **رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم**
بنصبه على الظرفية اي يوم ورد عليه اي يوم مات كسرى **فلما تحقق فيروز القصة**
التي قصها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره بموت كسرى الذي هو رسوله
اسلم فامن برسول الله صلى الله عليه وسلم وفاز فوزا عظيما وقصته رويت من طرق
وحاصلها انه صلى الله عليه وسلم كتب لكسرى مكتوبا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد
رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام عليكم على من اتبع الهدى وامن بالله ورسوله وشهد
ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وادعوك بداعية الله عز وجل فاني رسول
الله الى الناس كافة لانذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين فاسلم تسلم الخ فلما قرا
كتابه مزقه فمزق الله ملكه وكتب الى باذان عامله على اليمن ان ابعث اليه رجلين جلدين
ياتيانه فبعث قهرمانه بانونه ومعه اخر من الفرس ومعهما مكتوب يامره فيه بالانصراف
معهما فلما اتياه قال ايتياني غدا فلما اتياه قال لهما ان الله سلط على كسرى ابنه شهرويه
فقتله في وقت كذا فاخبرنا باذان بما قاله صلى الله عليه وسلم فقال لننظرن ما قال فان
تحقق فهو نبي مرسل فلم يلبث اذ قدم عليه مكتوب شهرويه بما وقع فاسلم واسلم معه

ابنا فارس

ابنا فارس باليمن وحسن اسلامهم ووزير وكسرى هذا اسمه برويز وهذا ما ذكره المورخون
واصحاب السير واما ما ذكره المص فلم يشتهر ولم يقل احد اما من الصحابة من اسمه فيروز لكن السيوطي
نقله عن دلايل النبوة للبيهقي فقيل انه ليس فيها ذلك وفي الاستيعاب اما فيروز الديلمي وفد على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه الذي قتل الاسود العنسي وكذلك ذكر قضية فيروز
على الوجه الذي ذكره المص الماوردي في اعلام النبوة واطال فيها **اباذر** صلى الله عليه وسلم
واخبر الغفاري كما رواه احمد في مسنده **بتطريده** اي بنفيه من المدينة وقد ذكر الحريري في الدرة
الفرق بين طرده واطرده وطرده للمشدد وانه انما يقال في النفي الا مشددا كقول ابي سفيان

وانت الذي طردتني كل مطرد

وطرده واطرده بمعنى نحاه وكثير من اهل اللغة لم يقولوه **كما كان** اي وقع ما اخبر به
صلى الله عليه وسلم بعينه **ووجده** اي وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اباذر
في المسجد اي مسجده بالمدينة **نايما فقال** لرسول الله صلى الله عليه وسلم **كيف بك اذا اخرجت
منه** اي من هذا المسجد وكيف استفهام عن الحال والظاهر انه ليس على حقيقته فانه صلى الله
عليه وسلم ما سيجري عليه وانما مراده اخباره بحاله وما يكون له كقوله تعالى وما تلك بيمينك
يا موسى والمعنى كيف ظني او علمي بك في هذه الحال **قال اسكن المسجد الحرام** يعني مكة
المشرفة **قال فاذا اخرجت منه الحديث** اي اقرا الحديث او اذكر الحديث الذي رواه احمد
ومعناه انه كان يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وينام في المسجد وليس له ماوى غيره
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فراه نايما فقال له اراك نايما فقال اين انام وهل
لي بيت غيره فقال له صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجوك منه قال الحق بالمسجد الحرام
فقال له كيف بك اذا اخرجوك منه قال الحق بالشام ارض الهجرة والمحشر وارض الانبيا
فاكون رجلا من اهلها قال فاذا اخرجوك من الشام قال ارجع اليه فيكون منزلي قال فكيف
بك اذا اخرجوك منه الثانية قال اخذ سيفي واقاتل حتى اموت فوكزه صلى الله عليه وسلم
بيده وقال خير لك منه ان تنقاد حيث قادوك حتى تلقاني وانت على ذلك واما تطريده
رضي الله عنه فرواه بعض الشيعة على وجه منكر اسندوا فيه لعثمان رضي الله تعالى عنه
ما لا اصل له والصحيح ما رواه قتادة من انه صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر اذا رايت المدينة
بلغ بناوها سلع فاخرج منها واشار الى جهة الشام فلما شاد بناوها ذهب الى الشام ثم
انه رضي الله تعالى عنه انكر على معاوية بعض اموره فشكاه لعثمان فكتب اليه اقبل الينا فنحن
ارعى لحقك فقدم عليه ثم استاذنه في الخروج الى الربذة فاذن له فاقام بها الى ان مات
والذي قيل ان عثمان امر بازعاجه بعنف فلما وصل اليه قال ما حملك على ما صدر منك
قال اشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلا جعلوا
مال الله دولا وعباد الله خولا ودين الله دغلا ثم يريح الله العباد منهم فقال له اخرج من
هذه البلدة فخرج منها قال اكثرهم لا اصل له **وبعيشه وحده** اي اخبره رسول الله صلى الله
عليه وسلم بانه يعيش بعد خروجه من المدينة ثانيا وحده معتزلا عن الناس وفي نسخة عيشته
بالتا **وموته وحده** فكان كما قال لان البيهقي روى ان ام ذر لما حضرته الوفاة بكت فقال
لها ما يبكيك فقال ما لي لا ابكي وانت تموت بفلاة وليس عندنا كفن فقال لا تبكي فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنفر كنت فيهم ليموتن احدكم بفلاة يشهده عصابة من

من المسلمين وانا ذلك الرجل فابصري الطريق فخرجت فاذا برجال على رحالهم فاخبرتهم
بذلك فدخلوا عليه فقال انشدكم الله ان يكفنني منكم من لم يكن نقيبا ولا اميرا فقال غلام منهم
انا اكفنك يا عم في ردائي وثوبين في عنقي من غزل امي قال فكفني فلما مات كفنوه وصلوا
عليه ودفنوه **واخبر** صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم **اذا سرع ازواجه به لحوقا**
اي اول من يموت من امهات المومنين بعده **اطولهن يدا** لم يقل طولاهن بالتانيث لان اسم التفضيل
المضاف يجوز فيه المطابقة وعدمها وهذا يحتمل ان يكون من الطول بالضم ضد القصر ومن الطول
بالفتح وهو الجود والانعام ولاحتمال المعنيين **قيل** ان ازواجه صلى الله عليه وسلم
بعده كن يقسن اذرعتهن لينظرن للاطول منهما فلما ماتت زينب رضي الله تعالى عنها علمن
ان المراد الثاني فان كان من الاول كان استعارة ويدا ترشيح للاستعارة مع ما فيه من
التورية لان اليد بمعنى النعمة **فكانت** اي اطولهن يدا واسرعهن لحوقا به صلى الله عليه
وسلم قاسمها ضمير عايد على ما ذكر وقوله **زينب** بالنصب خبرها وهي زينب بنت
جحش ام المومنين رضي الله عنها **لطول يدها بالصدقة** بيان للمراد كما تقدم وتوفيت رضي
الله عنها سنة عشرين او احدى وعشرين وليس المراد بذلك زينب بنت جزيلة التي كانت تدعى
ام المساكين والحديث عن عايشة من طرق قال قلن اتينا اسرع لحوقا بك قال اطولكن يدا
فاخذن يتذارعن وفي رواية اخذن قصبة يذرعن بها اي يقسن اذرعتهن لظنهن ان
المراد الحقيقة فلما توفيت زينب علمن المراد لانها كانت اكثرهن صدقة وكانت تعمل بيدها
وتتصدق وما في البخاري عن عايشة رضي الله تعالى عنها انه اجتمع زوجاته صلى الله عليه
وسلم عنده فقلن له اتين اسرع لحوقا بك قال اطولكن يدا فكانت سودة بنت زمعة فتوفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت اسرعنا لحوقا به فعرفن ان طول يدها الصدقة
وكانت تحب الصدقة مشكل لمخالفته لما رواه مسلم من انها زينب وهو الصحيح وفيه اضطراب
ايضا لان اوله يقتضي ان المراد الطول الحقيقي وما بعده يدل على خلافه ولذا قال الكرماني
ان فيه تلفيقا وحذفا ولم يلتفت لايهامه خلاف المراد اعتمادا على شهرة القصة وهي غاية
ما يقال فيه قيل وهو مجاز مرسل بعلاقة مجاورة الصدقة ترشيح لليد او شبه الصدقة باليد
فهو استعارة مصرحة والطول ترشيح والقرينة ان عظم الابدان لا يقتضي حوز هذه الفضيلة
فلا يرد انه ان لم يكن فيه قرينة لم يصح المجاز وان كان كيف يفهمن خلاف المراد حتى تذارعن
وهن من اهل اللسان **اقول** التحقيق انه استعارة تخييلية بان يشبه كثرة الاحسان والتصدق
وايصال البر ومن اوصله بشخص له طول في يديه يصل به لما يصل اليه غيره اذ مدهما او هو
مجاز مرسل باستعمال طول اليد في لازمه وهو ايصال الانعام او اليد استعارة مصرحة والطول
ترشيح ويحتمل انه كناية **واخبر** صلى الله عليه وسلم فيما رواه البيهقي من طرق **بقتل**
الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهما **بالطف** بفتح الطا المشددة المهملة
وتشديد الفا وهو مكان بناحية الكوفة **واخرج** صلى الله عليه وسلم **بيده تربة** اي
مقدار كفه من تراب اراه لبعض اصحابه واهل بيته **وقال** اذا خرجها **فيها** اي في ارض
هذا التراب منها وفيها يموت ويقتل **مضجعه** اي مصرعه اذ يقتل وجيمه مفتوحة
وتكسر الاول اقيس وافصح وفي التعبير به ايما الى انه رضي الله تعالى عنه حي شهيد لان اصله
محل يضطجع فيه النايم واصل الحديث عن عايشة رضي الله تعالى عنها ان جبريل كان عند رسول

الله صلى الله عليه وسلم

الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليه الحسين فقال جبريل من هذا قال ابني فقال ستقتله امتك
فان شئت اخبرتك بالارض التي يقتل فيها واشار جبريل بيده الى الطف من العراق واخذ تربة
حمرا فاراه اياها ولا ينافي ذلك ما جا انه يقتل بكربلا لان كربلا اسم موضع والطف ناحية
تشتمل عليه وكان قتله في عاشورا وقتل معه جماعة من اهل البيت وقيل ان هذه التربة كانت
عندهم وانها في يوم قتله يظهر عليها دم واختلف فيمن باشر قتله قاتله الله واخزاه وجعل
سجين ماواه ولابن العربي هنا مقالة اظنه بري منها **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه ابن عدي والبيهقي مسندا **في زيد بن صوحان** بضم الصاد المهملة وواو ساكنة
وحا مهملة والف ونون وهو زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي اخو صعصعة
وله وفادة على النبي صلى الله عليه وسلم وقيل انه تابعي وقال الذهبي ومن خطه نقلت كان
زيد بن صوحان مواخيا لسلمان حتى يكبر يا سلمان لحبه له وكان زاهدا عابدا ذكر له مناقب
وعده من الصحابة وصوحان معناه اليابس يقال صوح النبت اذا صار هشيما **يسبقه عضو** من
اعضايه **الى الجنة** اي يدخل الجنة قبله لانه قطع في سبيل الله قبل موته ومعنى السبق اما تقدمه
ولا مانع من ان يحفظها الله في الجنة فاذا استشهد وصلها ببقية اعضايه في الجنة وامور الاخرة
لا يقاس على امور الدنيا ويجوز ان يراد ان يده تقطع في سبيل الله اولا ثم يستشهد بعد ذلك
فكنى عنه بما ذكر ولفظ الحديث من سره ان ينظر الى رجل يسبقه بعض اعضايه الى الجنة فلينظر الى
زيد بن صوحان وفي سنده هديل بن بلال وهو ضعيف **فقطعت يده** الشمال كما رواه الذهبي
في الجهاد لم يعينه للخلاف فيه فقيل انه كان يوم نهاوند وقيل في قتال المشركين وقد روي
انه صلى الله عليه وسلم شهد لثلاثة من التابعين بالجنة اويس القرني وزيد بن صوحان
وجندب الخير وقيل مع علي رضي الله عنه في وقعة الجمل وعلى هذا فاخباره عن الغيب
اقوى وابلغ في اطلاعه على امره قبل خلقه **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
مسلم وغيره **في الذين كانوا معه** اي حاضرين معه وهم **على حرا** اسم جبل معروف بقرب
مكة نحو ثلاثة اميال يمد ويقصر ويذكر ويونث فيجوز صرفه وعدم صرفه كما تقدم
فتحرك وهم عليه فقال له صلى الله عليه وسلم **اثبت** اي لا تتحرك وترجف وتتزلزل ولفظه
كما في الصحيحين صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حرا وهو ابو بكر
وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحرك بهم فقال اهدا فما عليك الا نبي او صديق او
شهيد وزاد بعضهم سعدا واورد بعضهم مكان علي والمم رواه **انما عليك نبي وصديق
وشهيد** والمعنى واحد والنبي معناه المراد به ظاهر وكذا الشهيد وتفصيله وقد وقع الترتيب
في الحديث على وفق ما في القران والصديق فعيل صيغة مبالغة من الصدق ضد الكذب ولهم
في تفسيره اقوال يقال ابن المظفر انه من صدق بامر الله وبرسله بحيث لا يخالجه شك في شيء
وقال الكلبي رحمه الله تعالى الصديقون افاضل الصحابة واختاره البغوي وقيل من صدق
بالانبيا حين عاينهم واختار الرازي انهم اول من صدق الرسل ويؤيده قوله صلى الله عليه
وسلم ما عرضت الاسلام على احد الا وله كبوة الا ابو بكر فله رضي الله تعالى عنه مزية بانه صار
قدوة لغيره ولذا اجمعوا على تسليم هذا اللقب له ومزيته الصديقية على مرتبة النبوة وقد
افرد ذلك بالتاليف الكمال ابن الزملكاني **فقيل علي وعمر وعثمان** فقتل عليا كرم الله
وجهه عبد الرحمن بن ملجم من الخوارج وقصته مشهورة وقتل عمر رضي الله تعالى عنه ابو

ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وكان عمر رضي الله تعالى عنه لا ياذن لمحتلم من المشركين ان
يدخل المدينة فاستاذنه المغيرة في كلامه هذا لانه كان نجارا وكان له صنايع ينتفع بها الناس
فاذن له في دخوله فضرب عليه سيده في كل شهر مائة درهم فشكى ذلك لعمر فساله عن صنعته
فاخبره فقال ما خراجك بكثير فغاظه ذلك واضمر قتله فضربه بخنجره وهو يصلي فاستشهد
وعثمان استشهد يوم الدار في قصته المشهورة **وطلحة والزبير** اما طلحة ابن عبد الله فقتل
يوم الجمل وهو محارب لعلي وقيل انه ذكره ووعظه فاعتزل حربه ثم اصابه سهم فمات منه
واما الزبير رضي الله عنه فرجع عن قتال علي بعد تذكيره له بما مر فقتله ابن جرموز بوادي
السباع كما تقدم **وطعن** بالبنا للمجهول **سعد** بن ابي وقاص سنة خمس او اربع وخمسين وهو
اخر من مات من العشرة المبشرة بالجنة وقيل مات سنة ست وقيل سبع وخمسين وقيل سنة ثمان
وقيل سنة اثنان وثمانون وطعن بمعنى اصيب بالطاعون وهو من اقسام الشهادة ايضا وان لم
يكن مثل غيره من كل وجه ولذا اخره المص وقول بعضهم انه لم تنله الشهادة غير مناسب
هنا الا ان يدخله في الصديقية وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي **سراقة**
بضم السين وفتح الرا المهملتين مخفف وقاف وهو سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك بن عمرو
ابو سفيان الكناني المدلجي سكن مكة وهو الذي خرج في طلب النبي صلى الله عليه وسلم
فساخت به فرسه في القصة المشهورة ياتي في كلام المص الاشارة لبعضها ثم اسلم وتوفي سنة
اربع وعشرين وقيل مات بعد عثمان وفي الصحابة من اسمه سراقة غيره وفي هذا
الاخبار عن الغيب وخص سراقة لانه اعرابي من البادية ولبس مثله لما يلبسه المترفون
من ملوك العجم اية عظيمة من ايات النبوة وعز الدين **كيف بك** كيف جواب عما انهم
من الاحوال وهو استخبار يتضمن التعجب من حاله الذي هو عليها لان كل احد لا ينفك عن حال
من الاحوال اذا طرا عليه ما لم يعهد مثله ونال ما لم ينله امثاله فكني بما ذكر وفيه من البلاغة
ما لا يخفى **اذا لبست** اي وضعت في يديك وساعديك ومثل يسمى لبسا وان كان المعروف
اطلاقه على ما يعم البدن من الثياب والحلل **سواري** مثنى سوار بضم السين وكسرها ويقال
اسوار بضم الهمزة وكسرها ايضا وهذا مما كان يتزين به العجم والملوك وان كان الان مختصا
بالنسا عند العرب وبعد الاسلام حتى يعاب على غيرهن **كسرى** تقدم انه كل من ملك العجم
ويخص ببعضهم وهو كسرى الذي ادرك عهد الاسلام كما تقدم وان كافه مكسورة وتفتح
وهو معرب خسرو ومعناه واسع الملك **فلما اتي بهما** اي بسواري كسرى **لعمر** ضمن اتي
بصيغة المجهول معنى اوصل فعدي باللام وفي نسخة عمر بدونها **البسهما اياه** اي سراقة
تحقيقا لما اخبر به صلى الله عليه وسلم ويجوز البسه اياهما وقيل وهو الاولى **وقال**
عمر رضي الله تعالى عنه **الحمد لله** حمد الله على تصديق كلمة النبوة واعزاز دينه وزوال
شوكة اعدائه وما فتح الله على يديه **القرى سلبهما** من يدي **كسرى والبسهما سراقة**
وهو بدوي اعرابي متقشف هو من احاد امته صلى الله عليه وسلم واصل الحديث كما فيه دلايل
النبوة عن الحسن ان عمر رضي الله تعالى عنه لما اتي بسواري كسرى ابن هرمز وضعتا
بين يديه وفي القوم سراقة وضعهما في يديه فبلغا منكبيه فقال الحمد لله الذي جعل سواري
كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك ثم قال له قل الله اكبر الله اكبر وحمد الله لما من الله
من نعمة الفتح واعزاز الدين وكبر تعظيما لمالك الملك الذي يوتي ملكه من يشا وينزعه ممن يشا

فتبارك

فتبارك الذي بيده الملك الذي قصم من نازعه وذا كبريائه فلا سلطان الا سلطانه ولا عز لغير
من اعزه وليس في هذا استعمال للذهب وليس الرجال له وهو من المحرمات لانه لم يفعله الا
تحقيقا وتصديقا لقول رسوله صلى الله عليه وسلم من غير ان يقرهما ومثله الا لا يعد استعمالا
فلا حاجة لما قيل ان فيه مصلحة ومفسدة ان يكتب المفسدة فيه لاجل المصلحة وهي تحقيق المعجزة
فانه لا محصل له **وقال** صلى الله عليه وسلم في جملة اخباره عن المغيبات في حديث
رواه ابو نعيم في الدلايل والخطيب في تاريخه **تبنى** بالبنا للمجهول والباني ابو جعفر الدوانيقي
ثاني خلفا بني العباس **مدينة** هي البلدة العظيمة من التمدن وهو التعيش والسكنى الكثيرة
وتكون اكبر من البلدة والقرية **بين دجلة** بدال مهملة مفتوحة او مكسورة من دجلة غطاه
ومنه الدجال لخفا امره بتخليطه في اموره وهو علم النهر مشهور بالعراق ولا يجوز دخول
الالف واللام عليه لانه علم مرتجل **ودجل** مصغر علم نهر بالاهواز حفره اردشير بن بابك
اول ملوك بني ساسان بالمداين عليه قرى كثيرة ومخرجه من اصبهان وقيل انه خليج متشعب
من دجلة **وقطربل** بضم القاف وسكون الطا المهملة وضم الرا المهملة وضم البا الموحدة المشددة
وقد تخفف وتشدد اللام وهو موضع بالعراق تنسب اليه الخمر **والصراة** بضم الصاد المشددة
والراء المهملتين ثم الف وها وهو نهر بالعراق ايضا مشهور وهو الاصح المعروف وفي بعض
النسخ والهراة بها بدل الصاد وهي بلدة بالعجم وقد ضرب عليه وصحح الصراة وهو المعتمد
تجبى اليها اي يجمع مال غيرها من البلاد الى تلك المدينة وهو عبارة عن انها دار الخلافة
العظمى وكرسي الممالك يقال جبى الخراج والممالك اذا جمعه للسلطان بامره **خزاين الارض**
اي ما كان مخزونا في غيرها من البلاد بيدها اليها **يخسف بها** اي يخسف الله ارضها
ودورها باهلها وقد وقع ما اخبر به صلى الله عليه وسلم من بنايها في الدولة
العباسية وجباية الاموال اليها ونفي امر الخسف وسيظهر كما اخبر به صلى الله عليه وسلم
وقال الذهبي ذكره في ميزانه في ترجمة عمار بن سيف الضبي الكوفي راوي هذا الحديث
وقال انه منكر جدا والله اعلم بامره **يعني بغداد** اسم المدينة المشهورة وتسمى دار السلام
وهو اسم اعجمي عرب وفيه تقدم الكلام عليها **وقال** صلى الله عليه وسلم في حديث رواه
الامام احمد والبيهقي عن سعيد بن المسيب مرسلا وحسنه قال ولد لاخي ام سلمة من امها غلام
سموه الوليد فقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا باسمنا فراعنتكم فسموه عبد الله فانه
سيكون في هذه الامة رجل يقال له الوليد هو شر لامتي من فرعون لقومه قال الاوزاعي
كانوا يرون انه الوليد بن عبد الملك ثم راوا انه ابن اخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك
الجبار الذي كان مفتاح ابواب الفتن على هذه الامة وكان ماجنا سفيها مدمنا للخمر نسب
اليه ما يقتضي الكفر قيل ويجوز ان يراد كلاهما لجنبهما وعتوهما الا ان الثاني اشقاهما
ومن هذا معنى حسن وهو ان فرعون مصر الكافر كان اسمه الوليد موضوع فكانه
ثبت عند المص فانه موضوعات ابن الجوزي مدخولة تكلم في كثير منها وصحح في الشرح
الجديد ان المراد انما هو الثاني المعروف بالفاسق بويع بالخلافة بعد هشام ابن عبد الملك لست
خلون من ربيع الاخر سنة خمس وعشرين ومائة واظهر في فسقه وولعه بالملاهي وتهاونه
بالدين امورا شنيعة لا حاجة لنا بها ولذا جعله صلى الله عليه وسلم شرا من فرعون موسى
مع الاتفاق مع على كفره لانه كان في زمان الكفر وهذا كان والاسلام غض طري هو

وقال صلي الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان لا تقوم الساعة اي لا يأتي زمانها ويقرب
اوانها حتي تقتتل فيتان اي طائفتا ما وجيشا ذما هذه الامة المسلمة دعواهما في
اعتقادهما ودينهما واحدة وهي الاسلام والدين الحق وقد وقع هذا في صفين في وقعة علي
ومعاوية رضي الله تعالي عنهما ثم سري ذلك لكثير بعدت لك فكم وقع بين المسلمين معارك الحروب
والوقايع التي لا تخفي الا ان الوقفة الاولي اول مادهم اهل الاسلام من الامور المثيرة التي كانت
كلمة في الدين وقال صلي الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي والحاكم عن الحسن يا محمد
مر بلالا لعمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنه في اسهيل بن عمرو يا عبد شمس يا عبد ود ابو زيد
العامري القرشي احد خطباء قريش اسلم يوم الفتح واستشهد باليرموك وقيل توفي بالشام
سنة ثمان عشرة وقال الواقدي توفي سنة تسع عشرة في طاعون عمواس وكان يقوم خطباء
حرض المشركين علي قتال النبي صلي الله عليه وسلم فلما اسر يوم بدر قال عمر يا رسول الله
انه رجل مفوه فدعني انتزع ثنيتيه السفليين فلا يقوم خطيبا عليك بعد اليوم لانه كان
اعلم السفلي اي مشوفها فاذا انتزعت ثنيتاه السفليتان يتزلع لسانه فلا يطيق الكلام وهذا
من عمر رضي الله تعالي عنه امر بديع فقال صلي الله عليه وسلم لم ردعه عسي ان
يقوم مقاما يتفع بخطبته ويأتي بما يحمد مقامانه الاول وقد مر اذ عسي من الله ومن رسول
الله صلي الله عليه وسلم تحقيق يسرك يا عمر فكان كذلك اي وقع ما قاله صلي الله عليه
وسلم وتحقق ما اخبر به من المغيبات وسر المسلمين مقامه لما قام بمكة مقام ابي بكر
الصديق رضي الله تعالي عنه اي مثل مقامه بالمدينة وخطب بخطبة مثل خطبته يوم بلغهم
اي بلغ المسلمين بمكة موت النبي صلي الله عليه وسلم وخطبهم في مقامه بمكة بنحو خطبته
اي بخطبته قبل خطبه ابي بكر بالمدينة لفظا ومعني ثم بين المماثلة بقوله وسرهم وقوم بعد لام
باعلامهم ان رسول الله صلي الله عليه وسلم بشر وكل نفس ذائقة الموت فقال من كان يعبد محمدا
فان محمدا قد مات والله حي لا يموت وابو بكر رضي الله تعالي عنه قال من كان يعبد محمدا
فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت فتوارد علي معني واحد
في مقام غفل فيه كثير من اكابر الصحابة دهشة من هذه المصيبة العظيمة وقال صلي
الله عليه وسلم كما رواه ابن اسحاق والبيهقي لخالد بن الوليد حين وجهه اي ارسله
صلي الله عليه وسلم متوجها لاكيدر بضم الهمزة وكاف مفتوحة ومثناة تحتية ساكنة ودال
مكسورة وكاف مفتوحة ومثناة تحتية ساكنة ودال مكسورة وراء مهملتين كمنبر اكدر ويقال
له دومة الجندل ويقال دوما بالمد وهي ايليا وهو موضع بين مكة وبرك الغماد
او بين الحجاز والشام سميت بدوما بن اسماعيل لانه كان ينزلها لانك تجده اي تصادف
اي تصادف اكيدر تصيد البقر اي بقر الوحش لانها التي تصاد وكان صلي الله عليه
وسلم بعثه في اربعماية وعشرين فارسا الي اكيدر بن عبد الملك بن عبد الحق بن اعيا بن الحارث
بن معاوية الكندي كما قاله الخطيب والماوردي وفي مختصر الشافعي انه من كندة
او غسان وكان نصرانيا قد ملك دومة واهلها فاذا دخالد رضي الله عنه في ليلة مقمرة
فوجده يصطاد البقر واخوه حسان فشدوا عليه فاستيسر اكيدر وقاتل اخوه حتي
قتل فقدم به علي النبي صلي الله عليه وسلم فصالحه علي الجزية وحقن دمه وخلي
سبيله فمات نصرانيا وقال البلاذري انه عاد الي دومة فلما توفي رسول الله صلي الله عليه

نقتفي الهمد

نقض العهد فحاصروه وقتله مشركا نصرانيا وقيل انه اسلم واهدى للنبي صلى الله عليه وسلم
حلة سيرا فوهبها لعمر وعدة ابن منده وابو نعيم في الصحابة وقال ابن الاثير ان الهدنة
صحيحة واما اسلامه فغلط باتفاق اهل السير وقيل انه اسلم ثم ارتد بعده صلى الله
عليه وسلم وعلى هذا لا يعد في الصحابة ايضا فوجدت بالبنا للمجهول هذه الامور المذكورة
في هذا الفصل كلها في حياته بعد ما اخبر بها ووجد بعضها بعد موته كما قاله صلى الله
عليه وسلم اي مطابقة لخبره ومماثلة له منسبة او مضمومة الى ما اخبر به فجلساه من
الصحابة من اسرارهم اي ما اسروه واخفوه وبواطنهم اي امورهم الخفية وقلوبهم وهو
بيان لما اخبر به واطلع عليه عطف على ما اخبر به من اسرار المنافقين اي ما اسروه في انفسهم
ولم يخبروا به احدا منهم ولا من غيرهم او ما كانوا يقولونه سرا بينهم بحيث لا يقف عليه
المؤمنون وكفرهم المضمر في قلوبهم مع اظهارهم الايمان وقولهم فيه اي في حق النبي
صلى الله عليه وسلم وفي المؤمنين وهو معطوف على اسرار المنافقين عطف تفسير كقول
راسهم ابن ابي لهم وقد استقبله الصحابة انظروا كيف ادر هؤلاء السفهاء عنكم فاخذ بيد
ابي بكر وقال له مرحبا بسيد تيم وشيخ الاسلام وثاني اثنين في الغار وباذل نفسه وماله
لرسول الله ثم اخذ بيد عمر فقال له مرحبا بسيد بني عدي الفاروق في دين الله الله
ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم افترقوا لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه حتى ان بكسر الهمزة وسكون النون
المخففة من الثقيلة واسمها ضمير شان مقدر كان بعضهم اي بعض المنافقين يقول وفي
نسخة ليقول لصاحبه اي من هو معه منهم اذا اراد ان يتكلم بشي في حقه صلى الله عليه وسلم
سرا معه اسكت ولا تنطق بشي من امره ثم بين وجه امره بالسكوت مقسما عليه ليحقق
ما قاله فوالله لو لم يكن عنده من يخبره بما يقوله في شانه من ملك او جن يبلغه ما يقال
فيه لاخبرته حجارة البطحا وهي ارض مستوية يسيل فيها الماء والمراد بحجارتها ما فيها
من الحصبا يعني ان الحجارة تعلمه بما غاب عنه وهذا اشارة ايضا لما وقع له صلى الله عليه وسلم
لما فتح مكة وامر بلالا بان يعلو ظهر الكعبة ويؤذن عليها وابو سفيان بن حرب
وعتاب بن اسيد والحارث ابن هشام جلوس بفنا الكعبة فقال عتاب لقد اكرم الله اسيدا
اذ لم ير هذا اليوم وقال الحارث اما وجد محمد مؤذنا غير هذا الغراب الاسود فقال ابو
سفيان لا اقول شيا ولو تكلمت لاخبرته هذه الحصبا فخرج عليهم النبي صلى الله عليه وسلم
وقال علمت الذي قلتم وذكر مقالتهم فقال الحارث وعتاب نشهد انك رسول الله ما اطلع على
هذا احد كان معنا فيقول اخبرك به واعلامه بالجر معطوف على ما اخبر به وهو اشارة
الى ما في الصحيحين عن عايشة رضي الله تعالى عنها وهو مصدر مضاف لفاعله ومفعوله
محذوف اي اعلامه الناس بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم وهو يهودي من بني زريق
وقصة سحره مشهورة في السير والتفسير وكونه اي السحر المذكور الذي وضعه في مشط
بضم الميم وهي ما يسقط وكسرها وسكون الشين المعجمة وطا مهملة اسم الة معروفة يسرح بها
الشعر ويقال لها ممشط ايضا ومشاطة بضم الميم وهي ما يسقط من الشعر اذا سرح وفي نسخة
مشاقة بقاف بدل الطا وهما بمعنى او الاول من الشعر والثاني من الكتان في جف بضم
الجيم وتشديد الفا وهو وعا الطلع الذي يكون عليه كالغشا وفي نسخة جب ببا موحدة

بهوي داخل وجوف ومنه جب البير وهو مضاف لقوله **طلع نخلة ذكر** والطلع ما يخرج من النخل من اطراف منطبق عليه معروف والنخل منه ذكر وانثى تحمل بثمرها المعروف **وأنه** بفتح الهمزة والضمير للسحر المذكور **القي في بئر ذروان** اي وضع في هذه البير وهي بير بالمدينة لبني زريق وهي بذال معجمة مفتوحة وراء مهملة ساكنة واو وبزنة فعلان **فطاف** ما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم **كما قال ووجد البئر على تلك الصفة** التي وصفها فهو من اخباره بالغيب بوحي من الله كما فصلوه وعن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سحر قال الثاني رجلان فقعد احدهما عند راسي والاخر عند رجلي فقال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب اي مسحور قال ومن طبه قال لبيد بن الاعصم قال في اي شيء قال في مشط ومشاطة وجف طلع ذكر قال واين هو قال في بئر ذروان فجاءها صلى الله عليه وسلم في ناس من اصحابه فاستخرجه فلما رجع قال لعائشة كان ماءها نقاع الحناء وكان رؤوس نخلها رؤوس الشياطين فقالت هلا اخرجته يا رسول الله قال قد عافاني الله فكرهت ان اثير على الناس منه شرا فامر بها فدفنت قال ابو عبيدة هو عند المحدثين هكذا بير ذروان وقال ابن قتيبة عن الاصمعي هو خطأ وصوابه ذروان بالهمزة انتهى وفي القاموس بئر ذروان بالمدينة وهي ذو اروان بسكون الراء وقيد بتحريكها انتهى وفي مسلم بئر ذي اروان قال النووي وهو صحيح والاول الجود واصح وكمل ان الاول مخفف منه **واعلامه** صلى الله عليه وسلم **قريشا** كما رواه البيهقي عن الزهري في الدلايل **باكل الارضة** بفتحتين دويبة تاكل الورق وتثلوه فيه اذا انطبق زمانا بحيث لا يمر به الهوى وهي معروفة وعلى انواع ومنها ما ياكل الخشب فمن فسرها هنا بدويبة تاكل الخشب فقد اتى ما دلهم على موته لان دابة الارض تاكل منسأته والارض بالسكون مصدر ارض اذا اكلت به ارضة اضيفت لها لم يطلق للمفصل وليست هي الدابة المسماة سرفة كما قيل وكذا من قال انها سوس الخشب **ما في صحيفتهم** الاضافة للعهد اي الصحيفة المشهورة وسياتي بيانها **التي تظاهروا بها** اي تعصبوا وتعاونوا بانفاقهم على عدم كتبهم في تلك الصحيفة كما سياتي **على بني هاشم** وهم فخذ من قريش **وقطعوا بها ارحامهم** اي قصدوا من قريش بما كتب في الصحيفة قطع رحمهم اي قرابتهم اي ابطلوا حقوق القرابة بينهم وبين عمهم من بني هاشم واصل الرحم مقر الولد ثم شاع في القرابة حتى صار حقيقة فيها **وانها** اي الارضة وهو معطوف على اكلت الارضة اي واعلامه صلى الله عليه وسلم بانها **ابقت فيها** اي الصحيفة **كل اسم لله** دون غيره مما عاهدهم عليه فحقه لانه باطل واثبت اسم الله تبركا وتاديا وهذا على احدى الروايتين والاخرى ستاتي وتواجيههما **فوجد بها كما قال** صلى الله عليه وسلم واخبر به عن الغيب فنومي سحراته وما ذكره المراد انها ابقت اسم الله تاديا ومحت غيره للاشارة الى انه امر باطل على احدى الروايتين كما علمت وفي رواية اخرى انها لحست اسم الله وابقت غيره من عهودهم الفاسدة للاشارة الى ان اسمه بريء منهم وانه لا يليق به ذكر اسمه بين ذكر عهودهم ولكل وجهة والى روايتنا ذهب ابن سيد الناس في سيرته فاذا صحت الروايتان اشكل ذلك لان القصة واحدة والصحيفة واحدة وقل البرهاني في التوفيق بينهما ان لم نقل ان روايتنا انها لحست اسم الله اقوى والمعتمد انما هو عليها

الله اكبر

انه كتب نسختان علقت احداهما في الكعبة والاخرى كانت عندهم بعيدا اذ لم يقع ذلك في
رواية اصلا وقد قيل ان كاتبها شلت يده وهو منصور ابن عكرمة وقيل نفيض بن
عامر بن هشام وحاصل قصتها انهم لما اشتد عليهم امره صلى الله عليه وسلم واشتد على
المسلمين قهرهم ارادوا قتله فلم يرض به ابو طالب وبنو هاشم فقالوا اما ان تسلموه لنا او
تعتزلوا عنا جميعا في الشعب بحيث لا تقابلوننا ولا تجتمعون معنا فرضوا بذلك وكتبوا بالعهد
صحيفة علقوها في الكعبة فكان كلما جا اهل البادية بما يباع منعوهم عنهم فمكثوا ثلاث
سنين كذلك حتى ضاق عليهم الحال وندم بعض قريش واراد نقض العهد فبينما هم
كذلك اذ قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي طالب يا عم ان الله ابطل عهدهم واكلته الارضة
فخرج اليهم فظنوه انه اتاهم ليسلم لهم النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرهم بالقصة فاتوا
بالصحيفة فوجدوها كما قال فاذنوا لهم بالخروج من الشعب على ما فصل في السير
وكان ذلك مما اطلعه الله تعالى عليه من غيبه وهذا يقتضي صحة ما قاله المص وان الرواية
الاخرى غير ثابتة عنده وعلى كل حال فلم يجد ما يشفي الصدور ووصفه لكفار قريش
بعد الاسرا كما تقدم تفصيله ببيت المقدس مفعول وصف وقوله حين كذبوه في خبر
الاسرا اي في اخباره بانه اسري به لبيت المقدس ونعته اياه اي بيت المقدس نعت
من عرفه بالنصب مفعول نعته والنعت والوصف متقاربان والمص غاير بينهما تفننا وقيل
النعت يقال في غير الله ولا يقال نعته الله كما ذكره بعض النحاة ولم يذكر له وجها
واعلامهم بالجر اي اعلام الكفار بعيرهم بكسر العين اي قافلتهم من غار بمعنى سار
واما بالفتح فهو الجار وليس المراد هنا التي مر عليها في طريقه لما رجع من الاسرا وانذارهم
بوقت وصولها لهم والانذار هنا بمعنى الاعلام مجازا واصله التخويف والاخبار
بما فيه خوف ضد التبشير كما تقدم ومن فسره بالتخويف هنا لم يصب معنى قوله صلى الله
عليه وسلم انها تقدم وقت كذا يقدمها جمل اورق كما مر فكان ذلك اي وجد
ووقع كما قال صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقص فيما اخبر به وقد قدمنا
تفصيله ثمة فلا حاجة لاعادته الى ما اخبر به من الحوادث اي ما تقدم ينتهي او ينضم
لغيره مما اخبر به مما سيحدثه الله بعده من الامور التي تكون في المستقبل ولم يات بعد
مبني على الضم اي لم يقع اي لم يقع عقب اخباره بل بعده بازمان متباعدة بعضها
ظهرت مقدماتها وبعضها لم تظهر فاذا جا الا بان تجي فان خبره صلى الله عليه وسلم
لا يختلف والى ذلك اشار بقوله منها ما ظهرت مقدماته بكسر الدال اي علاماته المتقدمة
عليه كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابو داود في سننه عمران بيت
المقدس بضم العين مصدر كالغفران بمعنى كونه معمورا بتمام بنايه وكثرة سكانه وذلك
باستيلا الكفرة عليه وتعميره وتقدم معنى كونه مقدسا بما فيه وهو مبتدا خبره خراب يثرب
بالمثلثة ومنع الصرف وهو اسم المدينة الشريفة وجعله عينه مبالغة كقولهم عقابه السيف
وليس المراد به التشبيه فالحمل في قوله عمران بيت المقدس خراب يثرب وما بعده على
طريق المجاز في النسبة الاسنادية بجعل ما يقرب من المشي ويلاصقه كانه هو بعينه فلا
يقال انه غيره فكيف اخبر عنه وخراب يثرب الذي يعمر عنده بيت المقدس خروج الملحمة
اي ظهورها والملحمة بميم وحا مهملة وهي موضع المعركة والقتال ويكون بمعنى الحرب

نفسه كما في النهاية الاثيرية في الصحاح انها الوقعة العظيمة في الفتنة من التحم بمعنى اشتبك ودخل بعضه في بعض كالسدا واللحمة او من التحم للكرة لحوم القتلى فيها ومنه الملحمة اسم كتاب يذكر فيه احكام النجوم واثار الجو من السحاب ونحوه والمراد به الفتن العظيمة والحرج الذي يكون في اخر الزمان **وخروج الملحمة فتح القسطنطينية** وفي نسخة قسطنطينية بغير الف ولام وبعد النون الثانية ياء مشددة وتخفف وهي مدينة عظيمة هي قاعدة ديار الكفر وكرسيها وهي ملسوبة لقسطنطين اسم اول ملك بناها وهو اول من اظهر دين النصرانية ودونه وهي مدينة عظيمة الشكل منها جانبان في البحر وجانب في البر ولها سبعة اسوار وسمك سورها الكبير احد وعشرون ذراعا وفيه مائة باب وبابها الكبير يسمى باب الذهب وهو باب مموه بالذهب وفيها منارة من نحاس قد قلبت قطعة واحدة وليس لها باب وفيها منارة قريبة من مارستانها قد البست كلها بالنحاس وعليها قبر قسطنطين وهو راكب على فرس وقوائمه محكمة بالرصاص ملعدا يديه اليمنى فانها مطلقة في الهوى لانه ساير والملك على ظهره ويده موقوفة في الجو وقد فتح كفه يشير نحو بلاد الشام ويده اليسرى فيها كرة مكتوب عليها ملكتك الدنيا حتى بهت وكبي مثل هذه الكرة وخرجت كما ترى وفيها لغات ضم القاف وفتح الطاء الاولى وضمها مع تخفيف الياء الاخيرة وتشديدها وحذفها فرنجي ست ووقعت في الحديث بالالف واللام واستعملها الناس بحذفها القود إلى تمام حتى التوى من نفع قسطلها على خيطان قسطنطينة الاعصار وهي المسماة برومية وقد اختلف هل فتحت هذه ام لا فقيل فتحت في زمن الخلفاء والاصح انها انما تفتح في اخر الزمان قبيل خروج المهدي وهو الذي صححه المقدسي في كتاب الرد في اخبار المهدي المنتظر والذي اوقفهم في اللبس اشتراك الاسم فانه سمي بها من تعددة والمذكور في هذا الحديث كله يكون اذا اقترب نزول نزول عيسى عليه الصلاة والسلام وكذا ما معه من الاشراط واليه اشار بقوله **ومن اشراط الساعة وايات تحلولها** معطوف على قوله من الحوادث والاشراط جمع شرط بفتحتين وهي العلامة والقدمة وهي والاية بمعنى وقيل هي ما ينكر ما الناس من صغار امورها وعلامات القيامة التي تكون في اخر الزمان كالدجال ودابة الارض وغيره مما هو مشهور غني عن البيان وهذا كله مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وقد فصلها القرطبي في تذكرته **وذكر النشر والحشر** الذي هو اخر الاشراط واخر الدنيا اذا نفخ في الصور والنشر للميت اذا يحيى فيقوم مما قبره من نشر الثوب اذا بسطه قال الشاعر

طويتك حتى ضوء دهرك مبر نشر كذاك حظوظ طيا ونشوا

والحشر سوق الناس الى المحشر للحساب **واخبار الابرار** بالجر اي بما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات مما ورد في الحديث من اخباره عن صلحاء امته وفجارهم واخبارهم بما يسوءهم وتقر به اعينهم واخبار غيرهم بما يسوءهم وينكيهم فاخبار بفتح الهمزة جمع خبر او بكسرها مصدر اخبر والابرار جمع بر او باب كرب وارباب وصاحب واصحاب وهو التقي الصالح **والفجار** جمع فاجر والفاسق المجاهر بالمعاصي والمعنى الله صلى الله عليه وسلم اعلم امته بما سيكون فيهم وهو كثير في الاحاديث **والجنة والنار** اي ذكر اهلها واهلها وما سيكون فيهما **وعرصات القيامة** بفتحتين تجمع عرصة بسكونها وهي كل موضع

واسع

واسع لا بنا فيه اي مما اخبر صلى الله عليه وسلم ما ورد في الحديث من بيان مواقف القيامة
وعرصاتها بصفاتها وبحسب هذا الفصل الباء زايدة كما في قولهم بحسبك درهم وهو بسكون
السين المهملة مبتدا خبره ان يكون ديوانا اي كتابا مدونا مستقلا وقد تقدم منها الديوان
ومعناه وهذا الفصل اشارة الى الفصل المعقود لاخباره صلى الله عليه وسلم بالمغيبات
وهذا عبارة عن المبالغة في كثرته كما ذكره في اوله وانه لو الف فيه تاليف مستقل دون غيره
من معجزاته لم يكن امرا غريبا مفردا عن غيره من المعجزات يشتمل ذلك الديوان المفرد له
على اجزا تتميز انواعه وافراد كل نوع بباب وحده منفردا من بينهما ثم اعتذر لعدم افراده
بالتاليف بقوله وفيما اشرنا اليه اي ما ذكره في هذا الفصل منه وهو خبر مقدم نكت من
نكت الاحاديث التي ذكرناها اي لطايف ودقايق نفيسة وقد تقدم بيان النكت مفصلا
وقوله كفاية مبتدا موخر ولو حذف قوله نكت كان احسن لانه اذا كان مبتدا
كان قوله كفاية مبتدا اخر او بدلا او صفة بتاويله بكافية وكله تكلف اي المقدار الذي
اقتصر عليه المص كاف عن افراده بالتاليف واكثرها اي النكت المذكورة في هذا
الفصل منقول في الصحيح من كتب الحديث المعتمدة وموجود عند الايمة من
علما الاثر ومشايخ المص وفي تعبيره بالاكثر اشارة الى ان فيه ما هو ضعيف او لم يثبت
كما بيناه لك في اثنا شرحه فصل في عصمة الله له صلى الله عليه وسلم من
الناس اصل معنى العصمة الامساك والشد قال الراغب الاعتصام التمسك بالشي وتعصم
استمسك لانه طلب ما يعتصم به من ركوب الفاحشة وعصمة الله للانبيا حفظه اياهم بما
خصهم من صفا الجوهر ثم بما اولاهم من الفضايل الجسيمة والنفيسة ثم بالنصرة وتثبيت
اقدامهم ثم بانزال السكينة عليهم وبحفظ قلوبهم وبالتوفيق انتهى يعني ان حقيقتها
التمسك ثم صار حقيقة في المنع عن ارتكاب المعاصي وفي الحفظ من نيل المضرة مما اعدايهم
والمراد هنا المعنى الاخير كما اشار اليه بقوله وكفايته من اذاه اي كفاية الله اياه بحفظه
عن قصد اذيته والمراد بالناس ما يشمل الانس والجن فانه ورد بهذا المعنى كما ذكروه
في تفسير المعوذتين او خصهم لانهم الذين عادوه صلى الله عليه وسلم وقصدوا اذيته
وقوله من اذاه اي من ذكر العام الذي بعد الخاص ليشملهم صريحا واستشهاده له بقوله
قال الله تعالى والله يعصمك من الناس يقتضي انه لم يقصد الاخير بحسب الظاهر وهذه
الاية وسورتها مدنية على الاشهر وقال العلامة الخيضري في الخصايص يرده ما روي
عن ابن عباس وغيره انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج بعث معه ابو
طالب من يحرسه حتى نزلت هذه الاية له يا عمر ان الله عصمني من الجن والانس فلا حاجة
لي بمن تبعثه معي وهذا يدل على انها مكية وفي مسلم عن عايشة رضي الله تعالى عنها
ارق رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقال ليلة رجلا من اصحابه بي يحرسني
الليلة فسمعت صوت السلاح فقال من هذا قال سعد بن ابي وقاص جيت لاحرسك
فنام حتى سمعنا غطيطه وروى الترمذي عن عايشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحرس حتى نزلت الاية الخ اي فهذا يدل على انها مدنية فيحتاج للجمع وكونها نزلت مرتين
بمعنيين فالناس على الاول اهل مكة على والثاني اعم خلاف الظاهر ثم قال اكثر
المفسرين ان هذا الذي كان يخشاه فعصم منه القتل لا الاعم فلا يرد عليه انه اذا عصم

لم يلبس الدرع وبيض وكسرت رباعيته وكان يحرسه مع انه قيل انه كان شريعا لاصحابه
ليأخذوا بالحزم وكسر الرباعية والبيض قيل انه لحكمة وهي كما مر ابتلاء المومنين في
المصيبة تسلية لهم عما نالهم من فقد احبابهم وليشتد غيظهم على الكفار فيشتد بطشهم بهم
انتهى واما العصمة من الذنوب فسيأتي في محله والى ما قدمناه اشار في الكشاف وما لم يفهم
كلامه اعترض عليه بما لا محصل له وقد تقدم انه صلى الله عليه وسلم سم بخيبر وقال انه
سبب موته لقوله الآن خيبر فقطعت ابهري وقالوا حكمته ان ينال اجر الشهادة ورتبتها مع
مرتبته العلية فيرد هذا على ما قالوه واجيب بان الله كفاه قتله بالسم حين اكله فلم يوثر فيه
فلما قضي اجله اثر فيه بقيته لعلو مقامه وليس لاحد صنع فيه والقول بان الشيخ وغيره
كانا قبل نزول الاية ينافيه بثبوت انها نزلت بمكة ولا مانع من ضمان الله عصمته بوحي غير
متلو بمكة وضمانه بالمتلو بالمدينة انتهى ولا يخفى ما في كلامه كما يفهم مما مر وقصة السم
غير واردة على العصمة من القتل لان المفهوم منه حفظه ان يقتله عدو له مجاهرة
بالبطش فيه بسلاح ونحوه حضوصا ولا يظهر له اثر حال اكله ولا بعده مما يطلع عليه اعداؤه
وانما كان بالسراية بعد زمان طويل ومثله لا يعد قتلا وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك
باعيننا امره بالصبر على اعباء الرسالة ومشقة تبليغ ما امر بتبليغه ثم سلاه بان الاخلاق
من احرقانه محفوظ بعين العناية من الله فاستعار العين للحفظ وجمعها جمع قلة
لانه محفوظ من جهاته الست ومن ظاهره وباطنه وهذا اظهر مما في الكشاف وما قيل انه
للمبالغة والتاكيد قال الراغب يقال فلان بعيني اي احفظه واراعيه كقولهم هو مني
بمراي ومسمع وقوله واصنع الفلك باعيننا ووحينا اي بحيث يرى ويحفظ وفيه كلام مفصل
ليس هذا محله وقال اليس الله بكاف عبده فيه اثبات الكفاية الله لعلي ابلغ وجه لانه
استفهام انكاري وهو نفي معنى ونفي النفي اثبات يعني ان عباد ي يحفظون عبيدهم
فكيف لا احفظ عبدي ولما كان العبد غير معين هنا اشار بقوله نقله عن السلف انه
قيل اذ معناه بكاف محمدا المراد بعبده لان الاضافة عهدية اعداه المشركين
وبهذا يكون ذا الاعلى المقصود ومطابقا لما قدمه وما قيل من انها نزلت لما قالوا له
صلى الله عليه وسلم اما نخاف ان تخطفك الهتنا لكونك تعيبها ليس مطابقا لهذا المقام
وقوله اعداه المشركين اياه وقيل في تفسير هذه الاية غير هذا كالقول بان هذا
المراد به تعالى تكفل بارزاق جميع عباده ويويده انه قرئ بكاف عبده بصيغة
الجمع ومما يدل على عصمة الله له قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين الهزؤ والسخرية
والتهكم على سبيل التخيل والمراد بهم نفر من قريش كانوا يوذونه صلى الله عليه وسلم
ويهزؤن به فاهلكهم الله لما اشتد اذيتهم ودعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما بينه المفسرون والمحدثون في تفسير هذه الاية وهذا نوع من حفظ الله تعالى له بتعجيل
اهلاك عدوه وقد تقدم الكلام على هذه الاية وبيان هؤلاء المستهزئين وذكر هلاكهم
والمقصود من ذكر هذه الايات الاستدلال على ما عقل له الفضل بما يدل عليه ويكذب
بعض افراده المثبت لمراده وقالوا ذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقد تقدمت هذه
الاية وبيان معناها وانما اتي بها الهم هنا استشهادا على عصمة الله له كما هو دابه
والمكر الحيلة والخداع ولا يوصف به الله الا مجازا على طريق المشاكلة وهي اشارة الى ما لاقاهم

بدار

بدار الندوة وهو مشهور غير محتاج للبيان واعلم ان الشيخ الاكبر قال في بعض رسايله ان الله
كما عصم نبينا في حياته عصم رؤياه في المنام بعد وفاته من ادعايه الشيطان التخيلي وتمثله
في صورته فطيفه كذاته معصوم من ان تدب به الاحلام وعبارته كل من يراني في المنام فتمثيله
في خيال الراي الملك او النفس لا يتمثل به عصمة لهم كما كانوا في حياتهم معصومين في
البواطن من القايه فاستحق عليهم حياة وموتا في المحل الذين كانوا معصومين فيه والروية
والنوم من عالم الباطن انتهى ثم شرع في ذكر الحديث الذي رواه الترمذي عن عايشة
فقال اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي الاندلسي المعروف بابن سكرة ووصفه
بالشهيد لانه استشهد في وقعة بالاندلس وقد تقدم الكلام عليه وترجمته والصدفي
بفتحتين سنة الصدف بفتحتين قرية بقرب قيروان بقرائتي عليه لا بالاجازة
والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري هو القاضي ابو بكر بن العربي ويقال
ابن عربي ايضا معرفا ومنكرا وبعضهم يخصه بالتعريف ويقول ابن عربي بدونها الا هو
الشيخ محيي الدين الصوفي نفعنا الله تعالى به وهذا المذكور هو محمد ابن عبد الله صاحب
التصانيف الجليلة وابوه من اكابر اصحاب ابن حزم الظاهري وابنه سمع اخذ عن الغزالي
وغيره ورحل للملاقاة الكبار والاخذ عنهم وتوفي بفاس في ربيع الاخر سنة ثلاث
واربعين وخمسمايه ونسبته لمعافر وهو اسمه بطن مهجمته وقاوره اسمه ومعيمه مفتوحة
وحكي في اسم الحي الضم واتكره ابن السكيت حي من همدان بلدة ولا ينصرف واليه تنسب الثياب
المعافرية قال اخبرنا ابو الحسن الصيرفي المبارك ابن عبد الجبار والحسين بالتصغير
وما في بعض النسخ الحسن مكبرا خطا من الناسخ وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو علي بفتح
الميم والتحتية واللام والف السنجي نسبة للمدينة المعروفة قال حدثنا ابو علي السنجي
نسبة لسنج سين مهملة مكسورة ونون فجيم وهي قرية بمرو قال حدثنا ابو العباس
المروزي وهو محمد بن احمد بن محبوب راوي الترمذي وقد تقدم قال حدثنا ابو عيسى
الحافظ ابو عيسى الترمذي صاحب السنن امام الحديث المشهور بسيرة تغني عن ذكره قال
حدثنا عبد بن حميد بلا اضافة العبد وقد تقدم قال حدثنا مسلم بن ابراهيم الازدي الفراهيدي
ابو عمرو الامام الحافظ الذي اخرج له الستة توفي سنة مايتين واثنتين وعشرين قال حدثنا
الحارث بن عبيد ابو قدامة الايادي البصري له ترجمة في الميزان عن سعيد بن الجريري
بضم الجيم وفتح الراء المشددة نسبة لجرير القبيلي كما في الكاشفة للذهبي عباد وترجمته في الميزان
عن عبد الله بن شقيق التابعي العقيلي من كبار التابعين توفي سنة ماية او ثمان ومايه
عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس بصيغة المجهول اي يحرسه
الصحابة رضي الله عنهم وفي وقت الحاجة لذلك كالليل ووقت القيلولة اذا كان خارج
بيته حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك من الناس ونزولها بالمدينة لان سورة
المايدة من اخر ما نزل وتقدم قول اخر بانها مكية لكن الصحيح خلافه وفي بعض الحواشي
على ابن عرفة انهم اختلفوا في صحة الدعا بالعصمة لقول النبي صلى الله عليه وسلم والاية
تدل على صحته فاما العصمة معقولة بالتسليط وقد كان صلى الله عليه وسلم معصوما
قبل نزولها والمراد بالناس الكفار منهم عام مخصوص وقد مانع من ابقايه على عمومه لان
من المسلمين من يتصور ايذايته له من غير قصد انتهى قلت قال الشيخ والد في الشهاب ابن حجر

في شرح الارشاد اختلف في سوال العصمة لقول مالك والشافعي في الرسالة نسالك العصمة
وكذا قول الشاذلي نسالك العصمة في الحركات والسكنات وفي الحديث اذا دخل احدكم
المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم اعصمني من الشيطان وقيل يمنع والحق
انه ان سال التوقي عن جميع المعاصي والرذايل في جميع الاحوال امتنع لانه طلب مقام النبوة
فان قصد التحصن عن افعال السوء فلا باس به انتهى وهذا كله كلام غير مهذب لان العصمة
لها معنيان احدهما الحفظ من اذية الناس والثاني حفظه في نفسه عن ارتكاب المعاصي
وكل منهما مقيد او مطلقا فان قيد فهو جايز فيهما كاللهم اعصمني من الكذب او الزمان او
اللهم احفظني من اسر الكفار واعصمني من كيد الشيطان والفجار ومطلق منهما ولا مانع منه
ايضا اذ لا مانع ان يقول اللهم اعصمني من جميع الذنوب او من جميع الناس فانه امر
مطلوب وقوله انه طلب مقام النبوة كلام رواه والذي اختصت به الانبيا عليهم الصلاة
والسلام وقوعه لهم لا طلبه فقد خلط هولا العصمتين ولم يقفوا على الفرق
بين المقامين فاعرفه فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة بالضم
وتشديد الموحدة وهي كل مرتفع من البنا او الخيمة والخبا من وقت اذا علا وليس معناه
ما هو مستدير على شكل كري كما تفهمه العامة فانه عرف طار والمراد به هنا خبا كان فيه
صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره وقيل انه بيت صغير مستدير من الخيام وبيوت العرب
ومن يحرسه من الصحابة ناس كثيرون عدهم التجاني في شرحه ولا يترتب عليه فايدة هنا
فلذا تركناه فقال لهم ايها الناس انصرفوا من حولي واتركوا حراستي فقد عصمني وحفظني
ربي عز وجل فلا حاجة لي ان يحرسني الناس وروي بصيغة المجهول انه صلى الله
عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اي اقام به زمانا اختار اصحابه شجرة يقيل تحتها
من قال يقيل قيلولة اذا نزل في وقت القايلة وهي الظهيرة وما قرب منها للاستراحة
سوا نام ام لا وان كثر فيها النوم فاتاه اعرابي هذه فصيحة اي فاختار واله في بعض
اسفاره شجرة لقيلولته فنزل تحتها وليس معه من يحرسه فاتاه الخ والاعرابي رجل
من اهل البادية تقدم بيانه فاخترط سيفه اي سله واخرجه من قرابه ليضربه به وضمير
سيفه اما للاعرابي فمعناه سل سيفا كان معه او للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان سيفه
معلقا بالشجرة فلما هجم عليه الاعرابي اخذه وهو صريح ما ياتي في لفظ رواية الصحيحين
واصل معنى الاختراط ازالة ما على القضيب من ورق او قشر فشبه ازالة غمده بذلك
او هو من اختراطه اذا اخرجه من خريطته يجعل الغمد كالخريطة ثم قال الاعرابي بعد
اختراطه له صلى الله عليه وسلم من يمنعك مني الاستفهام انكاري بمعنى
النفي اي لا يمنعك مني احد لاني دخلت علي حين غفلة وليس معك احد وعطف بثم
والظاهر الفا اذ لا مهلة هنا فاما ان تكون تربص لينتظر ما يصنع او كان اتاه من خلفه
واستعمل ثم بمعنى الفا وهو كثير فقال الله اي يمنعني الله او الله منعني وحماني
فارتعدت يد الاعرابي وقع في بعض النسخ بالهمزة المضمومة مبني للمجهول اي اصابته
رعدة بكسر الرا وفتحها وهي اهتزاز اليد واضطرابها من غير قصد لشدة الخوف وقال
التلمساني انه الصواب يعني لا رعدت الثلاثي وهو خطا منه فان الذي صححه البرهان انه
رعدت ثلاثي مبني للمفعول وتبعه الشمني وغيره وقالوا انه من الافعال التي لم يسمع

فيها

فيها الا المجهول نحو جن وهو الموافق للرواية واللغة وسقط سيفه من يده لشدة ارتعاده
من خوفه وضرب ذلك الاعرابي براسه الشجرة لما اعتراه من ذهاب عقله فلم يزل ينطحها
حتى تكسر عظم راسه وسال دماغه لما كسر فخفه الذي كان فيه الدماغ فنزلت الاية المذكورة
والله يعصمك من الناس الخ وسيلان دماغه لانه كالدهن فلما انكسر راسه سال منها وليس فيه
توهم حذف لتذهب النفس كل مذهب ممكن اي سال دما او نحوه وهذا الحديث بهذا اللفظ
قالوا لم يوجد في الكتب المعتبرة عند اهل الاثر ولم يذكروه في اسباب النزول واليه اشارة
ما بقوله وقد رويت هذه القصة معنى قصة الاعرابي في الصحيح اي في الحديث الصحيح او في
صحيح البخاري وان غورث بن الحارث وفي نسخة غويرث بالتصغير وغويرث بغين معجمة
مضمومة وواو وراء ساكنة مهملة مفتوحة في الكبر ومثلثة صاحب هذه القصة وان النبي
صلى الله عليه وسلم عفا عنه وهذا يخالف ما قبله في تلك الرواية من انه ضرب براسه
الشجرة الخ اذ صريحها انه هلك بذلك السبب فياتي العفو عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم
من عند خير الناس لما راه من حلمه وعفوه عنه مع قدرته عليه وهذا الحديث رواه البخاري
ومسلم عن جابر رضي الله تعالى عنه قال غزونا قبل نجد مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما قفلنا ادركتنا قايلة في واد كثير العضاة فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتفرق الناس يستظلون بالشجر ورسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة علق بها سيفه
ونمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا وعنده اعرابي فقال ان هذا
اخترط سيفي وانا نايم فاستيقظت وهو في يده مصلتا فقال من يمنعك مني فقلت الله
عز وجل ثلاثا ولم يعاقبه وروي انه شام السيف اي اغمده وفي سيرة ابن سيد الناس ان
غورث رجل من محارب قال لقومه الا اقتل لكم محمدا افتك به فاقبل اليه وسيفه في
حجره فقال يا محمد اعطني سيفك انظر اليه فاعطاه له فاستله وجعل يهزه ويهم به فمنعه
الله فقال يا محمد اما تخافني وفي يدي السيف قال لا يمنعني الله منك فرد السيف فانزل الله
تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم الاية وروي ان السيف سقط من يده
فاخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له من يمنعك مني فقال له كن خير اخذ
واسلم فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وقد حكي مثل هذه الحكاية
وفي كثير من النسخ حكيت مثل هذه الحكاية بتا التانيث لان المضاف يكتسب التانيث من المضاف اليه

لقوله

كما شرقت صدر القناة من الدم وهو كثير وجعله صفة
مونث مقدر اي حكاية مثل هذه الخ كما قيل تكلف لا حاجة اليه وفي بعض النسخ
وقد حكيت هذه الحكاية وهي ظاهرة بحسب اللفظ والاولى اظهر بحسب المعنى وانها جرت
له صلى الله عليه وسلم اي وقعت يوم بدر اي وقعة بدر يقال جرى لنا كذا اي وقع
وهو مجاز من الجري فاستعير لما ذكر ثم صار حقيقة عرفية فيه وقوله وقد انفرد من
اصحابه جملة حالية من ضمير له اي منفردا عنهم لقضاء حاجته كناية عن البراز مشوق
فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثل بالنصب مفعول ذكر ومماثلته له في سل سيفه وقوله
من يمنعك ونحوه مما ذكر قبيله وهذا الرجل لا يعرف كما قاله البرهان والحديث لم يخرج
ايضا وقد روي رواه ابن اسحاق في سيرته عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما انه وقع

ﷺ صلي الله عليه وسلم **مثلها** اي مثل هذه الحكاية والواقعة **في غزوة غطفانا** بفتح معجمة وطاء مهملة مفتوحتين وهي قبيلة مشهورة غزاها النبي صلي الله عليه وسلم ~ في سرية بخوار بهماية وخمسين فارسا في ربيع الاول بعد خمسة اشهر من الهجرة **بذي امر** بهمزة وميم مفتوحتين وراء مهملة وهو اسم مكان ويسمي غزوة غطفان وغزوة انمار وغزوة ذي امر وانما اسم ذلك المكان ايضا **مع رجل** متعلق بوضع **اسمه دعثور** بضم الدال وسكون العين المهملتين ومثلثة وواو وراء ساكنة مهملة وهو علم بزنة بهلول ~ منقول مما اسم للحوض الصغير **ابي الحارث** وهو رجل من بني محارب وتقدم ان عورث بن الحارث وقال ابن سيد الناس في غزوة ذات الرقاع ان الحبرين والرجلين واحد وكان جمع بهما ثعلبة ومحارب للاغارة علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج لحربه واستخلف علي المدينة عثمان بن عفان فهربوا في رؤس الجبال ~ وكان قبل ذلك يدعي انه يهجم علي رسول الله صلي الله عليه وسلم في غرته وتقتله فكان منه هذه القصة وروي **ان الرجل اسلم فلما رجع الي قومه الذين اغزوه به** اي حرضوه علي القتل برسول الله صلي الله عليه وسلم فعصمه الله منه **وكان ذلك الرجل سيدهم واخشمهم** جملة معترضة بين لما وجوابها بيان لسبب اعمائهم له واقدامه علي ذلك **قالوا له** جواب لما **اي ما كنت تقول** انكار عليه لما هرب وقد كان يقول اني اقتل محمدا **وقد امكنك** فاعله ضمير مستتر يرجع لما وامكنه الامر اذا لم يمنعه مانع فصار ممكنا له ويجوز ان يكون ذلك للنبي صلي الله عليه وسلم لعلمه من السياق اي تمكنت منه لمحاولته له وحده ومعه سيف مسلول في يده **فقال اني نظرت الي رجل ~ ابيض طويل** حال بيني وبينه **ودفع في صدري فوقع لظهري** اي وقعت علي ظهري لشدة دفعه وقوته **وسقط السيف الذي كان بيدي من يدي فعرفت انه** اي الرجل الذي دفعني **ملك** لانه لم يكن ثمة احد حين هجمت عليه ولا قوة دفعه ومهابته ليست مما عهدته **واسلمت** لما شاهدته مما يدل علي نبوته قال ابن اسحاق اصابه صلي الله عليه وسلم في بعض اسفاره مطر فنزع ثوبه ونشره علي شجرة ليجف واضطجع تحته فقالوا له عثور انفرد محمد فعليك به فاقبل بسيفه حتي قام علي راسه وقال من يمنعك مني فقال الله فتمثل له جبريل عليه الصلاة والسلام ودفع في صدره فوقع سيفه فاخذه رسول الله صلي الله عليه وسلم وقال له من يمنعك مني فقال لا احد وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ورجع لقومه ودعاهم للاسلام **قيل وفيه** اي في هذا الرجل وقصته **نزلت** هذه الاية **يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم الاية** وفي سبب نزولها هذه الاية قولان احدهما نزلت بعسفان لما شرعت صلاة الخوف وقيل في بني قريظة وقيل في بني النضير كما سياتي **وفي رواية الخطابي** وهو حمد بن محمد بن ابراهيم الامام الجليل في العلوم الشرعية ينسب لجده الخطاب وقيل لزيد بن الخطاب اخي امير المؤمنين عمر رضي الله تعالي عنهما وتاليفه جليلة مشهورة كالكتاب الاذكار وشرح السنن وغيره **ان غورث بن الحارث المحاربي** منسوب لمحارب القبيلة المشهورة وفي نسخة عويرث بالتصغير كما تقدم وقد مر ان ابن سيد الناس قال في غزوة ذات الرقاع في دعثور بن الحارث ان المذكور في غزوة ذي امر من الخبر يشبه هذا الخبر فالظاهر ان الخبرين واحد

وقال

وقال الذهبي في التجريد دعثور بن الحارث الغطفاني الاشبه انه غورث وقال البرهان
انه ضيب عليه فهو عنده غلط وفي هامش نسخته من الشفا عوض دعثور غويرث وعليها
علامة نسخة وصححت ايضا انتهى وهو كلام مضطرب يحتاج للتحرير اراد ان يفتك بالنبي
صلى الله عليه وسلم يفتك مثلث التاء من الفتك وهو الهجوم من حيث لا يشعر به على امر
عظيم فيه مخاطرة ويطلق ويراد به القتل مطلقا وقتل الفتك الفتك مجاهرة فلم يشعر به
اي لم يعلمه ويحسر به في حال من الاحوال الا وهو قايم على راسه المراد بقيامه على راسه
وقوفه خلفه متصلا به منتضيا بضاد معجمة ومثناة تحتية او مجردا وسلا سيفه
ليضربه به فلما راه قال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيه بما شيت الضمير لغورث وبما
شيت ما موصولة عايدها مقدر اي بالامر والسبب الذي شئته وارادته والمراد تفويض امر
كفايته الى الله وتسليم امره له كما ورد اللهم اكفنا السوء بما شيت وكيف شيت وهو اقرب الى
الاجابة من تعيين ما يدفعه عنه و حقب قوله من غير مهلة انكب لوجهه اللام بمعنى على اي
سقط على وجهه يقال كبه فاكب وانكب اذا وقع وثلاثيه منفذ ومزيده لازم على خلاف
القياس واللام بمعنى على كما في قوله
فخر صريعا لليدين وللفم وقوله من زلخة متعلق باكب والزلخة بضم الزاي المعجمة وفتح
اللام المشددة وخا معجمة وتا كقبرة وروى بعضهم تخفيف لام زلخة زلخها بضم الزاي
وتشديد اللام المكسورة وحا مكسورة معجمة وها ضمير للزلخة وقراه بعضهم بالجيم
وهو غلط كما قاله الخطابي وهو ماض مجهول متعد لمفعولين من باب اعطا وفاعله الله
والمراد اوجدها الله حين سل السيف وقوله بين كتفيه لا ينافي تفسير الزلخة المذكور فان
ما بين كتفيه من اعلى الظهر فهو تاسيس واشارة لعلة سقوط سيفه فانه اذا امتد
للكتفين ضعفت اليد عن حمله وندر سيفه من يده اي من داخل قبضة كفه واصابعه وندر
بنون ودال مهملة مفتوحتين ورا مهملة اي سقط يقال ندر اذا خرج وسقط من
جوف او من بين اشيا والزلخة وجع الظهر فيمنع الانسان من الحركة من الزلخ وهو الزلل
ويقال لزحلوفة تلعب بها الصبيان وقيل اي قال غير الخطابي في قصته اي قصة
غورث غير هذا المذكور من ارادته الفتك فانه روي انه جمع ناسا للاغارة على
المسلمين فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم هربوا في رؤس الجبال كما مر
وان الامر والشان فضميره مقدر فيه اي في غورث نزلت اية يايها الذين امنوا اذكروا
نعمة الله عليكم اذ هم قوم الاية وقيل كان صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الاية
وهي يايها الذين امنوا الخ وقوله والله يعصمك من الناس استلقى اي نام صلى الله
عليه وسلم واضعا ظهره على الارض لامنه اعداه واطمينان قلبه ثم قال من شا فليخذلني
بخا وذال مضمومة معجمتين والخذلان ترك النصرة واللام للامر وظاهره غير مراد فانه
انشا بمعنى الخبر اي غني عن المعين والحرس لان الله حماني وضمن لي ان لا يضرني
احد يصل الي ولذا استلقى على ظهره واظهرنيه الامن والمتبري من حوله وقوته
اعتمادا على وعد الله وحكاه بقيل لانه يقتضي ان هذه الاية مكية لان خوفه من قريش
انما كان بمكة وسورة المايدة كلها مدنية على الصحيح وتكرر النزول بعيد كما تقدم
وذكر عبد بن حميد الحافظ المشهور وقد تقدم بيانه وهذا رواه ابن جرير في

في تفسيره مرسلا قال كانت حمالة الحطب وهي ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان ذا برع حرب زوجته ابي لهب سميت حمالة لانها كانت تضع الفضاة بفتحا وضاد معجمتين واحرة الفضا وهو شجر له شوك اذا اوقد كانا شد لهيبا الاحتراق فلذا قالوا نار الفضا للنار القوية وقوله وهي جمر يحتمل ان يكون تفسيرا للفضا لانه يطلق على ناره كما يطلق على محله قال

فسقى الفضا والساكنيه واداهم ... سبوة بين جوانحي وضلوعي

وان يكون حالا من الفضا وجمر بمعنى متوقدة اي تضعه حالة كونه جمرا على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومره من بينه للحرم وغيره تقصد بذلك ان يمشي عليه فيوذيه ويوثر في قدمه وقد قيل في تسميتها حمالة الحطب وجوه اخر مذكورة في التفاسير منها انه على ظاهره ومنها انه عبارة عن التشبيه وحمل الوزاد فكانت صلى الله عليه وسلم وفي نسخة فكانا بزيادة ما يطوها اي يضع قدمه على تلك الفضاة وهو حاف او يفعل بوثر مثلها فيه فيجدها الينبا بالمثلثة ومثناة تحتية وموحدة وهو ما اجتمع من الرمل اهيل مبني للمجهول يقال هال الرمل اذا اساله ولم يجمعه كالربوة والمشي عليه حينئذ اسهل والين اي يجده صلى الله عليه وسلم سهلا لا يوازيه كما كانت قاد الخليل عليه الصلاة والسلام قال ابن مقبل يمشي هيل التفال تنت جوانبه ... مشي الهضاب ويتهاه الذري حينا وذكر ابن اسحاق امام اهل السير وهو محمد بن اسحاق بن يسار الامام الثقة الصدوق وان طعن فيه بعضهم وترجمته مفصلة في الميزان وغيره انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بيان لما وهو ما في السورة اثنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر بكسر الفا وسكون الهاء وبدال مهملة وهو حجر ملء الكف او هو الحجر مطلقا وهو في قوله من حجارة بيان للفهر فلما وقفت عليهما اي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها اي قبض وحبس نظرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم اي عن رويته وهو جالس عنده فاخفاه الله تعالى عصمة له صلى الله عليه وسلم عن اذيتها وهذا يقتضي ان عصمته صلى الله عليه وسلم كانت ثابتة قبل الهجرة كما تقدم فقالت يا ابا بكر اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني اي يذمني على ان الهجو لا يختص بالشر حقيقة او مجازا او هو منها لتوهمها ان شاعرا كما ادعاه غيرها يتردد بذم ما نزل في حقها في سورة تبت والله لو وجدته لضربته بهذا الفهر فاه حصته لانه محل النطق بذمها فرجعت حاشيته وهذا رواه البيهقي وغيره عن اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما كما رواه ابن اسحاق وروى ابو نعيم في الدلايل والطبراني بسند جيد عن الحكم بن ابي العاص والد مروان وهو ممن اسلم عام الفتح وتوفي في خلافة عثمان وفي الصحابة من وافقه في اسمه واسم ابيه ولكن المشهور هو هذا المتميز بالم تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم اي توا عدهو وبعض الكفرة على قتله صلى الله عليه وسلم والفتك به في بعض الليالي وخرجنا في الميعاد فتوقفنا ثم قيل حتى اذا اياسه

ابن الماقرب

اي لما قرب منا وابصرنا بحيث تمكنا منه سمعنا صوتا اي صيحة عظيمة خلفنا اي من
خلفنا ما ظننا انه لم يبق بتهامة احد ما يحتمل ان تكون زايدة اما كان التقدير انه لم يبق
احد بتهامة الا وقد هلك بتلك الصيحة وان تكون نافية اذا اريد ان جميع اهل تهامة
صاحوا علينا صيحة واحدة وقد لحقونا ليقتلونا فالمعنى اننا تيقنا وجودهم خلفنا ليقتلونا
والمعنيان متقاربان والمال واحد ولهم هنا كلام لم يفصح بالمراد وتهامة بكسر التا معناها ارض
منخفضة يقابلها نجد من التهم وهو الانخفاض او شدة الحر والريح او لتغير هواها لهم الدهر
اذ تغير وهي ارض معينة وراء مكة من المغرب مما ذات عرق الى البحر والمدينة لا تهامة
ولا نجدية فوقعنا معتنا علينا من هول تلك الصفقة والغشي كالاغما ذهاب العقل
مع سقوط القوى فما افقنا من ذلك الغشي حتى قضى صلاته اي فرغ منها واتمها
ومضى الى اهله اي رجع صلى الله عليه وسلم من صلاته بالمسجد الحرام الى منزله ليلا ولم نظفر
منه بشي اردناه ثم تواعدنا على ما قصدناه وان نعود لذلك ليلة اخرى فجينا حتى
اذا رايناه بقربنا وهو مار للمسجد ليصلي به كما في المرة الاولى جات الصفا والمروة
هما ربوتان مرتفعتان في محل سعي الحاج معروفتان والمراد بمجيئهما تحريكهما من
مكانهما حتى كانا بينهم وبينه صلى الله عليه وسلم كما بينه لقوله فجات اي الصفا والمروة
بيننا وبينه فمنعنا من الوصول اليه لعصمة الله تعالى له والصفا كالمروة موتة باعتبار
البقعة والربوة وافرد ضميرهما وكان الظاهر فجالتا لتاويله بحالت كل واحدة منهما
وفي هذا معجزات له صلى الله عليه وسلم ظاهرة وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
تواعدت انا اكد ضميره ليعطف عليه قوله وابو جهم بن حذيفة واسمه عامر ابو عبيد
بن حذيفة بن غانم بن عامر العدوي اسلم عام الفتح وصحبه صلى الله عليه وسلم
وكان معظما في قريش توفي في ايام معاوية وترجمته معروفة وهو صاحب الانبجانية
ليلة منصوب على الظرفية منون قتل رسول الله عليه وسلم منصوب على انه مفعول
له او بنزع الخافض او على قتله لقتله او بمقدر اي واضمرنا قتله ونحوه فجينا منزله
ليلا خفية فسمعنا اليه وفي نسخة له وفي نسخة فتسمعنا اي اطلنا السماع وفي نسخة
لا تكلفنا كما قيل وعداه بالحرف لصفته يعني اصغينا لقراته حتى يسمعها وهو يقرو
في صلاة الليل فافتتح ابتدا قراته وقرا الحاقة ما الحاقة ما الحاقة حتى انتهى الى
قوله فهل ترى لهم من باقية يعني من قوله كذبت ثمود وعاد بالقارعة فاما ثمود
فاهلكوا بالطاغية واما عاد فاهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية
ايام حسوما فترى القوم فيها صرعى كانهم اعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية والمراد
بالحاقة ما حق وقوعه بهم من المداهنة او الساعة التي وقعت فيها من حق بمعنى وجب
وثبت وقوله وما ادراك ما الحاقة تهويل وتعظيم لها والطاغية الداهية المتجاوزة
الحد وهي الصيحة او الرجفة وغايته شديدة العتو والطغيان والحسوم ايام نحسة من
صبيحة يوم الاربعا الى اربعا اخر الشهر وقوله فهل ترى لهم من باقية استفهام بمعنى
النفي اي ما ترى لهم بقية او بقا على انه مصدر بزنة فاعلة وهو قليل في كلامهم او نفسا
باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر وقال لعمر انج اي قم لتنج من وقوع الهلاك بك خوفا
من ان يحل بهما ما حل بثمود وعاد لانهما كانا مكذبين له كما كذب اولئك رسلهم وفر اهل بيتي

اي قاما من محلهما مسرعين جادين في الهرب لخوفهما مما ذكر وهو كقوله فتبسم ضاحكا
فهاربين حال موكدة وعلى الاول هو تجريد نحوي **فكان** اي ما ذكر من هذه القضية
من مقدمات اسلام عمر لتاثيرها في قلبه فاسلم بعدها بمدة يسيرة وهذا الحديث لم
يوجد بهذا اللفظ الا انه في مسند احمد بما يقرب منه وهو ان عمر رضي الله تعالى قال خرجت
ليلة لاتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان اسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد
فقمت خلفه فاستفتح الحاقة فجلست اعجب من تاليف القران وقلت والله ما هو بشاعر
كما قالت قريش فقرا انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تذكرون تومنون فقلت هو
هو كاهن فقرا ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين الخ فوقع الاسلام
في قلبي كل موقع وليس فيه انه صحب اباجهم وفي التعبير بمن التبعيضية اشارة الى ان له
مقدمات اخر الى ان اسلم لما سمع سورة طه في بيت اخته في قصته المشهورة **ومنه** اي مما
يشهد لان الله تعالى عصمه صلى الله عليه وسلم من اعدائه **العبرة المشهورة** بكسر
العين وسكون الموحدة وهو الامر العجيب الذي يعتريه ويتعظ من الاعتبار والعبرة هي
الحالة التي يتوصل بها من معرفة الشاهد الى الغايب من العبور ومنه العبارة واشار
بقوله المشهورة الى انها ثابتة مشهورة بين المحدثين غير محتاجة الى النقل من معين
والكفاية التامة اي كون الله عصمه وصانه صيانة تامة ليست لكفاية غيره كما قال يا ايها
النبي حسبك الله **عند ما اخافته قريش** تفعل من الخوف وهو توقع المكروه يقال خوفه
واخافه اذا فعل او قال ما يدل على انه يهم بايقاع المكروه به وفسره بقوله **واجتمعت
على قتله** اي اتفقوا على ذلك الا قليل منهم لقلتهم لم يعدو **وبيتوه** اي قصدوا قتله
وايقاعه ليلا في خفية قال الراغب التبييت قصد العدو ليلا ويقال لكل فعل دبر بالليل
يبيت قال تعالى اذ يبيتون ما لا يرضى من القول وعلى هذا حديث لا صيام لمن لم يبيت
الصيام من الليل وبات موضوعة لما يفعل بالليل كظل لما يفعل بالنهار انتهى ويقال
هذا امر بيت بليل اي دبر فعله ليلا لتوقع عليه على غيره **فخرج عليهم صلى الله عليه
وسلم من بيته** وهم لا يشعرون كما رواه ابن اسحاق والبيهقي **فقام على روسهم** اي وقف
عندهم وهم نيام **وقد ضرب الله على ابصارهم** اي لم يحسوا به وبروه لاستغراقهم بالنوم
وحجب عيونهم عنه وقد كانوا احاطوا ببيته ليقتلوه عليه الصلاة والسلام **وذر** بذال
معجمة وراء مهملة مشددة اي نثر **التراب على روسهم** اهانة لهم **وخلص منهم** اي نجا
مما دبروه وهموا به واصل ذلك كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان قريشا حين
اسلم الانصار رضي الله تعالى عنهم خافوا ان يتفاقم امره عليه الصلاة والسلام عليهم
فاجتمع كبارهم في دار الندوة واتفقوا على قتله وبيتوه فخرج عليهم وفعل ما ذكر
وذهب الى الغار مهاجرا الى الله كما فصل في السير وذكر فيها هولاء الذين اجتمعوا
وبيتوا باسمايهم وانهم نحو ماية وانه صلى الله عليه وسلم خرج من ظهر البيت
وطاطات له جارية اسمها مارية خادمته حتى تسور الجدار الذي من ظهر البيت
وحمايته اي حماية الله له صلى الله عليه وسلم منهم وحفظه بعصمته من اعدايه ومنعهم
عن رويتهم اياه وابا بكر وهما **في الغار** اي غار ثور وثور اسم جبل بمنة مكة والغار كالغار
نقرة في الجبل كالبيت وسمي بثور بن عبد مناة لنزوله به ويقال له ثور المحل وهو اسم

جبل

حيل اخر خلق احد **هيأ الله** اي بما اعده ويسره له والجار متعلق بحمايته والباء للسببية العادية **من الايات** بيانية اي المعجزات والعلامات الدالة على نبوته وصدقه وعصمته **ومن العنكبوت** **الذي نسج عليه** نسج سترين في طرفة عين والعنكبوت دويبة معروفة تذكر وتؤنث وتجمع خيوطه دقيقة تتدها في الهواء لصيد الذباب وانما يكون ذلك في مكان خال لا يمس به شيء **حتى قالت امية بما خلق** احد صنا ديد قريش وقد تقدم انه مات كافرا بسرف وهو اسم موضع معروف **حين قالوا** اي كفرة قريش لما قصوا اثره صلى الله عليه وسلم وانتهوا الى فم ذلك الغار **فدخل الغار** لنفسه لاحتمال انه يختفي به **ما اريكم** بفتح الهمزة والراء المهملة والموحدة ويجوز كسر الهمزة وتسكين الراء وهو الحاجة المطلوبة وما استفهامية او نافية اي ليس لكم مطلوب وهو محمد صلى الله عليه وسلم ولا حاجة **فيه** اي في الغار **وعليه** اي على فم الغار ومدخله ودوي بالاريكم من المرية اي ما اوقفكم في الشك فيما لا شك فيه **من نسج العنكبوت ما ارى** بضم الهمزة وفتحها اي اظن واعتقد **انه** قديم **قبل ما يولد محمد** اي قبل وجوده وولادته لان مثله لا يكون الا في مدة طويلة وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم

كما قيل

القتني في الظلم فاذا احرقتني ... فيتقي اني لست بالكي اقوت

جمع النسج كل من حاك لكن ... ليس داود فيه كالعنكبوت

وقال الابوصيري رحمه الله تعالى

وقاية الله اغنت عن مضاعفة ... من الدروع وعن عال من الاطم

ووقعت حمامتان ذكر وانثى على عشر فيه بيض لهما ومثله لا يكون الا في **محل** من الناس ووقعت بالفاء وروي بالعين المهملة من وقوع الطير وهو نزوله **محل** **على فم الغار** اي مدخله **فقال قريش لو كان فيه** اي في الغار **احد لما كان ذا هنا الحمام** لما عرفته انفا وفي نسخة هناك باللام وهو اسم اشارة للمكان وقمة الحمام كما رواه البزار مسندا وغيره اذ الله امر العنكبوت فنسجت على فم الغار وارسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجهه فصد به المشركين عنه وحمام مكة من نسلهما وفي المواهب ان الحمامتين باضتا في اسفل فم الغار ونسج العنكبوت عليه فقالوا لو دخله لكسر البيض وذاك النسج ودوي ايضا كما تقدم ان الله بث في فمه شجرة صغيرة تسمى شجر الراك وهي شجرة مقدار القامة لها زهر وشيء كالقطن يجتنى به الوسايد كما امر امرها الله باذ نبت لستر هما لما اقبل فتيان من قريش باسلحتهم حتى اتوا الغار فلما رأوا ما به من الامور المذكورة رجعوا وقال ابو بكر لو نظر احدهم الي قدميه رانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقد قضى الفاقة ان هما فانتهى للغار فلما راهم ابو بكر اشتد حزنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انا قتلت انا فانما انا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الامة فقال له لا تحزن ان الله معنا فانظر قوله لا تحزن رد وبالاخفى فانا فيه اشارة الى انه لم يخف على نفسه وانما حزن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته لانه احب اليه من نفسه وكل شيء ولسع ابو بكر في هذه الليلة عشر مرات فمن ريق نوبه وجعله في الشقوق التي في الغار وسد بعضها بقدمه انفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقام في الغار ثلاثة ايام ثم خرج منه فلما تيه سراقة ولذلك ذكر الامم قصته عقب

ذلك بقوله وقصته صلى الله عليه وسلم اي ومما يدل على عصمة الله له وحمايته سيرته الواقعة
له مع سراقة بن مالك بن جعشم بضم الجيم والشين وروي فتح شينه ايضا وفي بعض النسخ بجعم
بتقديم الشين كما في المقتفى وفيه نظر وقصته في الصحيحين وهي مشهورة فانهم كما ذكره المص جعلوا
لكل من دل عليه صلى الله عليه وسلم جعلا عظيما فلما خرج من الغار راه سراقة وكان ينزل بقديد
بين مكة والمدينة وهو من جملة من توجه اليه لطلبه فركب فرسه ليدركه فلما دنا منه صلى الله
عليه وسلم جعلا عظيما فلما خرج من الغار راه سراقة وكان ينزل بقديد بين مكة والمدينة وهو
من جملة من توجه اليه لطلبه فركب فرسه ليدركه فلما دنا منه صلى الله عليه وسلم ساخت
قوايم فرسه الى ابطها في الارض لدعائه عليه كما ياتي بقوله اللهم اكفنا سراقة ثم ان الله
هداه للاسلام فاسلم في مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من حنين فهو صحابي مدلجي حجازي
كناني وهو الذي اخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بلبس سواري كسرى لما راى ذراعيه
رقيقتين اشعرين في حديثه المشهور المتقدم وقوله حين الهجرة اي في وقت هجرته من مكة
الى المدينة وذكر ابن سعد ان سراقة عار منهم يوم الثلاثا بقديد والهجرة ترك الوطن من
الهجر وهو بكسر الهاء وفتحها وقد تضم وقد جعلت قريش حملا حالية وجعلت من الجعل
وهو ما يعطى في مقابلة عمل ما فيه اي في شان رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخبار به
وفي ابي بكر لانه كان رضي الله تعالى عنه معه كما علمت الجعايل جمع جعيلة وهي كالجعالة بمعنى
والجعالة مثلثة الجيم ويقال الجعال ككتاب وجعل بزنة قمل ومعناه تقدم وتلك الجعالة
كما قاله السهيلي كانت ماية ناقة اي حمرا كما قاله الماوردي في الاعلام وانذر به بالبناء
للمجهول اي اعلم سراقة بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال انذرته بكذا بنون ومعجمة اي اعلمته
ويكون الانذار بمعنى التخويف ايضا وكيفية الاعلام مشهورة في السير ايضا وحاصلها ان رجلا
اتى سراقة وقال له اني رايت اسودة بالساحل اظنهم محمدا واصحابه فقال بعد ما عرف
انهم هم ليسوا هولا ثم اخرج بعد ذلك فرسه وذهب خلفهم فكان ما ذكره المص بقوله
فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوايم
فرسه اي غاصت في الارض ودخلت فيها حتى كادت تبتلعها وتنخسف من تحتها يقال ساخ
يسوخ ويسيخ بسين مهملة وخا معجمة في اخره بمعنى غاص ودخل وبمعنى الخسف فيقال ساخ
الفرس وساخت الارض وهما بمعنى واحد يختلف باختلاف المسند اليه وهذا مما اتفقت عليه
كلمة اهل اللغة وفي القاموس ساخت قوايمه تاخت والشي رسب والارض بهم سيوخا انتهى
وتاخت في تفسيره بثا مثلثة بمعنى غاصت كما ذكره في فصله وقد تحرف على الشارح الجديد
فتوهم انه ناخت بنون بمعنى بركت فقال لا ينبغي هذا والذي ينبغي ان يفسره بغاصت
وهو غلط فاحش منه وقوايم الفرس رجلاها ويداها فخر عنها اي سقط من فوق ورمى
نفسه عنها خوفا من ان تخسف به الارض فيهلك لدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه لما لحقه مر وضمير عنها للفرس لانها تذكر وتونث ويقع على الذكر والانثى وقد قيل
انها كانت انثى تسمى العمود وقد نقل بعض اهل السير ان الصديق رضي الله تعالى عنه له
قصيدة قص فيها هذه القصة منها

حتى اذا قلت قد انجدن عارضها من مدلج قابس في منصب وارى

يروي

يروي به مشرف الاقطار معتزم ۞ كالسيد ذي اللبدة المستاسد الضاري
فقال كروا فقلنا ان كرتنا ۞ من دونها لك نصر الخالق الباري
ان تخسف الارض بالاحوي وفارسه ۞ فانظر الي اربع في الارض غوار
فهيل لما راي ارساخ مهرته ۞ قد سخن في الارض لم يحفر بحفار
فقال هل لكم ان تطلقوا فرسي ۞ وتاخذوا موثقي في نصح اسراري

واستسقم بالازلام جمع زلم بفتحتين وبضم وفتح بزنة عمر وهي قداح اي سهام لا ريش لها ولا نصل كانوا في الجاهلية يكتبون علي بعضها افعل وعلي بعضها لا افعل ويضعونها في متاعهم اذا سافروا فاذا عرض لهم مهم اخرجوا منها زلما يتفالون به فيفعلون او يتركون وهو معني الاستقسام اي اطلب ما قسم وقدر له وقيل كان يكتب علي بعضها امرني ربي وعلي بعضها نهاني ربي وبعضها عقل اي حال من الكتابة فاخر فاذا خرج غير العقل عملوا به وان خرج العقل اعادوا حتي يخرج غيره ويسمون ذلك استقساما ولهم ازلام اخر اي سهام كانت في الكعبة مكتوب عليها النوازل وهي التي استقسم بها عبد المطلب علي ذبح ولده وكذا كان عند كتانهم ولهم مثلها اقداح الميسر السبعة التي كانوا يتقامرون بها وقيل الازلام حصي صغار يتفال بها والصحيح الاول فخرج له اي لسراقة ما يكره اي ما لم يرده لانه اتي ليرده صلي الله عليه وسلم وابا بكر وياخذ من قريش الجعل المتقدم فخرج له صلي الله عليه وسلم لا تفعل فلم ينته ثم ركب فرسه ثانيا بعد سقط عنها وساخت قوايمها ودنا اي قرب من رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو ساير يقرو حتي اذا سمع قراة النبي صلي الله عليه وسلم وهو لا يلتفت له لعدم مبالاته ولاعتماده علي ربه وكان ابو بكر يلتفت وراه لخوفه علي رسول الله صلي الله عليه وسلم او ليري ما يصدر من سراقة وخوفه لشدة حبه وان كان قال له في الغار لا تحزن ان الله معنا لانه قد يتوهم انه مخصوص بذلك الوقت فتدبر فقال ابو بكر له صلي الله عليه وسلم اتينا بالبنا للمجهول اي اتانا العدو وادركنا من يطلبنا منهم فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تحزن وتخف ممن اتانا ان الله معنا اي مصاحبا لنا بتاييده ونصره وحفظه وعصمته لنا من جميع الاعدا فلا تخف ممن لحقنا منهم ولذا لم يلتفت النبي صلي الله عليه وسلم لتمكنه وشدة ثقته وحزن ابي بكر رضي الله عنه لخوفه وشفقته علي رسول الله صلي الله عليه وسلم كما مر وليس بمعصية لنهي النبي صلي الله عليه وسلم عنه لانه امر طبيعي ولا نسيانا لقوله له في الغار فان المحب طنين وضنين بمحبوبه لا سيما هذا الرسول العظيم وليس هنا ما يحتاج لجر ذيل البيان فانه تطويل بغير طايل فساخت قوايم فرس سراقة مرة ثانية بعد المرة الاولي الي ركبتها تثنية ركبة وهي ما بنا من يديها ورجليها وخر عنها اي وقع وسقط عن فرسه لما ساخت وانكبت علي وجهها وزجرها اي صاح عليها فنهضت اي ماتت وخلصت قوايمها من الارض ولقوايمها مثل الدخان اي غبار مرتفع في الجو لانه دخان كما ورد التصريح به في السير قال ابن سيد الناس ولقوايمها عنان مثل الدخان والعنان بضم العين المهملة ومثله هو الغبار هنا ويكون بمعني الدخان والدخان بضم الدال وتخفيف الخا وقد تشدد ويقال دخ ودخن والكل بمعني وفي رواية ولقوايمها دخان وهو استعار للغبار فناداهم اي نادي سراقة رسول

الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعامر بن فهيرة رفيقهما **بالامان** اي رفع صوته به قايلا لهم
الامان الامان كما يفعله الناس والمراد تامينهم منه وانهم لا يلحقهم منه ضرر وخوف باخباره
الاعدا او طلب منهم والمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطوه امانا فلا يلحقه ضرر
لخوفه منه ومن دعائه عليه وقد ورد التصريح بالامانين في سيرة بن اسحاق والى الثاني اشار
بقوله **فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا** اي امر بكتابته له فالاسناد مجازي لقوله
كتبه اي كتاب الامان وهو رقعة بن ادم او خرقة ثم القاه الي فاخذته ثم جعلته في
كنانتي ثم رجعت **ابن فهيرة** مصغر فهرة وهو عامر بن فهيرة مولى ابي بكر رضي الله عنه
وهو من مولدي الازد مملوك الطفيل فاشتراه ابو بكر منه واعتقه واسلم وكان يرعى
غنما لابي بكر ويجي لهما كل ليلة في الغار باللبن يتغذيانه ثم هاجر معهما وشهد بدرا واحدا
وقتل ببير معونة فلم يوجد جسده مع القتلى فيقال ان الملايكة دفنته وقيل رفعته
الى السما **وقيل** كتبه ابو بكر وجمع بينهما بان ابن فهيرة كتبه اولا فلم ير من سراقة بكتابته وطلب
كتابة ابي بكر لشرفه وشهرته فكتب له وللنبي صلى الله عليه وسلم كتاب تزيد على الاربعين
مذكورة في المفصلات وافردهم ابن ابي الحديد بتاليف مستقل **واخبرهم** اي اخبر سراقة النبي
صلى الله عليه وسلم وابا بكر وابن فهيرة **بالاخبار** اي باخبار قريش وما جرى منهم
بعد خروجهم من مكة وجعلهم الجعايل ان لمن اتى بهم او قتلهم دينهم كما مر **وامره**
النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك احدا من قريش ان لا يدع احدا ويمكنه باخبارهم
حين يلحق بهم اي يسير خلفهم ويصل اليهم بان يقول لم ادهم ونحوه بل قد يجب وفي حديث
انس فقال يا نبي الله مرني بما شيت قال تقعد مكانك لا يتركن احدا يلحق بنا قال فكان
اول النهار جاهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اخر النهار مسلحة له **فانصرف**
اي رجع سراقة عنهم حال كونه **يقول للناس** جملة حالية مضارعية لا تقترن بواو في
الفصيح اي قايلا للناس والمراد بالناس ان كان من لقيهم ممن ذهب لطلبهم فقوله
كفيتم ما هاهنا معناه ارجعوا كفيتم الطلب فاني لم اجدهم وما موصولة ويحتمل ان تكون
نافية اي ما هنا احد وان كان المراد النبي ورفيقاه فالمعنى عصمتم وسلمتم مما هاهنا من
الخوف والى كلا الوجهين ذهب الشراح وفي الشرح الجديد خلط هنا غني عن المرد
وذكر ابن سعد انه لما رجع قال لقريش قد عرفتم بصري بالطريق وبالاثر وقد استبرات
لكم فلم ار شيا فرجعوا **وقيل بل قال لهما** اي للنبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر رضي
الله تعالى عنهما ولم يذكر ابن فهيرة لانه انما خاف دعاهما لاعتقاده فيهما **اراكما دعوتما**
علي فلذا كادت الارض تبتلعني **فادعوا لي** بالسلامة **فدعوا له فنجا** اي ذهب امنا
مما خافه **ووقع في نفسه** اي خطر بباله ووقر في قلبه واعتقد لما شاهده **ظهور النبي**
صلى الله عليه وسلم اي ظهوره على اعدايه وغلبتهم وظهور نبوته وعلو شانه
وكان ذلك من مقدمات اسلامه قال ابن اسحاق وقال ابو جهل ما بلغه ما لقي سراقة
فلامه في تركهم اباحكم واللات لو كنت شاهدا لامر جوادي اذ شج قوايمه
عجبت ولم تشكل بان محمدا نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه
وفي خبر اخر يتعلق بما نحن فيه الا انه قيل انه لا يعرف من رواه **ان راعيا** من رعاة الغنم
في البرية **عرف خبرهما** اي خبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوفه على مكانهما

في الغار

في الغار فخرج الراعي من محله يشتد اي يسرع في مشيه قال الراغب اشتد اذا اسرع يجوز
ان يكون من قولهم اشتدت الريح انتهى وانما اسرع لاجل ان يعلم قريشا بخبرهما ومكانهما فلما
ورد الى مكة اي جاءها من محله الذي رعى فيه الغنم واصل الورود المجيء للماء فاستعير للغريب
القادم لحاجة ثم عم لكل جاء وشاع فيه حتى صار حقيقة فيه ضرب بالبنا للمجهول اي ضرب
الله على قلبه اي منع من الادراك وذهل عما جاء له كقوله تعالى وضربنا على اذانهم في
وهو مستعار من ضرب الخيمة في الارض ليضرب اوتادها واصله ايقاع شيء على شيء كما قاله
الراغب فليس كناية عن الذهول والغفلة كما قيل فما يدري ويعرف ما يصنع ويقول واسنى
مجهول ايضا ما خرج له اي باجاله من مكانه الذي خرج منه حتى رجع الى موضعه
الذي جاء منه وهذه معجزة ظاهرة وعصمة قوية وفي دلايل ابي نعيم عن ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما انه صلى الله عليه وسلم جاءه فيما ذكر ابن اسحاق في سيرته وغيره
ابو جهل عمرو بن هشام فرعون هذه الامة لعنه الله وهو فاعل جاء وقوله بصخرة
متعلق بها اي حجر عظيم وهو اي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ساجد وقريش
ينظرون له ما يصنع وكان ذهب ليطرحها اي ليرمي الصخرة عليه وفي نسخة هنا قد كان خلفه اذ
راه ساجدا ليدمغنه اي ليضربه بها ضربة يكسر راسه ويقلع دماغه وتسمى هذه الدامغة
احد الشجاج التي ذكرها الفقهاء في الجنايات فلزقت الصخرة بيده ولم يقع عليه صلى
الله عليه وسلم ولزق بلام وزاي معجمة لغة في لصق بالصاد بمعنى التصق ويبست
يداه الى عنقه اي شجت بحيث لا يمكنه تخريجها واقبل اي انصرف من مقصده نحو قريش
حال كونه يرجع اي راجعا القهقرى ومعناه الى خلفه موليا عن وجهته وفي المعنى
القهقرى الرجوع على الدبر وهو قريب منه وهو مفعول مطلق موكد للرجوع ثم سالم
اي سال ابو جهل لعنه الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو له ففعل اي دعا
له صلى الله عليه وسلم لكرمه وحلمه فانطلقت يداه اي عادتا لما كانتا عليه ولم يلتصقا
ببركة دعايه صلى الله عليه وسلم وكان ابو جهل تواعد مع قريش بذلك اي بطرح
الصخرة عليه صلى الله عليه وسلم اذا راه يصلي وحلف لئن راه ساجدا ليدمغنه
اي ليضربنه بصخرة يكسر راسه ويخرج دماغه وهي احد الشجاج يقال دمغه اذا اصاب
دماغه فقتله وهذا مقدم في بعض النسخ كما مر ويدمغنه بفتح الياء وجوز ضمها والظاهر
الاول فسالوه اي سال قريش ابا جهل عن شانه اي امره وما صنعه عما قصده فذكر لهم انه
اي الشان او ابو جهل عرض لي اي له كما في نسخة ففيه التفات وقيل غلب معنى التكلم لان
ذكر بمعنى قال دونه ظرف اي حال بيني وبينه فحل اي جمل عظيم هايج وهو مخصوص
بالبعير الذكر ما رايت مثله في عظمته وشدته قط اي في جميع الزمان الماضي وهي
ظرف لتوكيد نفي الماضي بفتح القاف وتشديد الطاء المهملة وكسرها وسكونها مخففة فهم بي
اي عزم على الحملة علي والهجوم وقوله ان ياكلني بدل اشتمال من ضمير المتكلم اي هم باكلي
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع مقالته لهم ذاك جبريل تمثل له بصورة
فحل لو دنا اي قرب ابو جهل من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصخرة التي اراد
طرحها لاخذه واكله واهلكه اخذ عزيز مقتدر وتفصيله كما في دلايل البيهقي والسير
ان ابا جهل قال يا معشر قريش ان هذا الرجل قد ابى الا ما ترون من عيب ديننا وشتم

ابائنا والهتنا وسيفه احلامنا واني اعاهد الله لاجلسن غدا عند الحجر بحجر ما اطيق حمله
فاذا سجد رضخت به راسه فامنعوني وليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فقالوا والله
ما نسلمك لاحد فامض لما تريد فلما اصبح جلس ينتظره صلى الله عليه وسلم وجلسوا
في انديتهم ينتظرون ما هو فاعل فلما جا صلى الله عليه وسلم وصلى فعل ما ذكره المص وله
وقايع مثل هذه حماه الله منها وعصمه وذكر السمرقندي امام الحنفية المشهور وقد تقدمت
ترجمته ان رجلا من بني المغيرة بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم جد ابي جهل وهذا الرجل
قال البرهان لا اعرفه وقال غيره ان الوليد بن المغيرة وقيل انه ابو جهل اتى النبي صلى
صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله بصره اي غطاه وغشاه حتى لم يره لا انه اعماه
واذهبه بالكلية كما يدل عليه قوله فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم فرجع الى اصحابه
فلم يرهم حتى نادوه باسمه فعرف مكانهم واتاهم ثم راهم بعد ذلك بشهادة حتى ويحتمل
انه عمي وذهب بصره وذكر السمرقندي ان لي في هاتين القصتين اي قصة ابي جهل
وقصة هذا الرجل نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الايتين يعني فهي الى الاذقان
فهم مقمحون وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون
قال البغوي في تفسير هذه الاية نزلت في ابي جهل ورفيقه المخزومي حين حلف ان
راه صلى الله عليه وسلم ليرضخن راسه وذكر ما ذكر المص غير قوله انه حال بينه وبين فحل
وقال المخزومي انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي فاعماه الله الى اخر ما ذكره
المص وفي تفسير القرطبي انها نزلت في ابي جهل وصاحبيه المخزوميين ثم ذكر
قصة ابي جهل فان صاحبه الثاني هو الوليد ابن المغيرة وانه الذي اعمى الله بصره ولم
ير اصحابه حتى نادوه فقال الثالث والله لاشدخن راسه وانه رجع وقال بعد ما خر
مغشيا عليه وسيل عن امره فقال حال بيني وبينه فحل لو دنوت منه اكلني وانه لم ير مثله
فنزلت هذه الاية فقيل انه معارض لما ذكره المص فانه يقتضي ان الذي حال بينه وبين
الفحل الرجل الثاني لا ابا جهل واما كونه من بني المغيرة او مخزومي فلا منافاة فيه لان
كلا نسبه الى احد جديه كما مر واجيب بان قصة ابي جهل تكررت فعلها مرة وحده
وراى الفحل ومرة مع غيره او اقتصر في هذه الرواية على بعض القصة وفيه نظر
والاية على هذا من الاستعارة التمثيلية فشبه يبس يديه وعدم قدرته على تحريكهما والرمي
بمن غلت يده لنعفقه وشبه حالهم وما حال بينهم وبينه بمن بينه وبين قصده سد مانع
عن الوصول وما قيل من ان الاية تعزير لتصميم اهل مكة على كفرهم وابطال الله كيدهم
فشبهت حالهم بهذه الحال لا منافاة بينه وبين ما قبله لصدق هذا على ما قبله ومن
هذا علم ما في كلام البيضاوي من سوال تحاب كما بيناه في حواشيه ومن ذلك اي حفظ
الله وعصمته ما ذكره ابن اسحاق امام اهل السير في سيرته وغيره كالكلبي في تفسيره في
قصته صلى الله عليه وسلم اذ خرج الى بني قريظة بالظا المعجمة وصيغة التصغير
كجهينة قبيلة من يهود خيبر معروفة في اصحابه اي في جماعة منهم ابو بكر وغيره فجلس
مستندا الى جدار بعض اطامهم بالمد والطا المهملة جمع اطم بضمتين وهو الحصن هنا
ويكون بمعنى البيت المربع والقصر فانبعث مطاوع بعثه فانبعث اي توجه وقام
واصل معنى البعث الاثارة وقيل معناه هنا اسرع واندفع عمرو بن جحاش بفتح

الجيم

الجيم والحا المهملة المشددة واخره شين معجمة وهو من بني قريظة قتل كافرا احدهم اي بني قريظة
ليطرح من فوق الجدار عليه صلي الله عليه وسلم رحي يقتله بها لانه صلي الله عليه وسلم
لما جلس تحت الحايط تخافتوا بينهم وقالوا لن تجدوه علي مثل هذه الحالة ابدا فمن
يعلو الجدار ويرسل عليه حجرا يقتله فقال سلام بن شكم لا تفعلوا فوالله ليخبرن بما
هممتم به ويكون هذا سببا لنقض العهد بيننا وبينه فاخبره جبريل عليه الصلاة والسلام
بذلك فقام النبي صلي الله عليه وسلم وانصرف الي المدينة وكان هذا سببا لغزوهم ونقض
عهدهم واعلمهم بقصتهم اي اخبر بني قريظة في نبذ عندهم واصحابه بعد انصرافهم
او قبله وقد اعترض علي المص بان هذه القصة ليست مع بني قريظة كما في السير وسياتي ايضا
في هذا الكتاب وانما هو مع بني النضير وهو سبب غزوة بني النضير واما سبب غزوة بني
قريظة فهو وقعة الخندق وتظاهرهم مع قريش ونقضهم العهد وهو الصواب قال ابن
سيد الناس خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم الي بني النضير ليستعين بهم في دية القتيلين
اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري لحلف بينهم وبين بني عامر فلما اتاهم قالوا بعينك
يا ابا القاسم علي ما جئت ثم خلا بعضهم الي بعض وهموا به كما مر وقال ابن الملقن انه روي
بني النضير لما تؤامروا القوا عليه حجرا فاخذه جبريل ولم يصل اليه صلي الله عليه وسلم
وياتي ما فيه وقد قيل ان قوله تعالي يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
في هذه القصة نزلت وجعل الهم حينيذ بالمومنين وان بسط اليد اليهم مع انه بالنبي صلي
الله عليه وسلم وحده لان ما يصيبه يصيبهم وموته موت لهم ولذا قيل انها نزلت في الكفرة
لما كانوا غالبين علي المومنين يوصلون اليهم الضرر والاذية وقيل نزلت في الاعرابي
الذي اخترط سيفه اذ وجده صلي الله عليه وسلم وحده كما مر وقوله وقد قيل يحتمل ان
يكون اشارة الي ان هذه القصة في بني قريظة وان خالف الصحيح المنقول الواقع ووقع
في بعض التفاسير فتامله فان غفلته عما ذكر بعيد مع قوله عقبه وحكي السمرقندي
انه صلي الله عليه وسلم كما رواه ابن سيد الناس وغيره من اصحاب السير وقد تقدم انه
الصحيح وان في كلام المص رحمه الله اشارة اليه خرج من المدينة الي بني النضير بنون
مفتوحة وضاد معجمة مكسورة وهم قوم من يهود خيبر يسعين بهم في عقل الكلابيين
مثني كلابي رجل منسوب لبني كلاب وهي قبيلة من قريش والعقل مصدر عقل البعير يعقله
اذا ربطه بالعقال المانع له من الحركة واصل معني العقل المنع ومنه العقل المعروف لمنعه
عما لا يليق كما اشار اليه القايل

قد عقلنا والعقل اي وثاق • وصبرنا والصبر مر المذاق •

وسميت به دية المقتول لانها كانت عند العرب ابلا يسوقها القايل ونحوه فيعقلها بفنا
اهل القتيل لياخذوها واستعانته صلي الله عليه وسلم المراد بها طلبه ان يعينوه
في الدية لما سياتي الذي قتلهما عمرو ابن امية وفي نسخة الكلابي بالافراد وقتل
مفرد ايضا وعمرو بن امية هو الضمري بضاد معجمة مفتوحة وميم ساكنة وراء مهملة نسبة
لبني حمزة وهم قومه وهو عمرو بن امية ابن خويلد بن عبد الله بن اياس الصحابي الذي
كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يبعثه في اموره وهو الذي ذهب للنجاشي بكتابه
فاجابه واسلم وزوجه ام حبيبة اسلم بعد احد وشهد بير معونة ومات بالمدينة في خلافة

معاوية رضي الله عنه وهذا الذي قتل الكلابي فهو مرفوع فاعل قتل والثانية هي الموافقة
لما في السير من انه صلى الله عليه وسلم بعث المنذر بن عمرو الساعدي احد نقبا ليلة
العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والانصار الى بني عامر بن صعصعة فلقوا عامر بن
الطفيل وبير معونة فاقتتلوا فقتل المنذر واصحابه ونجا عمرو الضمري وحده او صاحب
له على اختلاف في الرواية ورجعا فلقيا رجلين من بني سليم وكان بينهم وبين النبي صلى الله
عليه وسلم موادعة فانتسبا لهما الى بني عامر فقتلاهما وكان عمرو لا يعرف ذلك العهد
ولو عرفه لم يفعله ولذا لزمته الدية لانه خطا فقدم قومهما على النبي صلى الله عليه وسلم
يطلبون ديتها فخرج لبني النضير هو وابو بكر وعمر وعلي رضي الله تعالى عنهم يستعينهم
في القتل لانهم كانوا عاهدوه على ترك القتال والاعانة في الديات فلما دخل عليهم
وطلب ذلك منهم اجابوه وقالوا له اجلس نأتي لك بما سالت فجلس بجنب جدار من بيوتهم
كما اشار الى ذلك بقوله فقال له اي لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل منهم اسمه
حيي بضم الحا المهملة ومثناتين تحتيتين الاولى مفتوحة مخففة والثانية مشددة
ابن اخطب بزنة افعل بخا معجمة وطا مهملة وموحدة وجوز في حا حيي الكسر وهو
من يهود بني النضير ومن رؤسايهم والد صفية ام المومنين اجلس يا ابا القاسم حتى
نطعمك ونعطيك ما سالتنا في الدية وهو عطف تفسير على نطعمك لان الطعم بالضم في
الاصل الماكول فتجوز به عما ذكر كما يقال اقطعه الارض طعمة له اي عطية فجلس النبي صلى
الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وزاد ابو نعيم الزبير وطلحة وسعد بن معاذ واسيد
بن حضير وسعد بن عبادة وفي سيرة ابن اسحاق في نفر من اصحابه فيهم ابو بكر وعمر وعلي
ولا منافاة بين الروايات وتوامر بفتح التا الفوقية والواو ويقال بالهمز تفاعل من
الامر اي نظر كل امر الاخر والمراد به هنا المشاورة يقال وامره وقيل الواو لغة العامة حيي
معهم اي مع بني النضير اي تشاوروا واتفقوا على قتله صلى الله عليه وسلم بالقا الحجر عليه
فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الذي ارادوه قبل وقوعه فقام من
تحت الجدار بسرعة كانه يريد حاجة اي اراهم صلى الله عليه وسلم انه يريد حاجة له
وفي نسخة حاجته بالاضافة فيحتمل قضا الحاجة المعهودة للانسان فانه يكنى بها كثيرا
حتى دخل المدينة ثم سار اليهم وحاصرهم ست ليال وهم داخل حصنهم فقطع نخيلهم وحرقها
تنكيلا لهم

كما قال حسان

وهان على سراة بني لوي • حريق بالنويرة مستطير

فقال صلى الله عليه وسلم لهم اخرجوا ولكم ما حملت الابل فنزلوا على ذلك وحملوا ما لهم
ما لهم من الامتعة على ستماية بعير ولحقوا بخيبر واخذ منهم صلى الله عليه وسلم الاموال
ومن الحلقة خمسين درعا وخمسين بيضة وثلاثماية واربعين سيفا فكان ذلك مرصدا
لنوائبه ولم يسهم منها لاحد غير ابي دجانة وسهل بن حنيف لفقرهما ثم قسمها بين المهاجرين
ورفقا لمونتهم عن الانصار اذا كانوا قاسموهم الاموال والديار لما هاجروا الى المدينة
ثم انه قيل انما ذكره المص يقتضي ان اليهود هموا بالقا الحجر عليه ولم يلقوه وذكر ابن الملقن
كما مر انهم القوه عليه صلى الله عليه وسلم فاخذه جبريل عليه الصلاة والسلام

ومنعه

ومنعه عن الوصول اليه والمشهور الاول وذكر اهل التفسير معنى الحديث عن ابي هريرة
كما رواه مسلم والنسائي اي رووه بهذا المعنى وفي بعض النسخ وروى اهل التفسير الحديث عن
ابي هريرة وهما احسن مما في بعض النسخ وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث بالواو العاطفة فانه
محتاج للتقدير اي وذكره اهل الحديث وعلى هذا فقوله عن ابي هريرة خبر عن معنى وهو
مبتدا والجملة معترضة بين ذكر ومفعوله وهو ان ابا جهل وعد قريشا لئن راى محمدا جواب
قسم مقدر لما مر من انه حلف لهم على ما وعدهم به وقوله يصلي جملة حالية ليطان رقبته
ان يدوس على عنقه الشريف برجله حماه الله فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم بالمسجد
الحرام اعلوه اي اعلمه قريش به فاقبل متوجها اليه ليدوسه اهانة منه لمن اعزه الله
فلما قرب منه ولى ورجع عن مقصده حال كونه ناكصا على عقبيه اي متاخرا راجعا الخلف والعقب
موخر القدم متقيا بيديه اي مادا يديه كمن يدفع امرا يتقيه وفي بعض النسخ ولى هربا ناكصا
على عقبيه فهي حال متداخلة او مترادفة ونكص على عقبيه يستعمل فيمن ولى عن خير او عن
شر يخاف عاقبته كما هنا الا انه قيل ان الثاني نادر ونسب الجوهري وصاحب النهاية
الى انه يختص بالاول وفي القاموس نكص عن الامر تكاكا عنه واحجم وعلى عقبيه رجع عما كان
عليه من خير فهو خاص بالرجوع عن الخير ووهم الجوهري في اطلاقه او هو في الشر نادر انتهى
وفي نفوذ السهم فيما في الجوهري من الوهم كون النصوص مخصوصا بما ذكر غير ثابت في اللغة
وقوله فلما ترات الجمعان الفئتان نكص على عقبيه لا دليل فيه لانه وان كان رجوع الشيطان
عن معاونة الكفار ببدر ليس رجوعا عن خبر محتمل الاستعارة التهكمية وقد مر الكلام عليه
ايضا في اعجاز القران فتامل فسئل اي سال قريش ابا جهل عن ذلك اي عن رجوعه
كذلك وما سببه فقال مجيبا لهم لما دنوت منه اشرفت اي اطلعت قريبا مني على خندق
حفير مملوء نارا كدت اهوي اي اقع واسقط فيه وابصرت هولا عظيما اي امرا مخوفا عظيما
لم ار مثله مما ذكر ومن غيره كالفحل الذي اراد اهلاكه وخفق اجنحة اي اجنحة يضرب
بعضها بعضا لها اصوات هايلة قد ملات الارض الذي كان فيها وهي اجنحة الملايكة
التي ارسلت لحمايته ونصره صلى الله عليه وسلم كما اشار اليه بقوله فقال عليه الصلاة
والسلام تلك الملايكة لو دنا اي قرب منه لايقاع ما قصده لاختطفته الملايكة
عضوا عضوا اي مزقته وفرقت اعضاه وهو منصوب على الحال بتاويل ممزقا كقرات
النحو بابا بابا كما فصله النحاة ثم انزل الله تعالى وحيه على النبي صلى الله عليه وسلم
في شان ذلك فقال كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى الى اخر السورة يعني ان
الى ربك الرجعى ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى الخ ويناسبه ما ذكر قوله كالين لم ينته لنسفعا
بالناصية وقوله سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب فالمراد بالانسان ابو جهل
وطغيانه تجاوز حده قيل هذه القصة في صحيح مسلم فالذي ينبغي نقلها منه دون
التفاسير وهو ابو سهل لا ينبغي الاعتراض بمثله وتفصيل معنى الاية في التفاسير وهو
ابو سهل لا ينبغي الاعتراض بمثله وتفصيل معنى الاية في التفاسير فلا حاجة لذكره وروى
الراوي له ابو نعيم في الدلايل ان شيبة بن عثمان الحجبي بفتح الحا المهملة والجيم وموحدة
ويا نسبة لحجبة جمع حاجب ككتبة جمع كاتب وفي النسبة الى الجمع يرد الى مفرده والقياس
حاجبي لكنه لما غلب بفتح الحا المهملة والجيم وموحدة ويا نسبة لحجبة جمع حاجبية ككتبة جمع كاتب

وفي السنة الي الجمع برد الي مفرده والقياس كاجيي لكنه لما غلب علي حجبة اللغة جاز النسبة
اليه كانصاري اولانه علي زنة المفرد ومثله ينسب اليه علي قول والحاجب من يتولي الجابة
وهو البواب ومابيده المفتاح ما للحجب وهو المفتاح وشيبة علم منقول من الشيب المعروف
وهو شيبة بن عثمان بن ابي طلحة بن عبد العزي ابو عثمان بن عبد الدار بن قصي الصحابي
المشهور خادم الكعبة ومن بيده مفتاحها وهو بيد اولاده الي الآن اسلم يوم الفتح وقيل يوم
حنين ومات سنة تسع وخمسين واخرج له البخاري واحمد في مسنده وابو داود ترجمته معروفة
وما في بعض النسخ للجهني بيم غلط من الناسخ اذركه صلي الله عليه وسلم اي لحق به ووصل
اليه يوم حنين في غزاتهما وهو واد قريب من الطايف معروف وكان قبل ذلك حمزة عم
رسول الله عليه وسلم وسيد الشهدا قد قتل اباه عثمان بن ابي طلحة وعمه طلحة بن ابي
طلحة المشهور وكان قتله لهما باحد وكان طلحة ابا الكبشية وحاملوا الكفرة فلما قتل
حمل اللوا اخوه عثمان الا انه قيل ان المرهبي في السيرة الذي قتل طلحة علي بن ابي
طالب فلما اخذ اللوا اخوه عثمان حمل عليه حمزة فقتله وقال الذهبي في تجريده ان
الذي قتل ابا شيبة علي ايضا وهو مخالف لما قاله الامم كما قاله البرهان الحلبي وفي سيرة
ابن سيد الناس ان علي اضرب اباه فاذا السيف نبت عنه فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه وقره
حتي بدا سحره اي ريته فكل من علي وحمزة له دخل في قتله اذا علي لما اذا السيف نبت
وقوته بسبب القتل له حتي استحق سلبه فلا منافاة بين الكلام المم وكلام غيره فقال شيبة لما
ادركه اليوم المراد به الوقت الحاضر اذل ثاري بمثلثة وزاي مهملة بينهما الف وتهمز وهي
الاصل وهو طلب الدم واخذ حق من قتله ملي محمد لانه سبب قتله فاراد انا ينتقم منه ويشفي
غيظه وحرارة نفسه لتمكنه منه فلما اختلط الناس في القتال اوانادوا رسول الله
صلي الله عليه وسلم فيهم اذاه من خلفه بحيث لا يراه ورفع لينه بيده ليضربه عليه اي ليضربه
ويقتله وياخذ بثاره ويشفي غليله مما كان سببا لقتل ابيه وعمه واصل الضرب اراقة الماء
واستعير للضرب بالالة كالسيف قال تعالي فضرب عليهم ربك سوط عذاب ويرشح ان هذا
السيف يشبه بالماء لرونقه وفرنده قال شيبة فلما دنوت منه اي لما قصدت ذلك منه
ارتفع الي اي علا وصعد الي من جانبه شواظ اي لهب من نار والشواظ اللهب مطلقا او لهب
لا دخان له او لا يخالطه غيره او يخالطه شيء اخر وهو بضم المعجمة وكسرها وقوله
من نار بيان لشواظ لانه اللهب لا يكون الا من النار اسرع في ارتفاعه من البرق فخلت
هاربا خوفا من ان يحرقني فمضي رسول الله صلي الله عليه وسلم اي علم رجوعي عنه
فرمي بي فوضع يده علي صدري وهو ابغض الخلق الي لانه اسلم خوفا من القتل
ولم يخلص ايمانه وفي قلبه حقد علي رسول الله صلي الله عليه وسلم من قتل ابيه وعمه
فما نزعها اي يده عن صدري الا وهو احب الخلق الي فتبدل الله بغضه بحبه وازال
عن صدره وقلبه الحقد وانار اللطف فلما علم ذلك منه الرسول صلي الله عليه وسلم احبه
وقال لي ادن مني فتقدمت امامه بين يديه امر بيسفي كل من الهيبة من الكفار
واقيه بنفسي اي احملها وقاية له صلي الله عليه وسلم دافعة عنه ولو لقيت تلك
الساعة التي قاتلت فيها التي لاقامت بي سيفي وقتله وفي بمعني الشح وانما خص للمبالغة في عموم قتله لمن لقي حتي امن الناس وللاشارة الي ان سبب نفسه

وقال في سبيل الاخلاص
السرية مخلصا بكلا مستريده
صلي الله عليه وسلم لله درهم

وهو قتل

وهو قتل ابيه فذال بالكلية حتى يجوز عنده ان يقتله بنفسه فضلا عن قتل قاتله والحديث
مفصل في سيرة ابن سيد الناس بسند صحيح مروي عن شيبة نفسه وكان صالحا ذا فضل حدث
باسلامه وانه انما سار لحنين لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكراهته له وان ذلك لم
يزداد في قلبه وتصميم عزمه على قتله فلما اختلط الناس نزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن بغلته فدنوت منه وذكر ما هم به وان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح صدره
وقال اللهم اعذه من الشيطان فاذهب الله ما بقلبه حتى ما راحب اليه من نفسه واهله وابيه
فلما رجع دخل خباه فدخلت عليه كغيري حبا لرؤية وجهه فقال لي يا شيب الذي رد الله
بك خير مما اردت بنفسك وجيتني بكل ما اضمرته في نفسي مما لم اذكره فقلت اني اشهد ان لا
اله الا الله وانك رسول الله ثم قلت استغفر لي فقال غفر الله لك وعن فضالة بن عمرو
عند ابن اسحاق وابن سيد الناس وفضالة بضم الفاء وفتحها وتخفيف الضاد المعجمة واللام
وابوه عمرو ويقال عمير بالتصغير بن الملوح الليثي والتصغير اصح والملوح بكسر المشددة وفتحها
واقتصر على الثاني في القاموس قال اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح
اي فتح مكة وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة الهمزة للندا وفي نسخة
فضالة بدون همزة وحرف الندا مقدر فيه قبل ويمكن ان تكون الهمزة للاستفهام وفضالة
خبر مبتدا محذوف تقديره اانت فضالة فقال نعم تصديقا له والاستفهام حقيقي وكونه للتعجب
مما يختلج في صدره او اجابة لندائه او اعلام له بانه فضالة كما قيل تكلف لا يخفى قلت نعم
قال ما كنت تحدث به نفسك حديث النفس عبارة عما يخطر بالقلب قلت لا شي اي لم يخطر بقلبي
شي مما ظننته فضحك واستغفر لي اي دعا لي بان يغفر الله لي ما خطر بقلبي ووضع يده
على صدري ليذهب الله ما فيه من الضلال وما عزم عليه من الاوهام فسكن قلبي اي اطمان
وذهب ما فيه من الوسواس وتكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم وثلج صدره ببرد اليقين
قال فضالة فوالله ما رفعها اي رفع يده عن ضرره حتى ما خلق الله شيا احب الي منه
وحديثه كما في سيرة ابن اسحاق وابن سيد الناس انه اراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يطوف عام الفتح وذكر ما ذكره المص ثم قال فرجعت الى اهلي ومررت بامراة كنت
اتحدث اليها فقال هلم الي الحديث فقلت لا وانبعثت اقول

قالت هلم الي الحديث فقلت لا • بابي عليك الله والاسلام
او ما رايت محمدا وقبيله • بالفتح يوم تكسر الاصنام
رايت دين الله اضحى بينا • والشرك يغشى وجهه الاظلام

وفضالة الليثي هذا هو ابن وهب بن نجرة بن يحيى بن مالك وليس هو وليس هو
الزهراني فانه تابعي غيره ومن ظنه هذا فقد اخطا ومن مشهور ذلك اي عصمة الله
لنبيه صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن اسحاق والبيهقي بلا سند وابو نعيم في الدلايل مسندا
الى غزوة خبر عامر بن الطفيل العامري وهو عامر بن الطفيل بن عامر بن مالك سيد
بني عامر في الجاهلية مات كافرا بالاتفاق واربد بن قيس بفتح الهمزة وسكون الراء
المهملة وفتح الموحدة ودال مهملة وهو اخو لبيد بن ربيعة الصحابي وكان شاعرا مفلقا
ومات على الكفر ايضا حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما فرغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك واسلمت ثقيف ودخل الناس في الاسلام افواجا

قدمت عليه وفود المناس افواجا فوفد عليه اربعة من رؤسايهم عامر بن الطفيل واربد بن
قيس وغيرهما وكان عامر قال له اي لاربد انا اشغل عنك وجه محمد اي الهيه حتى تبطش
به فاضربه انت وحضه سرا بينهما على الصداقة فامتثل امره وهم بذلك فانتظره ليفعل
ما امره به فلم يره اي لم يبصر عامر اربد فعل شيا مما اتفقا عليه من البطش به وعامر يكلمه
صلى الله عليه وسلم ويلهيه فلما كلمه اي كلم عامر اربد في ذلك اي في الامر الذي اتفقا عليه
بان قال له مالك لا تفعل ما اتفقنا عليه من البطش برسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذر
اليه وقالوا اسما هممت ان اضربه اي اضرب النبي صلى الله عليه وسلم بالسيف الا وجدك
بيني وبينه اي اري جسدك حايلا بيني وبين النبي صلى الله عليه وسلم بحيث لو ضرب
ضرب صاحبه افاضربك انكار له اي كيف اضربك وكان عامر شاعرا وريئسا مطاعا
في قومه فقالوا له لما جاء العرب افواجا للاسلام ان الناس قد اسلموا فاسلم فقال
اي البيت لا اترى حتى تتبع العرب عقبي افاتبع فتى من قريش ثم قدر هو واربده
على النبي صلى الله عليه وسلم وقال له ما قمه المحم فخرجوا راجعين لبلادهم وفي
الدلايل انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم خالني يا محمد فقال لا حتى تؤمن بالله وحده
وقال ذلك مرارا وهو يجيبه بذلك فقال والله لاملانها عليك خيلا ورجلا توعد ابان
يغزو المدينة فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيه عامرا فلما رجع اصابه طاعون في
عنقه فمات في بيت امراة من سلول فكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية
يهني لحمي موته في احمد بقبيلة فمات كافرا وداوا حيثة التراب ورجع اصحابه لقومهم
فقالوا لاربد ما ورائك يا اربد فقال لاسني لقد دعانا لعبادة سني ولقد وددت انه
عندي الا ما فاريه بالسنان حتى اقتله ثم خرج بعد مقالته هذه بيوم او يومين ومعه حمار
له فاصابتهما صاعقة احرقتهما فهلك كافرا كما مر وعن ابن عباس انا عامرا قدم على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمسجد مع اصحابه وكان من اجمل الناس الا انه كان اعور
فجعل الناس ينظرون لجماله واجتمعوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان يرد
الله به خيرا يهده فقام وقال يا محمد مالي ان اسلمت فقال لك ما للمسلمين وعليك ما
عليهم فقال يجعل لي الامر من بعدك قال ذلك ليس لي انما هو لله يجعله حيث شاء قال
اتجعلني على الوبر وانت على الدراي حكم البادية وحكم المدر ما قال الا قال فما تجعل لي قال
اجعل لك اعنة الخيل الغارية في سبيل الله قال اوليس لي اعنة الخيل اليوم فقم معي
الكلمة فقام صلى الله عليه وسلم معه وكان عامر وعي اربدا اذا خلا به انا يدوره من خلفه
ويضربه بسيفه وروي انما العذة كانت في ركبته وذويت القصة على وجوه اخر هذا
محصلها كما في السير وكتب التفسير عن ابي البغوي والقرطبي في التفسير وكان اذا اراد
ان يخلفه صلى الله عليه وسلم واخترط سيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فوقعت عليه
صاعقة فاهلكته وهو يقتضي انه مات قبل عامر وفي هذين التفسيرين ان اربد بن ربيعة
والم قال انه مات قبل عامر وقيس ولا منافاة بينهما كما انهم لان ربيعة جده الاعلى
وفي الاربدين لقوله ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء واجمعوا على انا عامرا
مات كافرا كما مر وفي المجريد للذهبي عامر بن الطفيل بن مالك العامري سيد بني عامر
في الجاهلية وفي المجريد للذهبي ما روي عنه ابو امامة كما ذكره المستغفري ونقله

البرهان

البرهان الحلبي وفيه نظر ومن عصمته اي حفظ الله له ان كثيرا من اليهود والكهنة
جمع كاهن وهو الذي يخبر عن المغيبات وما يقع في المستقبل بما يتلقاه او يعرفه بفراسته
ويسمى الثاني عرافا انذروا به اي اخبروا واعلموا والانذار اعلام المخوف قبل وقوعه
وعينوه لقريش اي بينوا ذاته الشريفة لهم واخبروهم بسطوته بهم اي انه يغزوهم ويقتلهم
وحضوهم على قتله اي حثوهم وحرضوهم على ذلك حتى يسلموا منه فعصمه الله عز وجل
بان حفظه ومنعه من كيدهم مع انه صلى الله عليه وسلم كان بين اظهرهم بمفرده حتى
بلغ الله بلطفه وحفظه له فيه امره بان قصره واظهر دينه على جميع الاديان ان الله بالغ امره
وبلغ بفتح اللام المخففة من البلوغ قال الراغب هو الانتهاء الى اقصى الامد والمنتهى مكانا
او زمانا او امرا من الامور المقدرة انتهى ومن ذلك اي عصمة الله له صلى الله عليه وسلم وصيانته
ما رواه الشيخان وهو نصره بالرعب اي بالقاء الخوف منه في قلوب اعدائه ومن لم يتبعه مسيرة
شهر اي من مكان بعيد عنه اقل ما يقطع مسافته في شهر اي في ثلاثين يوما كما قال صلى
صلى الله عليه وسلم اي انه ثابت بهذا اللفظ في الحديث الصحيح كما تقدم وهو في الصحيحين
وفي مسند احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال عليه الصلاة والسلام ولو كان وحده وتقييده
بالشهر لانه لم يكن بينه وبين اعدائه اكثر منه وتخصيصه به باعتبار من قبله فان ابن حجر رحمه الله
قال ان ذلك لامته من بعده ايضا ويؤيده ان في مسند احمد الرعب يسعى بين يدي امتي شهر
او الرعب كناية عما يلزمه من الظفر

فصل

مما اكرمه الله
به صلى الله عليه وسلم من معجزاته اي اموره الخارقة للعادة التي للعادة التي عجز غيره عنها
وعن معارضتها والاتيان بمثلها وتا المعجزة للمبالغة كها علامة او للتانيث لان المراد الاية
والعلامة او الخصلة المعجزة الباهرة اي البالغة او الظاهرة على غيرها من بهر القمر
بضوئه الكواكب حتى اخفاها وهو تشبيه بليغ او استعارة مصرحة ما جمعه الله من العلوم
والمعارف جمع معرفة لا معروف كما قيل لانه على تقديره غير مناسب والعلم والمعرفة
بمعنى وقد يفرق بينهما بتخصيص الثاني بالامور الجزئية او بما يسبقه جهل على كلام فيه
تقدم لتفصيله ومن بيانية ويجوز ان تكون تبعيضية والاول اظهر وخصه به اي جعله مخصوصا
به دون من قبله وكذا خص امته بما لم يكن لغيرهم من الامم من العلم وكثرة التاليف والتصنيف
الذي لم يكن لامة من الامم مع قصر اعمارهم وضعف ابدانهم والبا تدخل على المقصور والمقصور
عليه وفي ايهما الاصل كلام مفصل في حواشي المطول لا حاجة لنا به هنا من الاطلاع اي الوقوف
والعلم وهو بيان لما على جميع مصالح الدنيا والدين متعلق بالاطلاع ومصالح الدنيا ما يصلح
به امر المعاش ومصالح الدين معرفة احكامه المصلحة لهم في الدارين ولا ينافي هذا اي
اطلاعه على مصالحهما قصة بدر في اختياره صلى الله عليه وسلم على ذلك وكذا اسرى
الفدا وكان الاولى به ما راه عمر رضي الله عنه من قتلهم حتى عوتب صلى الله عليه وسلم
على ذلك وكذا منعه صلى الله عليه وسلم الناس من تابير النخل فلم يثمر في ذلك العام
فقال انتم اعلم بامور دنياكم مني اما لانه كما قيل كان له حالات واطوار منها ما يغلب عليه
فيه عدم الالتفات للاسباب الظاهرة لقصره نظره على تفويض الامر لله والتوجه
للعلم به وقطع نظره عن الحوادث الكونية وعلم عمر رضي الله عنه مقتبس منه ومن نور
مشكاته

كما قيل

كالبحر يمطره السحاب وماله من عليه لانه من مايه

وما قيل من انه صلى الله عليه وسلم بنى امره في ذلك على الظن دون الحزم والانبيا قد يظنون
في امور الدنيا المجردة عن الاخرة ما الامر على خلافه ليس بشي وقيل انه انما كان ليعلم الله
نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشاهدة وتبين الامر حتى يكون شرعا متبعا ولو بقي الامر كما
كان فقد يقال انه كما وجد بقي والحكم بالدليل اقوى منه بالسكون وفيه نظر وقال السنوسي
اراد صلى الله عليه وسلم ان يحملهم على خرق العوايد في ذلك اعتمادا على التوكل فلم يمتثلوا
ولم يصبروا ولو صبروا كان خيرا لهم بان يمتثلوا ويصبروا سنين فاكثر فلو فعلوه كفوا ذلك
لانه اعلم منهم بذلك وغيره قيل وهو في غاية الحسن لما تامله وسياتي تتمته ان شا الله
تعالى **ومعرفته** صلى الله عليه وسلم **بامور شرايعه** التي شرعها الله له ولعباده على لسان
جمع شريعة او هي في الاصل طريق مسلوكة ومورده ما يباح فقلت لوضع الهي موصل لسعادة
الدارين والمناسبة بينهما ظاهرة **وقوانين دينه** جمع قانون وهي لفظة معربة من الرومية
معناه الاصل المقيس عليه ثم نقل لقضية كلية يستخرج منها احكام جزئياتها يجعلها كبرى
لصغرى سهلة الحصول تفتح المطلوب كما تقرر في محله والدين والملة بمعنى وان تغايرا مفهوما
والمراد بمصالح الدنيا والدين منافع ذلك وحكمه وفوايده وهو غير ضبطه لامور الشريعة وقوانينها
فما قيل من انه اذا حصل له العلم بجميع مصالح الدنيا والدين فقد خص بما لم يخص به بشر قبله
فيكون الثاني غير الاول فما موقع قوله ومعرفته الخ لان جملة الدين مبنية على جلب المصالح
ورداء المفاسد ضبط لا فايدة فيه كما يعلم مما قررناه **وسياسة عباده** اي القيام بضبط العامة
من عباد الله فالضمير لله والسياسة لفظ عربي من ساسه يسوسه اذا دبر امره ومن قال انه معرب
من سه سا اي ثلاثة قوانين فقد اخطا ولها معنى عند الفقها وربما تجعل مقابلة للشرع
ولا يصح ذلك هنا وفي القاموس انها مصدر سست الرعية اذا امرتها ونهيتها **ومصالح امته**
المراد امة الاجابة وامة الدعوة والظاهر ان المراد غير ما تقدم كالسوال عن امورهم وقضا ديونهم
والاحسان الى فقرايهم وغير ذلك من لفظه بهم **ومعرفة ما كان في الامم قبله** مما وقع لهم
وجرى بينهم **من الاختلاف** اي مخالفة بعضهم لبعض وما جرى لهم من النعم والنقم التي لا يعلمها
الا القليل من اهل الكتاب وعلمايهم وهو صلى الله عليه وسلم امي نشا في امة امية ولم يرتحل
للبلاد النايية ولم يعاشر بقايا الامم الخالية مما بينه احسن بيان وقرره احسن تقرير
وقصص الانبيا والرسل من عطف العام على الخاص والفرق بينهما مشهور وقصص بكسر القاف
جمع قصة او بفتحها مصدر قصه يقصه قصصا اذا حكاه **والجبابرة** جمع جبار وهو المتكبر
قال الراغب الجبار في صفة الانسان الذي يجبر نقصه بادعا منزلة من التعالي لا يستحقها
ولا يقال الا على طريق الذم كقوله تعالى وخاب كل جبار عنيد ويقال للقاهر لغيره
جبار كقوله تعالى وما انت عليهم بجبار انتهى وقد تقدم ما فيه الكفاية **والقرون الماضية**
قبله من الامم وقد تقدم معنى القران ومقدار زمانه واصله الزمان ثم اطلق على اهله
قيل يجوز ان يراد الامم التي هلكت ولم يبق منها احد لانه يطلق على ذلك وان يراد الزمن
نفسه **من لدن ادم في زمنه** لدن ظرف زمان مبني ومعرب في لغة قيس وهو قريب من
معنى عند وبينهما فرق ذكره النحاة اي احاط علمه بذلك واخبر به امته **وحفظ شرايعهم**
وكتبهم ولم يقرا ولم يكتب **ووعي سيرهم** الوعي الحفظ والجمع والسير جمع سيرة بالكسر

وصي

وهي حالة الانسان غريزة او مكتسبة يقال سيرة حسنة وسيرة قبيحة قال تعالى سنعيدها سيرتها
الاولى اي الى حالتها الاولى اي حفظه وجمعه في ذهنه لاحوالهم وما كانوا عليه وسرد
انبيائهم اي سوق اخبارهم للناس سوقا حسنا منتظما كسرد حلقات الدرع ونسجها وايام الله
فيهم اي وقايعهم التي قدرها الله لهم والايام تطلق على الوقايع والحروب كايام العرب
وهو معنى مشهور صار حقيقة عرفية وقيل المراد نعمه ولا وجه له وصفات اعيانهم اي
كبارهم ورؤسائهم وقيل المراد ذواتهم كما وقع في الاسرا من ذكر الانبيا عليهم الصلاة
والسلام وصفات ذواتهم واختلاف رايهم جمع راي اي عقايدهم ونحوها والمعرفة بمددهم
جمع مدة وهي مقدار من الزمن اي كم كانت مدة كل امة ومدة ملكهم وملوكهم وانبيائهم
واعمارهم جمع عمر بضم العين وفتحها وهي مدة الحياة وحكم جمع حكمة وهو القول الصواب
المتضمن النصيحة اي موعظة حكمائهم جمع حكيم وهو العالم بالحكمة الناصح لغيره
المعلم للحكمة في عصره كحكما الفرس والعرب وغيرهم ومحاجة كل امة من الكفرة اي ذكر
حجته وبرهانه وما حاج به غيره وقيل المراد محاجته نفسه لغيره كمحاجته كنصارى نجران
ومباهلته لهم والظاهر ما قدمناه ومعارضة اي مخالفته ورده كل فرقة وطايفة
من الكتابين اي اهل الكتاب والمراد به التوراة والانجيل لان الزبور والصحف لم يتضمن
الاحكام ولم تشتهر وهو جمع كتابي بيا النسبة بما في كتبهم متعلق بمعارضة وجمعها
لاشتمالهما على ما في غيرهما وان الجمع باعتبار المعنى واعلامهم باسرارها اي دقايق
معناها التي لم يطلعوا عليها ومخبات علومها واخبارهم بكسر الهمزة مصدر مضاف
للفاعل ويجوز فتحها اي ما خفي عليهم منها بما كتموه اي اخفوه لصفته صلى الله عليه
وسلم وقصة رجم الزاني المشهورة من ذلك الاعلام وما معه وغيروه بتحريف لفظه وتاويله
بغير معناه الى الاحتوا اي الاشتمال والحفظ والتضمن متعلق بجمع السابق او الفصل
ليتضمنه معنى ضم او الى بمعنى مع على لغات العرب جميعها من غير قوة وغريب
الفاظ فرقها جمع فرقة وهي الطايفة المتفرقة والاحاطة بضروب فصاحتها تركيبا
وافرادا فكان صلى الله عليه وسلم يخاطب كل قوم بلغتهم كما تقدم وامثالها جمع مثل
وهو كلام شبه مضربه بمورده واحكامها ومعاني اشعارها فانه صلى الله عليه وسلم
كان يعرفها وان لم ينشدها موزونة ويتكلم بها والتخصيص اي تخصيص الله اياه
بنطقه بجوامع كلام العرب اي الالفاظ الحسنة البليغة الجامعة للمعاني الكثيرة في الفاظ
قليلة وقد يراد به القران وليس بمراد ومفرده جامعة الى المعرفة بضرب الامثال
الصحيحة الامثال المتقدمة امثال صادرة ممن قبله وهذه امثال ابتدعها صلى الله عليه
وسلم والامثال النبوة مشهورة مدونة والى كالتي تقدمت والجار والمجرور هنا وما بعده
متعلق بمقدر او بدل مما قبله او متعلق به بعد تقييده والى فيه بمعنى اللام لان العامل
الواحد لا يتعدى بحرفين بمعنى واحد فالكل الا على هذه الوجوه كما قرروه في قوله
تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا وتقدم تفسير المثل وان ضربه من ضرب الخاتم اذا
طبعه وصاغه وانها صادرة كثيرا من الانبيا عليهم الصلاة والسلام لتقرير المعاني في النفوس
وايضاحها بجعل المعقول كالمحسوس كما حققه في الكشاف والحكم البينة اي الظاهرة
في نفسها المظهرة لامور بديعة ومعان لطيفة التقريب التفهيم للمعاني اي المعنى

الخفي الدقيق وهو في الاصل المكان المنخفض فاستعير لما ذكر وتقريبه ايضاحه والجار
الاول متعلق بضرب الامثال والثاني بالتفهيم وقوله والتبيين للمشكل اي اظهار ما
التبس وان كان غير غامض واصل معنى الاشكال كونه غير متميز عن اشكاله واشباهه وهو
متعلق وراجع للحكم المبينة الى تمهيد اي بسطه بتوطئته له وبيان مقدمات قواعد الشرع
اي اساسه وقضاياه واصوله الكلية المحمدي الذي جاء بوحي من الله الذي جا لا تناقض
فيه اي لا تخالف بين قضاياه واحكامه لاحكامها ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا ولا تخاذل بخا وذال معجمتين ولام تفاعل من الخذلان وهو ترك نصرة من
يستحق نصرته وهو استعارة تمثيلية لان الشرع يعضد بعضه بعضا ويؤيده واحكامه
متناسبة متعاضدة كما ان القران يفسر بعضه بعضا ومن فسره بان قواعد الشرع مستقلة
على انه لا يخذل اخاه اذا ظلم لاقتضا قواعد الشرع استوا الرفيع والوضيع والمالك والمملوك
والعالم والجاهل في جريان احكامه عليه من غير فرق بين صغير وكبير لم يات لشي
يقتدي به مع محاسن اشتمال شريعته وتضمينها واحتوايها على محاسن الاخلاق اي على بيانها
للناس وحث الناس على التحلي بها وقد ورد في الحديث بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد تقدم
معنى الخلق وان منه مكتسبا وطبيعيا وان الخلق يقبل التغير ولذا ورد في الشرع النهي
عن الاخلاق الرديئة والامر بضدها ولولا ذلك لم يفد ومحامد الاداب جمع محمدة وهي ما
يحمد فعله والاداب بالمد جمع ادب بفتحتين وهو معاملة الخلق بلطف ومداراتهم كما قال
صلى الله عليه وسلم ادبني ربي فاحسن تاديبي وهو من اضافة الصفة للموصوف
اي الاداب المحمودة وفسر الادب في القاموس بالظرف وحسن التناول والفعل الجميل
وكل شي مستحسن عند ارباب الطباع السليمة وهو مجرور معطوف على محاسن الاخلاق
مفضل بزنة اسم المفعول بالضاد المعجمة والصاد المهملة كما قاله اي مفضل على غيره او
فضله للناس تفضيلا لم ينكر منه ملحد اي عادل عن الحق زنديق ومعناه لغة الميل فخص بالميل
عن الحق قال الراغب الالحاد ضربان الحاد الى الشرك بالله والحاد الى الشرك بالاسباب
فالاول ينافي الايمان ويبطله والثاني يوهن عراه ولا يبطله انتهى ذو عقل سليم
مستقيم مدرك ادراكا سالما عما يضعفه ويمنعه من العدول عن الحق شيا مفعول ينكر
الا من جهة الخذلان تقدم ان الخذلان لغة عدم النصر والمراد به عدم التوفيق والتوفيق
خلق قدرة الطاعة في العبد عندنا وفسره بالمعتزلة بلطف الله بعبده والخذلان المقابل له
عدم لطفه به كما فصل في علم الكلام يعني لا ينكره الا من خذله الله ولم يوفقه للعلم به ومشاهدة
احواله ثم ترقى عما ذكر فاضرب اضرابا انتقاليا او ابطاليا لانكاره باثبات ضده فقال بل كل
جاحد اي منكر له اي لما ذكر مما قدمه وكافر بما جا به من الجاهلية اي اهلها به اذا سمع ما يدعو
صلى الله عليه وسلم الخلق اليه من الحق المبين صوبه اي اعتقد انه صواب واعترف به لان انكاره
مكابرة تاباها العقول السليمة والطباع المستقيمة واستحسنه اي عرف حسنه واعترف
به دون طلب اقامة برهان وحجة عليه اي على ما اتى به لظهور حقيته كما ان على علم
كعبد الله بن ابي سلول وغيره مما ذكر في كتب الحديث والسير ثم ما احل لهم من الطيبات اي اشتمال
شريعته على ما حملته حلا للناس مما حرمه غيره كبني اسرايل الذين حرموا كل ذي ظفر
من البقر والغنم لحومها الا ما حملت ظهورهما او الحوايا وحرم عليهم من الخبايث كالميتة

والدم

والدم ولحم الخنزير والزنا وغير ذلك من المحرمات وعطف بهم لما بينهما من تفاوت الرتبة
وقيل لا بل الاول تفصيل وهذا اجمال وبينهما تفاوت وبون ظاهر وفسر الشافعي
الطيبات بما ليس بمستقذر والخبائث بضده والعبرة في ذلك بالطباع السليمة واشتمال
شريعته على ما صان به انفسهم من الهلاك كتحريم قتل النفس بغير حق وقصاص القاتل واعراضهم
بفتح الهمزة جمع عرض بكسر العين وسكون الراء وهو في العرف كل ما يخل تركه بالانسان وهو
المراد واختلف في معناه الحقيقي لغة فقيل هو ما يمدح به المرء او يذم سوا وصف به دون
اسلافه ام لا وفي الحديث كل المسلم حرام دمه وعرضه وفي حديث اهل الجنة لا يبولون
ولا يتغوطون وانما هو عرق من اعراضهم ففسر بكل موضع يعرق من الجسد وقال الاصمعي يقال
هو طيب العرض اي الريح وفسر بعضهم العرض بالنفس فعلى هذا هو عطف تفسير واموالهم
فمن امن به صلى الله عليه وسلم واتبع شرعه صان دمه وعرضه وماله من المعاقبات بيان
لما صان كالحد والتعزير والحبس وكحدود كحد الزنا والسرقة والقذف وشرب الخمر عاجلا
اي في الدنيا وهو حال مقيد للمعاقبات والحدود والتخويف بالنار اجلا في النار لانه مستقبل
من الاجل وهو الوقت المحدود وفي بعض النسخ بدل التخويف التحريف تفعيل من الحرق
بالنار اي نار جهنم واختلفوا فيمن حد وعوقب في الدنيا هل يسقط عنه عذاب الاخرة
ام لا فقيل يسقط مطلقا وقيل بشرط التوبة ايضا والى هذا ذهب المعتزلة وقيل
لا يسقط وقيل وانما شرع زجرا ليرتدع الناس عنه والاصح الاول لما ورد في الحديث من
اصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة له ومن اصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو الى
الله ان شاء عفى عنه وان شاء عاقبه وما ورد في الحديث من انه صلى الله عليه وسلم قال لا ادري
الحدود كفارة لاهلها ام لا فقيل الاول اصح وقيل انه صلى الله عليه وسلم قاله قبل العلم
به فهو منسوخ وقوله مما لا يعلم بالبنا للمجهول اي لا يعلمه غيره من الناس وهو بيان
لجميع ما تقدم من اول الفصل الى هنا ولا يقوم به جملة اي يحفظه ويتقنه كما هو حقه
وبه فسر القيوم بل ولا بعضه فضلا عن كله الا من مارس الدرس اي لازم دراسة الكتب
واجتهد فيها والعكوف على الكتب المسالفة قال الراغب العكوف الاقبال على الشي وملازمته
على سبيل التعظيم ومنه الاعتكاف انتهى وهذا تاييد لانه منحه الهية خصه الله بها فما قيل
انه لا حاجة اليه وهم من قايله فقول لا حاجة اليه لا حاجة اليه فاعرفه فانه في غاية الظهور
ومناقشة بعض هذا الظاهر انه بميم ونون وقاف ومثلثة وهو بمعنى الاستخراج كما في القاموس
معطوف على الدرس والمعنى ظاهر وما في بعض النسخ من انه بالفا مفاعلة فهو من النفث
وهو نقل الريق من الساحر والراقي ويطلق على لازمه وهو السحر والسحر قد شاع في
الدقة وكانه المراد اي والدقيق في بعض هذه الامور وقوله مما يعلم الى هنا ساقط من
اكثر النسخ ولم يعرض له الشراح الى الاحتوا اي مع اشتمالها او مضموما الى الاشتمال على ضروب العلم
اي انواعه جمع ضرب بفتح الضاد وكسرها ويكون بمعنى المثل ايضا وفنون المعارف
اي اقسام المعرفة المتعلقة باحوال الدنيا واهلها كما ان ضروب العلم المراد بها ما يتعلق
بالشرايع والاخرة فهو من عطف الخاص على العام المتغايرين لا من غيره على انه تفنن
والفرق بين العلم والمعرفة مشهور كالطب اي معرفة ما يتعلق ببدن الانسان من حيث
الصحة والسقم وكان صلى الله عليه وسلم اعرف الناس به كما في الطب النبوي وهو من العلوم

القديمة المدونة وله معان في اللغة وهو مثلث الطا مشدد البا والعبارة بكسر العين المهملة اي تعبير
رؤيا المنام وفعله عبر بتخفيف البا والناس يشددونها وقد انكره بعض اهل اللغة الا انه سمع في
بيت انشده المبرد رحمه الله في الكامل وهو

رايت رؤيا ثم عبرتها وكنت للاحلام عبارا

كما في الكشاف ووقع في بعض النسخ العبارة مضبوطا بفتح العين ولم اقف عليه والفرايض
جمع فريضة وهو النصيب من الميراث والفرايض صار علما للعلم بذلك وهو قسم من علم الفقه
افرد بالتاليف وصار علما مستقلا ولذا نسب اليه فقيل فرايض والحساب هو علم يتعلق بالعدد
ولابتنا الفرايض عليه في الاكثر قرنه به والنسب اي معرفة انساب العرب وغيرهم وهو من
علم التاريخ وكان الصديق رضي الله عنه اعلم الناس به بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغير ذلك من العلم وانواعه مما اتخذ اهل هذه المعارف لو قال اهله كان اظهر واشمل واخصر
كلامه صلى الله عليه وسلم فيها اي في هذه العلوم والمعارف وقيل الضمير للشريعة اي في
شريعته وهو خلاف الظاهر قدوة واصولا اي ادلة مثبتة لها او قواعد وضوابط يرجعون
اليها في الحوادث الجزئية اذا وقعت لهم في علمهم اي علومهم التي دونوها في هذه الفنون
كقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه ابن ماجة عن انس الرؤيا اي ما يرى في المنام
من الاحلام مصدر يختص بذلك ويقال في غيره رؤية بالتا ورؤيا لاول عابر متعلق بمقدر
اي مصادفة وموافقة لاول تفسير يفسر به والعابر الذي يبين الرؤيا ويفسرها واول الحديث
اعتبروها باسمايها وكنوها بكنوها والرؤيا لاول عابر اي فسروها بما يناسب
الفاظها كما قيل سالم فماول بالسلامة فهو نوع من التعبير والتكنية ليس من الكنية المشهورة
بل المراد به التمثيل كما في النهاية وهي عند اهل السنة امر يلقيه الله في قلب عبده كالالهام
ورد ان ملكا يلقيه وهو ملك الرؤيا وعند الحكما ان الروح في النوم تفارق البدن وتتصل
بالملا الاعلى فيلقي اليها ما يفيضه على ذهن النايم فمنه ما يقع بعينه ومنه ما ياول بغيره ومنها
اضغاث احلام ودعابة الشيطان لان تاويله ومن هذا القبيل ما هو من غلبة الاخلاط
كالصفرا اذا غلبت يرى النايم نارا والبلغم يرى ماء والسودا يرى شيا اسود وليس كل على
رؤيا كذلك كما يوهمه كلام الاطبا وانكار هذا القسم لا وجه له ايضا والكلام على الرؤيا
وحقيقتها واقسامها مبسوطة في محله قيل المراد بالعابر هنا العالم باحوال الرؤيا لا كل
عابر وظاهر كلام اهل هذا الفن يخالفه لانه عندهم كالفال والالهام فلا يختص بمن ذكر وقد
قيل ان رجلا راى انه شرب البحر فقصه على ابن سيرين فقال له هل ذكرته لاحد قال نعم
قال ما قال لك قال قال واه ينشق بطنك فلم يعبرها له وقال قضي الامر وقوله وهي على
رجل طاير رواه ابو داود والترمذي عن ابي ذر وصححه يؤيده بل يعينه واول الحديث رؤيا
المومن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وهي على رجل طاير ما لم تعبر فاذا عبرت وقعت
فلا يحدث بها الا حبيبا او لبيبا ورجل بكسر الرا وسكون الجيم ولام وهو تمثيل لكونها
كالفال على قدر جار من خير او شر قدر لصاحبها فكانها بصدد وقرب من ان تقع بادنى
حركة فهو بمعنى قوله لاول عابر وفيه من لطف البلاغة وسرها ما لا يخفى فان الطاير
يكون للفال ومنه الطير وليس المراد به ظاهره كما توهم وقد وقع ولا ادري هل هي
رواية بالمعنى نظرا او رواية وفيه تورية في القص لانه يكون من قص الجناح اذا قطع

ريشه

ريشه ومن قصص الرؤيا اذا ذكرها للعابر فوقع محتمل المعنيين ايضا عن الوقوع والسقوط
ونظمه بعض المتاخرين فقال

رؤيا اذا قصصتها ۞ وافت كبدر قد طلع
على جناح طائر ۞ فهو اذا قص وقع

وهذا الحديث روي من طرق اختلف العدد فيها فروي
سبعين واربعة وعشرين وستة واربعين جزءا والاخير من رواية البخاري وجعلها جزءا
من النبوة لان رؤياهم وحي صادق فقيل حقيقة العدد وقدره غير مقصود والمقصود
التكثير وقيل وجهه انه صلى الله عليه وسلم اوحي اليه احد وعشرين سنة ستة منها
منام والباقي وحي يقظة على انواع بينوها وجاءت امراة للنبي صلى الله عليه وسلم
فقالت رايت ان جذع السقف من بيتي وقع وعندي ولد اعور فقال يقدم زوجك
وتلدين ولدا برا ثم راتها بعد ذلك فقصتها على ابي بكر فقال يموت زوجك وتلدين
فاجرا لانها في زمن الرؤيا كان زوجها غايبا وهو عمود البيت قال

فاسقط علينا كسقوط الندا ۞ بالليل لا ناه ولا آمر

واول العور بالبر لعقى بصره عن المحرمات وفي وقت كلامها لابكر كان زوجها مقيما وسقوطه
موته والاعور يتشام به فالمنام واحد اختلف تاويله بحسب الحال وامثاله كثيرة **وقوله**
صلى الله عليه وسلم **الرؤيا ثلاث** انواع **رؤيا حق** بالاضافة والتوصيف والظاهر الثاني
وهو المناسب لما بعده وعلى الاول الاضافة بيانية او رؤيا هي حق فالمعنى واحد
ورؤيا يحدث بها المرء نفسه المراد انها خواطر تخطر بالبال لا امور مفاضة من عالم المثال
والملك يشبه بمن يجاور غيره في خلوة لما يورده عليها من الاماني والاوهام وهو في
معنى التجريد المذكور في علم البديع فهو البديع وليس المراد من نفسه ذاته وهما معنيان
متغايران يعني انه راى في منامه ما كان في فكره قبله وهو من اضغاث الاحلام **ورؤيا**
من تحزين الشيطان بان يلقي له ما يكره ويخاف بوسوسته وورد في الحديث انه ينبغي
للانسان ان يتحول من شقه الذي نام عليه ويستعيذ بالله من شره وينقل عن يساره او
يصلي ركعتين اذا انتبه ولا يحدث به احدا قال السيوطي في مناهل الصفا في تخريج احاديث
الشفا هذا الحديث رواه الشيخان وغيرهما عن بضعة عشر من الصحابة الا انه قيل ان الذي
في مسلم عن ابن سيرين عن ابي هريرة اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب واصدقكم
رؤيا اصدقكم حديثا ورؤيا المسلم جزء من خمسة واربعين جزءا من النبوة والرؤيا ثلاث
رؤيا صالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا يحدث بها المرء نفسه فان
راى احدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس قال واحب العبد واكره الغل والقيد
ثبات في الدين فلا ادري اهو في الحديث ام قاله ابن سيرين انتهى ما في مسلم وقد اختلفوا
فيما ذكر من كون الرؤيا ثلاثا الخ فقيل هو مدرج في الحديث من كلام ابن سيرين وقيل
هو موقوف على ابي هريرة وقيل فيه انه مرفوع ويؤيده ان ابن حنبل رفعه مسندا
والحافظ السيوطي اعتمده وكذا المص فلا يرد عليه ان ابن الملقن قال في شرح البخاري ان
الصحيح انه ليس من كلامه صلى الله عليه وسلم واختلف في قايله والصحيح انه ابن سيرين
وقول ابن حجر في فتح الباري انها ليست منحصرة في الثلاث فان منها رابعا وهو تهويل الشيطان

وخامسا وهو ما يهم به المرء في يقظته وسادسا وهو تلاعب الشيطان وسابعا وهو ما يعتاده
الانسان وبينه وبين حديث النفس عموم وخصوص ليس بشيء لانه راجع لما ذكر او في معناه وقد
بسطنا الكلام على الرؤيا في تقليفه مستقلا يضيق عنها نطاق المقام فانظرها ان شئت.
وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابي هريرة مسندا اذا تقارب
الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب التقارب تفاعل من القرب ضد البعد واختلف في المراد به
زمان الربيع وقرب الليل والنهار من المتساوي وهو زمان اعتدال تركب فيه الثمار وتتفتح الازهار
وبرق الشيم فتعتدل الطباع البشرية فيه فيقرب قواها على تلقي ملكيها من عليها ولذا
قال اهل التعبير اصدق زمانا لوقوع الرؤيا زمان الربيع وقيل المراد به آخر الزمان اذا قربت
الساعة كما في زمان المهدي وتقاربه وقصره اما حقيقة كما في الحديث في ايامه
السنة كشهر والشهر كجمعة والجمعة كيوم واليوم كساعة وقيل انه للكثرة استعمال الناس
بالدنيا لسعتها عليهم او لغير ذلك ولكل ذهب كل لترجيح احد الوجهين لورود ما يريده
وقوله لم تكد الخ نفي للكذب بابلغ وجه بمعنى انه ما يقرب من الوقوع ابلغ مما لا يقع
فليس نفيها اثباتا ولا اثباتها كما توهم نفيا فلا يفقر به واجيب عنه كما فصله الخفاجي وشراحه
تفنى عن ذكره وخص المؤمن لان نفسه اقوى وعقله اتم مما عداه وقيل انه لبعد
العهد بالوحي هو منوا المبشرات وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الدارقطني
وضعفه فلا وجه لما قيل من انه لا صحة له من كل طاء اي مرض وتغيير مزاج البردة بموحدة وراء
مهملتين مفتوحات وهي التخمة الاكثار من الطعام حتى لا يقدر المعدة على هضمه سميت
بها البرد المعرة حتى تضعف عن صحة وتصفيه اخلاطه والمراد بكونه اصلا لذلك انه مشهور
ويبدؤه في الغالب

• فان الداء اكثر ما تراه • يكون من الطعام او الشراب •

وما روي عنه صلى الله عليه وسلم والراوي له الطبراني في الاوسط كما يأتي
بيانه والمعنى لم يبنه وفي حديث ابي هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم المعدة بوزن
كلمة وبكسر الميم وسكون العين وذال مهملة مقر الطعام كالمرئ للحيوان والحوصلة للطائر
حوض البدن تشبيه بليغ والحوض مجمع الماء فشبهها به وشبه البدن بما يستقى منه وقيل شبهها
بعروق الشجرة والبدن بغروسها وورقها وهو يكاد رد ما في الحوض من الصفا والتشبيه
ثم رشح ذلك بقوله والعروق اليها واردة جمع عرق وهو مجرى الدم والورود الاتيان
للماء فرادا وجمع وانما فشبه ادبيا لخلاصة الغذاء الى الاعضاء بالاخذ من الحوض المورود
والعروق تنقسم الى ضوارب وواردة كما ذكره اهل التشريح وان كان هذا حديثا هو
خبرها وقوله لا تصح به اي لا تحكم بصحته بما الموصولة قبل ورد وروي حديث بالرفع
بدلا من هذا والنصب اولى لضعفه ولكونه موضوعا بالجزم من صفته ويجوز رفعه
على انه مبتدا خبره تكلم فيه الامام ابو الحسن الدارقطني شيخ دار القطن محلة ببغداد
ولا يرد على المام انه كيف ذكر الموضوع فهو كذب عليه صلى الله عليه وسلم وهو ممتنع لان
ذلك في ذكره مع عدم بيانه وقد اختلف فيه فقيل انه مرفوع قال الطبراني في الاوسط
عن الزهري عن ابي هريرة مرفوعا المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة
فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة واذا فسدت المعدة صدرت العروق بالسقم ولم

يروه عن الزهري الا زيد بن ابي انيسة تفرد به الرهاوي وقوله تكلم الى اخره اي بحث في
سنده وكونه مرفوعا وقال في كتاب العلل اختلف فيه عن الزهري فرواه ابو قرة الراوي
عنه وقال عن عايشة ولم يقل عن ابي هريرة وكلا الروايتين عن ابي هريرة لم يصح ولا يعرف
من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو من كلام عبد الملك بن سعيد بن الجر وقيل انه من
كلام الحرث بن كلدة وعن ابن منبه ما يقرب منه وذكر ابن ابي الدنيا اجمعت الاطبا على ان
راس الطب الحمية والحكما على ان راس الحكمة الصمت وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت
الازمة دوا والمعدة دا وعودوا كل بدل ما اعتاده وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما خير ما تداويتم به السعوط بفتح السين وضم العين
وواو وطا مهملة وكذا اكل ما يداوى به فانه على فعول بالفتح وهو ما يجعل في الانف
ويستنشق به لفتح السدد الدماغية ومنع النزلات واللدود بفتح اللام وضم الدال المهملة وواو
ودال مهملة وهو ما يجعل في احد شقي الفم ويتغرغر به لدفع ورم يعتري الصبيان
غالبا وهما في الاصل اسمان في الراس واعلى الحلق ويسمى الثاني نزلة الحلق
وهو ورم فيه معروف وكان النسا يعالجنه برفعه بالاصبع فنهاهم صلى الله عليه وسلم
وامرهم بما ذكر وهو العود الهندي يحك في الماء ثم يفعل به ذلك فيحلله بحرارته وهو ماخوذ
من اللديد وهو جانب الوادي كما قاله الاصمعي وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم فانه
مرض خفي لا يعرفه اكثر الاطبا قديما فضلا عن زماننا وفي الهدي النبوي لابن القيم من هذا
النوع فيه شفا للصدور والحجامة وهي مص الدم بالة معروفة في الراس وبين الكتفين
وهو في موخر الدماغ تورث النسيان وهي دوا للشقيقة في الراس مع انه مرض مزمن وورد
فيها احاديث منها انه صلى الله عليه وسلم ما مر ليلة الاسرا بملا من الملايكة الا قالوا له مر
امتك بالحجامة والمشي بفتح الميم وكسر الشين المعجمة وتشديد المثناة التحتية وهو المسهل
يقال شربت مشيا ومشوا سمي به لان صاحبه يكثر المشي للخلا وفي الحديث لو كان شي فيه شفا
من الموت لكان في السنا ولبعض الشراح هنا كلام مختل تركه خير منه وخير الحجامة اي انفعها
بعد نصف الشهر يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين في الوتر دون الشفع وهذا
الحديث رواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما وصححه وابو داود عن ابي هريرة مرفوعا
وشينه مفتوحة وساكنة وغلب فيه المونث على المذكر او ذكر لحذف المميز ونهى عن الحجامة
في يوم الاربعا والسبت والاحد وروي عن ابن حنبل انه كره الحجامة في هذه الايام وانما كانت
الحجامة في النصف الاخير والربع الثالث من الشهر انفع لان الاخلاط تهيج في اوله وتسكن بعده
لهبوط العمر فالاستفراغ فيه اقل فلا يضعف ويقولون انه ينبغي ان يكون في الساعة الثانية
او الثالثة ولا يكون عقب حمام ولا جوع وشبع ولا في الصوم وفي العود الهندي سبعة
اشفية والمراد بالعود الهندي العود المعروف وقيل القسط الابيض وهو مبين في باب
المفردات من الطب والاشفيا جمع شفا على خلاف القياس والقسط بضم القاف ويقال كسط
بالكاف والسبعة انه ينفع من ذات الجنب وحصر البول وضعف شهوة الطعام والجماع والسم
ويدر الطمث وينفع امراض الكبد والحيل والسبعة علمت بالوحي وما عداها بالتجربة وقوله
صلى الله عليه وسلم كما تقدم الكلام فيه ما ملا ابن ادم وعا شرا من بطن شبه البطن بالوعا

الذي فيه الطعام وفي بعض النسخ من بطنه والشربة في البطن مخففة لانه يضر ويورث الكسل
المانع من العبادة وفي المفضل عليه تقديرية فان كان ولا بد اي ان لزم واصل معنى البد
المفارقة يقال لا بد من كذا ولا محالة اي لا مفارقة ولا تحول فاريد به لازمه فثلث من البطن
من الطعام وثلث للشراب وثلث يكون خاليا للنفس اي لدخوله وخروجه وهذا ايماء
الى انه لا ينبغي ملؤه بتمامه وان يكون ما فيه اقل من ملء ثلثيه وهذا بعض حديث رواه ابن
ماجة والترمذي وابن خزيمة مرفوعا وحسنوه وهو ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطن حسب
ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث الخ وجعله من طبه لانه بين مبدء الصحة
والمرض ومقدار ما يكفي البدن وربما يتوهم بعضهم انه يضعفه وقد قال بعض اهل الكتاب
ليس في كتابكم الطب فقال له بعضهم انه يضعفه وقد قال بعض اهل الكتاب قوله تعالى
كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال انما جمعت طب جالينوس ثم ذكر ما يتعلق بعلمه صلى الله
عليه وسلم بالانشا ولم يراع في اللف والنشر ترتيبا فانه ليس بلازم وقد يستحسن تركه
اعتمادا على فهم السامع فقال وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن
فروة واحمد عن ابن عباس مسندا وقد سئل عن سبا بهمزة في اخره يجوز ابدالها الفا
وعلى همزه يصرف ولا يصرف فيجوز تنوينه وعدمه وهذا مما اختلفوا فيه في مسماه اهو رجل
ام امراة ام هو اسم ارض كان يسكنها وينزل بها فقال هو اسم رجل يسمى باسمه ارض وهي
مدينة بلقيس باليمن فلا خلاف بين القولين وصرفه ظاهر ومنعه لانه اريد به
قبيلة فاذا اريد به الارض فباعتبار البقعة ولد عشرة من الاولاد الذكور ولذا قال عشرة
يتامن منهم ستة اي سكن اليمن فتوالد منه اكثرهم ونسبوا له وهم مذحج وحمير وكندة
والازد والاشعريون كما ذكره علما النسب واهل التاريخ واليمن اقليم معروف منه تهامة
ومنها المدينة وتشام اربعة اي سكنوا الشام بالهمزة وقد تمد وتبدل الفا وهو من الفرات
الى العريش وهو لخم وجذام وعامله وغسان كما قاله الواحدي في تفسيره وتحت هولاء
قبايل وبطون وافخاذ ليس هذا محل تفصيلها الحديث بطوله بالنصب اي اذكر هذا الحديث
وفيه اشارة الى انه اقتصر على بعض منه يكفي فيما اراده وترك الباقي لطوله والغني
منه واختلف في وجه تسمية الشام شاما فقيل لانها في جانب اليسار ويقال له شؤم من
كسرى وقيل سميت باسم سام بن نوح وعربت بالاعجام وقيل انه بمعنى الشامة لشامات حمر
وسود فيها وكذلك اي مثل ما تقدم من علمه صلى الله عليه وسلم بالانساب جوابه صلى الله
عليه وسلم لمن ساله وهو عمرو بن مرة في نسب قضاعة في حديث رواه احمد وابو يعلى والطبراني
عن عمرو بن مرة الجهني انه صلى الله عليه وسلم قال من كان هنا من معد فليقم فقمت فقال
اقعد فقلت ممن نحن قال انتم من قضاعة بن مالك ابن حمير وقضاعة بضم القاف وضاد معجمة
وعين مهملة ابو حي من اليمن لقب به لانفصاله عن الناس لان القضاعة ما ينفصل عن
اصل الحايط وقيل من قضع بمعنى قهر لقهره بشجاعته من عاداه وقيل القضاعة
من اسما الفهد او كلب الما وغير ذلك المذكور مما اضطرت بالبنا للمفعول وهو لغة القران
الفصيح او الفاعل افتعال من الضرورة والاحتياج قال تعالى امن يجيب المضطر اذا
دعاه العربي اي مع شغلها بضم الشين المعجمة ويجوز فتحها والاول هنا اولى اي اشغالها

وتقيدها

وتقيدها بالنسب اي بمعرفته وحفظه لاعتنائهم بضبط انسابهم ومعرفة ما اشكل عليهم مما جل
امرهم ضبطه وهو صلى الله عليه وسلم لا يعتني به ولا يشتغل بحفظه وذلك يدل على قوة معرفته
بالانساب وفي نسخة مصححة ومن ذلك فهو خبر مقدم وقوله قوله مبتداوه اي قوله صلى
الله عليه وسلم في حديث رواه البزار حمير وهم قوم من العرب بوزن درهم بن سنان بن شخب
راس العرب اي منزلتهم من الشرف في العرب بمنزلة الراس من الجسد ونابها وهو سن كبير خلف
الرباعية اي هم عمدتهم ومن اشدهم وهم من ولد معد بن عدنان ومن ذريته اسماعيل ومذحج
بفتح الميم وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة وجيم وهما حيان من العرب مالك وطي
سميا باسم امه ولدتهما امهما عندها وميمه زايدة فوزنه مفعل وقال الجوهري اصلية
فوزنه فعلل ووهم فيه كما فصل في كتاب سيبويه وشروحه وليس هذا محله وغلصمتهما
اي راسها وغلصمتهما بفتح الغين المعجمة وسكون اللام وفتح الضاد المهملة وميم وهاء وهي
لحمة بين الراس والعنق او راس الحلقوم وفيه اشارة الى اشتراكهما في الشرف وتخصيص
كل بفضيلة مع التفنن في التعبير فان الراس والهامة متقاربان والناب والغلصمة يحتاج لكل
منهما في اساغة الطعام الذي هو مادة الحياة وقيل انه تفصيل لمذحج لان الحاجة للغلصمة اشد
ولك ان تقول انه اشارة الى ان في حمير مع الشرف شدة وقهر وفي مذحج لين ونفع وعلى كل
حال فما وصفوا به دال على المدح والشرف على طريق التشبيه البليغ او المجاز المرسل بتسمية
الكل باسم الجزء وقول ابي بكر رضي الله عنه في حديثه المشهور امن هامها ام من لهازمها اي
اشرافها او اوساطها يدل على تفضيل حمير والازد بهمزة مفتوحة وزاي معجمة ساكنة
ودال مهملة وهو الاود بن الغوث وهو بالسين افصح كما في القاموس ابو حي باليمن منه
الانصار ويقال ازد نشوة وعمان وسراة وازد بن الفتح محدث كاهلها بوزن فاعل وهو
ما يلي العنق من اعلى الظهر كما قاله الخليل وعليه الكل والحمل وقيل ما بين كتفيه او موضع
العنق في الصلب وجمجمتها بضم الجيمين وميمين الاولى ساكنة والثانية مفتوحة وهي عظام
الراس وتطلق على الراس نفسها وجماجم العرب بطون منها والجمجمة ايضا اسم قدح وبقل
معروف وفيه اشارة الى ان غيرهم وان كان اشرف كالمهاجرين والخلفاء فهم لهم الفضل بمعونتهم
وجمل كدهم لان الانصار منهم وهمدان بسكون الميم ودال مهملة قبيلة باليمن وبفتح الميم
اسم بلدة غاربها هو من البعير كالكاهل من الانسان والكتف وذروتها بكسر الذال المعجمة
وضمها وسكون الراء المهملة اي اعلاها وسنامها ففيه من المعرفة بانساب العرب ومنازلها
في الشرف والاحاطة باحوالها ما لا يهتدي له سواه صلى الله عليه وسلم وقيل اراد بالذروة اعلى
السنام وان محايله الضعف والنكارة لايحة على هذا الحديث لتكريره وذكر الراس بالفاظ مختلفة
ولذا جزم ابن حجر بانه منكر قلت اما انكاره من جهة الرواية فمسلم واما من جهة تكرار
المذكور فتفنن بديع ونوع من الفصاحة فلا وجه للاستدلال وهو عليه وقوله صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابي بكرة في خطبة حجة الوداع ولفظ قوله في جميع
ما وقع هنا بالجر رواية عن المص وان جاز رفع بعضها ان الزمان قد استدر اي عاد لما كان
عليه كالدايرة التي يرجع ابتداوها الى ابتدائها كهيئته يوم خلق الله السموات والارض
وتتمة الحديث السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة
والمحرم ورجب مضر بين جمادى وشعبان انتهى وقيده بذلك دفعا للنسي وتغيير الشهور الذي

هامتها
ح

كانت الجاهلية تفعله فانهم كانوا اهل حروب وغارات فربما اتاهم بعض الاشهر الحرم وهم
محاربون فيشق عليهم الترك فيحلون وينقلونه من شهر الى اخر ويستمر نقله من شهر لاخر
سنة بعد سنة حتى يعود لموضعه الاول فيتنقل بذلك شهر الحج وكانوا يحجون في كل شهر عامين
فوافق حجة ابي بكر العام الثاني في حجة الوداع ذي القعدة فلما حج صلى الله عليه وسلم حجة
الوداع وافق حجة ذي الحجة المشروع فوقف كما هو الان فخطب واعلمهم ان حجه في هذا
الشهر ليس اتفاقيا بموافقته لدور الشهور في الجاهلية وانما هو امر شرعه الله وقدره
في الازل وامره به نسخا لما كانوا يفعلونه وامرهم صلى الله عليه وسلم بالمحافظة عليه
وان لا يبدل ويدور دور الجاهلية الاولى فقوله استدار بمعنى رجع لما في علم الله وقضايه
قديما وهو معنى قوله يوم خلق الله الخ فنسي الشيء ونسخ وكان اذا ارادوا ذلك يقوم رجل
من بني كنانة لانهم اهل غارات على جمل بالموسم وينادي بها على صوته ان الهتكم قد احلت
لكم المحرم فاحلوها واستدارته بموافقة حجه للمشروع ولذا لم يحج صلى الله عليه وسلم قبله
وارسل ابا بكر رضي الله عنه بالعهد ليطهر الحرم قبل حجه ونقل ابن حجر ان حجة الوداع
كانت والشمس في الحمل وقد تساوى الليل والنهار واعتدل بشرف شمس النبوة وقال
الصدر القونوي في شرح الاربعين حديثا له ان في هذا الحديث اسرار الهية لا يطلع عليها
الا بعض الكمل ثم قال ان النوع الانساني اوجد بالامر الالهي في اول دور السنبلة ومدته
سبعة الاف سنة بعث نبينا صلى الله عليه وسلم في الالف الاخير منها الجامع بين السنبلة والميزان
المختص بالاخرة والبروج تتمازج بالقرب فامتزج في زمان بعثته الدنيا بالاخرة البرزخية
كالصبح بالنسبة للنهار فظهور النور تدريجا على قطع الشمس وكذلك ظهور احكام الاخرة
من حين المبعث الى طلوع الشمس من مغربها ومنه ظهر سر ختمية النبوة والولاية انتهى ملخصا
ومن لم يفهم الحديث ذكر ما لا مساس له به ولا ينبغي ذكره وذكر هذا الحديث هنا اثبات العلمية
عليه الصلاة والسلام بالحساب فان الزمان وحركاته الدورية مبنية عليه وقوله صلى
الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما في الحوض اي في بيان
حوضه الذي يكون يوم القيمة يشرب منه العطاش وقد تقدم الكلام فيه رزقنا الله وزده
وسقانا منه شربة لا نظما بعدها زواياه سوا جمع زاوية وهي ما يحصل من تلاقي خطين من
داخله وسوا بمعنى متساوية وهذا يقتضي انه مربع متساوي الاضلاع مستقيمها فانه لا يتساوى
زواياه الا استقامت اضلاعه وهذا امر مبني على المسامحة ودقايق الهندسة وذكر ابن
ابي الاصبع انه نوع من البديع غريب سماه الاستقصا وان منه قوله تعالى الى ظل ذي ثلاث
شعب فقال انه ايما الى انه ليس بظل لان المثلث لا ظل له وهذا كله كلام يحتاج للتحرير
لكن لكل مقام مقال وهذا لا ينافي ما ورد فيه من ان مسافته ما بين ايلة وصنعا ومسافة
شهر وغير ذلك كما مر لانه اعلم باحواله شيا بعد شي كما قيل بل لان المراد من كل زيادة
سعته فهو كما في المثل كلا جانبي هرسي اليه طريق وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه ابو داود وابن ماجة عن عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما في حديث الذكر
وهو انه صلى الله عليه وسلم قال خصلتان لا يحصيها رجل مسلم الا دخل الجنة وهما يسير
ومن يعمل بهما قليل يسبح الله عز وجل دبر كل صلاة عشرا ويحمده عشرا ويكبر عشرا قال فرايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقدها بيده فذلك خمسون فهي ماية باللسان والف

وخمسماية

وخمسماية في الميزان فاذا اوى الى فراشه سبح وحمد فتلك مائة باللسان والف وخمسماية
في الميزان فايكم يعمل في اليوم الفين وخمسماية سيئة الى اخر الحديث وان الحسنة بعشر امثالها
فتلك مائة وخمسون على اللسان اي اذا اجرت على اللسان وذكرت في دبر كل صلاة من الصلوات
الخمس فانها ثلاثون مضروبة في خمسماية والف وخمسماية في الميزان التي توزن به الاعمال
والوزن اما لصحفها او لها نفسها بجعل الاعراض اجساما وعند المعتزلة انه تمثيل لمضاعفة
اجرها فان الحسنة بعشر امثالها كما ورد به النص وهو اقل مراتبها وقد يزيد على ذلك
وهذا استدلال من المص على معرفته صلى الله عليه وسلم بالحساب وهو بالنسبة لمقامه
وحدة ذهنه امر سهل وقوله يعقدها اشارة الى انه لم يكن له صلى الله عليه وسلم مسبحة يسبح
بها بها ولذا قال بعضهم انها بدعة وان لم يباشرها بنفسه لانه صلى الله عليه وسلم راى
عند بعض الصحابيات نوى تعد به الذكر فاقرها عليه وقوله صلى الله عليه وسلم في
حديث رواه الطبراني عن ابي رافع بسند قالوا ان فيه ضعفا وهو في موضع جملة حالية وفي
نسخة ومر بموضع فعم موضع الحمام هذا بفتح الحا المهملة وتشديد الميم بيت يعد للغسل
يذكر ويونث ولم يكن في عصره صلى الله عليه وسلم بالمدينة حمام ولم يدخله وهذا تمثيل
لما لم يذكره فان فيه الاخبار بحجار البنا وهاب الهوا ونعم للمدح والمخصوص به هذا وقيل
وقيل موضع الحمام لقوله نعم دار المتقين وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي
عن ابي هريرة وصححه ما بين المشرق والمغرب قبلة القبلة تطلق على المسجد كما في قوله
واجعلوا بيوتكم قبلة في احد التفاسير وعلى الكعبة وعلى جهتها وسمتها وهو المراد هنا
لانه المراد عند الاطلاق وهو اما بيان لقبلة اهل المدينة لانهم المخاطبون او على من
هي في جنوبه او شماله او التبست عليه وقال ابن عمر اذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق
عن يسارك فما بينهما قبلة واما كون الواجب استقبال عين الكعبة او جهتها فمبحث طويل
مفصل في التفسير وكتب الفقه لا يسعه هذا المقام والشاهد في الحديث انه يدل على علمه
صلى الله عليه وسلم بعلم الميقات فان معرفة سمت القبلة باب منه تضمنه هذا الحديث
وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره ابن الاثير في النهاية ولم يخرجه السيوطي
لانه لم يقف عليه لعيينة ابن حصن الفزاري ويكنى ابا مالك واسلم يوم الفتح وكان من المولفة
وكان من جفاة الاعراب وهو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم انه الاحمق المطاع
لانه كان سيد قومه وعيينة علم منقول من تصغير العين او الاقرع بن حابس ابن عفان
بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمي واسمه فراس ولقب بالاقرع لقرع في راسه وهو من
المولفة ايضا وكان شجاعا فارسا شريفا في قومه في الجاهلية والاسلام اسلم وقدم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم وهو الذي نزل فيه ان الذين يناونك
من وراء الحجرات وقصته مذكورة في السير والشك في المقول له من الراوي وقال ابن الاثير
انه صلى الله عليه وسلم عرض عليه الخليل وعنده عيينة فقال انا اعلم بالخليل منك
فقال صلى الله عليه وسلم انا افرس بالخيل منك اي ابصر واعرف ومصدره الفراسة
بفتح الفا والفراسة بالكسر من التفرس وهو معنى آخر وهو رد عليه باسلوب حكيم ولم
يقل له لست كذلك لما يعلمه منه من انه اعرابي جافي وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
رواه الترمذي عن زيد ابن ثابت لكاتبه وكان صلى الله عليه وسلم عدة كما مر والمقول له

منهم قيل انه معاوية رضي الله عنه وقد عد البرهان في حاشيته هنا كتاب النبي صلى الله
عليه وسلم فبلغ عددهم ثلاثة واربعين وعدهم شيخه الحافظ العراقي وقال ان شيخه الجمال
الانصاري افردهم بتاليف قلت وقد وقفت اذا ايضا على تاليف لابن ابي الحديد
فيهم وكانه لم يقف عليه ولم نفصلهم هنا لان له مقاما اخر وكان المداوم على الكتابة له صلى
الله عليه وسلم زيد ومعاوية ضع القلم على اذنك لم يعينها والمراد اليمين فانه اي وضعه
كذلك اذكر اي اكثر ذكرا بكسر الذال وضمها وهو ضد النسيان للملي اسم فاعل اصله المملل
وجوز فيه ان يكون مفعولا ايضا اي ما يذكر ويملي واحلى واملى بمعنى وهو القا ما يكتب
على الكاتب وبهما ورد القران قال تعالى فليملل الذي عليه الحق وقال تعالى فهي
تملى عليه والاصل امللت فقلبت تخفيفا كما قاله الراغب واما قوله تعالى واملي لهم ان كيدي
متين فمعناه امهلهم هذا اي خذ هذا او اذكر وقيل ها اسم فعل بمعنى خذ من غير تقدير
والرسم يخالفه وهي كلمة مستعملة في الانتقال والمخلص من كلام لاخر او ما يتممه وهو كذلك
في القران وكلام العرب اي معرفته صلى الله عليه وسلم بالكتابة واحوالها مع انه صلى
الله عليه وسلم امي امة امية لا يكتب ولا يحسب فهو من معجزاته لانه كان لا يكتب كما تقدم
بيانه وانه قيل ان كان ذلك في اول امره وانكتب بعد ذلك في الحديث كما ذكره بعضهم
وقد رده وشنعوا عليه كما فصله ابن حجر في تخريج احاديث الرافعي وقد تقدم بيانه
في غير ما موضع ولكنه صلى الله عليه وسلم اوتي بالبنا للمفعول للعلم بان الموتي له هو
الله علم كل شي حتى قد وردت اثار جمع اثر وهو ما يوثر ويروى مطلقا وقد يخص
بما يقابل الحديث المرفوع من كلام بعض الصحابة او التابعين بمعرفته حروف الخط
اي كيف رسمها وحسن تصويرها اي صورتها المستحسنة عند اهلها ومن مارسها كقوله
صلى الله عليه لكاتبه لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم اي لا تجعل السين مدة طويلة من غير
بيان لسنانها فانه يلبس صورتها وفي نسخة لا تمدوا رواه ابن شعبان من طريق ابن
عباس رضي الله عنهما وابن شعبان هو محمد بن القاسم بن شعبان بن اسحاق المصري
المالكي توفي سنة خمس وخمسين ومائة وضعفه ابن حزم وله ترجمة في الميزان وقال
السيوطي حديث ابن عباس لا تمد بسم الله الرحمن الرحيم لم اجده وللديلمي من حديث انس اذا
كتب احدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمد الرحمن وله من حديث زيد بن ثابت اذا كتبت
فبين السين في بسم الله الرحمن الرحيم وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الاخر الذي
يروى بالبنا للمجهول ونايب فاعله قوله عن معاوية ابن ابي سفيان احد كتبته صلى الله
عليه وسلم كما تقدم وفي نسخة الذي يروي معاوية اي يرويه عنه صلى الله عليه وسلم
ويروى مبني للفاعل على هذا انه كان يكتب بين يديه اي عنده وفي مجلسه فقال له الق
الدواة القاف بفتح الهمزة وكسر اللام والقاف لالتقا الساكنين يقال لاق الدواة يليقها
ليقة وليقا والاقها ولاق يتعدى ولا يتعدى اي اصلح مدادها من قولهم لاق به اذا الصقه
ومنه يليق بك كذا ولا يليق اي يناسب واشهر استعمال ذلك فيما يجعل في الدواة من حرير
او لبد او نحوه لانه يصلحها لمنعه كثرة اخذ المداد في القلم الذي قد يفسد الخط وحرف
القلم اي اجعل قطه محرفا فانه اعون على تصوير السنان ويكون تحريفه من جهة اليمين
واقم الباء اي اجعلها مستقيمة او طولها قليلا لانها عوض عن الف اسم وفرق السين

اي اجعلها

اي اجعلها سننها منفصلا بعضها من بعض ولا تعور الميم اي لا تجعل دايرتها مطموسة كالعين
العورا وهو بضم المثناة الفوقية وفتح العين المهملة وكسر الواو المشددة وراء مهملة وحسن
الله اي كتابته وصورة لفظه تعظيما لمسماه ومد الرحمن اي لم يبينوا معنى المد فيه
فهو بمعنى مد ما بين الميم والنون هكذا الرحمن عوضا عن الالف الساقطة خطا والمراد
اسم الفا بعده ويبعده مخالفة رسم المصحف العثماني وجود الرحيم اي حسن كتابته
والتجويد مطلق التحسين ويختص في العرف بتحسين الخط وفي عرف القرا تحسين التلفظ
بالحروف ورعاية مخارجها وصفاتها وهذا رواه الديلمي في مسند الفردوس وهذا
اي معرفته صلى الله عليه وسلم بالخط وهو مبتدا خبره قوله الاتي فلا يبعد والفا زايدة
او خبر مقدر اي محقق ونحوه في جواب الشرط وان لم تصح الرواية انه عليه الصلاة والسلام
كتب بيده الشريفة اشارة الى ما قاله الباجي من انه روي انه صلى الله عليه وسلم كتب
بيده في الحديبية كما تقدم وانه لا يضر في كونه اميا لانه كان في بدء امره لامر انقضى بالقضا
سببه فهو معجزة اخرى له صلى الله عليه ~~الصلاة والسلام~~ وسلم فلا يبعد عقلا
ان يرزق علم هذا اي علم الخط من غير تعليم ويمنع الكتابة والقراة من المصحف
قيل ولا يبعد ان تقع منه الكتابة والقراة في وقت معجزة اخرى له بشهادة ما في
البخاري انه صلى الله عليه وسلم اخذ الكتاب فكتب هذا ما قاضى عليه رسول الله في عمرة
القضا وانه قال لعلي كرم الله وجهه امح رسول الله لما اباها بعض المشركين فقال والله
لا امحوها ابدا فاخذ الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد ابن عبد الله
اقول قد علمت ان هذه مقالة صدرت عن الباجي انكرها عليه اهل عصره ونسبوه
للزندقة وعقد مجلس له فحاجه علما عصره وقالوا انه مخالف لنص الحديث والقران
وكونه عد من معجزاته فاجاب بانه صرح به في حديث البخاري والتجوز خلاف
الاصل وفي القران ما يشير اليه لان قوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك يقتضي كتابته من بعده وهو معجزة لا تنافي كون اميته معجزة في اول امره وقد ذكره
ابن حجر وغيره من شراح البخاري واما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب
جميعها قبايل وبطونا وكل احد لا يعرف ولا ينطق ولا ينشده وان انشده نادرا غير
وزنه في اكثر احواله الا انه كان ترد عليه شعرا العرب المفلقون بمدايح يمدحونه بها
وتنشد بين يديه فيصغي لها ويعلم منها ما يعلمه غيره من فصحايهم الا ترى كعبا كما انشده
قصيدته وقال فيها

فتوا في جريتها للبصير بها ... عنق متين وفي الحدين تسهيل

قال الصحابة رضي الله عنهم الجريان العنيان فقال صلى الله عليه وسلم لا بل الاذان وهو
كذلك عند العرب الا ترى قول علقمة

له جريان يعرف العنق فيهما ... كسامعتي مذعورة وسط ربرب

وقد نقل بعضهم نظاير لهذه القصة والثمرة تدل على الشجرة وفي ذكره الشعر بعد الكناية
مناسبة تامة اذ كل منهما مما عرفه صلى الله عليه وسلم اتم معرفة ولم يتلبس به وهو من مقاصده
الحسنة وفيه دليل على ان ذكر الشعر والبحث عنه امر مسنون كغيره من العلوم وقد قالوا ان
معرفته من فروض الكفاية حتى شعر المولدين كما ذكره السيوطي في شرح منظومة المعاني

والبيان واختلفوا بعد الاتفاق على امتناع الخط حتى قال الشافعية بحرمتهما هل كان
يحسنهما اولا فقيل بكل من القولين كما في الروضة والحفظ يتعلق بالمعاني والالفاظ فلا وجه
للاعتراض عليه بانه لو قال فهم معاني اشعارها كان اظهر فامر مشهور قد نبهنا على بعضه
في اول الكتاب في فصل فصاحته كما تقدم وكذلك مثل معرفته للغات العرب حفظه لكثير من لغات
الامم غير العرب وهذا ترق في معرفته لذلك ودليل على انه معجزة وموهبة ربانية كقوله في
الحديث الذي رواه البخاري عن ام خالد سنه سنه قاله صلى الله عليه وسلم لام خالد وهي
بنت خالد بن سعيد بن العاص وامها اميمة بنت خلف تزوجها الزبير وهي صحابية ولدت بالحبشة
وتربت بها وهي صغيرة ولذا تلطف النبي صلى الله عليه وسلم بها وخاطبها بما تعرفه من لغتهم
وان كانت عربية من صميم العرب وقاله لها لانه اتي بثياب فيها خميصة صغيرة سودا
فيها اعلام صفر وخضر فدعاها والبسها لها وقال لها ذلك كما فصله البخاري وفيها لغات
سنه سنه كما ذكر وسنا سنا بالقصر وسناه سناه مع تخفيف النون وتشديدها وانكر بعضهم
تخفيفها وروي كسر سين سنا فقول الكرماني انها عربية واصلها حسنة فحذفت بحذف
الحا كقوله بالسيف شا اي شاهدا يأباه هذه الروايات وان الحذف من الاسما في غير ترخيم
الندا مع شذوذه لم يعهد من الاول وهي اي سنه بمعنى حسنة انتهى باعتبار الخميصة
ولمناسبة سنه لفظا بالحبشية اي ذي لغة الحبشية وهم جيل معروفون وقوله صلى
الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان وغيرهما من طرق في حديث الفتن المتقدم
ويكثر الهرج بفتح الها وسكون الرا المهملة وجيم وهو القتل بها اي بلغة الحبشة فعربه
صلى الله عليه وسلم وقال ابن قرقول في المطالع فسر بالحديث بلغة الحبشة وهم قوم
من بعض الرواة والا فهي عربية صحيحة واصل معناه اختلاط الناس بعضهم ببعض
ومنه لن يزال الهرج الى يوم القيامة والعبادة في الهرج كهجرة الي انتهى وهو رد
لما قاله المص ولمن توهم انه تفسير مروي في الحديث ومنه يعلم انه ورد بمعنى الفتنة
وما قيل من انه المهرجان اسم يوم لانه يوم قتل يحيى بن زكريا لا وجه له لانه يقتضي انه
فارسي ولم يقله احد وقيل انه من توافق اللغتين وهو اقرب الى الصواب ان صحت
الرواية منه ومنه المثل هم في هرج ومرج والمزحم بمعنى بمعناه وتسكينه للازدواج وقد
نظمها القايل

اتى زمن الربيع فهاج قوم ۞ الى الصهبا في هرج ومرج

وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة الذي رواه ابن ماجه عنه اشكنب
درد وفي بعض الروايات اشكنب دردم بزيادة ميم ساكنة واشنكب بهمزة مفتوحة
وشين معجمة ساكنة وكاف عربية مفتوحة ونون ساكنة وبا موحدة ساكنة وفسره
المص باياتي وفي الفارسية بهمزة مكسورة وقد تفتح ويزاد فيها ها فيقال شنكبه
بكسر الشين فعربت وغير لفظها ومعناها فان معناها الكرش عند العرب ودرد
بدالين مهملتين مفتوحتين بينهما را مهملة ساكنة والميم عندهم ضمير المتكلم وسياتي
ما فيه وقد علمت ان الصحيح اهمال الدالين واسقاط الميم كما رواه ابن ماجه وضبطه
به الرواية عنه فانه قزويني اعلم بلغته وثقة في الرواية فما قيل ان دال درد
الاولى معجمة وهم مما راويه كرواية الميم لانه لا يناسب قوله اي وجع البطن فانه لو صح

ذلك قال

ذلك قال اي وجع بطني وفسره غيره بوجع بطنك وهو اشبه بترك الميم لانا يقال
ترك معناه التعريب والذي رواه ابو ما جئتكم بشيء مجمعة ملسورة وكافا مفتوحة
وهو صح لا تشكم بالفارسية معناه البطن وفي سننه قال ابو هريرة هجر النبي البنى صلى
الله عليه وسلم فتجرت وصليت ثم جلست فالتفت الي وقال شكم درد فقلت نعم يا رسول
الله فقال قم فصل فان في الصلاة شفاء كذا صححه الشارح المجريد نقلا عن شيخه ابن عبد الحق
السباطي وعنده وهو الحق المعتمد فاعرفه فان شيخنا هذا خاتمة الحفاظ بمصر واليه انتهى
علم المقولات وله تاليف مشهورة رحمه الله وروي اسكنب بكسر الهمزة وان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قاله لابي الدرداء والمشهور الاول كما قاله التلمساني ولم يذكروا وجه تكلمه صلى
الله عليه وسلم معه بالفارسية وهو ليس بعربي فلعله اراد ستره ولذا اورده قال ثم فسره
في رواية ذكر البرهان بعضا مما تقدم وقال انه في بعض النسخ اشقتب وهو غريب ولم يسنده
لرواية فاعتمد على ما قدمناه وقوله بالفارسية اي باللغة الفارسية نسبة لفارس بناء
على ان مرت بن سام او يافث وقيل انه ولد لصلبه وقيل انه ادم عندهم وبقيا لهم
الفرس ومما تكلم به صلى الله عليه وسلم بالفارسية لفظ سور في حديث جابر وهو الدعوة
للطعام وبالفارسية الفرس الذي يفيد ذلك مفهوما مما ذكر من معرفته باللغات او مما قاله
التي لا تحصر مما لا يقام بعض هذا وفي نسخة بعضه فضلا عن كله ولا يقوم به اي يوفي حقه
كله ولا ببعضه فضلا عن كله الا من مارس الدرس اي عالجه واجتهد في حفظه ودراسته
وتلقيه من اهله وفي نسخة الدروس والعكوف على الكتب اي ملازمة مطالعتها مذاكرة
والنظر فيها من الاعتكاف وهو ملازمة للمكان فاستعاره لما ذكر وفيما تقدم دليل على
جواز التكلم بغير العربية ولو بلا ضرورة خلافا لمن ذهب لكراهته وفي فيه احاديث
واهية لمن تكلم بالفارسية نقصت مروءته وانه يورث النفاق وانه لسان اهل النار اهل الجنة
في الجنة ومنافقة اهلها مفاعلة من نفق بمثلثة وقاف ونون اي صاحب السم ولا نسم وهو
ابلغ منهم منه لانه من نفق البيض اذا ترك والنفنات ما غلظ طول مسلم للادمي كالذنب
وصدن لدابته من دان الاربع يعني جلس بين يديهم للتعلم كالبعير البارك على
الارض وهذه هيئة المتعلم في ادبه وقال التلمساني هي المشقة من نافقته اعنته
وروي مثاقبة بمثلثة وقاف وموحدة كما تقدم اتى وفي بعض النسخ منافقة بنون وفاء
ومثلثة اي مباحثة وتطرق الى الدقايق التي كنفاك السمر وفيه نظر وفي بعض الشروح
ما لا معنى له هنا عمره منصوب على الظرفية يتعلق بجميع ما قبله اي فعل ذلك مدة
عمره كلها ولم يتركه طرفة عين وهو صلى الله عليه وسلم رجل كما قال الله تعالى اي
منسوب الى الام كانه كما خرج من بطن امه لم يتعلم وهو مبرء من كل عيب او الى امة الوحي
لانهم معدون ومفوتون بالذكاء كما مر وكما قال الشاعر
عمي خالي وابي اي فقوله لم يكتب ولم يقرا صفة كاشفة مفسرة وانما ذكر قوله كما قال
الله تعالى تاديبا يعني لم اصفه صلى الله عليه وسلم بهذا الا اتباعا لما وصفه الله به
بقوله انا اوحينا الى رجل مشعر بهو وقيد لما بعده وما قبله فلا يقال ترك ادب فان
مثله لا يعاد له يا رجل كما ينادي باسمه فلله در العلم ما ابعد مرماه ولا يعجبه ما هنه
اي الكتابة والقراءة صفته حتى يقال انتقام من هذه الصفة في احد معجزة وفي

غيره نقص كما قال كفاك بالعلم في الامي معجزة ولا نشا اي لم يكن من اول نشاته وبدء امره
الي بعثته بين قوم لهم علم اي معرفة بشي من العلوم لانهم من الجاهلية ولا قراة لشي من هذه
الامور اي الكتب وغيرها لانهم لم يكونوا اهل كتاب ولا عرف هو صلي الله عليه وسلم قبل مبني
علي الضم اي قبل بعثته وظهور معرفته بما ذكر بشي منها اي مما ذكر من المعارف اللدنية
ثم استدل علي ذلك بقوله قال الله تعالي وفي نسخة عز وجل وما كنت تتلوا من قبله اي القران
وما علمك الله من كتاب ولا تخطه بيمينك اي بيدك اليمين التي يكتب بها وهو تاكيد وتصوير
وبين الله علة ذلك بقوله اذا لارتاب المبطلون اي شكوا وقالوا تعلمه ممن قراه وكتبه ثم بين
حال قومه في عدم ما ذكر بقوله انما كانت غاية معارف العرب اي ما انتهي اليه عليهم النسب
اي معرفة انساب قبايلهم الي اجدادهم واخبار اوايلها اي ما وقع لابايهم واسلافهم من
الحروب والوقايع والشعر اي حفظ شعر من قبلهم من القصايد والمقطعات والايات
والبيان ليس المراد به علم البيان المعروف لانه امر حدث كانوا في غني عنه السليقة ولا ثمرة
علم البلاغة كله كما توهم ايضا وانما المراد به المنطق الفصيح المعرب عما في الضماير وعني به
الخطب والرسايل ونحوها من الكلام المنثور الذي كانوا يذكرونه في محافلهم لمقابلته
للشعر وهو المعني بقوله صلي الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا وانما حصل ذلك لهم
اي معرفة النسب وما بعده بعد التفرغ لعلم ذلك اي مع ذلك لم يكن علمهم بما ذكر الا بمزاولة
واكتساب وصرف زمان لكسبه حتي عرف به بعضهم دون بعض فكان يقال فلان نسابة
وفلان راويه ونحوه والاشتغال بما يطلب ومباحثة اهله عنه بالسوال عنه والحفظ له
ولم يعهد منه اعتنا بذلك في اول امره وهذا الفن اي النوع الذي كانت العرب تعرفه
وتعتني به نقطة من بحر علمه صلي الله عليه وسلم اي اقل قليل بالنسبة لما ظهر من علمه بهم
ونقطة استعارة وبحر علمه استعارة او كلجين الما ولا سبيل الي جحد الملحد اي لا يمكن
الكفرة المايلين عن الطريق المستقيم انكاره وهو اشارة لتفسير قوله اذا لارتاب المبطلون
لشي مما ذكرناه من معارفه متعلق بجحد واللام زيادة للتقوية ولا وجد الكفرة حيلة
يبدونها تلبيسا في دفع ما قصصناه مما قدم تفصيله الا قولهم اساطير الاولين استثنا
متصل لانه لا حيلة فيه وهو جمع اسطورة كاحدوثة او جمع اسطار جمع سطر او اسطير
او اسطور اي هي احاديث مما سطره من قبله واكاذيب وقالوا انما يعلمه بشر اي هو مما
تلقاه من غيره وتعلمه فرد الله قولهم المذكور وابطله بقوله بلسان الذي يلحدون اليه
اعجمي وهذا لسان عربي مبين اي لسان من ادعوا انه تعلم منه لسان عجمي فكيف يمكن
تعليمه او التعلم منه ومعني يلحدون يميلون عن الحق بمقالتهم هذه ثم قالوا من انه يعلمه
رجل اعجمي وفي نسخة من غير دليل واصل معناه هجوم الشارق نهارا اي معاندة
في المحسوس لا تفيد فان الذي نسبوا تعليمه له صلي الله عليه وسلم بزعمهم الباطل اليه
متعلق بنسبوا اي اسندوه له اما سلمان الفارسي الصحابي المشهور رضي الله عنه لانه
كان عنده صلي الله عليه وسلم او العبد الرومي وهو يعيش غلام حويطب بن عبد العزي
الرومي وكان من قرا الكتب ثم اسلم وسياتي تفصيل قصته وسلمان انما اسلم عرفه بالمدينة
بعد الهجرة وعلومه صلي الله عليه وسلم ومعارفه هذه كانت ظاهرة قبل ذلك قبل ذلك
فكيف انه كان يعلمه وبعد نزول الكثير من القران حتي هذه الاية وبعد ظهور وفي

قالوه بها الضمير
مكابرة العيان
بكسر العين ولا تفتح
فيه كما مر والمكابرة
الانكار صح

نسخة

وفي نسخة نزول ما لا يعد للكثرة من الآيات القرآنية او العلامة الدالة على نبوته من
المعارف المذكورة الدالة على ابطال زعمهم واما العبد الرومي فكان اسلم
قبل الهجرة ولكنه كان يقرؤ على النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتعلم منه فكيف يقال انه
يعلمه واختلف بالبناء للمجهول اي اختلف المحدثون في اسمه كما سيأتي في كلامه فقيل انه
يعام او يعيش او جبر او يسار او بلعام فبموحدة مكسورة وقوله البرهان انها مفتوحة
لا اصل له ولام ساكنة وعين مهملة والف وميم ويعيش يأتي انه بفتح التحتية لا
او عبى مهملة والف وميم ويعيش يأتي انه بفتح التحتية وعبا مهملة مكسورة وتحتية
ساكنة وسبى معجمة ذكره الذهبي في الصحابة وقال انه علام المغيرة وهو الذي فيه قوله
تعالى انما يعلمه بشر وجبر بجيم مفتوحة وموحدة ساكنة وراء مهملة قال البرهان لم اقف
عليه في الصحابة وكذا يسار بفتح التحتية المثناة وسيأتي تتمة لهذا في محله وقيل بلال
النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده امتراب عن اسلامه وقوله عليه الى انه كانا عبدا
رومياً يحترفان بصقل السيوف عند المروة مع الناس فكيف قالوا انه يتعلم منه وهو لم
يجالسه ولم يعرفا وقيل المخالفة بينه وبين الاول في ايهما كان يجلس عند المحدث
قاله مترب انتقالي او ابطالي ولسانهما اي سلمان والغلام الرومي اعجمي اللسان اي لسان
كل منهما فيه عجمة وهم اي الطاعنون فيه بما ذكر ولسان التعلم له الفصيح اللدود جمع الد
وهو الشديد الخصومة ويجمع على لداد ايضا من اللدد وهو العناد وفي الحديث ابغض
الرجال الى الله الالد الخصم وهم الخطباء جمع خطيب وهو من يقوم على رؤس القوم
بكلام بليغ ملزم مفحم ولا يشترط فيه ان يكون شجاعا وقد كانا للعرب ولكل قوم منهم خطبا
معروفون بالبلاغة وانجاء الكلام للجزل الحسن بضم اللام وسكون السين جمع حسن
كحدر وهو الفصيح اللسان المطلق البيان وقيل جمع لسن فلا اشتباه فيه كما قبله
وقد عجزوا بفتح الجيم وكسرها عن معارضة ما اتى به اي مقابلته بكلام يحكيه والاتيان
بمثله عطف تفسير كحديه وطلبه منهم وتقريعهم بل عجزوا كلهم عن فهم وصفه ومعرفة
كنه بلاغته ووجه اعجازه ونظمه فتارة قالوا هو شعر وتارة قالوا انه سحر وكهانة
والحس يكذبهم والفصاحة تنادي على فصاحتهم وصورة تاليفه اي عجزوا عن فهم
صورة تاليفه ونظمه المعجز فانه لا يشبه كلام البشر والتاليف احفى من التركيب لانه تركيب
مع الفة ومناسبة وفي اكثر النسخ وصفه بالواو المهملة جمع رصف بفوقيتين وهو في الاصل
وضع الحجارة على بعض فالمعنى ستعي لترتيب الكلام المتين المحكم وفي بعض النسخ
ونظمه وهو ما قبله معطوف على وصفه ويكون عطفه على معارضته والاولى اقرب
والنظم مستعار من نظم الدر لتناسق الكلمات التي هي كالجواهر وما بعد بل تترق في النسخ
ومغايرته لما قبله ظاهرة لا تحتاج لتوجيه الا عند عدم الفهم فكيف هي للاستفهام عن الحال
والوصف المبهم ويراد بها التعجب نحو كيف تكفرون بالله وقوله يا عجبي متعلق
بمقدر اي كيف النظم يا عجمي وهذا تركيب سائغ في كلامهم تقول كيف بك اذا جاء الشتاء الكن
من الكلنة وهي عدم افصاح اللسان وبيان النطق نعم بفتحتين وقد تكسر عينه وقيل
نعام ايضا في لغة وهي كلمة تقع في جواب الكلام الموجب وقد تقع في ابتداء الكلام كما
هنا فكانها جواب سؤال مقدر وهي غير جواب كما يقال لمن طرق الباب نعم نعم وعليه

حمل قول جحدر نهم وارى الهلال كما تراه وقال بعضهم انها زايدة في مثله وفيه كلام
لم يحضرني الان وقد كان سلمان الفارسي رضي الله عنه او بلعام وهو بفتح البا الموحدة
على ما تقدم واشتهر كسرها ويقال بلعم ايضا وهو اسم الغلام او جبره بفتح الجيم وفتح
البا الموحدة ورا مهملة وهو عبد للفاكه بن المغيرة وقيل لعباد الحضرمي قيل ان سيده
كان يضربه ويقول له انت تعلم محمدا فيقال فيقول لا والله بل يعلمني ويهديني او يسار
بفتح المثناة التحتية وهذا المذكور مبني على اختلافهم في اسمه كما تقدم بين
خبر كان اي مقيما بينهم يعرفونه ويقال ظهر اينهم بالف ونون مفتوحة كانه لاستناده
اليهم ظهر وردا وظهر قدامه ثم كثر فشاع في الاقامة بين قوم يخالطهم يكلمونه مدا
اعارهم اي في جمع مدة اعمارهم يخاطبهم ويكلمهم ويكلمونه فكيف لا يعرفون حاله وهو
استدلال على كذبهم واصل معنى المدا الغاية ويطلق على جميع المدة الطويلة كما في
النهاية وذكر الماوردي ان غلامين نصرانيين من عين التمر احدهما يسار والاخر جبر كانوا
يسندون لهما ما ذكر وقيل غير ذلك فهل على واحد منهم اي من الكفرة شي من مثل
ما جا به محمد صلى الله عليه وسلم فيه حذف تقديره نقله عن هذين فان كان ضمير منهم
لسلمان والغلام فهو تعبير من المثنى بضمير الجمع تجوزا وفي نسخة من مثل ما كان يجي
به صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شي من ذلك الذي جا به رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الايات الباهرة وهو كالذي قبله وما منع العدو حينئذ
اي حين حضورهم معه مع كثرة عدده بفتح العين اي اي مانع لهم مع كثرتهم وحرصهم بوزن
العقود من الداب وهو الجد والتعب يقال ادابه اذا تعبه ثم صار بمعنى العادة المسببة
عن ذلك وصار حقيقة فيه وقوة حسده بحا مهملة وهو مما يبعثهم عليه الطلب
ويحثهم ايا يجلس الى هذا الذي زعموا انه يعلمه فياخذ عنه اي يتلقن بتعلمه منه
ايضا اي كما تعلم منه النبي صلى الله عليه وسلم على زعمهم الفاسد مما يعارض به
ما جا به ويتعلم ما يحتج به اي يجعله حجة ودليلا على شغبه اي لجاجه في خصومته
وعناده وتهييج الشريفة تنه يقال شغب وعلي وهو بفتح الغين المعجمة هنا لوقوعه فلغير
قوله طلبه وهو لغة فيه كما في القاموس وغيره وتسكن ايضا وهي اللغة المشهورة فيه
ومن انكر الفتح وقال انه لغة عامية كالحريري لم يصب مع ان الكوفيين يجوزون تحريك
كل ما عينه حرف حلق كالشعر على انه لو صح ما قاله قلنا له انه ازدواج ومشاكلة وخرقة
بعض لشيعته كفعل النضر بن الحارث وهو من كفار قريش وكان ذهب الى الحيرة
ليتعلم منهم اخبار ملوك الفرس رستم واضرابه فكان اذا قرا النبي صلى الله عليه وسلم
القران وقص عليهم وقصص ملوك الفرس وقال قد اتيتكم باحسن ما جا به محمد وهو
الذي نزل فيه ومن قال سانزل مثل ما انزل الله الاية ثم انه لم يزل كذلك مصرا على عداوته
صلى الله عليه وسلم حتى اظفره الله عليه فقتله كما ذكر في السير بما كان يمخرق متعلق
بفعل ويمخرق بمعنى يكذب والمخرقة لفظة مولدة ومعناها افتعال الكذب يتلهى
بها اخذوها من المخراق وهي خرقة يلعب بها من يرقص وهذه لفظة عربية ميمها
زايدة تصرف فيها المولدون وتوهموا اصالة ميمها كما في قولهم تمسكن ويمخرق
بضم التحتية وفتح الميم وخا معجمة ورا مهملة وقاف من اخبار كتبه التي كان

يأتي بها

ماتي بها ويقصها عليهم **ولاغاب النبي** صلى الله عليه وسلم **عن قومه** ولاخرج مما ذكره
الى بلاد بعيدة اقام بها اقامة يحتمل انه لقي بها من تعلم منه وهذا معطوف على قوله
ولاعرف الخ ولا يضره طول الفصل وما اعترض بين المعطوف فيه **ولا كثرت اختلافاته**
اي رواحه ومجيئه مرادا عديدة يقال فلان يختلف الى بلاد كذا اي يسافر ويذهب
اليها لانها مخالفة لمقره المعروف **الى اهل الكتاب** وهم اليهود والنصارى والتعبير
بالكثرة اشارة الى ماياتي انه صلى الله عليه وسلم وقع له ذلك مرة او مرتين الا انه فيهما
لم يفارق رفقاه من قومه ولم يقم عند غيرهم حيث سافر الى الشام كما ياتي **فيقال**
انه اسند منهم اي طلب المدد والاعانة من اهل الكتاب بتعليمه لشيء مما كانوا يتلونه
على قريش **بل لم يزل** مقيما عندهم **بين اظهرهم** في وسطهم مختلطا معهم وتقدم
انه يقال بين اظهرهم وظهرانيهم **يرعى** منبطه بعضهم بضم المثناة التحتية اذ يلاحظ ويحفظ
فهو بمرأى منهم ومسمع لا يخفى امره عليهم وبعضهم فتحه وحمله على رعاية الغنم والمواشي
وهو المناسب لقوله **في صغره** اي وهو طفل **وشبابه** اي بعد ما بلغ وصار شابا وكاد من ذهب
الى الاول انف من جعله صلى الله عليه وسلم داعيا ولكنه وقع ذلك له ولغيره من الانبياء
عليهم الصلاة والسلام ولم يكن معيبا عندهم وهو اقوى في اثبات مدعاه لان من يرعى يكون
في الغالب معتزلا عن الناس بعيدا عن التعلم **ثم لم يخرج من بلادهم** بعد ما شب وبلغ او بعد
ما وجد وعرف حاله **الا في سفرة** واحدة **او سفرتين** الى بلاد الشام مرة مع ابي طالب ورده
من الطريق باشارة بحيرا الراهب كما مر ومرة في تجارة لام المومنين خديجة رضي الله
عنها مع غلامها ميسرة فلم ينفرد عن اهل بلدته ابدا سفرا واقامة ولم يتردد للعلم في
السفرتين حتى يرد عليه قول البرهان ان السفرتين محققتان كما في السير فكان ينبغي ان
يقول الا في سفرتين جزما لان السفرة الاولى لما رده فيها عمه ابو طالب من الطريق
كانت كالعدم فانه كحلق يقال لمن راجع الله لم يسافر فلا وجه للاعتراض عليه ومثله لا يخفى
واما ذهابه صلى الله عليه وسلم مع مرضعته حليمة لبني سعد فلا يعد مثله سفر الاسبا
والمراد سفر خاص لديار اهل الكتاب وسفر يمكنه التعلم فيه وكذا ذهابه صلى الله عليه
وسلم الى الطايف الى بني عبد يا ليل فانه لغربه لا يعد سفرا واهلها جهلة اهل شرك لا
علم عندهم يعلمونه له وقوله **لم يطف فيها** اي في جنس السفرة **مكثه** اي اقامته وهو بفتح
الميم وضمها **مرة يحتمل فيها** وتعلمه من عالم وتقدم **تعليم الخليل** الذي كان نوابغ **قريش**
يعرفونه منه وهو استفهام انكاري ينفيه بطريق برهاني تم المراد واثبت مدعاه بقوله
بل كان في سفره في صحبة قومه لم يفارقهم ولم يخالط غيرهم طرفة عين **ورفاقه** بفتح
اوله مصدر كالسياحة بمعنى المرافقة وهي الاجتماع في السير والسفر من الرفق لان
كلا منهما يرفق بصاحبه **عشيرته** اي قومه وقبيلته من العشرة وهي الاختلاط قال
في القاموس عشيرة الرجل بنو ابيه الادنون او قبيلته **لم يغب عنهم** ويفارقهم مفارقة
تحتمل ملاقاة اهل الكتاب وتعلمه منهم **ولا خالف حاله** التي نشا عليها وعرف بها **مدة**
مقام بضم الميم مصدر بمعنى الاقامة **بمكة** الى ان هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة وفاعل
خالف ضمير يعود له صلى الله عليه وسلم وحاله مفعوله وقوله **من تعليم** بيان المقدر
في قوة المذكور لعلمه مما قبله اي ما خالفه لامر اجزن تعليم الخ وليست من زايدة في الفاعل وعلوم

كذا في ح ح

ابي الدر ح ح

وتعلمه من عالم غيره ح ح

رفع كما قيل واختلاف اي مجيء وذهاب واصله مجيء القوم بعضهم خلف بعض فاستعمل
المقيد في المطلق ومنه اختلاف الليل والنهار الى حبر بكسر الحاء وضمها وفتحها وهو العالم
من علماء اليهود او منجم اي عالم بالنجوم واحكامها او قس بفتح القاف كما في القاموس
وغيره واشتهر ضمه وذكره ابن السيد في المثلثات رئيس علماء النصارى او كاهن وهو من
العرب من يخبر عن المغيبات بواسطة ونحوه فاستوفى اقسام من يمكن التعلم منه من انواع
الناس ثم ترقى في ابطال ما قالوه فقال بل لو كان هذا اي لو فرض خلاف ما ذكر من حاله
صلى الله عليه وسلم بان فرضنا اسفارا كثيرة له ومكثا مع اهل الكتاب واختلاف للقسيسين
والاحبار بعد مبني على الضم والتقدير بعد ثبوت خلافه لا بعد مكثه بين اظهرهم
يرعى في صغره وشبابه كما قيل فانه غير مناسب لمن تامل كلامه كله لكان مجيء ما اتى به
صلى الله عليه وسلم من معجز القران الذي لا يشبه شيئا من كلام البشر قاطعا لكل عذر
اعتذروا به عن مخالفتهم له عنادا وبغيا منهم وجعله عذرا ايما الى انهم معترفون بحرمتهم
بدلالة الحال ومدحضا اي مزيلا ومبطلا من الادحاض وهو الازلاق ففيه استعارة
مكنية لتشبيههم بمن زلت قدمه لمشيه في اوحال الشرك ولكل حجة تشبثوا بها وهي اوهى
من بيت العنكبوت وفي نسخة لكل شبهة ومجليا بضم الميم وفتح الجيم وكسر اللام المشددة
ويجوز تخفيفها وتسكين الجيم وقال البرهان انه بضم الميم وسكون الخاء المعجمة والظاهر
ما قدمناه اي موضحا وكاشفا او مزيلا ومبعدا لكل امر غيهب تحيلوه وتلبيس احتالوا
به فصل ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم التي خصه الله بها عن غيره
من الرسل عليهم الصلاة والسلام وسائر الخلق وكراماته التي اكرمه الله وشرفه بها وباهر
اياته اي ظاهر علامات نبوته ومعجزاته والجار والمجرور خبر مقدم للحصر والاعتنا
وقوله انباؤه بفتح الهمزة بفتح الهمزة جمع نبا وهو الخبر اي اخباره الصحيحة الواقعة
له صلى الله عليه وسلم مع الملائكة والجن وامداد الله له بالملائكة بكسر الهمزة مصدر امده
امدادا من المد قال الراغب امددت الجيش بمدد والانسان بطعام واكثر ما جاء الامداد
في المحبوب والمد في المكروه نحو وامددناهم بفاكهة ونمد له من العذاب مدا انتهى اي
ارسال الله الملائكة عليهم الصلاة والسلام مددا له صلى الله عليه وسلم واعانة كما سياتي
وطاعة الجن له بانقيادهم واسلامهم لا بامدادهم ولذا خالف في العبارة بينهم وبين الملائكة
ورؤية كثير من اصحابه لهم اي للملائكة والجن كما سياتي ولا وجه لتخصيصه بالجن ثم
ابتدا بما يثبت ما قاله من القران فقال قال الله تعالى وان تظاهرا اي تتعاونا عليه
اي النبي صلى الله عليه وسلم بما يسوءه فان الله هو مولاه اي ناصره ومعينه وجبريل
وصالح المؤمنين ابو بكر وعمر معطوف على محل اسم ان ليكون ناصريه الاية اي والملائكة
بعد ذلك ظهير وضمير تظاهرا لحفصة وعائشة اما المؤمنين والاية وسبب نزولها
وتفسيرها مبسوط في محله وقد تقدم في اول الكتاب بعض منه وقال تعالى اذ يوحي
ربك الى الملائكة اني معكم بنصري وتاييدي فثبتوا الذين امنوا بالقتال معهم وتقوية
قلوبهم بوعدهم بالنصر وظهورهم على اعدائهم وهذا كان ببدر وقد كثر اعداؤه المشركون
وعددهم وقلة المسلمين وضعفهم وهو تعالى يؤيد من يشاء بنصره وقال في وقعة بدر
اذ تستغيثون ربكم تطلبون غوثه واغاثته فاستجاب لكم اي اجاب دعاكم وانجز وعده

لكم

لكم اني ممدكم الايتين اي اقراهما الي اخرهما اي اني ممدكم بالف من الملايكة مردفين اي
متتابعين وقال تعالي واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران الاية اي املناهم
واوصلناهم اليك والنفر ما دون العشرة وهولاء جن نصيبين وهذا كان ببطن نخلة في منصرفه
صلي الله عليه وسلم من الطايف وقد ذكر هولاء النفر وعدتهم واسماهم في مفصلات التفسير
واجتماع الجن به صلي الله عليه وسلم وقع مرتين بل اكثر وهو شاهد علي انه صلي الله
عليه وسلم مرسل للجن ولا شبهة فيه ولا خلاف عند من يعتد به حدثنا سفيان بن العاصي
الفقيه بسماعي عليه تقدم بيانه وبيان السماع ورتبته قال حدثنا ابو الليث السمرقندي
تقدمت ترجمته قال حدثنا عبد الغافر الفارسي تقدم
ايضا قال حدثنا ابو احمد الجلودي تقدم ضبطه وترجمته معروفة قال حدثنا مسلم القشيري
النيسابوري صاحب الصحيح المشهور قال حدثنا عبيد الله بن معاذ ابو عمرو العنبري
الحافظ الفصيح الثقة توفي سنة مايتين وسبع وثلاثين واخرج له اصحاب السنن حدثنا
ابي معاذ بن معاذ التميمي الحافظ قاضي البصرة واليه انتهي علم الحديث توفي سنة ماية
وستة وتسعين واخرج له اصحاب السنن ايضا قال حدثنا شعبة تقدمت ترجمته ايضا
قال حدثنا سليمان الشيباني ابن اخي سليمان فيروز وخاقان الشيباني بالمعجمة مولا
الكوفي الحافظ الثقة توفي سنة ثمان وثلاثين او احدي او اثنين واربعين وقول
الواقدي وابن كثير سنة تسع وعشرين غلط واخرج له الايمة الستة سمع زر بكسر الزاي
المعجمة وتشديد الرا المهملة ابن حبيش بالتصغير بحا مهملة وموحدة وتحتية وشين
معجمة وهو ابو مريم الاسدي ادرك وسمع عليا وعمر رضي الله عنهما وعاش ماية وعشرين
سنة وتوفي سنة اثنتين وثمانين واخرج له الستة عن عبد الله ابن مسعود الصحابي
المشهور وهذا التفسير الاتي اخرجه مسلم والترمذي والنسائي موقوفا والذي ذكره
المص رواية السنن وقال الترمذي انه حسن صحيح ولفظه قال تعالي لقد راي من ايات ربه
الكبري قال ابن مسعود رضي الله عنه في تفسيره وهو موقوف له حكم الرفع راي جبريل
في صورته الاصلية التي خلق عليها له ستماية جناح اللام جواب قسم مقدر راي راي الاية
الكبري من ايات ربه والكبري اسم تفضيل مونث اكبر ومن تبعيضية وفيه ايما الي انه راي
ربه وهو قول الاكثر فقد راه بعين بصره وهو مذهب ابن عباس وارتضاه الاشعري
والنووي وما نقل عن عايشة رضي الله عنها من انكاره فقيل انما الذي قالته كما في مسلم
عن مسروق انه قال كنت متكيا عند عايشة فقالت يا ابا عايشة ثلاث من تكلم بواحدة
منهن فقد اعظم علي الله الفرية قلت ما هن قالت من زعم ان محمدا صلي الله عليه
وسلم راي ربه فقد اعظم علي الفرية قال وما كنت متكيا فجلست فقلت يا ام المومنين
انظريني ولا تعجلي الم يقل الله عز وجل ولقد راه بالافق المبين ولقد راه نزلة اخري
فقالت انا اول من سال عن ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال انما هو جبريل
لم اره علي صورته غير هاتين المرتين رايته منهبطا من السما ساد اعظم خلقه ما بين
السما والارض الحديث انتهي فليس فيه نفي رويته لربه وانه صلي الله عليه وسلم
ذكر لها ذلك وقد تقدم ذلك جميع مع ما فيه وقد ذكر هنا انه راي جبريل وله
ستماية جناح سدت ما بين السما والارض والعدد لا مفهوم له فلا ينافي ان يكون

اجنحة تزيد على ذلك فان الملايكة اجسام مجردة قابلة للتشكل والخبر اي الحديث الصحيح
المسند في محادثته صلى الله عليه وسلم مع جبريل واسرافيل وغيرهم من الملايكة اعاد
ضمير الجمع على المثنى تعظيما لهما تنزيلا لهما منزلة الجماعة اي لتنزيل ذلك منزلة تعدد
الصور الذي يشير اليه ما قبله وبينه بقوله بعده وما شاهده من كثرتهم وعظم صورهم
ليلة الاسراء مشهور وفي نسخة وصورة بعضهم وفي نسخة وعظم صورهن وحديث الاسرا
ورؤيته صلى الله عليه وسلم الملايكة والانبياء مشهور وتقدم طرف منه ورؤيته للملايكة
كملك الجبال وملك المطر واسرافيل صحيح مشهور ايضا ومن اراد تفصيله فلينظر كتاب
السيوطي المسمى بالحبايك في اخبار الملايك فانه كتاب جليل في بابه وفيه عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عيره المشركون بالفاقة اي الفقر
وقالوا ما قصه الله من قوله ما لي هذا الرسول ياكل الطعام الاية حزنا لذلك فنزل عليه
جبريل وقال رب العزة يقريك السلام ويقول لك وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم
لياكلون الطعام الخ فبينما جبريل والنبي صلى الله عليه وسلم يتحدثان اذ ذاب حتى
صار مثل البردة وهي العدسة فقال له صلى الله عليه وسلم ما لك يا جبريل فقال فتح باب
من ابواب السما لم يفتح قبل ثم عاد لحاله وقال ابشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة فاقبل
رضوان وسلم وقال يا محمد رب العزة يقريك السلام ومعه سفط من نور يتلالا ويقول
لك هذه مفاتيح خزاين الارض فنظر لجبريل كالمستبشر فضرب جبريل بيده الارض
وقال تواضع لله عز وجل فقال يا رضوان لا حاجة لي في الدنيا قال اصبت اصاب الله
بك ويرون ان هذه الاية انزلها رضوان تبارك الذي ان شا جعل لك خيرا من ذلك
جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا **اقول** ومن هذا
علم انه لم ينزل بالقران الا جبريل غير هذه الاية والسر فيما ذكر ان نزول رضوان
وهو ملك الجنان . بت باعطايها علم منه جبريل ان الله اراد له صلى الله عليه وسلم
ما هو ارفى من ذلك في الجنة وانه لم يرض عجوز الدنيا الفانية ان تكون له ولو اراد
خلافه اتاه ملايكة الارض ومن له التصرف فيها كاسرافيل والا فجبريل عليه الصلاة
والسلام لا يقول شيا برايه ولا يفعل الا ما يومر به فافهم وقد راهم اي الملايكة بحضرته
اي في مجلسه صلى الله عليه وسلم والحضرة مثلث الحا مصدر حضر يحضر اذا جا وقدم
وتجوز فيه تجوزا مشهورا عن مكان الحضور نفسه ويستعمل للتعظيم في صاحب المجلس
فيقال الحضرة العالية تامر بكذا كالمقام كما يكتبه اصحاب الترسل جماعة من اصحابه
في مواطن جمع موطن وهو محل الوطن وهو هنا لمطلق المكان مجازا مرسلا مختلفة
اي متعددة واصل معناه المتغايرة فاستعمل في لازم معناه وقد تقدم بعض من الكلام
على رؤية بعض الصحابة للملايكة عنده صلى الله عليه وسلم وفي بعض النسخ فراى
اصحابه جبريل في صورة رجل يساله عن الاسلام والايمان والاحسان وعن الساعة
وهو اشارة في الحديث الذي في اول البخاري والكلام عليه وعلى الفرق بينه وبين
الاسلام مفصل في شروحه وراى ابن عباس واسامة بن زيد وغيرهما من الصحابة
كعايشة وام سلمة وعمر وحارثة عنده صلى الله عليه وسلم جبريل في صورة دحية
بن خليفة الكلبي الصحابي الجليل المشهور توفي في خلافة معاوية وكان من اجمل الناس

مطلب نزول جبريل بالقران

واجلهم

واجلهم ولذا كان جبريل عليهم الصلاة والسلام ياتي النبي صلى الله عليه وسلم على صورته
رضي الله عنه ودحية بفتح الدال وكسرها ومعناه الرئيس بلغة اليمن وتمثل الملك مع
عظم خلقته الاصلية بصورة صغيرة ليس باعفا بعض اجزايه ولا بازالتها ثم اعادتها
كما قيل بل لانهم انوار لطيفة قابلة للتشكل والتضام والانتشار كما يشاهد في اللهب في
هبوب الرياح وقول امام الحرمين انه كالقطن المنفوش تمثيل وتقريب للعقول ايضا فلا
ينقلب حقيقة او اتمثل رجلا تانيسا لمن يخاطبه ولا بعد في ان يخص الله بعض الانفس
القدسية على التصور بصورتهم وهو المسمى بعالم المثال وفيه كلام في كتب الاصول
والحكمة وبعض اهل الشرع ينكره وتبعهم شارح المقاصد وقوله في صورة دحية بتقدير
مضاف اي في مثل صورة دحية وما قيل انه تمثيل لتمكنه منها واستقراره فيها استقرار
المظروف في ظرفه تكلف لا حاجة اليه لان التشكل مثله للشمول والاحاطة يعد ظرفا
حقيقة في العرف ورؤية ابن عباس رضي الله عنهما له مرتين رواها الترمذي ورؤية
اسامة له رواها الشيخان عنه فقول الشارح الحديد لم اقف عليها من قصور النظر
ورأى سعد بن ابي وقاص في حديث رواه الشيخان عن يمينه ويساره جبريل
وميكائيل لف ونشر مرتب في صورة رجلين عليهما ثياب تسميتها وقع في الحديث
عن غير واحد وهذا كان بغزوة احد وقد قاتلا معه صلى الله عليه وسلم قال
النووي في شرح مسلم هذا مما اكرمه الله به وفيه رد لمن قال ان الملايكة لم تقاتل
بغير بدر وقد صح انهم قاتلوا معه بحنين وهذا هو الصواب وقال القرطبي في تفسيره
لم نقاتل الا ببدر ووعد الله المومنين باحد ان صبروا وثبتوا ان يمدهم بالملايكة فلم
يصبروا ولم يمدهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم ملكان يقاتلان عنه دايما وفي الحديث
دليل ان رؤية الملايكة لا تختص بالانبيا عليهم الصلاة والسلام فيراهم الصحابة والاوليا
ومثله عن غير واحد اي روي مثل ما في هذا الحديث من ناس كثيرين من طرق متعددة
ومثله عن غير واحد اي بعض الصحابة وغيرهم من الحاضرين زجر الملايكة زجرها حثها
لخيلها على الجري بصوت يوم بدر اي وقعتها حين القتال وهذا رواه ابو نعيم والبيهقي
عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا من غفار قال قدمت انا وابن عم لي ونحن مشركان
وصعدنا على جبل مشرف على بدر ننظر الوقعة وننظر على من تكون الدبرة فبينا نحن
كذلك اذ دنت سحابة فيها جمجمة خيل فسمعت قايلا يقول اقدم حيزوم فمات ابن عمي
من خوفه وكدت اهلك وحيزوم منادي اسم فرس الملك بالميم وروي حيزون
بالنون والصحيح الاول وبعضهم راى نظاير الروس اي سرعة وقوعها بخفة كطاير
طار عن مقره وهذا رواه البيهقي عن سهل بن حنيف وابي واقد الليثي من الكفار
في يوم بدر ولا يرون الضارب لانه ملك خفي عنهم وبعضهم راه وعرفه وقد روي
كلاهما في احاديث ذكروها ويجوز ان يقول ان النظاير استعارة شبهت بطاير
وحمام طار من برج بدنه بنفسه كانه ليس جزا منه بدليل قوله ولا يرون الضارب
ولا الضرب قال ابو داود المزني اني لاتبع رجلا من المشركين يوم بدر لاضربه
فوقع راسه قبل ان يصل اليه سيفي وكانوا يعرفون قتلى الملايكة بان لهم سماة نار
ونحوه ورأى ابو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب قبل اسلامه يومئذ اي يوم

بدر رجالا بعضا وجوههم وابدانهم على خيل بلق اي فيها بياض ولون اخر ما يقوم
لها شيء اي لا يمكن ان يقاوم شدتها وقبالها شيء غيرهم قل او كثر لما رآه من مهابة بطشها
وسرعته وقيل ان الرامي لذلك سهيل بن عمرو كما رواه المص هنا وهو هكذا في تخريج
السيوطي لاحاديث هذا الكتاب وفي الشرح الجديد انه رواه ابن اسحاق في سيرته ونقله
في حديث طويل في مهلك بابي لهب والمقعدة فيه عليه وقد كانت الملائكة تصافح عمران
بن حصين باكفها والذي رواه مسلم انها كانت تسلم عليه ولا منافاة بينهما فان المتلاقيين
يستحب لهما السلام والمصافحة تحية واكراما لان السلام امان والمصافحة تسليم يده له فهو
امان لفظا ومعنى وحسا وعمران بن حصين هذا هو الصحابي الخزاعي رضي الله عنه وحصين
علم منقول من مصغر حصن وهو كما قالوا افضل من نزل البصرة توفي في خلافة معاوية
سنة اثنين وخمسين ومصافحة الملائكة له مشهورة في الكتب المعتمدة واما السلام ففي صحيح
مسلم مسندا الى مطرف ان عمران رضي الله عنه قال له كنت الملائكة تسلم علي حتى اكتويت
فتركت الملائكة السلام علي ثم تركت الكي فعادوا وقالوا له الكمه ما دمت حيا قال النووي
رحمه الله كان به بواسير فاكتوى لها لقطع دمها وكان عظيم الصبر والتوكل فلذا قطعت
الملائكة السلام عليه والا فالكي ليس محرما وان قيل بكراهته اذا امكن العلاج بغيره
كما ورد في المثل اخر الدوا الكي وروي انه كان يسمع في داره السلام عليه من غير ان يرى
اهل الدار المسلم كما ذكره الترمذي وهذا وان كان خارجا عما عقد له الفصل من رؤية النبي
صلى الله عليه وسلم الملائكة ورؤية الصحابة لهم عنده فهو يعلم منه المقصود بالطريق
الاولى او هو استطراد وارى النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البيهقي مرسلا
عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما وراى بصرية تعدت بالهمزة لمفعولين اولهما حمزة
ابن عبد المطلب عمه صلى الله عليه وسلم وفي نسخة لحمزة باللام فهي زائدة كما في ردف
لكم وثانيهما جبريل في الكعبة اي في داخلها او عندها فخر مغشيا عليه خوفا من مهابته
لانه رآه على صورته ففي دلايل البيهقي وطبقات صورته قال انك لا تستطيع ان تراه قال
بلى فارنيه فقال له اقعد فقعد فنزل جبريل على خشبة كانت في الكعبة فقال له صلى الله عليه
وسلم ارفع طرفك فانظر فرفع طرفه فراى قدمه مثل الزبرجد الاخضر فخر مغشيا عليه
واعلم ان راى اذا تعدى بالهمزة لمفعولين كان من باب اعطى قال ابن مالك لا تدخل
اللام عليها لانه يلزم تعدي فعل بحرفين بمعنى وان تعدى احدهما لزم الترجيح بلا
مرجح ما لم يتقدما او احدهما فتعديه هنا باللام لا وجه له وقال ابن هشام انه شاذ
واللام زائدة كقول ليلى الاخيلية

احجاج لا معطي العصاة مناهم ولا الله يعطي للعصاة مناها

فان كان هذا ورد كذا فهو من الشاذ المسموع ولا اعتراض عليه واعلم ان الحافظ السخاوي
قال في كتابه عمدة الناس في مناقب العباس رضي الله عنه ان الحافظ السخاوي قال
العباس بعث ابنه عبد الله الى النبي صلى الله عليه وسلم فقام وراه وعنده رجل فالتفت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فراه فقال له متى جئت فقال له متى جئت فقال منذ
ساعة قال هل رايت رجلا قال نعم قال ذاك جبريل ولم يره خلق الا عمي الا ان يكون
نبيا لكن اسال الله ان يجعل ذلك في اخر عمرك وله طرق من الاسانيد الا انه معارض

برؤية

برؤيته جماعة من الصحابة كجبريل لم يعدوا ولكن هذا ضعيف وتلك صحيحة فلا يتكلف
الجمع بينهما وقد عمي ابن عباس في آخر عمره فقال

انا يا خذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وقلبي منهما نور
عقل صحيح ورأيي غير ذي زلل ... وفي فمي صارم كالسيف مشهور

وقال له بعض الامويين ما لكم يا بني هاشم تصابون في ابصاركم فقال وانتم يا بني امية
تصابون في بصائركم انتهى **قول** ما ذكره من حديث عمي الراي لجبريل
اذا ورد من طرق صار قويا وليس من قبيل الاحكام فيحمل معارضه نانخا فلا بد من
التوفيق فيحمل على من رآه وحده في بيت ونحوه مما كان منحصرا كالبيت من غير علم للنبي
صلى الله عليه وسلم برؤيته فلا يرد رؤية عائشة وغيرها له وذلك لانه نور شديد
قد يورث ضعف البصر الودي للعمى اذا احدق فيه الناظر واطال نظره في نوره الذي
لم يتفرقه هو من الاسرار الالهية فتامل ثم ان الحق قدم الملائكة لشرفهم ثم ذكر امر الجن
فقال **وراي ابن مسعود** في حديث رواه البيهقي **الجن في ليلة الجن** اني في ليلة راي
فيها رسول احمد صلى الله عليه وسلم الجن وقد امر باثارهم ودعوتهم للاسلام فدعاهم
وسمع كلامهم قال البرهان في المقتفى الذي في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود انه
لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن وقال ابو سعيد النائي في سيرته احاديث ابن
مسعود في كونه كان حاضرا في ليلة الجن روي من طرق وفيها انه وقتها بنبيذ التمر وذكره
السراج انه هذا كلام لا محصل له والحق ما قاله ابو النقا الشبلي الحنفي في كتابه اكمل المرجان
في احكام الجان من انه روي فيه احاديث متعددة منها ما رواه ابو داود عن ابن مسعود
انه علقمة قال له هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن احد قال ما صحبه منا احد ولكن
فقدناه ليلة فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا اغتيل فبتنا بشر ليلة فلما اصبحنا جاء من
قبل حراء وقال اتاني داعي الجن فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن وانطلق بنا وارانا
آثارهم ونيرانهم وذكر انهم سألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم
اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فلا تستنجوا بهما رواه احمد وهذه الليلة غير التي حضرها ابن مسعود وهذه في دلايل البيهقي مسندة قال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ليبلة من احب منكم ان يحضر الليلة الجن فليفعل قال فلم يحضرها احد
غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة خط لي برجله خطا امرني بالجلوس فيه وانطلق
حتى قام وافتتح القرآن فغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما اسمع صوته واراه الى الفجر
وسمعتهم يقولون له من يشهد لك انك رسول الله ويقر به بعيرة فقال ان شهد لي هذه
الشجرة فمشوا اليها فقالوا لها فدعاها والله فشهدت له فامنوا له وجمع البيهقي بين الروايتين
فقال قوله ما صحبه منا احد اراد به حالة ما به لقراءة القرآن الا ان قوله علم اصحابه بحيرته
بيانا في فقدهم له حتى قالوا انه استطير او اغتيل وفيه تصريح بابائه من فقده والتمسه وفي هذا
الحديث انخرج له خط لمخطا جلس فيه فلا يصح ما قاله البيهقي وهذا كله مشكوه ظنهم انها ليلة
واحدة ولا شك انها تعددت فمنها ما كان بمكة كما تقدم ومنها ما كان بالمدينة كما في دلايل النبوة
لابي نعيم مسند الجن مسعود وانه قيل له اكنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة وفد
الجن قال لجل الخزرج كل رجل دحلي من اهل الصفة يعشيه قلت لا قال انطلق معي لعلي اجد لك
ما يعشيك فانطلقت معه بجفرة ام سلمة فتركني ودخل فاخرج جارية فقالت لي لم يجد لك

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ما اخذك احد يعشيك قلت لا قال انطلق معي لعلي اجد لك
ما يعشيك فانطلقت معه بحجرة ام سلمة فنزلني ودخل ثم خرجت جارية فقالت لي لم يجد لك
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشا فرجعت الى المسجد والتففت بثوبي فجات الجارية وقالت
اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته ارجوا العشا فخرج وفي يده عسيب نخل فعرض به
على صدري وقال انطلق معي حيث انطلقت فقلت ما شا الله وكررتها ثلاث مرات فانطلقنا
حتى اتينا بقيع الغرقد فخط بعصاه خطا وقال اجلس فيه حتى اتيتك ولا تبرح فانطلق وانا
اراه خلال النخل فثارت مثل عجاجة سودا فخففت عليه فقلت الحق او استغيث الناس لظن هوازن
مكرت به ثم ذكرت قوله صلى الله عليه وسلم لا تبرح فسمعته يقول اجلسوا وهو يقرعهم
بعصاه فجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح فذهبوا واتى لي فذكرت له ما في نفسي فقال هم
وفد نصيبين الخ فهذه الليلة كانت بالمدينة حضرها ابن مسعود وما سيل عنه اولا كان بمكة
وقد وفد وعليه صلى الله عليه وسلم مرة اخرى حضرها ابن الزبير رواها الطبراني ومرارا اخرى
ذكرها في باب مستقل بطولها ثم قال وهذه الاحاديث تدل على ان وفادة الجن كانت ست مرات
الاولى فقد فيها وقيل اغتيل والتمس بمكة والثانية كانت بالحجون والثالثة كانت باعلا مكة
بالجبال والرابعة كانت ببقيع الغرقد والخامسة كانت خارج المدينة حضرها ابن الزبير
والسادسة كانت في بعض اسفار حضرها بلال انتهى ملخصه **وشبههم** اي ابن مسعود
لا النبي صلى الله عليه وسلم لقول قتادة ان ابن مسعود قدم الكوفة وراى شيوخا سودا
فزعوه فقال اخرجوهم ما اشبههم بالنفر الذين صرفوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعني الجن وفيه دليل على انه راهم **برجال الزط** متعلق بقوله شبههم والزط بضم الزاي المعجمة
وتشديد الطا المهملة قوم من السودان طوال وفي القاموس انهم جيل بالهند معرب جت
بفتح الجيم والقياس يقتضي فتح معربه والواحد زطي **وذكر ابن سعد** وهو محمد بن سعد
كاتب الواقدي وقد تقدم وهو بصري **ان مصعب بن عمير** القرشي العبدري الصحابي البدري
وهو ممن اسلم قديما وكان يحمل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه **لما قتل يوم احد**
اي في وقعته قتله ابن قمية لعنه الله ظانا انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي صحيح البخاري
عن خباب ان مصعبا لما قتل لم يكن له الا عزة كنا اذا غطينا راسه بها بدات رجلاه واذا غطينا
رجليه بدت راسه فجعلوا على رجليه شيا من الاذخر **اخذ الراية ملك على صورته** اي
تشكل بشكله وبرز على صورته حتى لا تقع راية المسلمين فان وقوع راية المسلمين العسكر
فيه ضعف لهم ولتمام ملك الصورة فيه جعل كانه عليها راكب لتمكنها فيه **فكان**
النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم
يا مصعب لنحو الاعدا في القتال فان الراية يتبعها المقاتلون لانه صلى
الله عليه وسلم لشدة توجهه للقتال لم يشعر بقتل مصعب ولم يتامل حال الراية **فقال له الملك**
لست بمصعب كما ظننته وفيه لطف وتبشير بسهولة الامر وظهور النصر وان مع اليسر يسرا
وهذا بنا على انه لم يعلمه كما رواه ابن سعد في طبقاته وعلى ما رواه ابن ابي شيبة في مصنفه
من انه صلى الله عليه وسلم قال يوم احد اقدم مصعب فقال له عبد الرحمن ابن عوف لما سمع
مقاله يا رسول الله الم يقتل مصعب يعني فكيف تناديه قال بلى ولكن مالك قام مقامه وتسمى
باسمه لئلا يعلم ان الناس قتل حامل الراية فيحصل فيهم اضطراب وتشمت الاعدا بهم ويتمنون

انهزامهم

انهزامهم فعلم صلى الله عليه وسلم قتل مصعب وعلى الاول لم يشعر بقتله وكونه علمه ونسي
او ظن ان الله احياه كما قيل بعيد فلا يقال كيف نا هذا داد باسمه بعدما علم انه ملك مع ان هذا
السوال غير وارد راسا بعد علمه انه تسمى باسمه لما مر وكان مصعب رضي الله عنه حامل راية
المهاجرين باحد ولوا الخزرج حامله الحباب ابن المنذر وقيل سعد بن عبادة وراية الاوس
بيد اسيد بن حضير وما روي من ان حامل رايته باحد علي بن ابي طالب كرم الله وجهه لا ينافيه
لان الراية كانت اولا بيد مصعب فلما استشهد اخذها الملك فلما انجلى الامر وعلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم يقتل كما شنع به ابن قمية وصرح ابليس اللعين ان محمدا قد قتل اخذ علي الراية
بعد ما امسكها الملك لحظة لئلا تسقط وينخذل المسلمون وتقر اعين الكفار وقول الملك لست مصعبا
المعروف لكم فلا يقال كيف قال ذلك بعد ما تسمى مصعبا وذكر غير واحد من المصنفين كالبيهقي
وابن ماكولا طولا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال بينا نحن جلوس
مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصى
كونه بيده عصى تحقيق لشيخوخته فان العصا سلاح الشيخ ولله در الباخرزي في قوله
في قوله

حمل العصا للمبتلى ... بالشيب عنوان البلا
وصف المسافر انه ... القى العصا كي ينزلا
فعلى القياس سبيل من ... حمل العصا ان يرحلا

وهو تلميح لقوله

فالقت عصاها واستقرت بها النوى ... كما قر عينا بالاياب المسافر

فسلم النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم سلامه بان قال له
وعليك السلام وجواب السلام يقال له رد حقيقة وهو في الاصل مجاز لتشبيهه بمن اعطى
شيا فاعاده لصاحبه ثم صار حقيقة فيما ذكر وقال صلى الله عليه وسلم لمن سلم عليه
بعد رده جوابه نغمة الجن وفي نسخة نغمة جني اي هذه او نغمتك نغمة الجن وصوتهم فهو
خبر مبتدا مقدر وقال الثعالبي في فقه اللغة حرش الكلام وحسن الصوت والنغمة بالفتح
جمعها نغم بفتح النون وكسرها وهو شاذ ومع شذوذه فله نظاير كهضبة وهضب وخيمة
وخيم وبضعة وبضع من انت من الجن وما اسمك وشهرتك وفيه اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم
يعرفهم لانهم وفدوا عليه مرارا كما تقدم قال انا هامة بن الهيم بها مكسورة فمثناة تحتية
فميم ابن لاقيس بن ابليس في ضبط هذه الاسما اختلاف فقيل هامة بوزن قامة وقيل الام
بالف ولام بالف ولام دون هاء والصحيح الاول والهيم بوزن الفيل كما مر وقيل انه مهموز
بوزن كيف ووعل وفي الشرح انه مضبوط بخط الحافظ بتشديد اليا بوزن قيم ولا يعتمد
عليه والكلام على ابليس مشهور وهو ابو الجن كما ان ادم عليه الصلاة والسلام ابو البشر
ويسمى عزازيل وقيل الحارث ويكنى بابي مرة ولاقيس بزنة فاعل وفي بعض النسخ لاقيس
بزيادة ياء وهو الاشهر الاصح حتى قيل ان اليا سقطت سهوا من الكاتب فذكر للنبي
صلى الله عليه وسلم انه لقي نوحا عليه الصلاة والسلام ومن بعده من الرسل والانبيا في حديث
طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القران ستاتي والحديث عن عمر رضي
الله عنه قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل من جبال تهامة اذ اقبل شيخ
في يده عصى فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وله نغمة الجن وعمتهم فقال له من انت

قال هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس قال ليس بينك وبين ابليس الا ابوين قال نعم قال فكم ازل
اعاتبه على دعوته عليهم حتى بكى وابكاني فقال لا جرم اني على ذلك من النادمين واعوذ
بالله ان اكون من الجاهلين وقلت له يا نوح اني ممن شارك في دم الشهيد هابيل فهل تجد لي من
توبة قال يا هام هم بالخير وافعله قبل الحسرة والندامة اني قرات فيما انزل الله علي انه ليس من
عبد تاب الى الله بالغا ذنبه ما بلغ الا تاب الله عليه فقم وتوضا واسجد لله سجدتين ففعلت
من ساعتي ما امرني به فناداني ارفع راسك فقد نزلت توبتك من السما فخررت ساجدا لله وكنت
مع هو هو في مسجده مع من امن به من قومه فلم ازل اعاتبه على دعوته على قومه حتى بكى
وابكاني وكنت مع يوسف بالمكان المكين وكنت القي الياس في الاودية واني القاه الان ولقيت
موسى بن عمران فعلمني من التوراة وقال اني لقيت عيسى بن مريم فاقره مني السلام
وان عيسى قال ان لقيت محمدا فاقره مني السلام فبكى صلى الله عليه وسلم وقال على
عيسى السلام ما دامت الدنيا وعليك يا هامة لادايك الامانة فقال يا رسول الله افعل بي ما
فعله موسى بن عمران فانه علمني من التوراة فعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم المرسلات
وعم يتساءلون عن النبا العظيم واذا الشمس كورت وقل هو الله احد والمعوذتين وقال له
ارفع الينا حاجتك يا هام ولا تدع زيارتنا فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينعه
لنا فلست ادري احي هو ام ميت انتهى واعلم انهم اختلفوا في هذا الحديث فقال ابن الجوزي
انه حديث موضوع لا اصل له وذكر له طرقا ذكر من في رواتها من الكذابين ولم يقبل روايته
وخالف فيه غيره وقال ان تعدد طرقه تدل على صحته وابن الجوزي له مجازفة في موضوعاته
اكثرها مردودة وقد روى هذا الحديث من يعتمد عليه كالبيهقي كما علمت وابن عساكر وغيرهما
وذكر الواقدي محمد بن عمر بن واقد المدني صاحب التاليف الكثيرة الغريبة وقد وثقه
كثير وطعن فيه آخرون توفي ببغداد سنة سبع ومائتين وعمره ثمان وسبعون كما تقدم وهذا
حديث صحيح رواه البيهقي والنسائي وغيرهما وهو مذكور في اكثر التفاسير قتل خالد
ابن الوليد وهو مصدر مضاف لفاعله ومفعوله السودا عند هدمه العزى وفي نسخة قطعه
وهي اظهر لان العزى كانت شجرة او ثلاثة اشجار في مكان واحد بنوا عليها بنا وكانوا يعبدونها
ويسمع منها اصوات فذكر الهدم باعتبار ما حولها فهو بتقدير مضاف هو مفعوله هدم
كقطع اي قطعها او هدم بنايها وكانت لغطفان وهي سمرة السودا مفعول قتل كما مر وفي
نسخة للسودا واللام للتقوية وهي شيطان في صفة امراة سودا التي خرجت له اي لخالد
رضي الله عنه لما باشر قطعها ناشرة شعرها عريانة واضعة يدها على راسها صائحة يا ويلها
وناشرة وما بعدها منصوب على الحالية وشعر بسكون العين وفتحها فجزلها بجيم وزاي معجمة
مفتوحتين والزاي مشددة للمبالغة ومخففة اي جعلها جزلين اي قطعتين وروي جدلها
بدال مهملة مشددة وروي عن خطه بخا وذال معجمتين يعني قطعها ومعانيها متقاربة
واشهرها اولها والضمير للسودا اي قطعها قطعا بسيفه وهو يقول يا عزى كفرانك لا
غفرانك اني رايت الله قد اهانك والعزى تانيث الاعز واعلم خالد بما فعله النبي صلى
الله عليه وسلم فقال تلك العزى ان كانت الاشارة لما وقع به الفعل من الشجرة
فظاهر وان كانت الاشارة للسودا فتسميتها عزى وهي اسم للشجر والبنا باعتبار انها
هي التي عبدوها حقيقة وسمعوا منها ما كانت تخبرهم به من المغيبات ونحوها كما يقال

لك من العمر قال افنيت الدنيا عمرها وكنت مع نوح في مسجده مع من امن به من قومه فلم صح

الحج

الجح البح واطلاق الشئ على المقصود منه مني مجانة وكانت بحلة يعبدها قوم شئ وكنا نقوم
من اجل اصنامهم وقصته هدهد منها مفصلة في السير وكان خرج خالد لها في ثلاثين فارسا والجن
قادرة على التشكل بصور مختلفة كالملائكة الا ان هذه اذا قتل ما تصور منها هلك ولما قتلها
خالد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك العزى لن تعبد ابدا وقتل ساد تها اي خادمها
الموكل بها وهو ديبة بضم الدال المهملة وفتح الباء الموحدة وتشديد المثناة التحتية ابن حرمي من بني
مرة وقال صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه الشيخان عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان شيطانا هو المتمرد من الجن من سنطني اذا ابعد ومن شاط اذا احترق فتنوه ر ابية او اصليته
تقلت بتشديد اللام فقداي ويئ بسرعة بفتح واصلها التخلص بعنف يقال انفلتت
الدابة اذا انخلصت مربطها البارحة هي الليلة الماضية قبل وقتك الذي تكلمت فيه بعيني في
ليلة يومه وقد ترد بمعنى اليوم الذي قبل يومك وفيه كلام في سبحان الدرة الغواص ليقطع
علي بتشديد الياء متعلق بيقطع يعني يبطل صلاتي التي كنت اصليها ويجوز ان يتنازع هو
وتفلت فامكنني الله منه اي اقدرني عليه وعلى اخذه وحبسه فاخذته اي امسكته وعزمت
على صبه وهو ربه مني فاردت ان اربطه بكسر الباء وضمها او ثقة بوثاق بضم لسارية
اي عمود واسطوانة من عمد المسجد وسواري جمع سارية المسجد المراد حتى تنظروا اليه كلكم
لاجل ان تروه مربوطا فذكرت دعوة اخي سليمان ابي داود نبي الله عليهما الصلاة والسلام
وهي قوله في دعائه رب اغفر لي كلما صدر مني من تقصير بالنسبة لمقام النبوة وان كان معفوا
وهب لي ملكا اي سلطانا عظيما لا ينبغي لاحد من بعدي اي لا يتيسر لاحد غيري وهو
لاحد ما في الانبغاء مطاوع بغى بمعنى طلب وليس هذا حرصا منه عليه الصلاة والسلام على
الملك وسعة الدنيا وانما طلب عظيمة يتفرد بها لتكون خارقة للعادة دالة على نبوته معجزة
له على تنفيذ اوامر ربه واظهار دينه وفي تقديم الدعاء بالمغفرة على حصول الملك اشعار
الى ان السلطنة لا تخلو عن امور تحتاج لعفو الله او حياء من الله لطلبه امرا لا يليق بغيره وترك
مقام العبودية الذي اوتيه انبياء الله عليه وسلم وقال ابن مخشري ان سليمان عليه
الصلاة والسلام سأل في بيت ملكه ونبوته فاراد ان يكون ما ورثه ابدا على غيره خارقا
للعادة ليتم به امره ويعلم انه باستحقاق للنبي الالهي لا مجرد ميراث كاولاد الملوك
ولا يتوهم انه طلب قصر نعم الله عليه والمؤمن يحب لاخيه ما يحب لنفسه فكيف بالنبي صلى الله
عليه وسلم لا تخصابص الانبياء وطلبها امر آخر وقد علم ان هذا الشيطان ماده من المردة
وبأتي الكلام في تعيينه الجي على النبي صلى الله عليه وسلم لا تخصابص الانبياء وطلبها
امر آخر وقد علم ان هذا الشيطان ماده من المردة وبأتي الكلام في تعيينه الجي على
النبي صلى الله عليه وسلم شعلة نار وهو بيدي ليقطع صلاتي فاخذه هو نفسه لما امكنه
منه كما قيل ولبعضهم ظفرت اكفك ايها ذو بايد لا طايل تحتها وقولوا رب اغفر لي بدل
مفسر لقوله دعوة اخي وتسخير الجن داخل في هذه الدعوة لقوله بعدها فسخرنا له
الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب والشياطين الخ ولما استجاب الله دعوته تركه صلى الله
عليه وسلم ذلك تادبا منه وتوفيرا لسليمان صلى الله عليه وسلم قال ابن
عرفة رحمه الله وما نقله عن الحجاج من انه كان لصوصا من فسقه وجهله بل من كفره وعدم
علمه بمقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام فيا للانسان ان يطلب من الملك شيا يخصه

به اذا علم انه لا يعطيه الا لواحد من مملكته فيجوز ان يكون هو ذلك الواحد وقوله فرده الله
اي رد الله ذلك الشيطان باقداري عليه وتمكني منه خاسيا اي خايبا حقيرا مطرودا من
كلامه صلى الله عليه وسلم كما هو واضح وقول البخاري قال روح فرده الله خاسيا بيان لانه
وقع من روايته لانه روي فرددته وهي صريحة في ذلك وهذا الحديث روي من طرق
وفيها زيادة واختلاف ففي بعضها عرض لي في صورة هر واخذته فخنقته حتى وجدت
برد لسانه على يدي وروي انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في صلاته
اعوذ بالله منك والعنك بلعنة الله ثلاثا وبسط يده لانه يتناول شيا فسالوه عن ذلك
فقال ان عدو الله ابليس لعنه الله جا بشهاب من نار ليجعله في وجهي وقوله في الرواية
المارة فاخذته وخنقته يعلم منه ان قول المص في شرح مسلم انه يحتمل انه لم يقدر عليه لا وجه
له فانه صلى الله عليه وسلم كان قادرا على ذلك فانه اوتي مثل كل معجزة لغيره كما
ياتي وفي بعض طرق هذا الحديث تصريح بان الشيطان هو ابليس وقيل يحتمل انه غيره وان
الوقعة تعددت قال ابن عبد البر الجن على تراتب جنيا وعامر وهو الذي يخالط
الناس وارواح وهم الذين يتعرضون للصبيان او اجنتها قيل وقرين الانبيا والعباد يقال
الابيض كما في تفسير القرطبي وهذا اي ما كان له صلى الله عليه وسلم مع الملايكة والجن
باب واسع اشارة الى ان ما ذكره قليل من كثير وغيض من فيض وفي اكمام المرجان ربطه
الى السارية من التصرف الملكي الذي تركه لسليمان وتصرفه صلى الله عليه وسلم نبوي بالدعوة
للاسلام والامر والنهي فانه كان عبدا رسولا وهو افضل من الملك النبي ثم ان خنقه وفعله
به ما فعله في صلاته احتج به على جواز مثله في الصلاة لدفع المار وقتل الاسودين
والمسابقة في صلاة الخوف فانتهى وفيه تامل

فصل ومن دلايل نبوته

صلى الله عليه وسلم والدليل ما يعلم منه شي اخر ويكون قطعيا وظنيا قال
استاذ والدي الشيخ احمد بن قاسم في الايات البينات هي جمع دليل على خلاف القياس
ويحتمل ان يكون جمع دلالة وجمع فعالة على فعايل قياسي والظاهر ان تسمية الدليل
دلالة مجازا انتهى وقال الراغب الدلالة ما يتوصل به الى معرفة الشي
وتسمية الدال والدليل دلالة كتسمية الشي بمصدره انتهى وفيه دليل لما قاله امام
الحرمين وانه سمع فلا وجه للتوقف فيه ولا لقول بعض شراح المنهاج الاصولي في
قوله دلايل الفقه صوابه ادلة وقال ابن مالك في شرح الكافية لم يات فعايل جمع اسم
جنس على فعيل فيما اعلم لكنه بمقتضى القياس جايز في علم المونث كسعيد علم امرة جمع
على سعايد وذكر النحاة انه في غاية القلة ورد منه لفظين لا يقاس عليهما وهما وصايد
جمع وصيد وهو الباب وسلايل جمع سليل وهو واد وزاد الجوهري بتابع جمع تبيع
واقايل جمع اقيل وهو الصغير من الابل وقول بعضهم انه قيده بقلمه فقد يقال
انه لا يمتنع سماعا ولا قياسا خبط لا معنى وعلامات رسالته العلامة الامارة واكثر ما
تستعمل في الظنيات وفيما يكون قبل الوقوع والفرق بين النبوة والرسالة مشهور وقد
يكونان بمعنى واضاف الدلايل للنبوة والعلامات للرسالة تفننا وقيل لان النبوة اصل
والرسالة وصف زايد انتهى والظاهر ما قلناه انه عاير بينهما تفننا والمراد بالدلايل
الدلايل القطعية وقدمها لشرفها واضافها للنبوة لسبقها على الرسالة وكلما دل

على النبوة

على النبوة ودعامي الرسالة للزوم تحديقها بعد ثبوت نبوته في قوله اني رسول
اليكم وكذا الرسالة مستلزمة للنبوة ومبنية عليها فعلا ملتها ما تواردت به الاخبار اي تتابعت
على بعضها يتبع بعضها بعضا من غير انفصال كذا في بعضها ركب خلفا الخر ففيه استعارة
مكنية وتخييلية والاخبار جمع خبر عن الرهبان وهم عباد النصارى وعلماؤهم كبحيرا في قصته
المشهودة جمع راهب من الرهبة وهي الخوف لان ظاهرهم خشية الله والخوف منه مقابل الرغب
للراغب لتركهم الرغبة في الدنيا كما قيل

يهوي غلاما من نصارى جاف ٭ فاعجب له من راغب في راهب

والاحبار جمع حبر بالفتح والكسر كما مر وهو العالم من اهل الكتاب والاشهر في علماء اليهود
وقوله وعلما اهل الكتاب من عطف العام على الخاص واهل الكتاب غلب على اليهود
والنصارى فالمراد بالكتاب التوراة والانجيل وغيرهما من الكتب السماوية وفي نسخة
الكتب جمعا وهما بمعنى ما صفته صلى الله عليه وسلم وصفة امته واسمه وعلامته ففي
التوراة محمد رسول الله عبدي المختار الخ واسند الحماد ونا وفي الزبور على وهب
بن منبه سيأتي من بعدك نبي يسمى احمد ومحمد امته مرحومة اعطيتهم مثل ما اعطيت الانبياء
الى غير ذلك مما نقله الثقات كقوله في علامته في الانجيل صاحب المدرعة والعمامة والهراوة
الجعد الرأس المكتحل العينين الجميل الوجه اذكر معاطفه فيه وذكر العلائم بالفتح والكسر هي علائم
النبوة التي بين لكتفيه وقد تقدم الكلام عليه وانه مثل زر الحجلة او بيضة الحمام وانه ختم به
بعد شق صدره وفيه شعرات وخيلاء عند نقض كتفه اليسرى وهو مذكور في كتب الله القديمة
وما وجد بالباء المفعول ما هالك اي مما يدل على نبوته ورسالته في اشعار المتقدمين من
العرب المتابهين قبل بعثته صلى الله عليه وسلم العالمين بما في الكتب السماوية القديمة من
شعر تبع بيان لما وجد وتبع بضم التاء وتشديد الباء الموحدة اسم لملك اليمن وجمعه تبابعة سمي
به لكثرة اتباعه المنقادين له واصل معناه الظل ولا يسمى تبعا الا اذا ملك حمير وحضرموت
واشهر منهم اثنان تبع الاكبر والاول والثاني ابو كرب وتبع الثاني هو الذي اراد تخريب
المدينة واستئصال اليهود لما شكوا له الاضرار منهم لانهم لما نزلوا عندهم قتلوا له
رجلا معه الملك اجل من يطريه فمزق او سيخته غضب وامره اعظم من ان يضيق حمله او
يحرم سفكه وهذه البلدة مهاجر بلدة نبي يبعث بدين ابراهيم قال السهيلي وهذا الرجل
من اليهود وهو احد الحبرين اللذين كلما الملك سخيت ومنبه او بنيامين وياتي انشاء الله
كله ايضا فامر به وكسي الكعبة وهو اول من كساها والشعر المذكور قوله

شهدت على احمد انه ٭ نبي كموسى وداني النسم ٭٭
فلو مد عمري الى عمره ٭ لكنت وزيراله وابن عم
وجاهدت بالسيف اعداءه ٭ وفرجت عن صدره كل غم
له اسم سميت في الزبور ٭ وامتدهي خير امم

وقوله

وياتي بعدهم رجل عظيم ٭ نبي لا يوافق في الحرم
يسمى احمدا بالحق اسمى ٭ اعم بعده بغلة نعام

والاوس بن حارثة بن ثعلبة العنقا بن عمرو بن مزيقيا بن ماء السماء بن حارثة الغطريف
ابن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك

ابن ابي بن كعب بن قيس بن عبيد بن معاوية بن مالك بن النجار والاوس في اللغة الذئب او العطية
سمي به ولد منسب الانصار وكانا اوس من عدة ناس في الفترة هداهم الله للتوحيد ولم يعبدوا
الاصنام وكانوا يباشرون اهل الكتاب فيخبرونهم بما في كتبهم من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
فيذكرونه في حظهم واشعارهم ولا يسمون شعرا فيه لم يذكره احد هنا من الشراح وهو سيد جواد
طائي كان صديقا لحاتم الطائي والاوس بالالف واللام ملحق وكذا قال السهيلي انه منقول من اسم
العطية لا من اسم الذئب لانه علم جنس كاسامة تدخل عليه الالف واللام قبل النقل فبعده
اولى وقال التلمساني انه روي هنا بدون الف واللام وهو خلاف لما قاله الامام السهيلي وكعب
بن لؤي هذا هو الصواب وفي بعض النسخ لؤي بن كعب وهو غلط من الناسخ ولؤي بهمز
ولا يهمز وهو تصغير اي بمعنى البطو ومن اولاد مناة جمع يوم الجمعة وسماها جمعة
وكانت تسمى عروبة في الجاهلية فكان يخطب فيها الناس ويبشر بالنبي صلى الله عليه وسلم
فيما نقل من كلامه نظما ونثرا انه قال في خطبة له اسمعوا وعوا تعلموا وافهموا واعلموا
ليل ساج ونهار رضاح والارض مهاد والسماء بناء ونبوه وعظموه فسيأتي له نبأ عظيم
وسيخرج من بني كريم ويتشد

نهار ويوم كل يوم مجاور ... سوى عملينا ليلها ونهارها
مؤبدان بالاحزان حين تتلوبا ... وبالسقم الصافي علينا لشورها
على غفلة ياتي النبي محمد ... فيخبر اخبارا صدقا خبيرها

الى آخر ما رواه ابن الجوزي مسندا في كتاب الوفا وسفيان بن مشاجع التميمي الدارمي المشاجعي
جد الفرزدق والمجاشع بن دارم وكانا احتملا عن قومهما دماء في حي من تميم فاداهم
فجمعوا عن كاهنة فاتاهم وجلس عندهم فسمع الكاهنة تقول الفرزدق من ولاه والاخيل
من خاله والموفون من والاه والمولون من عالاه فقال سفيان لمن تذكرين الله ابوك فقالت
صاحب هدى وعلم وبطش وحلم وحرب وسلم فوارس دوس ورايس من شموس وماحن
يوس وماهد زعوس وناعس وسفوس فقال سفيان لله ابوك من هو قالت نبي موجدا
فراني حيين يوجد ودنا اوانا يولد يبعث الى الحمر والاسود بكتاب لا يفند اسمه محمد
قال سفيان لله ابوك اعربي هو ام اعجمي فقالت اما والسما ذات الهنات والنجوم ذات
الافنان انه لمن معد ابن عدنان فامسك عن سوالها ثم ان سفيان ولد له ولد فسماه محمدا
لرجاء ان يكونه هو النبي المذكور وهو احد من سمي باسمه صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه
كما تقدم وهذا ما ذكره المم من تبشيره به وله شعر فيه الا انا السراج قالوا لم نقف عليه وما
ذكر يكفي في المقصود وقس بن ساعدة الايادي قس بن ساعدة بضم الغاف وتشديد السين
والقس العالم والايادي بكسر الهمزة نسبة لاياد حي من معد وفي الحديث ان قس بن ساعدة
يبعث امة واحدة وكانا من العلما الذين حكمهم وخالد منقطعا للعبادة في برية واسند النبي صلى
الله عليه وسلم قبل مبعثه وبعد النبي صلى الله عليه وسلم مرتيا بسوق عكاظ ولذا عده ابن هشام
شاهين وغيره من الصحابة وعمر حتى قيل انه عاش ستمائة او سبعمائة سنة وادرك الحواريين
فكان على دين عيسى عليه الصلاة والسلام قيل وكانت السباع تتردد عنده ولا تؤذيه ورعاها
ضربها بعصاه وهو خطيب مفلق يضرب به المثل وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قدم الحاج

على رسول الله

على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان سيد قومه قال يرسول الله والذي بعثك بالحق نبيا
لقد وجدت صفتك في الانجيل وبشر بك ابن البتول وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك محمد رسول
الله فامن هو وكل سيد من قومه وسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له يا جارود
هل في وفد عبد القيس من يعرف قسا قال كلنا نعرفه وكنت اقفوا اثره كاني انظر اليه يقسم بالرب
الذي هو له ليبلغن الكتاب اجله ويقول ها للقب من جواه اذكار وليال حلالهن نهار
في ابيات اخر فقال له صلى الله عليه وسلم فلست انساه بسوق عكاظ يذكر كلاما ما احفظه فقال ابو
بكر رضي الله عنه كنت حاضرا وانا احفظه سمعته يقول في خطبته يا ايها الناس اسمعوا وعوا
واذا وعيتم فقولوا واذا قلتم فاصدقوا انه من عاش مات ومن مات فات وكل من هو آت آت
مطر وبنات وارزاق واقوات وابا وامهات واحيا واموات وجمع واشتات وايات بعد
ايات ان في السما لخيرا وان في الارض لعبرا ليل داج وسما ذات ابراج وارض ذات رتاج وبحار
ذات امواج ما لي ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالمقام فاقاموا ام تركوا هناك
فناموا اقسم قس قسما حاتما لا حانثا فيه ولا اثما ان لله دينا هو احسن من دينكم الذي
انتم عليه ونبيا قد حان حينه واطلكم اوانه فطوبى لمن امن به فهداه وويل لمن خالفه
وعصاه تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية والقرون الماضية يا معشر اياد اين الاباء
والاجداد واين المريض والعواد واين الفراعنة الشداد واين من شيد وزخرف ونجد
وغره المال والولد اين من بغى وطغى وجمع فاوعى وقال انا ربكم الاعلى الم يكونوا اكثر منكم
اموالا واطول منكم اجالا وابعد منكم امالا طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله فتلك
عظامهم بالية وبيوتهم خاوية عمرتها الذياب العاوية كلا بل هو الله احد الواحد المعبود
ليس بوالد ولا مولود وانشا يقول

في الذاهبين الاولين من القرون لنا بصاير لما رايت مولودا للموت ليس لها مصادر
ورايت قومي نحوها تمضي الاصاغر والاكابر لا يرجع الماضي الي ولا اليك من الباقين غابر
ايقنت اني لا محالة حيث صار القوم صاير انتهى وروي له اشعار كثيرة فيها ذكره
صلى الله عليه وسلم كقوله

الحمد لله الذي لم يخلق الخلق عبث ولم يخلقنا سدى من بعد عيسى واكترث
ارسل فينا احمدا خير نبي قد بعث صلى عليه الله ما حج له ركب وحث

الى اخر ما ذكروه الا ان ابن الجوزي قال حديث قس المذكور موضوع وذكر اسانيده
وبين من فيها من الكذابين ورده السخاوي وقال انه يجازف في الوضع ولا يلزم من كون
السند فيه كذاب ان يكون المتن كذبا ان تعددت طرقه وقد رواه ابن سيد الناس
بسند ليس فيه كذاب ورواه غيره ايضا والصحيح انه ليس بموضوع وما ذكر عن سيف
بن ذي يزن وغيرهم ابن ذي يزن من ملوك حمير وتنسب اليه الرماح فيقال رمح يزني
وازني ويزاني وفيه وفي اشتقاقه كلام طويل للصاغاني وقال البرهان انه مصروف
والذي في القاموس انه ممنوع من الصرف لوزن الفعل واصله يزان ورده الصاغاني
في الذيل والصلة منع صرفه واطال فيه وقال مادة زان غير معروفة ولا تضاف
ذو هنا الا الى اسما الاجناس وفي شرح الدريدية لابن النحاس ان فيه قولين احدهما
انه من وزن حذفت الواو لوقوعها بين فتحة وكسرة ثم ابدلت الكسرة فتحة تخفيفا فلا

على هذا الثاني انه ما من اصله وذن قلبت الواو همزة كما في احد ثم ابدلت ياء وسمي به فهو منصرف
انتهى وهذا لم يرد عليه ما اورده الصاغاني وقوله لا تضاف ذو الا لاسما الاجناس ممنوع فانه
يضاف للاعلام كما في احد ثم هنا وهي لغة اهل اليمن فيضيفونه لاعلام ملوكهم وعظمايهم وهي
من اضافة المسمى للاسم ويقال لملوك اليمن الاذواء وقصته سيف مشهورة في التواريخ والسير
وكان ظهر على اليمن وظفر بالحبشة فتفاهم بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين فافتتنه
وفود العرب تهنيه وتمدحه فاتاه وفد قريش وفيهم عبد المطلب وامية بن عبد شمس وخويلد
بن اسد وغيرهم من وجوه قريش واستاذنوا عليه فاذن لهم وهو معطر بالمسك والعنبر وحوله
ابنا الملوك فقال لعبد المطلب ان كنت ممن يتكلم بين الملوك فتكلم فقال ايها الملك ان لله قد
احلك محلا رفيعا شامخا منيعا وابنتك منبتا طامت ارومته وغربت جرثومته وثبت اصله
وسبق فرعه في اطيب موطن واكرم معدن وانت ابيت اللعن ايها الملك راس العرب وربيعها
التي تخصب بعود راسهم الذي له ينقا وعمودها الذي عليه العماد ومعتقلها الذي اليه
يلجا اليه العباد وسلفك لنا خير سلف وانت لنا منهم خير خلف ولن يخمل ذكر من انت خلفه
ولن يهلك من انت سلفه ونحن ايها الملك اهل حرم الله وبيته اشخصنا اليك الذي ابهجنا بك
لكشفك الكرب الذي قد خفا ونحن وفد التهنية لا وفد الرزية فقال له سيف وايهم
انت ايها المتكلم قال انا عبد المطلب بن هاشم قال ابن اختنا قال هم فادناه واقبل عليه
وعلى القوم وقال مرحبا واهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا رحلا يعطي عطا
جزلا قد سمعت مقالتكم وعرفت قرابتكم وقبلت وسيلتكم وانتم اهل الليل والنهار لكم الكرامة
ما اقمتم والحبا اذا ظعنتم انهضوا الى دار الضيافة والوفود وامر لهم بانزال فاقاموا شهرا
لا يصلون اليه ولا ياذن لهم في الانصراف ثم ارسل الى عبد المطلب وقال بعدما قرب مجلسه
يا عبد المطلب اني مفض اليك بسر لو يكون غيرك لم ابح به ولكن وجدتك معدنه فليمكن عندك
مطويا حتى ياذن الله فيه فانه بالغ امره اني اجد في الكتاب المكنون والسر المخزون الذي
اخترناه لانفسنا دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة
للناس كافة ولرهطك عامة ولكن خاصة فقال عبد المطلب مثلك ايها الملك من سر وبر
فما هو فداك اهل الوبر والمدر زمرا بعد زمر فقال له اذا ولد بتهامة غلام به علامة بين
كتفيه شامة كانت له الامامة ولكم به الزعامة الى يوم القيامة فقال له عبد المطلب ابيت اللعن
لولا هيبة الملك واجلاله سالته عما ازداد به سرورا قال هذا حين زمانه الذي يولد فيه
او قد ولد واسمه محمد يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعثه
جهارا وجاعل له منا انصارا يعز بهم اولياءه ويذل بهم اعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض
ويستبيح بهم كرام الارض يعبد الرحمن ويذخر الشيطان ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله
فصل وحكمه عدل يامر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال عبد الملك ايها
الملك عن جارك وسعد جدك وعلا كعبك ونما امرك وطال عمرك هل للملك ان يسرني بافصاح
فقد اوضح لي بعض الايضاح فقال والبيت ذي الحجب والعلامات على التعب انك لجده بلا كذب
فخر عبد المطلب ساجدا فقال له ارفع راسك فقد ثلج صدرك وعلا امرك فقد احسنت شيا
مما ذكرت فقال نعم ايها الملك انه كان لي ابن كنت كنت به معجبا فزوجته كريمة من كرايم قومي
امنة بنت وهب بن عبد مناف فجاءت بغلام سميته محمدا ومات ابوه وامه وكفلته انا وعمه بين

كتفيه

كنفيه شامة وفيه كلما ذكرت من علامة فقال الذي ذكرت كما ذكرت فاحتفظ به واحذر عليه
اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطوما ذكرت لك دون هذا الرهط الذين
معك فاني لست امن ان تدخلهم النفاسة فيبغون لك الغوايل وينصبون له الحبايل وهم فاعلون
او ابناوهم ولولا اعلم ان الموت مجتاحي قبل بعثته سيرت بخيلي ورجلي حتى اتي بيثرب واميرها
دار مملكتي فاني اجد في الكتاب الناطق والعلم السابق ان بيثرب استحكام امره وموضع قبره
واهل نصره ولولا اني اقيه الافات واحذر عليه العاهات لاوطات العرب كعبه واعلنت على
حداثة سنه ثم ذكر ثم امر لكل رجل منهم بماية من الابل وعشرة اعبد وعشرة اماء وعشرة ارطال فضة
وخمسة ذهبا وكرش مملوء عنبرا وامر لعبد المطلب باضعافه وقال له اذا كان راس الحول فاتني
بخبره وما يكون من امره فهلك قبل راس الحول فكان عبد المطلب يقول لا يغبطني احد من قريش
بجزيل الملك فانه الي نفاد ولكن الغبطة بما ينفي لي شرفه وذكره في العقبي فاذا سيل عنه
قال سيظهر بعد حين وفيه شعر له وعن ابن عباس انه قال لعبد المطلب اشهد ان في احدي يديك
ملكا وفي الاخري نبوة فكانت النبوة والخلافة انه قال لعبد المطلب العباسية كما في كتب السير
والتواريخ وبما ذكرناه من انه مات قبل الحول يعلم انه ليس بصحابي ولا تابعي فذكر الذهبي
له في الصحابة لا وجه له والعجب من بعض الشراح حيث ذكر ما نقلناه وقال انه تابعي فالحق انه
ليس كذلك ولا مخضرم ايضا كما قيل ولعل الذي ذكره الذهبي اشار الي ان مثله لا يقال بالراي
ايضا وما عرف به من امره وكونه نبيا مرسلا وعرف بتشديد الراء مبني للفاعل لا للمفعول
وان صح بناء علي انه عرفه به اهل الكتاب والفاعل او نايبه زيد بن عمرو بن نفيل قال الذهبي
هو زيد ابن عمرو بن نفيل بن عبد العزي بن رباح العدوي الذي قال فيه رسول الله صلي
الله عليه وسلم انه يبعث امة وحده لانه كان يطلب دين ابراهيم ويكره الشرك واهله ويوحد الله
ويقول لقريش ما قومكم علي شي قد اخطاوا دين ابراهيم باوثن لا تضر ولا تنفع بعد وكان يخالفهم
ولا ياكل ذبايحهم فاجتمع بالنبي صلي الله عليه وسلم قبل نبوته وتوفي قبل مبعثه وقال
شاممت اليهودية والنصرانية فكرهتهما وكنت بالشام فاتيت راهبا فقصصت عليه فقال اراك
تريد دين ابراهيم يا اخا اهل مكة انك لتطلب دينا لا يوجد اليوم وهو دين ابيك ابراهيم
فالحق ببلدك فان الله يبعث لك من ياتي بدين ابراهيم الحنيفية وهو اكرم الخلق علي الله
انتهي المراد منه ومن خطه نقلت وروي غيره ايضا انه لقي راهبا بالجزيرة فساله عن
دين ابراهيم فقال له ان كل من رايته من الاحبار والرهبان في ضلال وانك لتسال عن دين
الله وقد خرج في ارضك او هو خارج نبي يدعو اليه فارجع اليه وصدقه فلقيه قبل بعثته
ببلد حينيذ فقال يا عم ما لي اري قومك قد ابغضوك ابتغي هذا الدين ثم اخبره بما عرفه به
الراهب من امره صلي الله عليه وسلم وهذا ما اشار اليه المص وعده من الصحابة توسعا
لانه لم يجتمع به صلي الله عليه وسلم بعد النبوة ونفيل تصغير نفل وهو العطية نقل للعلمية
وقيل ان اليهود قتلوه بلخم وورقة بن نوفل احد النفر الذين كانوا في الفترة علي الدين
الحق من قريش وهو ورقة بن اسد بن عبد العزي بن قصي وهو معطوف علي زيد اي وما
عرف به ورقة من امره صلي الله عليه وسلم واخبر به خديجة ام المومنين رضي الله عنها
كما ذكره البخاري وامن به بعد رسالته ولذا قال انه اول الصحابة وكان شيخا كبيرا يقرا
الكتب ويعرف العبرانية وقال للنبي صلي الله عليه وسلم لما اخبره بامره ابشر فانك الذي بشر به

ابن مريم وراة صلى الله عليه وسلم في الجنة وعليه ثياب خضر وقال لا تسبوا ورقة وله اشعار مدح
بها النبي صلى الله عليه وسلم **وعثكلان الحميري** بفتح العين المهملة وسكون المثلثة وكاف ولام
والف ونون والحميري نسبة لحمير قبيلة باليمن سميت باسم حمير بن سبا اي ما عرف به من امره صلى
الله عليه وسلم عمن لقيه من الرهبان وقال الشراح لم نقف على قصة عثكلان وفي الخصايص ان
ابن عساكر اخرج من طريق عبد الرحمن ابن عبد عن ابيه عن جده قال سافرت الى اليمن قبل
مبعثه صلى الله عليه وسلم فنزلت عن عثكلان بن عواكي الحميري وكان شيخا كبيرا انزل عليه
اذا جيت اليمن فنزلت عليه مرة فسالني عن مكة والكعبة وزمزم وقال هل ظهر منكم احد خالف دينكم
فعلمت لا ثم قدمت عليه قبل بعثه صلى الله عليه وسلم وقد ضعف وثقل سمعه فنزلت عليه
واجتمع عليه ولده وولد ولده واخبروه بمكاني فسد على عينيه عصابة واستند وقعد وقال
لي انتسب يا اخا قريش فقلت انا عبد الرحمن ابن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة قال
حسبك يا اخا زهرة الا ابشرك ببشارة هي خير لك من التجارة قلت بلى قال انبيك بالمعجمة
وابشرك بالمرعبة ان الله قد بعث في الشهر الاول من قومك نبيا ارتضاه صفيا وانزل عليه كتابا
وجعل له ثوابا ينهى عن الاصنام ويدعو في الاسلام يامر بالحق ويفعله وينهى عن الباطل ويبطله
فقلت ممن هو قال من الازد ولا ثماله ولا من السرو ولا تباله هو من بني هاشم وانتم اخواله
يا عبد الرحمن اخف الوقفة وعجل الرجفة ثم امض اليه ووازره واحمل اليه هذه الابيات

اشهد بالله ذي المعالي ... وفالق الليل والصباح
انك في السرو من قريش ... يا ابن المفدي من الذباح
ارسلت تدعوا لي يقين ... يرشد للحق والفلاح
اشهد بالله رب موسى ... انك ارسلت بالبطاح
فكن شفيعي الى مليك ... يدعو البرايا الى الفلاح

قال عبد الرحمن فحفظت الابيات وانصرفت فلما قدمت مكة لقيت ابا بكر رضي الله عنه
واخبرته الخبر فقال هذا محمد قد بعثه الله فاته فلما اتيت بيت خديجة رآني صلى الله عليه
وسلم فضحك وقال لي ارى وجها خليقا ان ارجوا له خيرا فما وراك قلت وديعة فقال
ارسلك مرسل برسالة هاته فاخبرته واسلمت فقال اخا حمير مومن مصدق بي وما شاهد في اوليك
من اخواني حقا انتهى **وعلما يهود** وفي نسخة علما اليهود بالالف واللام وكلاهما صحيح كما
بينه سيبويه في باب القلم فانه يكون علما لهذه القبيلة فيمنع من الصرف ولا تدخله الالف واللام
قال الشاعر

اوليك اولى من يهود بمدحة ... اذا انت يوما قلتها لم تؤنب

واذا قلت اليهود فانه بمعنى اليهوديين ولكن حذفوا يا النسبة انتهى وفصله شراحه اي ما عرف
به من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم علماؤهم مما قراوه في كتبهم ورووه عن اسلافهم
كابن صوريا وابن اخطب وابي ياسر ووهب بن يهود وغيرهم مما لا يحصى ومنهم من عاند حسدا
فمات على كفره ثم ذكر بعضا منهم وعطفه عطف الخاص على العام فقال **وشامول عالمهم**
بشين معجمة وميم ولام بينهما الف بوزن فاعول وهو من علما اليهود وكان مع تبع وصاحبه وفي
كتاب الوفا لما قدم تبع المدينة لنصرة الاوس والخزرج على اليهود قال ابن مخرب هذه البلدة
حتى لا يقوم بها يهودية ويرجع الامر لدين العرب فقال له شامول اليهودي وهو يومئذ

اعلم اليهود

اعلم اليهود ايها الملك ان هذه البلدة مهاجر نبي من بني اسماعيل مولده بمكة واسمه محمد وهذه دار
هجرته وان منزلك الذي انت به سيكون فيه من القتلى من اصحابه واعدائه امر عظيم فقال تبع
ومن يقاتله وهو نبي قال له قومه قال واين قبره قال بهذه البلدة قال فاذا قوتل لمن تكون النصرة
قال تكون له مرة وعليه اخرى ثم تكون العاقبة له فيظهر حتى لا ينازعه احد ثم ساله عن صفته
فاخبره بها كما مر في حديث الحلية الشريفة وقوله صاحب تبع اي الذي كان معه ورهبان اخرين
لما قدم المدينة فقالوا له لما قص عليهم شامول القصة المارة انا لن نبرح هاهنا لعلنا ندركه
او ابناؤنا فاعطى كل واحد منهم مالا وجارية فمكثوا فيها وقوله من صفته وخبره صلى الله عليه
وسلم كما عرفته انفا بيان لما عرف به وما الفي من ذلك اي من صفته وخبره في التوراة والانجيل
والفي بهمزة مضمومة ولام ساكنة وفا مكسورة ومثناة تحتية مبني للمجهول بمعنى وجد
ونصوص التوراة والانجيل كثيرة وسياتي طرف منها واعلم ان التبابعة اربعة وقد اختلفوا
في ايهم امن به صلى الله عليه وسلم هل هو الاكبر او غيره كما قاله السهيلي وليس هذا محل
تفصيله وتقدم بيانه اجمالا وقوله مما جمعه العلما في تاليفهم بيانا لما الفي فيها من صفته
صلى الله عليه وسلم وخبره وبينوه اي اظهروه ووضحوه للناس ونقله عنهم ثقات من
اسلم منهم اي من اهل الكتابين مثل عالمهم وحبرهم عبد الله ابن سلام بتخفيف اللام
وهو من اليهود وتقدم الكلام عليه وعلى اسلامه وبني سعية بني جمع ابن وسعية بسين
مفتوحة وعين مهملتين ساكنة ومثناة تحتية وقيل صوابه النون بدل المثناة التحتية بل قيل
النون اكثر واشهر وهم ثعلبة واسيد بالتصغير والتكبير وفتح الهمزة وزيد وقيل انهم سبعة
لكن الذي في سيرة ابن سيد الناس عن ابن اسحاق وان ثعلبة بن سعية واسيد بن سعية واسد بن
عبيد وهم نفر من هذيل بنو عم قريظة والنضير اسلموا في الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البرهان وهذا هو الذي اعرفه وانهما اثنان لا جماعة هـ
فيحتمل ان القاضي راى معهم اسد بن عبيد فظنه اخاهم ويحتمل انه وقف على انهم ثلاثة
انتهى وسبب اسلامهم انه قدم عليهم رجل من اهل الشام يقال له ابن الهيبان اقام عندهم
وكان عالما يتبركون به ويستسقون فيسقون فلما حضرته الوفاة قال يا معشر يهود انما
اقتضى هذه البلدة خروج نبي قد اظل زمانه وهذه البلدة مهاجره وقد كنت ارجوا ان ادركه
فاتبعه فلما بعث صلى الله عليه وسلم وهاجر وحاصر بني قريظة قال لهم بنو سعية
وهم احداث والله انه هو الذي عهد اليكم فيه ابن الهيبان فقالوا ليس به قالوا بل هو
بصفته فنزلوا واسلموا واحرزوا اهلهم واموالهم ودماهم كما في الاكتفا ودلايل البيهقي
وابن يامين ابن عمير بن عمرو بن كعب بن جحاش من بني النضير وقيل انه بنيامين ويقال
بليامين باللام وهو احد الحبرين اللذين قدما من اليمن مع تبع واسم الاخر سخيت كما مر
وكانه تصغير سخت كما قاله التلمساني وقال الشارح الجديد لم اطلع عليه ومخيريق بضم
الميم وفتح الخا المعجمة واليا الساكنة وكسر الرا المهملة واليا الساكنة وقاف بصيغة المظفر
وهو كما مر كان عالما حبرا من احبار اليهود كثير المال والنخيل وكان يعرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم بصفته الا انه غلب عليه الف دينه فلما كان يوم احد يوم السبت قال يا معشر
يهود انكم لتعلمون ان نصر محمد لحق عليكم فقالوا اليوم يوم السبت فقال انكم لا سبت
لكم ثم اخذ سلاحه وخرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه باحد وعهد

الي قومه ان قتلت هذا اليوم فاموالي لمحمد يصنع بها ما رآه ثم قاتل حتي قتل فجعل ماله صدقة بالمدينة
وكان صلي الله عليه وسلم يقول مخيريق خير يهود ويهوه كمل مراسم هذه القبيلة ولا شك
انه منها ومن خيرها فلا يقال كيف اضافه لهم بعد اسلامه والامر فيه سهل **وكعب** ابن ماتع وهو
كعب الاحبار كما تقدم التابعي المشهور ادرك زمنه صلي الله عليه وسلم واسلم في خلافة ابي بكر
رضي الله عنه وقيل في خلافة عمر رضي الله عنه وتوفي في خلافة عثمان سنة ثنتين وثلاثين
ودفن بحمص علي ما مر وروي عنه آثار كثيرة في صفاته صلي الله عليه وسلم في التوراة
كما في الوفا وكتاب الشرف لابي سعيد وفي خبر البشر لابن ظفر وسأله عمر رضي الله عنه عن
صفته صلي الله عليه وسلم في التوراة فقال ان فيها ان سيد الناس والصفوة من ولد ادم
وخاتم النبيين يخرج من جبال فاران ومثبت القرط الوادي المقدس فيظهر التوحيد والحق
ثم ينتقل الي طيبة فتكون حروبه وايامه بها ثم يقبض ويدفن بها الي غير ذلك مما لا يحصي
كثرة **واشباههم** من علمائهم الذين كانوا يعرفون امره صلي الله عليه وسلم واخباره في
كتبهم **ممن اسلم** وامن برسول الله صلي الله عليه وسلم وراه كمخريق او لم يره ككعب **من
علماء يهود وبحيرا** عطفه علي علماء يهود لانه ليس منهم فانه كان نصرانيا وبحيرا بفتح الباء
وكسر الحاء المهملة ومثناة تحتية وراء مهملة والف مقصورة علي المشهور في السير وهو راهب
كان منقطعا للعبادة بصومعة له عند محل يقال له بصري في طريق الشام وكانت قافلة
قريش تمر عليه فلا يلتفت لاحد منها فلما ذهب ابو طالب للشام ومعه رسول الله صلي الله
عليه وسلم وهو صغير ابن تسع او اثني عشر سنة نزل لهم وقال يا معشر قريش اني صنعت
لكم طعاما فذهبوا معه وتركوه في رحالهم لصغر سنه فقال لهم هل بقي احد قالوا لا الا ولد
صغير فدعاه حتي اتي فسألوه عن سبب هذا ولم يكن دابه فقال اني رايت غمامة تظله ولما
نزل عند الشجرة مالت لجانبه وان مثله لا يكون الا لنبي وانا لنجده في كتابنا وهذه صفته ونظر
لخاتم النبوة فيه فقال لابي طالب احترس عليه من اليهود واقسم عليه ان يرده فقيل انه
رده وقيل اسرع في سفره وعاد به والقصة مفصلة في السير وبحيرا هذا من اول من امن به
وعد من الصحابة ان قلنا ان من اجتمع به مومنا مطلقا يعد من الصحابة **ونسور الحبشة** احترز
به عن نسطور الشام وغيره ونسطور معرب ويقرا بالسين والصاد كما في بعض الشروح ونسطور
الشام قصته مذكورة في السير وهي قريبة من قصة بحيرا وفي بعض النسخ نسطور بدون
اضافة للحبشة وقد قال الشراح ان نسطور الحبشة غير معروف ولعله من علماء اهل الكتاب
الذين كانوا عند النجاشي **وصاحب بصري** بضم الباء كجبلي بلدة بالشام وهي بين المدينة والشام
وقيل انها حوران وهذا هو المعروف وفي نسخة راهب بصري وصاحبها ملكها
الذي ارسل اليه النبي صلي الله عليه وسلم دحية بكتابه وهو الحارث بن ابي شمر
الغساني كما قاله ابن حجر وقال انه مات عام الفتح ولم يذكر قصته واسلامه وما اخبر به عن امره
صلي الله عليه وسلم **واسقف الشام** وفي نسخة اساقفة الشام ويعني بهم صاحب ايليا وهرقل
وابن الناطور وغيرهم واسقف بضم الهمزة وسكون السين المهملة وضم القاف وتشديد
الفاء ولا نظير له الا اسرب وحكي ابن سيدة ثالثا وهو الاسلف للصالح وقال العيني في شرح البخاري
ولا يرد عليه الا تزيج لانه جمع والكلام في الفرد وفيه نظر لا يخفي وقال عبد الغافر الفارسي
في كتاب منع الرغائب والغرائب في الحديث في كتابه صلي الله عليه وسلم لاهل نجران لا يمنع اسقف من

سقيفاه

سقيفاه وجمعه اساقفه والسقيفي مصدر كالحليفي ومعناه لا يمنع اسقف من تسقيفه
ولا راهب من رهبه والمسقف الطويل مع انحنا وكذا الاسقف ويقال هو بين السقف وفي
خطبة الحجاج المعروفة اياكم وهولا السقفة قال القتيبي اكثرت السوال عنه فلم يعرفه احد
وقال بعض اهل اللغة انما هو الشفعا اي الذين يشفعون عند السلطان في المريب انتهى
وفي القاموس وقول الحجاج اياكم وهذه السقفا تصحيف صوابه الشفعا كانوا يجتمعون
عند السلطان فيشفعون في المريب انتهى وليس كما قال فان الزمخشري اثبته في الفايق
والاسقف عالم النصارى ورئيسهم وضفاطر بضاد وغين معجمتين مفتوحتين بعدهما الف
وطا ورا مهملتان ويقال ضفاطن بنون وبفاطر بموحدة تحتية مفتوحة وفا وهو اسقف
من كبار الروم اسلم على يد دحية رضي الله عنه لما ارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى هرقل او غير لباسه واظهر اسلامه فقتلوه كما ذكره الذهبي وكان ذلك في سنة ست
من الهجرة وهو الذي ابهمه البخاري في اوله في قصة قيصر حيث كان كتب هرقل الى صاحب له
برومية كان نظيره في العلم قال دحية لما خرج عظما الروم من عند هرقل ادخلني عليه
وارسل الى اسقف كان صاحب امرهم فسال عن امر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له هذا
الذي كنا ننتظره وبشرنا به عيسى عليه الصلاة والسلام اما انا فمصدقه ومتبعه فقال
قيصر له ان فعلت ذهب ملكي فقال لي الاسقف خذ هذا الكتاب واذهب به الى صاحبك
واقرا عليه السلام واخبره اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واني قد امنت به
وصدقت وروى ابن اسحاق ان هرقل ارسل دحية الى ضفاطر الرومي وقال انه في الروم انفذ
قولا مني فاظهر اسلامه والقى ثيابه ولبس ثياب ابيضا وخرج ودعا الروم الى الاسلام وشهد
شهادة الحق فقتلوه فلما رجع دحية الى هرقل قال له اما قلت لك انا نخافهم على انفسنا
فضفاطر كان عندهم اعظم مني وحينئذ فضفاطر تابعي مخضرم وقيل انه المراد باسقف
الشام السابق لكونه كان ساكنا بها وهو عندهم رئيس دينهم وعالمهم المتعبد المتخشع
وهو فوق القسيس ودون المطران وكان عالما بصفة النبي صلى الله عليه وسلم
في كتبهم وقيل انه غيره ودحية رضي الله عنه وفد على هرقل مرتين والجارود ابن عمرو
بن العلا وابن العلا ويكنى ابا غياث او ابا عتاب واسمه بشر وكان سيد عبد القيس على
دين النصرانية وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع فعرض عليه الاسلام
ورغبه فيه فاسلم هو واصحابه وحسن اسلامه وكان متصلبا في دينه وادرك الردة ولما
ارتد قومه دعاهم الى الحق وقال اشهد ان لا اله الا الله محمدا عبده ورسوله وكفر من لم
يشهد وله اشعار رويت في السير كقوله

شهدت بان الله حق وسامحت ... نبات فوادي بالشهادة والنهض
فابلغ رسول الله عني رسالة ... باني حنيف حيث كنت من الارض

وسكن بالبصرة وقيل بفارس وقتل بنهاوند سنة احدى وعشرين وسمي الجارود
لانه عاد على بكر بن وايل فجردهم كما قال العبدي

ودسناهم بالخيل من كل جانب ... كما جرد الجارود بكر بن وايل

وقيل لانه فر بابله وبها داء الى اخواله بني شيبان ففشا الداء في ابلهم حتى اهلكها
فهو فاعول من الجرد بالجيم وهو الاستيصال وسلمان الفارسي وقصة اسلامه وملاقاته

للرهبان وتبشيرهم له بتبعة النبي صلى الله عليه وسلم مشهورة تقدم بعض منها وتميم الداري
ينسب للدار وهم بطن باليمن من لخم هو ولد هاني ابن حبيب بن نمارة بن لخم بن عبد الحارث
بن مرة بن زاد منهم تميم بن اوس بن خارجة ابن سواد ويقال سود بن جذيمة بن دراع بن عدي
بن الدار ويكنى بابي رقية واسلم تميم سنة تسع وسكن المدينة ثم انتقل الى الشام بعد قتل عثمان
وكان من اهل الكتاب عالما بكتبهم فقرا فيها بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبشير به
فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وامن به واقطعه اراضي بالمقدس وقصته مشهورة
افردها ابن حجر وكذا السيوطي بالتاليف والنجاشي بفتح النون وكسرها وتشديد اليا وتخفيفها
واسمه اصحمة وقيل غير ذلك كسليم بالتصغير وهو ملك الحبشة توفي في السنة التاسعة من
الهجرة في شهر رجب وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الغايب وهاجر اليه
المسلمون الهجرة الاولى وكان من قصة اسلامه المشهورة انه قال للقسيسين اشهد انه رسول
الله وانه الذي بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من الملك اتيته وكنت احمل نعليه وكان من اعلم
اهل عصره بالانجيل يقرؤ صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبكي حتى يبل لحيته وقد
تقدم الكلام في ترجمته ونصارى الحبشة هم قوم منهم عرفوا صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الانجيل واخبروا بها واساقفة نجران وفي نسخة اساقف بدونها جمع اسقف
وقد تقدم الكلام عليه قريبا اي علماؤهم ورؤساؤهم ونجران بفتح النون وسكون
الجيم وراء مهملة والف ونون وهو موضع باليمن سمي بنجران بن زيد ابن سبا بينه وبين مكة
سبع مراحل وليس من الحجاز وبه يسمى اهله وهم نصارى وفدوا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي ستون راكبا من اشرافهم وكان لهم علم بالكتاب واشرفهم ابو حارثة كان
ملوك النصارى يجلونه لعلمه بالنصرانية فملكوه وتولوه وبنوا له كنايس واخدموه
فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اخوه كوز بضم الكاف واخره زاي معجمة
على بغلة له فعثرت فقال له كوز نفس الابعد فقال له لم يا اخي قال لم تؤمن بهذا
النبي وانه الذي كنا ننتظره فقال بلى والله فقال له ما يمنعك قال ما اصنع هولاء القوم
شرفونا وتولونا وقد ابوا الا خلافه فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فاضمرها في نفسه
حتى اسلم وكان يحدث به فلما دخلوا المسجد الشريف وقت العصر وعليهم الحبرات في جمال
لم ير مثله فحانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون الى الشرق
فقال دعوهم ثم اتوه صلى الله عليه وسلم فكلمه منهم ابو حارثة والعاقب والايهم ودينهم
النصرانية والتثليث فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلموا قالوا اسلمنا
قال كذبتم يمنعكم الاسلام دعاؤكم لله ولدا وعبادة الصليب واكل الخنزير فانزل الله فيهم
اول سورة ال عمران فلما اراد صلى الله عليه وسلم ملاعنتهم تشاوروا فقالوا انه ما لاعن
نبي قط قوما الا استوصلوا ثم نزلوا على امره فاسلم بعضهم وقبل بعضهم الجزية وارسل
معهم ابا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يقضي بينهم والقصة مفصلة في كتب التفسير والسير
وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك اي ببعثته صلى الله عليه وسلم
وانه بشر به في الكتب القديمة هرقل ملك الروم وقصته مذكورة في اول البخاري وهرقل
بكسر الها وفتح الراء وسكون القاف كما مر وحكي اسكان الرا وكسر القاف وكان يعرف
امره صلى الله عليه وسلم في الكتب الالهية ولكن احب الملك فحكم بشقايه مالك الملك

وفي الاستيعاب

وفي الاستيعاب انه امن به صلى الله عليه وسلم وفيه نظر لانه قاتل المسلمين بموتة ووعدهم
ان ياتيهم في العام القابل فالاصح الاول وقد مات على النصرانية وكان عالما بالكتاب وباحوال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اخبر به دحية وصاحب رومة بضم الراء وسكون الواو
وميم مخففة مفتوحة يليها هاء في اكثر النسخ وفي بعضها رومية بيا مخففة عند اهل اللغة
كانطاكية وغيرها وعدوا التشديد لحنا لانه ليس بنسبة عربية وبعضهم يشددها واختلف
فيه فقيل هو ابن الناطور بطا مهملة وهو لفظ اعجمي معناه حارس الروم والعامة تقوله
ناطر بدون واو وتجعله بمعنى الحارس مطلقا او اعجمه بعضهم وقيل هو ضغاطر الذي
تقدم واعترض بانه اسلم فلا يناسبه قوله بعده انه ممن حمله الشقا على البقا على كفره الا ان
يخص ذلك باليهود وهو بعيد وفي القاموس رومة بلدة عند طبرية فيها رياستهم وعلمهم
وقيل غير ذلك ولا وجه لما قيل ان الصواب صاحبه برومة كما ورد في الحديث ولا دليل
لما ذكره على ما زعمه عالما النصارى مثنى عالم ورئيساهم مثنى رئيس وهو سيد القوم و
حاكمهم وهذا صريح فيما قلنا من انه كان صاحب رومية اي حاكمها ومقوقس صاحب مصر
اي ملكها ومقوقس بزنة اسم فاعل فوعل علم رومي فقيل معناه عندهم نظول البنا وهو
الذي اهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم قدحا من قوارير وجارية مارية ومنه
اخذت مصر ولم يسلم وغلط من عده من الصحابة كيف وهو لم يلاق النبي صلى الله عليه وسلم
وما زال نصرانيا على الاصح واسمه جريج بن مينا كما قاله الدارقطني ولهم مقوقس اخر عد
في الصحابة قاله الذهبي ولعله الاول وهو ملك القبط وصاحب الاسكندرية وارسل له
النبي صلى الله عليه وسلم كتابا يدعوه الى الاسلام فاجابه بما هو معلوم في كتب الحديث
والسير وقد يدخلون عليه الالف واللام والشيخ صاحبه اي صاحب المقوقس قال
البرهان وغيره وهذا الشيخ لا نعرفه الا ان المسعودي ذكره وذكر له قصة في كتاب العجايب
احال عليها في بروج الذهب فاما وقفنا عليها الحقناها بما هنا وابن صوريا بضم الصاد
المهملة وواو ساكنة يليها را مهملة ساكنة ومثناة تحتية والف مقصورة وقيل انهما قمالة وهو
عبد الله بن صوريا الاعور اليهودي ولم يكن في زمانه اعلم منه بالتوراة وقال النقاش
انه اسلم وعده في الاصابة من الصحابة وفي معالم التنزيل انه الذي نزل فيه قوله تعالى
من كان عدوا لجبريل وكلام المص مبني على عدم اسلامه وابن اخطب بزنة افعل من الخطبة وهو
حيي ابو ام المؤمنين صفية رضي الله عنها واخوه ابو ياسر اليهوديان اللذان قتلا كافرين
صبرا في اسرا بني قريظة وكان يعلمان امر النبي صلى الله عليه وسلم وفي التوراة من ذكره
بصفته ومع ذلك كانا اشد الناس عداوة له كما ذكرت ذلك صفية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بعدما اسلمت وقالت لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة غدا
اليه ابي وعمي ثم جاءا بالعشي فسمعت عمي يقول لابي اهو هو قال نعم الحديث وكعب
بن اسد من بني قريظة وهو صاحب عقدهم وقال لهم لما حاصرهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا معشر يهود انكم ترون ما نزل بكم من الامر فقالوا نتابعه ونصدقه فوالله
لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتامنوا على انفسكم نسايكم
واموالكم واهلكم فقالوا لا نفارق حكم في التوراة ولا نستبدل به غيره الى اخر القصة
وما فيها من نقضهم العهد وقتلهم ويقال ان اسم كعب كتد بفتحتين وكاف ومثناة

فوقية ودال مهملة والزبير بن باطيا الزبير هنا بفتح الزاي المعجمة وهو من يهود بني قريظة
ايضا قتل كافرا في وقعة بني قريظة وهو جد عبد الرحمن ابن الزبير بضم الزاي وقيل
انه بفتحها كاسم جده قيل والصحيح انه بالضم كما في تاريخ البخاري وقال ابن مرزوق
الزبير بفتح الزاي في اليهود وفي غيرهم بالضم والزبير هذا قتله ثابت بن قيس بن
شماس يوم بني قريظة وكان من اعلم اليهود روي عنه ابنه انه كان يقول اني وجدت
سفرا كان ابي حتمه فيه ذكر احمد نبي يخرج بارض القرظ صفته كذا وكذا فتحدث
به الزبير بعد ابيه والنبي صلى الله عليه وسلم لم يبعث فما هو الا ان سمع بان النبي صلى
الله عليه وسلم خرج بمكة فعمد الى السفر فمحاه وكتم شانه صلى الله عليه وسلم وصفته
وقال ليس به وباطيا بموحدة والف تليها مقصورة وفي بعض النسخ باطا بدون ياء
وكتب عليها صح وقال التلمساني انها رواية فيه وغيرهم من علماء يهود الذين عرفوا نبوته
صلى الله عليه وسلم وذكروه بصفته نقلا عن كتبهم واخبارهم ولهم ذكر في مفصلات
السير ممن حمله الحسد له صلى الله عليه وسلم كابن سلول والحسد للعرب اذا كان هذا
الرسول منهم دون بني اسرائيل والنفاسة بفتح النون بمعنى المنافسة وفسرت بالحسد وهي
مغايرة لانها المنازعة في الانفسية بان يدعي انه انفس واحق بما هو فيه وانه لا يستاهله
ويستحقه وحمله بمعنى بعثه ودعاه لما ذكر حتى كانه حمله حتى اوصله له ثم صار حقيقة عرفية فيما ذكر
على البقاء على الشقاء اي امراره على كفر او ارتداده عنادا والشقاء ضد السعادة وبين
الشقاء والبقاء تجليس والاخبار الواردة في هذا الباب كثيرة لا تنحصر اشارة الى ان ما ذكره
قليل بالنسبة لما تركه منها اذ هي لا يمكن حصرها اي الاحاطة بها وقد فزع بالبناء للفاعل
والتخفيف والتشديد والفزع الضرب والصدم بما يسمع له صوت فاذا شدد كان مبالغة فيه
ويكون بمعنى التوبيخ والتعيير فاذا خفف فهو استعارة للمبالغة في الجهر حتى كانه
يضرب اسماعهم فاذا شدد فالمراد به توبيخهم بما ذكر اسماع اليهود والنصارى خصهم
لانهم اهل الكتاب وقدم اليهود لانهم اشد عداوة للمومنين وفيه نظر بما ذكر انه في كتبهم
متعلق بفزع وفاعله النبي صلى الله عليه وسلم من صفته صلى الله عليه وسلم وصفة
اصحابه وفي نسخة وصفة امته وكلاهما صحيح متقارب المعنى فانه وقع في الكتب الالهية ذكرهما
خصوصا وعموما ففي التوراة انهم خير امة هم الاخرون السابقون يوم القيمة اناجيلهم
صدورهم يومنون بالكتاب الاول والاخر ويقاتلون اهل الضلالة الى غير ذلك مما استوفاه
ابن ظفر في كتاب خير البشر بخير البشر واحتج صلى الله عليه وسلم اي اقام الحجة عليهم بما
انطوت عليه صحفهم اي بما حوته واشتملت عليه وفيه اشارة الى اخفاء ما فيها وكتمه
لان الصحيفة اذا طويت لم ينظر لما فيها وصحف بضمتين وتسكن تخفيفا جمع صحيفة وهي
الكتاب والاكثر جمعه على صحايف لان فعيلة لا تجمع على فعل الا نادرا من ذلك ان صفته
صلى الله عليه وسلم وصفة امته وذمهم بتحريف ذلك المذكور في كتبهم بتغيير بعض
الفاظه وتفسيره بغير المراد منه كقوله تعالى من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه
الاية فبدلوا صفته صلى الله عليه وسلم حتى اضلوا جهالهم وقالوا ليس هو الموعود
به في كتابنا وكتمانه اي اخفاء صفته صلى الله عليه وسلم وصفة امته كما قال تعالى
ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون وايهم السنتهم ببيان امره اي صرفه

لغيره

لغيره حسدا وبغيا بان يتركوا بيانه ويعدلوا عنه لغيره واصل اللي فتل الحبل ونحوه فاستعير
لصرفها عن الصدق الى الكذب قال الراغب لوي لسانه بكذا كناية عن الكذب قال تعالى
يلوون السنتهم بالكتاب انتهى ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب اي قرع اسماعهم
بدعوتهم اليها وطلبها منهم كما وقع له صلى الله عليه وسلم نصارى نجران اذ دعاهم
للمباهلة فابوا وبذلوا الجزية كما مر والمباهلة الملاعنة من البهل وهي اللعنة بان يقول
كل منهما لعنة الله على الظالم والكاذب منا وقد جرب ان المباهل لا تمضي عليه سنة وقيل
معناها التضرع والاجتهاد في الدعا وتتعدى بعلى فما احد منهم اي اليهود والنصارى
الا من نفر اي اعرض وهرب عن معارضته فيما قرع به اسماعهم ودفعهم به فترك المعارضة
لعدم قدرته عليها وايدا فاعله ضمير من وافرده نظرا للفظه وجمعه في قوله ما الزمهم
نظرا لمعنى من وفاعل الزم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله من كتبهم بيان لما اي
مما الزمهم به من نصوص كتبهم كقصة الرجم المشهورة اظهاره مفعول الزم اي الزمهم
اظهاره اذ كتموه ولو وجدوا خلاف قوله في كتبهم لكان اظهاره اسم كان وقوله اهون
عليهم اي اسهل خبر كان من بذل النفوس بموحدة وذال معجمة اي اعطايها له بالقتل والاموال
التي غنمها واخذها منهم قهرا وتخريب الديار كما وقع ليهود خيبر وبني النضير ونبذ
القتال اي تركه وهو اشفى لغليلهم يقال نبذ النواة اذا طرحها وقد قال لهم جملة
حالية اي لليهود لما قرع اسماعهم بقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر لسنا اول من حرمت عليه فقد حرمه
على ابراهيم ومن بعده حتى انتهى الامر الينا فقال لهم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان
كنتم صادقين ليظهر انها لم تحرم الا عليكم لظلمكم وبغيكم فامر بمحاجتهم بما فيها توبيخا
لهم فلما قال لهم ذلك بهتوا ولم ياتوا ببنت شفة لانقطاع حجتهم وظهور كذبهم كما في
قصة الرجم وكانوا اذا ادعوا ان لحوم الابل حرمت على يعقوب وبنيه في التورية فنحن
نحرمها فقال لهم صلى الله عليه وسلم انها لم تحرم وانما امتنع يعقوب من اكلها لانه كان به
عرق النسا وهي نضرة الى ما انذر به الكهان جمع كاهن وهو الذي كان يخبر بالامور قبل
وقوعها ويدعي الاطلاع عليها والانذار الاعلام بما فيه موعظة وتخويف والى غاية
لما تقدم اي انتهى ما ترادف من الاخبار الى انذارهم به بقرب زمانه او الى بمعنى مع
وكانت الكهان تتلقى ذلك من الشياطين مثل شافع بن كليب بشين معجمة كاسم الفاعل من
الشفاعة وكليب مصغر كلب وهو كاهن من كهان العرب اخبر تبعا بخبر النبي صلى
الله عليه وسلم وبمهاجرته الى المدينة كما تقدم بيانه وقال الحافظ ومن تبعه لا اعرفه
وشق وسطيح وهما كاهنان من كهان العرب وشق بكسر الشين المعجمة هو شق بن صعب
بن يشكر وجده الاعلى ربيعة بن انمار وكان بيد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة وكانت
العرب تاتيه فيخبرهم بما سياتي وسطيح بفتح السين وكسر الطا المهملتين ومثناة
تحتية ساكنة وحا مهملة وهو ابن ربيعة بن مسعود بن مازن بن غسان وقيل ان جسده
كان لا عظم فيه غير جمجمة راسه فكان يدرج كالثوب فاذا غضب انتفخ وقيل انه عاش
ثلاثماية سنة وقصتهما وذكرهما للنبي صلى الله عليه وسلم لما ارسل كسرى عبد المسيح
يساله عن رؤيا هالته مذكورة في السير مشهورة ولهما قصص كثيرة في التواريخ وادركا

زمانه صلي الله عليه وسلم **وسواد ابن قارب** بلفظ السواد ضد البياض وقارب بزنة اسم فاعل من القرب وهو سواد الدوسي الصحابي وكان كاهنا من كهان العرب له رئي من الجن يأتيه ويخبره بالمغيبات فبينما هو ذات ليلة اذ اتاه فضربه برجله وقال له قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالتي اما لست تعقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله عز وجل والى عبادته ثم اتاه ليالي يقول له مثل مقالته فركب ناقته واتى المدينة واجتمع مع رسول الله صلي الله عليه وسلم وامن به واخبره بجي رؤيته وما قال له من الاشعار فسر بذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم وتفصيله في السير **وخناقر** بضم الخاء المعجمة ونون وقاف بعدها قاف مكسورة وبلا مهملة وهو كاهن من حمير له رئي من الجن اخبره ببعثة النبي صلي الله عليه وسلم فاسلم علي يد معاذ رضي الله عنه كما ياتي ولم ير النبي صلي الله عليه وسلم فهو ~ تابعي وهو ابن النوام الحميري وله جنية تسمي شصارا وشاصر وكان دعا قباذ امال وسعة فاسلم وحسن اسلامه وفي امالي المحاملي عن الكلبي قال كان خناقر بن النوام الحميري كاهنا قد اوتي بسطة في الجسم وسعة المال وكان عاتيا فلما وفدت وفود اليمن علي النبي صلي الله عليه وسلم وظهر الاسلام اغار علي ابل المراد فلحق اهله وبها الشجعي فخالفه فهلجوداني وهو سيد منيع ونزل عنده بواد مخصب وكان له رئي في الجاهلية لا يكاد يغيب عنه فلما فشي الاسلام فقده مدة حتي ساءه ذلك فبينما هو بذلك الوادي هوي عليه هوي العقاب وناداه خناقر فقال شصار قال اقل قال اقل اسمع فقال ~ فتم الكلمة نهاية وكل ذي امد خناقر الي غاية قلت اجل قال كل ذي دولة الي اجل ~ يتاح له حول اذا انشخت النحل ورجعت اليحفا يقتها الملك انك يخبر موصول والنبي محمد مبعوث الي امة بالحرم حكاما علي الحكام يزبر وبادار ونق من الكلام ليس بالسجع المولف ولا السجع المتكلف فاصغيت فرجزت فعاودت فظلت فقلت ثم تقيمون الي ثم تقرون قالوا خطبا كذا رجاء من عند الملك المجيب فاسمع باشعار اصدق الاخبار والحمد لله رسول الله من مضر من اهل المدر ابعث فظهر في ابطح فدهر واوضح نهجا قد درس ومواعظ لما اعتبي ومعاذ الله ان ذجر الغراب الاي الكبر قلت ومن هذا المبعوث يا مضر قالوا احمد خير البشر قال اذا امنت اعطيت الكثير واتاك الفت اصليت سفر فامنت يا خناقر واقبلت اليك اناد رفيا بكل نجس كافر وشايع كل مهو من طاهر والاهو الفراق عن الاتلاق قلت ما اسمي ابغي هذا الدنيا قال معاذ ات الحزن والنفر الميامين اهل الماد والطيبي قلت اوضح قال الهة يشرب ذات النخل والحرة ذات النخل فهنالك اهل الخضل والخضل والمواساة والبذل ثم املس عني فنمت ~ فلما اصبح الصباح فلما فرق لي النوم استطير رحلي واذنت عيني واحتملت باهلي حقيبة وردت الجوف فتردد الابل علي اربا بها غولها واستفابها واقبلت اريد منفا فاصبت بها معاذ بن جبل مبعث رسول الله صلي الله عليه وسلم فبايعته علي الاسلام وعلمني سورا من القرآن فمن الله علي بالهدي بعد الضلالة والعلم بعد الجهالة ثم ذكر له شعرا وشرح ما في الخبر من اللغة فاما اردته فارجع اليه وفيما ذكرنا كفاية **وافق** بجران هو ملك سهلول عجز اذا كان كما هنا وهو الاصفي بن الاصفي الجرهمي عن عاصم ~ بن عمر ابن قتادة قال قدم شيخ من مذحج علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وسمه

اربعون رجلا يحفون به فقال يا رسول الله خرفت ودردرت وشمطت ثم رجع ذلك
فاسود شعري وثار عقلي وبيست اسناني وهولاء ولدي لصلبي وخلفهم من نسلهم
اضعافهم وقد سمعت افعى نجران يذكر في غابر الزمان انه سيبعث نبي من صفته ان له
خاتما يسطع نوره بين كتفيه يبعث بمكة ويهاجر الى طيبة فبالذي فضلك بالرسالة وايضاح
الدلالة الا كشفت لي عن خاتم نبوتك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حفظت
على طول العهد وان فيك لمعتبرا ثم كشف له عن خاتم النبوة فاكب عليه يقبله وافعى نجران
هذا هو الذي حكم بين اولاد نزار لما تشاحوا في ميراث ابيهم وهم مضر وربيعة وانمار
واياد وقال يا مضر انت ابو النبي التهامي فانا نجد في الاثار انه من ولد نزار بن معد
ابن عدنان واني لارى للنبوة بين عينيك نورا واجلسه على سرير ملكه وجلس تحته
وهذا ما اشار اليه المص والشراح كلهم لم يقفوا عليه وجذل بن جذل الكندي قال الحافظ
الحلبي لا اعرفه وتبعه غيره من الشراح وهو كاهن من كهان العرب اخبر بمبعثه صلى الله
عليه وسلم قديما ولم نر تفصيل قصته الا ان التلمساني قال جذل بكسر الجيم وسكون
الذال المعجمة ولام وقيل انه بجيم ودال مهملة مفتوحتين من كندة وهي قبيلة معروفة لما قدم
ولدته امه التمست ذكره فلم تجده من شدة البرد فظنته جارية فطرحته وزوجها في سكران
الموت فاشتغلت بموته ثم ذكرت بعد ثلاث رؤيا بشرت فيها بولد ذكر تسميته باسم ابيه
فقامت وهي تظن انه مات فوجدت كلبة ترضعه فحملته وسمته باسم ابيه وابن خلصة
الدوسي بخا معجمة ولام وصاد مهملة مفتوحات هو كاهن من كهان العرب بشر بالنبي صلى
الله عليه وسلم ولم يذكروا له ترجمة ودوس بفتح الدال المهملة قبيلة معروفة وقال
في الحقائق الكبرى نقلا عن الهواتف عن مرداس بن قيس الدوسي قال ذكرت الكهانة
عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كانت عندنا جارية يقال لها خلصة لم نعلم
عليها الا خيرا فجاءتنا فقالت يا معشر دوس هل علمتم بي الا خيرا قلنا وما ذاك قال لفي
غنمي اذ غشيتني ظلمة فوجدت لحس الرجل مع المراة فحبلت فلما دنت الولادة ولدت غلاما
اعصف له اذنان كاذني الكلب فمكث فينا وكان لا يقول شيئا فلما كان مبعثك صار يكذب
فقلنا له ما هذا فقال ما ادري كذبني الذي كان يصدقني اسجنوني في بيتي ثلاثا ثم ايتوني
ففعلنا وفتحنا عنه فاذا هو كانه جمرة نار فقال يا معشر دوس خرست السما وخرج
خير الانبيا فقلنا من اين قال بمكة وانا ميت فادفنوني براس جبل فاني سامطرم نارا
فاذا رايتم ذلك فاقذفوني بثلاثة احجار قولوا مع كل حجر باسمك اللهم فاني اهدي
واطفي ففعلنا ذلك واقمنا حتى قدم علينا الحاج فاخبرنا بمبعثك يا رسول الله انتهى
ومنه تعلم ان الشراح لعدم وقوفهم على قصتها ظنوها كما هنا ذكرا وانما هي كاهنة فاعرفه
فان خلصة امراة والكاهن ابنها وسعدى بنت كريز بضم الكاف العربية وبالرا المهملة
واخره زاي معجمة وفي النسخ هنا اختلاف والصحيح ما ذكرناه وهي خالة عثمان بن عفان
اخت امه كانت في الجاهلية لها علم وكهانة فاخبرت عثمان ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم
وتزوجه بابنته رقية فصدقها وكان ذلك سبب اسلامه فلما اسلم كانت تنشد

هدى الله عثمانا بقولي الى التي ... بها رشده والله يهدي الى الحق

وفي بعض النسخ سعد بن بنت كريز وفاطمة بنت النعمان قال التلمساني هي فاطمة بنت النعمان

الجارية كان له تابع من الجن وكان اذا اجاع قحم عليهما فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتاهما فقعد على حائط الدار فقال له لم لا تدخل فقال قد بعث نبي يحرم الزنا فلان من
ذلك اول ما سمع به ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وكانت في الجاهلية عالمة كاهنة ونهمان
بضم النون هو نهمان بن قراد وقيل هو علي بن نهمان بن قراد ورى عن ابن عمر وغيره فهو
تابعي ونهمان اسم موضع ولم الدم ايضا **فما لا يعد كثرة** وفي نسخة يتعد مطاوع اي لا يعد
للكثرة لا لعدم اعتباره مضمونا او مشتهيا **الى ما ظهر على ألسنة الاصنام** الظاهر انه
استعارة تمثيلية شبههما في ظهور صوت مخفي تكلم بكلام وقيل هذا لا يصح لانه على مذهب
الجبائي الذي يشترط الالة المخصوصة بالنطق ونحن لا نشترط الا الحياة فالصواب كلام
الاصنام او نطق الاصنام الا ان يراد باللسان الكلام وليس لشيء لما علمت انه استعارة وهذا
تغيير في وجوه الحسام وقد ذكر ابن اسحاق وغيره كثيرا مما سمعه المشركون من اجواف اصنامهم
يقول ان امره بطل بظهور الرسول صلى الله عليه وسلم ويامرهم باتباعه وان الباطل بطل وقد
جاء الحق **ما بؤونة** صلى الله عليه وسلم **وحلول قبتر سالة** ومن بيانية لما كهنم كان لمازن الا
قرية لوما قزا بالضم سمعه يقول يا مازن اقبل اليا اسمع ما لا تجهل هذا نبي مرسل جاءت منزل
امن به كي تفدك عن حرنا ر تشمل لي اخرما في السير من انه يسمعه ضنه مرا فكسره ورحل
الى النبي صلى الله عليه وسلم واسلم ونظايره كثيرة ولا نت الشياطين هي التي تسمعهم الكلام
من غير ان يروهم **وشوع** سبق للمفعول له معطوف على ظهر **من هواتف الجن** وفي نسخة الجان وهما
بمعنى وقد فرق بينهما بان الجان ابو الجن والجن الانس كلهم والهواتف جمع هاتف من الهتف
وهو الصوت العالي مطلقا ثم خص بصوت يسمع من لا يرى شخصه من صرخ ولذا خص بالجن
عند العرض وكان عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم كثر ذلك والخرايط كتاب الهواتف
جمع فيه ذلك فكانت تلك الهواتف تخبر ببعض احواله صلى الله عليه وسلم ونعده انه عظيم
من ابائه وظهور نبيا ثم كسماع ذياب بني الحارث هاتفا يقول يا ذياب يا ذياب اسمع الجواب
بعث محمد بالكتاب يدعوا فلا يجاب ويسمع ابيه قرة الغطفاني هاتفا يقول جاحت فسطع ثم
باطل ولا تقع وسماع قرة بني شيبان هاتفا يخبر بنزوله صلى الله عليه وسلم على ام معبد الى غير ذلك
فكلا الكوبا لسنة تنطق تخبر به وتدل على علو منزلته ولكن الله يضل من يشاء ويهدي من
يشاء والصوفية يسمونه الواردات الالهية هاتفا كالهام **وسل ذبايح النصب** اي ما سمع
منها انقربت للذبح والذبايح جمع ذبيحة وهي ما يذبح من بقر ونحوه والنصب بضمتين
جمع نصب بفتح فسكون وهي ما نصب من الحجارة والاصنام للعبادة وهو ملخص ما سمع عمر
رضي الله تعالى عنه من عجلفر بن رجل ليذبحه قربانا للصنم فقال يا ال ذبح ابو نجيح
رجل فصيح يقول لا اله الا الله الى اخر ما رووه **واجواف الصور** اي ما سمع من الاصنام
التي كانوا يصورونها فهو جمع صورة بمعنى جثة مصورة وهي التمثال والاجواف جمع
جوف وهو داخل كل شيء **وما وجد من اسم النبي صلى الله عليه وسلم ملتقطا في الحجارة**
والقبور اي وعلى القبور **بالخط القديم** المتقدم عهدكتابته **والشهادة له بالرسالة**
بذكر اسمه وانه نبي مرسل من الله **بما الكثرة مشهورة** بين الناس وما الثانية بدل من الاولى او خبر
والاولى مبتدا وهما موصولتان وقد تقدم نظائر هذه التعبيرات الموهمة في قسمي الحيض وملتوب روي
مرفوعا خبر مبتدا محذوف ومنصوبا بمعقولتان لو جدوا الجنس مقدرا اي ثابت وقد تقدم

انه وجد بخط عبد الحي علي بهامش الحجازية محمد تقي مصلح امينا وذكر في تفسير قوله تعالى وكان تحته كنز لهما عن ابن عباس انه لوح من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب وعجبا لمن ايقن بالرزق كيف يتعب وعجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وتقدم شرح ذلك كله بما فيه الكفاية **وانما عرف من اسلم بسبب ذلك** اي بسبب ما رآه من الكتابة والمراد انها بغير اللسان العربي وهو مما يدل على صدق ما كتب **فاعرفه معلوم مذكور** في السير والتواريخ

فصل ومن ذلك

اي مما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته **ما ظهر من الآيات** اي العلامات والادلة **ما ظهر من الآيات** اي في ولادته صلى الله عليه وسلم فمن مصدرية **ما حكته** امنة بنت وهب وهي اشهر من ان تذكر **ومن اخر** ولادته **من العجائب** قيل اخر هذا الفصل وكان ينبغي تقديمه لانه اول احواله لمتقدم المعجزات بحسب الشرف وياباه انه ذكر فيه ما يتعلق بوفاته صلى الله عليه وسلم وهي متاخرة فهو ناظر لذلك اولانه لا يختص بزمان وهو كالاجمال لما قدمه والمفذلكة لتوخر والعجايب وما معه اشارة الى ما رواه ابو نعيم عن ابن عباس من ان امه صلى الله عليه وسلم لما حملت به اتاها آت في منامها بعد ستة اشهر وقال لها يا امنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدته فسميه محمدا واكتمي شانك فلما اخذني ما ياخذ النساء لم يعلم بي احد وابى الوحيدة مني متولي في طرفه فسمعت وجبة عظيمة وامرا عظيما فرايت كاني باجنحة طير ابيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الرعب وكل ما اجد ثم التفت فاذا انا بغلام ونسوة طوال حولي فقلت من اين علم بي وفي رواية انهن قلن لحنى آسية امراة فرعون ومريم ابنة عمران وهو ولد من المولود الذي فينا ان كذلك واذا انا باريباج ابيض بين السماء والارض وقايل يقول خذاه عما اعين الناس ورجال في الهوي باديهم اباريق من فضة وقطعة من الطير منا قيرها من زمرد واجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصري فرايت مشارق الارض ومغاربها وعلما بالمشرق وعلما بالمغرب فوضعته صلى الله عليه وسلم وكانت قريش مجدبة فاخصبت الى غير ذلك مما ذكره قال ابن الجوزي في تلقيح الذكي اتفقوا على انه ولد يوم الاثنين في شهر ربيع الاول عام الفيل واختلفوا فيما مضى فيه على اربعة اقوال القول الثاني خلتا منه وقيل لثمان وقيل لعشر وقيل لاثني عشر خلت منه ومات ابوه وهو ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل وقيل ابن سبعة اشهر وقيل ابن ثمانية وعشرين شهرا والاصح الاول **وكونه رافعا راسه عند ما وضعته** اي رفعه نحو السماء كما رواه البيهقي **شاخصا ببصره الى السما** قال الراغب شخص من بلده ذهب وشخص سمنه وبصره وشخص صاحبه وقوله شاخصة ابصارهم اي اجفانهم لا تطرف انتهى وقوله الى السماء تاكيد لما قبله وشاخصا وهذا اشارة الى تعلقه صلى الله عليه وسلم بالملاء الاعلى وتوجهه لذلك من اول امره كما قال البوصيري

- رافعا راسه وفي ذاك الرفع الى كل سود داياء
- رافعا الطرف للسما وهي عما شانه العلو الفاء

وروعيا ما خرج معه نورا اضاء له المشرق والمغرب وروي انه مولد واضعه معتونة مشيرا بالسبابة كالمسبح **وما رآه** امه كما رواه احمد والبيهقي **من النور الذي خرج معه** عند ولادته وحديث النور الذي خرج معه اضاء له جميع الارض رواه جماعة وصححه

ابن حبان والحاكم وعن اسحاق ابن عبد الله ان امه صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من
فرجي نور اضاء له قصور الشام وتقدم في كلام المص عن امه انها قالت فولدته نظيفا ما به
قذر قال ابو شامة كان امر هذا النور اشتهر في قريش ذكره واليه اشار العباس كما مر بقوله

وانت لما ولدت اشرقت الارض وضاءت بنورك الافق

وقال حسان رضي الله عنه

نور اضاء على البرية كلها من يهد للنور المبارك يهتدي

قال ابن رجب رحمه الله وهو اشارة الى نور هدايته الذي محى ظلمة الشرك كما قال تعالى
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقوله واضاء له قصور الشام خصه لانه مشرق انوار النبوة
وهي دار ملكه وما رأته اذ ذاك اي وقت ولادته ام عثمان بن ابي العاص ابو عبد الله
بن بشير الثقفي وامه اسمها فاطمة بنت عبد الله وعثمان هذا من اكابر الصحابة وله فتوحات
وتولى قضاء البصرة وروى عنها ابنها شهدت مولده صلى الله عليه وسلم ورأت مارته من
تدلي النجوم التدلي الدنو والقرب كما قاله الراغب وهو في الاصل استعارة من الدلو صارت
حقيقة عرفية في القرب وظهور النور الذي خرج معه كما مر ويحتمل انه نور النجوم
لقربها حتى تنظر اي ام عثمان المذكورة بتاء المضارعة ويجوز ان يقرا بالنون للحاضرين
او الموجودين والاول اولى رواية ودراية الا النور اي لا ترى شيئا غير النور وهو مبالغة
في قوته وانتشاره في جميع النواحي والظاهر ان تدلي النجوم على ظاهره قال الابوصيري
رحمه الله

وتدلت زهر النجوم اليه فاضاءت بضوئها الارجاء

وقيل معنى تدليها سقوطها ولا ينبغي مثله وقول الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف
الشفاء بشين مفتوحة وفاء مشددة ومد كما قاله الدلجي والمقول عليه ما قاله البرهان
الحلبي انه بكسر الشين والفتح وهي كما قال الذهبي بنت عوف بن عبد الزهرية من المهاجرين
والدة عبد الرحمن وبنت عم ابيه عوف بن الحارث وقال السهيلي ان اسمها يمد ايضا وفي
الاستيعاب انها اخت عبد الرحمن بن عوف وحكاه عن الزبير وقد قيل انها امه لما سقط
صلى الله عليه وسلم على يدي اي وضعته امه فنزل على يديها واستهل اي عطس لا صاح
وان كان يقال استهل الصبي اذا صاح بدليل قوله سمعت قائلا اي ملكا يقول له صلى الله عليه
وسلم رحمك الله او رحمك ربك او يرحمك ربك تشميتا له بناء على ان رحمك بفتح الكاف وقال
التلمساني انه روي بكسرها والظاهر الاول وهو لم يفسره فالخطاب لامه او له صلى الله
عليه وسلم باعتبار التسمية وتفسير استهل بعطس ذكره الدلجي ويشهد له قول الابوصيري

شمتته الاملاك اذ وضعته وشفتنا بقولها الشفاء

اذ القول المذكور لا يقال الا عند العطاس مع تصريحهم بانه لم يكن في شيء من الاحاديث انه صلى
الله عليه وسلم لما ولد عطس وفي الجامع الصغير استهلال الصبي العطاس فاستهلال المولود
له معنيان مجرد رفع الصوت والعطاس فلذا حمل هنا على العطاس بقرينة الجواب الذي
لا يقال الا عند العطاس وهذا الحديث رواه ابو نعيم في الدلائل عن عبد الرحمن بن عوف
رضي الله عنه واضاء الى ما بين المشرق والمغرب حتى رأيت قصور الروم ولا منافاة
بين هذه الرواية وبين رواية قصور بصرى والروم لانها كانت اذ ذاك بيد الروم وتتمة

الحديث

الحديث ثم اضجعته فلم انشب ان غشيتني ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عني فسمعت قائلا يقول اي ذهب به قال الي المشرق فلم يزل ذلك علي بالي حتى انبعث رسول الله صلي الله عليه وسلم فكنت اول الناس اسلاما وفي الخواتم امور غريبة من تنكيس اسرة الملوك وذهاب للحيوانات من المغرب الي المشرق والتبشير به صلي الله عليه وسلم وروعه كما تقدم في كلامه اي ولد محتونا مسرورا اي مقطوع السرة كما تقدم الجزم به في كلام المصنف قال الحاكم في مستدركه انه تواترت به الاخبار وقال الذهبي لا اعلم صحته فضلا عن تواتره واجاب بعضهم انه اراد بالتواتر الاشتهار وقد جاءت احاديث كثيرة من ذلك قال الحافظ ابن كثير في الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم من توقف فيها من الحساب وتقدم ان هذا الجواب بعيد وقيل انه حتى يوم سابع وتقدم ما عليه من الكلام **وما تعرفت به حليمة** بنت ابي ذؤيب السعدية مرضعته صلي الله عليه وسلم وخبرها مشهور **وزوجها** الحارث بن عبد العزي **ظبيان** عطف بيان او بدل من حليمة وزوجها وهو تثنية ظبي وهو المرضعة في الاصل وتطلق علي الامين الرضاعة كما هنا والظبي مشترك معنوي لانه من ظاء راء اعطف بلا اشكال في تثنيته فانه ليس بخوعينين مع انه ليس مسموع ايضا **من بركته** صلي الله عليه وسلم لما اخذته من امه **ودر ولبنها له** اي زيادة حز وجد له صلي الله عليه وسلم ولاخيه من الرضاعة بعد قلته **ولبن شارفها** اي ودر لبن شارفها والشارف الناقة المسنة والغالب ان لبنها لا يدر **وخصب غنمها** بكسر الخاء اي رعيها في مكان مخصب وفي سنة مجدبة او هو مجاز عن سمنها وكثرة لبنها وكل ذلك ببركته صلي الله عليه وسلم لكونه عندها واصل معني الخصب بكسر الخاء المعجمة المكان الكثير العشب وأول من ارضعته صلي الله عليه وسلم ثويبة جارية ابي لهب ثم حليمة رضي الله عنها وقد تقدم انها حليمة وفدت علي النبي صلي الله عليه وسلم فاكرمها وبسط لها رداءه لتجلس عليه وقال ابو عبد البر انها اسلمت وانكره الدمياطي وصنف فيه مغلطاي جزاوله صلي الله عليه وسلم اخوة من الرضاعة مفصلة في السير كما فصل فيها احوال مرضعته وذهابها به صلي الله عليه وسلم الي ارض قومها **وسرعة شبابه وحسن نشأته** اي سرعة نمو خلقه وقامته ونشأته ابتدا امره في صغره من نشأ ينشأ فهو ناشئ واما حليمة فقالت والله ما بلغ سنتيه حتى صار غلاما جفرا **وما جرى** اي وقع وحدث **من العجايب ليلة مولده** اي في ليلة ولادته ساد رواه البيهقي وغيره وفي نسخة بلاده وهما بمعني وهذا يدل علي انه ولد ليلا وهو الذي رواه ابن السكن في حديث نقلوه والذي في مسلم وصححوه انه ولد نهارا بعد الفجر وقبل طلوع الشمس وجمع بينهما بان تلك الحسنة قد تقدر ليلا لقربها منه وبعضهم يري ان اليوم ما طلوع الشمس والحاصل انه لا ينافي ما تقرر من ولادته بقار الحديث المتقدم عن ام عثمان بنت ابي العاص علي تقدير صحته من دلالته علي انه ولد ليلا فان زمان النبوة صالح للحقيقة ويجوز انها تسقط النجوم نهارا اي فضلا عما انكاد تسقط سيما اذا قلنا ولد عند الفجر لان ذلك ملحق بالليل كما تقرر **وما انتجاج** اي تحرك واضطراب **ايوان كسري** وهو قصره ومن الاولي بيان لما والثانية للعجايب وقيل بيان لما ايضا وفيه نظر وكسري تقدم انه بكسر الكاف وفتحها معرب خسرو وكسري هذا هو انوشروان بن قباد وهو غير كسري الذي كتب له رسول الله صلي الله عليه وسلم فمزق كتابه فهو ابرويز بن هرمز

بما انوا شروا ما وهذا الحديث رواه البيهقي وابن ابي الدنيا وابن السكن والايوان الصفة
العظيمة والبنا العالي العظيم واصله اوان بتشديد الواو فابدلت الاولى ياء وفسر بعضهم
الايوان ببيت الملك العظيم المعد لجلوسه مع وزرائه لفصل الامور وسقوط شرفاته
بضمتين كما تنقيف اللسان ويجوز سكونها وفتحها كما قاله البرهان جمع شرفة بضمتين
او بضم فسكون بوزن غرفة وفسرت باعاليه وانما هي ما يبنى على اعلى الحائط منفصلا بعضه
من بعض على معروفة وله شرفات كثيرة فسقط منها اربعة عشر بعدد من ملك من
اولاده بعد ظهور الاسلام وانقضت مدتهم في زمان قليل واطلاق شرفات على ما ذكر لاستوا
القلة والكثرة فيه لاضافته او لانه لا جمع له سواه او لانه يجوز استعمال كل من الجمعين
في معنى الاخر وغيض بحيرة طبرية غيض بفتح المعجمة وسكون المثناة اليا التحتية وضاد
معجمة مصدر غاض يغيض اذا قل او ذهب يقال غاض الما وغاضه الله واغاضه يتعدى
ولا يتعدى وبحيرة تصغير بحرة وهي البركة الكبيرة التي كثر ماؤها ويطلق على الارض
الواسعة والمراد الاول وطبرية بلدة بالشام معروفة من الارض المقدسة بينها وبين
القدس مرحلتين وبحيرتها عظيمة الا ان البرهان قال المعروف بالغيض بحيرة ساوة
اللهم الا ان يريد عند خروج ياجوج وماجوج فان اولهم يشربها ويجي اخرجهم فيقول
كان ها هنا ماء انتهى اقول ما قاله غير صحيح هنا لان الكلام فيما حصل
عند ولادته صلى الله عليه وسلم من الايات والعجب ممن تابعه على هذا مع ظهوره
وساوة بلدة اخرى بينها وبين الري اثنتان وعشرون فرسخا والجواب
الحق ان المراد بحيرة طبرية وطولها ستة اميال وكذا عرضها وقد روى الحديث
البيهقي وابن ابي الدنيا وابن السكن كما نقله السيوطي وغيره فالمعترض لم يقف على هذه
الرواية فلعل ماها نقص نقصا لا ينقص مثله في زمان طويل او غار ماؤها ثم عاد بعد ذلك لما
فيها من العيون النابعة التي تمدها الامطار وقد علمت ان بحيرة تصغير بحرة لا بحر والتا
مزايدة كما قيل وهي ممنوعة من الصرف للعلمية والتانيث وليست التا مزيدة فيما
هو العلمية كذي الثدية لتاويلها بالبقعة وهو تكلف لا داعي له وخمود نار فارس
بمنع الصرف لانه علم اعجمي وفارس اقليم معروف هو واهله فكان ما غاض من الما فاض على
النار فاطفاها والخمود الانطفا وكان هذا ليلة مولده صلى الله عليه وسلم كما تقرر
وكان لها اي لتلك النار الف عام لم تخمد لشدة اشتعالها وكثرة امدادها دايما وكانوا
يعبدونها كما قال ابن هاني

سجدت الى النيران وقد شعرت به سجدت له نيرانها

وقال اخر

وذاك دليل للنجاة من اللظا به لانطفا النار من كل موقد

وقوله لم تخمد بضم الميم وفتحها لانه ورد من باب نصر وعلم وكان كسرى واتباعه
يعبدونها ويرمون فيها المسك والعنبر ونحوه ولهم بها فتنة عظيمة اذ لم تزل تؤجج
وان لم تمد وقصة النار ورويا كسرى وقصتها على سطيح مذكورة في السير مشهورة وانه
صلى الله عليه وسلم كان وهو طفل صغير كما رواه ابن سعد وغيره عن ابن عباس اذا
اكل مع عمه ابي طالب وآله اي اهل بيته وكان صلى الله عليه وسلم عنده في حضانته

بعد عبد المطلب

بعد عبد المطلب وهو صغير جملة حالية شبعوا من الطعام ورووا اذا شربوا لبنا ونحوه
لا ماء ولذا جعله ماكولا لانه غذا ببركته صلى الله عليه وسلم مما لا يشبع منه مثلهم لقلته
واذا غاب عنهم فلم يكن معهم فاكلوا وحدهم في غيبته عنهم لم يشبعوا وباتوا جياعا
وكان سائر ولد ابي طالب اي جميعهم او بقيتهم بعده صلى الله عليه وسلم منهم تغليبا
وانكر بعضهم ورود سائر بمعنى جميع ورددناه في شرح الدرة يصبحون اذا قاموا من
نومهم في مضاجعهم ويصبح صلى الله عليه وسلم اي يدخل في وقت الصباح اذا قام من نومه
صقيلا اي رائق اللون متغير البشرة فهو استعارة من المراة الصقيلة دهينا اي
كان وجهه دهن بغالية ونحوها مما كانوا يدهنون به حتى تترف وجوههم كحيلا اي
مكحل العين وكل ذلك من غير صنع لاحد وهي منصوبة بيصبح ان كانت ناقصة او احوال وكان
اولاد ابي طالب سبعة اذ ذاك عقيل وجعفر وطالب وعلي وام هاني وام طالب هاني
طالب وجمانة وكلهم اسلموا الا طالبا فانه مات كافرا وهذا مجاز او حقيقة وفسر المدهون
بخلاف الاشعث والمصقول بالمسوي الشعر والكحيل بالذي لا رمص بعينيه ولا قذى
وكان ابو طالب يحبه صلى الله عليه وسلم حبا شديدا ويؤثره على اولاده فاذا اتي بطعام
يقول لا تاكلوا حتى ياتي ابني وروي في بعض النسخ وقالت ام ايمن هي بركة بنت محصن
بن ثعلبة ابن عمرو بن حفص بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان مولاة رسول الله صلى
الله عليه وسلم حاضنته اي التي كانت تربيه طفلا سميت حاضنة لانها تجعل الولد في حضنها
وقيل انها ارضعته وهي حبشية وابنها ايمن بن عبيد الحبشي وتزوجها زيد بن حارثة
وكانت وصيفة لعبد الله ابيه صلى الله عليه وسلم وروي عنها في الصحيحين وادركت
خلافة عثمان كما نقله الذهبي عن الواقدي وفي مسلم عن الزهري انها توفيت بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم بخمسة او ستة اشهر وهو الذي صححه النووي وخطا الواقدي فيما قاله
وانما حضنته لموت امه آمنة ما رايته صلى الله عليه وسلم يشكوا
جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا لان الله تكفل به فكان يبيت
يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه كما قال تعالى ووجدك يتيما فاوى وحاضنته للاشعار
اسم فاعل مونث من الحضن وليس فعلا من المفاعلة وانه عدل عن حضنه لحاضنته للاشعار
بالفاعلية من جانبه تبركا به كما توهم وهو خطاء فاحش على عادته ومن ذلك اي دلايل
رسالته المشاهدة عند ولادته حراسة السما بالشهب وهي شعل النار المرئية في نجوم
السما جمع شهاب وقطع رصد الشياطين اي ترصدهم وترقبهم لسماع ما تقوله الملايكة فتحفظه
وتلقيه للكهنة فهو مصدر ويكون بمعنى راصد وجمعا له فلذا اطلق على الواحد وغيره
والشياطين مردة الجن ومنعهم اي منع الله لهم من استراق السمع وهو ان يختفي احد ليسمع
كلام من لم يرد سماعه فكانه يسرق الكلام الذي سمعه واعلم ان رمي الشياطين
بالشهب لم يحدث في زمنه صلى الله عليه وسلم فانه كان قبل ذلك ايضا ولكنه لما ولد
رسول الله صلى الله عليه وسلم في زمان كان كثير الكهنة وكانت الجن تخبرهم ببعض
المغيبات فيلقونها للناس منعهم الله تعالى من ذلك بالكلية حتى لا يلتبس الوحي
بغيره فكثر الرجم بالشهب من جميع النواحي فبطلت الكهانة ومنع الجن من الاطلاع على
المغيبات ولذا لما رات قريش كثرة القذف بالنجوم قالوا اقتربت الساعة وخراب الدنيا

شعثا جمع اشعث وهو المغبر المتغير لونه كما هو عادة الاطفال اذا قاموا من نومهم ٢٢٢

فقال لهم عتبة بن ربيعة انظروا الى العيوق ان كان رمي به فقد آن قيام الساعة والا فلا
والى هذا يشير قوله تعالى وانا لمسنا السما فوجدناه ملئت حرسا شديدا الاية وقد روي
ان ابليس كان يخترق السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام حجب عن ثلاث سموات
فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن جميعها ومنع غيره من القرب منها والشهاب
الذي يرمى به قيل انه لا يخطيه ولكنه يحرقه ولا يقتله وقال الحسن انه يقتله فقد علمت
ان رمي الشهب لم يحدث في زمنه صلى الله عليه وسلم كما توهمه بعضهم وانما كثر واشتد فيه
وكانوا في الجاهلية اذا راوا شهابا سقط قالوا يموت او يولد عظيم كما ورد في الحديث ومن
دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم ما نشا عليه اي خلقه الله عليه من ابتدا انشائه وطفوليته
من بعض الاصنام وكراهة قربها ومسها كما روى البيهقي ان زيد بن حارثة مر بصنم فتمسح
به فقال له صلى الله عليه وسلم لا تمسه ونهاه عن القرب منه كما نهى ابراهيم الخليل عليه
الصلاة والسلام آزر عنها والعفة عن امور الجاهلية التي كانوا يرتكبونها فخلقه الله
متغفلا عنها لسلامة طبعه كاللهو واللعب وغيره والعفة حالة للنفس تمنع من غلبة
الشهوة والتعفف عن تعاطيها كما قاله الراغب وما خصه الله به من ذلك فجعل فيه اخلاقا
مرضية واعمالا زكية ونفسا قدسية فصانه وحماه قبل بعثته من الصفات الردية حتى
في ستره بفتح السين المهملة وسكون المثناة الفوقية مصدرا اي ستر بدنه حتى لا يرى احد
منه صلى الله عليه وسلم ما لا ينبغي رؤيته كالعورة فكان لا يتعرى عند احد وكانت
الجاهلية تفعله حتى كانوا يطوفون عراة احيانا وفي نسخة حتى ستره مجرورا بحتى وهو
غاية لما قبله من الحماية وما قيل ان كان المراد كشف العورة فهو قبيح عقلا وما دونها
ليس بقبيح عقلا وشرعا الا ان يقال انه من خصوصياته الدالة على نبوته امر لا طائل
في الخبر المشهور الذي رواه الشيخان عن جابر رضي الله عنه والبيهقي عن ابن عباس
رضي الله عنهما عند بنا الكعبة لما بنتها قريش ونقلهم الحجارة لبنايها وكان صلى الله
عليه وسلم ينقل الحجارة معهم اذ اخذ ازاره اي ملحفته التي كان موتزرا بها ليجعله
على عاتقه اي اخذ الازار ليجعله على كتفه الذي يضع عليه الحجارة حتى لا تؤذيه
ليحمل عليه اي على عاتقه او ازاره الحجارة وتعرى اي انكشف اسفله لنزع الازار عنه
فسقط الارض مغشيا عليه وعينه شاخصة للسما حتى رد ازاره عليه وستر عورته
فقال له عمه وهو العباس كما صرحوا به ما بالك اي ما شانك وحالك الذي عرض لك
حتى سقطت قال اني نهيت بالبنا للمجهول عن التعري وكشف العورة كتعري وكانت
قريش بنت الكعبة لسيل اتى من فوق الردم ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن خمس
وثلاثين سنة قال العباس فكانوا ينفردون رجلين رجلين ينقلون الحجارة فكان العباس
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا يجعلون ازرهم على عواتقهم فاذا دنوا من
الناس لبسوها فبينما هو كذلك صرع رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيث رافعا
بصره الى السما فقال له ما بالك يا ابن اخي فقال نهيت ان امشي عريانا فكتمتها حتى
بعثه الله مخافة ان يقال انه مجنون وفي رواية ان ملكا مهيبا ناداه اشدد ازارك
وروي انه لكمه لكمة شديدة قيل وهو اول ما نودي به ومن ذلك اي مما دل على نبوته
في اول امره ما رواه الترمذي والبيهقي اظلال الله تعالى له بالغمام في سفره اي كون

غمامة

غمامة تسير معه صلى الله عليه وسلم اي سار تقيه حر الشمس دون غيره من الركب كما راه بحيرا
لما سافر للشام مع عمه وراه ميسرة غلام خديجة لما سافر معه للشام وخص السفر لانه محل
التاثر من الشمس وفي رواية لابن سعد ان خديجة ام المومنين ونساها اي النسا التي كن معها
عند الروية فالاضافة لادنى ملابسة راينه لما قدم لمكة من سفره للشام في تجارة لها
وملكان يظللانه اي يمدان اجنحتهما عليه ليكون ظلة له ووقاية من الشمس فذكرت
خديجة ذلك اي ما راته لميسرة غلاوها الذي بعثته معه صلى الله عليه وسلم في سفره
وميسرة بفتح السين وضمها فاخبرها ميسرة انه راى ذلك اي كونه مظللا من
السما بالملكين فلا ينافي ان خديجة رات تظليل الملايكة وميسرة راى تظليل الغمام او ان
الغمام كانت تسوقه ملايكة فجعلت مظللة كحامل الظلة يسمى مظللا منذ خرج معه في سفره
الى الشام اي من اوله الى اخره وهذا الحديث رواه الواقدي عن نفيسة بنت منبه وهي احدى
النسا اللاتي كن مع خديجة في علية لها تنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم
قال البرهان لم يذكر ميسرة في الصحابة فكانه مات قبل نبوته صلى الله عليه وسلم وفي روية
خديجة الملايكة كرامة لها رضي الله عنها وقد روي بالبنا للمجهول والذي رواه الواقدي
وابن سعد وابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس ان حليمة بنت ابي ذويب السعدية التي
ارضعته صلى الله عليه وسلم رات غمامة تظله وتقيه من حر الشمس وهو مقيم عندها
لما اخذته صلى الله عليه وسلم لحيها لترضعه روي ذلك اي تظليل الغمامة له عن اخيه من
من الرضاعة يعني انه راه في صغره ورواه بعد كبره لانه كان معه والظاهر انه مراده
انه هو الذي ذكر كلامه وانها لم تشاهده لان عبارة الواقدي عن ابن عباس ان حليمة
خرجت تطلبه صلى الله عليه وسلم فوجدته مع اخيه من الرضاعة وهو ولدها فقالت
افي حر الشمس يمكث شفقة عليه صلى الله عليه وسلم منها فقال اخوه يا اماه ما وجد اخي
حرا رايت غمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت معه وهذا يدل على انه ليس امرا
اتفاقيا وهل كان هذا دايما او احيانا لم يقل فيه شي وما في المواهب نقلا عن الزركشي
في شرح البردة عن بعض العارفين انه صلى الله عليه وسلم كان مزاجه معتدل الحرارة
والبرودة فلا يحس بالحر ولا بالبرد فكان صلى الله عليه وسلم في ظل غمامة من
اعتداله قيل عليه انه ساقط لانه يقتضي ان تظليل الغمامة لم يكن حقيقيا محسوسا
وانما هو على طريق التمثيل قلت ان اراد ذلك فهو وارد عليه ويحتمل ان يريد انه
لم يدم ذلك ولم يكن بعد بلوغه سن الاعتدال بعد النبوة لتمام اعتداله المغني عنه او
انه كان غنيا عنه وانما هذا تكريم من الله له لم يرد عليه شي فاعرفه فانه مثله على مثله وقد
علمت ان الذي في نسخ الشفا كما قاله البرهان عن اخيه مذكور بما تحتيه والذي في سيرة ابن
سيد الناس اخته بالمثناة الفوقية فهذا تصحيف او رواية راها ايضا ومن ذلك اي مما
يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم وهذا لم يذكروا من رواه من المحدثين انه نزل اي قعد
في محل نزل به في بعض اسفاره قبل مبعثه مصدر ميمي بمعنى بعثته ونبوته تحت
شجرة يابسة اي ليست مخضرة وليس لها ورق فاعشوشب ما حولها من الارض اي ظهر
به عشب لم يكن واخضرت من ساعتها وافعول عن المبالغة اي كثر عشبه ونباته والعشب
الكلا ما دام رطبا وقدمه لما فيه من المبالغة وانبعث هي اي الشجر وابرز الضمير لئلا يتوهم

انه عايد على ما حولها باعتبار انه ارض وهي مونثة سماعية ومعنى اينعت ظهر خضرة
ورقها وزهرها او ثمرها يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا واينعت ايناعا اذا نضجت قال تعالى
كلوا من ثمره اذا اثمر وينعه وقوي وينعه وهو جمع يانع وهو المدرك قال الراغب فاشرقت
اي تمت وعلت اغصانها وتدلت عليه صلى الله عليه وسلم قضبانها لتقيه وتظلله اغصانها
جمع غصن وهي اعلاها وفروعها بمحضر من رآه اي ان من كان عنده شاهد حدوث ذلك
وعلم منه ما يدل على كرامته لسرعته ومن ذلك ميل فيء الشجرة الفيء هو الظل مطلقا او بعد
الظهيرة لانه من فاء اذا رجع والكلام عليه مفصل في كتب اللغة وميل الفيء اما وحده او مع
الشجرة نفسها في الخبر الاخر الذي روي عنه صلى الله عليه وسلم في سفره الى الشام
وقصته مع بحيرا الراهب كما تقدم حتى اظلته علة او غاية مقصودة من ميلها وكان رفقاؤه
صلى الله عليه وسلم سبقوه فجلسوا في الفيء فلما جلس في الجانب الاخر مالت الشجرة عليه
بفيئها فظللته فراه الراهب في قصته التي تقدمت وكان مع عمه ابي طالب وهو ابن عشر سنين
ومن دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم ما ذكر بالبنا للمجهول والذي ذكره ابن سبع من انه
بيان لما الموصولة لا ظل لشخصه اي لجسده الشريف اللطيف اذا كان في شمس
ولا قمر مما ترى فيه الظلال لحجب الاجسام ضوء النيرين ونحوهما وعلل ذلك ابن سبع
بقوله لانه صلى الله عليه وسلم كان نورا والانوار شفافة لطيفة لا تحجب غيرها من الانوار
فلا ظل لها كما هو مشاهد في الانوار الحقيقية وهذا رواه صاحب الوفا عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظل ولم يقم مع شمس
الا غلب ضوءه ضوءها ولا مع سراج الا غلب ضوءه ضوءه وقد تقدم هذا والكلام عليه
ورباعيتنا فيه وهي

باحر لظل احمد اذ نال ... في الارض كرامة كما قالوا
هذا عجب وكم به من عجب ... والناس بظله جميعا قالوا

فقالوا هذا من القيلولة وقد نطق القران بانه النور المبين وكونه بشرا لا ينافيه
كما توهم فان فهمت فهو نور فانا النور هو الظاهر بنفسه المظهر لغيره وتفصيله
في مشكاة الانوار للغزالي ومن دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم ان الذباب كان
لا يقع على ما ظهر من جسده ولا يقع على ثيابه وهذا مما قاله ابن سبع ايضا الا انهم
قالوا لا يعلم من روى هذا والذباب واحده ذبابة قيل انه سمي به لانه كلما ذب آب
اي كلما طرد رجع وهذا مما اكرمه الله به لانه طهره من جميع الاقذار وهو مع استقذاره
قد يجيء من مستقذر قيل وقد نقل مثله عن ولي الله العارف به الشيخ عبد القادر الكيلاني
ولا بعد فيه لان معجزات الانبيا قد تكون كرامة لاوليا امته وفي رباعية لي

من اكرم مرسل عظيم كلا ... لم تدن ذبابة اذا ما حلا
هذا عجب ولم يذق ذا او نظر ... في الموجودات من حلاه احلا

وتطرف بعض علما العجم فقال محمد رسول الله ليس فيه حرف منقوط لان الموجودات
النقط تشبه الذباب فصين عنه اسمه ونعته عنه كما قلت في مدحه صلى الله عليه وسلم

لقد ذب الذباب فليس يعلو ... رسول الله محمودا محمد
ونقط الحرف يحكيه بشكل ... لذاك الخط عنه قد تجرد

ومن ذلك

ومن ذلك اي من دلايل نبوته صلى الله عليه وسلم في اول امره ومنتهاه كما رواه الشيخان
تحبيب اي بجعله طبيعة الخلوة اي الوحدة والانفراد عن الناس للعبادة اليه
حتى اوحي اليه اي انه كان يفعل ذلك قبل بعثته حتى نزل الوحي عليه تكريما له صلى الله
عليه وسلم وفي البخاري ثم حبب اليه الخلا اي العزلة عن الناس اذ بها فراغ القلب والاعانة
على التفكر والانقطاع مع اوقات النفس فكان يخلو بغار حرا فيتحنث فيه وهو التعبد
الليالي ذوات العدد قبل النبوة فاذا نزل منه طاف بالبيت وذهب لاهله وخص حرا كما قاله
ابن حجر جمرة لانه كان يتبرك به وينظر منه البيت فيستقبله وقال بصيغة المجهول اشارة الى انه
ليس تقليدا لغيره وانما هو جبلي بالهام الله له وهو من الارهاصات حتى جاءه الوحي وهو
فيه ثم اعلاه صلى الله عليه وسلم اي اعلام الله له بقرب موته ودنو اجله الى اخر عمره
الذي اجل له وقدر وهذا مما رواه الشيخان وفهمه صلى الله عليه وسلم من قوله تعالى فسبح
بحمد ربك وفي الصحيحين انه مر على قتلى احد بعد ثمان سنين كالمودع للاحيا والاموات
ثم طلع المنبر فقال اني بين يديكم فرط وانا عليكم شهيد وان موعدكم الحوض الخ وقوله في
خطبة له ان عبدا خيره الله بين ان يؤتيه من زهرة الدنيا ما شا وبين ما عنده فاختار ما عنده
فبكى ابو بكر رضي الله عنه وقال فديناك بابائنا وامهاتنا فقال عمر انظروا لهذا الشيخ يقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خيره بين زهرة الدنيا وما عنده فاختار ما عنده
فكان الصديق اعلمهم بكلامه صلى الله عليه وسلم واسر بذلك لفاطمة كما تقدم في الحديث
الى غير ذلك مما لا يحصى اعلامه صلى الله عليه وسلم بان يقول قبره بالمدينة كما رواه ابو
نعيم عن معقل بن يسار بلفظ المدينة مهاجري ومضجعي من الارض وان قبره في بيته
فقبره صلى الله عليه وسلم في مسكنه وكذا كان لكثير من الانبيا عليهم الصلاة والسلام اشارة
الى انهم احيا عند ربهم يرزقون وان بيته ومنبره روضة من رياض الجنة كما سياتي يعني
انما تنقل وتجعل روضة في الجنة او ان العمل فيها يوجب لصاحبه روضة من رياض الجنة
وقال ابن حجر الاظهر ارادة المعنيين والجمع بينهما معا اذ لا مانع منه ومن لم يعرف هذا
قال لا بد من تاويله باعتبار القرب من اقرب الخلق الى الله تعالى ومن قرب منه كالجالس
في رياض الجنة لتنزل الرحمات وتلذذه بالمشاهدات كما يقال اللهم اجعل قبر فلان روضة
من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته اي لما قرب موته خيره الله بين البقا في الدنيا
والرحيل للاخرة كما سمعته انفا ورواه البيهقي في دلايله وعن عايشة رضي الله عنها
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحته يقول لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده
في الجنة ويخير فلما اشتكى صلى الله عليه وسلم غشي عليه فلما افاق شخص بصره لسقف
البيت وقال اللهم الرفيق الاعلى فقالت لا يختارنا وعرفت انه خير وفهمت ما فهم ابوها
رضي الله عنها وهو حديث صحيح رواه احمد في مسنده وغيره وقد صرح به صلى الله عليه
وسلم فقال اوتيت مفاتيح خزائن الارض والخلد فيها ثم الجنة فاخترت الخ مما يطول ذكره
وما اشتمل عليه حديث الوفاة اي وفاته صلى الله عليه وسلم وهو حديث طويل رواه
الشافعي والبيهقي في سننه من كراماته التي اكرمه الله بها عند موته كسماع بكا الملايكة وسماع
صوت من السما ينادي وامحمداه الحديث وقول جبريل له صلى الله عليه وسلم ان الله
يقريك السلام ويقول لك وهو اعلم كيف تجدك الى غير ذلك وتشريفه بما مر وغيره

وصلاة الملايكة على جسده وفي نسخة عليه وكان افخام الجسد هنا لان الصلاة معناها الدعا
وروحه صلى الله عليه وسلم غير محتاجة لذلك ولنكتة اخرى قيل هي ان الصلاة على جسده
وروحه مستمرة دايما لقوله ان الله وملايكته يصلون الاية على ما روينا في بعضها اي في بعض
طرق حديث الوفاة وهو ما روي عن ابن عباس انه لما جهز صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثا وضع
على سريره في بيته فصلت عليه الملايكة فوجا فوجا ثم الناس فوجا فوجا ثم نساوه ثم النساء
ثم الصبيان ولم يؤمهم احد وكان صلى الله عليه وسلم اوصى بذلك وذلك لعظم امره ولئلا
يتنافسون في الامامة والخلافة لان الخليفة يستحقها ومن زعم ان المراد بالصلاة مجرد الدعا
دون صلاة الجنازة لم يات بشي وكونه لم يؤمهم احد ذكره الامام الشافعي رضي الله عنه
في الام وغيره وصححوه وحكمته ما ذكر ولم يدع له صلى الله عليه وسلم بدعا الجنازة المشهور
كما ذكره السهيلي بل قالوا انا نشهد انك بلغت الامانة ونصحت الامة الى اخر ما ذكره والحديث
بطوله مذكور في كثير من كتب الحديث تركنا لطوله واستيذان ملك الموت عليه اي طلبه الاذن
منه في قبض روحه الشريف ان اراد وتركه حيا ولم يستاذن على غيره نبيا او غيره قبله روي
ان جبريل قال له صلى الله عليه وسلم ان ملك الموت بالباب يستاذن عليك ولم يستاذن على
احد قبلك ولا بعدك فقال ايذن له فقال السلام عليك يا محمد ان ربي امرني ان اطيعك فيما
امرتني به ان اقبض نفسك قبضتها وان اتركها تركتها فقال اقبض يا ملك الموت كما امرت فقال
جبريل السلام عليك يا رسول الله هذا اخر موطني من الارض وندايهم اي ندا الملايكة لهم الذي
سمعوه ولم يروا من ينادي ان لا اي بان لا الخ فان مصدرية ولا نافية تنزعوا القميص عنه
اي قميصه الذي عليه لما ارادوا نزعه عند غسله بضم الغين ويجوز فتحها اشارة لما في حديث
ابي داود والبيهقي الصحيح عن عايشة رضي الله عنها انهم لما ارادوا غسله صلى الله عليه وسلم
قالوا لا ندري انجرده من ثيابه كساير موتانا ام نغسله وعليه ثيابه واختلفوا فغشيهم
النوم فاذا قايل من ناحية البيت لا يرونه غسلوه في ثيابه فغسلوه وعليه قميصه يصبون
الما فوق القميص ويدلكونه بالقميص وهو من جملة حديث الوفاة وهذا تكريم له باجرايه
على عادته فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يتجرد عند احد واشارة الى ان تغسيله ليس
للاحتياج اليه وانما هو اجرا السنة وكفن في ثلاث اثواب يمنية سحولية وما روي من تعزية
الخضر عليه الصلاة والسلام كما رواه البيهقي في دلايله يشير الى ما روي عن علي كرم الله
وجهه ورضي عنه انه قال لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوا صوتا ولم يروا شخصا
وهو يقول السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذايقة الموت وانما توفون
اجوركم يوم القيامة وان في الله عز وجل لعزا من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من
كل فايت فبالله فثقوا واياه فارجوا واعلموا ان المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته فكانوا يرون انه الخضر عليه الصلاة والسلام كما رواه البيهقي وابن
ابي حاتم وقال في مراة الزمان ان المعزي هو جبريل لا الخضر ورواه العراقي في تخريج احاديث
الاحيا بلفظ ان في الله خلفا من كل احد ودركا لكل رغبة ونجا من كل مخافة فالله فارجوا وبه
فاتقوا وسمعوا اخر بعده يقول ان في الله عزا من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فالله فاطيعوا
وبامره فاعملوا فقال ابو بكر رضي الله عنه هذا الخضر واليسع ولم اجد في رواية ذكر اليسع واما
ذكر الخضر في التعزية فقد انكر النووي وجوده في كتب الحديث وانما ذكره الاصحاب قلت

بل رواه

بل رواه الحاكم في المستدرك من حديث انس ولا يصححه ولا يصح ورواه ابن ابي الدنيا في كتاب الغزا قال
لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع اصحابه حوله يبكون فدخل عليهم رجل طويل شعر
المنكبين في ازار ورداء فتخطى الصحابة حتى اخذ بعضادتي الباب وبكى ثم قال ان في الله عزا
من كل مصيبة وعوضا من كل من مات وخلفا من كل هالك فالى الله فانتهوا ولصرف الله البلا فانظروا
فان المصاب من حرم الثواب فقال ابو بكر لعلي هذا الخضر اخو نبينا جا يعزينا رواه الطبراني في
الاوسط واسناده ضعيف جدا وابن ابي الدنيا عن علي بسند رواه ايضا وذكره الشافعي في الام من
غير ذكر الخضر انتهى وانما قال الحاكم وغيره انه غير الحديث انه لا يبقى على وجه الارض من هو عليها
احد على راس ماية سنة من تلك الليلة واراد به انخرام كل احد فيشمل الخضر وغيره يعني به انكار
وجوده وسيل عنه ابن حجر رحمه الله فقال سنده ضعيف ولو قدر ثبوته لم يخالف الحديث
المذكور لانه يخص من عمومه اما صح ما ينقل عن بعض الصالحين من اجتماعه بالخضر الا انا لم نجد
خبرا صحيحا يقتضي انه صاحب موسى عليه الصلاة والسلام والعلم عند الله والحاصل انهم قد اختلفوا
في وجوده فالصوفية يثبتون وجوده وان منهم من راه والمحدثون ينكرونه وبعضهم توقف فيه
كابن حجر ومنهم من شدد النكير على من اثبت حياته كصاحب مرآة الزمان حتى صنف في ابطاله
كتابا مستقلا سماه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر ولكنا لا ننكر ما قاله المشايخ واختلفوا فيه
هل هو نبي او ملك او عبد صالح من اولياء الله تعالى اطال الله عمره وجعل مرجع الاولياء والاقطاب
اليه واعلم انه ليس الخلاف في وجود الخضر صاحب موسى عليه الصلاة والسلام انما هو
في كونه عاش الى زمن النبوة والى الان وما مر من انه لم ير شخصه يقتضي انه ملك وقوله اهل بيته
بالجر عطف على الخضر لما قلناه والملايكة مفعول التقرية وهي الارشاد للصبر والتسلية
عند المصيبة الى ما ظهر على اصحابه صلى الله عليه وسلم والى هذا متعلقة بمقدر اي مضموما
ما ذكر من اول الفصل الى هنا او منتهيا وهو كما يقوله المصنفون الى اخره اشارة الى انه ترك
امورا كثيرة من جنس ما ذكر والمراد بظهورها عليهم ان شرف صحبته صلى الله عليه وسلم
اثر فيهم حتى ظهرت منهم امور تشتاق به ما ظهر منه ببركته صلى الله عليه وسلم من كرامته
وبركاته اي من مثل ذلك في حياته وموته اي بعد موته كاستسقا عمر بن الخطاب رضي
الله عنه بعمه العباس رضي الله عنه بن عبد المطلب اي تقديمه في دعا الاستسقا كما رواه البخاري
وتفسير عمه صلى الله عليه وسلم بالعباس وان كان له اعمام غيره لانه لم يعش بعده صلى الله
عليه وسلم منهم غير العباس وقد صرح به في الحديث واعمامه ابو طالب والزبير وعبد الكعبة
وحمزة والقدم وحجل واسمه المغيرة والعوام وضرار والحارث وهو اكبرهم وقثم مات
صغيرا وابو لهب واسمه عبد العزى والغيداق واسمه مصعب او نوفل فهم ثلاثة عشر
ولم يسلم منهم غير حمزة والعباس وجعل بعضهم الغيداق وحجل واحدا فعدهم اثني عشر واسقط
بعضهم العوام وعبد الكعبة فعدهم احد عشر وبعضهم عدهم سبعة وبعضهم عشرة الاسقاط
بعضهم وحاصل ما اشار اليه انه كان في زمن عمر رضي الله عنه اذا وقع قحط استسقى
بالعباس رضي الله عنه فوقع جدب شديد في خلافته عام الرمادة سنة سبع عشرة فقال
كعب يا امير المومنين ان بني اسرائيل كانوا اذا حصل لهم مثل هذا استسقوا بعصبة الانبياء
فقال عمر هذا عم النبي صلى الله عليه وسلم صنو ابيه وسيد بني هاشم ثم صعد المنبر ومعه العباس
فقال اللهم نتقرب اليك بعم نبيك ونستشفع به اتيناك مستغفرين مستشفعين

ثم اقبل على الناس وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا الى قوله
انهارا ثم قام العباس رضي الله عنه وعيناه تنضحان فقال اللهم عندك سحابا وعندك ماء
فانشر السحاب ثم انزل الما منه علينا فاشدد به الاصل وصل به الفرع وادر به الضرع اللهم انك لم
تنزل بلاما الا بذنب ولم تكشفه الا بتوبة وقد توجه القوم بي اليك فاسقنا اللهم الغيث وشفعنا
في انفسنا واهلينا وفيمن لا ينطق من بهايمنا وانعامنا اللهم اسقنا سقيا وادعا نافعا طبقا سحا
عاما اللهم اليك نشكوا اليك نشكوا جوع كل جايع وعري كل عار وخوف كل خايف وضعف كل
ضعيف اللهم انت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدا ومضيعة فقد ضرع الصغير ورق
الكبير وارتفعت الشكوى وانت تعلم السر واخفى اللهم واغثهم بغياثك قبل ان يقنطوا فهلكوا
فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلم يستتم دعاه حتى نشات سحابة فقال الناس
ترون ترون ثم تلاءمت ومنت وانتشرت ثم ردت وارخت عزاليها كافواه القرب فما برحوا
حتى علقوا الحدا وقلصوا المآزر وطفق الناس يتمسحون بالعباس ويقولون هنيئا لك
ياسا في الحرمين وفي ذلك قال حسان رضي الله عنه

سال الامام وقد تتابع جدبنا ... سقي الغمام بغرة العباس
احيى الاله به البلاد فاصبحت ... مخضرة الارجاء بعد الباس

في ابيات اخر وتبرك غير واحد اي كثير من الناس بذريته صلى الله عليه وسلم من
السادة الاشراف نفعنا الله بهم ولهم في ذلك حكايات ليس هذا محلها وقد افرده السيد
السمهودي شكر الله سعيه بتاليف مستقل نافع **فصل** فيه فذلكة هذا
الباب قال القاضي ابو الفضل عياض المولف رحمه الله قد اتينا اي ذكرنا وجمعنا
في هذا الباب الرابع المذكور فيه معجزاته صلى الله عليه وسلم وملايل نبوته واصل الاتيان
المجيء بسهولة وقد يكون بمعنى المرور فيتعدى بعلى ولذا قال على نكت من معجزاته واضحة
الا انه تجوز به عما ذكر من الجمع وعداه بتعديته الاصلية لانه من لوازم من يريد اخذ شي
وجمعه ان ياتي له حتى يصل اليه ويقال اتى على كذا اذا استوفاه واستوعبه والنكت
جمع نكتة وهي الامر الدقيق الذي يحصل بفكر يقارنه نكت الارض بقضيب ونحوه كما مر
والنكت جمع نكتة وهي الامر الدقيق الذي يحصل بفكر يقارنه نكت الارض بقضيب ونحوه
كما مر والنكت بمثناة فوقية ومن نطق بها بالمثلثة فقد اخطا فلا وجه لما ذكره البرهان
هنا وجمل جمع جملة وهي الامر المجمل من علامات نبوته صلى الله عليه وسلم مقنعة اي
كافية عن غيرها مستعار من القناعة وفي نسخة مغنية بالغين المعجمة والنون اي يستغني بها
عن غيرها وهو مجرور صفة جملة ويجوز نصبه على الحالية في واحد منها الكفاية عن غيرها
كالقران اي في الاقتصار عليه وضمير منها للنكت والجمل والغنية بالضم والسكون في ثانيه اي
الاستغنا عن غيره لانه يدل عليه دلالة قوية وتركنا الكثير منها سوى ما ذكرنا اشارة
الى ان ما ذكره صلى الله عليه وسلم قليل بالنسبة لما تركه واقتصرنا من الاحاديث الطوال
بكسر الطا جمع طويل على عين الغرض عين الشي المختار منه وهو المراد منه لا الحقيقة وان كان
احد معانيها والغرض ما يقصد منه وفايدته واصل معناه الهدف الهدف كما مر فنقل لما ذكر
وفص المقصد اي الامر المقصود والفص مثلث الفا بمعنى الاصل يقال اتى بالامر من فصه
اي من اصله قال الشاعر

وردت

ورب امرئ تزدريه العيون ويأتيك بالامر من فصه

وفص الخاتم ما يزين به من الجواهر ويقال نقل الحديث بفصه اذا استوفاه ونظر ابن بنانة رحمه الله تعالى في قوله

حملت خاتم فيه فصا ازرقا من كثرة اللثم الذي لم احصه

لولا ما علم الرقيب فيا له من خاتم نقل الحديث بفصه

وقول الجوهري العامة تقول الفص بالكسر ظاهره انه غير صحيح وقد نقل الثقات كابن السيد وغيره تثليثه كما علم والمقصد بكسر الصاد وهو القياس وفتحها بعضهم والمراد به المقصود كما مر فهو مصدر ميمي تجوز فيه واقتصرنا من كثير الاحاديث وغريبها هو بمعناه اللغوي اي ما يعد مستغربا غير معهود او غير مشهور والمراد به ما اصطلح عليه المحدثون وهو كما قال ابن الصلاح ما انفرد به بعض الرواة سوا انفرد بجمعه او بزيادة فيه كزيادة ثلاث في حديث حبب الي من دنياكم ثلاث النسا والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة التي تفرد بها ابن فورك وتبعه غيره كما مر وهو لا ينافي الصحة اذا كان رواية ثقة وقد يكون ضعيفا واضافة كثير من اضافة الصفة للموصوف اي الاحاديث الكثيرة على ما صح نقله وروايته واشتهر بين المحدثين الا يسيرا اي قليلا نورده وان لم يصح ويشتهر واليسير ما تيسر وسهل وشاع استعماله بمعنى القليل لسهولته من غريبه اي غريب الحديث وانما اقتصر على المشهور الصحيح الشامل للحسن لان المعجزات الخارقة للعادة لا تخفى غالبا ثم اعتذر عن ايراده في كتابه بقوله مما ذكره مشاهير الايمة لانهم يعتمد على نقلهم لشهرة علمهم وفضلهم وان لم يره لغيرهم وحذفنا اي تركنا وغير بالحذف وهو الترك بعد الذكر اما لتنزيل ذكر غيره منزلة ذكره او لجعله لكونه مهما وحقه ان يذكر بمنزلة المذكور والحذف اخص من الترك الاسناد اراد به السند تسمحا شايعا وهم رواة الحديث او هو بمعناه الحقيقي في جمهورها اي معظم الاحاديث واكثرها وقد يورد الحديث مسندا طلبا للاختصار وعدم التطويل وهو مفعول لاجله وبحسب هذا الباب المذكور فيه المعجزات وحسب بفتح فسكون بمعنى كافي او كفاية وهو مبتدا مجرور بالبا الزايدة وخبره ان يكون الاتي اي يكفيه في شرفه والعلم بكثرة ما ورد فيه عن ذكره واستقصائه وهو في المعنى تعليل ثان لاختصاره الا ان العبارة لا تخلو من الحزازة لو تقصى مبني للمجهول بقاف وصاد مهملة اي استوفي وبلغ اقصاه ونهايته وضبطه بعضهم بفاء بدل القاف وهو غير مناسب هنا لان التقصي التخلص وهو غير مراد وتفسيره بتتبع وخلص من مظانه تكلف لا يخفى ان يكون ديوانا اي كتابا مستقلا مدونا جامعا لما في غيره وتقدم الكلام على الديوان وانه معرب بكسر الدال وفتحها يشتمل على مجلدات عدة اي كتب من شانها ان تجلد متعددة وعدة بكسر العين بمعنى معدودة تنبيه قال التلمساني مجلدات جمع مجلدة وهي الكتب الكثيرة وهي عبارة فقهية مولدة ولا وجه له لان المجلد ما عليه جلد كما في القاموس وفي رسالة المجلد لابي العلا المعري المجلد لا يزال فيما غبر من الزمان نقيض مجلد العرب من شام ويمان قال الراجز

هل انت كاسل المعتمل مجلد يكشف عن مخض الابل

انتهى فقد اثبت ذلك وناهيك به من امام في اللغة فان اراد تخصيصها بالكتب الضخمة وانها لم ترد في كلام العرب فهو مجاز لا يتوقف على السماع والتجلد يكون بمعنى التصبر

ونظرف بعض المتاخرين في قوله

ملكت كتابا اخلق الدهر جلده ، وما احد في دهره بمخلد

اذا عاينت كبتي القديمة جلده ، يقولون لا تهلك اسا وتجلد

ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من ساير معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام
اي من بقيتها او جميعها بوجهين احدهما كثرتها وشهرتها لان الكثرة تستلزم الشهرة وان لم
يوت نبي معجزة الا وعند نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها اي من نوعها مساوية لها او مقاربة
في الاعجاز او ما هو ابلغ منها ابلغ ليس من البلاغة كما توهمه من قال كالقران العظيم فانه ابلغ
معجزة اوتيت فان معناها هنا اعظم واقوى وليس مقيدا بالقران لان بلوغ الشي وصوله
لغايته ومنتهاه او هو من المبالغة على خلاف القياس وكثيرا ما يقولون بهذا المعنى والمعجزة هنا
في سياق النفي فتعم وتفيد الكثرة والخارق للعادة اذ اعظم من شانه الشهرة والظهور فلا يرد
عليه انه كان ينبغي ان يقول اظهر وانه لا يلزم مما ذكره الظهور الذي ادعاه وقد نبه الناس
على ذلك اي بينه علما الحديث والاثار وفصلوه في كتبهم كابن المنير في كتاب المقتفى فان اردته
اي اردت معرفته والوقوف على ما بينوه فتامل فصول هذا الباب اي اعد النظر فيه وتامل وتدبر
معانيه ومعجزات من تقدم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام تقف مجزوم في جواب الامر
على ذلك ان شا الله تعالى والوقوف في الاصل القيام تجوزوا به عن المعرفة وهو مجاز
مشهور ثم ان بعض الشراح ذكر هنا امورا شرفه الله بها لغيره من الانبيا لا مساس لها بالمعجزات
تركناها ولم نطول بذكرها واما كونها كثيرة فهذا القران كله معجز وفي بعض النسخ وكله
معجز بالواو فالتقدير بهذا القران موجود معروف وجميع اجزائه معجزة فناهيك به كثرة
ثم شرع في بيان المقدار الذي يقع به الاعجاز فقال واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض
ايمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر وهي اقصر سورة في القران او اية بقدرها
اي مساوية لها في الحروف والكلمات وسورة مرفوع خبر اقل وفي نسخة بسورة بيا الجر
وذهب بعضهم الى ان كل منه اية كيف كانت طويلة بمقدار سورة ام لا معجزة وزاد بعضهم
وفي نسخة اخرون اي ترقى عن هذا المقدار الى ان كل جملة منتظمة منه اي مفيدة تامة
معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين فان قلت كيف يكون جملة منتظمة وهي كلمة
قلت يكون فيها مقدر كمدها متانا ونحوها فتامل وليس هذا مبني على ان
اعجازه بالصرفة كما قيل والحق ما ذكرناه اولا من ان المعجز اقصر سورة او مقدارها
لقوله تعالى فاتوا بسورة اي سورة كانت من مثله في الاعجاز والضمير للقران او للنبي صلى
الله عليه وسلم في الكشاف وفيه كلام مشهور ودخل مقدار السورة فيه بدلالة النص
فلا يتوهم انه ليس فيه التعرض للدليل دليل على مدعاه فهو اي ما ذكر اقل ما تحداهم
الله او الرسول صلى الله عليه وسلم به اي طلب منهم معارضته مع ما ينصر هذا القول المذكور
اولا اي يقويه ويؤيده من نظر اي فكر وتدبر وتحقيق يطول بسطه ببيان الحق بالادلة
والبراهين القايمة لمن تدبره ونظر ما فيه من مراعاة كل مقاوما احتوى عليه من الجزالة
واللطافة التي تحير العقول فقد تحداهم اولا بجملته فقال فاتوا بكتاب من عند الله ثم
تحداهم بعشر سور فقال فاتوا بعشر سور مثله ثم تحداهم بسورة فسجل عجزهم بعد ارخاء
عنان التكليف والحاصل ان الكلام اللفظي الذي وقع التحدي به لا النفسي فانه لا يتصور

فيه

فيه ذلك على الصحيح اختلفوا في مقدار معجزه فذهب بعض المعتزلة الى انه بجميع القران ورد
بالآيتين المذكورتين وقال القاضي يتعلق بسورة طويلة او قصيرة لظاهر الاية وقال في موضع
بها او بمقدارها قالوا ولم يقم دليل على العجز عن اقل من هذا القدر وقيل لا يحصل العجز الا بايات
كثيرة وقيل قليلة وكثيرة معجز لقوله فليأتوا بحديث مثله فاذا كان هذا اي ثبت ان ما تحداهم
به هذا المقدار الاقل ففي القران من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف اي وزيادة
على هذا المقدار من ناف بمعنى زاد وياؤه تخفف وتشدد وكلما زاد على عقد حتى يبلغ
ما بعده فهو نيف فهو على عدد بعضهم اي هذا مقداره عند بعض دون غيره فانه كما قال
الداني رحمه الله سبعة وتسعون بالتاء الفوقية الفا واربعمائة وتسع وثمانون كلمة وحروفه
ثلاثمائة الف وثلاثمائة وعشرون الفا وقيل ثلاثمائة الف واحد وعشرون الفا وخمسمائة وثلاثة
وثلاثون حرفا وقيل انه الصواب لا ما ذكره المص وهذا مع تصريحه بالنقل واتيانه بلفظه
غير وارد عند من انصف ولهم في عدده اختلاف قيل لان الكلمة والحرف لهما اطلاقات وقول
السخاوي لا فائدة في عدد حروفه لانه لا يقبل زيادة ولا نقصا لا وجه له غير الكسل وعدد
كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فتجزي القران بصيغة المصدر وفي نسخة فتجزي
بالمضارع المجهول وآخره مهموز ويجوز ابداله الفا اي بان تعد عشر كلمات ايات عشرة اجزا
على نسبة انا اعطيناك الكوثر اي على مقدارها وانما زاد نسبة ليشمل اية واحدة بمقدارها
كما مر فالنسبة مجاز عن المقدار ومعناها الحقيقي لغة واصطلاحا مشهور ازيد بالرفع خبر
تجزي المصدر وبالنصب ان كان فعلا اي تجزيه ازيد او يكون ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد
منها معجز في نفسه اي بقطع النظر عن غيره ففيه ازيد من سبع الف معجزة وهذا مبني على ما تقدم
من العدد ثم اعجازه اي القران كما تقدم من ذكر الاختلاف في مقداره بوجهين الاول بلاغته اي
ما فيه من مراعاة الوجوه التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال والثاني طريق نظمه اي اسلوبه
وكونه على نسق لا يشبه غيره من الكلام نظما وسجعا ونثرا وتناسب كلماته وجمله وايتاء كل كلمة
منه ما تستحقه وتنزيلها في محل لا يليق بها غيره كما يعرفه من ذاق لهم البلاغة فقارئه لا
يمله وان كرره كما لا يخفى على من تامله حق التامل ونظر فيه بنور الايمان فصار في كل جزء
من هذا العدد المذكور انفا معجزتان من جهة بلاغته ومن جهة نظمه فتضاعف العدد
اي عدد معجزاته وهو ماض من التفاعل او مضارع عن المفاعلة من هذا الوجه اي من هذين الجهتين البلاغة
والنظم فان قلنا كلماته معجزة صار فيه من المعجزات ما لا يعد ولا يحصى قال ابن عطية رحمه الله
الصحيح الذي عليه الحذاق ان اعجازه بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة الفاظه لانه عز وجل
احاط بكل شيء علما وبكل كلام فاتى في كلامه بما لا يحيط به علم غيره وقدرته وبهذا ابطل القول
بالصرفة ثم فيه وجوه اعجاز اخر غير ما ذكر من الطريقين من الاخبار بعلوم الغيب بيان
لوجوه اي الامور الغيبية بما سبق او سيقع فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزية
اي الاجزاء المذكورة المضاعفة من جهتي الاعجاز الخبر اي الاخبار عن اشياء من الغيب اي الامور
المغيبة عن علمنا كل خبر منها بنفسه معجز اي باعتبار اخباره عن الغيب وقطع النظر عن غيره
من وجوه الاعجاز فتضاعف بصيغة الماضي والمضارع كما مر العدد المذكور اي العدد المضاعف
لقوله كرة اخرى اي بعد مضاعفته السابقة وكرة بمعنى مرة واصل الكر الرجوع بعد الفر
فهو ضد الفرار قال امرؤ القيس بكر مفر مقبل مدبر معا ثم وجوه الاعجاز الاخر التي

ذكرناها وهي ذكر المغيبات توجب التضعيف والزيادة الي ما لا يكاد يحصي كثرة هذا في حق
ذكرناها وهي ذكر القران دون غيره من المعجزات التي تزيد علي معجزات ساير الانبيا فلا يكاد
ياخذ العد معجزاته وفي نسخة العدد وهما بمعني والمراد بالاخذ الاحاطة مجازا بليغا كقوله
لا تاخذ سنة ولا نوم اي لا يغلب ذلك اي لا يحيط بها العدد لكثرتها وهو مبالغة ولذا قال لا يكاد
ولم يقل لا يعد ولا يحوي الحصر اي الاحاطة براهينه اي براهين اعجازه لان كل جزء فيه معجزة
قاطعة البرهان واضحة البيان ولما فرغ من وجوه الاعجاز العقلية اردفها بالنقلية فقال
ثم الاحاديث النبوية الواردة في الروايات الصحيحة والاخبار الصادرة عنه عليه الصلاة والسلام
في هذه الابواب اي ابواب اعجاز القران والتحدي او ابواب معجزاته عليه الصلاة والسلام كما يويده
قوله وعن ما دل علي امره اي نبوته وعلو شانه مما اشرنا فيما سبق من هذا الكتاب الي جملة منه
وفي نسخة الي جمل يبلغ نحوا اي قريبا من هذا المقدار الكثير الوجه الثاني من وجهي ظهور
معجزاته وشهرتها وانها اظهر من معجزات ساير الرسل قبله وضوح معجزاته اي شهرتها بحيث
لا تجهل وهذا عين ظهورها او مستلزم له والمراد به شدة ايضاحها بحيث لا يخفي علي احد غير
اعمي الفكر والنظر وانها لا يرتاب فيها عاقل مع بقايها علي ممر الدهور وازدياد شهرتها
في كل عصر كالشمس في رابعة النهار وهذا مما يدل علي اظهريتها دلالة ظاهرة لا عينها فسقط
ما قيل ان المدعي ان معجزاته اظهر من غيرها والوضوح عين الظهور فهو مصادرة للاستدلال
علي الشي بنفسه وحاصله الظهور بالكثرة فيرجع الي الوجه الذي قبله الا ان يقال المراد
بقاوها علي وجه الدهر الي يوم القيامة فيكون المراد الزيادة في الوضوح بهذا الاعتبار وان
كان فيه الاخبار بمعجزات الرسل وفيه خلط وخبط يخفي وقد اشار الي ما ذكرناه بتفسير
بقوله فان معجزات الرسل كانت بقدر هممهم اهل زمانهم اي همتهم فيما يهتمون به ويعتنون
وبحسب بفتح الحا والسين المهملتين وقيل انه بسكون السين وهو بمعني المقدار الفن اي النوع
الذي سما اي اشتهر وعلا مقداره بينهم لاعتنايهم به فيه قرنه بفتح القاف وسكون الراء اي
عصره والمراد به اهله مجازا او بتقدير مضاف والقرن الزمن المقترن فيه اعمارهم واحوالهم
واختلف في مقداره هل هو ماية سنة او ثمانون او اقل كما تقدم ثم فصل هذا بقوله فلما كان
زمان موسي كليم الله عليه الصلاة والسلام اي زمن بعثته ونبوته غاية علم اهله اي
اهمه واعظمه عندهم السحر وهو معروف تقدم الكلام عليه بعث اليهم معجزة تشبه ما يدعون
قدرتهم عليه وليست منه للفرق بين السحر والمعجزة فجاهم موسي عليه الصلاة والسلام منها علي يد
ما خرق عادتهم اي خالف ما يعتادونه ويسهل عليهم فعله واصل الخرق ابانة جسم من اخر فقيل لما
ذكر كخرق الجماع اي مخالفته وهو استعارة صار حقيقة عرفية وذلك كقلب العصا حية
واليد البيضا من غير سوء ولم يكن ما جا به في قدرتهم اي لا يقدرون عليه فيدخل في جملة مقدوراتهم
وقد ابطل سحرهم بما عارضهم به وهي جملة حالية يشير الي ما قصه الله في كتابه العزيز وفي نسخة
وابطل بدون قد فهو معطوف علي جاهم وكذلك اي كزمن موسي عليه الصلاة والسلام
زمن عيسي بن مريم صلي الله عليه وسلم اعني ما كان الطب اي اعظم ما كان في عصره وعهد
رسالته علمه والطب في اللغة معناه العادة والسحر في العرف علم يعرف به احوال الانسان
من حيث الصحة والسقم واعني افعل تفضيل بغين معجمة ونون من الغنا وهو الفايدة
وقيل انه بعين مهملة ومثناة تحتية اي اكثر مشقة وتعبا وقيل انه بغين معجمة ومثناة تحتية

من الغاية

من الغاية وهو النهاية وهو بعيد ولم نره في كلامهم لتفسيره بالنهي والطب مثل الطامة سد الباء
واو فرماكانوا اهله اي اهل الطب وعلموه اي اكثروا كانوا في زمنهم فجاءهم على يد عيسى عليه
الصلاة والسلام امرا لم يقدروا عليه بواسطة علمهم بالطب فانهم لا يقدرون على ازالة
الامراض المزمنة والخلقية وقدرتهم في الاكثر على حفظ الصحة وكم مرضى اعيى الطبيب
المداوي واتاهم ما لم يحتسبوه اي ما لم يخطر ببالهم وقدرة حسابهم وما لم يتوقعوه وجعل اثر
وما فاعل ولم يقل اتاهم بامر ربهم وهو الظاهر اشارة الى انه من عند الله من غير تصنع وحيلة
وفي نسخة يحسبوه اي يظنوه ويقدروه قيل وجيء فيه منهم الياء اي ينكرونه وهو بعيد من
لفظا لا معنى من احيى الميت بتخفيف الياء وتشديدها وابرئ الاكمه الذي ولد اعمى مطموس
العين اي فتح عينيه حتى يبصر والابرص وهو الذي فيه بياض يخالف لونه والخفيف منه يسمى
بهقا من داوى معالجة المزاولة وعند الاطباء مداواة المرض بعد تشخيصها وطب
المراد به هنا المعنى المصدري اي اعطاء الدواء وانما كان من مداواة عيسى عليه الصلاة والسلام
بالدعاء والتوجه الى الله وكانوا يجتمع عنده من المرضى العدد الكثير مما لم يقدر على المجيء اليه يذهب
بنفسه اليه وكانوا الباقي عصره لا يقدرون على ماذكر فلذا كان معجزة له صلى الله عليه وسلم

تنبيه ٧٦

قال الحجازي في تفسير الاكمه الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل انتهى وقال
السهيلي انه قول فيه فلا يرد الاعتراض بانه معنى الحسني وانما الاكمه ما ولد اعمى وهكذا
اي مثل هذا كان سائر معجزات الانبياء فانهم كانت معجزة على اعلم اهل زمانهم فيما يهتمون به من
الاحوال والعلوم ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بجملة معارف العرب جمع معرفة
بمعنى المعرفة عندهم لجمع معروف ند المنكر المجهول كما قيد وعلومها اي ما يعلمونه
من الجزئيات والكليات اربعة انواع البلاغة اي الملكة والحيلة التي يقتدر فيها على ادية
الكلام حقه في كل مقام في سفاهة نظما ونثرا وهم في بسائط فنونها والشعر الكلام الموزون
المقفى والخبر عن سلف وما لهم من الوقايع والايام والانساب والمنازل والكهانة بفتح
الكاف مصدر وبكسرها صناعته وحرفته وهي معلنات علم المغيبات بتلقيها عن الجن كما مر
فانزل عليه القرآن اي انزل اليه عليه صلى الله عليه وسلم ما يناسب قرنه واهل عصره
اعني القرآن اي كلامه الموحى اليه الخارق اي المخالف لهذه الاربعة فصولا اي الانواع المذكورة
وهي البلاغة وهي معها في جمع فصل وهو النوع المستقل المنفصل المتميز عن غيره وذلك
لان السهب نجوم او شعلة نار تنفصل منها او ارتفاء كغيم وما في صدها لا تناسبها لما يعلم بمنعهم
وجاء في القرآن من الاخبار عن الغروب والامم السالفة الماضية قد تما وابنا جمع بنا وهو الخبر
الانبا والاسم البائدة اي الهالكة الفانية في الزمن السابق يقال عاد بيد اذا هلك وفي الحديث
الجنة لا يبيد ابدا اي يهلك ولا تموت اهلها والحوادث اي الامور الواقعة ما كان وسيكون
في الازمان السالفة الماضية قبل ذلك ما يجهز ما تفرع لهذا العلم اي العلم بالاخبار وتفرع
الاسم عن بعضه اي عن معرفته بعض منه فضلا عن جميعه وما فاعل جاء وما فاعل يعجز
عن الوجوه التي بسطناها اي جاء مبينا على وجوه تقدمت مفصلة وبينا المجز فيها
اي او مخنا المعجزات فيها بما اغني عن اعادته ثم بقيت هذه الاية المعجزة اي القرآن وفي
نسخة المعجزات باعتبار وجوه اعجازه الجامعة لهذه الوجوه اي وجوه الاعجاز المذكورة
انفا المضمومة الى الفصول الاخر يعني الاربعة المتقدمة التي ذكرنا في معجزات القرآن

ثابتة الى يوم القيامة لا تبدل ولا تغير ولا تغير ولا تذهب ابقاها الله بينة الحجة اي ظاهرة
الدلالة على رسالته صلى الله عليه وسلم لكل امة تاتي بعد نزول القران جيلا بعد جيل
وعصرا بعد عصر لا يخفى وجوه ذلك الاعجاز الذي ذكر اولا على من نظر فيه اي من نظر في
القران بتلاوته او سماعه وتامل وجوه اعجازه اي اطال النظر فيها وكرره وهو في الاصل تفعل
تجوز به عما ذكر لترقب الامل وامتداده الى ما اخبر به من الغيوب اي مع ما اخبر به من المغيبات
على هذا السبيل والطريق المذكور فلا يمر عصر وزمن اي يجي كالمار على اهله وليس المراد به
يقتضي لقوله الا ويظهر فيه صدقه اي صدق القران او النبي صلى الله عليه وسلم بظهور مخبره
بفتح البا اي ما اخبر به او خبره على ما اخبر اي كاينا متحققا على وفق خبره او باقيا على حاله في وجوه
اعجازه السابقة اي اخبر به فهو مبني للفاعل فيتجدد الايمان به كل ما ظهر امر جديد
مصدق له بوقوع ما فيه ويتظاهر البرهان اي يقوي الدليل ويزيد قوة واصل التظاهر
المعاونة والمساعدة كانه يستند لظهره وليس الخبر كالعيان وهو بكسر العين المعاينة والمشاهدة
ولا تفتح فيه العين وهو مثل وورد في الحديث الصحيح ليس الخبر كالمعاينة لان الخبر يحتمل
الصدق والكذب بقطع النظر عن قايله فاذا شوهد معناه بان المراد واطمان الفواد ولذا
قال ابراهيم ولكن ليطمين قلبي كما قيل

ولكن للعيان لطيف معنى • له سال المعاينة الكليم

فللمشاهدة بحسب البصر زيادة في اليقين الذي كان بالبرهان القاطع والنفس اشد طمانينة
الطمانينة والاطمينان السكون بعد الانزعاج الى عين اليقين اي الى ما يتيقن بالمعاينة
والمشاهدة منها اي من طمانينتها الى علم اليقين اي العلم المتيقن بالبرهان القاطع فالنفس
مفضل ومفضل عليه باعتبار حالتين وعلم ان كان كل من عين اليقين وعلم اليقين عندها
اي عند النفس وفي علمها فان عند تكون بمعنى العلم كما فسر عند الله بعلمه تارة وحكمه اخرى
حقا اي متحققا ثابتا بلا مرتبة لكن الاول اقوى وفيه اشارة الى الفرق بين عين اليقين
وعلم اليقين وحق اليقين وفيه كلام فصلناه في غير هذا المحل والاول ضروري وغيره نظري
وساير معجزات الرسل قد مر وفصلناه في شرح الدرة ان لفظ ساير ورد بمعنى الباقي من السور
المهموز وبمعنى الجميع من السور المعتل وان من انكر الثاني كالحريري وغيره لم يصب انقرضت
بانقراضهم اي انقطعت وذهبت معهم بسبب ذهابهم وعدمت بعد وجودها وعدم مبني للمجهول
لانه يقال عدمه كعلمه بمعنى اعدمه وعدم بوزن كرم بعدم بفتحتين او ضم فسكون ذواتها
اي الرسل وفي نسخة ذواتهم جمع ذات بمعنى نفس وفي ثبوتها في اللغة كلام تقدم وياتي
والمعروف انه بمعنى صاحبة مونث ذو المشهور في العربية اي تلك المعجزات تقدم فتنقرض
وان علم ثبوتها لكونها امر غير مويد ومعنى عدم ذوات الانبيا ذهابها من الدنيا وعن الحس
وان كانت باقية في البرزخ احيا لا يموتون كما في حديث الاسرا لا يتبدد اي لا تفنى وتعدم ولا تنقطع
اي تذهب بالكلية واياته اي معجزاته صلى الله عليه وسلم التي تضمنها القران فتجدد ولا تضمحل
بالضاد المعجمة والميم والحا المهملة واللام المشددة اي لا تخل وتفنى كاضمحل السحاب اذا تقشع
ولهذا المذكور من بقا معجزته صلى الله عليه وسلم اشار صلى الله عليه وسلم بقوله في حديث
صحيح رواه البخاري رحمه الله والاشارة هنا بمعنى التصريح او عبر به لانه غير صريح
فيما ذكر لان الوحي الاتي اعم من القران فيحتمل ان المراد به احكام الشريعة الباقية الى يوم القيامة

والظاهر

والظاهر ان المشار اليه ما مر من ان القران فيه معجزات لا تحصى وليس بصريح الحديث كما سنبينه فيما
حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي بن سكرة وقد مر ترجمته قال حدثنا القاضي ابو الوليد تقدم ايضا قال
حدثنا ابو ذر الهروي وقد تقدم قال حدثنا ابو محمد بن حمويه السرخسي وقد تقدم قالوا حدثنا
الفربري راوي صحيح البخاري وقد تقدم ضبط نسبته قال حدثنا البخاري صاحب الصحيح المشهور
قال حدثنا عبد العزيز بن عبد الله العامري الاويسي الفقيه الحافظ الثقة وترجمته في الميزان
قال حدثنا الليث تقدمت ترجمته عن سعيد المعروف بالمقبري عن ابيه كيسان ابو سعيد المقبري
نسبة للمقابر لانه كان يتولى حفرها وهو مولى بني ليث روى عنه اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة
مائة في خلافة الوليد وهو ثقة عن ابي هريرة رضي الله عنه عبد الرحمن بن صخر وفي اسمه
اختلاف كثير لشهرته بكنيته كما مر عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث صحيح رواه البخاري
ومسلم والنسائي وما ذكره المص لفظ البخاري قال ما من الانبيا تقديره ما من نبي من الانبياء
الا اعطي بالبنا للمجهول اي الا اعطاه الله من الايات اي المعجزات الظاهرة ما مثله ما موصلة
او موصوفة امن بالمد ماض اي صدق عليه البشر على تعليلية كما في قوله تعالى على ما
هداكم او تقديره مستقرا عليه البشر يعني اهل عصره وانما كان الذي اوتيت من الايات
والمعجزات وحيا اوحاه الله الي يعني القران المعجز المتحدى به ثم رتب عليه قوله فارجوا
من الله بما اكرمني به من المعجزة المشتملة على معجزات لا تتناهى الباقية الى يوم القيامة
التي ليست كمعجزة غيري تنقرض بانقراضهم فيؤمن بها في كل امة من لا يحصى فلذا رجوت
ان اكون دونهم اكثرهم تبعا اي امة يوم القيامة اذا حشرت الامم مع انبيائها هذا معنى هذا
الحديث عند بعضهم ممن فسره وهو المراد منه ففيه اشارة الى كثرة ما فيه من المعجزات وانه
باق على وجه الدهر الى يوم القيامة لا يقبل نسخا ولا تبديلا ولا ينسى كغيره من الكتب والمعجزات
ومثله المتقدم المراد به نفسه كما في قولهم مثلك لا يبخل وعليه للتعليل كما مر وعبر بها لما فيها
من الدلالة على الاستعلا بالقهر والغلبة الملزم لهم بالايمان به وقال انما مع كثرة ما له من المعجزات
اشارة الى انه اعظم معجزاته والعرب قد تخطر الشي في فرد كامل منه بادعاء ان ما عداه لا يعد
معه للكفاية عن غيره وقد حقق الله رجاءه صلى الله عليه وسلم وهو الظاهر من معنى الحديث
والصحيح ان شا الله وقد تقدم هذا الحديث مستوفى ثم اشار الى ان فيه وجوها اخر بقوله
وذهب غير واحد اي كثير من العلما اي علما الحديث في تاويل هذا الحديث اي تفسيره وبيان
ما يؤل اليه وعبر بالتاويل اشارة الى انه خلاف الظاهر بعد ما صرح به وظهور معجزة
نبينا صلى الله عليه وسلم اي في بيان وجه ظهورها الى معنى اخر غير ما ارتضاه من ظهورها
اي بيان ظهورها بكونها اي هذه المعجزة الباهرة وحيا اي كلاما موحى اليه من الله فقوله وكلاما
عطف تفسير لان الوحي يحتمل المعنى المصدري ثم بين وجه الظهور على هذا فقال لا
يمكن لاحد ممن ينكره التخييل فيه بفعل من الخيال بالخا المعجمة وفي نسخة التخييل بالتفعيل
منه والاولى انسب بقوله ولا التخييل عليه بالحا المهملة لانه كلام بليغ دل على معناه وما قصد به
دلالته على المعنى لا يمكن الواقف عليه ان يقول انه تخييل وتمويه لا اصل له ولا ان يعمل حيلة
في الاتيان بمثله كما فعل سحرة موسى عليه الصلاة والسلام بحبالهم اذ جعلوها تتحرك كعصاه
والتشبيه به فان غيرها اي غير المعجزة القرانية من معجزات الرسل كلها قد رام اي قصد وطلب
العاندون اي المنكرون لها عنادا باشيا متعلق برام طمعوا اي توهموا فجعل كالمتوهم

لقرب منه معنى في التخييل والتمويه بملابظها بها لا حقيقة له على الصفة المراد بهم العامة
الذين اضعف عقلهم عن الفرق بين السحر والمعجزة لعدم تمييزهم لما القا السحرة عند فرعون جمع
ساحر جبالهم وعصيهم جمع حبل وعصا لبطال معجزة عمي موسى بالايتان بمثلها فلما تلقت عصا
موسى عليه الصلاة والسلام ما القوه وابطلته علموا انها معجزة فامنوا به واجتمعوا القتل على اتباع فرعون
ولم يفرقوا بينه شيا ويشهد المذكور في قصة موسى يخيل اليه بالمهملة اي يلبس به ويريه الساحر او
يتخيل فيه بالحا المهملة اي يأتي به حيلة منه على واقعة ثم اشار الى ان معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم
لا تقبل ما ذكر بقوله والقرآن كلام ما جنس الكلام البالغ غاية البلاغة ومثله ليس للحيلة
مساغ لا يقدر عليه ولا للسحر في التخييل فيه بان يعمل بقوة السحر ما يؤثر في تخيل لا بلاغة الذي
يتكلم بكلام بليغ خطبة او شعرا فعل اي تاثير كما عرفته آنفا فاذا ساحر الواتي عاجزا لا قدرة له
على كلام حسن ثم سحرة بجميع انواع سحره لا يمكنه ان يقوم في باد منشدا او خطيبا فانه امر
جبلي لا يمكن ايجاده لغير خالق القوى والقدر فيخلق للملحق الاعرابي يتكلم بكلام عند اعقل الناس
واظرفهم لا يمكنه ان يأتي بشي منه وبهذا علم ان الكلام لا يكون بحيلة ولا سحر فهذا بالك بكلام
افحم جميع افصحها واخرس السنة البلغا وهو المراد بقوله فكان القرآن من حيث كونه كلاما
من هذا الوجه اي من الجهة المذكورة بقطع النظر عن غيرها من جملة الاعجاز عندهم
اي عند المفسرين لهذا الحديث بما ذكرنا انما اظهر من غيره من المعجزات لعدم قبول التخييل والتمويه
كما لا يتم اي يحصل ويتيسر وبه بالتمام لانه يتحقق به الامر ولذا قيل الاعمال بخواتيمها اي بالواخر منها
الشاعر يتكلم بالمنظوم والخطيب يتكلم بالمنثور اي يكون شاعرا او خطيبا بمهذب اي بشي ونوع
من الحيل جمع حيلة والتمويه اي التخييل والتلبيس وهو ماخوذ من قولهم موه النحاس بذهب
او فضة لتوهم من له انه ذهب او فضة وهو في الاصل من الماء الذي يطلي
به وتقول العامة طلى به ما الذهب وما الفضة وصيغة فعل تكون للتشبيه كبيرا فانكار اهل
المعاني بلغة ما انف مسروح بمعنى كالسراج في البريق والمعمار لا وجه له كما مر والتاويل اي التفسير
الاول الذي قال انه الظاهر الصحيح اخلص افعل تفضيل من خلص بخا معجمة ولام وصاد
مهملة اي اصفا من الكدر اي الاشكال قال في المغرب للخلوص الصفا وسيقال للموصول للشبه او
هو بمعنى لجود او هو من الخلاص بمعنى النجاة والسلامة وارضى افعل تفضيل من الرضى
اي المرضي وقبوله عند العقول السليمة وفي هذا التاويل الباقي الذي ذهب اليه غيره
من اعلام الحديث ما يغمض بالبنا للمجهول وتشديد الميم قبل ضاد معجمة من تغميض الجفن او هو
العين ومعنى يغمض عليه الجفن انه يخفى عنه البصر والنظر فلا يلتفت اليه ويعتني به او هو
كالقذا في العين الذي يمنع انفتاح الجفن وهو كناية عن انه غير سالم مما لا عتراض
ويخفى بفتح ياء ومضارعه بضمها والفا مبنيا للمجهول لاجل قافية السجع من اغفى الجفن
اذا طبقه او بمعنى سكت وهو قريب مما قبله فيجعله مرجوحا لما فيه من ايهام ان
معجزات الانبياء عليهم الصلاة والسلام يمكن معارضتها ولو بطريق التخييل والحيلة
وفيه وجوه اخر وجه ثالث في اعجاز مجيء من الله وكرمهم وتمكنهم القرآن والله اعلم
معجزة انه صلى الله عليه وسلم على مذهب من قاله بالصرفة اي ان اعجازه بصرف الله قدرتهم
وتمكنهم من معارضته مع انهم بحسب الحيلة قادرون على الاتيان بمثله لو لا ما ذكر والى
ذهب النظام وكثير من المعتزلة والشريف المرتضى من الشيعة وراى المعارضة له والاتيان

بمثله.

بمثله كانت في قدرة البشر فصرفوا عنها اما بسلب قدرتهم ودواعيهم او بسلب علمهم بتاليف
كلام مثله وتمكنهم منه او على احد مذهبي اهل السنة من الاتيان بمثله من جنس مقدورهم
بكلام على الاتيان بكلام من جنسه اي مما هو في قدرتهم متمكنون منه ولكن لم يكن ذلك قبل
بالبنا على الضم اي قبل ظهوره ولا يكون بعد بالضم وقيل المراد قبل التحدي وبعده
لان الله لم يقدرهم بسكون القاف وفتحها وتشديد الدال وتخفيفها اي لم يجعل فيهم القدرة
على الاتيان بمثله قبله لانهم لم يسمعوا كلاما مثله ولا يقدرهم عليه بعده ولما كان هذا المذهب
قريبا مما قبله اشار الى الفرق بينهما بقوله وبين المذهبين اي مذهب الصرفة والمذهب
المذكور بعده فرق بين بالتشديد واضح ظاهر لتمكنهم على الاول من الاتيان بمثله لكن
صرفوا عنه ولعدم تمكنهم منه على الثاني مع انه من جنس مقدورهم ومثله في الجملة وليس
هذا نوع من الصرفة وذهب اليه بعض اهل السنة كما توهم وهو عجيب من قايله فتدبر
وعليهما جميعا اي على هذين القولين فترك العرب الفصحا على المذهب الاول
الاتيان بما في مقدورهم اي قدرتهم على الاتيان بما هو من مثله او مثل بعضه كاقصر
سورة منه او تركهم على الثاني ما هو من جنس مقدورهم اي من جنس كلامهم البليغ
الذي يقدرون عليه ورضاهم اي اختيارهم بالبلا اي بما ابتلوا به لعنادهم والجلا بفتح الجيم
واللام والمد وهو سبي اولادهم واهلهم واسترقاقهم والاذلال لانفسهم واهليهم وتغيير
الحال التي كانوا عليها من العزة والشهامة وسلب النفوس بالقتل والقتال عنهم والاموال باخذ
الغنايم منهم والتقريع باللوم والزجر والتعيير والتوبيخ بذمهم وتقبيح ما هم عليه من الجهل
والتعجيز باظهار عجزهم بالتحدي والتهديد لهم بانذارهم بعذاب الدنيا والاخرة والوعيد
بما يقع بهم ان لم يومنوا ابين آية اي اظهر علامة وهو خبر قوله فترك العرب للعجز عن الاتيان
بمثله اي بمثل القران فصاحته واعجازه والنكول وهو النكوص اي الرجوع والاعراض
عن معارضته اي الاتيان بمثله وانهم منعوا من شي هو من جنس مقدورهم اي كلامهم
الذي يقدرون عليه لا من نوعه المشابه له من جميع الوجوه والى هذا المذهب وهو انهم
قادرون على شي من جنسه عاجزون عن مثله لا بالصرفة الصرفة وهذا هو الفرق بين
القولين ذهب اي اختاره مذهبا الامام ابو المعالي الجويني منسوب الى جوين بزنة
المصغر اسم بلدة وهو امام اهل السنة عربا وعجما فرد الامة عبد الملك بن عبد الله بن
يوسف النيسابوري الشافعي امام الحرمين اعلم ايمة الشافعية هو ووالده ولد في
ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة واربعماية وتوفي سنة ثمان وسبعين واربعماية في
الخامس والعشرين من ربيع الاخر وغيره من اهل السنة قال ابو المعالي وهذا الاعجاز
عندنا ابلغ اي اقوى واكثر مبالغة في العادة بالافعال البديعة اي المبتدعة
الغريبة في انفسها اي في حد ذاتها وهو متعلق بالبديعة وفي نسخة في انفسنا وهو
متعلق بابلغ لقلب العصا حية لموسى عليه الصلاة والسلام وكانت من شجر اللوز وفيها
معجزات كانت تثمر له وتضي وينتفع بها الى غير ذلك مما فصلوه ونحوها كاليد البيضاء
وابرا الابرص والاكمه واحيا الموتى فانه اي الامر والشان او كونه ابلغ قد سبق الى بال الناظر
فيها وفكره وخاطره بدارا اي مبادرا بسرعة في اول نظره ان ذلك الامر البديع
الخارق للعادة نشا من اختصاص صاحبه لك الامر الذي ظهر على يديه بمزية معرفة اي

بوزن البلا وهو اخراجهم
من ديارهم واوطانهم
والسبا بكسر السين المهملة
والموحدة والمد ح ح

بزيادة معرفة امتاز بها عمن لم يقدر عليها في ذلك الفن اي النوع الذي كان يعتني به
بها اهل زمانه وفضل علم به واحواله الي ان يرد ذلك الخاطر الذي سبق لفهمه صحيح النظر
بالتامل والتدبر فيه حتي يعلم اعجازه ثم بين ابلغيته وقوته بقوله واما التحدي اي طلب
معارضة الكلام وتقدم انه مشتق من الحدا التقابل الحداة في حذائهم للابل للخلايق جمع خليقة
بمعني خلق مئين بكسر الميم جمع مائة من السنين في عصر النبوة وبعده الي غير ذلك النهاية
بكلام من جنس كلامهم المقدور لهم لياتوا بمثله علة للتحدي فلم ياتوا اي لم يقدروا علي
مثله وهم فحول البلاغة وقد ونحوا وعبروا علي روس الاشهاد ولم يبق بعد توفر
الدواعي اي كثرة ما يدعوهم لمعارضته وبحثهم عليها من الحمية الجاهلية علي المعارضة
ثم عدمها بالصرفة او بعدم القدرة علي نوعه دون جنسه فيصدق علي المذهبين
وفي نسخة الا منع الله الخ بمثابة اي هذا المنع بمنزلته واصل المثابة المكان الذي
يرجع الناس اليه او يكسبون فيه الثواب ثم شاع فيما ذكر كما اشار اليه الراغب
وقيل اصل مبلغ حموم البير والحجارة حولها ثم نقل لما ذكر وقد اصطلح الفقها علي استعماله
للتشبيه كما قيل فالمراد انه نحو ما لو قال ايتي ومعجزتي ان يمنع الله القيام علي الناس مع
مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة عنهم بان لا يكونوا مقعدين وهو بيان لمقدرتهم علي
القيام والقدرة بضم الدال وفتحها كما تقدم فلو كان ذلك اي عدم قيامهم وعجزهم بتشديد
الجيم اي جعلهم الله عاجزين عنه من ابهر اية اي اقوي معجزة واظهر دلالة علي دلالته
وبالله التوفيق فيه اشارة الي ان فيه توفيقا بين القولين لاتفاقهم من وجه اختلافهم
من اخر وقد غاب عن بعض العلما اي خفا عليهم لان من شان الغايب ان يخفي فاريد به
لازمه ظهور اية صلي الله عليه وسلم ولتضمينه معني العلو قال علي ساير ايات
الانبيا الذين سلفوا قبله حتي احتاج للمعذر عن ذلك اي عن كون معجزته اظهر من
معجزات غيره مع ان احياء الموتي ونحوه من ايات الانبيا قد يتوهم ان اقوي واظهر بدقة
افهام العرب اصل معني الدقة كون الشي دقيقا ثم استعير للوقوف علي ما خفي من الامور
وذكا البابها جمع لب وهو العقل الخالص والذكا قوة للذهن تقتضي سرعة الانتقال
ووفور عقولها الوفور من الوفرة وهي الكثرة والزيادة والعقول جمع عقل وهو القوة
المدركة يعني ان هذا من شان هذا الجنس ولا يضره تفاوتهم بحسب الاشخاص فيما ذكر كما
توهم مع انه لا يرد علي المص لانه حكاه عن غيره وانهم لما خصوا به من الذكاء والفطنة
ادركوا المعجزة فيه اي في القران لما علموه من خواص تراكيبه وجزالة معانيه وحسن نظمه
وانسياقهم اجتنبتهم اي قوة ذكايهم وذكاهم من ذلك اي يحصل في نفوسهم من معرفة
اعجازه وظهوره علي غيره بحسب ادراكهم بفتح السين اي حصل منهم منه علي مقدار
ادراكهم وقوته وغيرهم من الامم من القبط غيرهم القبط بكسر القاف جيل من الناس
كانوا قوم فرعون عير وبني اسرايل اي اولاد يعقوب بن ابراهيم واسرايل لقب يعقوب
لم يكونوا بهذه السبيل اصل معناه السبيل وهو هذا كناية عن عدم ذكايهم وفهمهم كالعرب
وبقي سبيل الشي ابلغ من نفيه بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة الغباوة عدم الفهم والبلة
وعطف قلة الفطنة عليه عطف تفسير ورجل غبي جاهل قال ليس الغبي
ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

مطلب مثابة

بحيث

بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم حيث ظرف مكان وهو خبر كان اي بلغت عبادتهم ان فرعون
قال لهم انا ربكم الاعلى فسلموا له ذلك وهذا بالنسبة للقبط وجوز عليهم السامري
وهو رجل من بني اسرائيل يسمى موسى بن ظفر وهو منسوب لرجل اسمه سامر ذلك في العجل
اي انه ربهم فعبدوه والعجل الصغير من البقر بعد ايمانهم بالله فاضلهم السامري وكان من اهل
كرمان من قوم تسمى السامرة يعبدون البقر وكان منافقا يظهر الاسلام فلما مضى موسى عليه
الصلاة والسلام صاغ لهم عجلا من الحلي وزينه بالجواهر وقذفوا فيه ترابا من اثر فرس
ركبه جبريل فكان يتحرك فقال لهم هذا الهكم واله موسى وان موسى اخطا الطريق اليه فجاكم
يكلمكم كما كلمه فاتبعوه لسخافة عقولهم كما فصله المفسرون وغيرهم وعبدوا اي بنوا اسرائيل
المسيح عيسى ابن مريم مع اجماعهم على صلبه واذا كان ربا كيف يصلب مع انه اعتقاد باطل
وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم اي القي شبهه على رجل اسرائيلي فظن اليهود انه
عيسى عليه الصلاة والسلام فصلبوه وهذا جهل عظيم منهم فجاهم من الايات الظاهرة
البينة للابصار اي لعدم دقة افهامهم كانت اياتهم في غاية الظهور تدرك بالبصر
بقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه فاعل جا وعدم شكهم لظهور ما جاهم ومع هذا
الظهور فقالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة اي معاينة بابصارنا لشكهم
فيما اتاهم به وتفصيله في التفاسير غني عن البيان ولم يصبروا اي بنو اسرائيل على المن
وهو طل كالعسل ينزل على الاشجار فيجمع ويوكل والسلوى وهو طاير كالسماني واحده
سلواه وكانوا لما خرجوا من التيه قالوا لموسى عليه الصلاة والسلام اخرجتنا من العمران للفقر
فادع الله ان يرزقنا فرزقهم المن ثم سالوه ان يطعمهم من اللحوم فاتاهم بالسلوى فكانوا ياخذونها
بايديهم ثم قالوا لن نصبر على طعام واحد واستبدلوا الذي هو ادنى اي طلبوا بدلا ادنى مما
عندهم وهو الفوم والعدس والبصل بالذي هو خير وهو المن والسلوى والبا داخلة على
المتروك وفيها تفصيل افرد بالتاليف والعرب على جاهليتها اي على حالها التي كانت
عليه قبل الاسلام من الجهل وانها امة امية والجاهلية مصدر بمعنى الجهل كقوله على هدى
من ربهم اكثرها يعترف بالصانع اي بوجوده تعالى وليست معطلة لبعض الامم واطلاق
الصانع على الله صحيح ثبت في السنة كما ذكره السيوطي رحمه الله وليس مما احدثوه وفي قوله
اكثرها اشارة الى ان معهم فرقة دهرية قالوا ما يهلكنا الا الدهر وفرقة عبدوا الملايكة
وفرقة عبدت الكواكب وانما كانت عبدة الاصنام منهم تتقرب بالاصنام الى الله زلفى
ولا تدعي انها خالقة رازقة وزلفى مقصور بمعنى الحظوة من ازلف بمعنى دنى وهو مصدر
كالزلفى موكد لتتقرب من غير لفظه ومنهم من امن بالله وحده من قبل بعثة الرسول
صلى الله عليه وسلم في الجاهلية كابن نفيل وقس بن ساعدة وامية بن ابي الصلت بدليل
عقله وصفا لبه الذي هداه الى معرفة الله تعالى وتوحيده للنظر في مصنوعاته وفي
كل شي له اية تدل على انه الواحد ولما جاهم الرسول صلى الله عليه وسلم اي بعثه الله تعالى
ليهديهم الى الله بكتاب الله المنزل عليه فهموا حكمته اي ما فيه من الحكم والعلوم النافعة
وتبينوا الفضل ادراكهم وزيادة عقلهم لاول وهلة اي في اول نظرة بالبديهة
منهم يقال لقيته اول وهلة بسكون الها وفتحها اي اول شي ولام لاول توقيتية اي عند
اول وهلة معجزة يعني القران فامنوا به وزادوا كل يوم ايمانا وتصديقا بنبوته

ومعجزته والايمان بمعنى التصديق يقبل الزيادة قوة ونقصا عند المحققين وان لم نقل ان
الاعمال داخلة فيه كما تقرر في علم الكلام **وفضوا** اي تركوا **الدنيا كلها واصحبته** اي
لاختيار صحبته على كل شيء **وهجروا اديارهم واموالهم** طلبا لرضى الله ورضاه صلى الله عليه وسلم
وقتلوا ابائهم وابنائهم المعاندين له لاجل نصرته واعزاز دينه **في نصرته** في هنا تعليلية **واتى**
هذا القليل الذي غاب عنه ما تقدم **في بعض هذا** اي ظهور اياته لما قاله **بما يلوح له رونق حسنا**
ويعجب منه ريح بكسر الراي المهملة وسكون الباء الموحدة وكسر الراء المهملة وجيم وهي
الزينة والوشي الذي هو كالطلاء وفيه اشارة الى عدم قبوله لضعفه ولذا قال **لو احتيج اليه**
وحقق اي بينت حقيقته **لكنا قدمنا من معجزاته** نبينا صلى الله عليه وسلم **وظهورها**
من غير حاجة لما ذكره مما ذكا العرب وفهمهم **ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك**
ادعا مثل هذا الامور الخفية المتكلفة **وظهورها** اي ما يظهر منها قبل تدقيق النظر والتدبر
وبا ساستقيل والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

القسم الثاني في ما يجب على الانام من حقوقه

عليه الصلاة والسلام الوجوب الشرعي ما يلزم شرعا وهو ظاهر والانام الخلق
والناس والحقوق جمع حق وهو ما يستحقه عليه الصلاة والسلام **وهذا اقسم** من الاقسام
الاربعة التي ذكرها المم **لخصنا الكلام فيه** اي اختصرناه مما غيره من الكتب وبيناه
وسهلناه **في اربعة ابواب على ما ذكرناه اول الكتاب** في اجمالها اشتهر عليه وفهرسته
ومجموعها اي محصلها واجمالها من قولهم جمل الحساب والضمير للابواب الاربعة
في وجوب تصديقه عليه الصلاة والسلام في كل ما جاء به عن ربه ويدخل فيه الايمان بانه
رسول والايمان بسائر الرسل والكتب المنزلة وقدمه لانه الاصل فلا حاجة لما قيل من انه
حصه لانه المقصود من تصنيف الكتاب ولانه اشرفهم وخاتمهم **واتباعه** صلى الله عليه وسلم
اي الاقتداء به فيما ليس من خواصه وهو مجرور او مرفوع على تصديقه اي بانا يجب
اتباعه في وجوب الواجب وسنيته المسنون واباحة المباح وتحريم المحرم وقيل ينبغي
تقييده بالواجب لا المسنون **وطاعته** باستثمال اوامره واجتناب نواهيه والطاعة
كما قاله الراغب الانقياد ويضادها الكره قال تعالى ائتيا طوعا او كرها واكثر ما يقال
لما امر انتي فلذا اعطفها على الاتباع فانه يكون كذلك فيما قال في الفرق اما المطيع مسلوب
الاختيار مع المطاع وفي الصحاح فلان مطيع لك اي منقاد لم يعب في مدعاه واستدلاله
ومحبته بان يكون صلى الله عليه وسلم احب اليه من نفسه واهله وماله والمحبة الميل
النفساني وهي معروفة **ومناصحته** له وهي لغة الخلوص وشرعا ارادة الخير للمنصوح
وستاتي وعبر بالمناصحة دون نصحه لانها ابلغ ولان الرسول صلى الله عليه وسلم
نصح الامة وبالغ في نصحهم **وتوقيره** اي تعظيمه والتادب معه بما هو لايق به صلى
الله عليه وسلم **وبره** صلى الله عليه وسلم ببذل ماله وسعه له من المال وغيره من امور
الدنيا فما قيل من انه تكرار يجب تركه لانها الطاعة لا وجه له **وحكم الصلاة عليه والسلام**
وعبر بالحكم فيهما لان وجوب ما قبلهما مستمر دونهما وقيد به لانه في البيتم صلى الله عليه وسلم
وهنا حكمة دفنه فيه دون المقابر **الباب الاول** تقدم وجه تقديمه
في فرض الايمان به صلى الله عليه وسلم غير فيما سبق بوجوب تصديقه وهنا بفرض

الايمان

الايمان تفننا واشارة الى ان الفرض والواجب بمعنى عنده هنا وان المراد بالتصديق الايمان
لا معناه اللغوي والحنفية تقدم انهم فرقوا بين الفرض والواجب بان الفرض ما ثبت بدليل
قطعي بخلاف الواجب فان الفرض لغة القطع وخالفهم فيه غيرهم كما بين في الاصول ووجوب
طاعته اتى بوجوب هنا لما ذكرناه وللاشارة الى ان فيما سبق معطوف على تصديقه لا على
وجوب فلا وجه لما قيل ينبغي تقديمه واتباع سنته اي طريقته التي سنها صلى الله عليه وسلم
وشرعها فهو بالمعنى اللغوي فيدخل فيه السنن الاصطلاحية وغيرها وهو مقابل لقوله او
لاتباعه ولم يعد في لانه غير مغاير لما قبله لان اتباع سنته طاعة له فلا يقال انه ينبغي ذلك
اذا تقرر وثبت بما قدمناه في هذا الكتاب ثبوت نبوته بالوحي اليه وصحة رسالته
لجميع الخلق واخرها لانها اخص وعبر بالصحة تفننا ولان من الكفرة من ادعى عدم صحتها
كاليهود المنكرين للنسخ وبعض من غيرهم ادعى عدم عموم رسالته وجب الايمان به وتصديقه
في جميع ما اتى به واخبرنا به ومنه الايمان بالله ورسله وكتبه وغيرها اذ لم نقل ان الايمان
بالله واجب عقلا مقدما على ما عداه لئلا يلزم الدور كما ارتضاه بعض الماتريدية وخالف
فيه بعض الاشعرية كما حقق في كتب الكلام وقيل الايمان بالله تعالى مقدم على الايمان
بالرسل والايمان بالرسل متوقف على ثبوت الرسالة كما قاله ثم من آمن به وجب عليه طاعته
بامتثال ما جاء به من الشرايع انتهى وفيه نظر قال تعالى فامنوا بالله ورسوله محمد صلى
الله عليه وسلم والنور الذي انزلنا يعني ما اوحي به اليه صلى الله عليه وسلم من الشريعة
وهذا هو المناسب لما قبله وقيل المراد به القران اذ هو باعجازه ظاهر بنفسه مظهر
لغيره ببديع بيانه فاطلاق النور عليه استعارة كما ذكر او لانه يهتدي به والامر للوجوب
والاستدلال بالاية ظاهر وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا على من صدق وكذب
ليتاب او يثاب او يعاقب ومبشرا لمن امن بسعادة الدارين وحذف المبشر به تفخيما لتذهب
نفس السامع كل مذهب كما في قوله ونذيرا اي منذرا ومخوفا لمن عصاك ليومنوا بالله
ورسوله الخطاب في انا ارسلناك له صلى الله عليه وسلم ولام لتومنوا لام كي وقيل انها
يحتمل ان تكون لام امر وهو بعيد وقرئ ليومنوا بالغيبة وهي ظاهرة لان خطابه صلى الله
عليه وسلم خطاب لامته وفيه كلام بيناه في حاشية القاضي والاستدلال بالاية على
التعليل لان الانذار يقتضي وجوب اتباعه على انه في غنية عنه بما قبله وبعده من قوله
وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الاية اي الذي يومن بالله وكلماته
واتبعوه لعلكم تهتدون وقد تكرر الامر به في القران في ايات كثيرة فالايمان بالنبي
محمد صلى الله عليه وسلم واجب لامر الله به مرارا متعين اي فرض عين لا فرض
كفاية فيجب الاعتراف به باللسان ان قدر والتصديق بالجنان فلا بد منها شرعا اذ لا يتم
ويصح ايمان الاحد بالله الا به اي الا بالايمان برسوله صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به ولا
يصح اسلام الا معه اي الا مع الايمان بالله وبرسوله بعينه وليس هذا مبني على تغاير
الايمان والاسلام على قول بل هو تاكيد لما قبله لتغايرهما بحسب المفهوم وان اتحدا بحسب
الماصدق فانه لا يكون مؤمن الا وهو مسلم ولا مسلم الا وهو مومن لقوله تعالى
فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين قال تعالى ومن لم
يومن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا وفي الاية نص على ان الايمان

المعتد به انما يكون بالجمع بين الايمان بالله وبرسوله فينتفي بانتفا احدهما للتفريع قوله فانا اعتدنا
عليه حدثنا ابو محمد الخشني بقراتي عليه وهو حديث صحيح رواه مسلم والبخاري والخشني
بضم الخا وفتح الشين المعجمتين ونون ويا نسبة تقدمت ترجمته قال حدثنا الامام ابو علي
الطبري تقدمت ترجمته قال حدثنا عبد الغافر الفارسي تقدمت ترجمته قال حدثنا
ابن عمرويه الجلودي وقد تقدم وابن عمرويه بفتح العين وسكون الميم وفتح الواو وضمها
وابا مثله صيغة تصغير عند اهل البصرة مولدة قال حدثنا ابن سفيان ابراهيم بن محمد بن
سفيان راوي مسلم قال حدثنا ابو الحسين هو الامام مسلم القشيري صاحب الصحيح المشهور
قال حدثنا امية بن بسطام بكسر البا الموحدة وفتحها وفيه الصرف وعدمه توفي سنة احدى
وثلاثين ومائة وهو امام جليل اخرج له الشيخان والنسائي قال حدثنا بن يزيد بن زريع بزنة
مصغر الزرع الامام الحافظ ابو معاوية البصري كما تقدم قال حدثنا روح بفتح الرا المهملة
وواو ساكنة وحا مهملة وهو ابن القاسم التميمي البصري الامام الثقة مات سنة نيف وخمسين
ومائة عن العلا بفتح العين المهملة والمد ابن عبد الرحمن بن يعقوب عالم المدينة وهو ابو
شبل مولى الحرقة اخرج له مسلم واصحاب السنن عن ابيه عبد الرحمن عن ابي هريرة رضي
الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال امرت بنا المجهول اي امرني الله اذ
لا امر له صلى الله عليه وسلم سواه ان اقاتل الناس اي بان اقاتلهم ومحله بعد حذف الجار
نصب او جر وهو عام للناس كلهم خص منه من ضربت عليه الجزية حتى يشهدوا ان لا اله
الا الله غاية لقتالهم تنتهي به وتخصص بالغاية ويومنوا اي يكونوا نبيا رسولا ويومنوا
بما جيت به من الله واوحاه اليه من شريعته التي امر بتبليغها وتكليفهم بها فاذا فعلوا ذلك
المذكور من الشهادة والتصديق لما جا به والتزام احكام شريعته عصموا اي صانوا وحفظوا
مني دماهم بعد المقاتلة لهم واموالهم فلا توخذ بالغنايم ولا بسبب من الاسباب الا بحق
اي ان تستحق اباحة دمايهم بقتل نفس ظلما ونحوه او تستحق اموالهم بمنع زكاة او ثبوت حق
عليهم وحسابهم على الله اي امرهم بعد ذكر موكول الى الله ان احاسبهم على ما اسروه
في انفسهم وما لم نقف عليه من الكفر والمعاصي فيثيب من يشا ويعاقب من يشا والمنافق لا يقتل
الا اذا ظهر منه ما يقتضي كفره ومثله الزنديق واختلفوا في قبول توبته فقيل تقبل مطلقا وقيل
قبل الاخذ وقيل لا تقبل مطلقا وتوبته ان خلصت نفعته في الاخرة وقيل ان تاب مرة
قبلت وان تكررت لا وقيل لا تقبل ان دعي لزندقته وقوله صلى الله عليه وسلم ويومنوا بي
اشارة الى ان اهل الكتاب لا يمنع قتالهم بمجرد الشهادة بان لا اله الا الله ودخل قتال
البغاة ومانعي الزكاة وتاركي الصلاة في قوله الا بحقها وفي الحديث دليل على ان الايمان
يكفي فيه الاقرار بما ذكر فيه وانه لا يشترط فيه معرفة الادلة الاصولية كما قاله النووي رحمه
الله وليس مبنيا على قبول ايمان المقلد كما توهم قال القاضي ابو الفضل عياض المولف
رضي الله عنه والايمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته اي التصديق
بها ورسالة الله له اي ارساله والاضافة اختصاصية لا بمعنى البا كما توهم وان كان
المعنى عليها وتصديقه في جميع ما جا به عن الله بالوحي بانواعه وما قاله اي في جميع
اقواله لانه صلى الله عليه وسلم لا يصدر عنه ما يخالف الواقع لا سيما ما امر بتبليغه
ومطابقته اي موافقته تصديق القلب اي اعتقادهم والجزم به واصل المطابقة وضع

شي

شي على شي هو طبقه وقوله بذلك اي بالتصديق بالنبوة والرسالة وما جا به شهادة
اللسان بنطقه واعترافه بانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا اجتمع التصديق به
صلى الله عليه وسلم بالقلب والنطق بالشهادة بذلك المذكور في رسالته وما جا به باللسان
ثم الايمان الحقيقي المنجي في الدنيا والاخرة والتصديق اي كيفيته ولفظه كما ورد في
هذا الحديث الذي رواه المص عن ابي هريرة نفسه بالجر تاكيد للحديث من رواية عبد
الله بن عمر رضي الله عنهما امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وهذه رواية مسلم عن ابن عمر وفيها ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة فاذا فعلوا
الخ وقوله ثم الايمان اي تحقق وصح وليس مراده انه اذا وجد احدهما كتصديق القلب كان
ايمانا ناقصا كما ستفصله والنطق بالشهادة مع انه لا بد منه اختلف فيه هل هو شطر او شرط
والاعمال ليست داخلة فيه عند المحققين وفيه كلام مفصل في كتب الاصول وشروح الصحيحين
يضيق المقام عنه وقد زاده وضوحا اي زاد صلى الله عليه وسلم ما ذكر بيانا في حديث
جبريل عليه الصلاة والسلام الذي رواه الشيخان كما تقدم اذ قال له جبريل لما جاءه صلى
الله عليه وسلم في صورة انسان اخبرني عن الاسلام اي عن حقيقته ومعناه شرعا وهو
في اللغة الانقياد والطاعة كما علم وقيل السؤال عن شريعته وشروطه فقال صلى الله
عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله ان مخففة من الثقيلة وتشهد بمعنى تعلم بان تقول
اشهد الخ وقد اختلف هل يشترط فيه لفظ الشهادة او يكفي ما يؤدي معناه والصحيح
عندنا الثاني معاشر الحنفية ولو بغير لفظ العربية لمن لا يقدر عليه وان محمدا رسول الله
ارسله لجميع خلقه وذكر اركان الاسلام يعني قوله وتقيم الصلاة بالنصب عطف على تشهد
وجوز بعضهم رفعه استينافا نظرا الى انه يكفي في اجراء احكام الاسلام الشهادتان وكذا ما
بعده وجوابه انه بيان لاكله واقامة الصلاة اداؤها وتوتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج
البيت ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت فعجبنا له كيف يسأله ويصدقه ثم سأله صلى الله
عليه وسلم عن الايمان اي عما يجب التصديق به شرعا فقال مجيبا له ان تؤمن بالله
اي تصدق بوجوده وانه واحد في ذاته وصفاته وافعاله ولا شريك له في ذلك وليس
هذا تعريفا للشي بنفسه لا لانه يكون متعديا بنفسه ومعناه ان يامن التكذيب ومتعديا
بالبا لتضمنه معنى الاعتراف وقد يتعدى باللام لتضمنه معنى القبول والاذعان والمعروف
هو الاول وما وقع في التعريف هو الثاني بل لان الاول معلوم والمسؤل عنه بيان متعلقاته
التي يجب الايمان بها اجمالا وعلم من الحديث تغاير مفهوم الاسلام والايمان فان الاسلام
كما مر لغة الاستسلام والانقياد وهو جزء من مفهوم الايمان الذي هو التصديق بالقلب
واللسان وقيل انهما مترادفان والاظهر انهما متلازمان لا ينفك احدهما عن الاخر
وقيل بينهما عموم وخصوص مطلق وان الاسلام تناول التصديق واصل الطاعات
كما فصل في علم الكلام وملايكته جمع مالك من الالوكة وهي الرسالة واصله مالك ثم قلب
وجمع وخفف مفرده وتاؤه لتانيث الجمع او المبالغة وتقدم الكلام على ذلك في الخطبة
انهم اجساد نورانية سالمة من الكدورات الجسمانية قابلة للتشكل والايمان بهم ان تؤمن بانهم
عباد الله معصومون لا يفعلون غير ما يؤمرون لا يعلم عدتهم الا الله وكتبه التي هي
كلامه تعالى المنزل على رسله الازلي فيصدق بحقيقتها وحقيقة ما تضمنته ورسله

جمع رسول وهو من اوحي اليه بشرع وكتاب وامر بتبليغه عباده الحديث بالنصب اي اذكره
او اقراه واعرف ذلك الخ وهو واليوم الاخر والقدر خيره وشره واقتصر المص رحمه الله
على المقصود منه فقد قرر اي بين النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث ان الايمان به
اي بالله او بما ذكر في الحديث محتاج الى العقل اي الاعتقاد الجازم بالجنان بفتح الجيم
وهو القلب سمي به لاستتاره او استتار ما فيه من جنه اذا ستره والاسلام به اي بالله
او بما ذكر مضطر اي محتاج اليه ضرورة لانه لا يظهر الانقياد بدونه ولذا غاير
بينهما الى النطق باللسان ليعلم ما في قلبه وهذه الحالة اي اعتقاد الجنان والنطق باللسان
هي المحمودة عند الله والناس العامة بنا على انه اسم لفعل القلب واللسان كما ذهب
اليه بعض الاشعرية ووصفها بالتمام اشارة الى ان عقد الجنان كاف وان لم ينطق به والنطق
شرط لاجرا الاحكام الاسلام عليه في الدنيا كالصلاة عليه ودفنه في مقابرنا فمن امن بقلبه
ولم يعلم به احد نفعه ايمانه الا على وجه الاباء واما الحالة المذمومة لضررها في الاخرة
فالشهادة باللسان اي الاقرار والتلفظ بالشهادة دون تصديق القلب بالاعتقاد الجازم
وهذا هو النفاق الذي يسمى صاحبه منافقا وهو من يظهر الايمان ويخفي الكفر وهو لغة اظهار
خلاف ما يضمر من نافقا اليربوع وهو ما يخفيه من ابواب جحره ليخرج منه اذا احس بصائده
كما قاله ويستخرج اليربوع في نافقائه قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون الخطاب له صلى
الله عليه وسلم قالوا نشهد انك لرسول الله فاقروا بالشهادة مواطئة لقلوبهم بزعمهم فرد
عليهم علام الغيوب بقوله بقوله والله يعلم انك لرسوله وهو توطئة لقوله والله يشهد
ان المنافقين لكاذبون في قولهم ذلك اي قولهم انك لرسول الله عن اعتقاد وتصميم
لان سياقه موكدا بهذه التاكيدات يقتضي انه ناش عن اعتقادهم الجازم وتصديقهم
القلبي او اللساني لا يعتقدونه جملة حالية اي والحال انهم ليسوا معتقدين لذلك كما
اخبر الله به فلما لم يصدق ذلك القول ضمائرهم اي ما اضمروه في قلوبهم لان الضمير يطلق
عليه لم ينفعهم ان يقولوا اي قولهم لم يفدهم في الاخرة لانهم في الدرك الاسفل من
النار بالسنتهم ما ليس في قلوبهم لاعتقادهم خلافه فهو كذب غير مطابق للواقع
وليس هذا مبنيا على ان الكذب ما خالف الاعتقاد كما حققه اهل المعاني وهذه الاية
نزلت في ابن سلول راس المنافقين واصحابه وقصته مشهورة في كتب الحديث فلا نطول
بها فخرجوا عن اسم الايمان اي عن ان يسموا بما اشتق منه فيقال لهم مومنين في الدنيا عند
من عرفهم ولم يكن لهم في الاخرة حكمة وهو دخول الجنة فهم في الدرك الاسفل من النار
مع الكفار كما ياتي وقوله في الاخرة اشارة الى انهم يجري عليهم في الدنيا حكمه نظرا لظاهر
حالهم كما بينه بقوله اذ لم يكن معهم ايمان في الاخرة لانكشاف حالهم وافتضاحهم فيها
وقال معهم ولم يقل اذا لم يكونوا مومنين ايما الى ان ايمانهم لم يكن في قلوبهم فكانه كان
رفيقا لهم لتلفظهم به فاذا ماتوا فارقهم وبطل حكمه ولحقوا بالكافرين في الدرك
الاسفل من النار الدرك بفتح الراء وسكونها ما ينزل به لاسفل ضد الدرج يعني انهم في
قعر جهنم واخر طبقة منها وهي سبع طبقات جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم ثم الهاوية
وبطل كل اسم طبقة منها على الجميع ايضا بالاشتراك اللفظي او المعنوي وبقي جار عليهم
حكم الاسلام في الدنيا فيعاملون معاملة المسلمين فيما لهم وعليهم باظهار شهادة اللسان

اي بسببه

اي بسببه لانا نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر والمراد بحكم الاسلام كل ما كان داخلا في احكام
الدنيا اي ما يحكم به لهم وعليهم من احكام الشرع المتعلقة بالائمة اي السلاطين والخلفا لا العلما
لانهم ليسوا مامورين باجرايها وحكام المسلمين كالقضاة وغيرهم من النواب وهذا حكم من لم
يظهر لنا حاله منهم فان من ظهر حاله يكون كافرا فلا وجه لايراده نقضا هنا كما توهم ولذا
لم يصل النبي صلى الله عليه وسلم عن ابن ابي بن سلول وان كنا نصلي عليهم وانما لم يقتله لمصلحة
اشار اليها في الحديث الاتي بقوله لئلا يتحدث الناس بان محمدا يقتل اصحابه فكان هذا من
خصايصه في ابتدا الاسلام ثم انتهى بانتها سببه ولذا رفع عمر رضي الله عنه حكم المولفة قلوبهم
وهذا من عطف العام على الخاص ثم زادهم بيانا بقوله الذين احكامهم جارية ومبنية
على الظواهر من احوال الناس كلهم بما اظهروه من علامة الاسلام اي ان احكام الدنيا جارية
عليهم بسبب اظهارهم الاسلام بانقيادهم له والتزامهم احكامه ظاهرا وان لم يعتقدوها
بقلوبهم وفي نسخة علامات وزادها اشارة الى انهم ليسوا مسلمين حقيقة وانما عليهم
علامته اذ لم يجعل ببنا المجهول اي لم يجعل الله للبشر اي الناس كلهم سبيل اي طريق
الى السرائر جمع سريرة وهي ما في القلب مما لم يطلع عليه فلم يكلفهم بمعرفته واجرا حكمه
ولا امروا الضمير للبشر باعتبار المعنى بالبحث اي التفحص والتفتيش عنها اي عن السرائر
ثم ترقى فقال بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها اي الحكم على السرائر وعبر بالتحكم
لما فيه من التكلف او لانه ليس بحكم كما يقال تحكم الرجل لمن لا حكم له فقال صلى الله عليه
وسلم لاسامة بن زيد في حديث صحيح رواه البخاري لما اضطر بعض الكفار فاسلم فقتله اسامة
لاعتقاده ان اسلامه بلسانه خوفا من القتل فقال له اقتله بعد ان اسلم هلا شققت عن قلبه
وهلا اداة تخصيص اذا دخلت على المستقبل افادت الامر واذا دخلت على الماضي افادت
الانكار والتوبيخ وشق متعد بنفسه وعداه بعن لتضمينه معنى التفتيش اي شققت قلبه
لتفتش عما فيه من الاعتقاد وتعلم اقال ما قاله خوفا ام لا وهو كناية عن استحالة الوقوف
عليه لانه بشقه لا يدري ما فيه والذم فيه ظاهر لما فيه من التوبيخ على ما لا يليق به وكان عليه
ان تحقيره حتى يعلم هل هو مخلص ام لا لكن لما راه لم يسلم حتى رفع السيف لقتله فظنه ايمان
ياس لا يفيده كحال الغرغرة فهو متاول لا متعمد للخطا في قتله والحديث كما في الصحيحين
عنه بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحرقة من جهينة فهزمناهم ولحقت انا ورجل
من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال لا اله الا الله فكف عنه الانصاري وطعنته برمحي
حتى قتلته فلما قدمنا بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي يا اسامة اقتلته بعد
ما قال لا اله الا الله فقال يا رسول الله انما كان متعوذا فقال اقتلته بعد ما قال لا اله الا الله
ولم يزل يكررها وقال هلا شققت عن قلبه الله فكيف تصنع بلا اله الا الله اذا جات يوم
القيمة فقلت استغفر لي يا رسول الله فقال كيف تصنع بلا اله الا الله الخ فلم يقبل
عذره وفيه **تنبيه** وموعظة وزجر والرجل المقتول اسمه مرداس
الفزاري او الفدكي وانما ذكرناه علم ان اسامة رضي الله عنه متاول في قتله ولم يسمع منه
كلمة الشهادة بتمامها حتى يحكم باسلامه وانما لامه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعجلته
وعدم تثبته وانه كان يجب عليه ان يختبره فلم يقتله وهو مسلم شرعا كما لا يخفى فقول الداودي
انه يلزمه الدية لقتله المسلم خطا وانما سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذكرها لعلمه

لعلم السامع بذلك اولانه كان قتل قبل ذلك ولم اية الدية والكفارة وقول القرطبي انه لا يلزم من السكوت عدم الوقوع وقول غيره انه يحتمل انه لم يجب عليه شيء لانه ماذون له في اصل القتل فهو كالطبيب والختان اولم يكن له وارث مسلم ولا ولي واسامة رضي الله عنه اغنى بذلك لعدم حاجة اليه **قوله** اذا لم يكن له وارث دينه لبيت المال ولا يصح عفو الامام عنه عندنا واما رجح السبكي في فتاويه جوازه لمصلحة ولا دليل في الحديث لما عرفته ولانه يستحق من بيت المال فتنقيله الدية لا يكون عفوا **والفرق بين القول** اي مجرد التلفظ بالشهادة بلسانه **والعقد** اي التصديق بقلبه واعتقاد جنانه **ما جعل** ما مصدرية اي جعله **في حديث جبريل** الذي تقدم في سؤاله عن الاسلام والايمان **الشهادة** اي التلفظ بها **ركنا من الاسلام** لما قال في جوابه ان تشهد الخ وجعله **التصديق من الايمان** اي الاعتقاد بالقلب وهذا يناسب ما في تفاسير الاسلام والايمان وفيه اشارة الى تفسير تؤمن في قوله اما تؤمن بالله الخ **وثبت حالتين اخيرتان** بين هذين اي الاقرار بلسانه والتصديق بجنانه اي الجمع بينهما **احراهما ان يصدق** المكلف بقلبه **ثم يجترم** بجامعجمة وتاء مثناة فوقية وراء مهملة مبني للمجهول يقال اجترمته المنية والموت اذا اتاه بغتة بسرعة واصله من الجرم القطع وتقريق المتصل فقيل له ذلك لقطعه للحياة كما اشار اليه بقوله **قبل انشاء وقت الشهادة** اي التلفظ والنطق بها المضيق الزمن ففقد حالة بين الحالتين السابقتين وهما الاقرار اللساني والتصديق بقلبه الموافق له وهو مومن بالاتفاق والثانية الاقرار باللسان وقلبه غير مصدق وهما منافق بالاتفاق وحكمه ما مر وهذه حالة بينهما **فاختلفوا فيه** اي في هذه حالة امومن هو ام لا **فشرط بعضهم** اي قال انه مومن **تمام الايمان القول والشهادة** به باللسان فلا يكون هذا مومنا عنده لعدم تمام ايمانه وقد شرطه عنده وعند بعضهم ان الشهادة جزء من الايمان وركن لا شرط فمعرفة بانه اقرار باللسان وتصديق بالجنان وهو المشهور عند المتاخرة فالايمان الا بهما عند العجز عن النطق **واياه** ما هنا من الراي **بعضهم مومنا** فقال من اعتقد بقلبه واحترم قبل تمكنه من النطق مومن كالعاجز فيكون مومنا حقيقة **مستوجبا** اي مستحقا **الجنة** ودخولها بهذه بعدم تمكنه **ولقوله صلى الله عليه وسلم** في حديث رواه الشيخان **يخرج** روي بالبناء للفاعل والمفعول **من النار من كان في قلبه** باعتقاده **مثقال ذرة** اي وزنها ومقدارها في الثقل والذرة بالمعجمة صغار النمل والهباء وهو كناية عن غاية القلة واذا كان عند الله عظيما وهو بعض من حديث في الصحيحين ولم يقل يدخل الجنة ابتداء المراد به العصاة المعذبون بسبب اخر لو يترك الشهادة فيكون عاصيا بذلك وهو الظاهر الاول ولما ايشعر بي الاستدلال له بقوله **فلم يذكر** في الحديث شيئا سوى ما في القلب **من ايمان** بمقدار ذرة **وهذا** المصدق بقلبه دون لسانه لعدم تمكنه من النطق **مومن بقلبه** فيتفقه **ايمانه عند الله لانه غير عاص** اي تارك لما يلزمه **ولا مفرط** بتشديد الراء المهملة اي مقصر عمدا **بترك مخيره** وهو التلفظ بالشهادة **وهذا** الراي الذي راه بعضهم **هو الصحيح في هذا الوجه** اي الحالة المعذور فيها بعدم تمكنه وهذا اذا صح عنه للتكلم على انه قيل انما استدل به الم لا يثبت ما ادعاه لان هذا في عصاة امته الذين ثبت ايمانهم ويدل على ما في الصحيح عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ثم اباذكر الوزن في الايمان وهو من المعاني لانه كما قال الكرماني شبه بالجسم

فامنوا

فاضيف اليه ما هو من لوازمه وهو الوزن فهو استعارة بالكناية الثانية اي الحالة الثانية
من هاتين الحالتين ان يصدق بقلبه ويعتقد اعتقادا جازما ويطول بضم التحتية وفتح
الطا المهملة وتشديد الواو المكسورة مهلة بميم وها مفتوحتين مفعول تطول ويجوز تسكين
هايه مع فتح ميمه وضمها وهي التؤدة والتاني فاريد به لازمه وهو طول الزمان والمراد
زمان سكوته وعدم نطقه بالشهادة وعلم ما يلزمه من الشهادة والنطق بها وهذه جملة
حالية بتقدير قد اي سكت زمانا طويلا مع علمه بلزوم النطق والاعتراف بما صدق به قلبه
فلم ينطق بها اي بالشهادة جملة منصوب على الحالية والمراد به مجموعها بان لم يومن
بالله وملايكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره تفصيلا واجمالا بان لا يفصل الملايكة
والكتب ونحوها ولا استشهد في عمره ومدة حياته اي اتى بالشهادة وفي نسخة شهد ولا مرة
اي مرة واحدة فهذا اختلف فيه ايضا كما اختلف في الذي قبله وهو في الاصل مصدر راض
اذا رجع وشاع في التشبيه وفي نصبه كلام مشهور فقيل هو مومن لانه مصدق وحقيقة
الايمان هو التصديق القلبي واقد اتصف به فيلغيه والشهادة من جملة الاعمال
الزايدة على حقيقة الايمان وان كانت لازمة شرعا فهو عاص بتركها كمرتب الكباير غير
كافر فهو غير مخلد في النار عند اهل السنة القايلين بان اصحاب الكباير مخلدين وقيل
ليس بمومن لان الشهادة شرط فيه او شطر حتى يقارن عقده اي اعتقاد قلبه وجزمه
شهادة اللسان اي التلفظ بها مطابقة لما قبله اذ الشهادة انشا عقد عند الاصوليين
لانها عندهم انشا يتضمن الاخبار بالمشهود به الاخبار وعزي الثاني اي انه خبر لابي
حنيفة وانكره السروجي وقال لا نعرفه وانما هو انشا عندنا ايضا ونظر فيه بانهم عرفوها
بانها اخبار بحق للغير على اخر وقد يقال انه بحسب ظاهره لانه خبر لفظا اريد به الانشا
كقوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ومن لم يفهم مراده قال انشاوه بمعنى ابتدائية والتزام
ايمان اي التزام لاحكامه وهي اي الشهادة مرتبطة اي ملازمة متصلة مع العقد الجناني
لا تفارقه فلا يكتفى باحدهما ولا يتم التصديق ويكتفى به مع المهلة اي تاخير النطق زمانا
طويلا من غير مانع الا بها اي بالشهادة والنطق بها وهذا القول هو الصحيح من انه
ليس بمومن لعدم مقارنة الاعتقاد للاقرار مع التمكن منه ومن يقول بالتصديق فقط
يقول انه مومن وان لم يقر بلسانه وان لم تجر عليه احكام الايمان في الدنيا فهو ينفعه في
الاخرة والاصح انه لا بد منه في الاعتداد به في الدنيا والاخرة وهو شرط او شطر ثم انهم
اتفقوا على انه يلزم المصدق ان يعتقد انه متى طولب به اتى به فانه ان طولب به فلم يقر
فهو كفر عناد وهذا نبذ بفتح النون وسكون الموحدة وذال معجمة وهو الشي اليسير واصله
الرمي والطرح فكانه لقلته مما يطرح وفي نسخة هذه نبذ بضم النون ففتح الموحدة جمع نبذة
بزنة غرفة وقيل انه بضم فسكون والمعروف ما قدمناه نفضي الى متسع من الكلام نفضي
بضم المثناة الفوقية وسكون الفا وكسر الضاد المعجمة قبل يا ساكنة مضارع افضى بمعنى
اوصل واصل معناه الايصال الى الفضا والمتسع بزنة اسم المفعول وهو مصدر ميمي او اسم
يعني انها تحتاج الى بسط وانتشار لكثرة مباحثه وما للعلما فيه من القيل والقال في
الاسلام والايمان اي فيما يتعلق بهما وابعادهما المعقودة لتفصيلهما وفي الزيادة
فيهما والنقصان فيهما والكلام في انهما يقبلان زيادة ونقصا فيهما ممتنع على مجرد

التصديق فهو في نفسه معنى تظهر لما ينضم إليه من الاقوال والاعمال لا يقبلهما فانه كما مر قبل انهما مجرد التصديق وهو لا يزيد ولا ينقص وقيل انه قول واعتقاد وقيل قول وعمل واعتقاد فعلى هذا يقبل التجزي وقوله لا يصح فيه اي في التصديق تجزي بزيادة او نقص جملة اي مجموعة او الاجمال منه لا يقبل التجزي وانما يتجزء تجزية والزيادة فيه الى ما زاد عليه اي ما زاد على التصديق من عمل ونحوه فانه قد يزيد وقد ينقص بل قد يكون تكن اسلم ثم مات فجاة فلم يات بشيء من الاعمال الصالحة وقد يطرء على التصديق في نفسه زيادة او نقص او تجزء فانه من الكيفيات النفسانية وهي تتفاوت قوة وضعفا فان العلم بطلوع الشمس وانا الواحد نصف الاثنين ليس كالعلم بحدوث العالم ولا شك في ان ايمان ابي بكر رضي الله عنه ليس كايمانا فلا وقال الشيخ في الصحاح عرض له كذا اعترض اي ظهر وعرضت العود على الاناء فتعرض هو وتعرضته هذه وحدها بالضم وعرضت له الحق بالكسر الى اختلاف صفاته قوة وضعفا وتباينا اي بعدا واقترانا تحدثه بعضها على بعض من قوة ويقين بيانا للصفات وللحالات ونفيه اعتقاد اي الجزم به بحيث لا يقبل الشك لمشاهدة وقوة ادلة ووضوح معرفة اي ظهورها كمن شاهده صلى الله عليه وسلم وعاين معجزاته ودوام حاله اي استمرار التصديق وامتداده فانه زيادة فيه وحضور قلب اي حضور التصديق فيه حتى لا يغفل عنه قلبا المطمئن وفي بسط هذا اي بسط الكلام فيما ذكر وتفاصيله وتحقيق ادلته مع ما لها وعليها خروج عن غرض المتأخرين اي المقصود منه وهو بيان علو مقامه صلى الله عليه وسلم وما يجب له وهذا يكفي فيه الاجمال وقطع النظر عن الاستدلال وفيما ذكرناه عليه بضم الفين المعجمة وتشديد الكاف مفتوحة اي كفاية مغنية عما عداه قصدناه في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وهذا الذي ذكره المصنف هو المذهب المحقق الاظهر المختار ان التصديق يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الادلة ولا شك في ان ايمان الصديقين اقوى في ايمانا من غيرهم

فصل

واما وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم

بامتثال اوامره واجتناب نواهيه فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به من الله وقد علم هذا مما تقدم في اول الباب وجبت طاعته لانه من صدقه واخبره بما يلزمه اتباع امره ونهيه فلو خالفه من غير انكار منه كان عاصيا بترك ما يجب عليه لانه اي ووجوب طاعته مما اتى به عن الله بوحيه كما يدل عليه ما قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله قدم طاعة الله تمهيدا لوجوب طاعة رسوله واشارة الى ان طاعته تعالى بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهما شيء واحد ولذا افرد الضمير في قوله ولا تتولوا عنه وهو قياس منطقي تقديره وجوب طاعته مما اتى به عن الله وكل ما اتى به عن الله فهو عن الله ينتج وجوب طاعته فيما اتى به عن الله وقد علم هذا مما تقدم في اول الباب وشرك بهما في صيغة الامر لما ذكره وقال تعالى قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول قال القاضي امره الله ان يبلغ المؤمنين ما خاطبهم به مبالغة في تكلتهم يعني ان هذه الاية نزلت في بشر المنافق لما دعا خصما له يهوديا الى كعب بن الاشرف ودعا خصمه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الاتي بيانه ولا ينافي هذا ان الكلام في وجوب طاعته على المؤمنين لان العبرة للفظ دون خصوص السبب وقال تعالى واطيعوا الرسول

لعلكم

لعلكم ترحمون الترجي بلعل وعسى على قلوب العباد والخوف وقال تعالى وان تطيعوه تهتدوا فجعل هذا متوقفا على طاعته والهداية الحق والايمان وغيره امر لازم لهم وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله فجعل طاعته هي طاعة الله لانه لا يامر الا بامر ولا ينهي الا عن منهي وكذا الزمه بقوله وقال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا هذا محمول على العموم في جميع اوامره ونواهيه لانه لا يامر الا بصلاح ولا ينهى الا عن فساد وان كانت الاية نزلت في الفيء والغنائم كما يدل عليه قوله وما اتاكم الرسول فخذوه اذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما تقرر فلا يتوهم انها غير مناسبة لما هو بصدده وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك المطيعون مع الذين انعم الله عليهم الاية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وسياتي ان هذه الاية نزلت في ابي عبد الله الانصاري حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم اذا مت كنت في عليين فلا نراك وذكر سرة حزنه لذلك فنزلت فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى الله ابا بكر بعده حتى لا يرى غيره فهم مكانه وهو الذي راى واقفه الاذان وقيل نزلت في ثوبان مولاه صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصبر عن رويته فجاء يوما وقد تغير لونه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم عادك لدغ فقال لا بل مرض غيري اتاني الامر عند ذكرت الاخرة واني لا اراك ثمة لرفعتك مع اهل بيتك وهبوط منزلتي والمراد بالمعية سهولة الاجتماع والتزاور بينهم في الجنة والتفاوت مراتبهم ومنازلهم فيها وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله الاذن مجاز عن ارادة التسهيل والتوفيق او هو نفس التسهيل والتوفيق اي الا ليطاع بما بعثه ويرضى بحكمه فمن لم يرض به لم يرض برسالته فهو تارك لما يجب عليه كافر وقيل اذنه بمعنى امره وقال القاضي كانه اي الله اختص بذلك عنى ان الذي لم يرض بحكمه وانا اظهر الاسلام كافر مستوجب القتل انتهى وقيل في توجيهه اي انا لم ار من لم يرض بحكمه لم يرض بحكم الله وما لم يرض بحكم الله كافر وبذا ملتقى خاصم المنافق واليهودي وطلب اليهودي حكم رسول الله له فابى المنافق وطلب اليهودي حكم كعب بن الاشرف فابى اليهودي وابى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقبل المنافق فاتيا ابا بكر رضي الله عنه فحكم بما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض فاتيا عمر وذكر له اليهودي ما وقع فقال رويدكما وخرج بسيفه وضرب به المنافق فقتله وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكره فحصل طاعته برسوله صلى الله عليه وسلم طاعته فهما شيء واحد لانه لا يامر الا بامره ولا ينهى الا بنهيه بنص قوله من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد طاعته بطاعته في القرآن كما في قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول وفيه حث على تفهمه ووجوب طاعته ما لم يخف ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب الجزيل بمعنى العظيم او الكثير وعبر في جانب الثواب بالوعد وفي جانب العقاب بالايعاد المزيد لما استشعر من الفرق بينهما في امثال الايات كما قال الشاعر

وانى اوعدته او وعدته ... لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

وقد يستعمل كل منهما في مكان الاخر لنكتة وتقدم الكلام على ذلك مبسوطا في خطبة الكتاب وسوء العقاب بمعنى العقاب السيئ وهو ظاهر واوجب الله تعالى امتثال امره بالاتيان بما امر به واجتناب نهيه بتركه ما نهاه عنه فقال وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه

كما تقدم بيانه وقال المفسرون في تفاسيرهم والائمة اي ائمة الدين من الفقها والمحدثين طاعة الرسول
التي امرنا الله بها في القرآن متحققة ومتبينة في التزام سنته اي المداومة على سلوك طريقته فالسنة
بمعناها اللغوي فيعمل ما عمله ويترك ما تركه والتسليم اي الانقياد والمتابعة له لما جاء به من شرعه
الموحى اليه الذي اخبرنا به وتصديقه فيما اخبر به من غير تحكيم العقل وقالوا ايضا ما ارسل الله
من رسول من زائدة في النفي لتاكيد العموم الا فرض طاعته اي جعلها فرضا متحتما يثاب فاعله
ويعاقب تاركه على من ارسله اليه لتبليغ شرعه والضمير لمن باعتبار لفظه وقالوا اي المفسرون
والائمة من يطع الرسول في سنته بنون مشددة وتا مثناة فوقية اي في طريقته وشريعته
من امر ونهي وسنة وفرض وليس المراد بها ما يقابل الفرض كما يوهمه قوله يطع الله في فرائضه
جمع فريضة بمعنى الفرض وفي بعض النسخ سننه بنونين جمع سنة ويحتمل ان تفسر السنة
والسنن بمعنى بما يقابل الفرض لان من اتبع الرسول فيما سنه من غير ايجاب عليه كان متبعا
له في فرائض الله بالطريق الاولى والمراد ان طاعة الله وما جاء به عين طاعة رسوله صلى
الله عليه وسلم لا ينفصل احدهما عن الاخر وفي الام للشافعي عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا الفين احدكم متكيا على اريكته ياتيه ما امرت او نهيت فيقول لا ادري ما وجدنا
في كتاب الله عملنا به وسياتي بيان الفاظه عند ذكر المص له قريبا مرتين لامر اقتضاه فهذا بيان
لان العمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بكتاب الله وهو معنى ما قالوه هنا وسئل
عن سهل بن عبد الله التستري الامام الزاهد المشهور عن شرائع الاسلام اي ما المقصود منها
والمراد فقال سهل في الجواب وما اتاكم الرسول فخذوه اي تمسكوا به وقال الامام
ابو الليث الفقيه المشهور السمرقندي يقال في طاعة الله ورسوله ان معناه اطيعوا الله في
فرائضه اي فيما فرضه عليكم في كتابه الكريم والرسول في سننه اي ما سنه وشرعه لنا وقيل
في معنى اطيعوا الله واطيعوا الرسول اطيعوا الله فيما حرم عليكم باجتناب جميع محرماته وكان
الظاهر ان يقال فيما اوجبه وحرمه وغيره كما عمم اتباع الرسول بقوله والرسول اي واطيعوا
الرسول فيما بلغكم عن الله من اوامره ونواهيه مختصا في ذلك ومنها فانه مامور بتبليغه
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ويقال في معناه اطيعوا الله بالشهادة اي الاقرار
والاعتراف له بالربوبية اي انه رب خالق مالك لجميع المخلوقات منفرد بالملك والربوبية
والنبي بالنصب اي واطيعوا النبي صلى الله عليه وسلم بالشهادة بالنبوة المراد بالنبي هنا محمد
صلى الله عليه وسلم فاعل للعهد وهو الفرد الكامل المتبادر عند الاطلاق فيدل حينئذ على رسالته
وانه رسول وان قلنا النبي اعم من الرسول بناء على المشهور فلا حاجة لما قيل ان المراد النبوة
المقترنة بالرسالة وانه كان ينبغي الجمع بينهما اظهارا للنعمة بهما عليه وتعظيما للمنة لديه
والعدول عن الظاهر ان قلنا ان النبوة افضل ظاهر لا لرعاية السجع كما قيل حدثنا ابو محمد
بن عتاب بقراءتي عليه وهو حديث رواه الشيخان ومحمد بن عتاب تقدمت ترجمته قال حدثنا
حاتم بن محمد المعروف بابن الطرابلسي كما تقدم قال حدثنا ابو الحسين علي بن محمد بن خلف
الحافظ القابسي كما تقدم قال حدثنا محمد بن احمد وهو ابو زيد المروزي كما تقدم قال حدثنا
محمد بن يوسف الفربري راوي صحيح البخاري كما تقدم قال حدثنا البخاري قال حدثنا
عبدان يعني عبد الله بن عثمان بن جبلة بفتح الجيم والموحدة ابن ابي رواد الحافظ المروزي
قال حدثنا يونس بن يزيد الايلي الامام الثقة توفي سنة تسع وخمسين ومائة واخرج

له اصحاب

له اصحاب الكتب الستة عن الزهري محمد بن عبيد الله بن شهاب الزهري الامام المشهور كما
تقدم مرارا قال اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن احد فقها المدينة السبعة على قول الاكثر واسمه
عبد الله او اسماعيل انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله لانه لا يامر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما
نهى الله عنه فمن امتثل امره واجتنب نهيه امتثل امر الله ونهيه او ان الله عز وجل امر
بطاعة رسوله وامره ونهيه فمن امتثل امره ونهيه اطاع الله في امره ونهيه بطاعته كما تقدم
ومن اطاع اميري اي من جعله هو او خلفاؤه حاكما على امته فقد اطاعني لان طاعته طاعة
من امره لانه مبلغ عنه ومن عصى اميري فقد عصاني قيل ان قريشا وساير العرب كانوا لا
يعرفون الامارة وانما كانوا يطيعون رؤسا قبايلهم فلما ان ظهر الاسلام ولي عليهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم الامرا انكروا ذلك ولم يطيعوا الامراء فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك اعلاما لهم بانهم يلزمهم اطاعة امرائه وتوقيرهم والاقتدا بهم
في اقوالهم وافعالهم ورواه مسلم الامير بالالف واللام وطاعة الرسول اي رسول الله صلى
الله عليه وسلم من طاعة الله المرسل له اذ الله امر بطاعته اي لان الله امر جميع الناس
باتباعه فيما جاء به من الله فطاعته اي الرسول ورسوله امتثال لما امر الله به في قوله اطيعوا
الرسول وطاعته له اي الله لانه امرهم اجمالا باطاعته فطاعته طاعة لربه لانا نطيعه لامرنا
باطاعته في اوامره ونواهيه وهو انما يامرنا بما امره الله بتبليغه وما ينطق عن الهوى
ويدخله ما كان باجتهاده لانه امر بالاجتهاد على الاصح وهذا ابسط لما قدمه وايضاح له
ولا تكرار فيه كما قيل وقد حكى الله عن الكفار ما سيقولونه اي ذكر في القران اخبارا
عنهم بما سيكون وهذه العبارة ماسورة عن السلف من غير انكار لها الا ان العارف بالله
ابن عباد المغربي قال انه ليس بصواب لان كلام الله صفة قديمة فلا يقال حكى الله في كلامه
عن كذا لان الحكاية متاخرة عن المحكي وانما يقال اخبر الله ونحوه انتهى وهذا مما لا وجه
له لانه تعالى قال نقص عليك والقصص والحكاية بمعنى وما احتج به لا حجة له فيه فانه وارد
على الاخبار بعينه من غير فرق في دركات جهنم اي محلهم الاسفل فيها يوم تقلب
وجوههم في النار اي تصرف من جهة الى اخرى لاضطرابهم فهي كقطع لحم تغلي في قدر
يفور او تقلبها تغيرها عن حالها وهيئاتها او تبدل الوانها وخص الوجه لانه اشرف الاعضا
واظهرها او المراد به الجملة يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول لنسلم مما نحن
فيه لندمهم حيث لا ينفع الندم فتمنوا طاعته صلى الله عليه وسلم حيث لا ينفعهم
التمني اي زمان او مكان لا ينفعهم تمنيهم فيه والتمني طلب ما لا يمكن حصوله وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان اذا نهيتكم عن شيء محرم او مكروه فاجتنبوه
اي اتركوه كانه طرح في جانب منكم واذا امرتكم بامر اي بمامور به ايجابا او ندبا فاتوا منه
ما استطعتم اي قدرتم عليه من غير ترك للواجب بغير عذر واول هذا الحديث دعوني
ما تركتكم انما هلك من قبلكم بسوالهم واختلافهم على الانبيا فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه
الخ وسببه انه صلى الله عليه وسلم قال في خطبة ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل
اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال
دعوني الحديث وزاد الدارقطني فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم

مطلب حكاية

شؤكم وروي ذلك عن ابن عباس في التفسير وشي عام خص منه ما اكره عليه المكلف وفيه خلاف
هل الاكراه على المعصية يبيحها او هي باقية على حرمتها ولا يأثم مرتكبها وهو مبني على
الخلاف في ان المكره مكلف ام لا ومعنى اوتوا منه ما استطعتم افعلوا على قدر استطاعتكم قال
النووي وهذا الحديث من جوامع الكلم وقواعد الاسلام يدخل فيه كثير من الاحكام كمن عجز
عن ركن من اركان الصلاة او شرط من شروطها يأتي بمقدوره ولا يسقط عنه مقدوره ولذا
قال الفقهاء الميسور لا يسقط بالمعسور وفي الحديث اشارة الى اعتناء الشارع بالمنهيات
لاطلاقه الاجتناب ولو مع مشقة الترك وتقييد المامورات بالاستطاعة والطاقة كما قاله
احمد بن حنبل **فان قلت** الاستطاعة معتبرة في النهي فلا يكلف الله نفسا الا وسعها
قلت قال ابن حجر الاستطاعة لا تدل على المدعى وهو الاعتناء بل هو جهة
الكف وكل احد قادر عليه لولا داعية الشهوة فكل احد قادر على الترك بخلاف الفعل فان
العجز عنه محسوس فلذا قيد الامر بالاستطاعة دون النهي وقال الماوردي
الكف عن المعاصي ترك وهو سهل وعمل الطاعة فعل وهو شاق فلذا لم يبح ارتكاب
المعاصي مع العذر وابيح ترك العمل للعذر وقال بعضهم في قوله تعالى فاتقوا الله
ما استطعتم انه يتناول امتثال المامور واجتناب المنهي وقيد الامر بالاستطاعة لكثرته
فان العجز في النهي محصور في الاضطرار لقوله الا ما اضطررتم اليه وقيل ان قوله
اتقوا الله ما استطعتم منسوخ بقوله اتقوا الله حق تقاته والصحيح انه غير منسوخ والمراد
بحق تقاته امتثال امره واجتناب نهيه مع القدرة دون العجز عنه **وفي حديث ابي هريرة**
رضي الله عنه الذي رواه الحاكم **كل امتي** يعني امة الاجابة **يدخلون الجنة** الضمير لكل
باعتبار معناه ويجوز افراده باعتبار لفظه ولفظ الحاكم كلكم يدخل الجنة والخطاب
خطاب مشافهة للامة ايضا وقيل انه لم يرو بهذا اللفظ والسيوطي في تخريجه سكت
عنه لنكتة **الا من ابى** اي امتنع ثم فسره بقوله **قالوا يا رسول الله ومن يابى** فهموا منه
انه ابى دخول الجنة ولا يأباها احد لانه روي كما في النهاية وشرد **قال** صلى الله
عليه وسلم مجيبا لهم **من اطاعني** وانقاد ممتثلا لامري ومجتنبا لنهيي **دخل الجنة** وفاز
بنعيمها **ومن عصاني** وخالفني **فقد ابى** اي امتنع من دخول الجنة لانه بسبب تركه للطاعة
باختياره كانه دعي الى الجنة فامتنع واعلم انه ان اريد بالعصاة المذنبين من المؤمنين
فهو تمثيل ولا ينافي العفو عنهم ولا اخراجهم من النار وان اريد الكفار فهو استعارة
ايضا والمراد خلودهم في النار قال التلمساني بعد قوله الا من ابى اي امتنع قولا وفعلا ولم
يقل شيئا فالامة امة الدعوة اي كلهم الا من ابى وهم الكفار لا يدخلون الجنة ويحتمل ان يريد
بالامة امة الاجابة فالابي هو العاصي من امته فاستثناهم تغليظا عليهم وزجرا لهم عن
المعاصي وزاد في الجواب فقد ابى توضيحا لبيان الصنفين والتقدير من اطاعني وتمسك
بالكتاب والسنة دخل الجنة ومن اتبع هواه ضل عن سواء السبيل ودخل النار انتهى **وفي**
الحديث الاخر عرفه اشارة الى انه معلوم مشهور لانه رواه البخاري في كتابه ولذا وصفه
بقوله **الصحيح عنه عليه الصلاة والسلام مثلي ومثل ما بعثني الله به** ضرب للناس مثلا
فيما جاءهم به مما يورث الفوز بخير الدارين وانتظام امر المعاش والمعاد والمثل بفتحتين كالمثل
والمثيل في الاصل بمعنى النظير كشبه وشبه وشبيه نقل الى قول شبه مضربة بمورده

واكثر

واكثر ما يكون بامر عجيب غريب ثم نقل لكل حالة وقصة او صفة والذي في البخاري مثل ما بعثني الله
وليس فيه به فقال ابن حجر انه مقدر وما موصولة وقيل عليه شرط حذف العايد المجرور
جر الموصول بمثله لفظا او معنى وان لم يتحد متعلقا فما مصدرية لا عايد لها **اقول**
ما ذكره النحاة انما هو لجوازه قياسا مطردا لا لعدم صحته فيما سمع منه واقتضاه المقام وذكر
المص له ان كان لرواية وقعت له فظاهر او لبيان انه مقدر فيه فهو رواية بالمعنى يدل على ما قاله
ابن حجر والمعنى عليه وفيما ذكره تكلف لا يخفى **كمثل رجل اتى قوما** ليحذرهم وينذرهم بعدوهم
الذي قرب مجيئه لهلاكهم **فقال يا قوم اني رايت الجيش** هم جمع كثير وسايرون للمحاربة
والقتال **بعيني** هو مفرد مكسور النون مضاف لياء المتكلم الخفيفة او بفتحها ويا مشددة
مفتوحة مثنى وهو لتاكيد الروية وتحقيق انها روية حقيقية بصرية ضرورية حسية
واني انا النذير اي المنذر المعلم بما يحذر قبل وقوعه **العريان** اي المجرد من ثيابه المكشوف
جميع بدنه وهو مثل تمثل به صلى الله عليه وسلم والمراد به المبالغة في الانذار ووضوح ما انذر
به وعدم احتمال خلافه واصله ان الرجل كان اذا راى العدو وقرب جدا وليس بينه وبينهم
حجاب يمنعهم عن رويته وخشي ان يسبق خبره وقف على مكان عال ونزع عنه ثوبه ورفعه
يلوح به اي بادروا الى الحذر والفرار فقد جاكم من العدو ما لا يطيقونه واصله كان في رجل
معين في خثعم يفعل ذلك فقطع رجل يده ويد امراته فاتى قومه يحذرهم بفعل ذلك وقيل
انما هي امراة وقيل هو عوف بن عامر اليشكري وامراة من كنانة وقيل امراة من بني عامر وقيل
ابرهة الجيش وقيل انه رجل سلبه العدو فاتى قومه عريانا لما انفلت منهم فتحققوا صدقه
وعلى كل حال فهو استعارة ومن اللطايف ما قاله الامام السهيلي في قوله تعالى يا ايها المدثر
قم فانذر ان تعبيره بالمدثر والمزمل فيه ملاطفة انه صلى الله عليه وسلم كانه يقول له انا ارسلتك
نذيرا والنذير يكون عريانا لا ملفوفا بثيابه وهي نكتة سرية **فالنجا** بالنصب على المصدر بعامل محذوف
لضيق المقام ومعناه الخلاص والفرار اي انجوا نجا بسرعة من غير لبث فناب عن عامله وعرف
وهو ممدود او مقصور بنية الوقف ورواه البخاري النجا النجا بالتكرير بمدهما وقصرهما
وبمد الاول وقصر الثاني وهو منصوب على الاغراء اي اطلبوا النجاء بالهرب ويجوز رفعه
اي النجا خير لكم **فاطاعه طايفة** اي جماعة وفرقة من قومه لما اتاهم وقال لهم ما قاله
فادلجوا اي سادوا من اول الليل او سادوا الليل كله هربا من عدوهم وهو بتخفيف الدال
وتشديدها وقيل المخفف سير اول الليل والمشدد سير اخره والاسم الدلجة بالضم والفتح
وانطلقوا اي سادوا طالبين النجاة من عدوهم **على مهلهم** اي متمهلين بتؤدة وتاءن
بعد ذلك او في سيرهم هذا لسعة وقتهم ومهل بفتح الميم مع فتح الهاء وسكونها وبضم الميم
وسكون الهاء كما مر وفي مسلم مهلتهم بزيادة تا والكل بمعنى واحد **فنجوا** بفتح النون مع الجيم اي
سلموا من عدوهم **وكذبت طايفة منهم** النذير في انذارهم بالعدو **فاصبحوا** اي مكثوا مكانهم اي
في مكانهم الذي كانوا فيه حتى دخلوا في الصباح **فصبحهم الجيش** اي اتاهم في وقت الصباح **واهلكهم**
واجتاحهم بجيم ومثناة فوقية والف وحا مهملة اي اهلكهم جميعا واستاصلهم فلم يبق
لهم باقية من الذراري والامور والجايحة التي تصيب الثمار فتستاصلها اي تفنيها من اصلها وكل مصيبة
عظيمة فهي جايحة **فذلك** المذكور **مثل من اطاعني** فشبهوا بما صدق النذير فنجا **واتبع ما جيت به**

فصدقه وعمل بما امره به مما اوحاه الله اليه واجتنب ما نهاه عنه فسلم ونجا وفاز بالسعادة
الابدية ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق فهم كمن كذب النذير ومكث مكانه حتى
هلك ومن معه وفي شرح المشكاة للطيبي انه صلى الله عليه وسلم شبه نفسه وانذاره بالعذاب
القريب بالذي انذر قومه بالجيش المصبح وشبه من اطاعه من امته ومن عصاه بمن كذب
الرجل ومن صدقه وقيل عليه انما تشبيه تمثيلي شبه فيه المجموع وهيئته بالمجموع وهيئته
لا تشبيه الاجزاء بالاجزاء فان الاول ابلغ واحسن **اقول** اعادة مثل في الحديث تقتضي
ما قاله الطيبي والماء له واحد وابلغية ما ذكر في هذا المقام غير مسلمة بسلامة الامير وقيل
انه لتشبيه بليغ استعير فيه المثل للحال والقصة والصفة الغريبة العجيبة وهو وجه وجيه
تحقيقه في شروح الكشاف وفي الحديث الاخر الذي رواه الشيخان في مثله اي تمثيل حاله وصفته
صلى الله عليه وسلم مع امته في دعوته لهم كمثل بفتحتين اي كصفة وقصة من بنى دارا عظيمة انشاها
وفرشها بفرش نفيسة وجعل فيها مادبة بميم مفتوحة وهمزة ساكنة ودال مهملة مثلثة
والاشهر الضم ثم الفتح وبا موحدة وها وهي الاطعمة الكثيرة النفيسة المعدة لاكرام الضيوف والاصحاب
وفي القاموس انها طعام صنع لدعوة او عرس والمشهور الاول فهي عامة لكل دعوة وفي فقه اللغة
القرا بكسر القاف والقصر وفتحها والمد طعام الضيف الغريب وهو للزائر تحفة وللاملاك شوحة
وللعرس وليمة وللولادة خرس ولحق شعر المولود عقيقة وهو في الاصل اسم لنفس الشعر
من عقه قطعه وللختان جذيرة وللمعلل قبل الغدا سلفة ولمستعجل الغدا عجالة وللكرامة منزلة
من النزل انتهى والمادبة من الادبة بالضم وهي الطعام وبعث داعيا يدعو لمنزله واكل طعامه
فمن اجاب الداعي اي امتثل دعوته وذهب معه دخل الدار التي بناها واكل من طعام المادبة
التي اكرم بها ومن لم يجب الداعي لدعوته لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة التي حرم منها
ثم فصل التشبيه وبينه وسكت عن بيان من بنى وهو الله الذي خلق الجنة وهيا اسباب دخولها
لظهوره مما بعده وهو قوله فالدار الجنة التي اعدها الله لمن اختاره من عباده وماء دبتها ما فيها
من النعيم وما تشتهيه الانفس والداعي لها محمد صلى الله عليه وسلم مما بلغهم عن الله وامرهم به مما
يدخلهم جنته ويوصلهم للسعادة والنعيم المخلد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله تقدم بيانه ومن
عصى محمدا فقد عصى الله لان مخالفه مخالف لامر الله كما مر ومحمد فرق بين الناس فرق بفتح
القاف وسكون الرا المهملة وتنوينه مصدر بمعنى فارق بين المومنين والكافرين باطاعته وعصيانه
وروي فرق بصيغة الماضي مشدد الراء المهملة اي فرق بين مومنهم وكافرهم او بين من دعي
للجنة وبين من لم يدع لها وهذا انسب بالسياق والمعنى واحد واول هذا الحديث انه صلى الله
عليه وسلم نام وكان اذا نام نفخ فجاءه ملايكة وهو نايم فقال بعضهم لبعض ان العين نايمة
والقلب يقظان فقالوا مثله كمثل رجل الخ وفيه فقالوا اولوها له يفقهها فقالوا الدار الجنة
الخ فالممثل الملايكة وكذا المبين له وهذه رواية غير رواية المص وفي رواية المص ان القايل
جبريل وميكاييل ولا يخفى ان ظاهر الحديث انه تشبيه مركب فقول الكرماني انه ليس المقصود
تشبيه المفردات بل هو تشبيه تمثيلي مما لا وجه له

فصل

واما وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم وامتثال
سنته السنة هنا بمعناها اللغوي وهي والطريقة والسيرة بمعنى وهي اقواله وافعاله

وتقريراته

وتقرير اته وليس المراد بها ما يقابل الفرض حتى يتوهم منافاتها للوجوب لانه معطوف على اتباعه
والاهتدا بهديه هدى بزنة ضرب بمعنى سنته وطريقته ايضا وفي نسخة والاهتدا بهديه فقد
قال الله تعالى هو جواب اما اي فقد ثبت ذلك بنص القران كقوله عز وجل قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني اي اقتدوا بسنتي واهتدوا بهديي يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم الاية فسروا محبة
الله ورسوله باتباعهما ومحبة الله بانعامه وفضله وهذا تفسير له بلازمه المتجوز فان المحبة
الحقيقية ميل النفس لما يستلذه وهو غير مقصود هنا ولذا قال الغزالي ان العصيان يضاد اصل
المحبة وقال البيضاوي يحببكم الله يرض عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز عما فرط منكم
ويقربكم من جناب عزه ويبوكم في جوار قدسه عبر عن ذلك بالمحبة على طريق الاستعارة
او المقابلة اي المشاكلة ولبعض الشراح من المتاخرين هنا كلام لا طايل تحته غير التطويل وقال تعالى
فامنوا بالله ورسوله النبي الامي والايمان به وتصديقه يقتضي اتباعه وطاعته الذي يومن بالله
وكلماته التي نزل بها الوحي عليه وما اوحي اليه من قبله من الرسل من الكتب والشرايع وعبر عما
ذكر بالكلمات اشارة الى انها بالنسبة لعلمه المحيط بكل شي ولكلامه الذي يفني مداد البحار في دواة
الامكان كالكلمات القليلة وجمع بين النبوة والرسالة لان المقام مقام مدح واطناب ولانه يجب
الايمان بكل من الوصفين وان كان ذكر الاخص يكفي هنا اعني الرسول وعبر بالظاهر ولم يقل بي
لبلاغة الالتفات ولتجري عليه الصفات الداعية للايمان به واتباعه وعبر بالرجا في قوله واتبعوه
لعلكم تهتدون اي راجين الاهتدا باتباعه تحريضا لهم على اتباعه وايماء الى ان من امن به
ولم يقتد بما شرعه لهم لا ينجو من الضلال والرجا بالنسبة للمخاطبين او هو مجاز عن التعليل كما
ذهب اليه بعض النحاة وقال تعالى فلا وربك لا يومنون لا مزيدة للتاكيد او نفي لما تقدمها
اي ليس الامر كما يزعمون من انهم امنوا بما انزل اليك وقيل لا الثانية زايدة والقسم
معترض بين حرفي النفي حتى يحكموك اي يرجعون لحكمك ويرضون به وهو غاية لصحة
ايمانهم فيما شجر بينهم اي فيما وقع بينهم من المشاجرة وهي المخاصمة واصل معناه الاختلاط
ومنه الشجر لتداخل اغصانه واختلاطها الى قوله تسليما يعني قوله ثم لا يجدوا في انفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما والحرج ضيق الصدر او الشك وهذه الاية نزلت في بعض الانصار
لما اختصم مع الزبير في ما سقي به ارضه وسياتي تفصيله اي ينقادون لحكمك تفسير لقوله
ويسلموا تسليما واكده ليفيد الانقياد ظاهرا وباطنا وفي نسخة ينقادوا قيل وهو الظاهر لانه
منصوب بحذف النون لا سيما ان قيل ان اي عاطفة وليس بلازم لانه مفسر للجملة بتمامها لا للمضارع
وحده يقال سلم بالتشديد واستلم اي طلب السلامة بانقياده واسلم اذا انقاد هذا هو
المصرح به في كتب اللغة كما ذكره الراغب وغيره فما قيل ان المذكور في القاموس ان التسليم
الرضى والاستسلام الانقياد فلو فسر التسليم في الاية بالرضى الاخص كان احسن ليس بشي
وقال تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة بالكسر والضم اي قدوة يقال اسيته بما لي
اسوة وواسيته لغة قليلة وقيل هي الصواب فهي الخصلة التي يراد الاتصاف بها حسنة اي
خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها اي يقتدى ويجوز ان يراد بالاسوة النبي صلى الله عليه وسلم
نفسه لانه قدوة يحسن التاسي به في اقواله وافعاله وحسنة هنا على الاول صفة موكدة
ويجوز ان يكون احترازا عما هو من خصايصه صلى الله عليه وسلم فيكون صفة مقيدة
لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر اي يرجوا ثوابه ولقاه ونعيم الاخرة او ايامه الاخر

خصوصا مع قوله لمن كان وفي الكشاف ان لمن كان بدل من لكم قيل والاكثر على ان ضمير المخاطب
لا يبدل منه فهو صلة او صفة لحسنة فزنت كثرته بالرجاء لايذانها بملازمة الطاعة اذ المؤتسي
من شانه ذلك قال محمد ابن علي الترمذي هو المعروف بالحكيم الترمذي الصوفي صاحب
نوادر الاصول وليس هو صاحب السنن وقد تقدمت ترجمته الاسوة للرسول تعريفه للعهد
الخارجي فالمراد به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم او هو للعهد الذهني او الاستغراق
فهو اعم اي في حق رسول من الرسل او كل رسول الاقتدا به في اقواله وافعاله كما في قوله فبهداهم
اقتده والاتباع لسنته اي لطريقته وشريعته وترك مخالفته في قول قاله امرا او نهيا او ارشادا
او فعل فعله ليقتدى به فيه لانه ليس من خصايصه صلى الله عليه وسلم وقال غير واحد تقدم
ان معناه ناس كثيرون من المفسرين بمعناه اي قالوا قولا بمعنى ما قاله الترمذي وقيل
معنى الاية المذكورة هو عتاب من الله اي توبيخ ولوم للمتخلفين عنه صلى الله عليه وسلم
فمن لم يخرج معه لمحاربة اعدائه لانهم كان عليهم ان يقتدوا به في جهاد اعداء الدين ومقاساة
اهوال الحروب وكان ذلك في غزوة الاحزاب حبا للبقا والراحة وكان عليهم المبادرة لطاعته
صلى الله عليه وسلم وبذل انفسهم له لانه سبب سعادتهم وحياتهم الابدية وفيه دليل على
ما ذكر على التفاسير ومعنى الظرفية ان قلنا الاسوة افعاله واقواله المتبعة ظرفية الموصوف
للصفة لانها قايمة به فهو تجريد جعل كانه فيه مقتدى به منتزع كقوله تعالى لهم فيها دار
الخلد وليست هذه الظرفية كقولهم الدار في نفسها تساوي كذا وفي البيضة منا عشرون منا
من حديد كما قيل وقد اشرنا الى ان الاقتدا انما يجب فيما ليس من خصايصه كالامور الجبلية
فيه فانها لا تمكن ان تكون لغيره وقال سهل بن عبد الله التستري وقد قدمنا ترجمته في قوله
تعالى صراط الذين انعمت عليهم بين ما انعم به على من سلك الطريق المستقيم قال سهل في تفسيره
انه انعم عليهم بمتابعة السنة اي اتباع طريقه الذي هو الصراط المستقيم الذي يجب اتباعه
فامر الله تعالى بذلك اي باتباعه ووعدهم الجزا عليه اعني الاهتدا باتباعه اي حصول الهداية
التي طلبوها بقولهم اهدنا الصراط المستقيم فقال واتبعوه لعلكم تهتدون وفيه ايما الى ان
الترجي من الله وعد ممن لا يخلف الميعاد لان الله ارسله بالهدى اي بما فيه هدايتهم ودين الحق اي الدين
الحق او دين الله ليزكيهم اي يطهرهم من الشرك والمعاصي ويعلمهم الكتاب اي القران والحكمة اي
العلوم النافعة المحكمة والشريعة التي صيرتهم حكما متقنون للعلم والعمل ويهديهم الى صراط
مستقيم بالاسلام وطاعة الله ورسوله الموصل لهم للنعيم المقيم ووعدهم محبته تعالى
اي محبة الله لهم فالمصدر مضاف لفاعله في الاية الاخرى يعني قوله تعالى ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ومغفرته بقوله ويغفر لكم ذنوبكم اذا اتبعوه لان جواب الامر في معنى جواب الشرط
واثروه بالمد اي قدموه واختاروه من الاثرة على اهوايهم جمع هوى بالقصر وهو ما تميل اليه
النفس وتدعو اليه وهو اذا اطلق يراد به ما ليس بمحمود من الشهوات وما تجنح بجيم ونون وحاء
مهملة ويجوز في نونه الفتح والضم والكسر بمعنى تميل واصله الميل على احد شقيه ماخوذ من
الجناح اليه نفوسهم وضع الظاهر فيه موضع الضمير اذ المعنى يجنحون اليه ويقدمون اتباعه
ومحبته على محبة انفسهم واموالهم واولادهم والناس اجمعين كما ورد في الحديث واخبرهم
بان صحة ايمانهم في انقيادهم له في جميع ما امرهم به ونهاهم عنه ورضاهم بحكمه فيما تخاصموا
فيه يعني قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا

حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ونزل الاعتراض عليه فيما حكم به ومخالفته ومعارضته وعدم
رضاه كما تقدم في قصة الانصاري مع الزبير وروي عن الحسن البصري رحمه الله والراوي له ابن
المنذر في تفسيره ويحتمل انه الحسن بن علي رضي الله عنهما ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب
الله اي نميل اليه انفسنا ونخصه بالعبادة والرغبة لما رغبنا فيه فانزل الله مبينا لهم محبتهم
والمراد منها بقوله قل ان كنتم الله الاية اي فاتبعوني يحببكم الله يعني ان محبته تعالى انما تتحقق
بطاعة الله وطاعته بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن احب الله احبه الله كما قيل ما جزا من
يحب الا يحب وروي في سبب نزول هذه الاية ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف وهو رجل من
عظما اليهود من بني النضير وامه من طي وقتل كافرا بعد بدر بستة اشهر كما تقدم وقصته مشهورة
مفصلة في السير وغيره من اليهود اتباعه وانهم اي ابن الاشرف واتباعه قالوا نحن ابنا الله
واحباؤه ونحن اشد حبا لله وهذا ما حكاه الله عنهم في قوله وقالت اليهود والنصارى الخ
وكانوا اتوه صلى الله عليه وسلم فانذرهم وخوفهم عذاب الله فقالوا ما تخوفنا يا محمد
نحن ابنا الله الخ فقال لهم معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن وهب يا معشر اليهود اتقوا
الله ربكم فانكم تعلمون انه رسول الله وكنتم تصفونه قبل مبعثه فقالوا ما قلنا هذا وما انزل
الله بعد موسى كتابا ولا بعث رسولا ومعنى قول النصارى نحن ابنا الله انهم اشياع عيسى
صلى الله عليه وسلم ومعنى قول اليهود ذلك انهم اشياع عزير الذي زعموا انه ابن الله وقيل
تقديره ابنا رسل الله فانزل الله الاية جوابا لهم بقوله قل فلم يعذبكم الاية وقال الزجاج في تفسير
هذه الاية معناه ان كنتم تحبون الله اي اقصدوا طاعته اذ لا يصح تفسير المحبة فيها بما
تعارفه الناس وفي نسخة ان تقصدوا وهذا تفسير لمحبة الله فافعلوا ما امركم الله به الفاء
فصيحة اي اتبعوني فافعلوا الخ اذ محبة العبد لله والرسول اي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاللام عوض عن المضاف طاعته لهما باتباع امرهما ونهيهما ورضاه بما امرا بان يطيعه
ظاهرا وباطنا اذ لو لم يطعه باطنا كان منافقا ومحبة الله لهم اي لعباده ففسر محبة الله بعد
تفسير محبة عباده لذكرهما في الاية عفوه عنهم بمغفرة ذنوبهم وقدمه على قوله وانعامه
اي الله عليهم اي على عباده برحمته اهتماما به والرحمة في حق الله بمعنى الانعام وارادته
في حقه تعالى لان معناها الحقيقي لا يصح في حقه تعالى فالمراد بها هنا لطفه بعباده ورافته
بهم ويقال في تفسير محبة الله ومحبة عباده له ان الحب من الله عصمة اي حفظ الله
لعبده من مخالفة امره ونهيه والعصمة بمعنى مطلق الحفظ لا تختص بالنبي صلى الله عليه
وسلم فتكون لغيره ويجوز الدعا بها لكل احد كما تقدم والذي يختص به صلى الله عليه وسلم
دون غيره هو ان يخلق الله فيه جبلة تمنعه عن كل ما لا يرضاه الله وان لا يقدر احد على قتله
ونحوه واليه اشار بقوله وتوفيق اي خلق الله فيه قدرة على طاعة الله ومراقبته في السر
والعلانية حتى يمنع من المفخمات ومبدوه ميل نفساني يتعالى الله عنه والمحبة معناها طاعة
وانقياد لله ورسوله كما قال القايل اي معنى ما ذكر هو معنى قوله هذا الشارع وهو كما
في زهر الاداب للحصري محمود بن الحسن الوراق وقيل انه المنصور الفقيه وهو بليغ
مغلق كان في اول الدولة العباسية وكان كثيرا ما ياخذ حكم المعتقدين من الفلاسفة وغيرهم
فينظمها في شعر كقوله

اذا كان شكري نعمة الله نعمة ... علي له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر الا بفضله ... واذ طالت الايام والفضل للمولى
اذا مس بالسراء عم سرورها ... وان مس بالضراء اعقبها الاجرا
فانهما الاله فيه نعمة ... يضيق بها الاوهام والبر والبحرا
تقضى الاله وانت تظهر حمده ... هذا الهوى في القياس بديع
لولا حبراء صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

وفي معناه قول منصور الفقيه ايضا

غلطت فاحسني وجهلت بين ... وعمي لا يعد له بالجفون
طمع العبد في كرامة مولاه ... واصرا ره علي ما بين

ومعنى الشعر انك تدعي محبة الله وانت عاص له ولو كنت صادقا لم تعص لان المحب لمن يحبه والهمر بفتح الهاء الحياة كالهمر بضمها الا انهم في القسم التزموا فتحها لانه خبره محذوف تقديره قسمي والقياس لغة تقدير الشيء بذراع ونحوه وفي الاصطلاح شيء بشيء لمناسبة بينهما ويطلق بمعنى الدليل المعروف والمراد قياسه بفيه وبديع بمعنى غريب عجيب يعني ان المعاصي لا تضر المحب لان المحبة تأبى ان يؤاخذ احدهما الاخر وهو امر عجيب ومقتضى القياس ان المحب لا يعصي امر حبيبه ويجوز ان يراد القياس المنطقي كما قيل وهو تعلق ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه اي خوفه اذ الهيبة تأمر عظمة ومحبة الله له اي لعبده رحمته له اي احسانه واكرامه لان معناه الحقيقي لا يليق به فاريد به غايته ه وارادة الفعل الجميل له وتكون بالمثناة الفوقية وفيه ضمير المحبة وقيل انه بالتحتية والضمير للجميل والاول اولى بمعنى مدحه والثناء عليه اي على العبد قال القشيري الامام الزاهد ابو القاسم صاحب الرسالة وقد تقدمت ترجمته فاذا كان اي الرحمة وذكره لتاويله اولا تانيث المصدر غير مناسب معتبر لتاويله باعادة والفعل او الضمير للجميل بمعنى الرحمة والارادة عطف تفسير لان الرحمة تفسر بالانعام فتكون من صفات الافعال والمدح في كلامه الاتي كالثناء على المؤمنين في القرآن كان من صفات الذات اما الارادة فظاهر واما المدح فلانه يرجع وساتي بعد مبني على الضم لقطعه عن الاضافة اي بعد هذا في ذكر عجبه العبد غير هذا فاعل ساتي اي غير ما ذكرناه بحول الله تعالى اي باعانته وقوته لان الحول له معان منها هذا ثم ذكر حديثا سندا رواه الاجري شاهد الوجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم فقال حدثنا ابو اسحاق ابراهيم ياجعفر الفقيه ابن احمد شيخ المصنف قال حدثنا ابو الربيع عيسى بن سهل اصبغ بصاد مهملة وموحدة وغين معجمة حو حدثنا تقوم اداة جواب سهلة تذكرها المحدثون اذا اراد والتحول من رواية لرواية اخرى كما بينه ابن الصلاح ابو الحسن يحيى بن يونس بن مفيك بميم مضمومة وغين معجمة وياء تحتية ساكنة ومثلثة الفقيه بقراءتي عليه قال حدثنا حاتم بن محمد تقدم بيانه قال حدثنا ابو حفص الجهني نسبة لجهينة بصم فقيل بفتح مشهورة قال حدثنا ابو بكر الاجري بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم وتشديد الراء المهملة نسبة للاجر وهو الطوب المعروف وهو الامام الحافظ محمد بن الحسين وقد تقدم بيانه حدثنا ابراهيم بن موسى الجوزي بفتح الجيم وسكون الواو وزاي معجمة مكسورة وياء نسبة وهو ابو اسحاق الجوزي نسبة لجوزة قرية من قرى بغداد وعلى هذا اقتصر الحافظ الحلبي وقال القلقشندي انه كذا في اصل الدم وكذا وجده المزي في حذري بخاء معجمة

مضمومة

مضمومة وواو ساكنة وزاي معجمة نسبة لخوز جيل من الناس او قرية مشهورة قال حدثنا
داود بن رشد بالتصغير علم منقول وهو ابو الفضل الخوارزمي الحافظ الثقة روى عنه
اصحاب السنن وتوفي في شعبان سنة تسع وثلاثين ومائتين قال حدثنا الوليد بن مسلم
الحافظ ابو العباس عالم الشام صاحب التاليف الجليلة روى له اصحاب الكتب الستة
الا انه نسب الى التدليس وتوفي سنة خمس وتسعين ومائة وله ترجمة في الميزان
عن خالد بن معدان الحافظ الحمصي ثقة لكنه نسب الى القدرية حتى اخرج من حمص
وتوفي سنة ثلاث وخمسين ومائة عن خالد بن معدان الكلاعي الزاهد الفقيه الجليل
اخرج له اصحاب الكتب الستة توفي سنة اربع وثمانين ومائة وقيل انه كان يسبح في كل
يوم اربعين الف تسبيحة عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي كذا في النسخ وصوابه كما
قال البرهان الحلبي السلمي بضم السين المهملة وفتح اللام وهو ابن عنبسة وهو حافظ
ثقة توفي سنة عشرة ومائة وحجر الكلاعي حجر بمعنى بضم الحاء المهملة وسكون الجيم
وراء مهملة والكلاعي بفتح الكاف ولام والف وعين نسبة الى كلاع بزنة سحاب بلدة بالاندلس
وذو الكلاع من ملوك اليمن المسمين بالاذواء وهذه النسبة لاحدهما توفي سنة خمس وسبعين
وروى له اصحاب السنن عن ابي نجيح العرباض بعين مهملة مكسورة وراء مهملة ساكنة وباء
موحدة وضاد معجمة واصله الطويل وتقدم الكلام عليه ابن سارية بسين مهملة وياء
اخر الحروف صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الصفة سكن حمص في حديثه
في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اي في حديث وعظ فيه النبي صلى الله
عليه وسلم من كان في مجلسه من الصحابة وذلك ان عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عمرو السلمي
وحجر بن حجر قالا اتينا العرباض بن سارية وقوله ممن نزل فيه قوله تعالى ولا على
الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه وقلنا اتيناك زائرين وعائدين
ومقتبسين فقال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح ذات يوم ثم اقبل علينا
فوعظنا موعظة بليغة ثم ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل
يا رسول الله كان هذه موعظة مودع فماذا تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى الله والسمع
والطاعة وان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة
الخلفاء الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان
كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة رواه علي عن الوليد كذا قال الذهبي في تاريخه
ومن خطه نقلت واعلم ان الموعظة هي التذكير بما يحث على الطاعة وعليكم اسم فعل يتعدى
بنفسه ان كان بمعنى الزم كقوله عليكم انفسكم وبالباء ان كان بمعنى تمسك كما هنا والسنة
الطريقة مما هم عليه والخلفاء جمع خليفة وراشدين جمع راشد ضد الغاوي والمراد بهم
الاربعة ومن كان على طريقتهم كعمر بن عبد العزيز وائمة الاسلام المجتهدين في اعلى
كلمة الله وقوله عضوا الخ فعل امر والنواجذ بالذال المعجمة جمع ناجذ اقصى الاضراس
وهي اربعة او الانياب او التي تليها والمراد الاجتهاد في التمسك بها فهو استعارة تمثيلية
كما ذكر لا كناية ويجوز ان تكون استعارة تصريحية تبعية وقيل المراد بالنواجذ جميع
الاسنان هنا وقال البرهان عن المنذري انه يجوز اهمال داله وفيه نظر لمخالفته
لكتب اللغة واياكم تحذير اي احذروا المحدثات والرضا بها وهي جمع محدثة اسم مفعول وهو

ما حدث مما خالف الكتاب والسنة واجماع المسلمين والبدعة بمعناها وهي ما لم يعهد في عصره صلى
الله عليه وسلم وهي كما قال العز بن عبد السلام تنقسم الى واجبة ومحرمة ومندوبة ومباحة فالمندوبة
كتدوين الكتب وعلم النحو واللغة والاشتغال بذلك الربط والمدارس ومن المكروه تزويق المصاحف
والمساجد وتكبير العمايم وتوسيع الملابس ومن الواجب وفرض الكفاية تعلم علم العربية الذي
يتوقف عليه فهم كلام الله وكلام رسوله ولا ينافي هذا قوله كل بدعة ضلالة لان بدعة لها
معنيان كل ما حدث بعض العصر الاول وهو القسم للاقسام المذكورة ولذا قال صلى الله
عليه وسلم من سن سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها واليه الاشارة بقوله سنة الخلفاء
وقد خصها الشارع بما هو مذموم لعدم دخوله تحت القواعد الشرعية وهذا هو المراد
بالبدعة عند الاطلاق وهو الذي جعل ضلالة وفي عوارف المعارف واحيا الغزالي البدعة
المذمومة ما زاحم السنة الماثورة او كاد يفضي الى تغييرها وفي كتاب المدخل لابن الحاج
بيان لها شاف كاف **وزاد** على ما رواه العرباض **في حديث جابر** بن عبد الله رضي الله
عنهما الذي رواه مسلم **بمعناه** اي ملتبسا بمعنى حديث العرباض موافق له وليس المراد
انه رواية بالمعنى كما قيل **وكل ضلالة** اي ضال بارتكاب البدع المذمومة **في النار** اي معذب
بها او مستحق للعذاب وقيل انه متضمن لشكل منطقي منتج لما ذكر اي كل محدث بدعة وكل بدعة
ضلالة معذب مرتكبها فكل محدث ضلالة مستوجب للعذاب الاليم **وفي حديث ابي رافع**
الصحيح الذي رواه ابو داود والترمذي وابن ماجة وابو رافع هو الصحابي مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان قبطيا واختلف في اسمه فقيل ابراهيم وقيل اسلم وقيل
ثابت وقيل هرمز ولهم ابو رافع غير راوي هذا الحديث معدود في الصحابة ايضا
يروي **عنه عليه الصلاة والسلام لا الفين** نفي بمعنى النهي اي لا اجدن والفي بمعنى
وجد قال تعالى والفيا سيدها لدا الباب وروي لا الفين كما تقدم عن الام للشافعي
والصحيح رواية الاول وان صح هذا ايضا كانه لتحققه وجده هو بضم الهمزة وسكون
اللام وكسر الفاء وفتح المثناة التحتية وتشديد النون اي لا يفعل **احدكم** معاشر الامة
او الصحابة فعلا يكون هذا من سببه وهي نهي في الحقيقة عن التكبر والبطر **متكيا** اي
مايلا مسندا معتمدا وهو بالهمزة والياء ايضا وقد تقدم ان العامة لا تعرف المتكي الا من
مال في قعوده معتمدا على احد شقيه وتاؤه مبدلة من واو من الوكا **على اريكته**
هو سرير مزين يتخذ في قبة او بيت وليس مطلق السرير اريكة وقيل هو سرير في
حجلة وقيل كل ما اتكي عليه من سرير او فراش او منصة او مخدة مما يفعله المترفون
وجمعه ارايك وقال الراغب سمي به لاتخاذه من الاراك او لانه محل الاقامة
من اراك بالمكان اروكا اذا اقام به واصل الاقامة لرعي الاراك ثم تجوز به عن كل
الاقامة **ياتيه الامر من امري** اي شي مما امرت به فقوله **مما امرت به** تفسير لقوله من امري
بدل منه او من بيانية فيهما وقيل الثانية بمعنى الباء كقوله ينظرون من طرف خفي اي به
متعلقة بامري والامر الاول بمعنى الشان شامل للنهي وغيره والثاني مقابل النهي لقوله
او نهيت عنه فيقول لا ادري هذا الامر الذي نقلتموه لنا ولا اتبع ولا اعرف غير القران
ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه دون غيره مما روي في الاحاديث ولم يعرف ان ما في
الحديث عن الله ايضا وان الوحي وحيان متلو وغير متلو وان السنة لا تخالف الكتاب

وقد قال تعالى

وقد قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فهو تحذير عن ترك امتثال
امره واجتناب نهيه والعمل بهما وسنة رسوله لكتابه يجب اتباعه سواء تواترت ام لا وفي الحديث
الذي رواه الترمذي الا اني اوتيت القران ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على اريكته
يقول عليكم بالقران فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه وان ما
حرم رسول الله كما حرم الله الحديث ومعلوم ان هذه شبهة فاسدة مبطلة لكثير من الشرع
كشبهة الخوارج وفي حديث عائشة المروي في الصحيحين وما ذكره المص لفظ البخاري صنع
رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ياتي بيانه ترخص فيه اي ارتكب فيه الرخصة وترك
العزيمة والرخصة الامر المتغير من صعوبة الى سهولة كقصر المسافر صلاته وافطاره وهذه
انه صلى الله عليه وسلم كان يصبح جنبا وهو صايم فقال لا ارجوا ان اكون اخشاكم لله واتقاكم
وقيل هو ان بعض الصحابة سال ازواجه صلى الله عليه وسلم عن عبادته ليلا فلما اخبر
بها استقلها وقال انه غفر له ما تقدم وما تاخر فانا اصلي الليل كله وقيل ان بعضهم قال
اعتزل الناس ولا اتزوج وقال البرهان نقلا عن شيخه ابن الملقن ان افطاره صلى الله
عليه وسلم عام الفتح والكل صحيح هنا فتنزه اي تباعد قوم عن العمل بما ترخص فيه فبلغه
ذلك اي نقل له صلى الله عليه وسلم تنزه هولاء فخطبهم موعظة على عادته فحمد الله واثنى
عليه ثم قال ما بال قوم اي ما شانهم وحالهم وهو استفهام انكاري يتنزهون عن الشيء
حال كوني اصنعه فتركهم لمثله لانهم يظنون ان خوفهم من الله اشد من خوفي له لان الله غفر
لي ما تقدم وما تاخر ولم يكلفني ما كلفهم فوالله تاكيدا وتقريرا لقوله اني لاعلمهم بالله
واشدهم له خشية اي خوفا وقدم اعلميته به لان الخشية بمقدار العمل كما قال تعالى انما
يخشى الله من عباده العلماء فانكر عليهم ذلك لظنهم ان حالهم ليس كحاله وان ارتكاب
مثلهم الرخص يفضي الى عدم الخوف والتهاون بالعبادة وليس كذلك بل لان الله يحب ان
تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزايمه فانها صدقة تصدق الله بها عليهم لا يليق عدم قبولها
وقيل انه ليس محلا للانكار لكنه نزلهم منزلة المنكرين لما لاح عليهم من علامات الانكار وليس
بشيء وروي عنه صلى الله عليه وسلم كما رواه الديلمي وابو نعيم وابو الشيخ مسندا انه قال
القران صعب بسكون العين ضد السهل مستصعب بكسر العين اسم فاعل من استصعب الامر
بمعنى صعب وبفتحها من استصعب الامر بمعنى وجدته صعبا او صيره الله ايضا صعبا على
من كرهه اي لم يرد حفظه وتدبر اياته واما من احبه وتلذذ بتلاوته ودام على مدارسته
وتامله فيسهله الله عليه وهو اي القران الحكم بفتحتين اي الذي يحكم على الناس بما تضمنه
من الاحكام والحكم من الامثال فمن استمسك بحديثي المروي عني وفهمه وحفظه بتدبر
معانيه وضبط الفاظه جاء يوم القيامة محشورا مع القران اي اذا تمسك به وعمل بما فيه
وفيه استعارة بتشبيه العامل به بالمتمسك بشيء محكم وثيق لا ينقطع فانه حبل الله المتين والعروة
الوثقى كما ورد التعبير به عنه في الاحاديث وفيه اشارة الى ان الحديث لا يفارق القران
وانهما كشيء واحد لان السنة تبين القران ومجيئه معه اما بمجيئه مع اهله او مع نوره
او اعماله التي عمل بها منه او هو على ظاهره بان يجيء تاليا له فيشفع فيه ويقال له اقرا وارق
كما ورد في الحديث والمراد بالقران الفاظه لا الكلام النفسي الذي هو صفة ذاتية ومن
تهاون بالقران اي اعرض عنه ولم يوجه اليه فكره لاهانته او عده هينا وحرف بعدم

حفظه والعمل به فقد خسر الدنيا لانه يحيي جاهلا مهانا فقيرا والآخرة لفوات السعادة
والفوز بنعيمها كما قال الله تعالى ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم
القيامة اعمى الآية امرت بالبناء للمجهول اي امر الله امتي بان ياخذوا بقولي اي يتمسكوا
بحديثي ويعملوا به كما سياتي ويطيعوا امري بقوله واطيعوا الرسول ويتبعوا سنتي اي يقتدوا
بي ويسلكوا طريقتي وشريعتي السمحة كما قال واتبعوه لعلكم تهتدون فالعمل بسنته عمل
بالقرآن لانهما توأمان وفيه رد على من قال لا اعمل الا بالقرآن ونهي عن ترك السنة
وخبر الآحاد كما تقدم فمن رضي بقولي وعمل به فقد رضي بالقرآن لانه موافق له وغير موافق
مخالف له فهما كالشيء الواحد قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
عنه فارضوا بما رضيه واكرهوا بما اكرهه فان سنته مبينة وموضحة للقرآن فمن خالفه
فقد ضل ولذا قالوا من اراد تفسير القرآن فليتامله فان بعضه يفسر بعضا فان لم يجده فيه
فعليه باقوال الصحابة فانها في حكم المرفوع لانه صلى الله عليه وسلم كان يقريهم
القرآن ويبين لهم معانيه كما رواه ابن تيمية وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه
عبد الرزاق عن الحسن مرسلا بلفظ من استن بسنتي اي اتبعها وعمل بما فيها والمعنى
رواه بلفظ من اقتدى بي في سنتي وشريعتي فهو مني اي من اتباعي واشياعي الذين يحشرون
معي ويتصلون بي حتى كانهم بعض مني لا ينفصل عني ومن هذه تسمى من الاتصالية
كقوله صلى الله عليه وسلم لعلي انت مني بمنزلة هارون من موسى ومن رغب عن سنتي
اي تركها واعرض عنها يقال رغب عنه اذا كرهه وضده رغب فيه وسنته طريقته او احاديثه
المروية عنه الشاملة لاقواله وافعاله وتقريراته متقاربان معنى فليس مني هذا
تبرؤ منه كقوله ليس مقربا مني اي هو كافر على ملتي لاهانته الحديث وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ولم يخرجه السيوطي بهذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
احسن الحديث كتاب الله كما قال الله تعالى الله نزل احسن الحديث الآية وخير الهدي
بالنصب ويجوز رفعه هدي محمد بفتح الهاء وسكون الدال المهملة وتحتية وهو مصدر
بمعنى السيرة والطريقة من قولهم تهادى في مشيته قيل روايته هنا كما قاله القاضي
في الاكمال الهدي بضم الهاء وفتح الدال مقصورا والهداية بمعنى الدلالة والتاييد بالعصمة
وهذه هي التي تضاف الى الله وشر الامور محدثاتها بفتح الدال تقدم تفسيره وعن عبد
الله بن عمرو بن العاص في حديث رواه ابو داود وابن ماجة قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم العلم ثلاثة اقسام حصره فيها نقلنا العدد يفيد الحصر لعدم الاعتداد بغيرها
فما سوى ذلك وفي نسخة وما سوى ذلك فضل اي زائد لا حاجة اليه ولا يفتقر
اليه وتفسيره بالبقية غير سديد هنا والاظهر ما قيل ان المراد كل علم غير هذه الثلاثة
وما يتعلق بها وما يتوقف عليه فهو زائد لا ضرورة داعية لمعرفته ومعنى الفضل
في اللغة الزيادة كما علم آية من كتاب الله محكمة غير متشابه لقوله تعالى منه آيات
محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات او غير منسوخة لان المحكم يفسر بهذا ايضا كما قال
تعالى احكمت آياته ويجوز ارادته ايضا او سنة قائمة اي دائمة مستمرة يعني لم تنسخ
لدوام العمل بها او فريضة عادلة اي لا جور فيها وفسرت هنا بالاحكام المستنبطة من القرآن
والحديث شبه لها باعظم اقسامها او لانها استنبطت بالاجتهاد المفروض على هذه

الامة

الامة وسميت عادلة لمساواتها للنص او المراد بها فريضة المواريث وقسمتها وهو المشهور
وتطلق على ما يقابل العايلة وليس المراد هنا وفيه اشارة الى ان العلم اللازم العلوم الشرعية وهي
التفسير والحديث والفقه وعن الحسن بن ابي الحسن هو الحسن بن يسار البصري وقد تقدم
وهو حديث رواه عبد الرزاق عن معمر مرسلا والدارمي متصلا عن ابن مسعود عنه صلى
الله عليه وسلم وفي نسخة قال عليه الصلاة والسلام عمل قليل في سنة في هنا بمعنى مع لقوله
تعالى ادخلوا في امم اي موافق للسنة ومصاحب لها وان قل خير من عمل كثير في بدعة وان كثر
لزيادة نفعه وكثرة ثوابه والتعبير بفي اشارة الى انه يراعي السنة في جميعه عددا وهيئة حتى
يحيط السنة به وقيل انه لمصاحبته للسنة وتمكنه فيها شبه بالظرف والمظروف وهذا كمن تهجد
منفردا ركعتين ولم يصل الصلوات التي ابتدعها بعض الصوفية بجماعة كالرغايب ووجهه ظاهر
وخير اسم تفضيل يقتضي الخيرية في البدعة بحسب ظاهره وليست مرادة وانما عبر بها هنا بناء
على اعتقاد فاعلها القربة فيما فعله وقيل المراد الابتداع بالاعمال التي لها اصل في العبادة
كوصال الصوم وما اشبهه وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة الواحدة
وان قلت تمسك بها اي امتثلها وعمل بها مخلصا وعن ابي هريرة في حديث رواه الطبراني
في الاوسط المتمسك بسنتي اي العامل بها والسالك طريقتي عند فساد امتي اي تغير احوالها
وتركها امور الدين واتباع البدع وذلك في اخر الزمان له اجر مائة شهيد فيه اشارة الى ان المراد
بالتمسك بها العمل بها وامر غيره بالعمل ايضا فيامر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو الجهاد
الاكبر وايضا هو تجاهد نفسه حتى يترك ما الفه الناس ومثله مما يرغب الناس عنه فيوذيه
اشد الاذى فلذا اعطي ثواب الشهداء وجعله اجر مائة شهيد للتكثير او للاشارة الى ان اكثر
ما يقاومه عشرة والحسنة بعشر امثالها وقيل ان الشهيد من في منزلته بترك الدنيا
وبذل نفسه في نصرة الدين وثناء غيره عليه ودعائه له ومن وفقه الله مع فساد عصره واهله
فقد اختار دار البقاء على دار الفناء وارتكب المشاق بمخالفة الناس والتقوى بين الفجار
كالمعصية بين الابرار كما ان الجود بين اللئام يعز عزة البخل بين الكرام كما قيل

رايت عبيد الله اكرم من مشى ... واكرم من فضل يحيى بن خالد
اولئك جادوا والزمان مساعد ... وقد جاد ذا والدهر غير مساعد

وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي ان بني اسرائيل افترقوا اي صاروا
فرقا واسرائيل لقب يعقوب بن ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام واليه انتسب كل من كان
قبله وهم قوم مشهورون على اثنين وسبعين ملة اي مذهبا او دينا لان الملة والدين بمعنى
وان افترقا مفهوما واستعمالا وقد تقدم تفصيله وان امتي تفترق على ثلاث وسبعين
فرقة مختلفة الاعتقاد والمذاهب وروي فرقة مكان ملة وفي الحديث روايات مختلفة
كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله هكذا روي قالوا وعاطفة على مقدر
اي هذا عددهم ومن هم او هي زايدة قال هم الذين على الذي انا عليه واصحابي
وفيه معجزة له صلى الله عليه وسلم لاخباره بالغيب فان ذلك لم يكن في عصره ولا عصر
الخلفاء الراشدين من بعده وقد وقع ذلك كما قال وهذا باعتبار اصول الفرق فان شعبها
كثيرة وقد الف في بيانها تاليف اجلها كتاب الملل والنحل للشهرستاني وقد عدوها فكانت
كما ذكر صلى الله عليه وسلم وهم اهل السنة والشيعة والخوارج والمعتزلة ونحوهم من الفرق

وطائفها واصنافها مما يطول ذكره والمراد بكونهم في النار انهم مستحقون للعذاب دون الخلود
الا ان يكون في اعتقادهم ما يقتضي الكفر كبعض غلاة الرافضة والفرقة الناجية اهل السنة
والجماعة لاتباعهم القران والحديث في الاعتقاد من غير ارتكاب تاويلات بعيدة وزعم الطوسي
وابن مطهر انهم الامامية ورده الجلال الدواني في شرح العقايد كما بيناه في حواشيها ومطابقة
الجواب للسوال ظاهرة من غير احتياج للتاويل كما توهم وعن انس رضي الله عنه قال صلى الله
عليه وسلم في حديث رواه الاصفهاني في ترغيبه وغيره من احيا سنتي اي اظهرها بالعمل
بها والحث على اتباعها جعل ذلك بمنزلة الاحيا ففيه استعارة تبعية او مكنية وتخييلية وهو
كالحديث الذي رواه ابو هريرة لان المراد اظهارها بعد تركها فقد احياني اي اظهر ذكري
ورفع امري فجعله بمنزلة احيائه كما قيل

وتحسبه قد عاش اخر دهره الى الحشر ان ابقى الجميل من الذكر

ومن احياني ببقاء ذكري وشرعي كان اي تحقق ان جزاه ان يكون معي في الجنة والمراد
دخوله فيها وعلو مرتبته لا مساواته فيها وحذف ظرف المعية من الزمان والمكان تفخيما
له لتذهب نفسه كل مذهب وعن عمرو بن عوف بن زيد ابن مليحة المزني الصحابي
وهو قديم الاسلام شهد المشاهد وتوفي في زمن معاوية وهو منسوب لمزينة قبيلة
مشهورة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال ابن الحارث بن عاصم بن سعيد بن
قرة بن مازن ابو عبد الرحمن المزني الصحابي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم مع وفد
مزينة وسكن ورا المدينة وتوفي سنة ستين وسنه ثمانون سنة من ايا سنة من سنتي قد
اميتت بعدي اي تركت وترك العمل بها فشبه الترك بالموت لاشتراكهما في العدم وسنته
طريقته وشريعته فهي تشمل السنن وغيرها فلا وجه لما قيل الظاهر سنتي بصيغة الرواية
بالافراد والاماتة ضد الاحيا وتختص بالحيوان حقيقة كان له من الاجر اي الثواب مثل من
عمل بها فيه مضاف مقدر اي اجر من عمل بها من غير ان ينقص ذلك اي الاجر الذي
له من اجورهم شيا دفعا لتوهم انه يعطي من ثوابهم فينقص اجرهم ومن ابتدع بدعة ضلالة
وفسرها بقوله لا ترضى الله ورسوله لانها بدعة غير مرضية كان عليه مثل اثام بالمد
جمع اثم وهو الوزر من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار الناس شيا وهذا رواه الترمذي
وابن ماجة وحسنه وفي من الموصولة من العموم ما لا يخفى وكذا قوله شيا وقوله بدعة
ضلالة بالاضافة والتوصيف ولا ينافي قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى لان هذا وزره
الخزي وكسبه لانه يعلمه سنها لهم وارشدهم لفعلها وحسنها لهم فكان في قوة الامر
لهم كما ذكره شراح الحديث وقيل المراد ان عليهم اثما بالغا في المقدار مثل اثام العاملين
بها من جهة انه كان طريقا لهم في العمل بها ولذا غاير بين المقامين لفظا فقال فله من
الاجر مثل الخ ولم يقل عليه من الاثم انتهى ولا حاجة لما طوله وتحقيقه انه كان سببا في
الخير والثاني سببا لضده والسبب منزل منزلة الفاعل فله ماله وعليه ما عليه اي مثله
وفي الحديث الدال على الخير كفاعله كمن حفر بيرا فوقع فيها غيره فانه يضمن في بعض الصور
وهو لا ينافي الاية اما لان المراد بها ان وزر غيره لا ينتقل له او لانه مخصوص بغير
السبب بالاحاديث المذكورة واخذ من الخبر المذكور ان الداعي الى الاثم كفاعله وقد صرح
به في بعض الروايات قال شيخ والدي الشهاب ابن حجر في شرح المشكاة لكن لو تاب الداعي

الى الاثم

الي الاثم لفاعله وقد صرح به في بعض الروايات قال شيخ والدي الشهاب ابن حجر في شرح المشكاة
لكن لو تاب الداعي الي الاثم وبقي العمل به فهل ينقطع اثم دلالته بتوبته لان التوبة تجب ما قبلها
او لا لان شرطها رد الظلامة والا فلا وما دام العمل به لا لته موجودا فالفعل منسوب اليه
فكانه لم يرد ولم يقلع كل محتمل ولم ار في ذلك نقلا والذي ينقدح الان الثاني انتهى وفيه نظر
ظاهر **فصل واما ما ورد عن السلف** الصالحين يعني
الصحابة والتابعين في اول القرون واما اشارة الي انه قسيم لما قبله مما في القران والحديث
ولذا قال ورد **والايمة** يعني من بعدهم من العلما والمجتهدين **من اتباع سنتنا** اي طريقته وهو بيان
لما وفي نسخة في اتباع متعلق بورد بمعنى جا **والاقتدا بهديه وسيرته** عطفه تفسير لما قبله
وهديه وسيرته بمعنى وهو الهيئة والطريقة ايضا **فحدثنا الشيخ** اصل معناه الكبير سنا ثم شاع
عرفا بمعنى وهو الهيئة والطريقة ايضا من كان قدوة مفيد الطلبة العلم لانه في الغالب يكون
مسنا وهذا مما استعمل قديما واول من اطلق عليه شيخ الاسلام الصديق رضي الله عنه كما قاله
السخاوي رحمه الله **ابو عمران بن عبد الرحمن** الرعيني علامة عصره بالغرب وقد تقدمت
ترجمته **ابن ابي تليد** بفتح المثناة الفوقية منقول من تليد بمعنى قديم **الفقيه سماها**
عليه وهذا الحديث من احاديث الموطا ورواه النسائي وابن ماجة **قال حدثنا ابو عمر الحافظ**
هو ابن عبد البر وتقدم بيانه **قال حدثنا سعيد بن نصر** تقدمت ترجمته **قال حدثنا قاسم**
بن اصبغ بضم الغين المعجمة كما تقدم **ووهب بن ميسرة** كذا في بعض النسخ بتحتية بعد الميم
وقال التلمساني انه مسرة مفعلة من السرور ووهب يحرك ويسكن وهو وهب التلمساني
ابن مسرة بن مفرج بن بكر التميمي مات بقرطبة منتصف شعبان سنة اثنين واربعين وثلاثمائة
انتهى **قالا** بالتثنية وهو الصحيح وروي قال اي كل واحد منهما او اكتفا باحدهما **حدثنا**
محمد بن وضاح تقدم ايضا **قال حدثنا يحيى بن يحيى** الليثي راوي الموطا **قال حدثنا مالك**
امام دار الهجرة الغني عن البيان **عن ابن شهاب** محمد بن مسلم الزهري وقد تقدم بيانه **عن رجل**
من آل خالد اي اهله وقومه وهو غير مسمى فقال الحلبي لا اعرفه وقال التلمساني هو امية
بن عبد الله بن خالد بن اسد بفتح الهمزة وكسر السين او بضمها وفتح السين والاول اصح وهكذا
رواه مالك ولم يدخل بينه وبين ابن شهاب احد ورواه الليث بن سعد فسمى الرجل وادخل
بين ابن شهاب وامية عبد الله بن ابي بكر وامية هذا يروي عن ابن عمر توفي سنة سبع
وثمانين انتهى وقال القرطبي في تفسيره انه يعني بن امية بن عبد الله الخ وخالد هو **ابن**
اسيد بفتح الهمزة وكسر السين على ما مر ويا ودال مهملة وهو ابن ابي العيص بن امية بن
عبد شمس اخو عتاب **انه سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلاة الخوف**
وصلاة الحضر بفتحتين اي الصلاة من غير قصر مذكورة **في القران ولا نجد صلاة السفر**
المقصورة في القران **فقال ابن عمر** في جوابه **يا ابن اخي** كما يقال للكبير يا ابي ويا عمي
ان الله بعث الينا محمدا اي نبا مرا رسله صلى الله عليه وسلم **ونحن لا نعلم شيئا** من امور الدين
فانا نفعل كما رايناه يفعل وروي ما رايناه بدون كاف وما موصولة او مصدرية اي نقتدي
به في ما جا به وهذا هو المقصود هنا اما صلاة الخوف فقد ذكرت في القران وهي سنة خلافا لمن
قال انها مخصوصة به صلى الله عليه وسلم واما قصر الصلاة سفرا فقد ذكرت في القران
في قوله لا جناح عليكم ان تقصروا من الصلاة لكنها مقيدة بقوله ان خفتم الاية ولذا سالوا

عنها الا ابا اطلاقها مبين بالسنة فقد سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصرها فقال
تلك صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وقد يذكر الله شيا مقيدا بشرط ويبيحه على
لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من غير شرط وقد ورد فيها احاديث اخر وقال ابن عمر بن عبد
العزيز الخليفة العادل الزاهد المشهور رضي الله عنه سن رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي اتى بافعال واقوال وطريقة شرعها هو وولاة الامر بعده بضم الواو جمع وال وهو
يتولى امور الناس والمراد بهم هنا الخلفا الراشدون سننا جمع سنة الاخذ بها اي العمل
بها واتباعها تصديق بكتاب الله بالبا واللام لانه امر بالعمل بها واتباع سبيل المومنين واستعماله
لطاعة الله لان طاعتهم طاعة له في الحقيقة لانهم لا يقولون شيا من عند انفسهم وانما يقولون
ما رووه عنه صلى الله عليه وسلم او ما استنبطوه من الكتاب والسنة وقوة على دين الله ليس
لاحد تغييرها اي تغيير تلك السنن بوجه من الوجوه ولا تبديلها ببدل لها يغايرها وهو
اخص من التغيير لشموله الزيادة والنقص ويجوز ان يكونا بمعنى ولا النظر في راي من
يخالفها اي لا يلتفت اليه ولا يعتبر ما خالفها اصلا وليس المراد بالنظر حقيقته حتى يقال
يجوز ان ينظر فيه ليرده من اقتدى بها اي عمل بتلك السنن فهو مهتد لانهم على هدى
من الله ومن انتصر بها فهو منصور على من خالفه ومن خالفها واتبع غير سبيل المومنين
غير ما هم عليه من اعتقاد او عمل ولاه الله ما تولى اي جعله واليا لما تولى من الضلال وخلى
بينه وبين ما اختاره من الضلال واصلاه جهنم ادخله فيها وساءت مصيرا جهنم وفي ذلك
دليل على حرمة مخالفة الاجماع وقال الحسن بن ابي الحسن هو الحسن البصري كما تقدم
عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة تقدم هذا وقد بينا معناه قليل ولا تكرار فيه لانه
ذكره اولا خيرا وذكره هنا اثرا وفيه نظر وقال ابن شهاب الزهري بلغنا عن رجال من اهل
العلم انهم قالوا الاعتصام بالسنة اي التمسك بها نجاة مما يخافه المرء في الدنيا والاخرة
وفي القاموس اعتصم بالله امتنع بلطفه عن المعصية اي من تلبس بالسنة حفظه من ان يقع في
معاصي الله وفيه حث على حفظها والعمل بها وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى عماله
ونوابه وامرهم بتعلم السنة اي ما روي عنه صلى الله عليه وسلم من اقواله وافعاله
في اسفاره واقامته والفرايض اي قسمة المواريث لانها نصف العلم وفقدها من اشراط
الساعة واللحن بفتح اللام وسكون الحا المهملة وفسرها بقوله اي اللغة والمراد بها لغة
العرب وما يتعلق بها من الاعراب وعلمي البلاغة وقال الزهري معناه تعلموا لغة
الفرايض العرب في القران واعرفوا معانيه واللحن بسكون الحا كما علمت وقد تفتح له معان
منها التفريط وفحوى الكلام كقوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول والخطا في الاعراب وقال
الزمخشري معنى اللحن في كلام عمر رضي الله عنه وقوله تعلموا اللحن الغريب واللحن علم
الغريب الواقع في القران والحديث ومن لم يعرفه لم يعرف اكثر كلام الله وسنة رسوله صلى الله
عليه وسلم وهذا رواه سعيد بن منصور في سننه فاللحن من الاضداد ومن معانيه الفطنة
وقال ابن الاعرابي ان اللحن بالسكون الفطنة والخطا وقال غيره من اهل اللغة الفطنة بالفتح
والخطا بالسكون وقال اي عمر رضي الله عنه في اثر اخر رواه عنه الدارمي ان ناسا يجادلونكم
يعني بالقران اي يخاصمونكم وينازعونكم في بعض الاحكام التي قلتم بها فيقولون القران
فيه ما يخالفكم نظرا لظاهره مما بينته او خصصته او نسخته السنة فحدوهم اي حجوهم واغلبوهم

بالسنن

بالسنن الواردة عنه صلى الله عليه وسلم فان اصحاب السنن اي علما الحديث ونقاده اعلم
بكتاب الله اي بمعاني القران ممن يتمسك بظواهر القران لمعرفتهم بناسخه ومنسوخه ومخصصه
وماوله فان تفسير القران انما يعلم من السنة وفي خبره اي خبر عمر الذي رواه عنه مسلم حين صلى
عمر رضي الله عنه بذي الحليفة بضم الحا المهملة ولام وفا بصيغة المصغر اسم مكان على ستة
او سبعة او اربعة اميال من المدينة من جهة الشام وهو ميقات اهل المدينة والشام
الذي يحرمون منه ركعتين اختلف فيهما والاصح انهما سنة لمن اراد ان يحرم بنسك موكدة عند
اكثر الفقها في تركهما فوات فضيلة من فضايل الاحرام ولم يخالفه فيه الا الحسن البصري
فانه استحب كونه بعد صلاة فرض لانه روي انها كانت صلاة الصبح والصحيح غيره ولو كان
كذلك لم يسال عنها ولم يحتج لقوله فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع
فاقتدي باثاره وكل ما صنعه وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه في اثر رواه عنه البخاري
والنسائي حين قرن بين الحج والعمرة في حجة حجها فقال له اي لعلي عثمان بن عفان وهو
خليفة اذ ذاك وفي نسخة فقال له عمر والصحيح رواية ان القايل له عثمان رضي الله عنه كما في
الصحيحين وغيرهما فهذا وهم من الناسخ تراني وفي نسخة ترى اني اي تعلم وتشاهدني
وانا انهى الناس عنه اي عن القران وتفعله انت فانكر عليه عدم اتباعه له قال علي
لعثمان رضي الله عنهما ادع واترك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد من الناس
اي لاجل احد من الناس خالف فعله فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقتدي بغيره مع
علمي بما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم والحديث عن مروان بن الحكم قال شهدت عثمان
وعليا رضي الله عنهما وعثمان ينهى عن المتعة وان يجمع بينهما وعلي رضي الله عنه اهل بهما
وقال لبيك بعمرة وحجة فلما كلمه عثمان في ذلك قال له ما ذكره المص والمتعة تستعمل
بمعنيين احدهما ان يحرم بالعمرة ثم يحرم بالحج كالمكي فالعطف من عطف المتغايرين وان
يجمع بين الحج والعمرة معا باحرام واحد والعطف على هذا تفسيري وهذا هو المراد كما هو
مصرح الحديث واحتمال ارادة الاول كما قيل باباه الحديث وسمي متعة لما فيه من ترك
السفر والاحرام مرتين وكل منهما وانما نهى عن ذلك لترك الافضل عنده وعلي رضي الله
عنه انما خالفه لاعتقاده خلافه للافاقي او لئلا يتوهم احد انه ممتنع وكل منهما مجتهد موجود
وهذا مبني على مسيلة اصولية وهي انه اذا وقع الاختلاف في عهد الصحابة في حكم شرعي هل
يصح الاجماع بعدهم على احد قول الصحابة فذهب احد واكثر الاشاعرة والشافعية ان حكم
الخلاف لا يرتفع وذهب الغزالي وبعض الشافعية واكثر الحنفية الى ارتفاع الخلاف كبيع ام
الولد فان الصحابة اختلفوا فيه ثم اجمع الفقها على منعه وفيه بحث وهذا الخلاف بين علي وعثمان
مبني على الاختلاف في حج رسول الله صلى الله عليه وسلم او على ما روي من ان عثمان
رضي الله عنه لما كلم عليا كرم الله وجهه في ذلك قال له علي قد علمت انا تمتعنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اجل ولكنا كنا خايفين يعني ان فعله ذلك لعارض لانه
الافضل وروي ان عثمان رجع لما قاله علي وقال ما كنت لادع عليا لكنه مما تفرد به
مسلم وكان الكلام بينهما بعسفان وهو اسم موضع معروف وعنه اي مما روي عن علي
رضي الله عنه ولم يذكروا من رواه عنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي بالبنا للمجهول
ولكني اعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما استطعت اي ما لم اضطر الى

الي خلافهما فان الضرورات تبيح المحظورات وفي نسخة سنة نبيه وكان ابن مسعود رضي الله
عنه يقول في اثر رواه الدارمي والطبراني عن ابي الدرداء القصد اصل معني القصد التوجه
الي جهة ويطلق علي استقامة الطريق ثم شاع في الاعتدال بين الافراط والتفريط كما قاله
الراغب وهذا هو المراد في السنة اي في سلوك طريقة رسول الله صلي الله عليه وسلم
خير من الاجتهاد اي الاكثار منه وبذل الجهد والطاقة في العمل الملتبس بغيرها وهو معني قوله
في البدعة وتقدم تفسيرها وانها تنقسم لواجب وسنة ومحرم ومكروه كما قاله ابن عبد السلام
وقال ابن عمر رضي الله عنهما فيما رواه عبد بن حميد في مسنده بسند صحيح صلاة السفر اي
المقصورة فيه وجوبا او استحبابا ركعتان من خالف السنة اي طريقة رسول الله صلي الله
عليه وسلم في قصر الصلاة سفرا كفر اي صار كافرا ان قصد مخالفة فعله صلي الله عليه وسلم
عنادا او انكر جواز فعله والا فهو بمجرد الاتمام مبتدع عند ابي حنيفة رحمه الله وبعض
الفقهاء وقيل الكفر بمعني كفران النعمة التي انعم الله بها عليه من احسانه عليه بتسهيل امره
وقال ابي بن كعب رضي الله عنه فيما رواه الاصفهاني في ترغيبه وغيره وابي هو المنذر النجاري
الانصاري الصحابي توفي سنة تسع عشرة علي الاصح وقيل سنة اثنين وثلاثين في خلافة عثمان
عليكم هو هنا اسم فعل بمعني التزموا وتمسكوا بالسبيل اي طريق الله وصراطه المستقيم وهو
العمل الخالص تقربا الي الله تعالي والسنة اي طريقة رسول الله صلي الله عليه وسلم وهديه وقدم
السبيل اهتماما بالاخلاص ان لم نقل ان العطف تفسيري وهو جائز فانه تعليل للحث علي
التمسك بالسنة والضمير للشان ما علي الارض الظاهر ان المراد بمن عليها كل موجود من الاحياء
العقلاء من هذه الامة من عصره الي يوم القيامة وقيل المراد به من كان موجودا في عصره من
الصحابة وخصهم لانه قرنه خير القرون وثوابهم اكثر من ثواب غيرهم والظاهر ما قدمناه
لما مر من ان العامل بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد من عبد من زائدة للاستغراق
علي السبيل والسنة متمسك بها والسبيل كالطريق يذكر ويؤنث وجعله لتمكنه كانه راكب
مستصل عليها فهو تمثيل ذكر الله صفة مخصصة لعبد ففاضت عيناه اي فاض ما عينيه
ببكائه من خشية الله وخوفه وفي نسخة من خشية ربه فيعذبه الله ابدا اي الا لم يعذبه
الله ابدا ولا يدخله النار وان كان مذنبا ولا يعذبه في قبره ايضا ويعذبه بالنصب في جواب
النفي المحض كقوله لا يقضي عليهم فيموتوا وما علي الارض من عبد علي السبيل والسنة اي
متق سالك طريقة رسول الله صلي الله عليه وسلم ومصدقا به في اقواله وافعاله ذكر الله
في نفسه اي احضر الله في قلبه وفرغ فكره وذهنه لملاحظة ربه وجلاله وعظمته والظاهر ان
هذا بمجرد التصور من غير لفظ لمقابلته للذكر قبله والذكر المذكور المراد المقارن للفكر
لانه لا يفيض ما عينيه الا لتصوره ولحضاره في قلبه وقيل ان هذا يحتمل التصور المجرد والمقارن
للذكر اللساني ولا يخفي ما فيه فاقشعر جلده اقشعر بالتشديد اي اخذته قشعريرة وهي
الرعدة كما في القاموس من خشية الله اي من شدة خوفه قال الراغب الخشية خوف
يشوبه تعظيم واكثر ما تكون عن علم بما يخشي منه ولذا خص العلماء بها في قوله تعالي
انما يخشي الله من عباده العلماء انتهي الا كان مثله بفتحتين اي صفته وحاله العجيبة هـ
كمثل بفتحتين اي كهذه الصفة شجرة ذات اغصان وورق قد يبس ورقها
صفة شجرة وانما وصفها بهذا توطئة لكثرة قديمة فهي كذلك اي فهي دائمة قائمة علي هذه

الحالة

الحال الذي قدم اورا قها ويبسها واصله مثبينها هي كوليدع **اذا صابتها ريح سذبية** والريح مونثة
فتحات عنها ورقها اي سقط وفي القاموس حتة فركه وقشره فانحت وتحاتة والورق
هنا المغفرة وعبر بها على طريق الاستعارة وعبر بها لمناسبة المشبه **وحطايا** ه المراد بالحط
وهي الذنب وهذا بدل من الاول وما معها وكرر الاسم البدل لتاكيد البعد المسافة باعتراض
المثل وقيل انه استيناف جواب المقدر كانه قيل ماذا يترتب على اقشعراره من الخشية مع مراعاة
المثل فقيل الحط عنه خطاياه **كما تحات** اصله تتحات مضارع بمعنى تسقط **عن الشجرة**
ورقها وان اقتصادا اي اعتدالا وتوسطا من غير تفريط كما تقدم وهو اشتمال مر القصد
وهو تعليل لما تضمنه ما قبله من مغفرة الذنوب الكثيرة بمجرد ذكر الله او تذكره مع الخشية
والخشية وهو قليل ظاهرا وان كانا عظيما في نفسه **في سبيل الله وسنة** عبر بالظرفية
خير مما اجتهاد اي زيادة وبذل جهده وطاقته **في خلاف سبيل الله وسنته** اي بدعة تخالفه
لسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وتقدم تفسيره **وانظروا** المراد بالنظر هنا التدبر والتامل
وهذا تتميم لما قبله وتاكيد له **ان يكون عملكم اذكارا واقتصادا واجتهادا** اي تدبروا في
جميع اعمالكم قليلة كانت وكثيرة سواء التمتم فيها او لم تفعلوا **لا تكون** اعمالكم كلها هجوما ما تبدره
لا شرطية مكسورة **على منهاج الانبياء** اي على طريقتهم والمنهاج والمنهج بمعنى الطريق
الواضح **وسنتهم** اي طريقتهم وشريعتهم وعبر بالانبياء والمراد منهاج نبينا صلى الله عليه وسلم
اشارة الى ان منهاجه جار على منهاجهم غير مخالف له كما قال تعالى فبهداهم اقتده
وجر به باعتبار التوحيد والعقائد الحقة والاعمال الصالحة والاخلاص لا لانا مامورون
باتباعهم فيما لم يرد فيه نص على قولهم وافعالهم واذكارهم صلى الله عليه وسلم نفسه كذلك **وكتب عمر**
عماله عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وعماله بضم العين وتشديد الميم جمع عامل وهو الامير
المولى من جانب الخليفة لعلمه في الاموال والمصالح **الى عمر حال بلده** اي يخبره بحال
بلده الذي ولاه عليها وهي حمص كما قالوه **وكثرة لصوصه** عطف تفسير حال الجمع لقن بتثليث
اللام وهو السارق وقاطع الطريق وغيرهما ممن ياخذ اموال الناس بالباطل وهذا رواه
الاكثار في السنة كما قاله السيوطي رحمه الله **هل يخافهم** اي يحبسهم ويعاقبهم **بالظنة** بكسر
الظاء المعجمة المشالة وتشديد النون اي بمجرد الظن بانهم لصوص **وكيلهم** اي يطلب منهم
ويكلفهم **على البينة** كما في قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها اي تكلفوا حملها
كما قاله الراغب وضمير يكلفهم للصوص وضمير يحملهم للمدعين عليهم المعلوم من السياق
وعداه بعلى باعتبار معناه الاصلي كما تقدم **وما جرت عليه السنة** اي ما اقتضته الشريعة
من لزوم الثبوت بالبينة ونحوه مما يترتب عليه الحكم دون السياسة المحضة واذا كان ذلك
يكون للحاكم في بعض الاحيان **فكتب اليه** اي الى عامله **عمر** بن عبد العزيز رضي الله عنه
خذهم اي احكم عليهم **بالبينة وما جرت عليه السنة** اي ورد واستمرت عليه **فان لم**
يصلحهم الحق اي حكم الشريعة دون السياسة والتهم **فلا اصلحهم الله** اي ينتقم منهم اذ لم
يوفقهم لهذا الخير وهذا من شدة تقواه وانقياده للشريعة واحكامها قيل فكان من ثبت
عليه سرقة بشهادة قطع يده فماه ان الحول فيها صادق **وعن عمر** في تفسير قوله تبارك

وتعالى فان تنازعتم اي اختلفتم ايها الناس في شيء من امور الدين فردوه اي ارجعوا فيه الى الله والى
الرسول اي الى ما قالاه اي الى كتابه الله وشريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا مؤيد
لما قاله عمر رضي الله عنه ولما سلف منه وهذا لا ينافي ما ذكره الفقهاء من حبس المتهم وضربه
حتى يقر وانه قد يحمل باقراره كما ذهب اليه مالك وغيره فانه استحسان منهم اذا قويت التهمة
واقتضته الحال كما فصله الفقهاء وما قاله عمر رضي الله عنه شي اخر وعطاء بن ابي رباح من
للفسر كاذ ما كبا دالنا بعين وتو في سنة خمس عشرة ومائة وقال الشافعي امام المشهور امام الائمة
وسلطان الامة ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لم يثبت في حديث في شريعته
الا اتباعها اي اتباع السنة والعمل بها وكاذ يقول اذا صح الحديث فهو مذهبي واذا خالف قولي
الحديث فاضربوا بقولي عرض الحايط وهذا شهد ايمتنا الشافعية رضي الله عنهم وقال عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه كما رواه عنه الشيخان وقد تطوا في الحجر الاسود في طوافه والجملة حالية بتقدير
قد او معترضة منه مؤذنة بانه قد علم ذلك حال مشاهدته له انك حجر لا تضر ولا تنفع اي لا
تقدر على ضر ونفع بالذات وانما كاذ الله جعله سبب الاجابة الدعا عنده وتستحبه
ولولا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك اي في طوافه وانما اكتفى
بتقبيله لانه انزل من الجنة وكاذ ابيض كالثلج فسودته خطايا بني ادم كما رووه ثم قبله عمر
بعد ما ذكر وروي الحاكم ان عليا رضي الله عنه كاذ بخلف عمر فلما سمع قوله هذا قاله بل يضر
وينفع فان الله لما اخذ الميثاق على بني ادم في عالم الذر كتب ذلك في رق واقمه الحجر الاسود اي يوم القيمة
وله لسان يشهد به لمن استلمه بالتوحيد ووفائه بالعهود وروي ان ذلك ذكره صلى الله
عليه وسلم فاقره وقد قالوا ان عمر رضي الله عنه كاذ دعالما بذلك ولكنه قال ما لهذا واسهم
لقرب عهدهم بالجاهلية وعبادة الحجارة فخشي ان يصلوا ويعتقدوا فيها قاله عليه
وقد ورد ان الحجر الاسود يمين الله في ارضه اي وضعه في الارض ليقبل كما تقبل اليد اليمنى
دون اليسرى تكريما لها وان تقبيله يفيض الانعام والرضى كتقبيل يد العظماء فهو استعارة
والاضافة للتشريف كبيت الله وفيه رد على من قال ان الحجر الاسود له خاصية في ذاته كخاصة
المغناطيس لجذب الحديد وفي الحديث من الاحكام انه يكره تقبيل ما لم يرد الشرع بتقبيله
كما يفعله بعض العوام من تقبيل قبور الاولياء والاماكن المباركة وقول الشافعي رضي الله عنه
كل مكان قبل من البيت حسن لم يرد به استحبابه وانما اراد اباحة لها المباح حسن عند بعض
الاصوليين ورئي مبني للمجهول براء مهملة مضمومة وهمزة مكسورة وياء مفتوحة وقال
ابو عمر رؤف الثبوت قيل فقيه ما قيد من اللغات واخره همزة والطلب الكاتبي وتبعه
بعضهم فان ساعدته رواية فيها ونعمت والا فهو تكلف لا حاجة اليه عبد الله بن عمر الصحابي
المشهور رواه عنه احمد بن حنبل والبزار بسند صحيح يديرنا قته في مكانا وهو راكبها
اي يلفت وجهها او بطيقها حولها حتى عادت لوضعها الاول وسئل عن فعله ذلك لاي
شيء هو فقال لا ادري وجهما فعلته وحلفته الا اني رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفعله اي يديرنا قته في هذا المكان فعلته اقتدا به صلى الله عليه وسلم وفيه انه
يستحب الاقتدا بافعاله صلى الله عليه وسلم تبركا وتيمنا الا ان قيل اذا صدر عنا ما يحتمل
انه اتفاقي بمقتضى الجبلة البشرية لا بنية التعبد هل يستحب فعلهم لا فذهب الاكثرون الى انه
لا يستحب اذ انه لا باس به وهو الظاهر واما غيره فيكره الاقتدا به في مثله كما يفعله بعض

الصوفية

الصوفية في اتباع آثار مشايخهم وما هذا القبيل ليس الخرقة ونحوه فاعرفه **وقال ابو عثمان**
الحيري شيخ الصوفية بنيسابور هو بكسر الحاء والراء المهملتين وبينهما تحتية ساكنة وفي آخره
باء نسبة مشددة نسبة للحير قاسم محلة بها كان يسكنها وهو ابو عثمان سعيد بن اسماعيل توفي سنة
ثمان وتسعين ومائتين وهو من اكابر الزهاد والمشايخ الصوفية وهو صاحب ابي حفص النيسابوري
كما قاله ابن ماكولا والذهبي وذكره القشيري في رسالته ونقل ما ذكره المصنف عنه وذكر انه صحب
شاه الكرماني وكان يحيى بن معاذ الرازي ثم ورد نيسابور مع شاه الكرماني عام ابي حفص الحداد
فتخرج عليه وتزوج ابنته وقد صحف الناس هذا نسبته فقيل انه الخيزري بخاء معجمة مضمومة
وزاي مفتوحة بعدها ياء ساكنة وذال معجمة مكسورة وياء نسبة كذا في اصل ابي العباس الغزولي
وهو مخالف لما في اصل المصنف بخطه وهو الصحيح وفي بعض النسخ الجنيدي بجيم مضمومة ودال مهملة
وفي بعضها الحميري بحاء مهملة مفتوحة فراء ودال مهملتين والكل تصحيف وتحريف والصحيح ما نقلناه اولا
واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وامر بها الجنيدي فانه كان على طريقة في الزهد ولم يكن في عصره
اعرف منه بطريق المشايخ ومن كلامه رضي الله عنه الصحبة مع الله عز وجل بحسن الادب ودوام
الهيبة والمراقبة والصحبة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته وظاهر فعله والصحبة
مع اولياء الله بالاحترام والخدمة والصحبة مع العلم بحسن الخلق والصحبة مع الاخوان بدوام البشر
والصحبة مع العوام بالرحمة والرأفة لهم **من امر السنة على نفسه** وهو بفتح الهمزة وتشديد الميم
ودال مهملة خفيفة اي جعل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقته **قولا وفعلا** اي
في اقواله وافعاله فهو منصوب على الظرفية او تمييز محول عن المفعول اي جعلها اميرا عليه
وحاكما وهو عبارة عن عموم مخالفتها وقيل الله بفتح الهمزة والميم المخففة وتشديد الراء المهملة
اي اجارها احراسها وسلاها عليه وهو بعيد **نطق بالحكمة** اي القول الصواب النافع له في
الدنيا والآخرة وكل كلام وافق الحق فهو حكمة **ومن امر الهوى** امرا كالذي قبله ففيه استعارة
والهوى ميل النفس الامارة وتشتهيه **نطق بالبدعة** اي بما يخالف الحق مما زينه له الشيطان
من الضلالة **وقال سهل التستري** وهو سهل بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع شيخ
الصوفية الزهاد تقدمت ترجمته والكلام على بلده تستر وهي مشهورة **اصولنا** اي
المقسوم اي قواعده التي يدور عليها **ثلاثة** اولها واعظمها **الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم**
واتباعه **في الاخلاق والافعال** والثاني **اكل الحلال** والثالث **اخلاص النية في الاعمال**
وهذه الاصول انما كانت اصول الصوفية منها وصول للشريعة ايضا وقد ورد في الحديث بمعناه
وهو ظاهر **وجاء** اي ورد عن السلف في التفاسير المأثورة **في تفسير قوله** تعالى اليه يصعد
الكلم الطيب **والعمل الصالح يرفعه** الله بفتح الهمزة فاعل جاء **الاقتداء بالنبي صلى الله عليه**
وسلم فان العمل لا يكون صالحا مقبولا الا اذا كان وافق الكتاب والسنة ووافقتهما عليه
الاقتداء به قولا وعملا وضمير انه للعمل الصالح وضمير يرفعه المرفوع والمنصوب الاول
للكلام الطيب وهو التوحيد والثاني للعمل والرفع بمعنى القبول ويجوز العكس اي يرفع التوحيد
الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقبل بدونه وعلى الثاني المراد بالكلم الطيب
الاذكار وما هو قريب منها وهي انما تقبل اذا وافقت السنة والكلام عليه مفصل في كتب التفسير
وحكي بالبناء للمجهول اي نقل لنا ان الامام **احمد بن حنبل** رحمه الله تعالى وحنبل بحاء مهملة
فنون مفتوحة فموحدة ساكنة فلام **سئل** عن الرجل يكون **فقيرا** اي محتاجا **كيف يكون**
فقره اي على اي حالة يكون فقره **فقال** احمد **ان اعطي** بالبناء للمجهول **شكر** وان
منع بالبناء للمجهول **صبر** فقال **السائل** اي لاحمد **الكلب عندنا** اي في بلدنا **يصنع**
هذا اي الشكر والصبر **فقال** احمد **الكلب عندنا** اي في بلدنا **ان اعطي اكل** وان **منع**
اكل فقال **السائل** اي لاحمد **الحمار عندنا** اي في بلدنا **يصنع هذا** اي الشكر والصبر
فقال احمد **الحمار عندنا** اي في بلدنا **ان اعطي** بالبناء للمجهول **اكل** وان **منع** بالبناء
للمجهول **اكل** فقال **السائل** اي لاحمد **فما الفرق بينك وبين الكلب والحمار** اي
ما وجه الفرق بينك وبينهما في الشكر والصبر **فقال** احمد **ان اعطي** بالبناء للمجهول
لم اشكر وان **منع** بالبناء للمجهول **لم اصبر** فقال **السائل** اي لاحمد **الكلب والحمار**
عندنا اي في بلدنا **ان اعطي اكل** وان **منع اكل** فقال **احمد** **الكلب والحمار عندنا**
اي في بلدنا **ان اعطي اكل** وان **منع اكل** فقال **السائل** اي لاحمد **فما الفرق بينك**
وبينهما اي ما وجه الفرق بينك وبينهما في الشكر والصبر **فقال** احمد **ان اعطي** بالبناء
للمجهول **اثرت** وان **منع** بالبناء للمجهول **اثرت** فقال **السائل** اي لاحمد **الكلب**
والحمار عندنا اي في بلدنا **ان اعطي اثرا** وان **منع اثرا** فقال **احمد** **الكلب والحمار**
عندنا اي في بلدنا **ان اعطي اثرا** وان **منع اثرا** فقال **السائل** اي لاحمد **فما الفرق**
بينك وبينهما اي ما وجه الفرق بينك وبينهما في الشكر والصبر **فقال** احمد **ان اعطي**
بالبناء للمجهول **آثر** وان **منع** بالبناء للمجهول **آثر** فقال **السائل** اي لاحمد **الكلب**
والحمار عندنا اي في بلدنا **ان اعطي آثر** وان **منع آثر** فقال **احمد** **الكلب والحمار**
عندنا اي في بلدنا **ان اعطي آثر** وان **منع آثر

لانه تزيي بها وتوفي فيها ثاني عشر ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائتين وهو امام السنة صاحب
المذهب الزاهد العابد وله مناقب افردت بالتاليف قال كنت يوما مع جماعة متجردين واني بين يديهم
عراة وهم جلوس للاغتسال فاستعملت الحديث اي عملت به فاشتبه للتاليف وقيل المعنى طلبت
ذلك من نفسي وقلت لا توافقني هؤلاء الحديث رواه مسلم والترمذي وهو من كان يومن بالله
اي يصدق ويقر بالله واليوم الاخر اي يوم البعث والحشر وهو يوم القيامة والايمان
بهما عبارة عن الايمان بجميع ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فكني بالطرفين عن الجميع
فهو من باب الاكتفاء فلا يخرج الحمام المراد به كل ما كان فيه ما يغتسل به ثم غلب في العرف على محل
مخصوص الا يتزر بكسر الميم وهمزة ساكنة وتبدل ياء يعني الازار وهو ما يستر به نصف البدن
الاسفل ولا يتجرد انا اي لا اخلع ثيابي وانفري منها وهو عطف تفسير لاستعملت الحديث
فرايت في المنام تلك الليلة اي في تلك الليلة التي تلي يوم تجردهم فقال لي اي شخص يقول لي
يا احمد البشر اي يبشرني من الله بما يسرك انا الله قد غفر لك اي عفا عنك وانعم عليك بقبول ما صدر
منك باتباعك السنة اي بسبب اقتدائك بالرسول صلى الله عليه وسلم والعمل بحديثه وجعلك
اماما يوتم بك ويقتدي بك لكونك مجتهدا صاحب مذهب قلت لمن رايته في المنام من انت استفهاما
يريد به تعيينه عنده قال انا جبريل اي انا جبريل اي رسول الله الى عبادي فصل
ومخالفة امره اي بترك امره المامور به وتبديل سنته اي تغييرها بوجه من وجوه التغيير
ولو بتاويل على خلاف مراده ضلال اي عدول عن الطريق المستقيم وهي طريق الرسول صلى
الله عليه وسلم وشريعته وبدعة اي امر احدثه في الدين واذا اطلقت البدعة انصرفت الى
الغير الحسنة وهي المرادة هنا متوعد عليها اي ورد الوعيد لفاعلها في احاديث كثيرة تقدم
بعضها وفي ايات قرنيه من الله بالخذلان متعلق بقوله متوعد والخذلان منع التوفيق وهو
ان يخلق الله فيه داعية المعاصي في الدنيا والعذاب الاليم في الاخرة قال الله تعالى فليحذر
الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم ضمن يخالفون معنى
يعرضون ولذا عداه بعن وهو متعد بنفسه وضمير امره للنبي صلى الله عليه وسلم لانه المقصود
بالذكر في الاية وهو الذي يبلي الامر عليه علامة هنا وفيه وجه اخر انه لله لانه الامر الحقيقي والفتنة ما في
الدنيا من المصايب والمحنة الدنيوية والعذاب الاليم في الاخرة وقال تعالى ومن يشاقق الرسول
اي يعاديه ويخاصمه فيكون في شق وهو في شق اخر من بعد ما تبين له الهدى اي ظهر له الحق وثبت معاينة بمجيء
صلى الله عليه وسلم وهداية الله لمن هداه برسوله صلى الله
عليه وسلم ويتبع غير سبيل المومنين العلماء اي يسلك طريقا غير طريقهم في الاعتقاد والعمل نوله ما
نوليه اي نجعله متوليا لما تولاه من الضلالة والبدع الاية اي امثالها يعني قوله ونصله جهنم
وساءت مصيرا وهذا وعيد شديد بدليل ان لم يقتد به صلى الله عليه وسلم واستدل بهذه الاية على حجية
الاجماع كما بين في كتب الاصول ثم ذكر حديثا رواه مسلم والامام مالك مسند اشاهد لما ذكره
فقال حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر هو عبد الله بن محمد بن عبد الله الحسيني وقد تقدمت
ترجمته وعبد الله بن عتاب تقدم ايضا قبل اثنين عليها بيان الطريق سواء وسيمي عرضا قال نا
حدثنا ابو القاسم حاتم بن محمد تقدم ايضا قال حدثنا ابو الحسن القابسي تقدم قريبا قال نا
حدثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ بسين مهملة مفتوحة ما اسم المفعول وهو علي بن محمد بن
مسرور قيرواني مالكي متعفف رضا سنة تسع وخمسين وثلاثمائة قال حدثنا احمد بن ابي

سليمان

سليمان هو تلميذ سحنون وهو مولى لربيعة ويكنى ابا جعفر توفي سنة احدى وستين ومائتين وقد ذكرناه في السبعين قال حدثنا سحنون عبد السلام بن سعيد وستأتي ترجمته مفصلة قال حدثنا ابن القاسم تقدمت ترجمته قال حدثنا مالك الامام المشهور عن العلاء بن عبد الرحمن تقدم ايضا عن ابيه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة بضم الباء والكسر لغة قليلة فيها وذكر الحرث في صفة النبي صلى الله عليه وسلم يعني قوله لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون علي غرا محجلين من اثار الوضوء وفيه اي في الحرث المذكور فليذادن رجال عن حوضي اللام في قسم مقدر ويذادن مبني للمجهول لان الذائد معلوم والذود هذا السوق بعنف كيد شديدة والذود هنا بمعنى الطرد والمنع وهذه رواية ابن القاسم وفي رواية غيره فلا يذادن ولا نافية او ناهية اي لا يفعل احدكم فعلا يطرد بسببه عن حوضي على معنى التحذير والاشفاق ورجحت الرواية التي اختارها المصنف كما يذاد البعير الضال اي كما يطرد البعير ذا ضل من صاحبه واتى ليدخل في ابل احرى ليستقي فيطرد من بينها اليلا ينتفع بشربها فأناديهم اذا طردوا الا هلم الا هلم كرره للتاكيد على العادة في ندا اهل الضلال وهذا بيان لحرصه صلى الله عليه وسلم على ردهم لشفقته عليهم ورحمته لهم وهلم بفتح الهاء وضم اللام وقد تفتح وهي اسم فعل بمعنى اقبل واحضر ويتعدى بنفسها وبالي واللام وبمعنى اسرع وفيها لغة مشتركة يستوي فيها المذكر وغيره وهي بسيطة في الاصل او مركبة من ها لم او من هل ام وهذه لغة اهل الحجاز وهي الفصحى لانها لغة اهل القرى ولغة غيرهم هلم وهلما وهلمو وهلمي فمتى عندهم فعل لا اسم الفعل لا يتصل به الضمائر والمطرود هنا المنافقين والمرتدين لكونهم اظهروا الاسلام وتوضئوا وصلوا فيكونون غرا محجلين ولذا معاهم وناداهم ولو لم تكن هذه السيما الا للمؤمنين لم يدعوا فاذا كانت لاهل البدع من المؤمنين واصحاب الكبائر فالامر ظاهر وقال النووي اختلف في المراد به على اقوال احدها ان المراد بهم المنافقون ويجوز ان يحشروا غرا محجلين فينادون بسيماهم فيقال انهم بدلوا ولم يموتوا على الاسلام والثاني ان المراد من كان في زمنه صلى الله عليه وسلم ثم ارتد فيناديهم وان لم يكن لهم سيما لانه يعرفهم والثالث ان المراد اصحاب الكبائر والمواضي الموحدين واصحاب البدع فينادون لعقوبة لهم فيقال بالبناء للمجهول اي يقول الله تعالى او الملائكة او من عرفهم من الصحابة انهم قد بدلوا بعدك اي غيروا سنتك وارتكبوا ما لم تعهد منهم وفي نسخة انهم قد بدلوا بعدك فاقول سحقا سحقا وفي نسخة فسحقا باعادة الفا المنادبة وهو بضم السين والحاء وتسكن تخفيفا قال تعالى فسحقا اي جعلهم الله في مكان سحيق اي بعيد واصله من سحقه اذا افتته والسحق الثوب البالي وهو على تقدير اسحقوا ابعدوا بعدا شديدا ويحتمل انه دعا عليهم بتقديره الزمهم الله سحيقا فنصبه على المصدرية او هو مفعول به واذا كان دعا فعامله محذوف وجوبا تحقيقا وعوضا فيما هو مصدر لفعل ثلاثي وهو سحقه او لغيره اي اسحقه على حذف الزوائد وقياسه اسحاقا ولا يحتاج لذلك واما اختاره ابو علي اقول له باع لانه سحقه بمعنى فتنه كسحق الثوب ونحوه واما من العبد فالمستعمل اسحقه يقال ابعده الله واسحقه كما قاله الراغب وروى انس بن مالك في حديث رواه الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال ما رغب عن سنتي اوتركها لانه رغب اذا انفرد بمعنى ترك فمن يكون بمعنى الترك عند رغب فيه وسنته طريقته وسيرته فليس منه اي ليس من اتباعي واشياعي ومن اقتدى به كما تقدم بيانه وهذا الجزء منه ورد له فرغ في يوم

في معنى الحديث الذي قبله وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان من ادخل في امرنا
اي احدث بدعة في الدين وروي من احدث وهما بمعنى هذا غير باسم الاشارة اشارة الى انه
لظهوره بمنزلة المحسوس المشاهد ما ليس منه اي امر مخالف للكتاب والسنة فهو رد اي مردود
وعبر بالمصدر للمبالغة كرجل عدل وهذا من حديث طويل من قواعد الدين وقال الطوفي انه نصف
الدين وروى ابن ابي رافع عن ابيه وهذا الحديث رواه ابو داود والترمذي وابن ماجة كما
تقدم قريبا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم بالبنا للمجهول فهي لنفسه والمراد
به نهي غيره عما ابا يجده ونراهم على هذه الحالة متكيا على اريكته اي مترفها جالسا على سريره
وتقدم بيان الاريكة ياتيه الامر جملة حالية تقرير البطره وسوء ادبه من امري مما امرت به او
نهيت عنه فيقول لا ادري ما اتيت به لا ادري غير كتاب الله زاد المقدام في هذا الحديث كما
رواه الحاكم عنه وهو المقدام بكسر الميم ابن معدي كرب الكندي المكنى بابي صالح ممن وفد على
النبي صلى الله عليه وسلم من كندة وتوفي بالشام سنة سبع وثمانين وهو ابن احدى وسبعين
سنة الا بفتح الهمزة كلمة استفتاح وان ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله لانه مبلغ عنه فيجب
اجتناب ما حرمه وفيه رد على القايل لا يتبع الا كتاب الله وفيه اشارة الى انه معصوم في اقواله
وافعاله وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الدارمي وابن المنذر وابن جرير وابو
داود مرسلا وجيء مجهول جا والجملة حالية بتقدير قد او معترضة بكتاب اي مكتوب في كتف
اي في عظم كتف لانهم في الصدر الاول كانوا يكتبون فيها وفي الجلود لعزة الورق اذ ذاك
والجاي به عمر رضي الله عنه او ابنته حفصة او عايشة كما قيل وقيل انه شي كان كتبه بعض
المسلمين عن اليهود فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم القاه وقال كفى بقوم متعلق بكفى او
الباء زايدة في المفعول حمقا او قال ضلالا شك من الراوي ونصبهما على التمييز والحمق الغباوة
وعدم الفهم والضلال ضد الهداية وجعله كذلك لنظرهم في امور منسوخة محرفة وتركهم السنة
ورسول الله صلى الله عليه وسلم معهم بين اظهرهم كما بينه بقوله ان يرغبوا هو فاعل كفى
اي رغبتهم عما جاهم به نبيهم معرضين عنه مشتغلين بما لا يعنيهم الى ما جا به غير نبيهم اي
ناظرين اليه راغبين فيه وهم لا يعلمون بصحته او ناظرين كتاب غير كتابهم الذي انزل الله
على رسولهم فلا ينبغي لهم الا الاقتدا به والسماع مع اغتنا ما له وهو بين وفيه اشارة الى انه
كان امرا منقولا عن اليهود كما نقله في زاد المسير فنزلت اية اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب
اي القران الذي ما فرطنا فيه من شي فهو لوم على ما فعلوه وهو عطف على ما قبله والهمزة
مقدمة من تاخير او على مقدر معلوم من الحال اي قالوا ذلك ونقلوه ولم يكتفوا الخ وهذا
سبب نزول الاية كما نقله في اسباب النزول وقيل سبب نزولها ان المشركين طلبوا
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم باية من ايات الانبيا عليهم الصلاة والسلام
كعصى موسى وناقة صالح فقال الله لهم اولم يكفهم معجزة القران التي هي اعظم المعجزات
وهي باقية مستمرة ولذا قال تتلى عليهم الاية وعبر بالمضارع والضمير لليهود او المسلمين
او المشركين وقيل لان كلا منهما سبب لنزولها ولا مانع من تعدد السبب ولا حاجة لتعدد النزول
كما قيل وفيه دليل على النهي عن قراة الكتب المنسوخة الا لمصلحة ممن يعرف النسخ والتعريف
وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه هلك المتنطعون
اي وقع في امر مهلك يودي الى غضب الله وعقابه من تنطع اي بالغ وغالى في الامور وتشدق

بكلام

بكلام لا حاجة اليه من النطع وهو الفك الاعلى من الفم استعير لكل متعمق في قول او فعل غير مهم
واصل من يفتح فمه في تكلمه وقال الخطابي المنتطع المتعمق المتكلف للبحث عن مذاهب اهل الكلام
الخايض فيما لا يبلغه عقله ومناسبته لما نحن فيه او من نتطع خرج عن ظاهر السنة وعدل عن ظاهر
السنة وعدل عن ظاهر سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه صرح اول الحديث وهو تعلموا
الفرايض قبل ان يقبض واياكم والتنطع والتعمق والبدع وهلك جا من باب وضرب ومنع
وعلم وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه وهذا رواه عنه ابو داود والبخاري وغيرهما
لست تاركا شيا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به من سنته في اقواله وافعاله
واحكامه وهديه الا عملته اقتدا به صلى الله عليه وسلم واتباعا لاثاره الحميدة اني اخشى
اي اخاف ان تركت شيا من امره اي شانه وحاله الذي كان عليه ان ازيغ بزاي وغين معجمتين
اي اميل عن الحق والسنة واصل معنى الزيغ الميل عن الاستقامة قال تعالى فلما زاغوا ازاغ
الله قلوبهم اي لما فارقوا الاستقامة عاملهم الله بذلك

الباب الثاني

من القسم الثاني من الكتاب في ذكر ما يدل على لزوم محبته اي وجوبها على كل
مكلف من امته وفي نسخة فصل والصحيح الاول ووجوبها عقلا وشرعا لقوله قال تعالى
قل ان كان اباوكم وابناوكم واخوانكم وازواجكم اي زوجاتكم جمع زوج وهو يطلق على
الذكر والانثى وزوجة لغة ايضا فرقا بين الذكر والمونث وعشيرتكم وهم اقربا النسب
واموال اقترفتموها اي اكتسبتموها وملكتموها الاية اي اقراما بعدما ذكر وهو وتجارة
تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا
حتى ياتي الله بامره وسبب نزولها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما امر بالهجرة تخلف
بعضهم عنه فنزلت وتفسير الاية مقلوم من التفاسير لا حاجة لذكره هنا فكفى بهذا المذكور
في الاية حضا اي حثا وتحريضا وترغيبا قال الراغب الحض التحريك كالحث الا ان الحث يكون
بسير وسوق والحض لا يكون بذلك واصله الحث على الحضيض وهو قرار الارض انتهى وتنبيها
اي ايقاظا لهم من نومة الغفلة عن محبته صلى الله عليه وسلم حتى لا يغيب عنهم طرفة عين
ودلالة لهم على ما يجب من محبته وحجة اي ثبات الدليل وجوب محبته عليهم والاخران
بالنسبة لمن لا يعرف ذلك وما قبله لغيره على التزام محبته اي لزومها عقلا ووجوب
فرضها عليهم شرعا وعظم خطرها اي قدرها وفايدتها واصله ما يعطى عند الرهان
واستحقاقه صلى الله عليه وسلم لها اي للمحبة المذكورة كما قيل

تملك بعض حبك كل قلبي ... فان ترد الزيادة هات قلبا

اللهم املا قلبي بنور ايمانك ومحبتك ومحبة نبيك صلى الله عليه وسلم حتى لا يكون فيه
محلا لغيرك اذا فزع بفتح القاف والزا المهملة المشددة وعين مهملة اي وبخ قيل وفي اصل
المص تفزع والصواب الاول قال تعالى من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله
صلى الله عليه وسلم واوعدهم بقوله فتربصوا اي انتظروا امره وفيه من التوبيخ ما لا يخفى
وفسقهم اي وصفهم ونسبهم للفسق بتمام الاية اي بما ذكر في اخرها حيث قال والله لا
يهدي القوم الفاسقين فجعلهم فاسقين بتخلفهم عن الهجرة وسلب عنهم الهداية بوصف
يشعر بعليتها وهو معنى قوله واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله تبارك وتعالى حدثنا
ابو علي الغساني الجياني الحافظ وتقدمت ترجمته فيما اجازنيه يعني انه رواه عنه

بالاجازة ولم يقراه عليه مع انه معاصر له وهو اي هذا الحديث الذي رواه البخاري وغيره
مما قراته على غير واحد من المشايخ غيره فله في روايته طرق كثيرة اقوى من هذه وانما اختارها
لعلو سنده وجلالته قال الغساني حدثنا سراج ابن عبد الله القاضي تقدم بيانه قال حدثنا
ابو محمد الاصيلي تقدم ايضا قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف هو الفربري راوي
البخاري وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا محمد بن اسماعيل هو امام اهل السنة صاحب صحيح
البخاري قال حدثنا يعقوب بن ابراهيم بن كثير البغدادي الدورقي صاحب المسند وامام
الحديث توفي سنة اثنتين وخمسين ومائتين ونسب الى دورق اسم بلدة او الى صنعة الدوارق وهي
نوع من القلانس قال حدثنا ابن علية بالتصغير الامام الثقة الحافظ اسماعيل بن ابراهيم
بن ميسم المشهور بابن علية اخرج له اصحاب السنن الستة وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومائة وله
ترجمة في كتاب الميزان وعلية امه عن عبد العزيز بن صهيب علم منقول من المصغر وهو البناء
في الاعمى الامام الثقة الحافظ اخرج له الستة وتوفي سنة خمس وثلاثين ومائة وترجمته
مشهورة عن انس بن مالك الصحابي المشهور ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن
احدكم هو من خطاب المشافهة فيعم الموجودين وغيرهم وقيل خص بالخطاب الموجودين
والحكم عام بشهادة انه روي بغير خطاب في مسلم لا يؤمن عبد وفي رواية غيره احد اي لا
يؤمن ايمانا كاملا كما في رواية ابن حبان لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى اكون بالنصب وهو
غاية لما قبله احب اليه من ماله وولده ووالده والناس اجمعين اثار له صلى الله عليه وسلم
واكراما له واجلالا واحب بمعنى اكثر تحبوبية على خلاف القياس كما شغل من ذات المحبين ولم يذكر
نفسه لدخولها في الناس وقوله اليه لا يقتضي خروجها لمغايرتها له من جهة كونه محبا وهي
محبوبة والام وساير الاهل داخل في الناس ايضا ولا حاجة لادخالها في الوالد كما قيل وسياتي معنى
محبتهم له صلى الله عليه وسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه نحوه اي روي عنه حديث بمعنى
الحديث المذكور وروي عن انس خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الشيخان
عنه عليه الصلاة والسلام ثلاث اي ثلاث خصال او خصال ثلاث فالوصف المقدر سوغ الابتدا
بالنكرة كقولهم ضعيف عاذ بقرملة اي رجل ضعيف من كن اي الخصال فيه وجد حلاوة
الايمان خبر المبتدا وصفته وكن بمعنى وجدن فكان تامة وحلاوة الايمان لذته ففيه استعارة
او هو مجاز مرسل الخصلة الاولى ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما جمع الله
وغيره في ضمير وقد نهى صلى الله عليه وسلم عنه كما تقدم حيث قال للخطيب الذي قال ومن
يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله لايهامه التسوية
بين الله وغيره ولذا قيل انه مكروه واجيب عنه بان الخطبة مقام اطناب لا ايجاز وانه يجوز
لله ورسوله ذلك دون غيرهما فهو من خصائصه واليه مال ابن عبد السلام وقيل انها واقعة
حال لا تخصص لاحتمال انه كان بالمجلس من يتوهم التسوية او ان هذا كان في ابتدا الاسلام ووجود
المشركين اظهرهم لا سيما اذا قصد المبالغة في تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وان لا
يفصل بين محبته ومحبة الله بفاصل لفظي وملاحظة انه لا يمكن التسوية بين العبد وسيده وفيه
كلام فصلناه في غير هذا المحل والثانية ان يحب المرء بالنصب مفعول يحب وفاعله من لا يحبه
الا لله اي يخلص في محبته من غير ملاحظة انتفاع وعلامة ان لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفا
كما قاله ابن معاذ والثالثة ان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار لتمكن

الايمان

الايمان من قلبه ومحبته له واطمينان قلبه وفي رواية بعد اذ انقذه الله منه والاتقان الاخراج وهذا
ظاهر في حق من تلبس بالكفر كالعود فانه بمعنى الرجوع اما من ولد مسلما واستمر على اسلامه
فيعلم بالمقايسة عليه وعدي العود بفي وهو يتعدى بالى لتضمنه معنى الاستقرار كما في
قوله تعالى وما يكون لنا ان نعود فيها وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث رواه
البخاري عن عبد الله بن هشام انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي خبر انت والا
في جواب قسم مقدر من كل شيء في الدنيا والاخرة الا نفسي التي بين جنبي بتشديد اليا كيا
الي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه ايثارا
له صلى الله عليه وسلم على نفسه وغيره فقال عمر مجيبا له صلى الله عليه وسلم والذي اي
الله الذي انزل عليك الكتاب واوحى اليك القران لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الان نطقت بالحق او ظهر انصافك بكمال الايمان فهو متعلق
بمقدر وهو مبني على الفتح وال فيه لازمة كما اتفق عليه النحاة وهو الزمان الحاضر يا عمر
صرح باسمه اشارة الى انه وصل لرتبة عليه تخصه بالنسبة لبعض من عداه اي لا تكفيك المرتبة الاولى
ولا يليق بعلو همتك الاقتصار عليها وانما اقتصر على الاولى احترازا عن المبالغة لان المحبة المرء
لنفسه وترجيحها امر طبيعي لا يسلم منه الا من ملك نفسه وجاهدها وقال ابن حجر جوابه
اولا كان بحسب ما طبع عليه ثم تامل فعرف بالاستدلال انه صلى الله عليه وسلم احب اليه منها لانه
الذي نجاه من الهلاك في الدنيا والاخرة فاخبره بذلك ثانيا ولذا قال له الان تحققت ونطقت
وقيل معناه لن يؤمن احدكم ايمانا يعتد به حتى يقتضي عقله ترجيح رسول الله صلى الله عليه وسلم
امر غير اعتقاد اعظميته كما زعمه المم ورده القرطبي ولا وجه له فان عمر لا يشك انه صلى الله
عليه وسلم اعظم من نفسه ومن كل شيء ولا يلزم من اعتقاد الاعظمية المحبة كما لا يخفى والمراد بالحب
هنا العقلي الاختياري الذي يقتضي العقل ايثاره وان خالف كمحبة المريض الدوا لا الطبيعي الذي
لا يدخل تحت اختياره فان الله لا يؤاخذه به لانه لا يدخل تحت استطاعته والمراد بالنفس هنا
الذات ولوازمها من الحياة ونحوها وقيل المراد الروح وان فرقوا بينهما واراد بالتي بين جنبيه
السر القائم به الحياة واضافه اليهما لجري العادة بسلب الحياة بسبب ما بينهما وهو القلب
وما يتعلق به من ساير الاعضا الرئيسة وليس هذا موضع الكلام على الروح انتهى وابرز عمر رضي
الله عنه القسم بعد ما قدره تحقيقا لخلوص طويته في مقالته ولذا قال له صلى الله عليه وسلم
الان لما علمه منه وقال سهل بن عبد الله التستري من لم ير اي يعلم ويتحقق يقينا
ولاية الرسول عليه في جميع اموره الولاية بكسر الواو وفتحها بمعنى نفوذ حكمه وسلطانه
حتى كانه مملوك له وقال الراغب الولاية بالفتح النصرة وبالكسر تولي الامر وقيل الولاية
والولاية واحدة وهي مصدر نحو الدلالة والدلالة وحقيقتها تولي الامر انتهى والمراد انه لا
يخالفه في امر من اموره ويرى نفسه في ملكه بكسر الميم الذي يملكه حتى كانه عنده صلى الله
عليه وسلم لا يذوق حلاوة سنته استعارة تصريحية او مكنية وتخييلية والمراد انه اذا اسلم
ولاية رسوله بطيب قلب شرح الله صدره لاتباعه والاقتدا به فاستلذ بالاعمال الصالحة
فقام ذلك له مقام الغذا الحلو اللذيذ وهذا ماخوذ من قوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيته ويسلموا تسليما كما تقدم بيانه لان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم اي لا يكمل ايمانه حتى اكون احب اليه من

من نفسه الحديث منصوب باعني ونحوه وتقدم تمام الحديث ووجه مناسبة كلام سهل لما
لما نحن فيه ولما علل به انه يدل على ان من جعل نفسه تابعة للرسول صلى الله عليه وسلم
في اقواله وافعاله تلذذ بالاقتداء به ولا يستلذ بذلك الا اذا احبه فان المحب لا يخالف محبوبه
فيترك مراده لمراده وبهذا دل على الاحبية وطابقت العلة معلولها كما لا يخفى وقد تقدم
قوله ان المحب لمن يحب مطيع مع الكلام عليه فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم
بما يرجوه من بركتها في الدنيا ومن سعادته بها في الاخرة كما قال صلى الله عليه وسلم
المرء مع من احب والثواب الجزاء ثم اسند حديثا في ذلك رواه البخاري فقال حدثنا ابو محمد
بن عتاب بقراءتي عليه تقدم بيانه وانه القراءة والاجازة سواء عند المص وعند غيره القراءة
اقوى وهو الظاهر حدثنا ابو الحسن محمد بن خلف القابسي كما تقدم قال حدثنا ابو زيد
المروزي تقدم ايضا قال حدثنا محمد بن يوسف الفربري وقد تقدم قال حدثنا محمد
بن اسماعيل البخاري وقد تقدم قال حدثنا عبدان عبيد الله بن عثمان وقد تقدم قال حدثنا
ابي ابوه عثمان بن جبلة بن ابي رواد العتكي الثقة اخرج له اصحاب السنن قال حدثنا شعبة
تقدمت ترجمته عن عمرو بن مرة الجملي بفتحتين نسبة الى جمل ابو حي احد الاعلام العاملين
اخرج له اصحاب الكتب الستة وتوفي سنة ستة عشر ومائة عن سالم بن ابي الجعد الاشجعي الكوفي
توفي سنة خمس وخمسين ومائة واخرج له الستة واسمه رافع عن انس ان رجلا اتى النبي
صلى الله عليه وسلم قيل ان الرجل اعرابي لا يعرف وقيل هو الاعرابي الذي بال في المسجد
وقال ابن بشكوال انه ابو موسى الاشعري رضي الله عنه او ابو ذر رضي الله عنه واحتج بحديثين
لا حجة له فيهما وقيل انه اعرابي اسمه ذو الخويصرة وقيل ان السائل عمير بن قتادة
وفي معلم الذهبي انه عمر بن الخطاب وابان قيل ولذلك اورد البخاري هذا الحديث في
مناقب عمر رضي الله عنه قلت التعبير برجل من غير تعيين يابى كونه عمرا وغيره من
مشاهير الصحابة الا ان يكون الراوي نسبه والظاهر انه اعرابي فقال متى الساعة
يا رسول الله سأله عن تعيين زمان وقوعها الساعة جزء من اربعة وعشرين جزءا من اليوم
والليلة ثم اطلق لغة على كل زمان قليل فتقول جلست عندك ساعة اي قليلة ثم شاع في يوم
القيامة وصار حقيقة فيه اما لانه قليل بالنسبة لما بعده من الخلود او بالنسبة لما يقع فيه
من الامور العظيمة وهو مجاز صار حقيقة في عرف الشرع واللغة وقيل سميت بها لقربها
كانها لتحقق وقوعها تقع بعد ساعة او لانها تاتي بغتة او لان البعث من القبور يكون
في اسرع من لمحة ولا يخفى ما فيه قال صلى الله عليه وسلم ما اعددت لها اي ما هيات
واحضرت لها من الاعمال الصالحة التي تنفعك فيها اذا قامت وهذا قريب من الاسلوب
الحكيم لانه ترك جوابه وسأل عما هو عدة له فيها اشارة الى انها لا تعين زمان وقوعها لانه
مما لا يعلمه الا الله قال ما هي نافية اعددت لها من كثير بالمثلثة وفي بعض النسخ بالموحدة التحتية
وهو صحيح ايضا صلاة ولا صيام ولا صدقة من اضافة الصفة للموصوف اي لم اعد لها
ما ينفعني فيها ولكن احب الله ورسوله استدراك على ما ذكره من تفريطه وتركه
ما ينفعه اي ليس عندي ما ينفعني ثمة الا الايمان بالله ورسوله ومحبتهما قال انت مع
من احببت وفيه جواب له على اتم الوجوه وتبشير له ولمن احب الله ورسوله صلى الله
عليه وسلم ولذا قال في تتمة الحديث ان من حضر من الصحابة قالوا يا رسول الله ونحن كذلك

قال نعم

قال نعم قالوا فبم رجحنا بذلك هو شيء شديد وليس المراد مجلوبة معه انه ساواه في منزلته ومرتبته كما مر وانما المراد انه يدخل الجنة في زمرة المؤمنين وان كانت مراتبهم متفاوتة وقد نظم معنى الحديث الحافظ ابن حجر رحمه الله فقال كما تقدم فقال

وقائل هل عمل صالح اعددته ... ينفع عند الكرب

قلت حسبي حزمة المصطفى ... وحبه فالمرء مع من احب

ومن شعر الصبا فقولي

وحق المصطفى لي فيه حب ... اذا مرض الرجا أبلو شفاء

ولا ارضى سوى الفردوس ماوى ... اذا كان الفتا مع من أحبا

وتقدم ايضا وعن صفوان بن قدامة الصحابي التميمي المرادي كما قال الذهبي وله ولابنه صحبة واسمه عبد الرحمن قال هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم اي سافرت لألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك اي لامر دعاني كما كانت عادته في المبايعة ابا بكر مجزوم في جواب الامر والمبايعة الاقرار بما جاء به ونبذه صلى الله عليه وسلم مفاعلة من البيع فقلت لما ذكر فناولني يده فقلت يا رسول الله الي احبك قال المرء مع من احب تقدم تفسيره وكان قدم المدينة مع ابيه له كما ذكره الترمذي والنسائي وروي هذا اللفظ يعني قوله صلى الله عليه وسلم للمرء مع من احب عن النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبا به من ذكر محبته له عبد الله بن مسعود وابو موسى الاشعري وانس رضي الله عنهم وعلى ابي ذر بمعناه وهذا سبب ما تقدم من اختلافهم في تعيين الذي ورد بهما في الحديث السابق وشبه بعضهم الى الغلط فيه وعن علي بن ابي طالب في حديث رواه عنه الترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين ابني علي رضي الله عنهم اي امسكها فقال وفي نسخة فقال من احبني واحب هذين اشارة الى السبطين الحسن والحسين وابا هما عليا رضي الله عنه وامهما فاطمة الزهراء اي مال اليهما ميلا مختارا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم كان معي في درجتي اي رتبتي ومنزلتي قال الراغب الدرجة تقتضي الصعود دون الامتداد كدرجة السطح والسلم ويعبر بها عن المنزلة الرفيعة قال تعالى وللرجال عليهن درجة اخرى يوم القيامة اي اريد بيوم القيامة في المحشر فالمعية على ظاهرها والمعنى انهم معه صلى الله عليه وسلم في صعيد واحد لقربهم منه وتقدمهم على غيرهم من امته وسائر الامم وان اريد بها الاخرة الشاملة للجنة فالمعية والدرجة عبارة عن زيادة القرب لا المعية الحقيقية كما مر وفي رواية رواه الطبراني وابن مردويه عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم قال اليهودي في تفسيره انه قال يا مولي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو صاحب الاذان اي قيل هو عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه الانصاري الخزرجي فقال لانت الجواب بجواب قسم مقدر احب اليّ مما هو لي ومالي وابي لاذكرك اي اتذكرك في ذهني وانتصورك او اذكر اسمك وصفتك فهو من الذكر بالكسر والضم ما اصبر عناك اي عن رؤيتك لشدة محبتي لك حتى انظر اليك فيطمئن قلبي وتقر عيني برؤيتك وابي ذاكرت موتي وموتك اي انا سنموت وننتقل من هذه الدار لدار اخرى حتى انظر اليك وتحققت انك اذا دخلت الجنة بعد الموت رفعت الى الدرجات العلى مع النبيين

فرفعت

صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وان دخلتها اذ بضم التا وعبر في جانب النبي باذا لتحقق
دخوله صلى الله عليه وسلم الجنة ورفعته فيها وفي جانبه هو بان لعدم جزمه في نفسه
بذلك لا اراك بعد الدخول لانك في مقام عال لا يصل اليه غيرك فانزل الله تعالى ومن يطع الله
والرسول صلى الله عليه وسلم في امتثال امره ونهيه ويلزمه محبته له ايضا ولم تذكر لتحققها
لذكر الرجل لها وعلمه صلى الله عليه وسلم بخلوصه فيها فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
بنعيم الجنة وعالي مراتبها ففيه تبشير له بمرافقة اكرم خلق الله واقربهم وارفعهم منزلة
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للمنعم عليهم بما اخفي لهم من قرة الاعين
وحسن اولئك تعجب اي ما احسنهم رفيقا تمييز ولم يجمع لوقوعه عليهما الواحد وغيره او لارادة
كل واحد منهم فدعا به صلى الله عليه وسلم اي طلب حضور ذلك الرجل فقراها اي هذه الاية
عليه جوابا له وتبشيرا وفي تفسير القرطبي انه لما قراها صلى الله عليه وسلم عليه دعا الله
ان يعميه حتى لا يرى احدا غيره في الدنيا فعمي وقسمهم كما قال البيضاوي اربعة اقسام
باعتبار منازلهم في العلم والعمل وهم الانبيا الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون حد الكمال
الى درجة التكميل ثم صديقون صعدت نفوسهم تارة الى مراقي النظر في الحجج والايات واخرى
الى معارج القدس بالرياضة والتصفية حتى اطلعوا على ما لم يطلع عليه غيرهم ثم شهدا بذلوا
انفسهم في اعلا كلمة الله واظهار الحق ثم صالحون صرفوا اعمارهم في طاعته واموالهم في مرضاته
والمراد بالمعية ما تقدم وفي حديث اخر لم يعز لناقله كان رجل قيل هو ثوبان او من تقدم ذكره قريبا
عند النبي صلى الله عليه وسلم اي ملازما لمجلسه ينظر اليه اي يديم النظر الى
وجهه الكريم لا يطرف بفتح اليا وسكون الطا وكسر الرا المهملتين وفا اي لا يطبق احد
جفنيه على الاخر ويغض بصره او يصرفه عنه من طرفة العين من طرف يطرف كضرب
يضرب وما طرف البصر اي تحرك وظاهر قول بعضهم اي لا يغض بصره مطرفا راميا ببصره
الى الارض انه من الاطراف بضم اوله وقاف وهو صحيح ايضا لكني لا اعرف هل هو رواية
او تحرف عليه او تسامح في تفسيره فقال له صلى الله عليه وسلم ما بالك اي ما شانك
حتى تحد النظر وتديمه كالمبهوت قال افديك بابي وامي جريا على عادتهم فيمن
يحبونه ويجلونه اتمتع بالنظر اليك اي اتلذذ بادامة نظري في وجهك ما دام ممكنا
في الدنيا لا تنفع به واتزود منه فاذا كان يوم القيامة وبعدها رفعك الله الى المنازل
العالية في جواره بتفضيلك اي بسبب تفضيل الله لك على ساير مخلوقاته فانزل الله
الاية المذكورة يعني قوله ومن يطع الله والرسول وفي حديث انس رضي الله عنه الذي
رواه الاصفهاني في ترغيبه وسياتي اخراج المص له بطوله في فصل علامة محبته ومن
احبني كان معي في الجنة اي قريبا مني متمكنا من رويتي وزيادتي وليس المراد المعية
الحقيقية كما تقدم

فصل فيما روي عن السلف

من العلما والصلحا والايمة وفي نسخة بعكسه الايمة والسلف وهو من عطف الخاص على العام
وقد يفسران بما يقتضي المغايرة ففسر بعضهم السلف بالصحابة والتابعين والايمة باتباع
التابعين ومن بعدهم من محبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له والمحبة
الروحاني طبيعيا كان او مكتسبا اختياريا والمحبة تكون في الحضور والغيبة والشوق
انجذاب النفس في الغيبة فهو اخص من المحبة وقال القيصري رحمه الله في شرح قول

ابن الفارض

ابن النمارضي قدس الله سره

وما بي شوق واشتياق فنبهت في قول بخطر ابخل بخضرة

الشوق الخزاب باطن المحب الي محبوبه حال الفراق والاشتياق الخزابه حالا لهما للبيان زيادة او داوامها انتهي والفرق المذكور نا مامي المحوي او هو الاطلاع للقوم حدثنا القاضي الشهيد ابن سكرة وقد تقدم قال حدثنا العذري نسبته لبني عذرة وقد تقدم قال حدثنا الوادي تقدم وهو نسبته الي الوادي علي خلاف القياس قال حدثنا الجلودي تقدم بيانه وبيان نسبته قال حدثنا ابن سفيان هو ابراهيم بن محمد بن سفيان كما تقدم قال حدثنا مسلم امام السنة وصاحب الصحيح كما تقدم قال حدثنا قتيبة بن سعيد واختلف في اسمه فقيل يحيي وقيل علي وقيل سيار قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن القاري نزيل الاسكندرية الثقة اخرج له الستة وتوفي سنة احدي وثمانين ومائة عن سهيل تقدم بيانه عن ابيه هو صالح السمان المعروف بذكوان عن ابي هريرة رضي الله عنه في حديث صحيح رواه مسلم ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ما اشد مني لي حبا منصوب علي التمييز ولم يقل احب مع انه احصر لان هذا ابلغ وافق السماع والقياس لدلالة صريحا علي المراد وكونها لصيغة والمادة كقوله تعالي اشد قسوة وما اقسي وايا ما التبعيضية لانهم ما علما كان في عصره وهو احب اليه من نفسه واهله ومن لم يفهم هذا مع ظهوره قال الحبتي فاوتت شرة وضعفا وبقي مفهوم قوله لا يؤمن احدكم حتي اكون احب اليه من نفسه ولا شي فوقه الا ان يقال انهم من جملة من بلغ هذا المبلغ في محبته انتهي والتفضيل تختلف جهاته لشدة محبة ما لم يره الداخلة في الايمان تفضل غيرها بعد الاعتبار ولذا قال ناس يكونون بعدي فيبين اشرية بعد او بقوله يود احدهم اي يحب ويرغب في انه لو اراني ببصره وشاهدني ولو للتمني باهله وماله الباء للبدلية والمقابلة كبعته بكذا اي يتمني لو بذل اهله وماله لاجل رؤيته وفي لو في مثله اقوال فقيل انها شرطية محذوف قبل الجواب ومفعول يود مقدر اي يتمني رؤيتي ويردها يدل لكل ما يتمني عليه والتقدير لو اراني بمقابلة كل شي له فضل وقيل انها مصدرية وهي مع ما بعدها مفعول يود وقيل انها حرف تمن كما بينه النحاة ومثله اي بمعناه وقريب منه لفظا عن ابي ذر الغفاري الصحابي المشهور وقد تقدم حديث عمرو وقوله للنبي صلي الله عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وتقدم تفصيله في الفضل الذي قبل هذا وما تقدم عن الصحابة كذوبان وصفوان وغيرهما في مثله من كونه احب اليهم من انفسهم وعن عمرو بن العاص بحذف الياء وابنائها وقفا كما مر ما كان احد احب الي من رسول الله صلي الله عليه وسلم وهذا من حديث صحيح طويل رواه مسلم فيبانه بكي عند موته وقال ما بعد كما يمته لرسول الله صلي الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه وما اطيق ان املا عيني منه اجلالا له حتي لو قيل لي صفه ما استطعت لانا لم اكن اشبع من النظر اليه الخ وسياتي الكلام عليه عند ذكر المصنف له بسنده في فضل تقديم الصحابة له صلي الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان بفتح الميم وسكون العين وفتح الدال المهملتين والنون وقد تقدم الكلام عليه واما بنته عبدة بفتح العين المهملة وسكون الموحدة وبالدال مهملة قال البرهان الحلبي لم اعرفها وفي الصحابة عبدة بنت صفوان ذكرها الحاكم قالت ما كان لخالد يعني ابا هذا وحي الي فراشه اي اذا اراد النوم ليلا وخصت هذا

الوقت لان المرء فيه يتذكر من يهواه غالبا قال كما الشاعر

نهاري نهار الناس حتى اذا اتى ۔ لي الليل هزتني اليك المضاجع

الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استثناء من اعم الاحوال اي لم يكن له غير هذه الحال والى اصحابه الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لحاله من المهاجرين والانصار وخالد هذا هو الكلاعي الحمصي لقي سبعين رجلا من الصحابة يسميهم اي يعدهم باسمائهم ويقول لهم اصلي وفصلي يعني اني افتخر بهم وانتسب اليهم دون ابائي وقبيلتي كذا قيل من غير نقل وهو اتباع وفي المجمل ما له اصل وفصل اي حسب ولسان وكذا في الصحاح وعن ثعلب قولهم لا اصل له ولا فصل الاصل الوالد والفصل الولد هذا الصحاح وعن ثعلب ما ذكره اهل اللغة والظاهر ان المراد ان عليهم عمدتي وبهم افصل واحكم فليحرر واليهم لا الى غيرهم يحن قلبي اي يشتاق بتذكر عهودهم من الحنين طال شوقي اليهم لبعد عهدي بهم وطول مفارقتي بموتهم فعجل يا رب قبضي اليك اي عجل موتي حتى القاهم ولا يزال يردد ذلك حتى يغلبه النوم اي حتى ينام ويستغرق في نومه فيترك قول هذا وتمني الموت وان كان مكروها فانه يجوز اذا خاف فتنة في دينه فلعل خالدا كان كذلك وسياتي لهذا مزيد بيان في الفصل الاتي عن الحكيم الترمذي وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفي نسخة وروي انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما اسلم ابو قحافة والده كما رواه ابن عساكر في تاريخه عن ابن عمر رضي الله عنهما والذي بعثك بالحق اي بالدين الحق وهو قسم لاسلام ابي طالب جواب القسم يعني عمه صلى الله عليه وسلم كان اي اسلامه اقر لعيني يعني اسر واحب عندي وهو قرة عيني من القر وهو البرد لان دمع السرور بارد ودمع الحزن حار من القرار والثبات فان العين اذا رات ما يسرها سكنت ولم تلتفت لغيره من اسلامه يعني اباه ابا قحافة رضي الله عنه وابو قحافة هو ابو الصديق وهو عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم اسلم يوم الفتح وحسن اسلامه وبقي بعد وفاة ابنه حتى توفي سنة اربع عشرة وليس في الصحابة من اسمه ابو قحافة غيره وغير ابي قحافة المزني كما ذكره الذهبي وسقط من بعض النسخ هنا لفظ اباه وبيان ذلك المذكور من كون اسلام ابي طالب اقر لعينه من اسلام ابيه ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك اي احب اليك من كثير من الامور فانه كان يحبه حبا شديدا وكان بمنزلة والده اذ كان في كفالته وكان صلى الله عليه وسلم يتمنى ان يهديه الله للاسلام فمات كافرا وهذا الحديث رواه احمد وابن اسحاق وابو حاتم وليس قول المص وروي كما في بعض النسخ تمريض له كما توهم حتى يعترض عليه بانه صحيح تعددت طرقه وكان صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دخل المسجد فاتاه ابو بكر رضي الله عنه بابيه يقوده وكان قد عمي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا تركت الشيخ في بيته حتى اكون انا آتيه فقال ابو بكر يا رسول الله هو احق ان يمشي اليك فاجلسه صلى الله عليه وسلم بين يديه ثم مسح صدره وقال له اسلم فاسلم وراسه كالثغامة بياضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غيروا هذا يعني خضبوه ولما سر باسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر والذي بعثك بالحق الخ وفيه من محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى حيث قدم ما يسره على ما سره تقديما له على نفسه

واعلم ان ابا طالب كانت محبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفته بانه رسول الله

صلى الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم وتصديقه في قلبه محققه لكن الله لم يهده للاسلام وفيه حكمة عظيمة وهو
انه صلى الله عليه وسلم كان في جواره وحمايته ظاهرا حتى ما كان احد يجترئ عليه فلما اسلم لم
يقبلوا جواره اذ لا جوار للمسلمين عندهم فختم الله على لسانه ولذا لما مات لزمت الهجرة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته وهذا مما تفطن له بعض العلماء كابن القيم في الهدي
النبوي وصاحب الاقناع ونحوه اي في معنى ما رواه البيهقي والبزار عن ابن عمر عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه انه قال للعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تسلم بكسر همزة ان
الشرطية ان كان قاله له قبل اسلامه وبفتحها على انها مصدرية ان كان بعده والصحيح الثاني
لما ياتي احب الي من اسلام الخطاب يعني اباه لان ذلك اي اسلام العباس احب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقدم ما يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تحبه نفسه وكان
قوله ذلك له حين فتح مكة لما اشرف النبي صلى الله عليه وسلم على مكة وركب العباس بغلته
صلى الله عليه وسلم واركب ابا سفيان بن حرب خلفه وهو كافر وركضها فراه عمر فقال ابو
سفيان عدو الله الحمد لله الذي امكنني منك فاشتد جريه حتى دخل به على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعمر خلفه فقال دعني اضرب عنقه فقال العباس اني اجرته يا رسول الله فلما اكثر
عمر في شانه قال مهلا يا ابن الخطاب لو كان من رجال عدي ما قلت مثل هذا فقال مهلا يا عباس
لاسلامك يوم اسلامك احب الي من اسلام الخطاب لو اسلم الخ وعن ابن اسحاق صاحب السيرة وقد
تقدمت ترجمته وهذا رواه ايضا البيهقي عن اسماعيل بن محمد بن سعد بن ابي وقاص مرسلا
ان امراة من الانصار هي من بني دينار ولم يسمها قتل ابوها واخوها وزوجها شهدا
يوم احد اسم جبل كانت عنده الغزوة المشهورة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس
المراد السؤال عن فعله حقيقة وانما المراد السؤال عن سلامته وحياته وعبرت بذلك تادبا
لان الفعل يستلزم الحياة فاريد لازمه قالوا خيرا اي فعل خيرا والمراد انه بخير ولذا
قالوا بعده هو بحمد الله كما تحبين اي سالم منصور مظفر قالت لمن سالته ارنيه اي دلني
عليه حتى اراه واتلذذ بمشاهدته وفي نسخة ارونيه فلما راته بعد ما دلها عليه
قالت كل مصيبة نصب المال والاهل بعد اي بعد سلامتك ورؤيتك جلل بفتح الجيم
واللام ثم لام اخرى بمعنى هين لا ابالي به ولا احزن عليه ويكون جلل بمعنى عظيم
ايضا لانه من الاضداد والمراد الاول وشاهد الاول قول امرئ القيس

يقتل بن اسيد ربهم ۞ الا كل شيء جلل

والثاني قوله

فلئن عفوت لاعفون جللا ۞ ولئن سطوت لاوهنن عظمي

وهو دليل على قوة ايمانها وتقديمها محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم على محبة
غيره من الاهل وسئل علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ولم يذكروا من رواه عنه كيف كان
حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي ما مقداره في شدته قال كان والله احب الينا
من اموالنا واولادنا وابائنا وامهاتنا بضم الهمزة وكسرها مع فتح الميم وكسرها جمع
امهة بمعنى ام لغة فيها الا انه مختص ببني ادم قال امهتي خندف ذو الباس ابي
ويقال في البهائم امات واحب من الماء البارد على الظما بمعنى شدة العطش ويمد
ويقصر والافصح قصره واعاد الجار لانه نوع اخر مما يحب ولشدة منفعته وخص الظما

لانه محبة الماء وشدة الرغبة فيه وعن زيد بن اسلم الفقيه العمري توفي سنة ست وثلاثين ومائة اخرج
له اصحاب الكتب الستة وله ترجمة في الميزان قال خرج عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
من بيته لازقة المدينة ليلة يحرس الناس على عادته في خلافته اذ كان يدور في الازقة
ويعس ليعرف حال الناس فراى مصباحا موقدا في بيت فقصده ليرى ما في البيت الذي هو
فيه فراى عجوزا اي امراة مسنة ويقال عجوزة ايضا ولم ار من الشراح هنا من ترجمها تنفش
صوفا بضم الفاء وشين معجمة ونفش الصوف والقطن لاصلاحه معلوم وهي تقول اي تنشد شعرا
من بحر السريع على محمد صلاة الابرار معنى الصلاة مشهور وعلى متعلق بصلاة او
بمقدر ويجوز تقديم الظرف على المصدر لتوسعهم فيه والابرار جمع بر او بار وهو كل
مطيع لربه متفضل اي ادعو له بكل ما تدعو به الابرار صلى عليه الطيبون الاخيار
المراد بالطيبين المتقون الذين طابت ظهورهم وسريرهم والاخيار جمع خير مخفف او خير
بمعنى اخير واتقى قد كنت قواما بكا بالاسحار قواما اي متهجدا لان القيام يختص بصلاة
الليل اي كثير القيام للعبادة وبكا بضم الباء والقصر مصدر بمعنى اسم الفاعل اطلق عليه للمبالغة
وهو يمد ويقصر والاسحار جمع سحر وهو اخر الليل والباء بمعنى في هذا هو الصواب
رواية ودراية وما قيل من ان بكا بتشديد الكاف والكلام شجع لا نظم لانكسار الوزن وكذا
ما قيل من ان بكا ممدود مضاف للاسحار بدون باء والاضافة على معنى في تكلف وتعسف
يا ليت شعري والمنايا اطوار شعري بمعنى علمي وهو اسم ليت وخبره محذوف اي
حاصل وقوله هل تجمعني وحبيبي الدار قائم مقام معلوم شعري علق عنه والمنايا جمع
منية وهي الموت من مني بمعنى تصير وتقدر واطوار جمع طور وهو الحال اي امور شتى
مختلفة ومراده بالحبيب كما قاله المص النبي صلى الله عليه وسلم والظاهر ان مرادها بالدار
الدار الاخرة اي هل اراه صلى الله عليه وسلم بعد الموت فانه مقر وله اسباب مختلفة كما قيل

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ۞ تعددت الاسباب والداء واحد

وقيل المعنى هل تجمعنا الدار ويحول بيني وبينه الموت فالمراد بالدار الدنيا وليس بمناسب
هنا وهذه القصة حكاها ابن المبارك في كتاب الزهد وفيها فما زال عمر رضي الله عنه
يبكي وطرق عليها الباب فقالت من هذا فقال عمر بن الخطاب فقالت ما لي ولعمر في
هذه الساعة فقال افتحي رحمك الله فلا باس عليك ففتحت له فدخل عليها وقال رددي
الكلمات التي قلتيها آنفا فرددتها فقال ادخليني معكما وقولي وعمر فاغفر له يا غفار
تقصد بقولها حبيبي النبي صلى الله عليه وسلم وفيه مناسبة لما نحن فيه فجلس
عمر رضي الله عنه يبكي وفي الحكاية التي نقلها ابن المبارك طول اقتصرنا منها على المراد
منها وروي ان ابن عمر رضي الله عنهما رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة خدرت
رجله بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال وفتح الراء المهملتين اي اصابها خدر وهو امر يعتري
الرجل لما يصيب العصب فيمنع من تحريكها بسهولة ويزول سريعا لانه لو امتد كان فالجا
او من مقدماته فقيل له اذكر احب الناس اليك لان الناس جربوا في الخدر ان من
اصابه اذا ذكر محبوبه زال بسهولة لانه بمسرته تتنفس الحرارة الغريزية فتدفع
الخدر فصاح يا محمداه مفعول صاح لتضمنه معنى القول او القول مقدر بعد كما هو
مشهور في امثاله عند النحاة ومن قال انه لم يعطف على جملة صاح لكمال الاتصال

بينهما

بينهما فهو كما بوحفص عمر عطف بيان لم يصب الحز فانشترت رجله اي امتدت لزوال
خدرها وهذا يقتضي صحة ما جربوه وقد روى انه وقع مثله لابن عباس رضي الله عنهما
وذكره النووي في اذكاره وروى ايضا عن ابن عباس وفيه يقول ابن الكتاهية

وتخدر في بعض الاحايين رجله فناداه ثم يقل يا عتب لم يذهب الخدر

وهذا ما تعاهده اهل المدينة وقوله يا محمداه بالف وهاء للندبة في الندا لم يتوجع او يتفجع
كما قرره النحاة ولما احتضر بلال رضي الله عنه بالبنا للمجهول اي حضرته الملائكة لقبض
روحه نادته امرأته أي صاحت باعلا صوتها وحر باه بفتح الحا والرا المهملتين وبا موحدة
وهو في الاصل النهب والسلب من حربته اذا سلبت ماله وما يعيش به قيل فكانها لتفجعها
لموته نهبت وسلبت وفي القاموس قيل واصله اذ حرب بالامير لما مات قيل في نفسه واحرباه
ثم نقل ذلك يعني عم في كل نفي وحرب لكفارة وواحرقلباه ندبة والمندوب اما ميت ينفي
او امر ينتجع منه نحو واعمراه وقيل انه روي حرباه بفتح الحاء المهملة والراي
المعجمة او بضم اوله وسكون ثانيه وروي ايضا حوباه بفتح الحا والواو وبالموحدة
فثنى تتفجع على نفسها او هو من الحوبة بمعنى رقة القلب وهو تكلف والرواية الاولى
ما تقدم فقال بلال رضي الله عنه رد المقالة واطرباه الطرب خفة تعترى المرء لحزن أو به
سرور فهو مشترك بينهما والمراد هنا الثاني وواهنا للندا والالف والهاء مزيدة في اخره
كانه يستفهك بطربه ويدعوه في سكرات الموت لما يتبقنه من الثواب ولقاة الاحباب لعلمه
بانا الارواح تتلاقى في البرزخ كما اشار اليه بقوله غدا القى الاحبة محمدا وحزبه بيان لمراده بالاحبة والحزب الجماعة المتحزبين اي المجتمعين والمراد بهم الصحابة
رضي الله عنهم والمراد بقوله غدا الزمان المستقبل بعد الموت وروي كما يأتي نلقى الاحبة
محمدا وصحبه وهذا بيت من مجزوء الوافر يحفظ من بيت حجرة يعلم العروض ذكره
العشيرة رحمه الله ومثله روي عن حذيفة بالبما رضي الله عنهما وروي انا مرأة قالت
لعائشة رضي الله عنها اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لها لا تفعلي
في بيتها وكانا مستورا عن الناس تكريما لصلى الله عليه وسلم فكشفت لها برفع الستارة
عنه فبكت كيف ماتت لشدة محبتها للنبي صلى الله عليه وسلم وهذا لم يخرجوه وروي البرقي
عن عروة انه لما اخرج اهل المدينة زيد بن الدثنة بفتح الدال المهملة وكسر المثلثة وسكون
ونون وها تانيث وهو زيد بن الدثنة بن معاوية بن عبيد بن معاوية بن عامر بن
بياضة الخزرجي الصحابي وكانا اسر يوم الرجيع من الحرم ليقتلوه فقتلوا وانا اخرجوه
منه لانهم كانوا لا يقتلون فيه تعظيما له وكانا قتله في السنة الثالثة من الهجرة قال له
ابو سفيان بن حرب والد معاوية وكانا ذلك قبل اسلامه وقيل انا الذي قتله ذلك
الا بي حبيب بن عدي حين رفع على خشبة فقال لا والله وفي كلامه كما نقله ابن سيد
الناس في سيرته عن ابن عقبة وما ذكره المصنف رواية ابن اسحاق انشدك الله فتح وانشد
بفتح الهمزة وضمها يقال نشدته وانشدته اذا سالته وفي القاموس نشدك فلانا عروفه
وبالله استحلفه وقال له نشدتك الله او سالتك بالله ونشدتك الله بالفتح انشدك الله
وقد ناشده مناشدة ونشادا حلفه والله منصوب بنزع الخافض اي اسالك بالله وفي
النهاية انه مستقد لمفعولين وقال الوقشي الصواب نشدتك الله فليجر ولان زيدا احب

انا محمدا عبد نا مكاتك تقرب عنقه فيقتلها الله من ذلك وانك بفتح الهمزة سالما مقيما
في اهلك فقال زيد رضي الله عنه والله ما احب وارضي ان محمدا في مكانه الذي هو فيه مقيم
تصيبه شوكة اي اقل شيء من الاذي فضلا عما قلتم وانا جالس في اهلي سالم من الاذي وهو
متاذ فقال ابو سفيان ما رايت احدا من الناس ما دامت له تجيبة كما قومهم وان كان دمه
بهذا الكلام التنجيب من تعجب اصحابه يجب احد الحب اصحاب محمد محمدا مفعول لاجله للمصدر وهذه القصة
مفصلة في السير لا نطيل بذكرها هنا وعن ابن عباس رضي الله عنهما فيما رواه ابن جرير والبزار
كانت المراة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرة الى المدينة احلفها بالله وفي
نسخة حلفها بالتشديد بمعنى اي كلفها القسم بالله اني ما خرجت من ارضها وبلدها من بغض
زوج لها ان اشزة منه ولا رغبة بارض اي في ارض عن ارض خرجت منها وانها ما خرجت
من ارضها الا حبا لله ورسوله منبي هجرة خالصة لله وفيه وجوب محبة الله ورسوله صلى
الله عليه وسلم وهو الذي قصره الم هنا وكان ذلك لما وقعت الهدنة بيننا رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمشركين وشرطوا عليه صلى الله عليه وسلم ان يرد عليهم كل من اتاه من
اهل مكة ولو كان مسلما فرد ابا جندل رضي الله عنه ولم يرد النساء لما لحقهن في العهد
اولا بالله نسخ صونا للفروج ولضعفهن فكان صلى الله عليه وسلم لا يرد من ظهر اسلامها
وامره الله بامتحانهن باستحلافهن بما ذكر فاذا حلفن اعطى مهورهن ونفقتهن وهو
المراد بقوله تعالى فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار الاية ويعاد ذكر ذلك
سقط ما قيل في نظم هذا الفصل نوع نظر ووفق ابا عمر رضي الله عنه كما رواه
ابن سعد على عباس ابا الزبير بعد قتله رضي الله عنه حين قتله الحجاج وصلبه على جذع
وقد حاصره ثم قتله سنة ثلاث وسبعين يوم الثلاثا سابع عشر جمادي الاولى او الاخرة
كما فصل في التواريخ فاستقبله اي دعا له ابا عمر بالمغفرة كنت ابا عمر مخاطبا بعد
موته كنت والله فيما علمت اي فيما ثبت وتحقق في علمي بلغ صواما اي مبالغا في الصوم
وكثرته قواما اي كثير القيام والتهجد كما مر قيل انه كان رضي الله عنه قسم ليله ثلاثة
اقسام ليلة يصلي قائما الى الصباح وليلة راكعا الى الصباح وليلة ساجدا الى الصباح
تحب الله ورسوله اي مخلصا في محبتهما موثرا لهما على كل شيء حتى على نفسه واهله
اما عبادته رضي الله عنه وتوجهه الى الله فيها فنقل عنه امور عجيبة فكان اذا توجه
انقلب كانه جذع لا يحس بشيء ولا يحرك حتى يقع عليه الطير ودمي بحجر من المنجنيق
وهو يصلي في ايام محاصرته فلم يقطع صلاته وقد جيء به مقتا طيس الجبة فدفن قريبا
منه صلى الله عليه وسلم فانهم لما انزلوه عن جذعه الذي صلب عليه غسلته ام ابنها بنت
ابي بكر الصديق رضي الله عنهما بعد ان قطعت مفاصله وحطته وكفنته وصلت عليه وحملته
الى المدينة ودفنته في دار صفية ام المومنين رضي الله عنها وهذه الدار بنيت في المسجد
النبوي على صاحبه افضل الصلاة والسلام

فصل في علامة محبته عليه الصلاة والسلام

اي في ذكر صلاة تدل على ان ادعاء
ما اتصف بها محب له صلى الله عليه وسلم اعلم امر لكل اسم توجه اليه الخطاب من غير تقييد
سيتمسك بمفعوليه قوله اذا من احب شيئا اثره اي اختاره وقدمه على غيره وهو بفتح الهمزة
والمثلثة كقوله وائتموا فقهه في قوله وافعاله والا فالمراد بالاثر ما يوثر وبه يتم موافقته واصله

وان لا بان الشرطية ولا النافية ولم يكن صادقا في دعوى المحبة كما قال في حبه وكان مدعيا اي
كاذبا في دعواه لان المدعي هو الزاعم للباطل عند الاطلاق ولذا يقال مسيلمة مدعي النبوة
لكن لا يقال مثله في حق النبي صلى الله عليه وسلم كما قال

وكل يدعي وصلا لليلى ... وليلا لا تقر له بذاك

وقال

ولما ادعيت الحب قال كذبتني ... فما لي ارى الاعضاء منك كوسيا
فما الحب حتى يلصق القلب بالحشا ... وتذهل حتى لا تجيب المناديا

فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من يظهر عليه علامات ذلك
الحب الذي ادعاه بحيث لا يخفى واولها اي اول تلك العلامات الاقتدا به صلى الله
عليه وسلم باتباع اقواله وافعاله واثاره واستعمال سنته اي العمل بها واتباع اقواله
وافعاله فلا يخالفها وامتثال اوامره واجتناب نواهيه بان يفعل ما امر به ويترك ما نهي عنه بقدر
استطاعته قال ابن هشام في تذكرته ومن خطه نقلت قال الاصوليون الامر بمعنى القول
المخصوص يجمع على اوامر وبمعنى الفعل او الشان على امور ولا نعلم من وافقهم الا الجوهري
وفي التهذيب خلافه ولم يذكر النحاة ان فعلا يجمع على فواعل وفي شرح البرهان قول
الجوهري غير معروف وصحح بوجوه الاول انه جمع امر لانه اسم او صفة كما لا يعقل
وهو مجاز لان الامر الشخصي لا القول ولم يقولوا انه مجاز وصرحوا بانه جمع امر فكيف يخرج
عليه كلامهم الثاني انه جمع امرة مصدر كالعافية وعليه جرت هذه الصفة ورد بانه لا ينافي
لان معناها ايجاد الطلب لا الصيغة والثالث انه جمع الجمع جمع على افعل وجمع افعل
على افاعل ورد بان اوامر فواعل لا افاعل والابدال فيه مطرد وقال الاصفهاني في شرح
المحصول هذا التوجيه لا يتم في النواهي وكونه جمع ناهية مجازا تكلف وكونه لمشاكلة الاوامر
يرده استعماله مفردا انتهى والتادب بادابه الادب حسن تناول الامور والتلطف
فيها والمراد التخلق باخلاقه صلى الله عليه وسلم في الكرم وحسن الشيم والادب غلب
في العرف على هذا المعنى في عسره ويسره بضمتين فيهما ويسكن السين تخفيفا في الشدة والرخا
والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم او لصاحب الحالة المصدرية ومنشطه اي في نشاطه وخفته
ومكرهه اي كراهته لامر يتحمله من غيره وميمها مفتوحة وشاهد هذا المذكور كله اي ما
يشهد له ويدل عليه حتى كانه شهد به واثبته قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله جعل محبة الله لازمة لاتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن احب الله احب رسوله
فكانه قال ان كنتم تحبوني فاتبعوني وبهذا ظهر مطابقة هذه الاية لما عقد له الفصل وايثار ما
شرعه من احكامه الواجبة وغيرها وحض عليه اي حث الناس على فعله وحرضهم عليه على هوى
نفسه اي ما تهواه وتميل اليه وموافقة شهوته اي ما تشتهيه نفسه ويميل اليه طبعه لان الاشتها
ميل طبيعي غير مقدور ولذا يعاقب المكلف بارادة المعاصي عند بعضهم ولا يعاقب باشتهائها
والشهوة مغايرة للارادة لان الشهوة توقان النفس الى الامور المستلذة والارادة قد
تتعلق بنفسها بخلاف الشهوة فانها لا تتعلق بنفسها بل بالذات فان تعلقت بنفسها كانت
مجازا عن المجازاة كما في قوله اشتهي ان اشتهي قال الله تعالى والذين تبوا الدار اي
سكنوها واستقروا بها وهم الانصار والمراد بالدار المدينة والايمان اي واخلصوا
الايمان وعطفه على الدار على حد قوله ورجحن الحواجب والعيونا او جعل الايمان لملازمتهم

له كالمنزل المستقر فيه ساكنه وتحقيقه في الكشاف وشروحه من قبلهم يحبون من هاجر اليهم
من المؤمنين ولا يجدون في صدورهم اي في قلوبهم وانفسهم وما وقع في بعض النسخ في
انفسهم سهوا من الكاتب مما اوتوا اي لا يخطر ببالهم وتطمح انفسهم الى ما اعطي المهاجرين
من فيء وغيره حسدا وطمعا ويؤثرون على انفسهم اي يقدمون المهاجرين على انفسهم
تكرما منهم ولو كان بهم اي فيهم خصاصة احتياجا وفاقة لما اثروهم به وسبب نزول هذه
الاية انه صلى الله عليه وسلم قسم بين الصحابة غنايم بني النضير ولم يعط الانصار منها الا ثلاثة
من فقرايهم وقال لهم ان شئتم اشركتكم معهم وقسمتم لهم من دياركم واموالكم وان شئتم كان
لكم اموالكم ودياركم ولا تاخذوا منه شيا فقالوا بل نؤثرهم بالفيء ونقسم لهم من ديارنا واموالنا
فلله درهم ما اكرمهم واعونهم على البر والتقوى وهذا كله محبة لله ورسوله صلى الله
عليه وسلم وكان المهاجرين قبل ذلك نزلوا دون الانصار فلما فتح الله عليهم فعل ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم واسخاط العباد اي اغضابهم عليهم بمخالفتهم في رضى
الله اي فيما يرضيه وهذا وما قبله معطوف على الاقتدا وهذا كما قال الحريري

وابغ رضى الله فاعيى الورى ... من اغضب المولى وارضى العبيد

حدثنا القاضي ابو علي الحافظ هو ابن سكرة وقد تقدمت ترجمته قال حدثنا ابو الحسن الصيرفي
تقدم ايضا وفي نسخة الحسين وهو سهو وابو الفضل بن خيرون تقدم ايضا قالا حدثنا ابو
يعلى البغدادي الذي يقال له زوج الحرة كما تقدم قال حدثنا ابو علي السنجي تقدم ايضا
قال حدثنا محمد بن محبوب تقدم ايضا قال حدثنا ابو عيسى هو الامام الترمذي صاحب السنن
وهو محمد بن عيسى بن سورة كما تقدم حدثنا مسلم ابن حاتم الانصاري امام جامع البصرة
حدثنا محمد بن عبد الله الانصاري هو محمد بن عبد الله بن المثنى الانصاري قاضي البصرة
الامام الثقة توفي في رجب سنة خمسة عشر ومائتين وله ترجمة في الميزان عن ابيه هو عبد الله
بن المثنى البصري وقد وثقوه وله ترجمة في الميزان عن علي بن زيد بن عبد الله بن ابي
مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب الضرير احد الحفاظ وان قيل فيه لين وليس
بثبت واخرج له الاربعة وله ترجمة في الميزان توفي سنة احدى وثلاثين او تسعة وعشرين
ومائة عن سعيد بن المسيب تقدم ايضا قال قال انس بن مالك الصحابي المشهور قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني مصغر بتشديد اليا ويجوز كسرها وفتحها والتصغير
للشفقة والمحبة وكان خادمه صلى الله عليه وسلم وفيه دلالة على انه صلى الله عليه وسلم
ابو المؤمنين كما ان زوجاته رضي الله عنهن امهاتهم وبناته اخواتهم وقد وقع اطلاق هذا
كله في الاحاديث الصحيحة وقرئ وازواجه امهاتهم وهو اب لهم وقوله تعالى ما كان
محمد ابا احد من رجالكم المنفي فيه ابوة النسب حقيقة خلافا لمن لم يجوز اطلاقه عليه صلى الله
عليه وسلم عملا بظاهر الاية والصحيح خلافه كما تقدم بيانه في اول فصل فاما حسن عشرته
الخ ان قدرت ان تصبح وتمسي اي ان امكنك ذلك ولم يمنعك منه مانع اي على ان الخ لان حذف
الجار هنا مطرد والمراد بالاصباح والامساء جميع زمان لا خصوصهما اذ لا وجه للتخصيص
وهما فعلان تامان وقوله ليس في قلبك غش لاحد جملة حالية بدون تقدير قد لجمود
فعلها او هي خبر وهما ناقصان والغش بكسر الغين المعجمة ضد النصح والمراد به هنا مجاز اغل
وحقد والمراد اذا اضيف للقلب ولو كان على ظاهره معنى وبتقدير مضاف اي نية الغش والاول

احسن

أحسن وأقرب فافعل اي فكن مداوما على ذلك ثم قال صلى الله عليه وسلم لي يا بني وذلك
اي نزع الغش من القلب من سنتي اي طريقتي واخلاقي ومن احيا سنتي اظهرها واتبعها
فقد احبني اي علم حبه لي وهذه رواية والذي في الترمذي فقد احياني وهو الظاهر
ومن احبني كان معي في الجنة لان المرء مع من احب اليه من نفسه فمن اتصف بهذه الصفة
اي باحيا السنة واتباعها وقيل المراد بالصفة ان لا يكون في قلبه غش لاحد فهو كامل المحبة
لله ورسوله ومن خالفها اي خالف السنة في بعض هذه الامور كترك بعض ما امر به
او اتى بعض ما نهي عنه احيانا فهو ناقص المحبة لا كاملها ولا يخرج بارتكاب البعض عن
اسمها اي عن الاتصاف بها وتسميته محبا في الجملة ولا ينافي هذا قوله المتقدم

لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع

لان ذلك في المحبة الكاملة التي هي محبة الخواص على نهج قوله لا يزني الزاني وهو مومن
ولذا عقبه بقوله ودليله اي دليل ان بعض المخالفة لا تخرجه عن اتصافه بالمحبة
قوله صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخاري عن عمر رضي الله عنه للذي حده في
الخمر اي اقام عليه الحد لشربه الخمر واللام كهي في قوله وقال الذين كفروا للذين امنوا
لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي قوله في حقه وشانه وهي في الحقيقة لا ام تقليل والصحابي
الذي حد في الخمر في هذا الحديث قيل هو عبد الله الملقب بحمار باسم الحيوان بحا مهملة
وقيل بل هو بخا معجمة مكسورة وانه الصواب وقيل ابن نعيمان او نعيمان نفسه بن عمرو بن
رفاعة البدري وهو الذي حد في الخمر مرارا وهو صاحب الدعابة الذي كان صلى الله عليه
وسلم يضحك منه توفي في زمن معاوية وصحح هذا وقصة حمار اخرى كانت بخيبر وقيل انه
هو نفسه وقال الحافظ الدمياطي ان كون هذا الرجل حمارا وهم وانما هو نعيمان وحمار هذا
معدود في الصحابة ولم يذكروا نسبه فلعنه بعضهم اي قال اللهم العنه وروي انه قال له
اخزاك الله تعالى والقايل له عمر بن الخطاب كما رواه البيهقي وقال ما اكثر ما يوتى به
تعجب من كثرة ما اتوا به النبي صلى الله عليه وسلم وهو سكران فقال صلى الله عليه وسلم
لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله وفيه دليل على ان المسلم وان ارتكب الكباير لا يجوز لعنه
ومن كان كذلك لا يجوز لعنه وفيه ان محبة الله ورسوله من اعظم المحبات وفيه رد على
على المعتزلة في ان مرتكب الكبيرة مخلد الله في النار ومن علامات محبة النبي صلى الله
عليه وسلم كثرة ذكره صلى الله عليه وسلم وذكره بالصلاة عليه ومنه علم فضيلة الحديث
واهله لذكرهم له صلى الله عليه وسلم كثيرا ومن احب شيا اكثر من ذكره وهذا مثل مشهور
وهو امر طبيعي عادي ومنها اي علامات محبته صلى الله عليه وسلم كثرة شوقه الى
لقايه اما في حياته فظاهر واما بعد موته صلى الله عليه وسلم فبان يشتق للقايه في الاخرة
ويشاهد ذاته الكريمة اللهم ارزقنا ذلك فكل حبيب اي محب يحب لقا حبيبه اي محبوبه فان
فعيل ياتي بمعنى اسم الفاعل والمفعول وان اشتهر هذا في الثاني وذكره معادلا لقوله
قبله من احب شيا الخ وكل منهما علة لما قبله وهو من حسن التعليل البديعي الشي بالشي
يذكر ما احسن قول عروة بن حزام

واني لاهوى الحشر اذ قيل انني وعفرا يوم الحشر تلتقيان

ومنه اخذ ابن رواحة قوله

اذا كانت جلود لديك ظلمي ... فزدني من الحب في عذابي
عسى يطول الوقوف بيني ... ويبنك عالما في الحساب

وقلت انا في باعية

كم قال لحبة اللئيم الافات ... واطول وقوفنا بيوم العرضات
هيهات لي بما عجناه له ... يغفر ويهب لجميع الزلات

وفي حديث الاشعريين يعني ابا موسى الاشعري واصحابه المنسوبون الى اشعر وقبيلة باليمن وكانوا قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع من الهجرة وكان صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه قد قدم عليكم قوم ارق قلوبا منكم فقدم الاشعريون وكانوا عند قدومهم المدينة منصوب ينزع للخافقين لانه يقال قدم فلان على فلان وقدم الى فلان كانهم كانوا يحبون ان يشتروا شعورا كلما موتوا وهو عند الى حبة محمد وصحبه لكنهم قالوا انما يقال ارتجز اذا انشد شعرا من بحور الرجز وتمامه مستفعلن ست مرات وهو ضرب من الرجز ليس منه وانما هو من الهزج او الرمل وقيل انما سماه رجزا للشابهة له لتقارب اجزائه وقلة حروفه ولهذا العرب كانت تطلق على ما يقولها الركبان من الاوزان القصيرة رجزا وما ذكروه من تخصيصه بهذا العدد اصطلاح حدث بعد الخليل رحمه الله والذي يظهر ان هذا الكلام تكلف لا حاجة اليه فان معناه اللغوي وهو تصويت وصوت فان اصل معناه ومنه الرجز اسم فرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم من صهيل وصوته وكون المصنف يخفى عليه مثل هذا سوء ظن به وفي نسخة وحز به بدل صحبه كما تقدم وتقدم قوله بلا اسئلة يعني ان بلا اذا تكرر لفظا ومعنى وان اختلف مرادهما فان مرادهما هنا التقابل لقاء النبي واصحابه في الحياة الدنيا وبلاد رمي اسعد الله ارادلقاءهم في الحضرة ثم المحتمل انه تواردهم في هذا الكلام وانه تمثل به ومثله المذكور وانما سياوه ما قاله عمار بن ياسر الصحابي حين قتل اي قتله اهل الشام الذين كانوا مع معاوية اي لما قتل بصفين مع علي رضي الله عنه سنة ست وثلاثين فيما رواه ابن سلمة قال كاني انظر الى عمار يوم صفين وقد استسقى فاتته امراة بشربة من لبن فشربها ثم قال اليوم القي الاحبة اي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحزبه اني اتاني شربة لاشربها من الدنيا شربتها ثم قاتل حتى قتل وقد قال صلى الله عليه وسلم يقتل عمار الفئة الباغية كما تقدم ومنه علم ان عليا كرم الله وجهه كان على الحق ومثله ايضا ما ذكي نامي قصة خالد بن معدان التي تقدمت من انه كان اذا اوى الى فراشه ليزال يذكر شوقه الى النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حتى يغلب عليه النوم وليس هذا مما نهي الموت المنهي عنه فانما هو ما احب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وتمني الموت لاجل لقائه والاستراحة من الدنيا وهمها ليس من هذا كما قاله في الفتوحات ومنه ايضا ما تقدم انه صلى الله عليه وسلم لما خير بين البقاء في الدنيا والانتقال للاخرة قال اللهم الرفيق الاعلى واعلم ان تحقيق هذا المقام ما قاله الحكيم الترمذي في فروقه ان تمني الموت على ثلاثة اقسام الاول تمني المحب عند اقتراب ربه في منازل القرب لما يظهر من ادناس الشهوة وكدورة الاخلاق فكلما اقترب اشتد شوقه لتمني الموت والثاني عبد اتى

نعمه

رحمه الله عليه في دينه شاملة بكل خير فخاف ان تعلقها لما راى من نفس خادعة وعدو لدود الوه
حبا له فتمنى الموت رجاء ان يحيره ذلك لنفسه وفي الحديث فهذا ان محمود اذ وددا عا الصحابة
كسلمان رضي الله عنه اذ قال لاحب الموت اشتياقا وقال ابن مسعود رضي الله عنه احب
الموت لاني لا ادري ما ينزل بي فاخاف على ديني والاول اقوى للصديق والثاني قول
صادق فلا تخط لصاحبه فيهما والثالث عبد تزيي في رفاهية عيش وثقل نعمة ثم انقلب
الى ما هو عليه وعضته النوائب فقال صبره وتمنى للموت وهذا مذموم ولذا جا في الحديث
لا يتمنى الموت احدكم لضر نزل به واما تمني مريم رضي الله عنها الموت وقولها يا ليتني مت
قبل هذا الخ فلخير يصيبني ولذا لم تقل الا ما فرط مني ديني رجاء ان لا ينزل لها ثارات فتنا تمنوح
وذلك لما اتهموا زكريا وهموا بقتله فجاءها المخاض الى جذع النخلة وكلمت بكلمات وبها
وسميت صديقة انتهى اذا علمت هذا فقول السخاوي لغيره تمني الموت مني عند
واما جا في الحديث الصحيح فان كان ولا بد فاعلا فليقل اللهم احيني ما كانت الحياة
خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي انتهى باطلاقه ليس كما ينبغي والتحقيق ما
عرفت ومن علاماته اي علامة حب الله ورسوله والضمير راجع للمحبة لتاويلها بالحب
وليس راجعا للقا المحبوب به واذ كانا اقرب وعليه محتاج للتاويل كما قيل
مع كثرة ذكره له صلى الله عليه وسلم تعظيمه له وتوقيره حتى توقيره عند ذكره
له وانهماله المشروع اي المصنوع والانكسار اي التذلل والتواضع مع سماع اسمه اي اذا ذكر
غيره لاسمه صلى الله عليه وسلم وقال اسحاق التجيبي هو امام المحدثين ابو ابراهيم اسحاق
بن ابراهيم التجيبي توفي لثمان بقين من ذي القعدة سنة اثنين وخمسين وثلثمائة
وهو منسوب لقبيلة من كندة سمي تجيب واختلف في تائه هل هي اصلية ام زائدة
وضمها المحدثون وكثير من الادبا وفتحها غيرهم قال في القاموس تجيب بالضم
وتفتح بطن من كندة منهم كنانة من بشر التجيبي وتجوب بالواو قبيلة من حمير منهم
ابن ملجم التجوبي قاتل علي كرم الله وجهه وغلط الجوهري وحرف بيت الوليد
بن عقبة

الا انما يحشر الناس بعد ثلاثة وقيل التجيبي الذي جا من مصر
انتهى وفي ان اسناده التجيبي وانما هو التجوبي كما في كامل المبرد واعلم
ان بعضهم زعم ان تاءه اصلية لانه في العين ذكره في فصل التا وتبعه صاحب القاموس
وهي زائدة كما قاله ابن السيد وجزم في تائه الوجيز اي الفتح والمعتمد قال التجوبي
في شرح مسلم اذ التا زائدة لانه من حاب يجوب كذا اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم بعده اي بعد وفاته لا يذكرونه الا خشعوا اي اظهروا الخشوع والذلل
واقشعرت جلودهم اي عرض بها الشعر يرة وبكوا حزنا لفراقه وشوقا للقائه صلى الله
عليه وسلم وكذلك اي ومثل الصحابة فيما ذكر كثير من التابعين لهم باحسان يفعلون كفعلهم
منهم من يفعل ذلك اي ما المذكورين بعضهم الصحابة والتابعين او من التابعين ما يبكي
ويخشع وتقشعر جلده محبة له وشوقا اليه ممتزجا ومعفوا له امن محبته وشوقه
او احدهما ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا اي لهيبة صلى الله عليه وسلم في
انفسهم واجلاله وتكريمه وسيما اي هي علامات محبته صلى الله عليه وسلم

ومحبته اي محبة الانسان لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم بالرفع والعايد محذوف
اي احبه النبي صلى الله عليه وسلم ومحبة بسببه الباء للملابسة اي تلبس بسبب من اسبابه وكان
بينه وبينه علامة بقرابة او صهارة وقال في النهاية السبب الزواج واصله الحبل الذي يتوصل
به لسقي الماء فاستعير لكل ما يتوصل به قال تعالى وتقطعت بهم الاسباب اي الوصل والمودات
نكتة انما خص ابن الاثير السبب هنا بالزواج وان كان عاما لان الزواج لمناسبة
الماء المخصص في المستعار لانه يطلق على المني كما في الحديث انما الماء من الماء وفي قوله
تقطعت في الاية لطف خفي وقوله من اهل بيته الخ بيان لمن احبه ومن هو بسببه ويجوز
ان يكون بيانا لمن هو بسببه بناء على عمومه وفي نسخة من ال بيته وفيهم خلاف والمشهور
عند الشافعي انهم المومنون من بني هاشم وبني المطلب ابني عبد مناف لا بني عبد شمس
وبني نوفل ابني عبد مناف لانه صلى الله عليه وسلم اشرك الاولين في خمس الخمس
الذي هو سهم ذوي القربى دون هولاء وقال انهم والفونا في الجاهلية والاسلام
وصحابته بفتح الصاد جمع او اسم جمع صحابي وهو في الاصل مصدر وهو كل مسلم
لقي النبي صلى الله عليه وسلم بعد بعثته ومات على ذلك فان تخللت ردة ولم تدم
لم يضر وهم لا يحصون كثرة وقد روي انه صلى الله عليه وسلم قبض عن مائة واربعة
وعشرين الفا والله اعلم والمهاجرين هو من هاجر وترك وطنه لله ورسوله صلى الله
عليه وسلم فيدخل فيه مهاجروا المدينة والحبشة وقدمهم لانهم افضل والانصار
جمع ناصر ونصير غلب على الاوس والخزرج ولذا نسب اليه وقيل انصاري وهو تخصيص
بعد تعميم لانهم افضل من غيرهم وفي نسخة من المهاجرين والانصار والظاهر انه عبارة
عن جميع الصحابة ليشمل من مات قبل الهجرة كخديجة رضي الله عنها وقيل انهم في حكم
المهاجرين لانهم السابقون باحسان قبل غيرهم فتامله وعداوة من عداهم اي من
علامات المحبة لهم عداوة من عاداهم ظلما وبغيا كالخوارج فلا يدخل فيه ما وقع بين
الصحابة ظاهرا وبغض من ابغضهم اي كرههم وقلاهم وسبهم واظهر شتمهم كالروافض
قاتلهم الله فان من احب شيا احب من يحبه وكره من يكرهه كما قيل وقد تقدم

اذا صافى صديقك من تعادي ... فقد عاداك وانفصل الكلام

وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحسن والحسين اي في حقهما وشانهما كما رواه البخاري
اللهم اي يا الله فاداه بيانا لتحقق حبه وعلم الله به وتعطيه لما طلب منه اني احبهما
فاحبهما اي اعطهما كل خير دنيوي واخروي كما ياتي في بيان محبة الله وهذا بلفظه
وقع في رواية الترمذي في حديث قال انه حسن صحيح والذي في الصحيحين ذكر فيه اسامة
والحسن وفيه روايات مختلفة ليس هذا تفصيل محلها واليه اشار المص بقوله وفي رواية
في الحسن وحده وليس المراد التخصيص اللهم اني احبه فاحب من يحبه وقال صلى الله
في رواية اخرى من احبهما اي الحسن والحسين فقد احبني ومن احبني فقد احب الله
لعلمه بالطريق الاولى ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي وغيره الله الله بنصبهم بمقدر كاتقوا
الله واحذروه واخشوه وفي ككريرة تخويف وتحذير على وجه المبالغة في اصحابي
اي في شانهم وحقهم فاحذروا تنقيصهم ونسبتهم لما لا يليق بهم والطعن فيهم ثم بينما

ذلك

ذلك بقوله لا تتخذوهم غرضا بغين معجمة وراء مهملة مفتوحتين وضاد معجمة وهو
الهدف الذي يرمي به السهام فهو استعارة او تشبيه بليغ على القول في مثله كما بين في
المعاني اي لا تقصدوا ذكرهم بسوء ولا تبحثوا عما وقع منهم ولذا منع السلف منه فمن
احبهم فبحبي احبهم اي بسبب حبي لهم ويلزم من المحبة لهم ان لا يذكروا بسوء ومن
ابغضهم فببغضي ابغضهم ولذا ذهب بعض المالكية كما سياتي الى قتل من سبهم لانه كسبه
صلى الله عليه وسلم ومن اذاهم بذكر سوءهم فقد اذاني لانه يسوءه ذلك ومن اذاني فقد
اذى الله اي عصاه وفعل ما لا يرضاه وهو المراد باذية الله ومن اذى الله يوشك
ان ياخذه اي يهلكه سريعا ولا يمهله فياخذه اخذ عزيز مقتدر وفي النهاية يوشك ان
يكون كذا اي يقرب ويسرع وقال صلى الله عليه وسلم في فاطمة رضي الله تعالى عنها
اي في حقها وشانها في حديث رواه البخاري وغيره انها بضعة بفتح الباء وكسرها اي
قطعة وجزء مني لان الولد حاصل من ابيه وقطعة من كبده يغضبني ما يغضبها اي
يسوءني ويؤذيني كل من اذاها لان الم الجزء يتالم به الكل فهو كالدليل لما قبله وسبب
الحديث ان عليا كرم الله وجهه خطب بنتا لابي جهل فسمعت بذلك فاطمة رضي الله عنها
فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يزعم قومك انك لا تغضب لبناتك وهذا
علي ناكح بنت ابي جهل فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشهد فقال اما بعد فان
فاطمة بضعة مني واني اكره ان يسوءها والله لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبنت عدو الله عند رجل واحد فترك علي ذلك والحديث وتفصيله مفصل في كتب
الحديث وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الترمذي عن عائشة وحسنه لعائشة
في اسامة بن زيد اي في حقه وشانه احبيه فاني احبه وقد قال صلى الله عليه وسلم اسامة
بن زيد احب الناس الي فاستوصوا به خيرا ولذا امر عائشة ان تستوصي به خيرا بعده وهذا
مما اخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه
الشيخان اية الايمان اي علامة تحققه وصدقه وكماله حب الانصار لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم
لهم ومحبتهم له ولانهم نصروا الدين وساعدوا المومنين من الصحابة وواساهم بما هو
معلوم واية النفاق المنافي لتحقق الايمان بغضهم وصحف بعضهم الحديث فقال انه
بالهمزة المكسورة والنون المشددة وضمير الشان وهو سهو ظاهر وفي حديث ابن
عمر كما اخرجه البيهقي في دلائله من احب العرب والمراد بهم هولاء الجيل المعروفون
مطلقا فبحبي اي بسبب حبي احبهم ومن ابغضهم من حيث ذواتهم لا لسبب اخر يكون
لبغض منهم فببغضي ابغضهم وفي حديث رواه الترمذي عن سلمان انه صلى الله عليه
وسلم قال له لا تبغضني فتفارق دينك قال كيف ابغضك وبك هدانا الله قال تبغض
العرب فتبغضني وفي شعب الايمان للحليمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله عز وجل خلق الخلق فاختار منهم بني ادم واختار من بني ادم العرب
واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بني هاشم فانا خيار
من خيار فمن احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم ولذا
قيل اطلاق اللسان بالوقيعة فيهم كالشعوبية اذية الله ورسوله صلى الله عليه
وسلم وقد قال الله تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة

وقد فصل ذلك الحافظ العراقي في تاليف له مستقل سماه انفع العرب في بيان فضل العرب
قال المولف رحمه الله فبالحقيقة اي بسبب النظر الحقيقة ونفس الامر المحقق عند العقول
السليمة من احب شيا من الاشيا احب كل شي يحبه محبوبه وهذه سيرة السلف اي دابهم وطريقهم
في محبتهم كل ما كان يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى المباحات اي كانوا يحبون
من احبه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الامور المباحة وشهوات النفس اي فيتبعونه
صلى الله عليه وسلم من الامور المباحة فيما يتعلق بشهوة النفس والطبيعة البشرية كمحبة
الطيب وبعض الاطعمة والزوجات وغير ذلك واستشهد لذلك بقوله وقد قال
انس رضي الله عنه انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يتبع الدبا بضم الدال المهملة
وتشديد الموحدة والمد والهمزة في اخره للالحاق والواحدة دباة وهي نوع من الماكول
معروف عند الناس بالقرع ومعنى تتبعها انه ياخذ قطع القرع من اي محل وجدت
فيه فان قلت اكل الانسان مما يليه مستحب واكله من غيره مكروه
كقوله صلى الله عليه وسلم كل مما يليك لمن راه يحيل يده في الطعام الا في الفواكه
فانه لا يكره فيها ذلك لعدم الاستكراه واليه الاشارة بقوله تعالى وفاكهة مما يشتهون
قلت قالوا انه اذا كان الاكل مما يتبرك به لا يكره في حقه ذلك لا سيما النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل انه مخصوص باللون الواحد وهذا كان معه قديد وقيل
انه صنع له صلى الله عليه وسلم وحده فله ان يفعل فيه ما يريد لعلمه برضا صاحبه
وقيل هو مخصوص بمن لم يواكله اتباعه وخدمه واعلم ان القرع معروف
واما الدبا بالمد كما مر وجوز بعضهم قصره وانكره القرطبي فقيل هو والقرع بمعنى
واحد وقيل هو المستدير منه وقيل هو اليابس منه وقال ابن حجر انه سهو
من النووي وهو اليقطين وهمزته زايدة ولذا ذكره في باب ديب وخطا صاحب
القاموس الجوهري في ذكره في المعتل في مادة دباء فقال هو وهم وليست
همزته منقلبة عن واو ولا ياء اقول اخطا من خطاه ومن تبعه هنا لان
الزمخشري ذكره في المعتل ايضا ووجهه ان الهمزة للالحاق كما ذكروه فهي
في حكم الاصلية كما حرروه في باب الالحاق من حوالي القصعة بفتح القاف اناء معروف
وحوالي مثنى حوال بمعنى حول وجانب والتثنية لمجرد التعدد والتكرار كما رجع
البصر كرتين وهو بفتح الحا واللام ويجوز كسر لامه وياء تثنية ساكنة وفيه لغات
مذكورة في كتب اللغة فما زلت هذا مقول انس فتاوه مضمومة احب الدبا اي احب
اكلها تبركا بها من يومئذ اي يوم اذا راه يتبعها ويحبها لحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم لها وهذا من علامات صدق محبته وهو شاهد لاتباعهم له في المباحات
وما تشتهيه الانفس وهذا الحديث اخرجه الشيخان وكان الذي رواه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم خياطا صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما من الدبا
ودعاه له فذهب معه انس وقال ابن حجر انه لم يقف على اسم هذا الخياط وهذا الحسن
ابن علي بن ابي طالب وكان الظاهر ان يقول واتى الحسن وابن عباس الى اخره فعدل
عنه لانه لشهرته كالمشاهد وابن عباس وابن جعفر تراسلمي بفتح العين وهي زوجة
ابي رافع ومولاة صفية عمته صلى الله عليه وسلم وقيل مولاته صلى الله عليه وسلم

ودابة

ودابة فاطمة الزهرا وهي التي غسلتها لما ماتت وقابلة ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم
وهي صحابية مشهورة وفي الصحابة سلمى غيرها خمس عشر امراة وسالوها ان تصنع
لهم طعاما اي تطبخه وتحضره لهم مما كان يعجبه صلى الله عليه وسلم وانما سالوها ذلك
لانها كانت تخدمه صلى الله عليه وسلم وتعرف ما هو له ومشروبه والعجب عندهم
حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب الشيء وهذه الحالة تكون كثيرا مع الاستحسان
فيلزمها الميل والمحبة فاريد به لازمه وهو المحبة وفيه دليل على محبة ما يحبه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو المراد وهذا رواه الترمذي في الشمايل وابن جعفر هذا هو
عبد الله بن جعفر بن ابي طالب الطيار ذو الجناحين الصحابي بن الصحابي وتتمة الحديث
مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحسن اكله فقالت انا لا نشتهيه اليوم
فقط لو ابل اصنعيه لنا فقامت وطحنت شيا من شعير وجعلته في قدر وصبت عليه شيا من زيت
وفلفل وقوابل وقربته اليهم وكان ابن عمر عبد الله الصحابي ابن الصحابي رضي الله عنهما في
حديث رواه الشيخان يلبس النعال جمع نعل وهو كل ما وقيت به الرجل وهي مونثة
السبتية بكسر السين المهملة وسكون الموحدة ويا نسبة الى السبت وهو جلد دبغ وازيل شعره
من سبته اذا قطعه لازالة شعره وكانوا في الجاهلية لا يلبس النعال المدبوغة منهم الا اهل
السعة والجاه وهي منسوبة لمحل يسمى سوق السبت كما قاله ابن قرقول وقيل انه يجوز
فتح اوله ايضا ويقال انها نعال سود ويصبغ بالصفرة وهو كل ما يصفر الشعر وغيره كالحنا
والكتم ويصبغ مثلث الموحدة وفيه تسمح انه لا يصبغ بنفس الصفرة وانما هو يصبغ اصفر
والمراد انه يصبغ ثيابه بشيء اصفر كالزعفران ونقل عن مالك جواز لبسه وما ورد من النهي
عنه ليس نهيا تحريميا وانما نهي عنه المحرم في الحج وعممه بعضهم ويدل على الجواز ما روي
عن ابن جعفر انه قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثوبان مصبوغان
بالزعفران كما رواه الحاكم والطبراني وغيرهما وكذا احاديث كثيرة صحيحة تدل على جوازه
ايضا وقوله اذا راى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك تعليل لفعله ومحبته
لما احبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك اشارة الى الصبغ اوله وللبس النعال وهو
انسب ببشارة البعيد وهذا استشهاد للاقتدا به صلى الله عليه وسلم في المباحات بالنسبة
اليه وان اختلف في الاقتدا به في مثله هل هو مباح في حق المقتدي به ام لا كذهابه في العيد
من طريق وعوده من اخرى ورجحوا الندب لمن نوى الاقتدا به صلى الله عليه وسلم
وهو الظاهر ومنها اي من علامات محبته صلى الله عليه وسلم بغض من ابغض الله
ورسوله بغض الرسول صلى الله عليه وسلم ظاهر من مثل ابي جهل وبغض الله تعالى اما
ببغض رسوله او بكفره او بانكاره كالعطلة والدهرية ومعاداة من عاداه اي من يتخذ
الرسول صلى الله عليه وسلم عدوا ولم يقل من عاداهما لان معاداة الله انما هي بمعاداة رسوله
صلى الله عليه وسلم لان عداوته تعالى حقيقة لا يتصور ومجانبة من خالف سنته اي اجتناب
من لم يتبع طريقته والبعد عنه واتبع في دينه اي اظهر البدع وخالف الشريعة وهو عطف
تفسيري لما قبله واستثقال كل من يخالف شريعته اي عده ثقيلا منفورا عنه غير مقبول
واصل الثقل في الاجسام ضد الخفة وفي نسخة كل امر ثم ذكر ما يتبينه من الكتاب العزيز فقال
قال الله تعالى لا تجد قوما يومنون بالله واليوم الاخر اي لا يكون كذا حتى تجدهم

فانه لا ينبغي ان يكون وهو مبالغة في النهي يوادون اي يكون بينهم وبينهم مودة من حاد الله
ورسوله اي يخالفونه ويعارضونه وهولاء اصحابه رضي الله عنهم اي مما علم من اصحابه حتى كانهم
يشاهدون متلبسين به قد قتلوا احباهم اي اصدقاءهم قبل الاسلام وقد وقع هذا الكثير
من الصحابة وروي قتلوا اي ابغضوهم وابعدوهم قال تعالى ما ودعك ربك وما قلى وقاتلوا
اباهم وابناهم الذين بقوا على الكفر في مرضاته في تعليلية والمرضاة مصدر ميمي بمعنى الرضا
كابي عبيدة بن الجراح قتل اباه ببدر وعمر رضي الله عنه قتل خاله العاص ومصعب بن عمير
رضي الله عنه قتل اخاه ونحوه مما هو مذكور في السير وقال له صلى الله عليه وسلم عبد
الله رضي الله عنه بن عبد الله بن ابي ابن سلول راس المنافقين وابنه عبد الله هذا كان من
الصحابة المخلصين محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت خطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم لاتيتك براسه يعني اباه عبد الله بن سلول اي قتلته واتيت براسه لك وكان ابن
سلول رئيس اهل يثرب قبل الهجرة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وظهر الاسلام
بطلت رياسته فكان لحرصه على الدنيا يكره الاسلام ويظهر النفاق وهو الذي نزل في حقه
سورة المنافقين واما ابنه عبد الله فكان من خيار الصحابة الصادقين كما علم غير مرة
فلما ظهر من ابيه ما ظهر من ابيه قال يا رسول الله اسالك بالله الا ما اذنت لي في قتل ابي
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ترفق به وتحسن اليه وهذا مما رواه البخاري
ومنها اي من علامات محبته صلى الله عليه وسلم ان يحب القران الذي اتى به للناس
من عند ربه عز وجل وهدى به الخلق كلهم لسعادة الدارين واهتدى هو اي وصل الى الله به
وتخلق اي اتخذه خلقا له يعمل بكل ما فيه حتى قالت عائشة رضي الله عنها وقد سئلت عن خلقه
صلى الله عليه وسلم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القران اي كان دابه التمسك
به والتادب باداب والعمل بما فيه من مكارم الخصال فجعلت القران نفس خلقه مبالغة في شدة
تمسكه به وانه صار سجية له وطبيعة كانه طبع عليها فتخلق بمعنى اظهر الخلق كتجمل بمعنى اظهر
الجمال كما في كامل المبرد رحمه الله وقد يكون التخلق للتكلف كما في قوله

يا ايها المتحلي غير سيمته ان التخلق ياتي دون الخلق

وليس بمراد هنا وحبه للقران تلاوته اي كثرة تلاوته له على الوجه المرضي فيها عند اهل
الاداء وليس المراد مطلق القراءة والعمل به اي بما فيه من الاحكام والمواعظ وتفهمه
اي التفقه بفهم معانيه وجعل هذا عين الحب لتسببه عنه ومن العلامات لمحبته صلى الله عليه
وسلم ايضا يحب سنته اي طريقه وهديه بالاقتداء به قولا وفعلا ويجوز ان يريد بسنته
احاديثه المروية عنه بقرينة جعلها قرينة للقران وكثيرا ما تطلق عليه ويقف عند
حدودها اي لا يتعداه ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون وحدود الله محارمه
واحكامه من الحد والمنع والفصل ومنه حدود الدار واستعير الحد لما ذكر فالوقوف فيه
ترشيح مليح قال سهل بن عبد الله التستري وقد تقدم بيانه علامة حب الله اي امارته ودليله
حب القران وتقدم بيانه وعلامة حب الله وحب القران حب النبي صلى الله عليه وسلم
حب السنة فان من احب الله احب حبيبه وكلامه وعلامة حب السنة حب الاخرة
لان من احبه واتبعه احب لقاءه ورغب في الاخرة كما مر وعلامة حب الاخرة
بغض الدنيا والزهد فيها لانهما ضرتان لا يجتمعان في قلب مومن وبغضها لا يقتضي

التبذير

التبذير والاسراف كما توهم وانه كما قيل اللهم اجعلها في ايدينا ولا تجعلها في قلوبنا
وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر ويقتني منها الا زادا اي مقدارا يتزود به ويتقوت
ولا يخبي منها ما لا حاجة له به كما قيل

يكفيك مما تبتغيه القوت ما اكثر القوت لمن يموت

او بلغة بضم فسكون اي ما يبلغه به الى الدار الاخرة كالمسافر يحمل من الزاد ما يبلغه لقصده
ومنزله فان الدنيا دار سفر لا دار مقر

وانا لفي الدنيا كوكب سفينة نظن وقوفا والزمان بنا يسري

وعن ابن مسعود في حديث رواه البيهقي في الادب وابن الضريس في فضايل القران وفي
نسخة وقال ابن مسعود لا يسال احد من غيره عن نفسه اي عن احوال نفسه في محبتها
لله ورسوله الا القران فان كان يحب القران فهو يحب الله ورسوله فاذا اراد ان يعرف
حاله ينظر في ذلك فيستدل به حتى كانه ساله واجابه ببيان حاله فاذا استلذ بتلاوته وسماعه
علم حاله وكيف يشبع المحب من كلام محبوبه وهو غاية مطلوبه كما قيل

ان كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي اما تاملت ما فيه من لذيذ خطابي

ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم شفقته على امته بان يحبهم ويتلطف بهم ويرقق
قلبه عليهم ونصحهم لهم ببيان ما يصلحهم من امورهم وسعيه في مصالحهم بشفاعته
ومعاونته وقضا حوايجهم ورفع المضار عنهم برفع المظالم وازالة مضايقهم كما كان
صلى الله عليه وسلم بالمومنين منا ومن غيرنا لا بغيرهم رؤفا شفوقا رحيما منعما متفضلا
عليهم كما وصفه الله به في كتابه العزيز فعلينا الاقتدا به والتخلق باخلاقه ومن تمام محبته
اي كمالها واقصى مراتبها التي لا تتم الا بها زهد مستحبها اي المحبة في الدنيا وامورها
وزخرفها وايثاره الفقر اي اختياره وتقديمه عن الغنا وسعة الدنيا واتصافه به اي جعله
شعارا وصفة له تواضعا وزهدا وقد قال عليه الصلاة والسلام لابي سعيد الخدري
رضي الله عنه تقدمت ترجمته ان الفقر الى من يحبني منكم معاشر المسلمين او الصحابة اسرع
اي يصل اليكم بسرعة اقوى من سرعة السيل اذا انحدر وترك من اعلى الوادي وهو
الموضع الذي يسيل فيه الما من ودي بمعنى سال وسمي الفرجة بين جبلين واديا ويستعار
للطريقة والمذهب كما قال تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون او من الجبل الى اسفله والما النازل
من علو لسفل في غاية السرعة فضربه مثلا لسرعة افتقارهم والى متعلق باسم التفضيل وضمير
اسفله لاحد الامرين من الوادي او الجبل وافرد لانه بعد شيئين عطف باو وهذا بعض
من الحديث الذي بعده وقد رواه الترمذي وحسنه وفي حديث عبد الله بن مغفل
بضم الميم وفتح الغين المعجمة وتشديد الفا المفتوحة ولام وهو صحابي مزني من اصحاب
الشجرة اخرج له الستة وغيرهم وتوفي سنة ستين قال رجل من الصحابة للنبي صلى الله عليه
وسلم يا رسول الله اني احبك فقال انظر ما تقول اي تفكر فيه وتامل فان محبتي امر عظيم من
اختارها صادقا مخلصا ينبغي ان لا يحب امرا من امور الدنيا وهو امر صعب قال والله اني احبك
اكده بالقسم لما راى من قوله صلى الله عليه وسلم له المشعر بالتردد فيه وزاده ان كرره ثلاث مرات
ليزيل الشبهة قال له صلى الله عليه وسلم ان كنت تحبني حبا صادقا خالصا لا تؤثر عليه شيا
فاعد اي احضر وهيئ للفقر تجفافا بكسر المثناة الفوقية وسكون الجيم وفا بينهما

الف وتاوه مزيدة من جف اذا يبس وهي شي يوضع على الخيل ليقيها في الحرب الاذى كالدرع
للانسان وقد يلبسه الناس وجمعه تجاليف اي اعدل عدة تقيك من اذى الفقر فان النفوس
لا تتحمله يعني الصبر عليه ورياضة النفس في تحمله فشبه الفقر بجواد محصن بما يقيه لايصاله
الى السعادة او شبه صاحبه بجواد والفقر بالمحاربة لمجاهدة النفس به وفيه ايما الى ان من
احبه صلى الله عليه وسلم يبتلى بالفقر وكانه فقر اختياري بل هذه في الدنيا وقد اختلف في الفقر
والغنا وفي الفقير الصابر والغني الشاكر ايهما افضل وظاهر هذا الحديث الاول والكلام عليه
مفصل في كتب المشايخ وغيرها وقد منا منه ما فيه الكفاية وروي جلبابا بدل تجفافا ثم ذكر
اي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذا الكلام الذي قاله للرجل المذكور نحو حديث ابن
سعيد الخدري اي ما يشبهه بمعناه يعني قوله في الحديث الذي سبق للفقر اسرع الى من
يحبني من السيل الى مقره ومنتهاه تشبيها له بالسيل واشارة الى تلاحق الثواب به سريعا حتى
لا يخلص منها وليستعد

فصل في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها

اي المعنى الذي وضعه لها واضع اللغة وعين لفظه اختلف الناس المراد بهم علما السلف
والخلف وسبب اختلافهم ان المحبة التي تعارفها الناس كما سنبينه بحسب الظاهر لا تليق
بالله ورسوله في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم اي في بيان المراد بهما وكثرت
عباراتهم في ذلك التفسير وليست ترجع بالحقيقة اي ليس ما لها ان نظر الى نفس الامر
المحقق في الواقع الى اختلاف مقال اي ليس اختلافا لفظيا والمعنى واحد ولكنها
اختلاف احوال اي سبب اختلافهم اختلاف حال المحبة وحال المحبة قوة وضعفا فكل نظر الى
حال من احوالها وفسرها بتفسير يناسبه فليس اختلافا حقيقيا ولا لفظيا وانما هو باعتبار
المحبوب والمحب وحالاتهما حتى انكر بعضهم امكان محبة الله حقيقة كما في الاحيا وقال
لا معنى لها الا المواظبة على طاعته وقال القشيري هي حالة للقلب تلطف عن العبارة تحمل
على التعظيم وايثار رضاه واشتقاقها قيل من حب الاسنان وبياضها لصفا مورده وقيل من
الحباب الذي يعلو الما اذا انصب وتحرك لغورانها في القلب وقيل من احب البعير اذا برك لثبات
القلب عليها وهو اشتقاق بعيد وحقيقتها ميل النفس ميلا كليا لما يدعوه لمحبوبه من رايق جمال
او فايق كمال او فايض احسان وافضال فقال سفيان يحتمل سفيان بن عيينة وسفيان الثوري
قيل والظاهر انه الثوري لطول باعه في علوم القوم وعلو رتبته في العلم الظاهر ايضا فانه
كان مجتهدا او صاحب مذهب مستقل في عزة المحبة يعني محبة الله بدليل الاية التي
استدل بها اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله وكل ما جا به عن الله لان
من احب الله لا يعصيه فيما امره به وانما يعلم اوامره ونواهيه منه فهو تفسير لها بلازمها
ولما كان في هذا اخفا قال كانه اي سفيان التفت اي نظر في تفسيره هذا الى قوله تعالى واستنبط
منه قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فانه اقام اتباعه مقام محبته اذ لم يذكر
محبتهم وذكر محبته وهي لا تكون الا لمن احبه والاية نزلت في اليهود لما قالوا نحن ابناء
الله واحباؤه فارشدهم الى ما يحقق مدعاهم فان حقيقة المحبة ميل النفس الى شي ادرك منه
كما لا يحمله على ما يقربه اليه والكمال الحقيقي ليس الا لله وكل كمال في غيره فهو منه فمحبته
تقتضي طاعته والرغبة فيما يقربه اليه وليس ذلك الا بطاعته وطاعته لا تقبل الا باتباعه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم في معنى محبة الرسول صلى الله عليه وسلم انها اعتقاد
لزوم نصرته بالمجاهدة لينصره ويعلي كلمته والذب بالمعجمة اي المنع والطرد عن سنته اي
طريقته وشريعته برد ما يخالفها ودفع الشبه المورودة عليها وتصحيح احاديثه وتفسيرها
وبيانها والانقياد لها بان لا يخالفها ويعمل بها وهيئة مخالفته اي الخوف من مخالفته
مع تعظيمه واجلاله وفي نسخة مخالفتها اي السنة وفي النسخة الاولى الضمير للرسول صلى الله
عليه وسلم وقال بعضهم في تفسير مطلق المحبة ويحتمل انه بيان لمحبة الله دوام الذكر
للمحبوب اي اختياره وتقديمه على ما سواه بان يكون احب اليه من نفسه واهله وماله
كما تقدم وقال بعضهم المحبة معناها التشوق الى المحبوب بان يكون نفسه وقلبه دائما
تدعوه الى قربه وتحثه على لقائه وقد تقدم الفرق بين الشوق والاشتياق وانه من الاصطلاحات
الصوفية لا من المعاني اللغوية وقال بعضهم المحبة مواطاة القلب بضم الميم وطاء مهملة
تليها همزة ومعناها الموافقة واصله ان يطا الرجل برجله موطئ صاحبه قال تعالى ليواطئوا
عدة ما حرم الله اي موافقة القلب لمراد الرب بان لا يريد الا ما اراده فيترك ما يريده
لما يريد الله ثم بينه بقوله فيحب مضارع احب ما احب ويكره ما كره وفي نسخة ما يكره والاولى
اولى وقال اخر المحبة ميل القلب الى قبول قوله اي المحبوب والمراد كل ما يقوله وهذا كله من
اهل الطريقة وله امثال كثيرة كقول ذي النون قل لمن اظهر حب الله احذر ان تذل لغير الله تمقت
وقال الاخر المحبة ميل القلب الى موافق له اي موافق لما يرضاه ويريده محبوبه وهي اقوال
متقاربة واكثر العبارات المتقدمة من اول الفصل الى هذا اشارة الى ثمرات المحبة
انما قال اشارة لانهم لم يصرحوا بانها من ثمراتها واصل الثمرة نتاج الشجر ثم قيل لكل نفع يصدر
عن شيء ثمرة كثمرة العلم العمل فهو استعارة تصريحية او تخييلية ومكنية او مجاز مرسل دون
حقيقتها اي لا حقيقتها ودون ترد لمعان هذا منها وانما قال اكثر لان منها ما هو سبب كاتباعه
او لانه احتراز عن الاخير لانه حقيقة لغوية وفيه نظر ثم بين حقيقتها بقوله وحقيقة
المحبة الموضوعة لها مطلقا الميل معناه حقيقة العدول عن الوسط الى احد الجانبين
ثم تجوز به عن ارادته والرغبة فيه الى ما يوافق الانسان اي طبيعته قيل هذا بعينه هو
المعنى الاخير وفيه ان معنى قوله موافق له ثمة موافق لمحبوبه وهنا لنفسه فبينهما فرق نعم
هو قريب منه وبين الموافقة بقوله وتكون موافقته له اي لنفس المحب اما لاستلذاذه
اي عده لذيذا تشتهيه نفسه وتستحسنه بادراكه منه امرا محققا محبوبا كالطعم الحلو
والمشروب العذب وكحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة
واشباهها كالروائح الطيبة والملابس الفاخرة وهو اشارة الى المحسوس بالحواس الظاهرة
مما كل طبع سليم من غلظ الطبع وفساد الحواس كالمريض يجد الحلو مر الفساد ذوقه فهذا
لا يرد نقضا ما يلا اليه لموافقته له طبعا وفي نسخة موافقتها اي المذكورات او لاستلذاذه
اي وجوب لذته واللذة من الكيفيات النفسية وضدها الالم وتصور ذلك بديهي لانه من الوجدانيات
وهي ادراك الملايم من حيث هو ملايم والالم ضده والمراد بالملايم للشيء كماله اللايق به
كالتكيف بالحلاوة للذائق ونحوه من المحسوسات وكتعقل الاشياء على ما هي عليه للقوة
العاقلة وقيد بالحيثية لان الشيء قد يكون ملايما من وجه دون وجه اخر والمراد بادراكه ادراك
بعد الوصول لا مجرد تخيله كما تقرر في كتب الحكمة فاللذة تكون حسية وعقلية واليه اشار بقوله

اولا بادراكه الخ وهو القسم الاول والثاني بينه بقوله بادراك بعد الوصول اليه لا قبله بحاسة
عقله وقلبه فيه تسمح على راي الحكما لان المدرك عندهم القوى الناطقة في الدماغ لا العقل
المدرك للكليات لكن لما كان اهل الشرع لم يثبتوها تسمح فيها معاني باطنة غير مدركة بالحواس
الظاهرة شريفة اي نفيسة القدر دقيقة عالية القدر كانها في شرف اي مكان عال وحاسة
العقل قوته المدركة فالاضافة لامية او المراد حاسة هي العقل فالاضافة بيانية كحب الصالحين
والعلما واهل المعروف المراد بالمعروف كلما يعرف بالشرع والعقل حسنه كالحكما قاله الراغب
وحب الماثور اي المنقول عنهم السير المراد بها الاحوال والصفات الجميلة الحسنة المحمودة
شرعا وعقلا والافعال الحسية كالكرم والعلم والزهد كالحسن البصري فان طبع الانسان
مايل الى الشغف اي المحبة الزايدة وهو بشين وغين معجمتين وفا من شغفه الحب اذا وصل
الى شغاف قلبه اي علافه او نياطه وداخله وحبته وهذا انسب بالمراد وروي بعين مهملة
قيل هما بمعنى وقيل الثاني بمعنى الاحراق يقال شغفه الحب اذا احرقه وامرضه ومع ذلك
يجد له لذة فان عذابه عذب لذيذ ويأتي لهذا مزيد بيان وقوله بامتثال هولاء اي بهولاء
وامثالهم او المراد بامثالهم انفسهم كتلك لا يبخل وهو كناية عما تقرر في كتب المعاني والاشارة
للصالحين ومن بعدهم حتى يبلغ الشغف بهولاء وفرط حبهم التعصب تفعل من العصبة
وهي الجماعة المتعاضدة المتعاونة والمعنى اظهار الحمية والمبالغة في الصيانة حتى يفارقوا من
خالفهم في محبتهم للحمية والعصب لمن احبه والتشيع تفعل من الشيعة فهو هنا بمعنى التعصب
ايضا وضمنه معنى الانفصال لقوله من امة اي فارقوا امة خالفوهم وصاروا في آخرين
اي في قوم آخرين وفي نسخة اخرى اي امة اخرى والشيعة من المشايعة وهي المتابعة
والشيعة الفرقة من الناس غلب على من والى عليا رضي الله عنه كما مر ويأتي ما يؤدي
اي يوصل يقال اداه الى كذا اي اوصله وهو بهمزة ودال مشددة وهو مفعول يبلغ
اي يصل والتعصب فاعله فان نصب على انه مفعول وفاعله ضمير الشغف فهو بدل منه
والثاني اقرب الى الجلا بفتح الجيم واللام والمد الخروج عن الاوطان اي المساكن والبلاد
والاهل وهتك الحرم بفتح الحا وفتح الرا المهملتين جمع والهتك بمثناة فوقية وكاف كشف
الستر بازالته وتقطيعه والحرم جمع حرمة بضمتين وضم فسكون وفتح كهمزة وهو كل ما يصان
ويمنع ولذا قيل للنسا حرم اي افتضاح نسائهم وذهاب عرضهم وكل ما يلزمهم صيانته واخترام
بخا معجمة ومثناة ورا مهملة النفوس اي الذوات او الارواح اي اهلاكهم بسرعة يقال اخترمته
المنية كانها قطعت عمره وكل ما استاصل شيا اخترمه وفي نسخة القلوب والاولى احسن فترى
المرء يحب هولاء وان لم يرهم فحبهم يحمله على ما ذكر ثم ذكر سببا ثالثا للمحبة فقال
او يكون حبه اياه وميل نفسه وطبعه اليه لموافقته له اي لملايمته وموافقة طبعه من جهة
احسانه اليه اي انعامه وبذله وجوده وفي نسخة له اي لاجل ذلك فقوله وانعامه عليه عطف
تفسير فقد جبلت النفوس بالبنا للمفعول اي جعلت مطبوعة ومخلوقة على حب من
احسن اليها كما جبلت على بغض من اساء اليها وقيل ان هذا من الفاظ النبوة ولم ارد بعينه
حديثا الا انه ورد بمعناه ففي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا تجعل لفاجر علي
يدا فيحبه قلبي فاشار الى ان حب المحسن اضطراري وفي الاحياء ان المحبة قد تكون لغير هذا
من الالف الروحانية من غير سبب ظاهر وقال فيه ايضا في ايتلاف القلوب امر غامض

لا يطلع عليه

لا يطلع عليه قد يحب المرء من غير حسن واحسان او سبب ظاهر بل لمناسبة روحانية وشبه
الشيء منجذب اليه وفي الحديث الارواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف
وقول المنجمين انه داير على الطالع ومقابله لا اصل له وورد في حديث رواه في الفردوس لو
ان مؤمنا دخل مجلسا فيه ماية منافق ومومن واحد لجاء حتى جلس اليه ولو ان منافقا دخل مجلسا
فيه ماية مومن ومنافق واحد لجاء حتى جلس اليه فما ذكره هو الاغلب المعروف فاذا تقرر
اي ثبت وتحقق لك هذا المذكور من اسباب المحبة نظرت الى هذه نظرت الى هذه الاسباب
كلها اي معرفتها بنظر سديد وكلها تاكيد للاسباب او مبتدا خبره في حقه اي موجودة في حقه
وشانه مقررة محققة فعلمت انه عليه الصلاة والسلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة
للمحبة بمقتضى العقل والشرع والطبع السليم ثم بين ذلك بقوله اما جمال الصورة وهو السبب
الاول وهو حب الصورة الحسنة والصورة الهيئة والمراد ما يظهر للناظر كالوجه والظاهر عطف
تفسير للصورة وكمال الاخلاق اي كونها في غاية الكمال فيه صلى الله عليه وسلم
وهذا ليس من الحسن الظاهري بل حسن باطني كالصورة لان حسن الصورة يدل على حسن
السيرة فقوله والباطن عطف تفسير له فقد قررنا اي بينا في هذا الكتاب سابقا منها قبل
مبني على الضم فيما مر اول الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة فيه هنا واما احسانه صلى الله
عليه وسلم وهذا هو السبب الثاني وانعامه على امته يعني امة الاجابة فكذلك اي مثل
ما قبله في عدم احتياجه للبيان هنا لانه قد مر منه اشارة الى ان ما ذكر بعض منه لا يمكن
استيفاوه

وعلى تفنن مادحيه بوصفه يعني الزمان وفيه ما لم يوصف

في اوصاف الله تعالى له صلى الله عليه وسلم جمع وصف بمعنى صفة او توصيف ثم بينه
بقوله من رافته بهم اي شفقته ولطفه بهم كما مر ورحمته لهم اي انعامه صلى الله عليه
وسلم عليهم وكرمه وهدايته اياهم اي من احسانه انه هداهم الى سعادة الدارين
واي احسان اعظم من هذا وشفقته اي جنوده عليهم وترحمته لهم واستنقاذهم
اي تخليص الله هذه الامة به اي بسببه صلى الله عليه وسلم اذ بعثه اليهم من النار وعذاب
جهنم اذ هداهم لطريق النجاة منها وانه بالمومنين رؤف رحيم كما في قوله تعالى بالمومنين
رؤف رحيم كما مر مع تفسيره وانه رحمة للعالمين فهو مرفوع وضبط في بعض النسخ
منصوبا اي كونه رحمة ويويد ذلك قوله ومبشرا بكل خير ونذيرا مخوفا لهم ليرتدعوا
عما يضرهم وداعيا الى الله ودينه الحق باذنه في الدعوة او بارادته كما مر وسراجا
منيرا منقذا لهم من ظلمة الجهالة والضلال ويتلوا عليهم اياته المرشدة لهم فيقرا عليهم ما
يوحى اليه من دلايل التوحيد والنبوة ويزكيهم يطهرهم من الشرك والمعاصي
ويعلمهم الكتاب اي القران العظيم والحكمة وما يكملهم من المعارف والاحكام
ويهديهم الى صراط مستقيم يدلهم على الطريق الموصل الى الله بلطف وهذا مما وصفه الله
به في كتابه العزيز واي احسان اي للتعظيم والتفخيم كما يقال عندي رجل اي رجل اي
كامل الرجولية اجل قدرا وارفع رتبة واعظم خطرا بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة اي
قدرا وشرفا فغاير بينهما تفننا من احسانه اي احسان هذا النبي الكريم على امته فكيف
لا يحسن الى جميع المومنين خصهم لانهم هم المنتفعون به والا فاحسانه عام واي افضال

بمعنى احسانا وتفضل اعم منفعة واكثر فايدة على كافة المسلمين اي جميعهم وقد قيل كما مر
ان كافة تلزم التنكير والنصب على الحالية واستعمالها على خلاف ذلك خطا وان وقع في عباراتهم
كما في درة الغواص وقد اجبنا عنه في شرح الدرة وبينا انه سمع خلافه اذ تعليلية اي لانه
صلى الله عليه وسلم كان في ذريعتهم اي وسيلتهم وسبب موصل لهم الى الهداية اي ما يخلصهم
وينجيهم واصل الذريعة سترة يتخذها الصايد للفوز بالصيد والوصول اليه وهو صلى الله
عليه وسلم سترة من النيران وجنة لمن طلب الجنان ومنقذهم مخلصهم من العماية بفتح العين
وهي الغواية والجهالة وداعيهم الى الفلاح اي الفوز والظفر بسعادة الدارين والى الكرامة
اي الاكرام بنيل الخير ووسيلتهم الى ربهم اي موصلهم ومقربهم اليه وعاجل لهم منزلة عنده
وشفيعهم في الدنيا والاخرة والمتكلم عنهم عند الله ببيان عذارهم وهم احوج ما يكونون
الى الكلام وقد خرست الالسن ولم يؤذن لاحد غيره صلى الله عليه وسلم ان يتكلم والشاهد
لهم اي الذي يحقق لهم البا الدايم بالخلود في الجنة وليس المراد الوجوب الشرعي لانه لا
يجب على الله شي والنعيم في الجنة السرمد اي الدايم الذي لا ينقطع ولولاه صلى الله
عليه وسلم لم يكن شي من ذلك فقد استبان لك بما ذكر اي ظهر واتضح انه عليه الصلاة
والسلام مستوجب اي مستحق للمحبة الحقيقية لان اسبابها متوفرة فيه صلى الله عليه
وسلم على اكمل وجه لا يتيسر لغيره شرعا بما قدمناه من صحيح الاثار الموجبة له مزيد شرف
وحسن ترفه وانه المحسن والمتفضل بكل خير وانا مامورون بمحبته واتباعه بامر من الله له
وعادة معطوف على قوله شرعا اي ما اعتاده الناس في كل عصر من محبة من حاز الكمال كله
وجبلة لان كل خير واحسان وصل الينا فهو منه صلى الله عليه وسلم والنفوس مجبولة على
حب من احسن اليها كما مر والجبلة بمعنى الطبيعة قال تعالى واتقوا الذي خلقكم والجبلة
الاولين اي المجبولين الاولين مما ذكرنا متعلق باستبان انفا بالمد اي قريبا وهو
منصوب على الظرفية من انف بمعنى تقدم ومنه الانف اسم الجارحة لافاضته اي اعطائه
من بحر كرمه الاحسان بكل خير دنيوي واخروي وعموم الاجمال اي تعميم الجميل منه لكل
احد وهذا اجمال لما قدمه بذكر السابقة ثم وضحه بقوله فاذا كان الانسان يحب من منحه اي اعطاه
والمنحة العطية في دنياه اي في حياته الدنيا مرة او مرتين معروفا اي شيا حسنا كما مر تفسيره
او استنقذه ونجاه من هلكة بفتح الها واللام اي بالمضرة قليل منقطع اي زايل
في زمن قليل وذكره لان المدة بمعنى الزمان او لانه فعيل ومنقطع لمشاكلته ومدة مضافة
للتاذي او منول منصوب والتاذي مبتدا خبره قليل وعلى الاول المبتدا مدة فمن منحه
ما لا يبيد بمثناة تحتية مفتوحة وموحدة مكسورة وتحتية ساكنة ودال مهملة اي يذهب
وينفذ من النعيم المخلد في الجنة وهذه النسخة اولى مما وقع في بعض النسخ من النعم جمع نعمة
للسجع في الاولى ووقاه بالتشديد والتخفيف اي صانه وحماه ما لا يفنى من عذاب الجحيم
اي النار من جحم بمعنى توقد وقد يخص بطبقة منها وقوله اولى ما يحب بالبنا للمفعول
وفي نسخة اولى بالحب واولى افعل تفضيل بمعنى احق وهو خبر من اي احق من كل شي يحب
من نفسه وماله واهله واذا كان يحب للمجهول ايضا بالطبع متعلق بيحب وخص هذا
بالطبع لانه ليس محبوبا شرعا والعقل والعادة لا تخالفانه ملك بكسر الميم نايب
فاعل يحب فهو مرفوع وكذا ما بعده وفي نسخة نصب للجميع ويحب مبني للفاعل لحسن

سيرته

سيرته بعدله في رعيته او حاكم غير ملك كامير او نائبه اي يتقاضا عنه وهو بحر ولا يضام من نوه
طريقته اي احسن سلوكه وقوام بكسر القاف وهو المعتمد والنظام ويجوز فتحها بمعنى الاستداد
قال تعالى وكان بين ذلك قواما اي معتدلا او قاض بغداد معجمة اي حاكم الشرع اذا سمع بعدله وهو
بعيد الدار عنه ويروى بغداد مهملة فبعيد تفسير له ما يشاد مبني للمجهول اي اعجايا يشيع
ويشتهر من ذكره بين الناس وهو مستفاد من شاد البناء شيدا مشددا معجمة وحال مهملة اذا رفعه
ومنه قصر مشيد وغلط من قال انه بذا المعجمة من شاذ اذ علت وفي نسخة تفاءلا بالفاء والكاف
المعجمة اي ظهر وانتشر من علمه او كرم شيمته اي سجيته وخلقه وهذا مناسب لاهل قاض
واد الا ذكيب من فيه بعض هذه الخصال فمن جمع هذه الخصال كلها وحولها وكل منها فيه
مستقر على غاية من اثبات الكمال بحيث لا يشبه صفاته صفات غيره كما قال الابوصيري رحمه الله
انما مثلوا صفاتك للناس ... كما مثل النجوم الماء

احق بالحب مما عداه واولى بالميل اليه **واعلم** انه انما ذكر في قوله فقد استبان ذلك الخ
لدفع شبهة من لا بصيرة له وهي ان هذه الامور انما تحقق فيه صلى الله عليه وسلم عند
من رآه وشاهده منه لانها الموثرة في الطباع باد وصوله بقعه وخبره لمن بعده معلوم
لكل مومن بالغيب وكما لا ته صلى الله عليه وسلم لتواترها وبقاء آثارها كالمحسوس المشاهد
وقد قال علي رضي الله عنه في حديث الحلية السابق ذكره **من رآه** صلى الله عليه وسلم
بديهة اي ابصره في اول رؤيته **هابه** توقيرا واجلالا لما يرى من نور نبوته **ومن خالطه** اي
صاحب صلى الله عليه وسلم وعاشره **معرفة احبه** اي بعد معرفة فضائله وفواضله
ومشاهدة شمائله لابد ان يحبه **وذكرنا** في فضل ثواب محبته **عن بعض الصحابة** وهو نوبان
كما تقدم انه كان لا يصبر عن بصره عنه محبة فيه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

فصل في وجوب مناصحته النصح معناه الخلوص
لغة ثم قيل لارادة الخير بفعله ولسانه وانما قاله بصيغة المفاعلة لان نفع رسول الله
امر يعود لكل احد فاذا نصحه احد من امته تحققت المناصحة من الجانبين ولاجل هذا الفضل
على المحبة لانها تترتب عليها **واعلم** انه ياتي اذا صح معنى النصح بتصفية العمل
وخياطة الثوب ثم استعمل في ضد الغش والاخلاص كالتوبة النصوح قال تعالى ولا على
الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا وا عينهم تفيض حزنا الا يجدوا ما ينفقون اي انهم يضيق اذا تخلفوا عن الخروج مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعذرهم المانع لهم **اذا نصحوا لله ورسوله** الخ اي اذا اخلصوا
الايمان بهما والطاعة لهما ظاهرا وباطنا واستجابوا واخلصوا لهما من دغل وقول ويعود
على المسلمين بالصلاح **وفي الصحيحين** عن جابر رضي الله عنه
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال انكم المدينة ناسا ما سرتم مسيرا
ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض وفي رواية لكم في الاجر فيه دليل على وجوب
النصح لله ورسوله كما اشرنا اليه **ما على المحسنين من سبيل** اي ليس عليهم جناح ولا
الى معاتبتهم سبيل ووضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على انهم متحرطون في سلك
المحسنين غير متعاتبين في ذلك **والله غفور رحيم** لهم او للمسيء فكيف المحسن قال اهل
التفسير في بيان معنى الاية اجمالا اذا نصحوا لله ورسوله معناه اذا كانوا مخلصين
في اقوالهم وافعالهم **مسلمين** منقادين مطيعين حاذ لا زمتي السر اي فيما في باطنهم

من اسروه **ولعلانيته** ظاهر حالهم المطابق لما في ضمايرهم **والعلن** والعلانية بتخفيف الياء مصدر
الجهر والاظهار **فالنصح** هنا بمعنى الاخلاص والصدق ثم اتبع ما استشهد به من الكتاب العزيز
بحديث رواه ابو داود كما رواه مسلم فقال **حدثنا ابو الوليد** شيخ **بقرائتي عليه قال حدثنا حسين**
بن محمد هو ابو علي الغساني وقد تقدمت ترجمته قال **حدثنا يوسف بن عبد الله** هو حافظ
الاسلام ابن عبد البر وقد تقدم قال **حدثنا** قال **ابو محمد بن عبد المؤمن** تقدم ايضا قال حدثنا
ابو بكر بن التمار قال حدثنا ابو داود صاحب السنن **قال حدثنا احمد بن يونس** ابو عبد الله احمد
بن عبد الله بن يونس اليربوعي الكوفي الحافظ الثقة المتقن روى عنه الستة توفي سنة سبع
وعشرين ومايتين **قال حدثنا زهير** بن محمد المروذي نزيل الشام الثقة توفي سنة اثنين وستين
وماية اخرج له الستة وترجمته في الميزان **قال حدثنا سهيل بن ابي صالح** تقدمت ترجمته **عن**
عطاء بن يزيد الليثي الثقة التابعي توفي سنة سبع او ثمان وما يتو اخرج له الستة **عن تميم**
الداري وهو تميم بن اوس بن خارجة اللخمي المكني بابي رقية وهي ابنة له لم يولد له غيرها
والداري نسبة لجده الدار بن هانيء او لدارين اسم مكان وقيل الداري لديرٍ كان يتعبد
فيه وقيل انه اسم قبيلة وهو بعيد كما في المطالع وكان نصرانيا اسلم سنة تسع بالمدينة
من الهجرة وتوفي سنة اربعين سنها روى عنه في السنن ومسند احمد وقصته في ~
الحماسة مشهورة **قال** تميم **قال رسول الله** صلى الله عليه وسلم **ان الدين النصيحة ان** ~
الدين النصيحة ان الدين النصيحة كررها ثلاثا لما في زيادة اللحن والتحريف ولذا اعل الهم عن
رواية مسلم مع انه كتابه اصح الكتب عند علماء المغرب وما قبلها ذكرها مكررة في هامش نسخة
مسلم فلا وجه للعدول عنه امر سهل وسوء الساقطا والدين ملة الاسلام والنصيحة تقدم
بيانها وفي رواية انما الدين النصيحة وهما بمعنى لافادة تقرير الطرفين الحصر **قالوا**
اي الصحابة الحاضرون او عنده **لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه** بالعمل بما فيه وتعظيمه ~
وحفظه **ولرسوله** بالايمان به واتباعه وطاعته **ولائمة المسلمين** الخلفاء والسلاطين والحكام
وعامتهم اذا اريد العموم فظاهر واذا اريد جميعهم فهو من عطف العام على الخاص وسيأتي
بيانه **قال ابو عيسى** المراد بهم علماء الاسلام او ائمة مذهبه النصيحة لله ولرسوله ولائمة ~
المسلمين وعامتهم واجبة اي فرض عين على كل مكلف ونقل النووي انها فرض كفاية فان
حصل ذي فنهو في سعة من الترك **قال الامام ابو سليمان البستي** بضم الموحدة وسين مهملة
ومثناة فوقية وياء نسبة بلدة بسجستان وهو ابو سليمان احمد بن محمد بن ابراهيم بن خطاب المعروف
بالخطابي الامام المشهور واختلف في اسمه فقيل احمد وقيل حمد توفي ببست في ربيع الاول
سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة **النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة** بالتنوين فقوله ارادة الخير
بدل منه او مرفوع او منصوب على هذا ولا مانع من الاضافة للمنصوح له **وليس يمكن**
ان يعبر عنها اي عن الجملة **بكلمة واحدة تحصرها** اي تجمع جميع معانيها قيل تقديره
غيرها اي غير هذه الكلمة وهي النصيحة وما دتها كالنصح والنصاحة وفي كلامه تسمح فان
مجرد ارادة الخير لا يسمى نصحا فالظاهر ان يقول ارشاد المنصوح للخير وايضا في تركيبه
شيء لان اسم ليس الظاهر انه ان يعبر وجملة يمكن خبرها فيقتضي تاخيرها لما فيه من اللبس
بالفاعل ومراده ان هذه مما وجز الاسماء واحصرها للدلالتها على معان بمفردها ~
وكذا قيل في كلمة لفظ الفلاح انه ليس في كلام العرب كلمة اجمع لخيري الدنيا والاخرة

منها ثم اشار الى اصل معناها اللغوي بعد ما بين حاصل معناها في عرف اللغة والشرع بقوله ومعناها
في اللغة اي في عرف اهل اللغة الخلاص اي لنفسه وغيره من قولهم نصحت العسل اذا
خلصته وصفيته من شمعه بسكون الميم وفتحها مناف لعسل فهي فعيلة بمعنى
فاعلة او مفعولة لانها خلصت من الغش كما خلص العسل من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحاق
الخفاف وهو امام من ائمة اللغة ترجمته مذكورة في التواريخ وفي نسخة ابي اسحاق وهو ابو بكر
احمد بن عمر بن ابو سعيد الشافعي وهو صاحب كتاب الخصال في مذهب الشافعية كما قاله الرافعي
النصح فعل الشيء الذي به الصلاح لنفسه وغيره واراد بالفعل ما يشمل القول والملامة بضم
الميم ومن الهمزة من لامت بينهم اذا وفقت وتلاموا والتاموا بمعنى وقد تبدل همزته ياء ماخوذة
اي مشتقة اشتقاقا وكيدا بما يعبر عنه بالاخذ ويقولون دايرة الاخذ اوسع من دايرة المشتق
من النصاح بكسر النون وتخفيف الصاد وهو الخيط الذي يخاط به الثوب فتليم اجزاءه
والنصيحة على هذا ماخوذة من نصح الثوب اذا خاطه ولا حاجة لنقله عن الخفاف فانه في الكثير من
كتب اللغة وقال ابو اسحاق الزجاج امام المعربية والتفسير تلميذ المبرد وتلميذ ابي علي الفارسي
وهو ابراهيم بن سهل الزجاج منسوب لعمل الزجاج لانه كان حرفته توفي في جمادى الآخرة
من سنة احدى عشر وثلاثمائة وقد نافى على الثمانين نحوه اي قريب فما قاله الخطابي
معي ثم فرع على ما بينه من معناه لغة وعرفا بيانا فقال فنصيحة الله معناها والمراد بها
صحة الاعتقاد اي اخلاص الايمان به ولذا عداه باللام في قوله له وذلك بتخصيصه
بالوحدانية اي بانه واحد لا شريك له في الالوهية ولا يشاركه احد في ذاته وصفاته
وهو ممتنع بمعنى الانفراد وزيد فيه الالف واللام لتوكيد على خلاف القياس قاله الكرماني
ووصفه بما هو اهله اي بما يستحقه ويليق به كما يقال هو اهل للحمد وهو اهله ومحله هو
مجاز ما لم يشتهر وتنزيهه عما لا يجوز عليه في كل ما يوهم نقصا والرغبة في محابه بفتح الميم
جمع محبا اسم مفعول احب بمعنى محبوب اي يرغب في كل ما يحبه ويرضاه والبعد عن سخطه
بفتح الميم جمع سخط اسم مفعول اي كل ما يسخط الله ويوجب تعذيبه من المعاصي وقبائحها جمع مكروه
ومحبوب والاصل محابيب ومساخيط والاخلاص في عبادته فيبدء امتثال الامر من غير
رياء ولا ارادة امر اخر ولا تنفره العباد قال اي جنته وخوف ناره وانفاقا الرابع انه هو
الاخلاص نفسه هو مرتبة الخواص وقد فصلناه في محله اخرا فالنصيحة لله راجعة الى العبد
نفسه لانه تعالى ليس له ناصح ولا يتصور في حقه فاذا حملت على هذا والنصيحة لكتابه الايمان
به اي بانه كلام الله المنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم فنصدق بذلك تصديقا لا ريب
فيه والعمل بما فيه باتباع اوامره ونواهيه وتسليم متشابهه والايمان به وتحسين تلاوته
بالتجويد والترتيل بان يخرج حروفها من حاق مخارجها ما غير تكلف وتعسف فيه ويجتنب
فيه تحسين الصوت به ما غير تقعر وتمادة مد وقد قال القراء ان تجويده واجب واختلف هل
هو واجب شرعا او صناعة فذهب الى كل من القولين قوم من الفقهاء والحق انه واجب شرعا
للقادر عليه من غير مشقة لبعض العجم الفج والتخشع عنده اي عند تلاوته القرآن وسماعه
فينبغي له ان يظهر الخشوع وان لم يكن خاشعا كبعض العوام كما قيل ان لم تكن باكيا فكن متباكيا
ويصغي عنده للكتاب وقيل ان التحسين التلاوة والاول اولى وافيد وفي التخشع ما يفيد
انه لا ينبغي الصياح واظهار الوجد ما لم يكن عن حال سلب لاختياره والتعظيم له بان لا

تقرأ محرفا واذ لا يمد جليحا التلاوته ولا يجلس لهما في محل قذر وله اكرهت القراءة في الحمام وعلى الطرقات والاسواق **وتفهمه** اي تدبر معانيه المذكر فيها بدقة نظر **والتفقه فيه** اي فهم معانيه او النظر في احكامه الفقهية من حلاله وحرامه والاتعاظ بمواعظه وتضاعيفه وامثاله **والذب عنه** بمجمته وموجرة اي زجر من طعن فيه من الملحدين من تاويل الغالين وطعن الملحدين في تاويله بما لا يليق بمعنى الغلو وهو تجاوز الحد والتالين وسنتهم اداب كثيرة بينها النووي في كتاب التبيان في اداب حملة القرآن فعليك به **والنصيحة لرسوله** صلى الله عليه وسلم **التصديق** بنبوته ورسالته الى الناس كافة والى غير ذلك من الملائكة والجن **وبذل الطاعة فيما امر به ونهى عنه** لانها طاعة الله وجبة وهي طاعة الله كما مر **قاله ابو سليمان** هو الخطابي الذي تقدم بيانه **وقال ابو بكر** هو ابن ابي اسحاق الحفاف الذي مر ذكره وهو الظاهر الذي ذكره الثقات وقيل هو الحافظ الاجري الذي قريبا **ومؤازرته** بواو مفتوحة او همزة من الازر وهو القوة او من الوزر وهو الملجا اي معاضدته ومعاونته وهو معطوف على معمول او على ما قبله عطف تلقين **ونصرته** اي اعانته على اعدائه او نصرة دينه واعلاء كلمته **وحمايته** اي دفع السوء عنه **حيا** بالمجاهدة معه وخدمته **وميتا** بتقوية دينه وتاييد شريعته وهو راجع لكل ما قبله **واحياء سنته** اي هديه وطريقته وفيه استعارة تصريحية **بالطلب** لها بادنى تامل عنها ويجتهد في معرفتها **والذب عنها** اي دفع الشبه عنها والتاويلات الفاسدة **ونشرها** اي اظهارها واشاعتها وتعليمها من نشر الحديث اذا اشاع **والتخلق** باخلاقه اي الاتصاف بمثلى صفاته المامور به عنه واذ لم يكن مساويا له لكن المتشبه بالكرام فلاح الكريم اي المكرمة المحمودة **واداب الجميلة** التي فيها حمد ومدح لمن اتصف بها وقال ابو ابراهيم اسحاق التجيبي تقدم بيانه وانه بفتح التاء وضمها والله المعروف بالصداق **نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم** معناها **التصديق بما جاء به** اي الايمان بكل ما جاء به عن الله **والاعتصام بسنته** اي التمسك بها **ونشرها والحض عليها** اي بحث الناس وتحريضهم على اتباعها **والدعوة الى الله** الى الايمان به وتوحيده **والى كتابه** القرآن بالايمان والعمل بما فيه **والى رسوله** بالايمان به واتباعه **والدعوة** اي الدعوة الى سنته **والى العمل بها** كما مر **وقال احمد بن حنبل** هو الامام المشهور احمد بن حنبل نفعنا الله ببركاته وهذا ما عدناك من نسبته الى ابيه محمد **من محبة رسول الله** اي ما فرض ووجب اعتقادة وجزم القلوب به **الاعتقاد** وجوب **النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم** بالمعنى المتقدم **وقال ابو بكر الاجري** الحافظ وقد تقدم بيانه **وغيره من الائمة النصح له** صلى الله عليه وسلم **يقتضي تعظيم** اي منتهى التوقير **نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته** اي النصح له وهو حي **نصح اصحابه** اي هو نفع اصحابه او كنصح اصحابه **له بالنصر له على اعدائه والذب عنه** بدفع السوء عنه ومن يريده **ومعاداة من عاداه** ببغضه وتنقيصه وعدم موالاته **والسمع** اي امتثال ما يقوله وقبوله كما في قوله سمع الله لمن حمده فانه فسر بقبله **والطاعة له** اي الانقياد التام **وبذل النفوس** اي الذوات والارواح **والاموال دونه** اي صرفها والجود **بكل صديق** وتقديمها دون **ما يقربه** ما يقربه ع **الى الله عليه** اي بها في حياته صلى الله عليه وسلم **كما قال تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه** الاية اي عاهدوا الله على بذل ارواحهم واموالهم في سبيل الله ونصرة رسوله صلى الله عليه وسلم فوفوا بعهدهم وهذه الاية كما في الصحيحين

نزلت

نزلت في انس بن النضر وكان شق عليه انه لم يحضر بدرا وقال اول مشهد من شاهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم غبت عنه لئن اراني الله مشهدا بعده ليرى الله ما اصنع فلما كان من العام
المقبل وقفه احد استقبله سعد بن مالك فقال له يا ابا محمد الى اين قال واها لريح الجنة احدها دون
احد فقاتل حتى قتل رضي الله عنه ووجد فيه بضعا وثمانين ما بين طعنة وضربة وقال تعالى
وينصرون الله ورسوله الاية اولئك هم الصادقون وهذه الاية نزلت في المهاجرين الذين
اخرجوا من ديارهم ابتغاء رضوان الله واما نصيحة المسلمين له صلى الله عليه وسلم بعد وفاته
فالتزام التوقير اي الادب والتعظيم والاجلال لقدره برفع ذكره وتعظيمه وشدة المحبة له
بكونه احب عنده من نفسه وماله والمثابرة بمثلثة وموحدة وراء مهملة اي المداومة
والمحافظة على تعلم سنته وفي نسخة تعليم وسنته طريقته وهديه او حديثه والتفقه في شريعته
بفهم معانيها والعلم باحكامها ومحبة آل بيته وهم اقرباؤه الذين لا تحل لهم الزكاة وقد تقدم
بيانهم واصحابه وهم كل من اجتمع به صلى الله عليه وسلم ومات على ذلك ومجانبة من رغب
عن سنته اي البعد عن كل من تركها وعدم الركون اليه وانحرف عنها اي مال عنها ورغب
في غيرها وبغضه اي اظهار عداوته والتحذير منه من لا يعرفه بان يعرفهم حاله وينهاهم
عن استماع كلامه والشفقة على امته اي اللطف بهم والاحسان اليهم لاجله صلى الله عليه وسلم
لا لامر اخر والبحث اي التفتيش عن تعرف احواله صلى الله عليه وسلم اي احواله المعروفة
وفي نسخة اخلاقه وسيرته قال المرزوقي معناها حالة من احوال السير ثم اجري مجرى
الشيم والعادات انتهى وادابه ليقتدي بها والصبر على ذلك اي حبس النفس عليها بحيث تصير
طبيعة له على ما ذكره اي الخفاف او الاجري تكون النصيحة احدى ثمرات المحبة لان كل ما ذكره
متفرع عليها كما يعرفه من له تامل وعلامة من علاماتها كما قدمناه في فصل
العلامات ولذا قدم المص امر المحبة على النصيحة كما مر وحكى الامام ابو القاسم القشيري عبد الملك
بن هوازن بن عبد الملك النيسابوري صاحب الرسالة وشيخ الطريقة فريد دهره علما وعملا
وعمدة اهل السنة وفقها الشافعية الجامع بين الشريعة والحقيقة وترجمته مشهورة
وتقدم طرف منها توفي سنة خمس وستين واربعمائة وعمره تسع وثمانون سنة ان عمرو بن
الليث احد ملوك خراسان اقليم معروف وعمرو هذا اخو يعقوب الصفار وكان يعقوب
هذا كما قاله المسعودي في خلافة المعتضد بالله احد الخلفاء العباسيين في صغره صفارا
فتغلب وصار له جيوش عظيمة فتسلطن ثم توفي سنة خمس وستين ومائتين وخلف اموالا
كثيرة خلفه عليها اخوه عمرو المذكور ومشاهير جمع مشهور الثوار بضم المثلثة وتشديد
الواو والف تليها راء مهملة ثائر يثور اذا هاج ووثب بقوة والمراد بهم المتغلبون على
الملك فانه كان كذلك لشجاعته وكثرة جنده المعروف بالصفار منسوب لعمل الصفر
وهو نوع من النحاس تعمل به الاواني وقد مر وجه التسمية به رئي مبني للمجهول
من الرؤيا وهو مهموز اي راه بعضهم في المنام وفي نسخة في النوم فقيل له ما فعل الله
بك فقال غفر لي ذنوبي ومحى سيئاتي فقيل بماذا اي باي سبب هذا الذي نلته فقال صعدت
بكسر العين في الماضي وفتحها في المستقبل اي ارتقيت وعلوت فقال صعدت بكسر الذال المعجمة
وضمها وهي اعلى كل مرتفع من جبل ونحوه يوما فاشرفت على جنودي اي رايتهم من مكان
عال واطلعت عليهم فاعجبتني كثرتهم اي حسنت عندي فسرتني فتمنيت اي حضرت رسول الله

صلى الله عليه وسلم اي كنت في عصره فشهدت غزواته وحروبه بجندي فاعنته ونصرته على
اعدايه بمقاتلتي انا وجندي معه فشكر الله لي ذلك القول والتمني كما قال ورقة يا ليتني فيها
جذع اخبت فيها واضع ومعنى شكر الله ثوابه وانعامه وغفر لي بسبب قولي هذا وقال
ابن قرقول شكر الله ثناوه عليه عند ملايكته وقيل هو مضاعفة ثوابه واما النصح لايمة
المسلمين جمع امام وهو الخليفة والسلطان المقتدى به والمراد الحكام مطلقا هنا معناه طاعتهم
في الحق الموافق للشرع اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الله كما ورد في الحديث ولقوله اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ومعونتهم فيه اي في الحق لا في الباطل فالمعونة والاعانة بمعنى
وامرهم به اي باتباعه على احسن وجه برفق وتلطيف القول وتحسينه فانه ادعى للامتثال وتنبيههم
على ما غفلوا عنه لعدم العلم به لخفايه او لعدم الوقوف عليه وكتم عنهم بان خفي عليهم فلم
يبلغهم خبره وكتم عنهم فيمضوه عليهم وترك الخروج عليهم بمخالفتهم وعصيان امرايهم
وهو معطوف على طاعتهم وتضريب الناس بمثناة فوقية مفتوحة وسكون الضاد المعجمة
وكسر الرا المهملة ومثناة ساكنة وموحدة تحتية مجرور اي ترك تضريبهم وهو اغراؤهم
وتحريكهم عليهم يقال ضربه اذا اغراه وافساد قلوبهم اي ترك افساد قلوب الناس عليهم
بذمهم وتشهير مساويهم حتى تنفر عنهم القلوب فتودي الى التجري عليهم ومخالفتهم تجر الى
مفاسد عظيمة واما النصح لعامة المسلمين المراد بالعامة هنا من عدا الحكام لا العوام
بالمعنى العرفي فمعناه ارشادهم الى مصالحهم اي دلالتهم على ما يوصلهم الى ما فيه صلاح
امورهم ومعونتهم اي اعانتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم
لما غفل عنه من مصالحه وتبصير جاهلهم اي تعريفه بما جهله ليكون ذا بصيرة في اموره
ورفد محتاجهم بفتح الراء المهملة اي اعانته ويجوز كسرها فان الرفد بمعنى العطا والصلة
وكل شي عمدته وجعلت له عونا فقد رفدته ومنه الرفادة التي كانت لقريش في الجاهلية
وستر عوراتهم اي يستر عليهم بعض معاصيهم اذا راها فلا يذكرها حتى يفتضح مرتكبها
فاذا ارشده لتركه ذكره خفية فان النصيحة في الملا تقريع
ودفع المضار عنهم اي ما يضرهم في دينهم ودنياهم وجلب
المنافع لهم اي بنفعهم دينا ودنيا
تم الجزو الثاني بحمد الله وعونه
وحسن توفيقه والحمد لله رب
العالمين ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم
وصلى الله على
سيدنا محمد
وعلى اله
وصحبه
وسلم

من امور المسلمين
ح

ويتلوه الجزو الثالث الباب الثالث في تعظيم امره